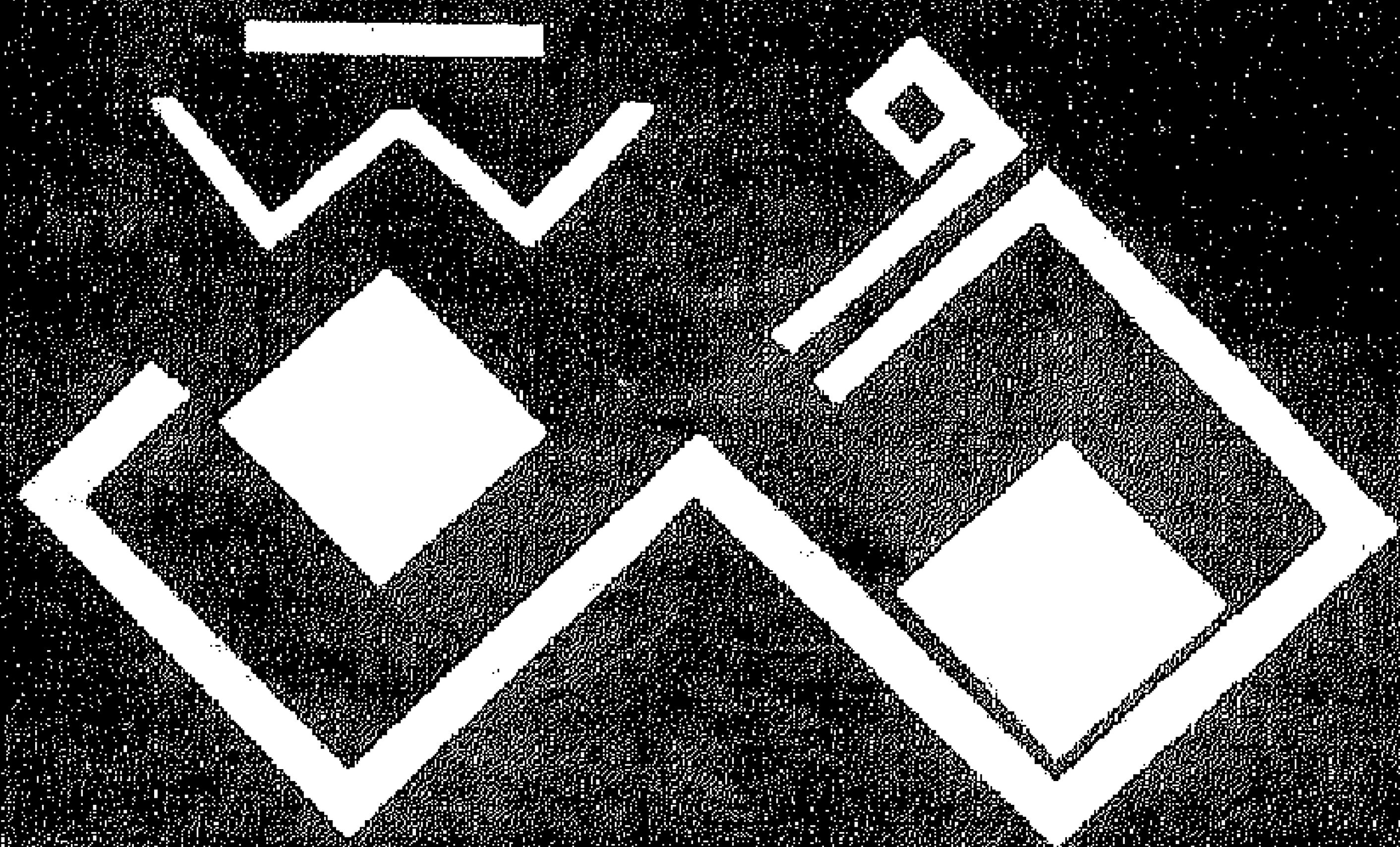


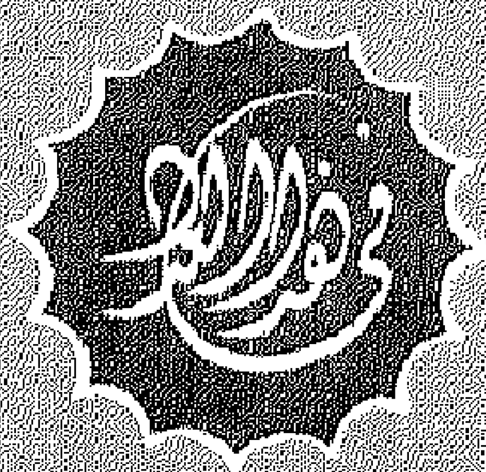
النساء .. شقائق الرجال



مجلة

ذات أداء متخصص

العدد الحادي عشر
شعبان / رمضان
١٤٠٤ هـ



الاشراف
د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبد الحميد عنبر — جدة

مفهومي للفن

خلق الله الكون بدقة محكمة . . باعجاز عجيب . . بعظمة فريدة . . خلق السموات . . الارض . . البشر . . الشمس والقمر.

كل ما حولنا يشهد بذلك.

عند بزوغ الشمس وتنفس الصبح وانسحاب الظلام

وعند استيقاظ الزهور وانحدار قطرات الندى على الاوراق . . يرى الانسان نفسه مشدوهاً امام الجمال ، ، امام الروعة.

عند مرور الغمام على فلاة عارية ، وعندما يعانق الرمل القطر فى عطش الى الحياة . . وعندما يغطى الاثيل الرمال بنسيج اخضر . . يقف الانسان حائراً امام التغيرات التى تحدث دون رؤية يد محسوسة تحرك هذا كله.

انه فن عبقرى . . فن ابدعه الواحد الاحد الذى لا ثانى له ولا مثيل.

الفن يحيط بنا من كل مكان . . فى كل لحظة . . بل وينبع من انفسنا . .

الانسان معجزة . . تكوينه من ناحية عضوية مادية . . ومن ناحية نفسية معنوية تدل على فن عظيم.

تشبع النفس الانسانية بميول ورغبات . . بابداع وهوايات . . ولكل امرىء ميوله الخاص.

كل شىء ينطق عن فن مميز

ليس فقط من رسم لوحة يعتبر فناناً.

وليس فقط من شدا بلحن محبب يعتبر فناناً.

وليس فقط من كتب قصيدة والف قصة يعتبر فناناً.

بل كل امرىء على هذه الارض له مميزات فنية خاصة تبرز فى تكوين شخصيته وبالتالى تظهر لمن يحتك به.

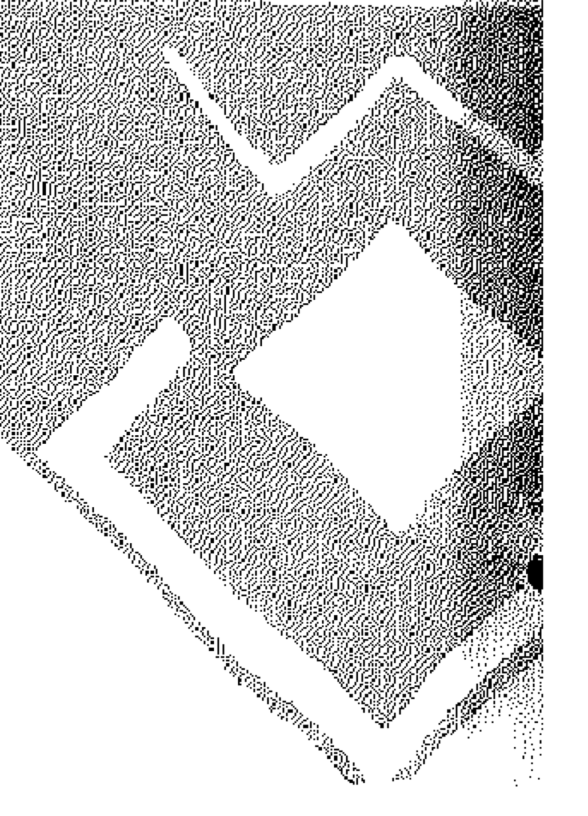
عندما يبذل الانسان جهداً فى ابراز طموحه بطرق سليمة فانه يسلك سلوكاً يعبر عن فن اصيل.

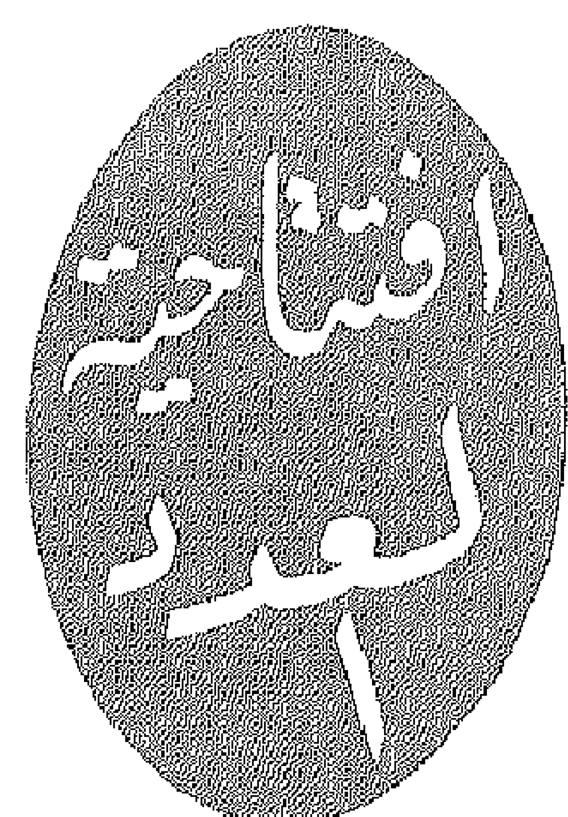
الفن ليس كلمة تدل على رسم . . او كتابة او نقش او تمثيل كما هو متعارف بين العامة بل هو اكبر واعمق.

ان التعاملات الانسانية التى تربط الانسان بأخيه . . الاسلوب الاجتماعى . . الخلفيه الراقية . . اللباقة . . كل هذا يدخل تحت نطاق الفن . . اى فن العلاقات الاجتماعية بين الافراد.

ان سلوك الانسان مع نفسه . . تَرَفُّعه عن الانخفاض . . سعيه للافضل . . وتقديره لما يمتلك من عطايا الخالق يحتاج الى فن يدفعه لكى يبنى نفسه بناءاً سليماً.

مهما جنح بنا الخيال وبلغنا ذروة





عصمت صادق

الاعجاز والابداع . . فان لنا حدوداً لا نستطيع ان نخترقها هذه الحدود هى الكون المحيط بنا .

ومهما حاول الرسام ان يرتفع بريشته عن الكتلة الارضيــة وان يحلق فى سماء التجريد فانه لا يعبر حدود الفن المحيط به . . انه يستقى إبداعه من ابداع الخالق

المرأة . . المرأة تحتل مكانة كبيرة فى المجتمع . . فى الاسرة . . فى النفس .

المرأة كائن خلقها الله لتعمر الارض ولتثمر الحياة .

فهى شطــر ليس بسيــط ودورها ليس بهيِّن تبــدأ حياتهــا الاسرية بخلفية معينــــة . وثقــافــة مستمــدة من البيئــة والظروف التى عاشتها وبذا تختلف طريقة سلوكهــا واسلوب حيــاتهــا وتصــرفهــا فى اسرتها التى تبدأ بتكوينها تختلف فى هذا عن غيرهـــا . من هذا المنطلق تكـــون طريقة تربيتها للبذور الخضراء التى تشب تحت رعايتها . فقد تكون ذات نظرة ضيقة وخلفية قاتمة فينشأ الجيل الجديد متأثرا بها الى حد ما .

وقد تكون نظرتها واسعة وافاقها عالية وخلفيتهـــا راقيــة وبــالتــالى ينشأ جيلهــا متفهـــماً . . واعيـــاً . وهنا يكمن الفن . . الفن فى اسلوب المعيشة والحياة .

الفن ليس مقتصراً على اشخاص معينين .

وليس متوفراً فى فئة بعينها .

ولا يعبر عن تراث معين .

بل ينتج عن تفاعل الانسان مع بيئته . . مع افراد مجتمعه . . مع نفسه .

لذا نجــد انــاساً سمت نفوسهم عن الالتصاق بالارض . . وامتدت طموحاتهم فسعت الى الســماء . ونجــد انــاسا على النقيض تماماً انحدرت بهم نواياهم الى قاع الرذيله . . وبلغ بهم اليأس مبلغاً حتى ليقوم بعضهم على انهاء حياته .

لماذا؟ . . لماذا يختلف السلوك وتختلف النهاية وبالتالى النتيجة؟؟ .

يبرز الاختــلاف من تفهم المــرء لاسباب وجوده وابعاد رسالته وقدراته وما يدخل فى امكانياته .

تفهم الانسان لهذه الاشياء واخرى غيرهــا ينطلق من تفهمـــه للفن الآلهى ولذلك نجد فروقاً فردية شاسعة بين افراد المجتمع بل والاسرة نفسها .

ان الكلام عن الفن لا تستوعبه اسطر ولا تسعه صفحات . .

ولكننى فى اسطرى السابقة وددت ان انظر الى الفن من زاوية أخرى . .

التزاوج

منذ بدء الخليقة... والعلاقات بين الأشياء وبعضها موجودة فى الحياة.. ولكن بعضها ظاهر وواضح.. وبعضها يتضح من خلال البحث والتقصى والتأمل.. ودوما هناك علاقة تأثير وتأثر مستمرة بين الأشياء بعضها البعض.. ودوما هناك تفاعلات تحدث.. يترتب عليها شكل جديد أو صورة جديدة. أو وضع جديد.. أو معنى جديد للعلاقه.

واذا كانت هناك تفاعلات ما تحدث فى المعمل الكيميائى.. إلا ان هناك تفاعلات من نوع آخر تحدث فى معمل الحياة.. تفاعلات اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية وفنية وأدبية وفلسفية تعيد ترتيب وجه الحياة من جديد.. حتى لو كان ذلك متمثلاً فقط فى وجه الحياة العقلية أو الفنية أو الأدبية على أقل تقدير..

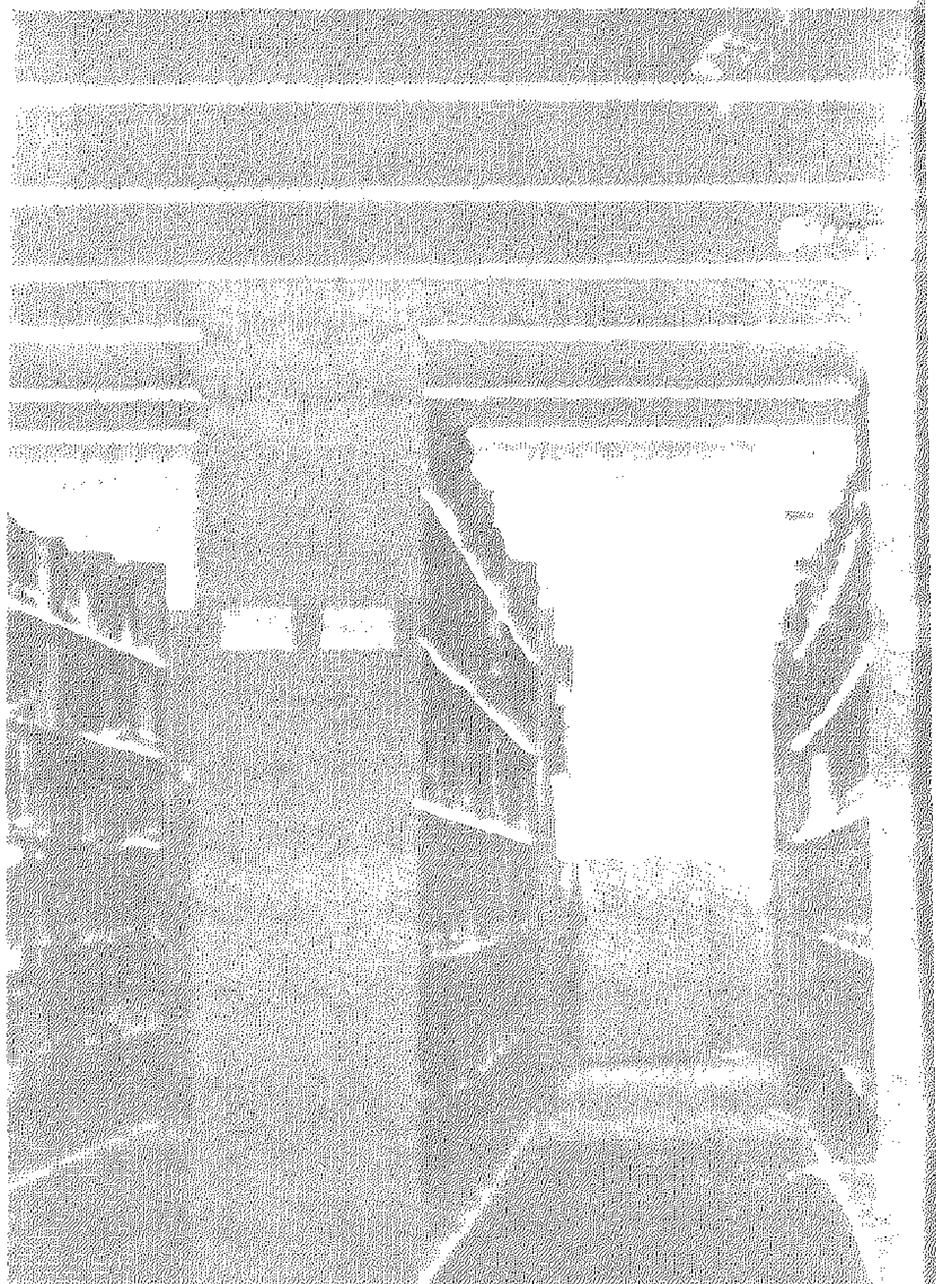
وانه اذا كان من الممكن التحكم فى المعمل الكيميائى.. فى جميع المؤثرات التى تؤثر على نتيجة التفاعل المقصود.. والمطلوب الوصول فيه الى نتيجة محددة.. إلا ان ذلك الأمر لا يتوخى فى التفاعلات التى تحدث فى معمل الحياه.. ومن ثم تبقى محاولات الانسان على وجه الخصوص فى مجالى الفن والأدب.. هى محاولة اجتهادية ذاتيه للوصول الى المعنى الذى يمكن من خلاله أن نعقل الحياه ونفهمها.. ونرسم صورة توضح إلى حد ما شكل العلاقات القائمة بين ظواهر الأشياء.. حتى لو كانت نتيجة تلك المحاولات هى الوصول إلى اللامعنى كوصف لتلك العلاقة.. إلا انها مع ذلك تظل.. وتبقى مجرد محاولة لفهم الحياة.. وللوصول إلى حياة أفضل.

★ واليوم سينصب حديثنا على الأدب والفن.. لكشف بعض حالات التزاوج التى تمت بينهما عبر التاريخ الانسانى.. خاصة وان التاريخ يعبق بحالات وبمعنى أدق.. بعلاقات واضحة لعملية التأثير والتأثر بين الطرفين.

والحقيقة ان الأدب والفن ما هما إلا صورة عاكسة (صادقة) للتفاعلات التي تتم فى معمل الحياة.. سواء أكان

بين الأدب والفن

دراسة بقلم :
أمجاد محمود رضا



ذلك المعمل (محلياً) . . أو معملاً (عالمياً) . فلا يمكن للأدب أن يعيش وكذلك الفن . . فى رقعة ما على وجه الأرض وهما منفصلان عما يحدث من تفاعلات فى العالم . . حتى لو كان ذلك التفاعل فى الجانب السياسى أو الاقتصادى أو الاجتماعى أو الفلسفى . . وحتى الفنى .

ورحلة البحث عن علاقة التزواج بين الأدب والفن عبر التاريخ . . تحتاج فى البدء إلى ان نعرف كلاً من الأدب والفن . . على حدة وبالطريقة العلمية . ونبدأ بتعريف الفن . . فى شكل تساؤل . . ما هو المقصود بالعمل الفنى . . ؟؟ .

فيجيب الدكتور محمود بسيونى فى كتابه (الفن الحديث . رجاله . مدارسه . آثاره التربوية) - [وهو رئيس قسم التربية الفنية وعلم النفس بمعهد التربية الفنية للمعلمين . . ووكيل المعهد . . ووكيل الجمعية الدولية للتربية عن طريق الفن] - «**إن العمل الفنى ما هو إلا تعبير عن معنى أو إنفعال أو إثارة يحسها الفنان فى العالم الخارجى، فيترجمها بأسلوب يتوخى فيه البحث عن علاقات الخطوط والمساحات، والألوان، والأشكال فى**

صيغ جماليه لها وحدتها وطابعها المميز . . »

أما تعريف الأدب . . فيقول الدكتور ميشال عامى . . فى كتابه «الفن والأدب» :

«إن الأدب هو فى اطاره الإبداعى . . أحد الفنون الجميلة الخمسة كالرسم والنحت والرقص والموسيقى . . وهو مثلها جميعاً صناعة فنية يُعبَّر بها التعبير المؤثر الجميل عن طوايا النفس البشرية . . فى كل ما تضطرب به من أشتات الرؤى وخواطر الفكر والوجدان . . ولا يختلف عنها فى شيىء من حيث الغاية التأثيريه التى يسعى إليها كل فن جميل» .

بيد ان الأدب كفن جميل يتميز بمادة التعبير التى هى الفاظ اللغة . . فيما هى الأشكال للنحت والزخارف، والحركات للرقص، والأنغام للموسيقى . . والخطوط للرسم . . أى ان فن الأدب إذاً هو تعبير جمالى بالكلام عن معاناة صاحبه الذى يجسد أحاسيسه بلغة تتصف بصفات فنية ايحائية فى مفرداتها . . وتراكيبها . . ومضامينها المعنوية وأشكالها البنائية الابداعية . .

التزاوج بين الأدب والفن فى إطار الواقعية

ونبدأ الرحلة بالمذهب الواقعى . .

والواقعيون ـ طبقا لمذهبهم ـ يتخذون مادة موضوعاتهم من واقع الطبقات الدنيا ومن أدنى أعماق النفس الانسانية، فهم يصورون الشر والآفات فى تجاربهم لتنبيه المجتمع إلى تلافى انتاج مثل هذه التجارب، وتهدف الواقعية إلى تنبيه المجتمع إلى اخطائه كيلا يقع فى مثلها . . وليتلافاها فى المستقبل . . ولهذا كثيراً ما يتجسد ذلك فى الاعمال الفنية . .



ولو تتبعنا من اين نبعت الواقعية كمذهب . . لوجدنا انها نبعت عند الرسام (كوربيه ١٨١٩-١٨٧٧) . . وهو الفنان الذى دعا إلى الواقعية فى الرسم . . وان على الرسام أن يسجل مشاعره نتيجة لنظره فى أمور مجتمعه، وألا يغيب عن ذهنه ان المجتمع هو موضوع الفن، إن الفن تعبير عن المجتمع من أجل المجتمع . . وقد نقل دعوته تلك إلى مجال الأدب صديقه شانفلورى (١٨٢١-١٨٨٩) عنوانها (الواقعية)، وهكذا نبع المذهب من الفن وانتقل الى الأدب . .

التزاوج الشرعى للأدب والفن فى صورة رمزية

ومنذ أن ظهرت الواقعية . . ظهرت المدارس المعارضة لها وعاشت وأستمرت وقد كانت حياة كل من هذه المدارس قصيرة. ولكن هذا لم يمنعها من التأثير فى

الواقعية وتعديلها. . وأهم الثورات ضد الواقعية قبل الحرب العالمية الثانية كانت الرمزية والتعبيرية. . وهى تعكس من جانب آخر صورة ثانية للتزاوج بين الأدب والفن.

والرمزية نشأت وتطورت فى فرنسا فى الثمانينات من القرن التاسع عشر وانتهت تقريبا قبل نهاية القرن. . وتؤمن الرمزية بان الحقيقة لا يمكن إستخلاصها من حقائق الحياه اليوميه التى ندركها بحواسنا الخمس، كما لا يمكن الوصول إليها عن طريق العقل - على العكس - فالطريق الوحيد الى الحقيقة هو الحدس الفطرى.

وبما ان الحقيقة لا يمكن ادراكها عن طريق العقل فهى كذلك لا يمكن التعبير عنها بطريقة أو لغه منطقية. . فهى يمكن فقط الإيحاء بها عن طريق أفعال أو أشياء رمزية أو خطوط. . تثير افكار واحاسيس معينة لدى المشاهد لها تتناسب والحقيقة الذى يريدها الفنان المبدع. والموضوعات تكون طبقا لمفهوم أو مذهب الرمزيه. . بعيدة عن مجال المشاكل الاجتماعية. . فهى تتجنبها. . ولا تقترب منها أبداً. وذلك لان هدف الرمزية الحقيقى هو التعبير عن رؤيا الفنان لحقيقة عليا لا يمكن التعبير عنها، وانما يمكن فقط الإيحاء بها عن طريق الرمز. . كما تهدف الى الايحاء بحقيقة عالمية. . لا تعتمد على المكان أو الزمان، وايمانهم بان الحقيقة لا يمكن أن تحدد منطقيا أو يعبر عنها عقليا. . كانت الأعمال الفنية تتسم بالغموض وتبعث على الحيرة. .

ولقد تأثر الأدب بوضوح. . بالفن فى هذا الاتجاه. . (الرمزية) إذ استمدوا الكثير من أفكارهم من فن الموسيقى. . وذلك من خلال موسيقار الأوبرا (ريتشارد فاجنر) الذى كرس حياته فى بذل اكبر جهد لمزج كل الفنون فى كل عمل فنى واحد. . وهو ما كان يسميه (دراما الموسيقى). . لان فاجنر يعارض الواقعية. . ويرى الموسيقى عنصراً أساسياً (وعلى وجه الخصوص المسرح) حتى يكون مسرحاً بمعنى الكلمة. . كما كان يرى ان الحقائق العليا لا يمكن أن يتحقق التعبير عنها بالوسائل التى تنادى بها الواقعية. .

فالفن - فى تصوره - لا يستطيع التعبير عن الحقيقه فقط إذا استطاع أن يحرر الانسان من العرف والمألوف. . ولذلك كان فاجنر يخلص المتفرجين من حياتهم اليوميه عن طريق الدراما المغموسة فى نبع الموسيقى السحرى. .

ولو تأملنا المسرحية الموسيقية السائدة اليوم. . لوجدنا انها تنحدر من أشكال المسرحية التى كانت معروفه فى القرن التاسع عشر. وهى التى ترجع الى الفترة التى ساد فيها المذهب الرمزى. .

واذا تركنا الرمزية فى فن الموسيقى. . والأدب والأشكال الفنية من شعر وحيث القالب المسرحى. . لوجدنا الرمزية قد ظهرت فى مجال الفن التشكيلى فى التجريدية. . التى مهدت إليها التكعيبية. . والدليل على ذلك ما يلى. .

اذ يقول كاند نسكى زعيم الفن المجرد. . عن الموسيقى «إنها أفضل معلم فلقد أستطاعت الموسيقى لبضعة قرون مع استثناءات قليله. . أن تهب نفسها. . لا لإعادة انتاج المظاهر الطبيعية ولكن للتعبير عن روح الفنان والخلق حياة ذاتيه للنغم الموسيقى. . والتجريد فى الفن. . لا يعنى ظهور الرموز بشكل مبسط - من خلالها - دليلاً على انها بسيطه. . ولا يعنى انها فقيرة فنياً. . بل الواقع ان التجريد فى الفن يكشف لنا فيها الأشياء الرمزية بمعانيها الفنية الكامنة. .

ويقول الناقد الفرنسى (آلى فور) فيما يتعلق بالطبيعة «لتعرف كيف تنقل ينبغى أن تعرف كيف

تلخص وتبسط ثم تختار وتؤكد . . والمقصود بالتلخيص تلك العملية البلاغية التى يقوم فيها الانسان بقول الكثير من المعنى فى القليل من اللفظ . . والتلخيص فى الفن التشكيلى هو تحميل أبسط الرموز التشكيليه اكبر المعانى الفنية والتأكيد فيه معنى ابراز أهم المميزات لتحسها العين الرائيه .

ويقول (كاند نسكى) فى جانب آخر . .

«من اليسر الذى تحقق به الموسيقى اتجاهاتها التجريدية . . انه بلا ريب يحاول أن يطبق وسائل الموسيقى على فنه الخاص . . وينبع من هذا الرغبه فى تأكيد الايقاع فى التصوير، والبحث عن العلاقات الرياضية، والتركيب التجريدى وتوزيع نغمات اللون وترديدها ووضع اللون فى حالة حركه . .» .

واذا كان الأدب تأثر بفن الموسيقى . . فى الرمزية وكذلك تأثر الفن التشكيلى بفن الموسيقى فى التجريدية (حيث الرموز المجردة) . . فهذا يعنى تزاوج الأدب بالفن على مرئى الموسيقى . . وبواسطتها . .

ولو أردنا أن نبحث أكثر فى أصل التجريدية فى الفن التشكيلى . . لوجدنا أن نبعها الأساسى يأتى من الفن الاسلامى . . وابتدع التجريد نتيجه لفلسفة المجتمع العقائديه فى ذلك الوقت . . فجوهر الاسلام هو هجر طبيعة الوثنية والأشكال الآدمية . . إذ كان يفضل الرسم أو إيجاد الطبيعة بطريقة مجردة . .

وفى النهاية . . كل ما نريد قوله . . ان الرمزية بدأت فى الفن التشكيلى والموسيقى وتأثر بها الأدب . . فكان تزاوج الفن بالأدب فى إطار الرمزية .

الأدب والفن والتزاوج فى قفص التعبيرية

التعبيرية . . من أهم الثورات ضد الواقعية فى القرن العشرين . . وقد نشأت كحركة فى حوالى ١٩١٠ فى المانيا . . والتعبيرية تعنى رؤيه شخصية للحقيقة . . فاذا كان الواقعيون يرون الحقيقة فى ملاحظة الظواهر الخارجية . . إلا ان التعبيريين يبحثون عن الحقيقة داخل النفس البشرية . . وقد اطلق اسم التعبيرية فى الأول على مجموعة من الرسامين يحتذون حذو (فان جوخ) و(جوجان) ولكن سرعان ما انتقل الاسم إلى الوان أخرى من الفن . . فظهرت فى القالب المسرحى وهو شكل من اشكال الأدب . . فى مسرحية الابن للكاتب دمنزهير سنكليفر . . وقد بلغت الحركة التعبيرية قمتها خلال الحرب العالميه الأولى وانتهت قبل ١٩٢٥ .

وهكذا تنتهى الجولة عبر التاريخ . . وذلك عبر ثلاث اتجاهات وتيارات ظهرت فى مجال الفن والأدب . . وضحت كيف اثمر تزاوج الأدب بالفن على الساحة الإنسانية من أعمال فنية كانت محاولات جادة ذاتية من أجل فهم الحياة . . والوصول الى حياة أفضل . . وربما بمزيد من البحث والتأمل فى ذات هذا الموضوع . . يكشف لنا عن مزيد من العلاقات . . والكثير من النتائج التى تعكس لنا ان التفاعل مستمر ولن يترقف فى معمل الحياه وهذا التفاعل لا يقتصر بين طرفين فى العملية (الأدب والفن) . . وانما تفاعل مستمر بين اطراف متعدده يصعب التحكم فيها داخل العمل فى أى عملية تفاعليه . . والاطراف المتعددة . . تأتى السياسة . . والجانب الاقتصادى والاجتماعى والجانب العلمى . . والجانب النفسى . . والأدب وكافة أشكال الفنون . . وكلها من تلك الاطراف فى العملية التفاعلية تتأثر وتؤثر . . لتخرج بنتيجة . . يحاول أن يعكسها بصدق . . كل من الأدب والفن .



تصورها نثراً

نجوى صلاح الفرباوي

●● «الفن» الكم والكيف، الدلالة والمعنى.. كلمة أحرفها لاتصل أصابع اليد الواحدة فى عدها، لكن مضمونها يمتد بعيداً وعميقاً.. فى مدلولاتها وتأثيراتها وتشعباتها، فى معناها وتعدد مذاهبها - تمثل غاية الإتقان وروعة البيان - البيان بالحرف والكلمة، بالخطوط والظلال، بالضوء والعتمة.. بل البيان فى الحركة والإشارة، فى السلوك والتصرف فى شؤون الحياة بخصوصياتها وعمومياتها.

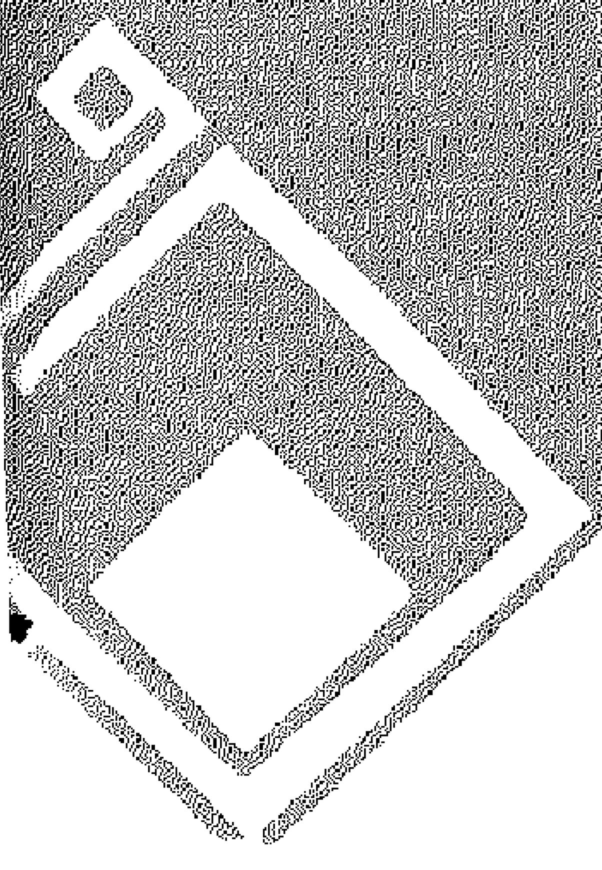
وإطلاق كلمة «فن» على عمل ما يعنى أنه قد وصل إلى درجة قصوى من الإتقان والاظهار.

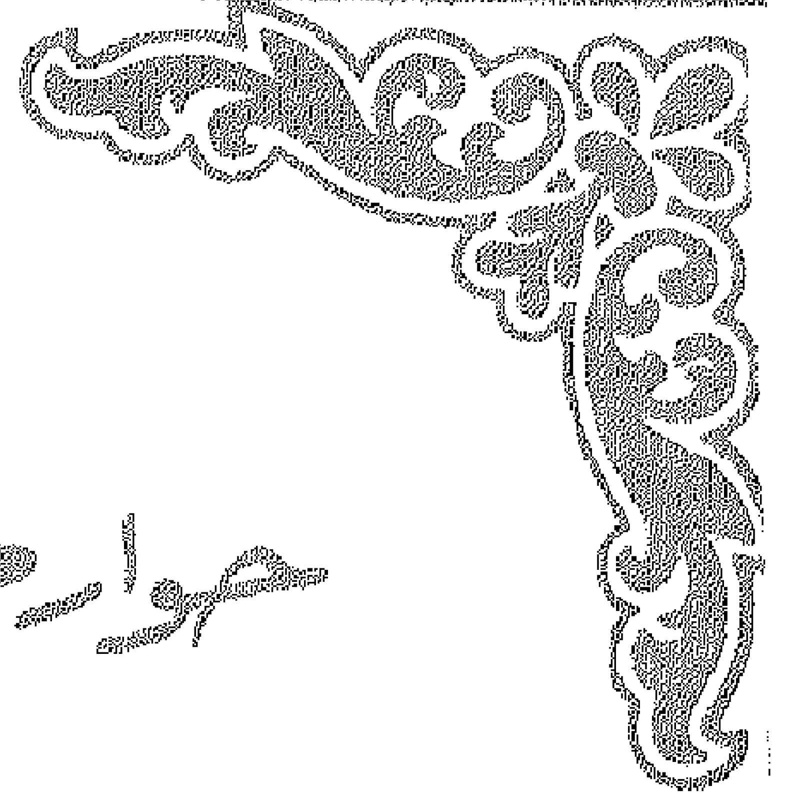
●● دعونا من الحديث عن مداخل هذا «الفن»، وعن مذاهبه، ولنتركه يداعب خلجات نفوسنا بأنامله الحريرية، ويتدفق تأثيرا فى أعماقنا، ويتضوع عطراً فى حواشينا، فنحن بشر لنا من هذه الأحاسيس وتلك المشاعر الكثير الكثير.. فإذا خبأت لحين، فذلك - حتماً - لما نعانيه فى هذه الحياة اللاهبة التى تصطبغ بالمشاكل والمعايشات الانسانية المعروفة والملموسة.

● ورغم هذه المعاناة فإن أنفسنا تزخر بالكثير من الصور الذاتية الرائعة التى تفيض رواء وجمالاً.. ولذلك فنحن أكثر ما نكون فى حاجة إلى مرآة صافية نقية.. تعكس لنا ما يجيش فى دخائلنا وتعتمل به سرائرنا.. ولا أودها مرآة عاكسة فحسب، وإنما أريدها معبرة صادقة، ومبلورة صافية، مجسدة فى المناهل والرؤوس، ومشخصة فى الرسوم والجوى.. نرى فيها ما بين الكلمات وما خلفها.. ونقرأ فيها أعماق الخطوط وابداعاتها.. وما مرآتنا تلك بكل تفاصيلها إلا «الفن» بجميع إبداعاته وصوره وأشكاله، تلونه الطاقة الدافعة، وينيره المشعل الوضاء.. وصولاً للبعد الذى يداعب نفوسنا.. فنعشق بوجد جمال الحياة.

● كيف لا؟ وتذوقنا لأى نوع من أنواع الفن ومذاهبه يشعرنا بفروضه بالراحة النفسية وصفاء الذهن.. واستقرار الذات.. وكما أن الفن موهبة.. فالتمتع به فضيلة أيضا.. وإذا كان «الفن» أداءاً متميزاً.. فعشقه وتفهمه والتعاطف معه أداء مميز أيضا.

●● ولكى يؤصل الفن هذه المعادلة المهذبة (رواءه - وعطاءه).. ولكى يمتد سحره وتقوى جاذبيته.. لابد أن يحترم عقول محبيه، وأن يأنس لعاشقيه، ويتزاوج مع مريديه.. وكما أحببنا الفن وودناه، فعلينا أن نمسك طفرته، ونعرض عن جفوته ويدفعنا للقبض على ابعاده، ومثله خواء البدائل التى نستعيض بها عنه فى عصر المادة والسأم الذى نعايشه.





حوار مع الإنسان الصامت

خافت صوت الحوار مع النفس داخل كيان مغلق . . وصريحة لغة الحديث الدائر حول الذات . . يحمل متناقضات الظروف والبيئة كما يحمل صدق المشاعر الخافية فى الحنايا.

ربما كانت لحظة تلك التى نقضيها فى حوار صريح مع الانسان الساكن فينا . . نناقش معه موقف الألم فى سلاسة نفتقدها ونحن نواجه عاصفة الدموع وينتهى الحوار براحة تستوطن الحنايا وكأننا بذلك نهادن غضبة المشاعر ونمسح على رأس الرقض نعزيه ونسترضيه.

يعيش بداخلنا إنسان صامت . . إذا تحدث نسمعه نحن ويعجز عن التقاط صوته جميع من حولنا حتى أعز أقرب الناس لنا . .

قد يكون صديقاً . . وقد يكون عدواً . . فاختلاف كينونته يتبعه اختلاف جوهرى فى تصرفاتنا . . وكيفما كان فحبنا له فطرى لا اكتساب فيه ولا تعلم . . ندافع عنه دونما انتباه . . ونحقق رغباته دونما بخل . . معاناته ألم يرتسم على محيانا فى شكل مرهق . . وفرحته بسمة تستوطن الجبين وتزغرد فى العيون معلنة بدء إشراقة الرضى . .

حميمة هى العلاقة القائمة بيننا وبينه . . دائماً تدفعنا لأن نتقبله كما عرفناه فى كل موقف حياتى يجمعنا به . . نتقبله حكيماً ونؤمن بمبادئه وآرائه . . ونسترضيه طفلاً عنيداً يأبى إلا أن تلبى رغباته فى إصرار . .

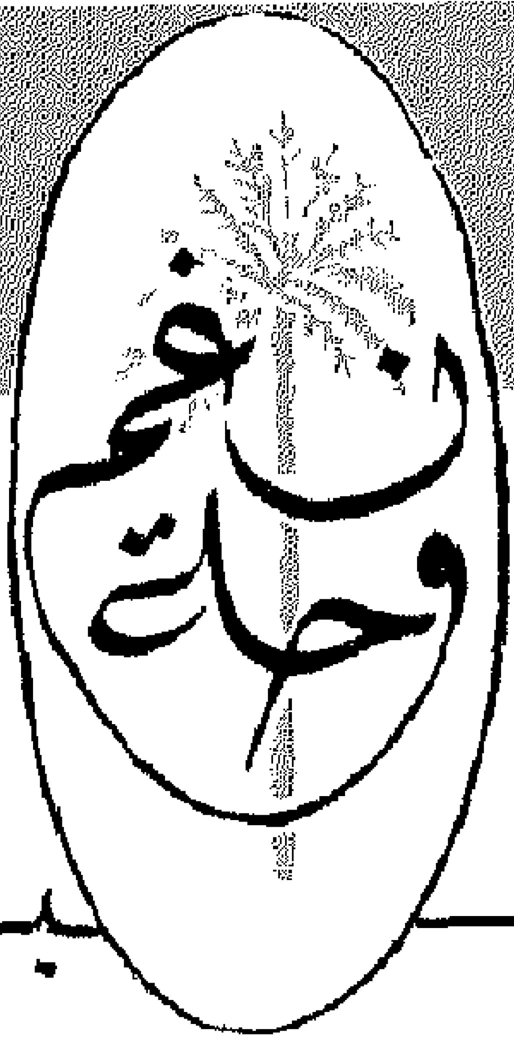
نجفف دمعة امرأة صرعتها لحظة ألم فطفرت الدموع ترسم ملامح المرارة على وجنتيها . . ونخشاه رجلاً يتطاول سلطانه فى إباء وتظهر قوته فى تحمل الشدائد . . عظيم جداً ذلك الإنسان إن عرفناه فى أعماقنا واستطعنا أن نشعر به . . والأعظم منه قدرتنا على إبراز إنسانيته فى مرونة يخلقها الحوار الصامت بيننا وبينه.

ليس بالوهم هو ولكنه كائن يعيش فى خفايانا وينبض فى خطى مستمرة لا تهدأ إلا فى النهاية المحتومة . . أعمق ما فينا إحساسنا به . . وأجمل ما فيه صدقه وإن كان خافياً.

وحين نملك القدرة على السيطرة عليه وجعله يظهر من خلالنا . . حينها فقط نستحق أن نلقب باسم ذلك الانسان .

ويبكى القلم

سأحمل أشلاء حبى وأمضى
جريحاً وفى القلب يذوى الألم
شراعى حنين تمزق خوفاً
فأنى توجهت لاح العدم
وأمسى حطام ويومى ضياع
ونار على الدرب تكوى القدم
فأصرخ مثل الجانين وحدى
وفى القلب ينزف دمع ودم
وأبحث بين الخفايا لألقى
كتابى فأبكى . . ويبكى القلم



تكتبها لهذا العدد

أميمة خوجة

آخر العطاء

يا خفوقاً ذاب من ألم الأسى
بُوركت قلباً ساكناً أحشائى
خبأت رغم صغير حجمك طيفهُ
وحبست دمعى وارتشفت دمائى
وخلقت من ضجر الملالة أحرفاً
لومات طيفى عاش صوتُ وفائى
نبَّأتنى بظُلامة ما خلتُها
يوماً ستجرحُ هامتى وإبائى
وغفلت عن ألم النوى فرحاً به
لمَّا تلاقى ليلهُ بضيائى
حلَّقت فى قمم الشعور سعادة
أعلو وأهبطُ طائراً بسمائى
وظننتُ أنى قد ملكتُ بلحظة
دنيا تلاقت أرضُها بفضائى
قد بتُّ أشعرُ أننى أحببتُهُ
شوقاً وحرفاً ساكناً أفيائى
أنا لا ألومُك يا فؤادى إننى
عذبت فيك مشاعرى وروائى

أرهقت عزتك المنيعة فى الهوى
فكأنها تبكى لمثل بكائى
يا ليتهُ يا قلب كان مشاعراً
تسرى بجوفك فى نوى أصدائى
يا ليته دمعاً بعينى ما جرى
أو زفرة تسمو بصدر رجائى
لكنه فى الحب رقةُ نسمة
أخشى عليها من جنى أهوائى
وأخافُ من هب الهوى يغتالُهُ
فأنا ضرامٌ .. وهو رقة ماء
خطأى بأنى لا أحبُ للحظة
أبداً يعيشُ الحبُ فى أرجائى
يا طيفهُ .. هذا اعترافى فى الهوى
من ذا يرومُ الصمت فى الآلاء
إنى أجاهدُ كى تكون محبتى
حساً وحرفاً ساكناً أفيائى
لكنها كبُرَتْ وحان قطافُها
ثمراً روَيْتُ نباته بدمائى
مَنْ لى بمعجزة تغيرُ دفتى
قد أغرق التيار ركب عطائى
قدرٌ أراد وما أردتُ لشقوتى
أنى جهلت ولادتى وقضائى
الحرفُ لن يقوى لغيرك رؤية
جسدتُ فيه سعادتى وشقائى
كنتُ الهُيامَ له وحين هجرتُهُ
ألفاً تباعد دربُها عن ياء
لاشعر بعدك أنت إلهامُ الهوى
خلدتُ حبَّك واعتزلتُ عطائى

الفن ذوق .. وتذوقه فن
ونقله لوحة فى أحرف إبداع
وهنا تتجلى البراعة

هى من مواليد مدينة جُدَّة
درست فى مدارس دار الحنان بجدة .
شاركت فى عدة معارض فنية تحت اشراف
رعاية الشباب وجمعية الثقافة
والفنون بجدة .

نالت أول جائزة تقديرية عن لوحة المغفور له
جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز

كما نالت شهادة المستوى الأول
وشهادات أخرى تقديرية من
رعاية الشباب بجدة لعام
١٤٠١ - ١٤٠٢هـ

حصلت على المستوى الأول فى لوحة
«فتاة من أبها» فى المسابقة الثانية
لرعاية الشباب .

اشتركت في المعرض المعاصر وكذلك معرض
الـ ٥١ فنانا لعام ١٤٠٤ـ المقام في صالة رك بلازا

إشتركت فى عدة معارض تحت إشراف الجمعية العربية
السعودية للثقافة (المعرض الجماعى الرابع والخامس

إشتركت في المعرض الذى أقيم فى لندن
بمناسبة افتتاح فرع بنك الرياض
هناك .

★★ ماذا عن لوحاتك الجديدة؟ .

هذه الايام قد أكون منعزلة عن المجتمع - لا ادرى ما السبب هل هو الفن الذى اصبح جزءا منى يلازمنى فى كل وقت - ام هى نفسية الانسان قد تكون متعبه أو مرهقة أو منشغلة فى امور اخرى - ولكن اجابتى على هذا السؤال غالبا ما تكون ومن المؤكد هو الفن ذاته فهو الذى اخذ كل وقتى وسيأخذ اكثر من ذلك لان افكارى التى تراودنى بين الحين والأخر تجعلنى اشرع فى رسم اللوحة تلو الاخرى وقد تكون احداهما عن الحياة الاجتماعية والاخرى عن تراثنا الغالى وتقاليدنا العربية الاسلامية الاصيلة . .

والحياة الاجتماعية الان لها دور كبير فى حياة الفنان فحضوره امام المجتمع مهم لانه يسجل فى ذاكرته ما يسمعه ويراه عن العادات والتقاليد خلال السنوات الماضية ففى حضورى لأحدى المناسبات شاهدت ولأول مرة تراثنا القديم فى رقصات شعبية معبرة والدفوف على جوانبها - منظر يشدنى ويدفعنى الى رسم لوحة عن هذه الرقصات فخرجت بعدها بهذه الفكرة وحركات الرقص والايقاعات الرنانة بالدفوف تثير الروح وتشرح القلب - فالمنظر الذى شاهدته ثابت فى

لقاء وحوار مع الفنانة

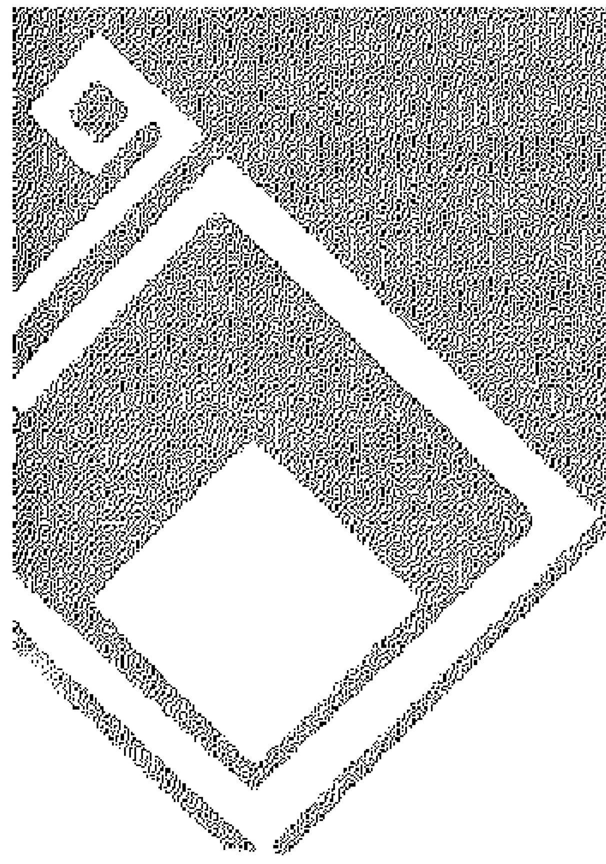
فوزية عبد اللطيف



تخيلتي وان شاء الله سأقوم برسم اللوحة وتنفيذها.

★★ ما هو دور الفنان في هذه الحياة؟.

بعد ان يتم الفنان لوحته تظهر هنا مواهبه الفنية وقوة تعبيره واسلوبه وانطباعاته والالوان الجذابة التي تشد المشاهد اليها واهم شيء في الموضوع او في اللوحة هي دقة الخطوط وتناسق الالوان والنسب المطلوبه بينها بالنسبة لكبر أو حجم اللوحة.. فالفنان بطبيعته يعيش مع الحياة ومع المنطق ومع الواقع - فالمطلوب من الفنان ان يعبر عن سمة وامكانيات العصر الذى يعيش فيه وان تعكس اعماله الفنيه صورة الحياة التى يعيشها.. سواء كان هذا من الناحية الاجتماعية أو فى اى ناحية اخرى طالما كان لها





اتصال مباشر او غير مباشر بحياته . . والفن تعبير عن الواقع وتسجيل للماضى - فالتعبير هى الحقيقة الواقعة - والتسجيل هو وضع الحقيقة كما هى مع اختلاف بسيط فى تغير الزمن . . ومعيار الحكم يتمثل فى كونه مطابقا للاصل .

** ما رأيك فى الفنانات السعوديات؟ .

الاخوات الفنانات صفية بن زقر وسلمى الكثيرى ونوال مصلى يعبرن فى لوحاتهن عن تراثنا القديم وهن يتبعن الفن الكلاسيكى ولوحاتهن تحكى التقاليد السعودية وتعبر عن البيئة الاجتماعية واعمالهن مليئة بالاحاسيس والمعانى الكثيرة فى اشكالها وفى هيئاتها وفى الوانها . . اما الفنانتان دينا رشدى واعتدال عطيوى فهما يتبعان الفن التجريدى الذى يقوم أساسا على العلاقات الفنية بين الخطوط والالوان وهى توحى بمعانى كبيرة . . فمثلا . . الموسيقى عبارة عن أنغام تسمع ولا تمثل الطبيعة ولكنها توحى للمستمع بمعانى واحاسيس كثيرة كالحزن والفرح وغيره . . اما الفنانة منى القصيبى فان اتجاهها هو احياء التراث الاسلامى الزخرفى الذى يتمثل فى ابراز الزخرفة فى الاوانى والمباخر والخناجر بطرق هندسية مدروسة ولمسات فنية تنبض بالحيوية ولوحاتها لها طابع اسلامى معين واسلوب خاص فهى فريدة فى طريقة الاداء . . تحياتى لكل فنانة تشكيلية اعطت وكرست حياتها لهذا الفن العريق الذى طالما عبر عن نفسه بواسطة الريشه والانامل الرقيقة الحساسة ، به نعبر عن حياتنا وعادتنا وتقاليدنا الاصيلة .

** هل اتخذت الرسم دراسة ام هواية وما هو اللون الذى تميلين اليه فى الرسم؟ .

اتخذت الرسم هواية منذ الصغر وكان عمرى آنذاك لا يتجاوز الثامنة من العمر . . ثم انشغلت عن الرسم بالامور المنزلية وتربية الاطفال ثم اتيحت لى فرصة العودة اليه وانا فى اشد الاشتياق الى الريشة والالوان . . أما اللون الذى أميل الى رسمه هو اللون الكلاسيكى الذى يعتبر مدرسة كبيرة تفرعت منها مدارس فنية اخرى مختلفة الالوان ولكن الاسلوب والموضوع والالوان واحدة وهى الاصل . . ويعكس الفن الكلاسيكى الاسلوب التجريدى الذى يعتبر مدرسة لها قواعدها الخاصة . . وكذلك الفن التكعيبى فهو عبارة عن مكعبات تتدرج فيها الالوان والاشكال التكعيبية التى تتحكم فى بروز اللوحة ومضمونها . . وكذلك الفن السريالى والتأثيرى وغيره وكل لون له قواعده واصوله والخطوط المطلوبه فى ابراز اللوحة . . والمهم فى اللوحة اليست فى النوعية والكيفية - ولكن فى نظرة الناقد والمشاهد والمتذوق الفنى لهذه اللوحة من حيث موضوعها وألوانها المريحة للاعصاب فهذا فى نظرى وفى نظر كل انسان متذوق للفن هو اساس نجاح اللوحة الجيدة .

** ما هى اجمل لوحة قمت برسمها وكان لها الاثر العميق فى نفسك؟

★★ صفى شعورك وانت ترسمين لوحاتك - وكم من الوقت تستغرقى فى رسمها؟ . .

كل لوحة لها طابعها ومميزاتها وموضوعها وحجمها - فاذا كان موضوعها (البدوية) مثلا فهى تأخذ منى الوقت الكثير - وكذلك منظر (البيوت القديمة) وخاصة اذا كان حجمها كبيرا اذ تستغرق شهرا أو شهرين تقريبا اما الطبيعة الصامتة فلا تأخذ من الوقت إلا القليل . . وحينما اتفرغ للرسم وقبل القيام بمشروع لوحة احب الاستماع الى الموسيقى الهادئة - او الى الاغانى الفولكورية وخاصة اغانى المطربة المعروفة الفنانة توحه حسن يحيى فهى تلهمنى أو تذكرنى بأشياء كثيرة قد تكون دفينة بين اجواء الخيال او تشدنى الى تراثنا المجيد وتقاليدنا الاصيلة كما تجعلنى اعيش فى عمق .

اجمل لوحة قمت برسمها كانت للمغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز طيب الله ثراه وكذلك لوحة (الاصالة) التى فازت بالمستوى الاول فى معرض المسابقات التى تقيمها رعاية الشباب بين الحين والآخر - تمثل (بدوية تمسك بحصان ابيض) .

★★ كم لوحة لديك حتى الآن؟ .

حتى الآن حصيلتى فى اللوحات قليلة ٢٨ لوحة زيتية تقريبا وذلك بسبب اقتناء لوحاتى بعد عرضها لانها تمثل البيئة السعودية والعادات والتقاليد العربية الاصيلة واتمنى ان يكون لى رصيد اكثر من ذلك .

★★ آخر لوحاتك؟ . .

آخر لوحاتى موضوعها (البيوت القديمة) وهى عبارة عن حى من الاحياء المشهورة فى مدينة جدة اسمه (حارة المظلوم) .

الفن الإسلامي



TEMPLE UNIVERSITY
OF THE COMMONWEALTH SYSTEM OF HIGHER EDUCATION
College of Arts and Sciences
PHILADELPHIA, PENNSYLVANIA 19122

Professor Isma'il is at present in Brunei, the new Muslim nation near Malaysia, which only recently got its independence from Great Britain. He asked me to send these articles to you for use in "AL-MANHAL with which you are involved. I hope that you will find them suitable contributions and that your readers will be interested in them. Please send us copies of the journal issue (as well as offprints if that is possible) when and if they appear.

We hope that you are all happy in Jeddah and that you are able to make an important contribution to training the ummah in that part of the world.

With every good wish,

Lamya' al Faruqi

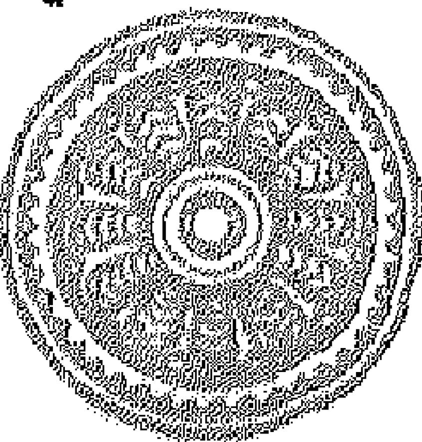
Lois Lamya' al Faruqi

ترجمة د. عبد الرحمن محمد جابر
كلية اللغات والترجمة / جامعة الأزهر

مقدمة :

إن اطلاق اسم الفن الاسلامى على الاعمال الفنية التى ظهرت على مر القرون فى البيئات الاسلامية ظل موضعا للتساؤل من قبل الدوائر الاسلامية وغير الاسلامية على السواء . . وقد اقترح البعض تسمية هذه الفنون (فنون المسلمين) كبديل لاصطلاح (الفن الاسلامى) ذلك ان التسمية هذه تفيد ان هذه الفنون لها علاقة بدين الاسلام نفسه سواء أكان موضوعها له علاقة خاصة بشعائر الدين ام لا . .

اما مصطلح (فنون المسلمين) فلا يعنى إلا ان هذه الفنون هى من إبداع جماعات بشرية معينة تدين بالاسلام إلا أن النزعة الدينية نفسها لم تساهم إلا بالقليل فى فنون هذه الجماعات التى ورثتها كتراث حضارى متميز وخاص بها . . وعرض هذه الفنون من هذه الزاوية يبرر عدم تسميتها (الفنون الاسلامية) وما ينتج عن ذلك من كيفية تأثر هذه الفنون بالعقيدة الاسلامية وبفكرة التوحيد التى هى لب هذه العقيدة .



والمستشرقون هم احد الدوائر التى اثارت قضية علاقة الاسلام بهذه الفنون ، فقد كتب احد اعلام الاستشراق ك . ا .

أم فن مسلمين ؟!

بقلم الدكتورة

لوى لمياء الفاروقي

أستاذة بقسم الفنون
جامعة تمبل فيلادلفيا

كاتبتنا في سطور

● استاذة الموسيقى وعضو رابطة العلماء الاجتماعيين المسلمين بالولايات المتحدة الامريكية وكندا.

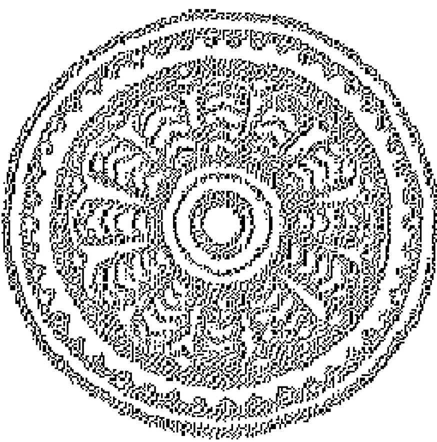
● اعتنقت الاسلام عن اقتناع به وعقيدة ودافعت وتدافع عنه ـ فى كل نشاطاتها.

● وهذا البحث الذى تخص به «هن ـ المنهل» ينبىء عن اهتمام علمى أصيل وروح إسلامية وثابة

كرسويل (K.A.C. Creswell) (١) عن «عمارة المسلمين» وليس عن (العمارة الاسلامية) واستطرد يقول إن المسلمين الاوائل خرجوا من جزيرة العرب عن (فراغ معمارى) كما ان نبيهم كان (يحتقر العمارة).

ولم يكن لديهم ما يساهمون به فى تراث أجيالهم المقبلة فى ميدان العمارة . . واتفق رأى كرسول هذا مع رأى فرجسون (Fergusson) فى كتابه (تاريخ العمارة) عندما قال (اغلب الظن لو ان الاسلام لم يغادر ارض الجزيرة العربية لما كان هناك الآن اى مسجد يستحق الذكر) . . ويقول كرسويل مرة اخرى (ان رغبة المسلمين فى المنافسة السياسية للشعوب التى فتحوها هى التى زرعت فيهم الطموح فى هذا الميدان) (٢) .

ومثل هذه الاقوال تظهر عجز قائليها عن فهم التغير الشامل فى الفكر الدينى والدنيوى الذى ولد بمولد الاسلام والذى اصبح منذ ذلك التاريخ القوة المحركة للحضارة الاسلامية طيلة القرون التالية (انظر اسماعيل الفاروقى « ١٩٧٠ » للرد على آراء كرسول).



والطائفة الاخرى التى تفضل استخدام مصطلح (فنون المسلمين) على مصطلح «الفنون الاسلامية» هى الجماعات (العلمانية) مسلمين وغيرهم ممن يتبعو ن الفكر الغربى المعاصر والذين يفصلون بين الجانب الدينى والجانب العلمانى او الدنيوى فى كل ما يتصل بالثقافة والمدنية . . وهذا الاتجاه يغفل عن تناقض الفصل بين هذين الجانبين مع المبادىء الاسلامية وينساق ـ دون

تبصر - الى الاعتقاد بان الدين ما هو إلا شيء هامشي بالنسبة لحضارة الانسان. ويتبع هذا الاعتقاد بضآلة شأن الدين بل وبتجاهله فى المجتمع المعاصر الاعتقاد بانه كان ايضا غير ذى اهمية بالنسبة للحضارة الاسلامية نفسها، أو أن الأمر يجب أن يكون هكذا. وهم يعتقدون بأن الفنون قد عانت من الدين أو أنها تأثرت به تأثرا سلبيا وأن التغيرات الحضارية لا تنشأ إلا عن أسباب سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وأن هذه العوامل هى المحرك الأول للتطور. وهؤلاء المفكرون يتظاهرون بالإيمان بالمذاهب الواقعية التجريبية عندما يرفضون الإيمان بذات عليا إلهية. وهم فى نفس الوقت ينسبون إلى حركة التاريخ أو إلى رغبات الافراد أو الجماعات دورا هو نفسه دور (الإله) فى المجتمع المتدين.

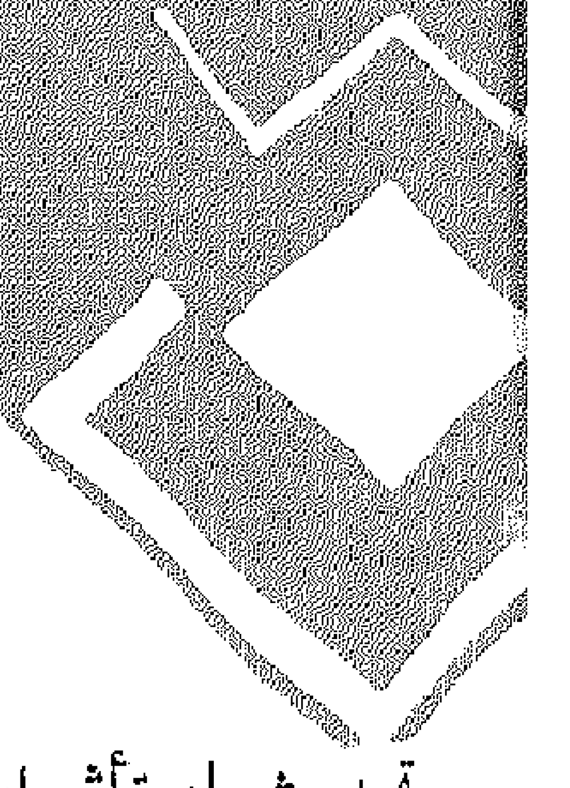
وهناك مجموعة ثالثة ترى ان مصطلح (الفنون الاسلامية) مصطلح لا يخلو من العيوب والمشاكل، وهى مجموعة أو تيار يمكن أن يسمى بالتيار (القومى). وترى أنه يجب ان نتكلم عن الفن العربى أو الفن الباكستانى أو الفن التركى أو الفن المصرى أو غير ذلك من البيئات التى تكون العالم الاسلامى أو الشعوب الاسلامية بدلا من الحديث عن (الفنون الاسلامية) وهو المصطلح الأشمل والأعم. واتباع هذه المدرسة (وهى من بقايا الفكر الاوربى فى القرن التاسع عشر) يركزون على الفروق الموجودة بين فنون هذه الشعوب حتى يغذوا وينموا اهدافهم وتطلعاتهم الاقليمية المحلية. وهم يتجاهلون الصفات المميزة التى تظهر فى الشكل والمحتوى والتى توحد الفنون الاسلامية خلال الاربعة عشرة قرنا الماضية . وهم بذلك لا يدركون مدى الدمار الذى تلحقه هذه الافكار الاقليمية والعرقية بآمالهم وطموحاتهم فى التقدم والتطور.

ومجموعة رابعة من المعارضين لاستخدام مصطلح (الفن الاسلامى) تتكون من الاقليات التى تعيش فى العالم الاسلامى او ترتبط به. وأعضاء هذه الاقليات غالبا ما يتمتعون بنفوذ وجاه لا يخوله لهم حجمهم العددى وهم بذلك يخشون - ما يمكن - أن يتم بالتركيز على الناحية الاسلامية المساس بنفوذهم فى مجتمعاتهم ولذلك فهم يؤيدون بكل قلوبهم الاتجاهات (العلمانية) و(القومية).

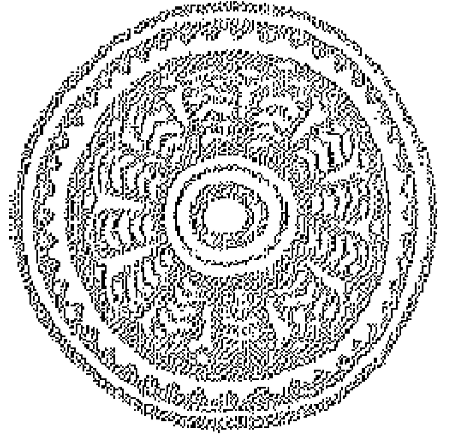
وهناك مجموعة خامسة تتكون من بعض العناصر المحافظة من المسلمين لم تتمكن من ادراك العلاقة بين الاسلام وبين ما ينتجه المسلمون من الاعمال الجمالية. وهم - فى حسن نية - اثناء محاولة الابتعاد عن كل ما ينتقص من دينهم أو لا يتفق مع تعاليمه قد ازاحوا جانبا ناحية من اهم النواحى التى تدعم الاسلام وتقويه. وهم لا يعلمون أن الفنون ليست مجرد اعمال جمالية قام بها أناس تصادف انهم مسلمون بل إن هذه الأعمال ناشئة عن الاسلام ولهذا يمكن ان تساهم فى سبيل دعم دعوته.

وبخلاف آراء هذه المجموعات الخمسة السابقة فنحن نرى أن الفنون الخاصة بالحضارة الاسلامية لها صلة وثيقة بالاسلام وبفكرة التوحيد. وهى لذلك نماذج صادقة للفنون الاسلامية وليست مجرد فنون أبدعها المسلمون. . وحتى قبل دراسة تأثير الدين على الاعمال الفنية نفسها فانه يجب ان نعلم أن العلاقة بين الدين والفن كانت من القوة بحيث أثرت بشكل واضح فى انتشار وازدهار هذه الاعمال الفنية وأثرت كذلك فى وظيفة هذه الاعمال التى يمكن أن نطلق عليها (الفنون الاسلامية).

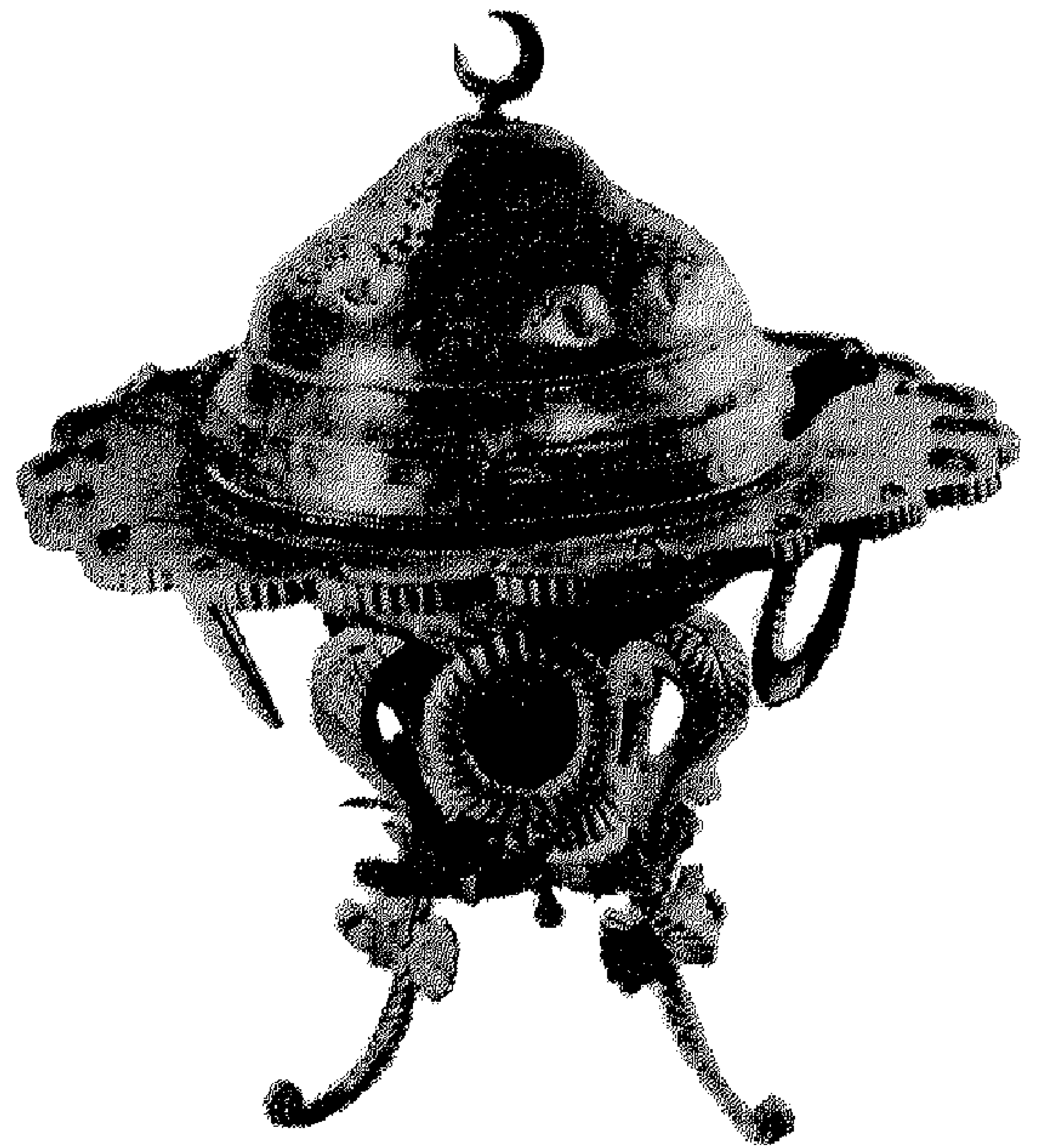
وفى الوقت الذى تأثر فيه ما يمكن ان يسمى (الفن المسيحى) بالعقائد والطقوس المسيحية بشكل يحد من وظيفة هذه الفنون فان الفن الاسلامى لم

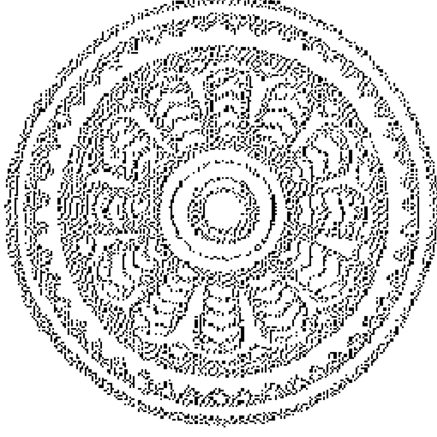


تحدث له تأثيرات مناظرة تحد من حريته. . ذلك أن المسلمين تعلموا من القرآن وسنة الرسول ﴿ﷺ﴾ أنه لكى يحيا المرء حياة اسلامية فإن كل ما يقوم به - حتى ولو كان تناول لقمة خبز. . او تحية لغريب عابر - يجب أن يذكره بربه وبخضوعه له عز وجل. فما بالك بتلك الامور التى تجمل الحياة وتنعش الروح وتزين المسجد والمنزل؟. . لا شك انها يجب ان تطابق وتدعم المبادىء الدينية والقيم الحضارية.



والواقع انه على مر التاريخ الاسلامى كله فاننا نجد ان كل الاعمال الفنية لها صفات واحدة بغض النظر عن تأثيرها فى حياة الناس. فليست هناك قطع فنية دينية أو اسلامية وقطع فنية اخرى ليست لها علاقة بالدين لها صفات فنية مختلفة. . أى انه ليس هناك (فن دينى) وفن (غير دينى).



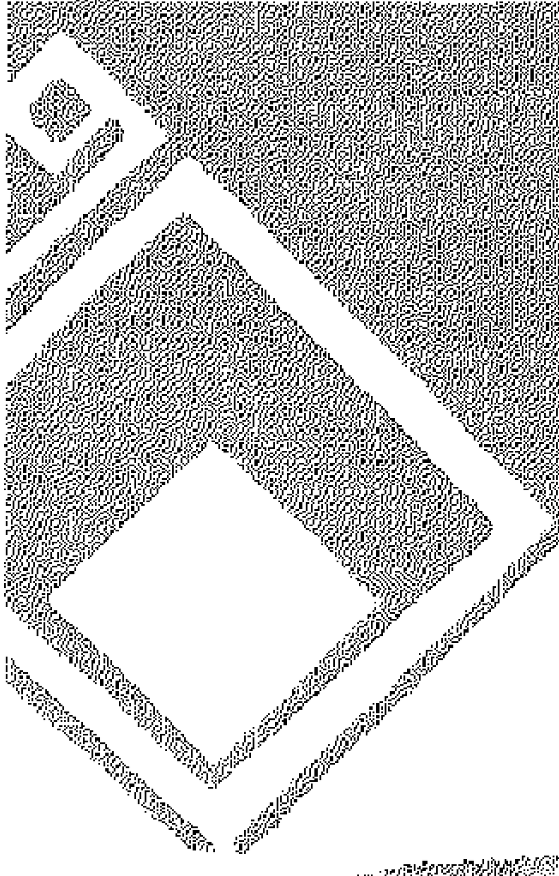


حقيقة قد نجد بعض الأعمال الفنية التى لها صفة دينية متخصصة (مثلا الكتابات القرآنية أو مبانى المساجد ومحتوياتها) ولذلك نجد لها طابعا خاصا ثابتا، ولكن هناك نماذج لا تحصى من القطع الفنية المصنوعة للأغراض المنزلية أو لغيرها من الوظائف التى لا تتصل مباشرة بالدين ولكن لها جميعا تلك السمة التى نلاحظها فى القطع المنتجة للاستعمال فى المساجد بشكل عام.

إن الدين الاسلامى لا يوافق على الفصل بين الدين والدنيا ويشهد على ذلك تأثير الدين العميق على الانتاج الفنى وعلى كل نواحى الحضارة الانسانية، فقلما نجد عملا فنيا ليست له إلا الوظيفة الدنيوية إذ الواقع أن كل الأعمال الفنية التى ظهرت فى الحضارة الاسلامية لها علاقة من قريب أو من بعيد بالدين، ومن ثم يمكن وصفها بأنها إنتاج دينى أو اسلامى بشكل ما.

وكما أثرت فكرة التوحيد على وظيفة الفن الاسلامى وغير ذلك من الصفات الخارجة عن نطاق العمل الفنى نفسه، تعدّتها إلى نفس كيان العمل وتشكيله سواء أكان مرئيا أم مسموعا بحيث أصبحت ترجمة لهذه العقيدة.

وليس معنى ذلك أن الفنون الاسلامية مجرد تقرير للتوحيد يتمثل فى الألفاظ والجمل المنطقية ولكنها تجسيد جمالى يمكن إدراكه مباشرة عن طريق الحواس. إنها ترجمة حقيقية لفكرة التوحيد تظهر فى أبيات ومقاطع شعرية وخطوط وألوان ذات بعدين ونماذج معمارية مجسمة وأصوات موسيقية ذات أطوال وانغام محددة.



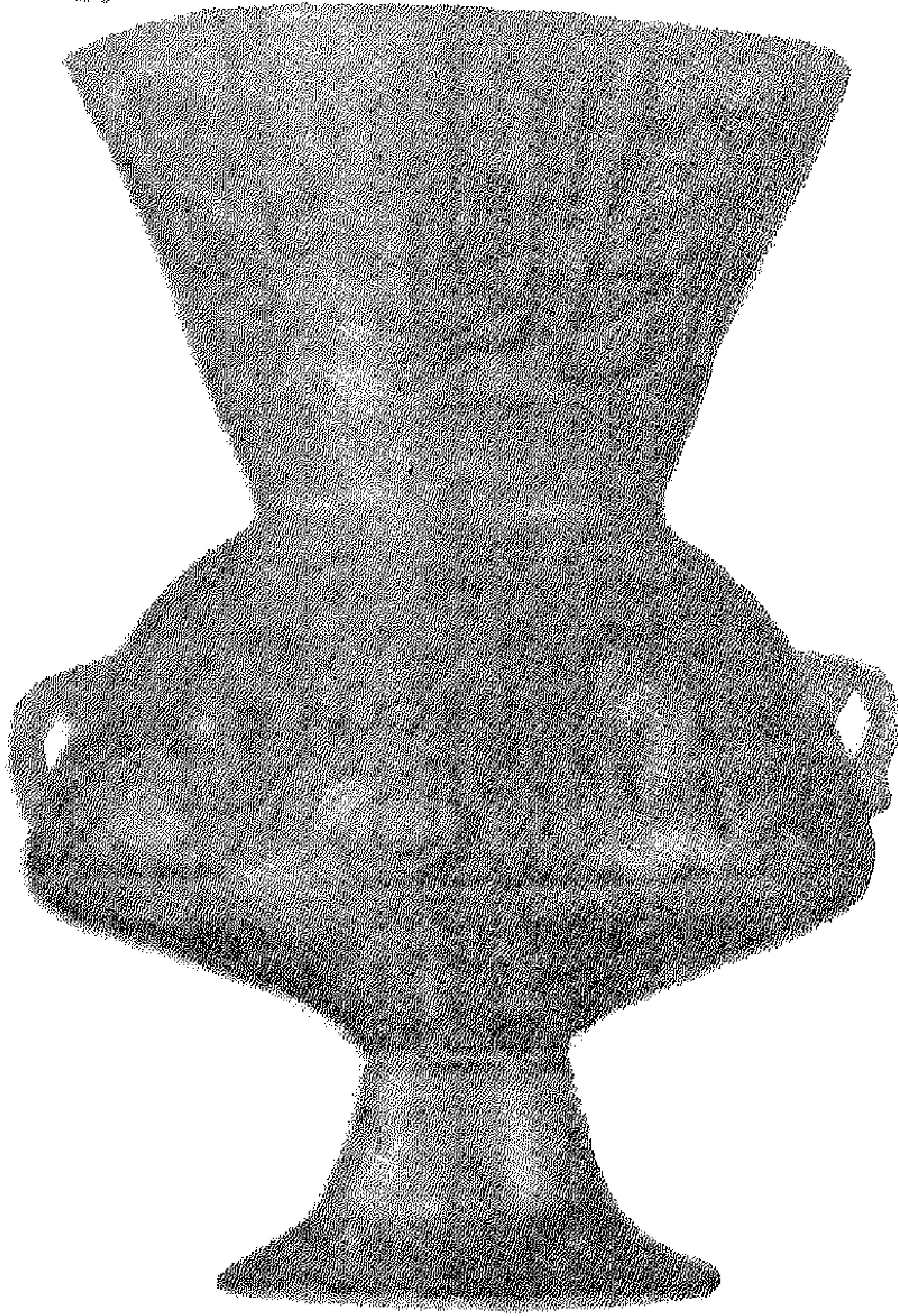
ولننظر الآن إلى عملية «الترجمة» هذه التى تتمثل فى «الفن الاسلامى» والتى تبرر استخدام هذا المصطلح دون غيره.. إن تأثير فكرة «التوحيد» على الفنون تتضح من خلال ثلاثة مبادىء أساسية نرى أنها ماثلة فى الأعمال الفنية التى تم إبداعها فى المناطق الجغرافية الواسعة التى تشمل العالم الاسلامى كله من الشرق إلى الغرب من القرن الأول للهجرة وحتى الوقت الحالى.

المبدأ الأول : التجـريد

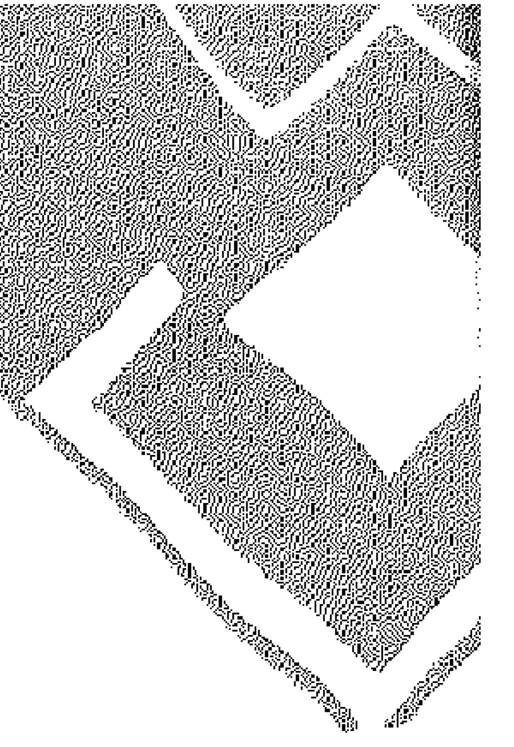
المبدأ الأساسى الأول الذى يستمد من فكرة التوحيد هو «التجريد» الذى يأتى من تعاليم التوحيد التى تقول بأنه لا إله إلا الله الواحد العالم المسيطر الرحمن الرحيم وخالق هذا الكون وحده.

إن صفات الله فى الاسلام تجعله لا نظير له وهو عز وجل منزه عن كل شىء وليس كمثله شىء فى الأرض ولا فى السماء. وعلى ذلك فليس هناك ما يمكن أن يستخدم كرمز للذات الإلهية أو ما يقوم مقامها.. وبالإضافة إلى ذلك فليس هناك مما يصور الطبيعة أو الانسان ـ ولو لم يكن القصد منه تصوير الله عز وجل ـ ما يمكن أن يثير فى عقل المشاهد أو وجدانه هذه المعانى العميقة التى تحركها هذه الجملة التى تبدو بسيطة فى ظاهرها وهى جملة «**لا إله إلا الله**» وليس هناك موضوع يتصل بالعالم الطبيعى الذى نلمسه يمكن أن يُلْهَمَ الناظر إليه شيئاً من الإحساس باللانهائية المطلقة التى لا يمكن التعبير عنها والتى تخالف عالم الطبيعة ولا تنتمى إليه.

وعلى هذا فإن عنصر الجمال الهام فى الفن عند المسلم ليس فى التمثيل الجمالى للجسم البشرى.. ولا فى الرمز لحقائق الطبيعة.. بل إن



الفنون الاسلامية أينما وجدت سواء أكان ذلك فى أفريقيا أو جنوب شرق آسيا أو أواسطها أو فى شبه القارة الهندية أو فى أى جزء من أجزاء العالم الاسلامى. هى فنون تجريدية كلها. وتعنى بذلك أنها ترفض تمثيل الأشخاص أو اتخاذ هذا التمثيل مجالا لها.. إنها ليست من فنون القصص البصرى ولا فنون السمات الفردية. وبدلا من ذلك فإن الفنان المسلم قد ابتكر وطوَّر وأتقن مجموعة من المواضيع «**المجردة**» التى أثبتت صلاحيتها للتعبير عن النواحى الجمالية فى رسالته الدينية.



فالخط العربى وهو قمة التجريد قد اتخذ أداة هامة فى التعبير الجمالى لدى الفنان المسلم. والكتابة العربية لغة القرآن طورت وأتقنت وطوعت لخدمة الفنان المسلم وقد أبدع المسلمون الأوائل أنواعا عديدة من الخطوط العربية التى كانوا يستخدمونها إما وحدها أو مع غيرها من الأساليب الفنية لتجميل أدواتهم سواء منها ما كان للأغراض الدينية أو غيرها.. وقد شاع استخدام الجمل الدينية وأسماء الله الحسنى وأسماء الرسول ﴿ﷺ﴾ لتزيين هذه الأدوات إلا أن الآيات القرآنية نفسها التى كانت تكتب بخط جميل كانت أكثر شيوعا. وقد كونت هذه النصوص الأصول المجردة التى استند إليها هذا الفن الاسلامى.. ونرى فى إصرار الفنان المسلم على إدخال عنصر الكتابة فى انتاجه الفنى أثر الدين الواضح على مضمون العمل الفنى وعلى مادته نفسها(٣). وقد استخدمت هذه العبارات الدينية والآيات القرآنية فى تزيين وتجميل كل ما يخطر بالبال ابتداء من المصحف الشريف نفسه إلى أدوات ومعدات الطبخ فأضفت عليها كلها الروح الاسلامية النافذة التى شملت الفنان ومن يرعاه من جميع النواحى.. وقد استمر هذا الحال طوال الاربعة عشر قرنا التى تكون عمر الاسلام وفى جميع أركان العالم الاسلامى كله.

والشكل الهندسى صورة أخرى من الصور الهامة التى لجأ إليها الفنان لتحمل الروح التجريدية التى تتطلبها فكرة التوحيد ولهذا شاعت فى كل انحاء العالم الاسلامى. وعلى الرغم من أن هذا الموضوع كان أحد مواضيع الفن لكثير من الشعوب قبل الاسلام إلا أنه لم يستخدم بهذا الشكل الدائم المستمر ولم يتخلل كل نواحى النشاط الفنى ولم ينجح هذا النجاح الذى شاهده على يدى الفنان المسلم. ولاشك أن تأثير الروح الاسلامية ومتطلبات تحقيقها بعيدا عن استخدام الأشكال البشرية وتجسيمها كان له أثر هام فى تطوير هذا المجال الفنى.

والصورة الثالثة من الصور الفنية التى لجأ إليها الفنان المسلم استمدها من عالم النبات حيث استخدم أشكال أوراق الشجر وفروعه وأزهاره وثماره فى خلق تكوينات زخرفية لا نهاية لتركيباتها(٤).

وبهذا تكون أصول هذا الفن التجريدى الاسلامى هى: الكتابة والأشكال الهندسية والأشكال النباتية.

وهذا لا يمنع أن هناك بعض الأعمال الفنية التى شملت صورا حيوانية وإنسانية أحيانا، الا أنها كانت من القلة والندرة بحيث يمكن اعتبارها استثناء لا يعتد به عند مقارنتها بهذه المواضيع الثلاثة الأساسية.

وقد يسأل سائل بأن الموضوع الأخير أى الاشكال النباتية مصدرها طبيعى ملموس وعلى ذلك فهى بعيدة عن روح التجريد المشار اليها إلا أن الحقيقة أن هذه الأشكال ولو أنها مستوحاة من أشكال أوراق النبات الحية والتى انتشر رسمها فى العصور القديمة إلا أنها أصبحت فى يد الفنان المسلم بعيدة كل البعد عن الروح الواقعية وفقدت خاصيتها التقليدية للواقع الملموس بعد أن تطورت وتحولت فى هذا الاتجاه التجريدى.

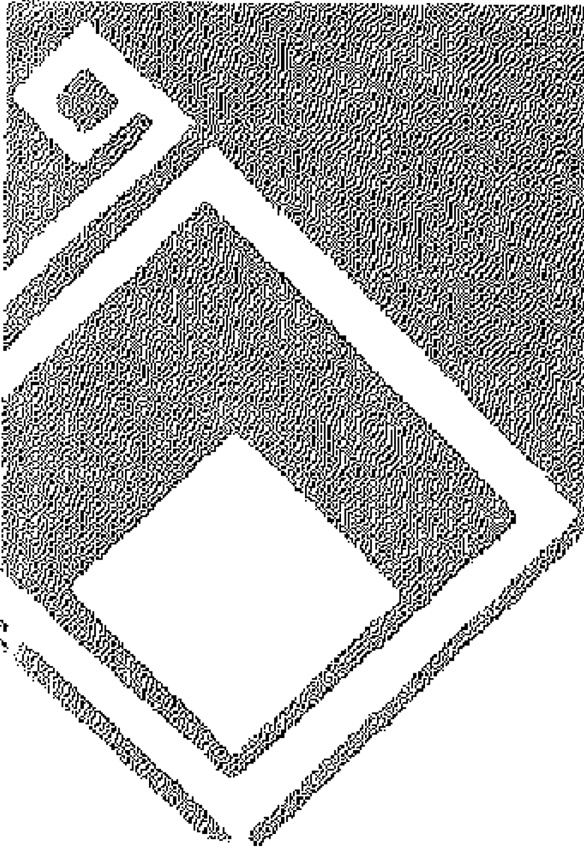
وهذا التحويل والتغيير لاحداث تكامل مع نزعة التجريد هو المبدأ الثانى فى مبادىء الفن الاسلامى.

المبدأ الثانى: التحوير/ البعد عن محاكاة الطبيعة

أ ـ فى الموضوع الفنى.

حاول الفنان المسلم البعد عن محاكاة الطبيعة بشكل مباشر حتى يزيد من من كم التجريد فى موضوعاته الفنية قدر المستطاع.

وقد رأينا أن الفن الاسلامى هو فى الأساس فن غير تمثيلى حيث يلجأ إلى مواضيع مجردة مثل الكتابة العربية والأشكال الهندسية وكان استلهام صور قريبة من أجزاء النبات من حين لآخر



مؤثرا فى هذا الإطار الفنى طالما نجح فى إبعاد ذهن المشاهد عن ملموسات الطبيعة ووجهه إلى العالم العلوى المجرد وقد ضمن الفنان المسلم ذلك عن طريق ابتداع وسائل وصفية راعى أن يبتعد بها عن كل ما يتصل بعالم الطبيعة الواقعى.

وأوراق الشجر والأزهار التى نراها فى التصميمات الفنية الاسلامية لا تحاول فقط البعد عن محاكاة الطبيعة بل إن فيها جهدا متعمدا وايجابيا يهدف إلى حجب الصفات المادية الموجودة فى أجزاء النبات النامى(ه) وبدلا من أن يلجئوا إلى استخدام الأشكال الموحية بالحياة لجئوا إلى الأشكال المتماثلة المتكررة وطوعوها لمتطلبات التصميمات الفنية اللازمة. وخضعت أشكال الحيوانات والأشكال البشرية لمثل هذا التحوير والبعد عن محاكاة الطبيعة (كما فعلوا مع أجزاء النبات) حتى لم يعد لها تقريبا علاقة بالكائن الحى نفسه فى الطبيعة مع أنهم على العموم قلما كانوا يلجئون أساسا إلى هذه الموضوعات. أما محاولة تصوير المشاعر الانسانية أو صور الأفراد أو أبعاد الطبيعة المتطورة فلم تكن قطعا موضوعا للنشاط الفنى الاسلامى وبدلا من ذلك تحولت الأشكال الانسانية إلى صور لا حياة فيها(٦) لمجرد الحشو فى تصميمات أكبر أو كخلفيات فى مجموعات أخرى من الأرابيسك الذى كان يتم وينفذ بمنتهى الدقة والعناية فى الخشب والقماش والمشغولات المعدنية كى تزين بها الجدران أو الارضيات أو غير ذلك من الأماكن.

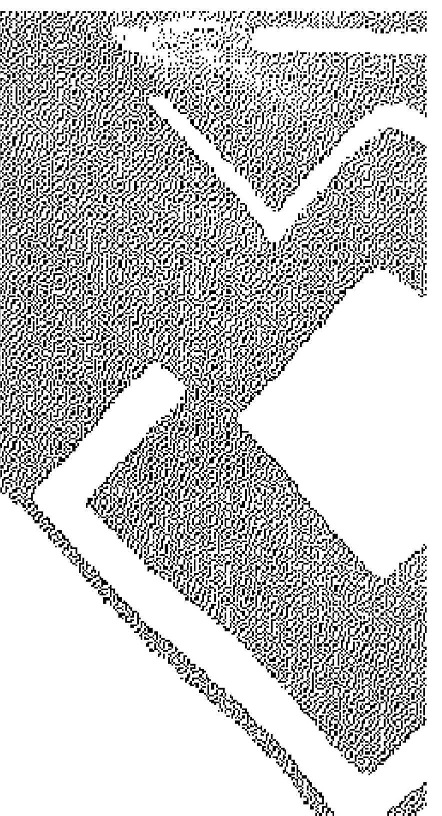
وعلى ذلك فإنه حتى عندما كان موضوع الفن بطبيعته غير تجريدى كان يستخدم بطريقة تجعله تجريديا دون أدنى شك.

وهذا البعد عن محاكاة الطبيعة كمبدأ هام فى الفن الاسلامى لتدعيم الاتجاه إلى التجريد والذى تتطلبه فكرة التوحيد لا يؤثر فقط على موضوع الفن ولكن يمتد تأثيره الجمالى ليشمل المعالجة للخامة الفنية وكذلك للبناء الفنى.

ب ـ *المادة الخام:*

كانت المواد الخام تتساوى لدى الفنان المسلم ولم تكن عقيدته توحى إليه أو تجعله يفضل مادة على مادة فقد استخدم الفنان المسلم الذهب والفضة والنحاس بلونيه. والأحجار والجص والخزف والخشب والغاب والبوص. وبالاختصار أى خامة وقعت فى يديه كان الفنان يجعل منها مادة لابداعه الفنى الذى يذكره دائما بعقيدة التوحيد سواء أكانت الخامة خسيسة أم كريمة. والخامات المختلفة مثلها مثل أشكال الطبيعة لا أهمية لها كعنصر من عناصر الجمال بل إنها أدوات فى يد الفنان يستخدمها وهدفه





ابعاد فكرنا عن أشكال الحياة ومفرداتها وتوجيهه إلى الذات الإلهية.

وهكذا فإن خامة الفنان الاساسية لم تكن لها أهمية على الاطلاق بل إنه سرعان ما يغطيها بخطوط وتركيبات مجردة ومعقدة.

فأخشاب الصندوق مثلا تغطى كلها تقريبا وتطعم بالأصداف وغيرها والمبنى الحجرى سرعان ما تغطيه تركيبات الخزف والجص أو المنحوتات الصخرية المتكررة.

وتزداد عملية الإبعاد عن الطبيعة اكثر فأكثر بالطريقة التى تتم بها معالجة الخامة، فقطعة من الحجر يمكن أن تتحول إلى ما يشبه القماش الرقيق عن طريق نحت سطحها وتغطيته بأشكال دقيقة رقيقة وبذلك يزيل الفنان أى إمكانية لتقييم الخامة نفسها تقييما جماليا لصفاتها الذاتية. ويمكن تشكيل الرخام بطريقة تزيل عنه بصريا احساس الصلابة وقابليته للكسر. كما يمكن تحويل مبنى من كتل الطين المحروق إلى شكل يوحى بأنه محاط بغلالة رقيقة عن طريق تغطيته بطبقات من الآجر بطريقة خاصة دقيقة. وهكذا لا يوجد اتجاه الى العمل على تدعيم وابراز الصفات الجمالية الذاتية الموجودة فى الخامة الطبيعية، ذلك لأن هذا إنما ينفى ولا يدعم فكرة التوحيد.

ج ـ التصميم المعمارى:

تصميم الشكل الهندسى أو المعمارى للمبنى عنصر آخر يمارس فيه الفنان مبدأ البعد عن التشبه بالخطوط الطبيعية وذلك أيضا بسبب التأثر بفكرة التوحيد. فمثلا عند التقاء وحدتين أو أكثر من الوحدات المعمارية المختلفة فإن نقط الالتقاء تخفى وتحجب عن طريق بناء المقرنصات ذات الثلاثة أبعاد وتؤدى هذه إلى ازاحة نظر المشاهد عن الخطوط التى تحول بصره وتوجهه الى الانتقال من كتلة إلى كتلة وبذلك تخفى المقرنصات عن عينه هذا التحول وتعطيه احساسا بالاستمرارية وكذلك الاركان الداخلية تخفى بطريقة جمالية تعطى احساسا بالاستمرارية بدلا من الاحساس بالتقاء جدارين أو كتلتين. وحتى الحدود الخارجية للمبنى التى تمثلها الأركان الخارجية فغالبا ما تطمس معالم التحديد فيها عن طريق بناء أعمدة أو حوافٍ مستديرة. أما الواجهات فقد كسروا حدة الخطوط فيها عن طريق تعرجات رقيقة تعلو قمتها وتزيل الاحساس بحدة خط السقف. والاحساس بثقل الجدران كان يقاوم جماليا بتغطيته بنماذج جمالية وفيرة وفتحات متعددة وباستخدام الأعمدة الرقيقة الدقيقة التى تبدو وكأنها تحمل ما عليها من أثقال برشاقة وخفة. وكانت المقرنصات وما يعلو الجدران من أشكال زخرفية عربية بالخشب أو الجص وكثرة النوافذ والفتحات عند قواعد القباب توحى بأنها خفيفة رشيقة وهو إحساس خادع تماما بالنسبة لصفاتها الطبيعية الفعلية. وحتى المساحات الكبيرة التى قد توجد داخل المنشآت يلجأ الفنان إلى التخفيف من إيحائها بالانغلاق والتحديد عن طريق تكرار الوحدات مثل العقود والأعمدة والوحدات الفراغية والمبالغة فى السماح لأقصى كمية من الضوء بالدخول والاسراف فى النوافذ.

وهكذا فإن فكرة التوحيد توحى للفن الاسلامى باستخدام تقنيات خاصة لكى يقاوم ويقلل من صفات الخامة التى توحى بالواقعية ولكى يقاوم الخطوط والايحاءات الناتجة من طبيعة التكوين الهندسى أو المعمارى.

وعن هذا الطريق يحاول الفن الاسلامى تحرير

الإنسان من انشغاله بذاته ومن انشغاله بالطبيعة أيضا حتى ينفتح عقله تماما لتأمل العالم العلوى.

المبدأ الثالث : التكرارية

أن صفتى التجريد والبعد عن الطبيعة أو التحوير مهما ركز عليهما الفنان بكل ما فيهما من تنويع لا تكفيان لانتاج عمل فنى يمكن أن يسمى فنا إسلاميا. ان هذا الفن ليس مجرد فن يهدف إلى الاستغناء عن جعل الطبيعة محورا له. ولا إلى اختيار هذا الموضوع أو ذاك وليس مجرد تحوير لأشكال الكائنات الحية وليس مجرد عملية اخفاء للخامة الفنية أو لخطوط المبنى.. إن ما نعرفه على أنه فن إسلامى هو أكبر بكثير من هذا منفردا أو مجتمعا.. إن التوحيد والإسلام قد قررا هذه الصفات وطريقة المعالجة الفنية وكانا مصدر الوحى للفنان المسلم ليوجد هذا التكوين الجديد الذى كان لا غنى له للفن الإسلامى.

كان على الفنان المسلم أن يبحث عن وحدة فنية تكرارية يمكن أن تكون تعبيرا جماليا عن فكرة التوحيد. ذلك أن عالم الروح أو عالم اللامادة حسب المفاهيم الاسلامية لا يمكن تمثيله بصور أو أخيلة مستمدة من عالم المادة. ولا يمكن استحضاره فى الذهن عن طريق نماذج تؤكد أى فكرة لها علاقة بماديات هذا العالم.. إن مجرد إنكار العالم المادى أو الطبيعة ليس كافيا فى الخلق الفنى، وكون الله عز وجل ليس كمثله شيىء ولا يمكن تشبيهه ولا تمثيله يجب أن يكون حافزا إيجابيا لخلق عمل جمالى متين.. وفى بحثهم عن هذا الهدف توصل الفنانون المسلمون إلى ابتداع النماذج المتكررة دون نهاية والمتجسمة فى اعمال «الأرابسك» وقد خرجت هذه الصورة الفنية إلى الوجود منذ القرن الأول للهجرة وقد اتضح أن هذا الإخراج الجمالى كان قاسما مشتركا بين جميع صور الانتاج الفنى فى كل البلاد الاسلامية وعلى مراحل العصور. وفى عالم الابداع الفنى كان هذا النموذج المتكرر الى ما لا نهاية إبداعا جديدا مبتكرا ثوريا له جاذبيته فى عالم الفنون، تماما كما كانت عقيدة التوحيد نفسها فى ميدانها لها هذه الصفات. وقد أثر هذا الابتكار على الانتاج الفنى فى كثير من أجزاء آسيا وأفريقيا وأوروبا لقرون عديدة تالية.

والنماذج التكرارية اللانهائية يدخل فيها استخدام تركيبات معقدة من الوحدات المجردة او المحورة عن الأشكال الطبيعية، وهى تأخذ الناظر إليها من شكل الى شكل ومن تكوين إلى تكوين ومن إيقاع إلى إيقاع فى سلسلة لا تنتهى تغطى السطح المزين.. إن شكلا أو نموذجا واحدا لا يملأ الإطار كله فى هذا النوع من الفن. ولا نرى خطا واحدا يحتكر مجال الرؤية ممتدا دون أن يقطعه آخر. والنموذج لا يمكن أن يكتمل فى مدى رقعته المقررة له. وبدلا عن ذلك فإن المجال المقدر للعمل الفنى سواء أكان ابداعا فى المكان (فنونا تشكيلية أو عمارة) أو فى الزمان (أعمالا أدبية أو موسيقية) جعل بحيث يوحى بأنه وحدة ممثلة لغيرها أو مجال واحد من المجالات التى يمتد فيها البصر. ولكنه عالم مصغر اقتطع من عالم آخر فسيح.

أ- وحدة البناء الفنى «اللبنة الفنية»

لا يمكن أن يؤدى شكل أو تصميم واحد سواء أكان مرئيا أم مسموعا يمثل وحدة داخلية واحدة إلى التعبير عن فكرة النموذج المتكرر إلى مالانهاية، ولذلك فالتصميم الاسلامى يشتمل على عدد من الوحدات، أى لبنات فنية يتحكم فيها الفنان ليكون منها وحدات أكبر مختلفة. وبعض هذه الوحدات تكرارية تتشابه تماما والبعض الآخر تعبيرات مختلفة عن قطاعات من وحدات البناء الأساسية. ولكن نجد فى جميع الأحوال مراعاة تامة لمبدأ التكرارية مع التركيز على الوحدة الداخلية مما يوفر وسيلة فعالة لنقل الإيحاء بالاستمرارية وبالنموذج اللانهائى وهو الجو الجمالى الذى أبدع للتعبير عن فكرة التوحيد.

فالأعمال الفنية الإسلامية تتكون أساسا من وحدات متقابلة متكررة، ولها نماذج مختلفة تتجسد فيها، وليس

لوحدة منها أو لبنة واحدة أسبقية على غيرها إذ أن تمايز واحدة منها سوف يلغى الاستمرارية الجمالية ويلغى هذا الامتداد الذى يوحى باللانهائية.

والعمل الفنى ليس له مركز واحد يتركز عليه الانتباه فهو مساحة متجانسة من الوحدات المتكررة لا حد لها، ويمكن أن نقول إن العمل الفنى الاسلامى متعدد المراكز بحيث يمكن للمشاهد أن يبدأ بالاستمتاع بالعمل من أية نقطة فيه ولكنه ـ طبعا ـ يمكنه أن يركز على أية وحدة من الوحدات عمدا ـ أو دون قصد ـ ليتأملهاومن هنا يمكن للعين مواصلة رحلتها فى أى اتجاه يمينا أو يسارا إلى أعلى أو إلى أسفل فى حركة المتعة الفنية فى أى اتجاه. وفى كل خطوة تقابل العين وحدة فنية جديدة. وكل نظرة تجلب إحساسا جديدا فى سلسلة يمكن أن نستمتع بها بتوالى مراحلها واحدة بعد أخرى أكثر من استمتاعنا بها مرة واحدة(٨).

والعمل الموسيقى أو الشعرى هو بالمثل عبارة عن مجموعة من الوحدات الداخلية كل منها له كيان مستقل يحمل فكرة مستقلة وليس هناك عدد محدد من الأبيات التى تمثل اللبنات لتكوين القصيدة أو الوحدة الأكبر وليس هناك وحدة أهم من الأخرى. إذ أن هذا من شأنه يتعارض مع فكرة التجانس والتكرار اللانهائى.

ب ـ فكرة «التكوينات المتتالية لمجموعات الوحدات الفنية».

ابتكر الفنان المسلم وسيلة هامة أخرى ساهمت فى تحقق فكرة لا نهائية تكرار النموذج الفنى وهى التى سميناها التكوينات المتتالية لمجموعات الوحدات الفنية. إن النموذج الاسلامى المتكرر إلى مالانهاية ليس مجرد سلسلة من الوحدات الفنية التى تتسم بطابع التجريد والبعد عن محاكاة الطبيعة فحسب، إذ أنها بالاضافة إلى ذلك تحوى قدراً كبيراً من التعقيد، وهى متعددة الطبقات التى تتكون بدورها من مجموعات مترابطة من اللبنات الفنية التى تكون هذا التصميم الفنى.

والواقع أن هذه قد تكون الصفة المميزة لأى عمل فنى اسلامى، وهى التى تضعه فى صف الأعمال التى يمكن أن توصف بأنها فنون إسلامية عندما نحتاج إلى معيار للتصنيف.

وقد وصف بعض مؤرخى الفن الفنون الاسلامية بأنها فنون «راكدة» (انظر مثلا بوب Pope ١٩٦٥، ديز Die ١٩٣٨) وذلك لأنهم لم يستطيعوا أن يقدروا قيمة التركيبات التى هى من صميم بنية التصميم الفنى، وعلاقة هذه التركيبات بالرسالة الدينية التى تقوم بها. ومن المحتمل أن هؤلاء الباحثين حاولوا أن يعثروا فى الفن الاسلامى على أفكار تصف أحداثا قصصية أو حركات لمخلوقات حية وهى المواضيع التى تسود فى التقاليد الفنية الغربية فلما لم يجدوا هذه الملامح فى الفن الاسلامى أدانوه بأنه جامد وخال من الحركة الجمالية.

والواقع ان العمل الاسلامى بخلاف ذلك تماما، فكما ذكرنا سابقا فإن عين المشاهد لا تستقر أبدا على نقطة أو مساحة واحدة عندما تتأمل نموذجا تكراريا إنها تتحرك من وحدة فنية إلى أخرى ومن تصميم إلى تصميم.. وإن الاحساس باللانهائية لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق هذه الخبرة الفنية لوحداتها المتممة.

القرآن كنموذج للفن:

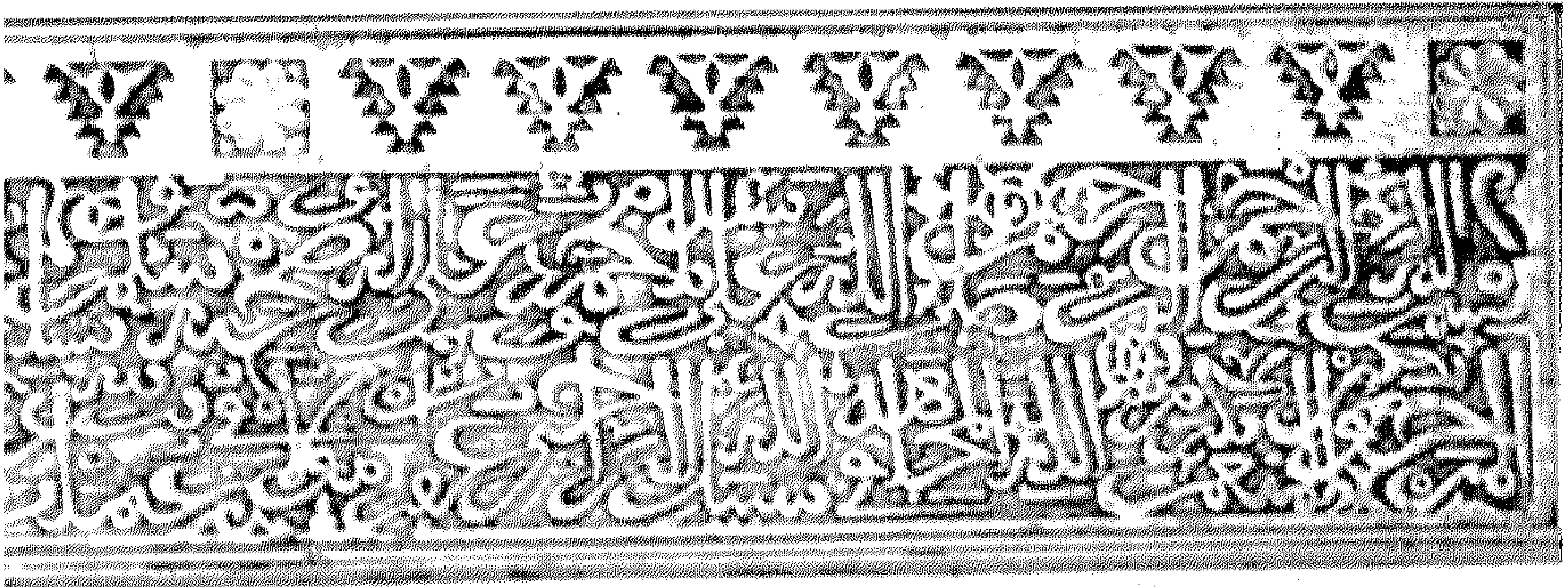
لا يمكن أن يتم الحديث عن تأثير الاسلام والتوحيد على الابداع الفنى الاسلامى دون الحديث عن النموذج الأول الذى كان مصدر الالهام لكل المسلمين على مر العصور، إذ أن محاولة تجنب الحديث عن تأثير القرآن الكريم نفسه سيجعل محاولة تفسير الطريقة التى وجد بها المسلمون حلولا فنية لمشكلة التعبير الفنى بطريقة تلائم عقائدهم وأفكارهم محاولة صعبة وشاقة فماذا ياترى هو هذا المصدر الذى ساعدهم على هذا الانجاز الفنى العظيم والذى جعل الفن الاسلامى شيئا متميزا وموحدا فى جميع أنحاء العالم الاسلامى؟ وما هو النموذج الذى أوحى لهم بفكرة التجريد، وفكرة التحوير أو الابتعاد عن الطبيعة، والاعتماد على فكرة التكرار اللانهائى للوحدات المتدرجة والمتداخلة التى شرحناها من قبل؟.

لا شك أن النموذج الذى احتذوه والذى كان ولا يزال

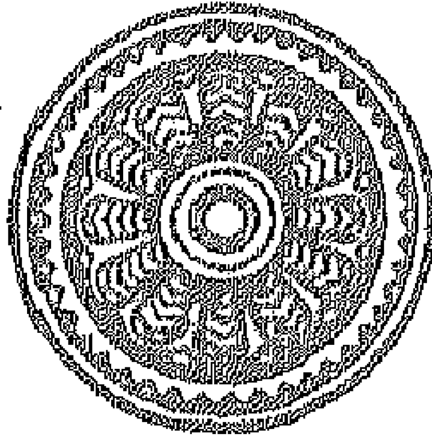
أمام عينى أى مسلم منذ ظهور الاسلام وحتى الآن هو القرآن الكريم.

لقد كان القرآن «أول عمل فنى فى الاسلام» كما كان النموذج المثالى لكل الأعمال الفنية سواء أكانت من فنون القول أو من غيرها..

إنه الكتاب المقدس الذى لم يهتم برواية القصص كسلسلة من الأحداث ولم يحاول وصف الناس أو الافراد أو الأشياء كذوات طبيعية محددة، إن للقرآن الكريم هدفاً آخر خلاف وصف الأفراد من البشر أو الأشيـاء فى عالم الطبيعة. وعندما قص القرآن القصص لم يرو القصة مرة واحدة وبشكل نهائى كما هو الحال فى الأعمال الدرامية أو الملحمية المعروفة، بل إن القصة الواحدة تروى أكثر من مرة(٩) ويعرض الدرس أو المغزى المقصود منها بشكل يختلف كل مرة عن المرات الأخرى بشكل طفيف. وهو بهذا يقدم نموذجا رائعا للمبادىء الأساسية التى ذكرناها سابقا وهى مبادىء التجريد والتحوير أو محاولة البعد عن الطبيعة فى المعالجة الفنية. وكما أن القرآن رفض أن تكـون القصـة التقليـديـة والـوصف التفصيلى للحـوادث والبشـر هى محور موضـوعاته فإن الفن الاسـلامى قد فعـل نفس الشىء، وعندما تعرض القـرآن لبعض هذه الأمـور فقـد عالجهـا بطـريقة التحوير ولم يحاول أن يؤكد هويتها المادية الطبيعية..

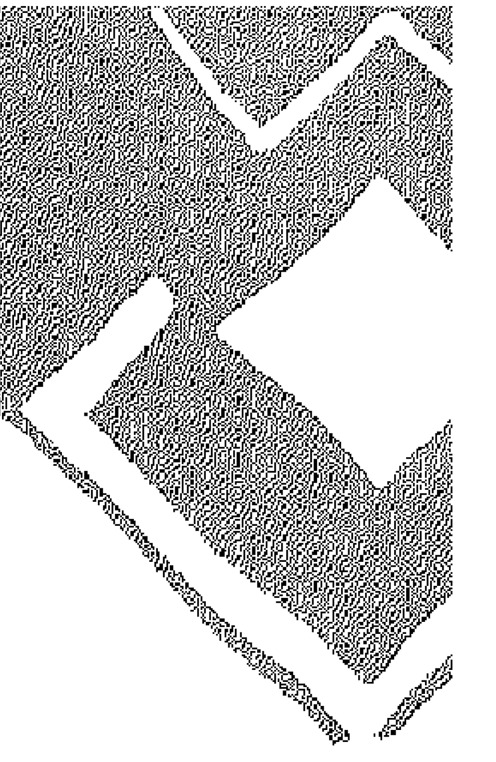


وهكذا كان أداء الفنون الإسلامية فى كل العصور وفى جميع البقاع ميلًا طبيعياً نحو الابتعاد عن التشبه بالطبيعة أو تجسيمها.



أمـا التركيب اللغوى للقرآن فقد كان أيضـا مصـدر ايحاء للفنان المسلم.. وكـل آيـة فيـه يمكن أن تعتبر وحدة فنيـة، كما أن كل آية يمكن أن تعتبر عنصراً قائما بذاته وليس لآية أهمية أو أسبقية على آية غيرها.. كما أنه لا توجد آية بعينها تحوى معنى النهاية أو الخـاتمـة لسلسلة قبلها من الآيات ولهذا السبب يمكن للمسلم أن يبـدأ قراءة القـرآن بداية من أية نقطـة (على فرض اتبـاع احكـام القراءة من وقف ووصل الخ) دون ان ينتقص ذلك من القيمة الجمالية للنص.. كما أنه يمكنه أيضا أن يقرأ ما (يتيسر) له دون وجود حد معين أو كم أو نقطة معينة للبداية أو النهاية.. كما يمكنه أن يرجع ويستعيد قراءة آية أو أكثر قد يرى إعادة قراءتها.. وحتى عندما ينتهى من قراءته فليس هناك نقطة يتحتم الانتهاء عندها. إن طبيعة هذا الكلام القرآنى المحكم توحى وتؤكد فكرة تكرارية النموذج بشكل لا نهائى ومستمر.

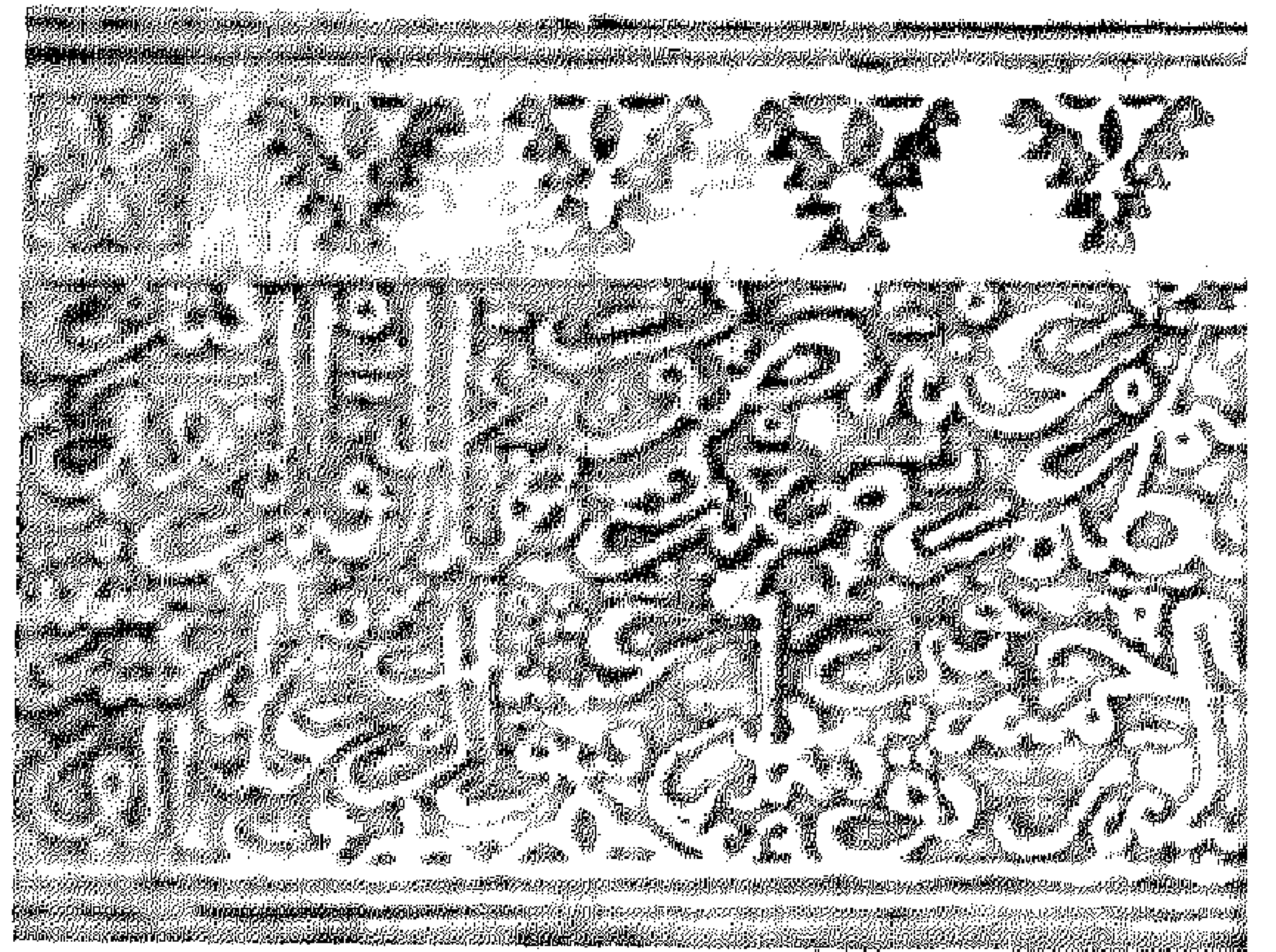
والآيـات تتجمـع فى القرآن فى مجموعات أكبر تكون وحدة منطقية.. أو فى مجموعات أكبر مكونة



السور وهى أيضا ذات وجود مستقل داخل القرآن. فليس لسورة منها أهمية تزيد على أهمية غيرها وليس لواحدة منها دلالة متميزة عن غيرها.

وفهم أية وحدة نصبية فى القرآن الكريم يدعونا إلى المتابعة والاستمرار فى محاولة لقراءة وحدة أخرى فأخرى دون نهاية وقراءة القرآن لا نهاية لها ولا تكف العين والأذن والعقل عن الاستمتاع بها فهناك دائما وحدة أخرى كلما انتهيت من واحدة تدعوك أخرى إلى المتابعة والاستمرار فى اكتشاف هذا النسق المتكرر المتصل.

وهذا التركيب قد يقدم دلالة فنية لمبدأ الوحدات المتداخلة المتكررة التى نجدها فى الفنون البصرية والتى استقى منها الفنان المسلم كثيرا من مرامى



الشعر ووحدات الموسيقى.

والسؤال الآن:

هل كانت هناك مدارس لتعليم الفنون أو مراسم خاصة لتدريب هؤلاء الفنانين؟ هل كان هناك نوع من التلقين الدينى لهذه المبادىء الجمالية من قبل بعض رجال الدين لمن يشتغلون بالإبداع الفنى؟

من المعروف أن شيئا من هذا لم يكن.. بل ان تأثير القرآن قد تم بطريقة رقيقة فعالة ومؤثرة افرزتها بعض الاسباب التالية:

أولا: باستمرار تعرض الفرد المسلم له كعمل لا يمكن لاحد ان يأتى بمثله.

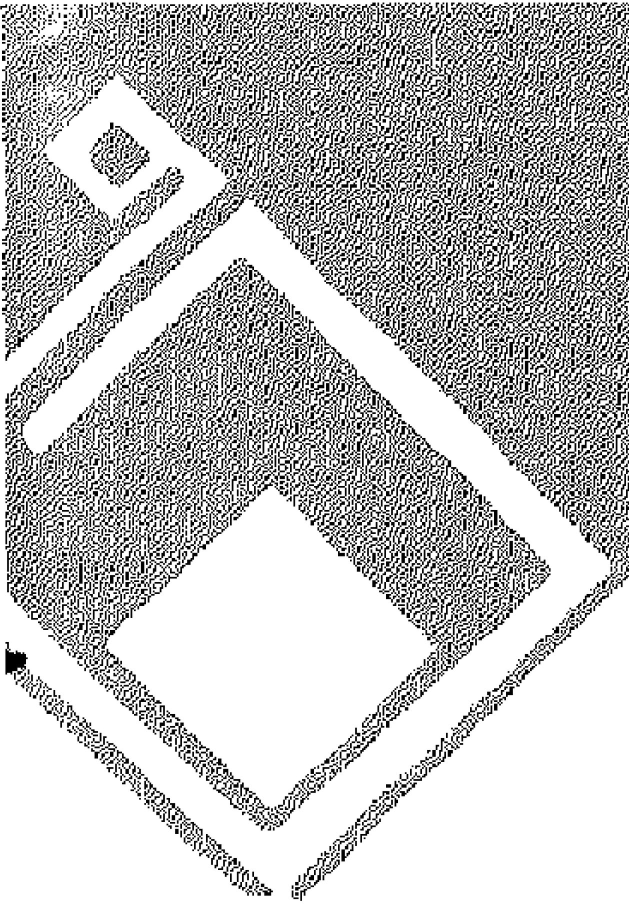
ثانيا: كتعبير مرئى مخطوط.

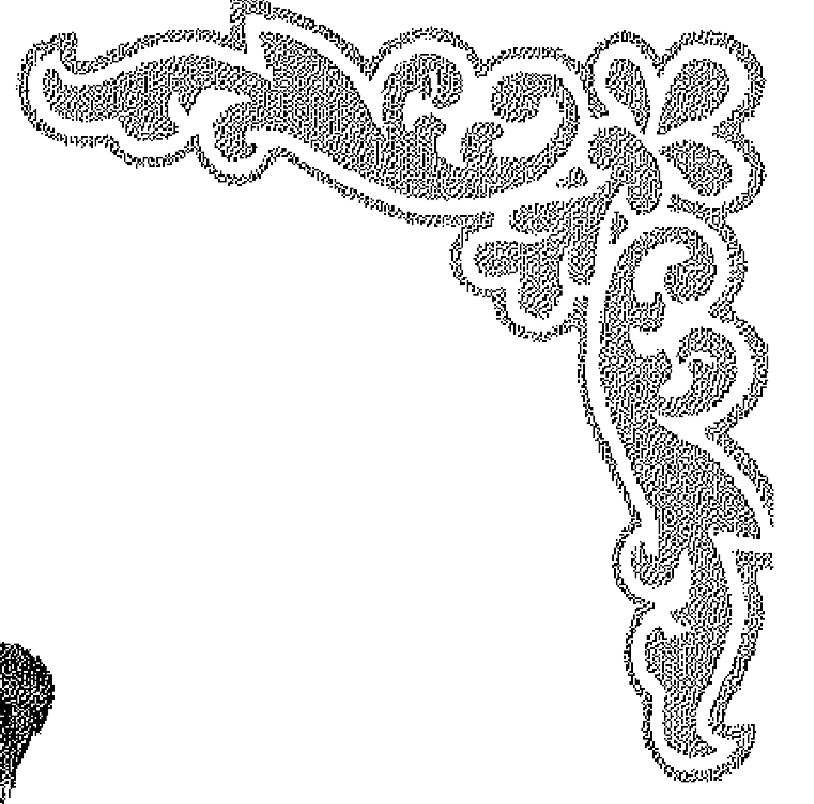
ثالثا: كنص سماوى يطرق أسماعه كل يوم من أيام حياته.

والقرآن أيضا يكون نموذجيا مرئيا قويا فى كل مكان.. فهو الى جانب دخوله للقلب وسكونه فيه يرى ويشاهد آياته تزين كل عمل فنى من أى نوع وأيا كانت وظيفته، ليس فقط فى المساجد وبيوت العبادة، بل فى أى وعاء معدنى أو قطعة خزف أو صندوق مطعم أو قطعة سجاد للزينة وكل من يسكن بلدا مسلما ـ أو حتى فى غيرها ـ لابد وأن تقع عيناه على هذه الكتابات القرآنية وأن تؤثر فيه تأثيرا لا يمكن تجاهله.. وهذا بدلائل الواقع ودلالاته ـ وبالانتشار ـ هذا مؤشر إلهى واسع لحفظ القرآن الكريم ﴿إنا نحنُ نَزّلْنا الذّكرَ وإنّا لَهُ لحافظون﴾

والخلاصة:

أن الاسلام عقيدة التوحيد قد أثر تأثيرا قويا وعميقا فى الفن الاسلامى.. ولا يمكن أن نزعم بأن هذا الفن ما هو إلا قشرة طارئة على فنون المناطق الجغرافية المختلفة التى كونت العالم الاسلامى فيما بعد. بل هو فن فرضته طبيعة الرسالة الدينية التى سادت هذه المنطقة وشكلت ظاهره وباطنه. ولا يمكن أن نعتبره مجرد «فن المسلمين» ـ وسواء أكان العمل الفنى من إنتاج العرب أو الترك أو الفرس أو سكان الهند أو الملايو أو أى جماعة عرقية تنتمى إلى الأمة الاسلامية (أو حتى إلى أى جماعة غير مسلمة تعيش تحت سماء هذه







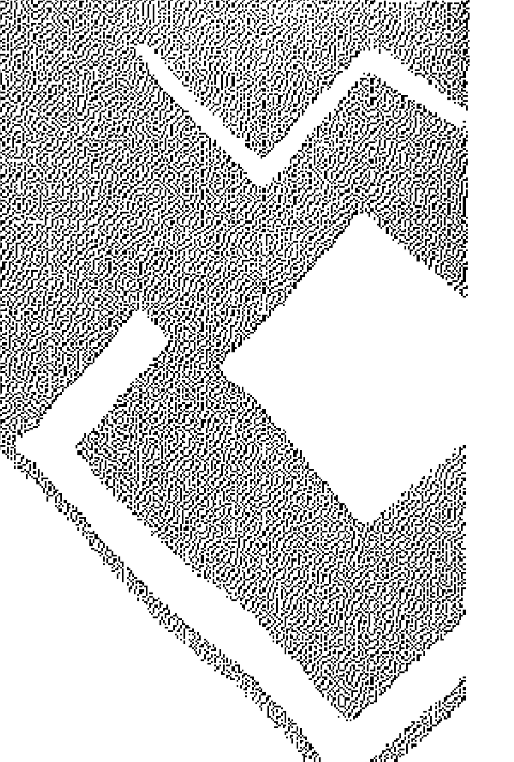
من مخطوطة عربية بالمتحف البريطانى يرجع تاريخها إلى ٦٥٤هـ /١٢٣٦م.
وفيها منظر من المقامة الثامنة للحريرى: أبو زيد وابنه فى كُدْية أمام قاضى معرة النعمان.
(وهو نادر فى الفن الاسلامى لقيامه على الشخوص).

الامة(١٠) فإن هذا الانتاج الفنى له صفات مميزة لا يمكن أن نعلل وجودها إلا بأنها تنتمى إلى عقيدة النوحيد التى يمتاز بها هذا الدين، دين الاسلام.

نظرة الى المستقبل :

من واقع الاستقراء والمشاهدة نرى ان الإنتاج الفنى الذى تم إبداعه خلال الأربعة عشر قرنا الماضية فى كل القارات التى انتشر فيها الاسلام قد أثبت ان الفن الاسلامى على مر العصور ملتزم بالمبادىء التى تمليها عقيدة التوحيد ولم تورثه العقم أو التقليد الضار الأعمى. بل أثبت التاريخ عكس ذلك فكل قرن وكل اقليم من الأقاليم الاسلامية أثمر تعبيرا جماليا جديدا مستوحى من عقيدة التوحيد.. وقد تمكن الفنانون المسلمون على مر العصور مع التزامهم بالمبادىء الاساسية فى الابداع الفنى عن طريق استخدام طرز مستحدثة وطرق جديدة فى التحوير وخامات ووسائل جديدة لم تستخدم من قبل.. وليس هناك من حد لما يمكن أن يبتكره الخيال من إمكانيات تطبيق هذه المبادىء الجمالية الاسلامية. وكما ابدعت عبقرية القرون الماضية المقرنصات والبواكى والأبهاء ذات الأعمدة فى مسجد قرطبة وروائع الخزف التركى والايرانى وأنواع الخط العربى التى لا نهاية لإمكانياتها فكذلك عبقرية الفنان المسلم فى الحاضر والمستقبل لابد أن تجد من خلال التزامها بالمبادىء الاساسية وسائل مبتكرة فذة للإبداع الفنى الجديد.

ويلزم لهذا التطور فى الفنون ثلاثة شروط



مسبقة .

اولا : أن يعود إلى الفنانين وإلى الجمهور ورعاة الفنون الضمير الجمالى الاسلامى وهذا لا يتوفر إلا بتعليم أبنائنا مبادىء الفنون الاسلامية وأن نعرضها لهم ونعرفهم بها فى المراحل الابتدائية والثانوية . . والواقع حاليا أننا لا نهتم بتدريس الفنون على الإطلاق، ولو حدث ذلك فلا نهتم الا بتعليم الصغار بعض الأغانى أو بتلقينهم أصول وتقنيات فنون الغرب التشكيلية، ونشجع هذه المخلوقات البريئة القابلة للصياغة والتشكيل أن ترسم ما تراه من واقع الطبيعة فى نفس الوقت الذى يتعودون فيه على ازدراء النماذج اللانهائية التى تعبر عن مكنونات نفوسهم وثقافاتهم . . وقد آن الأوان أن يبتكر المدرسون فى مدارسنا مشروعات خلاقة يستخدمون فيها مواضيع مجردة قابلة للتكرار .

كما أن اهتمامنا بتدريس الخط العربى وابداع الاشكال الهندسية المتكررة قد تأخر وبالطبع لابد من توفير المدرس المؤهل لهذا النوع من التدريس فى معاهدنا وجامعاتنا لأن النجاح لن يتوفر إذا اعتمدنا فقط على مبادرات فردية من بعض المدرسين لاستنباط وسائل وطرق ومواد وخامات لهذا النوع من التربية الفنية .

وثانيا : يلزم ان تعاودنا الثقة فى تراثنا كله .

إن التطور الذى ندعو له لا يمكن أن يحدث إذا كان ينقصنا عنصر الثقة بالنفس الذى ينتج عن معرفتنا وفهمنا للقدر الذى ساهمنا به فى الحضارة الانسانية .

إن تدريس مناهج فى الحضارة الاسلامية تكشف عن روائع التراث الذى جاءت به أمر لازم لكل مسلم فى أى مكان يعيش فيه وهذا هو الطريق الوحيد الذى يخلصنا من عقد البعض التى يعانى منها البعض. وهو أيضا الطريق الذى يلهم فنيا روح الابداع والخلق من جديد.

ثالثا : يلزمنا أن نرفض التقليد الأعمى فى ميدان الفنون والذى يظهر فى جانبين:

أحدهما الانقياد الأعمى إلى تقليد فنون المدارس الغربية وتقاليدها التى عمد اليها بعض الفنانين المسلمين واجهدوا أنفسهم فى محاولات اتباعها سواء الرمزية أو التعبيرية أو التكعيبية أو التجريدية(١).

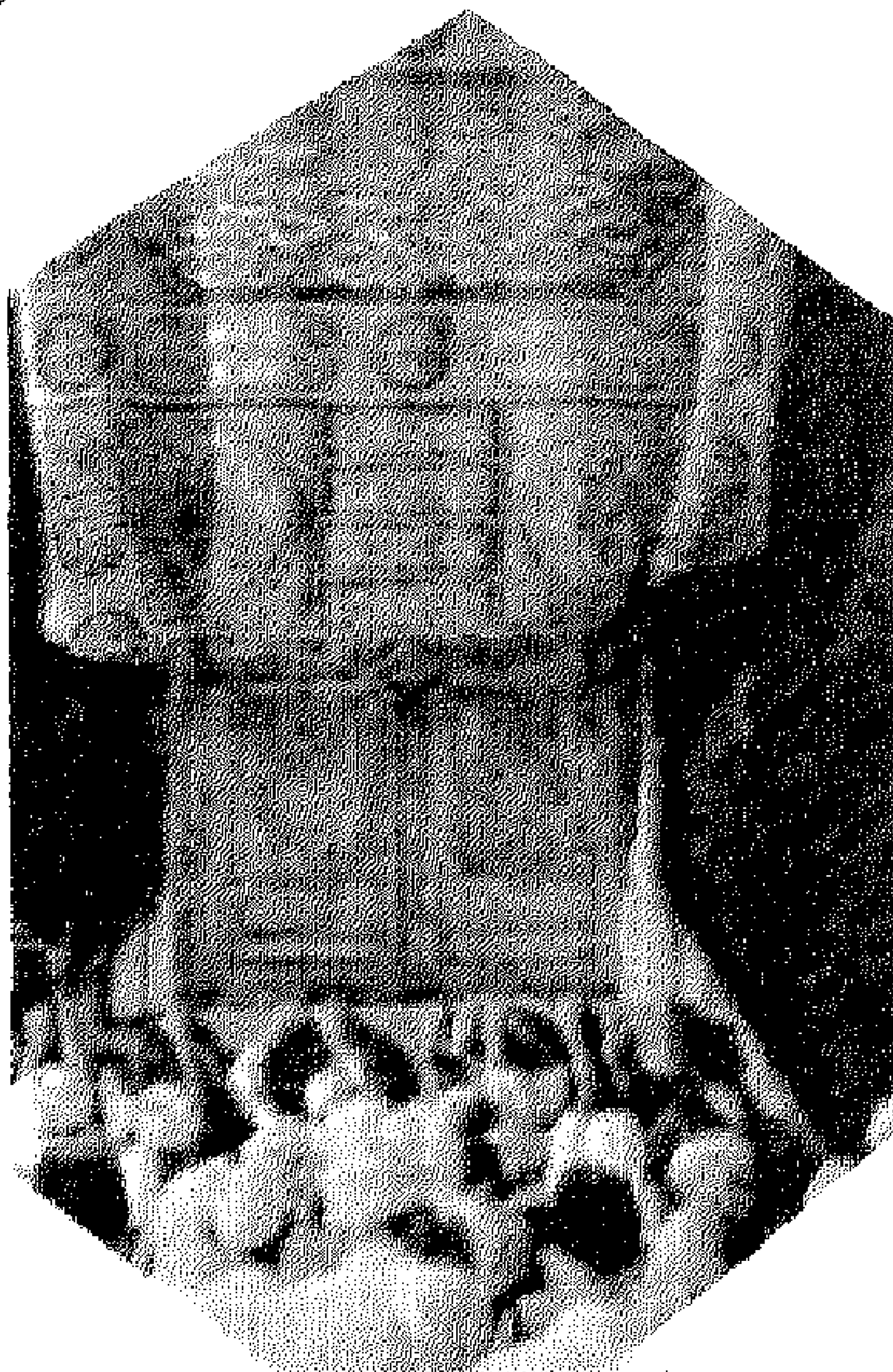
إن كل هذه الجهود تعرقل انتاجنا من الفنون الاسلامية . .

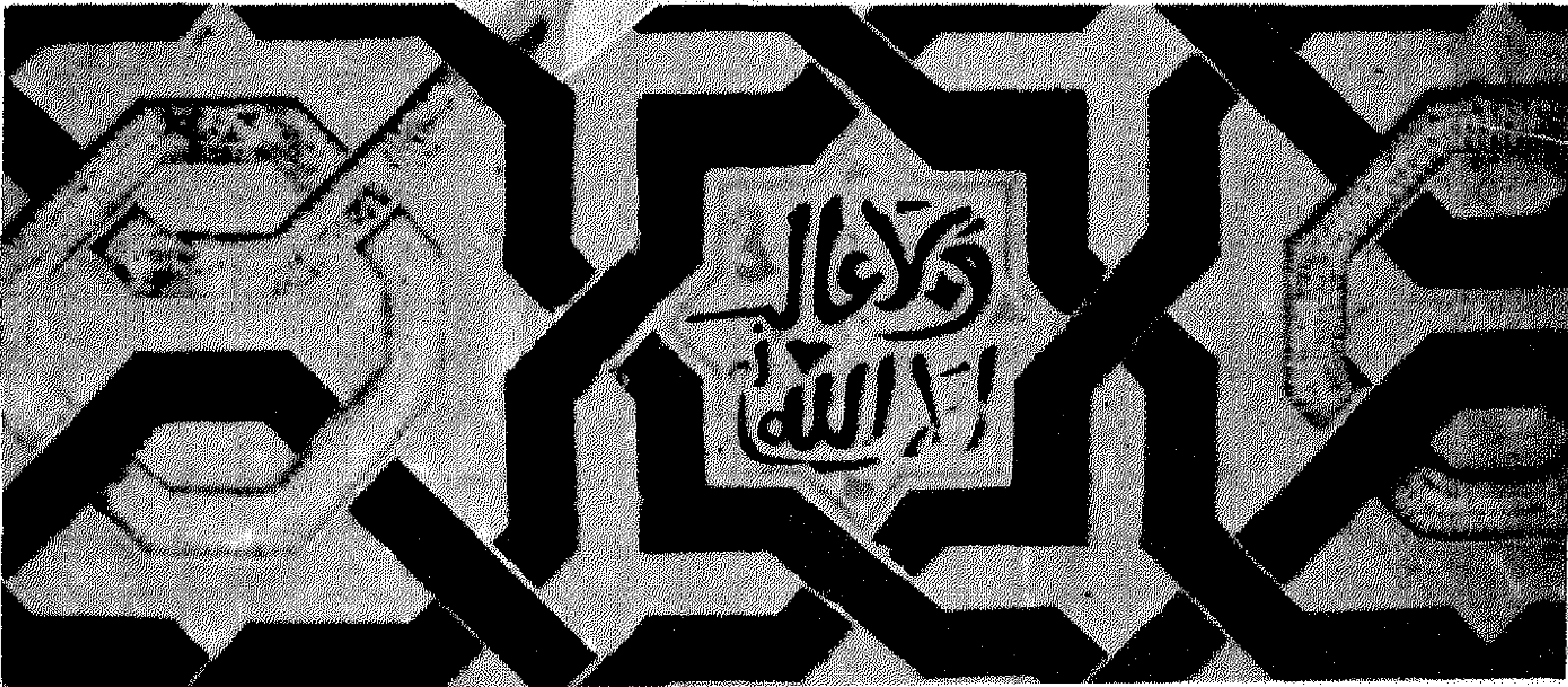
وفى نفس الوقت نجد أن بعض الموسيقيين المسلمين يتوهمون أنهم ينتجون موسيقى اسلامية جديدة عندما يضيفون آلة شعبية محلية إلى قطعة من الموسيقى هى فى الواقع أداء غربى بحت .

إن هذا التقليد الأعمى للتراث الفنى للغرب لا ينتج فنا اسلاميا حديثا .

وبالمثل فإن التقليد لتراثنا القديم - كليا - ليس أمرا خلاقا أو إبداعيا . وقد يكون لهذا التقليد قيمة تعليمية فحسب بالنسبة للمواهب الصغيرة. إلا أنه لا يمكن أن يكون ذا قيمة بالنسبة لما نرجوه من انتاج إبداعى إسلامى جديد فى المستقبل . . إن مثل هذا التقليد - كليا - غير مثمر لأنه ينتج عن الحرص على المظهر فحسب دون الغوص الى القواعد والمبادىء الأساسية للتراث الفنى . . فقد يتوهم المعمارى مثلا الذى يقوم بهذا التقليد الأعمى أنه ملتزم بالتراث الاسلامى بمجرد اضافته واجهة مزخرفة لمبنى من المبانى . . أو إذا استخدم الخزاف نمطا هندسيا فى تزيين بعض انتاجه دون تحقيق

المبادىء العميقة للفن الاسلامى. إن مثل هذه الاضافات مجرد غلالة سطحية لا تنفذ إلى جوهر الأمور وهى أمور مبتسرة لا يمكن أن تنتج فنا إسلاميا. . فالفن الاسلامى لا ينتج إلا من التزام عميق بالمبادىء الاساسية التى يقوم عليها وهذا هو الشرط الوحيد لتحقيق ما نهدف إليه من نهضة فى هذا الميدان. ويحتاج المسلمون إلى تكاتف الجهود للتشجيع الايجابى لمثل هذا الفن ذلك لأن النشاط الفنى الإبداعى هو منحة من الله عز وجل يمكن أن تؤدى وظيفه هامة فى حياة وحضارة البشر. .





- إنها الجهت بطراز في قصور الحمراء تمجد شعار في قصر ملوك غرناطة، نقوشا أنامل بأشكال متعددة: «ولا غالب الا الله».

تعقيبات :

١- أهم أعماله معنون (المعمار الاسلامى القديم) Early Muslim Architecture Oxporel: the Clarendon Press. 1932. 1940, 2 vals.

وفى مقال له عن «الارابيسك» يشير هرتز فيلد باستمرار إلى الفن الاسلامى بعبارة «فن المسلمين» (Herz Feld 1913: 363-367)

٢- يقول كرسول:

وكان عبد الملك والوليد يتعمدان اظهار أن الحضارة الاسلامية لها قدرة وعظمة لا تقل عن عظمة الحضارة المسيحية، ومن ثم كان قبة الصخرة. . . الخ .

كرسويل Creswell, 1932- 1940, 410

٣- إن هذه الأعمال التى وجدت فى أماكن مختلفة تفصلها آلاف الكيلومترات كما تفصلها فترة زمنية تقدر بالقرون، انها تمثل وحدة ذات طابع متشابه. (Mars Cais 1962:2)

٤- إن استخدام الكتابة الدينية بهذا الشكل فى الفن الاسلامى قد انتقده هرترفيلد بمرارة قائلا «أنه لا شك تعبير عن التعصب لدى المسلمين أن يكتبوا على أى عمل من الأعمال الفنية آية من القرآن أو الشهادتين أو عددا كبيرا من عبارات التهانى وطلب البركة بشكل لا معنى له» أن المعنى الذى فهمه لا يظهر إلا التعصب الشديد.

٥- زعم بعض الكتاب أن هذا هو الموضوع السائد فى أعـمال «الأرابيسك» أو الزينات الاسلامية انظر (Kuhnel 1960: 1,558) ونحن نرى أن طريقـة الـتركيب هى ما تميـز «الارابيسك» وليس موضوعا محددا بذاته.

٦- إن طريقة «الأرابيسك» فى الفن الاسلامى تظهر منـذ البـدايـة ميـلا متـزايدا نحو التجريد.. ففى تصميم ونقـل الفروع والأوراق تختفى تقريبا فكرة الصـدق فى محاكـاة الطبيعـة.. ففرع النبات يفقد تقـريبا كل علاقة له بالنبات الحقيقى ويتحول إلى مجرد خط أو شكل هندسى يربط بين مجموعات من الاشكال والاقسام الجمالية دون أى معنى يربطه بعالم الطبيعة. وكذلك الارقة تفقد تقريبا كل صلة لها بعالم النبات أو الواقع.. ويزداد التجريد بحيث تتحول الوحدات الزخرفية الفنية المستمدة من النباتات إلى تجمعات عديدة بعضها يشبه أوراق النخيل وبعضها بعيد تماما عن عالم الطبيعة. (Herz peld. 1913: 363-364)

٧- وقـد اعترض على هذا ت. أرنولد (Arn old 1965: 134) ورد عليه د. الفاروقى.

٨- عنـد مقـارنـة المثـنـوى لجلال الـدين الرومى والكـوميديا الالهية لدانتى شبه ج.س. هودجسون (G.s.Hodjson)

عمل دانتى بجبل له كيان وتركيب ثابت إذا ارتقيته فإنك تبدأ بالمنحدرات السفلى ثم تواصل الارتفاع وكلما ازداد الارتفاع اتضحت لك معالم هذا الجبل، أمـا عنـد القمـة فإن التركيب الكلى يتضح بجلاء وهكذا فإن المقطع الأخير من دانتى يلخص القصيدة كلها فى شكل مصغر. أما قصيدة جلال الدين فعلى العكس من ذلك فهى لينة تشبه النهر وتركيبها مفتوح وممتـد، وعنـدما نسبح فوق النهر فكل شىء مرئى وواضـح بشـلالاتـه ومستنقعـاته قراه ومدنه، وإذا استمر بك المطاف مدة كافية فوق سطحه فالمبتدأ مثل المستقر لا فرق بين أن تبدأ رحلتك هنا أو هناك ولا أن تنهيها هنا أو هناك..

وفى قصيدة جلال الدين الكل موجود ومتضمن فى أية نقطة واحدة.

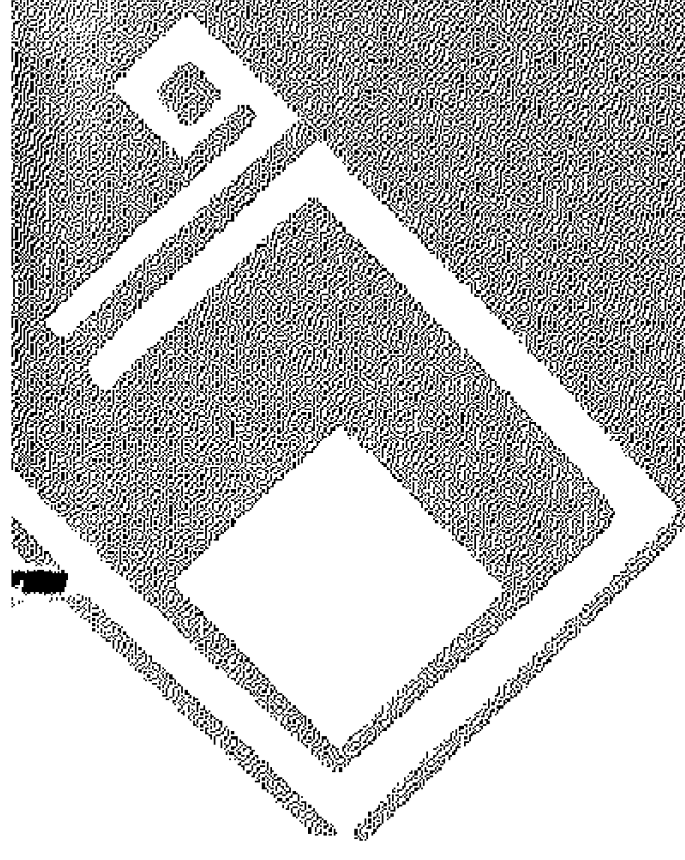
وجلال الدين لا يترك موضوعا منعزلا بمفرده. وشكل القصيدة يعكس احساسه العضوى بالاستمرارية.

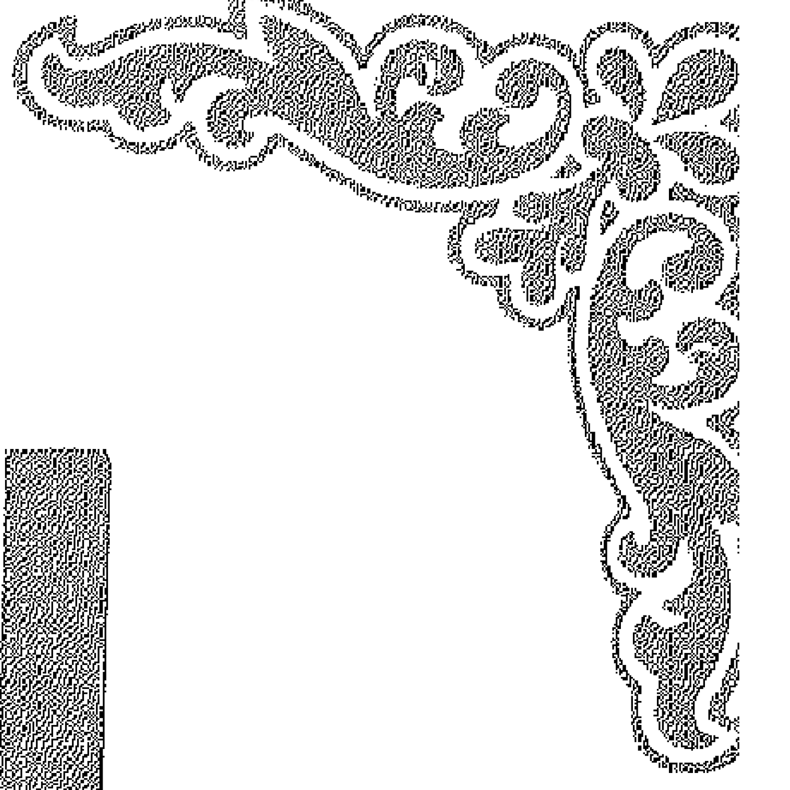
٩- مثال ذلك قصة موسى وهو طفل وإلقائه فى اليم وقصـة العجل الذهب، وقد أشير إلى قصة موسى وفرعون فى أكثر من ثلاث عشرة سورة مختلفة من سور القرآن.

١٠- أن الانتاج الفنى لغير المسلمين الموجه لجمهور غير مسلم داخـل الأمـة الاسـلامية يمكن دراسته والنظر اليه وتقويمه فى اطار ما شرحناه من مبادىء انظر (Graben 1973: 1)

١١- الاتجاه التجريدى فى الفن الغربى لا علاقة له بالتجريد فى الفن الاسلامى. ففى الفن الاسلامى ينشأ التجريد عن مبدأ دينى فنى بغرض الابتعاد عن وصف الطبيعة وذلك لجذب انتباه المشاهد إلى فكرة السمو الاسلامى، أما التجريد فى الفن الغربى فى القرن العشرين فهو رد فعل للمغالاة للواقعية المبالغ فيها فى فنـون القـرن التـاسـع عشر.. وقد وجد الفنانون بعد أن أتخموا بوصف الطبيعة أنهم فى حاجة إلى فن يجاوز هذه المرحلة إلى إحساس أعمق من مجرد السطح القريب. وقد أدى بهم ذلك إلى تشويه الـواقـع والثـورة عليـه إلا أنهم مع ذلك لم يفقدوا ارتباطهم الكامل بالشخصية الانسانية أو واقع الطبيعة.

انظـر أعـمـال فـنـان مثـل Langer ١٩٥٣ و Hofstadter ١٩٧٠ و Focillon ١٩٤٨ حيث نرى نموذجا واضحا لما يشغل العقل الغربى.





الأزياء
تاري

الأزياء .. قديمة قدم هذا البشر. سارت مع الانسان مسيرة حياته الطويلة عبر القرون وخلال تلك المراحل، كلها تطورت وتنوعت وتعددت، تبلورت من حيث الأشكال والألوان والطول والقصر والسعة والضيق وتشكلت فى عمومها من حيث الكم والكيف ومن قديم الزمان كانت الملابس تتخذ معنى (الوقاية وتعرف الشخصية).

ارتبطت الأزياء فى العالم كله بمجموعة من المؤثرات حددت نوعها وشكلها من دولة لاخرى ومن قارة لأخرى تنحصر جلها فى المؤثرات البيئية الطبيعية والمناخية والجغرافية .. فالبلاد الحارة لها مواصفات محددة فى تكوينها حتى تبدو ملاءمة لجوها الطبيعى وغيرها فى البلاد الباردة ذات البرد القارس.

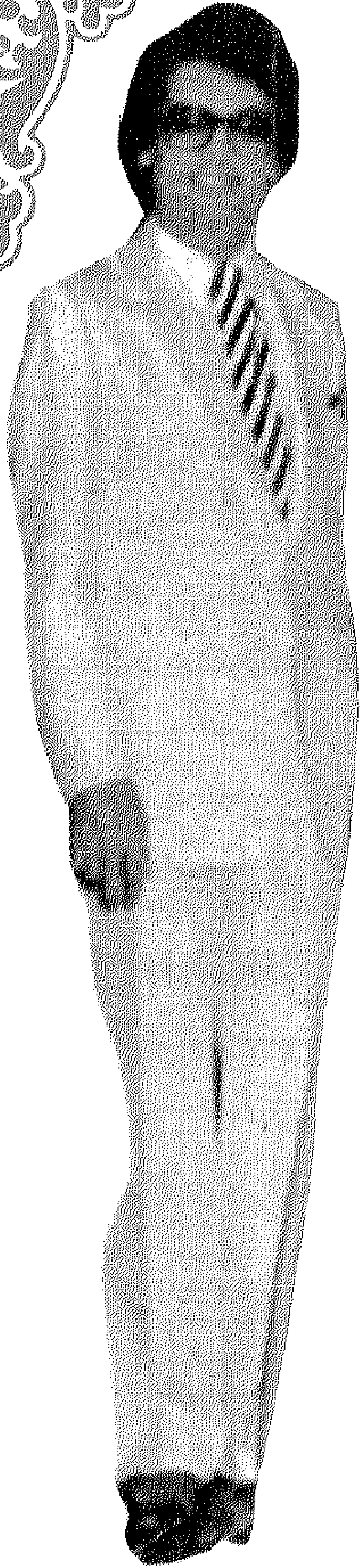
وكذلك ترتبط الأزياء بالناحية الدينية

حقيقة تطمح نفسها وتملك نواصيها هي موضع استدلال ومؤشر استدراك، فمصمم الأزياء يحتاج حتماً إلى خيال شاعر، ورؤية فنان، وعمق فيلسوف، ولابد له من حس يجلو به مواطن الجمال مقتحماً الدلالات المحسوسة



ملابس المسلمين في العصر الأموي





خطوط وتطور :

من تصوير المصمم السعودي
عدنان أكبر

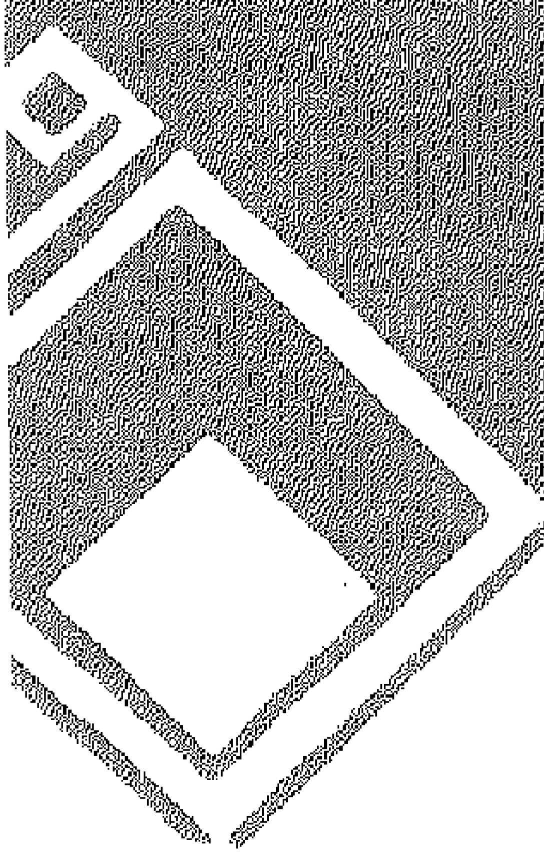
والاجتماعية والقومية والوظيفية . . كما ترتبط ارتباطاً مباشراً بالناحية السيكلوجية النفسية للفرد ذاته التى تشكل عاملاً مهما فى اختياره للزى الذى يناسبه .

فالناحية الدينية نجدها اكثر ظهوراً فى تحديد ملابس النساء المرتبطة بالزى الفضفاض المحتشم ، أما الاجتماعية فترجع الى طبيعة سكان المنطقة من حيث البداوة والتحضر وهذا له أثره الواضح والبين

والنتوءات الملموسة كعازف متمكن آخذ بنواصي النغم الذاتي .. ممسكا بأوتار الجسد الإنساني والكمال التشكيلي .. ونحمد الله أن من أبناء هذه الأمة من يملك ناصية هذا الأداء وأبعاد هذا الفعل المؤثر المتميز



تيجان ملوك الشرق

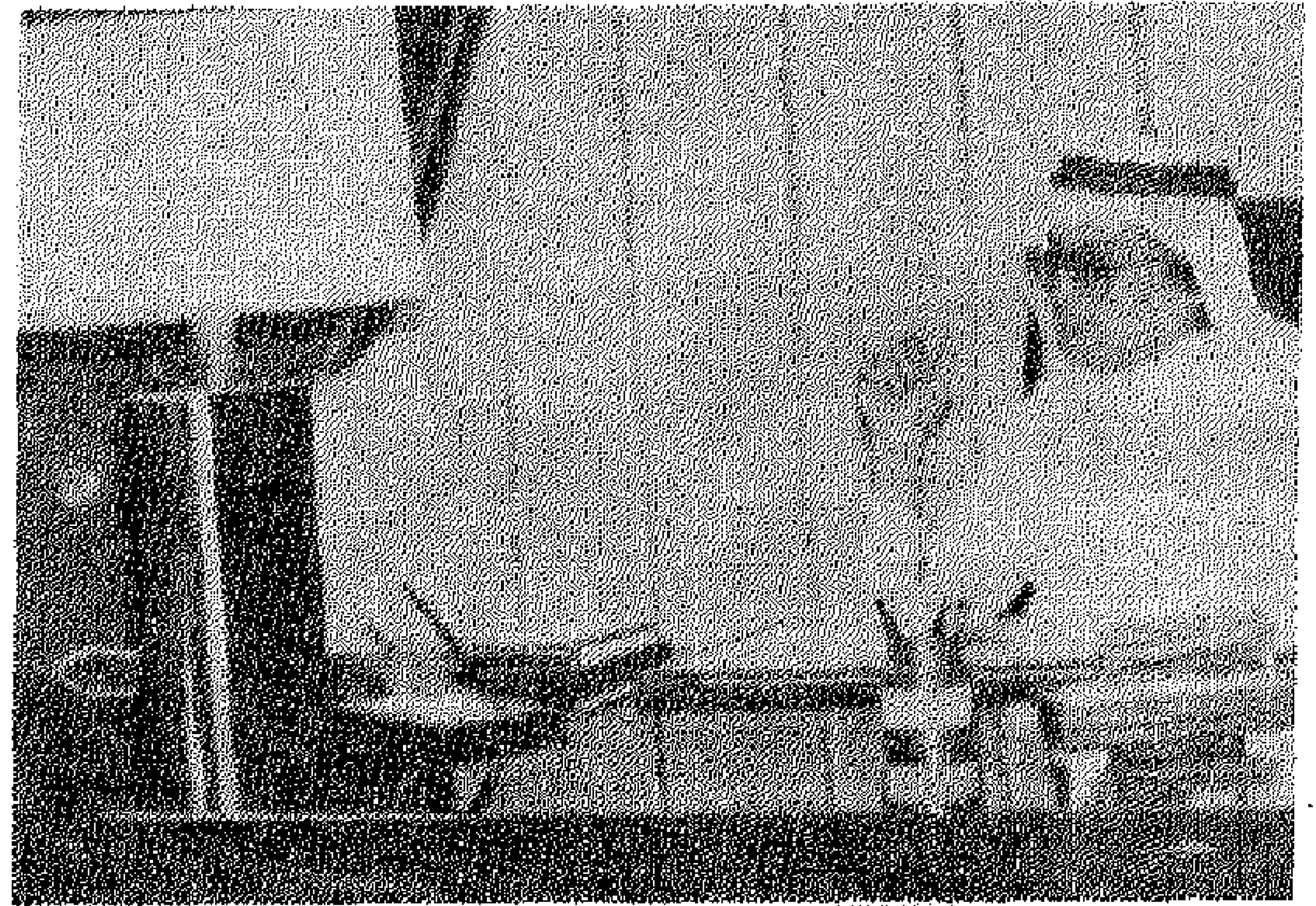


فى اختيار وتحديد الألوان والأشكال.. فالبدوى اكثر ميـولا للألوان الصارخة أو شبهها.. والحضرى - الذى يعيش فى الحاضرة - فى الغالب - يميل مزاجه الى الالـوان الهـادئة وكـل ذلك بنسبة متقاربة أو متباعدة هنا وهناك.

هذا - بالطبع - عدا (المودات) والتقاليع الجديدة التى ظهـرت من قِبَـلِ مَنْ يسمو (بالرافضين) من هيبيز وخنافس وغيرهم ممن لا يلتزم الزى عندهم بشكل واضح محدد المعالم والسمات.

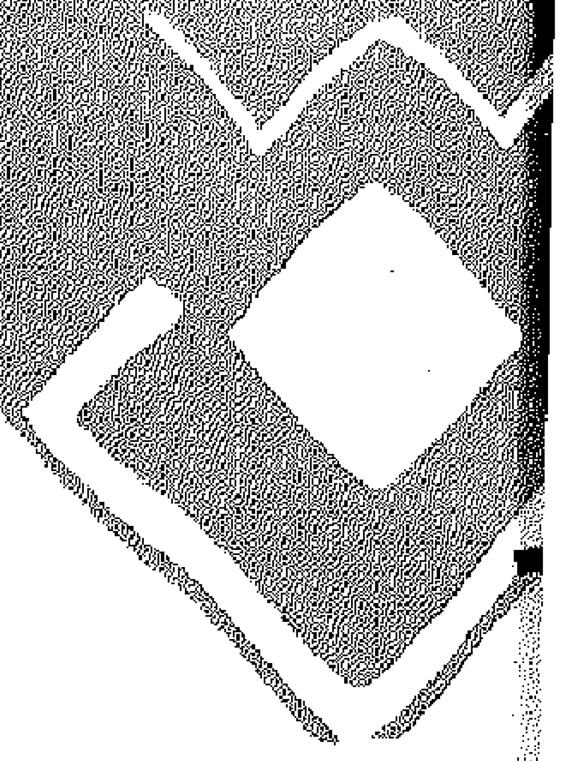
والازيـاء فى عمـومهـا يمكن ان تعطينا مؤشرا لتحديد الانتماء القومى لمكتبسيها.. واذا تحولنا فى رحلة سريعة عبر أزمنة الازيـاء وتاريخها نجد ان الانسان فى عصوره السحيقة المتوارية خلف التاريخ قد اكتسى اوراق الاشجار وجلود الحيوانات.. ثم تطورت به الحياة فاخترع الغزل والحياكة واصطنع الاقمشـة يلتف بها (كـالشملة أو النقـاب).. ثم اخترع الخياطة فتفنن فى ثيابه وشكلها وألوانها وذلك تبعاً لمجموعة من الارتباطات السابقة.

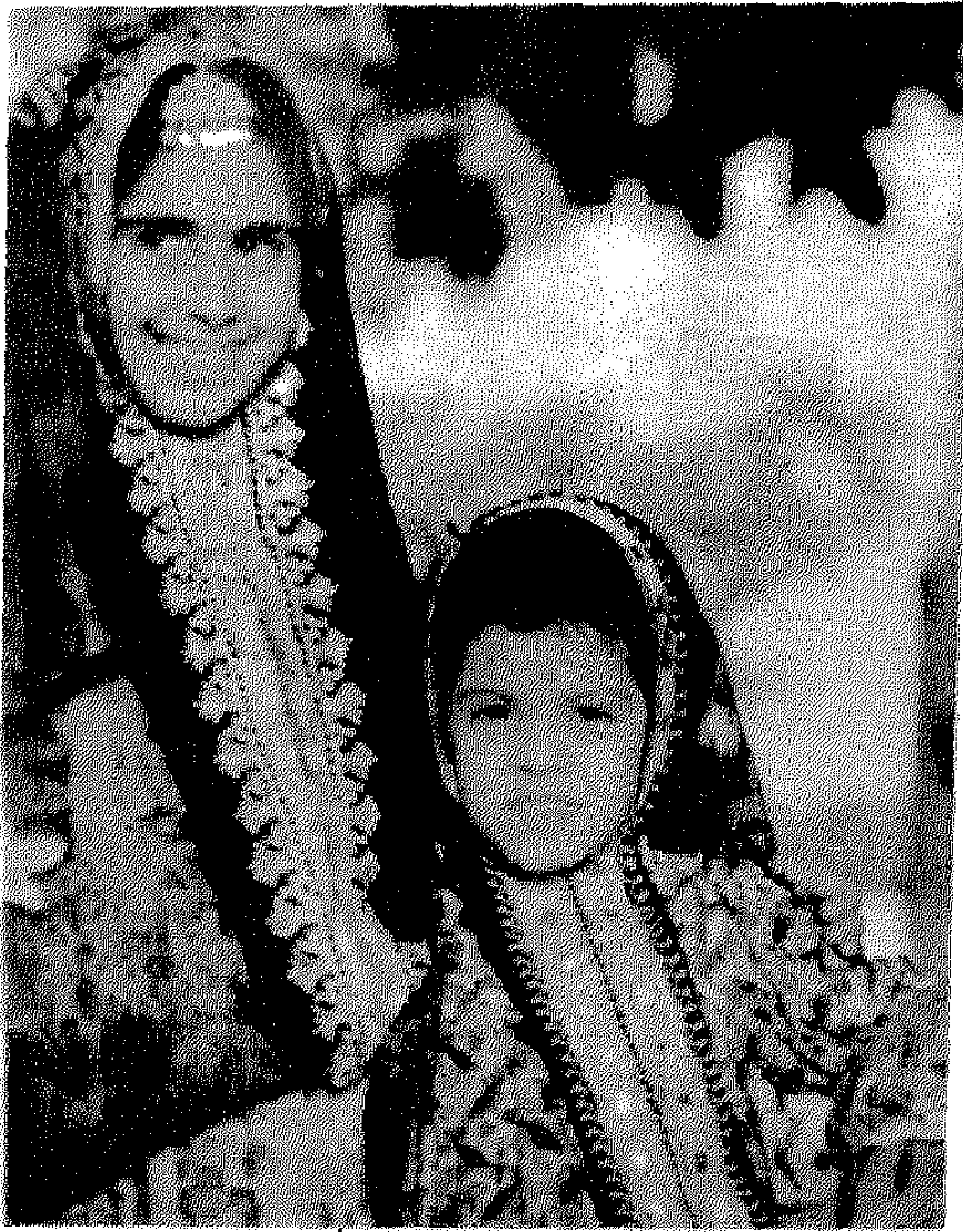
يذكر المؤرخون أن المصريين القدامى اتخذوا الملابس المصنوعة من الكتان. والرومانيين ارتدوا الملابس المبطنة بالصوف المسقى بالخل ليزيدها متانة واحتمالا والتتار استخدموا جلود الوحوش المجففة فوق لهيب النار.. أما فى أوربا فقد استخدموا الملابس المحشوة.. ثم ظهر بعد ذلك فى العالم العربى العديد من الملابس والأزياء منها: الشملة والمـلاءة والقميص والقفطـان والجبـة والخمار والنلنسوة والعمامة. وهذه فى مجموعها قد تختلف من بلد لآخر اختلافا طفيفاً فى الشكل واللون والخامة.. أو تظهر عليها بعض الاضافات كما حصل فى عهد الأمويين..



من أقواله وذكرياته

امام بيوت ازياء عالمية واصغر بيت فيها لا يقل عمره فى ميدان الزى عن نصف قرن كان معرضى وحلبة فروسيتى موديل من الشرق يأتى ممتطيا حصاناً أبلج مطهماً برداء مصمم عربى وخطوط موضة شرقية مردداً حكمتى المفضلة.. (البحر الهادىء لا ينتج بحاراً قويا).. كنت كالفارس احارب فى كل جانب فى اطر كواليس الزى والموديل والتصميم. تجدنى بين الكواليس ومع العارضات وبجوار قطـع الاكسسـوار.. ولم يشغلنى من رهبة التحدى سوى صوت التصفيق المدوى عندما دقة الساعة بانى عدنان اكبر مصمم ازياء هذا العرض.. وزاد التصفيق حدة وزادت معه وبـه نبضـات قلبى الـذى خفق بالسعـادة والانتصـار.. وانحنت لى مدام بيجـايـة فى ادب.. وعرضت على ان تشترى حق توزيع موديلاتى فى اوربا وامريكا واليابان.. وكنت اعلم ان هذه السيـدة متعـاقـدة كذلـك مع فالينتينر وسان لوران وكريستيان ديور.




زي من قطر

ومن بعدهم فقد حاكو ملابسهم من الحرير ولونوها بالالوان الزاهية وطرزوها بالذهب أو الفضه وكان ذلك محظوراً أيام الخلفاء الراشدين.

ولما كثر اختلاط العرب بالفرس والروم والاتراك وغيرهم من الاجناس الاخرى أيام الفتوحات الاسلامية دخلت على الازياء العربية مستجدات نتيجة التأثر بالجديد. فعرف عندهم الفرو والسنجاب والوشق والطربوش وان كان تأثير بعضها ظل محدودا.

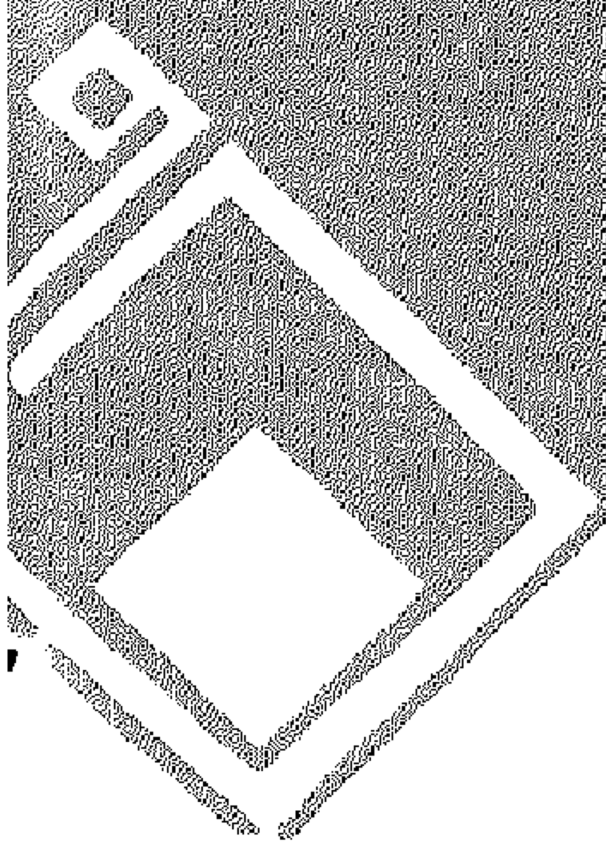
والازياء، كما تختلف من دولة لأخرى فإنها تأخذ أشكالا محورة في بعض مناطق الدولة الواحده حتى لَيُعْرَف زى كل منطقة بها ويسمى باسمها مادام له تَمَيُّزه الخاص.

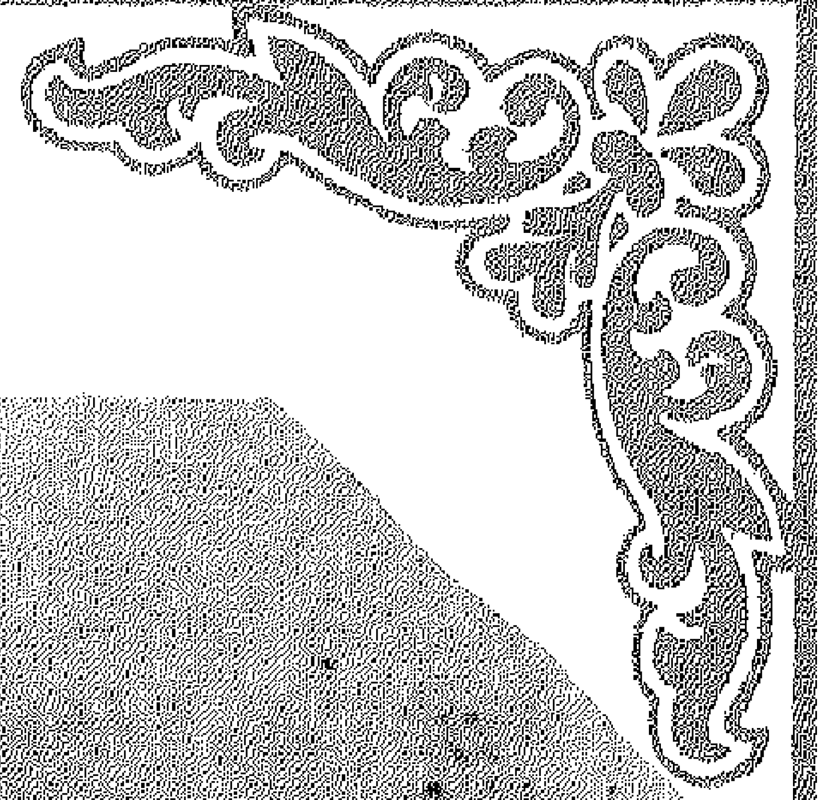
واذا ما قفزنا إلى يومنا واستعرضنا بيوت الازياء والاناقة والتصميم ألفينا عجباً.. فقد أقام مصممو الأزياء وملوك بيوت الازياء امبراطورية للأناقة


○ كنت اصنع العرائس من قماش محشو بالقطن.

مصممنا السعودي في سطور

عاش في احد اكبر بيوتات مكة المكرمة - بيت القامة واخذ - وهو صغير - يشاهد ويستمتع بعالم الاقمشة الزاهية والموديلات النافرة. وعلى طريقة عادة الصغار مع الكبار «العجائز» كانت محادثاته ومماحكاته وعرائسه البدائية. وتعمقت هوايته للزى وتعددت فنياته. وكبرت معه وعظمت به.. ولقى في هوى والدته وعمته وفي متابعات والده التشجيع. وكان تشجيعه الكبير والفريد نابضاً من خلال اسمه الذى غدى علماً في دنيا الزى والتصميم. حتى ان معظم بيوتات السعودية اخذت تتزاحم على مكتبه ومشغله وداره تطلب ان يسعدها بثوب فرح او فستان سهرة او حتى بمنديل او طرحة. واصبح اليوم بكامله لا يسعفه ولا يقضيه. واصبحنا نفخر به كأسم رائد في عالم الزى واستحداثاته.



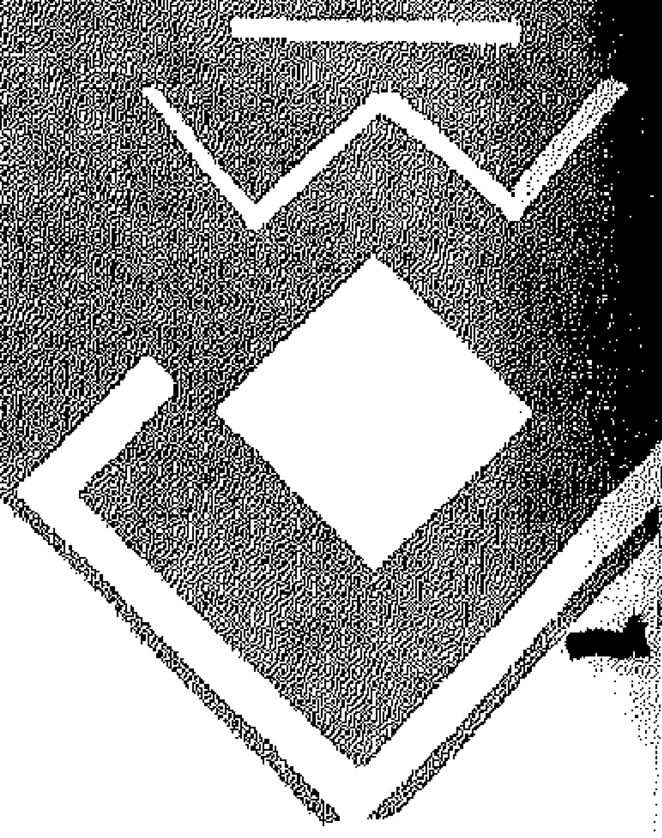


وأصبحت بيوت الازياء فى أوربا تمسك بازرار الصنعة وتوجهها حسب ما تريد حتى بدت كمرتكز له ثقله الفنى وتأثيره على الذوق العام واعادة تشكيله أحيانا.

ومن الاسماء اللامعة فى دور الأزياء (ميروسيك) وهو نرويجى مقيم فى باريس ومنهم «كنزو» اليابانى و«لاغرفيلد» الألمانى وغيرهم.

وكما ينتمى الفن بانواعه الأدبى

○ احد اثواب العرس التى قام بتصميمها المصمم عدنان اكبر .. ويبدو فى الصورة على مجسم من البلاستيك ..

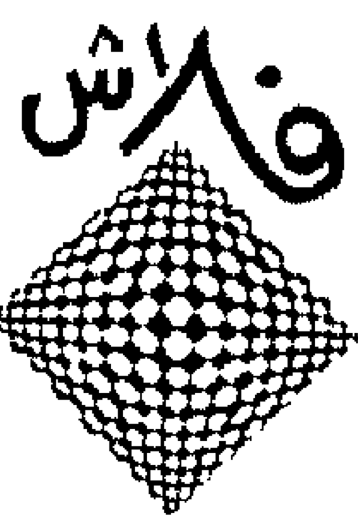


والتشكيلي وغيره الى مدارس **أدبية وفنية** فان الفن
الازياء مدارسه أيضا فمنها الكلاسيكي ...
والواقعي بل وفوق الواقعية كما صمم ...
مصمم الازياء الفرنسى «جان شارلي ...»
واطلق عليها (هاير ريالزم) وتُعَدّ آخر ...
لعام ١٩٨٤.

وللحفاظ على أصالة الخطوط ...
أقامت الأندية النسائية واله...
الازياء كثيرا من المعارض، ...
الذاكرة (عرض الازياء العربية ...
ورعته جلالة الملكة نور الحـ...
كان للجهد والبذل الفنى ...
اخرجت ـ بالفعل ـ ...

والم... الى دور العرض الشهيرة فى
امهات المدن الاوربية وغيرها جنبا الى جنب مع تلك
العروض التى قدمت هناك.. وقد خلفت ـ ولازالت
تلك الاوليات الفريدة والاقدام الفردى ـ اصداء
اهتمامات عالمية ومحلية.. لقد أخذ المشاهدون وهم
هم فى عالم الزى بكل تلك الازياء المتعددة
...كرة فى وقت كان خيالهم الفنى لا يتجاوز دور
...ميم المعدودة فى العالم المتحضر.. ودهشوا
بان يكون فى السعودية مصمم فنان وتصميم
متواضع ـ فقد كان لى الشرف ان اكون ذلك
الذى امسك **بعقود الفرس الموسمة والهبها**
...تحدى.. بل وهذا ـ **بالطبع ـ مما شجعنى**
... ومواطنة فريدة ان اعزز معارضى الأولى فى لندن

فلاش



● هن
هن وما أجملهن
● هن
براعم الجيل
المصون
وطلائع الحاضر
المفتون
نركن اليهن
لأنهن حمانا
ونعتز بهن
لأنهن فلذاتنا
ونسر بطفولتهن
وزهو براءتهن



وبــاريس باخريـات تستقطب ان شاء الله تعالى تصاميم وموديلات متنوعة وفريدة.. .. لى دفعنى ذلك الاهتمام الى إنشاء دارة خاصة للازياء التى اصممها واكسوها للآخرين وعلى غرار ما هو قائم ـ فعلاً ـ فى امهات المدن العالمية. . وستفخر جدة المدينة العالمية ايضا بهذا الانجاز الحضاري المتميز. . ولربما تكون هذه الـدارة كما هى فى رسمهـا وتصميمها وموقعها ومحتـويـاتهـا ومعـروضـاتهـا من الاوليـات التى تزار وتــدار. . وكم اتمنى ان تنتقــل اليهــا العروض والمعـارض العالمية بجانب عروض الازياء السعودية والعربية معاً لنصدر مع الزمن ازياءنا وابداعاتنا كما صدرناها من قبل حضارة ومعرفة وعلماً وفناً.

وعـوداً لما نحن فيـه ـ والعـود احمد ـ فنقول إنَّ الازياء وإن كانت تتغير خطوطها وتجدد وظائفها من حين لآخر حسب المودات والتقليعات المحلية والعالمية إلَّا أنها فى «بلدانها» تحتفظ الى حد معقول بخطوطها العريضه . أما الازياء الشعبية ففى كثير من الدول العربية تحتفظ بطابعها المميز لها.

ولـدينـا الكثير من الأمثلة التى توكـد ذلك فى ملابس وازياء الجنسين، وينسحب هذا الحرص على تأكيـد ذاتية الزى الى «المناطق» حتى ليشتهر الزى



باسم منطقته أو بلدته كما أسلفنا.

وفى السعودية نجد الازياء الشعبية للمنطقة الشماليه. والمنطقة الوسطى وغيرهما من المناطق الأخرى ولكل طابعه المميز له ـ ففى المنطقة الشمالية نتعرف على «الغز الصيدية» بالعمامة، كما يلبسون الغتر ذات الالوان الزاهية، وهناك المرودن ولها وجهان ابيض والآخر مخطط مقلم، والبيدى وهو عبارة عن منسوج صوف ويرتدى فى الشتاء البارد.

وفى المنطقة الوسطى نعرف من ثيابهم الشعبية «الخام» وهو نوع من القماش الثقيل ويلبس فى فصل الشتاء ويكون له أزرة.. من نفس خيوط الثوب

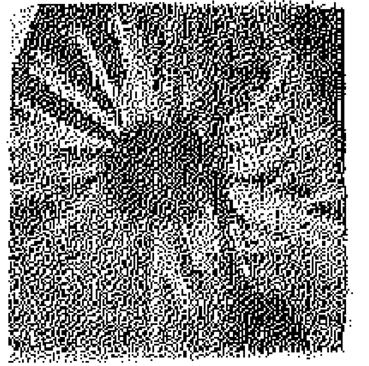
وفى الزى الفلسطينى ـ على سبيل المثال ـ نجد «الفستان» يمتاز بفن الزخرفة والتطريز اليدوى فهو فن فطرى فيه صدق التعبير وهو فن موروث ـ ونعرف فى الازياء الفلسطينية المجدلاوى، البلتاجى، الدجانى، ثوب الملكة، ثوب الحلايه، السبعاوى

وهكذا الحال بالنسبه للدول العربية الأخرى وغيرها.. ومن هنا كان لزينا تاريخه وتطوره. وهو ما وجدت من المناسب ان ادلى فيه بشىء فى منهل الفن الذى بين يدينا نستمتع به ونستفيد منه.



مسرح العرائس وأثره على الطفل

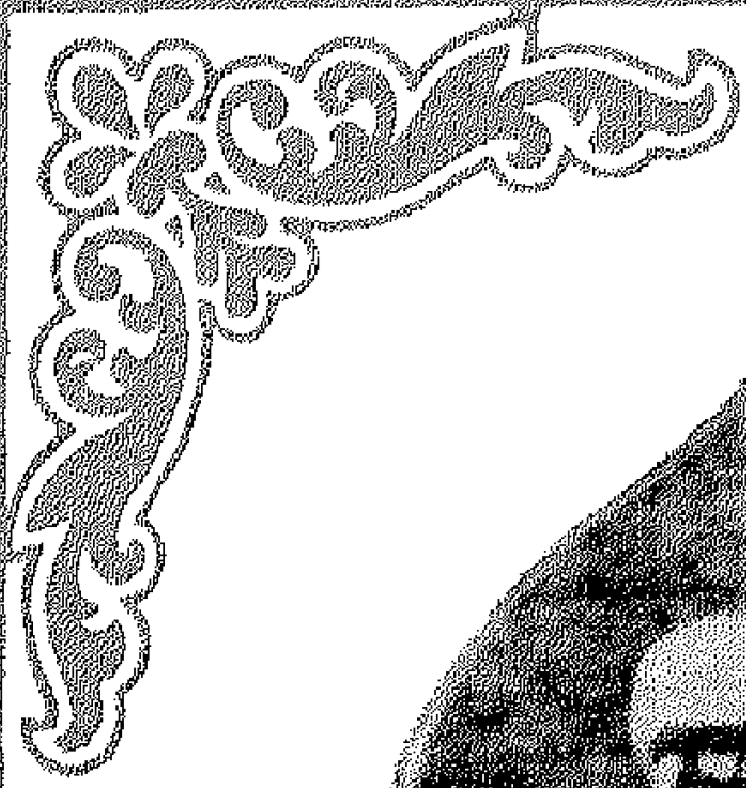
بقلم
حسين أبوزينة
عضو اتحاد كتاب مصر

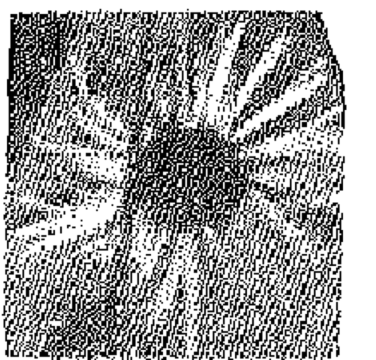


إن من أوضح الآثار التى يمكن أن تنعكس نتيجة للتفهم الدقيق لدراما الطفل ذلك الأثر القوى على مسرح الطفل فلقد أصبح من اللازم أن نقدم أشكالًا معينة للمسرح تتعاطف مع دراما الطفل وتوجد الآن فى إنجلترا فرق قليلة من الكبار تحاول فى هذا الأمر بجدية واهتمام . وبصفة عامة فإن هذه مسألة تخص الكبار حين يقومون بالتمثيل للصغار مقدمين تمثيلياتهم فى الأشكال التى تظهر فيها دراما الطفل للأعمار المختلفة مشجعين المتفرجين على المشاركة فيها مستخدمين الأصوات المثيرة للإهتمام.

وإذا كنا فى نهضتنا الأدبية استجبنا لحاجات الحياة وإستعرنا التمثيل الدرامى المباشر وتوسلنا بضرب آخر من التمثيل يعرض الصورة المتحركة الناطقة أمام الناس فلقد كان الواجب يقتضينا أن نفطن أولاً : إلى تصحيح مفهوم التراث الفنى فنحتفى بآثار خيال الظل وهى آثار ترتبط بالأدب إرتباطها بفنون الإيقاع والرسم . وليس من شك فى أننا لو أدركنا هذه الحقيقة لكنا قد كشفنا عن القاعدة الأصلية التى لابد من الإرتكاز عليها لكى نبدع فناً قومياً يتسم بالملامح الإنسانية ونشغل أنفسنا بالتطوير مستغلين التقدم الذى أحرزته البشرية فى وسائل الإعلام والعرض.

★ ونحن الآن وان كنا مشغولون بمسرح العرائس وبالصور المتحركة ومسرح الأطفال والأفلام الخاصة بالتربية : أفلا يحق لنا أن نعيد النظر فى تراث خيال الظل لنتخذ من موضوعاته وتقاليده الفنيه ركيزة تشبه التقاليد التى لا يستطيع فن من الفنون أن يحقق وجوده بدونه ؟ . إن كثيرين من المثقفين يتصورون أن فنون التمثيل والتصوير والتشكيل مستحدثة بلا سابق مثال فى تاريخنا ، والواقع أن هذا التصور خطير إلى حد كبير ذلك لأنه يجعل فنوننا معلقة بلا تاريخ .

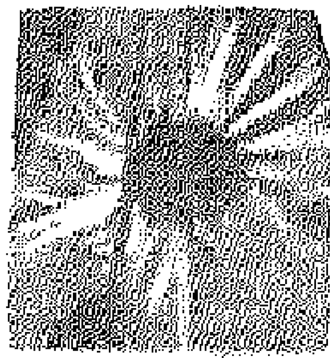




فن العرائس عاش لمدة طويلة دون أن يكون هناك حكم عليه بأسلوب علمي ذلك لأسباب سياسية وإجتماعية وإقتصادية.

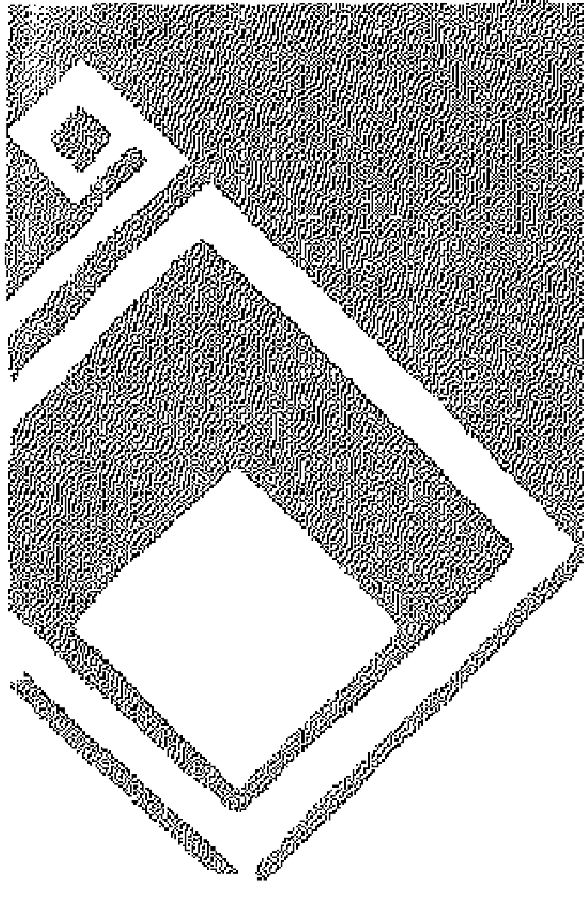
لكن الآن بعد أن نضج المسرح فى عدة بلدان أصبح لفن العرائس نقاد متخصصون يقومون العمل من خلال جزئياته المختلفة ومن هنا بدأت حركة الصعود لهذا الفن.

ومسرح الطفل للعرائس يعتبر مسرحاً عالمياً فى فكرته وتكوينه وإمكانية مخاطبته للأطفال فى كل مكان بالعالم.

إن رواد هذا الفن الرفيع فى تزايد مستمر ولهذا يجب بذل المزيد من الجهد للإرتفاع بمستوى هذا الفن حيث أننا أصبحنا الآن نجد صعوبة فى الإبقاء على الأطفال أمام شاشة التلفاز إنتظاراً لبرامجه الغير مناسبة لأعمارهم. ونجاح هذا الفن العرائسى يأتى مباشرة من الأطفال أنفسهم، فإما أن يجذب إلتفاتهم تماماً، وإما أن ينصرفوا عنه.

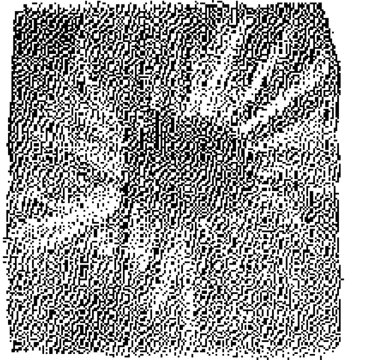

ويعد المسرح العرائسى من أرقى أنواع الفنون ذلك لأنه يبث القيم الروحية والإجتماعية التى تعد الطفل إجتماعياً لكى يستقبل حياته العملية فى الكبر وهو محصن بمجموعة كبيرة من الخبرات التى تلقاها بطريقة غير مباشرة والتى تؤثر فى تكوينه النفسى حتى يستطيع التكيف مع متناقضات مجتمعه الذى يعيش فيه، وحتى لا يصطدم بجهامة الواقع.

★ هذا المسرح ـ إذن ـ يستطيع أن يلعب دوراً هاماً فى التربية الفكرية للأطفال، فالطفل فى سنواته الأولى ومن خلال تجاربه الخاصة تتكون ملامح شخصيته فتتجدد قدراته الفكرية بمجالات الإدراك التى تتهيأ له، وإدراك الطفل للأشياء لا يتأتى إلا بالممارسة والعمل، وهنا يلعب دور مسرح العرائس



دوراً جوهـريـاً فى تجسيد الأفكار التى تدور بذهن الطفـل وبشكـل مشوش، وقد يكون الطفـل قد أتم تجسيدهـا من وجهـة نظره وبشكـل خاطىء وهنـا يأتي دور المسـرح العرائسى فى تصحيح التصور الخاطىء لدى الأطفال.

وهناك حقيقة لابد أن نؤكدها وهى أن المسرح العرائسى يلعب دوراً هاماً وخطيراً فى عمليـة التطبيع الإجتماعى وفى تكوين وبلورة شخصية الطفل، فإذا أردنا تقديم الأسطـورة أو قصـة من قصص الخوارق فمن المهم أن نضـع القصـة فى شكـل يتناسب وعقول الأطفال مع الحفاظ على المستـوى الفكـرى وبحيث تناقش قضية بعينهـا. فالطفل يجد لذة لسماع أو رؤية القصص الخيـاليـة أو «الحـواديت» ولديه القـدرة على استنبـاط القيم الخلقيـة مما يعرض أمامه الأمر الذى يؤدى إلى تفتح طاقـات خياله وافاق تأمله بالإضافة إلى تبين الطفل لعناصر الصراع العنيف الدائر بين الخير والشـر إلى أن ينتصر الخير فى النهاية عندئذ يدرك الطفل عدالة العقاب وأهميته وأهمية إثابة المحسن الخير الكريم مما يؤدى إلى نمو الوعى الدرامى عند الطفل.

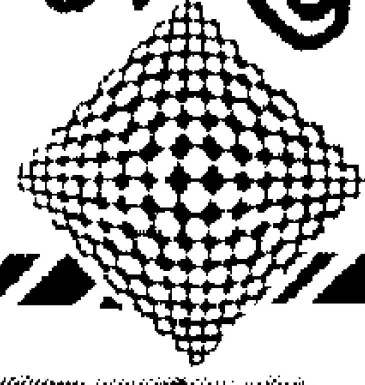


ومسـرح العـرائس يلقى إهتـمامـاً وجـاذبية كبيرة من ناحيـة الطفـل وخلال جميع مراحـل نمـوه وتطـوره وقد يمتـد الإهتـمام بمسرح العرائس إلى مرحلة المـراهقـة أو للكبـار. فبمجرد مشـاهـدة الطفـل للعـرض العرائسى تقـوى ذاكـرتـه وتصـوره للخبـرات السـابقة تمهيداً لإستدعائها. كما تنمو قدرته الخيالية وهذه القدرة لها دور كبير فى بناء الأفكار وإبتكار كل جديد.

إندماج الطفل - إذن - مع العرض العـرائسى يوفر له نوعين من التوازن بين إتجـاهـاتـه العقليـة والإنفعـاليـة والفكـريـة والحسيـة وبيـن الـوعى والـلاوعى ويمكن أن تتحـول بعض الـدوافـع الهـدامـة لدى الأطفال إلى دوافع بناءة.



فلاش



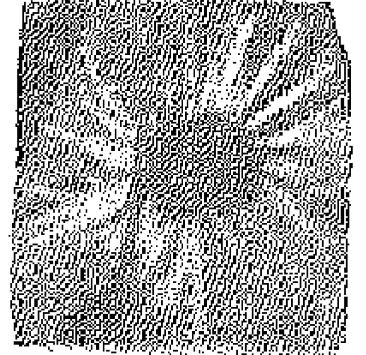
سوبر تيد :

سوبر تيد الدب الويلزي الشخصية الكرتونية تم إ في بريطانيا تحول إلى صفقة تجارية رابحة إذ بيع سوبر تيد إلى والت ديزني ليصبح أحدث عضو



■ سوبر تيد ■

في عالم ديزني الشهير الذي قدم من قبل أشهر شخصية كرتونية في العالم وهي ميكي ماوس الذي ارتبط به ملايين الصغار والكبار في أنحاء العالم.



كما يساهم مسرح العرائس فى تنمية الإدراك الحسى عند الأطفال والإدراك البصرى عن طريق الإحساس بحركة العروسة التعبيرية وإيماءاتها وشكلها ولونها الجذاب وحجمها، كما ينمو الإدراك السمعى عن طريق الموسيقى التصويرية وكلمات الأغنية المناسبة مع المشهد.

★ ويساهم مسرح العرائس فى تنمية مدركات الطفل التى تعد ضرورة هامة فى عملية تنشئته فمما لا شك فيه أن الثقافة عملية هامة فى حياة الإنسان فهى تلعب دوراً عظيماً فى تغيير وجه المجتمع وبنائه.. وإذا كانت الثقافة تعنى الشمول للمعارف المختلفة فى شتى أنواع الخبرات الإنسانية كالخبرات الإجتماعية والعملية والفنية.. وإذا كانت الثقافة تعمل على تكوين عقلية الإنسان وتعكس الأسلوب الذى تتشكل به عاداته وسلوكه وجب علينا الإهتمام بتكوين عقلية الطفل تكويناً سليماً وكاملاً من كافة النواحى.. ومسرح العرائس قادر على المساهمة فى تقديم الثقافة إلى الطفل.

★ ولكى نقدم عملاً عرائسياً بعيداً عن المحلية علينا أن نستخدم أثناء التأليف اللغة المبسطة التى تتفق والطفل وأن نبتعد عن لهجاتنا الشعبية (العامية) حرصاً على هذا الفن من الإندثار والتلاشى ذلك لأنه يعالج قضايا حيوية تمس إحتياجات الطفل فى كل مكان، فإذا ما كتب بلغة معروفة كالعربية أو الفرنسية أو الانجليزية كان من السهل ترجمته للغة المراد التعامل معها.

المصادر

(١) فنون أطفالنا - عبلة حنفى عثمان - الطبعة الأولى - ١٩٨٠ - مكتبة النهضة المصرية.

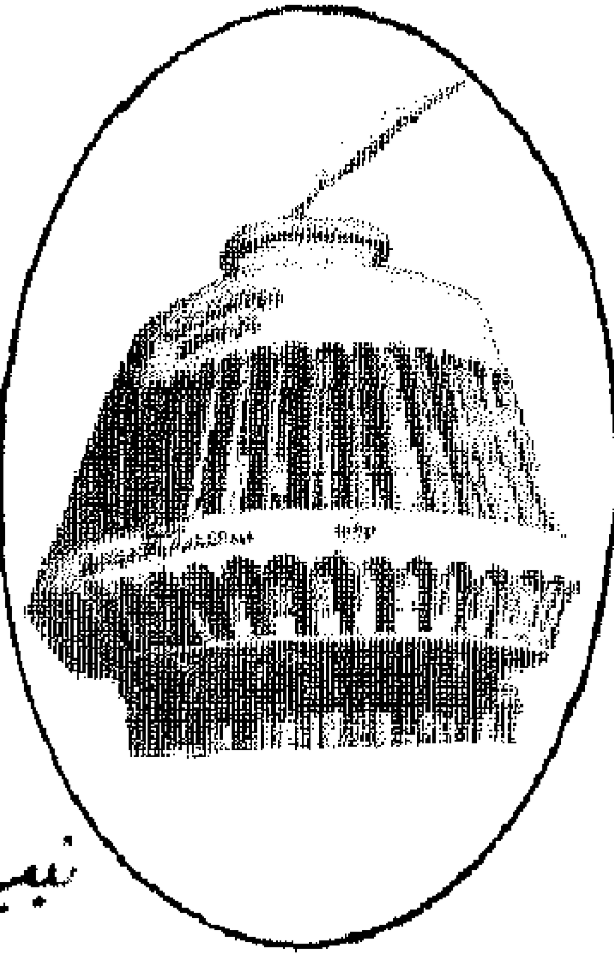
(٢) خيال الظل - عبدالحميد يونس - ١٩٦٥ - المكتبة الثقافية.

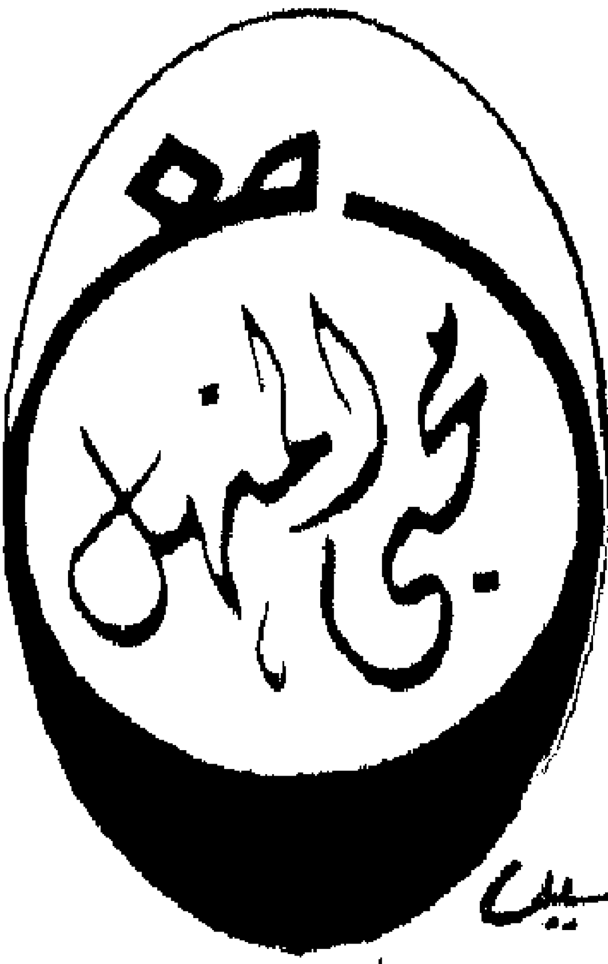
(٣) مقدمة فى دراما الطفل - بيترسليد - ترجمة كمال زاخر لطيف - ١٩٨١ - منشأة المعارف بالاسكندرية.

(٤) سينما الأطفال - أحمد فؤاد درويش - ١٩٧٩ - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

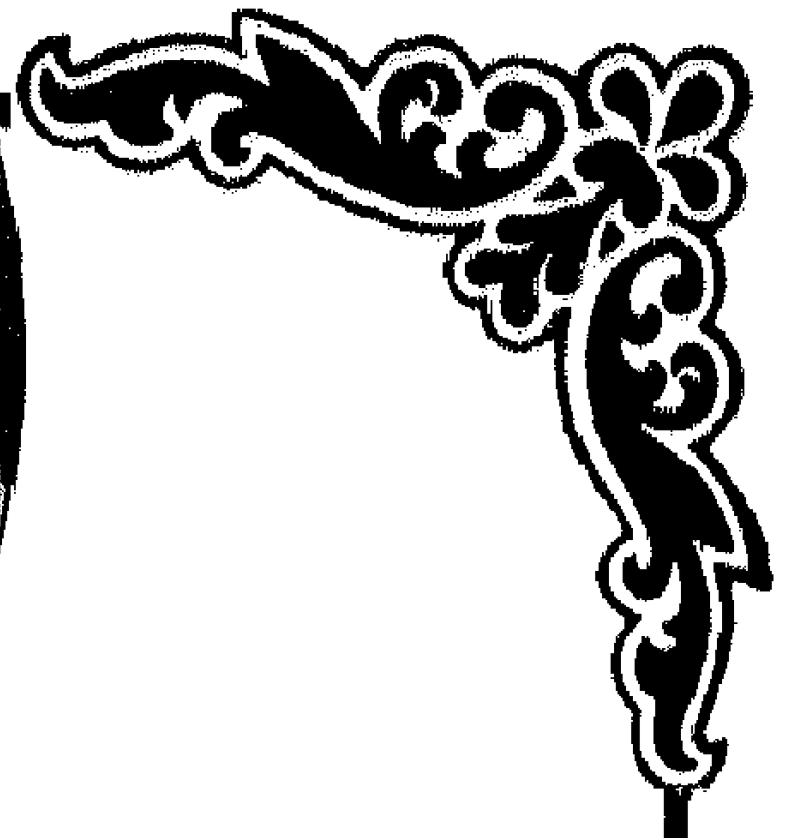
(٥) الأطفال والمسرح - محمد شاهين الجوهرى - ١٩٦٥ - الدار المصرية للتأليف والترجمة.











بسم الله الرحمن الرحيم

المحترم

سيادة الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصاري

صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فاننا قد اطلعنا على ما جاء في عدد جمادى الاولى ١٤٠٤هـ من مجلتكم المنهل والتي ورد بها صورة الرسالة التي وجهتموها للاستاذ حسين نجار في موضوع (رابطة محبي المنهل) وحيث لم تات الرسالة على النصف الآخر للذين هن شقائق الرجال، ولاننا من محبي المنهل ومتعشقي رسالته واصالته منذ حياة المغفور له مؤسسه والى مالانهاية .. ولاننا اعضاء عاملين في المجتمع كل في حقله وكل في تخصصاته سواء في مجالات رسالة الامومة والاسرة وتربية الاجيال .. أو في تخصصات تنمية الوطن واستظهار قدراته وتأكيد تعاليمه وتمتين عطاءه .. لاننا كل هذا او بعضه .. وبعد التلاقي والتنسيق المزدوج رأينا ان نتشرف بهذه الدعوة - ايضا - وان نكون البادئين الاول في الانضمام لهذه الرابطة الادبية الخيرة وسنسعى ما كلفنا الجهد والوقت لكي نكون رسل خير في محيطنا الشبابي المثقف للتعريف بالمنهل ودعم بذله الثقافي وتدعيم رسالته الفكرية التي كان من آخر استحداثاتها مجلة (هنّ) الوليدة الراقية .. وكأننا بالمنهل وقد امتدت اذرعه لنا - كعادتنا به - قبل ان نكون أحد أطره الثقافية المقترحة .

ختاما .. نأمل ان تصلنا موافقتكم الكريمة على هذا الانتساب لنمتن صلتنا بمنهلنا الرائد .

والله يرعاكم ويمدكم بالعون .. وشكرا .

عصمت احمد صادق	هويدا فوزي العقيل
جامعة الملك عبد العزيز	كلية البنات - جدة
قسم الطالبات - جدة	

★ الإنسان عطاء الخالق، والحياة رسالة الخالق للخلق، والتعرف على محتوياتها يرتكز على العلم والمعرفة .. ومن هنا تظهر ضرورة البناء العلمي والثقافي للإنسان وتوطيداً لتلك الركيزة، وتأصيلاً للثقافة وسعياً للبناء الحضاري للإنسان، يدلي المنهل دَلْوَه .. ويمد يده ويهب ويشارك ..

ويتوارد المحبون إلى منهلهم .. ونِعْمَ الوِرْدُ المورود .. فهو منهم وإليهم .. أحبهم وأحبوه .. قويت الاواصر واتصل العطاء .. منهم ومنهن ..

★ نعم، «منهنّ» شقائق البذل والنماء .. فأهلاً بهنّ رائدات يراع .. وأهلاً بهنّ حاديات ركب .

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل

الرقم ٣١٠١
التاريخ ٧/١٥
المشفوعات

• أنشئت سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٥م بالمدينة المنورة
• ثم صدرت بمكة المكرمة الى سنة ١٣٧٥هـ
• تصدر الآن بجدة - المكتب بالشرفية . شارع عرفات ٤٤

هويدا فوزي العقيل
الأخوات الكريمات سلمهن الله
عصمت أحمد صادق

بعد التحية .. لقد سعدت وأسرة تحرير المجلة ومحبوها ومقدرو رسالتها بهذه الدعوة الكريمة الفاضلة التي تناولتموها في رسالتكم بتاريخ ٧/٧/٤ .. والتي تتلخص بعد الديباجة في رغبتكن الانضمام الى (رابطة محبي المنهل) التي كانت الدعوة اليها مقترحة لطليعة الاعلام والمثقفين على حد سواء .. واقدر كل التقدير لكن هذه الاضاءة السخية بكن مجتمعات ومتفرقات تثرين حضارة أمتكن بيانها وفكرها وثقافتها للذرى الجديرة بها .. وأهلا بكن رائدات تجمع فاضل وبناة نهضة ماثلة .. ولقد سعدت شخصيا كممثل عن المنهل والمغفور له والدنا مؤسسه لهذه الاستجابة وهذه الفعالية .. ونسجل لكن هذا السبق وسيسجله التاريخ - حتما - .. فأهلا وسهلا .. ادام الله وجودكن وسدد على طريق الخير خطاكن ..

والله يكلأكن بحفظه ورعايته ..

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

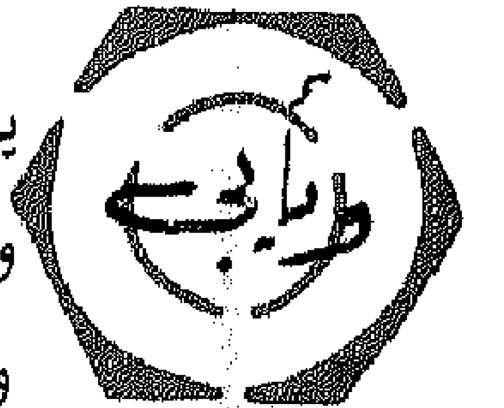

يدٌ تبني
وأيدٍ تعاهد

هذا بحث نفسي دربي جاء من
مجد العلم الرشيقة يخف وزنه ويثقل
قدره. تشعبت أطيافه وضغط مداده
فأفرز سهلاً ممتنعاً كدأبنا به مع
كاتبه الفاضل

«المنهل»

ألوان ونفسية

استعمل الانسان الألوان فى التعبير عن أحاسيسه ومشاعره منذ القدم وفى المغارات والكهوف وفى ماترك الانسان من آثار عبر تاريخه الطويل دلالات كثيرة على ذلك وللألوان لغة تتجلى أبدع مظاهرها فى ما يحيط بنا من كائنات حية فكثير من الأشجار والأزهار والأطيار والأسماك والحشرات تتجاوب بين بعضها البعض وبينها وبين عوالم اخرى بوسائل اتصال عديدة واحد منها الألوان.



علماء الكيمياء والطبيعة أن يتركونا نعيش مع الألوان فى عالم الشعر والخيال إنما هم يدخلونها الى معاملهم ومختبراتهم ويغلقون من وراءها الف باب ويخضعونها للدرس والتحليل ويقولون لنا فيما يقولون ان هناك الوانا أساسية هى الاحمر والاخضر والأزرق والبنفسجى وبخلط هذه الالوان بمقادير متفاوته تتكون بقية الألوان. وهم يعتدون على حرمة ضوء الشمس الساطع فيشرحونه الى اجزاء عبر منشور زجاجى تخرج منه الوانٌ سبعة هى إلوان الطيف. وهم يقسمون الالوان شيعا وطوائف فهناك الالوان الدافئة (الاحمر والاصفر والبرتقالى) والالوان الباردة (الازرق والاخضر والارجوانى) والالوان المحايدة (الابيض والاسود والرمادى).

ويحشر علماء البيولوجيا أنوفهم فى الموضوع فيقولون لنا ان الالوان ليست الا اطياف تتخيلها اما فى حقيقة الامر فهى اشعاعات تختلف فى اطوالها تلتقى على شبكية العين وهذه بدورها ترسلها فى ذبذبات عصبية إلى مراكز الرؤية فى الدماغ فتترجم الى الوان.

ولا يترك علماء النفس والمحللون النفسيون المجال بدون ان يدلوا فيه بدلوهم فتراهم يخضعون الالوان لتجاربهم يحاولون ان يعرفوا مدى تأثيرها على النفس البشرية وهم فى هذا المجال مزاعم شتى نورد هنا بعضا منها:

د. زهير أحمد السباعي
عميد الدراسات الطبية
العليا القوات المسلحة



الطيف لضيف

■ **اللون الأزرق:** هو لون السماء ولون المحيطات والبحار يوحى للنفس بالسعة والانطلاق ويضفى عليها إحساسا بالصفاء والهدوء.

■ **واللون الأخضر:** لون الحقول والربيع يعطى احساسا بالحياة والامل.

■ **واللون الابيض:** فيه صفاء وفيه عذرية وفيه استسلام ودعه.

■ **واللون الأصفر:** لون الذهب تجتمع فيه معانى الثراء والقوة والغيرة.

■ **أما اللون الارجوانى:** فيرمز للسلطة والقوة.

■ **واللون القرمزى:** يعطى احساسا بالذات وبالتفوق الا ان المبالغة فيه قد تؤدى الى شعور بالانقباض والعزلة.

■ **واللون الأحمر:** لون اللهب والضياء فيه دفء ويوحى بالحيوية والطاقة ومن هنا يحمل البعض فى سترته وردة حمراء. أما قضية الثور الذى يهيجه اللون الاحمر فلا تصدقوها فالثور يجمع الى غبائه عمى الألوان.

■ **وننتهى باللون البرتقالى** فهو عند الكثيرين لون البهجة والحبور.

والمعانى والاحاسيس التى توحيها الالوان للانسان ليست مطلقه وانما هى نسبية ترتبط الى حد بعيد بتجارب الانسان فى الحياة. فاللون الاصفر فى زهرة يعكس فى النفس إحساسا مغايرا لما تعكسه جدران مقبرة صفراء.

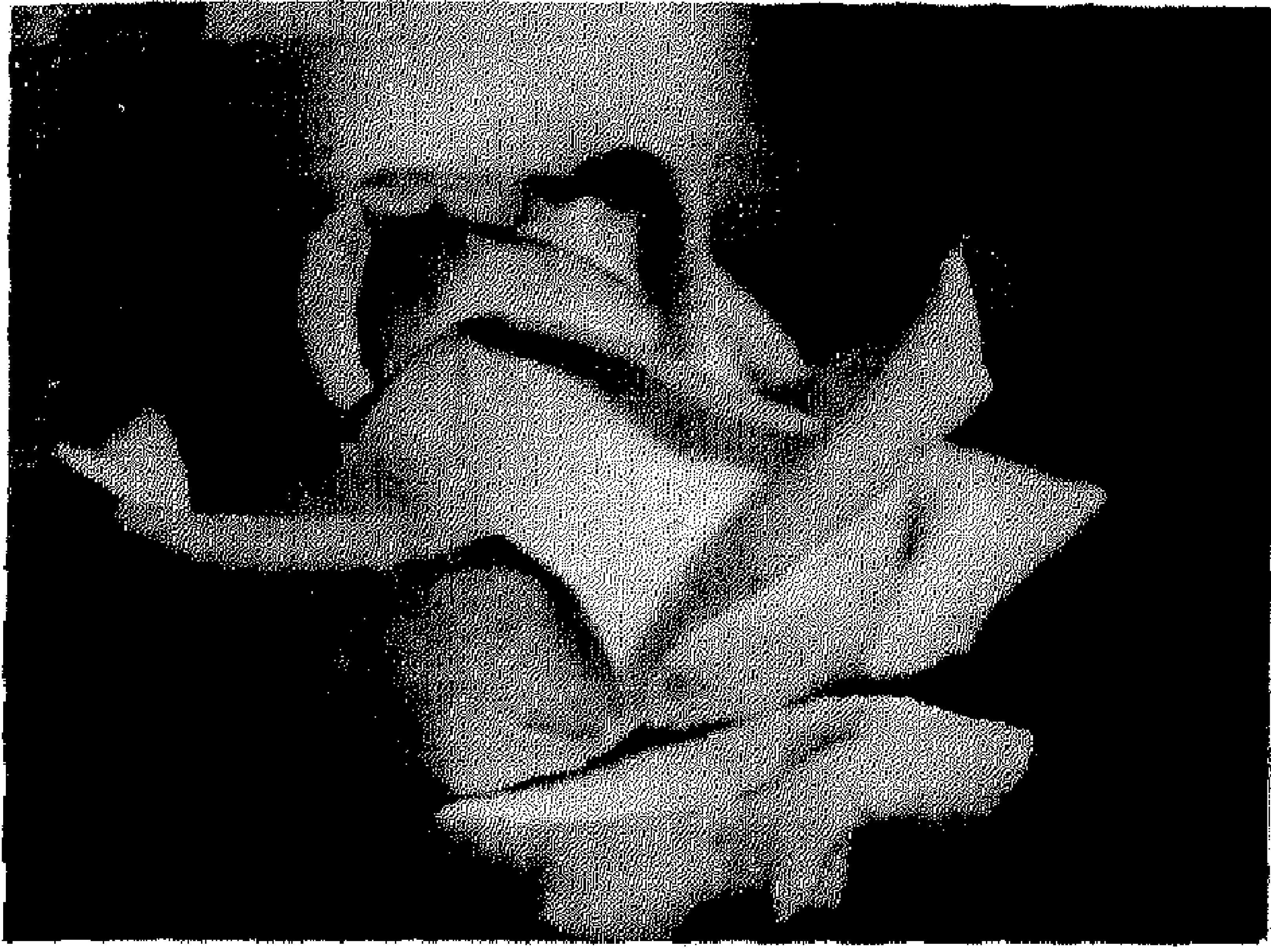
كذلك ترتبط الالوان فى كثير من الاحيان بما تواضع عليه الناس من عادات وتقاليد. فاللون

الأسود يرمز للحزن والاسى فى ملابس امرأة مات زوجها وهو فى نفس الوقت يرمز للجاه والسلطه فى ملابس رجل عظيم فى قومه. وفى الوقت الذى نجد فيه اللون الأسود لون الحداد عند شعب من الشعوب نجد اللون الأبيض هو لون الحداد عند شعب آخر. واذا كان اللون الأصفر يرمز به للجبن والخوف عند سكان امريكا الشمالية فهو رمز الجرأة عند بعض شعوب شرق آسيا.

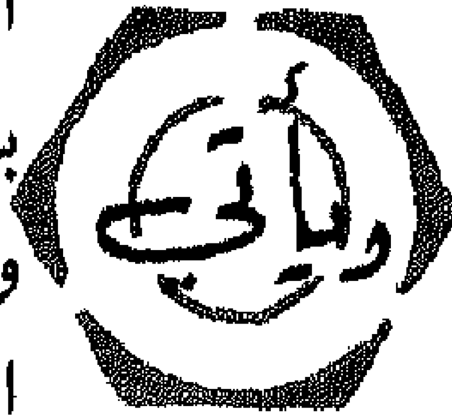


دلالات متباينة عند البشر إذا ما اقترنت بمظاهر للطبيعة. فالسماء الزرقاء الصافية تعنى يوما مشرقا جميلا لساكن المدينة فى حين أن السحب الداكنة تنذر بيوم مطير غير أنها تحمل للفلاح الأمل فى سحب ممطرة تسقى زرعه.

واللون الاحمر يشع بهجة واشراقا فى زهرة البنفسج ولكنه يبعث على الخوف والرعب اذا ما تمثل فى دم ينزف من جريح. والفنان القدير قد يمزج لك بضعة الوان على لوحة ثم يضفى عليها شيئا من الظلال فاذا هى تنبئك بهدوء البحر أو زمجره العاصفة أو صخب المعركة. والانسان لا يقف فى تأثره بالالوان عند إحساسه بالجمال أو ما تضفيه عليه من مؤثرات نفسية وانما هو احيانا يتحسس للألوان كما يتحسس للروائح او اصناف الطعام والحيوانات والحشرات والاسماك تستخدم الالوان فى نداء الغريزة وفى اكثرها نجد أن الذكر هو الذى يزهو بألوانه الصارخة ويقرنها فى احيان كثيرة بحركات راقصة فى محاولة لاجتذاب أنثاه. وفى عالم النبات تجتذب الزهور الحشرات والطيور بالوانها المشرقة لكى تنقل بينها حبيبات الإخصاب. وللالوان لغات مختلفة فى عالم الأحياء فبعض الاسماك تستخدم الالوان لتحدد بها مسار



المجموعة أو تدل بها على غذاء أو تحذر بها من عدو. وبعض الحيوانات البرية تغير الوانها حتى تتلاءم مع البيئة المحيطة بها فتهرب من عدو أو تستعد للانقضاض على فريسة وتأتى بيوت الازياء فتستفيد من لغة الالوان هذه بما تضيفه من خطوط ومنحنيات فيميس قد السمينه وتطول القصيرة ورحم الله ذات الخمار الأسود التى شغلت العابد عن عبادته او قل رحم الله شاعرنا الذى خلد خمارها الاسود.



المهندسون المعماريون فيهبطون بشاعرية الألوان الى واقع الحياة فقد وجدوا فى الألوان اسراراً فالألوان الزرقاء والخضراء والبيضاء تضفى على المكان إحساسا بالسعة والالوان الفاتحة خاصة الأزرق والأخضر تعين الانسان على الاسترخاء والألوان الصارخة خاصة الاصفر والقرنفلى تشد أعصابه وتصيبه بالتوتر ووجدوا أن اللونين الأحمر والبرتقالى يشعان بالطاقة والحيوية فهما أنسب ما يكون لان تطلى بهما الغرف التى ينساب إليها ضوء الشمس من جهة الشمال والشرق أما الألوان الأزرق والأخضر والأرجوانى فتضفى مسحة من الهدوء على الغرف التى تواجه الغرب والجنوب. وفى كثير من المستشفيات إستبدل اللون الابيض باللون الاخضر وفى المدارس تتحول السبورات السوداء الى مساحات خضراء للكتابة.

ألم أقل لكم إن للألوان لغة . .

الآثار النفسية والسلوكية للموسيقى

متابعاتها وابتداعاتها

للأستاذ / رشيد بن الطيب
" المغرب "

عندما رفع الإنسان رأسه من شباك الوجود وترسم على وجه الأرض، كان حينذاك فى الكهوف والجبال يلتقط لقمة عيشه كما تلتقط الحيوانات لقمة عيشها، وباشتراك الإنسان بتلك الحيوانات أخذ يصورها ويسجل أصواتها من جميع أشكالها وأنواعها حتى تعرف على معالم طبيعته.

وكثيرا ما يتجلى ضميره متأثرا بالأصوات التى تغزوه فى نفسيته فأصبح يتقرب اليها حتى صار مولعا مترنما بنغماتها وألحانها ومعجبا بتلك الأصوات العذبة من الزقزقة والغرغرة وحفيف الأشجار وخرير المياه بل بكل ما فيه من رقة وعاطفة توافق النفس حيث إن النفس والأعصاب البشرية لا يتفاهمان إلا بأسلوب رقيق حنين مطرب حيث تثلج الأعصاب وترطب الأنفاس.. وهناك ما يعاكس هذه الاصوات التى تثور لها الأعصاب وتصطك لها الأنفاس..

تلك هى الأصوات الكريهة المخيفة المزعجة التى ترتكز باسلوب وحشى والتى تعتبر من دواعى الجبن والمهانة.

فالفضل يرجع إلى الصوت الحسن الجميل المبدع المحمس الذى خلق جاذبية عند المستمعين اليه والمطربين به والملحنين له.

ومن خلال المعرفة توالت أطوار وأطوار فى الحضارة الإنسانية كما تتطور وسائل الموسيقى عند الشعوب حتى صنعوا آلات متطابقة مع الأصوات المطربة فتمركزت عند الإنسان فنا هو أروع ما فى الفنون.

ومن خلال تعرفنا على الأصوات لاحظنا أن للصوت نوعين:

صوت مخيف به الجبن والذل والضعف مما يفقد الاعصاب.

صوت ممتع حنين رطب يلاطف الأعصاب عكس الاول ويبقى الثانى الذى به الفضـ حيث يملك عنصرين حيويين.

صوت يمتاز بالشجا بعد العاطفة من خلال الاستماع إليها بالتعمق والتأمل فى أجواء نغماتها التى تخلق نوعا من الحماس وشدة فى الحواس.

وقد يكى ما سر جويه (أحد الأطباء الفرس) من قراءة ابى الخوخ، فقيل له: كيف يكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ قال: أبكانى الشجا.

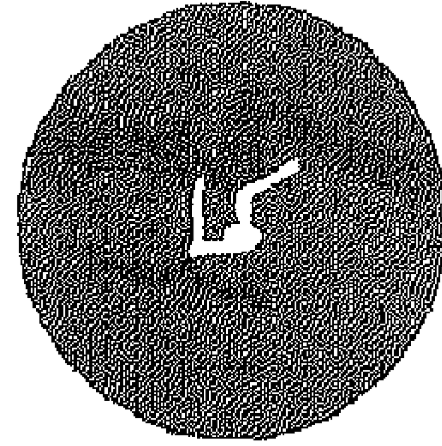
وصوت يمتاز بالغلظة فى ذبذبتها وأسلوبها المنطقى حيث تثور الأعصاب وتتسم الأنفاس من خلال تعمق السامع اليها، ويأتى هذا الجو بعد تفرغ العقل من جميع ما يحتويه من مشاكل بل وكأنه تلقح بمخدر فى ضميره فيصبح ساعتئذ غامرا فى عالم الموسيقى التى يناشدها، واثباتا على ذلك آنذا نجد هذه الحالة قد عمت فى معظم الموسيقيين الذين يتعاملون بهذه الموسيقى.

ومن هذين العنصرين تتركب نوعية الموسيقى الطربة الاستماع والاستمتاع، وعليها قالوا أهل الطب ان الصوت الجميل هو الدواء الشافى لتهدئة الأعصاب من الثوثرات والاضطرابات النفسية، حيث يجرى شعاع الموسيقى فى الجسم مجرى الدم فى العروق فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب، ولهذا كرهوا واشترطوا على الطفل أن لا ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويطرب.

فتأثير الموسيقى فى النفوس يبقى له أثر فعال حيوى به تنشغل الضمائر وتتفتح القلوب وتترنم النفوس بالابتسام والسرور المنعم.

يقول أفلاطون: «من حزن فليسمع الأصوات الحسنة فإن النفس إذا حزنت خمدت نارها فإذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد وليس هناك شىء مما يستلذ به أخف مؤونة من السماع»

فالموسيقى أذن لابد لها من علاقة بالنفس كما ان للنفس علاقة بالموسيقى وكل منهما لا يفرط عن الآخر.. ومن هنا نلاحظ أن هناك جاذبية فى هذه العلاقة كما أن بها شعاعا عاطفيا يقدم عروضا ممتعة للنفس.. وعن هذه العاطفة يقول طه حسين: «هناك هذه القطع الموسيقية التى تبعث فى نفسك شيئا من الحنان والرحمة، ومن الطمأنينة والدعة، لا أستطيع ان أصفه، ولا يستطيع انسان ان يصفه، لان وصفه وان لم يتح للجمل والالفاظ، وانما أتيح للانغام والالحان وحدها».



ان للموسيقى حضارة وتاريخ فالعالم ملىء بالثقافات والفنون المختلفة والمتنوعة فى الاشكال والمظاهر الطبيعية فكل قوم وله طبيعة مطابقة لحضارته كذلك الموسيقى فهى أشكال وأنواع لا تتساوى ولا تتشابه فى معناها وشكلها المنطبق عند تلك الشعوب.. لذا يجب أن نقول أن الموسيقى تنطبق اشكالها مع الحضارة التى ركزتها وسايرتها نحو بيئتها، وقديما قيل ان لكل شعب لغة يحبها ونغمة يلتذها وطعاما يشتهيه، ومن هنا يثبت ان الموسيقى من أنواع الحضارة التى تصور حضارية المعنى وتاريخية المبنى.

وليس شعاع الموسيقى متصلا بنفسية الإنسان فحسب بل حتى الحيوانات لها مثل ما لدى الإنسان من علاقة بالموسيقى وفى هذا يقول الجاحظ:

«زعموا أن المساكين بنواحى العراق يبنون فى جوف الماء حفائر ثم يضربون عندها أصوات شجية فيجتمع السمك فى الحفائر فيصيدونه ومما يدل أيضا على تأثر الحيوانات بالصوت الحسن أن الإبل تزداد نشاطا وقوة بالحداء فترتفع اذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر فى مشيتها، والراعى اذا رفع صوته ونفخ فى يراعته تلقته الغنم باذانها وجدت فى رعيها، والدابة تعاف الماء فإذا سمعت الصفير بالغت فى الشرب».

تطالعنا الأخبار التى ترد لنا من انحاء العالم عن ظهور نظريات «حديثة» لاستخدام الموسيقى فى مجالات جديدة فمثلا سمعنا عن نظرية تقول «إن الموسيقى تزيد الانتاج» من ذلك أن أحد المصانع اكتشف ان انسياب الموسيقى الهادئة خلال ساعات العمل يحفز العمال على زيادة نتاجهم.. وسمعنا عن نظرية تقول بان «الأبقار» يزيد انتاجها من اللبن اذا استمعت الى الموسيقى وأن بعض المزارع تضع «مكبرات للصوت» تطلق الموسيقى الجميلة

بين الأبقار وهى ترعى.

ولماذا

نذهب بعيدا فهناك العديد من المطاعم والمحلات العامة تطلق الموسيقى الهادئة عبر المكان باعتبار ان الموسيقى «غذاء للعقل والروح». . سمعنا عن كل هذا من علماء الغرب الذين يتباهون بهذه الاكتشافات والنظريات الحديثة. . ولكن دعونا نسأل هل سمعتم عن استخدام الموسيقى لعلاج المرضى؟.

إذا لم يكن علماء أوربا وأمريكا وكل علماء الحضارات الغربية قد سمعوا عن هذا! فدعونا نقول لهم إن المفكر والفيلسوف والطبيب العربى يعقوب الكندى قد اكتشف استخدامات عديدة للموسيقى منذ أكثر من الف ومائة سنة ومنها استخدام الموسيقى لعلاج المرضى.

فالكندى: هو أول عالم من العرب يقتحم ميادين الطب والهندسة والحساب والفلسفة والموسيقى وبدأ يمهد للعلماء المسلمين دخول هذه الميادين ليرتفع شأن الأمة الإسلامية، وللكندى أكثر من عشرين كتابا فى الطب والعديد من الكتب فى العلوم الاخرى.

كيف استخدم الكندى الموسيقى فى علاج المرضى؟. . لذلك حكاية طريفة دعونا نسمعها:

كان يسكن فى بيت مجاور لبيت الكندى تاجر غنى جدا وكان هذا التاجر على كثرة ماله وغناه - يحسد الكندى على علمه واتساع صيته بين الناس، وفى يوم مرض ابن هذا التاجر وراح فى غيبوبة طويلة فاستقدم التاجر أمهر الأطباء وأجزل لهم العطاء وقدموا للمريض أغلى الأدوية ولكنه لم يشف من مرضه ولم يبرأ من علته، واستحضر التاجر العديد من الأطباء من كل البلاد بلا فائدة، ولما يئس التاجر من شفاء ابنه جلس يبكى. .

- فسأله صديق له: لماذا تستدعى كل هؤلاء الأطباء وبجوارك الكندى أبو الأطباء ومعلمهم؟.

- فقال التاجر: والله. . إنى أسأت إليه كثيرا بحسدى له وحقدى عليه. . ولا اظنه يحضر إن دعوته. .

- فقال الصديق: فلنجرب. . وأرسل التاجر للكندى فحضر على الفور وفحص الفتى المريض بالأدوية التى كان يعالج المرضى بها، ووسط دهشة الجميع امر باستدعاء أربعة من أمهر عازفى الموسيقى فى ذلك الزمان وطلب منهم الكندى ان يعزفوا بعض الألحان التى دلهم عليها، وظلوا على هذا الحال نحو ساعة أو تزيد والكندى يصدر لهم تعليماته. . وزادت دهشة الجميع عندما بدأ المريض يفيق تدريجيا حتى جلس وتحدث الى أبيه.



إنها

الموسيقى تلك النغمات الحلوة العذبة التى تطعم النفس بالدواء المنعم الهادىء والتى تسربت فى أجهزته النفسية. ومن هناك نلاحظ ان العرب أول من اكتشف اسرار الموسيقى وبالتالى وضحوا وجودها وتأثيرها فى النفوس. . والدليل على ذلك ألقى نظرة على الموسيقيين العرب مثل: زرياب إبراهيم الموصلى، صفى الدين عبد المؤمن الأرموى والكندى. . فمن وراء هؤلاء الموسيقيين أحداث وحكايات توالت عن ظهور الحضارة العربية فى الموسيقى. . والأثر عندنا فى الطرب الاندلسى انه لمن أصل تاريخه وبه طابع أصيل يرى منه النماذج العربية الحضارية والجذور التاريخية.

د. عبدالهادي الفضلي
أستاذ مشارك بقسم اللغة العربية
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة

تمازج اللغة

لكل علم مصطلحاته التي تختص به وتسهم في إعطائه الفارق المميز بينه وبين العلوم الأخرى وبخاصة تلكم التي تشترك معه بوجه ما، كالذي بين علمي النحو والصرف والذي بين علمي التجويد والقراءات.

وتلكم المصطلحات في الغالبية منها ألفاظ ذات معانٍ لغوية حُمّلت معاني علمية بينها وبين المعاني اللغوية صلة قرابة ومناسبة.. وقد تكون ألفاظاً مرتجلة لا معاني لغوية لها وحملت من البدء معانيها العلمية.

ولأن المصطلحات في أغلبها هي ألفاظ ذات معانٍ لغوية كان بين معانيها العلمية والمعاني اللغوية تمازج دلالي استدعى العلماء والباحثين أن يقوموا بموازنة دلالية بين المدلول اللغوي والمدلول العلمي.

ونلمس أمثال هذه الموازنات الدلالية جلية في العلوم الشرعية والأخرى اللغوية أمثال: التفسير والحديث والفقه وأصوله والنحو والصرف والبلاغة والعروض وما إليها.

فترى الباحث في أيٍّ من هذه العلوم المذكورة وأمثالها يبدأ بدراسة الدلالة اللغوية للمصطلح العلمي، وينطلق منها إلى تبيان وبحث الدلالة العلمية للمصطلح مقارناً بين الدلالتين بتوضيح ما بينهما من صلة أو مناسبة.

فمثلا: نرى الفقيه أو الباحث الفقهي يبدأ ببيان ما لكلمة (الفقه) من مدلول لغوي ثم يثني ذلك بتعريف الفقه علمياً أي بإيضاح ما لمصطلح (الفقه) من مدلول علمي، وبعد هذا يقوم بعمل مقارنة بين الدلالتين اللغوية والعلمية للكلمة موضوع البحث ليتعرف من خلال المقارنة ما بين المدلولين اللغوي والعلمي من عموم وخصوص وما يشبه هذا مما يقوم بدور ايضاح العلاقة أو المناسبة القائمة بينهما.

ومن هنا كان اقتراح المجلة أن يبحث المقال موضوع (تمازج اللغة بفن مصطلح الحديث اللفظي).

بغية مصطلح الحديث اللفظي

وقيد العنوان المذكور بعبارة (اللفظى) لأن علم الحديث لا يقتصر فى بحثه على دراسة الألفاظ العلمية التى تختص بأقسام الحديث والتى يتعارف عليها فى علم الحديث بـ (**مصطلح الحديث**) وإنما يتعداها الى دراسة صفات الراوى وآداب الرواية وكيفية ضبطها والإسناد وما يتعلق به ومعرفة الرواة وما الى ذلك .

كما أن (فن مصطلح الحديث) قد يعمم - من باب التجوز أو من باب التعارف والتواضع - إلى ما يشمل علم الحديث بكامله ومختلف محتوياته .

والتمازج اللغوى يأتى فيما يطلق عليه عنوان (مصطلح الحديث) . وهو ما يعرف أيضاً بـ (أقسام الحديث) ، وهى الألفاظ ذات المدلولات اللغوية ، التى أضيفت إليها المعانى العلمية الحديثية .

وفى ضوئه فالتقييد بعبارة (اللفظى) جاء مشيراً الى هذا .

ومن المفيد أنه أشير تمهيداً للموضوع أيضاً الى نقطة أخرى ، هى أن المصطلحات العلمية تشكل نمطاً لغوياً خاصاً فى حضارات الأمم ، وذلك لأن الأمة المتحضرة تملك فى رصيدها اللغوى نمطين أو مستويين من اللغة هما :

١ ـ *اللغة الإجتماعية :*

وهى لغة التفاهم والتخاطب بين أبناء المجتمع بصفتهم أفراد مجتمع .

٢ ـ *اللغة العلمية :*

وهى الألفاظ ذات المداليل العلمية التى تتداول وتدور فى حوار أبناء العلم بصفته حواراً علمياً .

وبين هذين المستويين اللغويين تمازج دلالى قد يضيق وقد يتسع ، وفى حالتى التضييق والتوسع تبقى الجذور الغائرة فى تربة اللغة واحدة .

ومن المفيد أيضاً أن أشير إلى نقطة ثالثة ، وهى ما قد يعد مفارقة منهجية فى إعداد معجماتنا اللغوية المتداولة بين الأيدى ـ قديمة كانت أو حديثة ـ وهو ما نجده فيها من خلط فى عرض المادة اللغوية بين المستويين الاجتماعى والعلمى .

إن نهج التأليف المعجمى - فيما أرى - يتطلب التفرقة بينهما بالفرز بين موادهما .

فتتخصص المعجمات اللغوية بعرض مادة اللغة الإجتماعية مقتصرة عليها .

وإلى جانبها تقوم المعاجيم العلمية المتخصصة بعرض مادة اللغة العلمية مقتصرة عليها .

وإن كان لا إنكار فى أننا نجد الآن نهضة تأليفية موفقة لإعداد المعجمات العلمية . . ولكننا ـ ولا إنكار فى ذلك ـ نجد فيما تفرزه المطابع من معاجيم لغوية عامة شيئاً من الخلط الذى أشرت اليه ، وهذا يعنى أن الخلط لا يزال قائماً حتى فى التأليف الحديث .

أعود لأكون مع موضوع المقال بغية تبيان التمازج اللغوى بين لغتنا الإجتماعية ولغة علم الحديث فى حدود ما يتسع له رحب المقال كما قلت .

رأيي ما نلتقيه هنا من تمازج بين اللغة (وفن مصطلح الحديث) هو التمازج الماثل في أول كلمة في عنوان هذا العلم وهي كلمة: (فن).

إن ما ذكر لكلمة (فن) من معانٍ في المعجمات العربية - في حدود مراجعاتي - لا يخرج عن إطار ما يلي:

١- النوع . الأسلوب . الصنعة .

وهي المعاني اللغوية لكلمة (فن).

٢- جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة(١) كما في مثل: فن الصيد، فن الحلاقة، فن الطهي، فن النجارة . . الخ .

٣- مهارة يحكمها الذوق والمواهب(٢) كما في مثل: فن الخطابة، فن الشعر.

٤- أ - تعبير خارجي عما يحدث في النفس من بواعث وتأثرات بواسطة الخطوط أو الألوان أو الحركات أو الأصوات أو الألفاظ(٣)

ب - جملة الوسائل التي يستعملها الانسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال(٤).

ويصدق هذا على (الفنون الجميلة) خاصة كفن الخط، وفن الرسم، وفن الرقص، وفن الغناء، وفن الموسيقى، وفن التصوير.

٥- الطاقة التي يتميز بها الانسان الموهوب وتساعده على أن (يبدع) من خلال عمله الواعي، وأحياناً اللاواعي، أشياء لم توجد (في) الطبيعة ولا يكون همه فيها مراعاة الأخلاقية، بل يحاول توليد إحساس رهيف بالجمال(٥).

ويعني التعريف بالطاقة هنا - أو ما يسميه القدامى بالملكة - عنصر الإبداع في نفس الانسان الموهوب.

٦- التطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها(٦)

٧- جملة الوسائل التي يتوصل بها الذكاء البشري الى نتائج تطبيقية (التقنية المتطورة). (٧)

«وهذا المفهوم يتعارض مع العلم الذي يعتبر جهداً إنسانياً للاطلاع النظري»(٨)

٨- تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة فيرتفع به الى مثل أعلى، تحقيقاً لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الأكمل. تلذيذاً للعقل والقلب(٩).

هذه هي أهم المعاني التي ذكرت لكلمة (فن) في المعاجم العربية .

وبغية أن نتعرف المدلول الذي يصدق عليه لفظ (فن) في موضوع المقال، علينا أن نقارن أولاً بين المداليل المذكورة لكلمة (فن)، ثم ننتقل الى تعرف المصداق لكلمة (فن) في موضوعنا .

والمقارنة أو الموازنة - هنا - تنتهي بنا وبوضوح الى النتائج التالية:

١- المعاني تحت الرقم -١- هي المعاني اللغوية الإجتماعية للكلمة.

٢- المعنى تحت الرقم -٢- صريح بأن الفن (أداة)، وكذلك المعنى في الرقم -٦- مع فارق بينهما هو أن الأداة في الرقم -٢- قد تكون فكرية، وقد تكون مادية، وفي الرقم -٦- هي مادية فقط.

٣- وفي الرقم -٣- الفن هو السلوك الخاص لدى الإنسان الموهوب الذي يتمثل في القدرة الخاصة لديه.

وهو هنا صفة للفنان نفسه، وكذلك في الرقم -٥- الذي يقول إن الفن هو قدرة خاصة يملكها الفنان تساعده على الإبداع.

٤- وفي الرقم -٤- الفن هو النتاج الفكري أو المادي المعبر عما في النفس من انفعال أو معاناة.

٥- وفي الرقم -٦- الفن هو تطبيق عملي، وكذلك في الرقم -٨- مع فارق بينهما هو أن التطبيق الأول تطبيق في مجال العلم، والثاني تطبيق في مجال الإبداع أو عالم الجمال.

٦- وفي الرقم -٧- الفن أداة أيضاً وهي كذلك قد تكون نظرية وقد تكون مادية، والفارق هنا هو أن الانسان يتوسل بها الى الوصول الى النتائج التطبيقية في مجال التكنولوجيا، لا في مجال العلم الذي يتطلب عادة جهداً فكرياً.

والملاحظ على هذه التعاريف هو اختلاف معنى الفن فيها اختلافاً بيناً، فمرة الفن أداة، وأخرى نتاج، وثالثة عمل، ورابعة وصف.

وتقديري أن هذا الاختلاف جاء بسبب الخلط الذي أشرت اليه، فلو أننا وضعنا كل معنى من هذه المعاني العلمية لكلمة الفن في ما يخصه ويرتبط به من

المعجمات العلمية المتخصصة لما حصل هذا الاختلاف الذى نشاهده فى هذه التعريفات.

وأخيراً اذا أردنا أن نلتمس المعنى الذى يلتقي وكلمة (فن) فى موضوعنا ويأتى مدلولاً علمياً لها لا يعدو أن يكون هو التعريف القائل بأن الفن هو جملة القواعد الخاصة بحرفة أو صناعة.

إلا أن هذا يتطلب منا أن نعمم كلمة (صناعة) فى التعريف الى ما يشمل (العلم).

وإذا لم نستطع التعميم لابد لنا من التماس تعريف آخر يلتقى ومفهوم كلمة (فن) فى موضوعنا.

وقد يكون أقربها الى ذلك التعريف القائل بان الفن هو التطبيق العملى للنظريات العلمية، الذى قد يرى فى النظر الابتدائى منطبقاً على كلمة (فن) فى موضوعنا.

إلا أننا اذا تعمقنا فى النظرة نراه هو الآخر لا يصدق على كلمة (فن) هنا لأنها تعنى وبوضوح ما تعنيه كلمة (علم) والعلم هو النظريات وليس تطبيقها.

وإلى هنا وبعد قصور التعريفات السابقة وعدم صلاحيتها للانطباق على كلمة (فن) عندنا أرى أن نضيف لمعانى كلمة (فن) معنى آخر نستخلصه مما درج عليه الاستعمال العلمى أو العرف العلمى فى مرادفة كلمة (فن) لكلمة (علم) فى أمثال قولهم: فن النحو وفن المنطق وفنون البلاغة وفن العروض.. الخ.

وذلك المعنى الذى يصدق هنا هو (العلم التطبيقى) لأن مرادفة فن له من الجلوة بمكان، فنقول: الفن يعنى فى بعض مداليله واستعمالاته (العلم التطبيقى).

وأعنى بالعلم التطبيقى هنا العلم المشتمل على قواعد وأصول يقوم الإنسان بتطبيقها فى سلوكه، مثل:

علم النحو الذى هو قواعد يطبقها الإنسان فى سلوكه النطقى.

علم المنطق الذى هو قواعد يطبقها الإنسان فى سلوكه الذهنى.

علم الطب الذى هو قواعد يطبقها الإنسان فى سلوكه العلاجى.

علم الصحة الذى هو قواعد يطبقها الإنسان فى سلوكه الوقائى.. وهكذا.

وذلك لأن فن مصطلح الحديث هو الآخر مجموعة من القواعد يطبقها العالم المسلم فى سلوكه التقنينى للتأكد من صحة مصدر التشريع أو التقنين، وبتعبير أوضح وأصح للتأكد من صحة نسبة الحديث الى الرسول الأعظم ﴿ﷺ﴾.

وثانى كلمة تلتقينا فى هذا التمازج هى كلمة:

« **مصطلح** »:

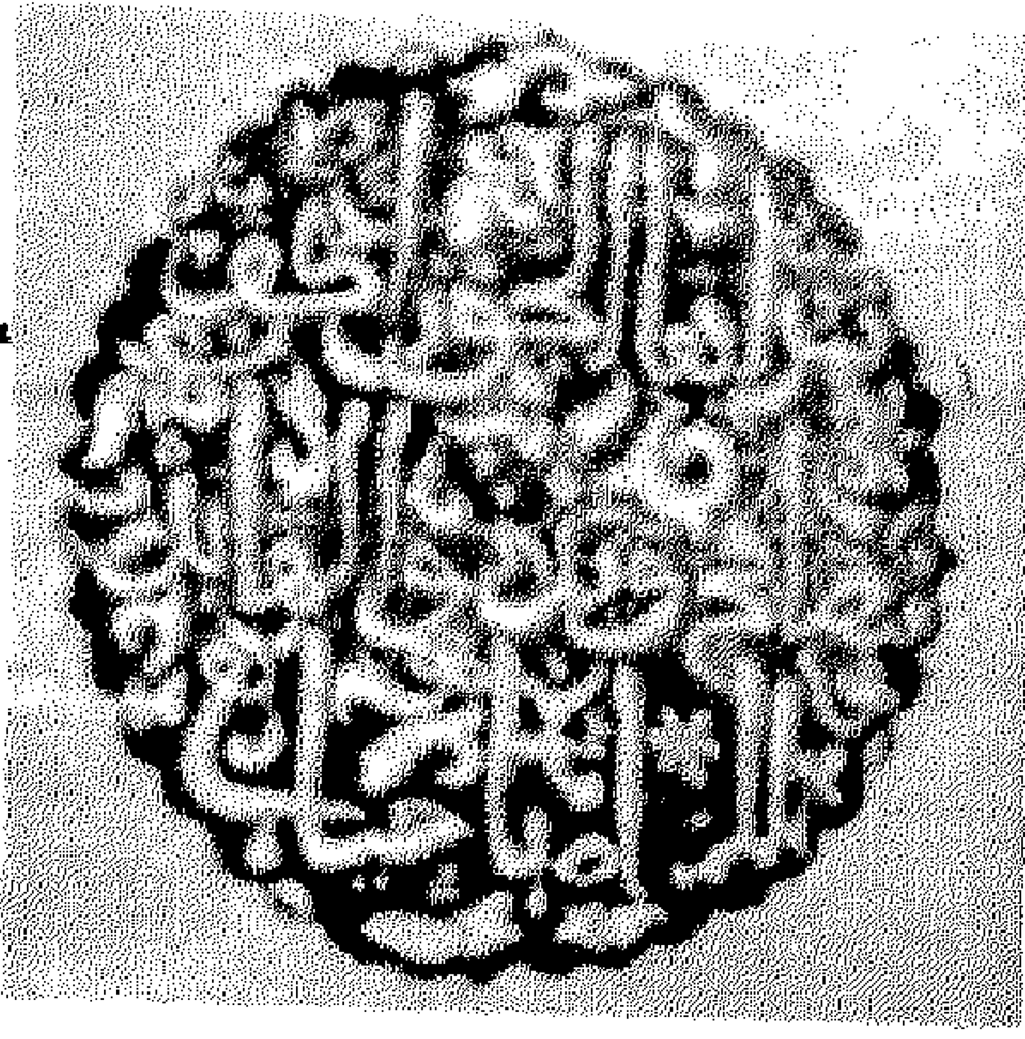
وقد جاءت كلمة (مصطلح) من حيث الصياغة أو البناء الشكلى على زنة (مفتعل) ـ بفتح العين وقلب التاء طاء ـ وهذا الوزن تتقولب فيه اسماء المفعولين المأخوذة من الافعال التى هى على وزن (افتعل) ـ بالبناء للمفعول ـ وتتقولب فيه المصادر الميمية المأخوذة من الأفعال على صيغة (افتعل) أيضاً.

وعلى اعتباره اسم مفعول لابد من استعمال حرف الجر (على) معه لأنه مأخوذ من الفعل اللازم (أصطلح) الذى لا يتعدى إلا بحرف الجر، يقال: (أصطلح على كذا) نظير (اشترك) و(مشترك) اللذين يقال فيهما: (أشترك فيه) و(مشترك فيه). ولكنه استغنى معه عن ذكر الجار ومجروره لأجل التخفيف والاختصار بسبب كثرة الاستعمال.

وعلى اعتباره مصدراً ميمياً يرادف كلمة (اصطلاح) المصدر غير الميمى ـ ويستعمل بها له من دلالتين: الدلالة المصدرية التى تعنى ممارسة الفعل، والدلالة الاسم المصدرية التى تعنى نتيجة الممارسة أو الفعل.

فيأتى اذا أريد منه اسم المصدر مرادفاً لكلمة (مصطلح) فيقال: هذا اصطلاحهم، أى نتيجة اتفاقهم، أو ما اتفقوا عليه، وهو معنى عبارة (المصطلح عليه) بعينه.

وعلى هذا فكلمة (مصطلح) فى (فن مصطلح الحديث) تعنى ما اصطلح عليه سواء أريد بها اسم



المفعول أو اسم المصدر.

وهي من حيث المعنى لها دلالتان: إحداهما دلالة ما قبل وضع العلوم عند العرب، والأخرى دلالة ما بعد وضع العلوم عندهم.

وفي الأولى تؤدى الكلمة المعنيين التاليين:

أ ـ اذا استعملت لازمة، أي مأخوذة من الفعل (اصطلح) بصفته فعلاً لازماً، فإنما تعنى: (الصلح).

جاء في المعجم الوسيط: «اصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف».(١٠)

ب ـ اذا استعملت متعدية، أي مأخوذة من الفعل (اصطلح) المتعدى بالواسطة، فإنها تدل على (التعارف) و(الاتفاق).

جاء في المعجم الوسيط أيضاً: «اصطلحوا على الامر: تعارفوا عليه واتفقوا».(١١)

والمعنيان المذكوران هما مما اكتسبته الكلمة من استعمال العرف العام.

وفي الثانية تؤدى الكلمة ما تؤديه في الفرع (ب) من معنى التعارف والاتفاق، ولكن في دائرة استعمالية أضيق هي دائرة الاستعمال العرفي الخاص، لأنها تكتسب معناها هنا من استعمال العرف الخاص.

والعرف الخاص بطبيعة واقعه الاجتماعي ينقسم الى عرف علمي وآخر غير علمي، ويفرق بينهما بأن ما يتفق عليه في العرف غير العلمي كالعرف العشائري والعرف السياسي والعرف المدني قد جرى الحال أن يطلق عليه كلمة (عرف) وتجمع على (أعراف).

وما يتفق عليه في العرف العلمي يطلق عليه (مصطلح) ويجمع على (مصطلحات)، كما أنه يطلق عليه (اصطلاح) ويراد به (مصطلح) ويجمع على (اصطلاحات). ولكن المعاجم اللغوية لم تفرق بينهما هذه التفرقة. مع أن هذه التفرقة المذكورة واقع قائم، كان ينبغي الاشارة اليه.

ولنر كمثال على ذلك بعض ما ذكرته بعض المعجمات في هذا:

ـ قال في محيط المحيط (مادة: صلح): «وتصالحا واصّالحا واصتلحا واصطلحا واصّلحا ـ بالقلب ـ: خلاف تخاصما واختصما».

الإصطلاح: هو العرف الخاص وهو عبارة عن اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل: «هو اخراج الشيء عن المعنى اللغوي الى معنى آخر لبيان المراد منه، وذلك لمناسبة بينهما كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر، أو مشابهتهما في وصف، الى غير ذلك».

ـ وجاء في المعجم الوسيط (مادة: صلح): «الاصطلاح: مصدر اصطلح، والاصطلاح: اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته».

ـ وجاء قبلهما في (تعريفات) الجرجاني (مادة: صلح) قوله: «الاصطلاح: عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول».

ـ وفي المنجد (مادة: صلح): «الاصطلاح ج اصطلاحات: العرف الخاص، اى اتفاق طائفة مخصوصة من القوم على وضع الشيء أو الكلمة».

وهذه التعريفات ـ كما تراها ـ لم تفرق بين العرف والمصطلح التفرقة التي ذكرتها ملمحاً للفرق بينهما.

بينما نجد مثل (Webster'snew Collegiate dictionary) يقصر مدلول (مصطلح) كعرف علمي على العرف العلمي فتدرك من خلال تعريفه الفرق بين العرف والمصطلح، يقول معرفاً كلمة Term: «لفظ أو تعبير ذو معنى محدد في بعض الاستعمالات، أو معنى خاص بعلم، أو فن، أو مهنة، أو موضوع»(١٢).

وقد يجدر بي هنا أن أشير الى كيفية نشوء المصطلح لارفع ما قد يعلق في بعض الأذهان حول بعض المصطلحات الفقهية أو الألفاظ الشرعية أمثال: الصلاة والصوم والزكاة والحج أو ما إليها من أنها قد لا يصدق عليها مفهوم المصطلح العلمي، لأنه «لا يمكن القول بأن معناها الاصطلاحي ناشيء عن اتفاق طائفة معينة بشأنه، فقد أنزلها الله سبحانه بمعناها الخاص من فوق سبع سماوات»(١٣) على أساس مما عرفته به المعاجم العربية.

فأقول: للمصطلح فى الاصطلاح عليه طريقتان هما:

١ ـ التعـــيين.

٢ ـ التعـــين.

وتعنى الطـريقة الأولى أن يوضع اللفظ للمفهـوم العلمى ارتجـالاً أو نقلاً من معناه اللغـوى الى المعنى العلمى للمنـاسبة بينهما وينص على ذلك ويصرح به لفظاً أو كتابة، وهذا كالذى تفعله الهيئات العلمية الآن أمثال الجامعات والمجامع اللغوية والمعاهد العلمية.

وتعنى الطريقة الثانية أن يستعمل اللفظ فى المفهوم العلمى مقترناً بما يدل على المعنى العلمى المقصود منه دونما تصريح او تنصيص اكتفـاء بالقرينة، وبعد أن يشتهر الاستعمال وينتشـر يستغنى عن القـرينـة لأن المـدلول الاصطـلاحى أصبـح يتبـادر منـه عنـد اطـلاقه.. وهذا مثل الالفاظ الشرعية نحو (الصلاة) و(الحج).

ومن هنا يمكن القول بان مفهوم مصطلح فى حدود تعـريف الأقـدمين له ينطبق أيضاً على هذه الالـفـاظ الـشـرعـيـة، إلا أن الاصطلاح فيه لم يكن عن طريق التعيين وانما بطريقة التعين.

وقـد تكون كلمة (مصطلح) هنا عندما وضعت علماً لعلم الحديث أو لقسم منه ـ هى الأخرى ـ سلك فيها الطريقة الثانية.. وربما سلك فيها الطريقة الأولى، وتاريخ نشوء هذا العلم هو الذى يكشف عن ذلك.

ونخلص من جميع ما تقدم الى النتائج التالية:

١ـ أن فن مصطلح الحديث يرادبه ما يعرف فى علم الحديث بـ (أقسام الحديث) وقد يعمم الى ما يشمل علم الحديث.

٢ـ إن كلمة (فن) فى عبارة (فن مصطلح الحديث) قد لا تعنى شيئاً مما ذكر لكلمة فن من معانٍ فى المعجم العربى لانها تؤدى معنى (العلم التطبيقى)، المعنى الذى لم تذكره المعاجم العربية فى قائمة معانى كلمة فن.. ومن هنا أقترح إضافته الى المعجم.

٣ـ أن كلمـة (مصطلح) تستعمل فى اللغة العربية لإفادة معنى المصدر واسم المصدر واسم المفعول.

والمراد منها فى عبارة (مصطلح الحديث) إما اسم المصدر أو اسم المفعول لأنهما يفهمان معنى واحداً هنا.

٤ـ أن كلمـة (مصطلح) المصـدرية إن أخذت من الفعل اللازم دلت على (الصلح)، وإن أخذت من الفعل المتعدي بالواسطة دلت على (التعارف) و(الاتفاق).

٥ـ أن العرف الخاص ينقسم إلى عرف علمى وعرف غير علمى، والـذى يماثل ما يطلق عليه فى العرف العلمى كلمة (مصطلح) يطلق عليه فى العرف غير العلمى كلمة (عرف).

وهى تفرقة أقترح إضافتها الى المعجم.

٦ـ أن الاصطلاح قد يكون بالتعيين وقد يكون بالتعين.

المراجع

(١) المعجم الوسيط: مادة (فن).

(٢) م.ن.

(٣) انظر: الصحاح فى العلوم واللغة: مادة فن، ومعجم المصطلحات العربية فى اللغة والأدب: مادة فن.

(٤) المعجم الوسيط: مادة فن.

(٥) المعجم الأدبى: مادة Art sm

(٦) المعجم الوسيط: مادة فن.

(٧) المعجم الادبى ١٩٧

(٨) م.ن.

(٩) المنجد: مادة فن

(١٠)و(١١) مادة (صلح).

(١٢) العربية لغة العلوم والتقنية ١١٨

(١٣) م.ن.



الأستاذ / محمد المهدي بناني

أثر الأندلس على أوربا في مجال النغم والإيقاع

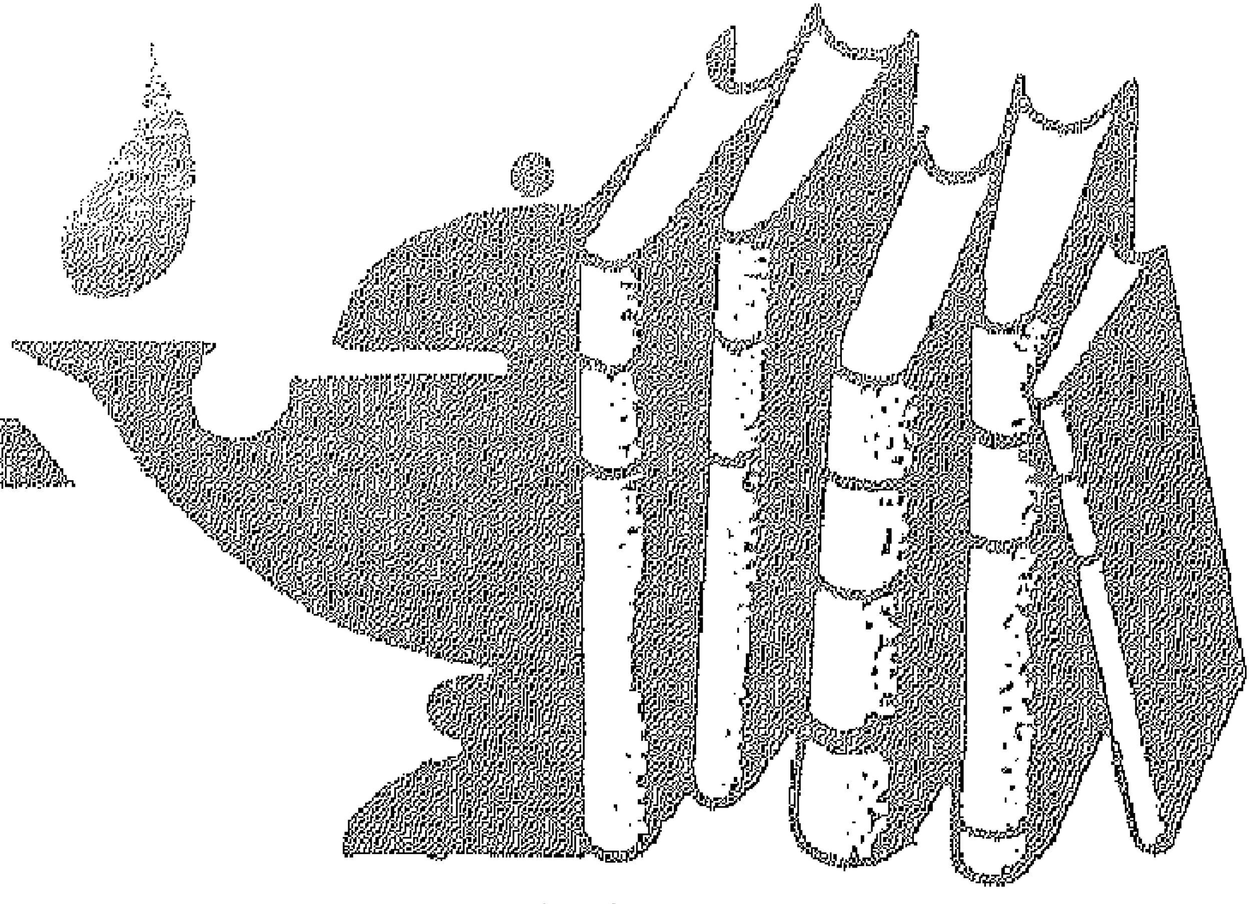


فى هذا الوقت الذى نصطدم فيه بواقع مستوى الفنون والعلوم فى الشرق والغرب، ونحن مباغتين بهذه القبضة الطويلة التى أمسك بها الغرب بمفاتيح القوة والهيمنة الثقافية والعلمية.. ما أحوجنا الى التأمل وجرد ما لنا من تراث والوقوف عنده واستلهام الثقة بالنفس للانطلاق نحو الساحة الثقافية والعلمية المترامية الأطراف أسوة بما فعلته أمم أخرى كان لها شأن ثم آلت الى حالة لتنهض اليوم بدورها من كبوتها وتستعيد مكانها فى ساحة الفكر والعلوم.

من حين لآخر تصلع علينا المطابع العربية بمؤلفات، قد لا نعيرها، اهتماما بالغا إما لكبرياء فى أنفسنا غرسته عقدة تفضيل الاجنبى، وإما لتقاعس وعدم اكتراث مبعثه الإهمال.

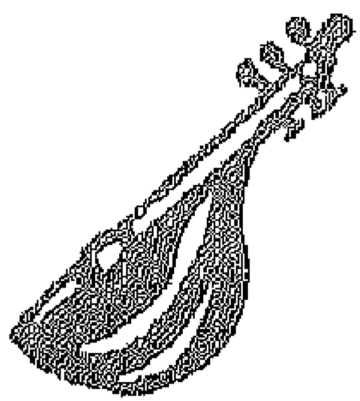
ومن بين هذه الكتب العربية الحديثة كتاب الأستاذ عباس الجرارى حول «أثر الأندلس على أوربا فى مجال النغم والإيقاع» وقد صدر عن مكتبة المعارف بالرباط فى طبعة أنيقة (١٣٥ صفحة من القطع المتوسط).

ويتناول الكتاب مساهمة الموسيقى العربية الاسلامية فى التكوين البنائى لموسيقى أوربا خلال العصر الوسيط، ويفيد أن الموسيقى الأوروبية كانت قبل اتصالها بالموسيقى العربية الاسلامية تتمثل فى ألوان محلية شعبية غالية رومانية فى طابعها، وانها تعرضت للتأثير اليهودى ثم المسيحى اللاتينى عن طريق الكنيسة وموسيقاها الدينية. كما أنها كانت متأثرة بالكنيسة الشرقية سيما منها الآرامية التى احتضنتها بلاد الرافدين والشام. ثم تعرضت للتأثير الاغريقى المتأثر هو بدوره بالطابع الشرقى فى الموسيقى ويضيف ان الغناء الدينى «الغريغورى» كان يشكل إحدى السمات البارزة للغناء فى أوروبا طوال هذه المرحلة المبكرة. ومن أبرز خصائص الغناء الكنيسى الجديد أحاديته وعدم اتساعه النغمى وبعده عن أى تعبير ذاتى



للعرب والمسلمين حينها حافظوا على النوبة كشكل وعلى الموشح والزجل كأنماط شعرية .

كما أشار الكاتب د. عباس الجرارى الى أن الموسيقى الأوروبية الحديثة فقدت الكثير من ملامحها الوسيطية بينما بقيت الموسيقى العربية الإسلامية محتفظة بالكثير من ملامحها فى الشرق أو الشمال الافريقى وهى ملامح تشكل مفاتيح للعديد من الغوامض التى تكتنف الموسيقى الأوروبية فى العصر الوسيط. وحدد الموسيقى الأوروبية بتلك الموجودة فى ذلك الوقت فى الجزء الحر من القارة الأوروبية كايطاليا واليونان واسبانيا والبرتغال وفرنسا. وهو الجزء الجنوبى الذى كان على صلة بحوض المتوسط ومجال حركة حضارية وثقافية منذ الفينيقيين والقرطاجنيين. ثم انتقل الى ظهور الموسيقى العربية الاسلامية وازدهارها وامتزاج ألوان متنوعة وغنية فيها صهرتها بوتقة العروبة والإسلام على امتداد رقعة كبيرة. وعمقت جذورا بعيدة شملت الحدود العربية والفارسية والرومانية والهندية والبربرية وتميزت بملامح خاصة تختلف جوهريا عن سمات الموسيقى البدائية وتختلف عن موسيقى الشعوب الغربية والشمالية فى عصورها الحديثة.

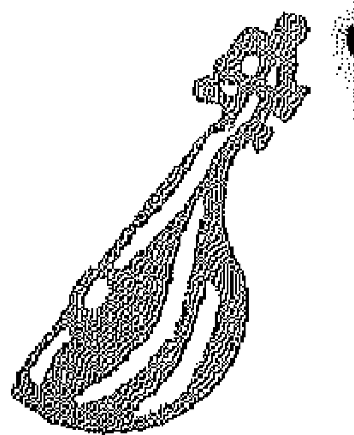


ومن هنا انطلق الكتاب فى فصله الأول إلى طبيعة الاتصال وظروفه وفتح العرب للأندلس سنة ٩٢هـ - ٧١١م وتيممهم صوب صقلية وسردينيا وكورسيكا وجنوب ايطاليا حيث سرى نفوذهم حينئذ على نصف فرنسا الحالية وإقامتهم فى البروفانس وتوغلهم فى سويسرا سنة ٩٣٥م مارا بالمعارك الصليبية واتصال بعض الحكام ورجال الدين بالثقافة العربية الإسلامية كجان جاك دى كوميوستل ودوق أكيتانيا الثامن والبابا سلفستر الثانى الذى نقل الأرقام العربية الى أوروبا بعد أن تعلمها فى جامعة القرويين بفاس المغرب. والأمير الشاعر الكونت غيوم التاسع دى بواتييه والشاعر البروفانسى ماراكابرو والشاعر القطلانى هوغودى مابلاتا. ويذكر المستعربين كأهم


دكتور/عباس الجرارى

إضافة الى الرتابة التى أكدتها طبيعة النص اللاتينى والتى اعطت الغناء الغريغورى طابع صلوات ودعوات مرتلة .

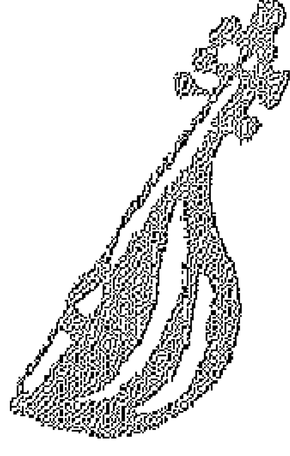
ثم بين أن الغناء الأوروبى لم يتحرر من قبضة الكنيسة إلا فى القرنين العاشر والحادى عشر، تحت تأثير التيار العربى الإسلامى الذى رفده بعناصر نغمية وإيقاعية جديدة اتاحت له أن يتطور فى خط آخر لا دينى يتسم بـ ننائية والملحمية ويفتح له مجال تفرع النغمات وتعدد الأصوات.



ويستخلص امكانية القطيعة فى العلاقة بين الموسيقى الأوروبية الوسيطة والموسيقى الأوروبية الحديثة إلا ما كان من نوعها الشعبى فى بعض الأقاليم .

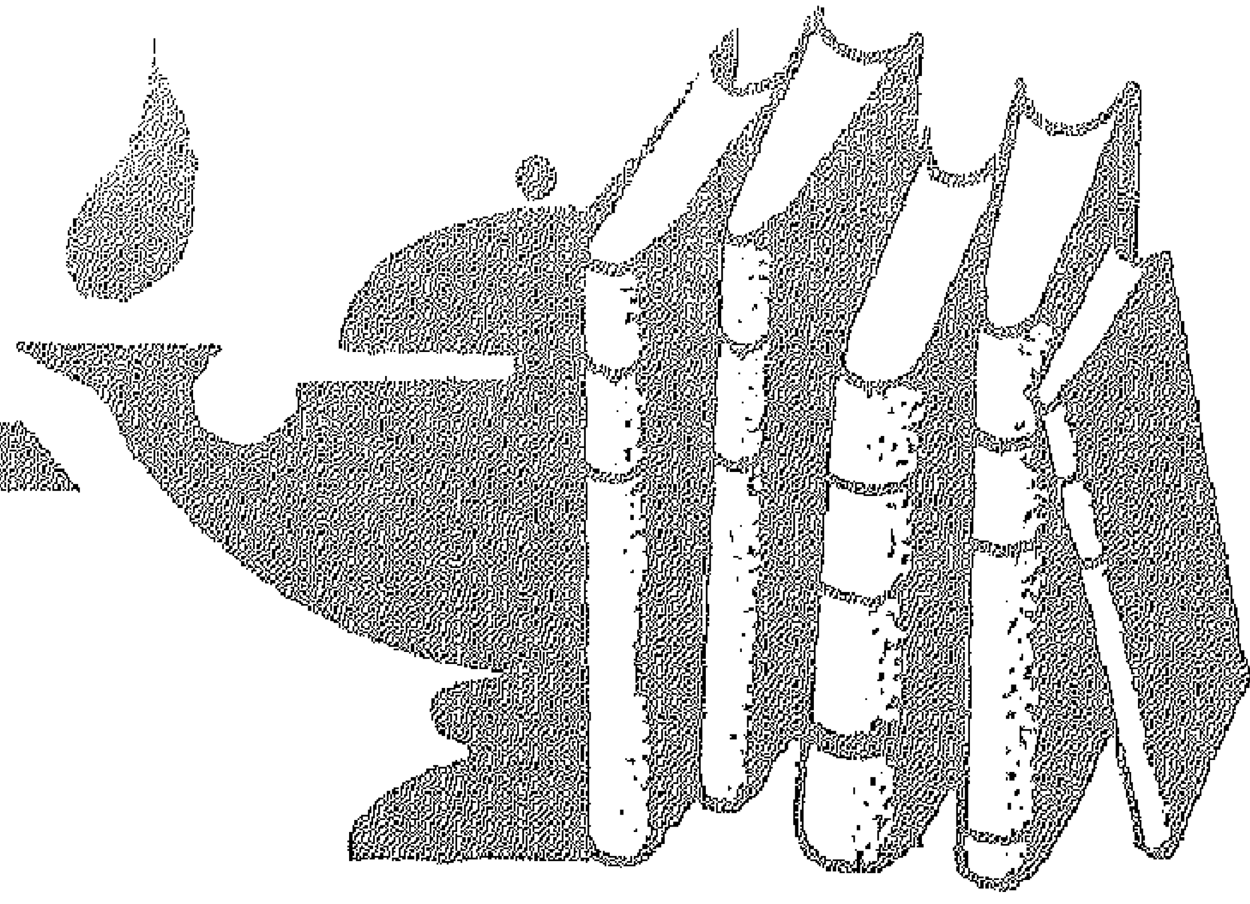
وللتغيير الذى حدث فى الآلات الموسيقية نتيجة التطوير أو الإلغاء وبأساليب الأداء ولعدم انصراف الجمهور عن تذوقها وارتباط الموسيقى الوسيطية بأشكال بنيوية وأنماط شعرية لم تعد معروفة لديهم، على عكس ما حدث

العناصر التى عملت على نقل حضارة الاندلس وثقافتها الى أوروبا وهم النصارى واليهود الذين كانوا يمارسون فى الاندلس أشغالا علمية وعملية مختلفة وكانوا يتنقلون بين الاقاليم الإسلامية والمسيحية ويستعملون العربية فى مخاطبتهم ومعاملتهم ويتعلمون آدابها وعلومها وأساليب الحياة الإسلامية ودور المستعربين فى نقل التراث العربى **وكانوا فى المرحلة الأولى يمثلون الأسبان الذين يعرفون اللغة العربية ويكتبونها بالأسبانية وأصبحوا يمثلون الموريسكوس وهم المسلمون الذين بقوا فى اسبانيا يتكلمون الاسبانية ويكتبونها بالعربية إلى أن تم إخراجهم من الاندلس سنة ١٦١٤ رغم تنصرهم. وقد تميزوا بثقافتهم الواسعة التى أهلتهم للتأليف فى مختلف العلوم وقول الشعر فى موضوعات وطنية ودينية إسلامية كالمديح النبوى والدفاع عن الاسلام، متخذين قالب مقطوعات قائمة على نظام الرومانتش المتأثرة بنظام الموشحات والأرجال. ومن أبرز شعرائهم محمد** الشرطوسى وابراهيم البلغادى ومحمد رمضان. وعالج الكتاب فى فصله الاول أيضا دور مدرسة المترجمين **الطليطيين ومن أبرز رجالها دومينغو غونزاليس ويوحنا بن داود ويهودا الجزيرى وبن شلومون وابراهيم بن صمويل بن ليفى بن حسداى ويشلم بن يعقوب من القرن السادس الهجرى ويعقوب بن ابا ماراى وليفى بن جرسون وموسى الاريونى من القرن السابع والشاعران الايطاليان بترارك ودانتى.**



أما فى الفصل الثانى فقد عالج واقع الموسيقى والغناء فى الاندلس منطلقا الى وفود الإمام المقدم فى هذا الشأن على بن نافع الملقب بزرياب غلام اسحق الموصلى، ونشوء ابن باجة الإمام الأعظم الذى مزج غناء النصارى بغناء المشرق واخترع طريقة لا توجد إلا فى الأندلس وبعده جاء ابن جودى وابن الحمارة اللذان زادا ألحانه تهذيبا واخترعا ما قدرا عليه من الألحان المطربة.

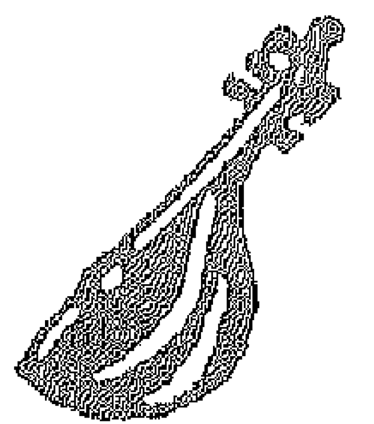




وكان خاتمة هذه الصنعة أبو الحسن بن الحاسب المرسى وله فى الموسيقى كتاب كبير فى جملة أسفار. وكل تلحين يسمع بالاندلس والمغرب هو من صنعته.

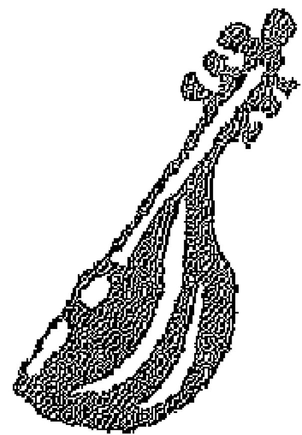
وبذلك انتقلت الحان العرب ضمن المظاهر الحضارية والثقافية التى حملها المسلمون إلى الاندلس ومن أهم الأنواع التى كانت محببة الغناء المدنى والحجازى.

ثم قام زرياب بتغيير مضراب العود ليضيف وترا خامسا كان له تأثير تنغيمى محلى فى تلوين العزف وكان العود فى المشرق بأربعة أوتار: البوم وتر من أمعاء. رقيق. متساوى الأجزاء ليس فيه موضع أغلظ ولا أرق من موضع وطوى المعى حتى صار أربع طبقات وفتل فتلا جيدا وبعده المثلث ومثله مثل البم، ولكنه من ثلاث طبقات فالمثنى وهو كذلك أقل من المثلث بطبقة من المعى فى الغلظ والدقة وبعده الزير وهو كذلك أقل من المثنى بطبقة واحدة وبقى أن يكون من طبقة واحدة وهو من ابريسم فى حال طبقة من المعى.



ويبين الكتاب أن حكماء الموسيقاريين اقتصروا من أوتار العود على أربعة لتكون مصنوعاتهم مماثلة للأمور الطبيعية التى دون فلك القمر اقتداء بحكمة البارى..

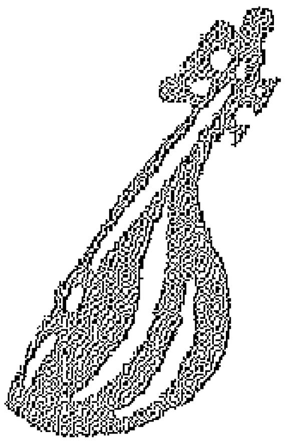
ذلك أن وتر الزير يماثل ركن النار ونغمته مناسبة لحرارتها وحدتها والمثنى يماثل ركن الهواء ونغمته مناسبة لرطوبة الهواء ولينه، والمثلث يماثل ركن الماء ونغمته لرطوبة الماء وبرودته، واليم يماثل ركن الأرض ونغمته تماثل ثقل الارض وغلظها ثم انتقل الى تنبه بعض الموسيقيين ورؤيتهم فى إمكانية زيادة وتر خامس. ثم انتهوا الى نبذ هذه الزيادة. وأشار الى أن اسحق بن ابراهيم يفيد ان النغمات عشر ليس فى العيدان ولا المزامير ولا الحلق وشىء من الآلات أكثر منها فالنغمة الأولى: المثنى مطلقا وهى النغمة التى يبتدىء بها الضارب قدر الطبقة على ما يريد من الشدة واللين ثم يسوى عليها العيدان والمزامير وسائر الآلات وتسمى هذه النغمة العماد وسميت كذلك لانه يعتمد عليها فى الطبقة والتسوية. والنغمة الثانية: السبابة على المثنى والنغمة الثالثة: الوسطى على المثنى والنغمة الرابعة: البنصر على المثنى والنغمة الخامسة: الخنصر على المثنى وهذه خمس نغم يحتوى عليها المثنى ثم يصير الى الزير فيلغى مطلقه لأن نغمته مثل نغمة الخنصر على المثنى ودون فرق. والنغمة السادسة: السبابة على الزير والنغمة السابعة: الوسطى على الزير.



وبقيت النغمة العاشرة فكره الموسيقيون أن يفردوا لها وترا فيكونوا قد زادوا فى العود وترا خامسا من أجل نغمة واحدة لا يخرج فيه غيرها وطلبوها فى أسفل هذا النغم فوجدوها تخرج اسفل دستان خنصر الزير اذا جعلت السبابة فى دستان السبابة ودستان البنصر. وهذا هو موقع دستان النغمة العاشرة فوجدوها تخرج أيضا من بنصر المثلث فاستغنوا بوجودها فى هذين الموضعين عن أن يزيدوا فى العود وترا خامسا.

وعند ابن سينا كان يشد على العود وتر خامس ليخرج من سبابته وبنصره طنينان لتتمة الذى بالكل مرتين فهجر ذلك وصاروا اذا احتاجوا إلى إيجاد هاتين النغمتين ـ أى سبابة الوتر الخامس وبنصره ـ نزلوا تحت خنصر الزير بأصبعين بمقدار ما يفعل طنينا ثم طنينا فيكون تحت خنصر الزير بالقوة نغمتان لتتمة الذى بالكل مرتين. وبعد هذه النظرة المدققة فى تقنية الأوتار الموسيقية العربية الاسلامية ينتقل الكاتب الى وسط الموسيقى العربية الاسلامية مبرزا العناية بها وبالعلماء الأندلسيين وانتشار المؤلفات الموسيقية الشرقية. بالاندلس كرسائل الكندى وكتاب الموسيقى الكبير وإحصاء العلوم للفارابى والشفا والنجاة لابن سينا ورسائل إخوان الصفا ومفاتيح العلوم لمحمد الخوارزمى والكافى فى الموسيقى للحسين بن زيلة، وازدهار حركة التأليف عند الاندلسيين كعباس بن

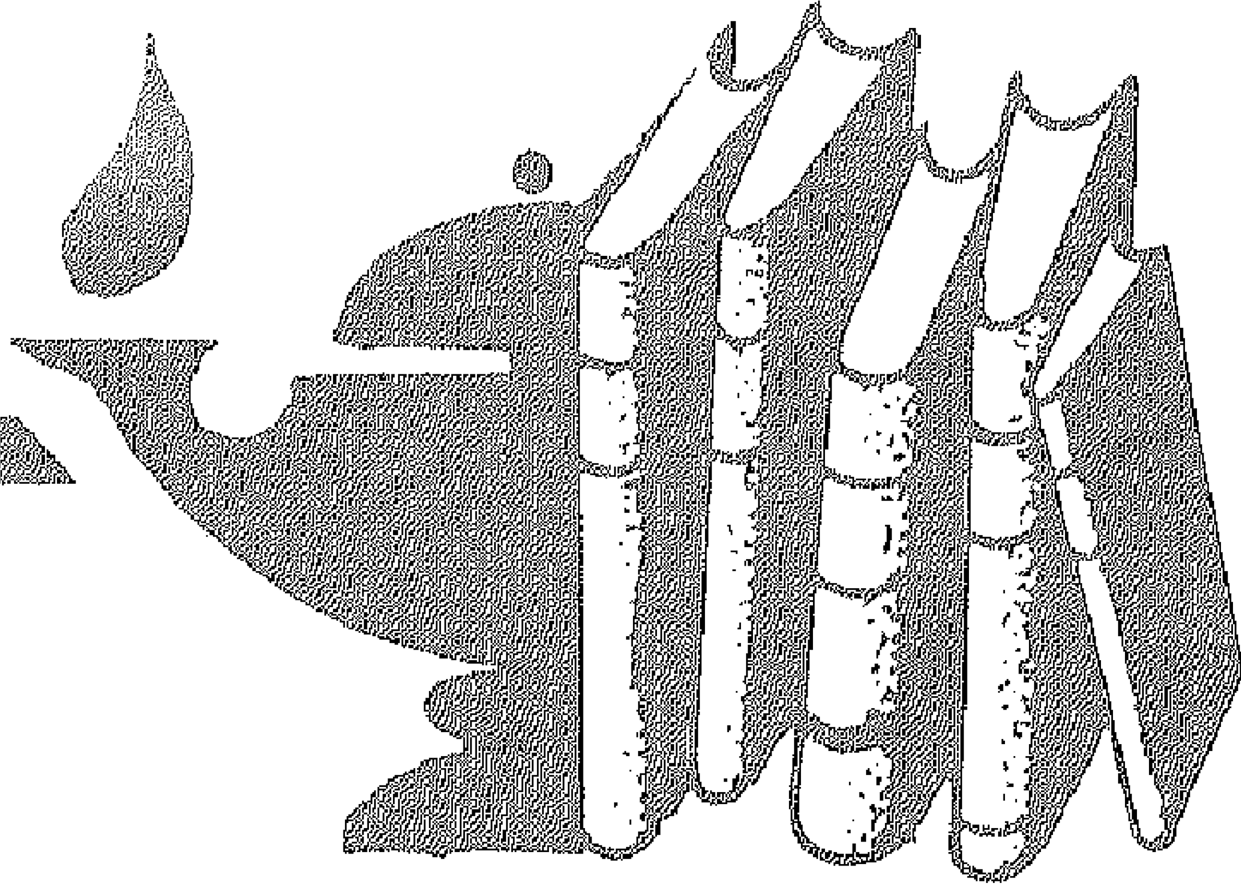
فرناس ومسلمة المجريطي وعمر القرطبي وأبو بكر بن باجة. فيلسوف الاندلس وإمامها في الالحان. ويعتبر في المغرب بمنزلة أبي نصر الفارابي بالمشرق واليه تنسب الالحان المطربة بالاندلس والتي عليها الاعتماد، فقد أجاد هذا بالاضافة الى صناعة الموسيقى، اللعب بالعود. وكان صاحب مدرسة نبغ فيها كثير من التلاميذ كأبي عامر محمد بن الحمارة الغرناطي. وهناك أيضا أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني، صاحب رسالة في الموسيقى وابن الحاسب المرسي ومن تلاميذه أبو الحسن بن الوزير أبي جعفر الوقشي. وقد جاءت بعدهم فئة أخرى منها يحيى الخدوج المرسي صاحب «كتاب الاغاني الاندلسية على منزع الاغاني لأبي الفرج والفيلسوف الصوفي عبد الحق بن سبعين وله كتاب الادوار. ويذكر الكتاب في سياق ألمع الموسيقيين أبا الحكم عبيد الله بن المظفر الباهلي الطبيب الاندلسي وابنه أبا المجد محمد وكان مثله وأبا زكريا، يحيى البياسي الاندلسي وكان طبيبا لصلاح الدين الأيوبي. وعبد الوهاب بن حسين بن جعفر الحاجب وقد عرف عصرهم باختراعاتهم لعدد من الآلات ذكر منها محمد بن احمد السبتي المعروف بابن الدراج إحدى وثلاثين آله.



ثم انتقل في نطاق ازدهار عهد الموسيقى العربية الاسلامية الى التلميح لظاهرة الجواري المغنيات سواء منهن الاندلسيات أو الوافدات الى الاندلس من المشرق ومنهن فضل المدنية وقمر جارية ابراهيم بن حجاج اللخمي صاحب اشبيلية والجارية العجفاء ومن الاندلسيات طرب جارية المنذر بن عبد الرحمن وهند جارية أبي محمد عبد الله بن مسلمة الشاطبي ونساء شهيرات كولادة بنت المستكفي محمد بن عبد الرحمن الناصري وفي الفصل الثالث عالج المؤلف عناصر تأثير الموسيقى العربية الاسلامية على عهد النهضة الفنية في الاندلس. حيث تأكدت هذه العناصر في البنية التشكيلية للموسيقى، وجاءت بشكل بنية منسقة تبدأ بمقدمة تفضي الى تناول موضوع متنوع ومتلون قبل الانتهاء بخاتمة. ويكاد يكون هذا النظام هو نفس ما تقوم عليه الموسيقى الاندلسية المعروفة حاليا في أقطار المغرب العربي مع بعض الاختلاف في الزخرفة والتلوين. وهو نظام كان جديدا بالنسبة للاندلس ولسائر اوروبا. كما بين ان العامل الاساسي في هذا التشكيل يرجع الى النص الشعري في فن الموشحات والازجال الذي يقوم من حيث القالب الموسيقي على النوبة. ثم يتناول الموشحات والازجال شعرا ووزنا ولحنا وتطويعا وتصرفا وهيكلا ويناقش أصله من خلال تعدد الآراء وعن القالب الموسيقي الذي تمثله النوبة والتلحين وتقسيمه الى ثلاثة أقسام: الدور والخاتمة أو السلسلة أو الدولاب، والقسم الاخير الذي يقاس على الدور الأول.



ويبرز الكتاب كيف كانت ملامح النوبة الأندلسية غير واضحة وقد غدت بعد انتهاء الاندلس مجرد تراث لا تسعف الوثائق الموجودة في التعرف عليه سيما وأنه يقوم على التداول الشفوي ويشير الى أن من حسن حظ هذا التراث انتقاله الى المغرب العربي الذي حافظ على إرث ضخم من حضارة الاندلس وثقافتها ملمحا الى تبلور الموسيقى الاندلسية في المغرب العربي في ثلاث مدارس منها مدرسة اشبيلية وتنتشر في تونس ويصطلح فيها بالمألوف على الموسيقى الاندلسية، والمدرسة ذات الأصول الغرناطية وتوجد بالجزائر وتسمى الغرناطي والمدرسة الثالثة وتجمع بين تراث غرناطة وبلنسية وتوجد بالمغرب الذي يسميها «الآلة» ويعتبر المغرب اكثر حفاظا على سمات الموسيقى الاندلسية الاصيلة لأنه لم يخضع للنفوذ العثماني ويتأثر به كما حصل في تونس والجزائر ثم يعالج طبوع الموسيقى المعروفة وربطها بالطبائع البشرية. كما جاء ذلك في منظومة عبد الواحد الونشريسي من المغرب، الذي يفيد أن تأدية الطبوع تتم على خمسة موازين، البسيط والقايم ونصف والبطايحي والقدام والدرج. . وينتقل الى النوبات وفيها الاصبهان والحجاز الكبير والمشرقي والعشاق ورمل الماية والرصد وغريبة

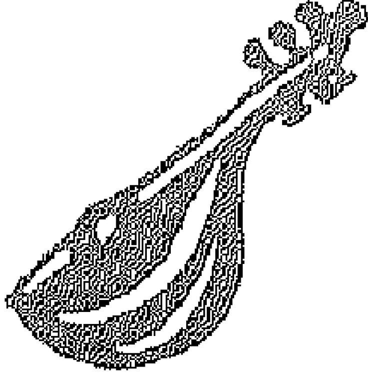




الحسين ورصد الديل وعراق العجم والاستهلال والمشرقى الصغير والصيكة. وكلها مفسرة لمن يريد المزيد من الاطلاع فى الكتاب.

ملامح تأثير الموسيقى العربية الإسلامية على الموسيقى الأوربية

فى هذا الفصل الذى يشكل حجر الزاوية فى صلب موضوع الكتاب ينتقل الكتاب الى مكامن التأثير رغم ذكره لصعوبة الوقوف على الوثائق ويشير الى أن هناك نوعين: نوع نظرى مدرسى انتقل عبر المؤلفات الموسيقية العربية ضمن ما ترجم من كتب عربية فى مختلف العلوم والفنون ويذكر هنا بجنحة المتعصبين من الاسبان الذين أحرقوا وأغرقوا ثروة هائلة من الفكر العربى بالاندلس فى فترة نهاية الفردوس. ثم يستشهد ببعض ما تبقى محفوظا فى بعض المكتبات ومنه ما كتبه فرانكو كولونيا المتأثر بآراء الكندى وجون اوف غاركانادى فى دراسته عن الأنغام المعروفة بالايقاعات وما أنجزه غيرهم.



أما النوع الثانى فقد تم اعتمادا على عمل شعبى فى النقل الشفوى بواسطة الاحتكاك والتقليد وبالذات الموسيقى الاندلسية المحافظ عليها فى المغرب، وما هو موجود فى بعض الاقاليم الاوروبية التى كان لها احتكاك بالمسلمين كاسبانيا وصقلية وجنوب فرنسا وقبرص وكورسيكا وجنوب ايطاليا واليونان والتى احتفظت بموسيقاها الشعبية دون محاولة تطوير أو تعديل على حد ما يثبت الفلامنكو فى اسبانيا والفادو فى البرتغال. ومن ذلك اناشيد مريم العذراء. وتضم اربعمائة أغنية وأغنية تسير فى تقطيعها وإيقاعها وتقنيتها على نظام الموشحات والازجال والاشعار الشعبية الاسبانية وغيرها كالرسوم التى ترجع الى عهود خلت والتى تصور الآلات الموسيقية العربية التى استعملت فى الموسيقى كالعود والدربوكة والرباب والقيثارة وهى آلات عربية إسلامية. لم تأخذ صبغتها الأوروبية إلا فى العهود المتأخرة. ونفس الشىء فيما يخص تأثير الموسيقى الاوروبية بالموسيقى العربية الإسلامية فى طريقة الأداء والملامح وخصوصا ملحمة السيد إضافة الى اغانى التروبادور والتروفير وهى من أهم عناصر الدلالة على التأثير الاندلسى الإسلامى فى أوروبا فى ميادين الموسيقى والشعر وسائر الفنون والعلوم شكلا ومضمونا ويستدل الكتاب ببعض الظواهر الفنية كالارتجال وهو احدى سمات الموسيقى العربية الاسلامية والتدوين والمصطلحات والآلات.

ويستحق الكتاب كل اهتمام وتنويه، لانه يسد ثغرة من الثغرات التى يحتاج اليها كل من يتمتع بالموسيقى ويطرب لها، وكل من يروم صقل موهبته فى الابداع الموسيقى انطلاقا من ينبوع الأصالة ويكشف ان العطاء العربى يتسم بإنسانيته فى السخاء.. وبمشاركته الثابتة فى التراث الحضارى للإنسانية جمعاء سواء فى الماضى أو الحاضر أو المستقبل.



هذا العدد (الثبت) الذى بين يديك محصلة القول الرامى الى الأخذ من كل فن بطرف . . وهذا المدخل على إيجازه فى الدلالة واطنابه فى الريادة لامس بحق (برمجتنا) له منذ أن كان فكرة. وتداعى أملا وانسكب عطاءا . لقد أردنا أن يكون جزءا مفرزا لأحد مشتقات تعابير الأدب. وتكوينا جامحا جامعا لأطراف فنون العصر ما انحدر منها قديما وما مَثُل منها حديثا . . ما بقى منها أثرا وما خلد منها عملا . . ما استعذب لها لفظا وما استظرف منها نقلا . . ما أوجبه التذكير وما ثبته التدوين . . ما . . ما . . وما . . وكثيرة هى شواهد الاستظهار ومؤشرات الاستدلال واذا كان مما يقال - مثلا - أن العبرة بالنتائج فاننا - وبتواضع - فخورون بهذا العدد الفنى المحض الذى جاء كما رغبناه . واخرج كما قصدناه . وغلف بسموق المداد كما تصورناه . . وهو وان لم يكن زاخرا بشمولية العطاء فانه - حتما - زاهر بزخم الوفاء يرسله لقارئه الحصيف ويهديه لمريده الأمين كأولية منهلية لم نشهد فيما نراه ونلمسه مثيلا له يصدر فى مطبوعة سيارة . . دورية كانت أو فصلية . . أدبية كانت أو ثقافية . . ومن هنا كانت جرأته وتميزه وأولويته المنهلية.

وحديث المناسبة يفرض بموضوعيته وجدواه ولوج «المنهل» بين حين وآخر وبتوقيت مدروس الى استقطاب مثل هذه الاصدارات مستمدة من ارهاصات الماضى ومتطلعة الى اطلالات المستقبل فى غيرما طفرة أو جنوح وبتؤدة يحسب حسابها ويتنوع مسارها . . كلها تتجه اليك قارءنا العزيز . . وكلها تسكب فى منهلك محبنا الكريم . . وحتما سنلتقى لنتعانق بوجد الفكر وهيام المعرفة مطلع كل شهر وعلى طريق خير هذا الوطن وامة الضاد عموماً .

ووقفة *متمهلة عند ربيع هذا التزواج الفطرى الذى سنه المنهل وطرحه على الساحة الفكرية والأدبية . .*

ووقفة *متبصرة تنفذ لرؤى الماضى الغير بعيد . وتشرئب لبذل المستقبل القريب .*

تلكم *هى نسائم الصحوة وأغاريد الفرحة التى امتزجت بالمنهل ورصفائه - صحيفة المدينة المنورة ونادى جدة الأدبى الثقافى - فى حوار مع المفكر الاسلامى المهدى بن عبود .*

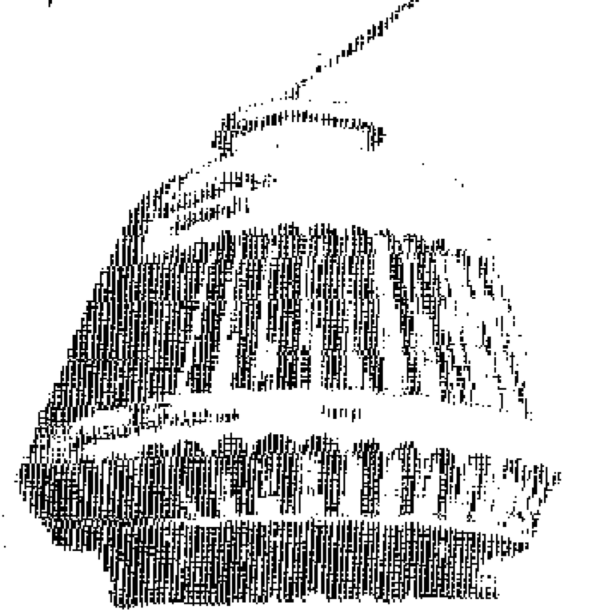
تلكم *هى رقرقة العليل ورقة أنفاسه التى واكبت مسيرة الفكر الى مكة الطاهرة موطن المسيرة المحمدية الكبرى الخالدة الباقية وتمازجت هناك فى ندوة دينية أدبية بين المنهل ونادى مكة الأدبى وسماحة مفتى الديار التونسية محمد بن الحبيب بلخوجه . . وصحبه الأفاضل المتلدين .*



هذا عن الماضى الغير بعيد . .
فماذا عن المستقبل القريب؟ . .

لعل محصلته الاولى هى هذا التزواج الفطرى الأدبى الذى تحمل نتاجه بين يديك . . وتترى البشائر ويتسع الضياء ويتقارب الفكر ويعود بطانا فى لقاء شيق خالد منتظر مع الأندية الأدبية فى مكة المكرمة وجازان ليوثق صكوك محبتك لمنهلك وتقديرك المستمر والدائم بعطائه وبذله وتضحياته .

وعن الاستحداث والحداثه : لابد من شيء يقال . . فالمنهل كما ترى أصبح روسم غلافه معبرا ومصورا لما يضمه بين جناحيه . .

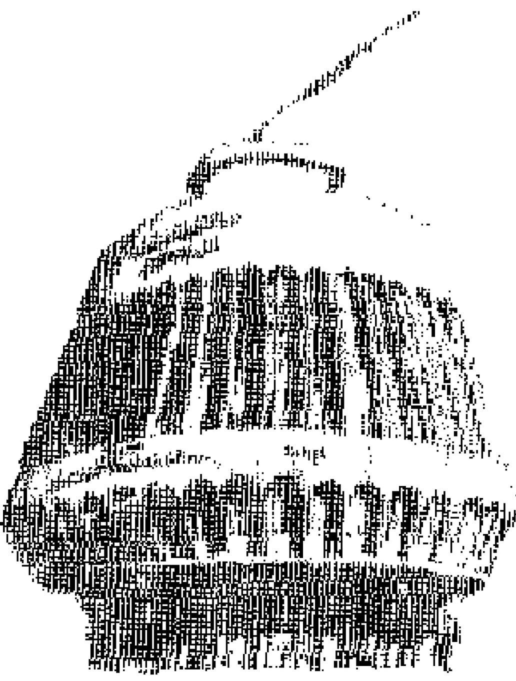


« والكتاب يقرأ من عنوانه »
والمنهل كما ترى يكتب افتتاحيته المبرزون الأثبات ..فالثقافة ـ والمنهل أحد مصادرها ـ ملك للجميع.والمنهل بفلذاته وابداعاته الأربعة مجلاته الوليدة (السائح) و(ديوان المنهل) و(هن) ثم (فلسطيننا) هدية للقارىء اللبيب .

اننا نسعى لان يكون «للمنهل» ارشيف وثائقى يواكب تطلعاتنا لثلاثة اعوام تالية على الاقل . . ونعمل على ان تكون لنا دارة تماثل رصفاءنا .

ولقد تضاعفت مع الايام وفى خلال عام كمية اصدارنا وفاقتكل التخيل الذى سعينااليه . ونتطلع لان تصل طبعة «المنهل» فى نهاية عام لاحق خمسون الف نسخة تتأكد بعضويتنا فى الهيئة الدولية للتحقق من الانتشار . . وفى تقديرنا ـ آنذاك ـ انه بالامكان ظهور توأم المجلة الاسبوعى الذى تلقينا الضوء الاخضر باصداره

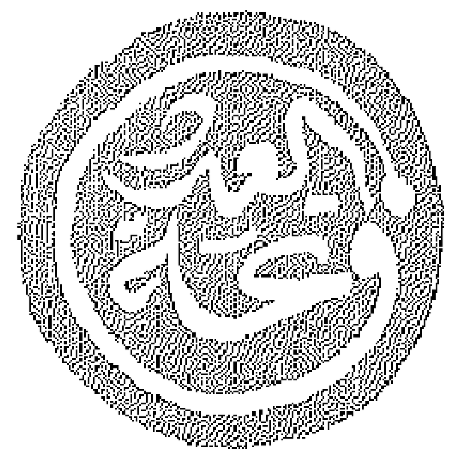
واذا جاء عددك هذا (بكيفيته وكميته) لشهرين من الزمان موقوتة فاننا نستميحك العذر لأن مواردنا ومدخراتنا على قلتها وضآلتها تعصف كثيرا بأبعادنا وتطلعاتنا ولهذا فاننا نتجه اليك ـ أول ما نتجه ـ لتكون أحد أعضاء رابطة محبي منهلك تشد أزرنا وتثبت خطانا . . ذلك لأننا نستمد منك الخلود ونستحثك البقاء والجود . . وانا على الدرب ـ معا ـ سائرون . . والى الأمام على الدوام ثابتون .

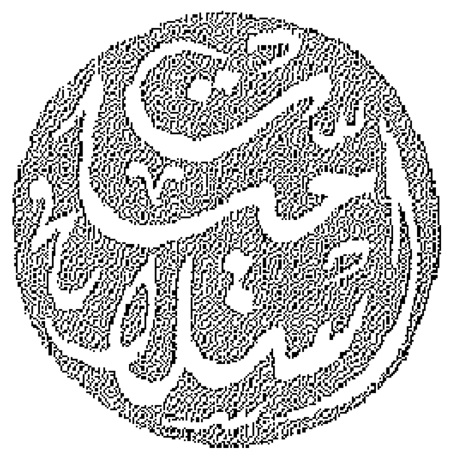


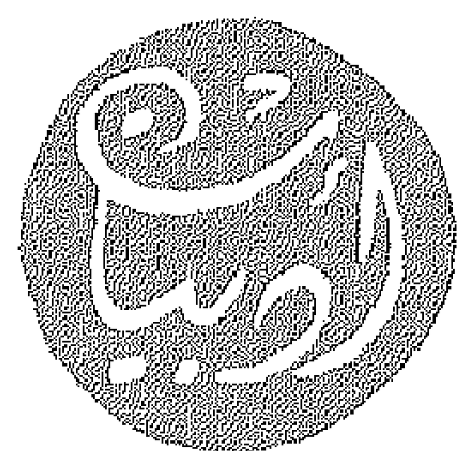
والى لقاء متجدد يستجمع المنهل فيه أنفاسه فى شهر اجازته ليغرد من جديد فى سماء المعرفة ويزهو على أديم الثرى .

ومهلا . . فإننا سنختتم عامنا هذا بحفل مهرجانه الذهبى الخمسينى . وسنقفز لماسيته وأنت معنا تسبقنا على الطريق .

نبيه الانصاري







ثقافيات

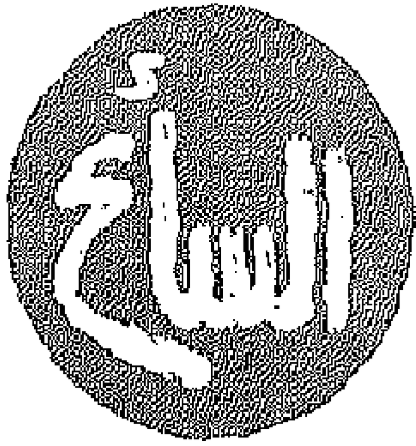


الأمير عبد الله الفيصل



د. عبد الله الزيد

فهرس السائح



بحوث


أ. عبد العزيز الرفاعي

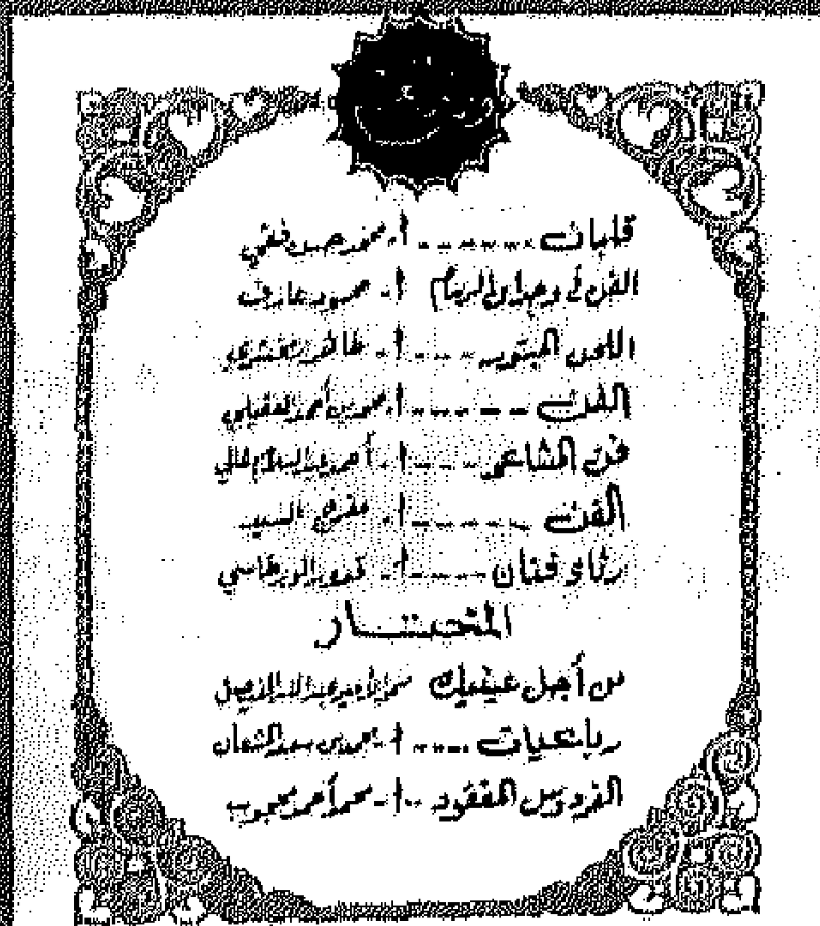

د. محمد رجب البيومي

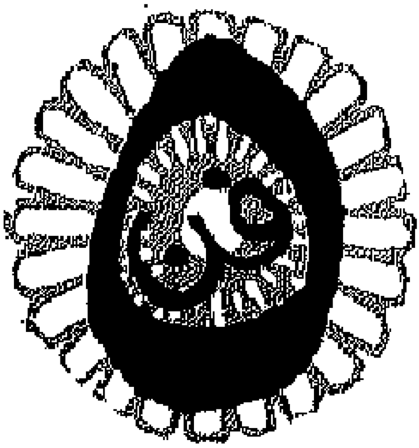



أ. محمد حسن فقي


أ. محمود عارف

رحلة عبر الأوزان والقوافي

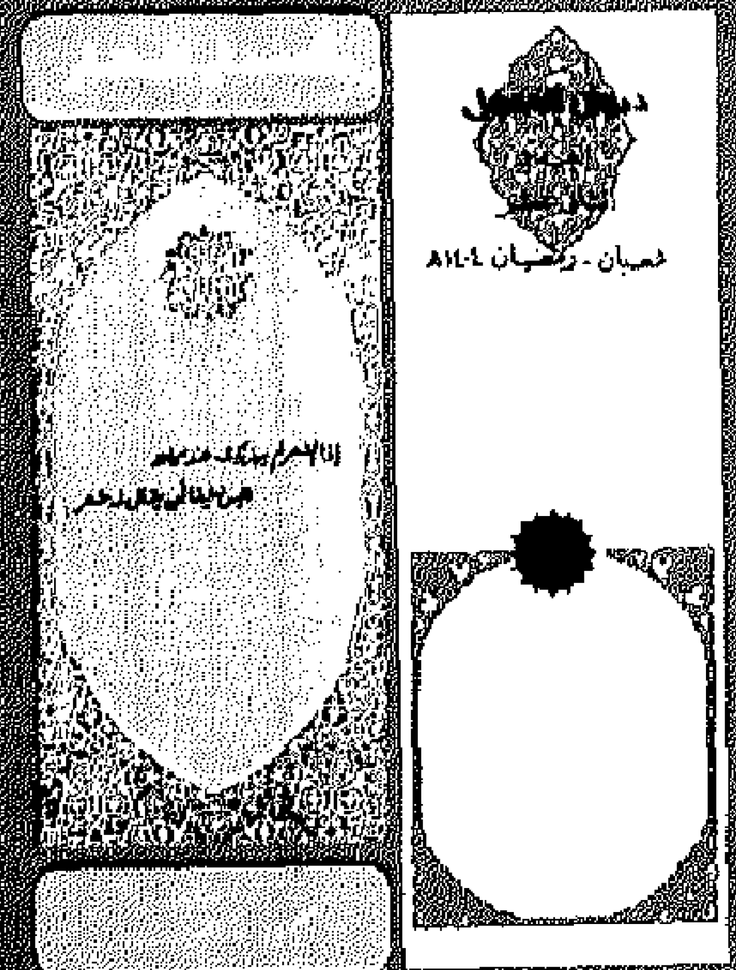






أ. طاهر زمخشري





المشتار.. المختار

أ. عز الدين المدني

أ. عبد الرحمن شلش

رحلة ماتعة برفقتهن

د. محمد احمد الصبيحي

أ. حسين محمد العسكري

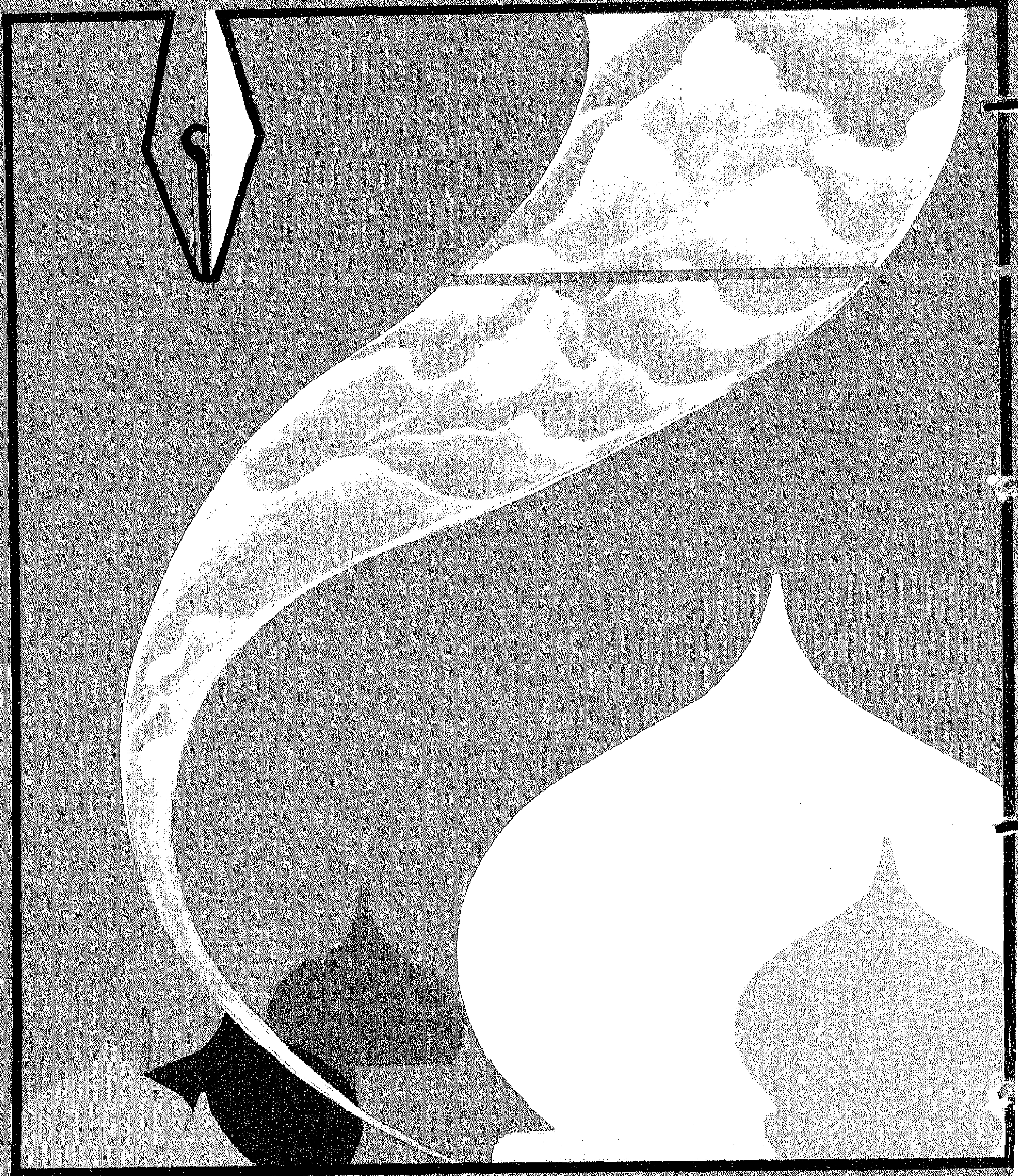


السنة ٥٠ ـ المجلد ٤٦

ذو القعدة ١٤٠٤هـ/ اغسطس ١٩٨٤م

ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

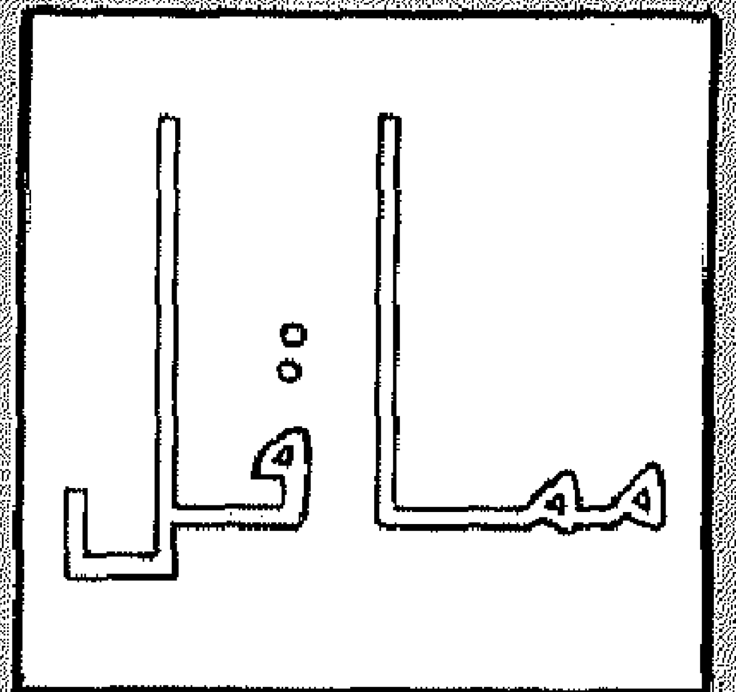




كلما مضت الايام قدما واشتد اختلاط الشرق العربى بالغرب فى اطار المصالح العالمية المشتبكة فى هذا العصر أيما اشتباك. أثبتت الحوادث ان الامر الذى يعوز الشرق العربى قبل كل شيء هو «منطق القوة».. ومنطق القوة وحده.. فما ينقص الشرق العربى حق ولا تنقصه قوة منطق.. ان لديه ولله الحمد والمنة من الحق ومن قوة المنطق طاقة زاخرة فياضة لا يمكن ان تقاوم ولا أن تصادم اذا كان ما يقابلها من نوعها، ولكن الامر فى هذا العصر يجرى على وتيرة اخرى.. ان الدنيا اليوم هى دنيا منطق القوة ودنيا الاعداد والاستعداد والتهيؤ والتحفز والتوثب.. وقائد هذه الدنيا المادية العارمة هو الغرب، والغرب لا يقدر أى شيء مثل ما يقدر منطق القوة ولغة المدفع المدوى والنفاثة الصاخبة والمصنع الهدار والغواصة المنسابة فى اعماق البحار والجيش المدرب المجهز باحدث التجهيزات العسكرية والاسطول الجوى الذى يسد الافق والاسطول البحرى الذى يملأ البحار ولا يفل الحديد الا الحديد.. فاذا اراد الشرق العربى ارادة فعالة صادقة ان يتخلص من براثن الاستعمار الغربى العارم الجشع، الماكر القوى، فما عليه الا أن يتسلح بمنطق القوة وأن يعادل فيها خصمه الذى يتربص به الدوائر، ولا يغفل لمحة عن نصب الشراك له فى كل مكان.. اذا جعل الشرق العربى من هذا المنطق الفعال: منطق القوة. سندا لقوة منطقه ولقوة حقه فى بناء المستقبل الحر الكريم لهذا الجيل وللاجيال العربية المقبلة.. فسيكون النجاح المؤكد حليفه والنصر المؤزر أليفه.. فما اجتمع منطق القوة مع قوة المنطق لامة ناهضة الا وبلغت من العلياء كل مكان.

عبد القدوس الانصارى

ربيع الاول ١٣٧٦هـ/ أكتوبر ١٩٥٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

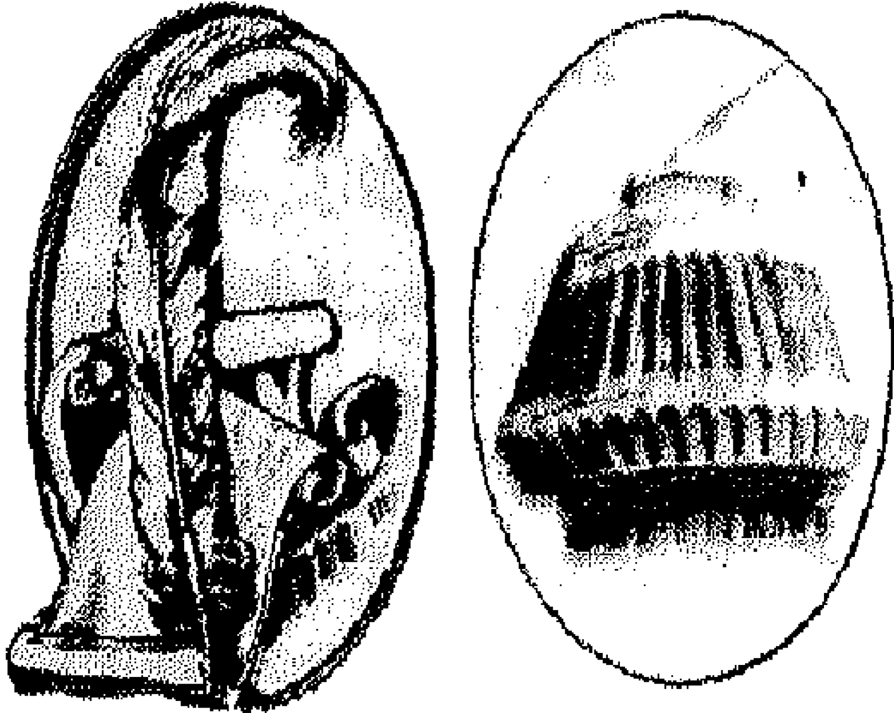
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

A. Monthly Magazine For Literature, Science and Culture.

المجلة السعودية الأم

أسسها: عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

السنة ٥٠ - المجلد ٤٦ - ذو القعدة ١٤٠٤هـ/ اغسطس ١٩٨٤م



خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة

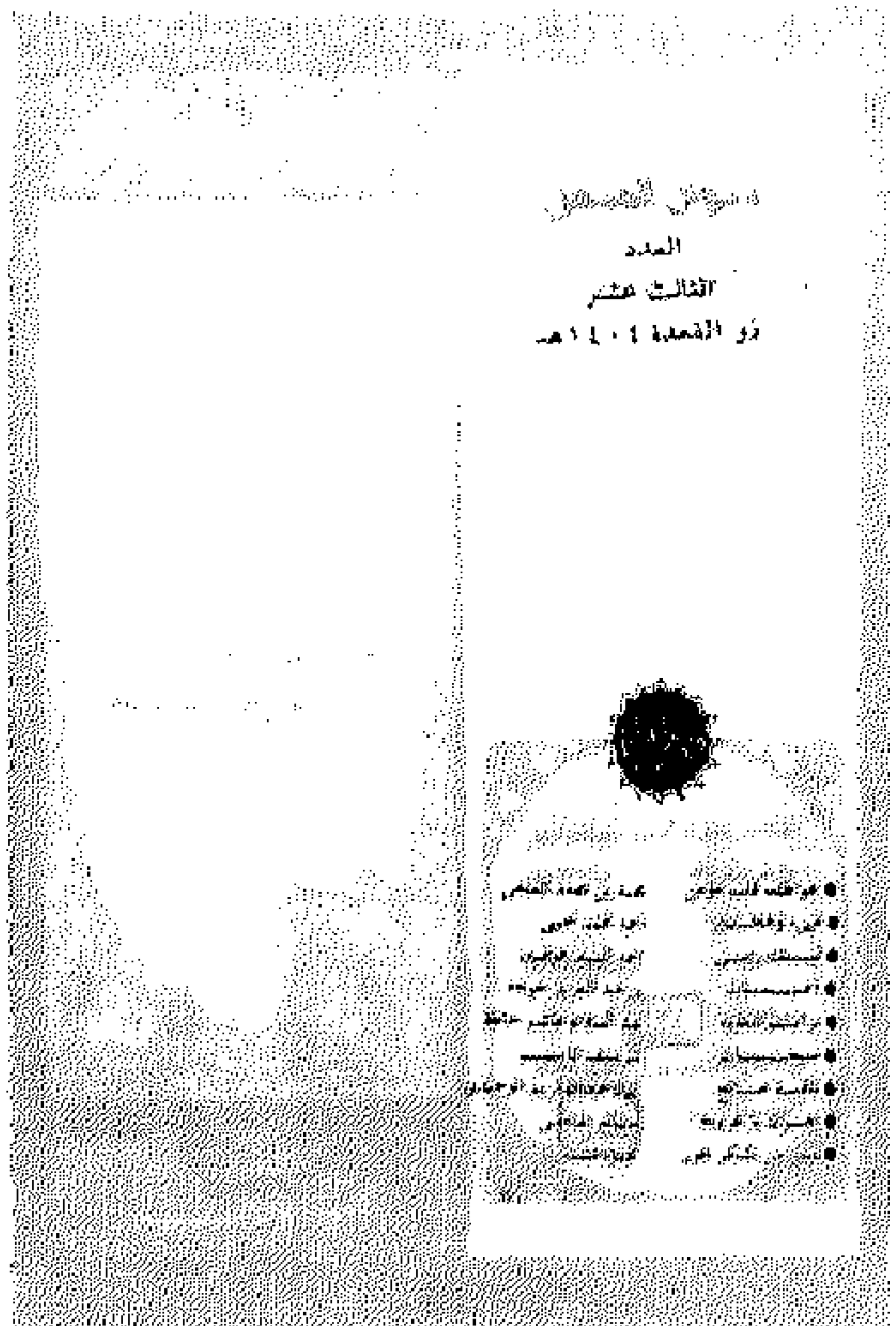
في هذا العدد

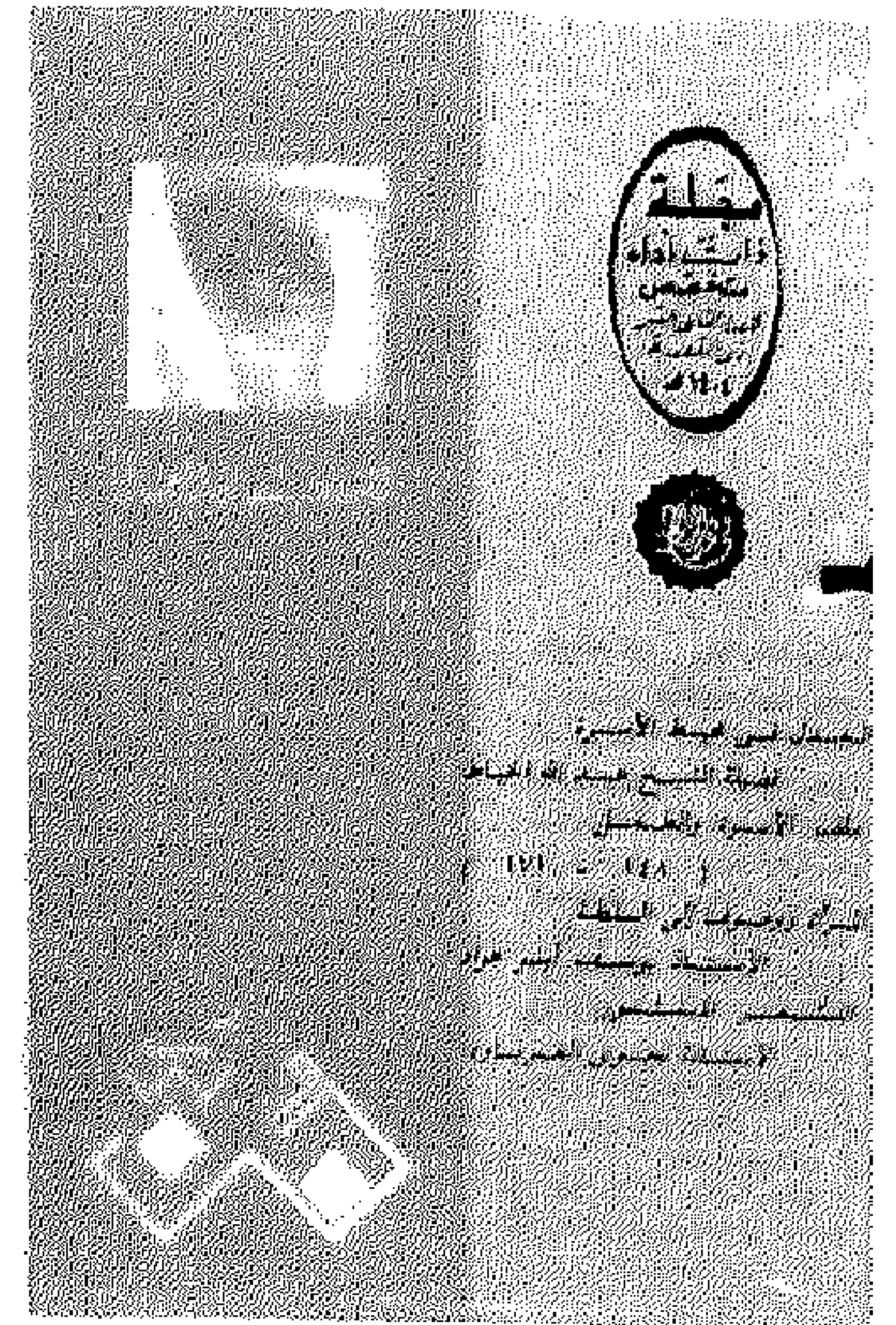

أ. علال الفاســي

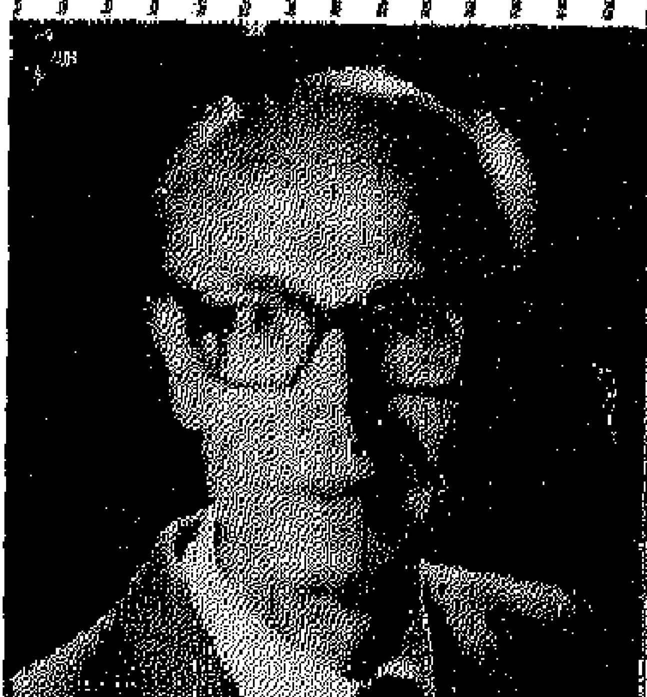

الشيخ عبد الله خياط

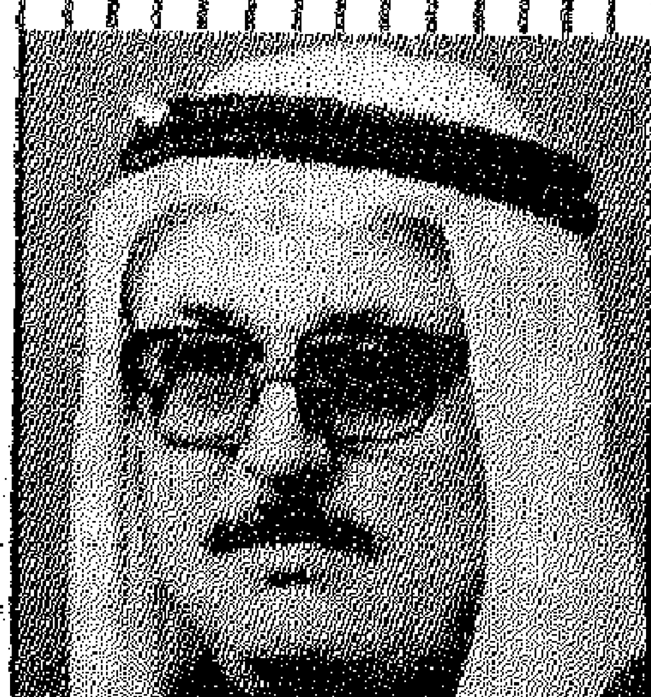

د. محمد رجب البيومي

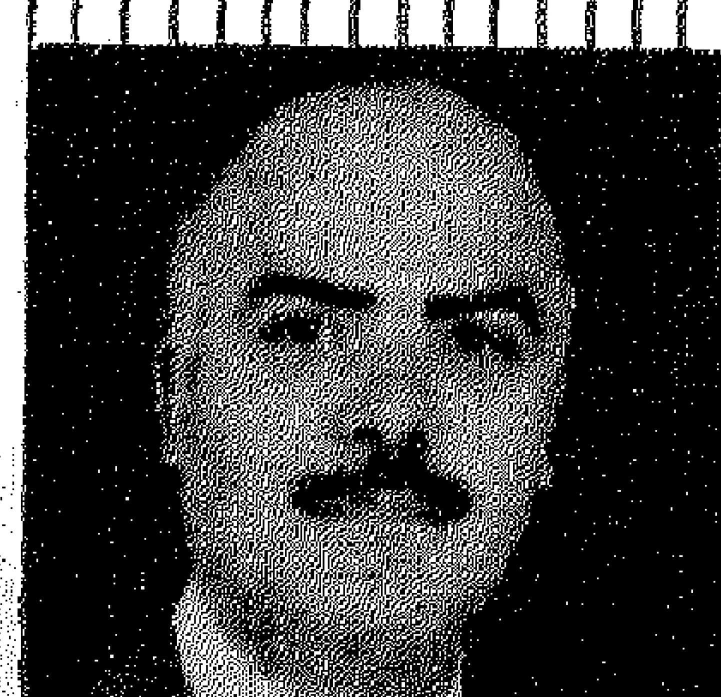
في هذا العدد

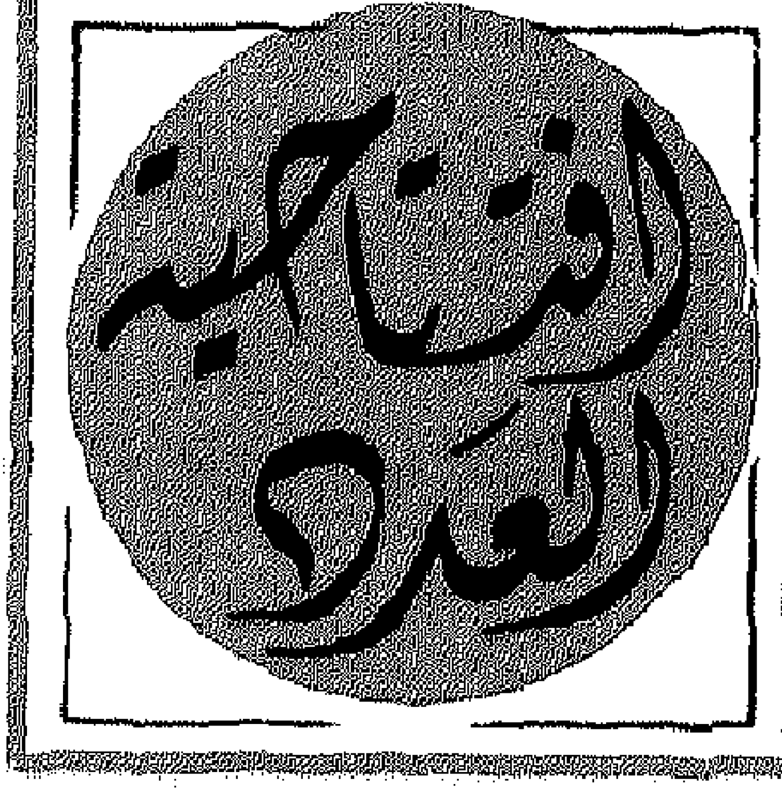





كاظم هادي الحيدري


الفريق يحيى عبد الله المعلمي


محمد الصادق عبد اللطيف



ضرورة الأهداف للمعرفة

ماهى المعرفة ؟

الأهـداف دليـل الـوضـوح، وغيـابها غفلة وغموض، تحدد الاتجاه لمتعلق الإرادة والمهمة «وهى قوة العـزم الفعـال الحـركى ترفع إلى أقصى حدود الإرادة» تبتدىء بالتصور الواقعى محترسة من الوقوع فى الخطأ، وتسير وفق منهاج قديم مبنى على الفكر العلمى، وتنتهى بالانجاز نظرا لصدق النية وقوتها للخروج من الفكرة إلى التطبيق أو قل من القدرة إلى الفعل.

وكـل علم ليس بعملى ولا عمل ليس بعلمى يؤول إلى التحـرك بدون وصـول إلى تعيين فكرة واضحة أو غاية محددة.

ثم إن الأهـداف مرتبطة بالنظرة العامة للوجود ومعنى الاكوان وبالحكمة فى وجود الذات والموضوع أى الإنسان والمخلوقات الأخرى.

لابـد لاعتبار وجوه العلم الثلاثة لتكوين فكرة على الأهـداف، وهى العلوم المتعلقة بالمحسوسات والعلوم المتعلقة بالمعقولات المجردة المنطقية مثلا فيما وراء الطبيعـة الحقيقية والعلوم المتعلقة بالمعقولات المعنـويـة العليـا فالأولى كالكيميـاء والثـانيـة كالـريـاضيـات والثـالثة كالذوقيات العقلية بأوسع معـانى العقل مثل الوجود والكينونة والمادة والروح والعـدم والخلود والحيـاة والموت وغـير ذلـك من المعنويات التى تدرك بسرعة الخاطر وصدق الذوق ودقة الحدس وتفتح القلب والشوق إلى النور فرارا من جمود الظلام الحاجب عن الحقائق العليا والمبادىء السامية. والحقائق المصادق عليها بالتواتر.

أما تفصيل الأهداف على سبيل المثال متيسر لا على سبيل الحصر فى ميدان المعرفة الذى لا ساحل له.

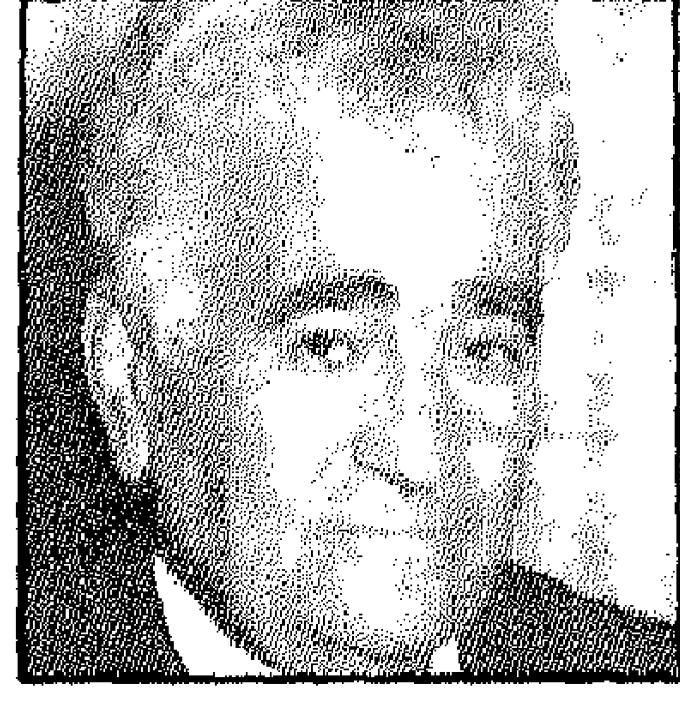
أولا : يستحسن على وجه الاجمال تصنيف الحقائق بكيفية تقريبية إلى :

ذاتيـات : كوجوب الوجود واثبات الكيان

وجماليات : كالتضامن والتواصى والإتقان

وجلاليات : كالدفاع والغلبة والقوة.

وفعاليات : كالسلوك العلمى والاجتماعى والمعنوى



بقلم الدكتور
المهدي بن عبود

الإنسانية

سلسلة أمثلة الأهداف للمعرفة بدايتها فى العلم بأوسع معانى الكلمة ونهايتها فى المطلق الذاتى والجمالى والجلالى والفعلى.

وهى إذاً لا حصر لها، إلا أنها تتدرج فى دائرة هذه الفصول اعلاه.

فالإنسان يرغب فى المعرفة أولا:

١ ـ ليكون ويحافظ على هذا الكيان باثبات الوجود بعد معرفته.

٢ ـ ليشعر ويذوق المعانى والدقائق واسرار هذا الوجود عن طريق الفعل والقلب معا.

٣ ـ ليعدل ويتكلف بتدبير شؤون الحرية والكرامة بحسب مبدأ التوازن حتى لا يسقط البنيان.

٤ ـ لإعمار الأرض بالإنجازات الصالحة ومحاربة الأعمال الفاسدة الهدامة لهذا البنيان الاجتماعى.

وبناءاً عليه فإن الناس يطمحون إلى الأهداف الذاتية مثل:

١ـ المعرفة من أجل الصواب فى المعلومات وتوضيح الوجود لأن الأخطاء تحدق بالإنسان فى كل لحظة.
٢ـ المعرفة من أجل الكيان وإثبات الوجود بالفعل للنمو والازدهار.
٣ـ المعرفة من أجل الحياة العميقة لا السطحية ولا الغامضة كبعض الفلسفات.
٤ـ المعرفة من أجل التحقيق العالى لمعنى الإنسان حتى لا ينحدر إلى مستوى الحيوان كما هو الحال من بعض النظم وبعض الحضارات.
٥ـ المعرفة من أجل القرب من الحقيقة العليا للوجود المطلق.

فتكون المعرفة من هذه الحيثية نقطة الوصل الوجودى بين:

١ـ الإنسان ونفسه.
٢ـ والإنسان وغيره من البشر.
٣ـ والإنسان والاكوان الأخرى مع الموجودات الأرضية.
٤ـ والإنسان والمطلق علماً وعملاً وحالاً وقولاً.

والناس يطمحون أيضا إلى الأهداف الجمالية مثل المعرفة من أجل الذوق والحدس الحكيم للحق والخير والجمال.

١ـ المعرفة من أجل تفتح القلب لتدريبه على الحق وقبوله واجتناب الجحود الجاف.
٢ـ المعرفة من أجل إتقان الأعمال والأحوال والأقوال عند الفرد والأسرة والمجتمع.
٣ـ المعرفة من أجل إرضاء الميل إلى الوحدة والاتحاد بين العقول والقلوب فى المبادىء والوسائل والغايات مع مراعاة الاختلاف قصد التعارف.
٤ـ المعرفة من أجل جلب الغير إلى النفس ودفع النفس إلى الغير بالتضامن والتناصح.
٥ـ المعرفة من أجل المشاركة المصيرية عند الأسرة أولاً والأمة ثانياً والإنسانية ثالثاً.

وهم تواقون إلى الأهداف الجلالية مثل:

- المعرفة الضرورية للنوايا والمكائد الاستراتيجية فى الحروب الخمسة: العسكرية، والاقتصادية، والنفسية والحضارية، والعقائدية، سواء السرية منها أو العلنية، الباردة أو الحامية.
- والمعرفة من أجل التحرر العنيف وقهر الشر بالجهاد على اختلاف أنواعه.
- والمعرفة من أجل التحرر العقلى واستقلال الفكر.
- والمعرفة من أجل إنكار الجهل البسيط والمركب وغيره.
- والمعرفة من أجل محاربة التحريف المقصود كما وصفه المفكرون من قبل.
- والمعرفة من أجل محاربة الاستكبار العنصرى العرقى، أو الإرهاب الفكرى، أو التعسف السياسى.

وأخيراً يتحرك المجتمع البشرى نحو الأهداف العقلية لأن الحق بناء كما هو الحال فيما يتعلق بالخير والجمال فتكون المعرفة من أجل:

- المعرفة من أجل الإعمار والاستخلاف فى الأرض.
- المعرفة من أجل التنمية المعاشية والتزكية النفسية.
- المعرفة من أجل التقوية والتسوية والاعتدال بالقانون والنواميس العلمية.
- المعرفة من أجل تغيير مستمر بالمحاسبة للنفس وللغير ومراقبة التفسخ.
- المعرفة من أجل الاستمرار بالمراقبة والتواتر يصل الزمان بعضه ببعض من ماضٍ وحاضر ومستقبل.

ميادين المعرفة :

هذه الأمثلة من الأهداف تجتمع أو بالأحرى تتوزع على ميادين عديدة مجملها تقريبا :

■ العرفان وهو النظرة العامة على الكون والوجود والإنسان.

■ السلوك الفردى لئلا ينتشر الغموض والظلم للنفس وللغير وفكرة الباطل والعبث وترك الناس سدى.

■ التنظيم الاجتماعى ليتبين للناس أنهم خلقوا من نفس واحدة.

■ التدبير الاقتصادى حتى لا يصير السيد وهو الإنسان عبداً لخادمه وهو المال وما يتكون من شهوات طاغية بعيدة من الاعتدال والتهذيب.

■ مشكل الحكم للاشتراك والتشاور والعمل كجسم واحد بدون زيغ ولا استبداد.

■ الدولة لحراسة الشرائع والدستور من التعسف والاستبداد والإهمال والتحريف والتدمير.

■ التضامن البشرى فى العلاقات الدولية ليعلم الناس أيضا أنهم خلقوا من نفس واحدة وان يتعاملوا مع بعضهم بعضا من أجل السلم والبناء، لا الحرب والتخريب كنفس واحدة.

■ فلسفة التاريخ، أو بالأحرى حكمة الوجود الزمانى بأن العالم مبنى أساساً على فكرة نظام محكم لا تبديل له، وأن له حدوداً وسنناً وأن المحتمات التى تتعدى هذه الحدود وهذه السنن تخرج عن طريق الجادة وتنزلق ويتبع ذلك التدمير المحتوم مثل أحداث التاريخ الواضحة العبرة خلال تداول الأيام بين الناس حيث يكون الحق بنّاءاً والباطل هداماً.

■ معنى الحرية الحقيقية، وهى جماعية وفردية وشرعية وسلوكية، محمية بالقانون فى المجتمع، وبالعقل عند الفرد ولا يدوسها إلا ظالم لنفسه ولغيره أى ناقص العقل.

■ وأخيراً العلوم الواجبة على كل فرد لأنها فرض عين قليلة كانت أم كثيرة، عامة كانت أم شخصية ظاهرة كانت أم باطنة، تكسو الإنسان حلة الاحترام والتقديس لتنمو نحو الغزارة وعمل الخير البناء وتجتنب التعنت والإفساد والاستكبار بعمل الشر الهدام وبهذه الحلة الساطعة تتوصل العلوم فى ذاتها إلى العرفان العام لأنها تكتسى صبغته المقدسة وتقفل الدائرة.

طبيعة المعرفة :

المعرفة هى النظرة الشاملة عن الوجود والأكوان بما فيه الوجود المطلق تمتد على الظاهر والباطن والكلى والجزئى يتخذها الإنسان نورا يهتدى به كعلم وكمنهاج وكنظام من أجل حياة نيرة ومعاش طيب، وسلوك حر وتفكير مثالى، يمكن من التناسق قصد التجاوب والتوافق قصد السكينة والانسجام، قصد الحياة والتعايش، يرضى المحسوس والمعقول، ويربط ما بين الجسم فى مجال الاقتصاد والنفس فى ميدان التكوين والنمو، والروح فى معارك التنوير والإشراق. ويوسع آفاق العقل، ويفتح أسرار القلب ويضىء سبل الحياة، ويعمق قدرة الإدراك لغاية عظيمة هى الحصول على العلم العملى أو العمل العلمى من أجل تحقيق الوجود الصادق الأصيل فى مسيرة أبدية إنسانية ورعاية أزلية عليا عبر الحياة الدنيا ثم البرزخية نحو حياة خالدة.

وهذه النظرة المتصفة بالشمول شرطها الأساسى العصمة من الخطأ، وهذا لا يتأتى إلا من منبع لا يتعرض إلى النقصان والهفوات أى الخطأ. وبما أن العقل البشرى خلق خطاءاً بجانب قدرته الطبيعية على كسب العلوم التجريبية والعقلية، فإن إطلاق الصدق والصواب مستحيل فى حق البشر بل المعترف

به هو التأرجح بين الصواب والخطأ. ولابد إذن من فرض منبع معصوم من الخطأ يأتي من أعلى وهو الوحي رضي الجاحدون أم كرهوا.

وليس من المقبول افتراض الوحي دون مشاركة العقل ولو كان خطاءاً، إذ كل رسالة عليا هي موجهة إلى الإنسان بما هو عليه وكما خلق وطبيعة معرفته ثلاثية الشكل، جوهرها عقيدة ومظهرها اجتهاد، وتطبيعها التزام بقوانين الحق أي إسلام الوجه وإذعان العقل لها علماً وعملاً.

طبيعة المعرفة هذه هي التي تساعد الإنسان على:

١- التحرر من السطحية والضعة والمسكنة والتخريف.
٢- تكسير القيود والأغلال المادية والمعنوية.
٣- جمال الصراع في الوجود الحي المتلاطم الأمواج البهيجة.
٤- إحياء النفوس والقلوب في نعيم لا تغشاه غفلة ولا تفسخ ولا ضعف ولا انحلال.
٥- اليقظة الدائمة بالتذكر والمراقبة والمحاسبة حتى لا يقع تقهقر.
٦- المثول الدائم أمام الحضرة الحقّيّة المطلقة.

مناهج المعرفة:

ينتقل طالب المعرفة على درجة سلم البحث منها:

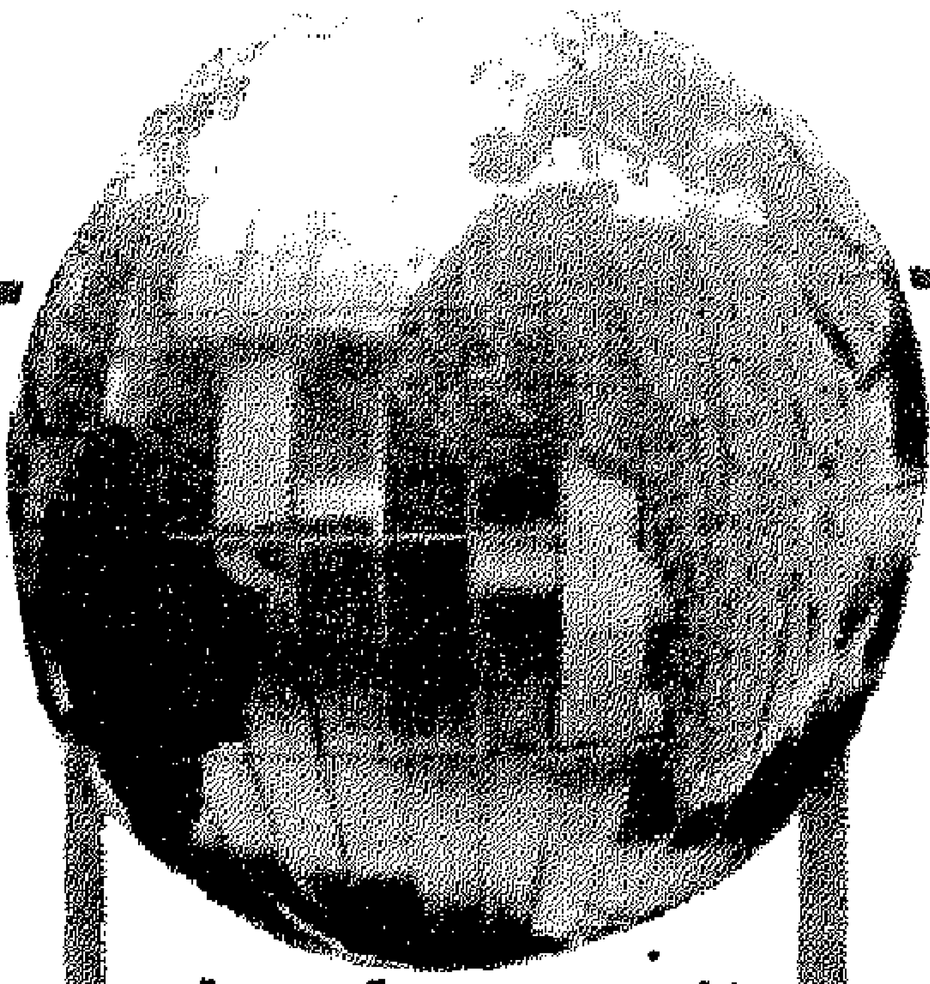
- الاستعداد الفطري المسير لما خلق له من معارف.
- الإرادة والمواظبة على تربية النفس على البحث.
- تربية ملكة الملاحظة والنظر في الكون والوجود.
- العمل والتجربة المتكررة كيفما كان ميدان البحث حسي أو عقلي أو ذوقي، إذ التجارب تمارس أيضا
- الاستبصار قصد التفهم والاستيعاب والاستعمال.
- الاعتبار كتنمية حرية الاختيار والمسؤولية.
- الإخلاص لتزكية الأعمال واجتناب التناقض وأعمال الشر والتدمير ومن أجل ترقية النفوس.
- اكتمال المعرفة بتوسيع آفاقها وتعميق إشراقاتها.
- إصلاح المجتمع البشري بالتغيير العلمي المتين الحقيقي بعيداً عن الأوهام وطول الأمل، وطبعاً كل هذا يفرض مراحل:

التعليم - والتطبيق - والتفاعل - والانفتاح - والثبات - والرضى القابل - والانسجام المقبول - والتوافق الحي المنعم.

وكل نظرة على الكون تبتدىء بخطوات منها:

- فكرة البداية كنقطة انطلاق تنوع إلى مضمون.
- معنى يكون هو هذا المضمون.
- واقع يجعل المضمون حقيقياً لا خيالياً يرغم على العقول.
- حقيقة تستقرأ من هذا الواقع.
- قانون يقوم على هذه الحقيقة.
- علم يصنف من مجموع القوانين.
- شريعة مبنية على هذا العلم كخطة.
- عقيدة أو إديولوجية تحيا بحياة الشريعة.
- تدبير الكون والوجود بمقتضى هذه العقيدة أو الإديولوجية بحسب لغة العصر.
- المحافظة على تكريم الإنسان وتفضيله.

بفضل الخضوع لهذه العقيدة وإسلام العقل والوجه لقوانينها تتحدد المعرفة الانسانية وتتضح ضرورات مسار اهدافها.




جلالة المغفور له الملك فيصل

أوضح التقرير السنوى لمؤسسة الملك فيصل الخيرية ان مجموع ايرادات المؤسسة من الاستثمارات خلال عام ١٤٠٣هـ بلغت ٥٠٫٧ مليون ريال وبلغ مجموع ما انفق على المشاريع والبرامج الخيرية ٢٣٫٨ مليون ريال تشمل ما انفق على مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية وجائزة الملك فيصل العالمية والمنح الدراسية والمنح والهبات والمساعدات كما بلغ ما تم انفاقه على المشاريع الاستثمارية خلال العام المذكور ١٤١٫٧ مليون ريال وقد شمل: **مشروع الخيرية ١، مشروع الخيرية ٢، ومشروع الخيرية ٣، ومشروع مركز ابها التجارى**، واشار التقرير الى ان صافى ملكية المؤسسة بلغت بليونا و١٩٠مليون ريال.

جلالة الملك يمنح فيصل بن فهد وفهد بن سلطان وشاح الملك فيصل


جلالة الملك فهد بن عبد العزيز


فيصل بن فهد


فهد بن سلطان

تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز بمنح صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب ورئيس الاتحاد العربى السعودى لكرة القدم وشاح الملك فيصل كما تفضل جلالته بمنح وشاح الملك فيصل لصاحب السمو الملكى الامير فهد بن سلطان بن عبد العزيز وكيل وزارة العمل والشئون الاجتماعية لشئون الرعاية الاجتماعية ونائب سمو رئيس الاتحاد السعودى لكرة القدم.

كما قام جلالته بمنح ٢٢٢ شخصا من اعضاء اللجان الاساسية التى قامت بالتحضير لمهرجان الشباب العربى السادس وسام الاستحقاق من الدرجة الثانية وكان هذا المهرجان قد عقد فى ربيع الاول لهذا العام على شرف جلالته بمدينة الرياض.

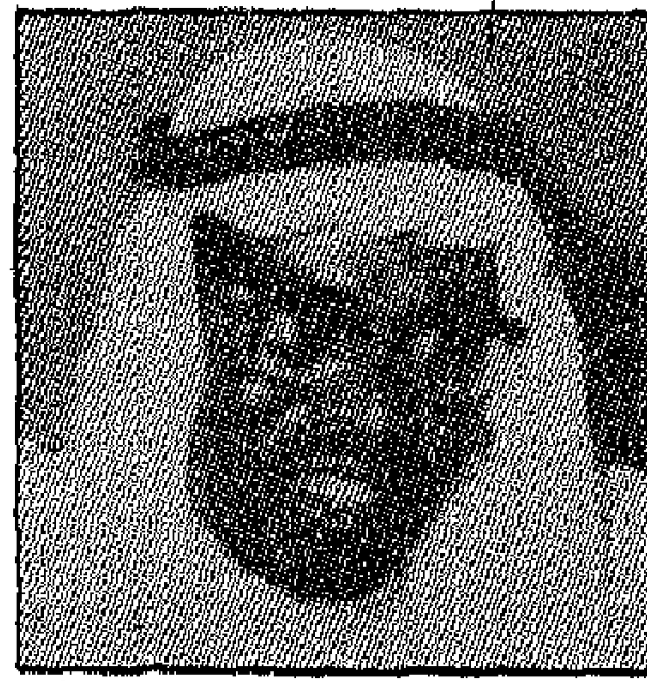
٨٥ مليون ريال تكاليف مشروع تبريد ماء زمزم

بلغت التكاليف الاجمالية لمشروع تبريد ماء زمزم آليا بمكة المكرمة والذى تنفذه الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ٨٥ مليون ريال.

هذا المشروع يتم تغذيته من بئر زمزم مباشرة ثم يتم تبريد الماء فيه ويتخذ مسارا دائريا ليغذى جميع مجمعات ماء زمزم بالحرم المكى الشريف والتى يبلغ عددها ٢١ مجمعا موزعة على عدد من جهات الحرم، كما يبلغ عدد الصنابير ٧٠٠ صنبور ماء.



زمزم



د. احمد محمد

٥١٧ مليون دولار قيمة مشروعات يمولها البنك الاسلامى

● بلغت المبالغ التى قام البنك الاسلامى للتنمية بجدة بصرفها للمشروعات ولعمليات التجارة الخارجية خلال العام الماضى ما يقرب من (٤٨٧) مليون دولار امريكى اى بزيادة مقدارها ٥٣٪ عن العام الذى سبقه حيث بلغ مجموع الأموال المنصرفة بالفعل نحو (٣١٩) مليون دينار اسلامى اى نحو (٤١٤) مليون دولار امريكى واذا اضيفت المبالغ التى صرفت فعلا خلال المدة المنقضية من العام الحالى ١٤٠٤هـ يكون مجموع المبالغ التى صرفت للعمليات اكثر من (٢٢٦٢) مليون دينار اسلامى اى ما يعادل (٢٥٦١) مليون دولار امريكى تقريبا.

وبذلك يصبح مجموع ما تم اعتماده لصالح المجتمعات الاسلامية فى الدول غير الاعضاء ستة عشر مليون دينار اسلامى اى ما يعادل ثمانية عشر مليون دولار امريكى.

مشروعات إسلامية تدعمها المملكة بأندونيسيا

افتتح فى منطقة حلوة الشرقية فى اندونيسيا عدد من المشاريع التى تبرعت المملكة العربية السعودية بتكاليفها وتشمل هذه المشاريع التى حضر حفل افتتاحها «سفير المملكة العربية السعودية فى اندونيسيا» المستشفى الاسلامى ومسجدا للمجاهدين ودارا لليتامى فى مدينة مالينقيا فى جاوة الشرقية.

واعرب رؤساء هذه المؤسسات الاسلامية عن شكرهم وتقديرهم لجلالة الملك (فهد بن عبد العزيز) الذى لا يألو جهدا فى سبيل دعم مشروعات المسلمين فى مختلف انحاء العالم.

عشرة ملايين دولار للمجاهدين الأفغان من المملكة

بدافع الاخوة الاسلامية المشتركة ودعماً للحق وانتصارا لاعلاء كلمة الله قدمت المملكة العربية السعودية مبلغ عشرة مليون دولار تبرعاً ـ أولياً ـ من شعب المملكة للمجاهدين الأفغان فى شهر شعبان المنصرم.

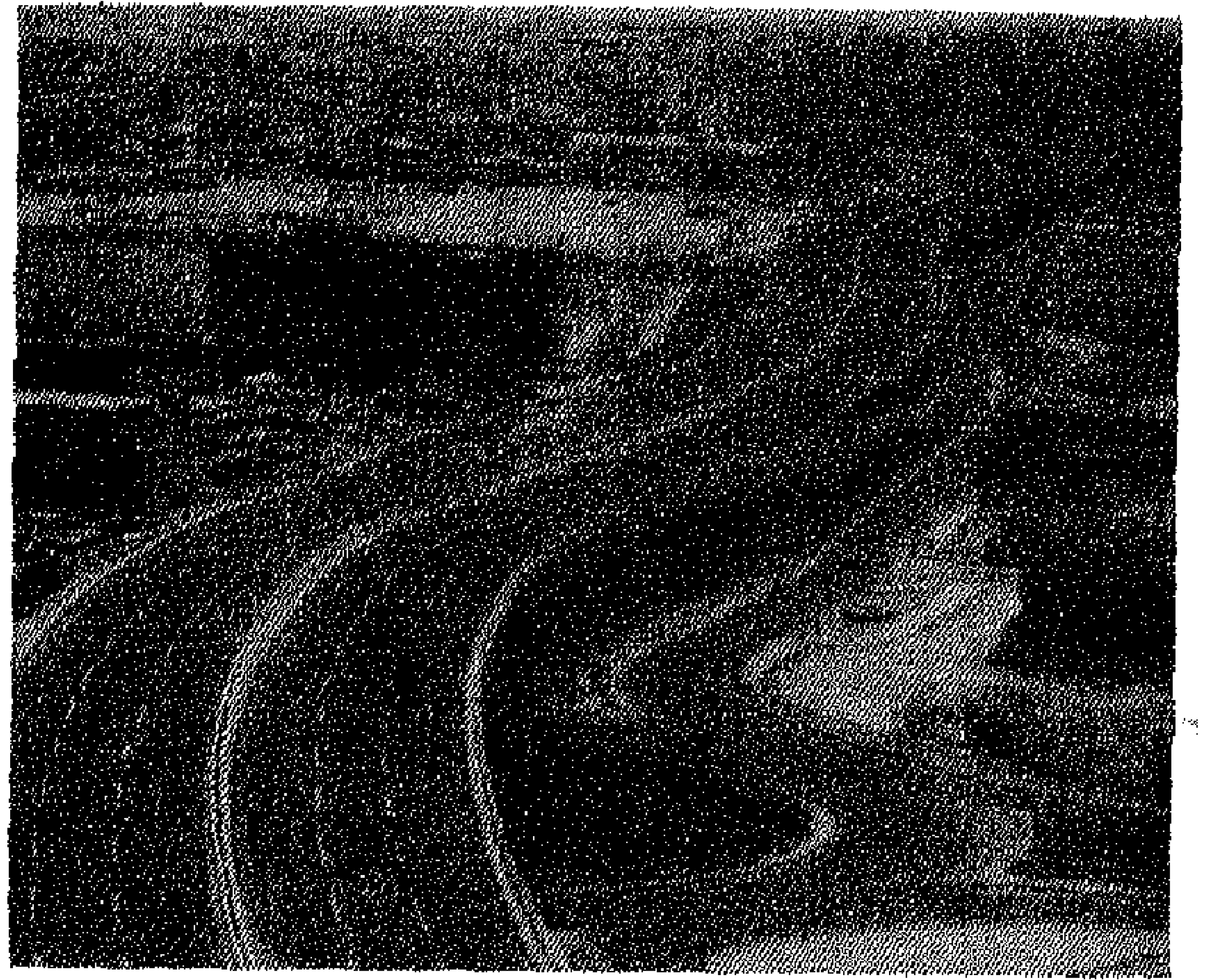
وقام معالى سفير المملكة فى باكستان الاستاذ توفيق علمدار بتسليم المبلغ لأمير الاتحاد الاسلامى لمجاهدى افغانستان البروفسير عبد رب الرسول سياف وتقدم أمير الاتحاد بشكره الخالص والمجاهدين بهذا العطاء السخى من المملكة حكومة وشعباً.



منحة من المملكة لغوث اللاجئين

قدمت المملكة العربية السعودية لوكالة غوث اللاجئين منحة مالية لهذا العام ١٩٨٤م قدرها أربعة ملايين دولار وذلك دعماً ومساهمة فى ميزانية المنظمة .

وبلغت مساهمة المملكة فى الميزانية السابقة ١٫٢ مليون دولار أما عن المساهمات التى قدمتها المملكة لميزانية منظمة غوث اللاجئين منذ انشائها عام ١٩٥٠م حتى اليوم حوالى ٦٤ مليون دولار .



جسر الخليج

مملكتنا الحبيبة تشهد كل يوم تطورا جديدا ، وتنجز كل حين قفزة حضارية تهدف خدمة الانسان السعودى ورقيه وتطوره نحو الأحسن والأفضل أخذاً بالمتاح الممكن من وسائل التقدم العلمى والتكنولوجى . . ولا يخفانا أن جسر الخليج العملاق فى مدينة الرياض يعد معلما حضاريا يضم الى ما قبله من انجازات فضلاً عن مظهره الفنى وقيمته فى مجال الاداء وتيسير حركة المرور التى اصبحت تزداد يوما بعد يوم ولا سبيل لحل اختناقاتها الا بمثل هذه الوسائل العلمية والتكنولوجية المتقدمة .



دكتور عبدالله عمر نصيف

افتتاح المركز الإسلامى فى جلاسكو

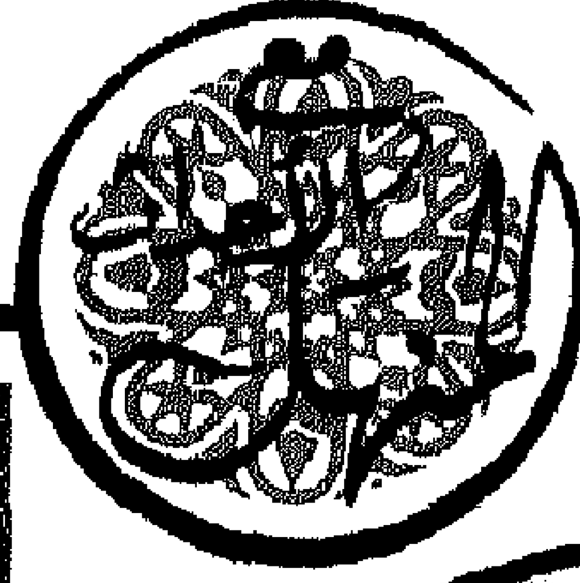
المركز الاسلامى فى مدينة جلاسكو فى بريطانيا يعد من اكبر المراكز الاسلامية فى أوربا يضم المركز مسجدا يتسع لاكثر من خمسة آلاف مصل ومكتبة اسلامية وقاعة للاجتماعات العامة . ويعد أيضا اول مركز فى اسكتلندا التى يبلغ عدد المسلمين فيها أكثر من عشرين ألف مسلم وثانى مركز إسلامى فى بريطانيا .

هذا المركز افتتحه فى شهر شعبان الماضى الدكتور عبد الله عمر نصيف الامين العام لرابطة العالم الاسلامى وحضر الافتتاح إمام الحرم المكى الشريف الشيخ محمد بن سبيل والوزير المفوض بسفارة المملكة فى بريطانيا الاستاذ ناجى مفتى وجمع من علماء المسلمين .

تجدر الاشارة الى ان هذا المركز بلغت تكلفته ثلاثة ملايين جنيه استرلينى وتم انشاؤه بجهود من المملكة العربية السعودية .

وخلال زيارة الدكتور نصيف عقد مجلس البحث الفقهى الإسلامى الأوربى جلسات دورته الأولى برئاسة معاليه .

وقد رفع المجلس الفقهى شكره وتقديره للجهود التى يبذلها جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته الرشيده فى سبيل الدعوة الى الله واعلاء كلمته .





● الامين يتلقى تهنئة فنانى رئيس مجلس الشيوخ الايطالى ورئيس الوزراء

الفارسى ووسام أوربا

تقديرا للنشاط الفنى التطويرى الرائع الذى قام ويقوم به معالى المهندس محمد سعيد فارسى أمين مدينة جدة للثغر العروس، فقد تقلد معاليه «وسام اوربا» للفن لعام ١٤٠٣هـ.

وتم منحه الوسام من قبل لجنة الشعار الاوربى (وهى مؤسسة أوربية مستقلة تعنى بالفن والثقافة والرياضة) فى حفل كبير أقامته اللجنة (تحت رعاية نائب رئيس البرلمان الاوربى) لذات الغرض فى مدينة روما.

وأشار معالى المهندس الفارسى ان ما تم فى مدينة جدة من انجازات تعميريه وتخطيطية وتجميلية فنية كان نتيجة طبيعية لتشجيع ومتابعة ودعم جلالة الملك فهد بن عبد العزيز. ومن دوافع العرفان والوفاء رفع هذا التقدير العالمى الى جلالة الملك فهد المفدى.

ويرجع معاليه فكرة التجديد المعمارى والتخطيط الفنى فى مدينة جدة الى ما كانت عليه المدينة من طراز معمارى خاص وذلك من اجل ربط القديم بالجديد، وذلك كله يقوم على نظرية أساسها الجمال الذى ينبع من الكمال. والكمال - بالضرورة - لابد ان يواكب ابداعات المخطط العام فى جميع جزئياته.

المركز الثقافى الاسلامى الذى أنشأه الشيخ عمر عبد الله كامل عام ١٣٩٦هـ يقوم بمجهود دينى طيب وموفق باذن الله تعالى فى الدعوة إلى دين الله ونشر التربية الاسلامية فى عشرات الآلاف من الاجانب حيث وضع لهم المركز برامج منهجية وكتب باللغة الانجليزية والكورية، مما استطاع به ان يُدخل مائة الف كورى فى الدين الاسلامى، ويشهروا اسلامهم فى المملكة العربية السعودية.. ويضم المركز إليه كل الراغبين فى ذلك من الاجناس المختلفة.

جامعة الخليج العربى

فى اخر رجب المنصرم وضع سمو الشيخ عيسى بن سلمان آل خليفة أمير دولة البحرين حجر الأساس لمنشآت جامعة الخليج العربى التى ستقام بمنطقة الصخير بالبحرين.. وذلك بحضور وزراء المعارف والتربية والتعليم بدول الخليج الاعضاء فى مكتب التربية العربى التابع لدول الخليج.

وتعد العشرون فى سلسلة الجامعات فى دول المنطقة.. وترجع فكرة انشاء هذه الجامعة (الاقليمية) المشتركة الى المؤتمر الاول لوزراء التربية والتعليم لدول الخليج العربية الذى عقد فى الرياض عام ١٩٧٥م.

كتشاف أثري في الإمارات

في منطقة (الهيلى) فى الامارات العربية المتحدة تم العثور على مجموعة من الأوانى الفخارية يرجع تاريخها الى ٢٥٠٠ سنة وهذه ضمن مجموعة مكتشفات اخرى يرجع تاريخها الى العصر الحديدى وتشير تلك المكتشفات الاثرية الى الادوات التى كانت سائدة فى مدينة (العين) فى تلك الفترة باعتبار المنطقة كانت مركزا لحضارة واسعة.


السلطان قابوس


الشيخ زايد

سد عمان

فى سلطنة عمان يجرى حاليا انشاء سد ضخم لتخزين ١٥ مليون متر مكعب من مياه الامطار فى باطن الأرض، ويقوم المشروع على مساحة ثلاثة ملايين ونصف مليون متر مربع وبطول يبلغ حوالى خمسة كيلومترات ويهدف المشروع الى زيادة المياه الجوفية فى منطقة وادى القوض ويعد هذا الوادى الذى يجرى فيه انشاء السد من اكبر وديان السلطنة.

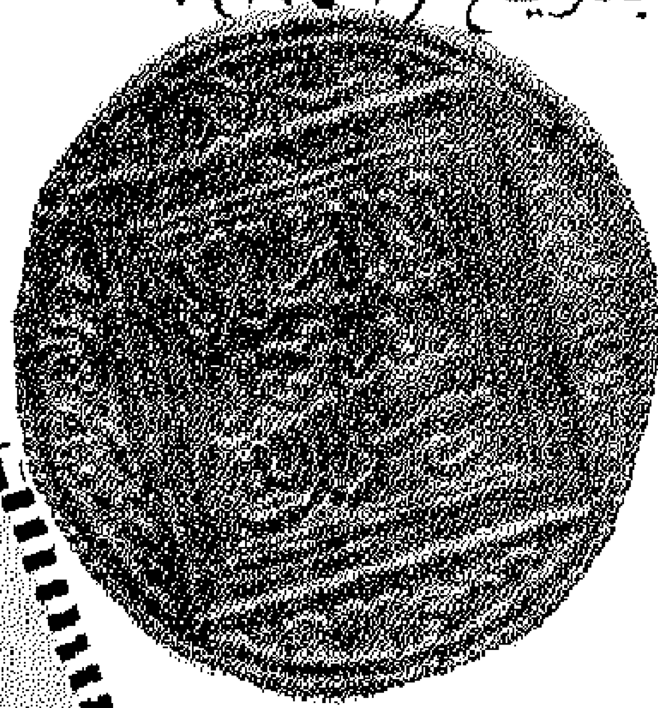
وتصل تكاليف المشروع الى ما يقرب من ١٣ر٥ مليون دولار. ومعروف ان عدم وجود سدود لحجز مياه الامطار فى السلطنة اضاع عليها الاستفادة من ملايين الامتار المكعبة من المياة سنويا تذهب الى البحر.

كنز إسلامي في موسكو

اعلن فى موسكو عن اكتشاف كنز يحتوى على (الف قطعة نقدية من الدراهم العربية) التى تعود الى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين. وقد عثر على الكنز اثناء عملية حفر فى غابة مجاورة لضفة نهر بمنطقة (فلاديمير) شمالى موسكو، **وقد وصف الكنز بأنه واحد من اكبر كنوز الدراهم العربية التى تعود الى النصف الاول من القرن التاسع.**

وذكر ان دراهم دولة الخلافة العباسية فى القرن الثامن تشكل معظم محتويات الكنز، فيما يعود الجزء الآخر الى «الدولة الاموية» وان احدث درهم منها مختوم بتاريخ (٨٤٢).





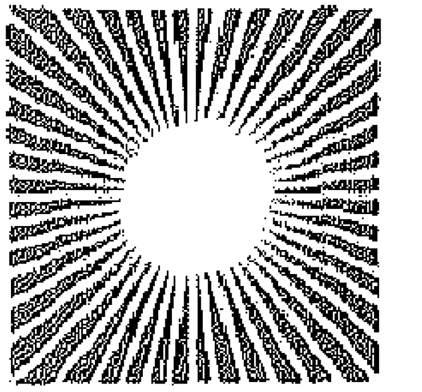


سكان العالم

يقول المختصون بان عدد سكان العالم حاليا ٤ر٧٦ مليار نسمة ومن المتوقع أن يصل هذا العدد الى ٦ر١٣ مليارات عام ٢٠٠٠ باذن الله.

وتقول احصائيات الامم المتحدة للسكان ان عدد السكان يزيد حاليا بمعدل ٨٠ مليون نسمة كل عام، ويتوقع أن يرتفع الى ٩٠ مليون نسمة نهاية هذا القرن.

المسلمون



خطر بذهنى وأنا فى خلوة هادئة بعيدا عن صخب الناس . . وضوضاء الحياة وصراع العيش وتزاحم القادمين والرائحين . وفى حجرة مكتبى حولى المؤلفات من العلوم المختلفة والفنون المتنوعة إلا أن الذى كان يلفت نظرى ويتقاضانى أن أرتبط به وأتحدث إليه ما كان متصلا بالإسلام يتحدث عنه أو يعالج مشاكله وقضاياه . . وهنالك ثارت فى نفسى ذكريات وتزاحمت خواطر بعضها كان يوحى بالألم أو الحسرة وبعضها كان يوحى بالإجلال والإكبار . . ولكننى مع ذلك كله وجدت نفسى فجأة أنسلخ من هذه الذكريات وأتخلص منها . . وأجدنى وصوت يدوى فى أذنى بهذا السؤال «هل المسلمون أمة واحدة»؟ . . ولم يكن هذا السؤال خاطراً خطر ببالى ولا وُجِّه إلىَّ من إنسان بعينه ليناقشنى فيه أو يتلقى منى الجواب عنه وإنما كان صداه يجىء إلىَّ من الجهات الست أو أكثر من الست . . وقد أردت بادىء ذى بدء أن أرد على هذا الصدى بأن القرآن الكريم قد نطق بهذا وهو كما يدل عليه إيماننا به ﴿ **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد**﴾ والمسلم يأخذه على العين والرأس لا يمارى فى صدقه ولا يشك فى يقينه ولا يتردد فى أنه يقول الحق وهو يهدى السبيل . . إلا أننى عدت من جديد لأقول لنفسى ـ **أيضا** ـ إن الجملة الدالة على ذلك وهى قوله سبحانه : ﴿**إن هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ هل هى خبر عن معنى حاصل؟ وكأنه يقول الإسلام قد سلخ الناس عن جنسياتهم التى انحدروا عنها وأممهم التى كانوا منها وجعلهم مسلمين وكفى .

أمة واحدة

بقلم
د. ابراهيم أبو الخشب

فلا يقول المسلم من إيطاليا أنا إيطالى ولا من انجلترا أنا انجليزى ولا من فرنسا أنا فرنسى. والإسلام هو الجنس والوطن فى آن واحد.. أم هو خبر قد أريد به الإنشاء ـ كما يقولون ـ وكأنه يقول كونوا أمة واحدة.. أو ينبغى أن تكونوا أمة واحدة لأن الإسلام حدب وحب. وود وعطف.. وتعاون وبر.. ومجاملة وعفو.. ومعروف وخير.. وإحسان ورحم.. واتصال ورحمة.. وذوق وأدب.. وإخوة وسلام.. ولين ورفق.. وحضارة وعمران.. ونهوض وإصلاح.. وهذه من حقها أن تؤلف بين القلوب وتقرب بين النفوس وتربط بين الأرواح.. وتجعل الميل إلى الجماعة والرغبة فى التفاف الناس بعضهم لبعض من الأمور الميسورة والمعانى الضرورية.

ولا معنى للأمة إلا تكتل هذا السواد والتقاء هذا العدد وتجاوب تلك الأرواح تجاوبا تلقائيا أو طبيعيا.

وإن كان علماء الاجتماع يفلسفون الموضوع فلسفة أخرى إذ يقولون «**إن الأمة جماعة من الناس ألف ما بينهم دين واحد ولغة واحدة وآمال وآلام واحدة ومصلحة واحدة.. ثم لا تفصلها بعد ذلك سدود ولا حدود لأن أرض الأمة كلها وطنها وإن كان موزعا إلى أجزاء أو مقسما إلى أماكن**» وأنا لا أريد ان أتتبع الحديث عن هذه المقومات واحدا واحدا. أو أن أتعرض لها بالثبوت أو النفى: لأقول إن الإسلام ألف من شتيت العالم أو فلول الآفاق أمة واحدة تجمعها الآمال والأحلام والأمانى والأهداف.. وإنما أريد أن أتكلم عن اثنين من هذه كلها: وهما الدين واللغة على اعتبار أنهما أهم هذه المقومات وأبرزها لأنتهى إلى أنهما قد أديَّا ما عليهما خير الأداء.. وقاما بواجبهما على أحسن الوجوه.. وربطا بين الناس برباط وثيق. تحقق به معنى الأمة كما يجب أن يكون. وأصبح أتباع هذا الدين كما يتحدث عنهم القرآن الكريم ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾

والدين ـ كما لا يخفى علينا ـ يدخل فى مفهومه الاجتماع والترابط والتآخى والتعاطف والبر والتواصل والتلاقى. وأن يذوب الواحد فى الكل، وأن تقوم هذه المعانى كلها بين الناس مقام القانون ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ ومن أجل ذلك تكون الوحدة العظمى وهى الوحدة الإنسانية العامة التى كان الدين وحده هو الوسيلة إلى قيامها وحجر الأساس فى بنائها.. وهى وحدة إذا تحققت ضمنت للعالم السلام وللبشرية السعادة، وللأرض الاستقرار.

وهنالك تكون كلمة الله هى العليا وهو الهدف من الرسالات. والغرض الأسمى من الديانات.. ونحن أمام ذلك المطلب أو تلك الركيزة نستطيع أن نقول إن شيئا من ذلك لم يتحقق لا لأن الدين عجز عنه ولا لأن المسلمين مغلوبون



على أمرهم أو أذلاء فى ديارهم أو أنهم لم يجدوا فى أخوة الدين، وآصرة تلك الشريعة ردا لظلم أو دفعاً لغُبْن أو إنصافاً لقضية أو حماية لحق أو إعلانا لثورة على الباطل أو سخطا لفوضى أو كراهية لانحراف. وهو من أجل ذلك لم يجمع تلك القلوب ولم يؤلف بين هذه النفوس ولم يضم هذه الأفراد ولم يكن له أثر فى رأب الصدع. ولا لَمّ الشمل ولا تناسى الإحن والحزازات.

ويذكرنا هذا بقصة الرجل الذى جاء إلى النبى ﴿ﷺ﴾ يشكو له مشاء بطن أخيه وأنه يطلب منه أن يدله على الدواء الذى يقضى على هذه العلة ويذهب بهذا المشاء الذى أصابه فأشار عليه النبى ﴿ﷺ﴾ بعسل النحل يسقيه له لأن الآية الكريمة تقول ﴿فيه شفاء للناس﴾ وقد عمل الرجل بهذا التوجيه إلا أن المرض كان لا يزال. فعاد الرجل يقول له ﴿ﷺ﴾ قد سقيته العسل ولكنه لم يستأصل المرض. فقال له ﴿ﷺ﴾ صدق الله وكذب بطن أخيك. . وما أجدرنا هنا أن نقول للمسلمين الذين لم يجعل منهم الدين هذه الأمة الواحدة ـ كما أخبر القرآن الكريم ـ صدق الله وكذب بطنكم أو كذبتم أنتم لأنكم جهلتم الأبواب التى تدخلون منها إلى الإسلام. والعناوين التى تجعلكم منتسبين إليه. والوسائل التى تربطكم به. وصارت كلمة إسلام فيما بينكم تشبه المشترك اللفظى الذى يتحد فيه اللفظ ويختلف المعنى. ولا يلتقى أحد على معنى واحد والمعانى بينهم رجراجة كالزئبق يتخبطون فيها تخبط الضال ويختلفون اختلاف الخصوم. . ولا أحب أن أطيل القول فى هذه الناحية لأنه مؤلم.

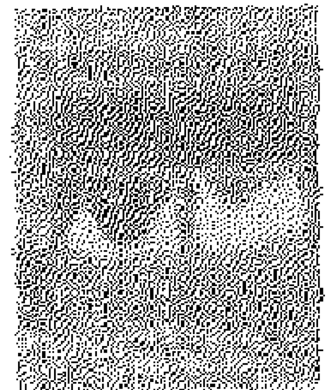
أما اللغة العربية وهى المفتاح السحرى لفهم كتاب الله وسنّة رسوله فقد زاحمتها الرطانات وطغت عليها اللهجات. . وحسبك أن تذهب إلى بلد إسلامى ليس من أهلها لتجد نفسك هنا لك كما كان المتنبى يقول «غريب الوجه واليد واللسان» فلا تستطيع أن تخاطب إنسانا أو أن تتبادل الرأى مع آخر. وهؤلاء يتلقون أمور الإسلام ترجمة ويأخذون قضاياه بالمعنى لا باللفظ. . وما أكذب ما يكون هذا النقل من لغة إلى لغة أو من لسان إلى لسان. . فى حين أن فهم النص من الكتاب أو السنة يتوقف على اللسان العربى والذوق العربى. . وإذا كان علماء أصول الفقه يقولون ﴿ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب﴾ فإننا نقول إن اللغة العربية من أوجب الواجبات للمسلمين هنا وهنالك. . إلا أنه إذا قال قائل يا قوم إنها لغة كتابكم وواجب دينكم. . قالوا إنه يريد أن يقضى على قوميتنا. وهكذا نستطيع أن نقول للمسلمين صححوا الأوضاع وعدلوا السنن وقوموا السير واعلموا أن هذه اللغة هى الديدبان الذى يحرس القرآن من العدوان ويصونه من العبث ويرعاه من غارات العدو وتطاول الباطل وصولة الحاقد. . وهو مجدكم الذى تفاخرون به ولا قيمة لكم ان ذهب هذا المجد لا قدر الله.

الحكمة

من تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة



بقلم الأستاذ / معالى عبد الحميد حمودة



هلّ علينا شهر شعبان المبارك فبتنا نتدارس فى هذا الحدث الفذ الذى وقع عندما تم تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة المشرفة بيت الله الحرام.

هذا الحدث الفذ ينبغى علينا ان نتدارسه ونتأمله ونأخذ منه العظات والحكم والعبر ونحيا بهذا كله.

وقد عاش رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى مكة قبل الهجرة وهو يتجه فى صلاته الى الكعبة المشرفة ذلك البيت العتيق العظيم الذى بناه ابراهيم الخليل وولده اسماعيل عليهما الصلاة والسلام.

﴿ وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم﴾ (البقرة/ ١٢٧).

●● ثم أذِنَ الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة وانتقل كثير من المسلمين اليها بعد ان سبقهم رسول الله ﴿ﷺ﴾ . . ومما هو معلوم ان مجتمع المدينة المنورة يختلف ـ على عهد النبى ـ اختلافا كثيرا وكبيرا عن مجتمع مكة المكرمة زادها الله تشريفا وتعظيما شأنها آنذاك شأن المجتمعات فى كل قطر ومصر.

●● ثم اتجه رسول الله ﴿ﷺ﴾ الى بيت المقدس وكانت صلاته لهذا البيت الكريم ، وعند هذا الحد تتضح الأمور تماما إذ بدأ العداء اليهودى المعروف ضد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وبدأت «الحرب النفسية» التى يجيدها القطيع اليهودى .

لا يترك اليهود هذا الامر دون ان تتحرك السنتهم بالسوء والخديعة قائلين :

(أمر غريب: يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا)

ولقد ذكر اليهود أن قبلتهم هى القبلة وان دينهم هو الدين واولى بمحمد واصحابه ان يتبعونا ماداموا قد توجهوا الى قبلتنا.

هذه «الحرب النفسية» كانت جد خطيرة اذ قصد بها ان تلقى ظلالاً من الشك والريبة على موقف الدعوة المحمدية فى مهدها . . وذات يوم جاء الى رسول الله ﴿ﷺ﴾ مجموعة من اليهود قاصدين فتنته عن دينه وقالوا له : يا محمد ما ولاك عن قبلتك التى كنت عليها وانت تزعم انك على ملة ابراهيم ودينه؟ .

وواصل اليهود دعايتهم السوداء الخبيثة .

(ارجع إلى قبلتك التى كنت عليها نتبعك ونصدقك) .

●● لم يفعل رسول الله ﴿ﷺ﴾ اى شىء تجاه هذا الموقف فهو مأمور من عند ربه لا يقدم على عمل إلا اذا امره العلى العليم سبحانه به .

وتصدى القرآن الكريم بآية كريمة بليغة دمغ فيها اليهود وغيرهم بالسفاهة والجهل والحمق والتعنت، قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدى من يشاء الى صراط مستقيم﴾ (البقرة/ ١٤٣)

لم يكن الأمر لدى اليهود مجرد قبلة يتجه إليها رسول الله ﴿ﷺ﴾ واصحابه ولكن كان الأمر يمثل «انتهاز فرصة» لبث الحرب النفسية ومحاولة تشكيك المسلمين فى نبيهم وبعث الريب والشك فى نفوس المسلمين لذا اعتبر اليهود اتجاه محمد بن عبد الله ﴿ﷺ﴾ إلى قبلتهم انتصارا ورفعة لشأنهم ومكانتهم .

●● كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ عندما يتجه فى صلاته إلى بيت المقدس يطمع فى ان هذا العمل يمكن ان يؤلف قلوب اليهود ويجعلهم يتخلون عن حقدهم واطماعهم القديمة وان يستميلهم إلى الاسلام على الرغم من ان النبى ﴿ﷺ﴾ كان مشتاقا لقبلة ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام طوال المدة ـ الشهور الستة عشر أو السبعة عشر التى كان فيها بيت المقدس قبلة للنبى والمسلمين ـ وظل رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى أدب النبوة الجم يقلب وجهه فى السماء ويدعو الله ويبتهل ان يوجهه إلى الكعبة المشرفة .

واستجاب الكريم الاوحد سبحانه لدعاء خاتم النبيين ﴿ﷺ﴾ وامره بالتوجه الى الكعبة المعظمة . . إلى البيت العتيق . . إلى المسجد الحرام .

قال تعالى فى كتابه الكريم :

﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون﴾ . (البقرة/ ١٤٤) .

ولا تسل عن الفرحة العظيمة التى لحقت برسول الله ﴿ﷺ﴾ والمسلمين جميعا فها هو رب المشرق والمغـرب سبحـانـه . . يرضى عن نبيه ﴿ﷺ﴾ ويأمره بان يتجه هو والمسلمون جميعا إلى الكعبة المشرفة . . ويخبر الله تعالى حقيقة واضحة هى ان أهل الكتاب يعلمون انه الحق وان الله تعالى ليس بغافل عما يعملون ويخططون .

ثم خطب المصطفى عليه الصلاة والسلام فى الناس فاخبرهم بذلك وكان اول صلاة صلاها الى الكعبة هى صلاة العصر وأمر المسلمين جميعا باستقبال الكعبة من جميع جهات الارض كلها شرقا وغربا شمالا وجنوبا . .

وتحولت القبلة من بيت المقدس الى بيت الله الحرام . . إلى الكعبة المشرفة . . فهل كان الأمر مجرد أنتقال من مكان إلى مكان؟؟ هل كان الأمر نقلة من قبلة إلى قبلة؟ هل كان الأمر تبديلًا لهذه القبلة عن تلك؟؟ .

●● كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام لحكمة تربوية عظيمة تعليمية ليظهر معها حال من يتبع الرسول ﴿ﷺ﴾ ويتوجه معه حيثما توجه ممن ينقلب على عقبيه وينكص ويرتد عن دينه . . تماما سواء بسواء مثلما حدث فى معجزة الأسراء والمعراج . . فعندما اخبر رسول الله ﴿ﷺ﴾ الناس باسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى يومها صار الناس بين مصدق وواضع رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس مما كانوا قد آمنوا برسول الله ﴿ﷺ﴾ .

●● وكان تحويل القبلة يمثل انهاءا لزعامة اليهود إلى الابد . . جاء تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام الغاءاً لمكانة اليهود كى يجعل هذا الشتات يرعوى ويعتدل ويعود إلى الطريق السوى تابعا لرسالة محمد الخاتمة صلى الله عليه وسلم .

وكان تحويل القبلة يمثل نسخا لحكم الصلاة إلى بيت المقدس وصارت الكعبة المعظمة هى القبلة إلى ان يرث الله تبارك وتعالى الأرض ومن عليها .

●● وكان تحويل القبلة مقياسا من مقاييس القرآن الكريم ـ وليس مقاييس البشر ـ فالغى هذا العمل الحكيم تلك العنصرية البغيضة المسماة بشعب الله المختار؟؟ ودليلنا على هذا بالذات ان الله تعالى عندما الغى التوجه إلى بيت المقدس بالنسبة لخاتم النبيين وسيد المرسلين ﴿ﷺ﴾ فإن هذا كان اعلانا واضحا صريحا بانه لو كان اليهود كما يزعمون انهم شعب الله المختار فَلِمَ الغى الله تعالى قبلتهم بيت المقدس؟

●● واصبحت الكعبـة المشـرفـة هى القبلة الواحدة الوحيدة . . هى القبلة الواحدة التى ينبغى على الامة الاسلامية ـ الواحدة ـ فى المشارق والمغارب ان تتجه إليها فتجعل هذه القبلة المسلمين كلهم جسماً واحداً وكياناً واحداً ومنهجاً واحداً . . ينبثق هذا كله من كون الامة المسلمة تعبد إلها واحدا لا شريك له وتتجه إلى قبلة واحدة وكتابها ودستورها القرآن الكريم .

وكان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام تحديدا وتكليفا شريفا للامة الاسلامية ان تتبوأ مكانتها وتحزم امرها وتقود البشرية كلها صوب مجتمع التوحيد والنقاء العقدى . . والسلوك الفاضل والقيم النبيلة والاخلاق العظيمة التى علمنا اياها رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

●● هذه بعض الحكم والمواعظ من تحويل القبلة بأمر الله تعالى من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام . . وخليق بنا ونحن نحيا هذه الايام المباركة ان نتدبر ونتدارس حكمة تحويل القبلة . . وان نأخذ منها الحكم والمواعظ وان نعتبر بحدثها ومعانيها وان نلتزم جميعا بشرع الله وبما أمر الله تعالى حتى يتحقق لنا الفوز والتمكين فى الارض وحتى يرضى الله عنا ويدخلنا رحمته .

في رحاب السنة المطهرة

رضاعة الكبير

روى الإمام مسلم فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها «أن سالما مولى أبى حذيفة كان مع أبى حذيفة وأهله فى بيتهم فأتت « تعنى السيدة عائشة سهلة بنت سهيل زوج أبى حذيفة) رسول الله ﷺ فقالت: إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجال، وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وانى أظن أن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا، فقال لها النبى ﷺ أرضعيه تحرمى عليه ويذهب الذى فى نفس أبى حذيفة، فرجعت فقالت: إنى قد أرضعته فذهب الذى فى نفس أبى حذيفة» صدق رسول الله ﷺ.

فى كتب السنة المعتمدة الجامعة للأحاديث الصحيحة المروية عن رسول الله ﷺ مجموعة من الأحاديث تحتاج إلى نظر ثاقب وفهم دقيق وتأمل قوى وإحاطة بالأبعاد والرؤى البيانية والتشريعية فى كلامه ﷺ حتى لا يساء فهمها ولا تؤخذ غير مأخذها الطبيعى ولا توضع غير موضعها فى أصل واقعتها.

ومن خطل الرأى وحماقة التفكير أن يصدر الإنسان أحكاما عامة شائعة على غير هدى وبصيرة وبخاصة فيما يتعلق برسول الله ﷺ.

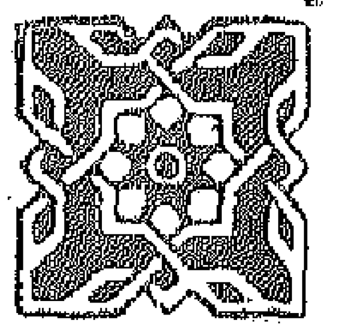
وليس يمترى مؤمن صادق الإيمان فى أن كل ما يصدر عنه ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة متصل بالمصدر الأزلى ذاته، وهو الله سبحانه وتعالى من حيث يبدأ إلى حيث ينتهى، وأنه ﷺ بهذا الاتصال يحقق للمسلم فوق وجوده الذاتى وجودا

بقلم:
د/ محمود محمد لبيب
الأستاذ المشارك
فى الكلية المتوسطة
لإعداد المعلمين
بالمدينة المنورة

الإسلام

نورانيا يتصل به وعن طريقه بالمصدر الأصلى للنور «ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور»(١)

وبمعنى آخر: يجعل المسلم ذا طبيعة نورانية تضبطه، وتكون قانون وجوده، وتخرجه عن طباعه ونزعاته، بحيث يرى فى نبيه ﴿ﷺ﴾ الفلك الذى يدور فى محوره، ويرى فى أعماله النقطة الثابتة التى لا تتحول، فهو تابع له ودائر معه فى كل عصر ومكان.



كذلك فإن من التقصير الواضح ألا يترجم علماء الإسلام كلام نبيهم ﴿ﷺ﴾ بفلسفة العصر ولغته حتى يفهمه الشباب، كأنه بتجدد معانيه قيل مرة أخرى من فم النبوة الطاهر، وكأنه بما يحمله من النور فى داخله إنسانية قائمة يصحح أغلاط الزمن فى أهله وأغلاط الناس فى زمنهم، حتى تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها.

تحت عنوان (باب رضاعة الكبير) روى الامام مسلم هذا الحديث الذى ذكرناه آنفا وأحاديث أخر تدور فى فلكه وتؤدى مؤداه، وتلقى مزيدا من الضوء على هذا المعنى الذى يبدو - فى سياقه الشكلى - مستغربا ومتناقضا مع الأصول الفقهية المقررة والأصول التشريعية المستقاة من القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع.

فمثلا: ظاهر الحديث يدل على أن الرضاعة لا تختص بسن معينة فهى للكبير والصغير على حد سواء، مع أن الثابت المتيقن بنص الكتاب والسنة أنها لا تكون على شرطها الشرعى وقيدها الفقهى الصحيح إلا إذا كانت للصغير، لقوله تعالى **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾**(٢)

ولقوله ﴿ﷺ﴾ فى الحديث الذى رواه ابن مسعود - رضى الله عنه - «لا يحرم من الرضاعة إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم»(٣).

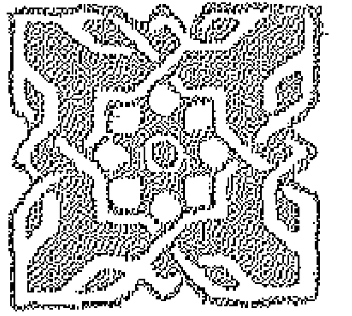
وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما «**لا رضاع إلا ما كان فى الحولين**»(٤).

ومن مجموع ما سبق يتبين بوضوح: مدة الرضاعة الشرعية والقدر الذى يثبت التحريم به، والعمر الزمنى الذى يعول عليه ويؤخذ به فى التحريم.

وهذا يعنى أن رضاعة الكبير لا تجوز، وأن الأحاديث المروية فى صحيح مسلم وفى جامع الترمذى وفى موطأ مالك فى رضاعة الكبير كانت فى واقعة معينة وخاصة بمن وردت فى شأنه دون سواه، فهى رخصة أرخصها رسول الله ﴿ﷺ﴾ لسالم مولى أبى حذيفة خاصة، وقد كانت سهلة بنت سهيل زوج أبى حذيفة تعلم ذلك جيدا حتى قالت لرسول الله متعجبة «وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟» فتبسم

﴿ﷺ﴾ وقال «قد علمتُ إنه كبير»(٥).

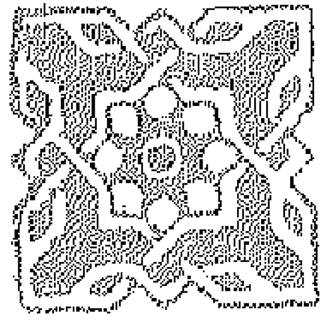
كما كان أزواج رسول الله ﴿ﷺ﴾ يعلمن ذلك جيدا، ويقلن: «ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله لسالم».



وكانت السيدة أم سلمة رضى الله عنها تقول: «أبى سائر أزواج النبى ﴿ﷺ﴾ أن يدخلن عليهن أحدا بتلك الرضاعة»(٦) تعنى: أنهن امتنعن عن استعمال هذه الرخصة لأنفسهن فلا يدخل عليهن ولا يراهن إلا من أرضعنه فى المهد، أو حرمن عليه تحريم رضاعة مهد، وذلك يرد ما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها أخذت بتلك الرخصة، وأنها كانت تأمر أختها أم كلثوم وبنات أخيها أن يرضعن من أحبت عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن يراها ويدخل عليها وإن كان كبيرا خمس رضعات، وأنها قالت لأم سلمة حين عارضتها: أما لك فى رسول الله أسوة حسنة؟ وروت لها قصة سهلة(٧).

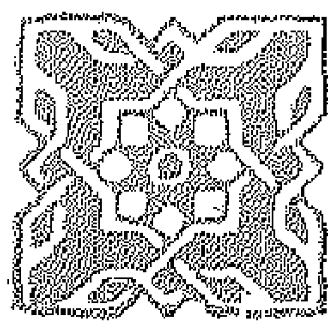
ولعل ذلك كان رأيا أو اجتهادا للسيدة عائشة رضى الله عنها فى فهم الحديث الشريف والمجتهد إن أخطأ له أجر اجتهاده، والخطأ فى فهم الأحكام عند الاجتهاد لم يسلم منه حتى الأنبياء الذين يتنزل عليهم وحى السماء. . وفى قصة داود وسليمان الواردة فى سورة الأنبياء فى قوله تعالى ﴿**وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين**﴾ خير شاهد على ذلك، فبعد أن أثنى الله على سليمان بقوله: ﴿**ففهمناها سليمان**﴾ عقب بقوله: ﴿**وكلا آتينا حكما وعلما**﴾(٨).

وفى تصورى أن السيدة عائشة رضى الله عنها وهى من أحب نساء النبى إليه وأقربهن من قلبه وأفهمهن عنه لم يكن ليخفى عليها فهم هذا الموقف الذى يحمل من أمارات خصوصيته ما يغنى عن عموميته.



كما كان الصحابة رضوان الله عليهم يعلمون هذا جيدا، ولو أننا بعدنا تماما عن الآراء والفتاوى والاجتهادات الصادرة فى هذه القضية واقتربنا من الواقع التطبيقى فى تاريخ التشريع الإسلامى لوجدنا أنه لا يوجد أحد رضع وهو كبير وأجرى عليه حكم رضاعة الصغير سوى سالم مولى أبى حذيفة، وهذا يدلنا على أن الصحابة ومن خلفهم لم يجروا كلام رسول الله ﴿ﷺ﴾ مجرى الإطلاق والعموم وإلا لوجدنا عشرات بل مئات طبقوا هذه القاعدة على أنفسهم.

وقد كان سالم ابنا بالتبنى لأبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فأنكحه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة وهى من المهاجرات الأول، لأنه كان يراه ابنه تبناه على عادة العرب فى الجاهلية كما تبنى رسول الله ﴿ﷺ﴾ زيد بن حارثة، فلما نزل قوله تعالى: ﴿**ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم فى الدين ومواليكم**﴾(٩) بطلت هذه العادة، وبطل ما يستتبعها من عادات، ولكن طالما ظل بحكم العادة التى ألفها منذ الصغر يدخل على أبى حذيفة وزوجه على الرغم من نزول آية الحجاب التى أمرت نساء النبى، وكل من ينسحب عليها هذا الحكم من نساء المؤمنين إلى يوم القيامة أن يحتجبن، ومنعت أن يدخل عليهن أحد من غير أقاربهن المحارم أو من بينهن وبينه رضاع.

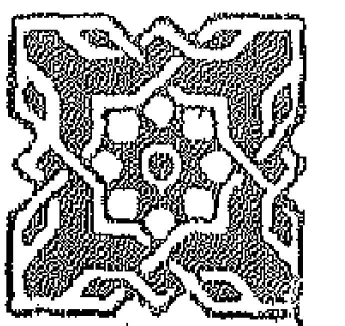


والسبب فى ذلك أن سالما كان ينظر إلى أبى حذيفة وزوجه نظر الولد إلى أبويه، وكانا يريانه بمنزلة ولدهما لأنه تربى ودرج فى بيتهما وعلى حجرهما، يدل على ذلك قول سهلة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ يارسول الله: إنا كنا نرى سالما ولدا، وكان يأوى معى ومع أبى حذيفة فى بيت واحد، ويرانى فُضُلاً، وقد أنزل الله تعالى فيهم ما قد علمت فكيف ترى فيه؟ فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ أرضعيه فأرضعته خمس رضعات فكان بمنزلة ولدها من الرضاعة(١٠).

فهذا الحديث يدل على تغير عادة العرب بتغيير القرآن الكريم لها، واتباعهم لكل ما يستتبع الحكم الإلهى من أحكام، فقبل تحريم التبنى كانوا يعاملون المتبنى معاملة ابن الصلب فى كل شىء أما بعد التحريم وإبطال تلك العادة فإنهم كانوا ينظرون إلى المتبنى نظرة الأجنبى الذى لا يحل له الدخول ولا الخروج إلا بإذن وفى وجود الزوج أو المحرم أو من له أهلية الدخول.

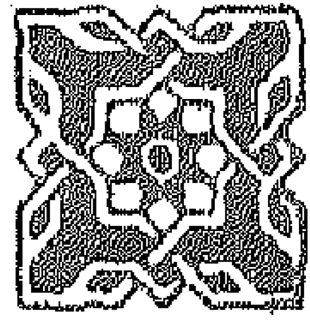
وكان أبو حذيفة يعلم مدى تقى سالم، وقوة إيمانه ولكن مراعاة جانب الله أحق وأولى فوجد فى نفسه من دخول سالم مولاه، وعرفت زوجته ذلك فذهبت إلى رسول الله «ﷺ» وأخبرته الخبر، فلم يشأ رسول الله أن يقطع بينهما وبين سالم ما كان قد اتصل، وعرف - وهو الصادق المصدوق - بنور النبوة ما كان عليه سالم من قوة الإيمان الذى يجعله فى مرتبة أرفع وأنزه من كل تصور سيىء أو ظن مشبوه، فأرخصه تلك الرخصة وأجرى عليه حكمها فصار يحرم زوج أبى حذيفة بأمر النبوة ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾(١١).

وقد تحققت نبوءة النبى الكريم، فبعد أن أرضعت سهلة زوج أبى حذيفة سالما قالت لرسول الله «ﷺ» «إنى أرضعته فذهب الذى فى نفس أبى حذيفة» وفى رواية أخرى أن رسول الله حينما قال لها: «أرضعيه يذهب ما فى وجه أبى حذيفة» فقالت: - أى بعد أن أرضعته - «والله ما عرفته فى وجه أبى حذيفة» تعنى بذلك أن كل ما ساور زوجها وداخله من شك حرصا على حرمات الله تعالى قد زال بعد إرضاع سالم، وما ذاك إلا لأن أبا حذيفة قد خرج عن مختاره لنفسه إلى مختار رسول الله «ﷺ».



بقيت نقطة هى وجه الغرابة فى الحديث الشريف ولابد من بيانها حتى يزول ما فى نفس القارىء الكريم من حرج وضيق إذا هو وجدها، هذه النقطة هى: كيفية الرضاعة وكيف نتصورها؟ فقد يسأل القارىء نفسه ويقول:

كيف يتأتى من رجل بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوا أن يجلس أو ينام على حجر امرأة أجنبية ثم يمص ثديها ويشرب لبنها؟.. إن ذلك مدعاة للشهوة وإثارة النفس. وكيف يتأتى لها وهى أجنبية عنه أن تكشف له عن عورتها وتخرج له ثديها ليرضعه؟.. وقد يتعدى الفكر حدود الأدب فيقول: كيف يتأتى من رسول الله «ﷺ» وهو الذى يجرى كلامه مجرى علمه، كله تقوى ودين وتعليم أن يأمر بذلك؟ وذلك ظن يردى صاحبه ويوقعه مواقع الضلال والكفر وهو لا يدرى.



والجواب على ذلك سهل يسير، فقد بحث الفقهاء هذه المسألة من جميع جوانبها وبينوا أن التحريم بالرضاعة له ثلاثة طرق:

الأول: المباشرة بين الفم والثدى.

الثانى: أن تحلب المرضعة لبنها فى وعاء ثم يشربه الرضيع.

الثالث: أن يصب له من أنفه حتى يصل إلى معدته.

فهذه الطرق الثلاثة كافية أو كل واحد منها كاف فى ثبوت التحريم، وكلها جائزة فى حق الصغير الذى لم تنبت أسنانه، أما الكبير الذى له أسنان تكز ونفس تتحرك وقوة عضلية تؤلم وذوق ينفر وينشز فإن العقل يرجح دون شك الرضاعة بالوساطة عن طريق وعاء.

ويدل على صحة هذا الرأى أن الحديث الشريف لم يحدثنا عن الكيفية التى تمت بها رضاعة سالم وهل كانت بالمباشرة أو الوساطة، فلا مانع إذن من حمله على الطريق الثانى من طرق الرضاعة وهو الذى أشرنا إليه آنفا.

وإذا تساوت الطرق فى النتائج والمؤدى فلا فضل لأحدها على الآخر ولا مانع أبدا من الأخذ بها هو

أقرب للحق وأقوى فى جانب الصدق وأيسر قبولا فى العقل والقلب.

وهـذا كله مع علمنا أن كلمة الرضاعة فى قوله ﴿ﷺ﴾ «أرضعيه» لا تعنى فى اللغة سوى مص اللبن من الثدى بالمباشرة، وفى اصطلاح الفقهاء: مص الطفل اللبن من ثدى المرأة فى مدة معينة.

إلا أنه لما وجدت القرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلى وهى فى الحديث الشريف: كبر سالم وبلوغه مبلغ الرجال، فإن المعنى لا ينصرف فى الذهن إلا إلى أن يحلب له اللبن ويسقاه، ولذلك قال العلماء فى شرح الحديث: ولعل سهلة حلبت لبنها فشربه من غير أن يمس ثديها ولا التقت بشرتاهما، إذ لا يجوز رؤية الثدى ولامسه ببعض الأعضاء. قال النووى: وهو حسن.

فكأنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين قال لسهلة: «أرضعيه» لم يقصد الرضاعة لذاتها وإنما قصد الأثر الناتج عنها وهو التحريم وهذا الأثر يمكن حدوثه بالوساطة دون المباشرة.

وذلك يعنى أن تصنع سهلة مع سالم ما تصنعه الرضاعة من التحريم، فلم يقل صلى الله عليه وسلم لسهلة «اسقيه لبنا» وإنما قال لها «أرضعيه» فسمى الفرع باسم الأصل باعتبار الأثر الناتج عنه.

ولو أدى الأمر فى النهاية أن يجمد الإنسان بعقله ويفهم أن الرضاعة فى الحديث الشريف كانت مقصودة لذاتها وأنه لا داعى لتأويل اللفظ على غير مقصوده، لسلمنا معه بذلك وآمنا بصدق الحديث وصحته، إذ ما كان لنا أن نكذب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ونصدق هواجس تفكيرنا.

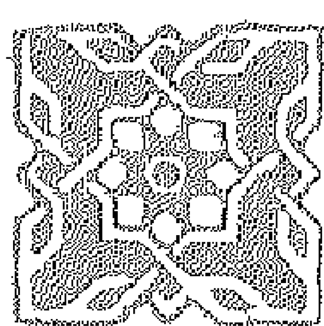
وكما خرقت القاعدة فى الرضاعة فجعلها صلى الله عليه وسلم خصوصية من خصوصيات سالم وهو كبير كذلك تخرق القاعدة فى مسألة الرضاعة بالمباشرة، ورسول الله ﴿ﷺ﴾ يقرأ بنور النبوة، ويطالع بإلهام الله تعالى له ما وقر فى نفس سالم من إيمان وما رسخ من يقين، وإذا كانت سهلة تقول لرسول الله «كنا نرى سالما ولدا، وكان يدخل علىّ وأنا فُضُل وليس لنا إلا بيت واحد فماذا ترى فى شأنه؟».

فليس بعد هذا القول شىء يحتاج إلى إيضاح وتفسير، فالمرأة الفُضُل هى التى تكون فى ثوب واحد ليس على جسدها غيره، وسواء لبسته للنوم أو للعمل داخل البيت فإنها لا تكون على تلك الحالة إلا فى داخل بيتها ولا يراها عليها إلا زوجها أو محارمها.

وقولها «وليس لنا إلا بيت واحد» أى حجرة واحدة، يعنى: أن سالما كانت له منزلة خاصة فى نفس زوجها يدل عليها قولها «كنا نرى سالما ولدا» أى بمنزلة الولد.

ويعنى أنه كان ينظر إليها على أنها أمه أو فى منزلة أمه حرمة وحمية وأدبا وأنها كانت قريبة منه بحيث يراها على ما تحتشم منه المرأة لأى أجنبى عنها.

وكل هذا ينفى من نفسه كل سوء، ويباعد بينه وبين دنىء الشهوات ويجعله يرى برهان ربه فى كل ما يرى ويسمع ويحس ويشعر، حتى لكأن نجوى نفسه الداخلية صوت عال يسمعه الله، وسبحان من يعلم السر وأخفى.



وهـذا الرأى الأخير الـذى قلناه أو افترضناه على أبعد الاحتمالات الممكنة.

نرجو بذلك أن نكون قد بينا المقاصد النبيلة فى الحديث النبوى الشريف وأولنا معناه على النهج المشرق المضيىء الذى يأخذ بيد المسلم نحو المحجة البيضاء الواضحة، ويفرغ فى قلبه مادة النور النبوى خالصة نقية حتى لا يضل فى بيداء الفكر وانحناءات الخيال والوهم بفعل التيارات الفكرية المغرضة وحروب التشكيك التى تثار من آن لآخر ضد الإسلام ونبى الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم.

المراجع

(١-٢-٨-٩-١١) النور: ٤٠ / البقرة ٢٣٣/ الانبياء ٧٩/ الاحزاب ٥، ٦

(٣-٧-١٠) زاد المعاد ج٤ ص١٧٧

(٤) صحيح البخارى ج٧ باب «وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم».

(٥) صحيح مسلم ج٤ باب رضاعة الكبير.

(٦-٧) الموطأ باب ما جاء فى الرضاعة بعد الكبر.

للمنهل خاصة



بقلم الأستاذ
عبد الله الكامل الكتاني

مفهوم البِرّ في الإسلام



البر كلمة عربية ثلاثية الأحرف جميلة الوقع رقيقة الجرس واسعة المعنى. . ولعل مرد ذلك إلى أنها قد تركبت من حرف الباء، الدال على ـ السعة والامتداد والعمق. . ومن حرف الراء مكررا الدال على الرغبة والميل والاستقرار. . وربما دل اجتماع هذين الحرفين فى كلمة «ما» على سعة الرغبة فى الشيء وامتداد استقراره وعمق الميل اليه.

وهى معان لا تبعد كثيرا عما يقرره علماء اللغة من:

- أن: «البَرّ (بالفتح) خلاف البحر»، وتُصُوِر منه التوسع فاشتق منه البِر ـ بالكسر ـ أي التوسع فى فعل الخير[1] كما أن بر الوالدين يعنى التوسع فى الاحسان اليهما[1] وأن البُر ـ بالضم ـ يعنى «الحب المعروف» لكونه أوسع ما يحتاج اليه فى الغذاء[1].
- وأن البرّيّة هى خلاف المدينة لكونها أوسع منها مجالا وأفسح مكانا.
- وأن «الباب البرانى»[2] هو الباب المتسع.
- ومنه فى بعض اللهجات العربية «الانسان البرانى» أى الانسان الغريب غير المعروف لكون غير المعروفين من الاناسى عند بعض الناس هم أكثر عدداً وأوسع انتشاراً من

المعروفين لديهم .

● ومن المثل المأثور «من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه»(٢) أى من أصلح باطنه أصلح الله ظاهره أى أكثر ما يبدو للناس من أمره .

● «وبرت» به السلعة(٢) اذا نفقت وربح الانسان فيها كثيراً .

● ولعل بالامكان السير على هذا النسق فى الشرح والتعليل حتى فيما لم يشر اليه اللغويون :

● فربما دلت البئر على عمق اتساع الحفر فيها .

● وربما دلت البربرة على امتداد الكلام وسعته واسترساله وعمقه .

● وربما دل استعمال أحرف هذه الكلمة مقلوبة على طريقة ابن جنى على آثار من معانيها الاصلية أو التبعية :

● من ذلك: ربا = بمعنى زاد وعلا .

قال الله تعالى: ﴿فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾(٣).

● ومنه الربوة والرابية ما علا من الأرض وارتفع .

● ومنه الكلمة الإسلامية «الربا» أى الزيادة غير المشروعة على رأس المال .

● وتربية الأجيال تعهدها المستمر بالإرشاد والتعليم والنصح والتهذيب، وإعدادها لمواجهة أعباء الحياة .

● والرب هو الخالق البارىء المنشىء، الذى يرغب المخلوقون فى طاعته، ويميلون بقلوبهم إلى الاستقرار على محبته وتوحيده والإيمان به .

وهكذا ففى ظلال هذه المفهومات اللغوية الظليلة يتبوأ المفهوم الاسلامى للبر مقاماً فكرياً عالياً ومكانة خلقية مرموقة :

● فالله سبحانه وتعالى هو «البر ـ بالفتح ـ الرحيم» أى مُنيل الثواب .

● والعبد البار بربه هو المطيع له طاعة ايمان واعتقاد، المطبق لأنواع الطاعات المطلوبة رغبة منه فيها وانحياشاً منه إلى أفياء ظلالها، فهو القول الذى يرافقه العمل وهو الاعتقاد الذى يصاحبه التطبيق: «قولاً وفعلاً هو الإسلام الرفيع»(٤).

سئل عليه الصلاة والسلام عن «البر» فتلى هذه الآية: ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ .

﴿والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾(٥).

الكاتب في سطور ..

- ولد في مدينة سلا "المغرب" ٥/٢/١٩٣٨
- ليسانس فى الحقوق / جامعة الرباط
- ليسانس فى الآداب / جامعة دمشق
- دبلوم فى التخطيط الصناعى / القاهرة
- يشغل حاليا فى الإدارة العلمية بأكاديمية المملكة المغربية
- عضو اتحاد كتاب المغرب
- له العديد من البحوث والمقالات المنشورة فى المجلات المغربية والأجنبية

ولنا أن نقول في كلمتين إن البر هاهنا هو الصدق «لكون الصدق بعض الخير المتوسع في فعله» ﴿أولئك الذين صدقوا﴾.

وإن البر هو التقوى لكونها هي كذلك بعض الخير المطلوب من المؤمنين التوسع في القيام بواجباتها: ﴿وأولئك هم المتقون﴾.

لكن سيدنا محمداً ﴿ﷺ﴾ «المعلم» والمربى بقوله وفعله المخبر بالوحى عن ربه قدم للناس البر فى مفهومه الجديد سلوكاً قرآنياً دعا الناس إلى اتباعه.. ومعتقدات إنسانية أرشد الناس إلى الايمان بها.. وخيرات حث على التمسك بفعلها.. وواجبات إسلامية أمر بالقيام بها.. وأخلاقاً رفيعة وجه المسلمين للاتصاف بآدابها والتحلى بمزاياها.. قيماً خالدة تحترم ومثلاً قويمة تتبع واسوة حسنة تقتدى.

فالبر على هذا ليس ذلك المفهوم الواسع الفياض وحسب ولكنه مجموع هذه المعتقدات المفصلة، وكافة هاتك الاعمال والواجبات المنصوص عليها فى الآية الكريمة وسائر تلك الصفات الحميدة التى يكون فاعلها باراً بربه وبنفسه والعالم من حوله، إنساناً عارفاً مغزى أقواله ومناط أفعاله لا يكتفى من الأعمال بصورها وظواهرها حتى ينفذ من ورائها إلى أعماقها وجواهرها إذ **«ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب»** طاعة ظاهرية لأمر الله بل لابد من اقتران ذلك كله بالانقياد النفسى والاعتقادى إيماناً بالله، واعتقاداً بما يرضى الله ويرضى عنه الله.

لقد جاء تعريف البر فى هذه الآية مقترناً بحادثة فريدة وقعت فى تاريخ الدعوة إلى الاسلام هى تحويل وجهة المسلمين من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة قبلة للدين الجديد **﴿قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾**(٦).. وقد كان وقع هذا التحويل شديداً تحمل من أجله المسلمون عنتاً كبيراً ونكيراً شديداً من غير المسلمين: وقد وصف القرآن الكريم الموقف أحسن وصف وصوره أدق تصوير وأوفاه بهذه الآيات:

﴿سيقول السفهاء من الناس ما ولأهم عن قبلتهم التى كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب، يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، وكذلك جعلناكم أمة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيداً، وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه. وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله. وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾(٦)

وقد امتثل المسلمون أمر الله وتحولوا عن قبلتهم الأولى إلى المسجد الحرام وكان ذلك أمراً عظيماً وحدثاً خطيراً مرت به الدعوة الإسلامية ومر به المسلمون فى ذلك الحين، ولكن الله تعالى جعل من هذه الحادثة منطلقاً لتربية نفوس المسلمين وتوجيه قلوبهم والسمو بهم إلى مدارك أسمى وأرفع والعروج بهم إلى مراتب فكرية أرقى وأمتع وأبدع ألا وهى مرتبة «البر» الجامعة لقضايا الخير كلها ومزايا الصدق كلها ومنافع التقوى ولباسها: ذلك أنه «ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» فتلك طاعة ظاهرية ينبغى أن توزن بميزانها الواقعى لا أقل ولا أكثر وهى طاعة محمودة وامتثال مشكور، ولكن هنالك طاعات أحب إلى الله وأقرب إلى الصدق والتقوى وعبادات وواجبات أبر وأبقى وأخلاقاً وسلوكاً أقوم وأزكى، من جمعهن متصفا بمضمونهن متحليا بآدابهن متمسكا بقيمهن فقد أدرك من البر النصيب الأوفى ونال منه الدرجات العلا بل لعله كان هو والبر سواء بسواء.

لقد جعل *القرآن الكريم البر الجامع لمعانى الخير كلها المتضمن لمكارم الأخلاق وساميها، على ثلاث مراتب:*

المرتبة الأولى:

هى مرتبة الإيمان الصحيح والاعتقاد الخالص بأن الله خالق الكون وبارئه ومنشئه هو المستحق للحمد والعبادة وهو البر الرحيم.

وهذه المرتبة هى أم المراتب وفاتحة أبواب الخير كلها والنافذة التى يطل منها العباد على اليوم الآخر إيماناً به واعتقادا بأن لهذه الحياة الفانية نهاية وزوالا، وأن للعباد مآلاً إلى يوم تجزى فيه كل نفس ما عملت **﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾**(٧) فهى إطلالة إيمانية على العالم الآخر وتفتح فكرى

واعتقادى على عالم ما بعد اليوم عالم يوم لا يوم، فيه تهدأ الصدور وتطمئن النفوس وتستقر العقول.

● فهى مرتبة يطل المؤمنون فيها بإيمانهم على عالم الملائكة فى عالم الأرواح، عالم جند الله الذين ﴿لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾(٨) فهم عالم القيم وعالم المثل والقدوة وعالم الفضيلة والنور، فهم نعم المثل فى الطاعة والامتثال واتباع الاوامر واجتناب النواهى.

وهى مرتبة ينفذ منها العباد إلى عالم الكتاب وعالم النبيين، ذلك أن الله بعث رسله إلى الناس كافة مبشرين ومنذرين بالكتب السماوية التى هى فى الحقيقة كتاب واحد به **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**(٩) فهى دعوة إنسانية واحدة لشريعة ذات جوهر واحد من لدن آدم عليه السلام حتى سيدنا محمد عليه أفضل صلاة وأزكى سلام. إن الانبياء هم رسل الله إلى الخلق كافة لهدايتهم وإرشادهم وهم بشر لا كالبشر «يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق» ولكنهم يواقيت ميزها الله عن هذه الخلائق، وأنوار يهتدى بها فى ظلمات الجهالة والطغيان، وظلال يأوى إلى أفيائها الظليلة متعبو الارواح، وعطشى الأفئدة والقلوب ومستمدو الهداية والرشاد.

فمن أدرك من هذه المرتبة خصالها الخمسة:

(١) إيمانا بالله.. (٢) وباليوم الآخر..
(٣) وبالملائكة.. (٤) وبالكتاب..
(٥) وبالنبيين، فقد أدرك من الكمالات الانسانية(١٠) ما يصحح به اعتقاده ويقوى به بره وإيمانه وتقواه وصدقه وإحسانه.

المرتبة الثانية:

وهى مرتبة الخلق القرآنى الكريم، والسلوك الإنسانى القويم وتحرير النفس من مألوف استعباد المال لها، وتدريبها على الانطلاق نحو عالم التربية الحق، والتهذيب الرفيع، ليحقق الإنسان بهذه المرتبة إنسانيته، ليرتفع بنفسه نحو الكمال النفسى المرتكز على حسن معاشرة نظرائه من العباد: حتى يتدرب على فعل الخير، يألف الناس ويألفه الناس، يحب الناس ويحبه الناس بدءاً: ***(١) بذوى قرباه ومروراً (٢) باليتامى (٣) والمساكين (٤) وأبناء السبيل ونهاية عند (٥) السائلين (٦) وفى الرقاب.***

فهى أصناف ستة من الخلائق إذا شملها البر فقد عمت المنفعة به طائفة كبيرة من مجموع المجتمع الوطنى من ذوى القربى واليتامى والمساكين، ولحق الخير نسبة كبيرة من جماهير المجتمع الدولى من أبناء السبيل ومن الرقيق.

إن هذه المرتبة بما تحث عليه من خصال وبما توصى به من عناية بتربية النفس وتهذيبها وتوجيهها نحو الكمالات النفسية والخلقية ذات نزعة إنسانية عامة مطلقة ينال برها الإنسان أنى كان، فى مجتمعه الأسرى الخاص أو فى مجتمعه الوطنى أو خارج حدوده لدى اتصاله بالمجتمع الدولى.

وكلما سنحت للإسلام فرصة لتقرير سعة مفهوم البر إلا ضرب فيها للإنسان فى ذلك أروع مثل وقدم له أحسن تفسير:

ونجد فى الآية الواحدة والتسعين من سورة آل عمران إشارة إلى نوع من البر ينطبق على هذه المرتبة الخلقية الثانية موضوع تحرير النفس مما ألفته من استعباد المال لها وتعويدها - بالتدريج - وبالتعهد وبالممارسة والمران على ايتاء المال عن طيب خاطر وإنفاق أعز ما عند الإنسان وأحبه لديه فى سبيل الخير. تقول الآية الكريمة: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**(١١) فكأنها شرح وتفسير وبيان لقوله تعالى:

﴿وآتى المال على حبه، ذوى القربى﴾.

● يحدثنا ابن عطية والألوسى بصدد تفسير هذه الآية:

كان أبو طلحة أكثر الأنصار نخلا بالمدينة وكان أحب أمواله إليه بير حاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ قال أبو طلحة يا رسول الله إن الله تعالى يقول: ﴿لن تنالو البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالى إلى بير حاء وإنها صدقة لله تعالى أرجو برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يا رسول الله حيث أراك الله تعالى. فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ بخ، بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت، وإنى أرى أن تجعلها فى الأقربين. فقال أبو طلحة افعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة فى أقاربه وبنى عمه.(١٢)

● **وبسبب نزول هذه الآية تصدق زيد بن حارثة بفرس يقال لها سَبَل «بفتحتين» كان يحبها فأعطاها رسول الله ﴿ﷺ﴾ ابنه أسامة، فكان زيدا شق عليه فرأى رسول الله ﴿ﷺ﴾ ذلك فى وجه زيد فقال له النبى، أما إن الله قد قبل صدقتك(١٣)**

نرى من هذا القصص الإنسانى كيف كانت النفوس ميالة إلى الخير كثيرة الإسراع إلى تلبية نداء البر إذا دعا، على أحسن الوجوه وفى أحسن الظروف، ولكن الرسول الكريم كان يوجه المريدين إلى التماس وجوه البر المحببة حتى إذا اعتادت النفوس البر وأحبته انطلق البر من ذوى القربى إلى اليتامى إلى المساكين إلى أبناء السبيل إلى السائلين إلى تحرير الرقاب وفكاكها من ذل الهوان والعبودية والقهر إلى نعيم الحرية والرفعة والأمن.

من هذا القبيل قوله عليه الصلاة والسلام: «الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذى الرحم اثنتان: صدقة وصلة»(١٤) علما منه ـ نفسى فداه عليه السلام ـ بأن فى الناس من تتسع أريحيته فيشمل بره القريب والبعيد وفى الناس من لا قرابة له فيصل خيره من بَعُدَ عنه من الناس ومن قَرُبَ منهم منه سواء بسواء.

فإذا اكتملت تربية الإنسان وتهذبت نفسه وتعود البر كأحسن ما يمكن أن يتعود الإنسان عليه، انتقل بنا المفهوم الإسلامى إلى المرتبة الثالثة من البر.

المرتبة الثالثة :

هى تاج المرتبتين ونتاج لقاحهما حين يمتزج كمال العقيدة بكمال الأخلاق ويرتبط القول بالعمل ويتصل الشكل بالمضمون ويتزاوج المعنى بالمبنى ليصبح البر واجبا معلوما وعمل الخير فريضة مقدسة تستوى عندها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والوفاء بالعهود والصبر عند الشدائد كأنها محطات التقاء بين الواجبات والأخلاقيات تصبح الأخلاقيات معها كالواجبات سواء بسواء

● **إنها أربع خصال من البر، ومن أعظم البر إذا تم القيام بها على الوجه الذى أريد لها أن تقام عليه:**

أ ـ إقامة الصلاة التى تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ب ـ وإيتاء الزكاة حقا معلوماً للسائل والمحروم.

ج ـ والوفاء بالعهود الفردية والجماعية الوطنية والدولية.

د ـ والصبر فى البأساء عند قلة ذات اليد، وفى الضراء عند المرض، وحين البأس عندما يدعو داعى الحرب والقتال دفاعاً عن العقيدة والأخلاق والكرامة والواجبات الدينية والدنيوية.

هكذا اتسع مفهوم البر فى الإسلام حتى اقترن ذكره فى غير ما آية من آيات الذكر الحكيم بالتقوى وبالصدق وبالمروءة وبالإحسان وبالعدل وبالإيمان، وبالطهارة وبالصفاء وبكثير من خلال الخير والفضل.

إن البر كلمة إسلامية جامعة لهذه المعانى كلها متميزة عنها بما ميزتها(١٥) به هذه الآيات البينات:

● إذ ارتبط البر فى مفهومها بالإيمان الصحيح والاعتقاد الكامل فى الله واليوم الآخر وملائكته وكتبه ورسله ارتباطاً عضوياً حتى صارت هذه الخصال الخمسة عنوان البر ودلالة عليه فى أحد مراتبه الثلاثة واتصل البر فيها بكمال الأخلاق وتهذيب النفس وتربيتها على محبة الخير وفعله اتصال القول بالعمل، واندمج فيها اندماج النظر بالتطبيق فى مرحلته الثانية التى تعتبر محطة تسامت فيها الواجبات إلى مرتبة الأخلاقيات وارتقت فيها الأخلاقيات إلى درجة

الواجبات فكانت هى البر فى مفهومه الاسلامى الجامع :

«ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر

- «من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

- «وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وفى الرقاب.

- «وأقام الصلاة، وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس.

- « أولئك الذين صدقوا.

- «وأولئك هم المتقون».

«صدق الله العظيم»

تلكم قراءات متأنية فى مفهوم البر فى الإسلام فقد اتسعت بها معانيه حتى شملت كافة وجوه الخير التى يمكن أن يقوم بها إنسان وتسامت موضوعاته مرغبة فى البر داعية إليه مؤلفة قلوب الناس عليه. . وتراءى للناظر فى البر من قريب أو بعيد أن سائر أعمال بنى آدم يمكن أن تكون موضوعاً للبر بدءاً من المعتقدات والمعاملات بين الناس ونهاية عند الواجبات والأخلاقيات الدينية والدنيوية وما يتصل بحياة الإنسان فى أسرته وعشيرته وقومه وفى المجتمع الدولى.

فالبر فى هذا المفهوم بذرة خير يغرسها الآسلام فى نفوس الإنسان لتؤتى أكلها وتنمو وتترعرع بإذن الله ثمراً يانعاً رابياً نافعاً للإنسانية جمعاء.

والبر فى هذا المفهوم رياضة نفسية وتربية خلقية وتهذيب روحى يارسه الإنسان ممارسة حبيبة رفيقة تشترك فيها ملكات الإنسان وجوارحه وضميره. . فيتمسك بالبر قولاً وعملاً إيماناً واحتساباً عادة وعبادة فإذا هو بر يمشى على الأرض: مادة وروحاً جسما وعقلاً موضوعاً ومضمونا.

والبر فى هذا المفهوم رسالة الإنسان إلى الإنسان رسالة موضوعها سعادة الآدميين وهدفها تحرير أرواحهم من ماديات المادة. . وفك رقابهم من استعبادها والارتقاء بها إلى غايتها السامية: كرامة الإنسان من حيث هو إنسان.

والبر فى هذا المفهوم فلسفة للحياة وعقيدة للمجتمع الإنسانى ومنهاج للناس.

والبر فى هذا المفهوم بر الإنسان بالإنسان وبر الإنسان بكل ما حوله صغيراً كان أو كبيراً قريباً كان أو بعيداً قوياً كان أو ضعيفاً. . وبر الإنسان بنفسه بأن يحملها على الاعتقاد الحسن والسلوك الحميد. . وبر الإنسان بر به ليكون مع الصادقين المتقين الذين يحبهم الله ويحبهم رسوله وتحبهم الملائكة ويحبهم الناس أجمعون.

فما أوسع هذا المفهوم وما أروعه وما أحوج العالم إلى اعادة قراءة هذا المفهوم قراءة متأنية واعية عاقلة.

الفهارس

(١) المفردات فى غريب القرآن - الراغب الاصفهانى -

(٢) اساس البلاغة للزمخشرى.

(٣) سورة الحج الآية (٥)

(٤) شطر من منظومة المرحوم عبد الواحد بن عاشر. .

(٥) سورة البقرة الآية ١٧٦

(٦) البقرة الآيات: ١٤١، ١٤٢، ١٤٣

(٧) سورة آل عمران : الآية ٣٠

(٨) سورة التحريم الآية ٦

(٩) سورة الشورى الآية ١١

(١٠) الألوسى : روح المعانى

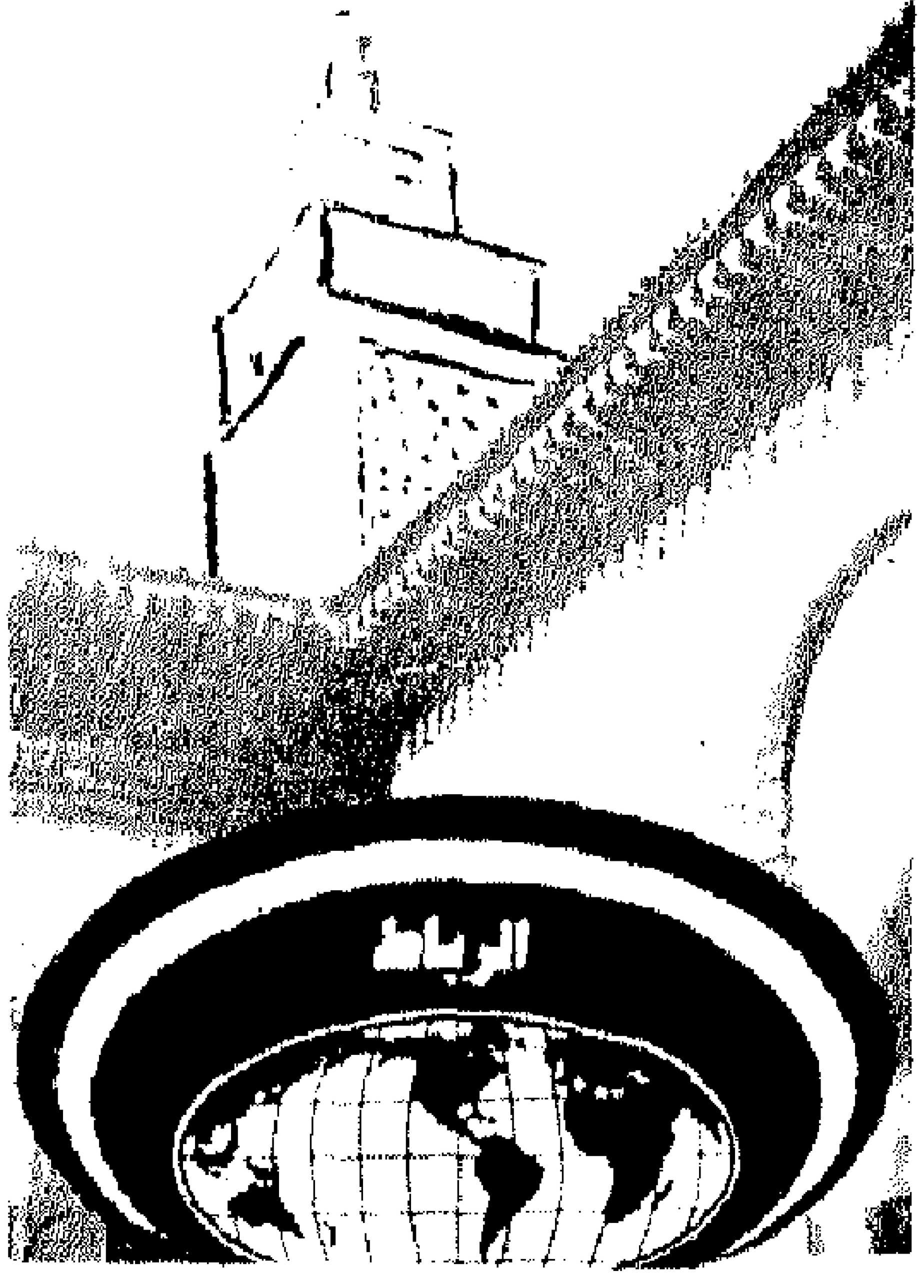
(١١) سورة آل عمران الآية ٩١

(١٢) الالوسى ج٣ ص٢٢٣ أخرجه الائمة البخارى ومسلم والنسائى عن أنس رضى الله عنه.

(١٣) ابن عطية الجزء الثالث ص١٥٧ - ١٥٨

(١٤) الألوسى: روح المعانى ج٢ ص ٤٦
اخرجه الإمامان أحمد والترمذى وغيرهما عن سليمان بن عامر

(١٥) الموسوعة الاسلامية - انظر مادة «بر»



مهمة علماء الإسلام

للمجاهد الكبير الأستاذ / علال الفاسي

﴿أدعُ إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن. إنّ ربّك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾

«قرآن كريم»

غايتي في هذه الدراسة ان اتحدث عن مهمة علماء الاسلام. أى عن الغاية التى تعمل لها دعوتهم وعن الوسائل والاعدادات التى لابد منها لاداء تلك الرسالة واستطاعتهم القيام بها.

ومن المعلوم أن مهمة العلماء قديما وحديثا واحدة فهى مستمدة من طبيعة الدعوة التى جاء بها النبى «ﷺ» كما أن الثقافة التى يستعملونها لتقويم المعوج من الانسانية ووصلها بالقيمة المثلى هى من طبيعة تلك الدعوة لانها تجلية لها ودفاع عنها. وبهذا الاعتبار صح للنبى «ﷺ» أن يقول: العلماء ورثة الانبياء إن الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.



كان الانبياء قد بلّغوا الدين **وحملوا الرسالة** فمهمة العلماء هى حفظ **ذلك الميراث** وتبليغه بكل امانة. والنضال فى سبيله بمختلف الوسائل وابتكار هذه الوسائل نفسها. وذلك ما يقول فيه الرسول:

يحمل هذا الدين من كل خلف عدو له ، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

فالمهمة إذن محددة كامل التحديد فى هذا الحديث الشريف وهى تنحصر فى نقط ثلاث :

(١) إزالة كل انحراف عن الدين مصدره الغلو فى العقيدة أو المشادة فى الدين .

(٢) دفع انتحالات المبطلين الذين يدخلون فى الدين ما ليس منه ، أو تتسرب إلى افكارهم من حيث لا يشعرون مبادىء باطلة لا تتفق وطبيعة التوحيد .

(٣) تقويم تأويلات الجاهلين بالدين الذين لا يبالون بالانحلال الذى يصيب عقائدهم متى تدرعوا بما يرضى غرائزهم .

ويستوجب القيام بهذه النقط طبعا معرفة الدين نفسه ومركزه من الديانات الأخرى ومن النظريات والافكار الانسانية على اختلاف العصور .

وهذا ما يستوجب المعرفة بالبشر وباللغات والتطورات التاريخية والعلمية ، وكل مقومات الحضارات الانسانية ووسائلها الثقافية لتكوين الخلق الانسانى فى كل البيئات والعصور ، وهكذا تصبح الدعوة الدينية نفسها محورا أساسا تحيط به كل المعرفة الانسانية وتنجذب إليه كل الابتكارات والمناهج البناءة ، فتصبح هى والثقافة متحدتى المعنى مشتركتى المدلول .

وإذا عرضنا لدراسة معالم الفكر العربى فى الصدر الاول وتبينا ثروة العرب الفكرية المدهشة فى ابان نهضتهم العلمية المبدعة وجدنا أن كل ما فعله العرب لم يكن إلا بباعث من الدين ولخدمة مقاصده ، فالاصلاح الثورى الذى احدثه الاسلام فى المجتمع العربى كون من نفسه تعليما جديدا كان الرسول مدرسته الأولى التى أخرجت من الاساتذة العلماء من ذهبوا فى الآفاق يبلغون الدعوة وينشرون العلم بمقوماتها ، وسرعان ما احتاج الناس إلى تفهم الغايات والاسباب والمعانى والالفاظ فبدأت العلوم الاسلامية تتكون وسرعان ما بدأ الفكر العربى يتفتح ، فاحتاج إلى معارضة المقاومين له ومقارعتهم بالحجة والبرهان فتكونت العلوم الانسانية العقلية والفلسفية ، وكان عصر الالتقاء بين مختلف الثقافات الانسانية فى ظل الدولة الاسلامية .

وقد انتبه الكثيرون من علماء المسلمين ومن علماء الاستشراق ايضا إلى الاثر الذى أحدثه الدين فى ميدان المعرفة العربية فاعترفوا بكون الدين نفسه كان السبب المباشر لا فى خلق جو علمى قوى فى الوسط المسلم فقط ولكن فى ابتكار العلوم وتعاطى ما كان موجودا منها . وقد أوضح مؤلف عربى ناشىء هو الدكتور كمال اليازجى معالم الفكر العربى فى كتاب له بهذا الاسم فأكد ما سبق أن أعلنه كولد زهير ورجيه باستيد ، وما سبقهم إليه الذين كتبوا من المسلمين عن قانون العلوم أمثال الفارابى واليوسى من متأخرى المغاربة .

على ان عالما من علماء القرويين الذين نبغوا فى القرن الثانى عشر الهجرى هو أبو عبد الله محمد بن عثمان الطرنباطى الف كتابا فى فضل العلم سماه بلوغ أقصى المرام فى شرف العلم وما يتعلق به من أحكام(١) واوضح فى مقدمته الاسباب التى أدت إلى اختراع المسلمين ما اخترعوه من العلوم وتبنى ما تبنوه وقد واجه الموضوع كما يأتى :

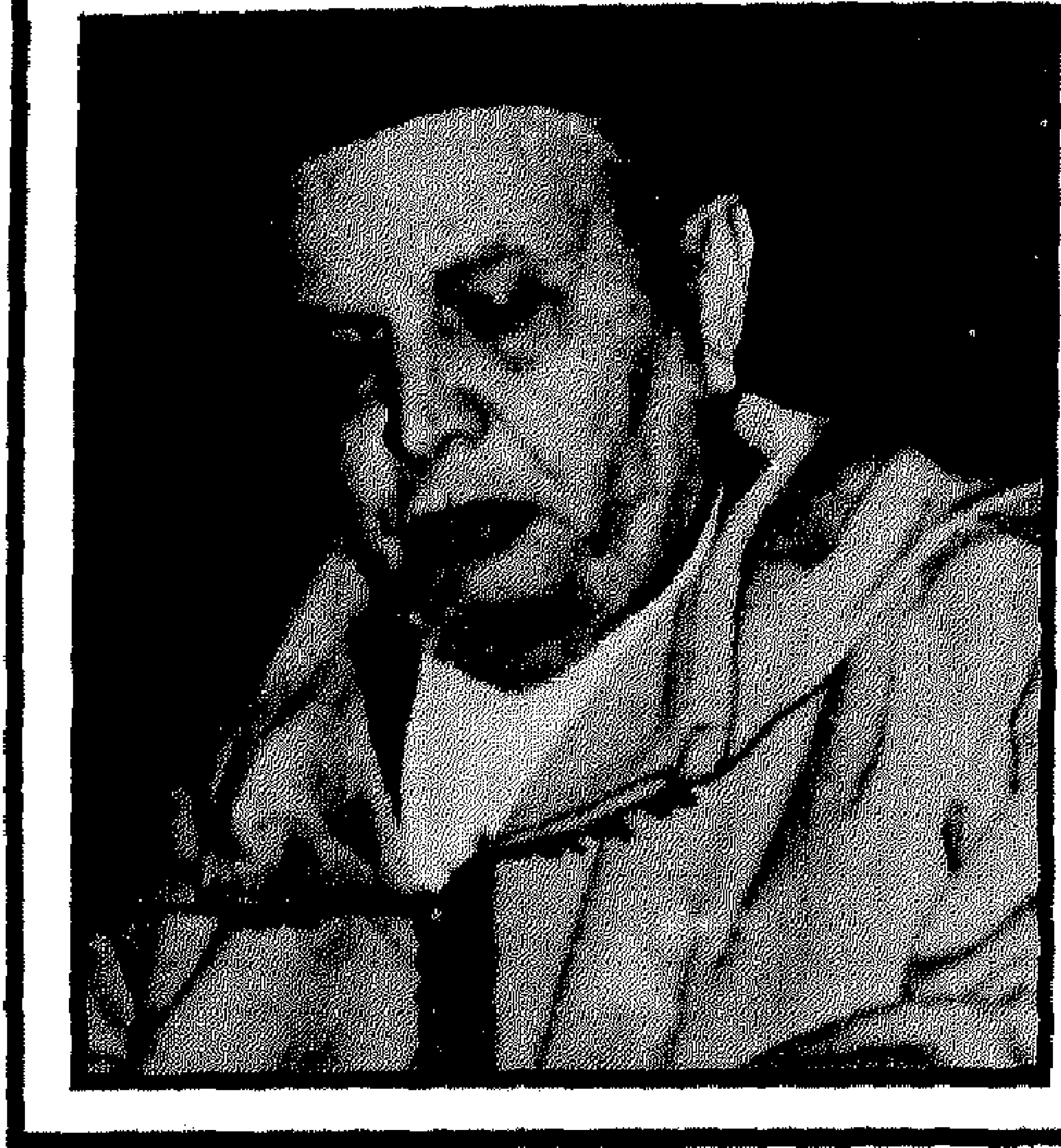
■ *لما استفحل القتل فى القراء وخاف أبو بكر ضياع القرآن جمعه فى المصحف لعلمه أن ذلك وسيلة إلى حفظه*

■ *لما أحس عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن فهم الكتاب والسنة يحتاج إلى موصل لما فيهما من دقائق الاشارات وغرائب العبارات حض على رواية الشعر وتعلمه فقال فى خطبته : عليكم بديوانكم لا يضل . قيل وما هو؟ قال : شعر الجاهلية فيه معنى كتابكم .*

■ *لما خشى عثمان (رضى الله عنه) اختلاف الناس جمع القرآن فى المصاحف لعلمه ان ذلك وسيلة إلى ضبطه وارتفاع النزاع فيه .*

■ *لما سمع على كرم الله وجهه اللحن وخاف ضياع العربية وضع النحو لعلمه أن النحو وسيلة لحفظ اللسان العربى ، وحفظه وسيلة إلى فهم معانى الكتاب والسنة اللذين هما مدار الشريعة المحمدية .*

■ *لما علم مهرة الصحابة والتابعين أن ليس كل أحد يقوم بفهم معانى القرآن اشتغلوا بتفسيره ودونوا له التفاسير نصحا لمن بعدهم ودونوا الاحاديث النبوية ، لان ذلك وسيلة معرفة ما وقع به التكليف وهو وسيلة إلى الامتثال المقصود .*



■ لما كان ما ينقل من الاحاديث ليس كله متواترا ولا متفقا على صحته عن النبى «ﷺ»، بل منه الصحيح سندا وغيره، والقوى سندا وغيره، واحتاج أئمة الدين إلى تمييز المعمول به من غيره وإلى معرفة تلقى ذلك وتبليغه أحدثوا صناعة الحديث وما فيها من الاصطلاحات والالقاب.

لما كانت الاحكام المأخوذة من الكتاب والسنة منها ما يرجع إلى كيفية عمل ومنها ما يرجع إلى اعتقاد صرف، والأولى لا تتناهى كثرة فامتنع حفظها كلها لوقت الحاجة فأنيطت بأدلة كلية من عمومات وعلل تفصيلية تستنبط منها وقت الحاجة فجمعوا ذلك ودونوه وسموا العلم الحاصل عنه فقها.

■ لما احتاجوا إلى استنباط المسائل المجددة والجواب عن كل نازلة وإلى مقدمات كلية، كل مقدمة منها يبنى عليها كثير من الاحكام وربما التبست ووقع فيها الاختلاف حتى تشعبوا شعباً وافترقوا على مذاهب لم يروا اهمالها نصحا لمن بعدهم ولا إعانة لهم على إدراك الحقائق، فدونوا ذلك وسموه أصول الفقه.

■ والثانية وهى الاعتقادات كانت فى صدر الاسلام سليمة وحين تكاثرت الاهواء والشيع وافترقت الامة كما أخبر به الصادق الصدوق «ﷺ» على فرق، وكثر الخبث فى الدين وغطت على الحق شبه المبطلين، انتهض علماء الامة وعظماء الملة إلى مناضلة المبطلين باللسان.

كما كان الصدر الاول يناضلون عن الدين بالسنان واعدوا لجهاد المبطلين ما استطاعوا من قوة فاحتاجوا إلى مقدمات كلية وقواعد عقلية واصطلاحات وأوضاع يجعلونها محل النزاع ويتفهمون فيها مقاصد القوم عند الدفاع فدونوا ذلك وسموه علم الكلام وأصول الدين ليكون بازاء أصول الفقه السابق.

■ وأيضا لما كانت الفاظ الكتاب والسنة عربية، وفهمها موقوف على فهم لغة العرب وضعوا اللغة ودونوها.

■ ولما كان ثبوت الشريعة موقوفا على صدق الرسول الموقوف على ثبوت المعجزة وكان أعظم المعجزات القرآن العظيم، وكان اعجاز القرآن الموصل إلى ما ذكر يحتاج إلى مزيد فهم وتحقيق، إذ هو مملوء بالمجازات والاستعارات والكنايات، فوضعوا علم البلاغة ودونوه.

■ لما احتاجوا فى أمر الصلاة والصيام وغيرهما إلى معرفة القبلة وساعات الليل والنهار دونوا علم الهيئة.

■ لما احتاجوا إلى العد والمحاصات وقسمة التركات وسائر المعاملات وضعوا علم الحساب إلى غير ذلك من الفنون.

■ لما كان كل ما ذكر من الفنون وغيرها دائرا بين ادراك أمرين والحكم بأحدهما على الآخر، وكان الفكر عند الحكم ليس بمصيب دائما بدليل مناقضة بعض العقلاء بعضا فى مقتضى افكارهم، فاحتيج إلى ما يوصل إلى الادراك ويميز صحيح الفكر من سقيمه، دونوا علم المنطق وعربوه لتنتفع به هذه الامة المشرفة العربية إذ هو المهيمن على الافكار وكان من العلوم التى استخرجها اليونان ومن الحكمة التى أعطوها وكان يقال: انزلت الحكمة على ثلاثة اعضاء فى الجسد: قلوب اليونان. ولسان العرب، وأيدى اليمنيين. فإذا فهمت هذا علمت أن التوصل إلى الحق بكل ما امكن سنة فعلها كل من الخلفاء رضى الله عنهم بل وكل الصحابة فلا يخطر ببالك وجه لتحريم شىء من هذه العلوم ولا أن يقال فيه انه مذموم، إذ هى كلها وسائل إلى المقصود وحائمة على الورد

المورود فمن حرم بعضها فليحرم جميعا . وإلا فمن أين التخصيص ومن انكر أن يكون ذلك وسيلة فالعيان يكذبه ، نعم بعضها أقرب وأكثر ايصالا من بعض، انتهى كلامه .

وقد عد المرحوم مصطفى صادق الرافعى فى الجزء الثانى من كتابه تاريخ آداب العرب وهو الجزء المتعلق باعجاز القرآن . عد ذلك من معجزة التاريخ العربى ومن معجزة القرآن وبعد ان نقل عن (أحد العلماء) لونا مما نقلناه عن السيد الطرنباطى عاد فقال :

(غير انا نوثق الكلمة فى أن القرآن الكريم هو كان سبب العلوم الاسلامية ومرجعها كلها فانه ما من علم إلا وقد نظر أهله فى القرآن وأخذوا منه مادة علمهم أو مادة الحياة له . فقد كانت سطوة الناس فى الاجيال الاولى من العامة وأشباه العامة شديدة على أهل العلوم النظرية إلا أن يجعلوا بينها وبين القرآن شيئا من التأويل والاستشهاد والنظر فى آثار الله إلى ما يشبه ذلك بما يكون فى نفسه صلة طبيعية بين أهل العقول والبحث وأهل القلوب والتسليم) (٢)

ولكنى الاحظ على السيد الرافعى تعليله الأخير بشدة العامة على أهل العلوم النظرية فهو ما لا أوافقه عليه . إذ الحقيقة ان ذلك لم يكن قط الباعث على الاتصال بالقرآن، بل العكس هو الصحيح كما يوثقه بنفسه قبل بضع كلمات. أما تزمت السلفيين على النظريين فهو راجع إلى لون آخر من الاختلاف . هو هل الافضل التمسك الحرفى بالصيغ المروية وتسليم ما فيها استنادا على اليقين وعلما بأن كل ما يصل إليه الانسان من المعرفة لن يزيد شيئا فى إدراك الحقائق الغيبية أو البحث عن وسائل اخرى للاقتناع والاقناع وهو مذهب الخلف علما منهم بحاجة العامة من المؤمنين وغيرهم إلى ما يأخذ بيدهم ويقرب لهم عن طريق مسلماتهم العلمية ما يستعصى عليهم قبوله بدونها. وهذا الاختلاف ليس لا فى درجة اليقين الناشىء عن مقدار المعرفة .

ومهما يكن فالقرآن الذى أثر فى خلق هذه المعارف الجمة وتنويعها، والذى أنشأ عالما مليئا بالبحث والدرس والنظر لا يمكن أن يقف قط فى وجه أى منهج جديد من مناهج البحث أو طريق من طرق المعرفة ، فكيف يعامل بجرم الجامدين من رجال الكنيسة المسيحية حين اختلفت مع أقطاب الحركة العلمية؟

فتح القرآن اذهان المسلمين ودفعهم لان يقوموا بالنظر فى الكون وتلمس اسراره واستجلاء غوامضه ، وقد استجابوا للدعوة وقاموا بالمهمة فكان منهم الاقطاب العاملون الذين أناروا السبيل وعبدوا المناهج لمن بعدهم .

وقيام علماء المسلمين بمهمتهم هو الذى جعلهم يفتحون للفكر الاسلامى آفاقا جديدة ويبتكرون للنظر منهجا تجريبيا يختلف تماما عن الفكر القياسى الذى يسير عليه المنطق الارسطى . وقد قرر الاستاذ بربفو Brif F.Ult فى كتابه : Makingof Hum Nity أن روجى بيكون تعلم العربية والعلم العربى . وانه لم يكن له ولا لسميه الآخر فضل فى ادخال المنهج التجربى إلى أوربا ولم يكن روجى بيكون فى الحقيقة إلا واحدا من رسل العلم والمنهج الاسلامى إلى اوربة المسيحية . ولم يكف بيكون عن القول بأن معرفة العرب وعملهم هو الطريق الوحيد للمعرفة الحق لمعاصريه ويقول بريفو: انتشر منهج العرب التجربى فى عصر بيكون، وتعلمه الناس فى أوربة تحدوهم إلى هذا رغبة ملحة(٣).

وهكذا نجد أن القيام بتحمل الميراث الثقيل الذى خلفه الرسول الاعظم ﴿ﷺ﴾ للعلماء ، أدى بهم إلى أن يتحققوا قبل كل شيء بحقيقة العلم ، كما أن الدعوة الاسلامية جعلت الفكر العربى يتحرر من كل القيود التقليدية ويميز بين ما هو منسجم مع العقل وما هو من الطفيليات التى تلتصق بالذهن كاغلوطة مقدسة موروثة .

ولقد اعترف دارسوا الحضارات الانسانية بأن العرب استطاعوا أن يجعلوا خير طابع لحضارتهم من مقدرتها على استكناه المسائل واقتناء المعرفة من جميع المنابع ثم صهرها وصياغتها بمقتضى المقياس العربى القائم على التجربة وعلى النظر . وبذلك هضموا كل ما تعلموه واستحقوا

يكونوا أساتذة العالم لا فى ما ابتكروه من علم فقط بل فى كل ما نقلوه عن غيرهم بأمانة ودقة .

لقد سبق العرب بالعمل بهذا القانون الذى يلخصه روجيه باستيد فى قوله :

«ان فاعلية التمدين تتألف بالدرجة الاولى من انتظام الطبيعة فى الاخلاق بتوسط الثقافة خلال جميع أحوال التنوع التجريبى وان عكس فاعلية التمدين يسبب الوحشية»(١).

ومعنى هذا أن المجهود العربى انصرف كله لتوجيه الفاعلية الانسانية الاجتماعية منحى نمو الاخلاق أو بعبارة أدق منحى معرفة الانسان لنفسه . فالطبيعة تؤخذ كخميرة أولى لتضع منها عن طريق الثقافة مدنية غايتها هى الخلق أى معرفة الذات . والعلم لا يقوم إلا بتجلية القيمة النهائية لتنوع الحوادث الإنسانية ولا يمكن أن يتخذ العلم الوضعى أو قوانينه كمعيار نهائى إلا إذا أعطينا للعلم وظيفة تزييف القيم الانسانية وهو مالا يستطيع العلم أن يدعيه .

فالغاية إذن هى انجاح التجربة الانسانية المبتدئة من المشاهدة والمعتمدة على العقل فى تقييم الحوادث المتنوعة طبقا للغاية المثلى .

والغزالى وابن تيمية وعديد غيرهم من مختلف أساطين المعرفة الاسلامية ضربوا خير مثل لقيام العالم الدينى بمهمته . فى تجرد من حب الذات وبعد عن الملذات ان الحروب المدنية التى وقعت داخل المجتمع الاسلامى ما كانت لتستطيع القضاء على متطرف الخوارج ولا على مذهب الاعتزال والقول بخلق القرآن مثلا وانما قضى على ذلك كله موقف العلماء النظار الذين أضافوا إلى المعرفة الصحيحة الثبات فى العقيدة والتضحية من أجلها . أن العذاب الذى تحمله أحمد بن حنبل من الخليفة المعتصم هو الذى قضى على الاعتزال وحكم بالنصر للسنة وإن نفس الدور الذى قام به ابن تيمية والشاطبى وأضرابهما فى العصور الوسطى هو الذى حمى السنة من الضياع ، وكتب لها الغلبة فى النهاية على الخرافة وعلى الابتداع .

وإذا كان الشرق الاسلامى قد سبق إلى ابتكار العلوم وانضاجها فان المغرب سرعان ما اعتنق الاسلام وأخذ يدلى بدلوه ليكرع من معين حضارة رائعة ويستنبط ينابيع أخرى تتفق مع ذوقه الخاص وطابعه الممتاز .

◆ يجب أن يعاد للمعاهد الإسلامية مركزها كمشعل لحراسة اللغة العربية وتعليم الدين والدفاع عنه

◆ فى العالم الإسلامي اليوم حركة تجديد قوي لمناهج الدراسة إصلاحًا لما أفسده المستعمر

ان علماء الاسلام الاولين أعطوا الشخصية النموذجية لانكباب الانسان على التوفيق بين الطبيعة المعطاة له على انها لا تحمل قيما روحية وبين الغاية الخلقية التى تملأ الطبيعة بمحتوى روحى جديد عن طريق الثقافة . فالأشعرى والماتريدى واحمد بن حنبل ومالك والشافعى وأبو حنيفة والباقلانى وعياض وابن رشد وابن سينا

ولقد لعب المعهد القروى والمعاهد الدينية الأخرى فى المغرب والاندلس دورا هاما فى تنقيح المنقول وابتكار المعقول وفى ذلك الجو نشأ أبطال فى المعرفة والفلسفة أمثال ابن رشد وابن الطفيل وابن باجة وابن حزم وابن البنا وابن العربى وغيرهم من مختلف رجال الفكر الذين نشروا المعرفة وضحوا فى سبيلها ، وكانوا القناة التى سقت الغرب الاوربى فاثمر حضارته الحالية . وقد استخرج صديقنا

الدكتور عمر فروخ فى رسالته عن ابن باجة بعض المعطيات التى قدمها المفكرون المغاربة للثقافة العربية، وفى مقدمتها سيطرة العقل عند المغاربة وحسن الانتاج والابتكار إلى جودة التنسيق والاختصار ونضيف إلى ذلك أن المغاربة عملوا على توحيد مجتمعهم لا من جهة العقائد ولا من جهة الفروع فتخلصوا من الطائفيات. وانصرفوا لدراسة الانسان وعلاقته بالطبيعة متجنبين بقدر الامكان كل الابحاث الميتافيزيقية التى لا يمكن للانسان ادراكها إلا عن طريق النقل. واتجهوا فى فلسفتهم الاجتماعية نحو مجتمع واقعى يقوم على التعاون ويتأثر بقوانين الكون وعوامل الاقتصاد ويتطور بحسب البداوة والغزو أو الحضارة والاتجار. ومقدمة ابن خلدون خير مثال لذلك. على ان الاتجاه الاجتماعى كان بارزا لا عند الفلاسفة والفقهاء المغاربة فقط بل حتى عند متصوفه المغرب امثال أبى العباس السبتى وأبى محمد صالح من الذين بحثوا فى تجربتهم الروحية سبيل خدمة المجتمع والتعاون على سد حاجاته. وبذلك قدر المغاربة مهمة العالم الدينى على أنها ليست فى مجرد البحث والتدريس ولكن حتى فى نقل معرفته وبذل جهوده لخدمة الانسان وتحسين حالته المادية والخلقية. ولكن المسلمين لم يسيروا على وتيرة واحدة دائما.

وإذا كان الوعد النبوى يضمن قيام جماعة من أهل العلم الذين يجددون لهذه الامة أمر دينها ويصلحون ما أفسده الناس من سنة نبيها فإن ذلك لا يعنى عدم وقوع تضعضع فى الوسط الاسلامى، وانما ذلك يضمن دوام الاسلام وعقيدته محفوظة بحفظ القرآن، أما المسلمون فيحتاجون إلى المجهود المتواصل اذا أرادوا البقاء دائما فى المستوى الرفيع الذى أراده لهم الاسلام. والمجددون الموعود بهم لا يقدرون على أكثر من بذر البذور الصالحة التى لا توتى ثمارها إلا بعد أن تستعد الامة بمجموعها لتغيير ما فيها. وتعدد العوامل لابد أن يؤثر على المجهود الخاص. والاصلاح لا يتم إلا بعد أن يجتاز المجتمع طورا من الفساد يشعر معه بضرورة ازالته.

ولقد خلف من المسلمين خلف أضاعوا كل معالم السنة الصحيحة، ومعالم الفكر العربى وتراث الحضارة الاسلامية الحقيقى وانغمروا فى عالم الغيبيات المزيفة التى كان انتشارها ثمرة مؤامرات من الدول التى غلبها الاسلام على أمرها. لافساد المجتمع الاسلامى وهدم قوته ولكن ذلك لم يمس مصادر الدين الحقيقى لان القرآن قد جمع فى أول الأمر ولا شك أحد فى بقائه على الشكل الذى جمع عليه إلى الآن. والسنة المأثورة معروفة بصحيحها ومعلولها. فالتغيير انما وقع فى التفاصيل وفى الاضافات التى نشأت من الاختلاف الذى أدى أحيانا إلى تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، تماما كما نبه اليه الرسول بنفسه فى الحديث الذى أدلينا به أولا.

«لابد أن يدرس الفقه الإسلامي دراسة علمية دقيقة في ضوء القانون المقارن.»

يجب بعض علماء الاجتماع الدينى أن التطور الواقع فى الديانات يشمل حتى أسس العقيدة وشعائرها، وإذا كان ذلك ينطبق بحسب الواقع على المسيحية التى أدى الاختلاف فيها إلى التنازع فى قواعد ذات أثر محسوس على جوهر الدين فانه لا ينطبق على الاسلام نفسه لان أصول الاعتقاد وهو توحيد الله ورسالة نبيه وقع الاجماع عليها من كل الطوائف والنزعات. ولقد اعترف بذلك جولد زهير إذ قال: لا يمكن المقابلة بين العقائد الاسلامية وبين العناصر الدينية الاساسية فى أى كنيسة مسيحية. فليس فى الاسلام مجامع دينية يحمى فيها وطيس المناقشات والمجادلات حتى يصل المجتمعون إلى تقرير القواعد الدينية والصيغ الاعتقادية التى يتحتم اعتمادها. كرمز يدل على الدين الصحيح ولا توجد فى الاسلام وظائف كهنوتية أو سلطة دينية تمثل المعيار القويم للسنة، ولا يوجد تفسير للنصوص المقدسة أقره المسلمون وحده دون غيره ورد الدكتور محمود قاسم فى مقدمة ترجمته لكتاب مبادىء علم الاجتماع

الـدينى على روجيه باستيد مؤلف ذلك الكتاب فى زعمه أن العقائـد الاسلامية قد تطورت جاعلا جهل باستيد للإسلام نفسه وبعقائده سببا فى جنوحه لهذا الرأى. وبعد ان نقل كلام جولـد زهـير كحجـة قال: انـه إذا لم توجد تلك الأمور كلها فالسبب فى هذا يرجع إلى أن الاسلام يقرر أن العاطفة الدينية فردية وان الصلة بين الفرد وربه لا تحتاج إلى وساطة اجتماعية، وجعل الدكتور قاسم التسامح الذى كان قائما بين المسلمين دليلا على أن المناقشات لم تكن تمس صميم العقائد الاساسية، وان الاختلاف كان بصدد الفروع التى يجوز الاجتهاد فيها(٥).

تحقيقا للوعـد النبوى فقد برز فى العصر الأخير علماء مسـلمـون فى كل انحـاء العـالم الاسـلامى يبحثـون عن الاسبـاب التى جعلت المسلمـين ينحطـون بينـما يتقـدم غيرهم من تلامذتهم. وكان من أبرز هؤلاء العلماء الشيخ محمد عبده الذى جعله تجواله فى مختلف أنحاء الخلافة العثمانية يعتقد فى أن تأخر المسلمين ناشىء عن أمرين لا ثالث لهما:

الأول: قبول الاضافات التى أدخلها المندسون فى الاسلام والمشعوذون عليه مع التقليد لكل ما نقل عن السابقين من العلماء أو غيرهم ونبذ الاجتهاد الدينى نبذا ظهريا.

الثانى: استبداد الخلفاء والرؤساء المسلمين ومقاومتهم كل حرية فكرية مع تملق العلماء المسلمين لهم، وتزيينهم لهم ما يعملون بالسكوت أحيانا وبتحريف الاحكام وتأويل التشريع تأويلا متفقا مع الرغبات السياسية والشهوات.

وإذا كان فى ذينك الامـرين السبب المباشر لتأخر المسلمين فلن يعود العالم الاسلامى لعزته وكرامته إلا عن طريق العودة إلى الدين الصحيح من طريق الاجتهاد الحر والنظر المجرد ومقاومة كل استبداد وطغيان. لأن الايمان بالله نفسه لا يتم إلا إذا صاحبه الكفر بالطاغوت.

ويقول الشيخ محمد عبده فى هذا المعنى: (وارتفع صوتى بالدعوة إلى أمرين عظيمين:

الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد وفهم الدين على طريقة السلف قبل ظهور الخلاف والرجوع الى كسب معارفها إلى ينابيعها الاولى واعتبار الدين من ضمن موازين العقل البشرى التى وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه.

أما الامر الثانى فهو اصلاح اللغة العربية(٦).

ويقول محمد عبده ايضا:

وهناك أمر آخر كنت من دعاته والناس فى عمى عنه وبُعـد عن تعقله ولكنـه الـركن الذى تقوم عليه حياتهم الاجتماعية وما أصابهم الوهن والضعف والذل الا بخُلُوّ مجتمعهم منه، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة(٧).

وبالعودة للمصادر الاولى للاسلام وباطلاق الاجتهاد ونبذ التقليد وبمعرفة ما للحكومة من حق وما للشعب من حق تنفتح من جديـد آفـاق الثقافة البناءة التى يذهب اجتنس جولد زهير فى الفصول الأخيرة من كتابه «مذاهب التفسـير الاسـلامى» إلى توضيـح منـابـع انطلاقها من المدرسة السلفية(٨).

ولا يتأخر الدكتور محمد البهى عن تأكيد ما لاحظه جولد زهير من كون مدرسة محمد عبده تمتاز عن حركات التجـديد التى انبثقت فى الهند باستقلالها وبكونها تطورا طبيعيا لحالة المسلمين(٩).

على أن الحـركـات الاسلامية سواء منها الهندية أو العـربيـة كانت ترمى لغـايـة واحدة هى اقناع المسلمين بضرورة عودتهم إلى دينهم الحقيقى، ومعنى ذلك التحرر من الخرافات وفتح باب الاجتهاد وقيام اجماع جديد على أسس من الـدين تتفق ومقتضيـات التطور الانسانى فى ميادين العلم والاقتصاد.

ولكن المسلمـين لم يمهلوا حتى ينظروا فى أمرهم. ويستقبلوا من أمـرهـم ما استـدبـروه، فإن الـزحـف الاستعمـارى العـربى اكتسح العـالم الاسلامى برمته، وادهشه بقواته المادية ومقدرته الصناعية وبهرجته اللفظية، فاصبـح فى حيرة من أمره لا يدرى ايشتغل بالدفاع عن نفسه وتحرير وطنه أم يبالى بالدعوات التى يقوم بها الغرب لهدم الكيـان الـروحى الاسـلامى. وقـد فعـل الجهـاز الاجتماعى الذى خلقه الاستعمار لموالاته من الداخل ما لم يفعله الجهاز العسكرى والسياسى الاجنبيان.

ولقـد بدأ الانجليز الحمله فى الهند، بتكوين حركة لتعـويض الـدين التلقائى بدين موجه والوطنية التلقائية بوطنيـة موجهـة. ووجد فى السيد احمد خان داعية بالغ المقـدرة كما وجـد فى الارسـاليات الدينية والعلمية خير مهيء لمجموعة من الشباب لا تبالى بموالاة المستعمر عن طريق الاعلاء من قيمة كل ما هو أجنبى وتحقير كل ما هو

اسلامى أو وطنى وامتدت هذه الحملة إلى البلاد العربية وقلدتها فرنسا باستعمال مشايخ الطرق وبعض العلماء، كما قلدتها روسيا التى برعت براعة كلية فى توجيه الحركات الاهلية فى الاتحاد السوفياتى طبقا لخطة عامة مضبوطة.

وإذا كانت للاستعمار رسالة غير الاستغلال المادى الذى استطاع المسْتَعْمَرُون أن يقاوموه دائماً فهى فى تقدير هذه الشقة القوية فى كل ما هو غربى. وفى اتخاذ تجارب الغرب كلها معيارا لا يخطىء فى الحكم على الاشياء والافكار فى الشرق. وهذه هى العبودية الفكرية التى كانت فى نظر المفكرين المسلمين عامة أشد على الاسلام وذويه من كل حملة صليبية أو استعمارية.

ومن سوء الحظ ان الحملة الاستعمارية على العالم الاسلامى صادفت بلوغ المادية فى الغرب أعلى درجاتها فان الخلاف الذى قام بين العلماء الغربيين فى بدء النهضة وبين رجال الكنيسة أدى إلى عزل الديانة المسيحية منذ ذلك الوقت عن كل مظاهر الحضارة الحديثة وكان اثر محاكم التفتيش الكنيسية شديدا على الديانة المسيحية بل ضربة قاسية على العقائد الدينية كلها لان الصراع بين رجال الدين وبين رجال العلم تحول إلى صراع بين ما سمى بالمنهج العلمى وبين ما سمى بالمنهج الدينى، ومع ان الاسلام لم يقاوم قط ولم يخش الدراسة العلمية على اختلاف مناهجها فإن المسلمين لم يتحرروا اليوم بعد من الحكم على الفكر الاسلامى قياسا على الفكر المسيحى أى بذنب لم يقترفه الاسلام ولا علماؤه.

إن الفرق بين النظرية الدينية وبين النظرية العلمانية فى الغرب هى أن الاولى تعتبر ان كل ما فى هذا العالم من مظاهر وآثار مرده إلى قوة أعلى واسمى من هذا العالم بينما ترفض الثانية تفسير تلك الظواهر إلا على أساس لا وجود فيه لإلاه أو قوة فوق الطبيعة، وما ذلك فى واقع الامر إلا امعان فى الخصومة بين رجال الحركة العلمية ورجال الكنيسة. على ان رد فعل روحانى وقع من طرف مجموعة من الفلاسفة والعلماء الذين حاولوا الاصلاح بين المسيحية وبين العلم. وهذه المحاولة هى التى تكَوِّن شتى المدارس الفلسفية والعلمية التى ابتدأت بديكارت وسبينوزا وانتهت بهيجل وكانت.. وقد كانت نهايتها الفشل لكونها نظرت إلى الدين كمجرد حاجات اجتماعية أو تخيلات مثالية وبلغت فى القرن التاسع عشر المادية مستواها الاعلى منذ ظهر فيخته وبوخنر، ومنذ ظهرت الافكار التجريبية فى الفلسفة النفعية وتقدم الاكتشاف العلمى فى ميدان طبقات الارض وعلوم الحياة وعلم النفس التجربى، وقد مهد ذلك كله لقبول الفكر الغربى نظرية المادية التاريخية التى برزت كرد فعل اخر لتكتل الرأسمالية وحلولها محل الاقطاعية القديمة.

إزاء هذا الهجوم الجارف على المجتمع الاسلامى وقع انفصال كامل بين التراث العربى بما فيه من ثقافة ودين وبين الناشئة التى لم تعد تجد مربعا لدراستها وتلقى معارفها إلا فى مدارس الغرب ومعاهدها العليا وهى كما يعرف الجميع لا يمكن أن تعنى فى قليل ولا كثير لا باللغة العربية وأسرارها ولا بالحضارة الاسلامية ومفاخرها ولا بتعاليم الاسلام واخلاقه لانها على احسن الاحوال تؤمن بأن من الاحسان للشعب ان ترفعه إلى المستوى الثقافى الذى عليه أبناء المستعمر وتوحدهما توحيد العبد مع السيد. وقد استيقظ المسلمون اليوم فوجدوا الاغلبية الساحقة من أبنائهم بعيدة بعدا كليا عن أية معرفة اسلامية وعن كل لغة عربية بل لقد أصبحوا فى نفس الحالة التى كان عليها الاسبانيون فى اوائل القرن التاسع والتى يصفها الاب ايجاروا بقوله:

« يطرب اخوانى المسيحيون لاشعار العرب وقصصهم فهم يدرسون كتب الفقهاء والفلاسفة المحمديين لا لتفنيدها بل للحصول على اسلوب عربى صحيح رشيق، فأين تجد اليوم علماءنا الذين يقرأون التعليقات اللاتينية على الكتب المقدسة؟ وأين ذلك الذى يدرس الانجيل وكتب الانبياء والرسل؟ وا

أسفاه إن شباب المسيحيين الذين هم أبرز الناس مواهب ليسوا على علم بأى أدب ولا أية لغة غير العربية فهم يقرأون كتب العرب ويدرسونها بلهفة وشغف وهم يجمعون منها مكتبات كاملة تكلفهم نفقات باهظة وانهم ليترنمون فى كل مكان بمدح تراث العرب، وانك لتراهم من الناحية الاخرى يحتجبون فى زاوية إذا ذكرت الكتب المسيحية محتجين بأن تلك الكتب غير جديرة بالتفاتهم فواحر قلباه لقد نسى المسيحيون لغتهم ولا يكاد يوجد واحد منهم فى الالف قادر على انشاء رسالة لصديق بلاتينية مستقيمة، ولكن اذا استدعى الأمر كتابة العربية فكم منهم يستطيع أن يعبر عن نفسه فى تلك اللغة بأعظم ما يكون من الرشاقة بل يقرضون من الشعر ما يفوق فى صحة نظمه شعر العرب انفسهم»(١٠)

"المعيار الأخلاقي هو المنطلق الحقيقي لحركة الحياة في كل إتجاهاتها"

أليس من نكد الدهر ان تنقلب الآية وأن يصبح المسلمون أولى بتلك النعوت التى يضفيها الاب الكارو على أبناء دينه؟ ولقد تغير كل شىء فى العالم المسيحى فهل نستطيع أن نغير من أمرنا كما غير المسيحيون من أمرهم؟

على ان قسما من المسؤولية فى هذا الامر يرجع إلى جمود بعض العلماء وعدم قيامهم بواجبهم، فالتقهقر الذى أصاب الدراسات الاسلامية وانعزال المعاهد الدينية عن مسايرة التطورات الفكرية فى الشرق وفى الغرب وعدم استماع العلماء لنصح الناصحين من أمثال محمد عبده وجمال الدين الافغانى ومحمد اقبال وغيرهم من المفكرين العصريين كاد أن يحدث هوة سحيقة بين الدراسات العربية والدينية المحافظة على أساليبها العتيقة ومراكزها غير المجددة وبين الفكر الجديد الذى يتلقفه أبناء المسلمين فى معاهد الغرب الكبرى مباشرة أو بواسطة المعاهد العربية الجديدة التى أقصى شرفها أن تردد دروس العلماء الغربيين فى غير نقد ولا ملاحظة.. واذا استمر الحال على ما هو عليه ولم تقم المعاهد الاصيلة بواجبها نحو العربية فانه لا يمر زمن قليل حتى يعم الالحاد المدن والقرى ويصبح الكل مقلدا للغرب فى انزلاقه نحو لادينية هدامة.

يقول أبو الحسن الندوى من علماء الهند(١١): «يجب أن نواجه الحقيقة بفقه ووعى وشجاعة. أن العالم الاسلامى يعانى اليوم ردة دينية وفكرية وثقافية جارفة يجب أن تكون موضوع دراسة جميع من يهمم الاسلام ان الطبقة المثقفة فى كل قطر اسلامى مضطربة فى العقيدة متحللة فى الاخلاق مادية فى التفكير علمانية فى السياسة، وان كثيرا من رجالها إن لم اقل إن أكثر رجالها لا يؤمنون بالاسلام كعقيدة ونظام.

والشعوب الاسلامية ـ وفيها كل خير وكل صلاح وكل استعداد وهى أصلح الكتل البشرية فى العالم ـ خاضعة لهذه الطبقة بحكم ثقافتها وذكائها ونفوذها. وإذا بقى هذا الوضع تسرب الالحاد والفساد إلى هذه الشعوب وإلى الطبقات التى تعيش فى البادية والقرى، وتعمل فى المصانع والمزارع وسارت فى طريق اللادينية والزندقة. هذا ما وقع فى أوربا وهو واقع فى الشرق اذا جرت الامور مجراها الطبيعى ولم تحل ارادة الله القاهرة».

هذه شكوى الهند ولنسمع إلى الدكتور البهى يقول من مصر: (١٢).

«.. وتحولت بذلك الحركات التحريرية إلى حركة عزل الاسلام عن الحياة العملية العامة للجماعات المسلمة.. إلى أن قال: وبجانب انفصال موضوع الثقافة وعزله عزلا تاما عن الاسلام الذى هيأ للفكر الغربى السابق ـ الاستشراقى والمادى ـ فرصة قبول المثقفين له دون أن يجدوا فى ثقافتهم التى يحملونها وفى أنفسهم من يناقش هذا الفكر حتى يكون قبولهم أياه نتيجة اقتناع وتأمل، وُجِدَ فراغ ما آخر فى الحياة التوجيهية العامة وهى

حياة الجماهير وعزلتها الدينية .

ويقول بعد ذلك : وكلا النوعين من الفراغ فى حياة المثقفين أو فى حياة الفلاحين والعمال أتاح الفرصة لغير الاسلام فى التوجيه والتطبيق العملى فى الحياة .

ويؤكد الدكتور البهى أن الازهر لو قام بواجبه وجعل دعوة الاصلاح السلفى تنمو فى احضانه لكان احتكاك الاسلام بالصليبية والماركسية على غير الوجه الذى هو عليه الآن ويمكننا أن نقول مثل ذلك عن جميع المعاهد الاسلامية فى الشرق والغرب .

وإذن فما هو الواجب إزاء هذا الفراغ . .

الجواب بسيط وسهل . يجب ملء الفراغ بما يجب ان يملأ به . يجب ان يعاد للمعاهد الاسلامية مركزها كمشعل لحراسة اللغة العربية وتعليم الدين والدفاع عنه ، ويجب أن يقوم العلماء بمهمتهم التاريخية التى ألقاها الاسلام على عاتقهم .

وكما قام العلماء الاولون بمسايرة التطور الفكرى والابتكارات الجديدة ، وكما عملوا على التوفيق بين ذلك كله وبين السنية الاسلامية عن طريق الدين والجدل ، يجب ان يتجه العلماء المسلمون اليوم إلى بعث معاهد الاسلام واكسائها الصبغة العصرية التى تساير التطور وتفتح آفاق المعرفة لابنائها ، حتى يتكون منهم علماء يقومون باداء الرسالة الموروثة .

وكما اعطت طبيعة الدعوة الاسلامية فى الاول طبيعة المعرفة وطبيعة مهمة العلماء كذلك يعطينا الوضع الحاضر فى العالم الاسلامى طبيعة البعث الجديد لتلك المعرفة وللغاية المقصودة منها .

ان الغاية الأولى هى عدم بقاء العزل القائم بين المثقفين والشعب وبين المعرفة الاسلامية الصحيحة والانفصال القائم بين العلماء وبين الحياة العلمية الصاعدة .

ان فى العالم الاسلامى اليوم حركة تجديد قوى لمناهج الدراسة وأساليبها اصلاحا لما أفسده المستعمر من قبل ، وهذه الحركة تشمل المغرب وتونس كما تشمل بقية العالم الاسلامى ، ولكن المعاهد الاصيلة تقف بين فكرة الانطواء خوفا من الكيد لها وبين فكرة اللامبالاة التى تكاد تؤدى بها وان طبيعة المهمة الملقاة على هذه المعاهد تفرض أن يكون لها مركزها الممتاز بين منارات المعرفة القويمة ، فى الوقت الذى لها من المرونة ما يسهل عليها التغلغل فى صميم الثقافة وفى صميم الفكر الوطنى لاداء رسالتها الايجابية .

إن التعليم العالى الاصيل يجب أن يعنى قبل كل شىء ببعث اللغة العربية بعثاصحيحا ، وبتكوين معاهد الشريعة أو الفقه على الطريقة التى تمهد لقيام قانون اسلامى موحد تكون له السلطة العليا فى القضاء وفى السلوك إلى جانب العمل على بعث الدراسات الدينية المحضة ، والاخلاقية بصفة مقارنة لابتكار جدل علمى صالح لمقاومة كل تحريف أو انتحال .

فأما مناهج اللغة العربية فقد أصبحت اليوم فى تقدم يشغل كل انظار المربين فى العالم العربى ولا ينقص الجهود المبذولة فى هذا السبيل إلا أن تكون مؤاخذة وبعيدة عن كل أغراض سياسية أو اقليمية .

ولذلك نرى من الضرورى عناية المسؤولين والعلماء بشؤون اللغة العربية بكيفية تجعل المعاهد الاصلية منارا لها ، ودرعا يحميها من كل تقهقر خصوصا فى هذه المرحلة التى ما تزال مشكلة التعريب صعبة الحل ، بعيدة المنال للاسباب التقنية التى يعرفها الجميع .

وأما معاهد الشريعة فأرى أن يدرس فيها الفقه الاسلامى على الطريقة التى خطها الدكتور عبد الرزاق السنهورى ، (١٣) وهى :

«الاساس فى هذه الدراسة ان تكون دراسة مقارنة فيدرس الفقه الاسلامى فى ضوء القانون المقارن ويعنى فى هذه الدراسة بأمرين جوهريين :

أولهما : أن تدرس نشأة الفقه الاسلامى دراسة دقيقة فيبحث كيف تَكَوّنَ هذا الفقه على مر الزمن ، وكيف تطور وبخاصة فى العصور التى سبقت عصر المذاهب الكبرى الاربعة .

وثانيهما : أن تدرس مذاهب الفقه الاسلامى المختلفة التى

منهـا الشيعي والخـارجي والظـاهري وغير ذلك من المذاهب، دراسـة مقـارنة لنستخلص منها وجوه النظر المختلفة ولتـتركـز هذه الـوجـوه في تيارات من التفكير القانوني ثم تتبلور في اتجاهات عامة وتستكشف من كل هذا قواعـد الصنـاعة الفقهية الاسلامية ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربي الحديث حتى يتضح ما بينها من الفروق ووجوه الشبه وحتى نرى أين وقف الفقه الاسلامي لا في قواعده الاساسية ومبادئه بل في أحكامه التفصيلية وفي تفريعـاتـه، فتمـديـد التطور إلى هذه التفصيلات على أسس تقوم على ذات الفقه الاسلامي وطـرق صيـاغتـه وأساليب منطقه. وحيث يحتاج الفقه الاسلامي إلى التطور يتطور وحيث يستطيع أن يجاري مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير وهو في الحالتين فقه اسلامي خالص لم تداخله عوامل أجنبية تخرجه عن أصله.

ومن ثم تكون موضوعات البحث الاساس في دراسة الفقه الاسلامي هي:

١- تاريخ الفقه الاسلامي وبخاصة قبل عصر المذاهب.

٢- اصول الفقه الاسلامي على أن يعاد البحث في النظرة التقليدية لهذه الأصول.

٣- مقارنة مذاهب الفقه الاسلامي المختلفة فيما بينها.

٤- مقارنة الفقه الاسلامي بالقوانين الغربية الحديثة.

ويرى الدكتور السنهوري أنه لابد لهذه الدراسة من معهد خاص يتوفر على الاسباب الرئيسية لنجاحها، من أسـاتـذة يتخصصـون لها، ومراجع يتعاون بها وطلاب يتفرغون لهذه الدراسة.

ويؤكد الدكتور أن الغاية من دراسة الفقه الاسلامي هي تجديـد شبـابـه لينبثق القانون الحديث من الشريعة الاسلامية على أن يكون هذا القانون الحديث في منطقه وصياغته وفي أسلوبه فقها اسلاميا خالصا. . والواجب ان تدرس الشـريعة الاسلامية دراسة علمية دقيقة وفقا لاصول صناعتها ولا يجوز أن تخرج على هذه الاصول بدعوى أن التطور يقتضي هذا الخروج.

وأما الدراسات المتعلقة بالاخلاق وبالعقيدة فيجب أن يؤسس لها معهـد خاص أيضـا تكون له أقسـام، للعقيـدة، أصلهـا وحججها العقلية والنقلية، ومذاهب المتكلمين وطريقة دراستهم المختلفة ومقارنتها بالفلسفات القـديمـة والحديثة وبالفلسفة التجريبية بصفة خاصة، وقسم للاخـلاق من جهتها الواقعية والاجتماعية، وعلم الاجتـماع الـديني ومقارنته لمختلف النظريات الفلسفية والاجتـماعيـة وقسم الارشـاد والتوجيه، ويعنى بطريقة التبليغ وتربية السلوك إلى دراسة لعلم النفس والاجتماع وأساليب الاقناع الحديثة.

وإذا كان الطلبة في اعدادهم الثانوي متهيئين من الناحية العامة تهيأ صحيحا لدراسة هذه المناهج فانهم لا يلبثون أن يعيدوا للعالمية الاسلامية مركزها اللائق بها ولا تلبث المعـاهـد الاصليـة أن تكتسي حلتهـا القشيبة التي كانت لها بين مختلف العالم.

ولكن المعاهد الاصيلة بحاجة ـ اكثر من البرامج والمنـاهـج ـ إلى إيـمان القـائمين عليها برسالتها في تكوين جيل جديد يضطلع بمهمة الدعوة الاسلامية وإصـلاح ما أفسـده العصـر وظـروفـه من شؤون الدين. وهذا التكوين لا يقع بمجرد المعرفة وجودة الفكر بل لابد من أن يصاحب ذلك سلوك اسلامي صحيح يتربى عليه الطلبة ويعطى به العلماء قدوة حسنة لان التربية بالحال أصدق من التربية بالمقال.

المراجع

(١) توجد مبيضته الأصلية بمكتبتي الخاصة.
(٢) الرافعي تاريخ آداب العرب ج٢ ص١١٨
(٣) علي سامي النشار، خاتمة كتاب (مناهج البحث عند مفكري الاسلام)
(٤) روجيه باستيد، (المدينة سرابها وواقعها) الفصل الختامي (النص العربي).
(٥) الدكتور محمد قاسم/ مقدمة ترجمة كتاب (علم الاجتماع الديني) لروجيه باستيد ص ٧
(٦، ٧) الاستاذ رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام ج١ ص١١
(٨) اجنتس جولد زهير، (مذاهب التفسير الاسلامي) الترجمة العربية ص ٣٤٧
(٩، ١٢) د. محمد البهي (الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي) ص٨٤، ص٤٦١
(١٠، ١١) مجلة (المسلمون) عدد(٥) م٦.
(١٣) العالم العربي ج٢

من أعمق وأبقى أنواع التواصل والتعارف بين الشعوب والأمم لهو التعارف العلمي والتعاوني والثقافي ولاشك أن ذلك يوجد كثيرا من الترابط بين المثقفين والمفكرين ويضيف لهم جديدًا ما كانوا ليبلغوه لولاه .. فأهلا به ينبوع عطاء.

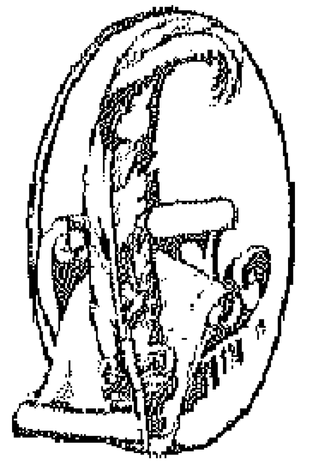
(المنهل)



التعاون الثقافي

بقلم الأستاذ / محمد بن عبد العزيز الدباغ محافظ خزانة جامعة القرويين

التعاون ظاهرة بشرية لا يحس بقيمتها من افراد الانسان إلا من بلغ من الوعى مبلغا عظيما يجعله عالما بطبيعة التكامل عارفا بضرورة التواصل والترابط من اجل استغلال الامكانات الموجودة فى هذه الحياة الدنيا.

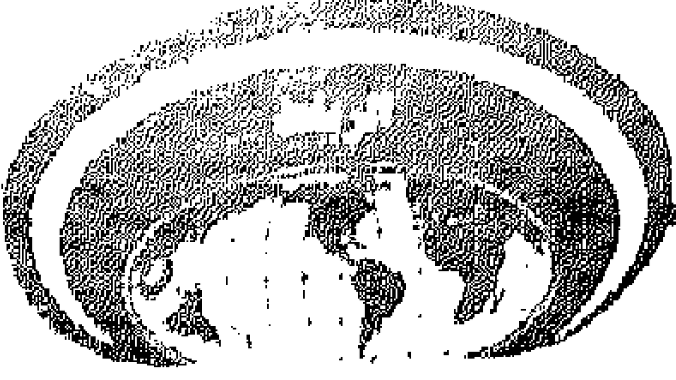


وأسباب التعاون قد تكون واضحة فيما يتعلق بالشؤون المادية التى تساعد على ان يعيش الانسان فى اطمئنان ورخاء يحتمى بغيره ويحتمى به غيره وتكمل بتآزرهما الحياة، لكنها فيما يتعلق بالشؤون الفكرية تحتاج الى وعى اكثر والى مجهود اقوى. ولهذا لا تبلغ الانسانية درجة ذات شأن فى الرقى والتطور إلا اذا أصبح التعاون الفكرى والثقافى جزءا من كيان الانسان الذى يعمر هذا الكون بتجاربه ونظرياته.

ولهذا يمكننا ان نجعل التعاونيات القائمة بين الناس صورة للحضارة التى تمثلها تلك التعاونيات. ففرق كبير بين ان تجد مجتمعا يعنى بالجانب المادى المحض فقط وبين ان تجد من يسمو بروحه الى درجة خلق تعاونيات وجمعيات لمحاربة كثير من العادات الفاسدة او للعمل من أجل نشر ثقافة معينة أو إلى بناء مدارس أو إلى تأسيس خزانات للكتب أو إلى خلق تعاضديات لحماية الناس من المرض والجوع.

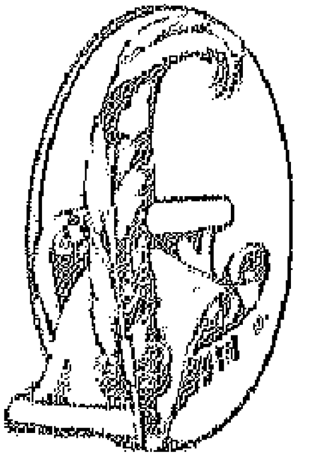
إن المجتمع الذى يصل إلى الدرجة الثانية يكون قد تجاوز مرحلة التآزر المادى إلى تآزر أقوى وأنفع ونستطيع بذلك أن نحكم على رقى ذلك المجتمع وعلى سمو اخلاق المنتمين إليه والمرتبطين به.

ونحن فى العصر الحاضر ـ رغم اضطراب بعض احواله ـ نجد اسباب التواصل كثيرة بين ابناء البشر اذا احسنوا استغلالها لخير الانسان، فهناك الهيآت الدولية للتآزر الثقافى وللتعاون من اجل البحث عن اسباب



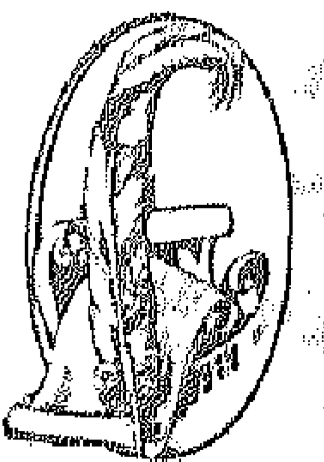
الأمراض الفتاكة للقضاء عليها، وكذلك نجد تعاونا من أجل محاربة الجريمة ومن أجل تنمية البحث العلمي في مختلف اختصاصاته.

وكل هذه التعاونيات في العصر الحاضر ليست بعيدة عن امكانيات الانجاز والتطبيق نظرا لتيسير اسباب المواصلات ولتقدم الوسائل التقنية التي تساعد الانسان على خلق هذا التواصل المطلوب.. اما لو عدنا الى الماضي لنبحث فيه عن طريق التعاون الفكري بين الناس لوجدنا الهمم اكبر من الوسائل واعظم ولوجدنا الافراد يتحملون مشاق السفر، ومعاناة التجربة، وخطر المواجهة واهوال المغامرات.



ومن اهم ما اريد ان اشير إليه في هذه المناسبة خطة كان يستعملها المغاربة والاندلسيون حين رحلاتهم إلى الشرق في نسخ الكتب وفي نقل العلوم ليربحوا بها الزمن وليستغلوه استغلالا مفيدا.

هذه الخطة اشبه ما تكون بتأسيس هيئة تعاونية تهتم باستيعاب الثقافات ونقل الاخبار ونسخ الكتب وسماع الروايات.. وهي تعتمد على توزيع المسؤوليات والاختصاصات بحيث يتفق المسافرون حين دخولهم إلى مدينة ما ان يتصل فلان بالعالم الفلاني وان يذهب فلان إلى المؤسسة الفلانية وان يتكلف احدهم بنسخ مالا ينسخه الآخر او بسماع مالا يسمعه الآخر وأن يحتفظ كل منهم بما سمع أو قرأ أو نسخ حتى إذا انتقلوا إلى مدينة أخرى فعلوا مثل ما فعلوا في البلدة السابقة وهكذا إلى أن تتم رحلتهم فيعودوا إلى بلدهم الأصلي وحينئذ يجتمعون فيمكن كل منهم للآخر ما لم يتيسر له كتابته أو تحصيله ويستطيعون بهذه العملية أن ينقلوا أكبر عدد ممكن من الكتب والعلوم والأفكار.



ان هذه الطريقة ساعدت على نشر الثقافة وتعميم التعليم وربط الأواصر بين المغرب والمشرق.. وساهمت في سرعة النقل حتى ان بعض الكتب الشرقية وزعت في المغرب والاندلس في نفس السنة التي وزعت فيها في المشرق.. كما أن بعض الكتب المغربية والاندلسية وزعت في المشرق في نفس السنوات التي وزعت فيها في الاندلس والمغرب.

ولقد ساهمت الاوقاف في نجاح هذه العملية لأن عددا من المؤلفين عندما كانوا يؤلفون كتبهم كانوا يحبسون نسخا منها على مسجد معين أو على زاوية مشهورة أو مدرسة معروفة فيصبح الاطلاع عليها ميسرا والانتساخ منها مباحا.. وهذه مبرة عظيمة لن ينساها التاريخ للمغاربة والمشارقة على السواء.

ومن هنا نرى أن الكتب المحبسة على المساجد والزوايا والمدارس لم تكن مخصصة للمطالعة فقط وانما كانت معدة أيضا للانتساخ، وهي عملية كانت من أحسن الوسائل لنشر الثقافة وتوزيعها في الزمن القديم، ولقد استفادت منها هذه الهيآت التعاونية إلى أبعد الحدود.

ويمكننا أن نستمد من بعض النصوص الواردة في كتب التاريخ ما نستدل به على ما نقول.. فهذا ابن عبد الملك المراكشي يذكر في كتابه «الذيل والتكملة» عند ترجمته لاحمد بن محمد بن اسماعيل بن محمد بن خلف الحضرمي وصورة مما اشرنا إليه، فهو يقول عن أحمد هذا: (انه رحل إلى المشرق في حدود ٥٩٥هـ مرافقا الشهيد ابا بكر الكيناني، فأديا فريضة الحج وقفلا إلى الاندلس واستصحبا فوائد جمة وغرائب كتب لا عهد لأهل الاندلس بها انتسخاها هناك. وتوافقا على ان ينسخ أو يقابل احدهما غير ما ينسخه أو يقابله الآخر استعجالا لتحصيل الفائدة، حتى إذا ألقيا عصا التسيار بمقرهما اشبيلية انتسخ كل واحد منهما من قبل صاحبه ما فاته نسخه بتلك البلاد فكان ما جلباه:

- *الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري*
- *مقامات الزمخشري الخمسين*
- *شرح السنة للامام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي*
- *تاج اللغة وصحاح العربية لابي نصر اسماعيل بن حماد الفارابي المعروف بالجوهري.*
- *إكمال الأفعال لابي بكر بن القوطية تكميل الشيخ*

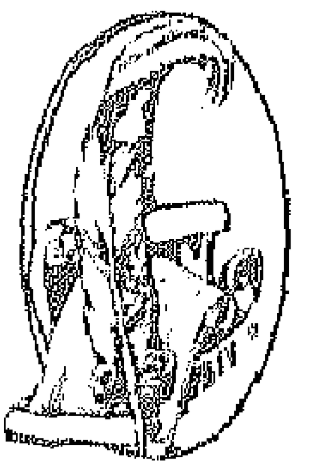
بى القاسم على بن جعفر السعدى بن القطاع» .

وهكـذا يتبين لنا أن هذه الطريقة التى سارا عليها كانت سديـدة ومـوفقة وانها تبرز جانبا من الشخصية المغربية الحريصة على الاستفادة والتى لم تأل جهدا فى نقل مختلف العلوم التى كانت متداولة آنذاك وعلى رأسها كتب التفسير وكتب السنة وكتب اللغة .



ولا يخفى على القـارىء العـزيز أن هذه الحقيقـة التى نتحـدث عنها كانت حقبة الامتزاج الثقافى بين المغرب العربى وبين الانـدلس نظـرا للتـواصـل الكبـير الذى حصل بين المتساكنين فى عصر الموحدين فمن يسكن فى اشبيلية كان كمن يسكن مدينة مراكش عاصمة المغرب الاقصى آنذاك . ومن يتولى نشر كتاب فى مدينة من مدن الاندلس كان كمن ينشره فى سائر المدن المغربية .

ومعنى هذا أن دخول الكتب التى اشرنا إليها من قبل إلى مدينة اشبيلية فى أواخر القرن السادس الهجرى انها هو دخول رسمى أيضا إلى جميع المرافق الثقافية فى المغرب .



وكـان لدخول تلك الكتب اثر واضح فى المجـال الفكـرى خصـوصـا فيـما يتعلق بالمـذهب الاعتـزالى الذى يمثله كشاف الـزمخشـرى، ولهـذا اشـار ابـو عبـد الله المراكشى فى كتابه إلى أن الفقيه ابا الحسين بن زرقون المـالكى كان ينعى على ابى العباس هذا جلبه تفسير الكشـاف لما تضمنـه من المـذهب الاعتـزالى وانه كان يقول : قد كانت الاندلس منزهة عن هذا واشباهه ، ولم يزل اهلها على مرور الايام اغنياء عن النظر فى مثله ، وان فى غيره من تصانيف اهل السنة فى التفسير غنية عنه .

ولكن ابـا عبد الله قال بعد ذلك : ولكل ذى عقل اختيـاره والله ينفـع ابـا الحسـين وابا العباس بقصدهما فكلاهما نصح .

ونحن إذا تأملنا ما ذكره صاحب الذيل والتكملة فاننا سنحس بسعة فى الفكر وبرغبة فى التوفيق وبعدم ضيق الصدر بالاقوال المتناقضة ، لان العبرة بالقصد لا بالقول فى حد ذاته .

ورغـم هذا الموقف المعتدل فاننا نجد رد فعل قوى من بعض الفقهـاء والمفسـرين ضد كتاب الزمخشرى وادى ذلك إلى تأليف كتب كثيرة تواجه مذهب الاعتزال بعنف أو تختصره وتبقى ما فيه من ألوان البيان وجمال التأويل وتزيل منه كل ما يتعلق بآراء المعتزلة .

ولقد قال الدكتور محمد بن شريفة محقق السفر الاول من هذا الكتاب فى تعليقه على هذه النقطة «إن الاندلس عرفت مذهب الاعتزال قبل دخول الكشاف إليها إلا أن دخول هذا الكتاب على يد ابن خلف الحضرمى هذا قد شغل عدداً من المغاربة والاندلسيين فى القرن السابع وما بعده بالرد عليه أو باختصاره أو بالجمع بينه وبين تفسير ابن عطية» وذكر فى تعليقه اسماء بعض الكتب المتعلقة بذلك نذكر منها على سبيل المثال ما يأتى :

أولا : كتـاب الحسنات والسيئات لابى بكر يحيى بن أحمـد السكوتي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فهو قد ابدى فى هذا الكتاب ما تضمنه الكشاف من مزالق الاعتزال كما أبـدى ما فيه من مستطرف غرائب البيان واشار ابن شريفة إلى انه مخطوط بالخزانة العامة بالرباط .

ثانيا : كتاب التمييز لما اودعه الزمخشرى من الاعتزال فى الكتـاب العزيز لابى عمر بن محمد السكوتى قريب السابق ذكره وأشار ابن شريفه أيضا إلى أنه مخطوط .

ثالثـا : مختصـر للكشاف مع إزالة ما به من الاعتزال لابى عبـد الله محمـد بن عابـد الفاسى ولم يشر ابن شريفة إلى اسمه ولا إلى مستودعه وانما نقل الاشارة إليه من كتاب بغية الوعاة للسيوطى .



ونحن على كل حال ليس لنـا فى العصر الحاضر ما يبرر قصورنا فى الاطلاع على مختلف النظـريـات الاسـلامية النزيهة إذا كانت مبنيـة على أسـاس من التفكـير السـديد الهادف إلى معرفة الحق والمعتمد على أصول الاجتهاد وقوانين البحث العلمى ، وليس لنا سبيل إلى ذلك إلا إذا حققنا مبدأ التعاون الفكرى وحرصنا على الاستفـادة من تجارب الـذين سبقـونا إلى هذا الميدان فرسموا لنا نماذج من التعاون ما زالت إلى الآن تعد من روائع حضارتنا الاسلامية الخالدة .



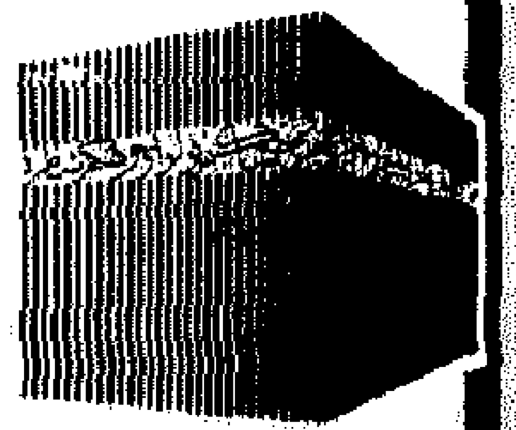
بقلم الأستاذ محمد الصادق عبد اللطيف
عضو اتحاد الكتاب التونسيين

الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وحركة التجديد السّلفي للفكر الإسلامي

لعل من أهم الروايات التى نرفعها دائما ونسير تجاهها.. تقريب الثقافات.. ودمج المعارف الانسانية وذلك بمد جسور المعرفة وفتح نوافذ العلم.. تحتضن هذه الصفحات بواكير عطاء تونس الخضراء.

المنهل



لم تكن دراسة الفقه وتعاليم الاسلام وفتاوى الإمام احمد بن حنبل وابن تيمية هى وحدها التى كانت تشغل بال الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى احاديثه العديدة مع رجال الدين وغيرهم من اتباعه وإنما كان يشغله ما آل إليه حال المسلمين من تخلف وتقهقر وبُعد عن الدين، وهم الذين يعيشون حياة البداوة والترحال، لا قوانين تضبطهم ولا حكم يردعهم، فكّر مليًا فى البحث عن قاسم به يشد المؤمنين لبعضهم حتى ينهض المجتمع العربى الإسلامى وكاد أن يتيه لولا مسكة من الإيمان أرشدته إلى أن فى العودة إلى أصول الدين الصافية وإلى التعلق بالاخلاق الاسلامية

الصحيحة وإلى اتباع سياسة تربوية سالمة من التقليد والمحاكاة، وإلى أن الطريق السليم والأصوب وهو ما نص عليه القرآن كدستور إسلامى لا تشوبه شائبة الشك أو الريبة، للنهضة بالمجتمع والرفع من قيمته بعد أن ظل متخلفا قرونا ولا يمكن بعثه من جديد إلا بالعودة إلى النبع الاسلامى والعمل بمبادىء القرآن لكسب النهضة ومواكبة الحياة ومقاومة التحدى وهو منطلق اعتمده الشيخ كمصدر لدعوته باعتبار أن هذا القرآن نظَّم أسس الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والسياسية، منه ينطلق التشريع والتنظيم بالنسبة للدولة الإسلامية رغم أن المسلمين أصبحوا يميلون للتقليد على الاجتهاد والابتكار.

وأن عصر السلف الصالح للخروج من بعض التقليد قد بدأ يبرز من دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والذى تحمل مسؤولية توجيه النقد للحياة الفكرية مبدئيا من شبه الجزيرة العربية والتى تعتبر هى نفسها صورة للحياة الفكرية يومها فى العالم الاسلامى وركز دعوته على هدم التراث الصوفى باعتباره تراثا دخيلا.. وبالرغم من الدور الإيجابى الذى لعبه التراث السنى فى الحياة الإجتماعية، فإن تحول الطرق الصوفية إلى منابع أخرى أفقد هذا الاتجاه مكانته وأقعده عن الرؤيا السالمة لدى الآخرين.

ولقد أدي ذلك الانزلاق الخطر فى الحياة الدينية الى رغبة هذا الامام المخلص أن يوقف زحفه ويحبس اثره ويرجع الناس الى العقيدة السليمة وتدريسها وبثها فى الخاصة والعامة ووجد فى (محمد بن سعود) المؤمن بفكرته والأمين عليها السند والنصير فانتشرت الدعوة ودعمتها دولة (آل سعود) ولازالت. وكان جوهر تلك الدعوة الرائدة يبنى على ما يأتى:

١ - تخليص التوحيد الاسلامى من ما علق به ولحقه من مظان والحاد وتطرف واوهام.
٢ - تثبيت اركان التوحيد الخالص لتستقيم به الحياة الاسلامية.
٣ - ضرورة اعادة الحياة لقوانينها الاسلامية الاساسية الصحيحة.
٤ - اعادة بناء المجتمع الاسلامى طبقا للروح التى كانت سائدة فى عهد السلف الصالح.
٥ - فتح باب الاجتهاد واستنكار من يدعى غلقه منذ القرن الرابع الهجرى.

كان الشيخ إذن فى كل مراحل دعوته الاصلاحية يستلهم من السلف المعارضة ضد التيارات غير الإسلامية الدخيلة عليه وأن فى الرجوع إلى صفاء الحياة الاسلامية كسب لممارسة الاجتهاد والتطوير وتحرير الفكر من قيد التقليد ونبذ الخرافات والانتصار للعقل والاجتهاد باعمال الفكر وفسح المجال للاكتشاف العلمى وهى لعمرى كلها مبادىء سرعان ما انتشرت فى اليمن بفضل الداعى (محمد الشوكانى) ١٧٦٠م وحركة الافغانى ١٨٩٦م ومحمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا والمدرسة الدهلوية فى الهند القرن ١٢هـ/ ١٨م والمدرسة المغربية بفضل الشيخ اسماعيل التميمى ومحمود بيرم وسالم بوحاجب ومحمود قابادو ومحمد السنوسى ومحمد النخلى وعبد الحميد بن باديس وهى نفس الاركان التى دعم بها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه دعائم الدولة السعودية فى المزج بين هدى الدين المستوحى من ينابيعه الاصلية وما وصلت إليه الحضارة الغربية من تقدم مادى مما يتمشى مع العقيدة السليمة والدين القويم وجاء المغفور له الملك الشهيد فيصل وأرسى قواعدها وتناوله بالرعاية والحب والاحتضان كل من أتى بعدهم من آل سعود.



وإذن اين يقع الشيخ ابن عبد الوهاب ودعوته فى هذا الصراع؟ الجواب هو ولا شك من أهل الترجيح بين أئمة الحجاز لما له من المنزلة العلمية والمقام الاسمى وقد انتسب لمذهب الإمام أحمد بن حنبل، سلك فى اجتهاده مسلك الشيخ احمد بن تيمية فى مقاومة البدع واعتقاد الاموات والشيخ ابن تيمية عمدة الشيخ رضا صاحب مجلة المنار فى جهاده ومقاومته للبدع الكثيرة كانت له به صلة روحية نسجتها به الاقدار على جناح الغيب.

يبين المستشرق الالمانى الغربى(١) بابر جوهاننسن أن للشيخ محمد بن عبد الوهاب أبعاداً عديدة، بعد فقهى وأصولى وبعد نفسى وهذا يتمثل فى خلوص النفس لله وحده وقد نجح فعلا فى تطبيق مبدئه فيما تعاطاه من مسائل فقهية وأن وصول صداه لعلماء تونس يؤكد أهمية الردود المختلفة التى لم تفهم أبعاد دعوة الشيخ يومها وأن التحامل من بعضهم ضد الدعوة بعيد عن الموضوعية لما فوت على تونس الاصلاح والتفتح الدينى ولذلك ستتأخر الدعوة الاصلاحية ولن تبلغ تونس إلا مع خير الدين التونسى وذلك بعد زمن طويل يقدر بنصف قرن(٢) على الاقل.. وان وصول رسالة الشيخ إلى تونس بالذات لتبين قيمة الكلية الزيتونية كمركز علمى ودينى فى العالم الإسلامى مما جعل السعوديين يخصونها بالرسائل مثل بقية المراكز الأخرى كدمشق وفاس(٣)

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دينية لم تمارس العمل المسلح الذي يكون غالبا نتيجة عمل فكرى وحتى الافكار الاصلاحية تأتى نتيجة لبعض الثورات فى الاقطار التى ولدت فيها ولذلك فإن تكاثر الحركات الإصلاحية كان إما نتيجة مواجهة الحضارة الحديثة وإما كحالة تطلع ويقظة(٤)

وهو ما استنتجه المستشرق الالمانى من أن وحدة الحياة الدينية والفكرية فى العالم الاسلامى قبل عهد الاستعمار المباشر، فما أن يظهر شيء فى المشرق إلا ويردد صداه ويجاوبه المغرب الإسلامى، وان الجدل بين السلفية والمحافظة بدأ مبكراً فى ربوع تونس. وضرورة التجديد لابد من مرورها بجامع الزيتونة وهذا الجدل بين الزيتونة فى أعلامها وبين الوهابية فيه كثير من الثغرات ولا يتم هذا إلا بنشر الوثائق ودراستها واعطائها ما تستحق من النقاش والتحليل والمقابلة حتى نفهم دور الشيخ بن عبد الوهاب فى حركة التجديد السلفى للفكر الاسلامى وانطلاقة النهضة المعاصرة.

الهوامش

(١) جاء لتونس سنة ١٩٧٩ بمناسبة الاحتفال بمرور ١٣٠٠ سنة على بناء جامع الزيتونة وحاضر بعنوان (بين عالم زيتونى والوهابية المصدر مجلة الفكر نوفمبر ١٩٨١ (مقال لدكتور جلول عزونة) ص٢٨.

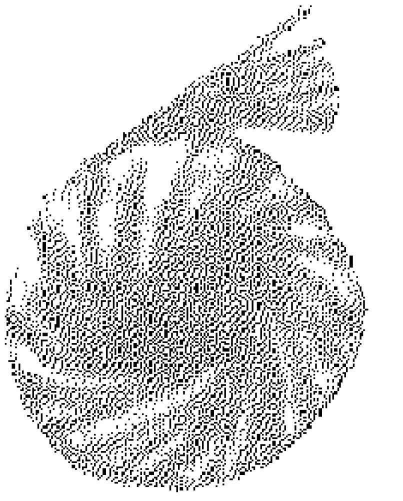
(٢) حديث للاستاذ محمد العروسى المطوى بالاذاعة التونسية ٤.١٠/ ١٩٧٦. نقله المصدر السابق. الفكر ص ٣٦

(٣) عن المستشرق الالمانى: المصدر السابق. الفكر ص ٣٨

(٤) الدكتور شكرى فيصل، الفكر المصدر السابق. ص١٣ مقال بعنوان حركات الاصلاح الاجتماعى فى العالم الاسلامى.



التدريب والتنمية



تولى المجتمعات المعاصرة عناية متزايدة بموضوع التدريب للافراد فى المؤسسات أيا كان طابعها أو وظيفتها أو اهدافها فى نطاق الجماعة الانسانية على شكل وحدة سياسية (دوله) أو منظومه اجتماعيه ذات وظيفة محددة فى تلك الجماعة.

والتدريب فى مفهومه العام انما يعنى التغيير والتحسين والتطوير وهو عملية منظمة ومستمرة محوزها الفرد مستهدفة احداث تغييرات سلوكية وفنية وذهنية لمقابلة احتياجات بعينها حالية ام مستقبلية يتطلبها الفرد والعمل الذى يؤديه والمنظمة التى يعمل بها ومن ثمَّ المجتمع الذى يحتويها.

ومبعث اهتمامى فى الحديث عن التدريب مرجعه الى مجموعة من الأسباب التى اراها قمينة بضرورة التركيز على التدريب فى مجتمعنا العربى والاسلامى وتسليط الضوء على الدور الرئيسى الذى يلعبه فى تنمية المجتمعات ودفع حركتها، ومن هذه الاسباب:

●● **ان هناك نقصا ملحوظا فى درجة الاهتمام لدى القادة الاداريين والمؤسسات العامة على وجه الخصوص بالتدريب واثره فى تنمية المجتمع على الرغم من الاهمية التى تكشفت عنها النشاطات التدريبية فى تطور المجتمعات وارتقائها.**

●● **تخلف نظرة الفرد الى عملية التدريب، واعتبارها ظاهرة تعود القهقرى بالفرد المتدرب إذا ما انطلق فى تقسيمه للتدريب من منظور تحصيله العلمى أو تقادم عمره الوظيفى.. فكثير من العاملين**

بقلم الدكتور/ محمد مصالحة
الجامعة العربية (تونس)

...يب
العربية

في المؤسسات العامة أو الخاصة لدينا مازالوا يحجمون عن الاقبال على برامج التدريب التى تتاح لهم بحجة انهم ليسوا بحاجة له نتيجة خبرتهم العملية الطويلة أو كبر السن أو حملهم لشهادة علمية عالية.

●● قلة الاعتمادات التى تخصصها الادارات العامة أو الخاصة لبرامج التدريب وكثيرا ما نلمس هذه الظاهرة فى أجهزة الاعلام العربية التى تنفق اعتمادات ضخمة لشراء الاجهزة والمعدات التقنية الحديثة بينما لا تخصص إلا نسباً ضئيلة من موازناتها لتدريب الاطارات البشرية ورفع قدراتها واكسابها المهارات الجديدة.

بطبيعة الحال فإن وجهة النظر نحو التدريب فى المؤسسة أو الدولة بصورة أشمل انها تتأثر بعدد من المتغيرات من بينها انتشار مفهوم التدريب وتزايد الوعى بجدواه ودوره المؤثر فى رفع الاداء الانسانى على اختلاف انواعه ومنها ما هية الفلسفة التى تعتنقها المنظمة واراء رؤسائها ثم توفر المعلومات والحقائق عن التدريب نفسه لدى الشخص المتدرب واخيرا الفكرة التى يحملها الشخص المتدرب عن التدريب نتيجة تجربة سابقة مر بها اثناء التدريب أو كونها من خلال اراء خاطئة عن التدريب.

ولا يعنى ذلك ان هناك انعداما للنشاط التدريبى فى الوطن العربى وهو ما يعنينا الاشارة اليه بوجه الخصوص وانما هناك بالفعل انتشار يتزايد ولو ببطء فى قطاع التدريب فكراً ومؤسسات فى منطقتنا العربية والاسلامية وفى مستوى كل دولة على حدة حيث اقيمت بعض المراكز المتخصصة للتدريب على اختلاف انواعه، وقد تكون هذه المراكز وطنية تخص الدولة التى انشأتها ولكنها تلبى فى برامجها والاطارات المتسببه لها احتياجات تلك الدولة أو اكثر، وهناك مراكز اشمل تغطى الاحتياجات التدريبية لمجموعة الدول الاعضاء فى الجامعة العربية.

ولعل ما نرمى اليه فى هذه المقالة المتواضعة هو التحسيس بالتدريب من خلال وظيفته التنموية والتأكيد على العلاقة الارتباطية القائمة بين التدريب والتنمية لان التدريب وهو فى خلاصته (معلومات ومهارات واتجاهات وخبرات) من شأنه ان يطور من الدور الذى يقوم به الفرد فى المؤسسة وبالتالى يزيد من انجازات تلك المؤسسة ذلك انه اذا ما نجح برنامج التدريب فى تنمية الافراد وتطوير كفاءتهم فإن المنظمة تفيد بالتالى من ذلك لأنها مؤلف من مجموعة من الأدوار المتداخلة وحين ترتفع كفاءة هذه الادوار تزداد الانتاجية.

إن هناك علاقة ذات تأثير متبادل بين الفرد والعمل الذى يؤديه فهذا الفرد بحاجة الى تنشيط وتجديد فى معلوماته ومعارفه وإذا ما اغفلت او اهملت هذه الحقيقة فإن دور الفرد وظيفيا يتدنى كما يضعف عطاؤه نتيجة لتقادم معلوماته وتجمد خبراته ومهاراته عند حد معين وبالتالى لا يتطلب الدور شيئاً جديداً من الفرد ولا يجبر الفرد شيئاً يضيفه الى وظيفته..
وهذا ما يعمل التدريب وبرامجه المستمره على تفاديه فالتدريب:

هناك علاقة ذات تأثير متبادل بين الفرد والعمل الذي يؤديه

- يقدم معارف جديدة.
- ويضيف معلومات متنوعة.
- ويعطى مهارات إضافية.
- ويؤثر على الاتجاهات القديمة بهدف الغائها او تحويرها.
- ويطور العادات والاساليب المتبعة فى العمل.

وحتى يؤتى التدريب أكله ويفى بالغرض أو الاهداف المتوخاه من ورائه فلابد من أن يستند فى برامجه على مجموعة من المبادىء الاساسية التى تعتبر شروطاً لنجاحه ومن ذلك:

- الاسس الاجتماعية للتدريب وتتصل بكيفية التعامل مع جمهور المتدربين وفهم الخلفية والبيئة الثقافية والاجتماعية المحيطة بهم.
- الأسس التعليمية وتتصل بطرائق التعليم وأساليبه المتبعة فى ايصال المطلوب الى الجماعة المتدربة.
- الأسس النفسية وتتصل بمجموعة الدوافع والاتجاهات والفروق الفردية ودرجة النضج ومردود التدريب والتوقيت المناسب وتدرج التعلم.. الخ.
- الأسس التخطيطية: فلابد أن يبنى أى برنامج تدريبى على اسس علمية سليمة تقوم على تحديد الاحتياجات التدريبيه (زيادة المعلومات، اكتساب مهارات جديدة، تنمية اتجاهات معينة، التأثير على سلوكيات قائمة)، ويشترط لانجاح التدريب فى اداء وظيفته أن يرتبط بالخطة العامة لتنمية المجتمع وعلى اساس زمنى يتسم بالتكرار والتتابع تبعاً لحركة الحياة الاجتماعية بكاملها.

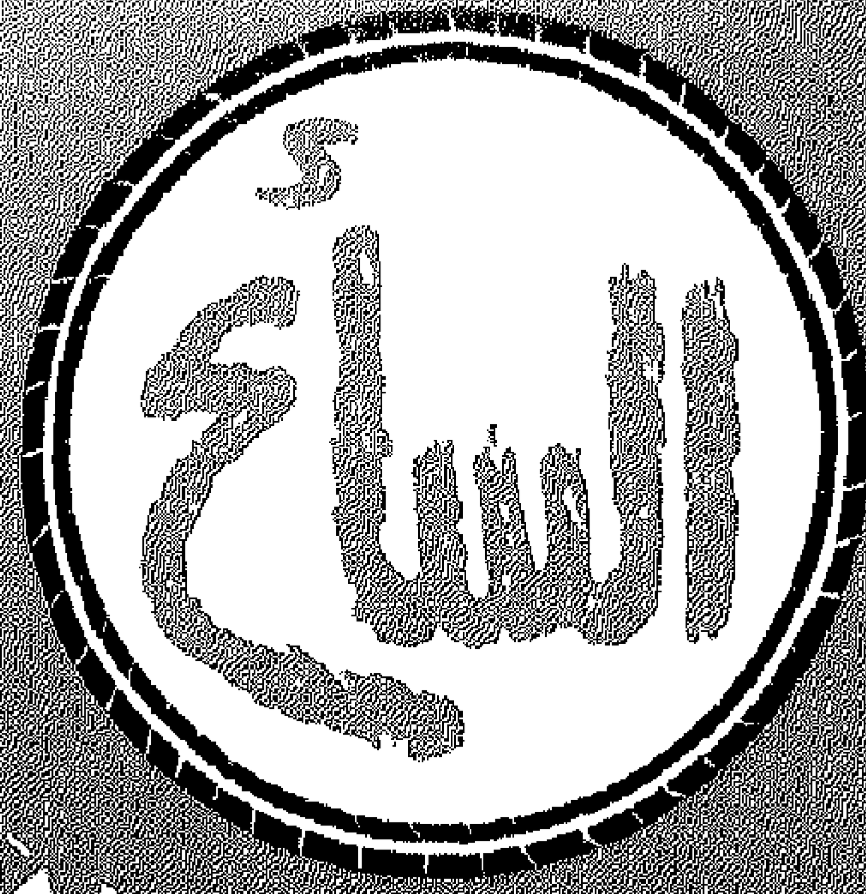
ولابد من الإشارة الى نقطة مهمة تتعلق بتقويم التدريب وقياس نتائجه بعد انتهائه بفترة زمنية معينة، وقد يبدأ القياس هذا قبل البرنامج التدريبى ويستمر اثناء انعقاد البرنامج ويجرى بعد انقضائه بفترة معينة ويشمل التقويم جوانب عدة كردود الفعل عند المتدربين، ومستوى التعليم الذى تحصلوا عليه ثم ادائهم الوظيفى فيما بعد، ومن الأهمية بمكانة أن يتم التعرف على مدى التنسيق بين عمليتى تخطيط التدريب وتقويمه ودرجة التأثير المتبادل بين هاتين العمليتين الأمر الذى يجعل من الميسور التعرف على أفضل الطرق لرفع كفاءتها.

وللتدريب مراحله المتلاحقة المتمثلة بوجود هدف محدد من وراء التدريب وفى كل برنامج على حده ومن ثم الالتحاق بالتدريب والاستجابة أو التفاعل بين المدرب والمتدرب.

واخيرا التحصيل الذى يعنى ما اكتسبه المتدرب نظريا أو عمليا فى كل مساق تدريبى.

ويشترط فى نجاح البرنامج التدريبى أن يتصف بالبساطة فكلما كان البرنامج التدريبى مبسطا كلما تحصلنا على نتائج افضل كما يجب أن يتصف بالمرونة ومواجهة التغيرات واستيعابها والثقة التى تتوفر عندما يكون هناك تناسق وتماثل فى العمليات التى يتبعها كل برنامج تدريبى واخيرا الاقتناع والقبول من قبل المتدربين بأهداف التدريب واقتناعهم بأساليبها وحبهم للوظيفة أو الخدمة التى يؤدونها.

بكلمة ختامية نقول إن تطور الحياة وتعقد مظاهرها فى الاقتصاد والاجتماع والاعلام والتكنولوجيا.. تفرض على المنطقة العربية والاسلامية أن تصوغ سياسة واضحة ازاء التدريب وعلاقته بالتنمية وعلى المستوى الوطنى والعربى وان الامر ليفرض الدعوة الى عقد ملتقى علمى ترعاه المنظمات العربية والاسلامية عموما لدراسة هذه القضية الحيوية فى عصرنا الراهن



المجلة الأولى

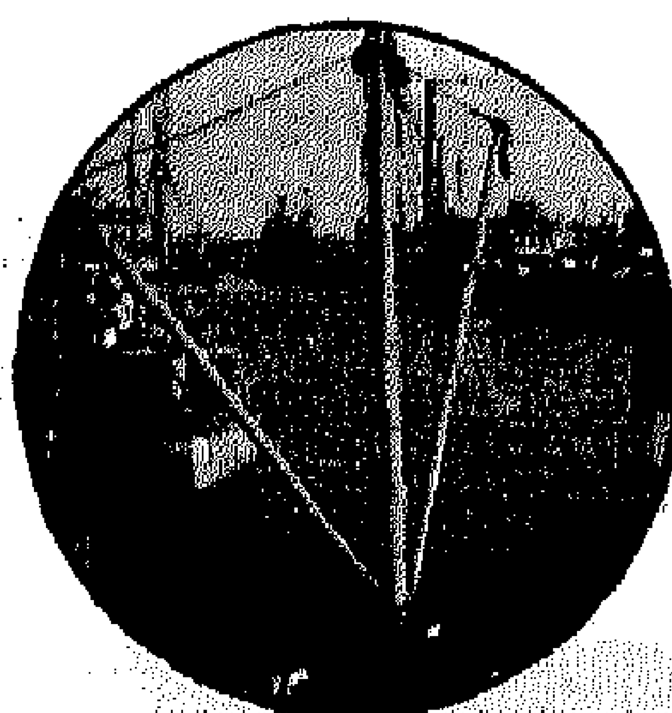
العدد التاسع ذو القعدة ١٤٠٤هـ



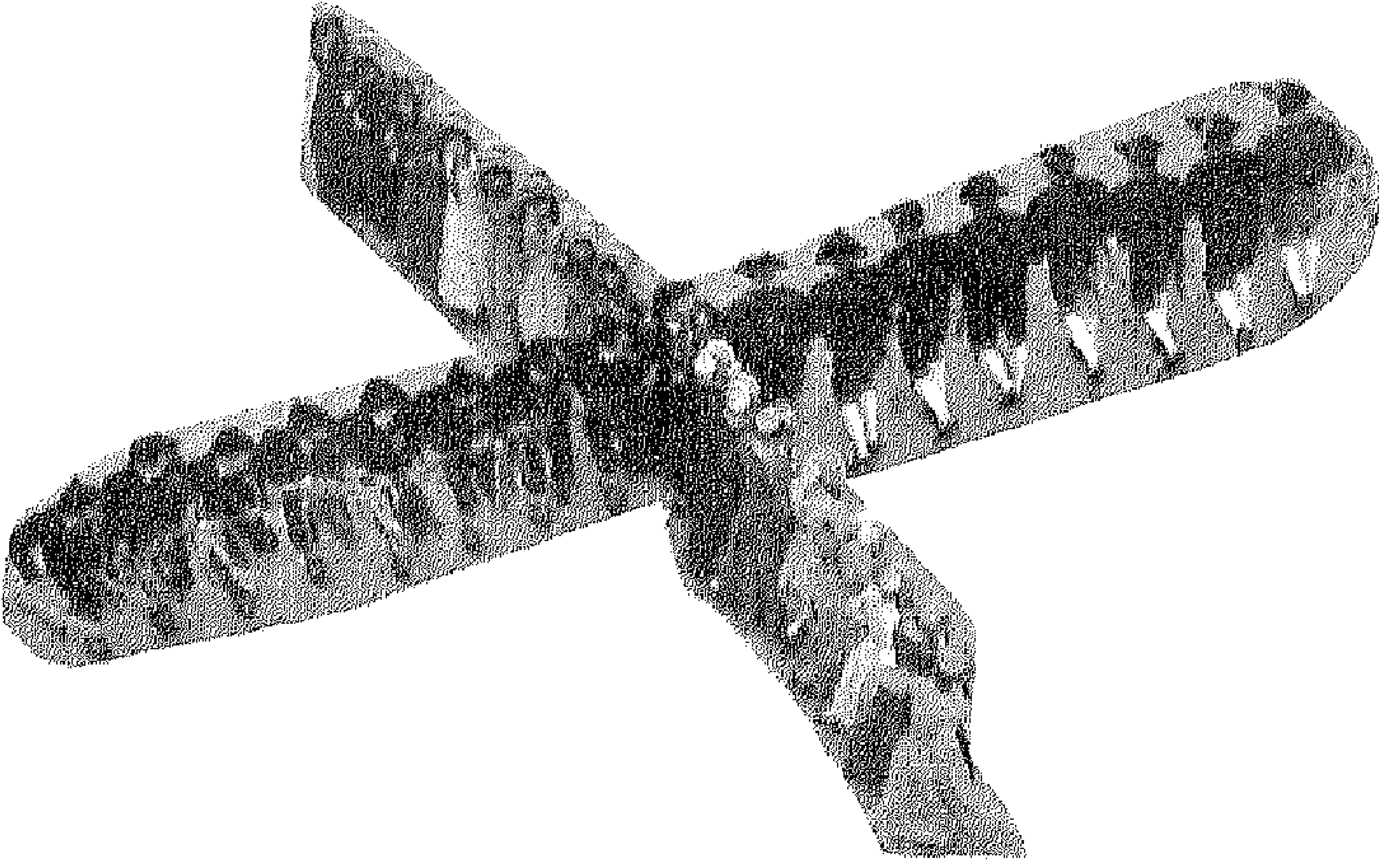
تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد

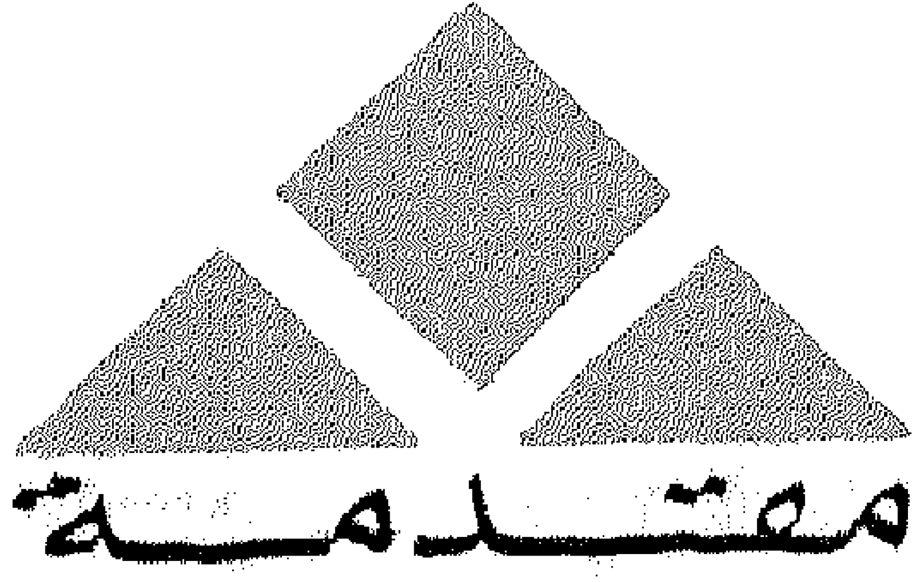






المانيا السويد





مقدمة

من سويسرا إلى ألمانيا فالسويد . . طريق طويل ممتد نعبره . . نشاهده، نعجب، نتساءل، نختزن . . من (بازل) آخر مدينة سويسرية الى (ثرى برج) أول مدينة المانية . . وعبر (فراى برج) مدينة الراحة والاستجمام ومنطقة (الرور) اكبر مراكز التجمع الصناعى و(أوفن برج) و(بادن) موطن كثير من الشعراء والفلاسفة . . شيلر، هولدرلين، هيجل . . و(منطقة الهارتس) حيث التجول صيفا والتزلج شتاءا . . وفى (الهايدا) نشتم زهور (الفلنج) البنفسجيه . . والى سفوح جبال الألب ومنطقة البحيرات البافارية وتضم صوراً شعبية ترجع الى القرون الوسطى ولا يفوتنا ان نقف عند البرج البيضاوى المعروف ببرج الابحاث النووية فى (جار شينج) .

ولنشاهد أعيادهم فمنها (الكرنفال) أو الفاشنج حيث يرتبدون الازياء التنكرية فى الشوارع، (مهرجانات البرج) . . (عيد الرماية) . . (عيد اكتوبر) . . الخ.

مدن ومناطق جبال وهضاب وانهار وحدائق ومنتزهات . . وفى كل ذلك تتربع حضارة القوم وتقوم حياتهم وتنشأ مدنياتهم . . فى الصناعات ، فى العلوم، فى الفن . . فى (الجد والهزل) .



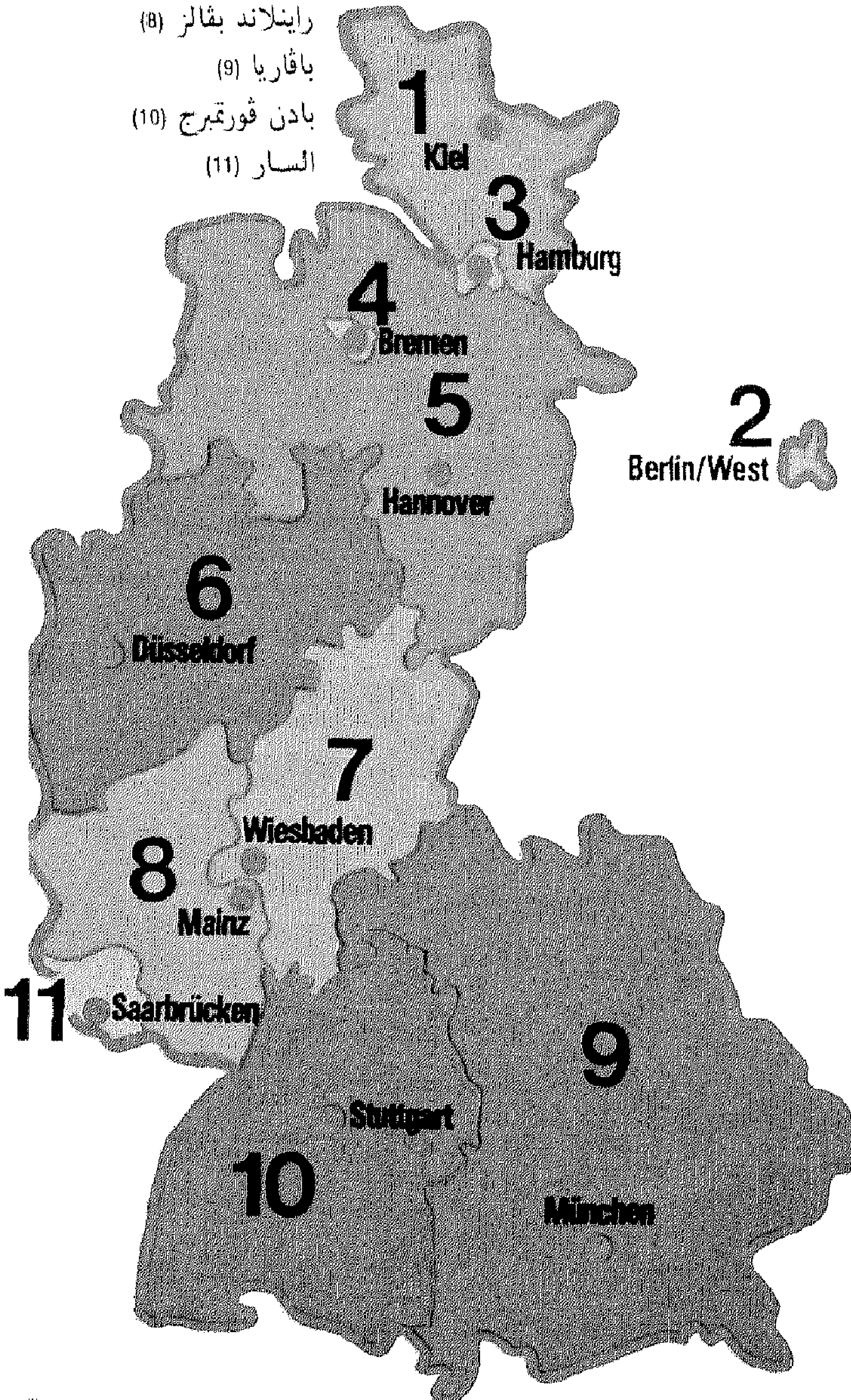
السفر إلى همبرج بألمانيا

امتطيت والسياح القطار الالمانى العظيم إلى همبرج بالمـانيـا . . . حيث أخـذ كلٍ منهم مقعـده المحجوز . . ورتب امتعته وحقائبه لأنّ الرحلة طويلة فيها نوم وعشاء وفطور وغداء . .

ولا يفوتنى أن أذكر أن الاجراءات الجمركية والجوازية بالنسبة للخروج من الاراضى السويسرية كانت قد أجـريت لنـا فى محطـة بازل بشكل رمزى عجيب من غير أى إحراج أو تفتيش . . ولم نُسأل عن العملة مطلقـا . . حتى أخذتنى الدهشة وتمنيت أن تكون كل الدول على نمط سويسرا . . وفعلا كانت تمنياتى فى محلها والحمد لله إلاّ النادر القليل .

أمـا ما تجدد بالنسبة للآثار . . فلا جديد فى خلال رحلاتى ما بين عام ١٩٦٩ و ١٩٧١م . . ومع ذلك فقد لاحظت تطورا مدهشاً فى أقل من ثلاث سنين ـ زيادة المصانع ـ كثرة الانتاج ـ وفرة السلع ـ توسعة بعض الشوارع التى كانت تحصل فيها بعض حوادث التصـادم ـ توسعـة الحـدائق الشعبية وكنسها ثلاث مرات يوميا ـ صقل النافورات ومسح المقاعد المرمرية المعـدة لاستراحة المواطنين والسياح ـ تنظيف مراكن الورود والنرجس التى تملأ الحدائق والمحطات ـ مسح الشوارع وكنسها وصقلها بعلامات المرور (البيضاء) **التى ترسم فى نهاية كل شارع باللون الأبيض ـ كثرة المعارض والمتاحف وزيادة ميادين الألعاب الرياضية**

شليزويج هولشتاين (1)
برلين الغربية (2)
هامبورج (3)
بريمن (4)
سكسونيا السفلى (5)
رينانيا الشمالية ووستفاليا (6)
هيسن (7)
راينلاند بفالز (8)
باڤاريا (9)
بادن ڤورتمبرج (10)
السـار (11)



ـ تنظيم ساعات النهار بالنسبة للأسواق ـ فالحوانيت والمعارض والمطاعم والمقاهى تبدأ من الساعة الثامنة صباحاً إلى الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر ـ ثم تغلق كلها إلى الساعة الرابعة ما عدا المطاعم والمقاهى والحانات.. ثم تفتح المعارض من الرابعة حتى السابعة والنصف مساء..

كذلك لاحظت معظم أصحاب المحلات التجارية وتجار الجملة والقطاعى لازالت محلاتهم كما هى، ولازالوا هم أصحابها وسألت بعض العملاء ممن كنت أكاتبهم سابقاً فى الأعمال التجارية، لماذا لا يتحول التجار ويتطورون أو ينتقلون إلى محلات أخرى بدلا من محلاتهم؟.. وهل يمكن لتاجر الأقمشة أن يُبدل أقمشته ببقالة؟.. هل النظام يسمح له بذلك؟.. فقال: لا يسمح له.. لأن كل سلعة تباع فى موضعها كما هو النظام والقانون من عدة قرون.. كذلك لا تزيد الأجور عما كانت عليه.. ولا يجبر مستأجر على الإخلاء مطلقاً لا فى السكن ولا فى الدكاكين.. إنما الجديد هو الذى يدفع الثمن غاليا.. فإذا بُنِيَتْ عمارات سكنية وبها دكاكين أو معارض فهذه طبعا ستكون أجورها مضاعفة.. لكن فى الحدود المعقولة بالنسبة للبلاد ونظمها وتشريعها.

أما التطور بالنسبة لأهالى البلد فشىء ملموس، وقد شمل جميع الطبقات حتى السائقين.. والسائق فى سويسرة قبل سنوات مثله مثل غيره من السائقين فى أوربا إلا أنه أكثر أدباً وأقل استغلالا.. أما الآن فيقف بأدب جم وربما يخرج من عربته ليفتح لك الباب الخلفى، وخاصة إذا رآك محمّلاً بحقائب وأمتعة أو مسناً تستحق المساعدة.. ثم قبل كل شيء يحييك بتحية وهى صباح الخير أو مساء الخير باللغة الفرنسية.. لأنّ معظم سكان سويسرة يتكلمون الفرنسية والبعض يتكلم الألمانية وليست هم لغة مخصوصة وحضارتهم فرنسية ألمانية لكن تزيد عنها بمراحل لأنهم فى تطور مستمر وطبيعة بلادهم تقتضى ذلك بالنسبة للظروف السياحية والتجارية.. ثم البعض من السائقين بسويسرا يتكلم الانجليزية بطلاقة وهذا راجع إلى التعليم المدرسى والثقافة العامة، لأن تعليم اللغة الانجليزية لا يتأتى للسويسرى الا من طريق المدرسة، ولأنّ لغة البيت والشارع إما فرنسية وإما المانية، فاضافة لغة زائدة لا يكون إلا من طريق التعليم.. وقد لمست ذلك فى الكثير من سائقى التاكسى فى سويسرا.

هذا ما يتميز به السائق السويسرى عن بقية السائقين الأوربيين، أما فى فرنسا والمانيا وإيطاليا وأسبانيا فيتعصب السائق للغته ويصر على إجابتك بلغته حتى لو أنه يعرف الانجليزية من المدرسة لأنه يرى لغته تفوق أو تسود اللغات على رأيه وهذا خطأ ونوع من الغطرسة فما أحلى اللباقة والمرونة والتواضع.

●● ثم يسألك عن اتجاهك وهل تعرف العنوان الذى تقصده، فإن كنت تجهله يذهب بك الى دائرة الاستعلامات ولا يستغلك.. اللهم إلاّ النادر الشاذ، والنادر لا حكم له، ثم إذا انتهت بك الدورة تعطيه أجرته المستحقة ولا يقبل منك (حلوانا) أى بقشيشا باللغة العامية الدخيلة.. بخلاف السائق الامريكى والانكليزى والفرنسى فإنه لا يقنع باقل من عشرة فى المائة بقشيشا.

●● هذا عن السائق.. وأما خدم الفنادق فلا يضايقونك كغيرهم، ولا يطلبون منك أى مساعدة إلاّ إذا الزمتهم بأخذ (الحلوان) إلزاما ثم تجد أحدهم فى

انتظارك على باب المصعد يجيبك بطلاقة.. ويصعد بك إلى حجرتك.. ويفتح لك الباب هاشا باشا، لابساً أحسن الثياب نظيفا مهذبا مثقفا بدليل أنك تجده فى بهو الفندق حين فراغه من المناوبة يقرأ الصحف والمجلات فى غير لباس الخدمة.. كما يقوم بخدمة النزلاء إذا دعت الحاجة فتراه يذهب معك حيث تريد إذا كلفته بخدمة ما أو أى طلب لا تحسن إحضاره بدون أن يأخذ منك أى سمسرة أو مصلحة.

●● وأما التاجر فتجده هيِّنا ليِّنا يقابلك أحسن مقابلة ويجلسك على المقعد المعد للزبائن إذا كان خاليا، ويقدم لك معروضاته بآخر الأسعار من غير لف ولا دوران.. ويرشدك إلى الأحسن من الأصناف عند غيره من المحلات إذا لم يوجد عنده ذلك النوع.. وتجد ذلك من بائع السجاير إلى بائع الساعات والجواهر كلهم على هذا المنوال.

●● وفى الأسواق والشوارع والميادين العامة لا ترى أحداً من المتشردين او المعربدين المنحلين لا نهارا ولا ليلا كما نراهم فى باقى شوارع أوربا وأمريكا بعد منتصف الليل يتعرضون للناس.. وقد ترى البعض منهم صريعا على أرصفة الشوارع مخموراً مخدراً.

●● أما فى سويسرا فلا تجد هذه الأصناف مطلقا وهذا ما تغبط عليه سويسرا من دون أوربا قاطبة.

●● أما طبقة المتعلمين والموظفين وأهل السياسة والأدباء وأهل الصحافة فلم أتصل بهم بطبيعة الحال.. لكن الجواب يقرأ من عنوانه كما مرَّ من عرض بعض الطبقات التى تحتك بالسياح والرواد.

الرحلة إلى همبرج

وقد سبق لى الرحيل الى المانيا اكثر من مرة وهذه الرحلة ما هى الا للعبور فقط والوصول عن طريقها إلى الدانمارك والسويد والنرويج..

صعدنا القطار الألمانى المتجه إلى همبرج رأسا.. وهو الاكسبريس المتع.. والرحلة طويلة.. ومعى من السياح رجل سويدى وزوجته يتكلمان اللغة العربية لأنهما يعملان فى حقول البترول فى شمال أفريقيا، وكلاهما خواجى مهشم لكنه مفهوم.. وحينما ثبتت أقدامنا وتبوأنا مقاعدنا وأذن بالرحيل، هبَّ كل منا على نافذة عربة الاكسبريس مطلاً من النوافذ لتوديع جنَّة أوربا سويسرا الخضراء.. سويسرا الجميلة ذات الرياحين والورود.. والطبيعة الفاتنة.. أرض الماء والهواء والنعمة والرخاء.. أرض الرفاهية والحضارة وداعا يا سويسرا.

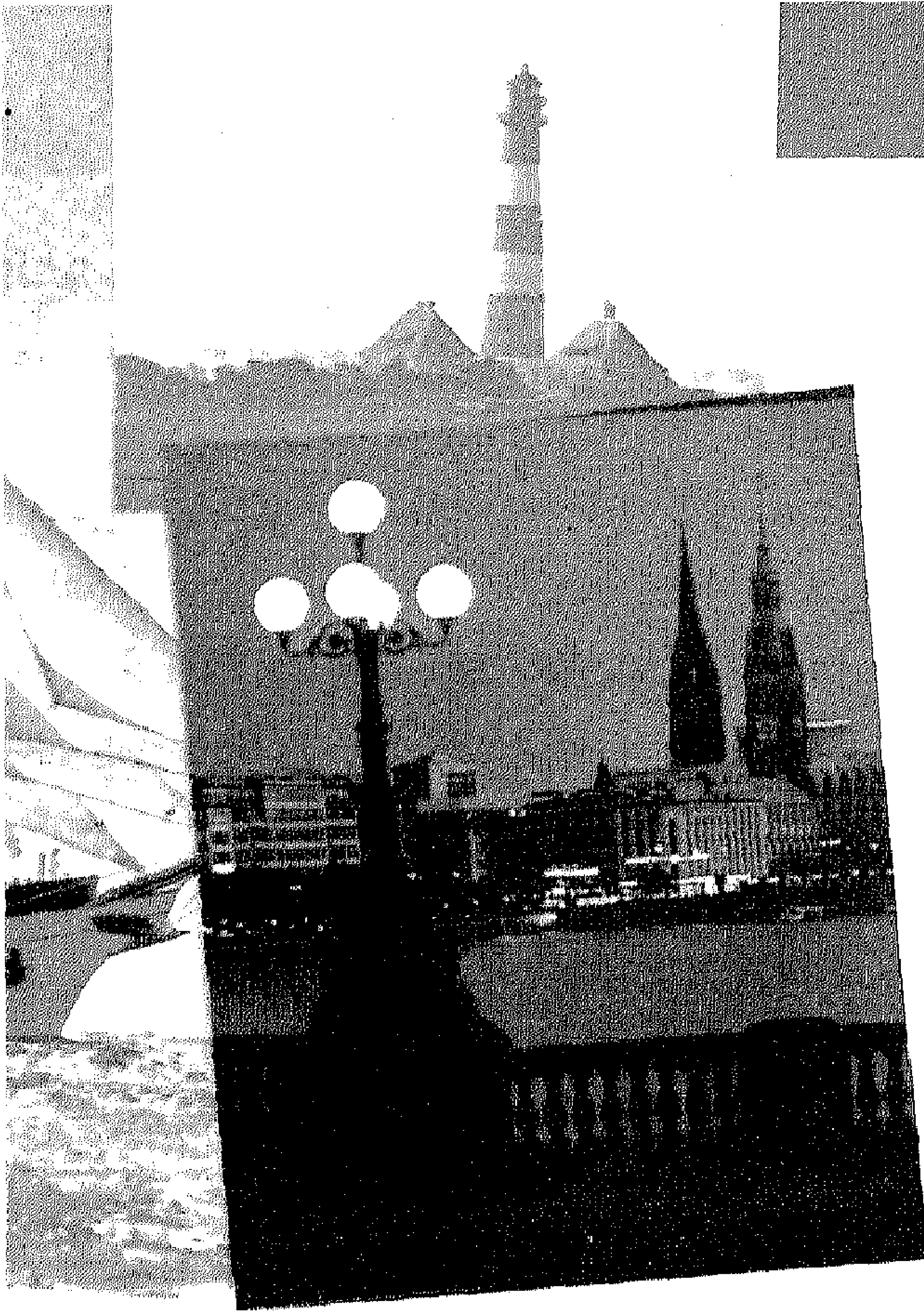
نهب القطار الألمانى الأرض نهبا حتى وصل إلى مدينة (فرى بورج) وهى أول مدينة المانية بعد بازل بسويسرا وكتابتها (Frie Burg).. وهى مدينة المانية جميلة يقضى فيها الألمان من العمال والموظفين إجازاتهم.. وذلك كما أعلمنى السائح السويسرى الذى هو رفيقى الآن.. ولم يقف القطار بل سار سريعا حتى وصل إلى مدينة (أوفن برج) بضم الهمزه ثم واو المد وكتابتها (Offenburg) وهى مدينة صناعية جميلة وسار حتى وصل الى مدينة (بادن) (Baden) وهى من المدن الشهيرة بالمانيا.. ولم يقف الاكسبريس بها بل سار حتى وصل إلى

مدينــة (كــارلس) ومنهــا إلى (هــدل برج) وهى بلدة صغيرة . . وجاءت الساعة التاسعة ليلا، وشُبِّكَتْ منضدات العشاء، وحضـر الطعام، وكنا الثلاثة على منضدة واحدة . . مدَّ الخوان عليها وجاءت لفائف الدجاج والسمك والأرز الأحمر المبهر وشرائح اللحم المشكل، والخبز المرقق الملفوف فى النايلون وقراطيس الملح والفلفل الأسود، والسلطات المشكلة وتناول كل منا ما يشتهيه . . وهل السائح نباتيا أم عاديا . . ويقصد بالسائح النباتى الذى لا يتناول اللحوم والبيض كما هو السواد الأعظم فى الهند من الجنس الهندوكى . . ثم جاءت أباريق الشاى واللبن والقهوة . . ثم انتهت مراسيم الطعام والشراب وجاء دور النوم.

جاء عامل خاص وأخرج من خلف كل سائح سريرا حديديا خفيفا ووضع عليه الفراش الناعم والمخدة اللينة، وجعل كل سرير على الآخر. والمسافة بينهما جلسة متوسطة، بحيث لو رفع أحدنا رأسه فجأة لشج فى جبهته، وقد ذقنا من الركلات الحديدية الشيىء الكثير - وكان رفيقى السويدى وزوجته أمامى .

●● رفيقى وزوجته يشهقان شهيقا من ثقل النوم، وأنا لم يهدأ لى بال . . ولم أذق طعم النوم، إلاَّ النعاس الخفيف الممزوج بالقلق . . وهذا دأبى فى السفر دائما وذلك للحذر من اللصوص والوقوف على أسماء البلدان التى يمر بها القطار سواء وقف بها او لم يقف بها لقيدها فى سجل الرحلة ومعرفة ما بها فى المستقبل من آثار أو ما تجب الإحاطة به حولها مما يستحق القيد والبحث لأرجع إليها ثانياً.

●● فى آخر الليل مرَّ القطار بمدينة (دَارْم شْتَادْت) (Darm stadt) وهى مدينة ألمانية كبيرة - لم يقف بها الاكسبريس ولم أدر عنها شيئاً لنوم الرفيق السويدى وزوجه - وعلمت فيما بعد أنَّ ليس بها شيىء يذكر من الآثار.



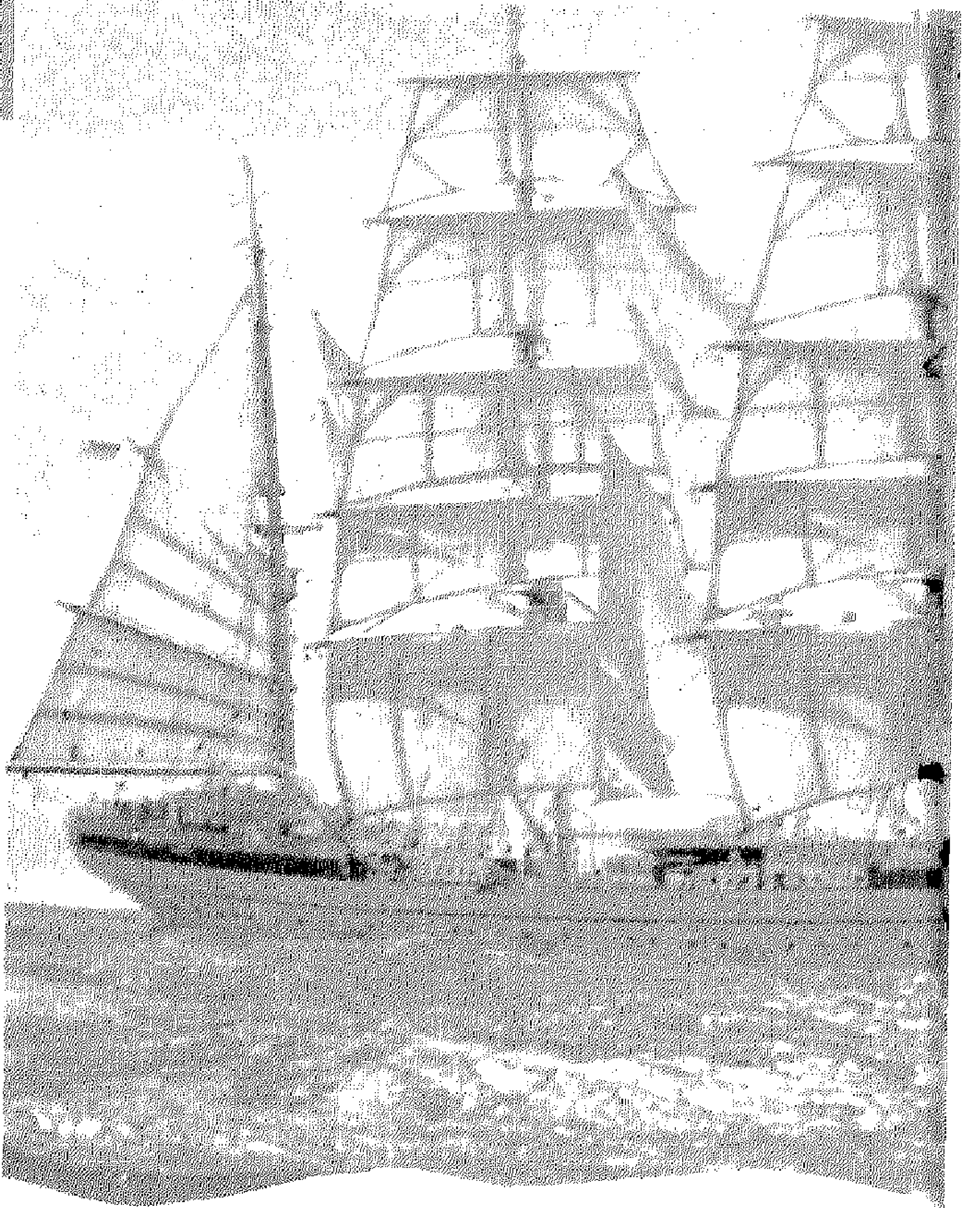
فرانكفورت

طلع الفجر بوصولنا إلى هذه المدينة الجبارة واستيقظ معظم السياح لأنَّ منهم من سينزل بالمدينة ومنهم من سيسافر إلى همبرج . . وفعلا وقف القطار السريع بمحطة فرانكفورت .

●● أما أنا لم أنزل من القطار، لأنَّ اتجاهى إلى همبرج ثم الدانمارك . . بعد بضع دقائق ترك القطار مدينة فرانكفورت وسار مسرعا يدوى بصوته بين الجبال وتلعب الأرض تحته كالأمواج المسطخبة . . وحضر الإفطار وتناول كل سائح ما قدم له وأخذ كل أهبته وشدَّ أمتعته وقفل حقائبه وتحفز للنزول إلى همبرج . . وهناك طريقان إلى كوبنهاجن بالاكسبريس «بالبطيء . . والسريع».

وصلنا بسلامة الله إلى همبرج الساحل الألمانى العظيم الذى يعج بالعشرات من السفن الخارجة والداخلة وأكبر ميناء تجارى للألمان فى هذا البحر المتلاطم البحر الشمالى.

أنزلت حقائبى واودعتها . . وذهبت منفردا متأبطا



الحقيبة القماشية التى أعلقها على كتفى.. وذهبت إلى خارج المحطة متجولا فى أسواقها التى بدأت تفتح أبوابها وإلى مقاهيها المكتظة بالبشر من كل الطبقات.

دخلت مقهى (فوم كافى) ريثما أستعد للسفر أو المقام يوما أو يومين حسب الطالع.. احتسيت كأسا من اللبن البارد الطازج الذى نراه طالعا نازلا فى الوعاء الزجاجى الجميل.. ثم طلبت قطعا من الكعك المسكر بالمربى أو ما يشبه المربى (الجاتوه) بلغتهم.. خرجت من المقهى لأشاهد المدينة التجارية الكبرى. وهى تشبه إلى حد كبير مدينة بتسبرج فى الولايات المتحدة بولاية بنسلفانيا كأنها صورة طبق الاصل منها على ما رأيته وشاهدته

ولعل الألمان النازحين إلى أمريكا إبأن اكتشافها هم الدين رسموا خريطتها على نمط همبرج.. والسائح للبلدتين يرى الحقيقة الماثلة.. قليل من ناطحات السحاب.. وحتى بتسبرج فى الولايات المتحدة ليس فيها من الناطحات شيء يذكر اللهم الا عمارة شركة الصلب والحديد وهى أكثر من ... العالم.. وهذه ما تمتاز بها المدينة الأمريكية.. أما المدينة الألمانية همبرج ... كهذه العمارة ... بالبحر والأحواض ... أما بهامبرج الامريكية ...

جبلية وليس لها منظر مائى سوى البحيرات التنزهية المعروفة.

●● ذهبت إلى الفندق واتصلت بالشركات السياحية ودفعت الرسم للفندق كالعادة.. وما أن دقت العاشرة حتى كان الأوتوبيس السياحى عند الباب ينفخ فى المنبه.. ويلاحظ أن الاوتوبيس السياحى لا يقف على كل فندق ليأخذ السياح.. بل هناك محطة مخصوصة فى بعض شوارع البلد يقف عندها السائح، كمثل محطات الاتوبيس العادية والفرق بينهما اللوحة والرقم والكتابة، أما الذى ينزل فى الفنادق الفخمة، ويشترى دفتر التذاكر والخرائط ويعين الرحلات التى يريدها فهذا تتخابر لاجله إدارة الفندق وتطلب من السياحة المرور بالفندق لأخذه.

رحلت مع الراحلين.. وقد نظمت الشركة أربع رحلات للسياح فى خلال ثلاث ساعات سجلناها وصورناها واشترينا الكروت وأرجعتنا إلى قواعدنا سالمين.

كانت الساعة الخامسة مساء بعد الظهر أى بعد صلاة العصر بقليل ولم يبق سوى ساعتين وتغلق المحلات والمكاتب.

●● طلبت وجبة غداء مستعجلة لأذهب إلى المحطة وأحجز لإدراك قطار الاكسبريس إلى كوبنهاجن صباح الغد إن شاء الله ونفذت كل ذلك فى ساعة تقريبا.

أعلمت الموظف المناوب ليوقظنى فى الميعاد المحدد.. فأيقظنى وخرجت من الفندق وهو نظيف وممتاز.. وبه مصعد كهربائى ويتكون من سبعة طوابق على الأرجح.. وتوجد به أسرة كثيرة والغرف بعضها بسرير واحد وبعضها بسريرين وبثلاثة، وكلها مزودة بالحمامات والمياه الساخنة والتلفون والكماليات اللازمة.. وموقعه بالميدان العام ميدان المحطة (السكة الحديدية) وهو اكبر ميدان بالعاصمة الدنماركية، كما يوجد بالعاصمة فنادق كثيرة من أشهرها فندق (ترمينوس هوتيل) (Terminus Hotel) وبهذا الميدان متحف تكنولوجى ... وقصر عظيم يدعى (B.C.Andersence) وبجانب الكنيسة (ابسالون) (Absalon) ثم كنيسة بليد ... (Billed

(Bladet ثم كنيسة العذراء Elazraa) وعلى باب هذه الكنيسة التمثال الذهبي الفخم.

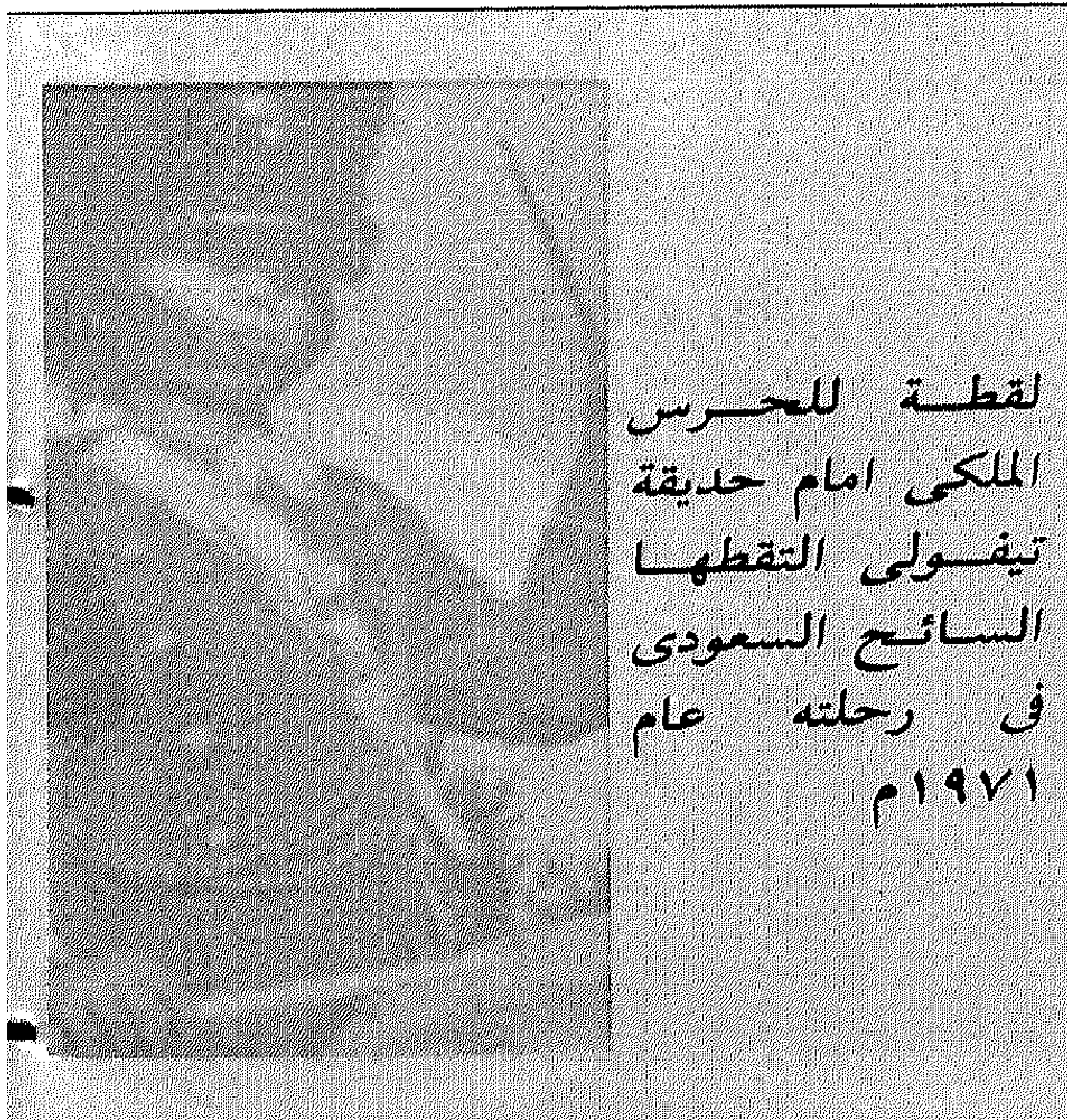
●● ومن ناطحات السحاب توجد عمارة S S التى تزيد طوابقها على ٢٣ طابقا. وبهذا الميدان الواسع توجد ثلاث حدائق جميلة نظيفة مكللة بالزهور والورود الأفريقية.. والكراسى الثابتة فى هذه الحدائق من الحديد.. والبعض الآخر من حجر الرخام.. وهى معدة للمواطنين والسياح. وبهذه الحدائق نافورات عجيبة اكبرها نافورة تمثال الفيل الذى ينساب من خرطومه الماء الزلال فيتجمع فى الحياض التى تروى منها ركبان هذه الحدائق.. وبقية الحدائق تماثيل أفيال صغار تمج الماء من خراطيمها كغيرها من الحدائق.. وتوجد الضفادع بكثرة فى صحون وقواعد هذه النافورات فتسمع نقيقها كما تسمع تغريد الطيور والبلابل.

ولقد نظمت سبع رحلات بالعاصمة كلها مع شركة (Toar.Co.) بوساطة إدارة الفندق وكانت إقامتى بها ثلاثة أيام. اليوم الثالث قضيته من طلوع الفجر إلى غروب الشمس فى حديقة (تيفولى) وكتابتها(Copen Hagen هذه الحديقة تدعى (Tivoli Copen Hagen) من أجمل حدائق الدنيا.. ولكنها ليست أثرية قديمة كحديقة (تيفولى) فى روما. اذ تلك من أقدم البنايات بناياتها، فلذلك يعدونها من تراث الأولين.. وفى كل عواصم الدول الاسكندنافية توجد حديقة بهذا الاسم، ولكنها لا تقاس على هذه الحديقة.. ولا يوجد لها نظير فى الوقت الحاضر مطلقا بالنسبة لباقى القارات الخمس بحسب ما ظهر لى.. وفوق كل ذى علم عليم.

الحديقة التيفولية

وأكرر ذكر هذه الحديقة التى تسحر النفوس وتخلب الألباب وتنعش الحزين البائس.. إنها من متع الدنيا حقيقة ماثلة جاثمة على الميدان الكبير بالعاصمة الدنماركية.. وأول ما جعلنى أفكر فى دخولها المنظر الخارجى للحصن الصينى العظيم التقليدى الذى يحرسه هذا الجندى الذى نراه أمام الحصن الجميل المزخرف وهو كما تراه فى الصورة.

إنه عبارة عن دمية أو لعبة غزلية تتهادى بين الدمى.. ما أدرى لماذا يجعلون الحرس الملكى وحراس القصور والحصون والآثار والمتاحف والاكاديميات من هذا النوع من الجند؟. ان قلت للشجاعة فليس بالمعقول أن غلاما أجرد أمرد لم يتجاوز العشرين تكون لديه قوة الرجال الأبطال المدافعين. وإن قلت للزى فاغرب وأدهش، وان قلت للجمال فلماذا يختارونهم من أجمل الغلمان وأودعهم.. نرى هذا الجندى الصغير الأمرد يضع الخوذة المخملة الحريرية أو الصوفية تغطى رأسه ورقبته، وفيها ثقوب شفافه على حجم الأعين، فهو يبصر من داخلها كما يبصر البحار فى قعر البحار بمنظاره الشفاف فى حالة الغوص. ثم الذى يلفت الأنظار ويحير الأفكار. تجمده على الحصان إن كان راكباً، كما هو الحال فى الحرس الملكى البريطانى.. وهنا أعظم بكثير من ذلك الجندى، الذى لا يرمش بعينيه ولا يقلب بصره ولا يتحرك عضو منه مطلقا.. إنه الجندى التمثال.



لقطة للحرس الملكى امام حديقة تيفولى التقطها السائح السعودى فى رحلته عام ١٩٧١م

إنــه الصـومعـة.. إنه الفتنة.. إنه العذاب على رأى إحدى السائحات الهيبيات ـ إنها وقفت مع زميلات لها فى سرب منهن يناديه.. يعاكسنه.. يتغامزن عليه.. فلا حراك به ولا حياة لمن تنادى.. وأخيراً تنهدن الصعداء وقبلنه على بعد مائة خطوة كما تفعل التمثيليات أيضا لا يرمش ولا يهش بذيله ولا يتحرك.. كيف هذا؟.. على ما أظن إن هذا النـوع من التمـرين والـريـاضـه يمارس من الطفـولـة للحيوان والانسان حتى يشبّ وهو على هذا المنوال ـ كما هو المشاهد فى السيرك (منظـر ملاكمـة الحيوان والانسان) **أو يُعْطَى نوعـاً من المخـدرات للجنسـين للمـدة التى يقضونها أمام هذه القصور والمتاحف كما يحقن المريض بالبنج لأجل مسمى.**

●● ولنعـد إلى حديقـة تيفولى ـ شباك تذاكر عند البـاب ـ تدفع القيمة وتستلم التذكرة ثم يفتح لك الباب.. فاذا دخلت الحديقة تجد ما يعجبك ويسرك ويدهشك.. إن أردت الخضرة والماء والزهور فاذهب إلى القسم الطبيعى منهـا واجلس على الكـراسى المعـدة لك ساعـة أو أكثـر أو أقـل على حسب مزاجك.. وإن أردت المطعم والمقهى وما إلى ذلك فاذهب إلى قسم المطاعم.. ثم الألعاب الرياضية على جميع أصنـافهـا، لها زاويـة فى الجنينة.. ثم الألعـاب السحـريـة والبهلوانيـة.. ثم السينما ثم الـرقص والغناء.. ثم ماشئت أن تراه كما تريد.. وكل سائح يرى ان هذه الحديقة فيها شبه من بلاده، فالصينى يرى انّ ـ فيهـا النقوش والحفر للأخشاب المصنـدقة على الغرف.. والأندينوسى يرى بعض الرقصات التقليدية لبلاده.. وسكان هواى يسمعون النغمات الهوائية.. وهكذا يرى كل سائح ما يعجبه ويهواه.. فهى جامعة للملاهى وأكثر بحيث تجعلك تمضى الوقت من دون ما تحس.

●● دخلتها صباحا وليس بها من السياح إلا العدد القليل وعزمت أن أمكث فيها نصف ساعة لكنى لم أخـرج منها إلاّ بعد المغرب ـ أما بقية «التيفوليات» التى فى بقية البلدان فما فيها ما يستهويك كمثل هذه الحديقة الباسمة الناعمة.

عنـدمـا استوى النهار كان الناس فيها بالالاف وقلّما تجد كرسيـا خاليـاً فيهـا.. وكان دخولى لهذه الحـديقة لمجرد المقارنة بينها.. وبين حديقة تيفولى الإيطالية الأثرية.. فوجدت بينهما أمداً بعيداً وبوناً شاسعـاً.. وللضـرورات أحكـام أحـوجتنى إلى دخولها.. فمعذرة لأنها هوايتى.

«الرجوع إلى كوبنهاجن»

●● **أرجعتنا الشركة بطريق الجو إلى الدنمرك بعد انتهاء الرحلة القصيرة العجيبة ولما نزلنا كوبنهاجن لم ندخـل البلد لأننا كنا بها مدة ليست بالقصيرة قبل الـترحـال إلى جرينلند ومن حسن الحظ كان اليوم الذى وصلنا فيه العاصمة الدنماركية يوم رحلة جوية إلى استوكهلم.**

السفر إلى السويد

●● بعد مضى ثلاث ساعات من وصولنا إلى كوبنهاجن أعلن مكتب المطار قيام الطائرة إلى (استوكهلم) عاصمة



السويد فتممنا الاجراءات الجمركية ووضع السمات على الجواز بالمطار بمغادرة الدنمرك وكنا قد أخذنا سمة السويد والنرويج من (أثينا) كما تقدم في مذكرات رحلة اليونان - وامتطينا الطائرة الاسكندناوية (SAS) وكان الجو صحوا وما أن لبثنا بعض الوقت بالطائرة حتى مُدَّت موائد الطعام ثم الشـاى والقهـوة معاً ثم وزعت أوراق الاستمارات فملأناها على الطريقة المعتادة ثم سلمناها للمضيفة المسؤولة . .

●● ولحظات فإذا أنا والسياح داخل جمرك المطار . . وفى عشر دقائق انتهينا من اجراءات الجمرك والجوازات . . وخرجت إلى بهو المكتب أحمل حقائبي الصغيرة . . وكعادتي اودعت حقائبي . . ودخلت إلى (الرستورانت) وهو المطعم وتناولت ما تيسر ثم ولجت (الكوفى هاوس) وهو «المقهى» احتسيت كوبين من كل من النوعين ثم سرت إلى غرفة استبدال النقود وكان قد سبقني إليها معظم السياح فوقفت فى الصف وهو ما يسمى فى العامية الدخيلة بالطابور أو (السره)(١).

●● وقفت نصف ساعة حتى حانت فرصتي فبدلت بعض النقود وخرجت إلى الميدان بمفردى أفكر ماذا أصنع؟. أأسكن قرب المطار؟ أم فى وسط البلد؟ أو قرب محطة السكة الحديدية؟ كما هى عادتى . . وأخيرا قررت السكنى بجانب المحطة الحديدية لأتمكن من الرحلات القصيرة إلى الضواحى السويدية والبلدان المجاورة أو البعيدة على حد سواء وإذا اقتضت الظروف ذلك.

رفيق ألماني

●● وبينما أنا واقف أفكر ماذا امتطى إلى داخل البلد . . تكسيا أو أوتوبيسا أو عربة حيوانية . . إذ بغلام ألماني كان معى فى الطائرة وكنت قد تعرفت عليه حين نزولنا من سلم الطائرة فقدمنى عليه فى النزول وأبدى تبجيلا واحتراما وتوقيرا ومشى خلفى وطلب منى الموافقة على معاونته إياى فى حمل بعض الحقائب التى كانت معى عند مغادرة الطائرة فشكرته على مجاملته التى أبداها ثم تفرق كل منا على حده إلا أنى تذكرته فى مكتب الجمرك والجوازات والبنك وقلت فى نفسى ياليتنى تحدثت معه فى الطائرة وتم التعارف بيننا لأنى أعجبت بخصاله الحميدة وأكثر ما أعجبنى فيه أنه يجيد اللغة الانجليزية والفرنسية بالإضافة إلى لغته الالمانية بموجب ما أخبرنى به حين النزول من سلم الطائرة.

الخلاصة رأيته أمامى فجأة وهو لا يحمل سوى حقيبة يحملها على ظهره لأنه من شباب (الهيبيز) وقف أمامى كأنى وإياه على موعد.

قال: إلى أين . .

قلت له بما جال فى خاطرى وما اعتزمت عليه.

فقال: أنا كذلك أريد السكنى قرب السكة الحديدية لأغراض شتى.

ثم قال: ماذا تعتزم ركوبه الآن إلى المحطة.

قلت له: أى وسيلة لأن حقائبى مؤمنة فى صناديق الوديعة.

فقال: انتظرنى لحظة هنا لكى أودع هذا الحمل عنى ثم آتيك فرحبت.

وقلت: هذه الفرصة التى تمنيتها قد تحققت ثم دخل غرف الودائع وأودع ما على ظهره ثم جاء مسرعا.

● حديقة (تيفولى) فى كوبنهاجن من اجمل حدائق الدنيا . . كل سائح يرى فيها شيئاً من بلاده

● (ضحكتْ) عليَّ الشمس فى السويد وجعلتنى أصلى الصبح مرتين.



السائح السعودي في حديقة من اعظم حدائق استوكهلم عاصمة السويد ويرى في الصوره وهو يستمع الى حديث سائح يابانى صحفى عام ١٩٧١م

رأيت الهيبيز في الولايات المتحدة كثيراً لكنى لم أختلط بهم مطلقا . . وكان بودى أن ألمس شيئاً حتى أكتب عنهم عن علم لا كما أسمع لأن السماع يحتمل الصدق والكذب (وما راء كمن سمعا) على الرغم من مكثى الطويل في الولايات المتحدة الذى استغرق أكثر من شهرين في رحلة سنة ١٩٦٩م ولم أر في خلال هذه المدة سوى بعض الانحلال الخلقى الذى يمارسه الشبان منهم على أرصفة الشوارع وعلى مناظرهم الرقيقة التى تلفت النظر وتدعو للسؤال والبحث .

●● ثم صاحبنى شاب من الهيبيز في رحلة من شمال كندا حتى وصلنا إلى (منتريال) العاصمة إذ كان بجوارى في الأوتوبيس السياحى ليلة كاملة أخذت منه فيها بعض ما أحتاج إليه من معلومات هيبية ثم طلبت منه أن يزورنى في فندق كوين مارى بمنتريال يومياً حتى أسافر فوافق وصار يأتى يوميا يمكث ساعة ببهو الفندق طيلة أسبوع حتى تمكنت من تسجيل بعض المعلومات على وجه الحقيقة . . ثم زاملت هيبياً آخر في أدنبرة (سكوتلندا) يوما وليلة أخذت منه بعض الحقائق أيضا وهذه الفرصة الأخيرة التى أجد فيها الهيبيز الألمان حتى أعمل مقارنة أو مقايسة بين الأجناس المختلفة وهى الفرصة التى أتمناها وكانت فرصة طيبة حسب المطلوب والمرام.

الخلاصة تجاذبنا أطراف الحديث والحديث شجون كما هو المثل . . حتى وقفت على الكثير من خصاله الصالحة بالنسبة لى كما علمت نوع هيبيته . . ثم قمنا وواصلنا السير حتى وصلنا بقرب المحطة التى فيها حقائبنا . . وما هى إلاّ دقائق حتى رأينا فندقاً لم توجد عليه علامة الامتلاء المعروفة . . دخلت وإياه وسألنا السكرتيرة فقالت : الغرفة ذات السرير الواحد بسبعة دولارات أمريكية وذات السريرين بعشرة فقط . . وقد ذكرت السعر بالعملة السويدية الكورونة . . وهي تتساوى بالدولارات كما ذكرناه آنفا . .

فقلت له : ما رأيك . .

قال : الرأى لك أنت ولا تعتبرنى إلاّ ابنك .

فقلت له : هل نسكن سويا ويتوفر لكل منا دولاران .

فقال : نعم أوافق وأنا في الحقيقة مصرٌ على توفير المبلغ وهو نفس الشيء . . ثم إنى واثق من الألمانى لأنى اطلعت على بطاقته في الجنينة الشعبية فوجدته كما قال طالباً في جامعة برلين وعرفت عنوانه جيدا وأخلاقه . . وأخيرا دفعنا الجوازات إلى مكتب الفندق ودفعنا الدولارات وأخذنا مفتاح الغرفة وخرجنا إلى السوق وتجولنا ما شاء الله لنا أن نتجول . .

●● حان المغرب فقلت للألمانى إبق هنا ريثما أصل إلى الفندق للصلاة ثم أرجع إليك بعد نصف ساعة وجعلت له أمارة ينتظرنى بجانبها إذا حان الموعد.

●● ذهبت وجمعت الصلاتين ورجعت إلى المدينة اللاّهية وفي انتظارى الرجل الزميل . . والمدينة المذكورة تدعى (حديقة تيفولى) تشبهاً بحديقة تيفولى الدنمركية ولكن الفرق عظيم فهذه لا تساوى شعرة في تلك الحديقة البديعة .

●●تناول كل منا أوساطاً حسب طلبه وهى ما تدعى بالسندوتشات عامية ودخيلة من اللغات الغربية على العربية وهى أكلة خفيفة جميلة أول من ابتدعها العرب للجيش العرمرم في أيام المأمون إذ قال لقائد جيشه : خذ أرغفة من العيش واجعل في وسطها قطعاً من اللحم المقدد بدلا من الطبيخ وضياع الوقت . .

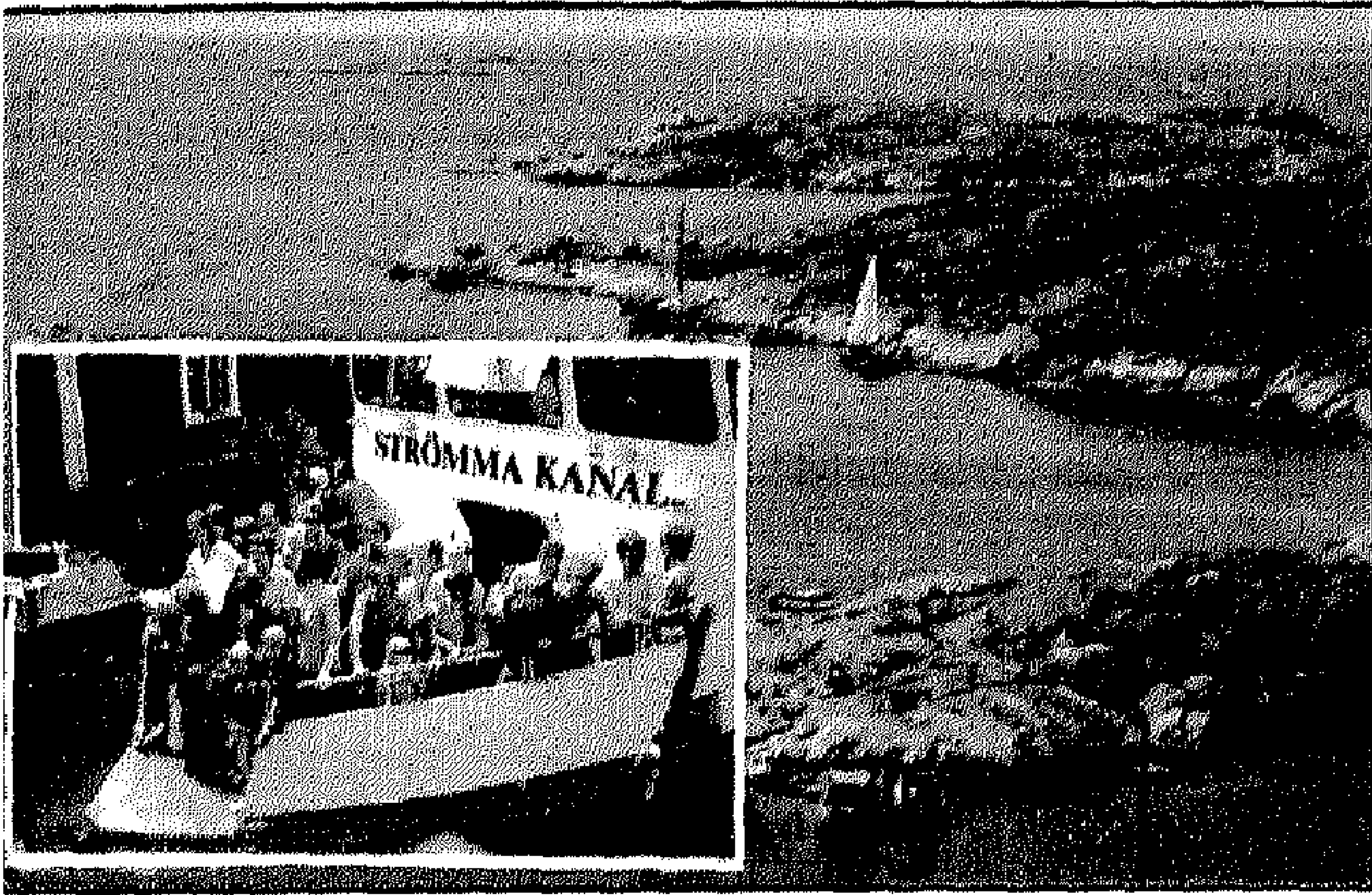
فجمع القائد وأظنه (طاهر بن الحسين) الأقراص وحشا وسطها بقطع اللحم المقددة. . ثم قال: يا أمير المؤمنين جهزت الأوساط.

وأما *العرب فكانوا إذا عجنوا العجين ولتوه بالسمن أو بالزبد ثم مدوه وبسطوا عليه شيئا من اللحوم المفرومة المبهرة وأدخلوه فى التنور حتى ينضج ثم أخرجوه وقطعوه قطعا كاللحمة يقولون لهذا الشكل (أوساطا) ويقابل هذه فى عامية هذا الزمن الكلمة الدخيلة الهندية (سمبوسك) أو الروسية (منتو) أو التركية (بوريك).* (٢).



• حائط برلين . . الذى يفصل بين برلين الشرقية والغربية طوله ١٦٤ كيلومتر وارتفاعه ٤,٢ متر. . بدىء العمل فى تشيده فى مساء ١٢ أغسطس ١٩٦١. . مدعم بالحراس المسلحين. . وقد لقى الكثير من الالمان مصرعهم عند محاولة عبوره.

وأما فى الجاهلية فلا يعرفون هذا النوع من الطعام، بل كانوا يأتون بالحوذان وهو ورق من أوراق الشجر عريض مفلطح ذو رائحة زكية. . كانوا يمدون العجين على هذا الورق ويغطونه بورقة من نوعه ثم يدخلونه فى الجمر ويجعلون له وقتا معلوما ثم يخرجونه وقد نضج وله رائحة جميلة فيسمونه «خبز الحوذان - وعلى ما علمت أنَّ المجمع اللغوى سوف يخرج أو يستنبط كلمة فصيحة تقابل كلمة (السندوتش) وأما ما يشاع عن كلمة شاطر ومشطور. . الخ فهذا لا أساس له من الصحة(٣).



●● عفواً. . فقد خرجنا عن الموضوع للضرورة وأنا لا آكل اللحوم مطلقاً فى السفر إلَّا على موائد المسلمين. . أو من أثق فى ذبحه. . لهذا جعلت أوساطى محشية بسمك (التونة) ثم دفع كل منا حسابه على حده. . وكذلك فعلنا فى الشاى والقهوة. . ثم رجعنا إلى الفندق قبل العاشرة لعدم وجود مسليات بمدينة الملاهى وعدم وجود رغبة لى أو له فى دخول السينما.

●● رجعنا الى الفندق وهو خلف الشارع المقابل



لميدان محطة السكة الحديدية ويدعى (هوتيل هوس بتس الم) ويقع بشارع (حمالا بروفاتن ٢٥) وكتابته (25) Amala Provlen) قلت للألماني بعد ما استلقى كل منا على فراشه الوثير، ألا تخبرني عن (الهيبين) ما هو مذهبهم وعقيدتهم وأخلاقهم؟.

فقال سأنام الآن إذا سمحت وفي الصباح سأعطيك ما تريد من توضيحات.

فقلت له وهو كذلك.

أصبحنا على خير ولله الحمد وطلبنا الإفطار في الحجرة وكانت الساعة السابعة. كلمت مدير الفندق أن يبعث منهج البرامج السياحية فبعثه ودفعت الرسوم وقال انتظر العاشرة قبل الظهر سنذهب إلى محطة (الموزيوم) ومنها نركب الأتوبيس السياحي فقال الألماني أنا أوصلك ثم أرجع.. قلت له وأنت ماذا تفعل؟. قال سأذهب إلى السينما أو بركة السباحة أو حديقة الحيوان لأني متعود على هذه البلد وأعرف كل شيء فيها فلماذا أذهب معكم وأدفع مصاريف السياحة؟. أما أنت فمضطر لكونك تصل لأول مرة (استوكهلم).. ثم قال هذه بلاد صناعية وليس فيها آثار تذكر وسوف ترى إذا جربت.

●● لما صارت العاشرة كنت بالمحطة مع زميلي فودعني. وركبت مع السياح ورتبت لنا الشركة عدة رحلات لغاية الساعة الثالثة ثم رجعنا إلى الفندق مجهودين ورأيت الرفيق الألماني نائماً فنمت من غير غداء حتى الساعة الخامسة فنهضت للصلاة وطلبت ما تيسر من طعام.. كما طلبت الشاي واستيقظ الألماني فاحتسى معي كوباً من الشاي وقلت له: نصيحتك كانت في موضعها إذ لم أجد من الآثار شيئاً مذكورا كمثل إيطاليا وفرنسا وانكلترا واليونان.

فقال: ألم أقل لك ذلك.؟

فقلت له: قد مضى اليوم الثاني وأما الثالث فسأقضيه معك لنتجول سوياً في الضواحي والمنتزهات ونبدأ من الليلة إن شاء الله ونفذنا ذلك فعلا..

السويد لم يكن فيها ما يلفت النظر من الآثار القديمة التي أهواها وجئت من أجلها.. أما العمارات الجديدة والناطحات والمصانع فليس لي بها مصلحة.. والجامعات والمدارس كلها مغلقة.. ولم يبق لي سوى بعض الأغراض السياحية وزيارة السفارة السعودية وبعض الشركات.

●● ثم قلت له: لنخرج الآن لتريني ما غاب عني وما لم أقف عليه مع الشركة السياحية خاصة وأني قد صممت ألا أذهب معها غدا لأني لم أنشرح لما وقفت عليه معها في هذا اليوم فوافق ورحب وخرجنا [illegible]

فقال: نذهب إلى مدينة الملاهي حديقة تيفولي فلم أوافق لأني رأيتها بالأمس ولم تعجبني.

فقال: لنلتقط بعض اللقطات لبعض المناظر الطبيعية.

فذهب بي إلى ربوة بعيدة عن نزلنا وأجلسني في هذه الربوة العالية ليرى منها أكبر قسم من العاصمة فالتقطت منها الصورة التي تراها.. إذ ترى جانبا كبيراً من العاصمة السويدية استوكهلم في هذا المنظر الجميل ويسمون هذا المنظر والبهو الذي تراه أمام الكنيسة (ريدر هولمن.. وبهو العاصمة) وكتابته (Ridderholmen and City Hall)

●● بعد ذلك قطعنا الجسر الكبير الذي يفصل بين محطة السكة الحديدية والبلدة الحديثة والعاصمة بها جسور عظيمة منصوب بعضها على اليابس والبعض الآخر على الماء العذب من البحيرات والأنهار وعلى بعض جوانب البحر.

●● ثم تظاهرت بالتعب لنتمكن من الرجوع إلى الفندق لأنفذ خطتي التي من أجلها رافقته وهي الوقوف على حقائق (الهيبين).. هذه الظاهرة الجديدة المنتشرة في سائر أنحاء العالم وقد صار لها أكثر من ست سنين وهي آخذة في الازدياد.

●● وافقني الرجل الألماني ورجع معي إلى الفندق فطلبت منه أن نتعشى قبل الطلوع إلى الفندق فوافق

، دخلنا مطعم أسماك قريب من شارعنا وانتهت المهمة وطلعنا إلي بيتنا وقد كانت الساعة التاسعة ليلا.. دخل كلٌ منّا إلى حمامات المياه السخنة بالفندق واستحم هو بالماء البارد ولم يحل حنفية الماء الحار. وأنا بعكسه ولكل جسد ما عوِّد عليه.

●● لما تبوأ كلٌ منّا عرش نومه بدأته بالسؤال.

قال: وأين النوم.

قلت له: عندما يهجم نعطيه حقه.

قال: لكن أحب أن أسألك قبل أن تسألنى.

قلت له : إنى على استعداد تام.

قال : متى بدأت سياحتك وهل غرضك منها مادى أم متفرج فقط؟.

قلت له : بدأت سياحتى منذ ثلاثين عاما وكانت فى البداية بقصد الكسب ثم بعد مضى بضع سنين جعلتها للكسب والسياحة ثم أخيرا للسياحة فقط وذلك لعدم استطاعتى للجمع بين الحالتين فى الكبر. ثم شرحت له ما يجب شرحه وأجبته على جميع أسئلته.. وقد أخذ منى من الوقت أكثر من ساعة بين الأخذ والرد حتى وقف على ما فيه الكفاية.. ثم بدأت أسأله.. وقبل أن أسأله استدرك فسأل سؤلاً آخر.

قال : هل تكتب عن كل شيىء.

قلت له: لا اكتب إلا عن الآثار وما يدعو للغرابة والدهشة من سائر المرئيات، من صناعات وحفريات وما إلى ذلك، والذى أكتب عنه أكثر البلاد التى لم يطرقها الكثير. أو التى تكون حديثة الاستكشاف مثل (**مدائن صالح**) عندنا فى البلاد السعودية بلاد العرب.. وكجزيرة (جرينلند) التى هى على قرب منكم.. ولكن لم يصل سياح كثيرون يجولون أراضيها الشاسعة والتى تكوِّن مساحة كمساحة قارة تقريباً مثل استراليا.. مثل هذه الأرضين والجزر وما شاكل ذلك أكتب عنها الكثير من الناحية الأثرية فقط وضربت له بعض الأمثلة على ذلك.

شكرنى وسجل بعض الحديث

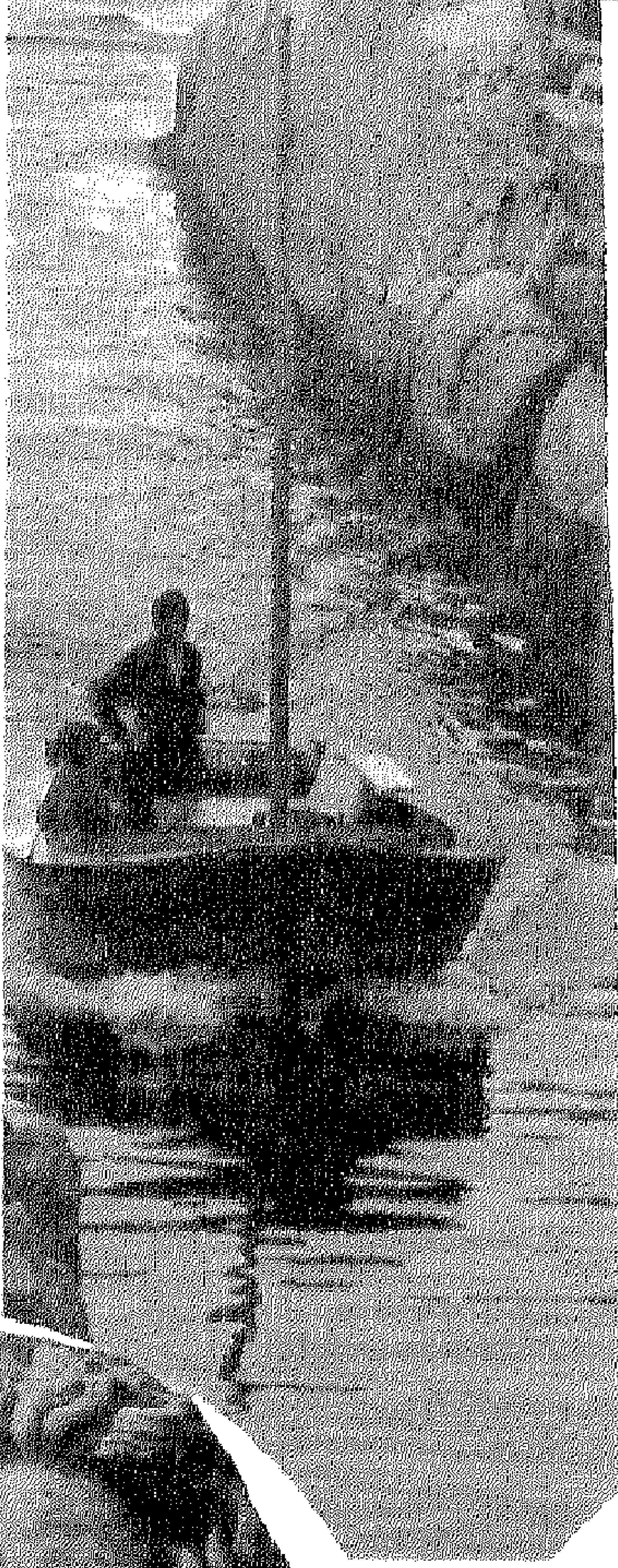
ثم قال لى: أظن فيما يبدو لى تريد السؤال عن الهيبيز لانك اما معجب بهم واما مزدر.

فقلت: بل معجب قال نعم وهذا ما أعتقده فيك.

قلت له: أحب الصراحة لأنى قد خالطت معظم الهيبيز الأمريكين والكنديين والانجليز والطليان والفرنسيين وبقى الألمان وها أنت منهم وإياك أن تكتم عنى شيئاً لأنى لا أهوى إلا الصراحة والوضوح.

فقال: الهيبيز جماعة ظهرت فى القرن العشرين الميلادى.. وكان ظهورهم قريباً لا يتجاوز السبعينات.. وأول ظهور الهيبيز كان من أمريكا ومن الولايات المتحدة الأمريكية..

قلت له : نعم قد سمعت ذلك فعلا.. ولكن هل





● سلاسل جبال الألب نشأت عن تحركات أرضية حدثت قبل ثمانين مليون سنه، وتصل قممها الى حوالى ثلاثة آلاف متر.

● ميونخ.. اشتهرت بالمجموعات الفنية الثمينة التى حافظت عليها، وبها اكبر متحف للتقنيه فى العالم.

وحى جاءهم من السماء أم من الأرض؟ . قال : بل من الخارج وبطريق أفصح قد جاءت هذه الظاهرة من الهند وأمريكا . . جاءهم رجل من الهند فى العام الستين أو بعده ـ لا أتذكر ذلك بالضبط . . وهذا الرجل من (أبيار) الهند والأبيار هم الذين يطلقون لحاهم وشعورهم إلى السُرَّة .

ثم قال إن هذا البير الذى جاء إلى الولايات المتحدة سائحا جعل من نفسه واعظا ومرشداً ومرارا ما يقف فى الشوارع العامة فى نيويورك وواشنطون وغيرهما من المدن الرئيسية فيلتف حوله الناس وخاصة الشبان والفقراء فيخطب فيهم خطبا حماسية يلهبهم بها ويشعلهم ناراً . . وكانوا يقاطعونه فى أثناء خطبه الفكرية بالتصفيق والهتاف وربما يطلبون منه إعادة بعض الجمل .

قاطعته وسألته بأى لغة كان يخطب ـ قال بالانجليزية الفصيحة إذ كان يجيدها إجادة عظيمة . . وكان فصيحاً سحر الامريكيين بحديثه حتى تبعه الكثير . . وكان يحمل على الأغنياء . . ويطالب بعقابهم وهجرهم إلَّا إذا دفعوا أموالهم للفقراء . . ثم قال : إن هذا البير كلاما طيبا لكنى لا أحفظه ومن جملة ما سمعته عنه (طلبه هدم الحضارة الغربية وقال إنها سبب النكبة للبشر ثم دعا الناس لزيارة الهند بدون مال) . . حيث أغراهم بحديثه فجذب قلوبهم وتبعه أناس كثيرون . . وبعدها رجع إلى الهند، بعد أن بثَّ دعوته هناك . . وفى العام الثانى من زيارته لأمريكا كثر السياح الأمريكيون على الهند لكنهم يسيحون بدون مال . . كما قال لهم البير . . وكان ذلك سببا فى إزعاج حكومة الهند، لأنهم كثروا وصاروا يتعرضون للناس ويسلبون بعض الأموال، ويشكلون عصابات كمثل ما يفعلون الآن فى بلادهم . . فكتبت مذكرة للسفارة فى دلهى تفصح فيها ما يفعله الهيبيز السياح وتطلب منعهم من السفر إلا إذا كانوا يحملون نقوداً فيها الكفاية .

قال : ثم لا يخفى أن طريق السياح الأمريكيين عن طريق أوربا كما أن معظمهم يمر بمعظم البلدان السياحية فى أوربا حتى يصل إلى الهند وغيرها من بلدان الشرق .

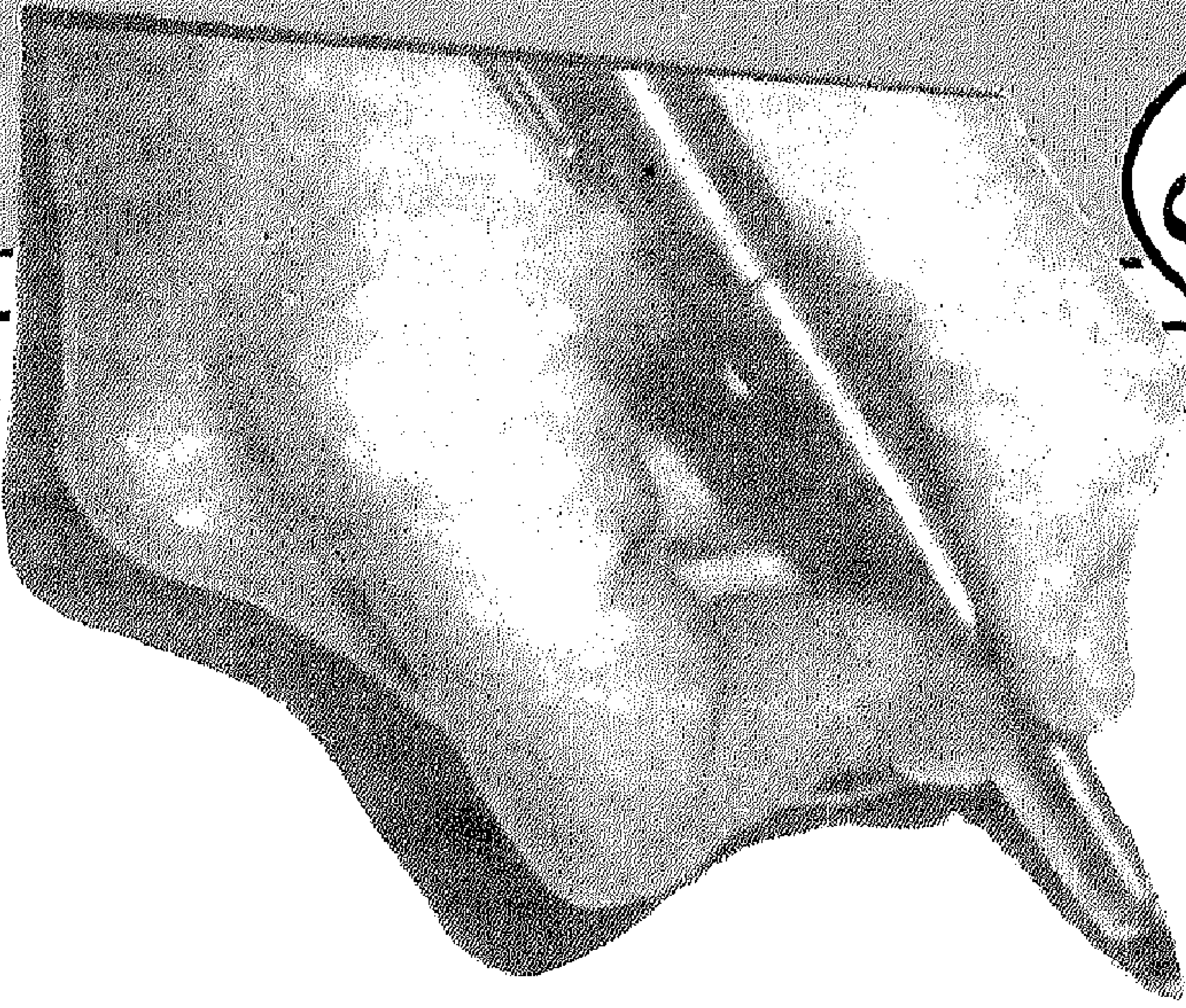
وحقيقة ما قاله الزميل فانى سمعت هذا الحديث فى الولايات المتحدة . . ورأيت معظم الهيبيز يعظمون (المهاتما غاندى) ويكتبون على مقاهيهم اسمه فى مقاهى نيويورك وواشنطون وبنسلفانيا .

●● قال : ثم إن الهيبيز ينقسمون إلى ثلاثة اقسام :

القسم الاول : متعلم ومثقف ومتحصل على الماجستير والدكتوراه ومدرس فى الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس على اختلاف أنواعها . . وهذا القسم له مكانة واحترام وتعظيم لكنه متقشف وزاهد ومسبل شعره ولحيته ، ويطالب بهدم الحضارة والقيود التى فرضتها على البشرية ، ويدعو إلى الحرية المطلقة . . وعدم الانقياد للقوانين الحضارية والمدنية لأن ذلك يكلف مالا ووقتا لكن هذا القسم لا يدعو إلى الانحلال والتفسخ كبقية الأقسام . .

والقسم الثانى : يطالب بحمل الناس على الجهل ويقول لا خير فى العلم لأنه جاء بالنكبات ولولاه لما كانت مأساة (هيروشيما) ولا فكر العالم فى ابادة البشرية كما هو الحال المشاهد الآن فى آسيا وغيرها . . كما يطالب هذا القسم بعدم شرب الخمور لأنها غالية وعليها ضرائب عظيمة . . ولكنه يدعو إلى الحشيش و(المرجوانة) أو المروانة والأفيون لأن التخدير يبعد عن الانسانية خطر التفكير وخاصة فى اختراع المهلكات واستعباد الناس . . .

والقسم الثالث : من الهيبيز هم الإباحيون المنحلون نهائيا وهؤلاء يطالبون بالحرية المطلقة ويقولون نحن أولى من الحيوان بهذه الحرية ، لماذا الحيوان يتمتع بجميع وسائل الحرية ونحن محرومون؟ . لماذا ندفع للحلاق ٦ دولارات لحلق الرأس واللحية؟ . . لماذا ندفع دولارا للتنظيف ودولارا للاستحمام؟ . . ولماذا نشترى كل شهر أو شهرين ملبوسات تزيد عن اللزوم والحاجة؟ . . لماذا تضيع المرأة نصف يومها فى التجميل وكى الشعر وما إلى ذلك؟ . .



الإسلام ومستقبل الإنس

نعم الاسلام وارث الحضارات فلقد ورث الحضارة الفارسية والإغريقية والرومانية والمصرية وجميع الحضارات العالمية القديمة ونقل تراثها إلى الفكر الاسلامى وأخذ منها المعارف العلمية والأصول الثقافية التى لا تتنافى مع مبادىء الإسلام الشريفة الرفيعة، وقامت حضارة إسلامية زاهرة فى جميع عواصم بلاد المسلمين من الصين شرقا إلى بحر الظلمات أو المحيط الأطلسى غربا ومن أوربا شمالا إلى أواسط قارة إفريقيا جنوبا.

وحسبك حضارة بغداد وقرطبة والقيروان وفاس والفسطاط ودمشق والبصرة والكوفة وأصفهان وجرجان وبخارى وغيرها من عواصم الإسلام الكبرى التى كانت تسبح فى نور العلم والتقدم والمدنية وفى ظلال الرفاهية والأمن والحرية والسلام.

حضارة شريفة نجمت من أصول شريفة وقام عليها الملك والفكر والاقتصاد والاجتماع وكل جوانب الحياة الرفيعة وشهد لها العلماء والمفكرون والمشرعون فى كل عصر وكل جيل.

حضارة هزت الدنيا ودوت بذكرها الآفاق وعاش فيها الناس أحرارا مكرمين ينعمون بكل ألوان السعادة والرفاهية والتقدم.

وكانت أوربا تنظر إليها وتذهل لهذا التفوق الحضارى الفريد ويصيح مثل بترارك الشاعر الإيطالى فى العصور الوسطى قائلا: يالله .. لقد تفوقنا على كل الأمم إلا العرب الذين أذلونا بحضارتهم السامقة فيا للخزى ويا للألم.

وجاءت أوربا ظامئة جاهلة مجردة من كل شىء فنهلت من حضارة العرب وعلومهم وثقافتهم حتى

ـــانية



باب ثابت مجلو بالمعرفة مدعم بالبيان يرسله كاتبه الفاضل عبر كل شهر لقرائنا ومريديه
"المنهل"

بقلم الدكتور/ محمد عبد المنعم خفاجي

استطاعت ان تقوم على أقدامها، ثم استطاعت ان تملك زمام المبادرة وتأخذ العنان بيديها من العرب وأن تنشيء لها حضارة جديدة تخالف الحضارات الأخرى فى كل شيء ولا تتفوق على حضارة الإسلام إلا فى الماديات وحدها.

حضـارة أوربـا نسيج من القوة والطغيان والأثرة وحب الذات والأنانية وقد قامت على أساس فلسفتهـا الاستعمـاريـة والتفرقة العنصرية وتقسيم البشر إلى طبقات ومنازل ووضع العرب والمسلمين فى آخر الدرجات.

لقد كتبت فى مجلات متعددة متلونة من قبل موازنا بين حضارة الإسلام وحضارة أوربا وقلت عن حضارة أوربا: إنها حضارة لا أساس لها، مادة بلا روح وأهواء بلا عقيدة وليست تنطوى على أية نزعة إنسانية أو اخلاقية وهى تقف كل لحظة أمام أبواب الـدمـار الـذى ليست له حدود، إنها حضارة اللذة والمتعة وعبادة المرأة والمال، شعارها وعلمها الذى تسير تحته أن الجنس الأوربى هو سيد العالم ومن عداه عبيد أو كالعبيد.

إن حضـارة أوربـا حضـارة الربـا والقـمار والمكيـافيليـة الشـريـرة والإبـاحية والعلمانية والمادية واستعبـاد المرأة باسم تحريرها،حضارة لامكان لها فى قاموس المثل والقيم الشريفة.. وكل ما هو شريف فيها فقد أخذ من العرب ونقل عن المسلمين.

يقول فوستاف لوبون فى كتابه «حضارة العرب» العـرب كانـوا هم ممدنـين للغرب وأئمة له فى ستة قرون وعـن طريـقهم اهتـدت أوربـا إلى تراث الإغريق وكشفت عن ماضيها».

ويقول أيضا: «الحق ان أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الأعداء إرهابا عدة قرون وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية السامقة ونحن لم نتحرر من نفوذهم إلا بالامس».

وأوربا فى ظلال حضارتها الماجنة تعيش فى انهيار دائم ورعب طويل وفزع مستمر وما أصدق ما يقول إقبال:

«مثلت حضارة الغرب دورها وقد شاخت وهرمت أينعت كالفاكهة وحان قطافها، وسوف ينهار العالم الذى حوله مقامرو الغرب إلى حالة من الفساد، ولقد رأت أوربا بعينها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والأخلاقية والعلمية ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد وهذا العالم لا يحسن تصميمه إلا من بنى للبشرية البيت الحرام وورث محمدا وإبراهيم قيادة العالم».

إن الرقى العلمى فى بلاد الإسلام كان محاطا بتفوق روحى وأخلاقى وإنسانى وبشرف لا يعدله شرف فى كل جانب من جوانب النفس الإنسانية المؤمنة بالله المحافظة على سمو الحياة وكرامتها المتطلعة دائما إلى الأمام بروح الأمل والعمل والقوة.

ولم تسد حضارة الغرب إلا حين غاب المسلمون عن إدراك حقيقتهم وذاتهم وشريعتهم وقرآنهم.. بل إنها لم تعش إلا فى ظل ضعف المسلمين وتركهم لمقومات مجتمعهم الإسلامى، وذوبانهم فى الغرب وأفكاره ومثله وثقافته.

إن حضارة الإسلام هى حضارة المسلم الكامل إنسان الأرض العظيم المتطلع دائما إلى نور السماء والحامل لعبء المسئولية الكاملة والمشارك فى نشر السعادة والرفاهية والسلام بين البشر.

وما أشد الفرق بينها وبين حضارة الغرب حضارة الاستعمار والحروب، والصراع بين الطبقات والمجتمعات والناس والشعوب حضارة المصارعة وصراع البقر وغير ذلك مما لا يخطر على بال.

ويقول فوستاف لوبون: إن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبثه بالعقائد الباطلة.

وإذا كان الشرق قد عاش بعيدا عن التقدم والقوة فى العصر الحديث فلأن أوربا قد عملت على تجريده من كل أسلحته الروحية والمادية والنفسية وتركه يتخبط فى ظلال الفقر والحرمان والحيرة.

●● وها هى ذى مجلة أسبوعية من مجلاتنا المحلية تقول عن أزمة الحضارة المعاصرة:

«إذا كانت الحضارة تعنى فى جوهرها شمولها مختلف أنواع المعرفة التى يقوم بها العقل الإنسانى علم وفن وثقافة وأدب وسياسة واقتصاد فإن الحضارة المعاصرة قد بلغت مبلغا كبيرا من التقدم والازدهار: على أن البعض يضيقون ذرعا بهذه الحضارة ويرون أنها فى طريقها إلى الانهيار كالحضارة الرومانية القديمة التى بلغت قمتها ثم استشرى فيها داء الترف والفساد والانحلال فانتهت.. ويرى بعض المفكرين أن على الإنسانية حتى تتجنب الهوة التى سوف تسقط فيها حضارة العصر الحديث أن ترنو ببصرها الى العصور الذهبية التى مرت بالبشرية».

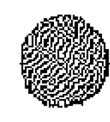
«ومن هنا نرى من يمجد العصر اليونانى القديم من أمثال الشاعر الإنجليزى بايرون والشاعر الألمانى هلدرلن والفيلسوف الألمانى نيتشة.. بل نرى طبيبا كبيرا هو ألبرت شفيتزر يرحل إلى إفريقيا هروبا من الحضارة المعاصرة وما جرته على الإنسان المعاصر من قلق وتوتر وعدم استقرار، هرب

حيث الفطرة والبساطة والحياة البعيدة عن عقد حضارة القرن العشرين».

وتتابع المجلة حديثها بالرجوع إلى ما كتبه الأديب المعاصر الشهير كولن ويلسون صاحب أدب «اللامنتمى» والذى توجس خيفة من حضارة العصر التى نحياها والتى هى سبب لكل ما يلاقيه الإنسان المعاصر من شرور لما طبعت عليه الحياة من ترف وانحلال فهو يستعرض أعمال كبار الأدباء والفنانين أمثال: سارتر ودوستوفسكى وألبيركامى وهمنجواى وسواهم ثم يرى أنه من الضرورى عدم الانتماء إلى حزب معين أو عقيدة معينة حتى لا تنتهى حياة الإنسان بالجنون مثل نيتشه وفان جوخ.



الرقى العلمى فى الحضارة الاسلامية محاط بالتفوق الروحى والأخلاقى والانسانى



الذى دمر حضارة روما تحولها إلى مواخير جنس وقلاع حرب



ولقد تنبأ المؤرخ الإنجليزى توينبى بانهيار حضارة الغرب المعاصرة كما انهارت حضارة روما ومن ثم يرى كولن ويلسون ان عالمنا اليوم يمر بنفس الظروف التى مرت بها حضارة الرومان عندما انهارت أثناء انتشار الديانة المسيحية.

إن الحل فى رأى كولن ويلسون هو عدم الانتماء أو الرفض أى السخط على هذه الحضارة التى أرقت الإنسان بضغوطها الاقتصادية والمادية وبما أفعمت به من انحلال وفساد لقد كتب جيبون فى كتابه «انهيار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» يقول«إن روما تحولت إلى حضارة لا تفكر إلا فى الجنس والحرب حتى إن «**نيرون**» تزوج صبيا بعد أن ألبسه ثوب فتاة فى احتفال كبير بل وتزوج أمه.. وسيرة نيرون وكاليجولا تمتلىء بمثل هذه المآسى التى نرى أمثالها فى مثل رواية «**لوليتا**» **أو عشيق الليدى تشاترلى**».

ونحن نرى ونقول ان:

حضارة الإسلام حضارة الشرف والعفة والأنساب المصانة.. أما حضارة الغرب فهى الجسد والشهوات المباعة والأنساب المجهولة وهى العرى واللذة الجنسية.. وهى الموبقات ما ظهر وما بطن.

وبعد فإن الإسلام كما ورث حضارة أوربا القديمة هو الذى سوف يرث حضارة أوربا الحديثة بإذن الله ومشيئته لأنه ليس هناك ديانة أو عقيدة تبلغ مبلغ الإسلام الكريم فى السمو والطهارة والرفعة والكمال.. وهو الدين الباقى الخالد الذى ترنو إليه البشرية بعينها وتتطلع إليه الشعوب فى كل مكان وزمان تنشد فيه السلام والحرية والمساواة والإخاء.

العلاقة بين الدين والأدب من الوجهة الإسلامية

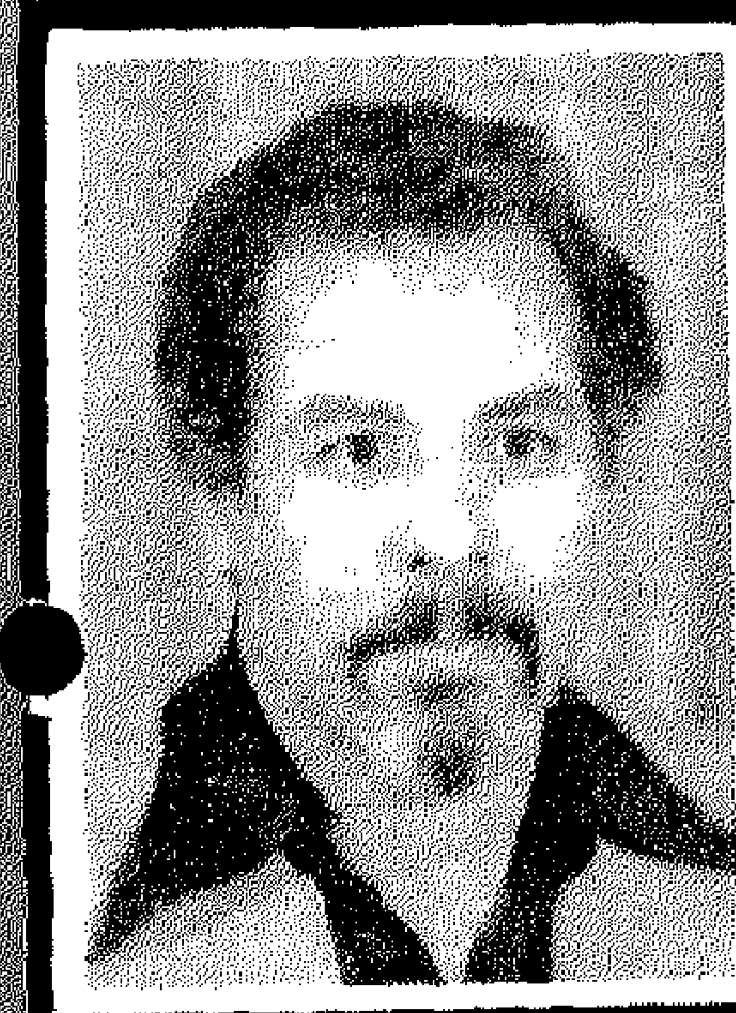
مقدمة

أشرنا فى البحث السابق إلى وثوق الصلة بين الدين والأدب، واختلاف وتنوع مناهج الدراسات الغربية وانتهينا الى رأى له أهميته وخطورته فى البحث حيث لا يفصل صاحبه ـ ت. س. اليوت ـ بين أدب «دينى» وآخر «دنيوى» كما لا يفصل بين الحسين «الجمالى» و«الخلقى» عند المتلقى للعمل الأدبى..

وأهمية هذا الرأى فى أنه ـ على غير قصد صاحبه ـ يمهد للوجهة الإسلامية فى فهم هذه العلاقة التى نحن بصددها فى البحث الحالى، إذ أنها تمنحه تماما هذا الاتجاه.

فالعلاقة بين الدين والأدب من الوجهة الإسلامية لا ترى أدبا دينيا وآخر دنيوياً، ولا تفصل بين الحسين إذ تعتمد على مبادىء اساسية أربعة هى:

١ ـ مفهوم كلمة «الأدب» وتطورها فى الإطار الفكرى الإسلامى.



دكتور / محمد حمدون
أستاذ مساعد الأدب العربي - كلية البنات - جدة

"الحلقة الثانية والأخيرة"

٢ - الوظيفة الأساسية للدين والأدب كنشاطين إنسانيين.

٣ - تمثل النماذج البشرية في إطار التصور الديني للكون والحياة.

٤ - خصائص أسلوبية وبنائية فوق المضمون.

أولا: مفهوم كلمة "أدب"

إن الاستعمال اللغوى لكلمة أدب قد تطور فى اللغة العربية مع حركة التطور اللغوى والفكرى التى صاحبت الإسلام. ومن ثم فإن التعرف على استعمالها فى العصر الجاهلى، ثم ما لحق هذا الاستعمال من دلالات ترتبط بمرحلة التكوين العلمى والفكرى للأمة الاسلامية يمثل لنا الارتباط الأول بين الاسلام والأدب، وقد اشرت إلى هذا إشارة عابرة خلال الندوة التى أقامتها «المنهل» بالاشتراك مع نادى مكة الثقافى فى ربيع الأول ١٤٠٤هـ، حيث نجد «تحولا» أو - على الأقل - تأكيدا أساسيا فى المفهوم الجديد (أعنى الاسلامى) لكلمة «أدب» يخرجها من الاستعمال الجاهلى إلى استعمال مرتبط بالتهذيب والتربية الخلقية(١)

وإذا ما نظرنا إلى هذا الأمر بمزيد من الدقة وجدنا أن المعاجم اللغوية العربية - وهى قد نشأت فى ظل الثقافة الاسلامية، لتخدم لغة القرآن، العربية - تعرف الأدب بأنه «الذى يتأدب به الاديب من الناس.. لأنه يؤدِّب الناس إلى المحامد وينهاهم عن القبائح»(٢) ونؤكد هنا على كلمة «يؤدِّب» حيث ترتبط بما رآه اللغويون من أن الأصل فى «الأدب» الدعاء، ومنه «المأدُبة - وقد رويت بفتح الدال وكسرها أيضا - وهى، كما قال صاحب المستدرك، طعام صنع لدعوة أو عرس. وقد كان هذا المعنى هو الشائع خلال العصر الجاهلى، فهذا طرفة بن العبد يفخر بقومه الذين امتد كرمهم لتصبح دعوتهم «للطعام» مفتوحة لكل من حضر، يقول:

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى
لا ترى الآدب فينا ينتقر

ومثله قول صخر الذى يصف عقاباً:

كأن قلوب الطير فى قعر عشها
نوى القسب ملقى عند بعض المآدب

فكلاهما يستخدم مادة الـ«أدب» فى معنى الدعوة للطعام، وهو ما تناقلته المعاجم اللغوية المختلفة عن استعمالات جاهلية تشهد بشيوع هذا الاستخدام.

ونجد مع ظهور الإسلام شاهدين على الاستعمال بهذا المعنى يمهدان لما نريد أن نؤكده من إضافة اسلامية لهذه الكلمة، الأول ما ورد فى حديث

كعب «إن لله مأدبة من لحوم الروم بمرج عكا» وقد علق صاحب تاج العـروس على هذا بقوله: «أراد أنهم يقتلون بها فتنتـابهم السبـاع والطـير تأكل من لحومهم»(٣) وبـالـرغم من هذا الاستخدام المجازى لكلمة «مأدبة» إلا أنّ معناها لا يزال يدور فى فلك الاستعمال المشهور فى الجاهلية.

أمـا الشـاهد الثانى فهو استخدام مجازى أيضا يدور حول نفس الاستعمال، ولكن العلاقة المجازية فيه هى التى تشير الى ما طرأ على الكلمة أو، بمعنى أصح «المادة» اللغوية ـ من تحول. فقد ورد فى حديث آخر: «إن هذا القرآن أنزل آمرا وزاجراً وسنة خالية، ومثـلا مضـروبـا، فيه نبأكم وخبر ما قبلكم ونبأ ما بعـدكم وحكم ما بينكم، لا يخلقه طول الردّ، ولا تنقضى عجائبه، هو الحق ليس بالهزل، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن خاصم به فلح، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر، ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم، ومن طلب الهدى من غيره أضله الله، ومن حكم بغـيره قصمـه الله، هو الـذكر الحكيم، والنور المبين، والصراط المستقيم، وحبل الله المتين. . عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه. . » ويقول فيه: «القرآن مأدُبة الله فتعلموا من مأدبته»(٤).

فالمأدبة هنا «للتعلـم» لا «للأكل». . وأى تعلم؟ إنـه تعلم كتاب الله، مصدر الهدى والنور والحكمة والعـدل. . مصدر الإيمان والبر والتقى والعفاف. . ﴿كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ (فصلت: ٤٢).

لقد تحول الأدب و«المأدبة» تحولا كبيراً واتجه المعنى اللغوى نحو «الأدب» بمعنى «التعليم» أو «القدوة» ففى حديث مشهـور يروى عن عمـر بن الخطـاب رضى الله عنه: «طفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصـار» فيتأثـر معنى كلمـة «أدب» هنـا بمفهـوم «التعلم» واتخاذ القدوة، والذى يصل قمته فى التعبير عن معنى التأديب والتهذيب الخلقى والتربية الفاضلة

أصبح مفهوم «أدب» يمثل ذلك النوع من النشاط الفنى الإنسانى.

التى هى غاية الإنسان المثالى ومسعاه ممثلة فى النبى ﴿ﷺ﴾ إذ يقول:

«**أدبنى ربى فأحسن تأديبى**» وهل أبلغ فى ذلك من أنه قد دعى إلى «مأدبة» الله ودعا اليها بنى الإنسان؟.

وإذا كنا فى هذه المعالجة السريعة ـ لم نتوفر على كل الشواهد اللغوية الجاهلية بدرجة تنفى معها أى استخدام بهذا المعنى الاسلامى لمادة الأدب، فإن ما يتوفر لدينا من نصوص وشواهد قبل وبعد الإسلام(٥) يؤكـد تحولا أساسيا أصبح معه «التهذيب» والدعوة للمحـامد» هو المعنى اللغوى الأول للمادة بدلا من معنى «الدعوة للطعام».

● فينقـل صاحب «تـاج العـروس» عن شيـوخه: «الأدب ملكة تعصم من قامت به عما يشينه».

● وعنـد صاحب «المصباح: «الأدب تعلم رياضة النفس ومحاسن الأخلاق.

● وفى شرح الجـو اليقى لأدب الكـاتب: الأدب يعنى: «حسن الأخلاق وفعل المكارم».

● وعند البطليوس: «الأدب أدب النفس والدرس» وهو أيضا: «الظرف وحسن التناول».

● كما يقع الأدب عند أبى زيد الأنصارى على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان فى فضيلة من الفضائل».

وربما لم تشر هذه المصادر إلى أن استعمال الأدب فى اللغة بهذا المعنى إنما هو من تأثير الإسلام، غير أن واحداً منها ـ على الأقل ـ يشير إلى أن إطلاق كلمة أدب على علوم العربية «مولد حدث فى الإسلام»(٦)

هنا نحتاج إلى وقفة مع تحول آخر صارت به كلمة «الأدب» دليلا على هذا النشاط الانسانى الممثل فى الشعر والنثر الفنى بأنواعه المختلفة. فتطالعنا فى هذا المجال، إشارة عابرة لـ «هاميلتون جب» عن **«رسائل وعظية تشتمل على ارشادات أخلاقية وعملية بأقلام كتاب كانت الكتابة مهنتهم»**.. رسائل من طراز ما كتبه عبد الحميد الكاتب. وعنده أن هذه الرسائل قد قامت على نوع من «الأساليب المبتكرة» كما أنها سارت على نسق من «البلاغة العربية» وكانت لها خصائص تعبيرية تقوم على إثارة خيال السامع والسيطرة على وجدانه وعواطفه والتحدث إلى عقله مع استخدام جيد للمجازات القوية والموسيقى الصوتية وتفريغ الصور والمعانى. ويبدو أن «جب» يرى أن هذه الرسائل ـ بهذه الخصائص ـ أعنى اشتمالها على النواحى الوعظية مع الصياغة الفنية المميزة، كانت بداية للأدب بالمصطلح الفنى الخاص والذى نستعمله اليوم.. على أن من أقدم الاستعمالات التى يشير إليها هو ما استخدمه عبد الله بن المقفع فى كتابيه «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير»(٧).

والحق أن هذا التحول الثانى لا يزال يحتاج إلى مزيد من الدراسة والاستقصاء للتطورات اللغوية لكلمة «أدب» خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة والتى تبلور فيها مفهومه فأصبح يمثل ذلك النوع من النشاط الفنى الانسانى الذى عولج ويعالج أحيانا ـ خطأ كمفهوم مستقل ـ عن الأصل اللغوى للكلمة لعلنا نعود الى هذه النقطة أو يكون هناك من الدارسين من تنبه لها ليسهب فيها.

ثانياً: الوظيفة الأساسية للدين والأدب

﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون. فما يكذبك بعد بالدين﴾ (التين: ٤-٧).

يتبين للناظر فى تلك الآيات الكريمة أن الوظيفة الأساسية للدين هى العود بالشخصية الإنسانية إلى فطرتها السوية، تلك الفطرة التى تبدت أولا «فى أحسن تقويم» خلقا وخلقا ولكنها تردَّت بعد ذلك ـ وبعدم طاعتها لخالقها ـ إلى «أسفل سافلين»(٨) ولا مجال للارتقاء والصعود من حالة التردى والهبوط إلى حالة السمو والنقاء إلا خلال الايمان والعمل الصالح. والإيمان والعمل الصالح هما المحور الأساسى للدين فإن الدين يهدف من غير شك الى الارتقاء بالانسان حتى لنستطيع القول بأن الإنسان موضوعه ووظيفته.. ومظاهر العبادة وسر العقيدة تنصرف جميعها إلى هذا الغرض، فهى قد تنعكس ـ عقيدة وسلوكا ـ على الشخصية الإنسانية فترتقى بها.. وقد تحيد عنها الشخصية فتتردى فى حالة الهبوط والخلود إلى النار.

ونريد أن نمهد بهذه الفكرة السريعة ـ وهى أن الارتقاء بالإنسان فى عقيدته وسلوكه أهم وظيفة للدين ـ إلى الفكرة الأساسية هنا وهى أن الدين والأدب يلتقيان فى «الإنسان».. الإنسان موضوعاً لهما.. الإنسان غاية أساسية فيهما.. ولقد تنبه أحد الباحثين الغربيين إلى هذه الحقيقة فقال: «مما هو شائع بين الأديان الكبرى جميعها هو أنها ترى الإنسان مشكلة فى حد ذاته، كل على طريقتها الخاصة»(٩) نعم الإنسان مشكلة الدين، ومشكلة نفسه أيضا، ونشاطه الأدبى يصوره كمشكلة فهو فى العمل الأدبى الناجح يعى نفسه والزمن.. وهو فى اتجاه الشيخوخة، ونمو الآخرين من حوله أيضا.. كل فى اتجاه لا يمكن عكسه.. وهو دائما مشغول بالحياة ومسارها.. وبالنفس وماهيتها.. وبالزمن والحقيقة والموت، والفناء، والخلود.. ومعانى هذه الأشياء وقيمتها عنده يحددها موقف ما يتخذه من كل هذه المسائل، والموقف خلاصة الدين.

● فالدين يعطيه إجابة.. والأدب أيضا.

● والإجابة فى كليهما تؤكد ضرورة ارتقائه وسموه فى خلقه وسلوكه.

نعم قد تتجسد إجابة الدين فى مشاعر وأحاسيس تظهر على هيئة عبادة، على حين تتجسد المشاعر والأحاسيس الأدبية على هيئة دعوة للمثل والغايات الإنسانية - كما يرى ف. دونللى(١٠) ولكن العبادة ومثل هذه الدعوة لا ينفصلان. بل إن الدعوة للمثل والغايات الإنسانية الكبرى لا تخرج فى نظر الإسلام عن كونها «عبادة» حقا، ولذا يذهب الدكتور عماد الدين خليل فى كتابه (الطبيعة فى الفن العربى والاسلامى) إلى أن: «كل فاعليات الإنسان تبدو عبادة مادام ذلك الإنسان قد وضع الله نصب عينيه، وحفظ اسمه العظيم فى فكره وقلبه وأعصابه - فهو يمارس العبادة الشاملة أنّى كان.. فى البيت أم فى المسجد، فى المدرسة والجامعة أو فى السوق.»(١١)

الإنسان فى محاولاته الدائبة بين السقوط والارتقاء.. والنجاح والفشل فى تلك المحاولة.. هو الموضوع الأول للدين والأدب.. وهو الوظيفة التى من أجلها كافح الأنبياء والشعراء الخالدون على مر العصور «النبى ينير له طريق الناموس والشاعر ينير له طريق المحبة» على حد تعبير كارليل. ولذا يحق علينا أن نجلى جوانب هذا الإنسان كنموذج بشرى دينى أدبى فى الاسلام.

ثالثا: النماذج البشرية فى إطار التصور الإسلامى

يقوم «التصور الإسلامى» على عدة أسس ومبادىء أسهم فى جلائها عدد لا بأس به من الدارسين وأول وأهم هذه التصورات - فيما نرى - هو «الفصل بين مستويين فى الوجود أحدهما: قدسى غيبى، والآخر: طبيعى تجريبى. فإذا كان «النموذج» هو الشخصية المخترعة (وأحيانا ذات الأصل التاريخى ولكنها تدخل الأدب على يد رجاله العمالقة) فإن هذه الشخصية تتحرك فى إطار هذا الفصل، ولا تحيد عن مستلزماته. وأكثر ما يستخدم النموذج البشرى فى الأدب الموضوعى (القصصى والمسرحى) ويستطيع أن يعبر عن الوجهة الإسلامية خلال شعوره وسلوكه والذى يوحى به الكاتب خلال ما ينطقه من عبارات فالنموذج مدرك لحدوده وعالمه، وتعامله مع العالم العلوى - إن فرضته الأحداث وتطورها فى العمل الأدبى - يتسم بالحرص على هذا الفصل. يتحرك فى عالمه هو، مدركا فى نفسه وفى من حوله ما أودعه الله فيهم من «أحسن التقويم» و«أسفل السافلين» وهو إن لبس دور البطولة مثلا فى القصة أو المسرحية كانت بطولته اسلامية حقا ويمكن أن نقارنه - على نحو ما فعل يوسف إدريس -(١٢) بنظيره فى غير الثقافة الإسلامية على النحو التالى:

فى الاسلام:

١ - إنه يقاوم الخطأ (خطأه هو أو خطأ مجتمعه).

٢ - هو ضحية هذه الاخطاء البشرية.

٣ - بطولته حقيقية، لأنه يقاوم وسلاحه الخير فينتصر.

٤ - يستحق الثواب أو العقاب فى النهاية (تعاطفنا أو لم نتعاطف معه) طبقا لأعماله واختياراته.

فى الثقافة اليونانية (مثلا):

١ - يقاوم قدرا محتوما.

٢ - هو ضحية لعنة أو غضب إلهى.

٣ - بطولته مفترضه لأنه يقاوم مصيرا محتوما وقدرا لا يهزم بواسطته أو بواسطة غيره.

٤ - يستحق دائما تعاطفنا معه (وبغض النظر عن أفعاله) لأنه لم ولا يستطيع أن يغير ما حل به من لعنة.

ومن هذه المقارنة يتضح لنا مع الكاتب أن النموذج البشرى الإسلامى - بسبب فصله بين المستويين كما ذكرت - يعبر عن مأساة اجتماعية على حين تكون مأساته فى غير الثقافة الاسلامية ذات طابع ميتافيزيقى تريد أن تعلق جزءا من أخطاء البشر على «شماعة» القدر. «المأساة هناك ميتا فيريقية محضة، والمأساة هنا اجتماعية محضة.. هناك تناقش العلاقة بين الإنسان وخالقه أو المتحكم فى مصيره، والمأساة هنا تناقش العلاقة بين الانسان وأخيه

الانسـان، وجنـاية الإنسان على الإنسان، وليست جناية القدر على الإنسان.»(١٣)



الإنسان في محاولاته الدائبة بين السقوط والارتقاء. النجاح والفشل هو الموضوع الأول للدين والأدب وهو الوظيفة التي من أجلها كافح الأنبياء والشعراء.



إن مبدأ الفصل الدقيق بين عالم الإنسان وعالم الخالق ـ وهو مناط «التوحيد» فى الإسلام ـ هو الذى يجعل النموذج البشرى الأدبى قادرا على التعبير عن الشخصية الانسانية بين «الترقى» وعوامله و«التردّى» ودوافعه، فى صدق ووضوح، ودون خلط ميتافيريقى أو «تهويم» فلسفى.. هو الذى يجعل النموذج مدركا لغايته فى الحياة وقادرا على الوصول إليها دون تعلل بوجود الشر وعدم قدرة الإنسان على مقاومته ومحقه.

مفهوم النموذج الأدبى الإسلامى بطلا ـ كما يقول د. سعد ابو الرضا ـ «ليس مفهوما خرافيا أسطوريا ميتا فيزيقيا، ولكنه مجال للتنافس الإنسانى فى فعل الخير والخشية من الله ورعايته لأنه يراك ان لم تكن تراه». (١٤)

وإذا كان «التزام» الكاتب الإسلامى ـ وهو التزام أصيـل يختلف عن الالتـزام «الـواقعى المـادى» و«الـوجـودى» معـا ـ أحـد مقتضيـات التصـور الاسـلامى، فإنـه يجب أن ينعكس، والحال هذه، على سلوك النموذج وتطوره الفنى. وعلى هذا يكون النموذج الأدبى من الوجهة الإسلامية غير مغرق فى فرديته ملتزم ـ فقط ـ بحريته الفردية ووجوده المطلق (كالنموذج الوجودى) لا، ولا هو مطحون مذاب «فى طبقـة أو مجتمـع أيـا كان حجمـه (كـالنمـوذج المـاركسى»).. إنـه نمـوذج معتـدل تتحقق فيـه «الـوسطيـة» الإسـلاميـة، يرعى حق الفـرد ويقدر المجتمع.

على أنه إذا اتصل هذا الالتزام ـ وهو من غير شك، وبـلا اعتـذاريـة، يحد من شكـل النمـوذج وإمكـانـاته ـ أقول: إذا اتصل هذا الالتزام ببعض مبـادىء التصـور الاسـلامى الأخرى «كالشمولية» و«التـواصـل بين الكائنات» (١٥) وجدنا أن هذا يمد الأدب والأديب بأحد عناصر الابداع الفنى، أعنى «الصراع» فالالتزام، من جانب، قيد.. والشمولية والتـواصـل، من جانب آخر «انطلاق» وبين القيد والانطلاق يتحرك النموذج ممثلا للغاية الانسانية الإسلامية.

رابعًا: إسلامية ما فوق المضمون:

درجت أبحاث العلاقة بين الدين والأدب على الاهتـمام بالمضمـون، وارتبطت بالنقـد الأخـلاقى والتزام الأديب.. والقليل منها هو الذى يتنبه إلى أن هذه العـلاقة تتعدى المضمون الأخلاقى أو الدينى فتصـل إلى الخصـائص التعبـيرية فى التصـويـر والأسلوب والبناء. ولا أظن أن علاقة دينية بالأدب فى أى ثقافة أو حضارة تصل إلى درجة علاقة الاسلام بالأدب العـربى من هذه النـاحيـة، أعنى النـاحية التعبـيرية. إذ أن القرآن الكريم وهو مصدر الدين الإسـلامى معجـزة أدبيـة استخـدمت «الكلمـة» وخصـائصهـا فى التعبـير فى منـاط التحدى بقدر ما استخدمت الأديان الأخرى وسائل مختلفة للتعبير عن المعجـزة فكـما نرى موسى والسحر وعيسى والطب نجد، محمدا والكلمة.. ﴿**وقالوا لن نؤمن لك حتى تَفْجُر لنا من الأرض ينبوعاً. أو تكون لك جَنَّةٌ من نخيل وعنب فَتُفَجِّرَ الأنهار خلالها تفجيرا. أو تُسْقِطَ**

السماء كما زعمت علينا كِسَفاً أو تأتىَ بالله والملائكة قَبِيْلاً. أو يكون لك بيت من زُخْرُفٍ أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تُنَزِّل علينا كتابا نقرؤه، قل سبحان ربى هل كنتُ إلا بشراً رسولاً﴾ (الاسراء: ٩٠-٩٣). إن طلب الكفار لمعجزة بمعنى الحدث الخارق للعادة، إنما يقابل هنا بالتعجب، إذ أن القرآن نفسه - وكما تقرر فى آيات سابقة على هذه - هو المعجزة الخالدة الخارقة للعادة الذى يعجز أى بشر عن الاتيان بمثله. يقول فيه موحيه: **﴿قل لئن اجتمعت الانسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظَهِيْراً﴾** (الاسراء: ٨٨) وهو المعجزة المناسبة لمستوى التحدى والمتحدى. فكما يقول المفسرون ومؤرخو الأدب كان العرب أهل فصاحة وبلاغة، وبرعوا فى فن القول كما لم يبرعوا فى فن سواه وكما لم يبرع غيرهم مثلما برعوا فيه، فجاءت المعجزة المتحدية من جنس ما يملكون، كما جاءت معجزة موسى لقوم برعوا فى السحر ومعجزة عيسى لقوم برعوا فى الطب. وفى الحق حين نعيد النظر فى هذا الذى قالوه نجد أساساً جديدا لمنطلق العلاقة بين الدين والأدب فى الاسلام على أساس الصياغة والتعبير. فمن المؤكد أن القصيدة الجاهلية مثلا حين تقارن بالقصائد المعروفة فى التاريخ الأدبى العالمى فى عصرها الجاهلى والى نزول القرآن الكريم، نجد أنها متفوقة من حيث الصياغة والبناء - على تلك القصائد.. وكثيرا ممن كتبوا فى التاريخ الأدبى والأدب المقارن جهلوا أو تجاهلوا هذه الحقيقة، فراحوا ينظرون إلى الأفكار والنواحى الموضوعية فى الشعر اليونانى - كالإلياذة - مثلا، أو المطولات الهندية - كالمها باهارتا، دون نظر إلى ما تتميز به هذه القصائد العربية وتتفوق فيه على غيرها، وهو ما يتعلق بالصياغة والتعبير. فالنسق الشعرى فيها يجرى على أبيات متساوية فى عدد التفعيلات، وأشطر موزعة توزيعاً هندسيا رياضياً لا يختل وقواف متحدة، مما يجعل قائليها حقيقة أهل فصاحة وبلاغة وقوما يقدرون «الكلمة الجميلة ودورها فى الحياة. وهى بلا شك تتفوق من ناحية الصياغة على ما نعرفه من آداب الأمم الأخرى.


يوسف ادريس

ولم يكن مستبعدا - والأمر هكذا - أن يركز القرآن نفسه على دور الكلمة فى دلالاتها الخيرة والجمالية معاً فنراه يؤكد ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (فاطر: ١٠)، كما يضرب المثل للكلمة الطيبة فيفرق بينها وبين الخبيثة فى قوله: **﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ (ابراهيم: ٢٤-٢٦)**.

صحيح أن الجانب النفعى للكلمة ملحوظ فى هذا المثل (فى الثمرة الطيبة) وأنها «الكلمة الطيبة» مقرونة بالعمل الصالح. هنا، كما فى آية الشعراء(١٦)، ولكنها فى جميع هذه الحالات غير معزولة عن تأثيرها الجمالى والفنى. إن القرآن نفسه - وبمقاييس العرب الذين عارضوه فى أول الأمر - آية فى الروعة الفنية وقد اعتمد فى تأثيره على هذا الجانب لدرجة أن جلاوته وطلاوته كانت سببا فى تحول بعضهم عن معاداة الدعوة الاسلامية(١٧) وأصبح القرآن، إلى جانب قيمته الدينية التى تعلو كل قيمة أخرى فى حياة

المسلمين، مثالا للصياغة الفنية الراقية، وصارت مجازاته وتشبيهاته واستعاراته معيارا للجمال الفنى عند دارسى البلاغة والنقد الأوائل ابتداء من أبى عبيدة إلى ابن قتيبة فابن رشيق فعبد القاهر الجرجانى وكثير غيرهم مما لا مجال لتفصيله هنا.

ويستتبع هذا الاتجاه ـ اتجاه الصياغة والأسلوب القرآنى ـ كأحد مظاهر العلاقة بين الدين والأدب من الوجهة الإسلامية أننا نربط بين الإسلامية والأدب العربى بصفة خاصة، ولعل هذا ما قصده د. سعد ابو الرضا حين قال: «وسوف يظل الأدب الإسلامى إلى ما شاء الله عربى اللسان». وذلك أثناء تحليله لتعريف الأدب الإسلامى. فعروبة اللسان هذه تستتبع فى النتاج الموسوم بسمة الإسلامية أن «يعتز بلغة القرآن ويحاول أن يتمثل شيئا من خصائص صياغته.»(١٨).

ومن هذا يتضح لنا شمولية العلاقة بين الدين والأدب من الوجهة الاسلامية فهى علاقة تحددها طبيعة كلمة أدب وتطورها المرتبط بالتهذيب والتقويم، كما يدخل فيها وظيفة كل من الدين والأدب كنشاطين انسانيين يسعيان إلى تحقيق خير الإنسان وسعادته، ويرسمان له نموذجا مثاليا يحتذيه وآخر متردیا فى الشر فيبعد عنه. وهى فوق هذا وذاك علاقة لا تغفل أثر «الكلمة» وصداها وتأثيرها الفكرى والجمالى فى حياة الإنسان.

تعقيبات

* نشر الجزء الأول من هذا البحث فى عدد المنهل الصادر فى رجب ١٤٠٤هـ.

(١) المنهل، المجلد ٤٦، ع جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ/ مارس ١٩٨٤م، ص١٤٠.

(٢، ٣) انظر تاج العروس للزبيدى، مادة: «أدب».

(٤) عبد الكريم الخطيب: إعجاز القرآن، الإعجاز فى دراسات السابقين. ط١، دار الفكر العربى ١٩٧٤ ص٦.

(٥) من أقدم الشواهد المشهورة قول أعشى ميمون:

«جروا على أدب منى بلا نزق».

كذلك قد نجد ما يشير إلى معنى التقريع أو المؤاخذة فى استخدام الكلمة للوصول بالانسان إلى حالة من الأدب» كقول الحجاج فى خطبته المشهورة فى الكوفة: «.. أما والله لأؤدبنكم غير هذا الأدب..».

(٦) ورد ذلك فيما نقله الخفاجى فى «العناية» عن الجو البقى فى شرح «أدب الكاتب». انظر تاج العروس: مادة أدب.

(٧) انظر الفصل المعنون «نشأة الإنسان الأدبى» فى كتابه:

Studies on the Civilization of Islam, Boston 1962, PP8231-241.

(٨) يذهب أكثر المفسرين إلى أن رد الإنسان إلى أسفل سافلين» معناه وقوعه فى النار بسبب عدم طاعته لله، ولذلك استثنى من هذا المصير «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» انظر مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م ج٣ ص٦٥٥.

(٩) موريس فريدمان.

The Meeting of Religion and Literqature

Main Currents in Modern Thought, V.28 N.2, P.38.

(١٠) انظر F.P.Donnelley

Art Principles in Literature, N.Y.1923, P.31.

(١١) عن «الادب الاسلامى، قضية وبناء للدكتور سعد ابو الرضا، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م ص٧.

(١٢) كانت محاولة يوسف إدريس فى الكشف عن «البطل المصرى» فى مقابل «البطل اليونانى» فجاءت مقارنته موحية إلى حد كبير بالفرق بين النموذج الاسلامى وغيره. وهذا ما دفعنا إلى اعتمادها هنا. انظر له: نحو مسرح عربى، بيروت ١٩٧٤م، صص٤٨٨-٤٩١.

(١٣) السابق ص٤٩١.

(١٤) الدكتور سعد ابو الرضا، السالف الذكر ص٢٠

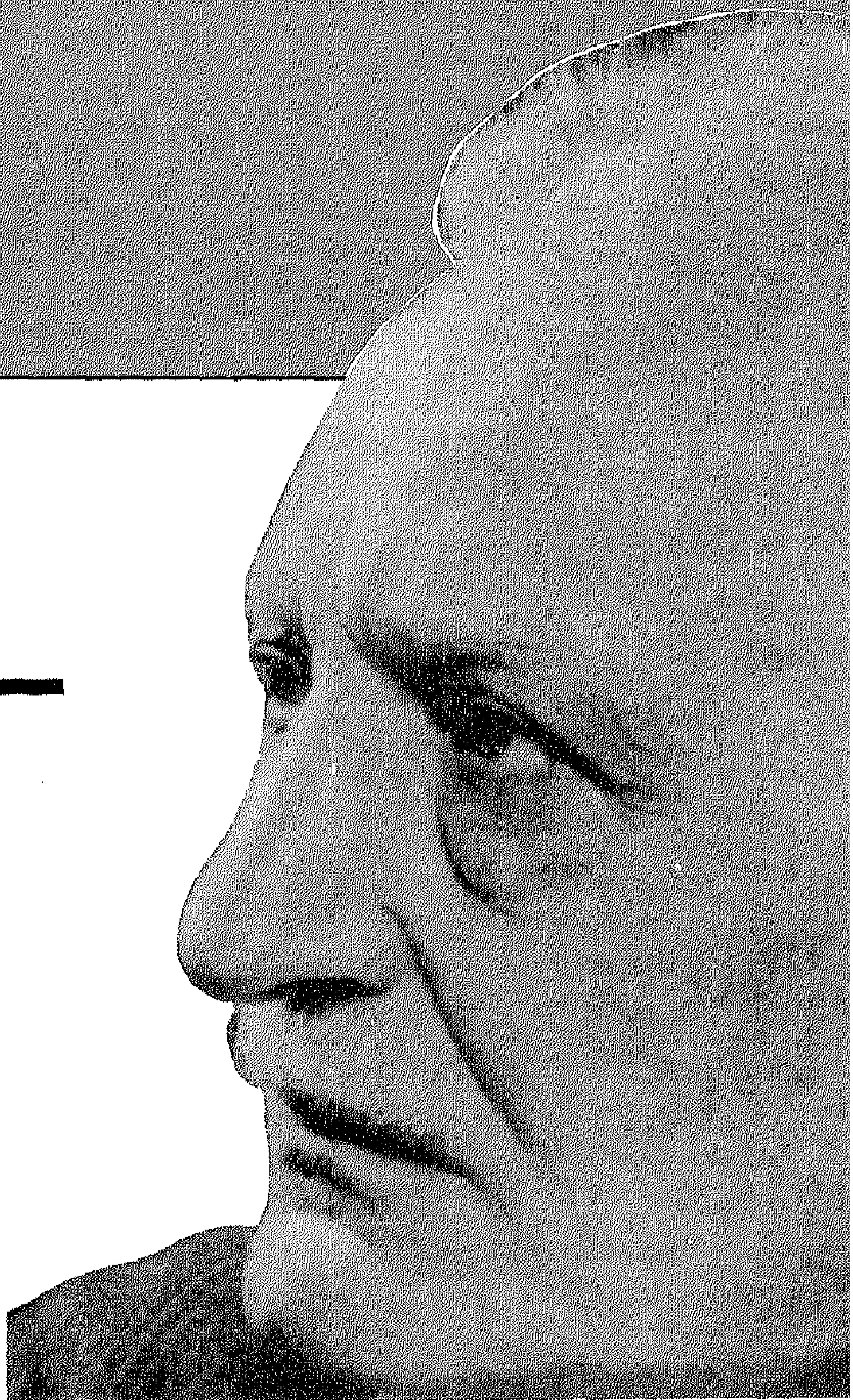
(١٥) كثير ممن كتبوا فى التصور الإسلامى تحدثوا باسهاب عن الشمولية. ومؤداها رحابة المجال أمام الكاتب المسلم من حيث الموضوعات ومجالات النظر الفسيح فى الكون. أما مفهوم «التواصل بين الكائنات» فقد ذكره الدكتور سعد ابو الرضا، وفيه نظرة جديدة لمفهوم التراسل بين حواس الانسان المختلفة والموجودات. والتى تنبع جميعا من علاقات هذه الموجودات كما يصورها القرآن الكريم. السابق ص ص١٦-١٨.

(١٦) ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾ (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧).

(١٧) كما حدث فى موقف الوليد بن المغيرة بعد سماعه أول سورة فصلت.

(١٨) د. سعد أبو الرضا المرجع السالف الذكر صص ١٠و٨.

النور في فلسفة العقاد



ولا تذكرونى بالبكاء وإنما
أعيدوا على سمعى القصيد فأطربا

كان هذا هو البيت الأخير في قصيدة العقاد التى رثى بها نفسه قبل وفاته، وأوصى فيها تلاميذه ومريديه من عشاق الشعر وأصحاب الفكر وطلاب الكلمة ألا يذكرونه بالبكاء وإنما بالغناء الممزوج بعطر الشعر وأنفاسه، والقصيد الذى يتوهج بالنور الباهر فيلهب فيه الإحساس بالكرامة، والاعتزاز بالحقيقة، والدفاع الجرىء عن حق البشر فى الحياة .

حقاً إنَّ الشاعر ورجل الأخلاق يتحدان فى



بقلم الأستاذ
جلال العشري

شخصية العقاد كأمتع وأروع ما يكون الاتحاد، بحيث لا يصدر فى شعره وفكره عن أفكار مجردة، ولا عن فلسفة دكاترة، ولا عن وعظ مبشرين.. وإنما عن قيم حية تنبع من نفس مسؤولة متألمة، مشحونة معذبة، تعانى مأساة الإنسان، وتثور فى وجه الظلم والظلام، من أجل ذلك النور الباهر الذى يضىء عتمات الطريق أمام قلوب البشر.

إنها فلسفة بسيطة صادقة، فلسفة مفتوحة متفائلة، مفتوحة وهى تحتضن الحياة فى مواجهة كل قوى الشر والطغيان، متفائلة حتى فى نهاية الرحلة وهى تواجه حقيقة الموت، لأنها صادرة عن وفاء غريزى للنور، الذى ولدت فيه كل صباح مع اشراقة شمس أسوان، والذى تشربته كل نهار وهى تسكن مدينة الشمس، والذى كانت تعيشه كل يوم على ضفاف وادي النيل، فكان قوتها ووقودها وهى تخوض معركة التنوير، رافعة رايات الحرية والإرادة والكرامة والكبرياء، والحكمة والعدالة، فى وجه كل الجبناء والخائفين الذين يخشون النور ويمجدون الظلام.

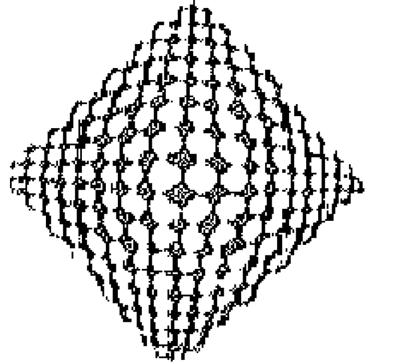
وكان العقاد مثل صاحبه «جوته» يمجد النور، ويحسبه سر الأسرار، أو سبيل الهداية إلى سر الأسرار، وكما كانت آخر عبارة نطق بها جوته وهو على فراش الموت: «مزيدا من النور» كانت العبارات الأثيرة لدى العقاد قوله:

النور سر الحياة
النور سر النجاه
ألمحه بالروح لا
لمح العيون الخواه
ما تعبر العين من
معناه إلا أراه

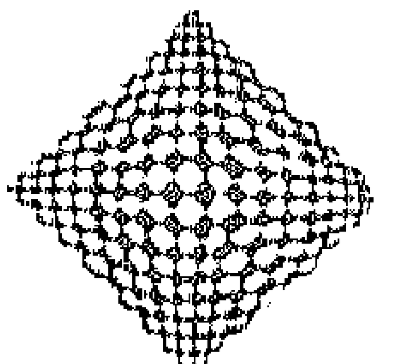
فالعقاد كان يرى النور من عالم الروحانيات، وكان يشبع منه الروح والعين معاً ولا يشبع منه العين وكفى، وكان يتصوره مرادفاً لأحلى وأجمل ما فى الحياة.

ولم يكن يحبه لأنه يريه الدنيا وما فيها، ولا لأنه واسطة الدنيا وأداتها، ولكنه كان يحبه ليراه، ولو لم ير شيئا سواه، فالحقيقة عنده هى النور، أو النور عنده هو الحقيقة، فالله سبحانه وتعالى نور السموات والأرض والروح نور والعلم نور والبصر نور وكذلك البصيرة بل عنصر المادة فى حقيقتها نور لأن كل جسم من الأجسام يتألف من الذرات وكل ذرة من هذه الذرات تتألف من النواة والكهارب، ثم من الحركة أو من طاقة الإشعاع التى هى نور.

وهذا معناه أن الكون كله نور فى نور، لأن الله الذى هو نور السموات والأرض نور على نور، أو كما قال العقاد: «قل إن الكون نور. قل إن الله نور السموات والأرض، فإذا قصر بك الحس عن نور الله، فثق أن هذا الضياء الذى يملأ الفضاء هو النور الإلهى الذى كتب لابن الفناء أن يراه».



وإذا كان سر الكون نورا أو ما يندرج تحت النور من صفات لا مادية، فإن أداة معرفتنا لذلك السر لن تكون حاسه من الحواس الظاهرة كحاسة البصر مثلا وإنما هى حاسة باطنة استعدت بطبيعتها لادراك الحقائق النورانية كالبصيرة مثلاً أو الحدس أو الوجدان، وهذا يعنى الاعتراف بوجود نوعين من الادراك لنوعين من الحقائق والحواس والعقل، هما أداتنا فى إدراك الطبيعة وظواهر الطبيعة وما تخضع له الطبيعة وظواهرها من قوانين علمية، والحدس الذى هو عيان روحانى مباشر وهو وسيلتنا فى إدراك ما يكمن وراء الطبيعة من نور تصدر عنه باقى الأنوار، فإدراك عالم المادة معرفة، أما إدراك عالم النور فنوع من العرفان.. والمعرفة هى حصيلة علم العلماء وفكر الفلاسفة أما العرفان فهو محصلة وجدان المتصوفة والشعراء.



وعند العقاد أن الكثافة المادية ليست هى الحقيقة التى لا تقبل الشك، بل القوة هى الحقيقة الكامنة فى تلك الكثافة وفى كل مادة ملموسة أو محسوسة، وهذا ما عبر عنه بقوله: «تمنعت كثافة المادة كلها ووصلنا إلى الشعاع والإشعاع وصلنا إلى النور واقتربنا ولا نزال نقترب كثيراً من عالم الحركة التى لا كثافة فيها وابتعدنا ولا نزال نبتعد كثيراً عن عالم الكثافة التى لا حركة فيها إننا هبطنا بالكثافة المادية إلى أدناها إننا نظرناها بالأحداق ثم دقت حتى عن النظر بالأحداق».

وتلك هى الروحانية فى فلسفة العقاد، الروحانية سواء فى نظرته إلى الكون أو فى نظرته إلى وسيلة الإنسان إلى معرفة ذلك الكون، فالكون عنده روح نلمسها بيد من المادة، وطالما كانت الروح هى حقيقة الكون، والمادة وسيلتنا إلى معرفة هذه الحقيقة، فكأنما الطبيعة بكل ما فيها من ألسنة تنطق بما يكمن وراءها من روح.

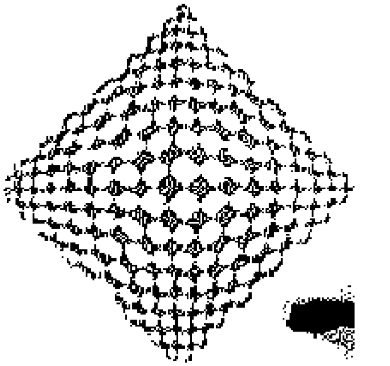
وعند العقاد أن ذلك الأصل الروحانى الكامن فى كل شىء والذى يصدر عنه كل شىء.. هو.. النور. ولقد عبر عن هذه الفلسفة الروحانية المتفائلة التى تغنى للحياة، وتفرح للشمس، وتمجد النور، تعبيراً شعريا رائعاً ورائقاً قال فيه:

أرى الأرض روحانية فى جمالها
وإلا فما بال النفوس بها تسمو
إذا فاض منها النور هزت قلوبنا
سعادة روح ليس يعرفها الجسم
عجبت لأرض تخطر الشمس فوقها
وتشرق فيها كيف يطرقها الغم

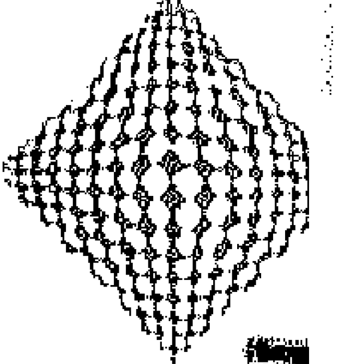
هذه الروحانية التى ترى بالعين على حد تعبير العقاد، والتى تذكرنا بألبيركامى ذلك الأديب المولع بالنور، الذى بذل من أجله حياته، وكان من أجله يشتبك فى صراع دائم مع عتمة الموت وظلمة العدم، ويرى فيه شمساً لا تقهر، حتى لقد قال عنه: «**فى أحلك ظلمات العدمية التى تحيط بنا، حاولت دائماً أن أبحث عن الطريق المؤدى إلى التغلب عليها، لا عن فضيلة أو نبل نادر، بل وفاء غريزى للنور الذى ولدت فيه، ومنه تعلم الناس منذ آلاف السنين أن يرحبوا بالحياة حتى فى ساعة الألم والعذاب**».

هذه الفلسفة الروحانية، أو بالأحرى الفلسفة النورانية التى ترى أن الحياة الخلاقة قد تبدت فى الطبيعة صوراً وأشكالاً، وأن هذه الصور والأشكال إذا نحن أرهفنا الحس إليها، أدركنا الحقيقة كلها، واذا بها نور على نور، لا يمكن أن تصدر إلا عن وعى أصيل بجوهر الفكرة الإسلامية، وأصالة الدين الاسلامى فى تمجيده للنور، فالبعثة المحمدية هى. «مطلع النور» ورسالة محمد هى «رسالة النور» «وإنك

لتؤمن بالروح وحده أو بالجسم وحده ثم نقول إن النـور هو مصـدر كل شيء، وأصل كل حياة فلا تكون إلا على صواب، وما كان نور العين ولا نور الـروح إلا شيئـاً واحـداً في العنصر والقرار، وإلا عنصراً واحداً لكل ما يظهر في هذه الدنيا للبصائر والأبصار».



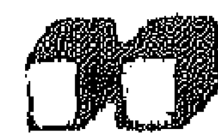
ولم يحقق لنا العلم ما هو سر تأثير ألوان الزهر على أبصارنا، ولا ما هو سر تأثير الزهر بذاته في شعورنا، ولكنا قد نرى علاقـة النور بالألوان، ونرى علاقة الحرارة بالنور، ونرى علاقة الربيع بالحرارة، ثم نرى علاقة العواطف الغـراميـة بالربيع، فكلها كما يقول العقاد، عناصر ربيعية تظهر بباعث واحد في زمن واحد، ولا نرى منها إلا ما هو من الحرارة قابس. وبالضوء مزدان ولابس، وفي الحب مغروس وغارس.



ولقد أفرد القرآن الكريم للنور سورة بأسرها هي «سورة النور» أضاءت وعي العقـاد بالحقيقـة كما أضاءت من قبل وعي أستاذه الإمام الغزالي بها، فخصها بكتاب من أروع كتبه هو كتاب «مشكاة الأنوار» الذي حاول فيه تفسيـر «سـورة النـور» تفسيـراً فلسفيا يجعلها مبينة لدرجات الإدراك السليم. فقد جاء في الآية الكريمة:



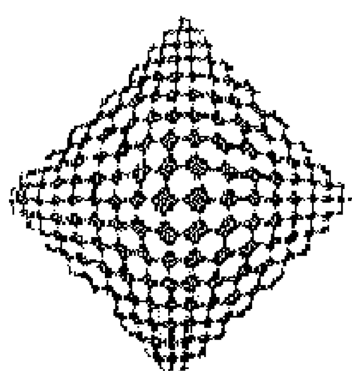
المعرفة محصلة علم العلماء
والمعرفة محصلة وجدان
المتصوفة والشعراء



﴿ الله نور السمـوات والأرض، مثـل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولا غربية، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء﴾.

فالله هنا هو النور، والنور هنا هو وسيلة المعرفة، لكن هذه المعرفة تكون على درجات متفاوتة هي التي رمزت إليها الآية الكريمة على حسب تفسير الإمام الغزالي للآية، وعلى حسب رأيه في تصنيف العلوم وأصنـاف الطالبين. فأما أولى درجات المعرفة فهي المحسوسات التي تدركها حواس الإنسان الظاهرة، والتي رمـزت إليهـا الآية بالمشكاة، بعد ذلك تجيء المعـاني الـذهنيـة المجـردة، التي لا يمكن إدراكها بالحواس بل بالعقل، والعقل هنا هو المصباح الذي يدرك هذه المعـاني، ولكن العقـل يحتاج إلى خيال يقفز به من المدرك الحسي المعين، إلى المدرك الذهني المجـرد، والخيـال هنا ترمز إليه الزجاجة التي تحيط بالمصبـاح، أمـا الخيـال ذاته فهو كالكوكب الدري الساطع الضياء الذي يوقد من شجرة مباركة، هذه الشجرة المباركة هي ينبوع الحقيقة، وهي النور الهادي الذي يهدي إلى الحق.

أما من أين للشجرة المباركة نفسها بهذا النور، فمن قوتها الذاتية، إذ هي إنما تضيء بزيتها هي، وزيتها هذا يكاد يضيء من تلقاء نفسه ولو لم تمسسه نار، وإذن فهو المصـدر الأخـير للمعرفة، الذي لا يمكن إدراكـه إلا بالفطـرة أو البصـيرة، أو الحدس الـذي هو نوع من العيان الوجداني المباشر، الذي يدرك فيه الإنسان الحق بنور اليقين، لأنه هدى من عند الله، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يهدي الله لنوره من يشاء﴾.



على هذا النحـو الـذي شرحه الإمام الغـزالي في كتـابـه «مشكـاة الأنـوار» تفسيراً لسورة النور الكريمة والذي أفاد منـه العقـاد في فلسفتـه عن النور بتصاعد النور أو

تتفاوت درجات المعرفة وتتدرج صور الإدراك . . من الحس إلى العقل الذى يصونه الخيال . . إلى البصيرة التى يفتح عليها فتهتدى إلى الحق بنور اليقين .

وهذا ما عبر عنه العقاد فى وصف حبه للنور بقوله : «إننى أحبه حين أنظره، وأحبه حين أنظر به وأحبه حين اهتدى به إلى عالم البصر وأحبه حين أهتدى به فى عالم البصيرة لأننى أحسبه سر الاسرار أو أحسبه سبيل الهداية إلى سر الأسرار وأوشكت أن أؤمن بهذا الحسبان كل الإيمان» .

والعقيدة الإسلامية ممثلة فى القرآن الكريم، ليست وحدها هى التى أمدت العقاد بفلسفته فى النور، ولكن الثقافة العربية الإسلامية كذلك ممثلة فى تراث الفكر الفلسفى كانت مصدرا آخر من مصادره. وهو ما نجده فى كتابه « مطلع النور» أو «طوالع البعثه المحمدية» التى وجد فيها بعض المؤرخين المسلمين شواهد على ظهور النبى العربى الكريم مكتوبة قبل أوان ظهوره بعشرات القرون والعقاد هنا يستشهد بكتاب مولانا عبد الحق فديارتى المسمى «محمد فى الأسفار الدينية والعالمية» على أن اسم الرسول العربى «أحمد» مكتوب بلفظه العربى فى «السامافيلا» من كتب البراهمة وقد ورد فى الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثانى ونصها أن «أحمد تلقى الشريعة من ربه وهى مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس » .

●● ويعقب العقاد على هذا بقوله : «أما العلامة التى لا التباس فيها ولا سبيل الى إنكارها فهى علامة الكون أو علامة التاريخ . «قالت حوادث الكون لقد كانت الدنيا فى حاجة إلى رسالة وقالت حقائق التاريخ لقد كان محمد هو صاحب تلك الرسالة ولا كلمة لقائل بعد علامة الكون وعلامة التاريخ » .

وتلك فى تقدير العقاد هى حقيقة النور المحمدى أو على حد تعبيره «رسالة النور الجديد» .

●● كذلك أفاد العقاد من الفلسفة الإشراقية أو الفلاسفة القائلين بحكمة الإشراق وعلى رأسهم «السهروردى» الذى عرض حكمته الإشراقية فى كتابه المشهور «هياكل النور» وفيها يأخذ بالتقابل بين النور والظلمة ويرمز إلى الروحانى بالمنير وإلى المادى بالمظلم وإلى العقول بالأنوار وإلى عقول الأفلاك بالأنوار القاهرة وإلى النفوس الإنسانية بالأنوار المجردة وإلى الله بنور الأنوار وإلى الجسم بالجوهر المظلم أو الفاسق وإلى عالم الأجسام بعالم البرازخ، واصداء هذا جميعه نجدها تتردد فى كتاب العقاد «فى بيتى» وكان بيته فى هليوبوليس أو مدينة الشمس حيث يقول لصاحبه وهو يحاوره :

« **قال صاحبى : ما أعجب أن يكون أظهر الأشياء هو أخفى الأشياء . قلت يا صاحبى لا عجب أن يكون أظهر الأشياء هو المظهر للخفاء فى كل معانيه . . ولا أحسب أن حجاباً من الحجب الكونية سيرتفع فى مجال العلم أو مجال الحكمة من طريق غير طريق النور مهما بطل الزمان» . .**

وكأنما اقتنع صاحب العقاد بكلام العقاد فراح يقول : «قال صاحبى وهو يرسل الطرف إلى السماء، ولا نهاية لمد البصر تصعيدا ولا تصويباً ولا من يمين ولا شمال، قصرت عين تحسب وهى تنظر إلى هذا النور أنها تنظر إلى شىء مكشوف لا عمق فيه ولا طوية وراءه كاشف الخفاء هذا هو ينبوع الخفاء» .

وشاء أن يتكلم بلغة المكان، لغة المكتبة والكتاب فعاد يقول : «ونحن إذن فى برزخ الأنوار، وراء الجدران نور الشمس فى مدينة الشمس الخالدة وبين الجدران نور القرائح ونور الحكمة ونور البيان» .

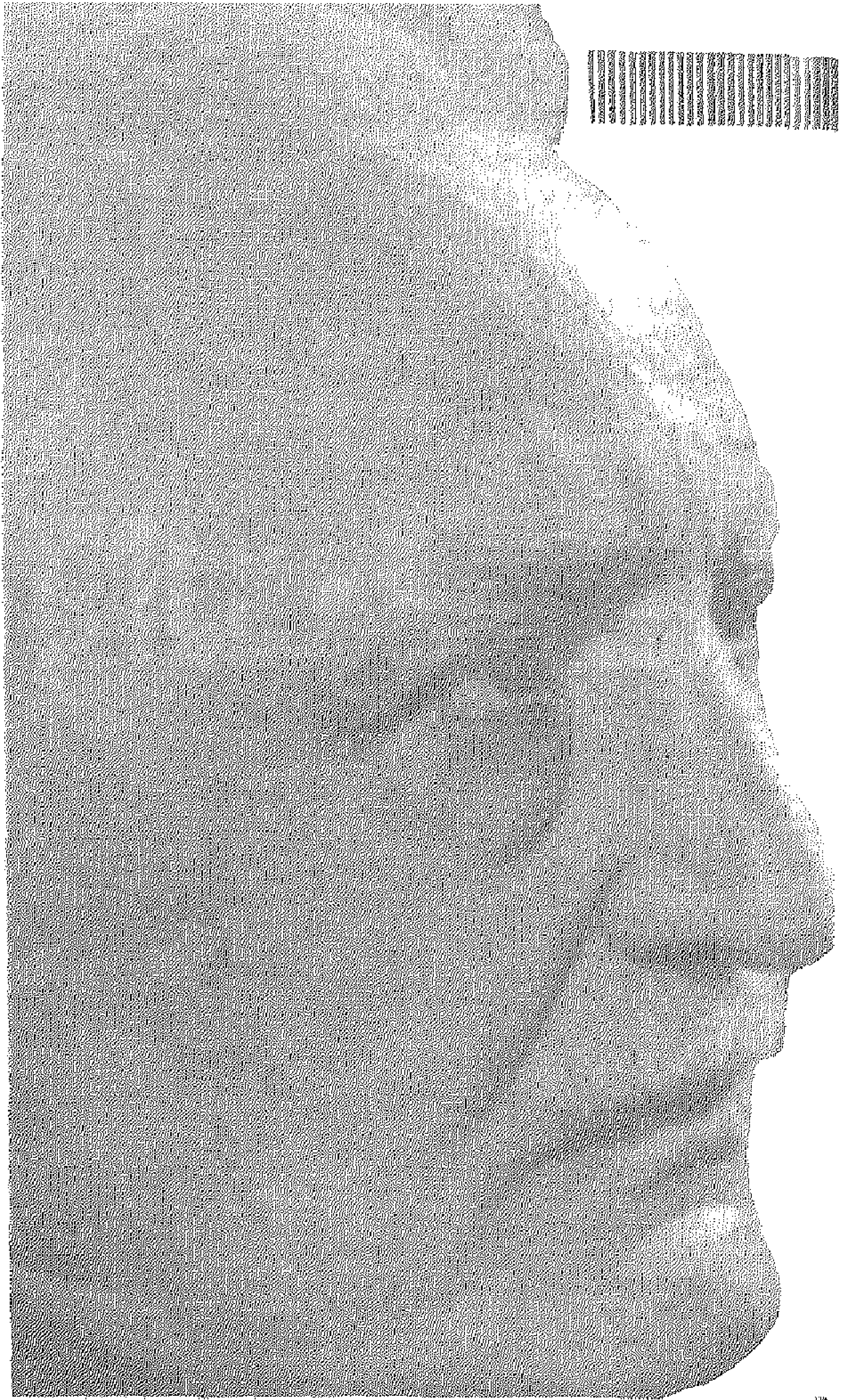
وتلك هى قمة الروحانية فى فلسفة العقاد الروحانية التى ترد الكون كله إلى النور ﴿الله نور السموات والأرض﴾ وفى الحب وسيلة لرؤية النور لأن الكراهية

إنها فلسفة أشبه بفلسفة المثل الأعلى على أن يكون النور هو جوهر هذه الفلسفة والحب هو السبيل إلى فهمها وإدراكها والوصول إليها فحب النور هو السبيل إلى رؤيته والذى لا سبيل سواه .

والواقع أن حب النور هو فى المقام الأول فطرة فُطِرَ عليها فيلسوفنا الشاعر قبل أن يكون من عمل النشأة الأولى فى أسوان لأن النشأة الأولى تزهد الإنسان فيما هو مبذول لديه بل فيما هو مسلط عليه ولذلك لم نكد نجد شاعراً من شعراء الصحراء تغنى بالشمس المجيدة أو الشمس الباهرة، كما تغنى بها أبناء الغيوم أو أبناء الشمال ولذلك لم ينشأ العقاد فى أسوان يحب الظلام ويكابد سطوة النور ويحسبه من قضاء الله وانما هو أحب النور على الرغم من النشأة فى أسوان كما أحب النور على الرغم من سكناه فى مدينة الشمس وهكذا راح يقول : «قلت لك يا صاحبى إننى أحب مدينة الشمس لأننى أحب النور» ثم عاد يقول: «قلت لك ياصاحبى إننى أحببت النور فسكنت فى مدينة النور».

هذا هو العقاد عاشق النور والرجل الذي وهب حياته كلها بحثاً عن حقيقة واحدة هى النور وربما كان فى كلمة النور وحدها سر العقاد أو مفتاح شخصية العقاد على طريقته فى البحث عن مفاتيح شخصيات العباقرة .

وما أروع هذا النور الذى أضاء طريقه فى كفاحه ضد قوى الظلم والظلام وما أمتع هذا النور الذى يتوهج فى كتاباته ويوشك أن يغشى أبصارنا فى كل صفحة من صفحاته . . إنه النور الساطع الشجاع الباهر المبهر الذى يضىء بدوره لنا الطريق . . الطريق إلى أنفسنا وإلى الآخرين .



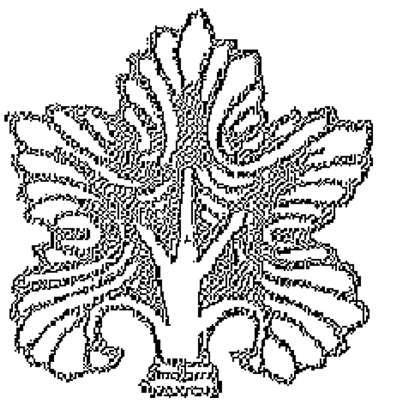
عتمة والحب قبس من النور والنور عنده ملأ يملأ كل شىء لأنه الأصل الروحانى الأول الذى صدرت عنه كل الصور والأشكال وكل ما تجسد فى الكائنات . وهو ما عبر عنه العقاد بقوله : «والحق أنه لا فضاء حيث يكون النور وكيف يكون فضاء ما يملأ العينين، ويملأ الروح ويصل الأرض بالسماء؟» .

ومن ثم كان الحب هو وسيلة إدراك النور لأنه ليس يرى النور إلا من أحبه والعقاد أحب النور فى كل شىء وأحبه فى كل صورة من صوره لأن كل شىء تجلى من تجليات النور ولأن النور هو جوهر كل شىء، وهذا ما جعله يقول: « إننى أحب مدينة الشمس لأننى أحب النور أحبه صافياً وأحبه مزيجاً وأحبه مجتمعاً وأحبه موزعاً وأحبه مخزوناً كما يخزن فى الجواهر وأحبه مباحاً كما يباح على الأزاهر وأحبه فى العيون وأحبه من العيون وأحبه إلى العيون».

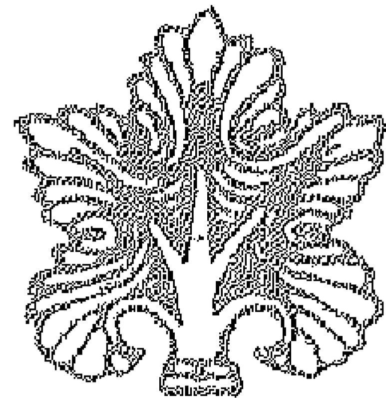
الحلقة الرابعة

موسى والتوحيد

بقلم الأستاذ الأحفل
احمد عبد الغفور عطار



دعوى فرويد ان العمق ينقص الاسلام باطله مع بطلان دعواه بوجوده في ديانة قومه اليهود.. هذه الديانة الوثنية الجامدة التى لا أبعاد لها ولا عمق فيها بخلاف الإسلام أكمل الأديان طرا، وأعظمها عمقا، وأكثرها أبعادا، وعلى سبيل المثال نذكر يوم القيامة الذى يمثل شيئا من عمق الاسلام وأبعاده، وهو ما نفتقده فى كل الديانات القائمة وما كان منها قائما ثم اندثر كديانات التوحيد الصحيح الذى صور اليوم الآخر صورته الحقة التى تفرد الإسلام باستيفاء كل سماتها وأجزائها الدقيقة التى لا تجدها فى كل ديانات السماء إلا الإسلام الذى استوفى كل الملامح والسمات بأدق جزئياتها، وفى ذلك رد على أبطولة فرويد وغيره من علماء اليهود ممن هم على شاكلته.. واخترنا اليوم الآخر لأنه يمثل عمقا بعيدا لقرار وأبعادا شاسعة، ويتفرد الإسلام بمعتقده فى اليوم الآخر ويرتفع به على الديانات السماوية الصحيحة والمحرفة وكل الملل والنحل التى تغشاها الأساطير والأوهام، والإسلام ـ بعد ـ يسبقها سبقا فلا تلحقه، ويمضى فى معراج الرقى والتقدم فلا تدركه، وها نحن أولاء نوفى القول فى أمر اليوم الآخر فى شيىء من الإيجاز يغنى عن التفصيل:



لقد سبق منا ذكر مقولات فرويد الذى ادعى على الإسلام دعاوي أخذنا نرد على بعضها، واقتضانا الرد أن نعقد موازنة بين الإسلام: دين التوحيد الحق وبين اليهودية والمسيحية اللتين يصورهما الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

ومادمنا مع قطب من أقطاب اليهودية المغرورة المتبجحة البروفسور فرويد فإن هناك قطبا آخر هو جولد زيهر يدعى على الإسلام دعاوى كصاحبه نكتفى بزعماته التى يقصد منها أن يرفع ديانته بادعاء خفض الإسلام، وما ذلك بمستغرب منه وهو اليهودى التوراتى التلمودى المتعصب المتطرف الحقود على الإسلام ورسوله والمسلمين..

فاليوم الآخر فى الإسلام يخالف كل ما جاء فى غيره ومع هذا يزعم جولد زيهر (ص ٩ من كتابه «العقيدة والشريعة فى الإسلام» «فى بدء رسالته كانت تأملاته تأخذ طريقها إلى الخارج فى شكل أمثال مضروبة للحياة الأخرى (eschotlogiques) كانت تفرض نفسها على مخيلته بقوة تزداد يوماً بعد يوم، وهذه التأملات هى التى كونت الفكرة الأساسية التى بنى عليها تبشيره، وما سمعه أو عرفه عن يوم الحساب الذى سيقع يوماً ما على العالم كالصاعقة أخذ يطبقه على الأمور التى يراها حوله والتى كانت تملأ نفسه اشمئزازاً، فتراه يواجه عدم اكتراث سادة مكة وكبرياءهم وجبروتهم بإنذارهم بيوم الحساب القريب منهم، ويرسم لهم بحروف من نار صورة البعث وصورة الحساب».

ويظهر من هذا الزعم أن جولد زيهر يجهل أو يتجاهل اليوم الآخر فى ديانته اليهودية وفى العهد الجديد من الكتاب المقدس وفى العقائد الوثنية وفى الفلسفات ومختلف الديانات، ولولا جهله أو مغالطته القراء لما زعم ما زعم.

فأى يوم آخر فى اليهودية التى يمثلها العهد القديم؟ لا شىء منه إطلاقا، والمسلمون يؤمنون بأن ديانة موسى فى العقيدة هى ديانة محمد عليهما الصلاة والسلام، فيها اليوم الآخر بحسابه عقوبة ومثوبة وجنة وناراً، ولكن التوراة الحق لا وجود لها وما بين أيدينا من أسفار العهد القديم التى تسمى توراة خال من ذكر اليوم الآخر لأن «يهوه» رب اليهود إله سريع الحساب والانتقام فجزاؤه عاجل المثوبة لمن يرضى عنه والعقوبة لمن يبغضه، وكل يوفى حسابه فى دنياه.

وكل ما ورد فى العالم الآخر لا اليوم الآخر هو وجود هاوية تسمى «شيول» تقع تحت الأرض، يتردى فيها الموتى الأخيار والأشرار على السواء إلا الذين ارتقوا إلى مرتبة القرب من الله مثل موسى.

وليس فيما يسمى التوراة يوم آخر وليس فى كتبهم إشارة إليه إلا فى نبوءة أشعياء وهى إشارة إلى يوم دنيوى كما تفصح الإصحاحات والفقر التى ورد فيها ذكره.

فقد جاء فى الإصحاح الرابع والعشرين: «هوذا الرب يخلى الأرض ويفرغها، ويقلب وجهها، ويبدد سكانها».

و«الأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع، غيروا الفريضة، نكثوا العهد الأبدى، لذلك لعنة أكلت الأرض، وعوقب الساكنون فيها، لذلك احترق سكان الأرض، وبقى أناس قلائل».

و«أسس الأرض تزلزلت، انسحقت الأرض انسحاقاً، تشققت الأرض تشققاً، تزعزعت الأرض تزعزعاً، ترنحت الأرض ترنحاً كالسكران، وتدلدلت كالعرزال، وثقل ذنبها فسقطت ولا تعود تقوم، ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء فى العلاء، وملوك الأرض على الأرض، ويجمعون جمعا كأسارى فى سجن ويغلق عليهم فى حبس، ثم بعد أيام كثيرة يتعهدون، ويخجل القمر، وتخزى الشمس، لأن رب الجنود قد ملك فى جبل صهيون وفى أورشليم».

وأشعياء كان فى القرن الثامن قبل الميلاد وجاء بعد موسى بخمسة قرون تقريباً ومع أن نبوءة أشعياء ليست واضحة

مقدمة
يواصل كاتبنا الأجفل
ما سبق عرضه فى سوابقه
ثلبه عن:
فرويد ومزاعمه الباطلة
منوها بالأدلة الداحضة
تلك الفريات المتشعبات.
فاليه نعنى.

ولا صريحة فإنها لا تحدد اليوم الآخر وفكرته - إذا كان يقصد اليوم الآخر - غامضة، ومع هذا فليس المقصود اليوم الآخر بل يوم من أيام الحياة الدنيا، ففي الإصحاح الخامس والعشرين وما بعده يدل على أن هذا اليوم في الدنيا لا الآخرة.

يقول الإصحاح الخامس والعشرون:

«ويقال في ذلك اليوم: هوذا إلهنا انتظرناه فخلصنا، هذا هو الرب انتظرناه، نبتهج، نفرح بخلاصه، لأن يد الرب تستقر على هذا الجبل، ويداس مؤاب في مكانه كما يداس التبن في ماء المزبلة، فيبسط يديه كما يبسط السابح يديه ليسبح، فيضع كبرياءه مع مكايد يديه، وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه، يضعه يلصقه بالأرض كالتراب».

والإصحاح السادس والعشرون يقول:

«في ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية يجعل الخلاص أسواراً ومترسة إفتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة، ذو الرأي الممكن تحفظه سالماً سالماً لأنه عليك متوكل، الخ».

وفي الإصحاح السابع والعشرين:

«في ذلك اليوم يغنى بهذه الأغنية في أرض يهوذا: لنا مدينة قوية في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحية» إلى أن يختتم هذا الاصحاح بقوله: «ويكون في ذلك اليوم أن الرب يجني من مجرى النهر إلى وادي مصر وأنتم تلقطون واحداً واحداً يا بني إسرائيل، ويكون في ذلك اليوم أنه يضرب ببوق عظيم فيأتي التائهون في أرض أشورا، والمنفيون في أرض مصر، ويسجدون للرب في الجبل المقدس في أورشليم».

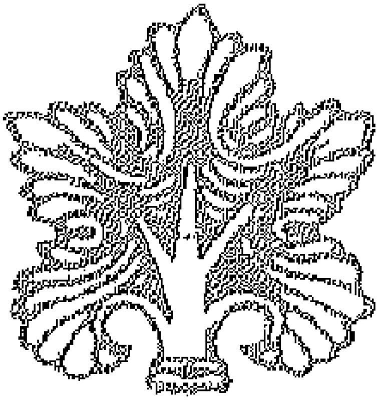
فاليوم الذي يشير إليه أشعياء ليس اليوم الآخر. ولكنه يوم من أيام الدنيا تحتفل فيه إسرائيل بنصرها على مؤاب، ويجتمع شمل التائهين والمنفيين في الجبل المقدس بأورشليم، وهذا ليس في اليوم الآخر كما تدل النبوءة.

ولعل ما جاء في سفر دانيال بالإصحاح الثاني عشر أصرح مما ورد عن أشعياء، إذ يقول: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للإزدراء الأبدي، والفاهمون يضيئون كضياء الجلد والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور».

ولئن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر اليقظة التي هي العودة إلى الحياة فليس البعث في اليوم الآخر، بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا الراقدين جميعا بل كثيرون منهم، وإذا كان البعث لا يشمل الجميع فليس بالبعث الذي يتم في اليوم الآخر.

وفي نبوءات أنبياء بني إسرائيل وأسفارهم إشارة إلى قيام الموتى في الدنيا وآخر من أشير إليه قيام عيسى كما يقولون في أناجيلهم وفي أول الإصحاح الثاني عشر نفسه من سفر دانيال بالفقرة الأولى منه قوله: «وفي ذلك الوقت يقوم ميخائيل الرئيس العظيم القائم لبني شعبك، ويكون زمان ضيق لم يكن منذ كانت أمته إلى ذلك الوقت، وفي ذلك الوقت يُنَجِّي شعبك، كل من يوجد مكتوباً في السفر، وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون» إلخ.

فاليقظة ليست بعثاً في اليوم الآخر، ولكنها عودة إلى الحياة الدنيا كما يقوم ميخائيل وغيره ممن يرد ذكرهم أنهم يقومون بعد موتهم يستأنفون الحياة الدنيا.



ودانيال من أبناء القرن الثاني قبل الميلاد، وإذا صح أن دانيال وأشعياء من الأنبياء فإيمانهما باليوم الآخر حق لأن كل نبي حق مؤمن بالبعث والقيامة، غير أن ما نسب إليهما مما استشهدنا به لا يدل على اليوم الآخر الذي يعقب يوم الحياة الدنيا بالنسبة للحياة والبشرية والأرض والسماء والكون كله حيث لا يبقى غير الله عز وجل.. ولم تظهر فكرة البعث في الديانة اليهودية بعد ابتعادها عن ديانة موسى الصحيحة وفقدان التوراة الحق إلا بعد أن فقد اليهود الأمل في قيام مملكة لهم،

ونجد هذا التحول أو العودة إلى فكرة البعث الغامضة بعد عهد نفى بابل حيث وقفوا على شيء من عقائد فارس، ويجوز أخذهم إياها من ديانة المصريين.

وأصرح من كل ما سلف ذكره وأبين هو ما جاء في «التلمود» من ذكر الجنة والنار، وأن الجنة مأوى الأرواح الطيبة الخيرة والنار للأشرار، ولكن الأنانية اليهودية تبرز ببشاعة عندما يجعلون الجنة وقفاً على اليهود وحدهم دون غيرهم، ونزلاً لهم، لا يشاركهم فيه سواهم، مهما بلغ من الطيبة والخير، وأما النار فلا يدخلها يهودى بل هى لغيرهم.

وهذا يتفق مع فكرتهم عن «يهوه» فهو إله خاص بهم وجعلوا جنته لهم أما ناره فلغيرهم ويتفق مع ما فى شرائعهم من محاباة «يهوه» لهم حتى أنه حرم عليهم أن يقتل بعضهم بعضاً وفرض عليهم أن يقتلوا غيرهم من أبناء الشعوب الأخرى ولو كانوا رضعا وعاجزين.

وفى تلمودهم أن الذين يدخلون الجنة يطعمون من لحم أنثى الحوت الكبير التى أماتها الله وملحها وادخر لحمها للذين يدخلون الجنة فيأكلون منه، وسبب إماتة الله أنثى الحوت الكبير - حسب زعمهم - حرمانه من النسل حتى لا يهلك من فى الدنيا من الناس وغيرهم من الحيوان والنبات بما ينسلان من الوحوش الضخمة الكبيرة، لأن هذاالحوت الكبير بلغ من العظم والضخامة أن حلقه يتسع لسمكة طولها ثلاثمئة فرسخ فى يسر وسهولة.

● *وذكر التلمود أن ثلاث الساعات الأخيرة من الأربع والعشرين يقضيها الله فى اللعب مع هذا الحوت الكبير، وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.*

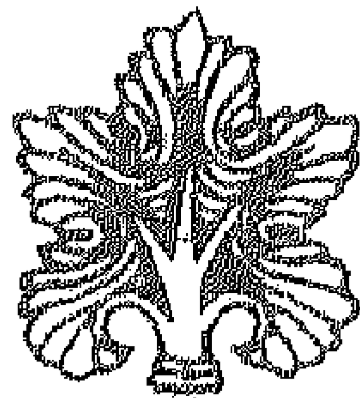
● *وما ذكره التلمود عن الجنة والنار يقوم على الأسطورة لا على العقيدة، وفكرة البعث الذى يفضى إلى الجنة والنار لا تحسب من خصائص العقيدة الدينية لأنها خرجت عن العقيدة إلى الأساطير والأوهام الوثنية والخرافات، بل إلى الخزعبلات والعبث والكفر بنسبة اللعب إلى الله عز وجل.*

● *وذكرت الأناجيل إنكار فريق من اليهود البعث وذهاب بعضهم إلى الإيمان به ففى إنجيل متى (ص ٢٢ فقرة ٢٤-٣٠):*

«فى ذلك اليوم: جاء اليه صدوقيون الذين يقولون: ليس قيامة فسألوه قائلين: يا معلم، قال موسى: إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج اخوه بامرأته ويقم نسلا لأخيه، فكان عندنا سبعة أخوة وتزوج الأول ومات وإذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه وكذلك الثانى والثالث إلى السبعة، وآخر الكل ماتت المرأة ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فإنها كانت للجميع، فأجاب يسوع وقال لهم: تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله، لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون، بل يكونون كملائكة الله فى السماء، وأما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل: أنا إله ابراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب، ليس الله إله أموات، بل إله أحياء».

فإنكار القيامة التى هى اليوم الآخر طابع اليهودية بعد فقدان توراة موسى أو تحريفها، وإذا جاء فى التلمود ذكر الجنة والنار فمن الجائز أنهم أخذوا من أساطير فارس أو مصر ما يتصل بفكرة البعث أو أن رواسب من فكرة البعث فى توراة موسى انتهت إليهم فانتقلت من جو العقيدة إلى عالم الأساطير التى ازدحمت بها أسفارهم بما فيها خمسة الأسفار الأولى من العهد القديم اللاتى هن التوراة.

وجولد زيهر يهودى، ولا يخفى على مثله ما فى ديانته من فكرة اليوم الآخر الممسوخة الشوهاء فكيف يدعى فى قحة واجتراء أخذ نبى الإسلام فكرة اليوم الآخر من العقائد المعاصرة وها هى ذى عقيدة اليهود فى توراتهم خالية من اليوم الآخر وما فى تلمودهم عنه قائم على الأسطورة لا العقيدة.



وتكملة للرد عليه وعلى أمثاله الذين زعموا زعمه نعرض «اليوم الآخر» فى النصرانية وفى بعض الوثنيات ليروا أن محمداً لم يستق معلوماته فيه منها وما فى

الإسلام يغاير ما فيها.

ففي النصرانية حسب رواية الأناجيل المعتمدة وأسفار العهد الجديد نجد أمثال هذه الكلمات: «الحياة الأبدية» و«الحساب يوم الدين» و«الجحيم» و«العذاب» و«النار» و«ملكوت السماوات» و«ملكوت الله» و«انقضاء العالم».

وهذه الكلمات في مواضعها مما نسب إلى المسيح عليه الصلاة والسلام تشير إلى «يوم آخر» ولكن ما حقيقته؟ وما البعث المفهوم من السياق؟ أهو بعث لبني الإنسان جميعاً للحساب ثم إلى الجنة أو النار، أم هو عودة إلى الحياة أم نشور يمضي البارون الأخيار إلى ملكوت السماوات ويلقى بالأشرار خارجه؟ وهل الملكوت هو الجنة والنعيم وخارجه هو النار والعذاب؟..

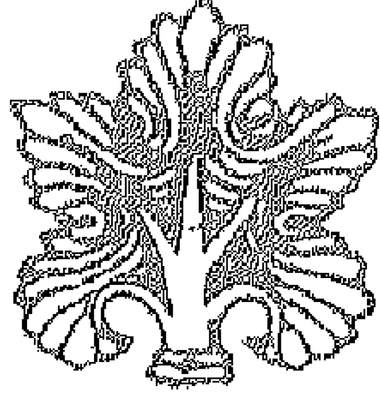
الجواب في الأناجيل، فلنأخذه منها، ولنكتف بإنجيل متى.

وفي الإصحاح التاسع عشر:

«حينئذ قدم إليه أولاد لكي يضع يديه عليهم ويصلي فانتهرهم التلاميذ، أما يسوع فقال: دعوا الأولاد يأتون إلي ولا تمنعوهم، لأن لمثل هؤلاء ملكوت السماوات، فوضع يده عليهم ومضى من هناك.

وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟.

«فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله ولكن إن أردت أن تدخل فاحفظ الوصايا، فقال له: أية الوصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، وأحب قريبك كنفسك، فقال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتي، فماذا يعوزني بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني، فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً، لأنه كان في أموال كثيرة.



«قال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم، إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات، وأقول لكم أيضاً: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله.

«فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين: إذن من يستطيع أن يخلص؟ فنظر إليهم يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع.

«فأجاب بطرس حينئذ وقال له: ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك، فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر، وكل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية».

وفي الإصحاح الثامن عشر:

«خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى في النار الأبدية ولك يدان أو رجلان».

وفي الإصحاح السادس عشر:

«وأنا أقول لك أيضاً: أنت بطرس، وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليك» و«إن ابن الإنسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته، وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله، الحق أقول لكم: إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الإنسان آتياً في ملكوته».



لئن كانت كلمة دانيال أو نبوءته تذكر اليقظة التي هي عودة إلى الحياة.. فليست البعث في اليوم الآخر بدليل أن الذين يستيقظون ليسوا الراقدين جميعًا



وفى الإصحاح الثامن:

«إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون. مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب فى ملكوت السماوات، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان».

وفى الإصحاح العاشر:

«لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، ولكن النفس يقدرون أن يقتلوها، بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم».

وفى الإصحاح الثانى عشر:

«من قال على الروح القدس فلن يغفر له فى هذا العالم ولا فى الآتى».

وفى هذا الإصحاح نفسه يخاطب المسيح جموع اليهود: «يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار، فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم، الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور، ولكن أقول لكم: إن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين».

وفى الإصحاح الثالث عشر:

«يشبه ملكوت السماوات إنساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله، وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى، فلما طلع النبات وصنع ثمراً حينئذ ظهر الزوان أيضاً فجاء عبيد رب البيت وقالوا له: ياسيد، أليس زرعاً جيداً زرعت فى حقلك فمن أين جاء له زوان؟ فقال لهم: إنسان عدو فعل هذا، فقال له العبيد، أتريد أن نذهب ونجمعه؟ فقال: لا لئلا تقطعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه، دعوهما ينميان كلاهما معاً إلى الحصاد، وفى وقت الحصاد أقول للحصادين: اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزماً ليحرق، وأما الحنطة فاجمعوها إلى مخزنى».

وفى الإصحاح الثالث عشر نفسه:

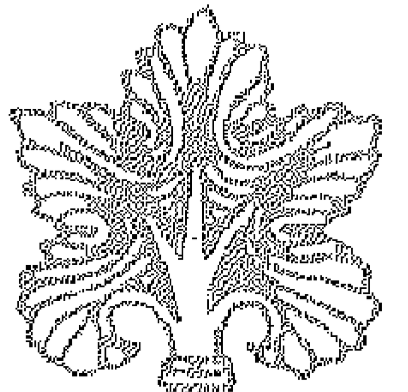
«حينئذ صرف يسوع الجموع وجاء إلى البيت، فتقدم إليه تلاميذه قائلين: فسر لنا مثل زوان الحقل، فأجاب وقال لهم: الزارع الزرع الجيد هو ابن الإنسان والحقل هو العالم، والزرع الجيد هو بنو الملكوت، والزوان هو بنو الشرير، والعدو الذى زرعه هو إبليس، والحصاد هو انقضاء العالم، والحصّادون هم الملائكة، فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى انقضاء العالم، يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم، ويطرحونهم فى أتون النار، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان حينئذ يضيء الأبرار كالشمس فى

ملكوت أبيهم».

وفي الإصحاح الخامس والعشرين يقول متى:

«ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده، ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه، والجداء عن اليسار، ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأني جعت فأطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريباً فآويتموني، عرياناً فكسوتموني، مريضاً فزرتموني، محبوساً فأتيتم إلي، فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين: يا رب، متى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك، ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحق أقول لكم، بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر فبي فعلتم.

ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عني ياملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته، لأني جعت فلم تطعموني، عطشت فلم تسقوني، كنت غريباً فلم تؤووني، عرياناً فلم تكسوني، مريضاً ومحبوسا فلم تزوروني، حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين: يارب، متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو محبوساً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك، فيجيبهم قائلاً: الحق أقول لكم، بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا، فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي، والأبرار إلى حياة أبدية».



في هذه الشواهد الإنجيلية صورة لليوم الآخر نفتقدها في الديانة اليهودية، ولكن الصورة في المسيحية غير تامة ويشوهها أنها غير متفقة مع كمال الله وكمال صفاته وذاته وأسمائه فاختلط ملكوت الله الأب بملكوت الله الابن حيث تختلط العقيدة الوثنية بنظرية المسيحية في التثليث، كما أن أخوة الله لا تتفق مع الكمال الإلهي، فالملك الذي هو الله ليس أخاً لغيره من خلقه حتى يقال على لسانه «أنكم فعلتموه بأحد إخوتي».

وعلى أي حال فاليوم الآخر في المسيحية قائم على الحساب ثواباً وعقاباً وبعده إما إلى الجنة وإما إلى النار، وكل خالد في دار الآخرة وإن كان الإبهام والغموض يكتنفان الصورة ومع هذا فإن عيسى عليه صلوات الله وسلامه مؤمن باليوم الآخر وعقيدته هي عقيدة نبي الإسلام غير أن إنجيله الحق ليس موجوداً فإذا ورد في أناجيل حوارييه إشارة إلى اليوم الآخر إيجازاً أو تفصيلاً فمرد ذلك إلى ما أخذوه عنه.

● والقرآن الكريم يشير إشارة صريحة واضحة لا إبهام فيها ولا غموض إلى عقيدة عيسى في اليوم الآخر فيقول: ﴿وقال المسِيحُ يابني إسرائيلَ اعبُدُوا الله ربِّي وربَّكُم إنَّهُ من يُشرِكْ بالله فقدْ حرَّمَ الله عليْهِ الجَنَّة ومأواهُ النارُ﴾ (المائدة: ٧٢).

● ويقول: ﴿وإذ قَالَ الله ياعيسى ابْنَ مرْيَمَ أأَنتَ قُلتَ للنَّاس اتَّخِذُوني وأمِّيَ إلَهين من دُونِ الله قال سُبْحَانَك مايكُونُ لي أنْ أقُولَ ماليْس لي بِحَقّ إن كُنتُ قُلْتُهُ فقد علِمتَهُ تعْلَمُ مافي نفسي ولا أعلمُ مافي نَفْسِكَ إنَّك أنتَ علَّامُ الغُيُوب «١١٦» ماقُلْتُ لَهُمْ إلَّا ما أمرْتَني بِهِ أن اعبُدُوا الله ربي وربكُم وكُنتُ عليهم شهيداً مادُمتُ فيهم فلما تَوَفَّيتَني كُنتَ أنتَ الرقِيبَ عليهم وأنت على كُلِّ شيء شهيدٌ «١١٧» إن تُعَذبهُم فإنهُم عبادُك وإن تَغفِر لهُم فإنكَ أنتَ العزيزُ الحكِيمُ﴾.

(المائدة: ١١٦-١١٨)

وما جاء بالأناجيل في اليوم الآخر يتفق في أصل الفكرة مع ما جاء في الإسلام ولكنه يختلف في الجزئيات والتفصيلات، وفي تنزيه الله عن مشاركته سواء أكان هذا المشارك ملكاً مقرباً أم رسولاً أم أفضل الرسل طراً فكرسي الله فاذ فرد، ولا يقام

بجانبه كرسى نبى أو غير نبى، فضلاً عن الكراسى الاثنى عشر، ثم ان تصور اليوم الآخر فى المسيحية لا يخلو من الأسطورة التى ترنقه.

وكان أحد الكراسى الاثنى عشر ليهوذا الأسخريوطى المقذوف به من بين الحواريين الاثنى عشر لأنه باع معلمه المسيح بثلاثين فضة وخانه، ولكنهم وضعوا له بديلاً بعد موت المسيح صلباً على رأيهم.

● والاختلاف بين النصرانية والإسلام فى اليوم الآخر دقيق وكثير يبرهن على أن اليوم الآخر فى الإسلام ليس منقولاً عن الأناجيل للاختلاف البين فى صورته، ولأن نبى الإسلام لم يطلع على الأناجيل، فهى لم تكن مترجمة إلى العربية كما هو ثابت، ونبى الإسلام لم يكن يعرف العبرية أو السريانية أو اليونانية حتى يزعم زاعم أنه اطلع عليها فى إحدى هذه اللغات.

● فاليوم الآخر فى الإسلام يوم يختلف بحقيقته وجزئياته وتفصيلاته عن اليوم الآخر فى اليهودية والمسيحية وفى كل ديانات العالم أشد الاختلاف حتى ليتعذر على الإسلام اللقاء مع كل تلك الديانات.

● وإذا كان اليوم الآخر فى الإسلام ختام معتقد المسلم حيث ظهر الخلاف الكبير بين الإسلام وكل الديانات وفى طليعتها اليهودية والنصرانية فإن من تمام القول أن نعود إلى فاتحة الإسلام بعد أن تحدثنا فى الخاتمة فيه وفى غيره من الديانات، ولعل من تمام البحث أن نقول كلمة الحق فى فاتحة الإسلام ألا وهى لا إله إلا الله لنرى فيها الخلاف الكبير نفسه الذى رأيناه فى الخاتمة، وإنه لخلاف غاية فى الشدة حتى لينتهى إلى استحالة اللقاء بين الإسلام وكل الديانات بما فيها اليهودية والمسيحية، وها هى ذى كلمة الحق التى ندين بها الحق:

● عقيدة الألوهية فى الإسلام تغاير كل عقائد المسيحية واليهودية والديانات الأخرى والوثنيات والفلسفات مغايرة تامة فى جوهرها وأصولها، والاتفاق فى الاسم لا يقتضى الاتفاق فى المسمّى.

● إن عقيدة الألوهية فى الإسلام توحيد الله عز وجل ذاتاً وأسماء وصفات، فهو واحد أحد، لا شريك له، ولم يلد، ولم يولد، ويعلم غيب السماوات والأرض وما فيهن ومن فيهن وهو كامل كمالاً مطلقاً ويغاير خلقه فلا شبيه له ولا نظير.

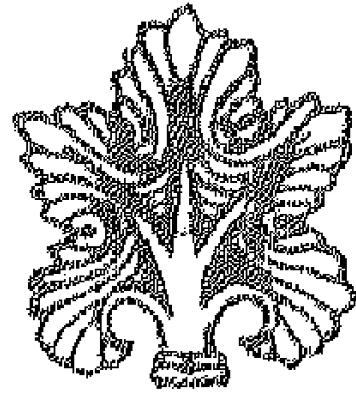
● أما المسيحية فلديها الشرك والتعدد، وليس الله واحداً، فهناك الله الأب والله الابن، والله روح القدس، وهناك فرقة تؤله العذراء.

● واليهودية تعتقد بالتعدد وإن كانت تؤمن بوحدانية «يهوه» أى «ألوهيم» ولكنها إلى جانب ذلك تعترف بوجود آلهة الآخرين، فالله عندها إله قومى محلى مقصور على الشعب المختار، فهو إله أشبه برئيس قبيلة أو شيخ عشيرة، ووصفوه بنقائص البشر.

● وإذا رجعنا إلى التلمود الذى ترتفع مكانته على توراتهم نجد بالتلمود فى سفر باباتيرا ٧٥ حرف (أ) ما نصه: «والحاخامون يصبحون جميعاً آلهة ويدعون يهوه أى الله».

● وتصف توراتهم الله بصفات معيبة وتتهم الأنبياء والمرسلين بالفسق والفجور والوثنية والكذب.

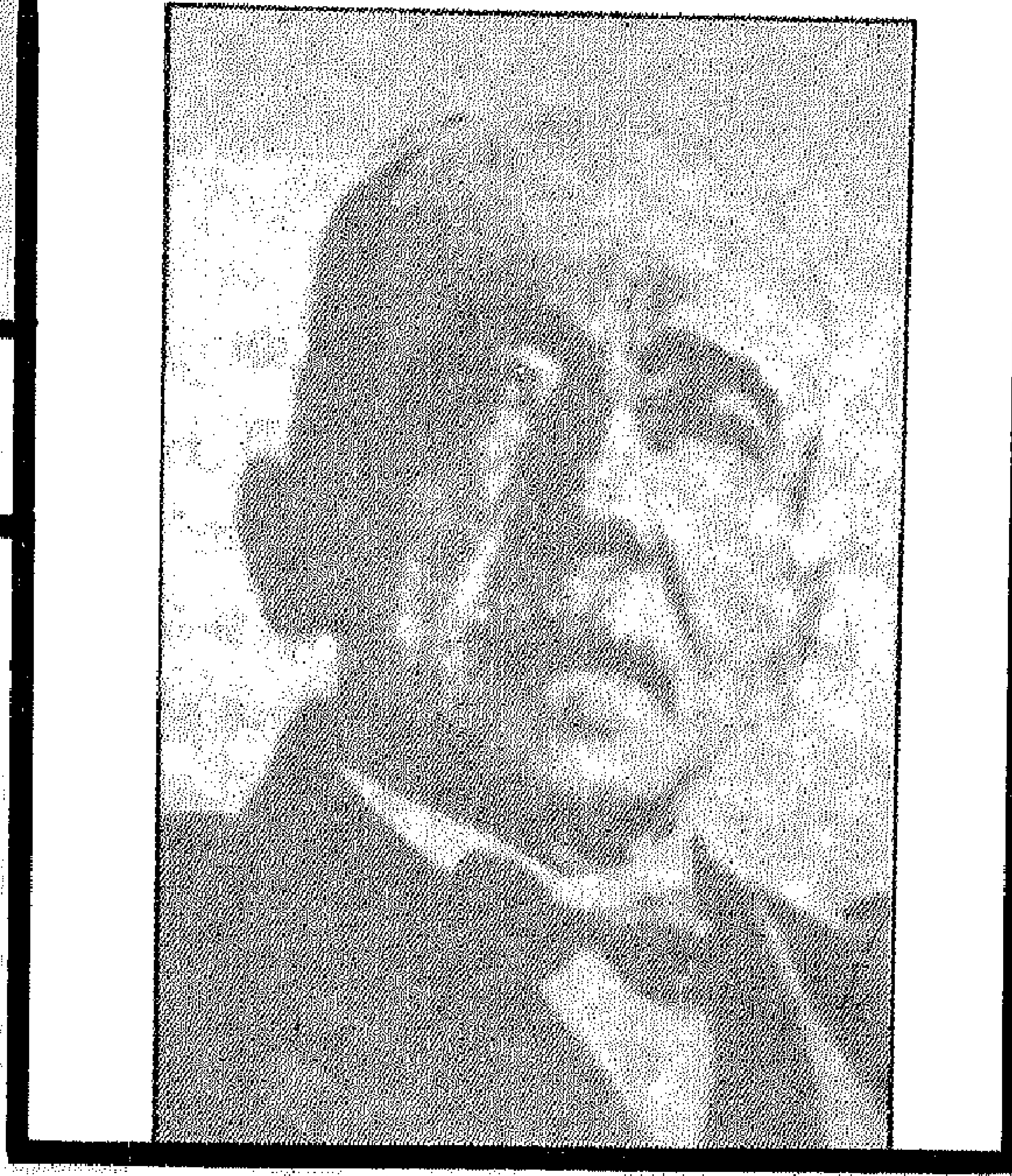
● فالإسلام يختلف كل الاختلاف عن المسيحية واليهودية فى العقيدة الآلهية اختلافاً مبيناً هو اختلاف النقيض عن النقيض.



ويقوم الإسلام على العقل والضمير ولم يقم على الخوارق والمعجزات التى تدع العقل فى حيرة، فإذا آمن المؤمن يكون إيمانه بالمعجزة خوفاً ورهباً لا إيمان قناعة ورضا، ولم يقم على قراءة الأسرار والإنباء بالطوالع والمستقبل بل خاطب العقل ليقنعه وارتفع بالضمير الإنسانى إلى حيث يجب أن يرتفع.

ألم تقم المسيحية على الخوارق والمعجزات التى كانت وسيلة الإقناع المكره؟ واليهودية على التنجيم والتنبؤ بالغيب؟.

«للبحث صلة»



بمناسبة عام ذكراه

إنصافٌ لشـ

تجديد شوقى

يتمثل تجديد شوقى فى القصائد التى كان يرسلها للخديو من فرنسا مملوءة بجديد المعانى وحديث الأساليب والتى كانت مدائح يبدؤها بالغزل ثم ينتقل منه إلى غرضه الأصلى وهو المدح لكن هذه القصائد لم تكن تعجب الجناب العالى .

■ الشعر المسرحى الذى بدأه برواية «**على بك الكبير**» وكان تعليق رشدى باشا عليها :

«**أما روايتك فقد تفكه الجناب العالى بقراءتها وناقشنى فى موضع فيها وناقشته وهو يدعو لك بالمزيد من النجاح ويجب ألا تشغلك دروس الحقوق التى يمكنك تحصيلها وأنت فى بيتك بمصر عن التمتع بقبس تستضىء به الآداب العربية**» .

■ وامتثل شوقى للأمر وأطاع النصيحة ورجع عن الشعر المسرحى الذى عاود الكتابة فيه بعد أربعة وثلاثين عاما من هذا الأمر الذى أطاعه أى فى سنة ١٩٢٧م .

■ ترجم شوقى قصيدة «البحيرة» للامرتين شعراً ثم أرسلها من فرنسا إلى الباشا رشدى .

وقد أنتج شوقى كثيرا من أدب الأطفال بأسلوب سهل سيار لأن لغته الشعرية فى هذا الأدب قريبة المعانى يسيرة المبانى وإن كان جانب الرمز فيها عميقا فهى ترمز إلى ما ترمز إليه القصة الخرافية عند «**ابن المقفع**» فى «**كليلة ودمنة**» ثم «**لافونتين**» ويقول شوقى فى ذلك :

« **جعل الشعراء للأطفال فى البلاد المتمدنة (كذا) منظومات قريبة التناول ، يأخذون الحكمة والأدب من خلالها على قدر عقولهم** » .

■ ويقول الدكتور «**طه وادى**» فى كتابه عن (شوقى والأدب العربى الحديث/ ١٠٤) وهو يعلق على قصيدة «**أمة الأرانب**» : والقصيدة على الرغم من بساطة التعبير فيها إلا أنها ثرية العطاء من حيث عمق البعد الرمزى فيها .

ومن عجيب بعد هذا كله أن يتهم شوقى بالتقليد

بقلم الدكتور / محمد أحمد سلامة

الاستاذ المشارك في الأدب والنقد
بالكلية المتوسطة بالمدينة المنورة

(٢)

...وقي والشوقيات

والوقوف عند ما وجدناه عند القدماء وله هذا التجديد الذى أشرنا إليه.

زاد الشاعر عند شوقي:

رأى شوقى أن على الشعراء أن يجمعوا فى مسيرهم على الدرب بين أزواد ثلاثة:

الزاد الأول: ثقة الإنسان من كون الشعر فى طباعة، وهذا هو الشرط الأوجب، وعليهم أن يأخذوا بأيدى الأطفال إذا أنسوا عندهم هذه الهبة.

الزاد الثانى: أخذ العلوم وتناول التجارب، لأن الشعر لا يخرج عن كونه أخبارا وحكمة وهما لا يكونان إلا من حكيم مجرب.

الزاد الثالث: ألا يأخذ الشاعر الشعر حلية على عطل من سائر أمور الدنيا وأشغالها، فإن كان ولابد من التفرغ للأدب حباً به وطلبا للكسب فليكن هو اليتيمة القعساء فى عقد علومه، وصاحب العلم فى موكب فنونه لا ينافى تعاطيه الكتابة نثرا فى جميع المطالب وضروب المواضع، فإنه لا يجد الشعر وسلطانه عندئذ إلا مرشدين أمينين وذخرين ثمينين.

ويضيف رابعا: أن يتقن بعد هذا عمله ويحرص عليه ليترقى فيه وأن يخاف ربه من الغرور ويخشاه فى إيذاء خلقه وحينئذ ينكشف له سر النجاح ويحرز قصب السبق فى حلبة الكتاب والشعراء.

بعض الأغراض الشعرية لشوقي:

برع شوقى فى كل فن وجال فى كل غرض فمدح ووصف وتغزل وبكى وكان معبرا عن الوجدان الجماعى للأمة فقال الشعر الوطنى والقومى والإسلامى، ورجع للتاريخ يأخذ عنه الأمجاد ويروى عنه البطولات مثيرا للهمم موقظا للعزائم.

ومن حق القراء علىَّ فى هذا المقال أن أعرض بعض نماذج من شعره فى بعض الأغراض وبخاصة تلك التى ذكرها عن الشعراء الذين قرأ لهم وتأثر بهم:

الطبيعة :

ذكر شوقى قيمة الطبيعة للشاعر . . وأبان أن الكون ملك يقف الشعراء ببابه يأخذون عنه ويستلهمونه ويتعلمون منه فهو كتاب مفتوح يجد فيه الشعراء مالا تعيه صدور العلماء . . وقد وقف شوقى فى محراب الطبيعة يتأملها ويتعلم منها ويأخذ الكثير من المعانى ويتملى روعتها الخلابة فتفيض نفسه بالسحر الحلال . . وقصيدة «**النخيل بين المنتزه وأبى قير**» قد صاغها تأثراً بمشهد النخيل الذى رآه وسار تحت ظلاله رافعا بصره حينا ومطرقا حينا منطلقا تحته ذهابا وجيئة . . ثم يملى على أمين سره «سكرتيره» أحمد عبد الوهاب أبو العز جملة من الأبيات ويكرر الانطلاق والتأمل . . ثم يملى عليه جملة أخرى من الأبيات . . وهكذا حتى تتم القصيدة وفيها يقول عن نتاج النخيل :

طعام الفقير وحلوى الغنى
وزاد المسافر والمغترب

■ **وانفعل شوقى بالنيل وله قصيدة تغنى مطلعها :**

من أى عهد فى القرى تتدفق
وبأى كف فى المدائن تغدق
ومن السماء نزلت أم فجرت من
عليا الجنان جداولا تترقرق
وبأى عين أم بأية مزنة
أم أى طوفان تفيض وتفهق
وبأى نول أنت ناسج بردة
للضفتين جديدها لا يخلق

● وفيها إشارات تاريخية إلى تابوت موسى وجمال يوسف . . وإشارات دينية عن صلاة مريم على أرض مصر وعن خطا المسيح . . ثم يشير إلى فتح مصر والصحابة الذين حملوا معهم الهدى إليها . . يقول عن عمر رضى الله عنه :

بعث الصحابة يحملون من الهدى
والحق ما يعيى العقول ويفتق
ما كانت الفسطاط إلا حائطا
يأوى الضعيف لركنه والمرهق
وبه تلوذ الطير فى طلب الكرى
ويبيت قيصر وهو منه مؤرق

فالقصيدة عن النيل ومع ذلك استلهم التاريخ والدين ورجع إلى القديم يستقى منه ويبدع . . وكأن القصيدة ـ كما قال شوقى عن امرىء القيس ـ أثر فى البيان مستقل وبنيان قائم برأسه .

ويقول عن خميلة الظباء :

وخميلة فوق الجزيرة مسها
ذهب الأصيل حواشيا ومتونا،
كالتبر أفقا والزبرجد ربوة
والمسك تربا واللجين معينا
وقف الحيا من دونها مستأذنا
ومشى النسيم بظلها مأذونا
وجرى عليها الماء يقذف فضة
نثرا ويكسر مرمرا مسنونا

وهى فى مبناها ومعناها وحلاوة جرسها وحسن إيقاعها من السهولة والسلاسة بحيث يضمن لها السيرورة والخلود .

الغزل : قال شوقى شعرا يحكى ذكرياته فى اللهو والصبا وتغزل فيه وذكر وجده وحنينه . . وفى قصيدة «زحلة» يتذكر ما كان وينادى جارة الوادى فى لبنان فيقول :

يا جارة الوادى طربت وعادنى
ما يشبه الأحلام من ذكراك

مثلت فى الذكرى هواك وفى الكرى
والذكريات مدى السنين الحاكى

وفيها :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عينىّ فى لغة الهوى عيناك
ومحوت كل لبانة من خاطرى
ونسيت كل تعاتب وتشاكى
لا أمس من عمر الزمان ولا غد
جمع الزمان فكان يوم لقاك

ومن غزله :

الله فى الخلق من صب ومن عانى
تفنى القلوب ويبقى قلبك الحانى
صونى جمالك عنا إننا بشر
من التراب وهذا الحسن روحانى
أو فابتغى فلكا تأوينه ملكا
لم يتخذ شركا فى العالم الثانى
السر يحرسه والذكر يؤنسه
والشهب حوليه بالمرصاد للجانى

وفيها يقول :

مرى عصىّ الكرى يغشى مجاملة
وسامحى فى عناق الطيف أجفانى
كفى خدودى من عينى ما شربت
فمثل ما قد جرى لم تأت عينان

● وربما كان فى هذا يتبع طريق العباس بن الأحنف الذى قال عنه :

إنه مرسل الشعر كتبا فى الهوى ورسائل ومتخذه رسلا فى الغرام ووسائل».

● والظاهر أن غزل شوقى كان قريب المأخذ سهل



المعانى . . وكان شوقى خجولا لم يطل فى هذا الموضوع مما جعل حسن كامل الصيرفى يصف غزله بالسطحية وعدم العمق ولم يصل به إلى قوة التأثير ونقل التجارب كغيره من الشعراء .

القصص الخرافية

على مثال «كليلة ودمنة» من حيث المضمون لا الشكل فقد صاغها شوقى شعرا ، وقد تأثر فيها أيضا بـ «لافونتين» وأراد منها أن يعلم الأطفال فيأخذوا منها

الحكمة والأدب، ونرى هذا فى قصيدة «**أمة الأرانب**» حيث حكى لنا فيها أن جماعة الأرانب كانت غنية مبتهجة بوطنها موئل عيالها وحريمها وقد تجرأ عليه الفيل واتخذه طريقا ومزق الأصحاب والرفاق مما أثار الأرنب الذكى الذى ناداهم بالاتحاد لأنه قوة الضعاف وأخذت الجماعة تفكر فى طريقة للخلاص من ظلم الفيل.

فقال أحدهم: نترك الأرض للفيل ونرحل عنها.. لكنهم لم يستصوبوا رأيه.

وقال الثانى: نلجأ إلى الثعلب ليمدنا بحيلته.. ولم يستحسنوا ما قال.

فقال الثالث: اجتمعوا واحفروا على الطريق حفرة حتى إذا سار الفيل وقع فنستريح من شروره فأجابوه إلى ما طلب.. ويقول فى ذلك:

فاستصوبوا مقاله واستحسنوا
وعملوا من فورهم فأحسنوا
وهلك الفيل الرفيع الشأن
فأمست الأمة فى أمان
وأقبلت لصاحب النذير
ساعية بالتاج والسرير
فقال: مهلا يابنى الأوطان
إن محلى للمحل الثانى
فصاحب الصوت القوى الغالب
من قد دعا: يا معشر الأرانب

المسرحيات

وقد أبدع شوقى مسرحياته مستقاة من التاريخ المصرى والعربى ما عدا مسرحية «**الست هدى**» التى كانت من واقع المجتمع. وفى مجنون ليلى نجد:

ليلى : أقيسا تريد؟
ابن عوف : نعم
ليلى : إنه: منى القلب أو منتهى شغله

ولكن ارتضى حجابى يزال
وتمشى الظنون على سدله
ويمشى أبى فيغض الجبين
وينظر فى الأرض من ذله
يدارى لأجلى فضول الشيوخ
ويعتلنى الغم من أجله

وليلى ترفض قيسا مراعاة لتقاليد القبيلة التى تأبى أن تزوج من يشبب بابنتها.. ولكنها ـ بعد ذلك ـ تعيش فى صراع قاتل حين تحكم عاطفتها وهواها، وتحكم على التقاليد بأنها شيطان يقود لسانها إلى الرفض، وحين تعترف أن قيسا اهتم بها وأذاع شعره فيها ثم تقول:

قدرت أشياء وقدّر غيرها
قدر يخط مصاير الإنسان

ومراعاة تقاليد القبيلة والحرص على موقف أبيها نزعة كلاسيكية، وتحكيم الهوى والعاطفة والثورة على التقاليد نزعة رومانسية.. وقد كان شوقى يمزج بينهما فى أعماله المسرحية أحيانا.

من المراجع
١ـ أحمد شوقى والأدب العربى الحديث ... د. طه وادى
٢ـ حافظ وشوقى ...... حسن كامل الصيرفى
٣ـ حافظ وشوقى .... د. طه حسين
٤ـ الشوقيات .... احمد شوقى
٥ـ مجلة الهلال .... اكتوبر ١٩٨٢م
٦ـ النقد الأدبى الحديث .. د. محمد غنيمى هلال
٧ـ اثنى عشر عاما فى صحبة أمير الشعراء.. أحمد عبد الوهاب أبوالعز

ديوان المنهل

العدد
الثالث عشر
ذو القعدة ١٤٠٤هـ

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر



المشرف
محمود عارف

قصائد العدد

الشعر فن ، والفن رسالة غايتها تحقيق السعادة للإنسان .

والشاعر فى سبيل تلك الغاية لا يبالى باعتكار الدروب، فهو يمضى بدعوته ، وفداؤها خمائل الأعمار، مناجياً الله حيث سعادة العمر وزكاء الخير، مستلهماً من الطبيعة الفذة الألوان، مرسلا سبحاته وترانيمه، محلقاً فوق الغيوم، وتحت أفنان النجوم، وبين أجواز الفضاء، ممتطياً الظهر الجسور، ممتشقاً سيف الأمانى، وحينئذ يولى جحفل اليأس، ويخور شاهق الجهم، فقد جاء بالوحى شاعراً عبد الحق وصلى للجمال .

عواطف قلب مؤمن

بقلم :
محمد بن محمد العلمي

شطَّ المزارُ وهزَّني الْوَجْدُ
والقلبُ مني بلبلٌ يشدو
والشوقُ بالوجدانِ مُنْصهرٌ
وصَبَابَتي ما حدَّها حدُّ
في العشق سرٌّ ليس يُدْرِكُهُ
إلا ذووه ومن به اعْتَدُّوا
واللطفُ وصلٌ دائما أبدا
ومع المحبَّة يَقْرُبُ الْبُعْدُ
صدى المحيط الى الخليج غدا
يرويه عنَّا السَّهْلُ والنَّجْدُ
ومع الصَّفَاء تروق ملْحَمةٌ
منها اسْتَبانَ الحقُّ والرُّشْدُ
ومع الولاء تدوم مَرْحَمةٌ
في ظلِّ شَهْمٍ تاجُهُ الْمجد
وأرى الجمالَ مع الجلالِ لهُ
رمزين روح كليهما فرد
إن العروبة ملء مُهْجَتِهِ
ولسانُها الشكرانُ والحمدُ
فالطَّلْعَةُ الحسناء يسبْقُها
نورٌ مبينٌ حينما تبدو
وطبيعة الإنسان تطبَعُهُ
إذ ليس من رُجْحانها بُدُّ
فالقائدُ المِغْوارُ تحْرُسُهُ
عينُ الآلهِ فيصْدُقُ الوعدُ



من نخبــة الابطــالِ طينَــتُــهُ
إن الأسـود شعـارهـا (الـفـهْـدُ)
يسـعـى الـسـعـيـدُ لخير أمَّـتِـهِ
فيـعُـمُّـهَـا من سَعْـيـهِ الـسَّـعْـدُ
والـكـوثـرُ الـفـيَّـاضُ منـه روى
عقـلاً سليماً شاقَـهُ الْـوِرْدُ
إنَّ انْـتِـقَـاد الـذات سِيْرَتُـهُ
والـنهـجُ مِنْـهُ الـوَعْـىُ والجـدُّ
وإذا غفـتْ عَيْنٌ فإنَّ لهُ
قلبـاً نبـيـلاً دأبـه الـشُّـهْـدُ
و(الـقـدسُ) نادانـا فواجـبُـنـا
صدقُ الجـهـادِ ليَـخْـسـأَ الـردُّ
فبـالاتحـاد تـصـولُ دولـتُـنَـا
ويـعـزُّ فى ميدانهـا الْجُـنْـدُ
وشـفـيـعُ كلّ الخلق منـه أتـى
فَرَجٌ إذا الأزمـاتُ تشْـتَـدُّ
فهـو الـغـيـورُ على شريْـعَـتِـه
وبهـدْيِـهِ الأعـداء تَنْـهَـدُّ
والـعـهـدُ عهـدُ الله يجمـعـنـا
يا حبـذا الميـثـاق والـعـهـدُ
و(الـفـهـد) من (عبـد العـزيـز) له
سرٌّ به يتأكَّـدُ الـقَـصْـدُ
مثـلَ الجـدود الـغُـرِّ قامَ هنـا
بأمـانـةٍ يزكـو بها الخـلْـدُ
قد فاح من أسـمـى شمائـلـه
فى المؤمـنـين المِسْـكُ والـنَّـدُّ
والـصِّـنْـدُ (عـبـد الله) يحفظُـهُ
ربٌّ به يتـحـصَّـنُ الـعَـبْـدُ

من أنْـفـسِ الـدُّر الـيـتـيم لقـدْ
راق الـسـنـا وتكـامـلَ العِـقْـدُ
والـشَّـمْـسُ لا تُخْـفـى أشِـعَّـتَهـا
فمـع الحَـقـيـقَـةِ يَنْـتَـفِـى الضّـدُّ
والْـفـجـرُ من أبهـى مطـالِـعِـهِ
فى الـعـالـمـين نراهُ يمْـتَـدُّ
يا حارسَ (الـبـيـتِ الحـرام) ومَنْ
فى (طـيـبـةٍ) أنـسـامـهُ ورْدُ
دُمْ عمـدةَ الاسـلامِ منـتـصـراً
فمـع الـقـريحـة ينجـحُ الجَـهْـدُ
ولْـتَـنْـبَـقَ للآداب حاميـهـا
فالـشـعـرُ فيك مذاقـه شَهْـدُ
ومـن (الـربـاط) تحية ترقـى
نحـو (الـريـاضِ) يبـثُّـهـا الـوُدُّ
(حَسـنُ الـشـمـائـل) نَفْـحَـةٌ عُبِقَتْ
من أصْـلِـهـا يزهـو بها الْجَـدُّ
بمـسـيـرةٍ خضـراء ردَّ لنـا
صحـراءنـا وتحطَّـم الْـقَـيْـد
يحمـى الـسـلامَ يصـون حَوْزَتَـه
لم يُثْـنِـه حَسَـدٌ ولا حِقْـدُ
والـوالِـدُ الـبَرُّ الـرحـيـم له
يزهـو هنـا ويـفـاخـرُ الـولـدُ
(آلُ الـسـعـود) نُجِـلُّ موقِـفَـهُـمْ
فالـنَّـصْـرُ جاء به لنـا الْـوَفْـدُ
والـفـضْـلُ فضْـلُ الله يشـمـلُـنـا
ما حدَّه حصْـرٌ ولا عَدُّ
والـقَـلْـبُ يهْـتِـفُ «عـاش فهـد» كلما
شطَّ المـزارُ وهـزَّنـى الـوجْـدُ

مبايعة سنغالى :
لجلالة الفهد بن عبد العزيز

فيء وهجير

شعر :
أحمد محمد جيي

ما القوم قومى ولا الاوطان أوطانى
إن أسقطوا الدين عن أحكام أزمانى
ولا الرئيس رئيسى لا حكومته
حكومتى إنما لله إذعانى
كلا ولا حزبه حزبى ولا علَمٌ
قد زخرفوا علمى فى أيما آن
يارب خذ بَيْعَتى مع الرسول ومعْ
كل الخلائف منْ يَسْعَون للشان
ولْتقض فى مدتى شخصا أنيط به
من أمتى بيعتى مصداق إيمانى
أو لا فتعليقُها أمرٌ يحتِّمُه
ظرف الضرورة عن عذر وإدهان
يارب أسألك التوفيق فى زمنى
فى كل يوم فأنت الدهر فى شان
نُزِّهْتَ على كل عيب أو مُواصفه
يدرى بها الناس لم يوجد لك الشانى
لو شئت غيرَّتَ هذا الكونَ طبق ما
تبغى الشريعة من دين وإيمان
لو شئتَ للناس قلَّبْتَ القلوبَ إلى
أهدى الصراط بتصديق وإيقان
والدينُ إنْ فَقَدَ الأهلون قوَّته
فبابتلاء مِنَ المولى وإيهان
فالكفر فى طرب والدين فى حزن
والشر فى سعة والخير لم يان
والعلم مُغْتربٌ والجهلُ منتشرٌ
والبُطْلُ منطلقٌ والحق كالعانى
والصدق مُفْتَقدٌ والكذب مقتبل
والوعظ مُجْتَنَبٌ والقول للجانى
والقيد يُفْرضُ والافواه قد خَرسَتْ
ولا تلاقى إلا عند الحسان
كلُّ يغنى على ليلاه مُبْتَغياً
مباهجَ العيش فى سرٍّ وإعلان
هذا ينظم ألعاباً يؤيدها
وينفق المال فى الألعاب كالبانى
وذا إلى كرة الاقدام مستبق
باسم الرياضة يهواها بادمان
وذاك للغولف ولُيُوكا هوايته
أو للسباحة يهوى نحو قيعان
فصرتُ حيران فى قومى فمجتمع
كهذا ربِّ، فى ويل وخسران
لذا أوجه وجهى للحجاز ففى
تلك البلاد تناءى حكم علمانى[1]
بايعتُ فهداً على الاسلام عن بُعد
فليقبلن بيعتى وليدر أيمانى
يدى مددت بلا نزع لطاعته
وقد يمد لى الأيدى من الآن
أو لا فأىُّ مليك فى حكومته
حكم الشريعة فليقبل لبيعاتى
لأننى عالِىُّ الجنس فى هدف
بالرغم من أننى بالأصل سنغالى[2]
أوْ لا فأنَّى منبوذٌ بعلَّته
وإننى لغريب بين أوطانى

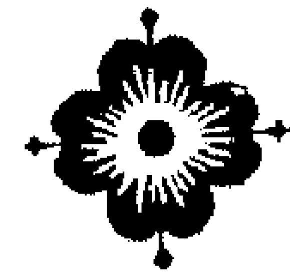
الهوامش

(١) لائكى
(٢) لغة فى سنغال

لبيك ربي

شعر:
أحمد السيد عوضين

لبَّيْــك ربى قد أتيتُــك ساعيــاً
أرجــو القبــول وأن تجيب سؤاليا
قلبــى تعــلقَّ هل ينــال المــرتجى
هلاَّ ارتــوى أم ما يزال الصــاديــا
هلاَّ يُلاقــى ما يودُّ من الــرضــا
إن يرض ربــى قد بلغتُ مناليــا



أدعــوك ربى حول بيتــك طائفــا
وإذا سعــيــتُ مكــبراً ومــلبــيــا
أدعــوك فى عرفــات يلقى جمعنــا
نورا من الإيمان يزكــو صافــيــا
أدعــوك ربــى والحجيــجُ جميعُهم
قلب توحــد فى الإلــه تسـامــيــا

روحُ تعــالــتْ فى نقــاء فى تقــى
حتــى رأتْ وجــهَ الحقيقــة باديــا
أدعــوك عبــداً قد تطــهــر بارئــاً
من كل ذنــب قد أتــاه تنــاسيــا
أدعــوك ربَّ الكــون يُصْلَح أمْرُنــا
حتــى يظــلَّ الحبُّ فينــا البــاقيــا
حتى نظــل على الصراط على الهدى
والحقّ نرجــو أن يكــون الهــاديــا
واجمــع إلهــى بالاخــوة شَمْــلَنــا
واجعــل لنــا عنــد الرسول تلاقيــا
سدِّد خطــانــا لانميــل مع الهــوى
ان تهدنــا فالخــير يصبــح زاكيــا
إن تهدنــا كانت سعــادة عمــرنــا
والــنصــر نلقــى لا محالــة آتيــا





بريشة : دكتور عبدالعزيز خوجة

اتيتك ربي بقلب منيب
لأرجو بعفوك محو ذنوبي
اجر ورائي جبال شقائي
واحمل وزري وكل عيوبي
اتيتك ربي وهل لي سواك
انيب اليه فانسى خطوبي
اتيتك ربي وكلي رجاء
بأني التجات لرب مجيب
اريد النجاة ومنك النجاة
وانت الملاذ لكل القلوب
الهي اناديك من بحر ذنبي
واني اخوض ببحر رهيب
فموج الخطايا يحطم عزمي
وشكوى الضمير تزيد لهيبي
اريد النجاة ومنك النجاة
وانت الملاذ لكل الخطوب

في أرض الكنانة

وطنـي هنـا.. وهنـاكَ في أرضِ الحِجـازِ سماؤه ومطالِعُـهْ
جسمي هنـا.. لكنَّ روحي بالمدينـةِ دارُهُ ومضاجِعُـهْ
جئتُ الكِنـانـةَ والرَّجـا أن تسْتجمَّ وتسْتظلَّ روائِعُـهْ
متطبِّباً ومكافحـاً.. والعلمُ غاياتٌ تسودُ مطامِعُـهْ
عاصرتُ ألوانَ الفنونِ وهزَّني أملٌ تجلُّ منافِعُـهْ
أن يستطيبَ لِيَ المقام هنـا.. وتصْفُـو للغريْب منابِعُـهْ
لكنَّه وطني الحجازيُّ العظيمُ تَشُدُّ فيَّ أصابعُـه
لأعودَ حيثُ توالد الإحساسُ للدنيا وصحصح سامعه
صابرتُ.. والقلبُ الكبيرُ بخَفْقَـه أبداً تثورُ طبائعُـهْ
متعلقاً موطنَ الأنوارِ حبَّاً لا تريم دوافعـهْ
كلُّ الديارِ حبيبَـةٌ.. وهَـوايَ طيبـةَ سرُّه ومرابعُـهْ
عامٌ وآخرُ.. بل ورابعُ.. والفؤاد له تَضُجُّ مواجِعُـهْ
وأرابَنِي.. حتى لقَدْ خِلْتُ الْبُعَادَ تكونُ فيـه مصارِعُـه
لم يُغْرِنِي مَرَحُ الحياةِ ولا اسْتَطَاعَتْ تسْتبِدُّ نوازِعُـه
وحزْمتُ أمْرِى للرحيلِ.. ومَوْطني نَصْبَ العيونِ ودائعـهْ
كَمْ هاجَ بي شوقي وأحلامي.. ولم تُذْبِل جواى مدامعـه

على متن السحاب

بالليل طارتْ كالبساطِ بنا (محلقـةً) تُغرِّبدُ في الجواءْ
وأزيزُها بضراوةِ الأشواق يَفْتَتِحُ الطريْقَ إلى السَّماءْ
فوقَ الغُيُوْمِ وتحت أفنان النُّجومِ وبينِ أجواز الفضاء
بالَـلْجمالِ وروعةِ الجَوِّ الفسيحِ ويالمنْطلق الضِّيَاءْ
نمضي على كتلِ القطيفةِ مسَّها النورُ البهيُّ من العُلاءْ
وكأنَّما نمشي على دربٍ من الدِّيْبَاجِ لوَّنه السَّنَاءْ
هذي مشاهدُ للطبيعةِ فذَّة الألوانِ خالعة الرِّداء
وتمُدُّ للآفاق بسْمَتَها وروْعَتَها.. وتَعْتَنِقُ الهواءْ
لله كَمْ هي متعةٌ أنْسَتني التفكيرَ في وطنِ السَّناءْ
حتى اقْتَرَبْنَا من جِمَى الآمالِ.. والأنوارُ تَدْفقُ بالنِّداءْ

ترانيم العودة
نظمت على ثلاث مراحل
في أرض الكنانة،
على متن السحاب،
في رحاب الرسول
صلى الله عليه وسلم

وسرحْتُ . واستذكرتُ طيبةَ والمرائى يوم جئْنا فى مساء
وبدتْ معالمها تلوحُ كرايةِ الإيمانِ تَخْفِقُ للعلاء
وأقول مُغتبطاً ومرأى قبلة الرُوّادِ يَسْبَح فى البهاء
هذى طلائعُ طيبة الزهراء رفَّتْ بالحياة وبالرّواء
هذى مآذنُها الوضيئةُ شامخاتٌ تشْرئبُ إلى السّماء
هذى الْقِبابُ الشاهقاتُ من المساجدِ بالجلال وبالصَّفاء
باهذه الأجواء جِئْنا لهفةً وحنينَ يرخصُ الفداء

فى رحاب الرسول

آبَ الغريبُ إلى مرابعه ومُنْتجع الجوانح والأمَلْ
وإلى نداء الرُّوح: حىَّ على الصلاةِ على الكفاح على العملْ
فهنا امْتزجْت بأرضِ أجْدادى ودين نبيِّنا أسْمَى الرُسُلْ
فى النور أمْرَعَ ناظرى وغذيت شهد الفنّ من نَبْع الأزلْ
وهنا رضِعْتُ من المحبَّةِ والقداسةِ وانتصرتُ على العِللْ
ورويْتُ من نَبْع الصفاء ونشوةٍ عزّتْ على الناس الأولْ
وهنا مِراحُ نواظر الفنّانِ للحلْم الجميْل وللغزَلْ
وصبابتى وجماعُ أخيلتى وإلهامُ الشعور وما حَمَلْ
وهنا مسارحُ فكرتى وخواطرى وملاعبُ الأمسِ العجِلْ
أمّى وأصحابى وإخوتُنا وخلانُ الصّبا . دنيا الأمل
وهنا مجالُ الطُّهر. والأصْواتُ تَصْعَدُ للسّماء بما نَزَلْ
مهدُ السلامِ ومَرْقدُ المحْبُوب سيِّدنا الوحيد بلا جدل
هادى الخلائقِ والمشرِّع . وهْوَ قائدُنا إلى أزْكى السُّبُلْ
وجوارُه أعظمْ به من موطن سادَ البلاد ولم يزلْ
عَوْدٌ على بدءٍ لنا أن نَسْتقيمَ هنا ونَرْفلَ فى الحُللْ
وأظلُّ جارَ الله أنْتهلُ الحقيقةَ . لا اغترابَ ولا وَجَلْ
وأواصِلُ البحْثَ الجرىءَ بهمةٍ لا تستنيمُ إلى الملَلْ
فرسالتى فكرى ومسئوليةُ الأدبِ المعبَّأ بالشعلْ
فينير دَرْبَ السالكينَ . ومنْ خطَا يبْغى العلومَ غدا بطلْ
ويعيشُ ثانيةً بما يبنى وبالذِّكْرى كأنْ لم ينفصلْ
فحياته تبقى.. يُخلِّدُها الجهادُ وما يُقدِّمُ مِنْ عَمَلْ

يوم عودة

بريشة الشاعر
عبد السلام هاشم حافظ





أذهلتها .. بالأربعين شجون
والقوافي أريجها من مرار
بالأيام عمري اليوم تسعى
ودجى الهول عاصف بالنهار
وجناح الأفراح فيها تلاشى
والأماني كريشة المنهار
جئت بالخير شاعراً غير أني
قد وجدت الدروب أسر اعتكار
وسأمضي بدعوتي لا أبالي
ففداها خمائل الأعمار
عن أساطير خطبنا قال قوم:
هي من وحي فلسفات العصور
أهو الخطب واحد كل عصر
ما تشتت بلواه في الديجور
أم مضى بالأنام من حقب الد
هر زمان وغاب خلف النور
وأتينا مع الجديد حيارى
بيأسي فصوله والنكير

إنها سنة الإله .. وهذا
من موازين شرعه المأثور
كان لي بين ربعهم والمقيل
ملعب طاهر بسهل جميل
أتملى آفاقه وأناغي
في أماسيه كل طيف جليل
نسجوه من النضار المصفّى
بالربيع المخضوضل المتبول
فعليه استوى نشيد فؤادي
وتغنى لفصله المأمول
غير أن الرياح هاجت بكوراً
وكأني أسيرها في الأصيل
يا عليماً بحيرتي واضطرابي
وشجوني وحسرتي واكتئابي
بين حزني وفرحتي ومشيبي
وبفوديّ نوره وشبابي
وذنوبي وماجنت هفواتي
في دياجير عالمٍ صخّاب

شعر :
شريف قاسم

جنتك اليوم هائما فى ليال
يا رحيما بعبرتى وانكبانى
فرّج الكرب وامنحنّى شفاء
فعيونى سخيَّة التسكاب
فى دجى الليل أسمعتنى غناها
خلف قبر مهدم بمداها
تسبح الريح حوله سافيات
لأنين .. صداه من بلواها
تلك أم الحياة تنشق يوما
بمآتى حضيضها وعلاها

لا تسلنى فلن أعق حنانا
منح الروح عابقاً من هواها
أين منى مشاعرى وشؤونى
غارقات برفرفات صداها
رب ليل بساطه سندسىٌّ
من ربيع القرآن والأذكار
ينفح الله مَنْ أقام صلاة
فى دجاه بعبرة وادّكار

ما ألذ السكون فى هدأة اللي
ل وأحلى بوارق الأنوار
قم تأمل بدائع الخلق فيه
وتدبر مشيئة الجبَّار
إنَّ عيناً لا ترمق السر فيها
هى عمياء ليلها والنهار
يا إلهى خلقتنى فوق أرض
ملأتها وساوس الشيطان
فأعنِّى على خواطر نفسى
وعلى كل شهوة وافتتان
شهد القلبُ أنك الوا
حد الحى وأن الصراط فى القرآن
غير أنى لضعف نفسى كئيب
بالخطايا والميل عن وجدانى
فامح يارب كل ذنب فإنى
تائب كل لحظة وأوان
هجعة الفجر من هوان نفوس
ليس تدرى مقامه المحمودا

تار

فاحـذر الـنـوم إن تغشَّـاك فجـرٌ
وتـلـمَّس قرآنـه المشـهـودا
وادع مولاك فالـدعـا مسـتـجـابٌ
وتـقـلَّب على الـرجـاء حميـدا
وإذا رمـتَ أن تكـون مع الله
فأكـثـر تسـبـيـحـه والسّجـودا
إنـما الـتـقـوى أن تعيش بها قد
أمـر الله والـرسـول.. سعـيـدا
أكـسـر الطـوقَ واقـتربْ من طريق
هو لله لا.. يحيـد سبـيـلا
واملك الهمـة الكـريـمـة وانهض
ودع الـزيـغ عنـك والـتأويـلا
واستـقـم ما استطعت تسق شرابـاً
منـه تشـفـى وإن أتـيـت عليـلا
ودع الناس إن أبوا النصح واغسل
ريـب دنـيـاك بكـرة وأصـيـلا
وتـوجـه إلـى الإلـه أمـيـنـاً
واحـفـظ العـهـد وانشـد المأمـولا
كل خطـب ألمَّ فيـه ثلاث
من خصـال متـبـوعـة بالـقـضـاء
منـه ما يرحـم المـصـاب ويـعـلى
باصطـبـار مقـامـه والـوفـاء
وبـه يغـفـر الـذنـوب لعـبـد
قد مشـى فى الحـيـاة بالأهـواء
وانـتـقـام من ثالـث عاش غيَّـا
ليس يرجـو الـرحمـن يوم الـلقـاء
فاحمـد الله إن أصـبـت بخـيـر
أو بشـر.. فذاك أمـر الـسـماء
كم أضعتُ السبيـل وهـو مديـد
وكـبـا حائـراً عليـه جوادى
ويـكـاد الـفـؤاد أن يدرك الـنـ
ـور ولـكـن يُردُّ دون الـوادى
إن قلبـاً مشـى بغـيـر ريـاضـا
ت سمـوٍّ وغـير خير الـزاد
لحرى به المـقـام أسيراً
بين قيـد الـعـنـا وغـل العـوادى
إن أردت الإلـه فاهـرع إلـيـه
ودع الـكـون مائـجـاً بالـعـبـاد
كلمات منـسـوجـة فى فؤاد
شيَّـدَتْـهُ طهـارة الإمـتـاع
إن هفت فى مسـامـع الناس كانت
بعض ما يرجـى للجـوى المـلتـاع
إنَّ قولا لا يـبـعـث الـدفء فيـه
نور صدق للفـكـر والأسـماع
لكـلام يخور دون مآتـيـه
ويهـوى بزيـفـه الـلمَّاع
لا يغـرنـك الـكـلام المسـجَّـى
فوق أطـبـاق محفـل صداع

شعر
كمال عبد الكريم الوحيدي
الدوحة

من وحي سورة الشمس المكية

ناقة صالح

سُبْحانَ مَن في الآي أقْسَمَ صادقاً
«والشمسِ» يحلفُ ربُّنا «وضحاها»
جلَّ الذي بقرآنه آلى بها
بالبدرِ يسبحُ تابعاً مسعاها
وبضوء صُبْحٍ إنْ تنفَّسَ باسماً
عِنْدَ الشُّروقِ ضياؤه جلَّاها
وبظلمةِ اللَّيلِ البهيمِ إذا سجا
فوق الدُّنا بظلامه يَغْشاها
رفعَ السماءَ وليس ذاك بمُعْجِزٍ
سبعاً بغير روافعٍ وبناها
وأزانَ دنياها بنور كواكبٍ
سبحانَهُ في فلكها أجْراها
كلٌّ يسيرُ على المدى بمداره
وقدِ استحالَ صِدامُها ولقاها
أخذت تضيءُ بفضله وجلاله
يهدي السَّراة لدربهم رباها

سبحانَهُ ذرأ الوجود بقدرةٍ
والأرض أحكم خلقها ودحاها
ولكي تظلَّ بلا اضْطرابٍ صانها
بالشامخاتِ جبالُها أرْساها

خلقَ النُّفوسَ وقدْ أحاطَ بكُنْهِها
وبفيضِ علمٍ مُبْدِعٍ سوَّاها(١)
ولها أبانَ سعادةً وشقاوةً
فلكلِّ نَفْسٍ فُجُورُها وتُقاها
قد فاز من عَبَدَ الآلهَ بخَشْيَةٍ
ترك الذنوبَ فذاكَ مَن زكَّاها
أمَّا الذي أرْخى العنانَ لنفسِهِ
فهو الذي بذُنوبِهِ دسَّاها(٢)
كثمودَ إذْ كفرتْ بقولِ رسولِها
قد كذَّبتْهُ وأعلنتْ طَغْواها
قال احْذَرُوها ناقةَ اللهِ التي
أُزْجي إليكمْ واحْذَروا سُقْياها(٣)
فَلَكُمْ نهارٌ تَسْتَقُونَ فحاذروا
ولها نهارٌ لا شريكَ معاها
وَعَتَتْ ثمودُ فلم تخفْ مِنْ ربِّها
فَبِخُفْيةٍ قد ارسلتْ أشْقاها(٤)
ومضى الحُقُودُ بخسَّةٍ ونذالةٍ
فعدا عليها باتراً أشلاها(٥)
فأحاطهم ربُّ الأنام بذنبهم
جلَّ الذي لم يخشَ من عقباها(٦)

---

(١) في الخلقة
(٢) أخفاها بالمعصية
(٣) شربها في يومها المعلوم
(٤) قدار الذي عقر الناقة
(٥) أشلاءها
(٦) تبعتها

يهواكِ قلبي يا عروبةْ ... مهما حلمتُ بسحرِ "طيبة" ..

ماذا على قلبِ المتيّـ .. ـمِ أن يحنَّ على الحبيبة !؟

عشقُ الذي يهوى الجمـا .. لَ لكلِّ حُسْنٍ لن يعيبه ..

كلُّ الحسانِ سهامهنَّ (م) إذا رمينَ بها مصيبة !

ولسحرهنّ على المشيـ .. ـبِ كما لهنَّ على الشبيبة

وأنا الذي عشقَ الجمـا .. لَ وباتَ مصطليًا لهيبه

أرضعتُ منذ طفولتي ... من ثدي ربّته حليبه

وذرفتُ منه مدامعي ... مهجًا على طرسي سكيبة

نقشت حروفي فوقه ... من كلِّ قافيةٍ خضيبة

فخطرن فيه كأنهنَّ (م) حكين من قلبٍ وجيبه

في موكبٍ تزهو البلا .. غةُ في مواكبه الطروبة ..

وكأنني علمٌ لهنَّ (م) وهنَّ في ركبي كتيبة !..

إن سرتُ في شعري أتيـ .. ـهُ فلن أتيهَ على الرتيبة ..

لكنّهُ عرسٌ أزفّـ (م) ـه المشاعرَ .. للحبيبة

أزجي به حقَّ الوفا .. ءِ من الأديبِ إلى الأديبة ..

حقَّ الوفاءِ إلى التي ... آوي لساحتها الرحيبة

أُسقى سلافةَ كرمها ... ورحيقَ كرمتها الخصيبة

بريشة الشاعر: خالد الرهاجي

عميد متقاعد، له اربعة دواوين تحت الطبع
يميل للشعر السياسي والوطني والإبداع عبر التورية

في أكؤس صاغ "الخليـ .. ـل" لها من الحلل الذهبية
يمضي الزمان إلى البلى ... وتظل في قدم فتية ..
يزري بها حسادها ... وتبسم في صمت مهيبة
وكأنها حلفت إذا.. ... نطق السفيه فلن تجيبه !!

حسبت التي كانت "لأحـ .. ـمد" في رسالته النسيبة
حسبت الذي من كان رد (٢) ... ـى عند محنته حسيبه
لا بد من يوم يعيـ .. ـد لتستعيد الأرض السليبة
ويعود مغتصب الحقو .. ق يشق من ندم جيوبه ..
من عاش يبرأ من دنا ... ءة فعله ذئب وذيبة ..
أنا إن ظننت .. فإنما ... ظني اليقين .. ولن أخيبه
نفسي بربي قد محت ... لليأس في نفسي دبيبه
لم يترك الإيمان بيـ .. ـن جوانحي في النفس ريبة
إن غاب بدرك في الغيو ... م فإن طلعته قريبة
أو غاب فجرك بالشرو ... ق فلن يطيل به مغيبه
من ضجعة الغافي تقو ... م به انتفاضته الرهيبة ..
وتذيب ثورته الجمو ... د وتسمع الدنيا عجيبه !؟

ليس من تشكو بجور

شعر :
أحمد محمود مبارك

سُدَّ هذا الْبـابَ واهْـدَأْ
طالما الـرِّيـحُ تمورْ
يمـرحُ الـشَّـمْـعُ ويُـفْـنـى
ظُلْمَـةَ الأَيَّـامِ نُور
سدّ لا تَشْـكُ زمـانـاً
ليس مَنْ تشـكـو بجورْ
إنَّـكَ الجـائـرُ دومـاً
فعـلى ماذا تثـور؟

عاشِـقَ الأَزْهَـار مهـلاً
أنْـتَ لنْ تجْنِـى الزُّهُـور
هل ترى للصـخْـرِ ثديـاً
منـه تقـتـات الْـبُـذُور؟
ابْـعِـدِ الْـبِـذْرَ عَنِ الْجَـدْ
ب وعـنْ ناب الـصـخـور
ليس كل الأَرْضِ صَخْـراً
ليس كل الأرضِ بُوْر
مُشْـتَـهٍ نجْـمَ الـلـيـالـى
مُشْـتَـهٍ ثَغْـرَ الحُـبُـور

مُشْـتَـكٍ جَهْـماً تراه
حول أيَّـامـك سُور
ليس هذا الْجَـهْـمُ إلَّا
منْ قنـوطٍ وفُـتـور
إمـتَـشِـقْ سَيْـفَ الأَمَـانـى
إمـتـطِ الظـهْـرَ الْجَـسُـور
جَحْـفَـلُ الْـيَـأْسِ يولـىّ
شاهـقُ الْجَـهَـمِ يَخُور
عالى الصـوتِ بشكـوى الْـ
أسْـرِ ممن تستـجـيرْ؟
حُرَّة ذلـك صارتْ
أمـة الـرجْـسِ الحـقـير
بقـيـود الـنـزْوة الحـمْـ
ـقـاء أصْـبَـحْـتَ أسـير
فلتثر روحـك أنـتَ الْـ
مُعْـتَـدى أنـتَ الْمـغِـيرْ
إن تشأ حُرِّيَّـة الـنَّـفْـ
ـس فلا تَبْـكِ الْمَـصِـيرْ
حَطِّـمِ الْـقَـيْـدَ بنـور الْـ
عَزْمِ فالْـعَـزْمُ مُنِـير

الشعر الشعبى

قضية للمناقشة الحرة

ومن المناقشة ينبثق النور

ما أحرانا وأجدرنا ثقاة ورواة وأدباء وعلماء ومثقفين أن ننحو للموضوعية التى يفرضها الحوار نستلهم منها الفضيلة ونستعذب فيها القصد ونتذوق حلاوته وطلاوته لنخرج بقرار سخي مفيد .. يستشعر الحقيقة ويفرضها .. ويعالج الواقع ويحجمه .. ويحفظ للضاد كينونتها وديمومتها ..

« المنهل »



يأبى أستاذنا الفاضل احد روّاد الادب العربى السعودى والشاعر الجهير والخطيب البليغ عضو مجمع اللغة العربية ـ الأمين على الفصحى ـ إلا أن يدافع عن الأزجال العامية التى يسميها اصحابها شعراً شعبياً ويحاول فرضها على ساحة الأدب العربى وإلصاقها بالتراث العربى الأصيل حتى فى مجمع اللغة العربية الذى رفض بإباء هذا الاتجاه الغريب . ,

ومع ما فى موقف الاستاذ الفاضل من غرابة ومناقضة لصفاته التى اشرنا إليها فى مستهل هذه الكلمة ، فإن المتأمل لابد أن يكتشف ان فى الأمر سراً يدفع هذا الجهبذ الى تبنى الأزجال العامية بما فيها من غثاثة وركاكة ومخالفة لقواعد اللغة العربية .

وقديما قيل فى الأمثال : « يمدح السوق من يربح فيه . »

والاستاذ الفاضل قد جمع كثيرا من هذه الأزجال العامية والف عنها وقد لقيت مجموعاته ومؤلفه فى هذا الموضوع رواجاً لدى العامة وبيعت منها آلاف النسخ وهذه نعمة من الله على شيخنا الجليل تقابل بالشكر والامتنان وتستحق أن يبذل أستاذنا ما يستطيع من

بقلم الفريق الأستاذ يحيى عبد الله المعلمي

في نظر ابن خميس

جهد للمحافظة على مصدرها والدفاع عنه دفاع المستميت.

ولكن الغريب ايضا أن استاذنا الفاضل عندما يعرض هذه البضاعة المزجاة من الأزجال العامية يختار نماذج من الشعر العربي الفصيح ويعرضها على أنها أزجال عامية بحجة ان قائليها لم يتعلموا اللغة العربية في المدارس أو الجامعات ولم يحفظوا ألفية ابن مالك ولا متن الاجرومية أو قطر الندى ولم يقرأوا شرح ابن عقيل أو شواهد القطر أو كتاب سيبويه ولم يدرسوا كتاب النحو الواضح باجزائه العديدة.

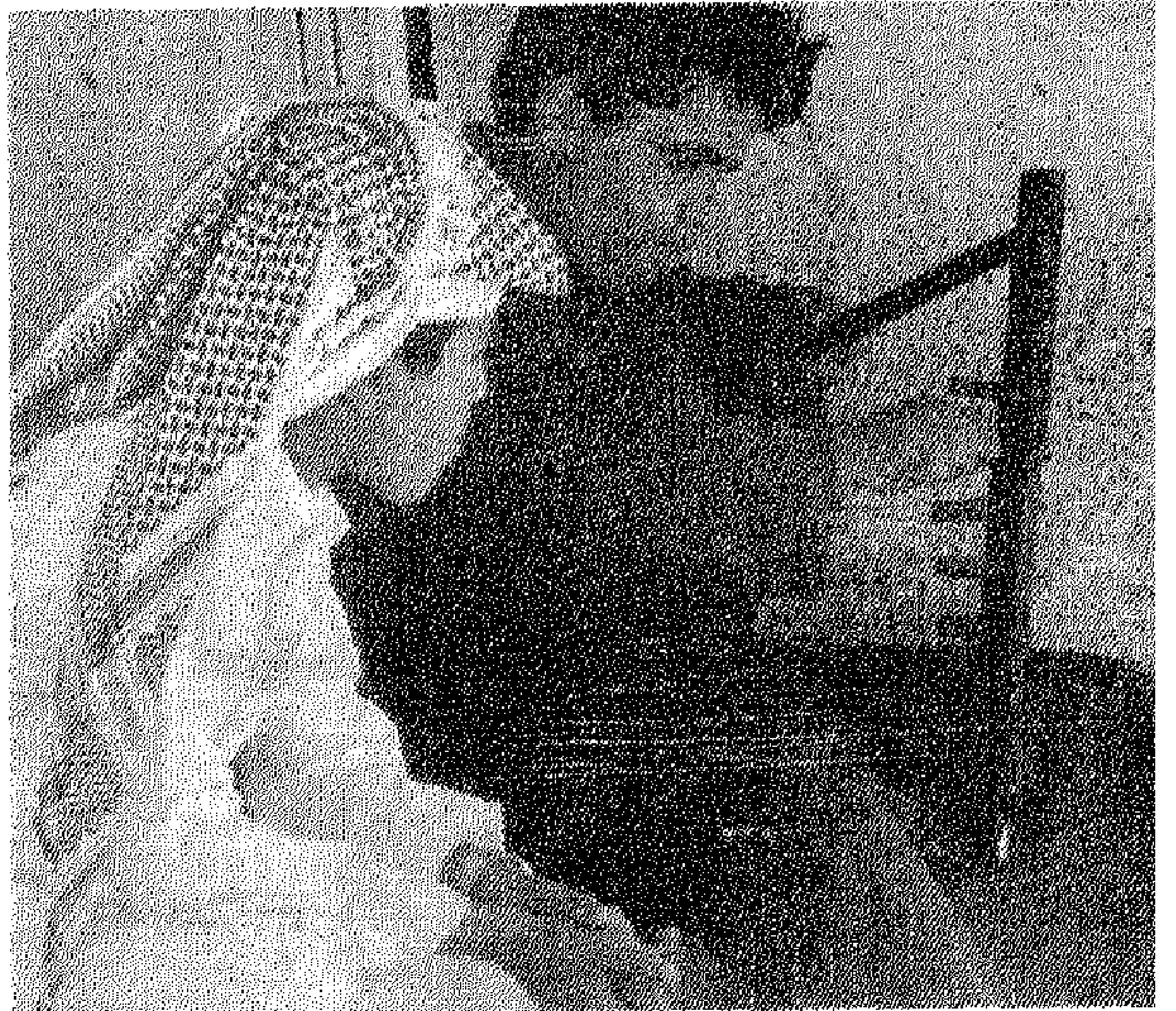

يحيى المعلمي — عبد الله بن خميس

وهو بهذه الطريقة يقلد بعض باعة الفاكهة الذين يضعون في وجه الاناء الذي يعرضون فيه بضاعتهم انواعا جيدة من الثمار فإذا رفع الناظر اليها هذه الطبقة من الثمار الجيدة لم يجد تحتها الا الحشف البالي والنفايات المعطوبة التالفة أو الرديئة.

وآخر ما اتحفنا به الاستاذ الفاضل من نماذج الشعر الشعبي (في مقالته المنشورة بالعدد الممتاز من مجلة المنهل الأغر الصادر برقم ٤٦ من السنة الخمسين لشهري شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ) ابياتاً جيدة لبركات الشريف ومحسن الهزاني وابي حمزة العامري.







ومن يقرأ هذه النماذج التى اختارها استاذنا الجليل بعناية الخبير الحصيف يجد أنها من الشعر العربى الفصيح الصحيح الذى لا غبار عليه ولا اعتراض وانما هو محل التقدير والاعجاب والاعتزاز .

واذا أخذنا برأى الاستاذ الفاضل واعتبرنا هذه النماذج الجيدة اشعاراً شعبية لجرد أن قائليها لم ينالوا حظا من التعليم الرسمى ولم يحصلوا على أى شهادة دراسية فإنه يجب علينا أن نعد كل ما نقل إلينا من تراث الشعراء الأقدمين اشعارا شعبية ، ويشمل ذلك المعلقات العشر والمذهبات والمنتقيات والنقائض والمفضليات والمختارات بل من الممكن أن ندرج تحت عنوان الشعر الشعبى دواوين المتنبى وابى تمام والبحترى وابن الرومى ومحمود سامى البارودى لأن هؤلاء الشعراء الذين خلفوا لنا هذا التراث المجيد الخالد من الشعر الجزل البليغ القوى الجميل الخالى من شوائب اللحن والأخطاء اللغوية البرىء من لكنة العامية ـ لم يتلقوا تعليما مدرسيا ولم يحفظوا المتون ولم يدرسوا الشروح .

وانها لدعوى عريضة . .

استاذنا الجليل . .

ان ما نقول نحن عنه إنه متمكن فى العامية وإنه معول هدم للغة العربية الفصحى ليس ما تعرضه علينا بين فينة

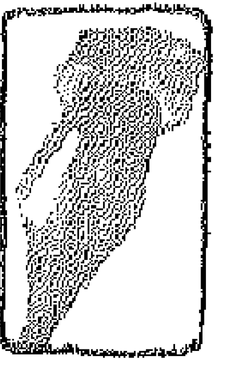
واخرى من نماذج جيدة من الشعر العربى الفصيح ونسميه شعراً شعبياً وانما هو ذلك الهذر الدخيل على لغتنا الجميلة من ازجال عامية لا تتقيد بقواعد النحو والصرف ولا يستقيم عودها ولا يقوم عمودها إلا بتحطيم قواعد اللغة العربية.

وانت بلا شك تحفظ الكثير من هذه الأزجال التى نعنيها ولكنك تتحرج من أن تستشهد بشيء منها كلما اردت الانتصار للأزجال العامية التى يسميها اصحابها شعراً شعبياً وما هى من الشعر فى قبيل ولا دبير.

وختاما . . فإلى استاذنا الجليل نهدى التحية والاحترام والشكر والاعجاب بما يتحفنا به من روائع الشعر العربى الفصيح من مقوله أو منقوله ونذكره ومن يؤيد دعواه بقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم: *﴿أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير﴾* ونرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا واياه من *﴿الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك هم الذين هداهم الله واولئك هم أولو الألباب﴾*.

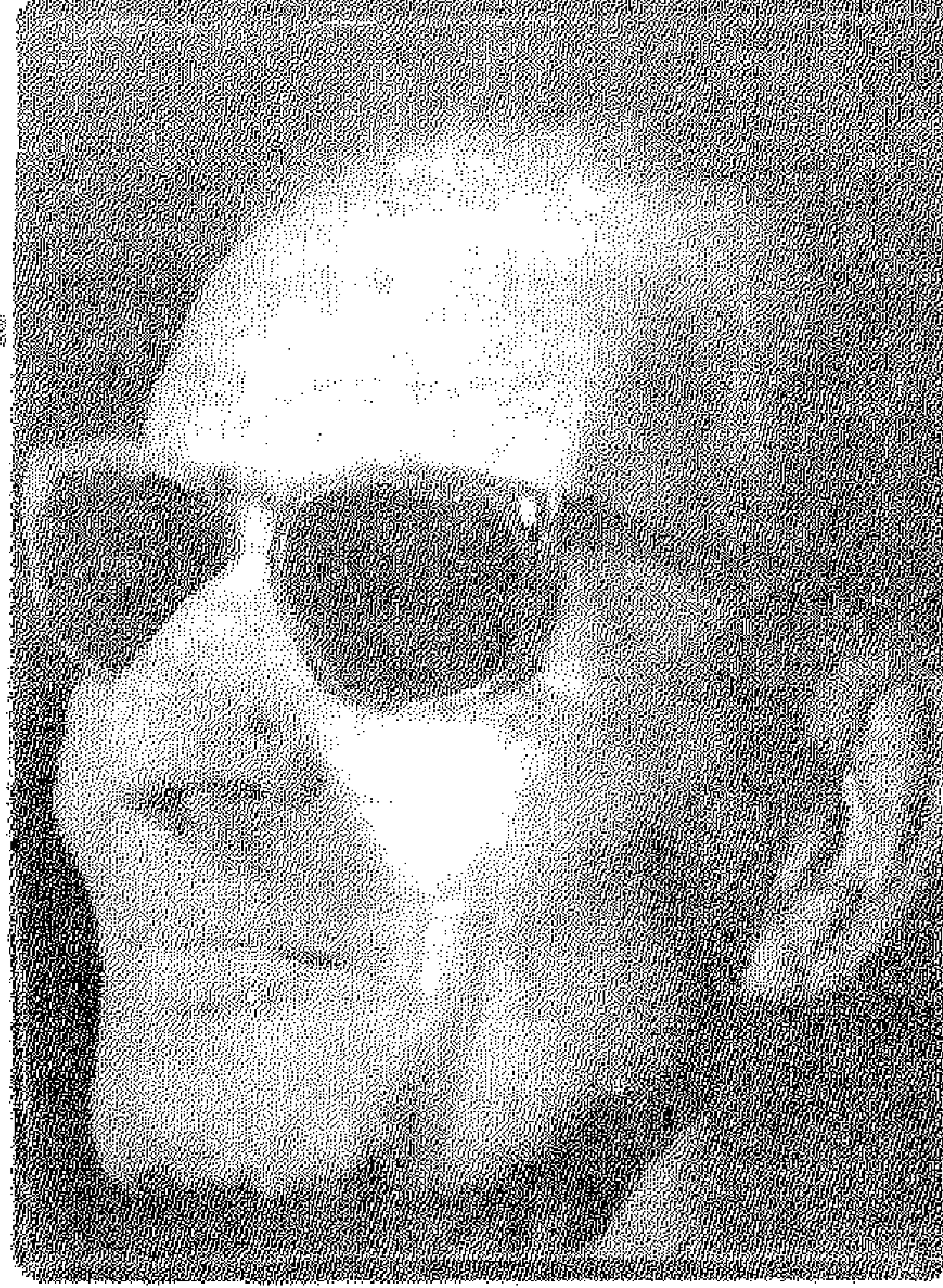
● كُتب الدكتور طه فى مجال السيرة النبوية ثروة إسلامية ذات عطاء

● العقاد: يفوق طه فى القصة أولاً وفى التاريخ الأدبى ثانيًا وفى النقد ثالثًا



مؤلف على هامش السيرة، ذو مجالات فى الكتابة الأدبية، فهو ناقد أدبى شهير، وهو مؤرخ يصطنع المنهج العلمى، وهو كاتب سياسى ينافح عن رأى يراه، وهو قاص لبق يصور الاحاسيس النفسية والبيئة الاجتماعية والذين يتحدثون عنه من الناقدين يرون أنه حين يكتب القصة التاريخية أو القصة الذاتية يكون فى أحسن مواقفه ويصدر عن أبرع ملكاته لأنه محدث لبق ومن شأن المحدث اللبق أن يحسن تقديم أحاديثه وأن يبرع فى تسلسلها وفى تلوينها وانسجامها، وهكذا هو حين يكتب القصة التاريخية أو الترجمة الذاتية يتصور نفسه محدثا حريصاً على هذه البراعة فى انسجام الحديث واختيار أعذب نواحيه وأوقعه تأثيرا فى تسلسل مطَّرد يدعو سامعه أو قارئه إلى المزيد، وقد فطن الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد إلى تفوق الدكتور طه حسين فى التصوير القصصى عنه فى غيره من المجالات الأدبية فقال: «إن قدرته ـ الدكتور طه ـ فى تاريخ العصور الأدبية تأتى بعد قدرته فى القصة أو كتابة القصة فهو يحسن إقامة الحدود بين العصور ويحسن تمييز كل عصر بميزة عامة ولكنه أقرب إلى حدود العالم منه إلى حدود الفنان، ويأتى طه حسين الناقد بعد طه حسين المؤرخ وبعد طه حسين صاحب القصة لأن المدار فى النقد كله على مقاييس الشعر والبلاغة الشعرية وليس نصيب الدكتور طه حسين فى هذه المقاييس بأوفى نصيب(١).

أحداث السيرة

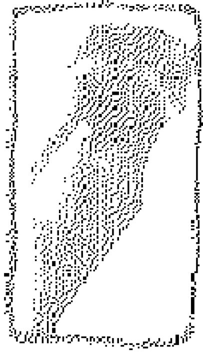




وطه حسين

بقلم الأستاذ الدكتور
محمد رجب البيومي

فالعقاد يرى تفوق طه فى القصة أولا وفى التاريخ الأدبى ثانيا وفى النقد ثالثا وقد يخالفه غيره فى ذلك ولكن الأستاذ سيد قطب رحمه الله ينحو منحاه حين يتحدث عن كتاب (على هامش السيرة) فيقول فى مقدمة حديثه (**ونستطيع أن نطلق على مدرسة الدكتور طه حسين اسم مدرسة الأسلوب التصويرى، فالدكتور فى خير حالاته يرسم لوحات متتابعة أدواته فيها الكلمات والجمل لوحات للمناظر وللحوادث وللمعانى وللخطوات النفسية والالتفاتات الذهنية على السواء وتلك ميزته الكبرى كصاحب شخصية أدبية**) . .

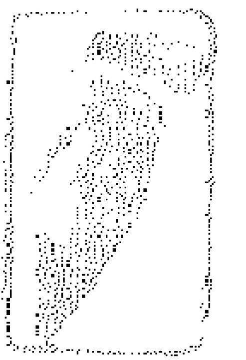


وبقى أن نعرف شيئا عن نوع هذا التصوير فى مدرسة طه حسين أو بتعبير أصح فى طبيعته، فهو التصوير الحسى، الذى يرد المعانى أو الخواطر صورا حسية أو كالحسية، بله ـ المناظر والحوادث ـ فهو يعيدها كما بدأت أول مرة توشك أن تكون مجسمة، وهو يخلع على هذه الصور الحسية لونا من ألوان الحياة والحركة ولكنها الحياة اللطيفة والحركة الوئيدة التى تدب هيِّنة وتخطر فى رفق فالسرعة النابضة والحيوية الدافقة ليست من مطالب هذه الصور فى يوم من الأيام.

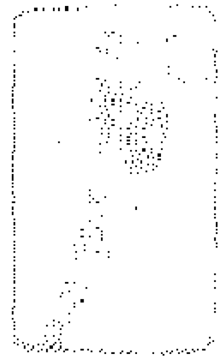
ثم استشهد سيد قطب على قوله بأنموذج اختاره من أحلام شهرزاد، وأحال القارىء إلى كتب الأيام وأديب ودعاء الكروان والحب الضائع، ثم اختار من

كتــاب (على هامش السـيرة ـ الجـزء الثـالث هذا النموذج ـ يتحدث عن الوليد ابن المغيرة).

(كان الشيخ مهيبا رهيبا وكان فخما ضخما قد ارتفعت قامته إلى السماء وامتد جسمه فى الفضاء وكان وجهه جهما عريضا تضطرب فيه عينان غائرتان بعض الشىء ولكنها على ذلك فى حركة متصلة لا تكادان تستقران وهما متوقدتان دائما ينبعث منهما شىء كأنه الضوء المشرق على هذا الوجه الجهم الغليظ، فإذا لحظتا شيئا أو أطالتا النظر اليه فكأنما تقذفانه بالشرر أو تسلطان عليه شواظا دقيقا قويا من النار، وكان الشيخ فوق هذا كله ذكيا حاد الذكاء نافذ البصيرة يتعمق ما يعرض له من الأمر دون أن يحس الناس منه تعمقا لشىء، يسأله الناس فيجيبهم لساعته جواب من فكر وقدر، وأطال التفكير والتقدير، فيعجبون منه ويعجبـون به، وكـان بعد هذا كله بطىء المشى ثقيل الحركة وقـورا فى كل ما يصدر عنه، وكان صوته يلائم هذا كله من أمره. فكان صوتا فخما ضخما عميقا يسمعه السامع فيخيل إليه أنه يخرج من غار بعيد القاع، وكان الناس يهابونه ويرهبونه كما كانوا يجلونه ويكبرونه فإذا سألتهم عن مصدر ذلك لم يعرفوا كيف يجيبون، وإنما كان هذا الرجل يبهرهم ويسحرهم ويملأ نفوسهم إكبارا وإعظاما فإذا ذكر الوليد بن المغيرة فقد ذكر سيد من أروع سادات قريش ورجل عظيم من رجال البطحاء(٢).



هذان رأيا العقاد وتلميذه سيد قطب فى أسلوب طه بعـامـة وأسلوبـه فى على هامش السيرة وما ينحو منحاه بخاصة وقد صدقا الابانة عما يريان وان كنت أرى أن الأستاذ سيد قطب رحمه الله قد تحيف أسلوب طه حين وصفه قال «إن السرعة النابضة والحيوية الدافقة ليستا من مطـالـب هذه الصور الأدبية فى يوم من الأيام، لأن على هامش السـيرة وكتـاب الأيـام بالذات يحفلان بكثير من الحيوية الدافقة التى لا تخرج عن طبيعة طه، كما يحفلان بالنبض السريع حين يتطلب الموقف الأدبى هذا النبض، فإذا احتاج الموقف إلى هدوئه وبطئه فهذا مالا حيلة فيه». . ولعلى بما مهدت به من رأى الناقدين الكبيرين العقاد وقطب فى ميزة المؤلف الأدبية أدل القارىء على مكانة على هامش السيرة والـوعد الحق من انتاج الأديب الذائع فهما حقا فى القمة من انتاجه دون نزاع، وقد عرف العقاد بشحه البـالـغ فى الثنـاء على الدكتور طه فإذا أثنى على قصصه التصويرى فلا اتهام إذن فى هذا الثناء بل هو حق موجـز يجىء فى نطـاق يجتهـد العقاد فى ايجازه لتنـافس حاد قام بين الـرجلين وكـان يُرى هادئا فى الصحف والمجلات ولكنه كان يتخذ طابع العنف فى المجالس الخاصة والأحاديث العابرة، وطالما هادن طه العقاد اجتنابا لخطره حتى إذا رحل قبله وجد المجال خاليا فعنف.



كتب الدكتور طه حسين فى السيرة النبوية ثلاثة كتب أولها «على هامش السيرة» فى ثلاثة أجزاء وثانيها «الوعد الحق» فى جزء واحـد. . وثالثها «فى مرآة الاسلام» حيث اتسع جانب فسيح منه إلى الحديث عن محمد «ﷺ» وقد ظهر أكثر فصـول الجـزء الأول من على هامش السـيرة متفرقا فى الصحف الأدبية قبل أن يجمع وكذلك ظهر أكثر فصول الجزء الثالث متفرقا فى مجلتى الرسالة والثقافة. أما الجزء الثـانى فقد ظهر كاملا فى حيزه الخاص. ولذلك دلالته الواضحة حيث لم تكن لدى المؤلف خطة مرسومة محددة فى تتابع فصوله على منحى معين بل كان يدرس موضوعاً مستقـلا من موضوعات السيرة النبوية ليصوره بأسلوبه القصصى كما يشاء ثم يعن له بعد الانتهاء منه موضوع آخر فيمليه، وقد ظلم المؤلف كتابه فعلا حين سماه (على هامش السيرة) وكان الأولى أن يسميه (فى آفاق السيرة) يشعـر القـارىء بادىء ذى بدء أن المؤلف لا يمس إلّا أطـرافا بعيدة هى الهامش وليست فى الصميم مع أنه لم يتعد الفصول التى اعتاد أن يتحدث عنها كاتبو التاريخ النبوى. . بل أقول ان الدكتور طه حسين فى جزئيه الأول والثالث وفى أكثر أبواب الفصل الثانى لم يخرج عما أتى به ابن اسحاق فى سيرته التى اختصرها ابن هشام. فالحديث عن حفر زمزم وفداء عبد الله وعن التحكيم واغراء فاطمة الخثعمية ورحلة عبد الله فى التجارة ثم موته بالمدينة وعن حادث الفيل وعن يتم رسول الله وكفالة جده وعمه إيَّاه وعن حاضنته أم أيمن ومرضعته حليمة السعدية كلّ ذلك وغيره مما ذكره كاتبو السيرة دون أن يشعروا أنهم يتحدثون على الهامش، بل فى اعتقادهم أنهم يبدأون الحديث فى صميمـه ومن داخله لا من هامشـه. هذا عن الجـزء الأول. . أمـا الجـزءان الثـانى والثالث فاذا أخذنا على

الكاتب الكبير استطراده الواسع فى تصوير الحالات السياسية والفكرية والاجتماعية والدينية لما قبل العصر النبوى فى الشرق والغرب استطرادا كاد يلتهم المقصود وإن دل دلالة تامة على تصوير العالم الإنسانى بأفكاره وتناقضاته وانحرافاته . .

إذا اخـذنـا على الكـاتب الكبير هذا الاستطراد الحافل فاننا نجد ماعدا ذلك من السيرة النبوية فى صميم الصميم .

نجد الحديث عن ورقة بن نوفل وخديجة بنت خويلد وتـزول الـوحى ورعى الغنم، وأبى لهب، وزيد بن عمرو. وعن الوليد بن المغيرة وأبى جهل وعُتبة بن ربيعة وشيبة والنضر بن الحارث، ثم عن حمزة بن عبد المطلب وجعفر ابن أبى طالب ومصعب بن عمير وزيد بن حارثة وابراهيم نجل النبى ووحشى وعداس وهند بنت ربيعة ومايتحو نحو هؤلاء وهل ذلك كله من السيرة المطهرة إلا فى صميم الصميم، وقد يقول قائل ان الدكتور يريد أن يشعر قارئه أنه يقص ولا يحقق لذلك يعتبر حديثه على الهامش ولكننا نرى هذا القصص صادق النسبة واقعى المنطق ونعرف أكثر تفصيلاته فيما نقرأ من الكتب النبوية فى القديم والحديث وأكاد أجزم أن الدكتور طه حسين لو أعفى قارئه من المقدمة التى كتبها فى مفتتح الجزء الأول لجعل الكتاب ينطق عن نفسه بأجلى بيان لأن هذه المقدمة قد أضعفت الكتاب فى غير داع وفتحت مجال الأخذ والرد بين المؤلف ومعـارضيه إذ تعـرض فيهـا لما كان يحسن السكوت عنه وحسبك أنه بدأها بقوله «هذه صحف لم تكتب للعلماء ولا للمؤرخين لأنى لم أرد بها إلى العلم ولم أقصد إلى التاريخ وانما هى صورة عرضت لى أثناء قراءتى للسيرة فأثبتها مسرعا لم أر بنشرها بأسا، ولعلى رأيت أن فى نشرها شيئا من الخير فهى ترد على أطراف من الأدب القديم قد أفلتت منهم وامتنعت عليهم). . ثم يفيض الدكتور فى مثل ذلك فيذهب إلى أن الأدب القديم لم ينشأ ليبقى كما هو ثابتا مستقرا إنما الأدب الخصب هو الذى يلذك حين تقرؤه لأنه يقدم اليك ما يرضى عقلك وشعورك لأنه يوحى اليك ما ليس فيه، ويلهمك ما لم تشتمل عليه النصوص. . وتطرق الدكتور إلى الحديث عن الالياذة اليونانية، فذكر أنها تقرأ لتثير اللذة والاعجاب فى كل وقت وفى كل قطر وهذا سرخلودها فقد ألهمت ومازالت تلهم الكتاب والشعراء وتوحى اليهم أروع ما أنشأ الناس من آيات البيان. . وفى أدبنا العربى كما يقول الدكتور - قدرة على الوحى وقدرة على الإلهام كأحاديث العرب الجاهليين أبطال القصص الشعبى. . إلى أن قال الدكتور ما نصه(٣)

(إلى هذا النحو من إحياء الأدب القديم ومن احياء ذكر العرب قصدت حين أمليت فصول هذا الكتاب ولست أريد أن أخدع القراء عن نفسى ولا عن هذا الكتاب لم أفكر فيه تفكيرا ولا قدرته تقديرا ولا تعمدت تأليفه وتصنيفه كما يتعمد المؤلفون انما دفعت إلى ذلك دفعاً وأكرهت عليه إكراها ووجدتنى أقرأ السيرة فتمتلىء بها نفسى ويفيض بها قلبى وينطلق بها لسانى وإذا أنا أملى هذه الفصول).

هذا الكـلام كله قد أضعف الكتاب، وباعد بينه وبين حقيقته لأن الدكتور قد اعتمد حقائق التاريخ حين تحدث عن الرسول ﴿ﷺ﴾ فهو (وان لم يكن مؤرخا فى كتابه) قد جاء بما يجىء به المؤرخون على نسق غير نسقهم التأليفى إذ أخذ المادة الواقعية الصادقة فى أكثر ما كتب مما كان فعلا لا مما تخيله الرواة. هذه واحدة أما الثانية فحديثه عن الالياذة فى هذا الموقف يشى بأن ما اعتمد عليه المؤلف خيال لا حقيقة فيه لأننا نعلم أن أبطال الالياذة وهميون لا حقيقيون وأن الذين استلهموا الالياذة قد وجدوا لديهم من الحرية ما ينقضون به كثيرا من أعمال هؤلاء كما جاءت على لسان هوميروس فيقلبونها ظهرا على عقب وهذا مالا يستطيعه كاتب ما فى سيرة رسول الله، بل هذا ما حرص الدكتور طه حسين أن يؤكده حين قال فى المقدمة نفسها :

(وأحب أن يعلم الناس أيضا أنى و ثقت على نفسى فى القصص ومنحتها من الحرية فى رواية الأخبار واختراع الحديث مالم أجد به بأسا إلا حين تتصل الأحاديث والأخبار بشخص النبى أو بنحو من أنحاء الدين فإنى لم أبح لنفسى فى ذلك حرية ولا سعة وانما التزمت المتقدمين من أصحاب السيرة والحديث ورجال الرواية، وعلماء الدين) وحسناً فعل.

وإذا كانت أكثر الفصول تدور على حياة الرسول ومن اتصل بهم واتصلوا به من أصحابه وخصومه فقد التزم الدكتور فعلاً بما كان ولم يستبح لنفسه ما نص عليه إلا فى استعراضات هامشية خارجية لا فى وقائع أصيلة داخلية ففيم هذا الضجيج الذى ضجت به المقدمة

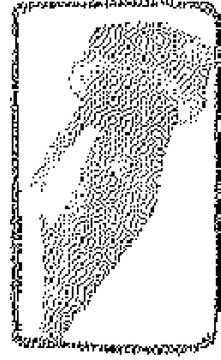
دون داع . ثم إن جعل السيرة نمطا من الأدب القديم كقصص الجاهلية وأحداث عنترة مرفوض من أصله وكان على الدكتور أن يعلم أن الأدب القديم والأدب الحديث معا لدى المسلمين جميعا دون وقائع السيرة المطهرة وأحداثها الشريفة ولمن يريد أن يتحدث عنها أن يستشعر من التهيب الحذر ما نجده فعلا لدى الدكتور حين يتحدث عن رسول الله ولكننا لا نجده فى المقدمةالتى شاء أن يحدث بها ضجة دون داع، فكان يحارب فى غير ميدان .

أذكر أن الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف حياة محمد ﴿ﷺ﴾ قد عارض هذه المقدمة معارضة حادة فى بحث جاء نشره فى ملحق السياسة الأسبوعية دسيمبر سنة ١٩٣٣م وقد تعرض إلى حياة الدكتور طه طالباً فى مصر وباريس وجامعيا ثائرا يؤرخ للأدب الجهلى ويرمى أكثره بالانتحال والتزييف ثم داعياً إلى اصطناع الأسطورة فى أحداث السيرة . . وقد أفاض الدكتور هيكل فى ذلك إفاضة تجاوزت السطح إلى أعمق الأعماق من دخائل النفس حتى انتهى إلى قوله (ملخصا من كتاب المعارك الأدبية)(٤).

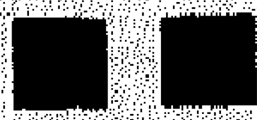
(ان أدب الأسطورة هو أخصب ألوان الأدب، ويزيدها خصبا أن الكاتب والقارىء يعرفان جميعا أن المادة التى تعالج هى نوع من الأسطورة فلا جناح إذا أطلق الكتاب فيها لأنفسهم العنان فأبدعوا من خيالهم ما يزيد هذه الأساطير رقة وعذوبة لا تحولان دون قول بعضهم (أعذب الأدب أكذبه) ولذلك أستميح طه العذر إن خالفته فى اتخاذ النبى ﴿ﷺ﴾ وعصره مادة لأدب الأسطورة) .

ثم أشار الكاتب إلى ما ذكره طه من أخبار تتعلق بمولد الرسول، وزيادات لفقت تلفيقا وتناقلها الرواة دون تمحيص فقال :

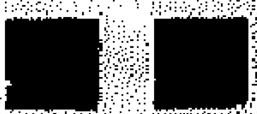
وطه يعلم أكثر مما أعلم أن هذه الاسرائيليات انما أريد بها أساطير ميثولوجية إسلامية لافساد العقول والقلوب من سواد الشعب ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبه إلى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه، وقد كانت هذه غاية الأساطير التى وضعت عن الأديان الأخرى ومن أجلها ارتفعت صيحة المصلحين الدينيين فى مختلف العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام . . ومن أجل ذلك أود أن يفصل طه فيما يكتب من بعد من فصول تجرى مجرى على هامش السيرة بين ما يتصل بالعقائد ومالا يتصل بها .

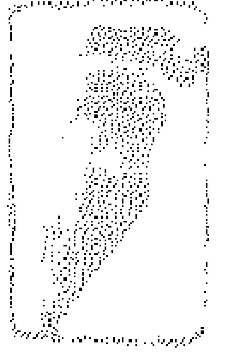


هذا ما قاله الدكتور محمد حسين هيكل متأثرا بما قاله الدكتور طه حسين فى المقدمة ولكننا نرجع إلى الكتاب نفسه فلا نجد فيه غير المتعارف الشائع فى كتب التاريخ الاسلامى قد قصه المؤلف بلسان عربى جذاب . . والدكتور طه أشد الكاتبين وضوحا فهو لا يتعب قارئه إذا تحدث فى مسائل النقد والأدب والاجتماع وأحرى به ألا يتعبه إذا كتب القصة التاريخية بسهولة عذبة آسرة . . وأنت تجد الباب الأول يتحدث عن حفر زمزم بما لا يخرج فى لبابه عما رواه السابقون، وأذكر أن الدكتور قد ذكر فى الهوامش بعض المراجع كطبقات ابن سعد والاصابة وتاريخ الطبرى وتفسيره ولكن موازنة سهلة بين فصول الجزء الأول الذى تصدرته المقدمة والجزء الأول من السيرة النبوية لابن هشام تدلك على أنها مرجع الدكتور الأول مرجعه فى حفر زمزم وفى الفداء وفى التحكيم وفى الاغراء وفى كل ما ذكر عن حروب تُبَّع باليمن . بل إنها مرجعه فيما ذكره عن (كيمون) فى موضوع البشير مع إضافات خيالية اقتبسها الدكتور من ثقافته اليونانية .



«على هامش السيرة»، "الوعد الحق" فى القمة من إنتاج الدكتور طه حسين دون نزاع .





وقد أشار الدكتور هيكل إلى ما ذكره طه عن ارهاصات المولد النبوى ودلالاته وكلها مدونة فى كتب الأقدمين وإذا تحرر الدكتور هيكل عن سردها فى حياة محمد لضعف اسنادها فقد يراها غيره كرامة لا تستبعد . . وقد أحسن الدكتور التعبير عما تضمنت صحف السيرة القديمة من هذه الخوارق فعرضها عرضاً رائعاً تهوى إليه نفوس المؤمنين حين يسمعون أحاديث البشائر بميلاد أشرف إنسان فى الوجود . . وأى ضير أن يتلو القارىء ما ذكره المسلمون السابقون فى أمهات الكتب التاريخية مفصلاً فى أسلوب مؤثر حتى ترف له الجوانح مشوقاً ويتغلغل أثره بالقلوب فتكاد تطير طيرانا . . أى ضير فى أن يقرأ الدكتور طه حسين هذه الخوارق ثم يسجلها فى شفافية واشراق ووهج حين يقول متحدثا عن ليلة ميلاد رسول الله .

(هناك دعت «آمنة» اليها من حضرها من نساء بنى هاشم فأسرعن إليها وقضين معها ليلة لا كالليالى أنكرن فيها كل شىء، أنكرن حتى أنفسهن، فقد رأين ما لم ير أحد وسمعن ما لم يسمع أحد وأحسسن ما لم يحس أحد ولم تكن آمنة أقلهن انكارا واكبارا واعجابا فقد كانت ترى وهى يقظى غير نائمة أن نورا ينبعث منها فيملأ الأرض من حولها ويزيل الحجب عن عينها، وكانت تنظر فترى قصور بصرى فى أطراف الشام، وكانت تنظر فترى أعناق الإبل تردى فى أقصى الصحراء، وكانت لا تتحدث إلى من حولها بما ترى مخافة أن ينكرن ما تقول وأن يظنن بها الظنون، وكانت هذه من صاحباتها لا تمد طرفها إلى شىء حتى تراه نورا كله لا ظلمة فيه وانما هو مشرق مضىء أو هو الاشراق الخالص، وكانت هذه الأخرى صاحبتها تنظر، فإذا نجوم السماء تدنو من الأرض وتمد إليها أشعة قوية باهرة ساحرة وأنها لتدنو وتدنو حتى يخيل إلى الرائية أنها توشك أن تمسها وتقع عليها .

وكانت هذه الأخرى من صاحباتها ترى ظلمة مظلمة قاتمة وتأخذها رعدة قوية ناهكة ويلم بها شىء كأنه النوم تسمع أثناءه صوتا مهيباً رهيبا يسأل : إلى أين ذهبت به؟ فيجيبه صوت مهيب رهيب إلى المشرق، ثم ينجلى عنها ما ألم بها فتفيق، ثم يعاودها ما كانت فيه فإذا ظلمة قاتمة وإذا رعدة قوية ناهكة، وإذا غاش يغشاها كأنه النوم، وإذا هى تسمع الصوت المهيب الرهيب، أين ذهبت به؟ فيجيبه صوت مهيب رهيب إلى المغرب، ثم ينجلى عنها ما هى فيه فتفيق .

وكذلك لم تدن السماء من الأرض كما دنت هذه الليلة، وكذلك لم ير الناس من الأعاجيب كما رأى هؤلاء النساء فى هذه الليلة، ولم تكن آمنة على هذا كله تجد ألما قليلاً أو كثيراً إنما كشف عنها كل حجاب ورفع عنها كل غشاء وخلى بينها وبين عالم من الجمال الذى يرى ومن الجمال الذى يُسمع ولا عهد للناس بمثله، ثم ترى ويرى صاحباتها كأن شهاباً انبعث فملأ الأرض من حولها نوراً يبهر الأبصار، ثم ترى فإذا ابنها قد مس الأرض يتقيها بيديه رافعاً رأسه للسماء محدقا ببصره إليها كأنما يلتمس عندها شيئا، ثم تسرع صاحباتها إليه وإليها ليؤدين لها وله ما تحتاج إليه الأم حين تمنح الحياة، وما يحتاج إليه الابن حين يستقبل الحياة، فإذا هى لا تحتاج إلى شىء، وإذا هو لا يحتاج إلى شىء، وإذا هن يتناولن أجمل صبى وأروع صبى وأبسرع صبى وإذا قلوبهن قد امتلأت بأن الأرض قد استقبلت وليداً لا كالولدان).



اللهم ان هذا كلام يهز قلب المسلم هزا، وانه ليبعث فى النفس روعة لا يجد مثيلها فى نظائره، فإذا كان الدكتور هيكل يلتزم بأن يذكر الكاتب عن رسول الله ما يصدقه غير المسلم ممن لا يذعن لغير المنطق الصارم فله أن يكتب كتابه على النحو الذى يريد. ولكننا ـ نحن المسلمين ـ فى حاجة إلى مثل هذا النسيم المنعش يهب على الأرواح فيشملها بما يحمل من عبير ليكتب المحقق بلسان المحقق وليكتب الأديب القاص بلسان الأديب الفنان . . ولكل قارىء طعامه الذى يشتهيه .

هذا التصوير الحى النابض لما رأت الناظرات من المشاهد قد دونه الدكتور فى فصل كتبه تحت عنوان (اليتيم) وهو فصل قد رزق فيه الكاتب الكبير من براعة التصوير وعمق الاستشفاف وحسن التناول وقوة الاستماع إلى أدق الخوالج وأرق المشاعر بين نبضات الدم وطيات اللحم مالا أظن كاتبا يوفق إلى أكثر منه إبداعا واتقانا . . لقد ركز الدكتور هذا الفصل الرائع على تصوير خوالج الأب الحزين عبد المطلب نحو ولده الراحل عبد الله وحفيده القادم المنتظر، وعلى تصوير عواطف آمنة بنت وهب الزوجة المفجوعة بزوجها دون إمهال والمترقبة مشرق ولدها فى حيرة لا تدرى معها كيف تطرد به وبها الحياة فى مسلكها الفسيح .

وقد جاء هذا الفصل من الكتاب عقب فصل تحدث فيه المؤلف عن حادثة الفيل فأبدع فى تصويرها إبداعا جعل الدكتور زكى مبارك يسير فى الرسالة إلى أنه أقوى الفصول فى كتاب على هامش السيرة حيث قال عن مؤلفه انه ليس له غير فصل الراهب . . ولكل ناقد ذوقه الخاص . . وكان على الدكتور زكى مبارك أن يحتاط فيعلن أن موضوع الراهب قد أعجبه أكثر من غيره لا أنه هو وحده المتميز فى الكتاب إذ أن ما كتبه الدكتور طه فى كثير من فصول على هامش السيرة لا يقل عما أعجب به الدكتور مبارك وها أنذا أتحدث عن موضوع اليتيم بما يقدم الدليل على أن مواضع الجودة متعددة فى هذا الكتاب النفيس أجل لقد تحدث المؤلف عن عواطف عبد المطلب وعواطف آمنة بعد حادث الفيل ووفاة عبد الله واشبعها واوفاها .

وإذا كان الدكتور قد أخرج الجزء الثانى مستقلا كاملا دون أن ينشر شيئا منه فى الصحف الأدبية فقد أتاح له هذا الاستقلال أن يتوسع توسعا جاوز حد الاعتدال فى تصوير الحالة الدينية والفكرية فى الدولة الرومانية وما يخضع لها من الشعوب، فتحدث عن التحكم القيصرى وعن الإرهاب الفكرى والمبادرة بالعقاب لدى كل اتهام يقال دون تحقيق، وقد أعانته ثقافته اليونانية كما ذكرنا من قبل على أن ينشىء حواراً ترجع أصوله إلى أقوال أفلاطون وغيره من الحكماء، وقد خرج من ذلك كله بنتيجة تعلن فساد الوثنية والمسيحية معا إذ عجزت الأولى عن اقناع الفكر البشرى بما تدعو إليه من مثل ومن تدعوا إليه من أرباب واختلطت الثانية بما صرفها عن التوحيد الخالص والعدل الواحب وجعلها قريبة من الوثنية فى كثير من المجالات، كل ذلك قد بسطه الدكتور فى صفحات مديدة تحس حين تقرأها أنك تستبطئه فى مسيره وأنك فى حاجة إلى استعجاله ويخيل إلى تبعاً لذلك أنك تستطيع أن تستغنى فيه عن بعض القول ببعضه . . وإذا قيل فى كتاب أنك تستغنى ببعضه عن بعض فقد تعرض إلى نقد حقيقى لا يقلل منه ما بسطه الدكتور من حوار عقلى ونزاع دينى وتوجس من الغيب وتطلع للمجهول . . وإذا كان الدكتور محمد عوض محمد قد استبطأ الدكتور فيما اتسع فى عرضه بالجزء الأول من أحداث تُبَّع باليمن ونجران واحتلال الحبشة لصنعاء مع أن ذلك كله مما دونه كاتبو السيرة النبوية القدماء إذ وجدوه إطارا يحدد المسرح المجاور للدعوة الاسلامية فى الجزيرة العربية . . إذا كان الدكتور محمد عوض محمد قد استبطأ الدكتور حين أعاد ما كتبه قدماء المسلمين بأسلوبه التصويرى فى الجزء الأول أفلا يجوز لى أن استبطئه فى النصف الأول من الجزء الثانى وقد أتاح لثقافته اليونانية أن تسقط ثمارها فى غير موسم بل أتاح لهذه الثمار أن تتزايد وأن تتكاثر حيث لا تنفتح لها شهية قارىء يود ألا يبعد كثيرا عن أحداث نبى الاسلام، فهو يريد أن يقترب منه دائما فإذا بَعُد فالى أمد عاجل لا يلبث أن ينتهى إليه عن قريب وقد لحظ الدكتور محمد عوض محمد - مع ما تقدم - شيئا هاما هو أن الدكتور طه لم يستطع أن يتقيد بالترتيب الزمنى فى بعض الفصول فكان يتحدث عن بعض الشخصيات المتصلة بنبى الإسلام لا بالقدر الذى يسمح به زمن الحديث بل يمتد ليكمل ما طرأ على

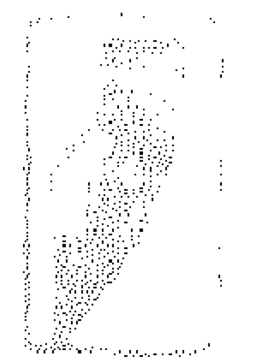
هذه الشخصيات فيما بعد مما ينتقل بالأحداث من جيل إلى جيل . . يقول الدكتور محمد عوض ناقدا في أسلوب حريري يهمس ولا يجلجل ويقدم المبررات التي تحول دون المؤاخذة الصريحة تأدبا ومجاملة .

صراحة أنه لم يفكر في أمر الكتاب ولا تعمد تأليفه كما يتعمد المؤلفون وإنما دفع إلى ذلك دفعاً . . وقد وفق تلقائيا إلى تسلسل منسجم هداه الله إليه على غير عمد في أكثر فصول الجزء الأول ، وشذ في فصول منه أشار الدكتور محمد عوض إلى إحداها ثم استقام

◆ لقد ألف قوم الطعن في آثار طه حسين بعامة دون تفريق بينهما

◆ التصوير عند طه هو التصوير الحسي الذي يرد المعاني والخواطر صوراً حسية .

وهناك فائدة أخرى استفادها المؤلف في موقفه (على الهامش) استطاع ألا يتقيد بالترتيب الزمني للحوادث فإذا بدا له أن يسهب في وصف شخصية راقته وأعجبته اندفع في وصفها إلى النهاية لا يلفته عن ذلك حادث أو خطب ، فقد أعجب - مثلا - وحق له أن يعجب بشخصية أم أيمن حاضنة النبي ، فلم يزل يصف حياتها منذ ولادة محمد بن عبد الله إلى أن شهدت عهد أبي بكر وعمر وعثمان ، ثم يعود بعد ذلك إلى حديث الرضاعة ووفاة عبد المطلب ، وهذه الخطة التي ألزم بها المؤلف نفسه قد تبدو غريبة وربما اعترض عليها بأنها تدفع بالقارىء من أول السيرة إلى عهد الخلفاء الراشدين ثم تعود به مرة أخرى إلى بدء السيرة ولا تزال بالقارىء هكذا ذهابا وإيابا . . ومع أن لهذا النقد وجاهته التي لا شك فيها فإن للمؤلف عذره بأن الذي يريد أن يكتبه ليس حديث السيرة بالذات بل دراسات مستقل بعضها عن بعض وفي وسع القارىء أحيانا أن يطالع الفصل مقتطعا من الكتاب فلا يكاد يفتقر إلى ما سبقه)(٦)



إن صدور الدكتور في تتابع فصول الكتاب عن غير خطة مرتبة حين بدأ كتابة الفصل الأول مما يؤيد ملاحظة الدكتور محمد عوض محمد هذه ، فالمؤلف يعترف

متسلسلا مطرداً في جميع أبواب الجزء الثاني حتى مضت أربع سنوات وجمع الدكتور ما تفرق من الأبواب في الجزء الثالث فجاء كل فصل يعلن استقلاله الذاتي عن سابقه ولاحقه بحيث لم يعد لملاحظة الدكتور وضعها في جزء يضم مقالات إلى مقالات تجمعها السيرة ويفرقها تباعد الأحداث دون أن تكتب في فترة زمنية متصلة تعين على تساند الأبواب وتلاحمها قدر المستطاع ، وقارىء الجزء الثالث يرى في عناوين الفصول ما يجعله يتهيأ لقبول هذا النمط ، فهو حين يقرأ موضوعا عن أبي جهل أو عن حمزة أو مصعب بن عمير أو عن جعفر بن أبي طالب إنما يحصر ذهنه فيمن يقرأ ، غير ملتفت إلى سابق وإلى تال ، ومن هنا جاءت ملاحظة الأستاذ دريني خشبة الخاصة بالتكرار المتماثل في فصلين مختلفين حيث قال عن الجزء الثالث .

(إذن فقل ان بهامش السيرة أحاديث مكررة إذ يحدثنا الدكتور عن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب حديثا حلوا طويلا ص ١١١ ثم يحدثنا عنه حديثا طويلا كذلك بعبارات هي نفس عباراته الأولى تقريبا عن نزيل حمص ص ١٧٩)(٧)



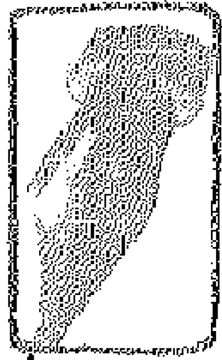
ولو علم الأستاذ درينى خشبة أن الدكتور كتب حديثه عن نزيل حمص فى أبريل سنة ١٩٣٥ حين نشره بالعدد (٩٣) من مجلة الرسالة ثم كتب حديثه عن حمزه فى فبراير سنة ١٩٣٩ حين نشره بالعدد الثامن من مجلة الثقافة لغفر له ما شاهد من تكرار. بل أقول ان هذا التكرار لابد أن يحدث وان كتب الموضوعان فى زمن واحد متلاحقين. لأن الذى يتحدث عن حمزة رضى الله عنه لابد أن يصف مصرعه الفاجع على يد نزيل حمص يوم أحد والذى يتحدث عن نزيل حمص لابد أن يصف ندمه اللاذع على ما اقترف من قتل حمزة سيد الشهداء من قبل. أما أن تكون العبارات هى نفسها فأمر مبالغ فيه إذا نظرنا إلى أسلوب الدكتور طه الخاص به أما إذا نظرنا إلى استشهاده بما قال الرسول حين رأى مصرع عمه وحين قابل وحشياً بعد ذلك لأول مرة فلا مجال إذن لتغيير الألفاظ النبوية بل لابد أن ينقل حديث محمد ﴿ﷺ﴾ كما روته الأسانيد وهو حديث نبوى يشف عن أسف حزين ويصدر عن أفصح الناطقين باللسان العربى. . ولعمرى لو أجاز الدكتور لنفسه أن يتناوله بالتبديل للقى من مؤاخذة اللائمين مالا يقدر على دفعه مهما رزق أقوى البراهين كما لا يقدر على دفع ما لحظناه من سيطرة السرد التاريخى دون القص الأدبى على القسم الأخير من الفصل الأول فى الجزء الثالث فقد ابتدأه الكاتب أديباً وصافاً للخلجات شارحا للنزعات محددا للملامح مترصداً لأدق الهمسات وقد طال به القول وامتد إلى مائة وخمس من الصفحات أفتراه قد خاف أن يتبع خطته المتأنية فى الرسم المعبر والتصوير الشخصى فلا يتسع الكتاب لغير هذا الباب؟. . ومن ثم آثر أن يتحدث عن دفاع أبى طالب وقسوة قريش وصحيفة المقاطعة وموت خديجة ورحيل أبى طالب وعرض الرسول نفسه على القبائل وهجرته إلى المدينة مستخفياً وانتصاره فى بدر حديث المؤرخ لا حديث الأديب مع أن فى كل موقف مما أجمل ميدانا للتأثير البالغ والانفعال الجياش. . هكذا آثر الدكتور

■ ■

للوعد الحق خياله الذى علا الفجوات حين تشح المراجع التاريخية

■ ■

أن يطوى هذه المشاهد ليتابع مواقف أبى جهل وحده ولم لا وهو البطل المقابل الذى مثل الشرك فى صراع الحق مع الباطل. كم كان الدكتور فى حاجة إلى التريث المتئد فى هذا الفصل ليتسنم ذروة الابداع الأدبى فى تصويره ولكنه انسان يعلو واثباً فيطير ثم تكل جناحاه فيهبط ليسير.



ونحن نقرأ ديوانا لشاعر كبير كالمتنبى مثلاً فنرى فى بعض قصائده امتيازا عن بعضها الآخر فلا يدل انخفاض مستواه فى بعض شعره على أنه غير جدير بمكانته لأن قصيدته مهما انخفضت عن مستوى سابقتها فهى تحمل طابعه وتدل على معدنه الأدبى بحيث يجوز أن تنسب إليه. . فمهما أسَفَّ المتنبى فله حد معتدل لن ينحدر إلى ما دونه وكذلك نحن فيما نلحظه من تفاوت بعض الفصول فى كتاب على هامش السيرة بحيث يعلو فصل على فصل علواً لا يرجع إلى طبيعة الموضوع قدْر ما يرجع إلى ضيق الكاتب وتسرعه فى وقت، ثم إلى انشراحه واعتداله فى وقت آخر. . اقرأ إن شئت فى الجزء الثالث حديثين متجاورين يتحدث أولهما عن سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ويتحدث ثانيهما عن ذى الجناحين جعفر بن أبى طالب وكلا البطلين ذهب شهيدا إلى ربه فى معركة اسلامية ساخنة فانك تجد حديث الدكتور طه عن حمزة قد بلغ أرقى مستوى نعرفه لدى الكاتب. وقد استعان بخياله الهادىء ليرسم صورة للحزن الكامن المستتر فى مجلس الأمير إذ خلا إلى سماره يتحدث ويتحدثون مع انقباض شيخ معمر عن الحديث الدائر حتى كأنه ليس بالمجلس وحتى يرى الأمير عزوفه عن السمر فيسأله عن انصرافه الحزين فيجيبه بما تحدثت به المدينة عن رفات سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب حين نقل من مكانه أو حين

وجد دمه الطاهر دافقاً كالعهد به يوم استشهد وتأخذ القوم هزة فيندفع الشيخ المعمر إلى الحديث عن حمزة في مراحل حياته المختلفة حديثا أحكم الدكتور طه سرده فأحاطه بها يخلب من رائع الصور ودقيق الرمز وقوى الايحاء إلى سلاسة عذبة في السرد تتدفق بها المعانى في جداول رائعة شفافة من الألفاظ فإذا انتهى القارىء من حديث طه عن حمزة تلهف على استعادته لا ليجمع من معانيه ما قد ند عنه فإن معانيه من الوضوح السافر بحيث لا تخفى على قارىء مثقف ولكن ليدرك ثانية هذه المتعة الرائعة التى ساقها الدكتور الأديب في حديثه الشجى ذي النبض القوى والتصوير الحى ويترك قارىء الكتاب ما قيل عن حمزة إلى ما ذكره الكاتب عن ذى الجناحين فيجد الأفق غير الأفق والجناح غير الجناح. لقد أطال الدكتور مقدمة الحديث اطالة كادت تكون مملة حين أسهب في وصف روح شفاف طائر - جسم به معنى الهجرة - أخذ يسعى رويداً رويداً مثلما يسعى النسيم ومضى ينشر عبيره على الروض. فإذا الجدول نشوان يبدى من هواه ما طواه الزمان وإذا الشيخ في المجلس يطرق خافق القلب عابس الأسارير. وإذا هو يتأمل في مشاهد الحياة وفي بؤس العيش ونعمائها وقد انصرف عن نفسه وعن الناس وعن المدينة (وأقول للدكتور طه ان الشيخ إن انصرف عن نفسه فقد ذهل ولن يحس شيئاً ففيم عناؤه معك هذا العناء).

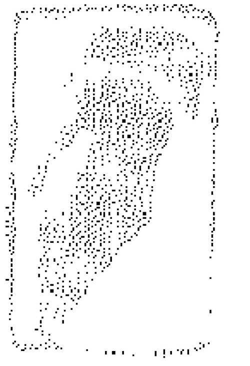


وبعد سبع صفحات مرت على القارىء ثقالا وبطاء لا يدرى معها أين يذهب عقله وأين يجيء. قال الدكتور على لسان صاحبه انه يريد الهجرة كما هاجر جعفر بن أبى طالب إلى الحبشة ثم يسرد حديث إسلام جعفر وهجرته إلى الحبشة وعودته إلى المدينة وامارته على الجيش الذاهب إلى مؤته واستشهاده الفدائى الرائع في أربع صفحات تقتضب الحديث اقتضابا وكأن الدكتور يكتب عناصر موضوع تاريخى ولا يقوم بتصوير أدبى. فبالله كيف يجوز أن تبلغ المقدمة الطارئة سبع صفحات ثم تجمع سيرة البطل في أربع. أما كان في لقاء النجاشى ومحاورة جعفر اياه في اقناع مؤثر حين وشى المشركون بالمسلمين ما يلفت إليه الكاتب بدل أن يصمت عنه وكأنه لم يكن. أما كان في حمله الراية باليمين حتى تقطع وبالشمال حتى تقطع ثم في ضمها بين صدره حريصا عليها حتى أسلم الروح. أما كان في ذلك مجال للتصوير الحى الممتد بدل أن يساق سوقا وكأنه حديث عابر وكأن الدكتور لم يعلم طول المقدمة فعاد إليها أخيرا ليتحدث عن اصطفاق الجدول وهفيف النسيم وحفيف الغصون. لست أمنع أن يصف الدكتور الطبيعة مشرقة وعابسة وأن يجسم المعانى في ذوات ولكنى أدعو أن يكون وصف الطبيعة إطارا لمشاهد متناسبة بحيث لا يختلف الإطار عما يحيط به من مشاهد وبحيث لا يتوهم القارىء أن وصف الطبيعة قلق عن موضوعه قد تكلف تكلفاً لم يسمح به المقام. وإذا كان هناك ارتباط ما بين المقدمة الطويلة والموضوع المختزل فقد عييت عن فهمه إلا أن يكون تجسيما حيا لمعنى الهجرة. على أن كل ما يوجه إلى كتاب على هامش السيرة من نقد أدبى قد تخلص منه المؤلف تخلصا تاما في ما كتبه بعد في كتابه (الوعد الحق) إذ مضى هذا الكتاب الممتاز بكل حسنات على هامش السيرة وسلم من مؤاخذته لأن الدكتور طه قد رسم منهجه العلمى وإطاره الفنى رسما مضبوطا قبل أن يبدأ في كتابته ولم يندفع إلى تأليفه اندفاعا دون خطة مرسومة كما حكى عن نفسه في تأليف على هامش السيرة.. لقد أراد الدكتور طه حسين بكتاب الوعد الحق أن يذكر التفسير العملى لقول الله عز وجل: ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون**﴾. وبهذه الآية الكريمة من صورة النور قد صدر كتابه لتكون وحدها دليل القارىء في التعرف على منهج الكتاب فتغنى عن مقدمة له يعتاد المؤلفون تدوينها في مطلع كتبهم.. وفي اسم الكتاب (الوعد الحق) تلخيص موجز لهدفه فبعض الذين استخلفوا في الأرض هم المستضعفون الذين اعتنقوا الاسلام عن ايمان. وذاقوا ألوانا قاسية من العذاب حين انقادوا لرسول الله ثم أدال الله لهم من أعدائهم فجاء الحق وزهق الباطل وتحقق الوعد الحق من الله لعباده بنصر المستضعفين.

لقد فكر الدكتور جيدا في رسم خطوات الكتاب قبل أن يكتب كلمة واحدة منه فأعد في ذهنه تاريخ الدعوة

الاسلامية فى نشأتها الأولى واستعرض ما جاءت به من مبادىء الحرية والعزة والمساواة ليرفع أناسا سقطوا إلى الحضيض مظلومين. وكل قارىء للسيرة النبوية يعلم ما لاقى عمار بن ياسر وأبوه وأمه وخباب بن الأرت وبلال بن رباح وعبد الله بن مسعود وصهيب الرومى من ألوان الطغيان. ويعلم من مات منهم مستشهدا تحت العذاب فذهب فداء العقيدة الصحيحة والدعوة المنقذة ومن عاش حتى قطف ثمار النصر وشاهد أنوار الحق تكتسح ظلمات الضلال.

وسبيل المؤلف حينئذ أن يذكر مشاهد التعذيب فى القسم الأول ليعقبها فى القسم الثانى بنتائج النصر الباهر والفوز العظيم. هذا التحديد الدقيق لاتجاه الكتاب ومداره قد ساعد المؤلف على الإجادة التامة وأنقذه مما لوحظ عليه فى كتابته السابقة عن السيرة النبوية فهو يبدأ الكتاب بحديث عن ياسر والد عمار فيصور قدومه إلى مكة من اليمن وايثاره أرض الحرم بالسكنى وزواجه من سمية وانجابه عمارا منها. وقد حرص الدكتور على أن يبرز أهداف الدعوة الجديدة فى سياقه القصصى ليفهم القارىء كيف جاء الاسلام بحرية الأسراء وعون الضعفاء، والحديث الدكتور عن أهداف الدعوة تأثيره الحى إذ سلك به مسلك التأثير لا التقرير. فهو يستعرض حياة ياسر ويصور هواجسه الناقمة على أصنام لا تنفع ولا تضر. ويمتد بتصويره إلى شجون المتكبرين من قريش حين يرون عبيدهم يتطلعون إلى الإسلام فى أمل وشوق وحين ينكر الملأ المتجبر من قريش كل شىء، ينكر الملأ من قريش كل شىء إذ يرون المستضعفين فى الأرض وقد سمت نفوسهم إلى أشياء لم تكن تسمو إليها.



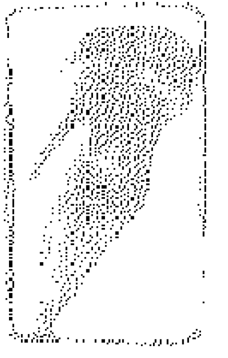
خلق الله بنى آدم جميعاً من تراب وجعل مردهم إلى التراب. لا تمايز أجسامهم حين تولد ولا تتمايز أجسادهم حين تموت دائماً يكون التمايز فى القلوب والضمائر بما يقدم أصحابها من خير وبما يفكرون من شر. وإذا كان هناك فقر أو مرض أو قوة أو ضعف فتلك أعراض تزول وليس من شأنها أن تميز بعض الناس من بعض وإنما الامتياز بالبر والخير. هذه المعانى وأمثالها قد ترددت فى كتاب الوعد الحق أكثر مما ترددت فى كتاب على هامش السيرة وتعليل ذلك ما وفق له الدكتور من تحديد موضوعه وتسلسل مشاهده المطردة فى دائرة خاصة لا تتعداها بحال..

فإذا اتجه المؤلف إلى وصف ما لقى المستضعفون من ألوان التعذيب فإنما يتجه إلى استلهام أبرع ملكاته التصويرية فهو يختار من المشاهد ما يشد القارىء شداً حياً إلى بيانه.

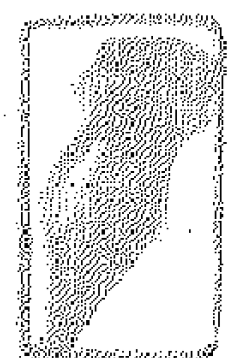
ها هو ذا يتحدث عن مشاهد التعذيب الذى قاسته عائلة عمار بن ياسر رضى الله عنه فيقول: (٨)

«قال أبو جهل لياسر: قد برئت من حلفنا إذن؟ فقال ياسر: كما أبرأ من الشر والمنكر وما يخزى الرجل الكريم فلم يمهله أبو جهل وانما ضرب وجهه حتى أدماه وضرب القوم فى وجه عمار وسمية حتى أدموها. ثم تقدم أبو جهل إلى أصحابه أن يطرحوا هؤلاء الأسارى أرضا ففعلوا. ثم تقدم إليهم أن يأخذوهم بمكاوى النار فى جنوبهم وصدورهم ففعلوا. ثم تقدم إليهم أن يضعوا على صدورهم الحجارة الثقال ففعلوا. وأبو جهل ينظر متحرق النفس أن يسمع من أحدهم صيحة أو أنَّة أو شكاة. ولكن نفوس الأسارى قد تحدَّث بعضها إلى بعض وفهم بعضها عن بعض فعقدوا ألسنتهم وعمَّروا قلوبهم بذكر الله وخلوا بين القوم وبين أجسامهم يصنعون بها ما يريدون. وعبث أبو جهل وأصحابه بأجسام هؤلاء الثلاثة حتى ملُّوا العبث وضاقوا به فتفرقوا عنهم بعد أن وكلوا بهم حراسا يحفظونهم على حالهم حتى يعودوا إليهم حين تجنح الشمس إلى الغروب».

هذا مشهد أول من مشاهد التعذيب الذى امتحن به آل ياسر وهو يسير جدا بالقياس إلى ما تبعه من أهوال فقد تلته مشاهد أعنف هولا وأشد رعبا أجاد المؤلف وصفها فى سهولة هى مبعث تأثيرها وفى هدوء هو سر نفاذها الغالب وباعث وهجها المضطرم فى الأعماق(٩).. ولا أظن القارىء بحاجة إلى أن أعرض له مشاهد قاسية لتعذيب خباب وعمار وابن مسعود وبلال فصفحات الوعد الحق تدعوه إلى استيعابها إذا أراد، ليرى تجسيماً حياً لما لاقى هؤلاء الفدائيون من تباريح عنيفة فى ذات الله وكلها مجلوة فى طراز بيانى رائع يعيى المستشهد أن يختار شيئا من شىء وحسبه أن يحيل.



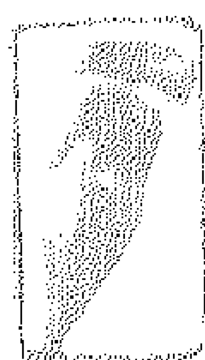
ويظل قارئ الوعد الحق مشدود الأعصاب مشتعل العاطفة مأخوذ النفس حتى يتجاوز صفحات التعذيب إلى صفحات المسرة والبشر حين يصدق الوعد الحق فيشهد صفحات الانتصار الاسلامى تلألأ بفوز المستضعفين ويرى عمارا وابن مسعود وصهيبا وخبابا وقد صاروا سادة من سادات المسلمين يعرف لهم الرسول وخلفاؤه من بعده مكانهم الممتاز فى صفوف النضال فيتقدم بهم عمر الفاروق على سادات قريش إذ يصير مستضعفو الأمس قادة اليوم ويصبح متجبرو الشرك أتباعا لمن حملوا قبلهم راية الجهاد بل لمن حملوا فى وجوههم انفسهم راية الجهاد ليحققوا الحق ويدحروا الباطل . . وان هؤلاء الذين أسلموا بآخرة من صناديد قريش ليتساءلون عن تأخرهم وتقدم هؤلاء تساءل من يرى مجد الأمس قد انتقل من أناس إلى أناس .(١١)



وللوعد الحق خياله الذى يملأ الفجوات حين تشح المراجع التاريخية أن تقدم للكاتب ما يصل به الحديث على نحو مطرد وليس فى الاستعانة بالخيال حينئذ ما يغض من شأن الحقيقة فى شىء ومن أمثلة ذلك ما تكلفه الكاتب فى الحديث عن أم بلال وأبيه حيث لم يقدم لنا التاريخ شيئا عن تعارفهما قبل الزواج وعن أسباب ارتباطهما بالحب وعن حالتهما المعيشية فى منزل الزوجية قبل أن ينجبا بلالا وبعده . . وقد شاء خيال الدكتور طه أن يجعل أم بلال أميرة حبشية أسرت يوم الفيل فاسترقها أحد سادات قريش ثم زوجها من بعض عبيده إذلالا لكبريائها حيث سارت فى جيش يعتزم هدم البيت وإبادة أهل الحرم من قريش .

وقد اتسعت خواطر الكاتب بعض الشىء فى وصف هذا التعارف بين الزوجين وفى تصوير المشاعر المتبادلة والأحاسيس الصامتة والكلمات الناطقة بما يدل على موهبة أصيلة لديه . . وهو هنا لا يتكلف الخيال تكلفا كما افتعله فى الفصل الذى خص به جعفر بن أبى طالب بالجزء الثالث من كتاب على هامش السيرة بل سار بخواطره سيرا متزنا فيه جدة وطرافة وفيه شوق وحنين . . ومن الذى يضيق بالخيال حين يعين على تصوير الواقع ويمثل ما يمكن أن يوجد، وان لم يوجد فعلا على نحو ما يمضى به هذا التمثيل . .

وإذا كان لنا أن نؤاخذ الكاتب ببعض الهنات فى كتاب الوعد الحق على قلتها النادرة فإنا نعد منها هذا التكرار الذى يتجه إليه الكاتب فى بعض الفصول دون داع يتطلبه المقام لاسيما إذا جاء هذا التكرار متصلا فى سياقه وكأنه توكيد لفظى فى غير داع إلى التوكيد .(١١)



كما نعد من المؤاخذات الواضحة ما صور به الكاتب احساس أبى جهل عقب استماعه لقول الله عز وجل ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما، والذين يقولون ربنا أصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقرا ومقاما﴾ إلى آخر سورة الفرقان ، فإن المؤلف قال :

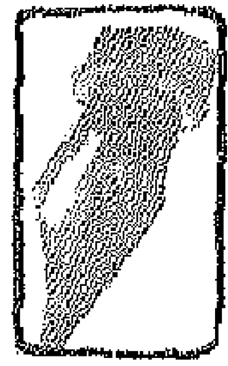
(وكان أبو جهل يسمع لهذا الذكر فيخفق له قلبه وتخشع له نفسه، ولو قد أرسل طبعه على سجيته لقال كما سمع بعض أولئك الرهط يقول لعبد الله ابن مسعود فى صوت تحتبس فيه الزفرات: انى والله لأحب أن أكون من بين هؤلاء، ولكن أبا جهل لا يرسل طبعه على سجيته وانما يدعوه حسده وكبرياؤه وأنفته، ثم ينصب على أولئك الرهط كما ينصب الصقر على فريسته وهو يصيح «بؤسا لكم من رهط سوء») .(١٢)



وانى أرى أن مثل أبى جهل فى كثافة حسه وشدة حقده وعظيم غيظه لا يمكن أن يخفق قلبه ـ لحظة ما ـ للذكر الحكيم أو تخشع نفسه عند تلاوة بعض آياته كما أن طبعه إذا أرسل على سجيته لم يكن غير طبع الناقم الذى يتلدد حقدا وكمدا ولو قال الدكتور هذا القول عن رجل كعتبة بن ربيعة أو أخيه شيبه أو كالمطعم بن

عدى ممن يميلون إلى السلام دون لجاج لصادف قوله موقعه الطبيعى أما أن يخشع أبو جهل ويخفق قلبه عند سماع الذكر فهذا ما يحول دونه حسد يغلى كالمرجل وغيظ يحيل جسمه إلى شعلة من نار على أن هاتين الملاحظتين لا تمنعان اعجابنا الكبير بما كتبه الدكتور حيا قويا مؤثرا فى (الوعد الحق) عدا هاتين.

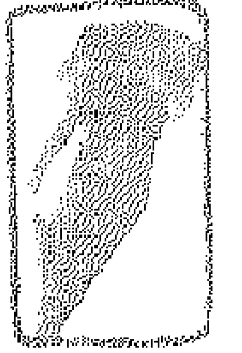
ولكى يكون حديثنا عن السيرة النبوية فى انتاج الدكتور طه حسين كاملا غير ناقص فإننا نلم أخيرا بما قاله فى كتاب مرآة الاسلام عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ حيث خص سيرته المطهرة بسرد واف فى مطلعه فبدأ الكتاب بالحديث عن الحالة العامة للعالم قبيل مشرق الاسلام على نحو ما يصنع كاتبو التاريخ الخالص لا أرباب الأدب البيانى وقد استطاع أن يلم بما يندرج فى موضوعه إلماماً شاملاً فى ايجاز واضح . وأقول فى إيجاز واضح وأنا أعنى ما أقول وأتعجب له . . إذ أن الإيجاز لم يكن من طبيعة طه فى أكثر ما يكتب فهو دائما يستفيض ويمتد وينبسط حتى ليكاد قارئه فى بعض المواقف يستشعر الضيق ولكنه فى مرآة الاسلام قد عمد إلى اللباب الصيب من الكلام المفيد فاختاره واخاله قد عانى مشقة صامتة فى هذا الاختيار وهى مشقة حقيقية يجهلها القارىء حين يجد الثمرة دانية ويكابدها الكاتب حين تزدحم الظباء على خراش ويظل يفاضل بين الجيد والأجود والرائع حين يتحدث عن جزيرة العرب وما حولها قبيل البعثة النبوية الكريمة حديث المؤرخ المحقق فى أبواب قصار تدل على أكبر ما يمكن أن يعطيه كلام جيد فى حيزها الضيق . على أنه لا يخل اطلاقا بنحو من الأنحاء كان يجب أن يقال بل يترك مالا يدخل فى الصميم من البناء فكل لبناته جيد مختار . وكان وضوح المعانى لديه وسعة المامه الخاص بالتاريخ العربى فى هذه الفترة مدعاة سهولة قريبة يجدها القارىء فى بساطة السرد ويسر التناول فإذا انتهى الدكتور طه من وصف ما بالجزيرة العربية وما حولها من أحوال تتعلق بالسياسة والعقيدة والتجارة ووسائل الحياة والارتحال والأقامة انتقل إلى مشرق النور منذ ولد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وتابع حياته الشريفة متابعة صافية خالصة تستند أكثر ما تستند إلى كتاب الله العزيز إذ أكثر من الاستشهاد به استشهادا رائعا فى مناسبته الطبيعية دون نشاز . وقد فصل مواقف الرسول منذ أعلن دعوته إلى أن لقى ربه تفصيلا سديدا لا يغفل الخطوات البارزة فى معالم حياته الشريفة وفى حديثه الجيد عن أهداف الدعوة الاسلامية بمكة قد ذكر من فضائلها الخلقية ما كان جديرا أن يجذب أعناق المخالفين إلى ثمارها المشتهاة لو خلصت النفوس من أوضارها الكريهة إذ أحسن الدكتور سرد هذه الفضائل وجمعها فى نطاق محدود يسهل استيعابه وقد ختم حديثه المكى بها(١٣).



وبذلك الإجمال السلس أنهى الحديث عن العهد المكى ومضى يستأنف حديثه عن العهد المدنى ملماً بحديث الغزوات ومكر اليهود والمنافقين وما جرى يوم الحديبية وتبوك وفتح مكة وحنين والطائف ومفصلاً ما جادل فيه أهل الكتاب نبى الاسلام من أمور الدعوة الاسلامية وما اختلف فيه القرآن الكريم عما بين يدى أهل الكتاب من التوراة والانجيل المحرفتين عن أصلها الصحيح فأوضح الرأى فى حقيقة المسيح وأنه عبد من عباد الله ولا ولد من الأولاد، ونبى من الأنبياء لا آله من الآلهة . . فإذا ترك أهل الكتاب إلى المنافقين فإنه يبين دخائلهم ويكشف عن مطوياتهم الدفينة بما يوقف القارىء على خداع النفوس وتسلط الأهواء وتحكم النزوات حين تحيد عن الحق باطنا وتدعيه ظاهرا . . وجاء كلام المؤلف مؤيدا بالقرآن فى كل منحى ينتحيه متحدثا عن أولئك وهؤلاء حتى لكأنه يشرح كتاب الله فى قدرة وابداع . ثم واصل الحديث إلى نهايته متحدثا عن أثر الاسلام بعد هذه

الانتصارات فقال فى ايجاز .(١٤)

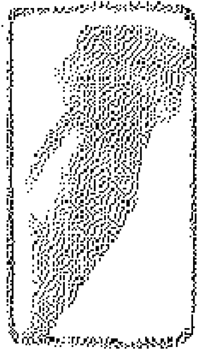
(وكذلك عظم أمر الاسلام وانتشر فى الجزيرة العربية كلها . . ونظرة سريعة إلى ما بدأ الاسلام عليه فى مكة وما انتهى إليه فى المدينة فى هذا الوقت القصير تبين فى جلاء أن قوة عليا أرادت لهذا الدين أن يقوى وينتشر أولا وأن يجمع كلمة العرب ويوحد أهواءهم ويجعلهم أمة واحدة مؤتلفة تتعاون على البر والتقوى ولا تتعاون على الاثم والعدوان بعد الذى كان بينهم من اختلاف أى اختلاف واختصام أى اختصام ومن حرب الألسنة دائما وبالسيف والسنان فى أكثر الأحيان . . وأرادت كذلك أن تغير من أخلاقهم وعاداتهم وسننهم الموروثة فتحل الوفاء فى نفوسهم محل الغدر . والأمانة محل الخيانة ، والبر مكان الجحود . والرقة مكان الغلظة والقسوة . . وأرادت أن تبين لهم الخير فيسلكوا اليه سبلهم وتدلهم على الشر فيتنكبوا طرقه . . وأن تبين كبائر الآثام فيجتنبوها ومحاسن الأعمال فيجدوا فيها) .



ثم ينتقل بعدها إلى شؤون الدولة الاسلامية فيما تلا عهد النبوة وليتحدث عن الاسلام حديث الدارس المستوعب . . وكيلا يظن بنا القارىء مبالغة فيما ندعيه فاننا - كعادتنا فى هذه البحوث - نستشهد دائما بأقوال المنصفين من الناقدين والمغرضين معا ليقف المطلع على آراء شتى دون أن يتحكم فيه رأى واحد ولم نجد احدا من الكتاب قد وجه لكتاب (مرآة الاسلام) مطعنا فى أى جانب من جوانبه لأن الحق أوضح من أن يختلف فيه ولكنا وجدنا من أنصفوه عن اقتدار مكين وبصر نافذ ومن هؤلاء الأديب البحاثة الأستاذ محمد خليفة التونسى حيث قال عنه فى حديث مستفيض(١٥) نشره بعد وفاة الدكتور طه بأكثر من عام .

(هذه هى صورة الاسلام التى قدمها المؤلف فى مرآته وقد تجسدت تعاليمه مجتمعا حرا عزيزا يعيش أهله كما يعيش سائر البشر ولكن كأنهم لا يعيشون ولا يطلبون البقاء إلا ليمثلوا هذه التعاليم أفضل ما يمكن أن يمثلها بشر فى الحياة . . فهم تجسيد حى لها وان كان ذلك على تفاوت بينهم فى مقدار تجسيدها . . وقد زاد هذه الصورة بروزا فى مرآة المؤلف كثرة استشهاداته بآيات القرآن الكريم فى مواضعها . . والقرآن صوت الاسلام الحى الذى ينفذ إلى العقول وإلى القلوب وإلى الضمائر أقوى مما ينفذ غيره ويحفز إلى العمل أكثر مما يحفز غيره وكان من تمام احسان المؤلف أن أفرد القرآن بأطول فصول الكتاب وأقواها عرضا .

وحظ الكتاب من نقد الأخبار والوقائع قليل فى الظاهر وليس الامر كذلك فيما يبدو لنا غير أن مجال النقد خارج الكتاب لا داخله ، إذ أن المؤلف نقد الأخبار والوقائع التى تيسرت له واختار منها ما صح عنده ثم اختار من ذلك ما يحقق غرضه وحده ومن هنا جاء الكتاب رشيق العرض لطيف الحجم) .



لقد ألف قوم من المتحمسين أن يطعنوا فى آثار الدكتور القلمية بعامة دون تفريق بين الآثار المطمئنة والآثار المتسرعة ومثل هذا المسلك يحتاج إلى ضبط ناقد وئيد فإن كتب الدكتور طه حسين فى مجال السيرة النبوية ثروة اسلامية ذات عطاء وقد رزق صاحبها حبا شديدا من قراء الأدب العربى فى أكثر بقاع الاسلام . وبهذا الحب جدير أن يحبب إليهم سيرة الرسول المطهرة حيث وافاها حقها بسطا وتصويرا واستنباطاً . فإذا جاء نفر من النقاد يحاربون ما كتبه طه حسين عن سيرة الرسول فإنهم يصدون الشبيبة المسلمة عن مورد عذب من حياض السيرة المطهرة قد لا يجدون نظيره فى أكثر ما يقرءون . . والمؤلف فى كل ما كتب عن رسول الله ملتزم بما جاء فى التراث الاسلامى من أنباء نقلها المخلصون من العلماء ممن تتداول الأيدى تراثهم فى ثقة وإعجاب . . وإذا وجه إنتقاد علمى إلى بعض مسائله فذلك مالا يخلو منه

كتاب بشرى ألفه إنسان إذ أن الكمال لله وحده . . أما أن نحاسب صفحات السيرة المطهرة فى انتاج طه حسين بأشياء مخطئة ذكرها فى غير هذه الكتب ورجع عنها من بعد فذلك غير سبيل المنصفين . . وإذا جاز لنا أن ننظر إلى ما كتبه الدكتور طه حسين فى هامش السيرة عن الواقع الرسمى لأحداث العالم الاسلامى فى عهـد النبوة فإننا نراه قد صدق فى تصوير الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية أصدق تصوير . . كما أبـان اتصـال التيـار الفكرى بين الدول والشعوب اتصالا لم يحل دونه بطء المواصلات وقلة المعلومات وقيـام الحـوائـل المـانعـة من أنهار ومحيطات وجبال وفلوات حيث استطـاع الانسان المزود بغرائز حب الاستطلاع أن يقهر هذه الصعاب بالرحلة المتصلة والصبر على الحواجز الناهضة حتى يسهل الطريق بعد نشوز . . أما ما وقع فيه من الاستطراد المقبول حينـا والمسئم حينا آخر فهو مما يعيب العمل الفنى ولكنه ليس ظاهرة عامة فى فصول الكتاب بل استثناء شاذ يُرى على مسافات طويلة قاصية ويكاد يُنسى فيما يغرق فيه الكتاب من انسجام منسق بديع .

حسب الكتاب انه زاد حلو محبب للناشئة وأنه درج نظيف يمهد لقراءة البحوث العلمية الرصينة عن السيرة المطهرة التى يكتبها المتخصصون فى دقة تكـاد تكون غموضا . . أليس فى سهولة طه حسين عوض للنـاشئـة عما لا يستطيعون الصعود إليه من بحوث تلتوى وتستقيم؟ ثم أليس فى امتاعه الأدبى ما يغنى عن قراءة قصص عابثة تصرف الشبيبة عن الجد الأصيل؟ . .

المراجـــع

(١ ، ٢ ، ٦ ، ٧) مجلة الرسالة : العدد (٥٢١ ، ٥٤٧ ، ٢٤ ، ٥٤٣) .

(٣) مقدمة الجزء الأول : ص (ط) .

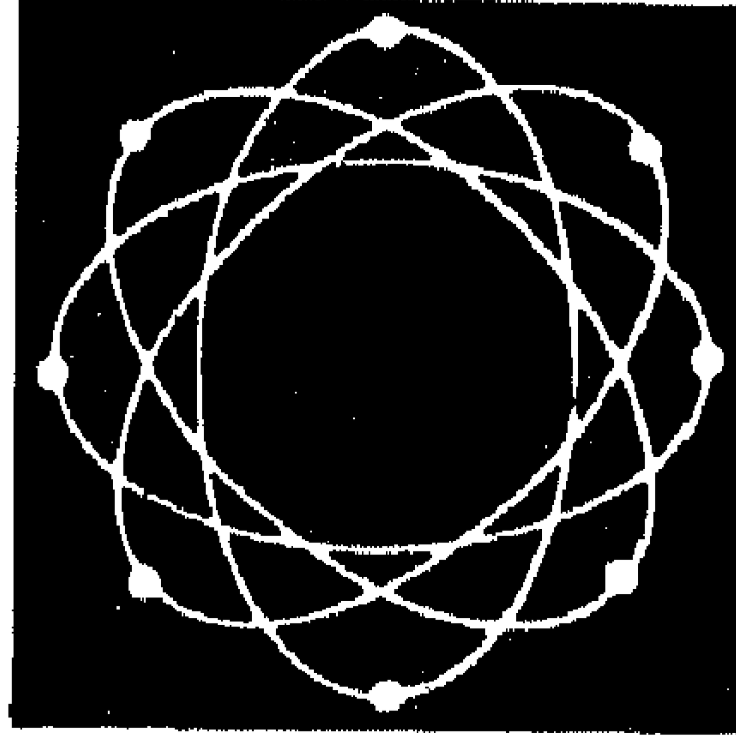
(٤) معارك أدبية للأستاذ أنور الجندى : ص (ط) .

(٥) على هامش السيرة : ج١ ص١٥٢ .

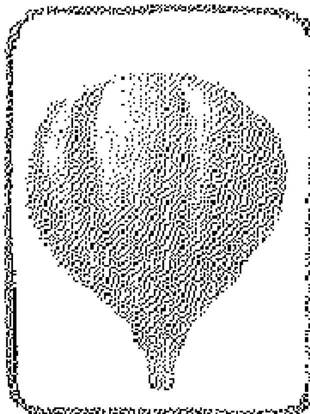
(٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢) الوعد الحق : الصفحات (٣٩-١٢٠-١٥٨-٥٠-٨٩) .

(١٣ ، ١٤) مرآة الاسلام : (ص ٦١-١٢١) .

(١٥) مجلة العربى : عدد أغسطس ١٩٧٤ ، ص٢١







لم يقـدم علماء مثل غاليلى غاليليه أو اسحق نيـوتن شيئـا يتجاوز فرضيات «حفـظ الظـاهـرة» فى حين ان علماء كالفرغانى وابن الهيثم والبيرونى والطوسى من العلماء المسلمين تجاوزوا هذه المرحلة قبلهما بعدة قرون من الزمن ، إلى مرحلة كشف جوانب هامة من الحقيقة ، كان هذا رأى العالمين اميل مبرسون وهنرى بوانكاريه .

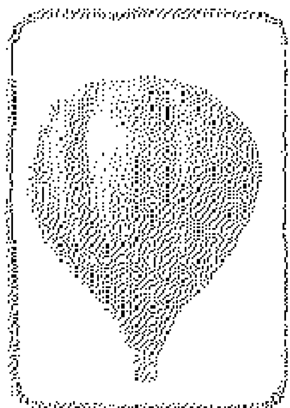
وأهم ما قدمه هؤلاء العلماء منذ مطلع القرون الـوسطى هو جهـودهم العميقـة فى مراقبـة الأرض والقمر والكواكب والنجوم ، وبكلمة أعم . . مراقبة الكون اليس هذا هو نفس ما يفعله علماء اليوم وما

علوم

المراكب الفضائية

المراصد الطائرة تشد اهتمام العرب، ولعلها قد تكون مصدر بأسهم. وهم يتبينون الفارق التكنولوجي بينهم وبين الامم الأخرى، لكن نظرة عميقة إلى الوراء تؤكد لنا بأن اسلافنا هم أول من اخترق الفضاء الخارجي وأول من اخترع جهاز «كمبيوتر» في هذا المجال.. وإذا كانت قد كتبت دراسات عديدة حول العرب والفلك. فإن عالم الفضاء الفرنسي «كريستيان نوربيه» هو الذي يأخذ الكلمة الآن ليؤكد على أولوية العرب في استكشاف الفضاء.

لكن الماضي مع ذلك يظل الماضي - فلتقرأ الدراسة إذن، ولنفرح بما كان.. ونزهو بما سيصبح.



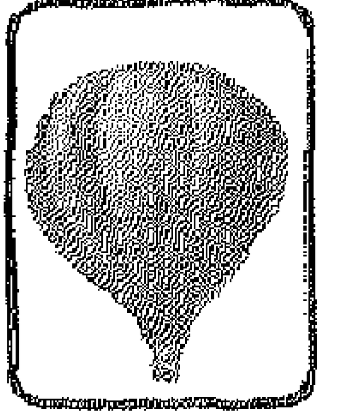
كان أرسطو قد اعتبر وبوحي من الديانة الوثنية التي تعبد الشمس والقمر والنجوم ان الارض وغلافها الغازي يتألفان من عناصر اربعة (الماء، الهواء، النار، والتراب) وان الانسان مخلوق من عنصر خامس. كذلك فإن الارض ومحيطها تحمل بذور الفساد والتعفن في حين ان القمر والنجوم والكواكب مؤلفة من العنصر الخامس الذي لا يتعرض للعفن، وان الارض هي مركز الكون ولها شكل كروي. ورفض أرسطو ان يرسم نظرياتها أو ان يصنع لها نماذج.

كان يفعله علماء الاغريق؟ ومراقبة الكون سواء اتت عن طريق التأمل الفلسفي كما هو الحال بالنسبة لافلاطون وسقراط وارسطو، أم بواسطة الربعية والاسطرلاب كما فعل علماء المسلمين ومن جاء بعدهم ترمي إلى معرفة حقيقة المحيط الذي نعيش فيه فوق الارض وكجزء من الوجود.

صحيح ان علماء اغريقيين مثل هيباركوس وايراتوشينز وبطليموس تعاملوا مع مسالة الكون بمنظار متحرر من سيطرة التأمل الفلسفي المحض إلا انهم انتهوا إلى نتائج بقيت تضلل الفكر الغربي عدة قرون، ولم يدرك هؤلاء الحقيقة إلا بعد دراسة الفكر الاسلامي عبر الاندلس.

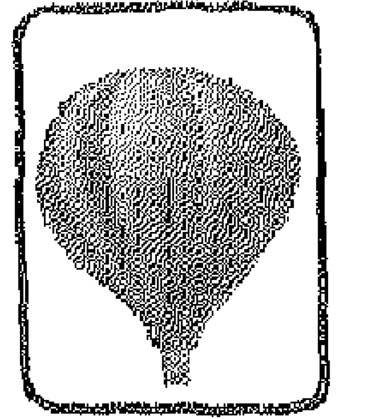
خلاف مع أرسطو

لكن العلماء الرياضيين الذين اختلفوا معه حول النقطة الاخيرة رأوا ان هناك ضرورة لـ «**حفظ الظاهرة**» عبر رسمها وتوصل بطليموس إلى نتائج وتفسيرات تقول بأن الارض هى محور الكون وان السماوات ما هى إلا فراغ.



لكن المسلمين الذين درسوا علوم الاغريق لم تجتذبهم نظريات بطليموس كثيرا. وناقشوا فرضياته انطلاقا من الشك الاسلامى الذى سبق شك ديكارت وفرانسيس بيكون. وقال ثابت ابن قرة ان لا صحة بأن السماوات هى مجرد فراغ بل هى مكونة من مواد حقيقية صلبة. وقد نقل هذا القول العالم الشهير ابن الهيثم فى كتابه الذى لم يعد متوفرا إلا فى الترجمتين اللاتينية والعبرية «**الموجز فى عالم الفلك**».

واستطاع ابن الهيثم ان يرسم الشمس والكواكب السيارة فى مداراتها الصحيحة متجاوزا بطليموس وسابقا علماء اوروبا فى عصر النهضة. كما ان ابن الهيثم وسواه من علماء المسلمين لم يكتفوا بـ «حفظ الظاهرة» بل انتقلوا إلى مرحلة اكتشاف علاقة الكواكب بالشمس وعلاقة القمر بالأرض. وتقديم معارفهم على نحو تطبيقى استفادوا منه فى حياتهم العلمية اليومية حين وضعوا الروزنامات والتقويمات الشمسية والقمرية.. كما حددوا وجهة القبلة فلكيا. واستفادوا من مرصدهم للنجوم فى تسيير القوافل والسير فى الصحارى بعد ان رسموا المجموعات الشمسية المختلفة وعرفوا مواقعها وزخرفوا قصورهم بأشكالها.



واعتبر ابن الهيثم ان افلاك الاجرام تتلاقى وتتلاصق على نحو لا يسمح بفراغ. وهى النظرية التى لاقت تأييدا واسعا من علماء الهند الذين اشتهروا بالعلوم الفلكية. كما دفعت علماء الصين إلى اضافة فصول اساسية فى كتبهم الفلكية. وعندما اطلع الغرب على نظريات ابن الهيثم والطوسى وسواهما من علماء المسلمين اضطروا إلى نسف جميع مقولات الاغريق.

زوج الطوسى

وسبق ابن الشاطر الدمشقى العالم البولونى كوبرنيكوس (١٤٧٣-١٥٤٣) والذى رغم معرفته بأن الشمس هى مركز العالم، فشل فى تفسير حركة القمر مثلما فعل الدمشقى.. كما قدم العلامة قطب الدين وابن الشاطر نموذجا حديثا لتوزيع الكواكب السيارة عرضه من قبل ناصر الدين بناء على دراسة العالم شرف الدين الطوسى. لذلك اطلق العالم اى. اس. كندى على ذلك النموذج اسم اكتشاف «**زوج الطوسى**».

وذكر كندى ان للطوسى الفضل الاول فى شرح العلاقة بين مدارات الكواكب السيارة رياضيا، وقال:

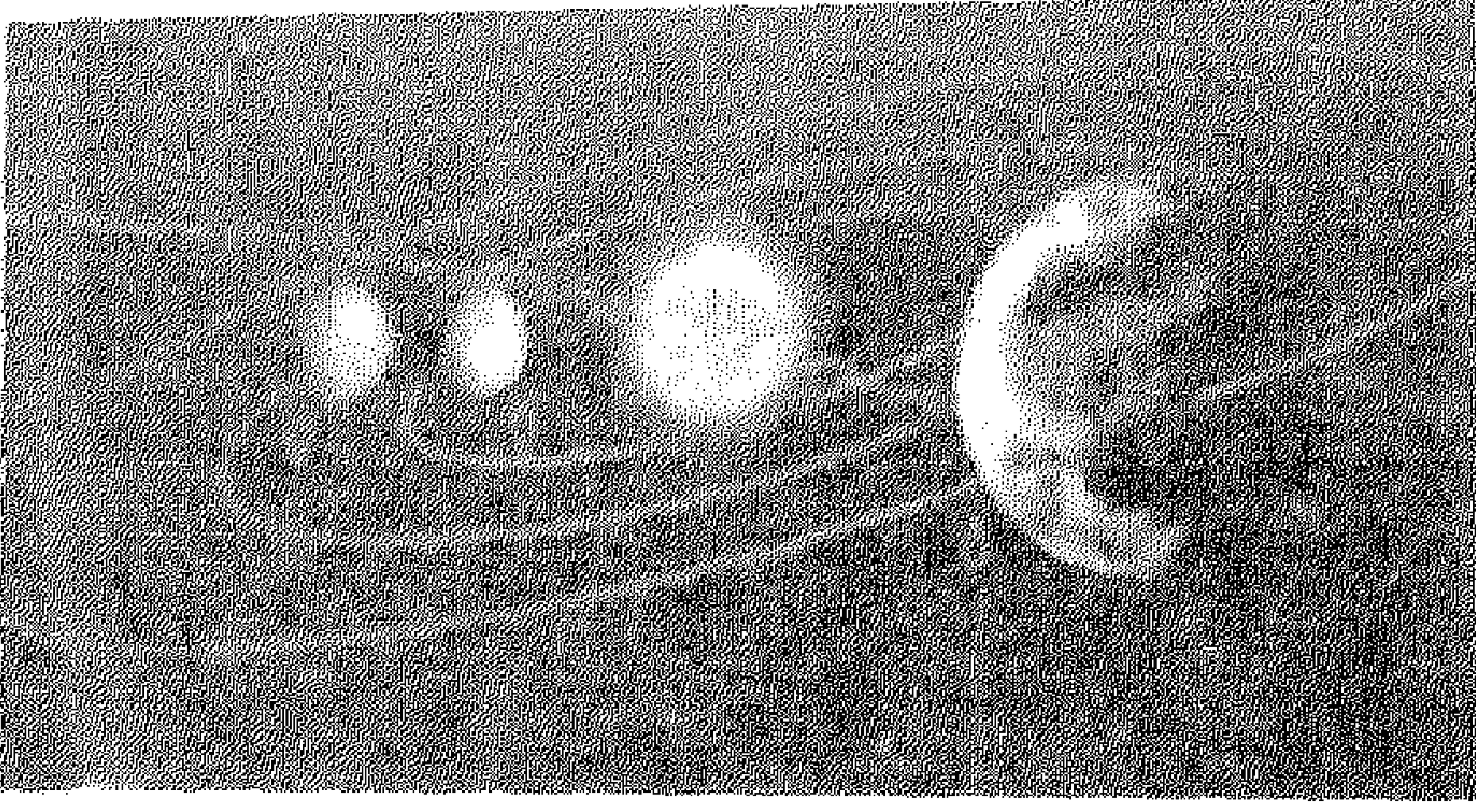
« يبدو ان الطوسى كان أول من لاحظ انه عندما تدور به دائرة داخل محيط دائرة اخرى ويكون طول شعاع الدائرة الثانية يساوى ضعف طول شعاع الدائرة الاولى. يصبح بالامكان تحديد طول قطر الدائرة الثانية من اية نقطة على محيط الدائرة الاولى. وانه يمكن اعتبار هذه العملية الدائرية بمثابة صلة الوصل بين شعاع طول يدوران فى سرعة ثابتة (تبلغ سرعة احدهما ضعف سرعة الثانى) ومن هنا جاءت تسمية «زوج الطوسى..»».

ولم تقتصر علوم الفلك الاسلامى على الجوانب النظرية البحتة بل انهم صنعوا الاجهزة التى تمكنوا بواسطتها من بناء النظرية الصحيحة. ومن هذه: **جهاز الاسطرلاب والربعة والمراصد**.



لقد عرف جهاز الاسطرلاب العالمى على يد صانعيه من العلماء المسلمين وكان هؤلاء يقيسون بواسطته وبواسطة الربعة ارتفاع النجوم والكواكب، كما رسموا

بمساعدتها التصاميم الفلكية المختلفة . . وورد حديث عن دور الاسطرلاب العربى الفذ فى كتابات لاتينية للكاتب البريطانى جيوفرى تشوس الذى عاش فى القرن الرابع عشر وذلك فى كتابه «استنتاجات حول الاسطرلاب». لكن كتابات «ما شاء الله» كانت قد ذكرت الكثير عن هذا الفذ فى الثلث الأول من القرن التاسع الميلادى .



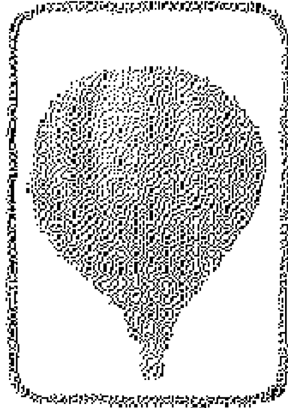
أول جهاز كمبيوتر

واستطاع على ابن خلف ان يختصر حجم الاسطرلاب فى القرن العاشر الميلادى وقدم للبشرية أول جهاز عالمى «كمبيوترى» مصنوع على صفائح نحاسية رقيقة. ثم قدم الزرقلى الاسطرلاب الذى عرف بـ «الصفيحة» وهو أول جهاز اسطرلاب تظهر فيه على سطح واحد الدوائر المجسمة ومنها مدارا الارض والشمس فى عمل ستيريوغرافى يسبق عصره . كذلك صنع جابر بن افلح اسطرلابا تجاوز من حيث تطوره جهاز الـ «توركويتوم» الاوروبى وباستطاعة مستخدمه ان يرصد النجوم والكواكب فضلا عن الاستعانة به فى الرياضيات . . وقدم الطوسى الاسطرلاب ذات الخطوط التوضيحية بغرض التبسيط .

أما البيرونى فصنع اسطرلابا ميكانيكيا قائما على دوائر وتروس مسننة ذات محاور ثابتة فوق لوحة معدنية يسهل نقلها . وجاء ابن السمح الاندلسى والزرقلى، فطوراه واصبح مؤلفا من سبع دوائر تمثل الواحدة منها كوكبا سيارا من الكواكب السبعة، ومن بين الاسطرلابات القربية التى صنعها المسلمون: الاسطرلاب الكروى، والذى لا يوجد إلا نموذج واحد منه فى جامعة اكسفورد، نقل إلى هناك على يد الاستعمار البريطانى .

وكان الرصد الفلكى يتم فى البداية بمبادرات فردية من علماء مسلمين . لكن الدولة الاسلامية كانت تشجع العلوم ومنها الفلك .

ولم ينتظر العلماء المسلمون مبادرة من الدولة لبناء المراصد لكى يشرعوا فى ابحاثهم العلمية بل انهم كانوا يصعدون إلى اسطح المنازل أو إلى تلة عالية أو حتى إلى مأذنة المسجد ويشرعون فى الرصد . . ويستدل من السجلات ان أحمد النهاوندى كان من اوائل الدين رصدوا الفلك فى العصور الاسلامية . فراقب فى مدينة جنديشابور الفارسية الشمس . وذلك فى القرن التاسع الميلادى . وفعل جابر ابن افلح الشىء عينه فى وقت قريب من وقت النهاوندى .

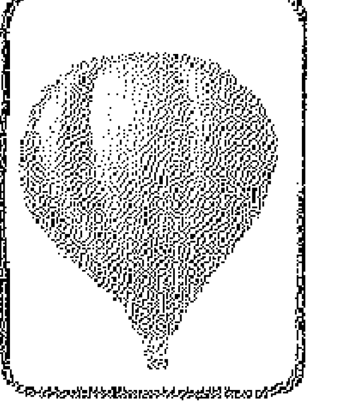


لكن القرون القليلة التالية شهدت انتشار المراصد فى جميع المدن الاسلامية . إذ لا تخلو آثارات المدن من بقايا مراصد آلت إلى الاهمال بعد وفاة خليفة اهتم بالعلم وحل محله آخر اهمله . أو لعدم توفر علماء وتلامذة اكملوا رسالة عالم شيد المرصد . ومن المراصد التى اشتهرت هناك مراصد ابن يونس فى جبل المقطم قرب القاهرة . ومرصدا مدينتى يزد وفاس فى ايران والمغرب .

اقدم مرصد إسلامى

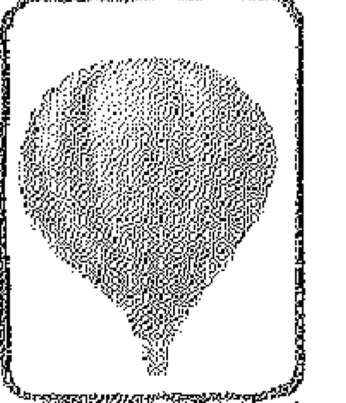
لكن اقدم وأهم مرصد عرف فى تاريخ المسلمين هو ذلك الذى أسس عام ١٢٥٩ فى مدينة مراغة على يد ناصر الدين فى اذربيجان . ويشكل بناء هذا المرصد المنعطف الأول الذى انتقلت من خلاله العلوم الفلكية من مرحلة الجهد الشخصى إلى مرحلة البحث العلمى المنظم ضمن مؤسسة ترعاها

الدولة وقد احتوى المرصد على برج للمراقبة إضافة إلى الاسطرلاب والربعة والمزولة (الساعة الشمسية) واعتبر هذا المرصد الذى سبق مراصد الأوربيين بما لا يقل عن اربعمائة سنة من التطور والقدرة فى تشييد مراصد لاحقة . . ومن هذه هناك مرصد سمرقند ومرصد اسطنبول الذى تأسس عام ١٥٧٥ على يد تقى الدين.



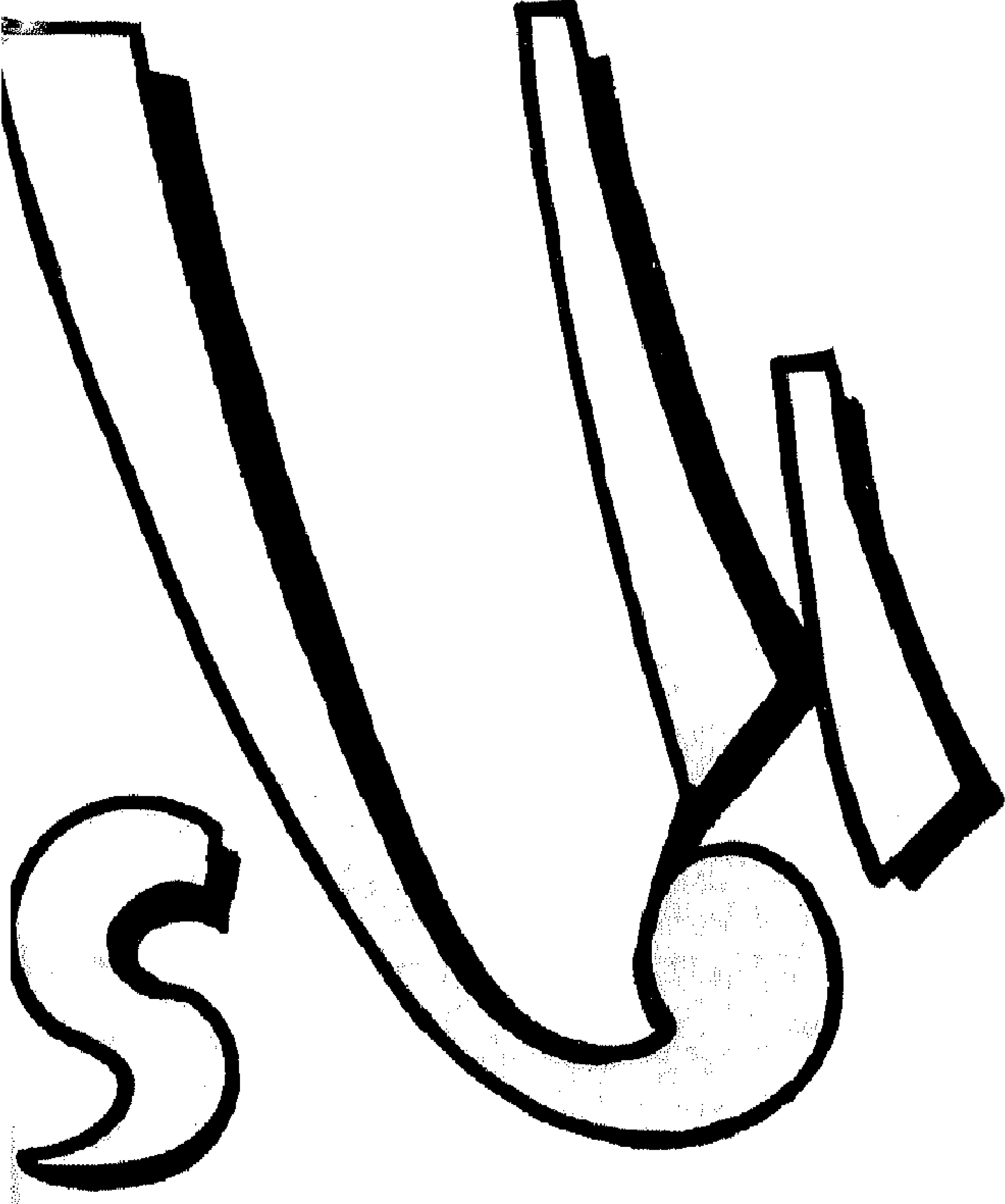
وقام عالم الفلك الأوروبى تيخو براهى ببناء مرصد «براهى» الشهير بنفس تصميم مرصد مراغة أو مرصد اسطنبول ولا يختلف مرصد «كبلر» عنه كثيرا، وعندما يصف براهى آلة الـ «تيخونيكوس» لقياس الارتفاع نجد ان هذا الوصف ينطبق تماما على الـ «لبنة» وهى الربعة التى استخدمها تقى الدين فى مرصد اسطنبول وكانت انتقلت إلى هناك اثر تدمير المرصد بامر من السلطان التركى.

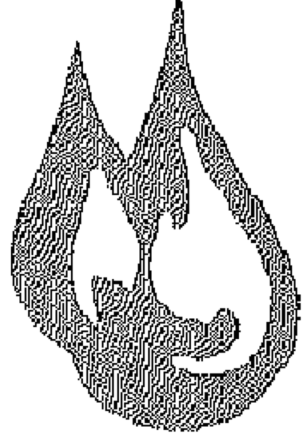
ولا يقتصر التشابه على الربعة بل انه يشمل ايضا جميع أساليب الرصد ووسائلها من ابراج وغيرها. ونشاهد المزولة فى مرصدى «براهى» و«كبلر» لمعرفة الوقت بالساعة الاسلامية.



أخيرا يمكن القول ان ابحاث الفلك بدأت تأخذ منحى علميا صحيحا على يد العلماء المسلمين وبتشجيع من الدين ورجاله والقائمين بالأمر انسجاماً مع الدعوة إلى «طلب العلم» وهو تشجيع لم يحظ به غاليلوغاليليه أو سواه من علماء اوروبا الذين قضوا قتلا على يد الكنيسية المعصبة والمسلمون وحدهم كانوا أول من مد العلماء بالنهج العلمى الصحيح حين حددوا ان الأرض ليست مركز العالم وان السماء ليست فراغا، كذلك لم يكن هذا العلم وسيلة من وسائل التنجيم.

والحقيقة التى يمكن قولها ان العرب كادوا ان يطلقوا مركبة فضائية منذ حوالى الف سنة . . وهم على كل حال «اجداد الفضاء» .





بامكاننا القول: إن الأجداد كانوا أخصب منا قريحة وأكثر حضور بديهة وأسرع خاطرا وأرق شاعرية.

فلو تصفحنا دواوين الشعراء الفحول ومصادر التراث ومظان الحكم والأمثال والطرف والنوادر والرسائل والمقامات لرأينا جلها تعود للأجيال الماضية. وربما يعود ذلك إلى أنهم كانوا أكثر منا انصرافا للأدب وأقل صروفا وهموما. وقد وقع الاختيار لهذا الوصف الرائع الماتع للماء من قولة بليغة وردت فى المحاورة التالية:

قال مسلم بن قتيبة للشعبى: ما تشتهى؟

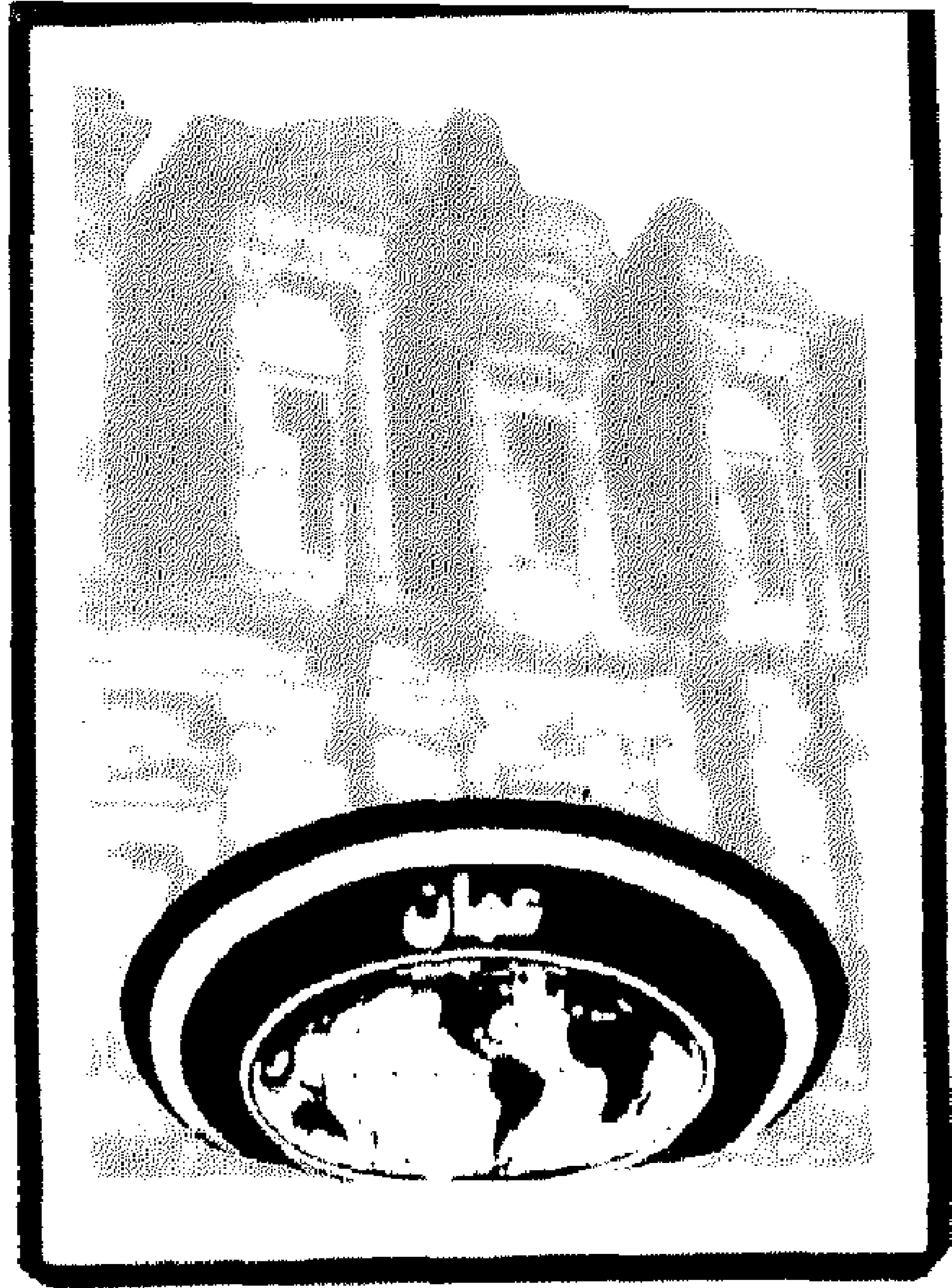
قال: أعز مفقود . . وأهون موجود .

قال مسلم: يا غلام اسقه ماءاً.

لقد أوحى العطش بهذه القولة . . وكم فى لغتنا الأصيلة الجليلة من حكم تدور حول الظمأ.

● قال ابن سناء الملك:

وأظمأ إنْ أبدى لى الماء مِنَّةً
ولو كان لِى نهرُ المجرة موردا





كاظم هادي الحيدري

أعز مفقود وأهون موجود

● وقال الحسين بن عبد السلام المصرى:

إذا أظمأتك أكف اللئام
كفتك القناعة شبعاً وريّا
فإن إراقة ماء الحيا
ة، دون إراقة ماء المحيا

● وقال الجرجانى:

وإن صديت وكان الصفو ممتنعا
فالموت أنفع لى من مشرب رنق

● وقال الشيخ عباس الملا على:

ولى نفس حر لو رأت أن ريها
يشاب بضيم لاستمرت على الظما

وأوحت الغصّة بالماء ـ مع ان الماء مزيل الغصص ـ بهذه الأقوال الخوالد:

● قال الإمام على بن أبى طالب:

«من فسدت بطانته كان كمن غص بالماء، فإنه لو غص بغيره لأساغ الماء غصته».

وقال الشاعر:

إلى الماء يسعى من يغص بلقمة
إلى أين يسعى من يغص بماء

وقال الآخر:

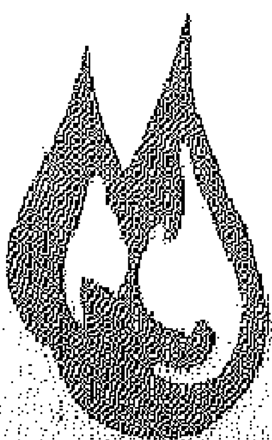
من غصّ داوى بشرب الماء غصته
فكيف حال الذى قد غص بالماء

وهذا يقول:

وكنا نستطب إذا مرضنا
فصار سقامنا بيد الطبيب
فكيف نجيز غصتنا بشىء
ونحن نغص بالماء الشريب

وقال الشاعر زكى قنصل:

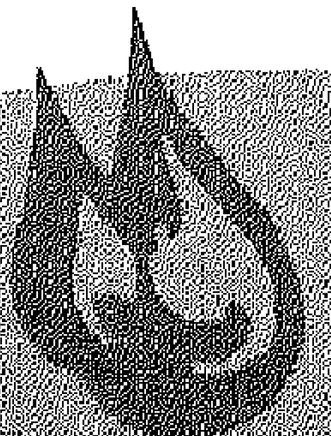
ماذا يفيد الغنى إن كان صاحبه
يغص بالماء حتى وهو سلسال



وعليه فهذا الماء الذى هو مادة رى ووسيلة تطهير ومصدر طاقة ووسط معيشة وطريق مواصلات وبيئة رياضة ومنبع جمال وعامل علاج، وأحد أبرز مكونات

الإنسان والحيوان والنبات، والذى يغطى ثلثى أو ثلاثة أرباع الأرض، وأهم عوامل الانتاج الزراعى والصناعى، وعصب الحياة بل هو الحياة.

قال تبارك وتعالى: ﴿وجعلنا من الماء كل شىء حى﴾ (٣٠ الأنبياء).



فلا غرابة بعد هذا كله وغيره إذا صار الماء مظنة حكم وأمثال وأبلغ الأقوال وها نحن سنقف فى هذه المقالة على فيض زاخر من القول الفاخر مما أوحت به عظمة البحر وروعة الشلال وعذوبة الماء الزلال وجمال البحيرات والأنهار والينابيع، ومنافع الأمطار فى إحياء الأرض بعد موتها وفى إحيائها إنعاش كل شىء.

● قال تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ (٥الحج).

وقال عز وجل: ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ (٤٥ النور).

وقال عز من قائل: ﴿إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ (١٦٤ البقرة).

● وقال سبحانه: ﴿قل أرءيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتيكم بماء معين﴾ (٣٠ الملك).

فبعد هذا وغيره لا عجب فى ورود الماء على ألسنة الأنبياء والحكماء والشعراء.

● روى عن النبى محمد ﴿ﷺ﴾ انه قال:

«طوبى للزاهدين فى الدنيا، الراغبين فى الآخرة، الذين اتخذوا أرض الله بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً».

وقال الإمام على بن أبى طالب (رضى الله عنه):

«الماء سيد الشراب فى الدنيا والآخرة». وقال: «من وثق بماء لم يظمأ».

● ومن الأقوال: «الحاجة إلى الأخ المعين، كالحاجة إلى الماء المعين». ومنها: «ربما أنجد الغريق الماء».

وقال الشريف الرضى:

إذا ما الحر أجدب فى زمان
فعفَّته له زاد وماء

وقال أبو تمام:

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى
فالسيل حرب للمكان العالى

وقال عنترة بن شداد العبسى:

لا تسقنى ماء الحياة بذلة
بل فاسقنى بالعزِّ كأس الحنظل

وقال بشار بن برد:

يزدحم الناس على بابه
والمورد العذب كثير الزحام

وقال المتنبى:

ومن يك ذا فم مرّ مريض
يجد مراً به الماء الزلالا

ومثله قول هبة الله البوصيرى:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد
وينكر الفم طعم الماء من سقم

وقال أحدهم:

ألقاه فى اليمّ مكتوفاً وقال له:
إيّاك إيّاك أن تبتل بالماء

وهذا يقول:

ولابد للماء فى مرجل
على النار موقدة أن يفورا

وقال الشاعر القروى:

رأيت اللطف يقهر كل خصم
فكن ماء إذا حمى الوطيس

وقال صالح جودة:

وقد ينبت الزهر من يابس
وينبجس الماء من جلمد

● وطالما شبهنا الممدوحين برقة وعذوبة وسلاسة الماء، وبالبحر، وبالسحاب فيقال: هو أرق من الماء.

قال أبو تمام:

هو البحر من أى النواحى أتيته
فلجته المعروف والبحر ساحله

وقال بشار بن برد:

يا صاح قد كنت زلالا عذبا
ثم انقلبت بعد لين صعبا

وقال أبو الفرج الببغاء في وصف بركة ومدح صاحبها:

وقوراء كالفلك المستدير
تروق العيون بلألائها
حبتها البحار بأمواجها،
وسحب السماء بأنوائها
كأن تدفق تيارها
يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزر من جريها
وخلقك أعذب من مائها

وجاء في رسالة أسامة بن منقذ للقاضي الفاضل:

«وما عسى أن يقول مطريه ومادحه، والفضل نغبة من بحره الزاخر، وقطرة من سحابه الماطر».

والحديث عن الماء وما دار حوله من مثل سائر، وحكم ونوادر، يذكرنا بالسراب.

قال تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء﴾ (٣٩ النور).

وقيل: «أخدع من سراب» و«أغر من سراب» و«كالسراب يغر من رآه، ويخيب من رجاه» و«من غره السراب تقطعت به الأسباب» و«بعض مواعيد الرجال سراب».

وقال الطغرائي:

قد يشبه الماء السراب ويستوى
برد ودر المعقد عند عيان

وقال حافظ ابراهيم:

أنت أوردتنا من الماء عذباً
وأراهم قد أوردونا السرابا

وقال إلياس قنصل:

أفهمتني الحياة أني غبي
حين أدعو سرابها سلسبيلا

ولكاتب هذه السطور:

ولاتك كالمغرر بالأماني
وصار يغره ومض السراب

وله أيضا:

لنفرق بين قشر ولباب
ونميز بين ماء وسراب

ولئن كان السراب واحدا فإن الماء أنواع وأقسام.

فلقد قسمه القرآن الكريم إلى ﴿هذا عذبٌ فرات وهذا ملحٌ أجاجٌ﴾ (٥٣ الفرقان).

وقال تعالى: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾ (٥ الإنسان).

وقال عز وجل: ﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلا﴾ (١٧ الإنسان)

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهورا﴾ (٢١ الإنسان).

وقسمه الفقهاء إلى مطلق ومضاف، وكثير وقليل.

وقسمه آخرون إلى الماء اليسر والماء العسر والماء الثقيل ومياه البحار والأنهار والآبار والأمطار والمياه الجوفية، والمياه المعدنية .. الخ.

ولكن هل اكتفى الشعراء بهذه الأقسام؟

فهذا أبو اسحاق الزجاج يقول:

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه
ولاخير في وجه إذا قل ماؤه

ومثله قول الآخر:

متى رحت يوماً أبتغي منه حاجة
رجعت إلى أهلي ووجهي بمائه

وأضاف هذا ماء العيون:

حب آل النبي خالط قلبي
كاختلاط الضيا بماء العيون

وأبو نصر الفارقي يذكر مياه الود:

حسبت مياه ودهم عذابا
فلما ذقتها كانت ملاحا

أما منصور بن كيغلغ فيجمع بين ماءين:

كتبت إليك بماء الجفو
ن، وقلبي بماء الهوى مشرب

والشاعر القروى يضيف ماء الجبين :

لئن لم أكن أشعر الشاعرين
ولم أجن من أدبى فائدة
فحسبى أن صنت ماء الجبين
وتلك قصيدتي الخالدة

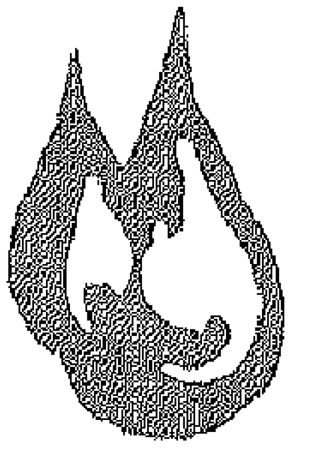
● ويجدر بنا ونحن فى موضوع أقسام المياه أن نقف قليلا أمام البحر، فهو حرى بالتقديم والتعظيم. أليس هو الذى قيل فيه : «حدث عن البحر ولا حرج».

■ ولكننا لا نريد الغوص فى أعماقه متحدين الضغوط العالية ومستعينين بالأجهزة الواقية والمساعدة.. ولا نريد أن نكتب عن الملاحة والتلوث وتحلية المياه والحيوانات البحرية وأملاح ومعادن البحار واللؤلؤ والمرجان والمد والجزر والبواخر العملاقة وما اليه..

وقديما قال أبو الحسن التهامى :

ومكلف الأيام ضد طباعها
متطلب فى الماء جذوة نار

فهذا الذى كان يراه التهامى مستحيلاً أصبح اليوم ممكنا فالتقدم العلمى أدى إلى الحصول على الوقود من غاز الهيدروجين المفصول عن الماء بالتمثيل الضوئى الصناعى.



وعلى ذكر الطاقة يجدر بنا أن نشير إلى غنى بلادنا بمختلف مصادرها من مياه غزيرة حولها وعلى أرضها وفى جوفها.. وكمثال على مقدار الكميات الضخمة من المياه الجوفية التى تحتويها أرضنا المعطاء ما اكتشف أخيراً فى ليبيا بحيث سببت إنشاء نهر صناعى لنقلها من مكمنها إلى الأرض الصالحة للزراعة.. ومن مصادر الطاقة النفط المكتشف فى العديد من أقطارنا.. والشمس الساطعة المشرقة على الدوام.

● عذراً فقد خرجنا قليلا عن موضوعنا وهو ذكر النصوص الرائعة التى تفيض برقة الماء وجمال الشلال وخصب الأمطار وروعة البحار.

● ولنبدأ بالبحار ونستفتح بالآيات القرآنية الكريمة، وما أكثرها، ولكننا سنقتصر على بعضها.

قال تعالى: ﴿ولو أنّما فى الأرض من شجرة أقلامُ والبحرُ يمدهُ من بعده سبعةُ أبحرٍ ما نفدت كلماتُ الله إن الله عزيزٌ حكيمٌ﴾ (٢٧ لقمان).

وقال جل وعلا : ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ (١٢ الجاثية).

ومن الأمثال والحكم التى ورد فيها ذكر البحر، قولهم: «ساقية لا تعكر بحرا» و«البناء من لبنات والبحر من قطرات».

وقول المتنبى :

«ومن قصد البحر استقل السواقيا»

وقول أبى نواس :

ولكن إذاحم القضاء على امرىء
فليس له برٌّ يقيه ولا بحرُ

وقول أبى إسحاق الصابى :

عرض البحر وهو ماء أجاج
وقليل المياه تلقاه حلوا

ومما يضرب للثرى البخيل قول رؤبة :

كالحوت لا يرويه شيء يلقمه
يصبح ظمآن وفى البحر فمه

وقد شبه أبو الحسن أحمد بن المؤمل الدهر بالبحر بقوله :

تصور الدنيا بعين الحجى
لا بالتى أنت بها تنظر
الدهر بحر فاتخذ زورقاً
من عمل الخير به تعبر

وقال على محمود طه :

الشعب مثل البحر إن يغضب فما
تقف السدود الشم فى تياره

وأما نور الدين أبو ريشة فيقول :

فقد تحلو المرارة بعد لأى
ويصفو البحر من بعد اضطراب

ولكاتب هذه السطور :

هدوء سطح البحر لا ينفى
وجود مكروه به مخفى

● ولا نغادر البحار إلا ونستقبل الأنهار. وقد تكرر ذكرها فى القرآن الكريم كثيراً. وغالبا ما يكون مقرونا بذكر الجنة ونعيمها ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار﴾ (٢٥ البقرة).

وقوله عز من قائل: **﴿ مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ (١٥ محمد).**

وليس غريبا اهتمام الناس بالأنهار فهى خير مواطن الإنسان. وعليها أنشأت السدود من أقدم العهود. وكم أضفت جمالا على المدن الواقعة عليها. أما آثارها فى رى الزرع واشباع حاجات الإنسان والحيوان فليست بحاجة إلى بيان. ونعمة الحصول على الماء الفرات المعقم داخل المساكن يغبطنا عليها المحرومون.. وكم من الأنهار العظيمة صارت طرقاً مهمة للمواصلات، وقامت بالقرب منها كثير من الصناعات، ونشأت على ضفافها أولى الحضارات. مثل حضارة وادى الرافدين وحضارة وادى النيل.

● وعلى ذكر الرافدين جاء فى كتاب الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون ج٥ ص١٩٦: «الفرات ودجلة رائدان لأهل العراق لا يكذبان».

كما جاء ذكر الفرات فى المقامة المضيرية من مقامات بديع الزمان (ت٣٩٨هـ): «ترى هذا الماء ما أصفاه: أزرق كعين السنور وصاف كقضيب البلور، استقى منه الفرات واستعمل بعد البيات فجاء كلسان الشمعة فى صفاء الدمعة».

وجاء ذكر «النيل» على لسان عباس محمود العقاد فى قوله:

لا تحسدن غنياً فى تنعمه
قد يكثر المال مقروناً به الكدر
تصفو العيون إذا قلت مواردها
والماء عند ازدياد النيل يعتكر

ومن الحكم الجارية مجرى الأمثال:

ومن سد مجرى النهر يوماً ولم يكن
أعد له مجرى جديداً تندما
إلى أن يعود الماء فى النهر جارياً
ويخضر جنباه تموت الضفادعُ

وقال إيليا أبو ماضى:

كل نهر لا ارتواء به
لا أبالى بسال أو نضبا

ولنزار قبانى:

قد يطلع الحجر الصغير براعماً
وتسيل منه جداول وظلالُ

ولكاتب هذه السطور:

النهر صمم مذ جرى
ألَّا يعود القهقرى
فلنعتبر نحن الورى
فلا نسير للورا

ومن أهم مصادر المياة وأجلها الأمطار سماها الله - تبارك وتعالى - رزقاً وغيثا ووابلا وطلا وودقا وصيبا.

قال جل وعلا: **﴿وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها﴾** (٥ الجاثية).

وقد وصفه - عز من قائل - بالطهور: **﴿وأنزلنا من السماء ماءاً طهوراً﴾** (٤٨ الفرقان).

ومن الآيات الكريمة التى ذكر فيها الغيث: **﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد﴾** (٢٨ الشورى).

وروى عن النبى محمد ﴿ﷺ﴾:

«أمير لا عدل له كغمام لا غيث له».

كما روى عنه ﴿ﷺ﴾: «إن الله يحيى القلوب الميتة بنور الحكمة، كما يحيى الأرض بوابل السماء».

وعبر المعرى عن المطر بالديمة والغيث فى قوله:

تنازع فيك الشن بحر وديمة
ولست إلى ما يدعون بمائل
إذا قيل بحر، فهو ملح مكدر
وأنت نمير الجود حلو الشمائل
ولست بغيث فوك للدر معدن
ولم يلف در فى الغيوث الهواطل

وبالسحاب فى قوله:

فلا هطلت علىَّ ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

وهو القطر فى قول هذا الشاعر:

أرادت لتثنى الفيض عن عادة الندى
ومن ذا الذى يثنى السحاب عن القطر

وهو الحيا فى قول أبى بكر العيدى:

حياك يا (عدن) الحيا حياك
وجرى رضاب لماه فوق لماك

وللمطر أسماء أخرى مثل العهاد والغدق والرهام والرذاذ والمزن والوبل والهميم والولى والنوء والربيع.

ومن الأقوال الشبيهة بالأمثال فى هذا المجال: قول السيد باقر السيد ابراهيم العطار الحسنى:

ولا كل خفاق البروق بماطر
ولا كل زهر فى الرياض بعاطر

ومثله قول بشار بن برد: «**ما كل بارقة تجود بمائها**».

ومن الأمثال: «**يحسب الممطور أن كلاً مطر**» و«**أصلح غيث ما أفسد البرد**» و«**املأ حبك من أول مطرة**».

وإذا أراد بعضهم مدح إنسان سوى رضى صفى قالوا: يستسقى به الغمام.

● عذراً يا قارئى الكريم فلقد طال المقال وشفيعى ان الماء أهل لهذا ولأكثر منه.

قال أحدهم: «**إذا كان هناك من سحر فلابد انه يستعطن الماء**».

وها نحن نختم الأقوال بما قيل فى الآبار:

قال الإمام على بن أبى طالب(رضى الله عنه) «**من امتشق سيف البغى قتل به، ومن حفر بئراً لأخيه وقع فيها**».

وقد نسج على منواله إيليا أبو ماضى فى قوله:

وكل طابخ سم سوف يأكله
وكل حافر بئر واقع فيها

● ومن الأمثال:

«**هرب من الدب فوقع فى الجب**».

● وليس لنا ونحن فى النهاية إلا أن نشكر الله جزيلا على نعمة الماء إحدى أنفع وأروع وأرفع النعم التى لا تعدُ ولا تحصى. ونردد مع القائل:

إلهى على كل الأمور لك الحمدُ
فليس لما أوليت من نعم حدُ

قصة لعدد ١

بقلم/ محمد يوسف أيوب

رجع السلطان ألب أرسلان إلى أذربيجان بعد أن كسر شوكة الروم ليسير شئون الدولة فى عاصمة ملكه الرى. وأنت إذا نظرت إلى تلك الجبال السامقة التى تفوح من نباتاتها الجبلية الجميلة رائحة تنعش الإرواح، لوجدت الأشجار نشوى لمداعبة نسمة عليلة، والأزهار ترقص وتتمايل طرباً تستقبل هذا البطل العظيم.

خيام جيش السلطان المجاهد تنتشر بتناسق عجيب حيث يثير منظرها فى النفس شعور العزة والقوة.. وصهيل الخيول يملأ أرجاء المكان فيمتزج مع صوت الجنود وحفيف أوراق الاشجار ليشكل موسيقى عذبة تطرب لها الأسماع.. وأنت لو نظرت وأمعنت النظر لما وجدت فرقاً بين تلك الخيام، فجميعها متشابهة ولكن واحدة منها تنفرد عن الأخريات بأن السلطان يجلس فيها رافعاً يديه بالدعاء لله تعالى، بعد أن أنهى صلاته شاكراً ربه لما أنعم عليه من نصر مؤزر على الأعداء.

ومن بعيد نشاهد رجلا يسير بخطى مسرعة نحو خيمة السلطان ويدخل ويسر بكلمات هى دون شك

قصة تاريخية

بطل ملازكرد

هامة، لوحظ على اثرها تغير وجه السلطان المؤمن وتراقصت اللحية البيضاء غضباً.

ظهرت حركة غريبة فى المعسكر الاسلامى..

إجتمع الجند وظهر السلطان بين الجموع المحتشدة بقامته المديدة ووجهه الأغر فسكت الجميع وهدأت الحركة حتى لتكاد تسمع دقات القلوب.. ونظر السلطان الى جنده بعين صقر وقال:

ـ أيها الجند يا حماة الاسلام لقد جمع أرمانوس جيشه وهو يريد القضاء على المسلمين واحتلال البلاد وما علينا إلا أن نتصدى له لنرد كيده إلى نحره، والله غالب على أمره..

صاح الجند بصوت واحد:

ـ أيها السلطان نحن معك فسر بنا على بركة الله.. ووالله لو خضت بنا البحر لخضناه معك..

ارتسمت بسمة رائعة على وجه السلطان وكبر وكبر الجند معه وشعر بقوة عظيمة تملأ كيانه كله، وبدأ الجند بحزم الأمتعة وظهر الجد والحزم على كل حركة من حركاتهم.

وفى سهل «ملازكرد» الذى تتوسطه بحيرة «وان» عسكر أرمانوس مع جيشه البالغ تعداده مائة ألف

ورائحة الخمرة تفوح من المكان فتزكم الأنوف وصوت الجنود السكارى يملأ الجو صخباً وضجيجاً.

وصل ألب أرسلان مع جنده المؤمن إلى سهل «خلاط» القريب من سهل «ملازكرد» وحطوا رحالهم.. ووقف السلطان خطيباً فقال:

ـ أيها الجند المؤمن: إن ثقتنا بالله قوية فهو لن يتخلى عنا وقد وعد جنوده المؤمنين بالنصر، وأنا سأقاتل معكم صابراً محتسباً فإن سلمت فذلك نعمة من الله تعالى، وإن كانت الشهادة فإن ابنى «ملكشاه» ولى عهدى من بعدى.

●● ثم اجتمع السلطان مع كبار قادته ومع الفقهاء والأمراء ليتشاور معهم فى هذا الأمر العظيم.. وبعد أخذ ورد اتفق الجميع على أن يذهب وفد إلى أرمانوس لطلب الهدنة كسباً لبعض الوقت.. وذهب الوفد ولكنه سرعان ما رجع بجواب القائد المغرور وهو أنه «لا هدنة إلا بالرى» والرى عاصمة ملك السلطان ألب أرسلان.

جمع السلطان جنده وأعلمهم أن الحرب لا مفر

منها وأنه لا خيار أمامهم . . فإما النصر أو الشهادة . .
وجلس مع الفقيه أبى نصر محمد بن عبد الملك البخارى وطلب منه رأيه وكان دائماً يفعل ذلك قبل كل معركة، وكان رأى هذا الفقيه هذه المرة أن قال للسلطان:

ـ أيها السلطان إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان وأرجو أن يكون الله قد كتب هذا النصر باسمك وأرى أن تدخل المعركة يوم الجمعة . . وسيكون النصر حليفك إن شاء الله تعالى ,

صلى السلطان مع جيشه البالغ تعداده خمسة عشر ألف مقاتل صلاة الجمعة مبكراً ليدخل المعركة وملايين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها فى مساجدهم يؤمّنون على دعاء خطبائهم بالنصر والظفر لجند المسلمين . . وبعد أن أنهى السلطان صلاته التفت إلى جنده وقال:

ـ أيها الجند من أراد أن ينصرف فلينصرف فما هنا سلطان يأمر وينهى وألقى القوس والنشاب وأخذ السيف والدبوس وعقد ذنب فرسه بيده وفعل جنده مثله . . ثم لبس البياض وتحنط وقال:

●● أيها الإخوة إن استشهدت فهذا كفنى . وبكى وعفر وجهه بالتراب وأكثر من الدعاء بقلب خاشع . . ثم ركب فرسه وحمل على الأعداء وحمل جنده معه . . فتطايرت الرؤوس وتمزقت الأشلاء وسالت الدماء وكانت معركة بين مائة ألف مشرك وخمسة عشر ألف مؤمن، ولكن العدد فى مثل هذه الأحوال لا ينفع شيئاً، فالايمان وحده هو العامل الحاسم فى مثل هذه المعارك، فهى إذن معركة بين الكفر والايمان . . وما هى إلا ساعات حتى انتصر المسلمون ووقع أرمانوس أسيراً وجيىء به الى خيمة السلطان المنتصر ووقف ذليلاً معفر الوجه يرتجف من الخوف.

وتقدم السلطان وضربه ثلاثة مقارع بيده وقال له:

ـ ألم أرسل لك بالهدنة فأبيت؟ .

رد الامبراطور المهزوم:

ـ دعنى من التوبيخ وافعل ما تريد ,

قال السلطان:

ـ ماذا كنت تفعل بى لو كنت أسرتنى؟

أجاب أرمانوس:

ـ كل قبيح .

قال السلطان:

ـ فماذا تظن أنى فاعل بك؟

أجاب أرمانوس:

ـ إما أن تقتلنى وإما أن تشهر بى فى بلاد الاسلام. وأما الثالثة فبعيدة وهى أن تعفو عنى .

ضحك السلطان وقال:

ـ والله ما عزمت على غير الثالثة .

ثم صاح بجنده:

ـ فكوا قيوده .

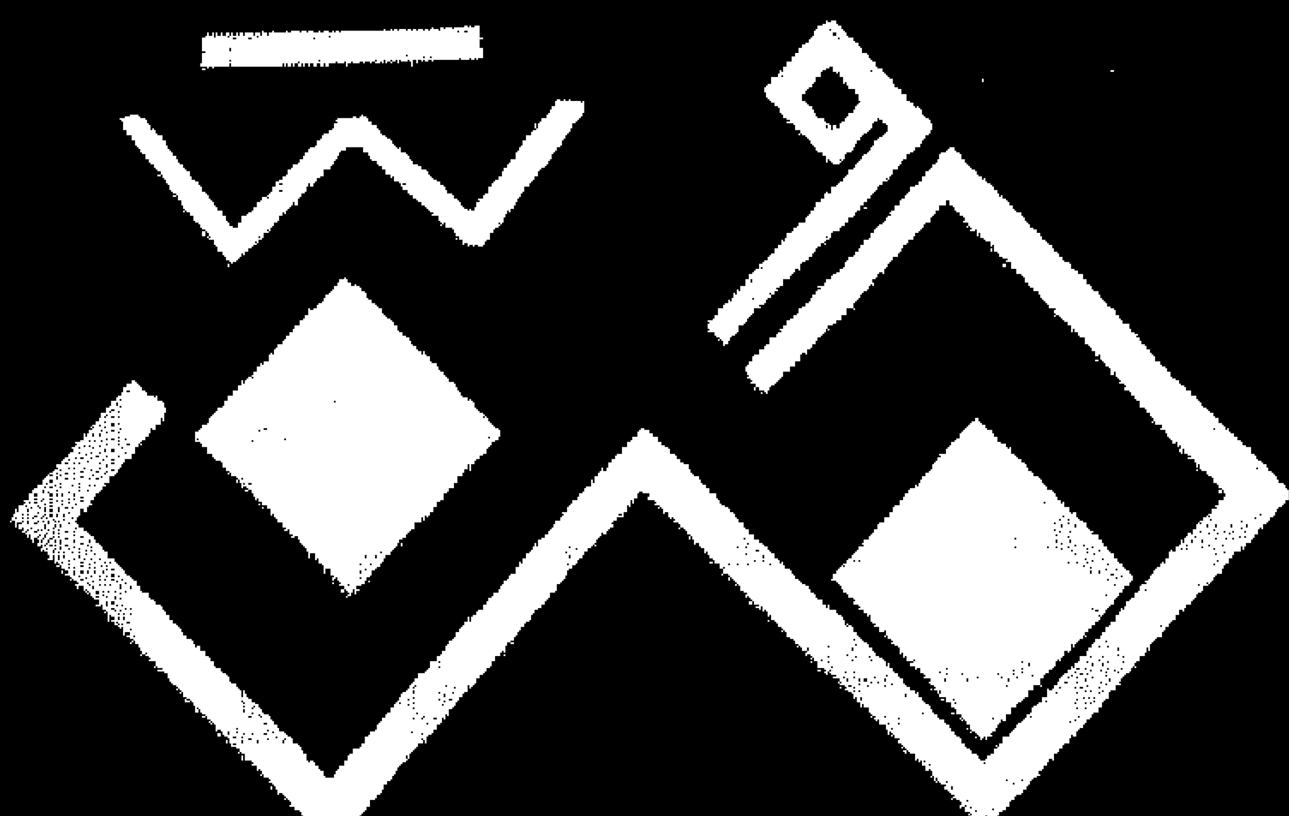
فك الجنود قيود الامبراطور الأسير وألبسوه ثياباً نظيفة وهو غير مصدق، ثم أنزله السلطان فى خيمته وأعطاه عشرة الاف دينار ليتجهز بها وأطلق معه طائفة من بطارقته . فملك السلطان بهذا العمل قلب الامبراطور المهزوم الذى ما كاد يرى نفسه حراً طليقاً حتى سأل عن مقر الخلافة حيث دله عليها بعض الجنود من حوله، فكشف الغطاء عن رأسه وأومأ بالخدمة والتحية وهجم على السلطان يقبل يديه شاكراً له هذا الجميل.

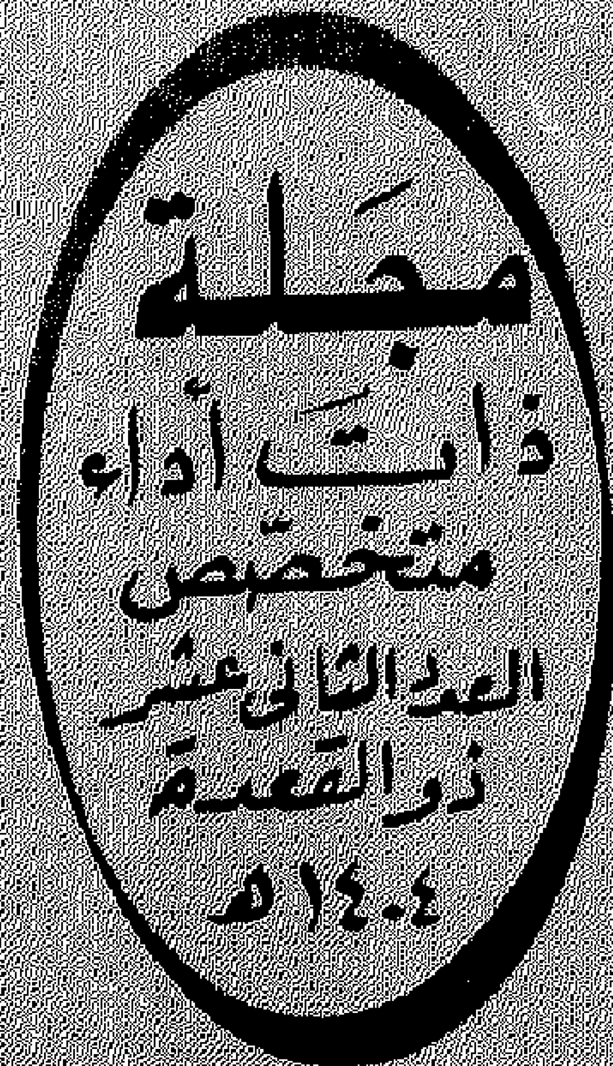
أوصل جنود السلطان الامبراطور وبطارقته إلى حدود دولتهم ورجعوا . . وعندما وصل أرمانوس إلى عاصمة ملكه وجد أن زوج ابنته قد نصب نفسه امبراطوراً حيث قبض على أرمانوس وقيده وسمل عينيه وتركه يموت وحيداً وهو يعجب أشد العجب من معاملة قومه له ومعاملة المسلمين أعدائه . .

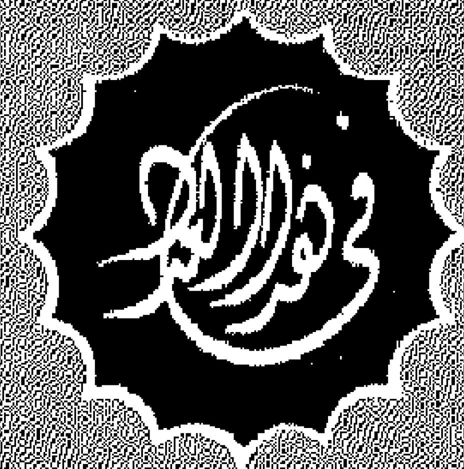


النساء .. شقائق الرجال









الإشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

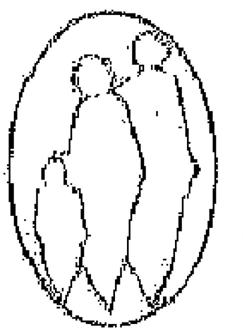
حياة عبد الحميد عنبر — جدة

افتتاحية العدد ١

العدل

في محيط الأسرة

هدية مباركة لهن من فضيلة الشيخ / عبد الله خياط خطيب المسجد الحرام



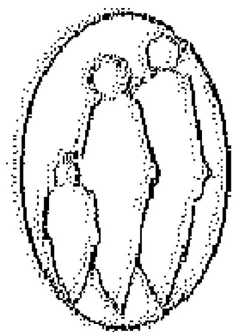
إنَّ مما تجنح اليه الفطر المستقيمة وتدعو إليه العقول السليمة العدل فى كل مجال والتجافى عن الظلم والجور ما وجد المرء إلى ذلك سبيلا . .

وجاء الاسلام بتدعيم هذه الفضيلة حيث جعل العدل محور الصلاح والتقوى ومعيار الاستقامة فى المنزع ووسيلة للفلاح ، وفرضه فى الأقوال والافعال وسوّى فيه بين القريب والبعيد والصديق والعدو.

﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ اى بالعدل ﴿ ولا يجرمنكم شنئان قوم على ان لا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إنَّ الله خبير بما تعملون﴾ .

وقد أمر الله سبحانه بالعدل فى جملة ما أمر به من مجالات فى دنيا الناس .

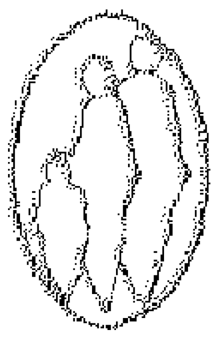
امر به فى محيط الاسرة وهى المجتمع الصغير للاشارة إلى ضرورة التزامه وارساء قواعده فى المجتمع الكبير وبين أفراده وفى كل مجالات الناس ونشاطهم فعندما اباح تعدد الزوجات شرط فيه العدل ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعدلوا﴾ اى ان خفتم عدم العدل فى التزوج بعدد من النسوة اكثر من واحدة فاقتصروا على واحدة فذلك اقرب إلى عدم الجور والميل عن الحق الواجب اتباعه ، أو استمتعوا بملك اليمين اى السرارى لانه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم فى الحرائر ولا قسم لهن ولا وقف فى عدد هن .



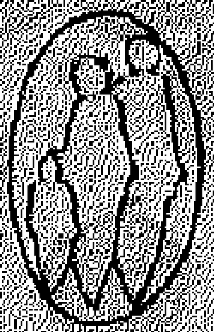
وأطلق سبحانه العدل فى الآية ليشمل كل ما يجب على الزوج للزوجة من النفقة فى المأكل والمشرب والملبس والسكن وما إلى ذلك مما يعتبر نفقة مشروعة وحقا مفروضا للمرأة فى عنق الزوج لا يجوز الاخلال به ولا

أن يفاضل فيه بين زوجة وأخرى بالاضافة إلى العدل في القَسْم وعمدته الليل لمن معاشه في النهار كما هو متعارف عليه بين الناس.

ومن كان أمر معاشه بالليل كالحارس والخفير ومن على شاكلتهما فيقسم بين نسائه في النهار نصَّ على ذلك الفقهاء في الفروع وعن عدم تفضيل احدى نسائه على الأخرى فيما يجب فيه التسوية كالأكل والملبس والسكن أو المبيت.. فقد ركب المحظور وشمله الوعيد الوارد في ذلك (عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: «من كان عنده **امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط»** رواه الترمذي.. ورواه ابو داود بلفظ من كانت له امرأتان فمال إلى احداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل.. ورواه غيره أيضا من أصحاب السنن باختلاف في اللفظ والمعنى.. وأن الله سبحانه وهو الحكم العدل الذي لا يقر الجور وقد حرم الظلم على نفسه وعلى عباده اقتضت حكمته بأن يعامل الظالم لزوجته من جنس عمله جزاءا وفاقا «ولا يظلم ربك احدا».. فكما أمال في الدنيا ميزان العدل ورجح كفة إحدى زوجاته على الأخرى أراه الله ذلك في نفسه يوم الجزاء - وقيل انما ترجح كفة سيئاته على حسناته كما رجح في الدنيا بره وخيره ورفده ولم يسو فيه بين نسائه وهذا فيما يمكن التسوية فيه.. أما الميل الطبيعي الذي لا يملك المرء فيه التحويل والتغيير وهو الميل العاطفي فليس عليه بأس في ذلك أو اثم فإن القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن.. ولم يوجب الشرع التسوية في أمر خارج عن ارادة البشر فيحب القلب ويكره ويعطف ويقسو حسب ما يودعه الله فيه من حب وعطف لأناس وبغض وكراهية لآخرين **ولذلك نفى سبحانه امكان التسوية والعدل بين** النساء في الميل العاطفي فقال **﴿ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾** المعنى: لن يستطيع الرجال التسوية بين النساء من كل وجه فانهم ان عدلوا بينهن في كل شيء وقسموا لهنَّ الليالي فلابد من وجود تفاوت في الميل والرغبة والاستلطاف.



روى الإمام أحمد وأهل السنن بالسند عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول (اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك) **يعنى القلب.. ولقد رسم القرآن الطريقة المثلى التي يجب انتهاجها فيما لو مالت طباع البعض من الرجال إلى بعض نسائهم وهى أن لا يندفعوا اندفاعا كليا وراء العاطفة بحيث يتركون من لا يهوونه من النساء مع امساكهن وعدم تسريحهن يتركونهن كالمعلقات قال تعالى: ﴿فلا** تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة﴾.



وقد وعد سبحانه من يمتثل امره في ذلك ويصلح شأن نسائه بأن يسوى بينهن في القسم كما يسوى بينهن في النفقة وما يجب لهنَّ ويتق الله في جميع احواله وعده بالمغفرة فيما لعله ان يبدر منه من ميل إلى بعض نسائه دون البعض الآخر قال تعالى : ﴿وان تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما﴾ **وفي تفسير هذه الآية وإيضاح الغرض منها وهو ان العدل المقصود فيها هو الميل للعاطفة في ذلك ما يدفع زعم التعارض بينها وبين قول الله تعالى:** ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ان لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ **إذ أن العدل المقصود**

فى هذه الآية كما تقدم هو التسوية فى النفقة والسكنى والقسم وما إليه فالتجافى عنه جور يؤاخذ العبد عليه بخلاف العدل المقصود فى آية ﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء﴾ فالمراد به ميل القلب والعاطفة والقرآن يفسر بعضه لا تعارض فيه ولا اختلاف ﴿افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾.. ويسوقنا الحديث عن اباحة تعدد الزوجات إلى الادلاء بكلمة عن حكمة هذه الاباحة والملاحظ من وضع النساء انهنَّ فى حاجة إلى من يكفلهن ويصلح من شأنهن ويدرأ عنهن الخطر والضرر ويصون عفافهن وكل ذلك مجتمع لا يتوفر إلا فى الزوج باعتباره الجزء المتمم للمرأة والتى يسكن إليها والتى تكون معه مجتمع الاسرة. غير ان هذا الجزء الذى عليه قوام أمر النساء قد تجتاحه العواصف الهوج فيترك وراءه أيامى وفتيات لا عائل لهن قد يشكلن خطرا على المجتمع إذ تضطرهن الحاجة للتجارة باعراضهن والانزلاق فى حمأة الرذيلة طلبا لسد الرمق.. افليس من الحكمة والرشاد اباحة تعدد الزوجات وقد تتعطل المصلحة المتوخاة من الزواج كأن تكون المرأة عقيما، أو ابتليت بمرض مستعص أو تقدمت فى السن. أو كانت دميمة. وهى مع كل ذلك فى حاجة إلى من يكفلها ويرعى مصلحتها.. افليس من الحكمة ان يباح للرجل أن يضم إلى عصمته زوجة أخرى يتعفف بها؟.. أو ثالثة أو رابعة حسبما هو مشروع شريطة التقيد فى ذلك بالواجبات المفروضة عليه كزوج من العدل بينهن والتجافى عن الجور فى كل مجالاته.

إن شريعة الاسلام الصالحة لكل زمان ومكان حين أباحت التعدد فى الزوجات اباحته لمصلحة اجتماعية تربو على ما لعله أن ينجم من إحن بين الضرائر وما قد يجره من متاعب ومشاكل وازراء. والله الهادى الى سواء السبيل.

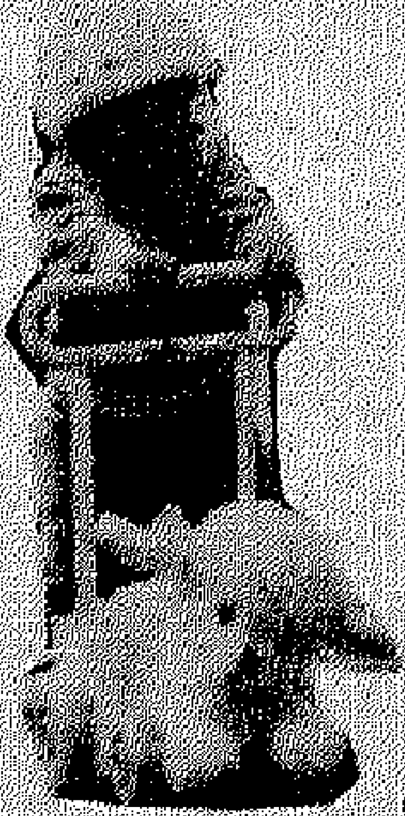
عالم الطفولة.. عالم خصب عميق.. أخصب مما نتصور ونعتقد.. غير أن هناك كثيراً من الاخطاء الشائعة عن الاطفال.. تدل على أن نظرتنا لعالم الطفولة محدودة.. والحقيقة يا عزيزتى.. ان الطفل ذكى جداً وقدراته على إدراك الأمور والإحساس بها من حوله ليست سطحية.. إذ ان كثيراً من الآباء والأمهات لا يلاحظون قدرات أطفالهم.

أجل يا عزيزتى.. فهناك ما يدلل على ذلك فى كثير من مشاهداتنا اليومية.. ولعل أقربها تلك الاقصوصة التى روتها إلىَّ إحدى صديقاتى فى مناسبة ميلاد طفلتها التى لا تتجاوز الخامسة إذ قدمت لها هدية من المكعبات الملونة المرقمة

ملف الأسرة والطفل

الأسرة عماد الحياة والأطفال فلذاتنا .. وحبّات قلوبنا .. والعماد لا يقوم إلا على نهج قويم، ولأجل هذا وذاك تفتتح "هن" ملفاً "للأسرة والطفل" يحدوها أمل عريض مضمخ بالحب لبناء ذلك الصرح الشامخ

عالم الطفولة



بقلم / رجاء عودة

حساباً وأبجدياً في حين .. أحضر لها والدها دمية جميلة تتحدث وتغني وتتحرك ..

فرحت الطفلة برؤية الهديتين قبل فتحهما .. ثم سرعان ما استطاعت أن تقارن بين مستويين من التفكير والفهم للحياة عامة، ولنفسية الطفل خاصة .. وذلك عندما راقت للصغيرة هدية أبيها وقفزت إلى أحضانه ترفع قبلاتها الحانية إليه باقة شكر وتقدير لهديته الرائعة التي كانت محط أملها وغاية رجائها .. في حين لم تكترث الصغيرة بهدية أمها ولم تلق لها بالاً .. بل عبرت بعفوية طفولية عن رأيها بها عندما سألتها أمها عن عدم احتفائها بهديتها حيث قالت لها: **«أنت يا ماما تريدينني أن ألعب أم أدرس؟»** وعقدت الدهشة لسان الام إذ لم تكن تتصور لأول وهلة أن ابنتها على هذا المستوى من الوعي والإدراك بحيث استطاعت ان تقيّم أمها من خلال ألعابها .. وبالرغم من الموقف الحرج الذي وضعت الطفلة فيه أمها .. إلا أن صديقتي لم تبال ولم تتأثر .. بل اعتبرت هذا التصرف ظاهرة صحية في حياة الأبناء للتعبير عن ذواتهم وميولهم وامكانياتهم .. واتخذت هذا الموقف نقطة البداية والانطلاقة الصحيحة لتغيير سلوكنا ومفاهيمنا تجاه أحبائنا بحيث ينبغي دائماً مراعاة ميولهم وقدراتهم والتكيف معهم في جميع مراحل نموهم.

ورحم الله الشاعر حين قال:

وإنـما أولادنـا بيننـا
أكبـادنـا تمشـي على الأرض
لو هبّت الـريـح على بعضهم
لامتنعت عيني عن الغمض



كيف ينشأ طفلنا العربى اجتماعيا ؟

حسين أبو زينة

عندما يولد الطفل لا يستطيع أن يشارك كعضو فى المجتمع إلا بعد عمليات التنشئة الإجتماعية التى تصنع منه شخصاً قادراً على أداء الأدوار الاجتماعية المتعددة ويقوم التعليم بمهمة أساسية ولكن يجب أن يلاحظ أن كل تعليم ليس تنشئة إجتماعية بالضرورة. وهنا يبرز دور الثقافة التى تشكل الإطار لكل ما يمكن أن يتعلمه الشخص ويدخل فى صميم تنشئته.

فالطفل حديث الولادة يدخل مجتمعاً موجوداً بالفعل له قواعده ومعاييره وقيمه واتجاهاته وبه بناءات إجتماعية عديدة منتظمة ومنمطة ومع ذلك تتعرض للتغير باستمرار. . ولا يكون للطفل الوليد غير المهيأ اجتماعياً أى علم بهذه العمليات أو البناءات أو التغيرات وتكون وظيفة أنماط التفكير والشعور والعمل فى مثل هذا المجتمع تحديد الوسائل والطرق التى يجب أن يمر بها هذا الوليد البرعم.

ومن الحقائق الجديرة بالاهتمام أن الطفل عنده القدرة على النمو بصور متعددة ومختلفة وعنده استعدادات كافية يمكن بواسطتها أن يتكيف لظروف مختلفة.

والعمليات التى يتعلم عن طريقها الطفل أو البالغ أساليب المجتمع أو الثقافة التى تعينه على أن ينمو ليتمكن من المشاركة فى الحياة الاجتماعية فى مجتمع بعينه.

وتؤدى عملية الرضاعة إلى إيجاد احساسات معينة عند الطفل بالثدى وليس هناك دليل على أن الطفل يفكر فى هذه الإحساسات كما لو كانت شيئاً مختلفاً عن فعل الرضاعة ثم تنتج بعض العادات الآلية البسيطة كرؤية الأشياء وبعض الإحساسات أو الإدراكات. بعدها يدرك الطفل ما يراه وينسق بين المعلومات التى يلتقطها من حواسه المختلفة كالرؤية والسمع واللمس والشم أحياناً وفى مرحلة متقدمة يستطيع الطفل أن يعيد بناء الأشياء فى ذاكرته ويستطيع أن يتخيل وجودها عندما لا تكون مرئية ويستطيع أن يجدها فوراً بالرغم من أن وضعها أو مكانها قد تغير.

وتمثل التنشئة الإجتماعية - إذن - ذلك النوع من التعليم الذى يسهم فى قدرة المرء على أداء الأدوار الإجتماعية فهى تعليم ذو توجيه وكيفية خاصة. . ومن زاوية بعض الأنساق الإجتماعية تعتبر التنشئة الإجتماعية تعليماً مرغوباً وصادقاً.

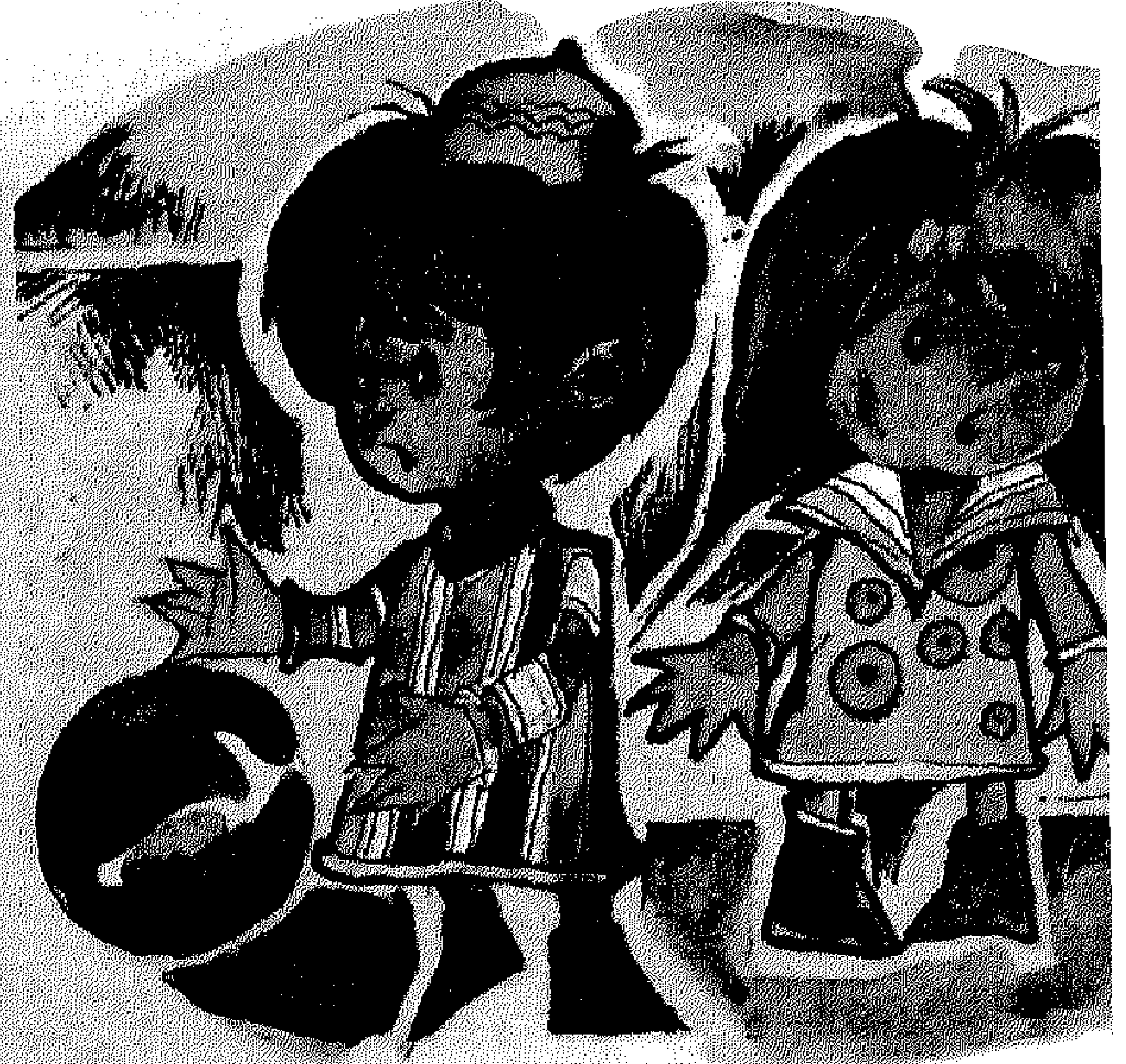
ملف الأسرة والطفل

علينا إذن - أن نميز بين العقاب والإحباط فتجربة الإحباط ضرورية لكي يحقق التعليم أهدافه.. والواقع أن المكافأة لن تؤدى إلى الأثر المرغوب منها إذا لم تواجه الاستجابات غير الصحيحة بعدم الموافقة وبتعبير آخر لن تؤدى المكافأة إلى الهدف المرغوب إذا لم يكافأ الشخص على بعض الإستجابات ويحبط نتيجة لقيامه باستجابات أخرى.. أما العقاب فهو فعل إيلامى يرمز إلى اتجاه المربى نحو الإستجابات غير الصحيحة.. كما ترمز المكافأة إلى إتجاهه نحو الإستجابات الصحيحة.

قد يؤدى العقاب إلى كراهية الشخص المربى وقد يخلق لدى الشخص المتعلم نوعاً من القلق الذى يمنعه من التعبير السوى عن ذاته وهناك أسباب وجيهة تبرر عدم تجنب العقاب فى عملية التنشئة الإجتماعية لأنه ما لم يعاقب الشخص على فعل معين فلن يفهم معنى المكافأة وهدفها.

الإحباط عادة ما يحدث أثناء التنشئة الاجتماعية ويلاحظ أنه يكون أكثر عنفاً أثناء السنوات الأولى من حياة الإنسان طالما أن الطفل الصغير لا يستطيع أن يدرك «الأسباب» التى تجعل الآخرين يحبطونه.. ومن خصائص الإحباط أنه يؤدى إلى خلق مشاعر عدائية وربما يؤدى إلى السخط أيضاً.. أما إذا كانت أداة الإحباط محبوبة كالأم مثلاً فإنه يؤدى إلى القلق.

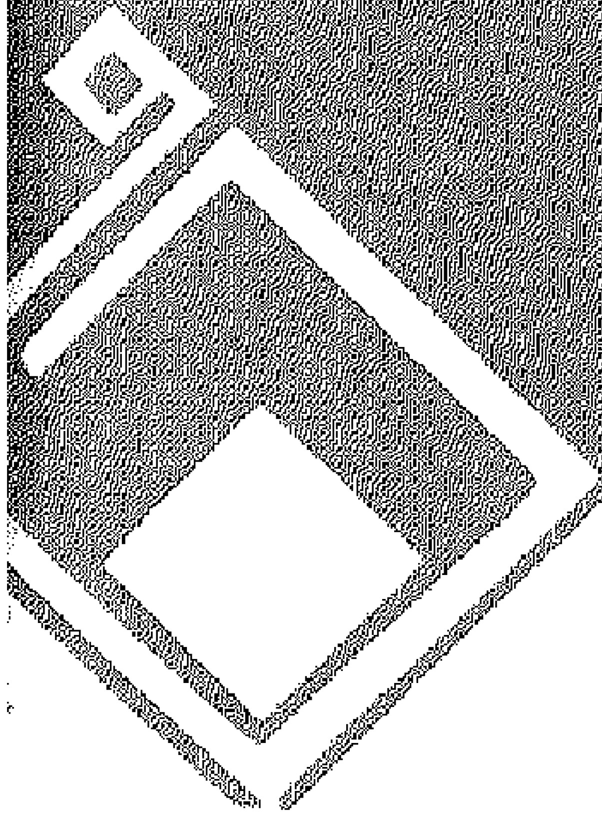
أما قدر الإحباط الذى يجب أن يتعرض له الطفل فى عملية التنشئة الاجتماعية فيتفاوت إلى حد كبير من مجتمع إلى آخر.



فيجب على المربى حينئذ أن يمد الطفل بمعلومات تمكنه من إدارك أن الموضوع الجديد يختلف عن الموضوعات التى عرفها من قبل.

وإذا أراد المربى مثلاً أن يجعل الطفل يتحكم فى حركات أمعائه يجب عليه أولا أن يوضح له المواقف التى يصرح له فيها بقضاء بعض حاجاته والمواقف التى لا يصرح فيها بذلك ولكن يجب على المربى بالإضافة إلى ذلك أن يكافىء الطفل على أدائه الصحيح ويعاقبه على أدائه غير الصحيح، ومن ثم فإن المكافأة والعقاب تعملان على تدعيم نمط السلوك المرغوب.

المكافأة والعقاب لهما فاعليتهما فى التدريب.. كما أن بعض المجتمعات تعتمد على أحد هذين العاملين أكثر من اعتمادها على الآخر.. أما المسألة الأساسية فى هذا الصدد فهى: أيهما أكثر فعالية المكافأة أم العقاب؟.





ومن أهم وظائف التنشئة الإجتماعية تعليم الشخص المشاركة فى الأدوار الإجتماعية. . ولكن لكى يتمكن المرء من أداء أى دور إجتماعى بطريقة ملائمة يجب أن يعرف الأدوار الإجتماعية الأخرى التى توجد فى نفس النسق الاجتماعى.

يتعلم الإنسان فى عالمه الذى يعيش فيه أشياء كثيرة تنعكس فى التعرف على الأشياء الجديدة وعلى مشاعره واستجاباته المختلفة السلبية أو الإيجابية. . والإنسان بطبيعته منظم يكتسب فى حياته مزيداً من الإتجاهات تتوافق مع أشياء كثيرة وتتزايد يوماً بعد يوم كلما اتسعت دائرة نشاطه أو علاقاته أو مجال إدراكه.

كما تنمو إتجاهات الإنسان كلما نمى هو نفسه ولكن حياة الانسان لا تنمو منعزلة عن حياة أقرانه الذين يشاركونه نفس الحياة وهى فى الظروف العادية لا تتصل فى كل نواحيها بحياة الآخرين.

إن أول ما نشير إليه أن الإتجاهات تنمو من خلال العملية التى تؤدى إلى إشباع الحاجات فالإنسان عندما يعالج مشاكله وعندما يحاول أن يشبع رغباته ينمى إتجاهاته فى نفس الوقت. . واتجاهات الفرد تصبح ذات أهمية وقيمة مركزية بالنسبة له لأنه ينمى هذه الإتجاهات عندما يستجيب للمشاكل أو المواقف المتعددة فى محاولات دائمة لإشباع حاجاته ولما كانت الإتجاهات لها خاصية الثبات النسبى والدوام فإنها تستخدم بصورة مطردة فى التغلب على عدد من المشاكل المختلفة ولإشباع عدد متنوع من الحاجات.

ومن المعروف أن إتجاهات الفرد تتخذ شكلاً معيناً على أساس نوع الخبرات التى يتعرض لها لأن الإتجاهات لا تنمو فقط أثناء محاولة الفرد تحقيق حاجاته بل إنها تتخذ صورة معينة على أساس نوع المعلومات التى يحصلها ولكن كيفية إكتساب المعرفة بشىء معين تكون ذات أهمية بالغة فى نمو هذا الإتجاه نحو هذا الشىء.

أما عن دور الآباء فى هذا العصر فيتركز فى محاولة الإبتعاد عن توجيه النصح أو الإرشاد لأبنائهم ولا يتدخلون كثيراً فى شئونهم خصوصاً فيما يتعلق بشئون مستقبلهم. . ولقد كان الأبناء فى الماضى يتقبلون كل ما يصدر عن آبائهم بطاعة كاملة مستندين فى ذلك إلى التقليد المتوارث الذى يقضى بأخذ أقوال الآباء على أنها مسلمات لا تحتمل المراجعة ويتم قبول ذلك بحكم الأبوة وكبر السن ووفرة ونضج التجارب أو ربما لمجرد أن حقوق الآباء على الأبناء تقتضى إتخاذ هذا الموقف.

لكن الذى كان يصلح لمواجهة تطورات الحياة فى الماضى أصبح لا يصلح بالمرة لمواجهة تطورات الحياة فى العصر الحديث. ففى ظل الظروف الكاسحة السريعة التغير والتقلبات المتتابعة ظهر جيل جديد لا

ملف الأسرة والطفل

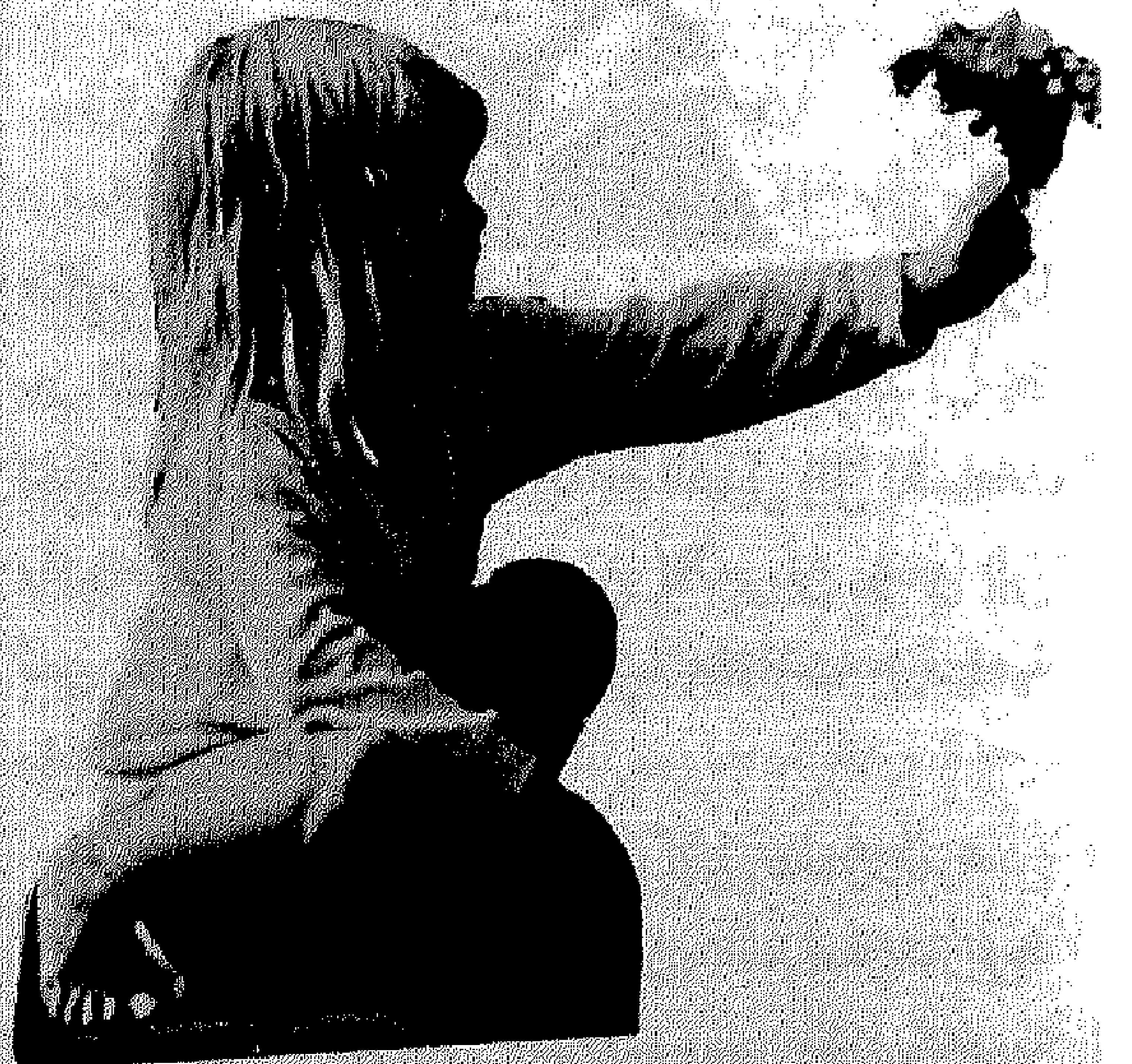
يحفل بالنظر إلى الوراء وإنما يتجه دائماً إلى المستقبل بأقدام أكثر ثباتا وأقوى رسوخاً وهو جيل عملى لا يقتنع إلا بتجاربه. . ومع ذلك فهم أكثر مثالية من جيل آبائهم وهذا هو وجه التناقض لأن العصر الحاضر هو عصر الواقعية المتعدد الأبعاد الذى وصلت فيه المادية إلى أقصى حدود تعاظمها. . ولكن من الطبيعى أن يحدث رد فعل فى الإتجاه المناقض إلى ما يسمى المثالية المطلقة.

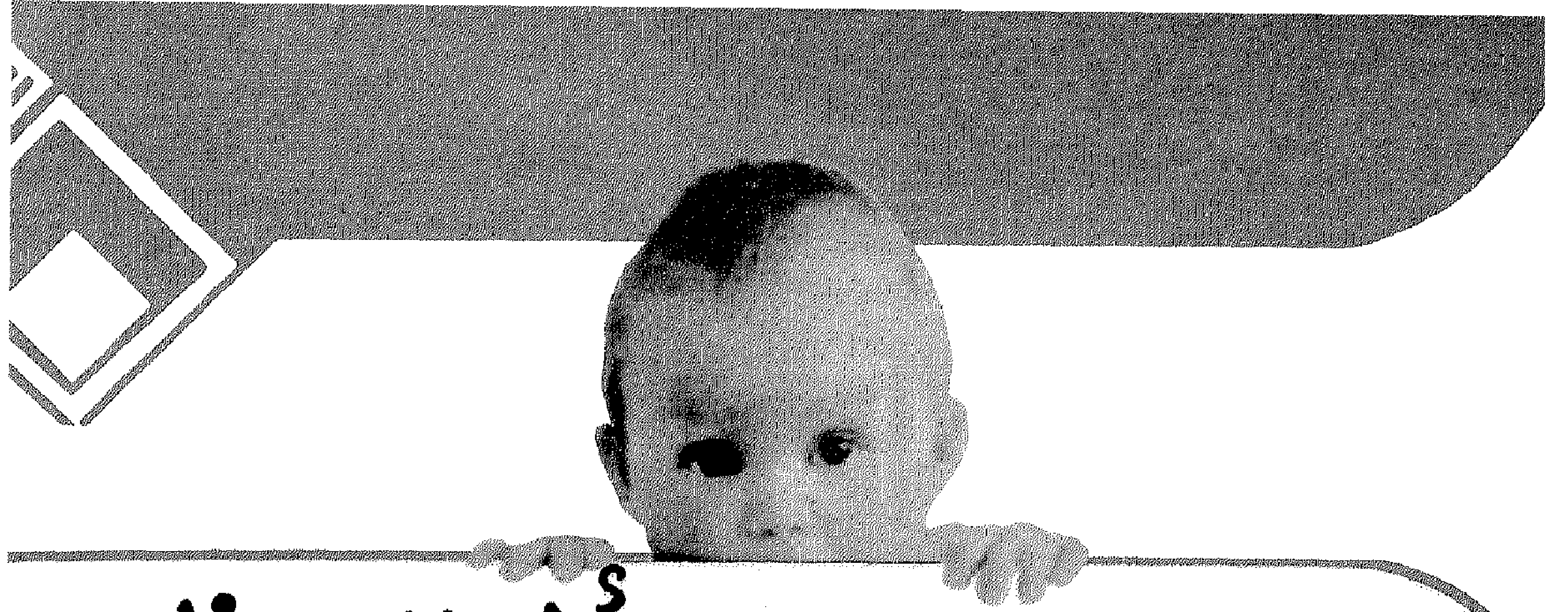
ولعل هذا التحول الخطير هو الدافع إلى ظهور ما يسمى حالياً بفكرة التنشئة الإجتماعية للكبار. . وهى الفكرة التى تنادى بأن يعيد الكبار تنشئة أنفسهم الإجتماعية لكى يتوافقوا مع الظروف الاجتماعية الجديدة.

وتعد - فى رأينا - الأسرة هى المصدر الأول للتنشئة الإجتماعية.

وتظهر بعد ذلك أهمية التفاعل الذى يعتبر العملية الجماعية الأساسية. . وهو الذى يعتبر العامل المركزى فى كل حياة الإنسان الإجتماعية وتظهر أهمية التفاعل حين ندرك أنه يكون وراء كل تنظيم للأنساق السلوكية من الذات إلى المجتمع وإذا كان التفاعل الإجتماعي يتم عن طريق وسائل الإتصال المختلفة وإذا كان الطفل الوليد يؤهل لحياة المجتمع عن طريق عملية التفاعل التى نطلق عليها اسم «التنشئة الإجتماعية» كان علينا أن نبحث صور هذا التفاعل المتكررة والعامة.

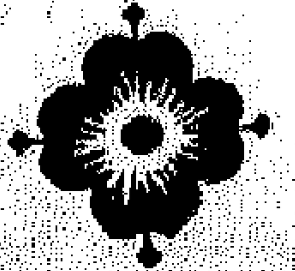
والتربية الأخلاقية - والتأثيرات الوجدانية - والتدريب على الاستقلالية الذاتية تأتى متتابعة وتراكمية فى عملية التعلم. . فإن بعض اشكال التأثير الوجدانى تبدأ بعد الولادة مباشرة. . كما أن التربية الأخلاقية تبدأ بشكل أولى بعد البدء فى اكتساب اللغة، وفى وقت لاحق عندما يكون النمو المعرفى قد وصل إلى النقطة التى يصبح عندها الفرد قادراً على فهم علاقته مع الجماعات التى يعيش بينها، وبينما تنمو عملية التوحد مع هذه الجماعات المتنامية، يبدأ تعميم قواعد السلوك الأخلاقية والمشاعر المتصلة بها بحيث تشمل مزيداً من فئات الناس.





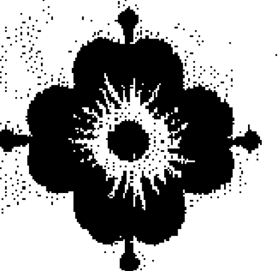
أثر العلاقات الأسرية في تربية الطفل

بقلم الدكتورة: خولة أحمد يحيى



للتربية الأثر الاكبر فى توجيه حياة الفرد منذ الطفولة المبكرة وحتى الشيخوخة وتعتبر السنوات المبكرة فى حياة الطفل مهمة جداً حيث تشكل مرحلة حساسة وحرجة فى حياته يكون فيها سريع التأثر بالاتجاهات البيئية المختلفة.

وفى هذا المجال لابد من الحديث عن الاسرة والسياسة التربوية التى تتخذها ومدى تأثيرها فى تربية ابنائها.. هناك سياسة التدليل والعناية الفائقة حيث يقدم الوالدان لطفلهما كل ما يرغب فيه دون قيد او شرط، وهذا يدعم التمرد والعصيان ورفض السلطة عند الاطفال ويؤدى إلى طغيان رغباتهم على رغبات الآخرين المحيطين بهم.. هذا وفى كل الحالات تعتبر العناية الفائقة من الاسباب التى تؤدى إلى ظهور المشكلات الانفعالية حيث ينشأ الطفل كثير التعلق بأهله، اتكالياً، يعانى من عدم القدرة على اتخاذ قراره بنفسه.، وقد يتصف سلوكه بالحساسية الشديدة.



أما السياسة التربوية الثانية المسماة بسياسة الصرامة والشدة المتطرفة والطاعة المتناهية لكل ما يصدر اليهم من اوامر فهذا مالا ينصح به ايضاً لما لتلك السياسة من مصادرة لحرية الاختيار عند الاطفال ولما تؤدى به إلى عدم الثقة بالنفس وعدم الشعور بالأمن والى اضطرابات معينة مثل الميل إلى الكذب والسرقة وغير ذلك من انماط سلوكية مختلفة.. لذا فإن هاتين السياستين لا تصلحان لتربية ما نطمح إليه من جيل صالح واع سليم.. إذن لابد ان يكون هناك توازنا بين التدليل الزائد والتسلط أو التقييد الزائد.. إن ايجاد نوع من التوازن بين حاجة الطفل إلى المساعدة وقدرته على تمييز ما يطلبه من الآخرين يؤدى إلى نمو صحى للشخصية وإلى علاقات اجتماعية مقبولة.



ان ما نهدف إليه هو خلق جيل مسؤول يحس بالحرية ويعمل من خلالها لذا فإن السياسة التربوية القائمة على اساس من التوجيه ومن خلال الحرية

أولادنا

من المسؤول عن سلوكهم؟

فريدة الخليلى

كثيرون الذين يشكون من عدم تماثل سلوك الابناء فى الاسرة الواحدة علما بأن هؤلاء الأبناء يتلقون تربية واحدة ونظاما واحدا لا يختلف مطلقا فمنهم الجرىء المشاكس العنيد والآخر المسالم المهذب المطيع.. فيقع الاباء فى حيرة.. بل ان حيرتهم هذه تجعلهم يعزون اختلاف السلوك نتيجة حتمية لاختلاف الصفات الطبيعية الموروثة من فرد لآخر.. ولو انهم ارادوا معرفة حقيقة الامر لأجابهم علماء النفس والسلوك والاجتماع والانثروبولوجيا.. ان المسؤول الاول عن اختلافات السلوك هى عملية التنشئة.. والتنشئة هى القاعدة الاساسية لاستمرار المجتمعات، ومن خلال هذه التنشئة يمكن لوسائل الحضارة المعنوية ان تنتقل من جيل لآخر.. وهنا يكون للتعلم الدور المهم فى التنشئة فالفرد يحصل على مجموعة هائلة من المعلومات والمهارات والفنون والعادات وهو فى الاسرة والمدرسة والمؤسسات الاجتماعية الاخرى التى ينضم لها فى المجتمع.

والمسؤوليةمعاً هى السياسة التربوية التى نسعى اليها والتى على الوالدين ان يدركا تماماً ان قدراً معيناً من الحرية يجب ان يتاح للطفل.. وهذه الحرية ليست حرية مطلقة دون مناقشة بل لابد من المناقشة على ان تسود فى المناقشة روح المنطق والتعاطف معاً لا الاقتناع الظاهرى دون الاقتناع الحقيقى.

مما سبق تبدو مسؤولية الاسرة مسؤولية كبيرة جداً فيما يتعلق بالسلوك المنحرف لذا فإنه من الافضل ان تكون الاسرة متماسكة قوية تقوم على أسس سليمة ومعتدلة من المودة والعطف والاحترام المتبادل والاصغاء الجيد لتمثل بيئة جيدة للسلوك السوى العادى المعتدل.

إن الانفصال المبكر بين الطفل وأمه يسبب بدون شك تمزقاً فى صحة الطفل النفسية وقد يحدث هذا الانفصال بالرغم من وجود الأم فى البيت وهو فى هذه الحالة انفصال نفسى يأتى من النبذ والقسوة والاهمال.

وهنا لابد من الاشارة ان للظروف الاسرية التى ينشأ فيها الطفل أهمية كبرى فيما يتعلق بتكوين شخصية الطفل.. فللعلاقات الأسرية الخاطئة المبنية على الرفض أو التدليل آثارها السيئة فى شخصية الطفل والتى تعمل على تكوين شخصية غير متكاملة غير ناضجة تتصف بعدم الشعور بالأمن وكذلك الشعور بالوحدة ومحاولة جذب انتباه الآخرين بطرق سلبية وكذلك العدوانية والانانية وعدم القدرة على تحمل الاحباط وعدم الشعور بالمسؤولية والميل إلى الاعتماد الكلى على الآخرين.



ويدرس علماء السلوك التنشئة على انها الدعامة الأساسية للكائن البشرى والتى تكون مبنية على ثلاث صفات رئيسية :

١ - ان الطفل لا يستطيع ان يعيش دون الاعتماد الكلى على الآخرين.

٢ - ان الطفل يتعلم اسس السلوك من الآخرين بغرض البقاء (وذلك بوساطة عملية الاكتساب وليس الغريزة).

٣ - ان الانسان يتعلم كيفية ضبط علاقاته بالآخرين من خلال معايشته لهم حيث يشاركهم القيم والعادات والادوار المختلفة.



إذن فالطفل يتعلم مبادىء السلوك الاولية من الاسرة وهذه الاسرة تلعب دورا عظيما فى عملية تنشئة الطفل - فهو يتعلم من ابويه كيفية تأدية الوظائف الاساسية فى حياته.

يتعلم كيف يتكلم، وكيف يأكل، وكيف يشرب، وكيف ينام، الخ. ثم هو أيضا يتعلم القيم والمعتقدات والاهداف

وعملية التنشئة فى بعض الاحيان تكون مقصودة لغرض التأكيد على تعلم الطفل كيف يعمل؟.. وفى بعض الاحيان الاخرى نجد عملية التنشئة تأتى بشكل لا شعورى، مثال ذلك الاطفال الذين يتعلمون بطريقة الملاحظة المباشرة يوميا للكثير من القيم والمواقف والاتجاهات والسلوك الذى يصدر من الآباء أو الاخوة الاكبر منهم سنا.

أما عملية التنشئة فى المجتمعات الريفية فإنها تقتصر على مراحل الرضاعة والطفولة فقط لان هذه المجتمعات تكون عادة ذات نظم اجتماعية راسخة لا تتغير.

وأما فى المجتمعات الصناعية الحديثة فعملية التنشئة لا تتوقف على مرحلة من مراحل حياة الانسان بل انها تستمر طوال حياته حيث تكون المجالات والمؤسسات التى ينتمى إليها الفرد عديدة ومختلفة تعلمه الكثير وتضفى باستمرار على صفاته قدرات جديدة أخرى.

والأسرة ليست وحدها التى تتبنَّى عملية التنشئة، انما المؤسسات الاخرى كالمدرسة تأخذ على عاتقها ايضا تعليم الفرد الكثير من الوظائف المهمة. وكلما تقدم الفرد فى مراحل الدراسة اضيفت له مواقف وادوار جديدة غير التى تعلمها فى بداية مراحل حياته الدراسية الاولى. وفى الحقيقة ان هناك عناصر جديدة لها الاثر الكبير فى عملية التنشئة أى عملية اختلاف السلوك لدى الابناء وهى الاصدقاء والجيران والزملاء فى العمل والمؤسسات الدينية، التلفزيون والسينما والمجلات والكتب وغيرها التى يقتبس منها الفرد الكثير فى حياته اليومية.

عقل الطفل من الولادة حتى السادسة



في عالمنا الحاضر اتجهت تربية الاطفال نحو مفاهيم علمية جديدة تؤكد أن الطفل في حاجة إلى جهودنا لنفهم طريقة نموه العقلي مثلما هو في حاجة إلى حبنا وعطفنا، وهذا معناه الا نترك الطفل لمعلم المدرسة ليهتم بعقله على اعتبار أن سنوات الطفل الأولى لها الاولوية في تكوينه العقلي.

إننا هنا أمام مبادىء عامة لا نحاول ان تكون نصائح جاهزة بسبب اختلاف الظروف البيئية واختلاف كل طفل عن طفل آخر.

لعب الطفل هو عمله والطريقة التي ينمو بها ويتطور.. وعادة ما ينظر إلى لعب الطفل البناء على أنه مؤشر إلى الصحة العقلية. وهذا يعني ان غياب اللعب يعني وجود مرض عقلي فمن خلال اللعب يضيف الطفل معرفة إلى معرفته عن العالم.. واللعب يساعده في تكيف نفسه مع مجتمعه الصغير.

بدايات الطفل

من الضروري ان يعتاد الطفل بعض العادات الاساسية مثل التبول في المكان المناسب وهذا يحتاج الى صبر ومعاملة دقيقة. ان الامور التي قد نراها غير ملائمة في سلوك الطفل هي الطرق الطبيعية في نموه وهنا نلمس مدى حساسية الطفل لقلقنا نحوه. ان الام التي هي دائمة القلق على طفلها والتي تحرص ان يتصرف مثلما يتصرف البالغون تدفع طفلها دون ان تدرك إلى ان يقلق في حياته المبكرة.. الطفل في هذه المرحلة المبكرة جدا من عمره يحتاج إلى صبر وصداقة وحنان فهذه أساسية لانتقاله إلى المرحلة الأخرى في نموه العقلي. وبالمقابل فإن الطفل المعرض للتهديد والعقاب لا يمكنه ان ينطلق نحو المجتمع.

الرضاعة والحنان

إن ارضاع الطفل يشعره بالحنان لأن هذا الارضاع ليس فقط هو اشباع جوعه بل هو الحب والحنان أيضا وعليه فإن الفطام المبكر أو المفاجىء من شأنه أن يترك عنده صدمة عاطفية لأنه فقد الحب



والحنان وهذا يتصل اتصالا مباشرا بسلوك سلبى يسلكه الطفل وهو مص أصبعه وهذا مؤشر إلى انه لم يأخذ كفايته من صدر أمه . . فعلى الام ان تتأكد أولا أن ابنها قد حصل على كفايته من صدرها وأنه قد اشبع حنانه فعلا . ولمواجهة مص الاصبع تلعب مع الطفل خلال ساعات استيقاظه كذلك نحمله ونتحدث معه ونعرفه على العالم من حوله . . ان معاملة الطفل بهذا الاسلوب تساعده دون شك فى هذا .

معايير النمو

هى معايير توضح سلوك الطفل ونمو عقله وتساعده فى معرفة حاجاته الخاصة فى كل مرحلة من مراحل عمره . . تهدف اختبارات الذكاء التى لها صلة وثيقة بالمعايير إلى :

أ ـ معرفة المسار الطبيعى للنمو العقلى عند الاطفال .
ب ـ مقياس نمو أى طفل لمعرفة ما إذا كان الطفل على مستوى هذه المعايير أو دونها أو فوقها .
ج ـ المقارنة بين القدرة الموروثة وتأثير التعليم .

الطفل فى الشهر العاشر

يسير ويقف وحده . . يمكنه أن ينطق أربع كلمات . يستطيع أن يستخدم الملعقة . يبنى برجا من مكعبين .

● وفى الشهر الثانى عشر يمكنه ان يمشى دون مساعدة تقريبا . يمسك قلما ويخط به . ينزع ورقة من كتاب . يلفظ «ماما» و«بابا» يلوح بيده مودعا وينطق «باى باى» يحمل قدحا ويشرب منه يساعد أمه وهى تلبسه يمتنع عن القيام بعمل ما إذا ما طلب منه ذلك يكرر حركة تضحك من حوله .

فى الشهر الثامن عشر

يتسلق مقعدا ويصعد درجات طابق غير مرتفع . يقذف بكرة داخل صندوق . يبنى برجا من ثلاثة مكعبات أو أكثر . يقلد شخصا وهو يرسم يشير إلى عينيه وانفه وشعره وفمه اذا سئل عنها يستمتع بحوار خيالى من خلال الاصوات والمقاطع والكلمات . يستخدم الملعقة لاطعام نفسه يقلب صفحات الكتاب . ينظر إلى الصور يحاول ان ينتعل حذاءه ونادرا ما ينجح يقلد الآخرين بحركات درامية وهو يضحك .

فى الشهر الحادى والعشرين

يسير وحده لمسافة ما إلى الامام والى الخلف وهذا يعنى سيطرته على أقدامه . يعطى صورة أى شىء مألوف اسما يستخدم جملا بسيطة من كلمتين يعيد كلمات يقولها آخرون دون أن يفهمها يطلب ما يحتاجه على مائدة الطعام . يحاول ادارة يد الباب . يهز ثوب أمه ليطلب حاجته سيطرته على خروجه جيدة .

فى الشهر الرابع والعشرين

إنه يركض يبنى مكعبات فى صف مثل القطار يرسم خطا افقيا بينما يجد صعوبة فى رسم خط عمودى يسمى ثلاثة أشياء مألوفة يشير إلى خمسة أشياء بسيطة فى صورة إذا ما طلب منه ذلك يستخدم

ملف الأسرة والطفل

جملا بسيطة يستمتع بالقصص والالعاب الدرامية ويخبر الاخرين بما رآه يحب اللعب بالرمل يحب الصندوق الذى يضع فيه اغراضه.

الطفل بين الفهم والكلام

من الطبيعى على سبيل المثال ان نجد طفلا ذكيا فى العامين من عمره لا يتكلم رغم انه يفهم ما يقال له.. هذا يجب الا يقلقنا ابدا.. اما إذا ما استمر هذا الوضع الى سن الثالثة فمن الواجب ان نسأل عن سبب التأخر فى الكلام فالكلمات هى أدوات أساسية للتفكير وبدونها فإن فهم الطفل سيتخلف.

من سن الثانية حتى السادسة

لابد ان ندرك حقيقة وهى أن المهارات الكبيرة تبدأ بالنمو قبل المهارات الدقيقة مثل الرسم والتطريز فيجب أن لا نجبر طفلا على الرسم والتطريز وهو غير متمكن من هذه القدرات.. وحتى يصبح الطفل مستعدا للعمل علينا ان نعطيه الفرصة لذلك.. ينبغى على الطفل ان يتحرك بحرية وان يقوم باعمال دون قيود منا بل بكثير من التشجيع ومن ذلك مثلا اعداد طاولة الطعام غسل الاطباق ارتداء وخلع ملابسه وغسل يديه هذه أمور يفرح لها الاطفال شريطة ان يعطوا الحرية ليقوموا بها وهم يمارسونها ليس حبا فى الحركة فقط وانما لانهم يكتشفون العالم من حولهم ايضا. وهنا تبدأ اسئلتهم ما أبعد؟ ما أكبر؟ إن كل ما نقوم به فى حياتنا اليومية هو اعمال مثيرة تساعدهم على اكتشاف العالم.

الطفل ووالده خلال اربع سنوات

يريد الطفل ان يتملك الشخص الذى يحبه وإذا كان الحب فى البداية يعنى الملاطفة فإنه يتحول تدريجيا إلى شعور بالاخلاص المتبادل والحوار والاهتمامات المشتركة يجد الطفل فى رفع ابيه له بذراعيه القويتين وملاطفته اياه سعادة غامرة.

● وما ان ينفصل الطفل عن أمه حتى يدفعه هذا الشعور بالاحباط إلى الغضب والذى يظهر عادة بمص الاصبع أو الامتناع عن تناول الطعام ومما يزيد من شعور الطفل بالغضب والكراهية استبدادنا او نقص فهمنا لاحتياجاته ويمكن تخفيف هذه المشاعر عن طريق الاهتمام والحب والتفاهم ويجب على الام ان تدرك ان كل طفل له لحظات غضب وتحدٍ حتى لو حاول ان يخفيها امامنا فإنها موجودة ولهذا لابد للام ان تراعى هذه اللحظات وتعاملها بالصبر والفهم.

● يعجب الطفل بأبيه ويحبه لقوته وحجمه ومهارته وحكمته ولأنه يريد أن يكون مثله يحاول ان يقلده أثناء اللعب.

الحكايات الخرافية وآثارها

بقلم / نجوى أبو غزالة

● طلبت أم إلى ابنتها ذات مرة ان تحمل الى جدتها بعض الحليب والخبز . كانت الطفلة ترتدى قبعة صغيرة حمراء قد تكون رمزا للشعوذة أو الشر أو مجرد قبعة.

فى الطريق عبر الغابة، يلتقيها ذئب، فتخبره عن المكان الذى تقصده وبذلك ترتكب خطأ جسيما اذ يسبقها الذئب الى بيت الجدة، فيلتهم (أو يقتل) المراة العجوز ويقدم (أو لا يقدم) للصغيرة فيما بعد قطعا من لحم الجدة لتأكلها . . من ثم يلتهمها وهنا تنتهى الحكاية أو انها ربما تنتهى حينما يرمى احد الصيادين الذئب بسهم ثم يبقر بطنه فتخرج الطفلة وجدتها وتنجوان فى النهاية.

مائة مفكر ومتخصص يتناقشون :

حكاية **(ذات الرداء الاحمر)** المعروفة باسم **(ليلى والذئب)** واحدة من حكايات القرن التاسع عشر الاخلاقية المألوفة لدى الاطفال فى شتى بقاع العالم . انها بلا شك مثيرة للعواطف والمشاعر الحسية، اضافة الى كونها عنيفة . لكن ما تثيره تماما هو محط خلاف تقليدى فى الرأى بين الفولكلوريين، الانثروبولوجيين، الفرويديين، دعاة المساواة بين الجنسين ونقاد الادب . لم يتوان البعض عن اعتبار الذئب رمزا (لهذا) أى الجانب اللاشعورى من النفس الذى يعتبر مصدر الطاقة الوحشية لدى الانسان وبكلام اخر انه يمثل منبع المتعة الحسية، الذكر المفترس، الخارج عن القانون، الشيطان والحيوان بداخل كل منا، والخطورة المتأصلة فى عالم وحشى قاس.

ان مثل هذه النظريات قد تبادلها مائة من المفكرين والمتخصصين فى ادب القصص الخيالية الذين شاركوا فى مؤتمر جامعة برنستون الامريكية الذى عقد مؤخرا تحت عنوان **(الحكايات الخيالية والمجتمع)**.

الانسان الساذج وتركيب شهرزاد :

ملف الأسرة والطفل

على الصغار

الدارسين، وهيمنت تفسيرات المطالبين بالمساواة بين الجنسين على تأويلات الفرويديين التى بدت شاحبة تماما. من بين المتحدثين فى هذا المؤتمر العالمى هو البروفسور جاك زايبس من جامعة وسكونسن، الذى اتهم الكتاب الذكور بتحوير هذه الحكاية الشفاهية - التى تصف فتاة جريئة ذكية ومستقلة - الى قصة عن الاغتصاب تحمل الفتاة الصغيرة مسؤولية اخطائها واندفاعاتها الحسية.

يتفق النقاد على ان الكاتب الفرنسى شارل بيرو (١٦٩٧) قد حاول - وكذلك الاخوان غريم من بعده - تهذيب هذه الحكاية الريفية المثيرة لكى تروق لقراء الطبقة الاجتماعية العليا ان بيرو - فى رأى البروفسور زايبس قد نعت الصغيرة بالاهمال والسذاجة وألبسها القبعة الحمراء، التى كانت رمزا للشيطان والخطيئة فى ذلك الزمان، واستطرد البروفسور زايبس واضع كتاب بعنوان (**محاكمة ومحنة ذات الرداء الاحمر**) القول ان الاخوين غريم أجريا اضافات اساءت الى الحكاية الا وهى تحذير الام لابنتها من مغبة ان تضل الطريق، مؤكدا انهما بهذا قد أوحيا بفكرة ان ما تورطت فيه الفتاة الصغيرة لاحقا هو من صنع يديها وبسبب من خطأ ارتكبته. هذا التحوير - فى رأى البروفيسور زايبس - ضمن الحكاية فكرة تحمل النساء مسؤولية اخطائهن وان الرجل المنيع هو فقط الذى يستطيع انقاذ الفتيات الحمقاوات من عواقب مشاعرهن الحسية..

رموز لا وجود لها بالحكاية:

بيد ان مجموعة اخرى من المتخصصين فى الادب



لقد تدارس وتناقش المؤتمرون كافة الجوانب ذات العلاقة والتى تتفاوت ما بين دور الانسان الساذج وبين تركيب شهرزاد السيكولوجى. وقد نالت حكاية (**ذات الرداء الاحمر**) القسط الاكبر من اهتمام هؤلاء



الفلكورى من بينهم البروفسور روبرت دارنتون، انبرت الى تحدى زايبس وجماعته مؤكدة ان هذه الحكاية رهيبة لكنها ذات مغزى بسيط هو **(عدم التجول خارج حدود القرية، حيث الحياة قاسية والغرباء أقسى)** لكن تتفق المجموعتان الممثلتان بزعامة كل من زايبس ودارنتون فى ان الفرويديين على خطأ وانهم فسروا على نحو قاتم رموزا لا وجود لها فى الحكاية الاصلية.

المحلل النفسانى ايريك فرون يقول فى كتابه الموسوم **(اللغة المنسية) ١٩٥١**، انه من السهولة استيعاب الدلالات الرمزية فى هذه الحكاية ومن دون اى اشكال مؤكدا ان تحذيز الام ابنتها يرمز الى خطورة الاندفاع نحو مشاعرها وان المتعة الحسية التى تدفع بعض الذكور الى ارتكاب افعال وحشية وهى تعبير عن الكراهية والبغضاء والتحامل ضد الرجال.

نقاشات فى اتجاهات متعددة:

على ان المحلل النفسانى برونو بيتلهايم فى كتابه **(حاجات الافتتان)** يقدم تفسيرا اكثر اصقالا . اذ يؤكد ان الذئب الذى يقنع الفتاة بجمع الزهور تبديدا لوقتها هو رمز القوة الشرسة والرغبة الحسية وان الحكاية تدور فى اطار الرغبة الاوديبية فى قهر الام (الجدة) والتقرب من صورة الاب (الصياد).

اما البروفيسور أولرتش كوبغلا ماتشر من جامعة برنستون، فقد شن هجوما كاسحا على زايبس وجماعته متهما اياه بانه يعرض الكثير من الافكار التى ما يلبث ان يطرحها فى بوتقة واحدة: الماركسية، السوسيولوجيا والفرويدية.

اما البروفسور انطونى فيدلر، فقد قال على سبيل المداعبة ان المشكلة الحقيقية فى القصة تكمن فى وجود خلل فى قفل باب بيت الجدة.

الحكايات تصمد بوجه التأويلات:

ان (ذات الرداء الاحمر) فى رأى بروفسور القانون جبرارد مولر، شأن معظم الحكايات الخيالية هى قصة تتعلق بالقانون، وأوضح انه فى المجتمعات القديمة كانت الحكايات وسائل تساعد الناس على تمييز الخطأ من الصواب، وان أوائل الاساقفة القوطيين فى القرن الرابع الميلادى، لم يعثروا على مصطلح مناسب ينعتون به المجرم الذى يستحق عقوبة الاعدام، وبذلك نعتوه بـ(الذئب) الذى بات يرمز الى المجرم المحترف المحروم من حماية القانون والمستحق عقوبة الموت.

يبدو ان التركيز على المشاعر الحسية والموت قد اثار استياء بعض الحاضرين فى قاعة ماكفورميك هول بجامعة برنستون. لقد بادرت احدى السيدات الجدات قائلة: «اشعر بالصدمة. **لقد قرأت هذه الحكاية على مسامع احفادى.**» لكن هل هناك مبرر لقلق هذه السيدة؟.. لطالما اشبع الاكاديميون الحكايات الشعبية تحليلا مفتشين عن دلالاتها الخفية.

والبعض منهم فرضوا على هذه الحكايات ايديولوجيتهم الخاصة. لكن رغم كل هذا، صمدت هذه الحكايات فى وجه التأويلات عبر قرون طويلة وسوف تبقى صامدة فى وجه التشويهات التى لن تنال من سحرها الدفين ونكهتها الخالدة.

مهداة لهن

حوار مع ابنتي

روكسى بن زائد العزيزى - عضو شرف فى نادى جدة الثقافى

هى . . سمعت - يا أبى - جيراننا - أمس - يثنون على فتاة قائلين: «إن لها فماً يأكل وليس لها فم يتكلم» فما معنى هذا الثناء الطيب؟

يا ابنتى العزيزة، هذا ثناء يطلقه العامة، على كل انثى لا تتكلم فى الامور التى لا تعنيها، وعدم تكلم اى انسان فى امورلا تعنيه، يستحق الثناء الطيب لكن بعض الناس، اخذوا يفهمون من هذه المقولة، ان الانثى لا يحق لها ان تشارك فى امر من الامور وهذا مفهوم خاطىء خطر، والحياة تتطور، والناس الذين يواكبون تطور الحياة بحكمة، هؤلاء يباركهم الله، الذى جعل التطور، والتجدد، فى اجسامنا نفسها، لان كل خلية فى اجسامنا تتجدد، وتحل محلها خلية جديدة كل سبع سنوات ومن هنا ندرك حكمة البارئ جل شأنه، فى التطور، وفى التجديد وهل كان الرسل والانبياء عليهم السلام، الا مجددين، ومطورين لمفاهيم الحياة؟.

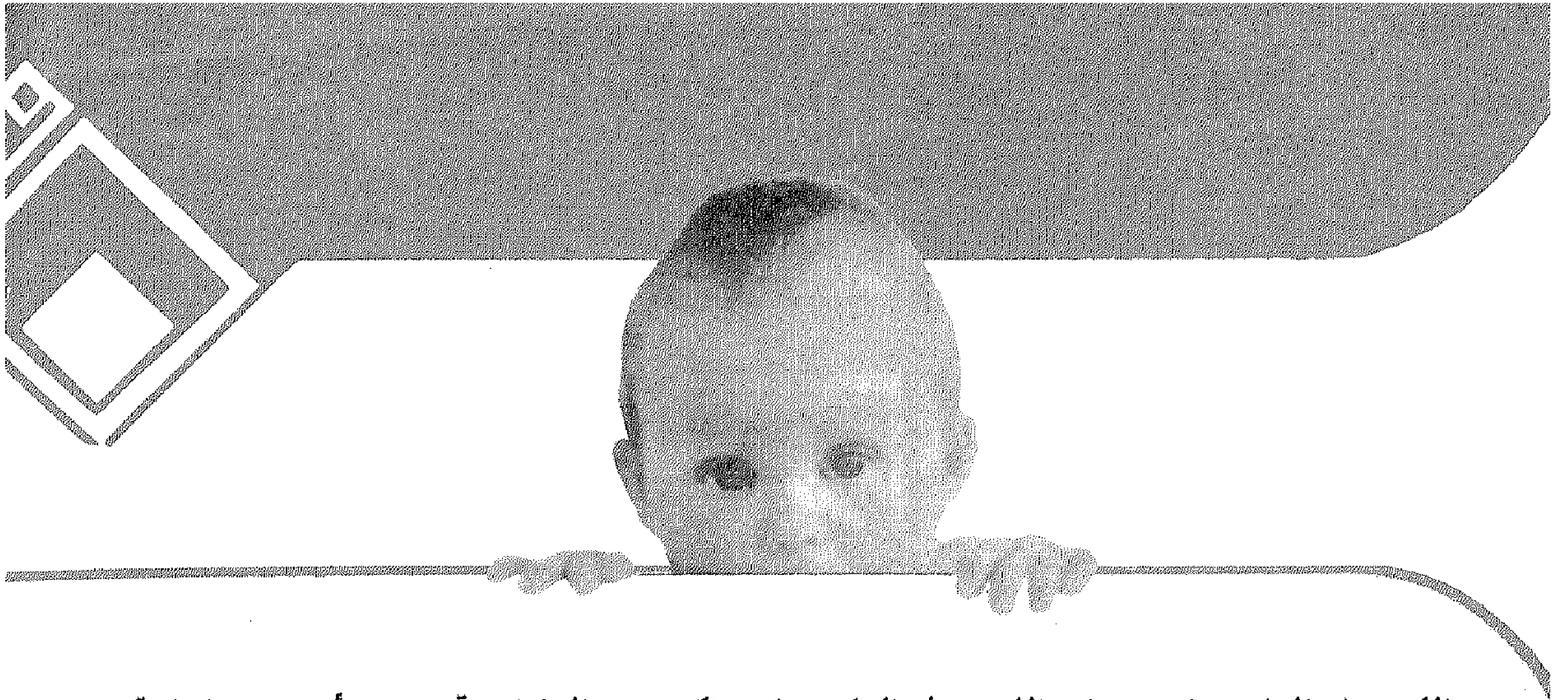
فنحن - يا ابنتى - نريد فتاة لها فم يأكل، وينطق بالحكمة، اذا تكلم، نريد من الفتاة ان تعرف ماذا تتكلم، ولماذا تتكلم، وتعرف متى تتكلم، ومتى تكف عن الكلام.

اما الفتاة التى لا تعرف من دنياها الا ان تأكل، فتلك بعيدة عن الحياة ولا خير فيها لا لنفسها، ولا للحياة، ولا للناس، لانها تعيش على هامش الزمن. فنحن نريد للفتاة ان تتعلم الى اقصى مراحل التعليم لكى تكون صاحبة رأى متزن يقيها من التقليد الاعمى. والقفزات غير الحكيمة، التى اخذ الغرب الذى نقلده، يضج منها. .

هى . . ما رأيك فى العادات يا ابى؟

العادات هى ارث من الآباء والاجداد، وهى دساتير الماضى وكل ماض يجب علينا ان نحترمه من غير ان نعيش فيه لان احتقار الماضى والتنكر له، يشبهان فقدان الذاكرة والعادات شىء جميل والمحافظة عليها امر مريح لكن العادات ليست آيات منزلة لانها نشأت فى زمان غير زماننا - وقد كان (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه يقول: «ربوا ابناءكم على غير ما ربيتم عليه لانهم يعيشون فى زمان غير زمانكم».

والعادات فى حاجة الى التنقيح من زمن الى زمن فاجمل ما فى العادات انها لا تتطلب تفكيراً ولا ابتكاراً وهذا مناقض لحكمة الله جل شأنه لانها تقودنا الى الجمود والتحجر ومن المحزن ان الناس - احيانا - يتمسكون بالعادات من غير ان يبحثوا عن كونها صالحة لزمانهم ام لا . . وقد شاع بين العامة قول يرددونه:



«اللى يذثر العادة يعادى» ـ اى الذى يترك العادة يعادى فكثير من العادات تحجرت وأمست تؤذينا وتحدد من حرية عملنا وترهقنا يجب علينا ان نعلم انه ليس فى الحياة ـ ما عدا الدين ـ ما لا يجوز نقده وتطويره لان كل ما هو فى الحياة من عادات وتقاليد، جاء بسبب احوال وظروف غير احوالنا، وغير ظروفنا . .

لنتعلم الحكمة من الحيَّة فانها اذا اشعرت ان جلدها قد ضاق عليها فى نهاية السنة، جرحت جلدها من عند عنقها، ودارت فى اماكن ضيقة الى ان تخلع جلدها هذا، وابتعدت عن الحشرات والهوام لئلا تفترسها، الى ان ينبت لها جلد لا يعيق حركتها وهذا العمل فيه دروس بليغة للانسان لهذا ضرب المثل بحكمة الحية فقيل: **«كونوا ودعاء كالحمام وحكماء كالحيات»** والذى أريد ان اصل اليه انه لا يجوز فى حال ان نتمسك بالامور التى تؤذينا وتعيق تطورنا فكل مخلوق لا يتطور ينقرض **اما رأيت الدينصور وهو من اضخم ما خلق الله فى عالم الحيوان لما لم يستجب للتطور باد وانقرض وبقى هيكله الضخم فى متحف اللوفر** (Le Louvre) فى (باريس) يشير الى ان الفرد الذى لا يتطور والشعب الذى يجمد يلبسها الذلّ والهوان .

اذا فالعادات تحتاج الى التنقيح .

هى . . ما رأيك يا ابى فى مكانة المرأة فى الامس واليوم؟

لقد وصلت المرأة فى صدر الاسلام الى مكانة عالية لكن لما جاء عصر بنى العباس اختفت المرأة وراء الحجب ولاسيما فى زمن المتوكل وكأنها ليست نصف المجتمع. ولحسن الحظ ان الانسانية قد اعترفت للمرأة بحقها، واضحى نصف العالم اليوم تحكمه النساء ففى بريطانيا ـ مثلا ـ

أ ـ المرأة ملكة .

ب ـ رئيسة الوزراء امرأة يلقبونها بالمرأة الحديدية .

ج ـ ورئيسة بلدية لندن امرأة وهذا حدث لاول مرة فى تاريخ هذه الامة .

بقى لى ان اقول: «ان انتصار المرأة هذا يفرض عليها واجبات ويزيد فى مسؤولياتها نحو نفسها ونحو المجتمع الانسانى فليست الحرية اباحة انها مسؤولية عظمى فعليها ان تكون بسيطة كبساطة الطبيعة، صادقة مع نفسها بعيدة عن الكذب على نفسها لان الكذب على النفس مدمر لصاحبه .

هى . . كيف نستطيع ان نخدم مجتمعنا ونؤثر فيه؟

لا نستطيع ان نؤثر فى مجتمعنا ونخدمه الا اذا كنا صادقين مع انفسنا ومع الناس ثقى ان مبادىء الرسل والانبياء لم تنتصر وتنتشر الا لأنها رسالة السماء الحقة اولا ثم لانهم كانوا صادقين مخلصين فالصدق والاخلاص هما السبيل الاوحد للتأثير فى المجتمع ولخدمته فاوصيك بالصدق، والاخلاص وليحرسك الله وليحرس جنس النساء من الاشرار.

بالرفاه والبنين

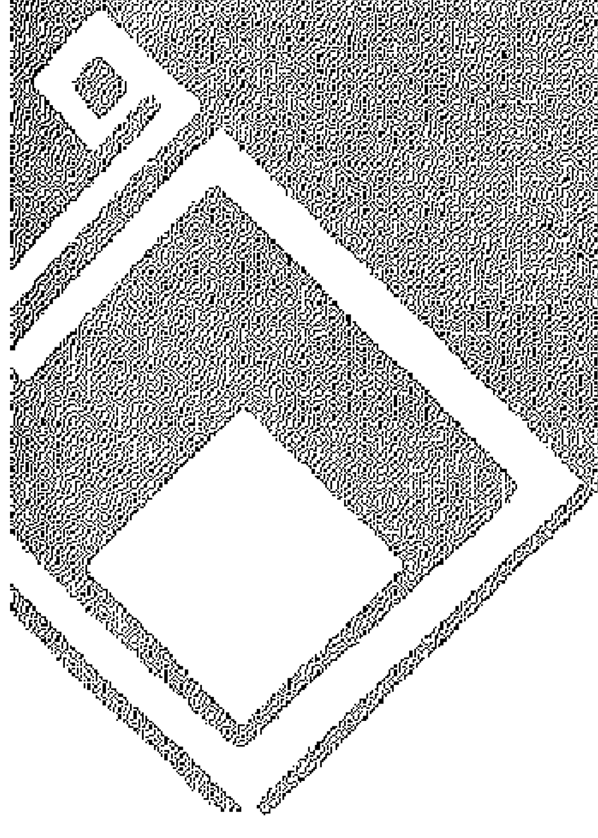
عرض وتصوير

حياة عبد الحميد عنبر



منذ أن وجد الانسان على هذه الارض وهو يحاول أن يكون الأفضل والأقوى فيها، يتألف مع كائناتها بل ويطوع لإمره كل ما يجعله الأقوى وحتى مع بنى جنسه يعتنق قانون البقاء للأقوى سواء كان ذلك فى المجتمعات البدائية أو النامية بل ويظهر ذلك اكثر فى الدول المتحضرة والتى تنادى بحقوق الانسان وكأنما هذه الحقوق لا تعطى إلا للأقوى. قانون غابة يعيشه البشر تحت قناع مغلف بخداع النفس أكثر من خداع الحياة ومنذ البداية وهو يضع لنفسه ما أسماه بالحضارات الانسانية واضعاً لها اعرافا وتقاليدا جعل منها نظماً بل وقوانين يخضع لها جميع الافراد فى كل مجتمع ينتمون إليه، من دون شك لم تكن هذه الاعراف والتقاليد والنظم والقوانين خالية من السلبيات كما أن لها إيجابيات تنمو فى ظلها القدرات والعلاقات الانسانية.

وأهم ثلاثة نظم يعيش عليها أى مجتمع هى النظام الاقتصادى والسياسى والاجتماعى وهذا الاخير هو الاكثر احتكاكا بحياة الافراد حيث ينظم العلاقات بين الافراد بعضها ببعض. ومن اهذه النظم.. نظام الزواج وتكوين الأسر وهذا يتم باساليب واشكال متعددة منذ ان عرفت دنيانا الرجل والمرأة وكانت المرأة فى كل مجتمع يأخذ وضعها شكلاً معيناً.. وكان الرجل هو الذى يسعى إليها فى الغالب الاعم، يأخذها أما بالتراضى واما بالقوة ويتم ذلك حينما يأنس إلى حياة الاستقرار والنظر إلى تكوين اسرة.. وكانت العملية تتم بمراسم وتقاليد اغلبها يعمها الافراح والابتهاج بهذه المناسبة سواء فى البلاد العربية أو الاوربية وبلاد امريكا: ايضا فى جميع الاديان وتختلف هذه الافراح كما وكيفا.




فمنها ما يبدأ منذ فترة عقد القران الذى يتم اما قبل الزواج بفترة شهر أو اكثر أو اقل ومنها ما يكون فى ليلة الدخلة.



وفى نظرة سريعة لبعض عادات وتقاليد الزواج فى البلاد الأجنبية نرى ان اثنين يختارا بعضهما ويتفقا على الزواج فيعلنا ذلك للاهل ثم يذهبا إلى من يعقد لهما هذا الزواج وذلك حسب الديانة التى يتبعانها.

وفى البلاد العربية والاسلامية المنفتحة يتم ذلك من خلال الاهل حتى وان كان بين العروس والعريس علاقة.. يتقدم العريس إلى الاهل بعد ان يبعث بأهله إلى بيت عروسه ليعرف مدى موافقتهم عليه..

فى مصر العربية:

يتقدم العريس إلى الأهل مع عائلته وتتم الخطبة وتبقى لفترة حيث يراد بذلك ان يتعرف الطرفان على بعضهما فى هذه الفترة التى تكون بمثابة اختبار لكل منهما.. ثم إذا كان الرضى والقبول والرؤيا إلى حياة سعيدة تتم الاجراءات الاخرى لاتمام هذا الزواج.. فيقدم العريس المهر. ولكن اهل العروس يقومون على حسابهم الخاص بتجهيز نصف اثاث المنزل لذا نجد ان الاهل منذ ولادة البنت لديهم يقومون بتخزين بعض متطلبات عش الزوجية لإبنتهم ووجود اكثر من بنت فى منزل اسرة يعتبر امرا صعبا للغاية فى حياة الأسر المتوسطة ونكبة صعبة الاحتمال فى الاسر البسيطة ومن لا يقدر على تجهيز ابنته فإنه لا يضمن لها عريساً



ومن الأشياء الجميلة أن مراسيم الزواج تتم فى ساعات قليلة حيث يقوم اهل العروسين بعمل حفل يضم اصدقاء وصديقات العروس والعريس إما فى المنزل أو فى كازينو او فندق وتنتهى كل هذه الضجة غالباً فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل لكن كل ساعات الفرح تتخللها الاغانى والزغاريد منذ حضور العروسين حيث تستقبلهما الزفة.. وتقدم الهدايا لهما فى شكل احتياجات منزل الزوجية وبذا فإن هذا يساعدهما فى تكملة نواقص هذا العش.

وفى الارياف لا تختلف الافراح إلا فى ان الفرح يستمر الى الصباح حيث تتم الرقصات الشعبية على الخيل والطلقات النارية.

وفى لبنان الحزين وفلسطين المفقودة:

تتم المراسم بنفس الشكل.. الذى يتم فى كافة المجتمعات الاسلامية حيث يتقدم العريس الى الاهل غير ان العريس هو الذى يتكفل بكل ما يلزم لبيت الزوجية والاهل يساعدونه احيانا بفرش غرفة غالبا ما تكون صالون الاستقبال أو النوم. وفى ليلة الفرح يتم الأنس للصباح تقريبا وسط رقصات الدبكة وطلقات الرصاص فى الهواء.



وفى لبنان إذا لم يرض اهل العروس بالعريس المتقدم وكان هو يريد تلك الانسانة فإن هناك عرفا متبعاً يسمى (الخطيفه) يتفق الشاب مع اصدقائه فى ان يساعدوه فى خطف محبوبته ويتفق معها على مكان معين تنتظره فيه ثم يأخذها وتُعْلَنُ هذه الخطيفة عن طريق ابواق

ملف الأسرة والطفل

السيارات التي [illegible]ـلو اصواتها فى كل الضيعه أو المدينة وكل م[illegible]ـذه الاصوات والتى تتم بشكل معين يعـ[illegible]ـرس مخطوفه. ولا يعترض اى قانون عليه [illegible]ـهل يرضخون ولكن يقاطعون الإبنة ولا يزورو[illegible] . . وفى النهاية تعود المياه إلى مجاريها حيث يحاول العريس ان يوسط أناساً لهم وزن بينه وبين اهل عروسه.

[illegible]تتم الخطبة غالبا عن طريق الأم التى تذهب إلى أهل العروس لترى البنت ثم تصفها لإبنها وتؤكد له رضاءها عن هذا الزواج . . وتخبر ام البنت بأن إبنها يرغب فى إبنتها فتطلب الأم مهلة اسبوع يتم السؤال عن العريس اخلاقيا[illegible] عائلته وضعه الاجتماعى فإن كان لا غبار عليه تبعث الأم إلى ام العريس بأن يتفضل والد العريس واعمامه واخواله إلى منزلهم . . وفى هذه الجلسة يتم اعلان الخطبة والاتفاق على المهر وعلى ليلة الدخلة . . وفى العراق يتحمل العريس كل نفقات الزواج حتى ليلة العرس ويرسل العريس الى ام عروسه وأبيها هدايا وليلة الفرح يكون الحفل فى بيت العريس ويذهب بالعروس إلى منزل العريس مع أهلها واصدقائها.

يعلن عن الفرح قبل الدخلة بأسبوع حيث يكون هذا الاسبوع كله فرحاً تقدم فيه الولائم للاهل والاصدقاء وهم ثلاثة ايام قبل الدخلة . . اليوم الاول يسمى (الجلوه) يفرش فيه للعروس بساط اخضر وتجلس فوقه على كرسى مبطن بالاخضر ومزركش بالزرى المقصب لا يظهر منها إلاّ الوجه وكل ما تلبسه اخضر يحيطها الاهل والاصدقاء بين الطبول والزغاريد والصلاة على النبى عليه السلام والعائلات الكبيرة تذبح وتُولِم طوال هذه الفتره ـ أى تقيم وليمة ـ وفى الليلة الثانية من (الجلوه) يكون يوم ـ الحناء ـ وتتم فى المساء حيث توضع قصعة كبيره تكفى العروس وكل من يحضر حنتها تخضب العروس امام الجميع يديها ورجليها وكل ذلك بنقوش جميلة فيها فن واهل الخليج مغرمون بالطرب والفرح ومستعدون ان تكون كل دقيقة لديهم أفراحاً . . وفى ليلة الدخلة تتسع العملية وتحضر فرق غنائية وتجلى العروس تلبس فستانها وتزف مع عريسها من أول الليلة حيث تجلس وسط المعازيم تشاهد الرقص والاحتفال بالكامل . . ومع رقصة كل من اهل العروس والعريس تنزل النقوط ـ وهى عبارة عن نقود ـ على الراقصين كل حسب مقدرته يعلن عنها امام الجميع ومع نهاية الحفل تذهب العروس السعيدة إلى عش الحب.

وفى السودان :

يُحْتَفَلُ بالعريس كما يُحْتَفَلُ بالعروس، يخضب العريس بالحناء يديه ورجليه ويحضر إلى بيت عروسه حيث الحفل وسط اهاريج واغانى اصدقائه ورقصاتهم على طول الطريق، والاخوة السودانيون افراحهم من أجمل الافراح وفى الحفل يقوم العريس والعروس بالرقص امام الحضور فيظهر بملابسه الوطنية كاجمل ما يكون.

وفى تونس والجزائر وبلاد المغرب:

لا يختلف التقليد عن ما ذكرنا إلا أن نوعية الولائم تختلف فالشاى الاخضر والكسكسى هما المضياف الاول كما أن الاوانى الفضية الجميلة تلمع وسط المعازيم. . واهل العروس يشاركون فى تأسيس بيت الزوجية.

وفى بلادنا السعيدة:

ومملكتنا الممتده. . فإن تقاليد الزواج من حيث المبدأ تتم فى الشمال والجنوب والوسط والشرق على شكل واحد إلا فى طريقة الفرح وعدد أيامه. . وطبعا عادات وتقاليد الامس لم يبق منها اليوم إلا القليل بل وان عادات الأمس كانت كلها تتسم بالجمال والبساطة والمحبة والمساعدة وتكاتف الاهل والاصدقاء فى اقامة الافراح حيث تقام فى البيوت الكبيرة يعرض الصديق على صديقه بيته او مزرعته أو حوشه لاقامة الفرح فيه. . كان الفرح فرحا حقيقيا يشارك فيه كل اهل الحارة.



كانت حلاوة الملكة عبارة عن اشياء رمزية حيث توضع فى قماش من التل الجميل وتربط بشريط ملون. . وعدد حبات الحلاوه فيها معدود ومن الانواع الغير باهظة واهمها الحلاوة اللوزية.

اما الان فاصبحت عادات الزواج



وتقاليده اشياء ومبتكرات تفوق الخيال وترهق الناس ومظاهر تخرب البيوت والجيوب، حلاوة الملكة من افخر واغلى الانواع وعربة المهر وفرش المنزل واشياء كلها تدل على الخواء النفسى وحب المظاهر العمياء التى لا تدمر الفرد وحده بل تتعداه الى المجتمع ككل.



ولنبدأ جولتنا من المنطقة الشرقية من الاحساء بالتحديد وندخل فى ليلة الدخلة: تنحر الذبائح للرجال والسيدات وعند النساء تأتى فرقة الغناء ويبدأ الغناء والرقص ولا يرى العروس اى من الحضور وفى وقت متأخر يحضر العريس الى غرفة فى منزل الفرح ويغلق عليه الباب ثم تحضر العروس فى (زولية) اى سجادة. . كبيرة من السجاجيد التى تفرش فى الارض طبعا تكون جديدة يرفعها كثير من النسوة وهى مغطاة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها

ملف الأسرة والطفل

بالعباءة وتزف الى الغرفة التى بها العريس ويفتح الباب وترمى إلى الداخل من قبل النسوة اللائى يحملنها ويغلق عليها الباب فتصرخ وتدق الباب بعنف ويعلو صوت الطبول إلى ان يهدأ صوتها ومن لا تصرخ تعتبر جريئة وكان ذلك فى الماضى والغريب أن المرأة لا تكشف عن وجهها لزوجها إلا بعد ان تاتى له بولد.



وفى الدمام والخُبر فى الماضى ايضا لا تُرى العروسه: اما الان فإن هذه التقاليد كلها ذهبت واصبح العرس هو فستان زفاف ابيض وعريس يعلق ذراعه فى ذراع عروسه ويزف معها..

وفى الوسط يتفق العريس مع أبى العروس وتقام الولائم ثم تذهب العروس إلى بيت الزوجية ولا توجد حلاوة ملكة أو عربية مهر واشياء ليست لها ما يبررها سوى البذخ المبتذل.



وفى المنطقة الجنوبية: تقام الحفلات للرجال أول يوم وفى اليوم الثانى للسيدات لكن بعض المناطق تطلب مهوراً كبيرة جدا مع حلى ذهب حيث لابد وان يصاب العريس بالفلس السريع أو يعيش طوال حياته يسدد ديون زواجه.

وفى جدة ومكة كانت الافراح فى الماضى تتم على ليالى اكثرها ثلاث واقلها اثنتين مثلا يوم (الحنة) ويوم (الغمره) أو زفت الخريط (اى حمام العروس) حيث تلبس العروس سارياً هندياً أو ما يشابهه جميلا زاهياً وتُغَطَّى من رأسها إلى قدميها ولا يراها العريس وإنما تُزَفُّ وتُوْضَعُ امام المعازيم ثم فى ليلة الدخله ترتدى ثوب الفرح فى الهزيع الاخير من الليل بعد ان يكون التعب ارهق المعازيم وهذه سيئة من اسوأ ما فى الافراح فى المنطقة الغربية.



أما فى المدينة المنورة الحبيبة: فكانت الافراح فى الماضى اعياداً جميلة للاهل والاقارب والاصدقاء الجميع يشارك الجمع يعرض الخدمات تبدأ من يوم الملكة حيث يذهب العريس فى جمع من اصدقائه وابوه وابناء عمومته واخواله إلى منزل العروس يتقدم كل هذا



الموكب حاملو الاتاريك - قبل وجود الكهرباء - وبعدهم يأتى حاملو تباسى الحلاوى (الصوانى) المفضضة والمرشات المليئة بعطر الورد والياسمين وعلبة المهر البسيطة الانيقة ثم الوالد والاعمام والاخوال وفى وسطهم العريس محاطاً بالاصدقاء ويلبس العقال القصب ليميز عن الباقين والمشلح الاسود أو الابيض، مجموعة من أجمل واروع الشباب ويحاط بهم الكبار باجلال والكل يمشى فى موكب فرح تم اعداده وهى امرأة تخرج لتدعو الناس إلى الفرح تزغرد وتعلن عن ابتهاج الجميع، يصل الموكب الى منزل العروس ويستقبل بالحفاوه والتكريم ويتم عقد القران وعادة يكون ليلة الجمعة واكثر الاحيان يتم العقد فى المسجد النبوى ثم يتم الانتقال إلى منزل العروس تقدم الشربات والشاى ثم يترك ما حمل فى منزل العروس وفى المدينة من العيب الكبير ان يشترط المهر، كل يقدم استطاعته.. ثم عند قرب الفرح تتم الاجراءات اللازمة للعروس وتجهز بالكامل من المهر وان لم يكف يساهم والدها بتغطية التكاليف الناقصة.

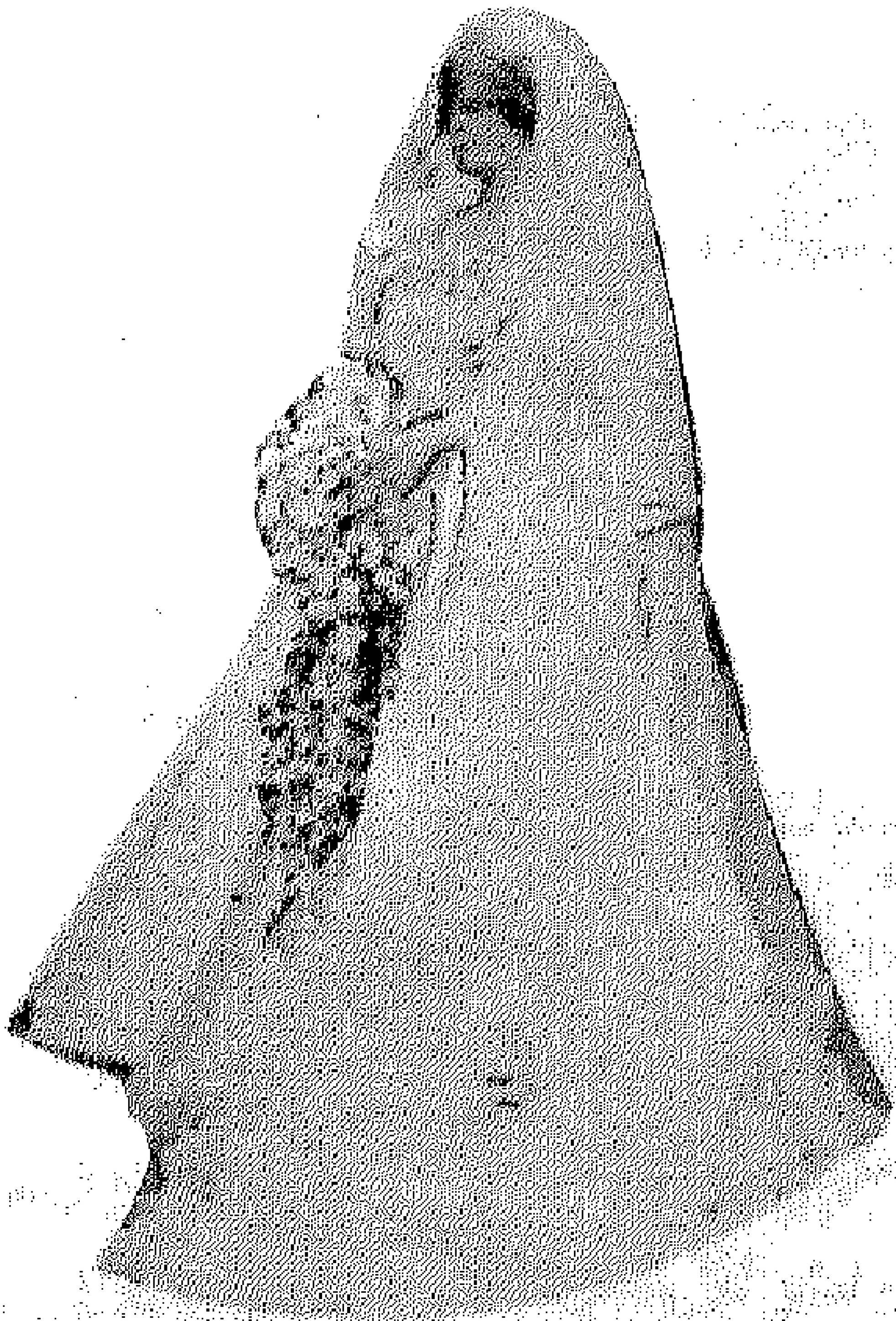
وفى المدينة العروس فى ليلة الفرح تلبس ثلاث مرات اولا الشرعة المدينى ثم التركى وبعدها على وجه الصباح فستان الفرح الابيض.



والعروس فى الشرعة المدينى تزف على كراسى صغيرة مرتفعة قليلا عن الارض ولا تفتح عينيها ابداً امام الناس وتسحب رجلها احدى قريباتها او المكلفة بذلك من كرسى لآخر لغاية أن تصل إلى مكانها

●● «هن»

وصل لهذه المجلة ومن اخت كريمة فى اليمن الشقيق موضوع استطلاعى شيق عن هذا الحدث السعيد وظواهر تقاليده وعاداته واستحداثاته. ولكى تكتمل وحدة الموضوع ارتؤى عدم ادماج الشكل المصور لهذه العادة هناك ضمن ما نحن عنه اعلاه وافسحنا المجال لذلك الموضوع لينشر فى عدد لاحق قريب. وكم هو بودى ان تتلقى «هن» من الفضليات هنا وهناك ملامح هذه العادات والتقاليد فى بلادهنّ وديارهنّ ومجتمعاتهنّ حتى تؤكد التعريف وتحكم التزاوج المتبادل لتعارفنا وتقاربنا وتوادنا وفهمنا بعضنا البعض فى أعز امنية واغلى مرام. وهذه دعوة من هن مفتوحة لهن.



ملف الأسرة والطفل





المعد، وقبل الفرح وبعد يوم القصه يأتي يوم الحنة حيث تخضب العروس ومن يرغب في ذلك ويلاحظ ان أبا العروس والعروسه لا يتكلفان مصاريف باهظة فكل الاصدقاء يرسلون الذبائح واكياس الرز وما يحتاجه الفرح وفي مساء الفرح كان العشاء يسمى بالتعتيمه وهي عباره عن شريك وجبنه وزيتون وحلاوه والصباحية تقدم الزلابية على الفطور.



وحين يختلي العريس بعروسه تُوصى بان لا تكلمه ولا تفتح عينيها فهذا عيب ويحكى ان عقرباً كانت تمشى على مرتبة الشرعة لاحدى العرائس وحاول عريسها بشتى الطرق ان يفهمها ذلك فأبت ان يمسكها أو تكلمه او تفتح عينيها له وعندما اعيته الحيله نادى على اهله لإزالة العقرب . وكانت هذه المرتبه توضع على الصدر وهي مليئة بقطع الفاكهة مع الالماس واللؤلؤ وعندما يتزوج عروسان صغيران في السن ياكلان من تلك الفاكهة المتنوعة على الصدر. ومن الطريف ان تلك العروس التى كانت العقرب على مرتبتها تقول.. عندما انتهى الفرح وغسلت وجهها ولم تكن هناك حواجب بالطبع ـ فزع العريس وصرخ لامه قائلا اين الحواجب المقرونه ليس هناك حواجب بالمره ولكنها اخبرته الحقيقه.. المهم في يوم الصباحية تلبس العروس الزبونه في اليوم التالي للفرح وتجلس ومعها عريسها وتقدم لها الصباحية من اقارب العروسين كل يكتب اسمه عليها. ويختم الفرح في اليوم السابع وهو اليوم السابع للعروس في بيت زوجها تعمل حفلة غذاء وتكون خاصة بالزهرات من صديقاتها واقاربها واقارب زوجها. ومن ترغب في ان تخطب لابنها تحضر ذلك السابع.. ومن الطريف انه كانت هناك خاطبة تذهب إلى البيوت وترى البنات وتدل طالبي الزواج عليهن.

● هذه هي عادات وتقاليد الزواج وكانت عادات جميلة ولطيفة لم يبق منها إلا ليلة واحدة ولكنها ليلة تكلف وزن العروسين ذهباً ولا تترك المعازيم فالحاضرات لابد ان ياتين بالفساتين الباهظة الثمن ولابد ان لا يلبس الفستان مرتين.

● ما أجمل الماضي لو ارتبط بالحاضر وذهب بالمعقد واحتفظ بالهين اللين.. وسبحان الله رب العالمين.

المـ

ووصولها إلى

- أكثر من نصف العالم تحكمه نساء.
- عندما تصبح القبضة الحديدية أصابع أنثوية

من أيام الفرعونة «حتشبسوت» التى حكمت مصر قبل ٣٥٠٠ سنة ـ وكانت تضع على وجهها لحية اصطناعية لتتشبه بالرجال ـ إلى أيام مارغريت تاتشر التى تفتخر بكونها ـ السيدة الحديدية ـ تربعت عشرات النساء على الحكم فى كافة مناطق العالم. ولكن الظاهرة الملفتة للانتباه اليوم هى أن المرأة اصبحت تصل الى السلطة بجهودها وليس فقط بصلات قربى ، ففى الماضى لم تكن المرأة ـ تقليديا ـ تصل الى السلطة إلا من جرَّاء ما يمكن أن نسميه ـ الخلل السلالى ـ كأن يموت زوجها الملك واولاده لازالوا أطفالا او كأن يموت والدها الملك ولا يخلِّف سواها . . وعلى مدى التاريخ هناك نساء كثيرات وصلن الى السلطة بهذه الطريقة وأحيانا مارسن القمع والسلطة . . ولعل الرجال يتميزون عن النساء فى وصولهم إلى السلطة فى كثير من الاحيان باستثناء الوراثة عن طريق انقلابات وهو ما لم يتأت للمرأة بعد وان كانت حاليا قد بدأت تلعب دوراً سياسيا بذاتها واصبحت تصل الى السلطة بقرار ديمقراطى لا بمجرد سابقة تاريخية. غير ان هذا لا يعنى أن جميع النساء اللواتى يحكمن اليوم وصلن إلى مراتبهن دون دعم من أب أو أخ أو زوج . . والسيدة انديرا غاندى مثال على ذلك فهى إبنة مؤسس الدوله الهندية الحديثة ولا شك فى أنها ما كانت لتصل الى الحكم لولا ذلك الا أن انديرا غاندى اليوم لم تعد فقط ـ ابنة نهرو ـ وكما يقول الفرنسيون (صحيح ان انديرا غاندى ابنة زعيم كبير لكن يمكن القول أيضا أن نهرو والد الزعيمة ـ انديرا ـ) ففى بلد يزيد عدد سكانه على ٦٥٠ مليون نسمة ثمة وجهاً واحداً على شاشة السياسة الهندية يبدو وكأنه قادر على الانتصار فى المستقبل المنظور على جواهر لال نهرو مؤسس الهند

...رأة السلطة

تحقيق / يوسف ابو عواد

...ديثة ورفيق (الماهتيا) وقد خسرت انديرا المعركة ...تخابية مرة واحدة امام يمين حزب (المؤتمر) الحاكم ... الفراغ الذى تركته حولها فى المعارضة مهد لعودتها ...اجماع شعبى كاسح وقناعة دولية كونها السياسى ...جيد القادر على ضبط أضخم ديمقراطية فى ...الم . . ويقال إن الامريكيين الذين فرحوا فى بادىء ...ر بانتصار معارضيها لم يحزنوا كثيراً يوم فازت من ...يد بعد فشل المعارضين. فواشنطن تفضل كما ...ل : نصف صديق قوى على صديق ضعيف ...حيح ان انديرا كانت قد ربطت الهند فى (معاهدة ...اقة) مع الاتحاد السوفيتى لكنها وفى الوقت نفسه ...طت الى حد كبير على حماية حركة (عدم ...حياز) التى ولدت جزئياً فى الهند، أيام كان نهرو ...اقه من ابطال الاستقلال فى (العالم الثالث) ...أن مقاعد السلطة.

والغريب فى الأمر أنه فى شبه قارة مثل الهند وأمام ٣٠٠ مليون رجل على الأقل فان المعركة السياسية تخاض بين نساء، ذلك أن كبير معارضى السيدة غاندى هى أرملة ابنها سانجاى وهى شابة صغيرة تعتقد أن الحكم أصبح من حقها ولها مآخذ كثيرة على والدة زوجها أما كبير مؤيديها فهى بالطبع زوجة ابنها - راجيف - التى تعانى من عقدتين بالنسبة للهنود الأولى كونها زوجة راجيف والثانية كونها ايطالية الأصل. وعلى أية حال فسواء استطاعت «انديرا» أن تؤمن الخلافة السياسية من بعدها أم لا فانها قد دخلت التاريخ على أنها أقوى امرأة فى العالم الثالث وقد تركت انديرا بصمات اصابعها على كل شىء فى تاريخ الهند الحديث. كما تركت الملكة فكتوريا بصماتها على كل شىء فى التاريخ البريطانى، واذا كان هناك (عصر فكتورى) فى أوروبا فهناك دون شك (عصر انديرى) فى الهند.

وما يقال عن زعيمة الـ ٧٠٠ مليون هندى يمكن أن يقال عن جارتها «سريمافو بندرانايكه» التى تولت الحكم فى سرى لانكا بعد اغتيال زوجها رئيس الوزراء فى ١٩٥٩م.

ومع مارغريت تاتشر ندخل فى عصر آخر كامرأة تقود حزبا الى السلطة فى احدى أهم دول العالم وهى ليست وحدها اليوم فى هذا الوضع فهناك آيسلندا الصغيره فى شمال أوروبا حيث انتخبت فى عام ١٩٨٠م أول رئيسة للجمهورية تختار بالاقتراع الشعبى . . وهناك رئيسة وزراء - الدومنيكا الآنسة - اوجتينا تشارلز - التى بكت امام التلفزيون وهى تقول: (لو كانت بلادى كبيرة وسكانها من البيض لما عاملتنا بريطانيا بهذا الاستخفاف).

« امرأة فولاذية ـ وأخرى حديدية»

وعودة الى انديرا غاندى ومارغريت تاتشر باعتبار الأولى اشتراكية وسيدة الاستقلال فى القارة الهندية تحكم اكبر ديمقراطية حديثة فى العالم. والثانية كمحافظة تحكم أقدم ديمقراطية فى العالم.. تقول انه من غرائب المقارنات أن نجد أنه كما قادت انديرا غاندى حربها ضد الباكستان فقد قدر لمارغريت تاتشر أن تقود حربها على الارجنتين على بعد ٨٠٠٠ ميل من بريطانيا وأن تنتصر فى معركة (الفوكلاند) والتى تعتبر أول معركة عسكرية تنتصر فيها بر يطانيا منذ الحرب العالمية الثانية.

ومن المفارقات العجيبة أيضاً أن كبيرة (معارضى) تاتشر هى امرأة كما هو الحال مع انديرا غاندى ولكن لا تمت اليها بصلة قربى انها السيدة شيرلى وليامس احدى ابرز الوجوه الاشتراكية التاريخية فى بريطانيا ولكن يبدو أن حظها السياسى أبعد بكثير من أن يكون قريبا من حظ تاتشر التى تحكم اكثر المجتمعات (الرجاليه) محافظة فى أوروبا. والتى كما يقول بعض البريطانيين المحافظين (ديقول بريطانيا) بينما يقول آخرون انها أقوى رئيس وزراء منذ سقوط ونستون تشرشل امام الموجة العمالية التى طالبت بالخبز بدلاً من العظمة فى بريطانيا.

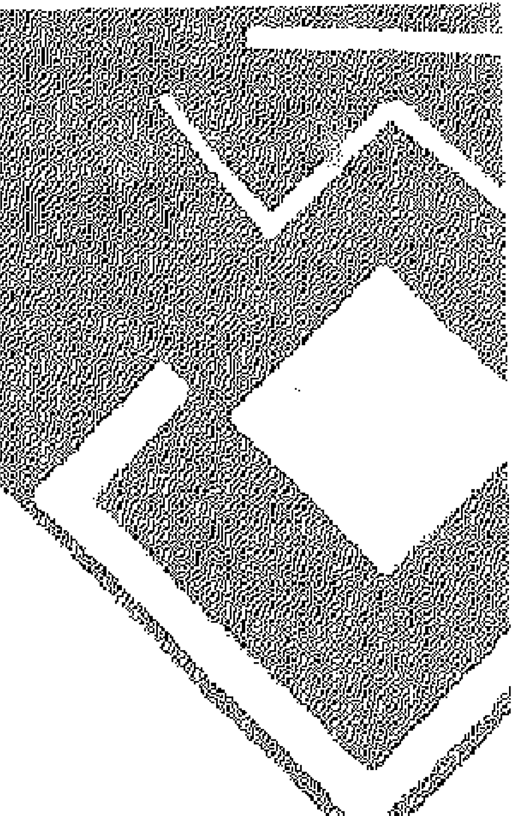
« حقوق المرأة.. عندما تحكم المرأة»

وعلى أية حال يخطىء من يعتقد أن تاتشر أو انديرا أو أى امرأة أخرى من السيدات اللواتى يحكمن نصف العالم تقريبا اليوم تُعَدُّ ـ من بعيد أو قريب نصيرا (لحركة تحرير المرأة) أو بالأحرى حركة تحكيم المرأة التى قامت خلال العقدين الماضيين. فالمرأة الحاكمة انسان حاكم وبعض حقوق المرأة فى عهود الرجال اكثر ضمانا منها فى عهود النساء. فلا حديث عن حقوق المرأة فى عهد تاتشر ولا وجود لمثل هذا الحديث فى ظل انديرا غاندى وليس هناك أى قضية نسائية على الاطلاق فى يوغوسلافيا (حيث نجحت ـ ميلكا بلانتش ـ فى حزيران ١٩٨٢م لتكون أول امرأة فى تاريخ العالم الاشتراكى تصل الى رئاسة الوزراء) ولا حتى فى آيسلندا حيث الرئيس سيدة أو فى كندا حيث (الحاكم العام) امرأة أو فى مالطا او فى جزر الدومنيك حيث القبضة الحديدية اصابع انثوية أيضا.

«الدور السياسى والمنصب التقليدى

لكن باستثناء جزر الدومنيك والهند وبريطانيا فان دور المرأة لا يتعدى دوراً ـ منصبياً ـ أو دستوريا ـ فهى فيما عدا ذلك تلعب دورا بارزا لكن دون مستوى الحكم. وهى وصلت الى المستوى الوزارى فى معظم دول أوروبا كما فى الاتحاد السوفيتى بل كما فى بعض الدول العربية مثل سوريا والاردن. غير ان ثمة بلدانا غيّر تاريخها بالدور النسائى فى حياتها السياسية.

بعض حقوق المرأة فى عهود الرجال.. اكثر ضمانا منها فى عهود النساء.





مسـز تاتشـر



انديرا غاندى



مسـز بندرانيكه



ارملـة مـاو

وقريب من انديرا . . وتاتشر . . ايزابيل بيرون فى الارجنتين والتى توصلت الى الحكم خلفا لزوجها خوان بيرون حين جاءت اليهـا السلطة بالانتخاب وحكمت البـلاد اربـع سنـوات قبل الانتـداب العسكرى الذى اودى بها الى السجن . . وبعد ذلك خرجت الى الحرية .

وفى هولندا . . وقبل أعوام جاءت الملكة بياتريس الى الحكم قبل الموعـد المحـدد، ذلك أن والدتها تنازلت عن الحكم قبل الموعد المحدد . بسبب فضيحة تنـاولت الـوالد ـ الأمير فيليب ـ حين ورد اسمه فى فضيحـة رشـاوى مالية فى قضية (بوينج) الشهيرة . فكان أن تنحت الملكة فاسحة المجال لابنتها الحسناء . .

وفى تايلاند تلعب الملكة الحسناء ـ سيركت ـ دوراً اجتماعيـا مهـماً ومع أن الملك فى (سيـام) القديمة دستورى غير أن الملك والملكة يقومان بدور اجتماعى كبير بالاضافة إلى الاشراف على الحكم وذلك بعدما تحولت تايلاند الى مركز للاجئين القادمين من فيتنام وكمبوديا .

والطـريف أنـه عندما يقع انقلاب عسكرى فى تايلاند فانه يقع ضد رئيس الوزراء ـ اما الملك والملكة ـ فباقيان .

وثمـة امـرأة حكمت مليار صينى ذات مرحلة والتى لم يستطع الرئيس الامريكى ان يجتمع بها خلال زيارته الاخيرة للصين وهى أرملة الرئيس ماو حيث تمضى وقتها الآن فى السجن .

واذا كان الروس قد اطلقوا لقب المرأة الحديدية على تاتشـر فهناك غاندى ـ المرأة الفولاذية كما وأن تاتشـر هناك من يشاطرها لقبها وهى يوجينا تشارلز رئيسة وزراء جزيرة دومنيكا فى البحر الكاريبى حين تزعمت مجمـوعـة من خمس دول طالبت الـولايات المتحدة بالتدخل فى غرانادا .

ولكن السؤال الباقى فى النهاية هو: هل يمكن للناس حقا أن تنسى أنوثة المرأة عندما تصل الى الحكم؟؟ .

وهل يمكن ان ينسى انتماءها الى النصف الآخر؟

وهل يمكن ان تظل ظاهرة الحكم النسوى مستمرة فى النمو فى عالم يحكمه الرجال منذ فجـر التـاريخ؟ (بـاستثنـاء العـادات التى حكمت بعض القبائل أو بعض الأمم هنا وهناك)؟ .

هذه الظـاهـرة كما يرى المراقبون يبدو أنها على عكس ما يتـوقـع البعض غير مقبلة على الانحسار ليس فقط فى اوروبا حيث لعبت المرأة دورا مهما فى السياسة سواء من خلف ستار أو من أمامه بل أيضا فى العالم الثالث وان ما يخلعه الرجال من القاب على نساء تبوأن مناصب قيادية كبيره كما نسمع ما يقال من أقول عن امرأة حديدية . . أو فولاذية . . لا يتعدى كونـه تغطيـة لقصـورهم . . ولكن فى نظـرى سواء وصلت المـرأة الى السلطة . . او حلقت فى الفضاء امثال ـ سالى رايد ـ فانها تظل امرأة تحكمها تركيبة بيولوجية قد لا تجارى تركيبة الرجال . .



نجوى صلاح الغرباوى

وجهها الآخر

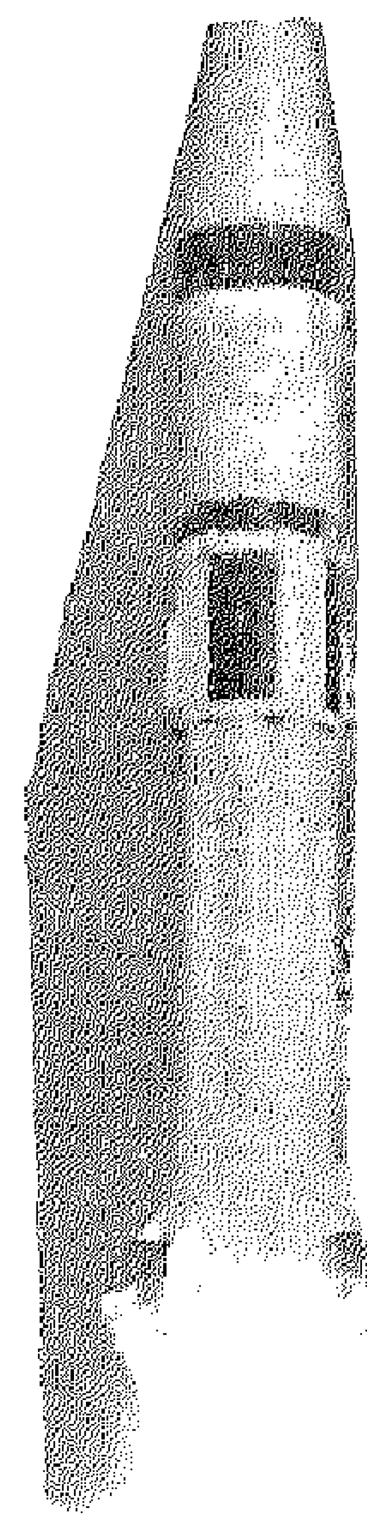
وأخيـــراً . .
وبسبب الغمام . .
تبينت ظلال وجهها الآخر . .
تكشفت لى الحقيقة عارية
واصطدمنا فى الامام
رأيتها . . نظرتها
وحين أرادت ان تدافع عن نفسها
قلت لها صه
لا وقت عندى للكلام
وقد لانجد ما نقول . .
بعد ان تولى زمن الوهم
وانقشع الظلام . .
فماذا بعد هذا؟
أتعود تريد خداعى؟

وكيف تجرؤ . .
ومن أنت . .
غريب مغرور . . تحيط بنا الأوهام
تزدحم بها رأسنا .
وتسلسل أفكارك
بأوهام شتى تعيش
وستظل بها تعيش سنين وايام
فماذا بعد هذا؟
صه . . ما عدت أخدع بالكلام
ولن تجرؤ على خداعى
أو تظن أن لى قلباً يصفح على الدوام
ولو سألونى .
لأنزلت بها حكما من الأحكام
ينتزع من بين ضلوعك
سنين الغش والأوهام

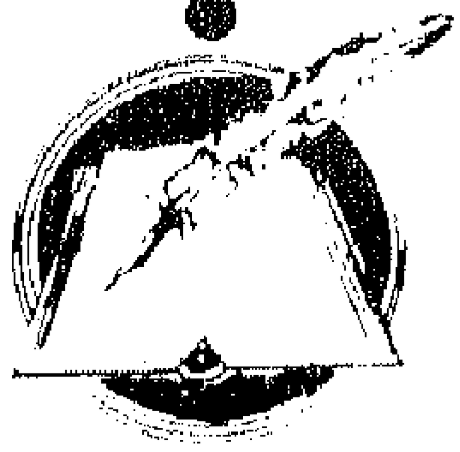
خلجات قلب

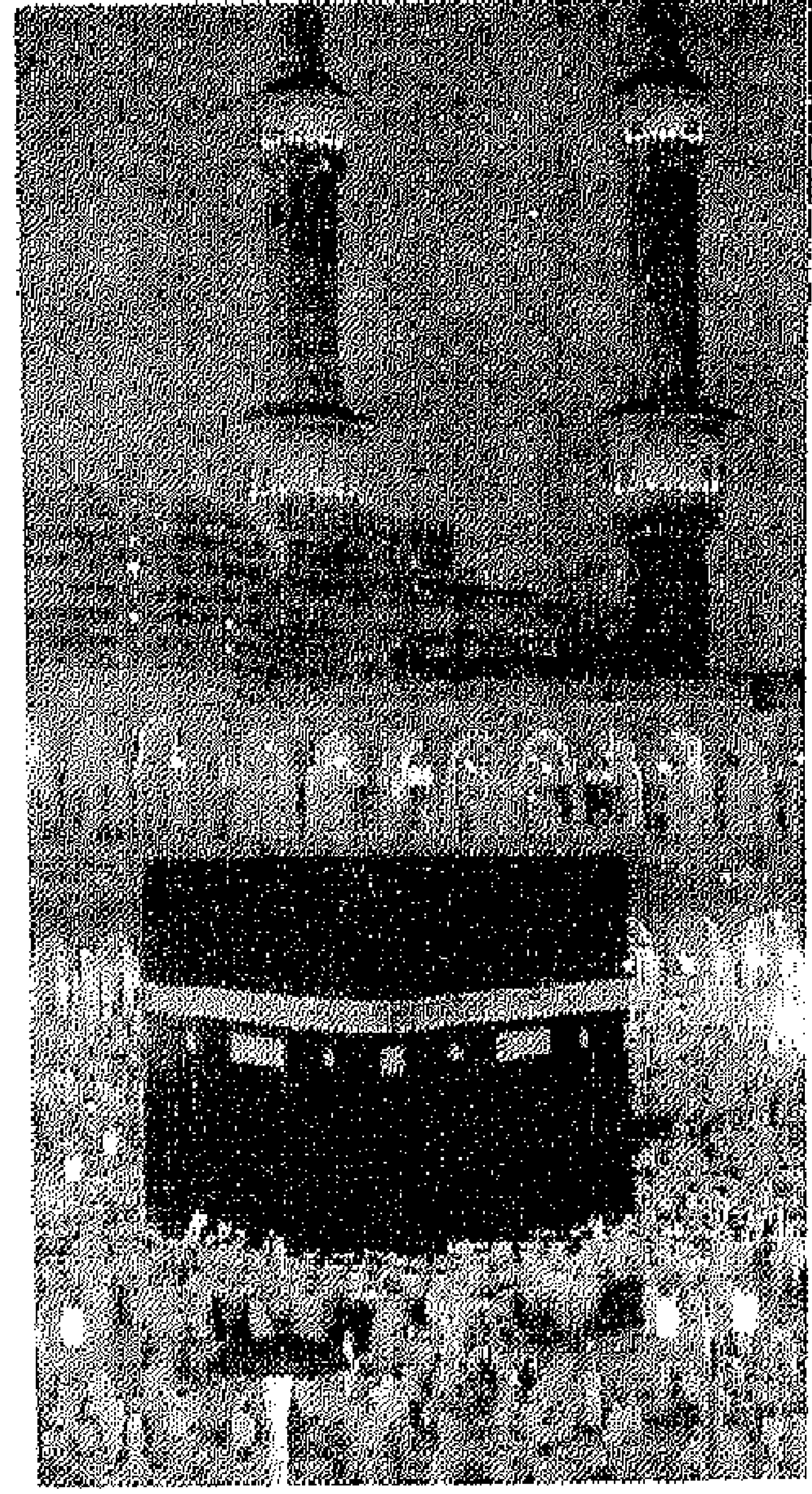
وحين التقت أصواتنا أخذ يسمعني فى صمت وتركنى أردد وأقول كل شىء
وما ان فرغت انتظرت منه ان يقول شيئاً أى شىء. . ولكنه أبدا ظل على حاله ساكناً صامتاً. . حتى بدى لى وكأنه لن يسمع شيئاً البتة
وعندما لم يكن بمقدورى ان أزيد على ما قلت أى شىء. . شعرت وكأننى موضوعة فى وسط قالب من الثلج ما إن اخذ يذوب ويتحول الى ماء حتى كان البرد والصقيع قد لحما أعضائى
فتجمدت أنا بالتالى كليا
إن تفكيرك منفردا وحيدا سيدى. . يفصلنى عنك ويبعد كل منا عن صاحبه مسافات وأميال طويلة. . قد يصعب علينا بعد حين من الزمان ان نعود ونلتقى. . أو ان تعود وتقرب ما بيننا تلك المسافات التى أبعدتنا فى الماضى وجعلت كلًا منا فى طريق. .
كذلك لست أدرى أى رجل من الرجال هو أنت. . ولكننى وعلى أى حال اكره ان أراك ذلك الرجل الذى يظل يبحث عن «الشيىء» جاهدا وحين يجده «يمتلكه» يسترخى ويسترخى طويلا حتى يمتد به الاسترخاء الى النسيان والتجاهل
ثم لا يعود إلى ذكر «الشىء» إلا اذا دعته الحاجه إليه مجددة فيه بعض ما كان وبهذا يكون قد ضاع منك كل ما كان.

حروب الشعوب



أسمعها كل يوم
أقرؤها فى كل حين
عبر الصحف. .
عبر المجلات. .
عبر العناوين العريضة
المتشبعة بالأنين
مأساة السنين
تتكرر كل يوم. .
تغتال قلوب الآدمين
تختنق الانفاس
تلفظ الأنفاس
ومع رجع السنين
تعود الذكرى
لتوقظ فينا الألم
ويمزقنا الأنين
وتمضى السنون
وفى قحة
تدوس الأقدام القذرة
هذا أو ذاك الجبين
بلا حياء بلا خجل
تسقط الآداب
ويظل الموقف سجينا.
وفى معركة مع الذات
لا تجد مايقال
غير أننا لابد ان نسمع
ونرى ونقرأ
حروب الشعوب
فى حين تظل الكلمات معلقة مشنوقة
حتى يضيع الكلام. . كل الكلام
بعد ان تتساوى الأشياء
وتخضلت بالدم والطين





مشروع مكتبة الحرم المكى الشريف

الرعاية العامة لشئون الحرمين الشريفين بدأت فى تنفيذ مشروع المكتبة الجديدة للحرم المكى الشريف التى وجه جلالة الملك فهد بن عبد العزيز بانشائها لتستوعب ما تحتويه مكتبة الحرم المكى الشريف التى بها ما يقارب ثمانين ألف كتاب، منها أربعة الاف كتاب مخطوط استخدمت المكتبة فى حفظها أحدث الوسائل العلمية والتكنولوجية بتسجيلها فى أشرطة مصورة (ميكروفيلم).

والمكتبة الجديدة تحوى صالتين خصصت إحداهما للنساء لكى يصبح فى مكنة الجميع الافادة والاطلاع كما يشمل مبناها صالة للمحاضرات.

وتوفر المكتبة بطريقة حديثة خدماتها العلمية والادارية لروادها والراغبين فى الاطلاع من جمهور المسلمين والدارسين والباحثين.

جائزة الشعر الدولية الفرنسية الكبرى تمنح لـ:
الأمير عبد الله الفيصل

جائزة الشعر الدولية الكبرى فى فرنسا تمنحها اللجنة المختصة الى سمو الامير عبد الله الفيصل.. على مجموعة سموه الشعرية بعنوان «ديوان الحب»

ونقل هذه المجموعة الشعرية الرائعة الى اللغة الفرنسية جواد الصيداوى والشاعر الفرنسى اتناز فانتشيف دوتراسى.

وجاء فى قرار اللجنة التحكيمية التى منحت الجائزة الى الشاعر العربى السعودى الكبير ان شعر عبد الله الفيصل يتميز بصفاء مطلق.. وان شفافية قصائده ذات سحر خاص.. وعبارته غنية وانيقة وان نفسه الشعرى انعكاس خلاق لكبار الشعراء العرب القدامى.



المجمع الملكى الاردنى
المؤتمر الثالث


الملك حسين

المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية هيئة علمية مستقلة مقره الأردن.. يرأسه الدكتور ناصر الدين الأسد مدير الجامعة الاردنية والحائز على جائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى..

يقوم عمل المجمع على اجراء البحوث فى جميع ميادين المعرفه والعلوم التى نشأت او ازدهرت فى ظل الحضارة الاسلامية مما يعين على تفهم المواقف والقضايا التى يزخر بها المجتمع الاسلامى وابراز التصور الاسلامى الصحيح لها.

اختتم المجمع اعمال مؤتمره السنوى الثالث فى الاردن فى شهر شعبان الماضى واشترك فيه اكثر من مائة عالم من كبار علماء المسلمين فى العالم.

ومن القضايا التى ناقشها المؤتمر: **الخطة الثانية للمجمع الملكى، التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ضوء تعاليم الاسلام، حماية البيئة، الفهرس الشامل للفنون الاسلامية والعربية، ترميم المخطوطات فى بيت المقدس وفهرستها وتصويرها.**

إنتاج أول شجرة أنابيب



قامت احدى الشركات الامريكية باستنباط اشجار الخشب الاحمر داخل انابيب اختبار وبذلك تولد اول شجرة انابيب على غرار طفل الانابيب وعجل الانابيب.

الاسلوب الجديد يعتمد على زراعة الانسجة بأخذ شريحة صغيرة جدا من شجرة الخشب الاحمر وزراعتها داخل انبوبة اختبار وسط مواد كيميائية مختلفة فتنمو بجذورها واوراقها وعندما تبلغ هذه النبتة حجما معيناً يسمح لها بالحياة تنقل الى المشتل..

والجدير بالذكر ان هذه الطريقة ستزيد من اشجار الخشب الاحمر بنسبة ٥٠٪ للفدان الواحد.

اكبر اتفاق إعلاني في تاريخ صناعة الإعلان العربية.

تم مؤخرا توقيع اكبر اتفاق اعلانى فى تاريخ صناعة الاعلان والصحافة العربية بين الشركة السعودية للابحاث والتسويق وشركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق

وتصل قيمة العقد الى اكثر من ١٥٠٠ مليون ريال سعودى على مدى خمس سنوات.


م. س. الطيب — محمد حافظ — هشام حافظ

والجدير بالذكر ان هذا العقد والذى بمقتضاه ستستمر شركة تهامة كوكيل اعلانى وحيد لجميع المطبوعات الصادرة عن الشركة السعودية للابحاث والتسويق حتى نهاية عام ١٩٩٠م يعتبر تتويجا للعلاقة بين الشركتين والتى بدأت منذ اوائل عام ١٩٧٩م

معرض تونس الدولي للكتاب

في معرض تونس الدولى الثالث للكتاب اشتركت مجموعة من دور النشر العربية والأجنبية فى عرض انتاجها من الكتب ومما يتميز به المعرض طريقة تصنيفه للكتب حسب العناوين والأغراض (الدينية - الادبية - التاريخية - العلمية .. الخ) مما يسهل على الراغبين مهمة الاختيار.

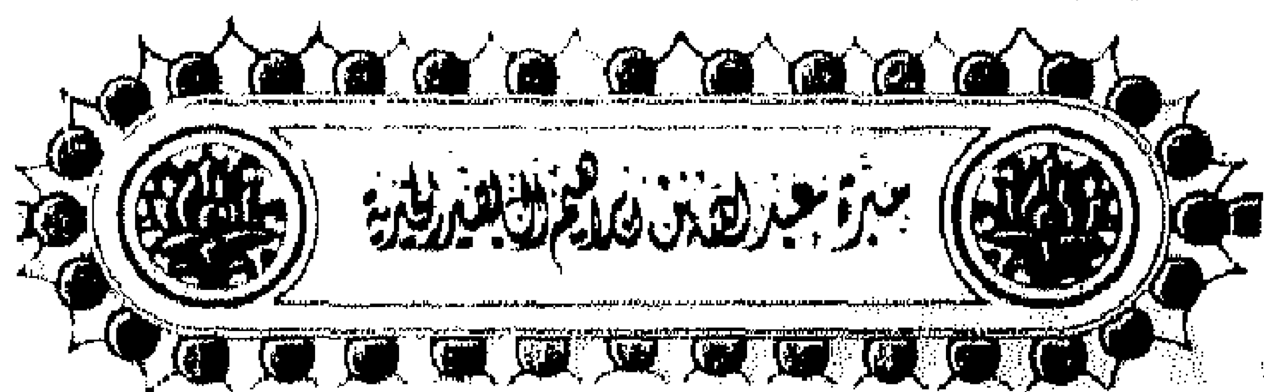
وكانت المملكة العربية السعودية من ضمن الدول المشاركة فى المعرض متمثلة فى الرئاسة العامة لرعاية الشباب ومكتب التربية العربى لدول الخليج ودار تهامة للنشر والدار السعودية للنشر والتوزيع ودور اخرى شاركت بكتبها عبر ناشرين تونسيين وكان للمشاركة السعودية والكتاب السعودى وجوده فى المعرض لاشتماله على مجموعة كبيرة من الجوانب المعرفية فى الدين والادب والاقتصاد والسياسة والعلوم والتراجم والسير والتاريخ وكتب الاطفال . .

مركز اسهامات المسلمين في الحضارة الإسلامية

عقد مؤتمره التأسيسى فى مدينة الدوحة عاصمة دولة قطر فى شهر رجب المنصرم . . وتم تشكيل مجلس الامناء من :

الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية القطرى رئيساً للمجلس وفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الجامع الازهر والدكتور عبد اللطيف النصف الأمين العام لرابطة المؤتمر الاسلامى، والدكتور يحيى بن محفوظ المنذرى وزير التربية بسلطنة عمان، والدكتور يعقوب الغنيم وزير التربية الكويتى، والدكتور محمد الفارسى من المملكة المغربية، والدكتور محمد ابراهيم كاظم مدير جامعة قطر.

وسوف يركز المركز اهتمامه فى الفترة المقبلة على جمع واعداد مجموعة من المجلدات باللغة الانكليزية تحت عنوان «امهات الكتب فى الحضارة الاسلامية» بهدف تعريف المسلمين بأمهات الكتب فى الحضارة الاسلامية والتى لا يعد الانسان المعاصر - والمسلم بصفة خاصة - مثقفا ما لم يلم بمعظمها وتعتبر مثل هذه المجموعة من المجلدات كنزا نفيسا خاصة للمسلمين الناطقين بالانكليزية . . وسيغطى المشروع فترةال ٨٠٠ عام الأولى من بدء الاسلام، وهى فترة التراث الاسلامى التى كتب عنها ما يفوق اتساعا وجمعا ما كتب عن اى ثقافة سابقة أو معاصرة.



جائزة آل بصير لزعيم مجاهدي افغانستان

■ تم تحديد الفائزين بجائزة آل بصير العالمية لخدمة الاسلام والادب العربى والعلوم «الطب» البالغة قيمتها تسعمائة ألف ريال سعودى أو ما يعادل مائتين وخمسة وخمسين الف دولار امريكي.

وقد قررت لجان الاختيار للجائزة اختيار الفائزين لعام ١٤٠٣/ ١٤٠٤هـ الموافق ١٩٨٢/ ١٩٨٣م.

حسب ما يلي:

١ - فاز المجاهد فى سبيل الله فضيلة الشيخ عبد رب الرسول سياف رئيس الاتحاد الاسلامى لمجاهدى افغانستان بالجائزة العالمية لمبرة عبد الله آل بصير الخيرية لخدمة الدعوة الاسلامية

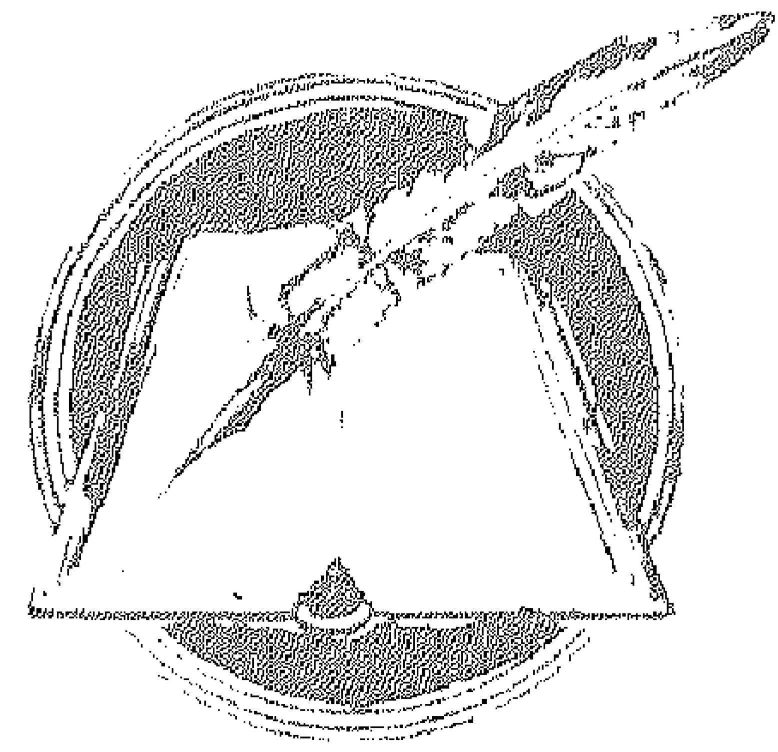
المتحف الخاص

اهتمامات الافراد تختلف من فرد لآخر وهواياتهم قد تلتقى أو تتباين . . المتاحف دائماً هي جزء من اهتمامات الدول، أما أن يقيم فرد متحفاً على حسابه فهذا هو الجديد الملفت للأنظار . . وهذا ما قام به المواطن السعودى السيد عبد الرؤوف حسن خليل، فقد شيد متحفاً ضخماً فى مدينة جدة بحى بقشان . . وأثراه بآلاف مؤلفة من التحف التى تواكب المسيرة الانسانية من العصر البرونزى حتى عصرنا الحالى جمعها فى ما يزيد عن ربع قرن من الزمان من معظم البلاد الاسلامية والعربية.

المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

أسست هذه المنظمة فى مايو ١٩٨٢م وكان عدد أعضائها عشرين دولة وبلغت الآن اثنتين وثلاثين دولة ويشغل منصب المدير العام لهذه المنظمة الاستاذ عبد الهادى أبو طالب . .

والمنظمة بصدد انشاء (بنك للمعلومات والمعطيات الاسلامية) يكون مقره الرباط ، ويرتبط بجل دول العالم عن طريق الكمبيوتر لتزويد الباحثين والمهتمين بالمبادىء السليمة والصحيحة للدين والفكر الاسلامى . ويشير مديرها الى ان المنظمة ستشرع قريبا فى خطة لمحو الأمية فى كل من بنغلاديش والنيجر تعتمد على مفاهيم علمية حديثة وذلك لتطويق الامية وايجاد انسان متوازن روحياً وبدنيا والخطة ستعتمد اللغة العربية كأساس فى إطار التعليم والتعلم .



وقد رشح من قبل الندوة العالمية للشباب الاسلامى .

وقيمة الجائزة ثلاثمائة الف ريال سعودى أى ما يعادل خمسة وثمانين ألف دولار امريكى ووسام قيم يحمل شعار المبرة وشهادة تقدير تتضمن نبذة عن حياة الفائز العلمية والعملية التى بموجبها نال الجائزة .

٢ ـ فاز العلماء الاجلاء الدكتور تمام حسان عمر والدكتور حسين محمد نصار والدكتور رمضان حسن عبد التواب وهم مشتركون بالجائزة العالمية لمبرة عبد الله بن ابراهيم آل بصير الخيرية للدراسات الادبية واللغوية وقد رشحوا من قبل جامعة أم القرى ـ جامعة القاهرة ـ مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

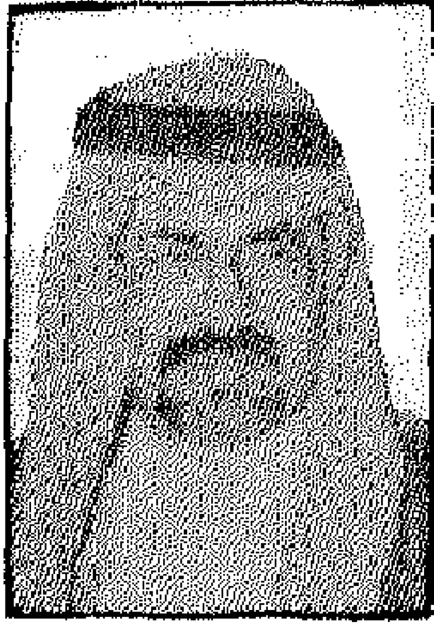
وقيمة الجائزة ثلاثة مائة الف ريال أو ما يعادل خمسة وثمانين الف دولار امريكى ووسام قيم لكل منهم وشهادة تقدير تتضمن نبذة من اعمال وحياة كل من الفائزين والموضوع الذى بموجبه حصل على الجائزة .

الذهب يدخل فى تشخيص القلوب

قام فريق من الاطباء الامريكيين والبريطانيين باستخدام الذهب المشع فى تشخيص امراض القلب وذلك بعد ان اكتشفوا ان حقن الذهب المشع فى دم المريض يعطى صورة واضحة لقلبه علاوة على انه يعرض المريض الى كمية قليلة من الاشعاع . .

ويقول جراح القلب الامريكى فرانز واكر ان الذهب المشع بعد حقنه فى دم المريض يذهب الى القلب فى حوالى ١٥ ثانية وهذا الوقت كاف للحصول على عدة صور للقلب تنتج من الاشعاعات المنبعثة من الذهب وكاف للكمبيوتر لتسجيل بيانات كاملة للقلب .

ويتميز الذهب المشع بان معدل تحلله اسرع من معدل تحلل المادة المشعة التى تستخدم فى تشخيص امراض القلب كما ان كمية الذهب المشع المحقونة فى الدم تتحلل الى النصف فى حوالى ٣٠ ثانية اما المادة الاخرى فانها تتحلل الى النصف بعد ست ساعات وهذه السرعة فى تحلل الذهب تساعد على خفض كمية مخلفات الاشعاع التى يمكن ان تفسد النتائج .



د. عبد العزيز خوجه



أ. محمد مشيخ

* لحبه الأول عاد دكتور/ عبد العزيز خوجة لرحاب الجامعة .
* ولوجهه الأولى تقلد دكتور فؤاد عبد السلام الفارسي منصبه الهام فى وزارة الإعلام
* ولعشه الفواح ركن الأستاذ محمد مشيخ الى تغريد الشاشة وهزج القرطاس .

عادوا جميعا والعود أحمد فأهلاً بهم أينما حلوا وحيثما ارتحلوا

وفيات الأعيان

الأستاذ / أمين مدني

الموت نقَّاد . . والموت انتقال من حياة الى حياة . . ولا ريب . . ومن تخيرهم أهل محبتنا ومكان فخرنا، فلهم تضرعنا بالجنات العلا عند كريم مجيب الدعاء . . محقق الرجاء

وبقدر مرارة الأسى والفقد لرواد فقدناهم وعلماء ودعناهم بدموع القلوب

بقدر فرح المؤمِّل لهم فى حياة النعيم المقيم

وهذى ضراعتنا . . وهذا دعاؤنا صباح مساء أحسن الله إليهم . . فقد أحسنوا . . بالأمس ودعناه . . شيخنا أمين مدنى

عند الموت يبدو العمر كأنه سحابة صيف أو ظل ضحى السبعون والنيف انصرمت كأنها سبعة وهكذا يسلخ الموت ليالى الأخيار

أستاذنا أمين المدنى . . عليه من الرحمة ما يخفف فينا مصابه (كـان) العـالم والمؤرخ . . والصحفى والأديب (كـان) المعلم والمربى . . والموجه والمرشد

فهو ملء السمع والبصر . . وملء القلب والفؤاد تعمق فى العقـول علمـه . . وازداد فى القلوب حبه أحبَّ فأحبوه . . وتـواضـع فرفعـوه . . كريم النفس . . سمـح السجايا موطأ الاكناف . . لين العريكه . . رزق تواضع العلماء . . فوهب علم المتواضعين

وهكـذا العلماء . . خلدوا العلم فخلدهم وخـدمـوا المعـرفه فعرفتهم . . رحل بعد ان سجَّل مجده فى سفر الخلود

أسكنـك الله فسيح جناته . . وانزل عليك شآبيب رحمته والهمنا الصبر والسلوان . . فهو نعم المولى ونعم المجيب



◄ أ . أمين مدنى



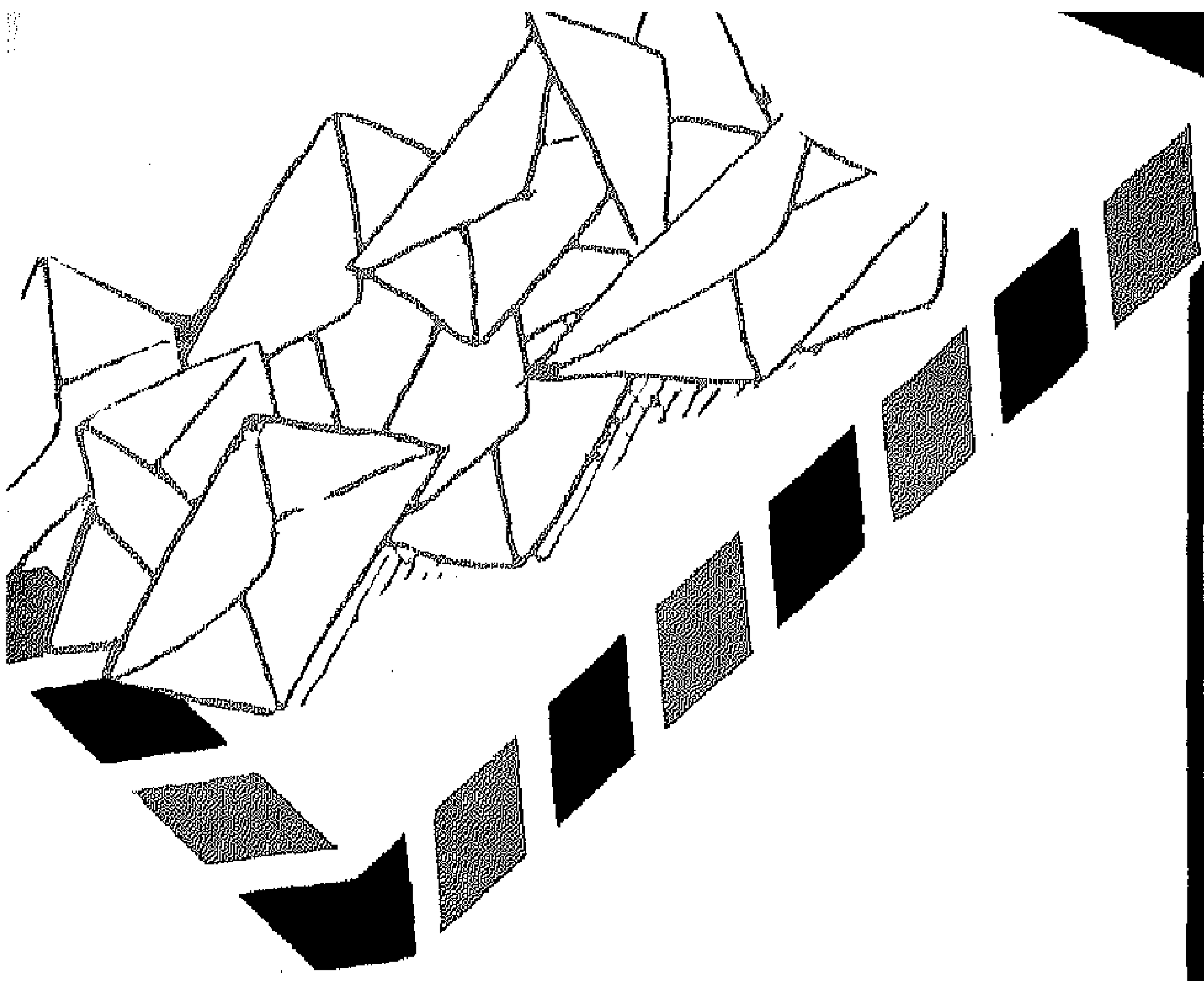
أ . ابراهيم الشورى ◄

الشيخ ابراهيم الشورى

تنعى مجلة المنهل بمزيد الحزن وبالغ الأسى .

فضيلة الشيخ ابراهيم الشورى الذى انتقل الى جوار ربه ، بعـد عمـر جاوز الثمانين عاماً ، قضاه مشاركاً فى كل ميادين المعـرفة وخدمة الاسلام ، ومتدرجاً فى وظائف العلم والتعليم والاذاعة والثقافة .

والله نسأل أن يتغمده بواسع رحمته ويكرم مثواه .



الأخ الكريم الأديب الاستاذ/

نبيه عبد القدوس الانصارى

تحيـة وسـلامـاً . . راجيا لك الخير والصحة وللمنهل الدوام والتقدم .

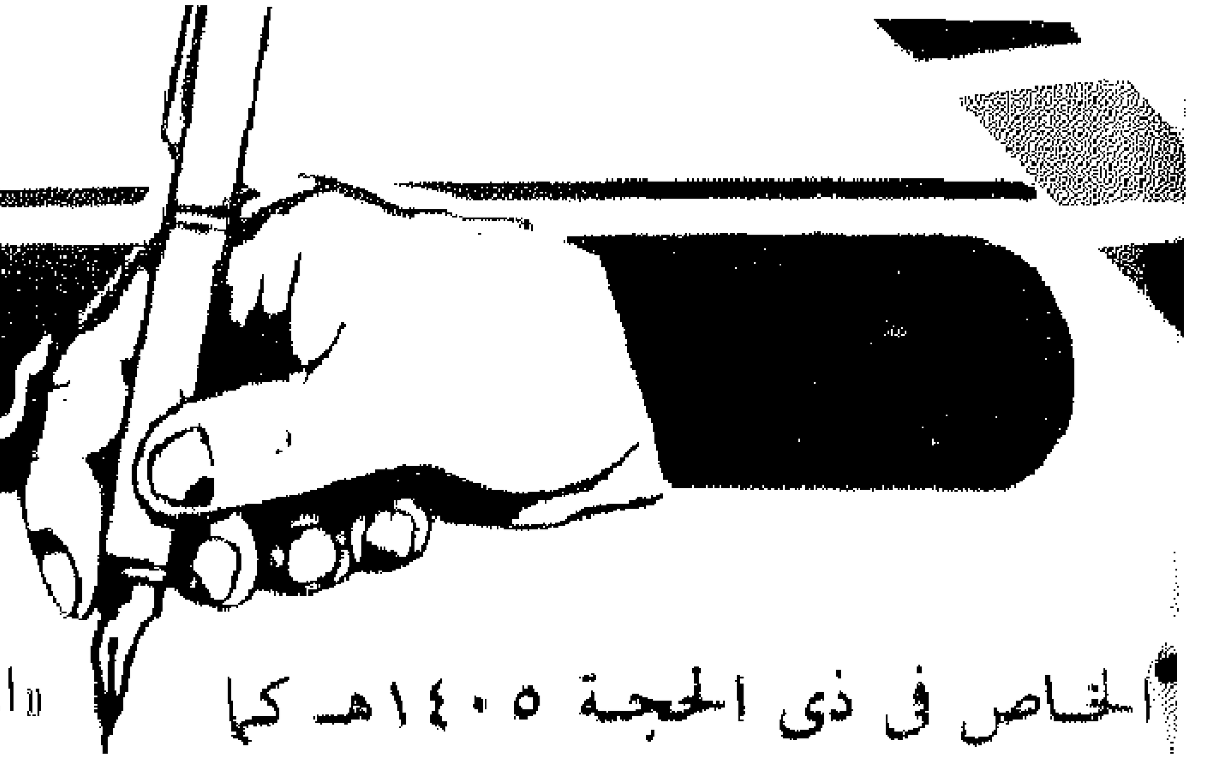
وبعد . . فلقد كان رحيل الاسـتـاذ الشيـخ عبـد القـدوس الانصـارى خسـارة كبـيرة للأدب والبحث والصحـافـة والحـرص على خدمة واسعة الافق فى البناء واقتناص الجديد .

ولا يعزى عن تلك الخسارة إلا ما قدم الـفـقـيـد من مؤلـفـات وآراء وأعمال . . وما كان خصوصاً فى المنهل وللمنهل .

ثم العـزاء بولـده الذى أخذ عنه وتأثـر به وخبـر من شؤون المنهل مالم يطلع عليه أحد .

أملنـا قائم مشـروع بدوام المنهل وتجـديـد شبـابـه . . واقتراح صغير ـ ونحن على ابـواب ١٤٠٥هـ بعـدد خاص كذلـك الـذى اصدره الشيخ الانصـارى بمناسبـة العيـد الفضى لمرور (٢٥) سنة .

ان مجلة عربيـة تقوم على الجهد الـفـردى وتـعيش نصف قرن ليس بالحـدث العـابـر ، وستعيش اكثـر ، وليس مستنكراً عليها أن تصدر عددها



برقيات ورسائل للمحرر

الخاص فى ذى الحجة ١٤٠٥هـ كما يحتفل انسان بعيده او تحتفل حضارة.

لقد كان المنهج الذى تجلى فى الكتاب الفضى راقياً، ومازال يحتفظ بالقيمة وان يكون دليلاً لكتاب جديد مع مراعاة تطورات ربع قرن آخر ووعد بانطلاقة أخرى..

وبالانتظار.

على جواد الطاهر

«بغداد»

استاذنا الكريم:

تهيأ لى أن أطلع على قدر لا بأس به من اعداد المنهل، والافادة منها فى صنع كتابى «معجم المطبوعات العربية - السعودية» أى فى اعداد حلقاته ومن ثم اعداده للطبع. وافدت على وجه الخصوص من الكتاب الفضى.. ثم من العدد الخاص عن «ادباء المملكة» الصادر فى رجب ١٣٨٦هـ/ تشرين الاول ١٩٦٦م وسهل افادتى واطلاعى كنت آنذاك أعمل فى جامعة الرياض.

ورأيت العدد الخاص عن «ادباء المملكة» يعد بعدد آخر مثله، ويستدرك ما فاته ويزيد جديداً، فاذا كان هذا العدد قد صدر ويبدو أنه صدر - فهل استطيع الحصول على نسخة منه لافيد منها فى عملى عن المطبوعات العربية السعودية والمؤلفين والناشرين.

وسؤال أثاره الكتاب الفضى ص ١٧٢ حيث جاء:

فى عدد جماد الأول ١٣٧٦هـ).. كلمة عن ديوان «المجهولة» للشاعر على دمر.

وأعرف ان على دمر شاعر سورى، ولكن الكتاب الفضى لم يشرح الحال فيعرف ولو مختصراً بهوية الشاعر، وزاد أن أثبت صورة له باللباس السعودى فهل على دمر المقصود هو السورى؟ أيوجد غيره؟ أكان الشاعر السورى يعمل فى السعودية آنذاك؟ أين صدر ديوانه؟

قد تجدون الوقت للرجوع الى عدد جمادى الأولى ١٣٧٦هـ لتتفضلوا بجواب موجز يحل الاشكال.

واقتراح آخر، لعله كان الاساس فى الكتابة اليكم هو آثار الشيخ الانصارى، وما بكم حاجة الى وصية بالعناية بها، وما هى بالآثار القليلة الأهمية فى بابها، ولكن الاقتراح العاجل بجمع ما ورد له فى المنهل من تراجم للعلماء والأدباء فى كتاب أو كتابين أحدهما للقدماء والآخر للمعاصرين ويجمع ما ورد له فى المنهل فى موضوع «النقد» ولاسيما نقد الكتب فى كتاب خاص - ولا أحسب الطلب صعب التحقيق، وقد تجدون فى النوادى الأدبية ما يسهل عملية الصرف والتصريف.

على جواد الطاهر

تعليق على رسالة الأستاذ على جواد الطاهر

هذه رسالة بلد الرافدين وهذا احد أعلامها وأعلام العروبة يتطلع بجديد المنهل كما كان ومازال عليه منذ أن رفع رايته مؤسسه.. والمنهل دائماً إن شاء الله يتجدد شبابه بين عدد وعدد.

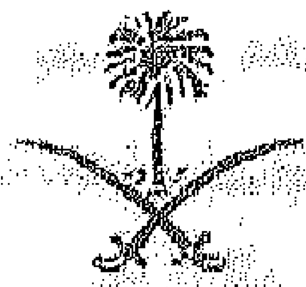
والليالى من الزمان حبالى
مثقلات يلدن كل جديد

ونعتقد مع باحثنا هذا ان المناسبة الخمسينية للمنهل وما تحفل به جديرة بالقيمة الادبية والفكرية التى يتطلع إليها عزيزنا.. اما عن الشاعر الاستاذ على دمر فهو شاعر سورى من مدينة دمر بسوريا الشهباء وهو شاعر قوى الديباجه سلس المعنى يستهدف فيما ينظم ولعلكم لاحظتم ذلك وفحصتموه.. ويمكنكم أن تراسلوه لتحصلوا على دواوينه ان اردتم.. ولم يصدر عدد جديد عن ادباء المملكة مثيل لسابقه ذلك لان المكتبة السعودية قد اغنت ذلك الموضوع بحثا ودرسا واستقطاباً ولعل اصداراتها فى هذا الشأن قد غطت جميع أدباء هذا البلد الطيب قديمهم وحديثهم وحاضرهم وغائبهم ويمكن ان تتبادلوا الكتابه مع دار تهامة للنشر والتوزيع لكى تحقق لكم هذه الرغبة وهى فاعلة إن شاء الله.

وختاما نقدر عواطفكم واشادتكم ووفاءكم ونتطلع ان يتطور هذا بالكتابة الدائمة للمنهل الذى يعتز بها ولكى تتمازج ثقافة الاشقاء بعضها البعض وهذا جزء من رسالة امثالكم الاثبات.. اما عن الآثار الأدبية المخطوطة لصديقكم المرحوم فقد اخذنا فى اظهارها للناس ويسعدنا ان نهدى لكم بالبريد اول اصداراتها بعنوان (الصيام.. وتفاسير الاحكام) والبقية تتبع من هنا وهناك.. وشكرا.

«المحرر»

أصداء عدد الفن



حضرة المكرم الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :-

فاشارة الى كتابكم رقم ١٣٧٣ في ١٤٠٤/٨/١٢هـ الذى رفعتموه الى جلالة الملك المعظم مع نسخ من مجلة المنهل .

ويطيب لي أن انقل اليكم شكر وتقدير جلالته - حفظه الله - لجهودكم الطيبه وتمنياته لكم بالتوفيق . والله يحفظكم ،،،

رئيس المكتب الخاص لجلالة الملك

محمد النويصر

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
مكتب الرئيس

المكرم الاستاذ / نبيه عبد القدوس الانصاري المحترم

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها

جده (ص . ب ٢٩٢٥)

تحية طيبة مباركة وبعد :

تلقيت بامتنان خطابكم رقم ٢١٢ وتاريخ ١٤٠٤/٨/١٢هـ و مشفوعه نسخة من العدد الخاص من مجلة المنهل والمتخصص بعالمية ((الفن)) ولقد سرني ماحواه هذا العدد من بحوث قيمة ومقالات جيدة عن الفن ، وان اهتمامكم ومبادرتكم باصدار هذا العدد النفيس عن الفن والجهود التي بذلت في اعداده والمستوى الرفيع الذى ظهر عليه هذا العدد مادة واخراجا تستحق الشكر والثناء والتقدير .

متمنيا لكم دوام السعادة والتوفيق ولمجلتكم الغراء اضطراد التقدم والازدهار .

ولكم خالص تحياتي ،،،

الرئيس العام لرعاية الشباب

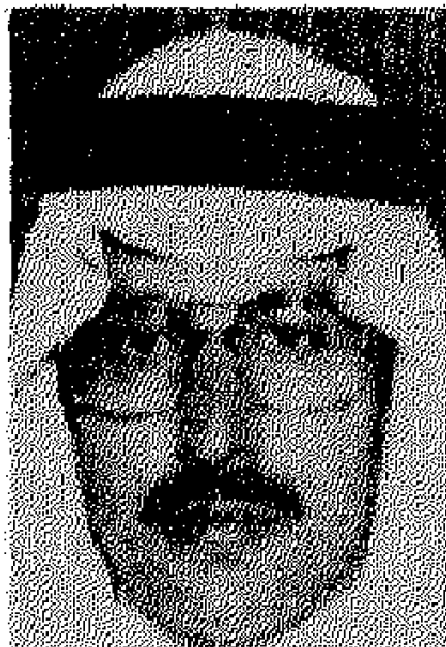
فيصل بن فهد بن عبد العزيز



الأمير فيصل بن فهد

❖ عدد الفن ما هو إلا خطوة على الطريق الذي اختطه المنهل لمسيرته نبراساً وضاءً ينير مسالك الفكر والمعرفة وهذه الرسائل الكريمة التي تشرفنا بها موضع إعزازنا وتقديرنا جميعاً وحسبنا إبلاغ رسالة الفكر مجلوة بيراع العلماء وعصارة فكر المفكرين. «المنهل»

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة تبوك
المكتب الخاص



الأمير
عبد المجيد بن عبد العزيز

سعادة الاستاذ / نبيه عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة المنهل جـده

ص.ب / ٢٩٢٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

تلقينا خطابكم المؤرخ في ١٢/٨/١٤٠٢هـ ومرفقاته نسخة من اصدارات مجلة المنهل الشهرية والمتخصص بعالمية الفن ، نشكر لكم هذا الاهداء القيم ونرجو الله ان يوفقكم والعاملين فيها لاداء رسالتها الخيرة ولكم تحياتنا .

(م/ المالكي)

امير منطقة تبوك

عبد المجيد بن عبد العزيز

المكرم الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

تلقيت ببالغ السرور المجلد (٤٦) من مجلة المنهل و المتخصص بعالمية الفن . وقد حوى هذا المجلد النفيس العديد من الفنون و التعريف بها وهذا ليس بغريب على مجلة المنهل التي عودت قرائها منذ خمسين عاما على نوع مميز من المعرفة والثقافة .

ارجو لكم ولمجلة المنهل دوام التوفيق والنجاح والسلام .

ع ع/ د

امير منطقة القصيم

عبد الاله بن عبد العزيز

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
إمارة منطقة القصيم
المكتب الخاص



الأمير
عبد الاله بن عبد العزيز

أصداء عدد الفن

المملكة العربية السعودية
وزارة المعارف
مكتب الوزير

المكرم الاستاذ / نبيه عبدالقدوس الانصاري

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها المحترم

[illegible] ٢٠٢٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :-

يسرني وقد تسلمت خطابكم رقم ١٢٥٣ في ١٤٠٤/٨/١٢هـ ومعه اصدار الدار عن (الفن - ادواره ومناهجه) ان اهنئكم على ماتحقق للدار بجهودكم مع شكري وتقديري .

تحياتي ،،،

وزير المعارف
عبدالعزيز الخويطر



سعادة الاخ الكريم الاستاذ / نبيه بن عبد القدوس الانصارى

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها الموقرحفظه الله

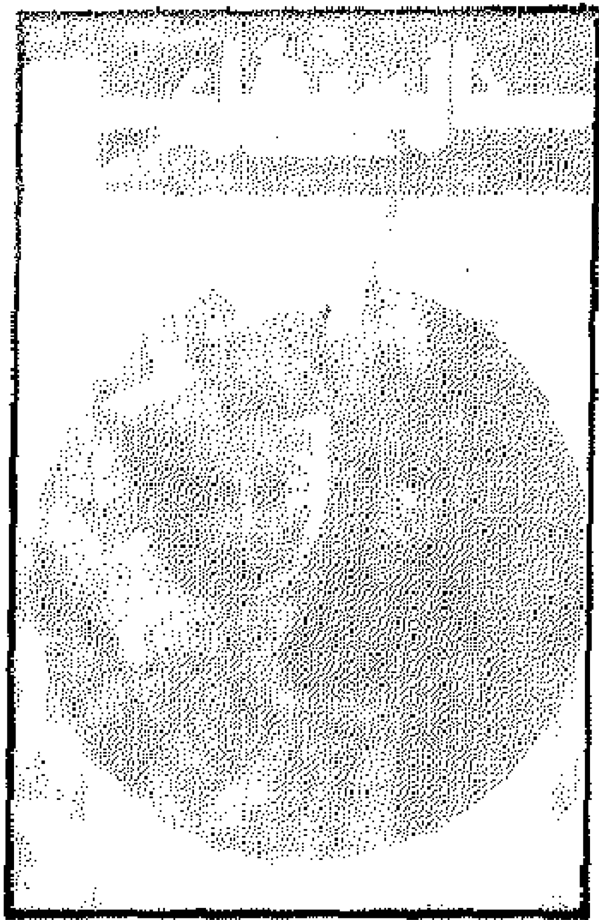
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

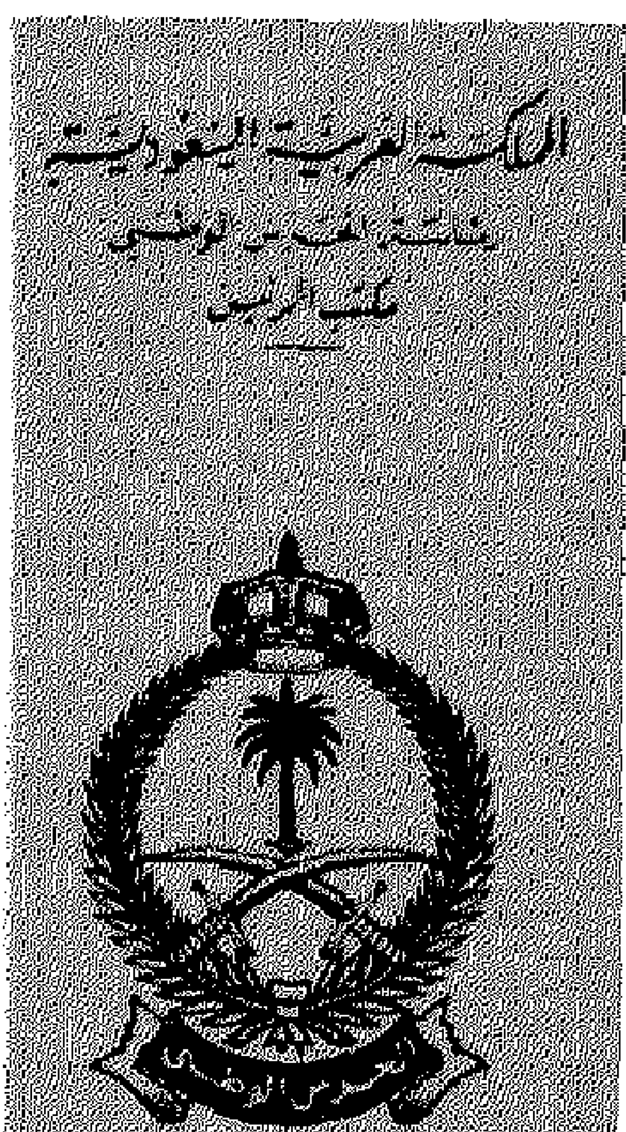
تلقيت بالتقدير خطابكم رقم ٢٥٢ وتاريخ ١٤٠٤/٨/١٢هـ وبمعيته هديتكم القيمه وهى نسخة من مجلة المنهل السنه ٥٠ - المجلد ٤٦ عدد ممتاز - شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ وهو مختص بعالمية (الفن) مع ادواره ومناهجه .. استنباطاته واستقطاباته بعده وآثره . وانني اشكركم على اهتمامكم وجهودكم التى بذلتموها ،كما اجدها فرصة للاشاره الى الجهود الخيره البناءة والتضحيات الفذه التي قدمها والدكم الشيخ عبد القدوس الانصارى - رحمه الله - في مجال العلم والفكر والثقافه وانى لعلى ثقه بان سعادتكم ستستمرون فى هذا الطريق الذى اختاره - رحمه الله - وستساهمون بايجابيه فى هذا المجال الحيوى خدمة لدينكم ووطنكم واتمنى لكم اعانكم الله مع خالص تحياتي وتقديري .،،،

اخوكم

حسن بن عبد الله آل الشيخ
وزير التعليم العالـــي

حسن آل الشيخ





المكرم نبيه بن عبد القدوس الانصارى المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :-

تلقيت خطابكم المؤرخ في ٢٢/٨/١٤٠٤هـ ومرفقه اصدارا نموذجيا من مجلة المنهل ، واشكر الله الكريم على ذلك لا أرجو لكم المزيد من التوفيق والنجاح .

ولكم تحياتـــــــــــنا .....

نائب رئيس الحرس الوطني

بدر بن عبد العزيز

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة المنطقة الشرقية
المكتب الخاص

سعادة الأستاذ / نبيه بن عبد القدوس الانصاري
صاحب [illegible] رئيس تحرير مجلة المنهل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد
تسلمنا خطابكم المؤرخ في ١٢/٨/١٤٠٤ المرفق به [illegible] اصداراتكم المشهورة والمتخصصة [illegible] العيش .
نشكر لكم هذا الاهداء [illegible] ونسأل الله للجميع التوفيق والسداد .
ولكم تحياتنا ...

أمير المنطقة الشرقية
[illegible]
عبد المحسن بن جلوي


الأمير عبد المحسن بن جلوى

أصداء عدد الفن

المملكة العربية السعودية
وزارة الحج والأوقاف
الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم


معالي الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع

سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..وبعد:

تلقينا بمزيد من الامتنان خطابكم المؤرخ ١٤/٨/١٤٠٤ مرفقا به نسخة من مجلة المنهل عدد شهري شعبان ورمضان ١٤٠٤.

واننا اذ نشكركم على تزويدنا بهذا العدد الممتاز من المجلة الذي يحوي باقة من الموضوعات الثقافية والفنية التي تتصل بعقيدتنا الاسلامية الخالدة .

يطيب لنا أن نعرب عن تقديرنا لجهودكم الطيبة في اثراء مكتبتنا الاسلامية بهذا النوع من الثقافة الاسلامية .

متمنين لكم اضطراد التوفيق والسداد .

وتقبلوا تحياتنا،،

وزير الحج والأوقاف

عبد الوهاب احمد عبد الواسع

٢٦/٨/١٤٠٤



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الملك فيصل
المنطقة الشرقية



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Higher Education
KING FAISAL UNIVERSITY
EASTERN PROVINCE

سعادة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

اشارة الى خطابكم رقم ٤١٢٤٢ وتاريخ ١٤٠٤/٨/١٢ هـ بخصوص الاصدار المتميز من مجلة المنهل والمتخصص بعالمية (الفن) مع ادواره ومناهجه ، استبطاناته واستنطاقاته ، بعده واثره ، والذى وضح فيه الجهد المبذول من قبلكم والعاملين معكم في المجلة .

واذ اشكركم على هذا الاهداء الطيب لارجو من الله ان تستمر هذه المجلة في الطريق المرسوم لها والذى رسمه والدكم رحمه الله ، وذلك لخدمة الثقافة والمعرفة ، ولتكن لبنة من لبنات الأدب والثقافة والعلم في هذا البلد الكريم .

هذا وتقبلوا تحياتي ،

مدير جامعة الملك فيصل

د. محمد سعيد القحطاني



محمد سعيد القحطاني ■

المملكة العربية السعودية
وزارة الاعلام
المديرية العامة للمطبوعات
الصحافة المحلية

سعادة الاخ نبيه بن عبد القدوس الانصاري المحترم
صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها
جدة ـ ص.ب : ٢٩٢٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

اشير الى العدد الممتاز المجلد ٤٦ شعبان / رمضان ١٤٠٤هـ الذى وردني رفق خطابكم المؤرخ ١٢/ ٨/ ١٤٠٤هـ الذى تناول موضوع الفن مع ادواره ومناهجه واستبطاناته واستنطاقاته .. بعده واثره .

ويسعدني ان ابعث اليكم بوافر الشكر وعظيم التقدير على ذلك الجهد الكبير متمنيا لكم اطراد التقدم والنجاح .. ولكم تحياتي ...

وكيل الوزارة المساعد للإعلام الداخلي

عبد الرحمن فهد الراشد

ع ح

أصداء عدد الفن

صالح محمد جمال

Saleh M. Jamal

سعادة الأخ الكريم الأستاذ نبيه الأنصاري سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأشكركم شكراً جزيلاً على هديتكم مجلة المنهل (المنار) التي استمتعت بقراءته وأهنئكم المزيد من التوفيق في السير على خطى الوالد الكريم أمطره الله بوابل من رحماته

أطيب أمنياتي لكم بموفور الصحة

أخوكم صالح [signature]

١٤٠٤/٨/٢٩



صالح محمد جمال

علي حافظ
مؤسس جريدة المدينة المنورة
جدة ـ المملكة العربية السعودية
ص. ب ١٦٢٤
ت | المنزل ٦٦٠٠٠٢٢
| المكتب ٦٨٣١٨٨٨

ALI HAFIZ
FOUNDER OF
AL-MEDINA NEWSPAPER
JEDDAH : SAUDI ARABIA
P.O. Box: 1624
Tel: Res: 6600022
Off: 6831888

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الصديق الأستاذ الكبير نبيه عبد القدوس الأنصاري

رئيس تحرير وصاحب مجلة المنهل الغراء وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: شكراً لكم لقد وصلني العدد الخاص من مجلة المنهل (عن الفن) جديد وحديث ولقد كان عدداً ممتازاً فعلاً وأعتبره ممتازاً جداً رغم ... المواد والمواضيع وأبوابها ... والله يحفظكم

وبمناسبة شهر الصوم كل عام وأنتم بخير

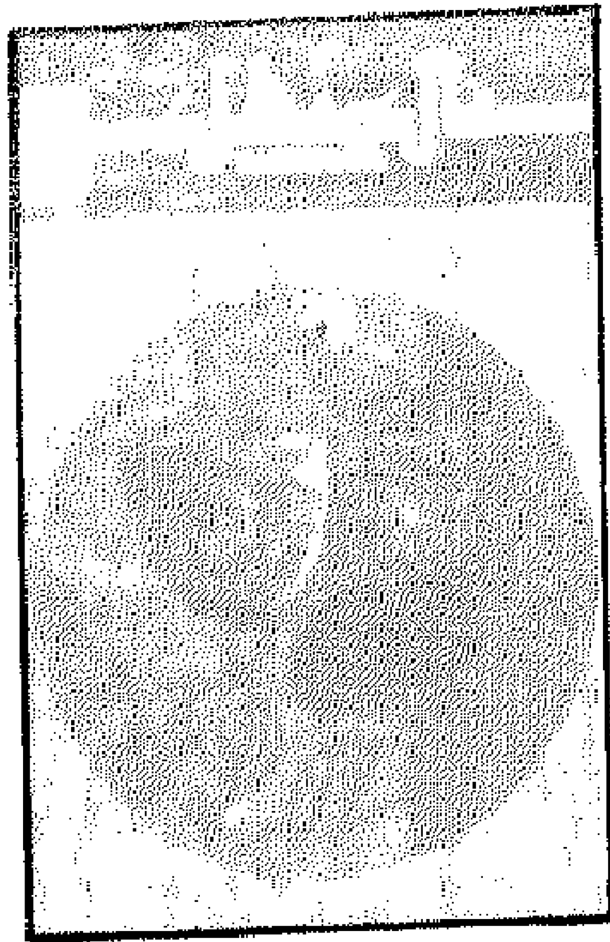
أخوكم المخلص المحب

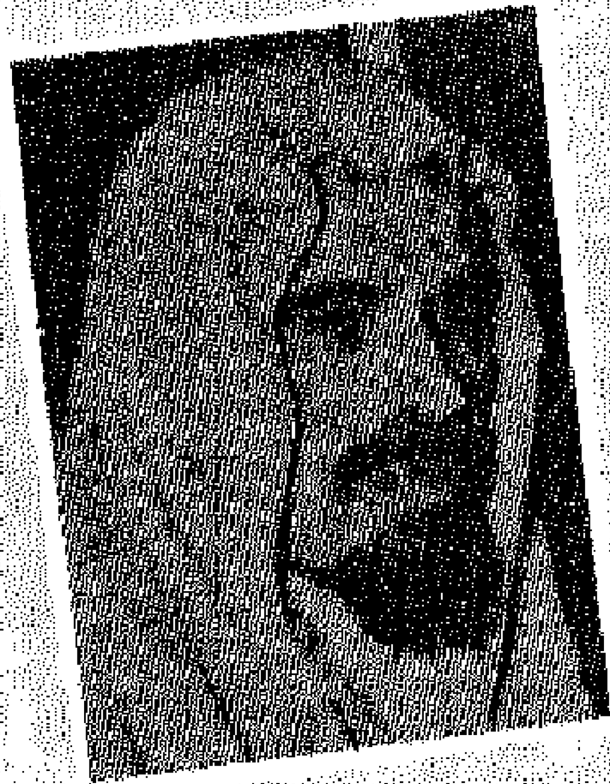
علي حافظ [signature]

٢٠ شعبان سنة ...



علي حافظ





محمد بن عودة
رئيس عام تعليم البنات

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لتعليم البنات
مكتب الرئيس العام
العلاقات العامة

حضرة الأخ الأستاذ / نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد :-

تناولت ببالغ الشكر خطابكم المؤرخ في ٢٨/٧/١٤٠٤هـ ويرفقه نسخة من العدد الممتاز من مجلة "المنهل" مجلد (٤٦) لشهور شعبان ورمضان ١٤٠٤هـ.

وقد سرني جدا ما شهر به هذا العدد من جودة الاخراج وجزالة المحتوى مما يبعث على الأمل بمستقبل زاهر لهذه المجلة التي اثبتت اثناء سيرها المتزن خلال الخمسين عاما الماضية من الأصالة ورسوخ القدم وسمو الغاية ما شد اليها الانتباه وجعلها جديرة بمتابعة وعناية ذوي الاختصاص من رجال الفكر والأدب حيث كانت اعدادها تحفل بالكثير من المباحث القيمة والمفيدة .. وانني اذ اكرر شكري وتقديري للأخ الكريم آمل ان تجد مجلة "المنهل" على يديكم سعة في الانتشار واستمرارا في خدمة الأهداف والمثل الاسلامية والوطنية السامية . وتقبلوا تحياتي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

الرئيس العام لتعليم البنات
أخوكم /
محمد بن عبد الله بن عوده

رقيات ورسائل للمحرر

المنهل يسره أن يكون رسول خير بين الثقافات يقتربها ويعمقها ويطيرها بعدها وإنا لنعمل على تحقيق تلك الرغبة الكريمة انطلاقا من دوافع الروابط العلمية

رسالة من الجزائر

جامعة قسنطينة
معهد الآداب والثقافة العربية
الهاتف 42 – 68 – 93
مكتب مدير المعهد

الاخ / رئيس تحرير مجلة (المنهل)

تحية اسلامية

و بعد ..

فإنه سرنا المستوى الجيد لمجلتكم الرائعة، بعد اطلاعنا على بعض اعداد منها، قديمة نسبيا. و [illegible] موضوعات المجلة جيدة، ومعالجتها هادفة، بما يمكن أن يشكل مرجعا جيدا في مجال (الدوريات) لطلبة و أساتذة و باحثي معهد الآداب و اللغة العربية بجامعة قسنطينة.

فإننا نرجو أن تحققوا لنا رغبة توفير اعداد من مطبوعاتكم الجيدة بارسال ما تستطيعون من أعداد مجلتكم، اعتمادنا مشتركين بصفة منتظمة. و لسنا نشك في أنكم سترعون هذه الرغبة، بما عرف عنكم من توثيق روابط الاخوة و رعاية وشائج القربى.

و تقبلوا فائق التقدير.

و السلام عليكم

رئيس دائرة النشاط الثقافي

حسن خليفة

العنوان / حسن خليفة
معهد الاداب واللغة العربية
جامعة قسنطينة
قسنطينة – الجزائر

رسالة من المغرب

المملكة المغربية

وزارة العدل

اسراج الحسن

[illegible]

في ٢٢/٣/١٩٨٤م، ٢٠/٦/١٤٠٤هـ

إلى السيد الأديب: نبيه الانصاري - صاحب مجلة المنهل - جدة المملكة العربية السعودية

السلام عليكم ورحمة الله [illegible] وبركاته

وبعد

[illegible]

[illegible] شخصية [illegible] من مختلف الحقب الإسلامية

[illegible] دوام التقدم والازدهار [illegible] لشخصكم الكريم ولجميع العاملين [illegible] والسلام

الحسن اسراج

نائب وكيل الملك

شكراً لكم على رسالتكم ونقدر وفاءكم وحرصكم على تقديم ما ترونه جديراً مفيداً من مقترحات تدل على سعة علم وتفاعل ودراية شاملة بتوثيق روابط الفكر والمعرفة بين أمتنا.. ولعل ما تفضلتم به تجدونه في منهلكم بمبادرتكم المشهودة وموضوع السجل العقاري لبس مطبعي غير مقصود

المنهل

- «السائح»، المجلة الأولى تتناول فصولها الشيقة المتلاحقة الرحلة الكبرى إلى بلاد الإسكيمو وأفريقيا وشرق أوربا..
بقلم وتصوير رحالتنا العالمي الكبير الأستاذ/
محمد عبد الحميد مرداد

- «فلسطيننا»، المجلة الرابعة والأخيرة، تنتظم في عقد شقيقاتها ضمن كل عدد مجلوة بالفكر ممزوجة بالمعرفة
وسيشرف عليها الأستاذ الأديب
شكيب الأموي

- عدد [illegible] هـ [illegible] يلتقي خصص لذكرى مرور خمسين عامًا على مجلة المنهل

- أعلام المسلمين وعلماؤهم.. عدد خاص بمناسبة الهجرة.

- الأمن والأمان.. والحدود والثرائي عدد متخصص

- محدث العراق ومفسر الأحلام..
«محمد بن سيرين»
موضوع دسم متكامل يرد في حلقات متتابعة.
بقلم كاتبنا الكبير
الأستاذ
عبد العزيز الرفاعي
وقد خصصنا به هدية أدبية نفيسة من
«المكتبة الصغيرة»

- أحوال شخصية
باب جديد
لـ«هنّ» في التشريع يتناوله الأستاذ الجهبذ «المأذون»
محمد سعيد المعبي
هذا إلى جانب ما يجد في ساحة دنيا الفكر والعلم والمعرفة..

الجديد
في عام ١٤٠٥هـ
الجديد

السنة ٥٠ ـ المجلد ٤٦

ذو الحجة ١٤٠٤هـ/ سبتمبر ١٩٨٤م

المنهل

ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة



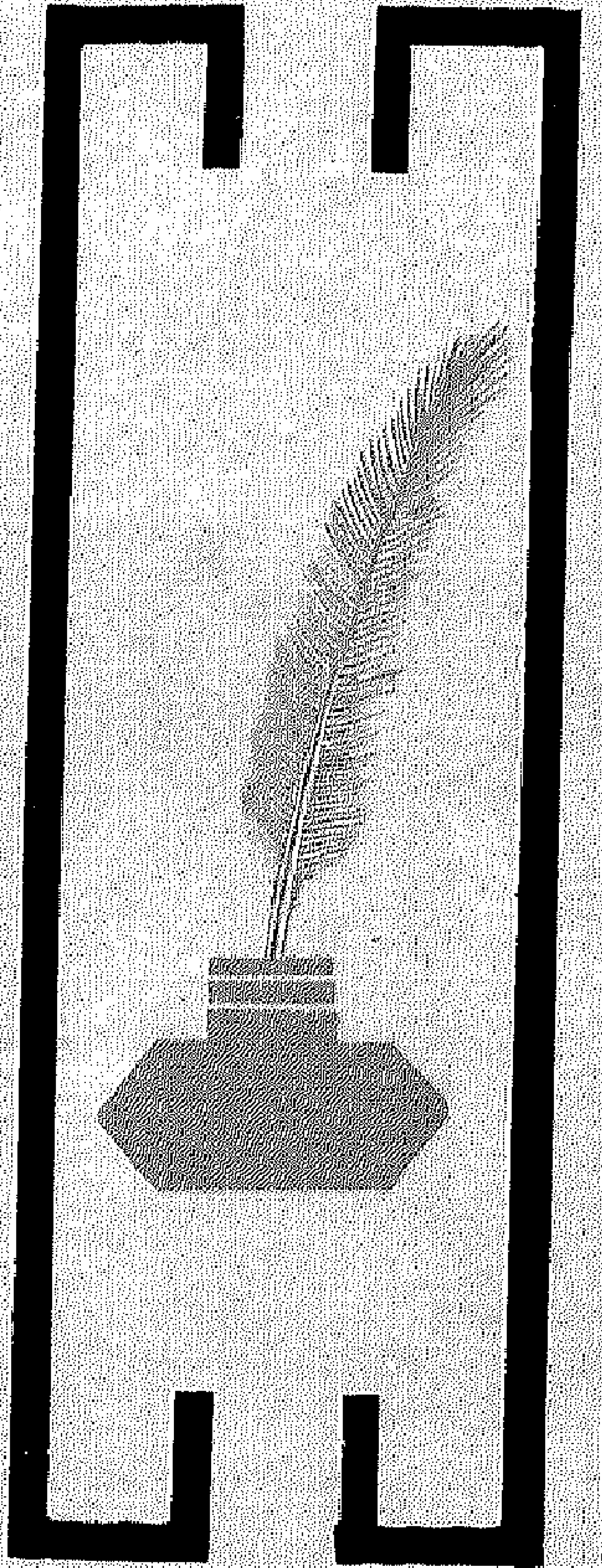


■■ ان الحج رياضة سامية للروح، فذلك جلي في تلبية الحاج التى يجأر بها ليل نهار طلبا لرضا مولاه وعفوه وكرمه.

والحاج فى رحلة حجه الممتعة متبتل دائما، ومبتهل دائما، فهو يلبى نداء الله من أعماق جنانه ومن أغوار لسانه.. والله وحده لا شريك له، له الملك جميعا، وله الحمد والنعمة جميعا. وهو مصدر الخير والنجاح: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، ان الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك).

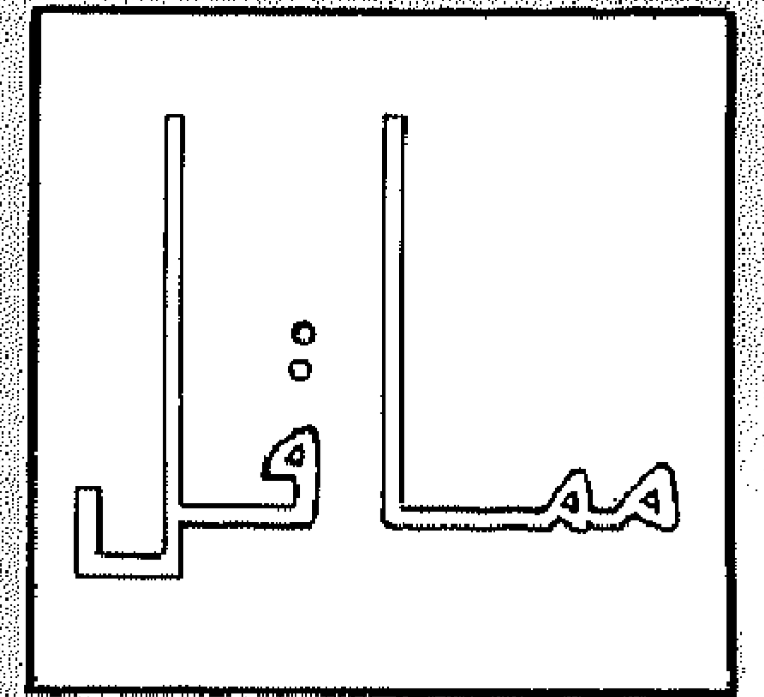
■■ والحاج (فى حجه) من واجبه أن يصمم على نبذ الفسوق، وكل الاعمال والأقوال التى تنافى تعاليم الاسلام، وكل المبادىء الهدامة التى تخالف مبادىء الاسلام.

■■ و«الحاج» فى حجه عليه أن يشعر بأنه «فرد» مهم الشخصية والكيان، من «مجتمع» راق، متضامن، متآزر على الخير والاصلاح، متحد فى الشعور والأهداف، واحد فى المبادىء والعقيدة والغايات.. يطفح قلبه بشرا وتفاؤلا، ومحبة عميقة مخلصة لأخوته المسلمين جميعا، وتطفح نفسه الأبية، لهم بالتضحية فى دفع غوائل الشرور والاخطار عن بلادهم مهما تكن تلك الشرور والاخطار نائية أو دانية، وأيا كان مصدرها، ولا فرق عنده بين أسود المؤمنين وأبيضهم، ولا بين أحمرهم وأصفرهم، كلهم فى نظره أخوة أشقاء، يسره ما يسرهم، ويؤلمه ما يؤلمهم، وهو يمتثل ويتمثل فى قرارة نفسه حيالهم بحرارة وعمق وأخلاص قوله تعالى فى المسلمين: ﴿رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾..



■■ والحاج - انطلاقا من هذه العقيدة السامية - يروض نفسه وعقله ولسانه دائما على مزاولة جلب أسباب الخير والتقدم لأخوته المؤمنين وازالة أسباب الخطر المحدق بهم وبأوطانهم خاصة اذا كانت مقدسة: - بيت المقدس وفلسطين العربية المسلمة - فهو يتحاور ويتذاكر ويتباحث بجدية واهتمام، وفى سرية وانتظام مع اخوته الحجاج كلما تسنى له ولهم الاجتماع - يتحاورون فى اتخاذ الاسباب التى توصلهم لدفع الخطر عنهم وازالة أسبابه، وهو وهم يعملون بجدية على تنفيذ ما توصل اليه هو واخوانه فى مؤتمرهم الاسلامى الكبير من كلا المحو والاثبات. ويقوم بذلك مخلصا لأنه يشعر فى قرارة نفسه بأن ما يصيب أخوته من شر أو خير يصيبه أيضا.. وهذا هو معنى «التضامن الاسلامى» المنشود فى أوج سماته وفى معارج قسماته.

ذو الحجة ١٣٩٠هـ



عبد القدوس الانصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

A. Monthly Magazine For Literature, Science and Culture.

المجلة السعودية الأم

أسسها: عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

السنة ٥٠ ـ المجلد ٤٦ - ذو الحجة ١٤٠٤هـ/ سبتمبر ١٩٨٤م

صاحب المنهل / رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

ت: ٦٤٢٧٨٣١

مدير الإدارة والتحرير

زهير نبيه الأنصاري

ت: ٦٤٤٧٧٩٤

مراسلونا في الخارج

- القاهرة: د. أحمد الحفناوي أديب وباحث
- عمان: روكس بن زائد العزيزي محقق وباحث موسوعي
- الرباط: عبد الرحيم بن عبد السلام أديب وباحث
- تونس: عز الدين المدني ناقد وموجه

مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري

المخرج الفني

فريد أبو سعدة

القسم الفني

ت: ٦٤٣٩٧٦٥

معلومات ادارية

المجلة: ٢ شارع رأس تنورة عرفات سابقاً الشرفية

برقيا: المنهل ـ ص ب ٢٩٢٥ جدة ٢١٤٦١

- الإعلانات. تخاطب بشأنها الإدارة

تليفون ٦٤٣٢١٢٤/٦٤٤٧٧٩٤

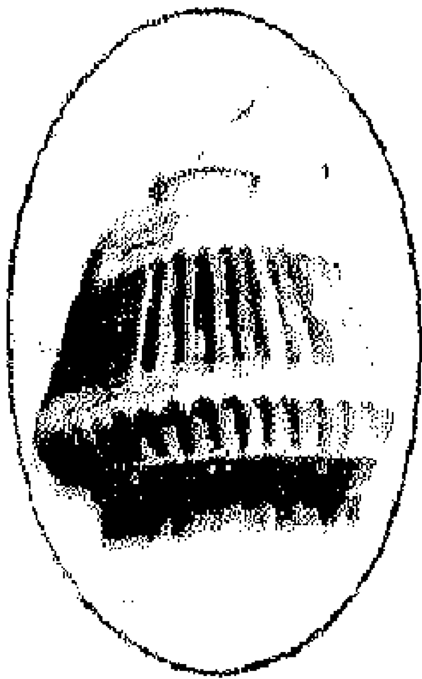
- قيمة الاشتراك السنوي الرسمي

★ في المملكة العربية السعودية ١٥٠ ريالا

وللأفراد ١٢٠ ريالا سعوديا

أو ما يعادلها.. ومرجعها الإدارة





سعر النسخة

السعودية ٨ ريالات	مصر ٥٠ قرشا
البحرين ٧٠٠ فلس	السودان ٨٠ قرشا
قطر ٧ ريالات	المغرب ٥ دراهم
الأردن ٤٠٠ فلس	تونس ٣٠٠ مليم

المنهل يباع في جميع المكتبات

مكتبة مجلة المنهل	الرياض	السليمانية ـ ص.ب ٢٩٠
مكتبة الثقافة	مكة المكرمة	سوق الليل
مكتبة ضياء	المدينة المنورة	باب المجيد ـ الدرويشية
مكتبة القلم	جدة	باب مكة ـ عمارة باخشب
المكتبة العقيلية	جازان	وسط المدينة
المكتبة السعودية	الطائف	
مكتبة الطلبة الحديثة	بريدة	وسط المدينة

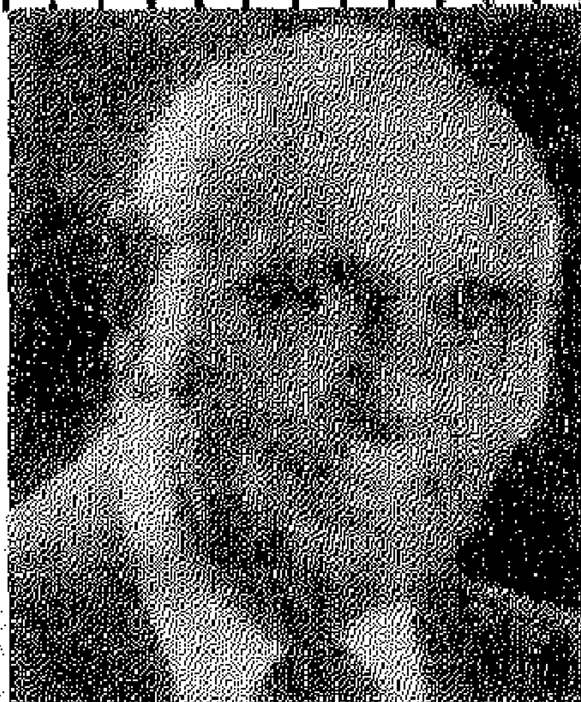
تهامة للتوزيع
TIHAMA DISTRIBUTION
ص.ب ٩٤٠٩

مطابع السحر

عكاظ

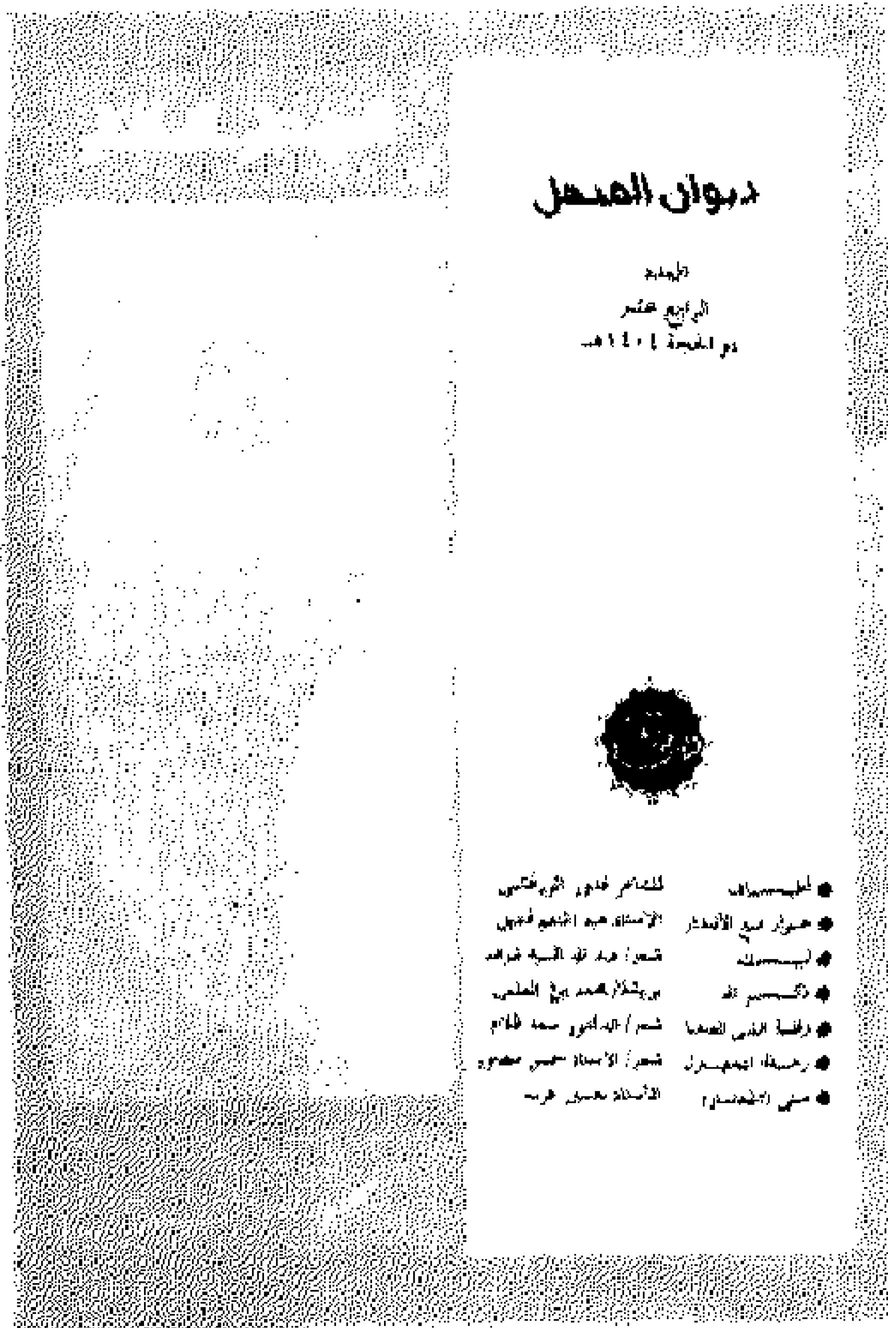
خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة

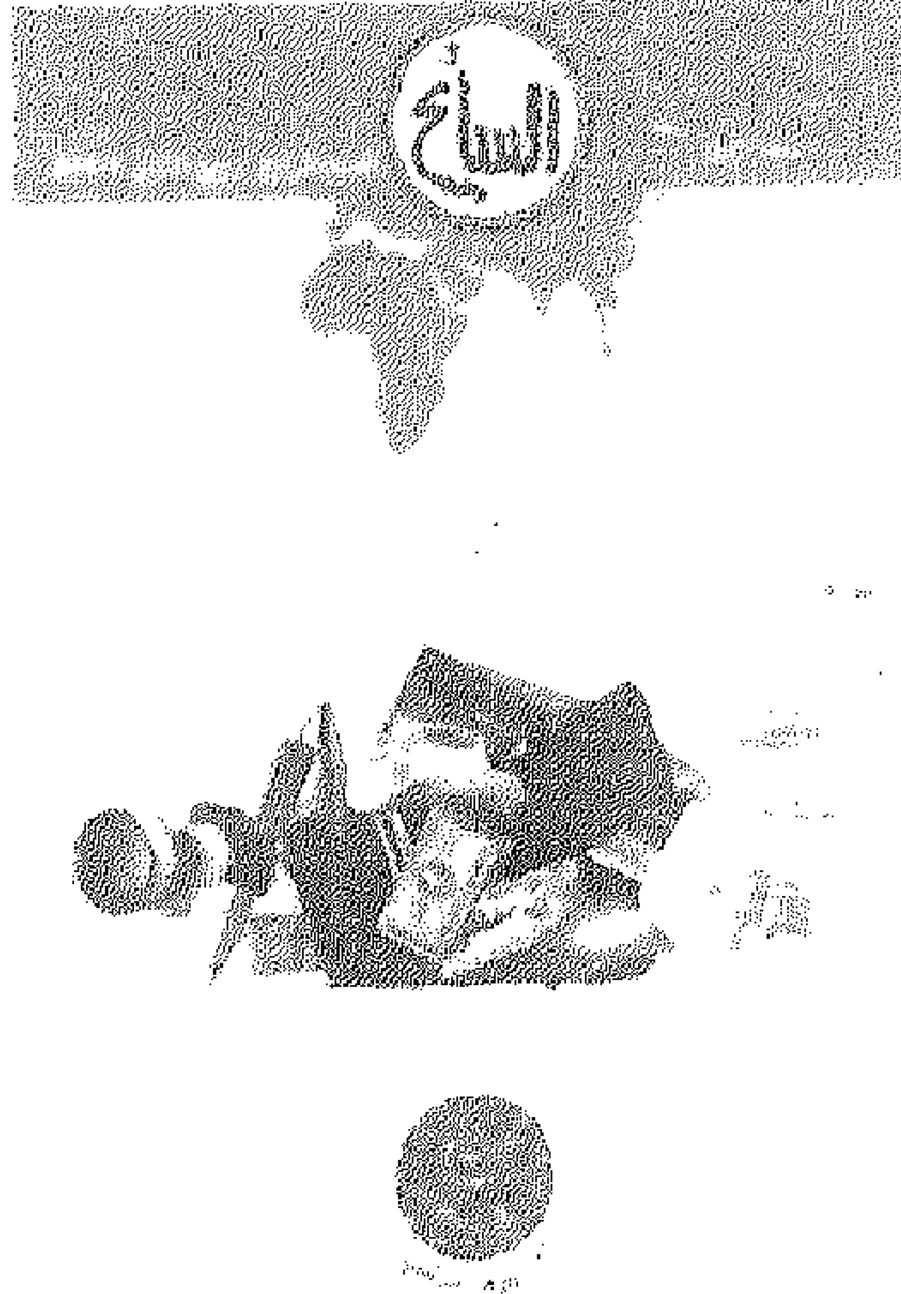
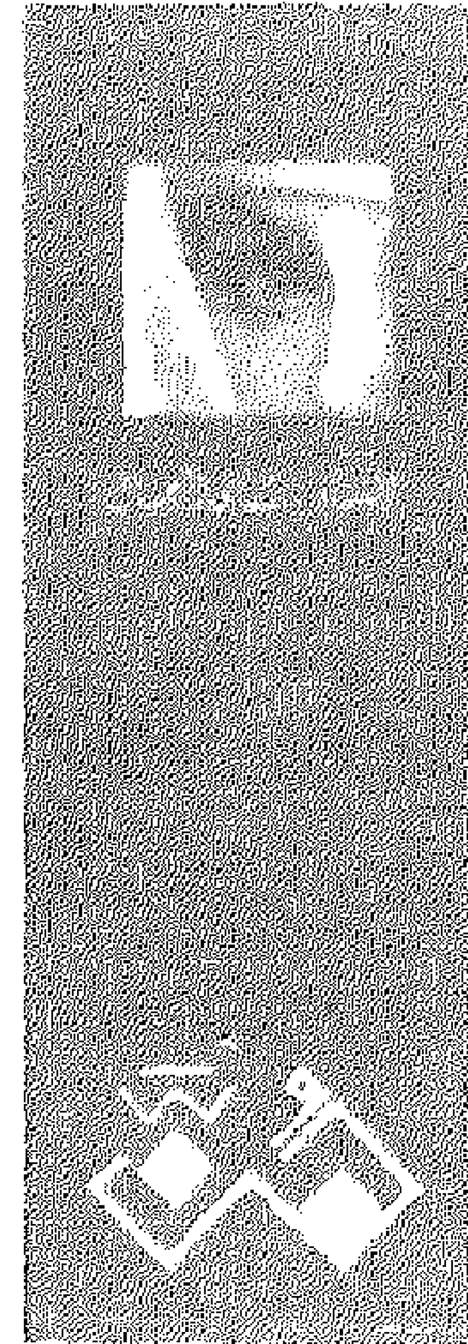

علي حافظ




أحمد عبد الغفور عطار





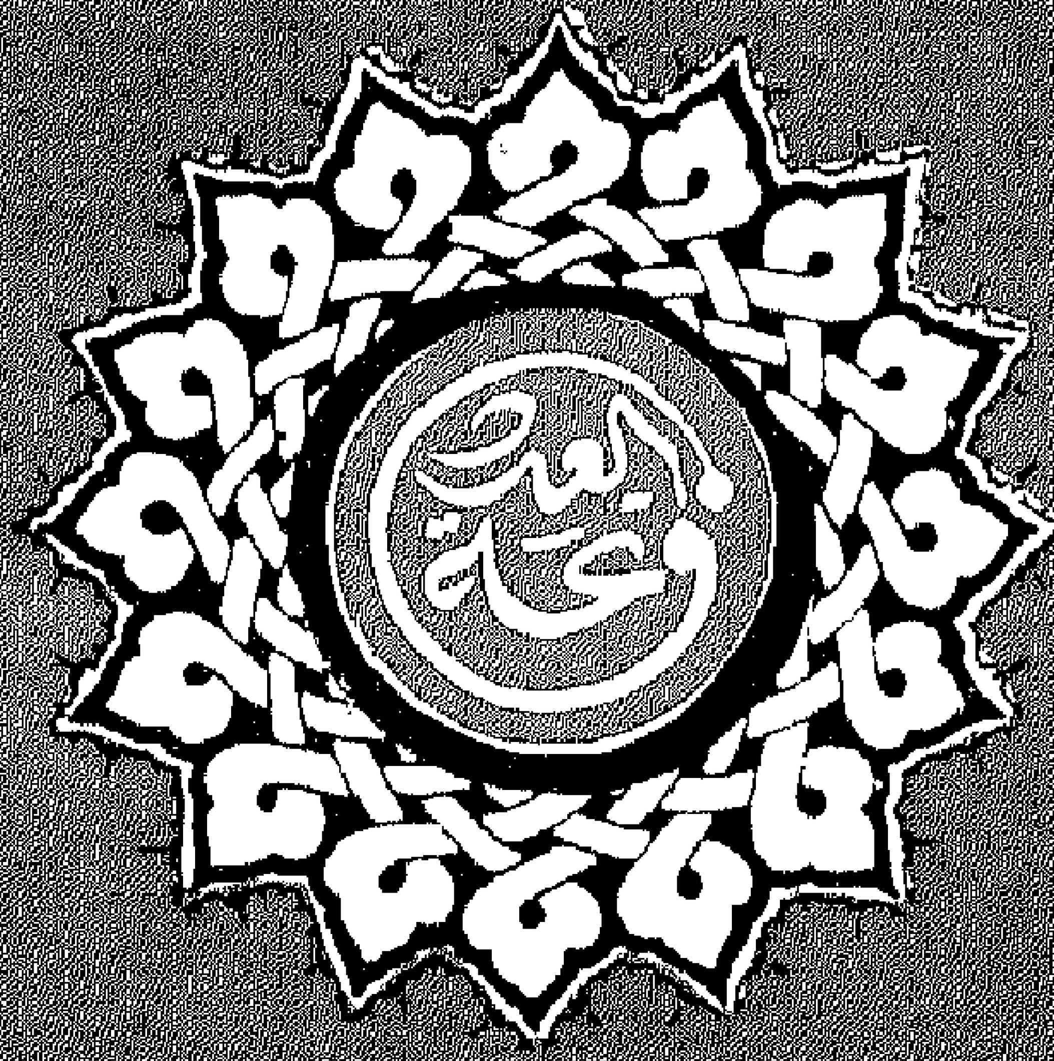






ابو القاسم عثمان


حسين عطا الله القرشي


عامر العقـــاد



الرجوع الى الله سبحانه . . صحوة نريد بها أمة المسلمين ليدركوا ما فاتهم . . ويقظة نريد بها أنفسنا لنستدرك ذواتنا ونستبصر مواقع خطانا . هذه الوقفة والرجعة - معا - لابد ان تنطلق إلى المولى القدير، وتتوجه للبارىء الأعلى تحمل معها صالح عملنا . . وبرّ نهجنا . . وعميق ضراعتنا اليه سبحانه أن يهدينا إلى الرشد والفلاح والى التقوى والصلاح . .

ولقد آن أن نفعل . . ولقد حان أن نعمل . ولقد حق علينا ان نسترشد باليقين الذى لا يداخله شك ، وبالهدى الذى لا يخالطه جهل ، قبل ان تأخذنا الصيحة وهى ليست عنا ببعيد . .

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

علينا أن نتذاكر ونتساءل . .

* ما بالنا «تهرطقنا» فى أحاجينا؟ . .

* ما بالنا «تجمدنا» فى ألغازنا؟؟ . .

بل : ما بالنا «تسربلنا» فى دثارنا؟؟ . .

اقتحمنا ليان العيش . . وذبنا فى رفاه الحياة . . وتلوّنا بمستحدثات العصر . . وتنكّبنا السهل والصعب حتى كدنا أن نبيت فى خواء

﴿ ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾
صدق الله العظيم

ما عسانا ان نكون بعد أن أغرقنا الرأى .
واتلفنا الخُلف . وأحاطت بنا الفرقة .
وتربص بنا الاعداء . . ونذر حولنا الخلصاء .

أفى غفلة نحن أم فى استغفال؟
أم خروج مؤقت عن الجادة العصماء؟

وما ذاك ـ لعمرى ـ الا إلى حين : ذلك اذا ما استوعبنا الموقف ، وأكدنا الوقفة ، وثبّتنا العظة الحسنة . . وقبل أن نصبح ـ أمما وشعوبا ـ مضغة يلهفها الهجير ويجمدها الصقيع ، ويذوبها النسير

علينا ان نستدرك ونستبصر لنفرز موبقات اعمالنا وأبعاد إهمالنا ومظان إسرافنا .

ولابد ونحن فى رحاب هذا الركن الفضيل ان يلتئم شملنا ويفرز امرنا فنغدو ـ معا ـ خماصا ونعود بطانا نتخطى الحواجز ونحطم المتاريس ونشرع الرايات ، وليصدق فينا قوله تعالى :
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .

بنيان نعلا [signature]



مبتعثونا فى الخارج علاوة على مهمتهم العلمية التى ابتعثوا من أجلها فهم من غير شك سفراؤنا فى الخارج تتجسد فيهم قيم ومثل وتقاليد مملكتهم الناهضة .. وهم الوجه النير الذى يستقرىء فيه الآخرون سماحة ديننا ورفيع اخلاقنا .. ولذلك كان لقاء جلالة الملك فهد بن عبد العزيز راعي العلم بأبنائه المبتعثين فى جدة فى نهاية الشهر المنصرم .. وجاء ذلك اللقاء الأبوي الكريم تحقيقاً وتأكيداً لمبادئ الدفع العلمى والخلقى وترسيخاً لمهمة المبتعث خارج وطنه.



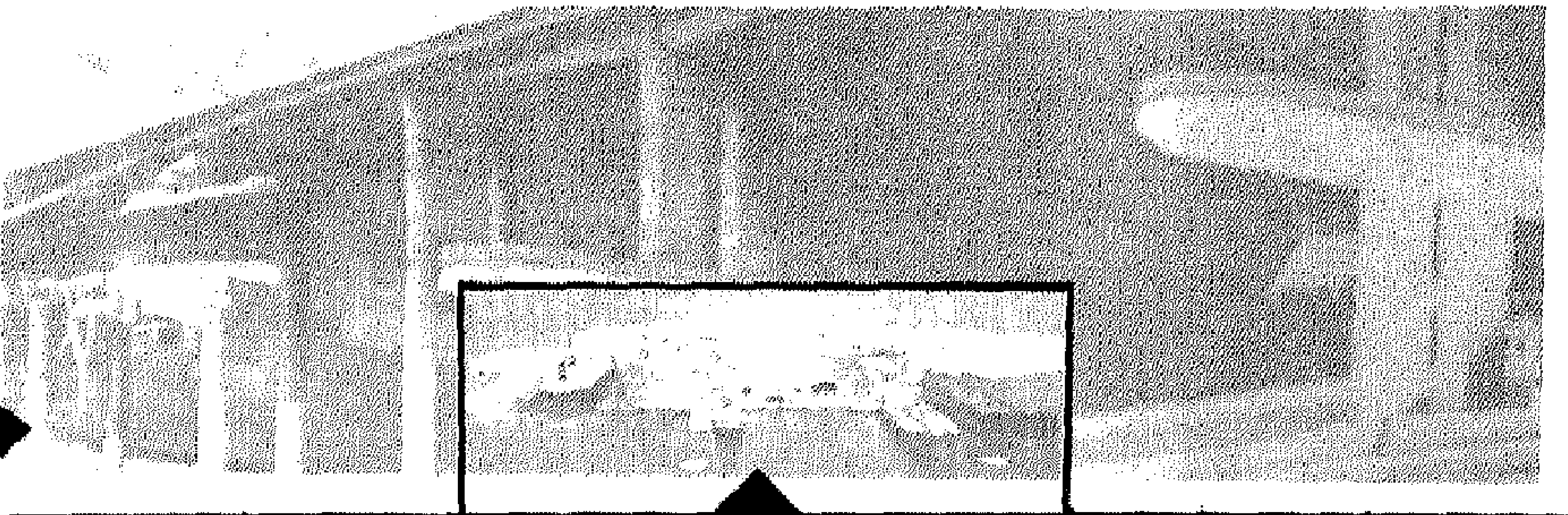
وزير التعليم العالى

الجسر العملاق

جسر الخليج الذى يجرى العمل فيه حاليا سيربط دولة البحرين بالمملكة العربية السعودية ويعد أول ممر برى دولى يربط البلاد باحدى جاراتها .. بل ودول مجلس التعاون الخليجى التى ترتبط مع المملكة بخطوط برية ..

وهذا الجسر سيكون له دوره النشط فى مضاعفة حركة التجارة والصناعة والاقتصاد والسياحة بين هذه الدول كما يسهم فى حركة ارتباطها ببعضها اكثر مما قبل.

.. ويمتد هذا الجسر على مسافة أربع وعشرين كيلومترا ويتوقع ان يفتتح فى السادس عشر من ديسمبر عام ١٩٨٥ وهى مناسبة العيد الوطنى لدولة البحرين الشقيق.



١٧ بليون ريال قيمة مبيعات الصناعات الوطنية

قالت مصادر وزارة الصناعة والكهرباء أن المملكة قد بدأت ومنذ السنتين الماضيتين فى تكثيف صادراتها الى أسواق بعض الدول المجاورة وقد اقتصرت فى البداية على صناعات الأغذية والألبان وفى هذا العام استقبلت الاسواق العربية المنتوجات السعودية للصناعات المتوسطة،

وقد بلغت هذه الصادرات أكثر من ٣٠٠ مليون دولار.

أما الزيادة الكبيرة فى قيمة المبالغ التى ستعطى دفعة كبيرة للدخل القومى فقد جاءت بعد بدء تصدير منتوجات المصانع السعودية البتروكيماوية والتى وجدت رواجا واقبالا فى الاسواق الاوربية ودول شرق اسيا وتوقع مضاعفتها فى الأعوام القادمة .. وكان لجودة المواصفات فى الصناعة السعودية أثرها الكبير فى رواجها وتأكيد منافستها لأمثالها.

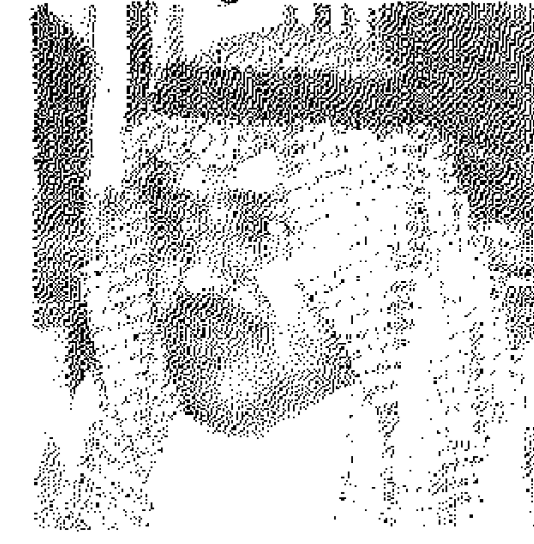


أقمار صناعية بالسودان لتيسير الاتصالات بين السعودية ومصر

تم اتخاذ الاجراءات المتعلقة بطرح العطاءات الخاصة بتنفيذ مشروع محطة الأقمار الصناعية ببورتسودان .

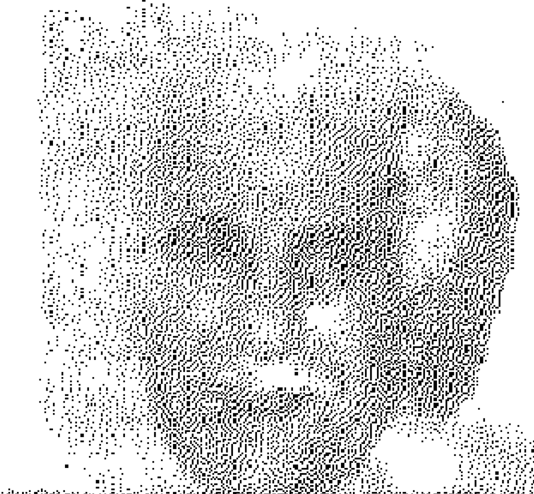
وستوفر هذه المحطة الاتصالات الهاتفية والبرقية والتلكسية لاشتمالها على ٣٦ دائرة هاتفية خصصت منها ١٢ دائرة للاتصال بالمملكة العربية السعودية والخرطوم وبورتسودان وجدة كما تسهم المحطة فى تيسير الاتصال بجمهورية مصر العربية .

زيارة الأمير نايف للجزائر وزامبيا


سمو الامير نايف

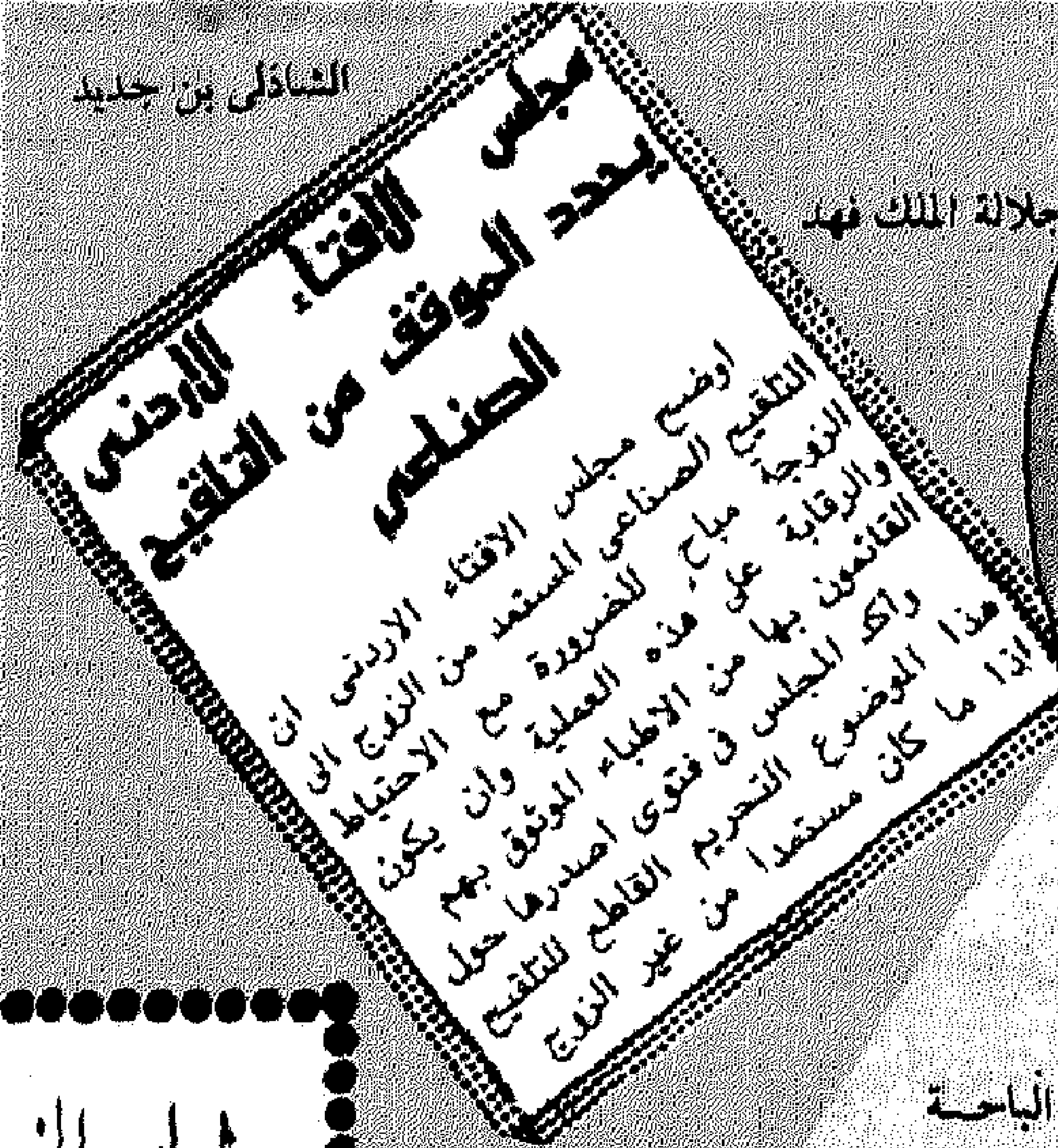
قام صاحب السمو الملكى الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية فى الشهر الماضى بزيارة ودية لكل من الجزائر وزامبيا . . ولقد كان لهذه الزيارة لكل من البلدين صدى واسع وطيب على المستوى المحلى والعالمى وتناقلت الزيارتين وسائل الاعلام العالمية بما يليق بها وبما هى جديرة به . .

وقد أظهرت الزيارة الثقل الذى تتمتع به المملكة والإعزاز الذى يحمله زعماء العالم لقيادتها .


الشاذلى بن جديد

ففى الجزائر التقى سموه مع فخامة الرئيس الجزائرى الشاذلى بن جديد وأجرى مباحثات مع بعض الوزراء والمسؤولين تناولت التعاون الأخوى المشترك بين البلدين .

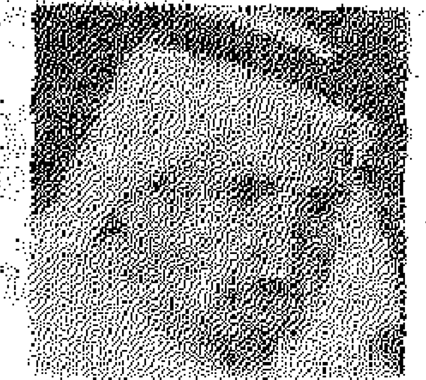
وفى زامبيا كانت هناك مقابلة أخوية مع فخامة الرئيس الزامبى كينيث كاوندا ووزراء حكومته . . وقد وصف الرئيس الزامبى المملكة بأنها «صانعة السلام فى المنطقة» .



مجلس الافتاء الاردنى يحدد الموقف من التلقيح الصناعى

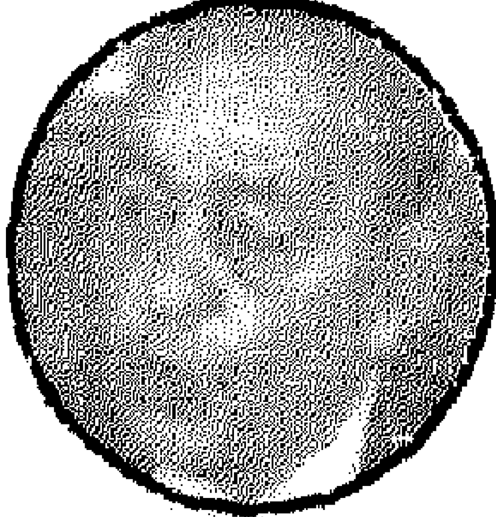
اوضح مجلس الافتاء الاردنى ان التلقيح الصناعى المستمد من الزوج الى الزوجة مباح للضرورة مع الاحتياط والرقابة على هذه العملية وان يكون القائمون بها من الاطباء الموثوق بهم واكد المجلس فى فتوى اصدرها حول هذا الموضوع التحريم القاطع للتلقيح اذا ما كان مستمدا من غير الزوج


جلالة الملك فهد


امير الباحة

تأكيد زيارة جلالة الفهد الباني لمنطقة الباحة المثرية وإنجازاتها الفاعلة وقد أوضح معالى أمير الباحة الأستاذ إبراهيم آل إبراهيم أن لهذه الزيارة الكريمة لها أثرها ووقعها ومدلولها الذى من شأنه وقوف جلالته على المشاريع والاستطلاعات الخيرة التى تسمو التقدم الحضاري وتؤكد دوره لمصلحة الوطن والمواطن .

شباب المغرب



دعا العاهل المغربى الملك الحسن الثانى شباب بلاده للتمسك بآداب الدين الاسلامى والعمل بتشريعات الاسلام باعتبارها طريق الخلاص مما تعانى منه البشرية

وأكد فى حديثه الذى وجهه بمناسبة عيد الشباب ، على أن الشريعة الاسلامية تعتبر منهجا قويا لصلاح البشرية كلها ولا يخيب من اتبعها .

وطالبهم بالاتجاه للعمل البناء ، وتسخير طاقاتهم وتفجيرها فى بناء المغرب ، والعمل المضنى قدما فى بناء الدولة الحديثة مستمدين من حضارة الاسلام ومقوماته ما يعينهم ويشحذ هممهم .

حج مبرور وسعي مشكور

استعداداً لموسم حج هذا العام ـ أعاده الله على المسلمين بالخير والبركة ـ وخدمة لضيوف الرحمن فقد اتخذت المملكة كعادتها كل عام ممثلة فى الوزارات والمؤسسات المعنية العديد من الاجراءات والخدمات الهادفة الى تسهيل أداء هذا النسك الكريم . .

* فى المجال الصحي بذلت وزارة الصحة نشاطاً مكثفاً فى زيادة الأسرَّة لتغطية الخدمة العلاجية واستخدمت الكمبيوتر لأول مرة لتنظيم الأداء ورفع مستواه كما تقوم هيئة الهلال الأحمر السعودى بتكثيف الخدمات الاسعافية المتجولة هنا وهناك، وتزويد وسائلها الاسعافية السيارة باحدث الوسائل العلمية التقنية اللازمة .

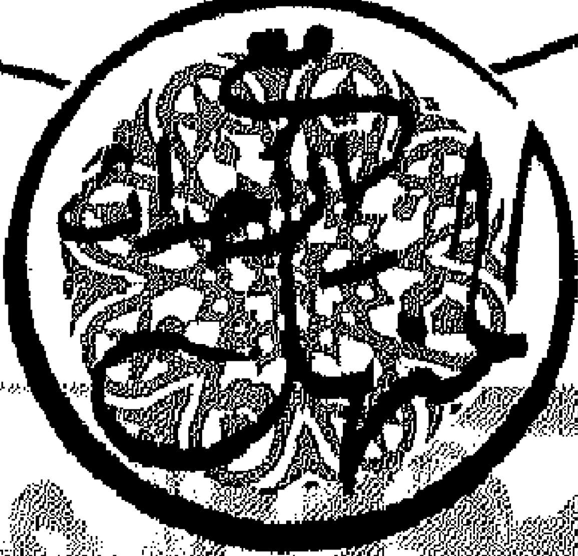
* وفى جانب خدمات الهاتف فقد استحدث نظام كبائن الهاتف المتنقلة على مقطورات أعدت لذلك وفيها يمكن الاتصال بكل أنحاء العالم . .

* ومن جانب آخر للخدمات فقد أقيمت بعض الجسور فى الحرم المكى لتسهيل حركة سير المشاة والسيارات تجنباً للحوادث فى مثل ذلك الزحام .

* وفى الجانب الاعلامى فقد خصصت الاذاعة ثمانى عشرة ساعة يوميا تبث فيها عديدا من البرامج الاسلامية بست لغات حيَّة . .

صدق أو لا تصدق

مجموع اللغات التى يتكلمها العالم اليوم حوالى ٥ آلاف لغة منها ٨٤٥ لغة من الهند . والأكثر لغة متكلمة هى لغة الشمال الصيني التى يتكلمها حوالى ٦٨٪ من سكان الصين (٦٧٥ مليون نسمة حسب احصاء ١٩٨١) تليها اللغة الانجليزية التى يقدر عدد متكلميها اليوم بحوالى ٤٠٠ مليون نسمة حيث يتكلم ١٠٪ أو أكثر من ذلك من السكان فى ٣٧ دولة مستقلة هذه اللغة





هبوط الانتاج العالمى من الأغذية عام ١٩٨٣م

جاء فى التقرير السنوى لمنظمة الفاو للأغذية والزراعة الذى نشر فى روما ان الانتاج العالمى من المواد الغذائية هبط باقل قليلا من واحد فى المائة عام ١٩٨٣م .

وذكر التقرير ان هذا الهبوط الذى يعزى بصفة اساسية للغلال الثانوية والمحاصيل الزيتية والسكر أدى الى اتساع الهوة بين الدول الأكثر فقرا والدول الأكثر غنى فيما يتعلق بالوضع الغذائى .

وحذر ادوارد سوما مدير عام الفاو فى هذا التقرير من خطورة الوضع الغذائى فى افريقيا وسجل أن ٢٤ دولة افريقية تعانى من حالات نقص خطيرة وأفاد التقرير أن بقية دول العالم سجلت نتائج غير متعادلة .

المكتبة العربية فى الكونغرس

مكتبة الكونغرس الأمريكي

أنشئت فى عام ١٨٠٠م تتكون المكتبة من ثلاثة مبان منفصلة وتضم رفوفا للكتب يبلغ أطوالها ٥٢٢ ميلاً .. وتضم المكتبة أربعة ملايين خارطة وأطلس تعود للقرن الرابع عشر .. ومن الجدير بالذكر أن قسم الشرق الأوسط فى مكتبة الكونغرس يضم ما يزيد عن ١٥٠ ألف مجلد إضافة إلى كتب التفسير والمراجع والقواميس التى يبلغ عددها (٦٠٠) ألف قاموس عربي انجليزي فى كل الموضوعات والتواريخ وهناك مجموعة للترجمات لمعانى القرآن الكريم بلغات مختلفة كما تضم المكتبة القانونية حوالى (٣٠) ألف مجلد تدور موضوعاتها حول الفقه والقوانين من جميع الدول العربية .. وتضم المكتبة أيضا (١٨٠٠) مخطوطة عربية واسلامية



احمد زكي يماني

انتهاء أزمة سوق النفط في نوفمبر القادم



امير قطر

اكد معالي الأستاذ احمد زكي يماني وزير البترول والثروة المعدنية الضرورية الحيوية بالنسبة لمنظمة البلدان المصدرة للبترول « اوبك » ان تحافظ على الاسعار الحالية للنفط حتى شهر اكتوبر او نوفمبر القادم مشيرا الى انه [illegible] حلول هذا التاريخ ستكون ازمة سوق النفط الحالية قد انتهت .

وقال معاليه في كلمة امام مركز ويلز للشئون [illegible] ولية « ان اوبك ستحافظ على الاسعار على حالها واشار الى ان مفتاح حل الوضع [illegible] في ايدى الحكومة البريطانية .

واوضح انه اذا ظل سعر نفط بحر الشمال [illegible] المستوى خلال الاشهر الثلاثة القادمة فلن يساور احدا قلق مهما حدث [illegible] قررت هيئة النفط الوطنية البريطانية اجراء تخفيض طفيف في سعر نفط [illegible] يمكن ان يكون الوضع خطيرا » .

واكد معاليه انه بتعاون الدول المـ[illegible] اوبك ، يمكن لاوبك ان تجتاز الربع الثالث من هذا العام وتنتهي الا[illegible]

وقال ان الدول المنتجة غير الاعـ[illegible] على بريطانيا من اجل القيام بعمل قيادي وان نتيجة الوضع الحالي ، [illegible] حتى نكتشف ما هو قرار الحكومة البريطانية فيما يتعلق بسعر النفط [illegible]

وقال ان المكسيك تتعاون مع اوبك [illegible] انفسهم يبذلون ما بوسعهم للحفاظ على حدهم الاقصى الانتاجي من النفط [illegible] ١ مليون برميل من النفط يوميا .

وقد حذر معالى وزير البترول في المملكة العربية السعودية من اى خفض في اسعار النفط الخام وقال انه قد يؤدي الى مشكلات مصرفية خطيرة في الولايات المتحدة وقد تؤدي لافلاس مؤسسات وسيؤثر على المصارف الكبرى .

قطر تصادق على اتفاقية مزايا وحصانات مجلس التعاون

أصدر صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر أمس مرسوماً بالتصديق على اتفاقية مزايا وحصانات مجلس التعاون لدول الخليج العربية والتي كانت قد وقعت في الرياض في شهر مارس الماضي .

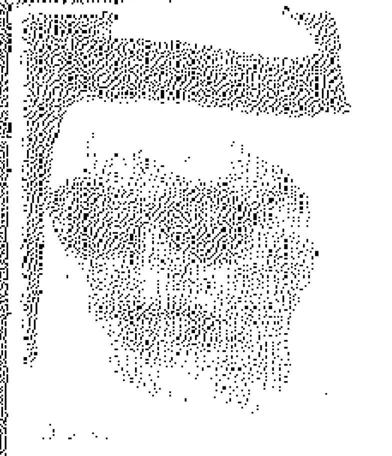
كما أصدر سموه مرسوماً آخر بالتصديق على الاتفاق الثقافي والتربوي بين دولة قطر والمملكة العربية السعودية .



عبد الوهاب عبد الواسع



د. فؤاد الفارسي



معالي وزير الاعلام

القناة الثانية فى احتفالها

فى الرابع عشر من شهر ذى القعدة ١٤٠٤هـ احتفلت القناة التلفزيونية الثانية فى تلفزيون المملكة العربية السعودية بعامها الثانى. وكانت كلمة معالى وزير الاعلام «على الشاعر» فى هذه المناسبة مشيرة الى الخطوط الرئيسية لاهداف القناة ودوافع انشائها اذ تنطلق فى [illegible] الاسلامية [illegible] تعاليمها مقدمة مجموعة [illegible] التوجيهية [illegible] تثقيفية وموجهة الى جميع [illegible] ابناء الامة الاسلامية المقيمين بالمملكة [illegible] اللغات [illegible] منها الانجليزية والفرنسية [illegible] والسواحلية [illegible]

هذا [illegible] جانب البرامج [illegible] المملكة فى مجال التنمية فى فروعها كافة ومعطياتها الحضارية المتعددة.

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف

فى الشهر الماضى عقدت الأمانة العامة لمجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة أول لقاء لها بالاشتراك مع جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورابطة العالم الاسلامى وذلك لبحث موضوع ترجمات معانى القرآن الكريم .

وقدمت رابطة العالم الاسلامى مجموعة من الترجمات المختلفة للمجمع لدراستها .. وعقد اللقاء بتوجيه من معالى وزير الحج والأوقاف والمشرف على المجمع .

فيضٌ من نورْ

اصطحبته طويلا . . فكان نعم الصاحب والصديق . . يهدى إلىَّ ذنوبى وصدق من قال : (أنا عبد من أهدى إلىَّ ذنوبى) . . يرسل لى الموعظة وينير لى الطريق . . ويرفع عنى ثقلى.

ابتعدتُ عنه فضللتُ وغويتُ . . صحبته اهتديتُ ونجوت . . كم تمنيت أن تطول بى صحبته . . ولكن قواطع الخير كثر . . ودواعى الشر غير قليل . . فأُنتزع منه . . كما تنتزع الغفلةُ المصلى الغافل من بين صفوف الساجدين العابدين . . فيكون معهم جسداً وحركة . . أولئك تصعد صلاتهم ودعواتهم إلى السماء مرفوعة بخيط النور الواصل بين السماء والأرض . . وذاك يُصْفعُ بها على وجهه ما دام مشدودا إلى طينة الأرض.

فى لحظة من لحظات الرجعة والمحاسبة . . قلتُ له :

كم وددت صحبتك من غير انقطاع أبدا . . فإن فى صحبتك كل الخير . أجد عندك راحة البال وهدوء النفس . . وقناعة الأمل وخفة الروح وسموها .

قال فى حكمة المجرب . . وحنكة المهتدى الباصر طريقه : كم وددت منك ذلك ولكن . . ولكن ماذا يا ناصحى ؟ قل لى بربك . . ؟

قال . . خيرتك ولم تستطع معى صبرا . . قلت . . نعم . . كثيرا ما تنقطع حبال الصبر عندى بمقاطع شرور النفس الأمارة بالسوء . . فى لحظة من لحظات الضعف والخور . . تتناثر النفس أشلاءا مقطعة ممزقة . . تحدق بعيون جاحظة بلهاء إلى حطام دنيا . . يحكم إغلاق أبواب كل خيرٍ وطيب . ولكن ما إن تنقضى تلك اللحظات . . وفى فترة الاياب حتى تشعر تلك النفس بأن قلبها قد سقط بين أضلعها . . قاتل الله السوء والشر والفحشاء.

قلت: لعل ذلك . . يا صديقى من فعل الشيطان الرجيم . . يهمس فى النفس . . فترخى أذنيها . . فينطبع ما همس به فى جدارها . . فتهش وتلين . . فيمتلك القياد . . فيعصب عينيها بعصابة سوداء وما هى إلا لحظات فيركلها برجله فى قاع الهوة السحيقة .

قال : نعم . . هو هكذا . . ولكن الله لطيف بعباده . . فقد حذرنا من الشيطان أن يوقع بنا أو يوقعنا فى حباله . . **﴿ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ـ وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم . ولقد أضل منكم جِبلاً كثيرا أفلم تكونوا تعقلون﴾**

والحق يردع الشيطان فى توكيد بالغ : **﴿لأملأنَّ**

السمانى كمال الدين



جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ واعلم أن الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم فى العروق، فضيقوا مجاريه بذكر الله.. والجنة دائما محفوفة بالمكاره.. والنار محفوفة بالشهوات.

صديقى العزيز.. قلت لى فيما سبق.. (أنى لن أستطيع معك صبرا) فهل الأمر بهذه الدرجة من الصعوبة..

قال: لا.. هو بدرجة من اليسر إذا كنت قويا جلدا.. وبدرجة من الصعوبة إذا كنت لينا طيعا لا تقدر على صد نفسك وقهرها.

قلت: وكيف ذلك؟

قال: إن السوء يتفلّت من بين الأصابع.. والمغريات تدب فى النفس دبيب النمل فى النقا والنفس تواقة إلى مالا ينبغى أن تتوق إليه.. ويساعدها على ذلك ما تجده فى يومها وليلها من مغريات.. يطول معها الأمل.. ويتسع فيها الخرق على الراقع..

الشيطان يقف لنا كل مرصد.. ويفتح أمامنا ألف نافذة وباب يلج إلى الشر المضمّخ بالسحر وعطر الياسمين.. المبهرج بالزينة ومغريات الحياة..

وأردف قائلا.. نعم.. صديقى.. مشاغل الحياة كثيرة.. ومغرياتها أكثر.. والانسان وسط ضجيجها وسرعة إيقاعها لا يكاد يفيق.. يظل يلهث ويجرى وراءها علها تمنحه طرفا من ذيلها.. فما أن أمسك به حتى تجره لتمسح به الأرض.. ليصير حطاما.. ولا ينجو من ذلها إلا من امتطى صهوتها للآخرة.. فالدنيا مطية الآخرة.. ويا ويل من امتطت هى صهوته.. فذلك هو الخسران المبين.

ولذلك.. عزيزى.. فإن الضمير الممتلىء لا يفلت منه القياد.. والنفس المطمئنة عطاؤها أكثر.. وأعمق.. و.. وكشف الحساب مع النفس فيه راحة البال.. وهدوء الخاطر..

والنفس كالطفل إن تتركه شب على حب الرضاع وان تفطمه ينفطم.

.. واأسفاه.. وا أسفاه.. على ما فرطت فى جنب الله..

صرخة عميقة.. عميقة.. دوت فى أغوار نفسى.. هزّت أضلعى.. كمن داهمه خطرمفاجىء وهو يسير وحيدا فى ظلام الليل.

جئته ونفسى تقطع ألما وحسرة.. وندما..

قلت لمرشدى.. كأنما قد غشينى مسٌ من

الشيطـان . . كل شيء يبـدو أمام ناظرى جميلا . . جميلا . . فغمرنى ذلك الوهم . . وما هى إلا هنيهة حتى تبين لى . . قبيحا . . قميئا . . لا تآخذنى . . صديقى . . بما فعلت. قال . . كيف لا .

قلتُ لقـد . . أنبتُ الى الله وتبت ورجعت . . فهـل يقبلنى ربى . . قال : وقـد تهلل وجهـه وارتسمت على شفتيه ابتسامة رضا عريضة ـ قال . . سبحـان الله يا أخى . . إن رحمـة الله قريب من المحسنـين . . ومن تاب تاب الله عليـه . . والنـدم توبـة . . ويقول الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ فى حديث مؤداه . . إن الله لأشد فرحا برجعة عبده إليه من فرحة ذلـك الـذى وجد راحلته التى تحمل متاعه وهو فى صحـراء قفر. واسمع معى إلى قوله سبحانه **﴿ولا تقنطـوا من رحمـة الله إن الله يغفـر الذنوب جميعا﴾** ويقول سبحانه **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**.

ويقـول : سيـد خلق الله أجمعين «**كل بنى آدم خطـاء وخير الخطائين التوابون**» واعلم صديقى أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له . .

هتفت بصـوت عال فى أعماقى . . يا الله . . يا الله . . رعشـة هزت أضلعى . . وكأن مقعـدى لم يسعنى . . وأسبلت عيناى بالدموع . . خليط تمشى فى أحشائى لا أميزه . . (عضة الحزن ووخز الندم . . وفرحة الرجعة وشمول الرحمة) . .

تباركت ربى وتعاليت . . لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك . . كم أنت كريم بعبادك . . وكم نحن غافلون . . أسألك المغفرة . . أسألك الرضا والعفاف والتقى .

التفت الى صديقى شاكرا . .

كم أنـا شاكـر لك بعد شكر الله تعالى . . كم أحييت موات نفسى . . والحمد والشكر لله وحده . . فقد أيقظك الله وأقامك لى حارسا . . وأبقاك فىَّ طوق نجاة .

قال . . الحمـد لله الذى هدانا أجمعين وبهدايته تتم الصالحات . . والنفس اللوامة المعاتبة هى درجة من درجـات الايـمان . . إذ ما تفتأ تشـد إليها حبل النجاة كلما رأت جنوحاً .

ولا شك أن النفس اللوامـة تمثل درجة فى درج الرجعة والاياب ويذرة ايمانية صادقة ما دامت مشدودة الى الخير مربوطة به تواقة اليه . . ولذلك فانها كثيرة العتب على صاحبها قاسية المحاسبة والمراجعة ، ذلك لأن السوء ليس اصلا فيها وانما هو امر طارىء ممقوت عندها تتثاءبه وتخرجه زفرات وأدمعا . .



ولكن صديقي . . في بعض الأحـايـين أو اغلبها ـ كما هو واقعنا اليوم ـ أجد الحد الفاصل بين (الخير والشر، الممارسات الرحمانية والممارسات الشيطانية، السلوك الطيب والسلوك الرديء) لا يتعدى «عَتَبة» المسجد . . أي أن باب المسجد يكاد يكون الحد الفاصل بين حياتين . . في داخل المسجد العبادة والاستغفار، والتوبة والابتهال إلى الله والدعاء والسمو الروحي . . وفي خارجه حيث الشارع العام تصطدم العين بما يسوءها وتفاجأ النفس بما يعكر صفوها من ممارسات حياتية خاطئة، وسلوكية نادَّة عن الجادة . . حتى ليسأل أحدُنا كثيرا نفسَه لماذا كل هذا التناقض . . لماذا نحصر السلوك الديني بين جدران المسجد الاربعة وخارجه نعيش بما يروق لنا . . ؟



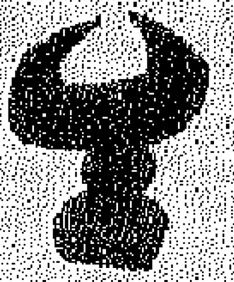
أطرق محدثي طويلا ثم قال: هذا التناقض الحياتي أو الانفصام السلوكي الذي نجده في الغالب في جوانب حياتنا المعاشة يرجع لمجموعة أسباب منها ما يغزونا به الغرب من أفكار ومفاهيم وسلوكيات القصد منها ابعاد السلوك الديني عن حياتنا أو سلخها منه تماما . . واتخذ لذلك مجموعة من الوسائل المحققة للهدف والغاية . . وبكل أسف فمن المسلمين ما ركبَ هذه الموجة العاتية بقصد أو بحسن نية .

ثم اردف قائلا . . إن الانسان في هذه الحياة ـ صديقي ـ لا يعيش منفردا ولا يعيش لنفسه وإلا لأصبحت حياته قفرا يبابا . . الانسان يعيش في مجتمع ومن هنا تتحتم ضرورة انضباط السلوك الجمعي والا افترستنا الاهواء . . واصبحنا مجتمع «غاية» لا يحسب للوسيلة حساباً . . وانما وسيلته هي التي توصله لغايته، بغض النظر عن ماهيتها . . حِلّها أو حُرْمتها .

إذن صديقي ـ عفـواً ـ مراجعة الفرد نفسه ومحاسبتها وحملها على النهج القويم لابد أن تتبعها محاسبة المجتمع أو الجماعة لذاتها . . لان الفرد عضو فاعل في مجتمعه ويكونون فيما بينهم معزوفة اذا شذ فيها «وتر» أصبح النغم نشاذا . .

نعم ـ صديقي ـ كما قلت . . كلنا لَبِنات في بناء شامخ، يشد بعضنا بعضا، فإذا وُجِدَ شرخ في البناء ولم يُصْلَحْ فمآله الى الانهيار والدمار . . ومن منا لا يريد الحياة . . ولا حياة بغير اتباع هدى يضيء . . وشرع حكيم .

الاسـ
ماضيه



خلق الله الانسان ورسم له سبيل الهداية والرشاد فلم يتركه يضرب فى الارض على غير هدى وانما رسم له معالم الطريق التى توصله فى السعادة فى الدنيا وفى الآخرة وتكفل له اسباب النجاح فى معاشه ومعاده ولذلك تناول الدين الحنيف الجانب الروحى من حياة الانسان كما تناول الجانب المادى منها وبذلك كان الاسلام دينا ودولة . وهو بهذا مثله مثل بقية الديانات نص على نظم دقيقة متاصلة فى ضمير الانسان ولا يكشفها إلا الانسان نفسه كما انه لم يدع فى وقت من الاوقات انه يحتكر الحق أو الفضيلة دون سواه من الاديان.

وكما ان المسيحية هى امتداد لليهودية فكذلك الاسلام فهو ليس امتدادا للمسيحية واليهودية فحسب بل هو توكيد لكلتيهما ولغيرهما من الاديان التى هى من وحى الله وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه فى القرآن ﴿**وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله**﴾.

وفى سورة أخرى يأمر القرآن المسلمين وغير المسلمين على السواء بالتعاون بقوله ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**﴾.

وزيادة فى التحديد حض القرآن اتباعه على ذلك بقوله ﴿**قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**﴾.

بقلم الدكتور/ محمد السالكت

الإسلام وحاضره

ومن المهم فى هذا المجال تفسير كلمة اسلام فهى مشتقة من مصدر الفعل سلم ومعناها ان يكون المرء فى سلام كامل مكرسا نفسه لسبيل الله وساعيا وراء الحق.

ومن الأسس الرئيسية للإسلام:

- الاعتقاد فى خلود الله ووحدانيته وقوته ورحمته وحبه حبا عظيما.
- عمل الخير والتآخى بين الناس.
- كبح الشهوات.
- التعبير لله واهب كل خير بما يجيش فى قلب المخلص.
- محاسبة الانسان فى عالم آخر على اعماله.

وأول قاعدة للاخلاق فى الاسلام هى الايمان بالله القادر على كل شىء حامى حمى الكون والبشر.

والقاعدة الثانية: هى ان الاسلام ينادى بأن الفكر سوف ينمو دائما ويزدهر فى عقول الناس والبابهم، وقد يتساءل المرء عن اتجاه الحياة دعما إذ كان الانسان والكون نفسه يسيران إلى الوراء ففكر الانسان ونشاطه دائم وله اثر فعال يتجلى كل منهما فى بعض الاوقات فى مقاومته الاحداث والخطوب التى تؤدى إلى فقدان جسده ولكن هذا الفكر لا يغنى ابدا.. وحينما يعمل الانسان فكره تتجلى له وحدة البشر ووحدة الكون، ينادى الانسان بما يعتقده فى صميم عقله وقرارة نفسه انه الحق حتى اذا كان فى ذلك خطر على حياته وقد يتعرض للسخرية أو يُحارب وفى بعض الاوقات يُقتل ولكن الحق هو الذى ينتصر دائما.



وبغير هذا الطريق لا يتسنى للبشر ان يحرزوا تقدما ما وقد لا يقبل البعض الاعتراف بهذا ويحاولون اكتشاف مصادر اخرى لتقدم الانسان ولكن هذه هى الحقيقة، فلا مناص من الرجوع إلى الوعى الداخلى للانسان وإلى فطنته وتعاونه.

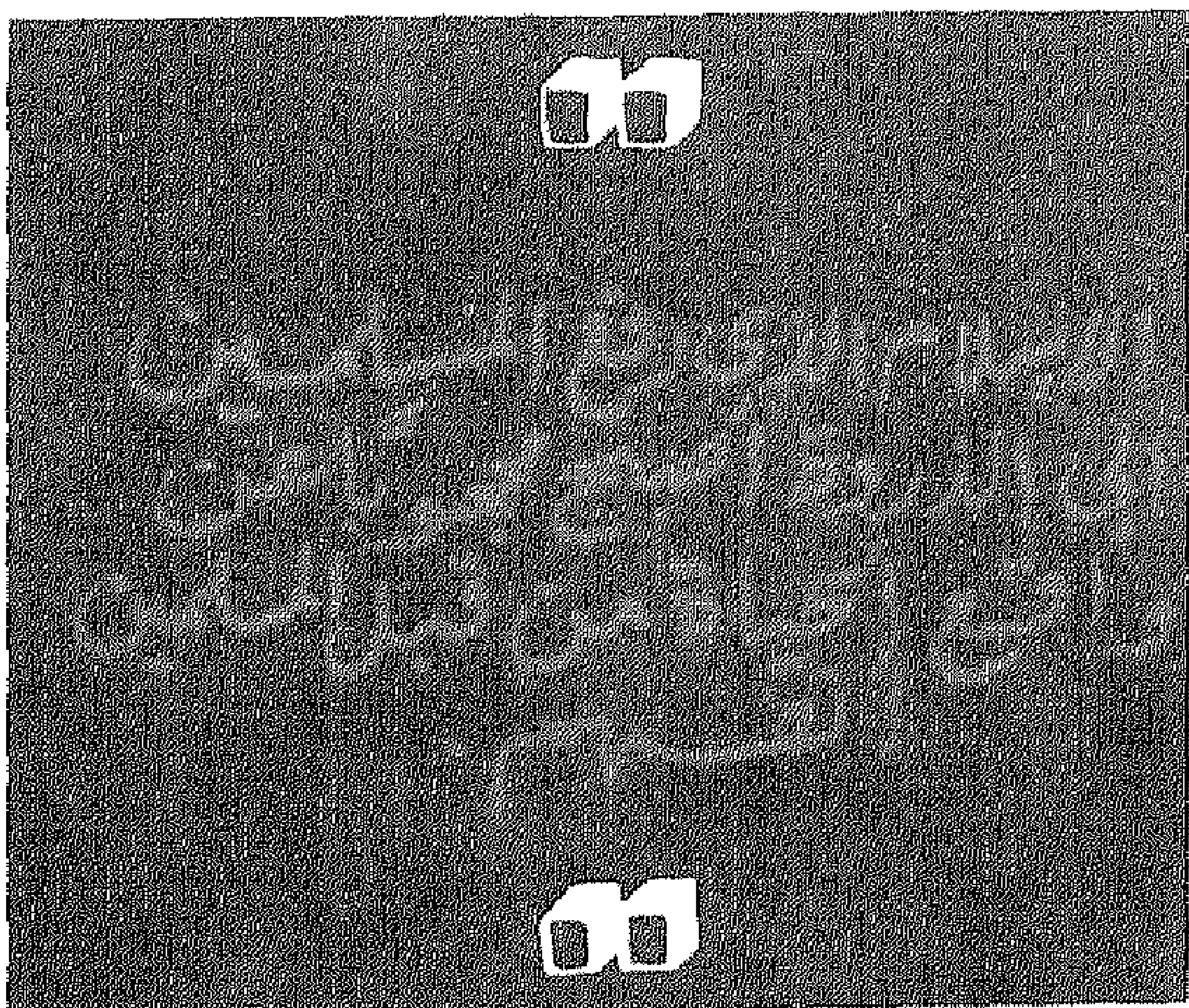
وبما ينادى به الاسلام ان الايمان والخلق متصلان فى قدرة الانسان على التفكير ولكن هذا ليس معادلا للرأى الساذج القائل بان الشر غير موجود وان النقص صورى وان الفشل غير حقيقى فالاسلام يعترف بكل تأكيد بوجود الشر وبالمفارقات ومعايب الانسان وهو لا ينتظر من الانسان ان يتحول على الفور إلى كائن فوق البشر ذلك ان الاسلام هو دستور عملى واقعى فهو يعترف بالشر ومع ذلك فهو يشجع الفضيلة وهو يعترف بوجود النقص كحقيقة ومع ذلك فهو يحث الانسان على ان يتطلع إلى حال افضل من كل النواحى من الحال التى هو عليها الآن.

وبالاختصار ينادى الانسان بألا داعى لليأس بسبب ادراكنا الناقص المعيب للاشياء وهو فى جوهره عقيدة تفاؤل.

والامر الثالث: الذى يدعو إليه الاسلام هو الحب والعفو وقد حض الله نبيه محمدا ﴿ﷺ﴾ على ان يكون رفيقا رحيما حتى بألد اعدائه ودائما ترتبط فكرته العظيمة بخُلقُ شخص يكون فى مقدوره أن يرد على الشر بالشر ولكنه رغم ذلك يدعو إلى الرحمة والعفو الإلهين بل ويمارسهما. هذا ورحمة الله جل شأنه هى اكبر موضوع يذكره القرآن فتسمية الله «بالرحمن» فى الجملة التى يفتتح بها كل جزء من القرآن والتى تستعمل دائما فى دعاء الله لتعبر عن ايمان عميق شامل بذلك الحب وتلك الرحمة الالهية التى تكلأ الخلق باجمعه، وفى ذلك يقول المولى سبحانه وتعالى فى القرآن ﴿**قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى**﴾ وفى سورة أخرى يقول ﴿**فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**﴾ كذلك امر الله عز وجل عباده ان ينبذوا الهمجية الاولى والاخذ بالثأر ووأد البنات وطلب اليهم ان يتحدوا كاعضاء الجسم الواحد.

والأمر الرابع: الذى يدعو إليه الاسلام هو انه ليس هناك فارق اساسى بين الغايات والوسائل وذلك من حيث قابليتها للحكم عليها خلقيا فكليهما يجب ان تخضع لنفس المعيار الذى تضعه الآداب والخلق والمذهب القائل بأن يتبع الانسان ايسر الطرق واصلحها لنفسه فى سبيل الوصول إلى غرضه، هو مذهب يتنافى مع القانون الخُلقى فى الاسلام كما يرفض الاسلام المثل القائل بأن الغاية تبرر الوسيلة.

والأمر الخامس: هو ان الاسلام ينصح كل من يصل إلى مراكز الزعامة والمسؤولية ان يكون بسيطا متواضعا وهو يحض الحكام ان يعيشوا عيشة بسيطة وان يتجنبوا الاسراف الشخصى وان يتذكروا دائما انهم ليسوا فوق غيرهم من الناس وقد اوصى ابو بكر الصديق أول خليفة بعد النبى محمد ﴿ﷺ﴾ يزيد بن ابى سفيان عامله على الشام ألا يظلم قومه أو يسبب لهم قلقا وان يستشيرهم فى كافة اموره وان يعنى بعمل ما هو حق وعدل لأن من يعمل بغير ذلك فلا فلاح له، ولم يأمر ابو بكر عامله بان يعنى بالناس فحسب بل اوصى اتباعه باحترام الحياة كحياة وذلك بقوله لهم «**لا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكلة**» كما بين لهم احترام الاسلام للاديان الاخرى بقوله «وسوف تمرون باقوام وقد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له.



وهكذا وعلى ضوء هذه المبادىء كون الاسلام دولة واسعة تمتد من حدود الصين إلى جبال البرانس، وقد ورث الاسلام مع فتوحاته الفلسفة اليونانية عن طريق علماء فارس والشام وافسح صدره لكثير من ثقافات هذه المناطق التى تم له فتحها كما تأثر بثقافة الهند والصين والثقافة العربية الاصلية كل هذه الثقافات المختلفة جمعتها وحافظت عليها الحضارة الاسلامية ووضعت لها الشروح والتعليقات واضافت إليها من عندها وذلك اثناء عصرها الزاهر خلال ستة قرون.

وفى خلال هذه الفترة الذهبية فى تاريخ الاسلام انشئت المدارس العظيمة فى الشرق الاوسط واسبانيا والبرتغال وامتلأت المكتبات بمؤلفات فلاسفة اليونان وعلمائها وشعرائها وقد اجتذبت هذه المدارس والمكتبات الطلاب والباحثين عن المعرفة من العالم المسيحى والبلاد الاسلامية الاخرى على سواء فكان ممن درسوا فى مدرسة طليطلة ميشيل سكوت ودانيل مورلى واديلا ردباث وروبرتس انجليكوس وهو اول من قام بترجمة معانى القرآن كما اسست المستشفيات للعلاج والتعليم والملاجىء لذوى الامراض المستعصية وكان لكل مستشفى مكتبة ومدرسة يحاضر فيها الاطباء ويمتحنون الطلبة ويمنحونهم الاجازات.

وكان زعيما التقدم الطبى هما ابن سينا والرازى ويرجع الفضل إلى الاول فى اكتشاف الطبيعة المعدنية لمرضى السل كما انه هو الذى وصف مرض الالتهاب فى الغشاء الصدرى وكثيرا من امراض الاعصاب واوضح ان المرض ينتشر بتلوث مياه الارض.

اما الرازى اكبر الاطباء الفاحصين فى العصور الوسطى فقد الف كثيرا من الابحاث اشهرها تلك التى تبحث فى مرضى الجدرى والحصبة وهى تبين منتهى الدقة طبيعة كل من هذين المرضين واعراضهما وكتابه «الحاوى» يجمع كل المعلومات الطبية المعروفة فى عصره من يونانية وسورية وعربية وهذا الكتاب المؤلف من عشرين مجلدا ظل المرجع الوحيد المعترف به فى جامعات اوروبا حتى القرن السابع عشر، وقد عرف الرازى التطعيم واكتشف ان مركز الابصار هو قاع العين ونادى بان الكيمياء يجب ان تستغل فى خدمة الطب وعرف طريقة صنع الثلج.

وقد اكتشف غيره من الاطباء المسلمين فائدة الكى وعددوا اعراض السرطان الذى يصيب المعدة ووضعوا استعمال الجرعة المضادة فى حالات التسمم وتقدموا كثيرا فى علاج امراض العيون كما اوضحوا سرعة انتشار الطاعون ومعظم هذه النتائج توصلوا اليها بالملاحظة والدراسة متقدمين بذلك على طرق البحث العلمى التى تم الوصول إليها بعد سنين طويلة.

كذلك فقد كان اعظم تقدم علمى حققه المسلمون كان فى علم البصريات ورسالة الكندى فى هذا العلم هى التى اعتمد عليها روجر بيكون فى دراسته لهذا الموضوع. ومع ذلك فقد كانت ابحاث لابن الهيثم والخازن اكثر تقدما منها.

اما فى ميادين العلوم الأخرى فقد ادى الاسلام مساهمات جليلة ففى الكيمياء يعتبر جابر بن حيان مؤسس هذا العلم فهو الذى نظم كثيرا من طرق البحث والتحليل وركب عددا من المواد الكيمائية وكانت اعماله هى المرجع الاول فى اوروبا واسيا حتى القرن الثامن عشر وهناك ايضا الرازى الذى فاق ابن حيان فى كثير من الابحاث الكيماوية والبيرونى الذى حدد الكثافة النوعية لكثير من المعادن والاحجار الثرية واشتهر كعالم تاريخ وجغرافيا ورياضة.

وفى الرياضة وضع العرب حساب التقريب فإليهم يرجع الفضل فى الطرق الحسابية المستعملة فى الحياة اليومية فى عصرنا الحاضر وهم الذين جعلوا من

الجبر علما حقيقيا وتقدموا فيه تقدما كبيرا واسسوا علم الهندسة التحليلية وحساب المثلثات الذى لم يكن معروفا من اليونانيين.

وفى الفلك توصلوا إلى كثير من النتائج القيمة وحفظوا لنا فى ترجمتهم للكتب اليونانية كثيرا من المؤلفات التى فقدت أصولها اليونانية وكان احد الفلكيين العرب هو الذى حفظ لنا فى العصور الوسطى نظرية كروية الارض.

وفى الجيولوجيا يعد كتاب ابن سينا من اهم المراجع فى هذا العلم فهو يبين فيه كيفية تكوين الجبال والاحجار والمواد المعدنية ويناقش تأثير الزلازل والرياح والحرارة وغير ذلك.

وفى العلوم الاجتماعية كان ابن خلدون التونسى هو اول مفكر اجتماعى صاغ قوانين تقدم الامم وانهيارها وأول من اعطى العوامل المناخية والجغرافية الطبيعية حقها من الاهمية والتأثير وأول من قرر ان التاريخ يؤثر فيه كل شىء مهما كانت تفاهته.

كما كان لابن حزم مكانة كبيرة بسبب مساهمته فى الدراسات المقارنة للاديان ويقول عنه نكلسون انه اعظم عبقرية استقلالية فى اسبانيا الاسلامية. كما يذكر عنه انه مؤسس علم الدراسات المقارنة للاديان وبانه واضع اول واكمل دراسة ناقدة منظمة للعهدين القديم والجديد.

وفى الشعر والفن كان للاسلام دور هام فى توصيل اللغة والآداب العربية والفارسية إلى العالم الغربى المسيحى فقد ترك العرب فى اسبانيا كثيرا من اسماء الاماكن والاشياء كما اثر الشعر العربى فى الاغانى والاناشيد الاسبانية.

وقد مزج وانتر فى الكوميديا الالهية روح التصوف المسيحى ببعض العناصر الروحية القوية فى الاسلام ولا شك انه تأثر فيما كتبه باشباه ابن العربى ويحتوى مؤلفه على بعض اسس النظرية الاسلامية فى طبيعة الكون.

ولقد كان اعظم اثر للادب العربى هو فى بعث روح الكتابة حيث حرر الفكر الاوروبى من النطاق الضيق التقليدى الميت كذلك فإن الغرب مدين للعرب بادخال الكثير من الاصطلاحات والآلات الموسيقية وقد تفوق المسلمون كثيرا فى الفن النقشى واشغال الذهب والفضة والآنية من مختلف الانواع كما تأثرت الفنون المعمارية فى الغرب بعناصر الفها الاسلام.

وفى القانون والمعاملات الانسانية كان المسلمون فى الناحية القانونية مقيدين بمبادىء الزامية يفرضها عليهم تراثهم الدينى ولكنهم على الرغم من هذا القيد استطاعوا ان يساهموا بنصيب وافر فى هذه الناحية ويعزى اليهم بعض النظم القانونية مثل الشركات المحدودة وبعض نظم القانون التجارى وبوجه عام فإنه لا يوجد شك فى ان المستوى الخلقى الرفيع لنواحى القانون الاسلامى كان له أثر فعال فى تطور الفكر الحديث، وفى التجارة كان الاسلام رائد العالم الحديث فى انشاء الاتحادات التجارية واستعمال الشيكات وخطابات الاعتماد والايصالات ووثائق الشحن.

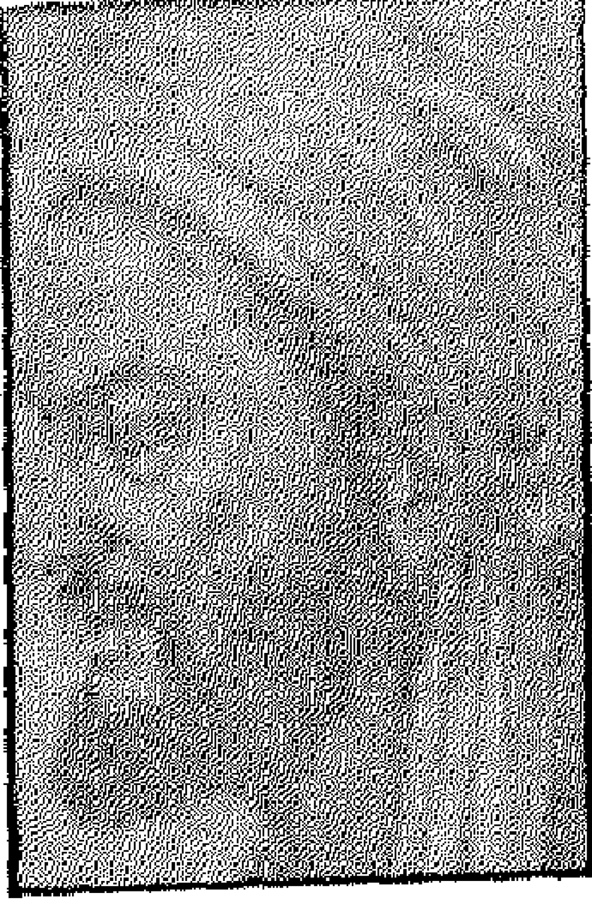

ابن خلدون


الـرازى


الكنـدى


الغـزالى


ابن رشـــد


ابن ســـينا

وتعد اعمال الفلاسفة العرب من اعظم ما امدت به الثقافة الاسلامية الفكر الاوروبى فقد اكتشف العرب الفلسفة اليونانية وبعثوها من جديد خاصة مؤلفات ارسطو وحتى القرن الرابع عشر كانت جامعة باريس لا تعترف بآراء ارسطو إلا على الوجه الذى تحدده تفسيرات ابن رشد ولم يقم الكندى وحنين بن اسحاق وابن سينا والغزالى وابن رشد بمجرد حفظ الفلسفة القديمة ونقلها بل كتبوا عليها الشروح والتعليقات وزادوا عليها.

وكتابات الغزالى وابن رشد على وجه الخصوص كان لها تأثير كبير على فلاسفة اللاهوت المسيحى وفوق ذلك كان من المفكرين المسيحيين الذين تأثروا بفلسفة الغزالى وابن رشد القديس توماس الاكوينى والذى اتفق مع الغزالى فى كثير من المسائل اهمها قيمة الفكر الانسانى فى شرح واثبات الحقائق الالهية والتوصل من مبدأ الافتقار والضرورة إلى اثبات وجود الله ووحدة الله المبنية على كونه كاملا وامكان رؤية ذاته وكون الله عالما وكلام الله واسماؤه الحسنى والمعجزات كدليل على صدق الرسل فى دعواهم وعقيدة البعث بعد الموت.

وقد كان القديس توماس مدفوعا ايضا بتأثير آراء ابن رشد، حينما اجتهد لاثبات ان العقيدة والعقل لا ينافى احدهما الآخر بل يسيران جنبا إلى جنب ولكن فى بعض الاحوال تتخطى العقيدة نطاق الفكر المحض فى مسائل الوحى ثم قرر ان العقل صنيعة الدين وبذلك جعل اللاهوت والفلسفة نظامين يتآلف كل منهما مع الآخر أتم الائتلاف.

وقد ادت كل هذه الاعمال إلى فهم اعمق للدين الاسلامى جعلت مارتن لوثر يقول عن المسلمين «ان نشاطهم **الدينى مثل يحتذى وكذلك حكومتهم الرشيدة وقوانينهم وصدق اخلاصهم وهم يتركون الناس يعتنقون الدين الذى يميلون إليه ولا يكرهون احدا على الكفر بالمسيح**».

غير ان هذه المعانى والانجازات العظيمة لم تدم طويلا اذ بدأ التقهقر يحل محل التقدم منذ القرن العاشر الميلادى.

وانتهت دولة المسلمين بتغلب الفرس عليهم عام ١٠٧١ ميلادية كما سقطت بغداد فى ايدى المغول عام ١٢٥٨م فاضمحلت القوة الاسلامية ثم تولى الاتراك زعامة الامة الاسلامية واستولوا على بيزنطه وبلاد البلقان والمجر وشمال افريقيا والشرق الادنى وهكذا صار لهم من فارس إلى مراكش إلا انهم بعد ما فشلوا امام اسوار فيينا عام ١٦٨٣ تراجعوا القهقرى، ولما اشرق عهد النهضة الحديثة على اوروبا لم يكتف الاوروبيون بدفع المسلمين عن بلادهم بل اخذوا يفتحون بلاد الاسلام قطرا قطرا ووصل الغرب الذى استطاع بمعونة العلماء المسلمين ان يسترد تراثه من السنن الدينية القديمة وتستفيد مدارسه وعلماؤه إلى الدرجة التى لا يحتاج معها إلى الرجوع إلى المصادر الاسلامية واشتغل بتحقيق نهضته وحده وعمل المكتشفون والتجار الاوروبيون على شق طريقهم حول افريقيا دون ان يتعاملوا مع المسلمين بل واهملوا كل اتصال بالمسلمين الذين لم يحفلوا بالمظاهر الجديدة للحياة الغربية التى تقدمت نتيجة للتطور التجارى الصناعى فى اوروبا كما اقفل ابوابه فى وجه العرب ما واتته القدرة على ذلك وإلى ان غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨م واخذ يقذف بمنتجاته الصناعية على اسواق الشرق معطلا أو قاضيا على فنونه وصناعاته القديمة كما شق الغرب قناة السويس فى وسط الاراضى الاسلامية ليصل إلى مراكز مصالحه ومد الغربيون

الخطوط الحديدية والجوية فى هذه البلاد كما لو كانت جزءا من املاكهم الخاصة مباهين بان حضارتهم اعظم وارقى ما وصل إليه البشر.

وهكذا لم تخسر الدولة الاسلامية ديارا كانت تسودها فحسب بل اصابت المسلمين أنفسهم نكسة جعلتهم يتقهقرون سريعا وقد كان هذا الحدث مستغربا ويدعو إلى التأمل فقيل ان المسلمين فقدوا القوة المادية والسيادة السياسية ولكن هذا القول لا يمثل فى نظرنا إلا جزءا يسيرا من الحقيقة إذ ان الاسباب الحقيقية لكل انحطاط تكون اسبابا داخلية قبل ان تكون اسبابا خارجية لذلك نعتقد ان السبب الحقيقى فى ذلك التقهقر يرجع إلى ان القوة الروحية الدافقة كانت قد خمدت واكتفى المسلمون بالتشدق فترة طويلة بالاعمال المجيدة التى قام بها اسلافهم وانصرفوا إلى الخرافات والاباطيل ففقد ايمانهم قوته وصفاءه وحلت الخرافة عندهم محل الدين، والحمية الجاهلية محل العقيدة الصحيحة، والحسد والكراهية محل الحب وهكذا لم يكن تأخر المسلمين بسبب الشريعة الاسلامية كما يدعى البعض بل بسبب الجهل بالشريعة.

هذا وبينما تتضاءل الجهود الاسلامية وتصبح الشعوب الاسلامية فريسة للخلافات المتزايدة حتى فقد الأمل فى انقاذها اكتشفت الشعوب الغربية سرا من اسرار المعرفة ذلك السر الجديد هو العلم التجريبى الذى خلق فى غضون بضعة قرون ثقافة جديدة بل احدث ثورة فى العالم كله فى العالم الروحى وفى العالم المادى معا، ولم يكن للشعوب الاسلامية نصيب من هذا التقدم إذ تقدمت الشعوب الغربية بخطى واسعة جدا على حين وقف المسلمون.

وهكذا فإن الاسلام الذى نهض بالمسلمين نهضته العظيمة ورفع المسلمين إلى الذروة اصبح محجوبا من قبل المسلمين أنفسهم عن واقع الحياة فسقطوا فى الهاوية ومزقت الحروب والصراعات والجهالات العالم الاسلامى وانحرف المنحرفون عن السلام والاخاء والعدل والتى هى من الدعائم الاساسية للاسلام.

«ابن سينا» تحدث عن كيفية تكوين الجبال والمواد المعدنية وناقش تأثير الزلازل والرياح والحرارة.

غير ان العالم الاسلامى لم يستكن إلى هذا الوضع متأثرا ايضا بتراثه المجيد فشهدت البلاد الاسلامية والعربية منذ نهاية القرن الثامن عشر العديد من دعاة الاصلاح والدعوة إلى الرجوع إلى تعاليم الاسلام الحقة ولن ينصلح حاضر المسلمين ومستقبلهم إلا بما قام عليه ماضيهم من دعائم شكلتها أصولهم التاريخية الراسخة دينيا وحضاريا مع مسايرة التطورات الدولية الحديثة والافادة من التقدم المعاصر الواسع المدى فى مختلف المجالات وباعتبار ان الاسلام ثورة خالدة متجددة على الزمان.

وهكذا شهدنا رفاعة الطهطاوى بفكره الرائد يجمع الاصالة الحضارية الاسلامية العربية والتقدم الغربى الحديث فكان نافذة الشرق على الغرب وداعية الترابط الفكرى والمادى بينهما وبهذا وجه الانظار والعقول والافئدة إلى الديمقراطية الحرة والمؤسسات

الدستورية وسيادة القانون والعدل ووجه الجماهير العانية إلى الثورة على الطغيان والاستغلال والفساد ووضع خطة متكاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ولم يكن رفاعة الطهطاوى محدود النظر وانما كان واسع الافق شامل التقدير فدعا إلى انصاف الفلاحين مثلما دعا إلى حقوق الجماهير الكادحة فى شعوبنا العانية.

كذلك فقد دعا جمال الدين الافغانى إلى ان يكون التجديد بين المسلمين سبيلا لتقدم الجماهير إلى مواقع الحكم والمسئولية وبناء حاضرها ومستقبلها وعمل ايضا من اجل مقاومة الغزوات الاستعمارية الاجنبية الزاحفة على بلادنا وديننا وقيمنا وحضاراتنا.

كما وضع محمد عبده منهاجا كاملا للاصلاح الدينى والاجتماعى ويتميز بنظرته المستنيرة فى فهم الدين، دين البشرية كلها والعصور جميعها واثمرت دعوته الى التحرر من آثار التبعية والتقليد والجمود.

كذلك فقد دعا عبد الرحمن الكواكبى إلى انشاء منظمة اسلامية شعبية تضم جمعية مؤلفة من مائة عضو يمثلون الشعوب الاسلامية كما تضم هيئة عامة وهيئة استشارية وتنشىء فروعا فى اقطار العالم الاسلامى.

وتوالت الدعوات الاصلاحية من كافة انحاء العالم الاسلامى فدعا محمد بن عبد الوهاب من نجد إلى اصلاح العقيدة والروح ومدحت باشا من تركيا إلى اصلاح الحكومة والادارة واحمد خان وامير على يؤلفان فى الهند الجمعية الوطنية الاسلامية وجمعية الدفاع الاسلامية ويدعيان دعوة الرواد إلى الاخوة والتعاون بين المسلمين وعلى نفس الدرب سار خير الدين باشا التونسى وعلى مبارك باشا المصرى.

وفى بداية القرن العشرين شاهدنا جمعية الاخوة الاسلامية فى مصر وشاهدنا معها الكثير من نظائرها فى شتى البلاد الاسلامية وقد تبنت الدعوة إلى انشاء الجامعة الاسلامية ومنها جمعية الشراكة الاسلامية فى اندونيسيا برئاسة عمر سيد.

وفى هذا المقام يعتز المسلمون بدور الازهر الفعال على طول الفى عام فقد ظل دائما مركز تجمع للرواد والطلاب من مختلف الشعوب الاسلامية ولا يزال يضم مجتمعا اسلاميا متكاملا من جميع الارجاء.

وهكذا نرى العالم الاسلامى اليوم يبذل قصارى جهده ليدفع عنه التخلف والتبعية التى فرضت عليه فرضا كما تعمل الشعوب الاسلامية على تدعيم قضاياها مستندة فى ذلك بما حباها الله به من موارد معنوية ومادية.

وفى هذه الاوقات المضطربة التى يسود فيها الخوف والقلق يبعث الاسلام فى نفس الوقت وسيلة مثالية وعملية للغاية لحل المشكلات التى ظلت تواجه الانسان فى سائر العصور إلى الآن فهو يحث الانسان على ان يكون ذا ايمان ومن ثم يعده بالطمأنينة والامن والسلام ذلك ان الحماية الوحيدة ضد ما فى طاقة الانسان من دمار هى فى وجود قوة فى داخل نفسه تكبح جماحه وتسيطر على استعماله معدات التدمير أو على اساءة استعمالها. كما انه ليست هناك حماية تضمن الامن للانسان من التدمير الشامل الذرى الذى خلقته عبقريته العلمية إلا فى قرارة نفسه وفى طوايا قلبه.

وقد حاول البعض ان يجد حلا لمشكلة الحصول على الامن للبشر عن طريق التنظيمات السياسية وانواع الرقابة الدولية إلا ان فاعلية هذه التنظيمات يتوقف فى المستقبل على النية الخالصة التى تعقد وتنفذ بها ولكنها فى ذاتها ليست بضمان ذلك ان فاعليتها مستمدة من شىء آخر ومتوقفة عليه.. شىء يتخطى التنظيمات الخارجية وينفذ إلى قلب الانسان نفسه ولابد من البحث عن وسيلة خلاص الانسان فى داخلية الانسان وفى اعماق الروح البشرية حيث يوحى له ضميره وعقله بنظام له واقعية وقيمة تسموان عنه وحيث يتمكن الانسان عن طريق ايمانه من الاتصال بالله عز وجل اعظم هاد لبنى البشر.

وبهذا فإن الازمة الحالية فى حياة البشر وهى ذات أثر على بقاء الانسان نفسه هى كغيرها من الازمات الدقيقة التى مرت فى تاريخ الانسان لا يمكن حلها حلا فعليا إلا عن طريق قوة الدين. . وفى هذا يأتى الدور الكبير الذى يمكن ان يلعبه الاسلام فى انقاذ البشرية من ويلات الحروب والتفرقة والانقسام ذلك ان الشعوب اليوم تدعو إلى ابطال الحروب لما ثبت انها تصيب الغالب والمغلوب على السواء بسبب تداخل الحياة العالمية فى ترابط اقتصادى تام. . فما يفسد هذا الترابط او يخله تقع تبعته على جميع الشعوب بلا استثناء. . ولكن تجنب الحرب لا يكون بالتمنى فهو يقتضى تحديد التسلح وتكافل الامم على حل مشاكلها بالتحاكم إلى العدل لا إلى السيف، واتفاقها على كل من يخالف ذلك بالتألب عليه والزامه حده بالقوة.

وفى هذا فإن الاسلام الذى جاء بالمثل العليا فى جمع الشئون الانسانية جاء بالمثل العليا فى هذه الناحية ايضا فلم يدع إلى اجتماع اساسه القومية ولا الجنسية ولم يعبأ بالأواصر اللغوية ولا التاريخية ولكنه تخطى تلك الاعتبارات الخاصة كلها ودعا إلى المثل العليا للاجتماع الذى ستنتهى إليه الانسانية وهى الوحدة النوعية والاصول الأدبية والمبادىء الخلقية فجاءت مجتمعة ذا صبغة عالمية عامة لا قومية خاصة. وأول اساس وضعه فى هذا الصرح الاجتماعى العالى قوله تعالى: ﴿**يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير**﴾ فبهذا يدعو الاسلام الناس كافة ولا يدعو قبيلة واحدة ولا امة بعينها وقد جاءت جميع آياته داعية إلى هذا المبدأ السامى مبدأ الوحدة الانسانية بصرف النظر عن جميع الفوارق من جنس ولغة ولون وبهذا تلافى اساس الصراعات كلها فى العصر الحديث وهو نظام الدول القومية.

ومن اجل ان يوطد الاسلام اركان هذه الوحدة ويجعلها حقيقة واقعة لا خيالا شعريا كانت الدعوة إلى الدين الجدير بأن يكون دينا عاما للانسانية وهو دين الفطرة التى يتأدى إليها الانسان محفوزا بمقتضيات فطرته لا بتعليم معلم ولا بتوريث مورث ﴿**فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون**﴾ والفطرة تدعو إلى الاعتقاد بخالق الكون وبالروح وبقائها فى عالم وراء هذا العالم وتترتب احوالها هناك على سيرتها فى هذا العالم وعلى حبِّ الحق وكراهة الباطل وايثار العدل ومكارم الاخلاق واقامة دولة الفضيلة فى الارض.

وقد يقول قائل ان كل دين يدعو إلى هذ[ا] فأى مزية للاسلام عليها؟ ونحن نقول نعم والاسلا[م] يقرر انه ليس بدين جديد ولكنه الدين الاول الذى اوحاه الله إلى أول انبيائه فحرفه الناس واخرجوه عن اصوله وتفرقوا فيه وذهب كل فريق بما تخيله منه ينابذ به سواه ويستحل دمه، فجاء الاسلام ليبين للناس كافة ان هذا خطأ مبين وضلال بعيد. . قال الله تعالى: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفى شك منه مريب فلذلك فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم والله يجمع بيننا واليه المصير**﴾ ﴿**ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم**﴾.


الشيخ محمد عبده


جمال الدين الافغانى

فالاسلام اذن لا يتوجه للأمم بوصفه دين جديد ولكن بوصفه انه دين الانسانية كلها وانما اعيد الوحى به نقيا خالصا ليرفع الخلاف الذى اوجده قادة الاديان بغيا بينهم ففرقوا الناس احزابا وشيعا كل حزب بما لديهم فرحون قال تعالى: ﴿**ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء**﴾.

فالاسلام يدعو لتوحيد دين الانسانية وهو الدين الذى فطر عليه الناس جميعا وهو انما تعددت صوره بفعل الرؤساء الذين اقتضت اهواؤهم ان يستغلوا الخلاف بين الناس مواتاة لمطامعهم ومسايرة لمزاعمهم.

فالدين اذن فى نظر الاسلام كل لا يقبل التجزؤ ويشمل ما اوحاه الله إلى الناس كافة واعتبار كل من ارسلهم اليهم فى جميع العصور والاجيال قال الله تعالى ﴿**ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا**﴾.

والاسلام لأجل ان يسد جميع المسارب على التضليلات التى يتذرع بها اصحاب الاهواء لخداع شعوبهم وتفريقهم وحمل بعضهم على معاداة بعض اقام العقل حكما يرجع إليه فى التفرقة بين الحق والباطل وجعل الدليل وسيلة من وسائل الوصول إلى لباب المسائل المتنازع عليها.. وزاد الاسلام على هذا القضاء على الاعتداد بالموروثات من العقائد والتقاليد وجعل كل انسان مسئولا عن نفسه وخاصة ما بينه وبين ربه باسقاط الوسطاء الذين انتحلوا لأنفسهم هذا الحق فى غفلة العقل وفى دور طفولة الانسانية.. فالأديان إذن كانت كلها تدعو إلى عقائد واحدة إلا انها أشيبت بشوائب الآراء البشرية مما لا مناص من التنابذ عليه. ولكن الاسلام يدعو إلى تلك العقائد خالصة من شوائب الآراء. فلا تجد الشعوب المختلفة مانعا يمنعها من الأخذ بها باعتبار انها دين الانسانية جمعاء لا دين طائفة من الطوائف ولا أمة من الأمم فدين الانسانية لا يجوز ان يكون حاملا طابعا من قومية ولا اثرا من عقلية ولا شائبة من حالة نفسية بل اصولا أولية ومبادىء كلية وآدابا عالية.

وهذه الغاية سينتهى اليها العقل البشرى حتما واذ ذاك لا تجد الانسانية فى طريق وحدتها حائلا يمنعها منها، وعند ذاك تكون الاحوال الاقتصادية العالمية قد استقرت على قرار مكين وتكون العلوم قد بلغت شأوا تصلح معه ان تطهر النفوس عن دنس الميول الساقطة وتخلص المدنية من آفاتها الموبقة، فتقوم على سياسة رشيدة فى حكوماتها واخوة صادقة بين جميع وحداتها واذ ذاك يتحقق ما وعد الله به فى قوله ﴿**سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شىء شهيد**﴾.

فالاسلام بما شرعه من جعل أصول الاجتماع قائمة على الأصول الأدبية والمبادىء الخلقية والعقائد الفطرية قد وضع أساس مجتمع عالمى عام ستقوم عليه البشرية حين تبلغ رشدها وتعرف حدها وقد جرى فى ذلك على سنته من الدعوة الى النهايات فى كل الأمور والاهابة إلى الغايات فى جميع الشئون.

إن مجهودا تضامنيا حقيقيا يهدف إلى تحسين فهم الناس من مختلف الأديان بعضهم لبعض لكفيل بمعاونتنا فى تقدير كل منا للآخر وزيادة استقرار العالم وسلامه.

والله من وراء القصد وهو يهدى الى سواء السبيل.

البشرية الأولى

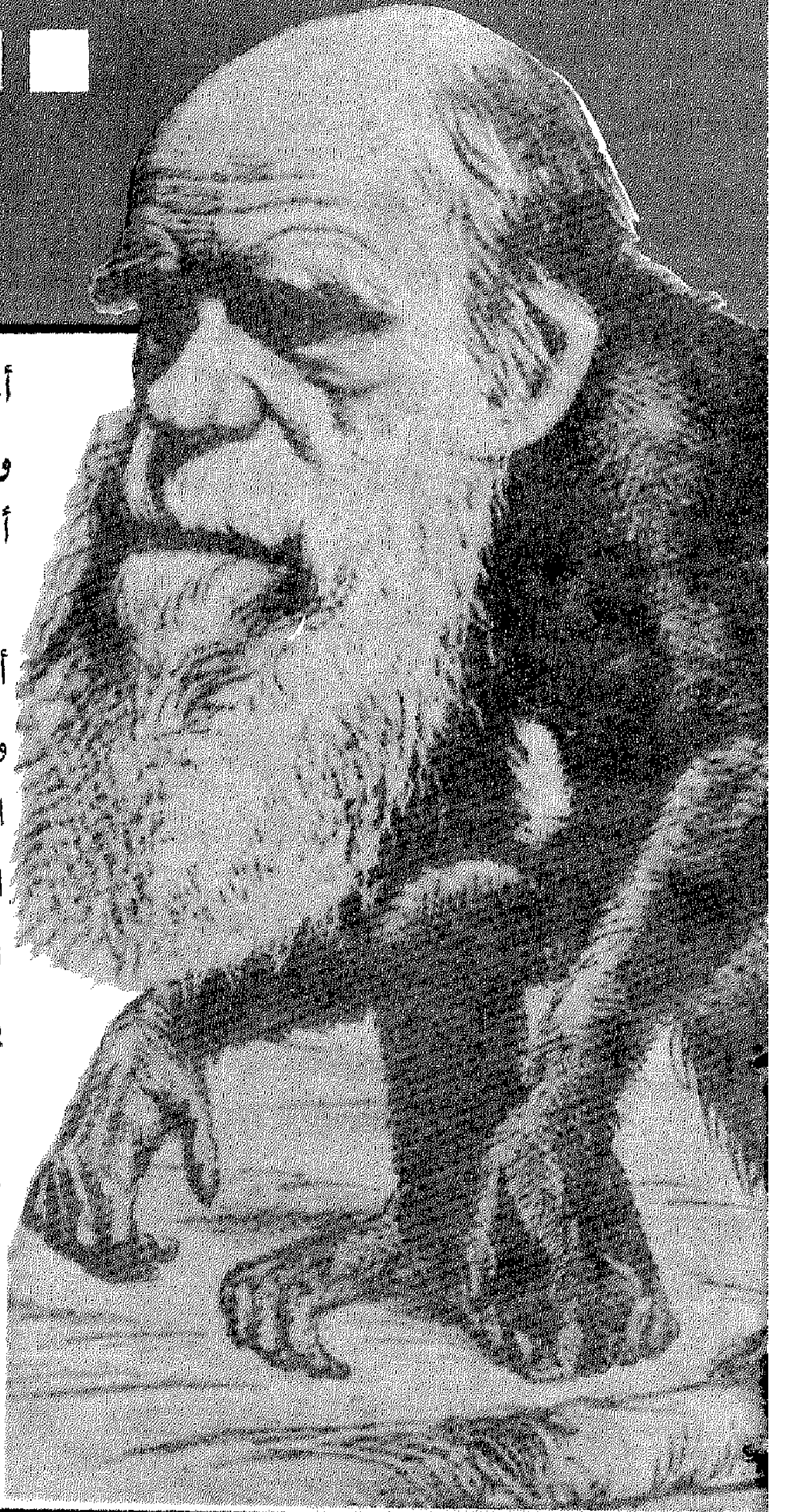
د. إبراهيم علي أبو الخشب

يختلفون فى مبدأ البشرية الأولى ما بين آدم عليه السلام الذى ذكرت قصته فى القرآن الكريم أو آدم آخر سبقه أو أوادم أخرى ضاربة فى بطون التاريخ إلى عهود موغلة فى القدم. وهكذا. . ويقول علماء الأحياء إنهم عثروا على جماجم إنسانية يرجع العهد بها إلى ملايين السنين قبل هذا الرجل الذى عرض الله أمره على الملائكة وطلب منهم أن يسجدوا له. . ولا يعنينا ونحن نكتب هذه الكلمة أن يكون هو واحداً أو أكثر من واحد وإنما يعنينا تلك المعانى التى تقدمها لنا قصته هذه كما جاءت فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بصرف النظر عن تلك المهاترات التى نراها فى الكتب من علماء الآثار - أو الأحياء - وتلك الجماجم التى عثروا عليها. . وحينما يطوف بالذهن هذا الحديث الرائع عن آدم وحواء يتداعى إليه كثير من المعانى الإنسانية التى تمس وجود الإنسان ونشأته واستقراره ورغبته فى الحياة وتطلعه إلى الرقى والتقدم وقصة خلقه ثم خلق حواء منه بعد ذلك. . على هذه الصورة التى تناقلتها الكتب السماوية وعلى رأسها - أو آخرها - القرآن الكريم وهى لا تخلو من أن يكون فى طيها علامات بارزة تشد الانتباه وتعلن عن أشياء متنوعة فى المجتمع العمرانى الذى يقوم على الذكر والأنثى أو الرجل والمرأة من أبناء هذا الأب وهذه الأم الذين كانوا ثمرة تلاقيهما على مساحة هذه الأرض التى ضمتهما معاً. . فآدم يعلن الله إلى الملائكة نبأ خلافته عنه سبحانه فى هذه الأرض التى يدرج عليها ويعيش فوقها ﴿**وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا**

■ ■

جاءت خلافة آدم فى الأرض واستعماره لها أمراً متمشياً مع الفطرة ودوافعها.

■ ■



أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إنى أعلم مالا تعلمون﴾

وكأنما كان اعتراضهم على ذلك قائما على أنهم أحق منه بالرعاية والتكريم والتقدير والاحترام.. وغاب عنهم أن إمعانهم فى الطاعة ومبالغتهم فى العبادة واغراقهم فى الانقياد لله جل وعلا وكونهم مجبولين على الخضوع والخشية وإن كان لافضل لهم فيه لا يكفى لاستحقاقهم لما سيمنحه لآدم من الخلافة فى الأرض.. وآدم قد توفر له ما لم يكن لهم.. ولو فطنوا لما كان منهم فى بادىء الأمر إلا الإذعان المطلق.. فآدم من جنس هؤلاء الذين ستكون له الخلافة عليهم.. وميل الجنس للجنس وأنسه به وارتياحه له والتفافه حوله وانجذابه إليه من الأمور التى لا

تنكرها الطبائع والعادات. . وهو كذلك سيكون فى الأرض التى هى طينته الأولى التى منها عنصر وجوده. . ومن شأن هذا أن يربطه بها ويجذبه إليها ويدفعه إلى عمرانها. ويبذل الجهد فيها لتعطيه مكنونها من الخير ومدخراتها من البر وأحسن ما تجود به من العطاء.

والملائكة مع التسليم لهم بأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ماذا يكون موقفهم من قوم يباينونهم كل المباينة وفى فطرتهم الاقتراف وفى طباعهم الانحراف وفى سلوكهم الاعوجاج وفى هواهم الميل. . وكل بنى آدم خطاء، كما جاء فى حديث رسول الله ﴿ﷺ﴾. . والذى يلتمس العذر لهذا الإنسان إنسان مثله لا محالة. . وفى القرآن الكريم **﴿إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى﴾** ولا يستقيم حال الفرد فى غير بيئته ولا مع من ليسوا على جبلته. . وهذا مذهب مقرر عند علماء الاجتماع. . ومن هنا كان آدم عليه السلام مرشحا لتلك الوظيفة بطبعه. ولو لم يكن له من المزايا غير هذا لكفاه. . وكون الله تباركت آلاؤه علّمه الأسماء كلها ثم عرضها على الملائكة فلم تعرف منها قليلا ولا كثيرا كان للإقناع الوقتى. . ليذعنوا بأفضليته عليهم رجاء أن يطمئنوا إلى أن مرجحا ما كان فى جانب آدم عليه السلام بصرف النظر عن كون هذا المرجح علما أو غير علم. . والمرجح فى واقع الأمر هو أنه سيعيش فى الأرض التى هى عنصره ومع قوم يشاركونه فى الأصل والطباع والميول والأهواء على أن العلم بالأسماء الذى جاءت به الآية الكريمة **﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾** كان رمزا لشىء آخر يخفى على كثير من أصحاب العقول. . ذلك هو أن آدم وحواء مقبلان على تقليد جديد أو حياة أسرية يكون فيها آدم رب بيت أو أباً لأبناء. . والأب إن لم يكن له من كفاية العلم والإدراك والبصر والمعرفة ما يساعده على تدابير الأمور وتصريف الشئون والنهوض بالأعباء والكياسة فى علاج الأشياء لا يمكن أن يكون ربانا لتلك السفينة ولا سيدا لهذا البيت ولا قائدا لهذه المسيرة ولا موجها لتلك الجماعة التى يتولى زمامها. . وليس هنا لك إنسان يتصدى للقيام بمسؤوليّة طائفة من الناس يجهل كيف يسوس أمورهم ويطب لأمراضهم ويداوى عللهم ويدفع الأذى عنهم. . وكبير الأسرة أو عائلها لابد أن يكون فيه من الرشد وعنده من البصر وله من الدراية ما يساعده على أن يكون واقفا فى الصف الأول منها.

وإذا تركنا كل هذه الخواطر جانبا وانتقلنا إلى ذلك الخاطر الذى يتعلق بحواء وخلقها من آدم ـ على أى شكل من الأشكال كما قدمنا ـ أدركنا إلى أى مدى ربط المولى جل جلاله بين هذين النفسين ـ آدم وحواء أو

الرجل والمرأة ـ وخلق منها زوجها ليكون حنين كل منهما للآخر وبحثه عنه وطلبه له. . وهو ميل طبيعى أشبه بميل الجزء إلى الكل أو الشىء إلى بعضه. . وقد صور هذا الحنين وذلك الميل ما زخرت به كتب الأدب والتاريخ على مدى العصور من شغف الرجل بالمرأة وشغفها هى كذلك به. . وكان حديث حبهما مليئاً بشكوى كل منهما ما يعانيه من فراق أو صد أو إقبال وإدبار. . وربما كان ذلك سببا فى بعض الأحـايين فى كراهية الحياة وإرادة التخلص منها فلما جاء الإسلام كان أقوم علاج داوى به هذا الجرح وقضى به على ذلك الداء أو أنهى به تلك الآلام، هو أن تكون الرابطة بينهما أبدية لا تهددها القطيعة ولا يكدرها الانفصال. . وجعل لذلك وثيقة مكتوبة أو غير مكتوبة يشهد عليها رجلان أو رجل وامرأتان. . واعتبر ذلك منة يقدمها لكل من الرجل والمرأة توفيرا لاستقرارهما وضمانا لسعادتهما وتأكيداً لسكونهما، وعنواناً على امتزاج روحيهما وهى الحياة التى لا يجدها الناس فى غير هذا الارتباط النبيل والاجتماع الكريم والتلاقى الذى كان نزولاً على طبيعة الأشياء وحكم الفطرة، ودستور الحياة. . حيث يتبادل الطرفان الحنان والحب والحدب والعطف والألفة والود ويحس كل منهما الاحساس الأكيد بأنه يكمل صاحبه وأنه يمتزج به وأن جنة أحدهما فى جوار أخيه. . وهذا هو الذى يوصى به الإسلام ويطلبه ويدعو إليه ويحث عليه. . وكأنما كان يقول لكل واحد منهما بعد هذا الرباط الذى سمى به كل واحد منهما زوجا: أنت منذ هذه اللحظة أصبحت اثنين لا ينفصل كلاهما عن صاحبه ـ (أنتَ مضافا إليك هى. . وأنتِ مضافاً إليك هو) ـ والزوج من الأعداد هو العدد الذى كمله آخر ليكون لهما نصف صحيح ومنه كانت كلمة زوج للرجل والمرأة اللذين تقوم عليهما الأسرة وكأن صيرورة كل منهما زوجاً تتوقف على صاحبه. . وهو من غير هذا الارتباط لا يكون زوجا. . وهكذا كانت قصة آدم وحواء التى كانت حديثا عن البشرية الأولى قصة امتزاج نفسين وارتباط روحين، أو حنين نصف إلى نصفه الآخر ليكمل به وجوده وتتحقق به سعادته.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

ميل الجنس للجنس وانجذابه إليه أمرٌ لا تنكره الطبائع والعادات

الحلقة الخامسة والأخيرة

موسى والتوحيد في رأى فرويد

بقلم الأستاذ الأحفل
احمد عبد الغفور عطار

إذا كانت المسيحية واليهودية قد قامتا على خوارق العادات والتنبؤ بالغيب فإن الاسلام قد نزه نفسه عن اتخاذ هذه السبل فجاء للعقل يقنعه ويرضى به حكما . . ونبى الإسلام جاء بالمساواة بين البشر فى الحقوق والواجبات ولم تكن المساواة التى جاء بها وطبقها ونفذها ليرتفع هو بها من حضيض بل ليمحو الفوارق التى فرضها السادة ليحموا أنفسهم بهذا التمييز . . لم يجىء بالمساواة ليرتفع . . لأنه كان بنسبه وحسبه فى أعلى مكانة فى العرب دون استثناء ، فهو فى السنام ولم ينزل بنفسه إلى السفح رغبة فى المساواة الدنيا بل رفع العبيد والعامة إلى مكانة السادة فتمت له المساواة العليا وساوى بين ملوك الجاه والثروة والمكانة وعبيدهم فلم يطغ العبد ولم يهن السيد بل عاشوا إخوة متحابين فى الله .

فإذا استطاعت عقيدة الإسلام أن تضمن هذا وقد ضمنته فذلك من براهين كمال عقيدته .

ونحن لا ندعى أن الإسلام هو وحده دين التوحيد فى جميع العصور بل كل الديانات السماوية كانت ديانات توحيد قبل أن يحرفها المحرفون من أتباعها .

ولكن التوحيد الإسلامى يمتاز عن تلك الديانات بإنسانيته وعموم رسالته وعلى احتوائه هو وحده دون كل ديانات التوحيد السماوية مثل ديانة نوح وإدريس وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويونس ويوسف وموسى وعيسى على خواص تجردت منها دياناتهم، لأنها كانت مقصورة عليهم وعلى أقوامهم ومحدودة بحدود الزمان والمكان لا تتجازها.

وديانات التوحيد التى سبقت الإسلام كانت خاصة ومحلية ولهذا حوى من العقيدة والشريعة ما يصلح لكل زمان ومكان.

وآية هذا الصلاح أنه صلح خلال أربعة القرون الأولى لأمم الحضارة المتطورة المتقدمة مثل بيزنطة ومصر وفارس والهند والصين أتم صلاح.. ولهذا صرّح رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام فى فجر الدعوة الإسلامية أنه مبعوث إلى العالم كله بل إلى الإنس والجن كافة.

وسبقت الإسلام ديانات غير سماوية إلى التوحيد ولكن ليس كتوحيد ديانات السماء بل هى توحيد السيادة وفرض دين الغالب على المغلوب وليس فيه من عدالة التوحيد شىء

فالأمة القوية الغالبة تفرض دينها على الأمم المغلوبة.. فرب الغالبين مفروض على المغلوبين والملك المنتصر ملكهم جميعاً.. فتوحيد الإله شبيه بتوحيد الملك، ملك واحد فى الأرض هو ملك العالم ورب واحد هو ملك السماء، وكلاهما يأخذ الصبغة العالمية باعتبار الأرض التى هى العالم فى نظرهم مِلْك الملك المنتصر وربه هو رب الجميع.. وكما قضى الملك المنتصر على الملوك المغلوبين قضى إله الغالب على إله المغلوبين وبذلك تم التوحيد فى العقيدة وفى الحكم والسيادة.

وليس هذا التوحيد ضماناً للحقوق وليست به المساواة بين المربوبين والمحكومين مضمونة فالأمة الغالبة هى التى تملك الحقوق وصاحبتها. والأمم المغلوبة ليس لها حق معلوم ولا حرية مضمونة.. فلا مساواة فى ظل هذا التوحيد ولكنه «استعمار» مقصود منه إذلال المغلوبين وتجريدهم من عقيدتهم ومن ملوكهم.. فلا عقيدة إلا عقيدة الغالب ولا حكم إلا له.

"كلما كان نصيب الانسان من مكارم الاخلاق أوفر كان حقدهم عليه أشد وأكثر."

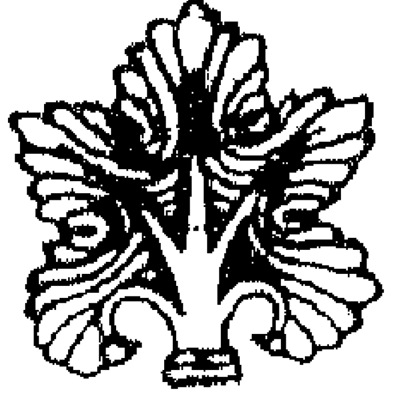
خاتمة

على مدى خمس حلقات متتالية تجولنا مع أستاذنا أحمد عبد الغفور عطار فى دراساته وبحوثه الممتعة الرصينة حول دحض وتفنيد مفتريات الصهيوني الحقود فرويد التى تطاول فيها على الإسلام ورسول الإسلام وزعم فيها ما لا يقوم له دليل ولا تسنده حجة أو منطق..

والمنهل إذ يقدر هذا الجهد الفكري الدقيق الصحيح من أستاذنا العطار ولهذا الدفاع الواعى لصالح الإسلام والمسلمين.

يسأل الله أن يمد بمدد منه ويتم عليه نعمته.

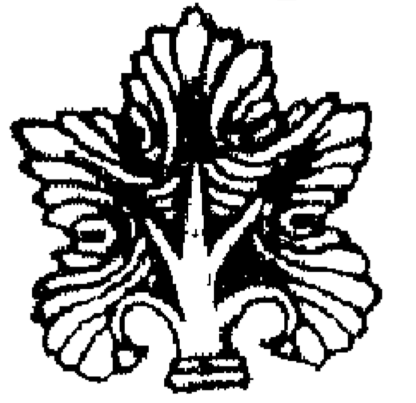
وهذا تجرد هذا التوحيد من القيم الإنسانية وضمان الحرية والحقوق كما تجرد من منح الهداية للمغلوبين. فإذا انتصرت فارس على المدن والبلدان التابعة للروم فرضت دياناتها عليها. وكذلك الأمر بالنسبة للروم.



أما الإسلام فغير ذلك. فحق أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أقطاب صحابة نبى الإسلام محمد ﴿ﷺ﴾ هو حق العبيد سواء بسواء إذا دخلوا فى الإسلام.. وقد ارتفع العبيد كبلال الحبشى وعمار وأبيه ياسر إلى أعلى مكانة فى الإسلام.

وإذا تركنا الأفراد واتجهنا إلى الأمم نجد الأمر نفسه. فالأمة المغلوبة التى دخلت فى الإسلام مثل مصر والشام وفارس تتمتع بحقوق الغالبين أنفسهم ولا تمييز فى حق أو واجب لأن الهداية والإيمان والرشد والحق للإنسان أيا كان هذا الإنسان لا فرق بسبب اللون والجنس واللغة فالعقيدة ساوت بين الجميع فى الحقوق والواجبات.

فميزة توحيد الإسلام على كل أنواع التوحيد، سواء أكان توحيداً صحيحاً جاء به الرسل عن الله أم توحيد السيادة والغلبة والانتصار.



إن توحيد الإسلام توحيد الإنسانية كلها. كل إنسان فى ظل توحيد الإسلام يتمتع بالحق الذى يتمتع به الرسول وصحبه والملوك ومن يسمون السادة، لأنه لا سيد ولا مسود فى رحابه. كلهم عبيد الحق الذى هو الله.. وعبيد الحق وحده هم الأحرار حقا لأنهم لا يتعبدون غير الواحد صاحب الحق فى العبادة ولا أحد سواه يستحقها.. لا ملك مقرب ولا نبى مرسل.. بل الملائكة والرسل كالناس جميعاً فى العبودية ولا تفاضل بينهم ولا تفاوت إلا بالتقوى.

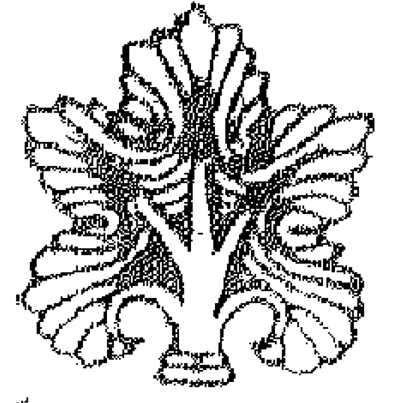
وكذب جولد زيهر اليهودى المجرى وأمثاله الذين زعموا أن محمداً أخذ عقيدته الدينية من اليهودية والمسيحية أو من غيرهما.. وها نحن أولاء قد عرضنا عقيدة التوحيد عند محمد ﴿ﷺ﴾ وعند غيره من يهود ومسيحيين ووثنيين وهى عقيدة تخالف كل ما سواها.

وأما زعم جولد زيهر أن «تبشير النبى العربى ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها أو استقاها بسبب اتصال بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التى تأثر بها تأثراً عميقاً (١)» فهو زعم باطل يهدمه الحق وواقع التاريخ ومحتوى كل الديانات التى أشار إليها جولد زيهر وأمثاله من المعادين للإسلام.

فمحمد ﴿ﷺ﴾ سافر مرتين إلى الشام.. الأولى مع عمه أبى طالب وسافر وحده إلى الشام فى تجارة لخديجة وهو فى الخامسة والعشرين ولم يكن لديه من الوقت ما ينفقه فى دراسة الديانات.. ففى السفرة الأولى كان طفلاً صغيراً.. وفى الثانية مشغولاً بالتجارة ولم يُقِمْ بالشام إلا ريثما يبيع ما معه من سلع ولم يطل غير أيام معدودات لا تتيح لأى امرىء أن يدرك خلالها من أمور المسيحية وغيرها من الديانات ما يمكنه من اختراع دين كامل.. ومن المستحيل أن يثمر التلفيق دينا كاملا.

وإذا فرضنا أنه استقى عقيدته ودينه من الديانات الأخرى أو بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والنصرانية فلماذا لا يعلن دعوته إلا بعد خمس عشرة سنة من رحلته إلى الشام.

إن زيهر لم يدَّع أن نبى الإسلام استقى معارفه فى رحلته ولكن الرحلة إلى العالم المسيحى وفيه شراذم يهودية لا حول لها ولا طول يجب أن تكون أول مصدر لاستقاء هذه المعارف فإذا التقى الاستقاء عقلاً ومنطقاً وواقعاً من الرحلة فقد بقى لدينا مجال آخر سنقف عنده ونتبين حقيقته.



إن العقل والمنطق والواقع تنفى الاستقاء من الرحلة لأنه عاد منها ولم يعلن دعوته.. بل عاد من رحلته كما مضى عربياً بعيداً عن الوثنيات وطقوس المسيحية واليهودية.. فلم يثبت أنه ظهر بشىء مما يتصل بالأديان الموجودة وبخاصة المسيحية واليهودية.

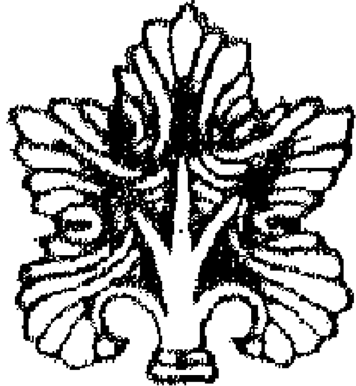
وإن أعداءه لم يذكروا أنه ظهر بعد عودته من الشام إلى مكة بأى عقيدة أو عبادة تتصل بالمسيحية أو اليهودية من قريب أو بعيد من أى دين.

ولم يتهمه أعداؤه من كفار قريش إلا بعد النبوة والصدع بالرسالة وتلاوة القرآن. فزعم مشركو مكة من قريش أن محمداً يأخذ من غيره من العجم ـ وهم غير العرب ـ ما فى كتبهم ويدعيها لنفسه ويزعم أنه وحى.

وهذا الاتهام باطل فقد قال الله تعالى: ﴿قل نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ من ربِّك بالحق لِيُثَبِّتَ الذين آمنوا وهُدى وبشرى للمسلمين(١٠٢) ولقد نعلمُ أنهم يقولون إنما يُعلمهُ بشرٌ لسانُ الذى يُلْحِدُوْنَ إليهِ أعْجَمِىّ وهذا لسانٌ عربىٌّ مبين﴾ النحل: ١٠٢-١٠٣

وسبب النزول «عن عبيد الله بن مسلمة قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار(٢) والآخر جبر، وكانا يقرآن كتباً لهم بلسانهم، وكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يمر بهما فيسمع قراءتهما وكان المشركون يقولون: يتعلم منهما، فأنزل الله تعالى فأكذبهم»(٣)

وذكر الخازن فى تفسير الآية أن يساراً وجبراً عبدان لعبيد الله بن مسلمة كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل.



ولم يكن لسانهما أو لسان غيرهما ممن ذكرت أسماؤهم فى بعض الروايات عربياً.. ولم تكن التوراة والإنجيل مترجمين إلى العربية فى عصر الرسول ﴿ﷺ﴾ ولم يكن الرسول يتكلم غير العربية بل كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب.

وهذه الأمية تحتم عليه أن يكون الاستقاء عن طريق التلقى الشفوى المباشر، فيلقنه معلموه أو معلمه من المسيحيين أو اليهود بلسان عربى ولكن لم يثبت أن أحداً تفرغ لمحمد يعلمه التوراة والإنجيل أو يعلمه ديانات العرب الجنوبيين أو ديانات غيرهم.

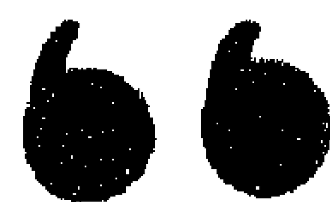
ولم تعرف العربية ترجمة «الكتاب المقدس» فى عهديه القديم والجديد إلا باخرة من الزمن.. ولم يكن بمكة «مركز ثقافى» لأى دين من الأديان بل لم يكن مركز كهذا بمكة وضواحيها.. بل ان الشعر العربى فى عهد ما قبل الإسلام خال من ثقافة دينية مسيحية أو يهودية وما ذكر من بعض الألفاظ الخاصة لا يبرهن على تأثير هاتين الديانتين فى الوثنية العربية الجاهلية.

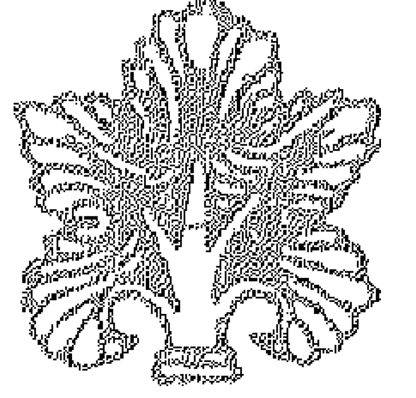
وإذا تصفحنا ما جمعه الآباء اليسوعيون مما سموه «شعراء النصرانية» يثبت أن الشعراء الجاهليين لم يعرفوا النصرانية. وإذا كان استعمال بعض الكلمات الخاصة دليلاً على أن أولئك الشعراء كانوا نصارى فإن فى الشعر العباسى شعراً كثيراً مليئاً بالألفاظ النصرانية.

وعلى أى حال لم يثبت قط أن لليهودية والنصرانية أثراً فى الحجاز وبخاصة مكة ووجود نصارى فيها لا يقضى بوجود مركز ثقافى لأسفار الكتاب المقدس.



لا أثر لليهودية والنصرانية عقيدة وشريعة فى الوثنية المكية ولم يكن بمكة كنيسة قط.

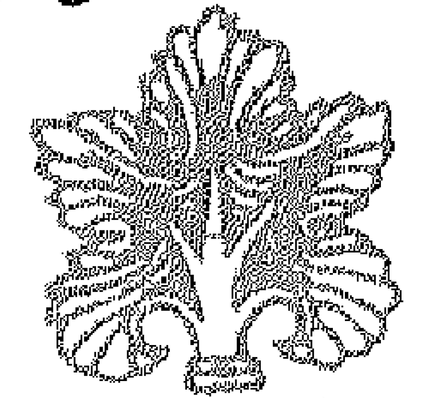




وما دام من الثابت الذى لا خلاف فيه أن مكة خلت من الثقافة الدينية واليهودية والمسيحية خلواً تاماً فإن من الطبيعى الا يكون لها أثر فى المكيين ومحمد منهم . . وليس وجود «الحنفاء» دليلا على وجود مركز ثقافى دينى لأن الحنفاء يعدون على الأصابع وكانوا بعقيدتهم فى شبه عزلة عن الذين يعايشونهم من الوثنيين . . وكون محمد من الحنفاء لا يقتضى أخذه من اليهودية والنصرانية هذه «الحنيفية» التى دان قبل البعثة بها لأن «الحنيفية» فى جوهرها دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام واهتدى محمد بفطرته السليمة إليها فلم يسجد لصنم قط . ولم يدع وثناً ولم يعبد غير إله إبراهيم رب السماوات والأرض خالق كل شيء .

بل كان محمد منفصلاً عن بيئته فى مسائل العقيدة والاخلاق وآداب السلوك والاجتماع . . وكان «نادرة» بين الناس جميعاً بمكة يؤمن بالوحدانية ويكفر بغير الله . . ولا يأتى بعمل يأباه الضمير والخلق، بل كان اللهو مباحاً لأهل مكة يحضرون حفلات الغناء . . بل لم يكن على الفاسق حرج فدور البِغاء مقصودة من الْعِلْيَة دون أن يطعنهم طاعن .

ومع هذا ترفع محمد ﴿ﷺ﴾ عن كل ما لا يليق بالكامل من الرجال . صدوق، كريم، نظيف اليد والقلب واللسان . لا يغش، ولا يكذب، ولا يخدع ولا يمكر بل كان أعلى نموذج للإنسان الكامل فى الجاهلية وأنظف فتى فى قريش .



والبيئة الجاهلية وثنية وبيئة مكة جاهلية محض . . ومكة ملاذ الوثنية وقاعدتها فكان المسجد الحرام مقصد العرب ومحجتهم فكانت الكعبة تحوى من الأصنام والأوثان والنصب ما يمثل معتقدات العرب الوثنية .

ولا أثر لليهودية والنصرانية عقيدة وشريعة وآداباً وسلوكاً فى الوثنية المكيَّة التى عاش فيها محمد دون أن يدين بها .

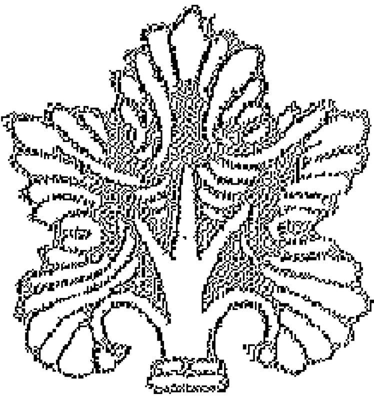
ولم يكن للكنيسة سلطان على مكة وأهلها وأربابها، ولا لأفراد النصارى بمكة ولا لليهود بالمدينة أى أثر دينى فى مجتمع هاتين المدينتين، ولم يكن بمكة كنيسة قط .

وإذا افترضنا وجود أثر دينى عميق فى مكة والمدينة وفى الحجاز وفى العالم العربى كله فإن من الحتم الذى لا بد منه أن يكون بين أيدى العرب ترجمة عربية للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ولكن عدم وجود هذه الترجمة يقضى على كل زعمة من تلك الزعمات .

وعدم وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس ينفى نفياً قاطعاً زعم من يزعمون أن الإسلام صورة أنشأتها اليهودية أو المسيحية أو كلتاهما معاً .

وجميع المكتبات فى العالم دون استثناء خالية من ترجمة عربية للكتاب المقدس فى عصر النبى محمد ﴿ﷺ﴾ ولم يدَّع أحد قط ـ حتى أعدى أعداء محمد والإسلام وحتى جولد زيهر وأضرابه ـ وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس فى عصر محمد بل أثبت باحثون مسيحيون كبار أن العربية لم تعرف ترجمة العهد الجديد (وهو الإنجيل) إلا بعد أربعة قرون من بعثة نبى الإسلام .

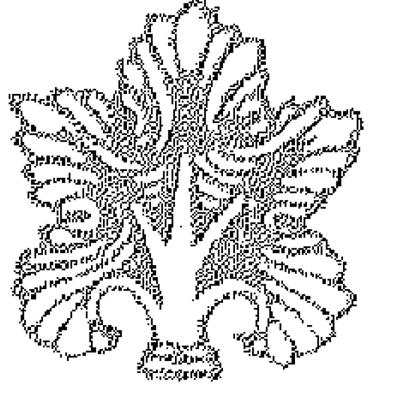
إن بعثته كانت سنة ٦٠٩ ميلادية وأول نص عربى للإنجيل كان سنة ١٠٦٠م .



وقد اعترف الأب هنرى لامنس (١٨٦٢-١٩٣٧م) وهو مستشرق بلجيكى بقوله : «لو أن الفكرة اليهودية المسيحية قد تغلغلت حقاً فى الثقافة والبيئة الجاهلية فإن من غير المفهوم ألا توجد ترجمة عربية للكتاب المقدس، وهنالك حدث مؤكد فيما يتصل بالعهد الجديد (الإنجيل) وهو أنه حتى القرن الرابع الهجرى لم تكن قد وضعت له ترجمة عربية، نعرف هذا من مصادر الغزالى(٤) الذى اضطر إلى أن يلجأ إلى مخطوط قبطى كيما يحرر(٥) رده» .

ويقول الأستاذ مالك بن نبى فى كتابه «الظاهرة القرآنية» ص٢٥٤ .

«ذكر الأب شدياق R.P.Chediac الذى اضطر إلى البحث فى كل ناحية عن المصادر الإنجيلية التى استخدمها الفيلسوف العربى فى تأليف «الرد(٦)» حين كان يريد ترجمة مؤلف الفيلسوف أن أول نص مسيحى ترجم إلى العربية كان مخطوطا بمكتبة القديس بطرسبرج، كتب حوالى عام ١٠٦٠م بيد رجل يسمى ابن العال» .



ولم يكن الرسول العربى الكريم ﴿ﷺ﴾ يعرف العبرية ولا السريانية ولا أى لسان غير اللسان العربى.. ولم يكن فى المسلمين من يعرف العبرية فأمر رسول الله زيد بن حارثة: «تعلم كتاب يهود فإنى ما آمنهم على كتابى» فتعلم زيد العبرية وأجادها قراءة وكتابة وكان يترجم للرسول ما يصله من رسائل يهود.

وهذا لا يترك مجالاً للخلاف فى عدم معرفة الرسول والعرب سواء أكانوا مسلمين أم مشركين لغة يهود حتى يطلعوا على الكتاب المقدس لديهم.

وما دام ذلك ثابتاً، وعدم وجود ترجمة عربية للكتاب المقدس فى عصر النبى الكريم إلى القرن الرابع الهجرى ثابتاً فمن أين يتأتى له العلم بالديانة اليهودية والنصرانية وغيرهما من الديانات؟.

ولم يكن لمحمد ﴿ﷺ﴾ صحبة بالنصارى واليهود، ولم يثبت أن له صلة ود وصداقة أو صلة تعلم بنصرانى أو يهودى.

فبدء الخليقة فى القرآن - ونقصد بها خلق آدم وحواء - يتفق مع سفر التكوين فى البدء ولكنه يختلف قصة وأداء اختلافاً كبيراً وكذلك القول فى قصة إبراهيم ولوط ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم اختلافاً مبيناً.

فلو كان محمد عليه صلوات الله وسلامه مستقياً دينه من اليهودية والمسيحية لما خالفهما عقيدة وشريعة مخالفة لا لقاء بينه وبينهما بتة.

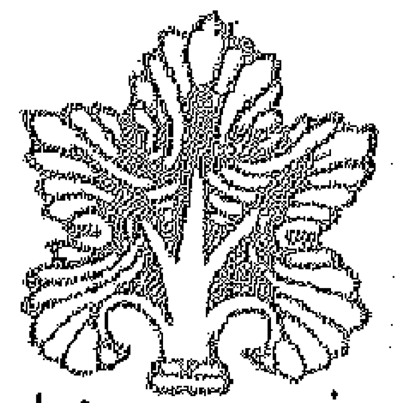
وليس هناك دليل على تأثر محمد تأثراً عميقاً أو غير عميق بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها إلا الدعاوى التى يرسلها جهلة حاقدون أو علماء مبغضون يعادون الإسلام ونبيه أبشع عداء لأن الإسلام دين توحيد حق ودياناتهم وثنية محض.

وأين هذا التأثر ومحمد أنكر على اليهودية والنصرانية والوثنيات أشد الإنكار وحاربها حرباً،

● كل الديانات السماوية كانت ديانات توحيد الخالق وحده قبل أن يحرفها المحرفون من أتباعها

● كل المعتقدات والديانات الأرضية قامت على توحيد السيادة وفرض دين الغالب على المغلوب.

وكل هذا يدل دليلاً لا ينقض على أنه لم يستق دينه من أحد وكان غير عارف بما حوى الكتاب المقدس.. وكل ما قص من قصص الأنبياء والمرسلين وأخبارهم وأخبار أممهم إن هو إلا وحى أوحى إليه به فأظهره للناس.



والفرق كبير بين قصص القرآن وقصص الكتاب المقدس ولا لقاء بينهما إلا فى المادة القصصية والحادثة مع الاختلاف - أيضا - فى جوهرها.. وما أشد المخالفة بين القرآن والكتاب المقدس فى وصف الله وفى سير الأنبياء ومعتقدهم بحيث يتحول اللقاء إلى قطيعة وفراق.

ولا لقاء بين عقيدته وعقائد كل الديانات التى وجدها قائمة فى عصره.

والاتفاق فى الأسماء لا يحتم الاتفاق فى المسميات والمحتوى، فالله فى دين محمد غير الله فى النصرانية واليهودية والوثنيات جميعها، فكيف يتهم بالتأثر والاستقاء وهو يخالفها كل المخالفة؟.

إن محمداً ﴿ﷺ﴾ طلب إلى أهل الكتاب أن يلقوه على كلمة سواء فلم يجد منهم غير الصد ولو كان متأثراً بما لديهم لعانقهم وعانقوه ولكنهم أبوا وصدوا عن الكلمة السواء وما طلبهم إليها إلا لأنه

مدرك أنهم أهل كتاب يدينون به فرجا أن يكون الإيمان موضع لقاء، والحق حكما والخير مطلباً فلم يسمعوا ولم يرغبوا فى الكلمة السواء فهادنهم وعاهدهم. ولكنهم نقضوا وآذوا وتآمروا.

وهؤلاء الذين يتهمون نبى الإسلام يجهلون كل الجهل أيسر ما تترك الآثار فى النفس الإنسانية.. فجولد زيهر يقول فى نبى الإسلام: «لقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلى أعماق نفسه، وأدركها بإيحاء قوة التأثيرات الخارجية، فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعتبر هذه التعاليم وحياً إلهياً».

وكلنا يعلم أن من يتأثر هذا التأثر العميق لا يستطيع الخلاص منه ولا يستطيع أن يقف موقف النقيض المخالف ولكننا نرى نبى الإسلام ينكر على تلك الأفكار ويحاربها.. فكيف يزعم جولد زيهر وأمثاله أنه اعتنقها؟ إنهم يزعمونها بدون دليل، فكل دعاواهم بلا بينات.

وموجز القول: أن الله سبحانه وتعالى فى الإسلام هو غير الله فى اليهودية والمسيحية وفى جميع الديانات التى كانت قائمة فى عهد رسول الإسلام.. ولا وجه للقاء بين الإسلام والديانات الأخرى.. فالعقيدة الإسلامية فى الله جل جلاله تخالف كل المخالفة جميع الديانات.

فالله فى الإسلام رب العالمين.. واحد أحد.. لا شريك له ولا ندّ ولا شبيه ولا مثيل ولا صاحبة ولا ولد.. وكامل كمالا مطلقاً متنزهاً عن كل النقائص.

أما فى الديانات الأخرى بما فيها اليهودية والمسيحية فالله عز وجل ليس واحداً أحداً، بل هو ثالث ثلاثة فى المسيحية وفى البرهمية والبابلية وغيرها، وفى اليهودية «واحد» يتكرر ويتعدد، وله أشباه ونظائر يعترف إلههم «الواحد» المسمى «يهوه» بآلهة الآخرين كما يعترف اليهود عباد يهوه بأولئك الآلهة وإن كانوا لا يعبدونها، والله جل جلاله فى الوثنيات جميعها أصنام وأوثان.

فالله فى دين الإسلام هو فى الواقع وعلى التحقيق غيره فى جميع الديانات بلا استثناء فالزعم من قبل جولد زيهر وأمثاله بأن محمداً رسول الإسلام ﴿ﷺ﴾ قد أخذ دينه من اليهودية والمسيحية وغيرهما هراء، وأى هراء، بل هو باطل كل الباطل دون مراء.

وكل الباحثين من اليهود يصدرون فى بحوثهم عن حقدهم المتضرم على الناس جميعا، وكلما كان نصيب الإنسان من مكارم الأخلاق أوفر، كان حقدهم عليه أشد وأكثر.. وهذا تفسير حقدهم ونقمتهم على الإسلام ورسوله وأمته.. مع أن اليهود لم يتمتعوا قط فى تاريخهم بأمن وحرية ورخاء حتى فى عهود استقلالهم وإنما نعموا وتمتعوا فى ظل الإسلام وحكم المسلمين. ولكن.. لا غرابة من تنكر اليهود لمن أحسنوا إليهم وعدائهم البشع للعرب ولكل شعب مسلم وللإسلام ورسوله الأكرام محمد ﴿ﷺ﴾، فلا جرم أن نجد فرويد وجولدزيهر وغيرهما من أبناء جنسهم يتجنّون على دين الله الحق تجنيا لئيما.. ولقد صدق الله إذ قال فيهم وفى أمثالهم: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ التوبة ٣٢.

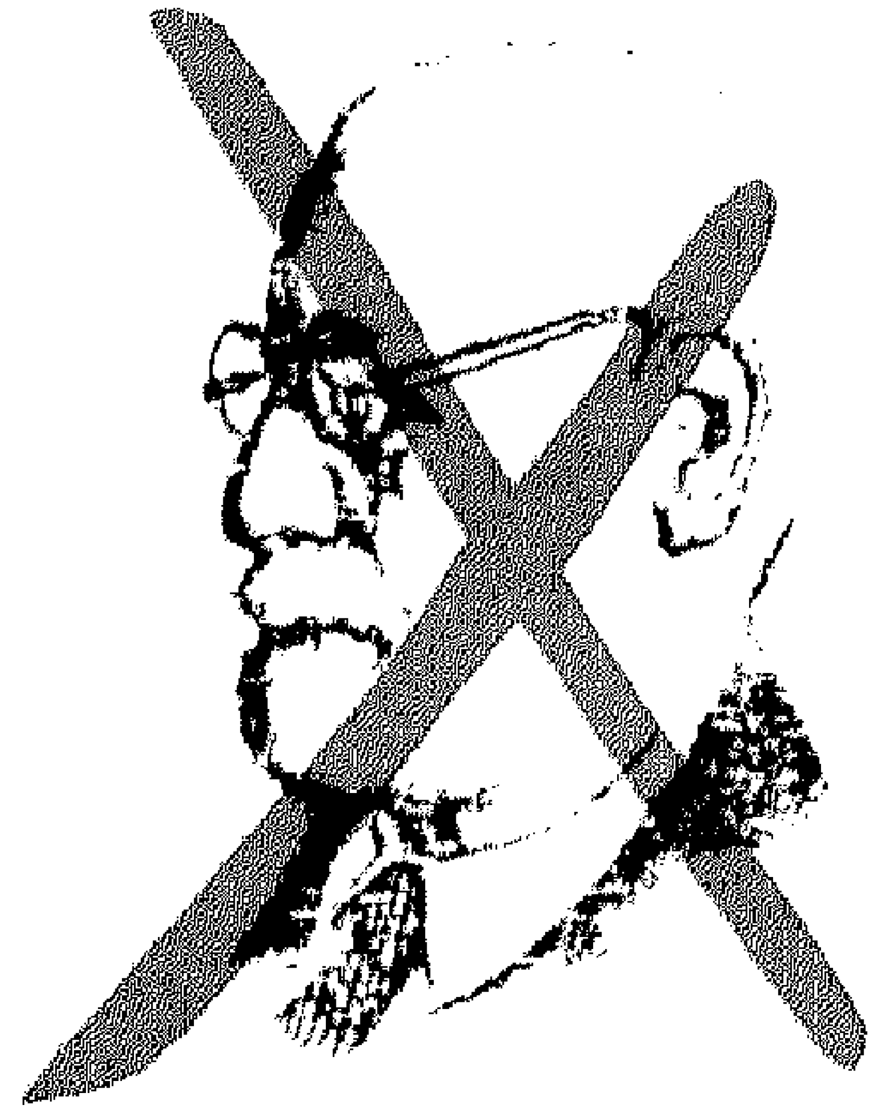
وهؤلاء الكافرون فرويد وجولدزيهر وفون كرايمر لا يقصدون البحث العلمى وإنما يقصدون أن يضللوا قراءهم فى أوربا وأمريكا بالافتراء على الإسلام ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام.. وهم يعتقدون بأن تشويه الإسلام يمكنهم من تقويضه بزعماتهم وأباطيلهم حتى لم يَدَعُوا له شيئاً إلا نالوا منه وأسرفوا فى النيل منه حتى انتهى بهم الافتراء على الإسلام بأن جعل بعضهم من الديانات التى سردوا أسماءها وقارنوا بينها وبين الاسلام مقارنة حاقدة تنتهى إلى تأييد بحوثهم وآرائهم القائمة على أن الإسلام خليط من تلك الديانات.. وقرر فرويد فى جرأة مغرورة أن الإسلام تكرار لليهودية وأكد هذا الافتراء فى مواضع كثيرة وبعبارات مختلفة كثيرة أيضا فى مؤلفه «موسى والتوحيد».

وفرويد وجولدزيهر وفون كرايمر زعموا باطلا وادعوا على الإسلام غير الحق. فما الإسلام كما زعموا. فهو دين يغاير اليهودية والمسيحية فى العقيدة والعبادات والشريعة والمعاملات والآداب والسلوك ويغاير الديانة البرسية

والمانوية وغيرهما من الديانات التى زعم فون كرايمر أن الإسلام تلفيق منها.

وإذا كان هناك اتفاق فى الأسماء والعناوين فليس معناه الاتفاق فى المسميات والمحتوى.

واتفاق الإسلام مع اليهودية والمسيحية والوثنيات فى الاعتقاد بالألوهية وفى الله الحق جل جلاله وفى اليوم الآخر وأركان الإسلام والإيمان وفى العبادات لا يؤدى إلى وحدة العقيدة والعبادات والفرائض والمقاصد الشرعية فإذا اتفق فى الأسماء فما أشد الخلاف فى المسميات والمحتوى.



ونعود إلى فرويد لنختتم بحثنا هذا بذكر ما علق به الدكتور عبد المنعم الحفنى مترجم كتاب فرويد «موسى والتوحيد» على الفقرة التى مر استشهادنا بها، وها هو ذا نص التعليق:

«يردد فرويد كلام كثير من المستشرقين ويرد عليهم الأستاذ العقاد بأن التشابه بين الأديان المنزلة يعود إلى أن المصدر واحد وهو الله ثم إن الإسلام يعترف باليهودية والنصرانية وإن كان يخالفهما فى أشياء كثيرة، يقول القرآن: ﴿ليس البرّ أن تُوَلُّوا وجوهَكُم قِبَلَ المشرق والمغربِ ولكن البرَّ من آمنَ بالله واليوم الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين﴾ ولعلنا نلاحظ أن فرويد يبنى كتابه كله على الظن ويركب الأحداث تركيبا يخدم غرضه النهائى وهو إعلاء شأن اليهود والديانة اليهودية على سائر الأمم والديانات وربما كان أعجب أحكامه تعسفا هو قوله عن توقف التطور الداخلى للإسلام وأن الإسلام ينقصه العمق وليس هذا إلا لأن مؤسس الإسلام لم يقتل بينما قتل مؤسس اليهودية.. إذن.. قتل المؤسس هو عمق اليهودية ومع ذلك فنفس السبب لا يعمق المسيحية مع أنه يقر بقتل مؤسسها ولا يعمق ديانة أتون مع أنه يقرُّ بمقتل أخناتون، شىء غريب وتحامل غريب ومنطق غريب.

الحقيقة ان ما يسمى العداء للسامية هو رد فعل لعداء اليهود لغير اليهود، أو عداء السامية لغير الساميين يقول القرآن: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتىَ موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ الآية ٨٤ سورة آل عمران.

ولو أردنا الرد على فرويد فى كتابه «موسى والتوحيد» وتفنيد دعاواه وأباطيله ومفترياته على الإسلام ورسوله الأعظم محمد «ﷺ» وعلى المسلمين لاقتضانا ضعف هذه البحوث ولكننا لم نكن نقصد إلى ذلك وإنما أردنا أن نرد على بعض مفترياته فى التوحيد بعامة وفى توحيد موسى كما يقرره القرآن وفى توحيده كما تصوره التوراة المزورة وفى رد ما افترى على الإسلام.

المراجع

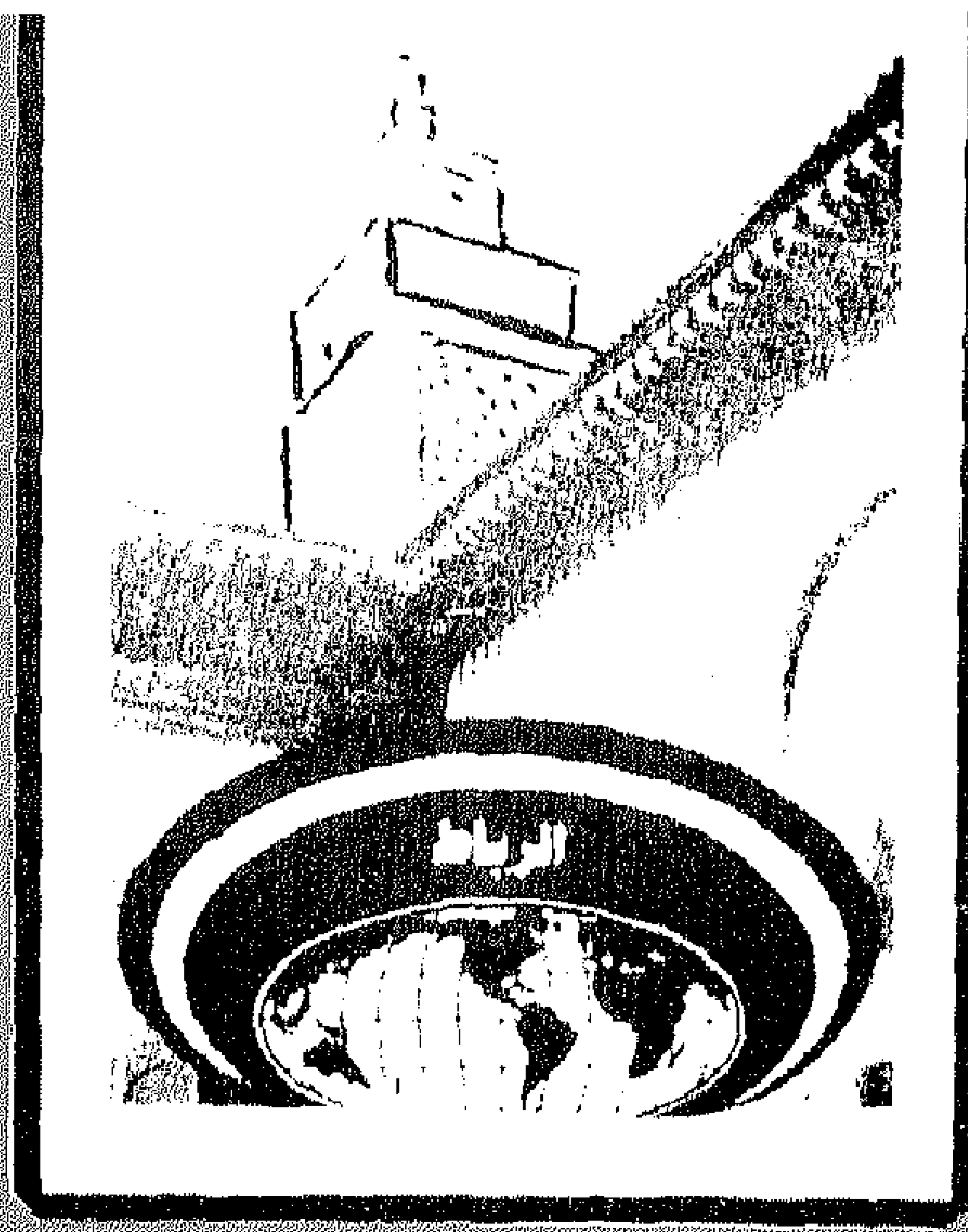
(١) كتاب «العقيدة والشريعة فى الاسلام» لجولد زيهر ص٥

(٢) فى تفسير الخازن ٤: ٩٤ يكنى أبا فكيهة.

(٣) أسباب النزول للواحدى ص٢١٢

(٤)، (٦) المقصود بالفيلسوف العربى: حجة الإسلام الإمام الغزالى، وكتابه هو «الرد على من ادعى الوهية المسيح بصريح الإنجيل

(٥) كتاب «الظاهرة القرآنية» تأليف مالك بن نبى ترجمة عبد الصبور شاهين ص٣٥٤



مهمة علماء الإسلام

قال الرسول الاعظم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم: **(ان الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر)** . . ولست بحاجة لان اذكر بمقام العلم فى الاسلام وفى الحضارة الاسلامية فهو الأس الذى قامت عليه وسائل اداء الرسالة الملقاة على العلماء لبناء المجتمع الاسلامى الذى هو أحد عناصر العقيدة والشريعة فى الاسلام، وللعلم قيمة كبيرة فى هذا المجتمع هى انه شريك الايمان فى الصعود الى قمة الهداية التى يصل اليها الانسان، لقد جمع الاسلام بين الايمان والعلم لان الثانى سبيل الاول، ولانه مضاد الكفر الذى يقرنه الاسلام بالجهل، قال تعالى: **﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾** وقال: **﴿قلْ هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون، انما يتذكرُ اولوا الألباب﴾**.

وسواء كان الايمان نتيجة الوحى والعقل كما يقول الأشاعرة، أم كان نتيجة الوحى وحده أو العقل وحده كما يقول آخرون، فإن الوحى علم والعقل علم وادراك لمعقول ومعلوم، والايمان تيقن بالمنقول واستدلال بالمعقول، واثره بسلوك وعمل اى ممارسة للمعلوم ومطابقة له، وبذلك يصبح الايمان والعلم مقترنين وكأنهما شىء واحد.

والعلم في الاسلام لا يخص ما يرجع للعقائد والشرائع ولكنه يعم كل ما يمكن ان يعلم ويؤدي الى استكمال البناء الصالح للمجتمع مما يتوقف عليه وجوده من دين ودنيا وسياسة وتقنيات وغيرها، منها ما هو فرض عين واجب على كل مكلف ومنها ما هو فرض كفاية اذا قام به من يسدون حاجة المجتمع اليه سقط الطلب عن الاخرين والا كانوا جميعا متحدين في المسؤولية.

وقد سارت الحضارة الاسلامية في عهودها الزاهرة على مبدأ المشاركة في العلوم مع التخصص في بعضها اى أن العلماء المسلمين لم يكونوا بعيدين عن الثقافة العامة مقتصرين على ما يتخصصون فيه من العلوم. رغم عدم اهمالهم التخصص وذلك على عكس الاتجاه الذي تسير به الحضارة الغربية الحديثة التي تجعل من المتخصصين افذاذا فيما يتخصصون فيه بينما تبقيهم شبه اميين في المسائل العامة التي يحتاج اليها كل مجتمع لبنائه او ترميمه واصلاحه.

وخريجو دار الحديث اليوم على رغم انصرافهم مبدئيا بدراسة علوم القرآن والحديث وما نسميه ببعض علوم الالة أو المسعفات فمن الضروري ان يكونوا على بينة من التطور

”إذا رأيت الهوانسيغ تعمى عليك فاحذره“

”لو بقي مسلم واحد في وسط شلة من المنحرفين أو الكافرين لكان فيه المنقذ الذي يقوم بواجب الإحياء والتجديد“



للمجاهد الكبير الأستاذ / علال الفاسي

الذي ينشأ في المجتمعات الحديثة والتيارات المتضاربة التي يعيش فيها العصر ومقارنة الملل والنحل الحديثة واستخراج الادلة الناجعة من الكتاب والسنة التي تعطي المقياس الصحيح للحكم على كل ذلك والتعريف بالنافع له والضار والموافق للاسلام والمعارض له.. هذه الصفحات هي التي تجعل العلماء قابلين لتحمل المهمة الملقاة على عاتقهم وهي مهمة الدعوة الى الله، والتعريف بالاسلام الحق ومناصحة الامة بحكامها وشعبها بما يجب ان تسير عليه في بناء المجتمع الصالح، والحضارة النافعة والثقافة الشاملة.

وقد اصبح الكثير من المسلمين اليوم وفي جملتهم أهل العلم والفكر مرضى بعقدة سمو الغرب وعلومه ووسائله وانحطاط المسلمين ومعارفهم وذلك بما بلغ اليه الغرب من تقدم حضاري وصناعي لا ينكر ولكنه لا ينبغي أن يؤثر علينا في ايماننا بانفسنا وبقيمة الاصالة التي لتراثنا الثقافي والحضاري على الرغم مما يغطي عليه من غبار الاجيال المنحطة والصور المنحلة والقيم المختلفة، المهمة الاساس للعلماء ان ينفضوا ذلك الغبار عن تلك الجواهر الكريمة من ثقافتنا وعلومنا

وحضارتنا وان يعتبروا انها كانت العطاء الاصيل الاكبر للانسانية، استمد منها الغرب والشرق وبنوا عليها ما اعطوه هم الاخرون من تقنيات حديثة وتطور في مواجهة الحياة والتغلب على عقباتها والتطلع الى بناء العالم الافضل الذى تنشده الانسانية جمعاء، ذلك العالم الذى لا يقوم ولا يتم الا بعودة الروح الاسلامية للمجتمع المعاصر، أى الا اذا أصبح العلم والدين اخوين متوازيين فى المعرفة وفى الهدى للانسانية، وهذه ثانية المهمات التى يتحملها علماؤنا الابرار الذين قدروا العلم الاسلامى قدره وآمنوا بانه الحق من ربهم وبأنه الغاية من دعوة الاسلام التى لابد منها لهداية البشرية شاهدة فى كل زمان ومكان.

إن المهمة الاساس للعلماء هى أن يزيلوا عن نفوسهم ونفوس المسلمين قاطبة تلك العقدة التى خلفها المستعمرون فى نفوسنا حينما تغلبوا علينا واستعمروا اوطاننا وبهرتنا حضارتهم ومعرفتهم فأنستنا ما كان لنا من مجد وما فى مقدساتنا من كنوز خفية لابد من أن تبرز متى اعددنا للعلم قيمته الى جانب الدين ومتى آمنا بالغاية التى خلق الله الانسان بها انه انسان لها، أى خلافة الله فى الارض وعمارتها وبناء المجتمع الاسلامى العالمى فيها، وان لنا فى وصايا الرسول ومبشراته ما يجعلنا نتيقن بان هذه الامة ستبقى خالدة بخلود القرآن ﴿انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون﴾ وليس يعنى الله بحفظ القرآن بقاءه فى المصاحف وفى الاوراق ولكن فى الصدور وفى العقائد والشعائر والشرائع، وذلك هو المجتمع الربانى الذى يقوم على اكتاف العلماء الوارثين لرسالة النبوة واعلامها.

لقد روى الامام مسلم عن ابن مسعود رضى الله عنهما ان رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال:

(ما من نبى بعثه الله فى امة قبلى الا كان له من امته حواريون، واصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون ما لايؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل).

هؤلاء الخلوف هم الذين يبشرون بعظمة الاجنبى وضعف الاسلام كدين وكثقافة وحضارة، اولئك الذين ينادون دائما بالحرية ولكنهم يقرون الاستعباد ولو لم يبلغوا من الحكم نصيبا ويدعون للاخاء وهم يظلون يعملون على التفرقة بين الناس بخلق التيارات والدعوة للنظريات المستجلبة التى تعمل على هدم قيم الاسلام وربانية الحكم، كما يبشرون بالمساواة وهم لا يعرفون الا التعصب لاصحابهم والتغلب على خصومهم والدس على من لا يتفق معهم فى فكر أو دين، هؤلاء الخلوف هم الذين يعملون على خدمة الاجنبى ونصرة مبادئه التى يستعملها لتكون اسباب تسلطه الدائم على بلاد المسلمين، وهم الذين يرفضون كل وحدة قائمة على الدين أو خاضعة لروح الاسلام الصحيح أولئك الذين يتخذون فلاناً وعلاناً أنداداً من دون الله يحبونهم كحب الله بل يكفرون بالله الواحد الاحد ويقدسون قادة التيارات الجديدة التى يؤمنون بها تقديس اسلافهم الماديين للاصنام والاوثان، واذا ذكرت امامهم اقوالهم اعتبروها القول الفصل والكلام الذى لا يقبل محاجة ولا معارضة لانها تمثل التقدم ولو كانت عامرة بالخرافة والمخالفة لمقتضيات العلم الحقيقى الحديث، لان العلم نفسه عندهم لا قيمة له الا اذا كان خاضعا لمبادىء قادتهم ونظريات سادتهم الذين اضلوهم السبيل.

اليس من مهمة العلماء ان يقوموا بواجب التوضيح لما فى هذه الاعمال الخلوفية من جاهلية جديدة وانحراف عن السبيل الانسانى الصحيح، وبالدعوة الى العودة للنبع الصافى لكتاب الله وسنة رسوله دون تخل عما يمكن ان يستجد من معلومات العصر ومبتكرات الفكر ومبادرات التقنيات، فالمطلوب منا أن نستمر فى طلب العلم وان نأخذ الحكمة اين وجدناها.

لقد سبق للغربيين أن أخذوا عنا. فلا مانع من أن نأخذ منهم ونعرض ما نأخذه على ما نحتاجه، وعلى مقاييس فلسفتنا وثقافتنا.

ولقد بينت فيما سلف أن اسلافنا استمدوا العلوم من القرآن من لفظه وارشاده ومن الحاجة الضرورية لتنفيذ اعلامه وتنظيم الوسائل المؤدية الى غاياته علما بأن الوسائل تعطى حكم مقاصدها، فواجب علمائنا اليوم أن يتعاطوا الدراسات ويقوموا بالمقارنات والمقابلات فيهتدوا الى كثير من المعارف الجديدة أو يزيدوا على ما يستفيدونه من الغير اذا عرفوا كيف يصهرونه ويدخلونه في بوتقتهم ثم يستخرجون منه جزءاً من العلم الاسلامي الغض.



ولولا أن للعلماء هذه المهمات العظيمة ولولا أن الله علم انهم لابد ان يقوموا بها وانهم قادرون عليها متى صمموا العزم واستمدوا من قدوة الرسول وصحبه والعلماء السابقين لهم ما جعلهم في مقام الوراثة للانبياء، ولما قال فيهم تعالى: **﴿يرفع الله الذين آمنوا مِنكمْ والذين أوتوا العلمَ درجات، والله بما تعملون خبير﴾** وقال: **﴿شهد الله انه لا الهَ الا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾** فقرنهم سبحانه بنفسه وبملائكته في القيام بالقسط ونشر العدل والدعوة اليه، وقيامهم بذلك يجعلهم شهداء في الارض بوحدانية الله مقيمين عليها الدليل والبرهان عن طريق العلم والعقل والحكمة والفكر.

وفوق ذلك فقد أناط بهم دوام البحث العلمي واستنباط الادلة واستخراج البراهين واكتشاف الانظمة الالهية في الكون وفي الحياة **﴿ألَمْ تَرَ أنَّ الله أنزلَ من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً الوانُها، ومن الجبال جُدَدٌ بيضٌ وحمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيبُ سودٌ ومن الناسِ والدوابِ والأنعام مختلفٌ ألوانُهُ كذلك، إنما يخشى الله من عبادِه العلماء، ان الله عزيزٌ غفور﴾**، وجعل لهذا البحث العلمي الدائم شروطه القائمة على السمع والبصر والعقل والقلب، على الملاحظة والتجربة في المحسوسات والنظر والفكر في المعقولات والممارسة والمجاهدة في القلبيات، قال تعالى: **﴿ولا تَقْفُ ما ليسَ لك به علمٌ، إنَّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ اولئك كان عنهُ مسئولا﴾** فالبحث العلمي يحتاج الى دقة البحث والتبصر والى الاخلاص في تقرير النتائج الامر الذي يستوجب الجو الصالح والحرية الكاملة وعدم تعرض الدولة أو الافراد للحيلولة بين الباحثين ووسائل بحثهم وحرية جهودهم والاعلان عن استنتاجاتهم.

وقد جعل الاسلام العلم شرطا اساسا في الصالحين للحكم وأهل الحل والعقد في الامة فقال تعالى: **﴿وقال لهم نبيهُمْ إنَّ الله قد بَعَثَ لكُمْ طالوتَ ملكاً، قالوا: أنَّى يكون له الملكُ علينا، ونحنُ أحقُّ بالملكِ منه ولم يؤتَ سَعَةً من المالِ، قال إنَّ الله اصطفاهُ عليكُمْ وزاده بسطةً في العلمِ والجسمِ والله يؤتي ملكَهُ مَنْ يشاء والله واسعٌ عليم﴾**.

كان الاسرائيليون يفكرون في ان سعة المال وقوة الجاه هي التي تؤهل الانسان للقيادة العامة للامة لاسيما في حربها لاعدائها فأرشدهم الله الى ان العلم والقوة متى اجتمعا كانا مرجحين لاختيار الشخص القائد أو الملك الحاكم.

لولا أن للعلماء هذه المسؤوليات ما كان لهم هذا القدر العظيم الذي استرشدنا به من كتاب الله عز وجل.

وقد بشرنا الرسول ﴿ﷺ﴾ ان هؤلاء العلماء لا ينقطعـون وان قلة منهم مستبقى لا محالـة للقيام بواجبهـا واداء ما أمرت به، فقد قال عليه السلام (**لاتـزال طائفـة من أمتى ظاهـرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم امر الله وهم على ذلك**).

والطائفة ليست فردا لما يقتضيه المدلول اللغوى ولكنها مجموعة من العلماء المقتدرين الظاهرين بالقوة والحجـة على مناصـرة الحق ولو خالفهم الكثيرون فانهم لا يضـرونهم وان اضروهم بالاذى لانهم هم الذين سينتصرون ويتغلبون، يبقون على ذلك حتى يأتى أمـر الله أى اذنـه بنهايـة العالم. فافراد الامة المتعلمـون المدركون لحقائق الاشياء والمتضلعون فى المعارف الاسلامية وغيرها يجب ان ينضموا لبعضهم ليكونوا الطائفة المتعاونة على الخير وعلى الدعوة الى الله، وعلى نشـر السنـة والذب عن الاسلام ودفع الشبه وتوضيح المتشابه، ومواجهة التيارات المختلفة بما يقتضيه الجدل القرآنى والبرهان العقلى.

ولقد ضرب لنا من سلف من العلماء الاولين من عهد الصحابة فمن دونهم المثل السامية فى النضال من أجل نصر الحق ونشره، وان العلماء فى كل عصر لمحتاجون لان يذكروا هذه النماذج الصالحة ويسيروا على نهجها ويعملوا بسنتها، فاما رسول الله ﴿ﷺ﴾ وصحبه والاكرمون، فاخبارهم تتجاوز كل ما يمكن ان يخطر ببال العظماء، فهم الذين بنوا بيدهم المسجد وحفـروا الخنـدق وحملوا السلاح وصبروا وصابروا. وكانوا رهبان الليل قادة النهار علماء عاملين ومعلمين.

وقـد وصـف ضرار بن ضمرة عليًّا كرم الله وجهـه لمعاوية فقال: «انه والله كان بعيد المديد شديـد القـوى، يقـول فصلا، ويحكم عدلا، يتفجـر العلم من جوانبـه وينطق بالحكمـة من نواحيـه، يستـوحش من الـدنيـا وزهـرتهـا، ويستأنس بالليـل وظلمتـه، كان والله عزيـز الـدمعـة، طويـل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسـه، ويعجبه من اللبـاس ما خشن، ومن الطعـام ما جشن كان والله كأحـدنـا، يجيبنا اذا سألناه، ويبتدئنا اذا أتيناه، ويأتينا اذا دعوناه، ونحن والله مع تقـريبه لنا وقربه منا، لا نكلمه هيبتـه ولا نبتدئه لعظمته. فان تبسم فمن مثل الـلؤلؤ المنظـوم، يعظِّم اهـل الـدين ويحب المساكين، لا يطمع القوى فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدلـه، واشهـد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه، وقد ارخى الليل سجوفه وغارت نجـومـه وقد مثل فى محاربه قابضا على لحيته، يتململ تململ السقيم، ويبكى بكاء الحزين، وكأنى اسمعه وهو يقول: يا دنيا، الىَّ تعرضت أم الىَّ تشوفت. . . هيهات هيهات غرى غيرى فقد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق.»

● العلم فى الاسلام لايخـ
والشرائع فحسب ولكنـ
البناء الصالح للمجتمـ
● سبق أن أخذ الغربيون عنـ
نختاجه على مقـايـ

ذلك على بن أبى طالب مثال الشباب فى فداء النبى يوم هجـرة الـرسـول ومثـال العـالم الحكيم الفيلسوف الذى ينطق بالحق ويعلم الصدق ويهدى الى الـرشـد، ومثـال الخليفـة القـائم على أمر الله الـداعى الى ابقـاء حكـم الرسول كما تركه الرسول والخلفـاء الراشدون، انه تلميذ من تلاميذ المدرسة المحمـديـة وغـرس من غروسهـا، وعلم من اعلام الطليعة فى وقت بدا فيه الطغيان وانتشرت فيه الفتن وعم اتباع الشهوات والانزلاق نحو دنيا الغايات.

حدث الهيثم بن جميل: سمعت شريكا يقول: «ان الله تعالى لا يدع الارض من حجة تكون لله على عباده، يقول لهم ما منعكم أن تكونوا مثل فلان» . . قال شريك «ونرى أن سفيان الثوري منهم» وصدق شريك فان الله يقول في حق الرسول والمسلمين ، ﴿**لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**﴾ والشهادة هنا القدوة التي تكون حجة على ان الاسلام قابل التنفيذ وليس مثاليا محضا. وكان الواجب ان يسير المسلمون على هذا المنهج حتى يكونوا حجة لغيرهم ودليلا على تعاليم الاسلام، ولكن لا أقل من أن يقوم بذلك العلماء الذين يجعلهم الله نماذج يحتذى حذوهم الآخرون ويغيرون الحال ليصبح موافقا لما يقتضيه الدين.

وصـدق شريك في اعطائه سفيان الثوري مثالا لهذه النماذج الحية من العلماء، لقد كان صادقا في علمه صالحا في سلوكه، قائما بواجب الدعوة امارا بالمعروف نهاءاً عن المنكر.

حدث النضر بن زرارة ان ابا جعفر طلب الثوري فأدخل عليه، قال (فأقبل ابو جعفر على سفيان بالملامة يقول له: تبغضنا وتبغض عترة رسول الله ﴿ﷺ﴾ والثوري يقول: سلام سلام ثم رفع الثوري رأسه . . فقال: اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿**الم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد** وفرعون ذي الاوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا **فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب، ان ربك لبالمرصاد**﴾ .

فنكّس ابو جعفر رأسه وجعل ينكث بقضيب في يده الارض، فقال سفيان: الوضوء الوضوء ثم خرج عنه).

وكان التقاه بمنى فقال سفيان لابي جعفر: اتق الله فانما انزلت هذه المنزلة وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والانصار، وابناؤهم يموتون جوعا.

صح عمر بن الخطاب فيما انفق الا خمسة عشر دينارا وكان ينزل تحت الشجر.

فقال ابو جعفر لسفيان: **اتريد ان اكون مثلك؟** قلت لا تكن مثلي ولكن كن دون ما انت فيه وفوق ما انا فيه . .

فقال لي اخـرج.

وكان سفيان يقول: اني لادعو للسلطان ولكن لا استطيع ان اذكر الا ما فيهم . ويقول لا يأمر السلطان بالمعروف الا رجل عالم فيما يأمر، عالم بما ينهى رفيق فيما يأمر، رفيق فيما ينهى عدل فيما يأمر، عدل فيما ينهى.

حدث الوليد بن شجاع بن الوليد: قال، قال ابي: كنت اخرج مع سفيان . . . . فما يكاد لسانه يفتر عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهبا راجعا، وسأله رجل كيف اصبحت يا ابا عبد الله قال:

تسألني كيف اصبحت وقد والله تحيرت، اللهم ابرم لهذه الامة امرا تعز فيه وليك وتذل فيه عدوك، ويؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر.

ذلك مثل صالح من علماء المسلمين في عصر ازدهرت فيه الحضارة وعظم امر الطبقة الحاكمة والغنية. فكان لابد من علماء يدلون على الخير ويخففون من غلواء اهل الدنيا، ويتحملون المشاق والامتحانات في سبيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واداء رسالة العلماء الوارثين على وجهها.

وعبد الله بن المبارك الذى حدثنا كثيرا عن اخبار سفيان الثورى كان هو الاخر مثال العالم الكبير والزاهد العظيم والداعية الناطق بالحق نثرا وشعرا والمجاهد بنفسه وماله كله فى الغزو والفروسية وبلغ من امره ان قال فيه شعيب بن حرب : انى لاشتهى من عمرى كله ان اكون سنة واحدة مثل ابن المبارك فما أقدر ولا ثلاثة أيام، وكان اسماعيل بن عياش يقول: **(ما على الارض مثل ابن المبارك، وما خلق الله خصلة من خصال الخير الا وقد جعلها فيه)**. ولم يكن ابن المبارك يرغب القرب من الرؤساء فاذا قاربهم أمرهم ونهاهم وحثهم على فعل الخير، وكان يحج كل سنة ومعه العديد من اهل الفضل يحجون على نفقته ومن حر ماله الذى يكتسبه بعمله، لم يشغله العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر عن طلب المال الحلال بالتجارة ثم التصدق بها جمع رصرفه فى وجوه البر واعانة الملهوف.

دخل على مالك فتزحزح له فى مجلسه وكان مالك لا يتزحزح لاحد فى مجلسه غيره، وكان القارىء يقرأ على مالك، فربما مر بشىء فسأله مالك : ما عندكم فى هذا. فكان عبد الله يجيبه فى الخفاء ثم قام فخرج. فاعجب مالك بأدبه وقال لاصحابه هذا ابن المبارك فقيه أهل خراسان.

وتستمر قافلة العلماء العاملين فى اداء رسالتها والسير فى طريقها لتتحقق بشارة الرسول، فنجد ابا حازم فى زهده وأمره ونهيه يجاهر بالحق ولا يخشى فى الله لومة لائم، كان يقول: (اذا رأيت الله اسبغ نعمه عليك فاحذره)، وهى كلمة عظيمة كأنه اقتبسها من قول الله عز وجل، **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا، أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين﴾**.

وبعث اليه سليمان بن عبد الملك فدخل عليه وقال له: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت. قال: (لانكم أخربتم أخراكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون الانتقال من العمران الى الخراب. قال صدقت. ثم قال: كيف القدوم على الله عز وجل: قال أما المحسن فكأنه غائب يقدم على اهله وأما المسيىء فإنه كالآبق يقدم على مولاه، فبكى سليمان وقال: ليت شعرى ما لنا عند الله يا أبا حازم: قال: اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل فإنك تجد ما عند الله عز وجل فانى اصبت ذلك من قوله عز وجل: **﴿إن الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم﴾**، فقال سليمان وأين رحمة الله. قال: قريب من المحسنين.

ثم تظهر الطوائف والتيارات فنجد نماذج النضال فى سبيل العقيدة السنية والذب العقلى والعلمى عنها ممثلا فى اشخاص عديدين نذكر منهم الامام ابا الحسن الاشعرى رضى الله عنه فمع ما كان عليه من العقيدة والزهد حتى روى ابو الحسين انه ظل قريبا من عشرين سنة يصلى صلاة الصبح بوضوء العتمة، كان لا يحكى عن اجتهاده شيئا الى أحد، ولا تظن أنه كان يقضى ليله كله فى الصلاة فحسب ولكنه كان يصلى ويفكر فى الشبه التى تعرضها المعتزلة والاجانب على عقيدة السنة يبحث عن الشبهة ويدرسها ويضع لها مناهج الرد واساليب الاقناع بالحق.

ويتخرج على الاشعرى نموذج آخر يواصل الله به اقامة الشهادة على الناس. ذلك هو الامام ابو بكر الباقلانى، العلامة، الزاهد، المتعبد، الغزير الانتاج، القوى المناظرة، كان يكتب فى كل ليلة خمسة وثلاثين ورقة تصنيفا من حفظه، فاذا صلى الفجر دفع الى بعض أصحابه ما صنفه فى ليلته وأمر بقراءته عليه وأملى عليه الزيادات فيه. لقد كان احفظ الناس لأقوال المخالفين، وأعظم بداهة فى الرد عليهم، حتى قال عنه محمد بن الحسن الحربى المالكى: ما صنف أحد خلافا الا احتاج أن يطالع كتب المخالفين غير القاضى أبى بكر فان جميع ما كان يذكر خلاف الناس فيه صنفه من حفظه. وقد ذكر له

القاضي عياض ثبتا طويلا باسماء مصنفات.

وبعده جاء امام الحرمين والغزالي والقاضي عياض والطرطوشي وابو بكر بن العربي والشاطبي وابن تيمية وابن القيم، كلهم بذلوا من الجهد ما لا يمكن حصره ويطول بنا ذكره.

وما أتينا بهذه النماذج الا لنبين أن لا سبيل الى اليأس وأن العلم الاسلامي ما يزال قائما بقيام مصادره التي في مقدمتها القرآن والسنة، والرجال في كل عصر هم الرجال لا يختلفون الا بما يدرسونه من علم وما يأتون به من عمل. ولقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لهذه الامة أمر دينها»** واذا أردنا أن نفهم الحديث الفهم الصحيح فان «مَنْ» لاتنطبق على شخص واحد في كل زمان، ولكن «مَنْ» هذه تصدق على الفرد وعلى الجميع حتى ينسجم مع الحديث الذي أسلفناه: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)**. ففي كل جيل حينما تنحرف الامة - وذلك شيء طبيعي - يبعث الله من رجالها اعلاما أفذاذاً يقومون بمهمة البعث الاسلامي.. أما التجديد فلا يقصد به خلق دين جديد أو ابتكار مدلولات لا أصل لها ولكن القصد منه تصيير ما ظهر للناس من علوم الاسلام واخلاقه وآدابه واحكامه وشرائعه بادياً جديداً، أي التجديد غير التجدد، انه يرمي الى اعادة العرض لعلوم الاسلام وآثاره بالاسلوب الجديد الذي يتقبله العصر، وانه يرمي الى أن تدرس الحاجات المستجدة في كل عصر والبحث لها عن الاصول العامة التي يمكن أن تندرج تحتها، وكذلك النظر في التيارات الجديدة والانحرافات والتأولات الفاسدة التي تبدو من داخل قومنا ومن اشعاع التطور الاجنبي علينا ثم التفرغ لقياسها بمقياس الكتاب والسنة والبحث عما يقبل منها وما يرفض.

وذلك لا يتم الا بالاقتداء بأولئك الرجال الذين ذكرناهم وبأمثالهم في سهر الليالي والدرس المتوالي والمناظرة والكتابة والمقارنات لابراز الحقيقة الاسلامية على وجهها وللذب عن الاسلام الذي آمنا به وبأنه الحق من عند ربنا وبأنه صالح لكل زمان ومكان، ولقد رأينا في ما قام به ولي الله الدهلوي والدكتور اقبال ومحمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الافغاني ومن سار على نهجهم من رجال الدعوة الاسلامية في ميدان العقيدة والشريعة انهم حاولوا تجديد العرض لاصول الاسلام ومبادئه ومقارعة خصومه بما استجد من وسائل المنطق والجدل الحديث. ونجد اليوم والحمد لله في كل أجزاء العالم الاسلامي فئات قليلة تصنف وتؤلف وتحاول أن تقوم بهذا الواجب المقدس الذي لا يكون للعالم حل منه الا اذا أداه على أكمل الوجوه.

ولقد رأينا في الغرب ثورات عديدة قامت في العصور الاخيرة لهدم المسيحية والقضاء عليها وهدم الديانات الاخرى ومحوها من الوجود، وبما ان القوات الثورية التي كانت محقة في كثير من الاحيان لاخراج مجتمعها من الفساد أرادت أن تهدم سلطة الكهنوت المتحالف مع الفيودالية والمستبدين ومع ذلك فان رجال الدين لم ينهزموا وان انهزم الكثير من اتباعهم ولم تظهر نظرية جديدة الا وجدت من رجال الكنيسة من يدرسها ويرد عليها ذلك ان رهبان اليوم لا يقتصرون على مجرد النصوص التقليدية يكررونها ولكنهم يضيفون اليها تخصصا في علم من العلوم المحدثة التي يستعملها الخصوم للقضاء على الدين وبذلك استطاعت المسيحية أن تعيش حتى اليوم في هياكلها والمؤمنين بها. ولقد علمت ان البابا أراد ان يصدر جمهرة (دائرة معارف) مسيحية فعين لها الفا وثلاثمائة عالم مختص لم يكن فيهم غير الرهبان اكثر من أفراد يعدون على رؤوس الاصابع

فهذا المثل الصالح يجب أن يحتذيه العلماء فلا يقتصرون على الشهادات الدينية التى يحصلون عليها بل يتزودون بكل ما يمكن من المعرفة حتى يستطيعوا أن يقابلوا العلماء بالعلوم التى يتقنونها وحتى يقدروا على عرض العقيدة الاسلامية والشريعة بالشكل الذى يتقبله مستمعوه حينما يعلمون ما فيه من محاسن تغطى على غيره وذلك امتثالا لقول النبى ﴿ﷺ﴾ «**حدثوا الناس على قدر ما يفهمون. اتحبون ان يكذب الله ورسوله**».

وسيكون فى مقدمة الذين يواجهون الاساتذة طلبتهم الذين جاءوا ليتزودوا منهم ويتعلموا ما عندهم من العلم اولئك الذين جعل القرآن دورهم واضحا فى قوله تعالى: ﴿**فلولا نَفَرَ من كلِّ فرقة منهُمْ طائفةٌ ليتفقَّهُوا فى الدين وَلِيُنْذِروا قومَهُمْ إذا رَجَعوا إليهم لعلهُم يحذَرون. يا أيها الذين امنوا قاتلوا الذين يَلُونَكُم من الكفَّار وَلْيَجِدوا فيكُم غِلظةً واعلموا أنَّ الله مع المتقين**﴾.

هذا الخط القرآنى الواضح يفرض أن يتعلم المسلمون وان ينفروا من أراضيهم الى حيث يوجد العلم الصحيح لكى يتفقهوا فى الدين والتفقه واسع الدلالة انه الفهم وتكوين الملكة والحصول على الاداة اللغوية والعلمية أما مهمتهم بعد الرجوع فهى مهمة العلماء الذين أتموا دراستهم، انذار قومهم لعلهم يحذرون ما يبيت لهم الاعداء من شبه وما يهاجمونهم به من حرب بالعلم واللسان أو بالسلاح وفى مقدمة هذا الانذار القيام بالجهاد للذين يلونهم من الكفار، أى الذين يستولون عليهم ويتسلطون عليهم ويحكمونهم من الكفار وليجدوا فيهم الغلظة الكافية للتحرر منهم وابعادهم عن السيطرة وهذا ما أفهمه من دلالة لفظ يلونكم، أى يستولون عليكم، لا بمعنى يجاورونكم كما يقول الكثير من المفسرين، فان جوار الكافر لا يوجب دائما مقاتلته الا اذا لم يتمكن الصلح والتعاقد على حسن الجوار.

على كل حال من مهمة العلماء التى يلقنونها لطلبتهم ويقومون بها عمليا الجهاد فى سبيل الله ومقاومة السيطرة الاجنبية الكافرة سواء كانت بالحكم المادى أو بغيره، كما يعلمونهم مقاومة رواسبه كهيمنة اللغة الاجنبية على الدولة والتعليم والحياة العامة، أو هيمنة الاجنبى على الاقتصاد الاسلامى والتحكم فيه، وأحرى بالهيمنة على الاقاليم الوطنية التى يتحكم فيها المستعمرون الاشداء ويأبون كلَّ تراجع أو تصالح معنا.

وهذه المهمة لا يمكن ان تقوم وتتم الا بتثبيت العقيدة بالله واليوم الآخر وبالرسول والقرآن على انه وحى من عند الله وبمناهج الاسلام فى التربية والاخلاق وتجنب قشور الحضارة الغربية التى تجردنا من شخصيتنا ومن كياننا.

هذه المهمة التربوية الاساس الملقاة على عاتق علمائنا ضرورة لاقناع الشباب بان ما يدعيه الغرب من ارجاع أسباب نهوضه ونجاحه الى تخليه عن الدين واتباع طريق العلمانية واللادينية ولم يبقوا متمسكين الا ببعض منه، والعودة اليه والى مصادره تعتبر رجعية وردة الى الوراء، والوسيلة الوحيدة هى اتباع الماركسية اللينينية أو غيرها من مبادىء جاهلية العصر القائمة على المادية والالية الدينية ما هى الا ادعاءات كلها تضليل، فالغرب نهض بالعلمانية حقا لانه كان تحت قبضة الكهنوت والفيودالية المتحالفة معه وحيث أصبحت المسيحية عبادة للبابا وممثليه من دون الله كان لابد أن لا ينجح الغرب الا بالتخلى عن الكهنوت، أى عن الخرافة، فنهوض المسيحيين ليس بالتخلى عن الايمان بالعقيدة الاصلية ولكن بالخرافة التى حلت محلها وهى عبادة المسيح ومن يمثله بزعمهم من الاحبار والرهبان كما قال تعالى: ﴿اتخذوا أحبارَهُمْ ورُهبانَهُمْ أرباباً من دون الله والمسيحَ ابنَ مريمَ﴾.

أما نحن المسلمين فليس لنا كهنوت ونحن

علماؤنا بطبيعة ديننا لان كل واحد منا متصل بالله الذى هو اقرب الينا من حبل الوريد لا نحتاج لحَبْر ولا لراهب ليحلل لنا أو يحرم أو ليعطينا الغفران من ذنوبنا التى نعترف بها أمامه، وليس علماؤنا رهباننا ولكنهم ذوو اختصاص فى علم من العلوم التى هى علوم الشريعة كما يختص غيرهم فى الطب أو الهندسة، فاذا رجعنا اليهم فانما لنستفيد من معرفتهم وذلك اذا لم نكن نحن قادرين على ان نجيب عن ما نريد أن نسأل عنه بانفسنا (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وكل واحد منا مجتهد اذا قدر على ذلك.. أما رهبنة الاسلام فهى الجهاد فى سبيل الله وليس الكهنوت المسؤول عن مصير الدين ولكن كل مسلم وكل مسلمة مسؤولون عن حالة الاسلام والمسلمين ومطالبون بان يقاوموا أعداءهم ولذلك لو بقى مسلم واحد فى وسط ثلة من المنحرفين أو الكافرين لكان منه المنقذ الذى يقوم بواجب الاحياء والتجديد، والذى يصدق عليه ما بشر به النبى فى قوله: (من يجدد).

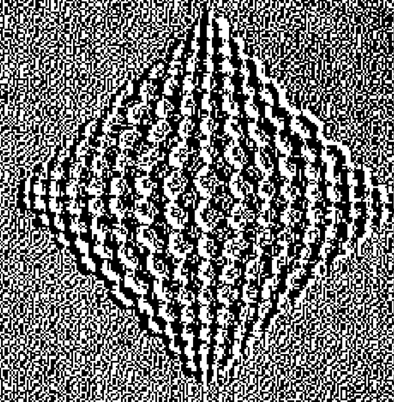
وأما ضعف تمسك المسلمين بالاسلام والابقاء على بعض منه فقط فهذا صحيح مع غاية الاسف ولكنه لا يدعو الى اليأس لان ذلك من طبائع الاشياء كما أنبأنا الرسول بذلك فى حديث الخلوف السابق.. وقد قال تعالى فى كتابه العزيز ﴿لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون﴾ فالصعود للانسان ثم الهبوط ثم الصعود ثم الهبوط شىء ضرورى ولكن الثلة المؤمنة التى تظل تعمل الصالحات ولا ينقطع اجرها هى التى تعود بالمسلمين وبالانسان الى ما خلق عليه من أحسن تقويم وترفعه من أسفل سافلين الى أعلى عليين، فضعف المسلمين أو تخليهم شىء موقوت لابد أن يزول، ولن يزيله خرجوهم عن ملتهم أو قبولهم مبدأ الالينة الدينية، بل بقيام طائفة ظاهرة على الحق بواجبها لرد المسلمين الى حظيرة الاسلام الحق ولو انحرف بعضهم فوقع فى مزلقة الالينة المذكورة فانه لا يضر أولئك العاملين الذين قال فيهم الرسول: (لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله).

ان علماءنا اليوم مسؤولون عن تربية شبابنا وارشاد أمتنا ولكن عليهم لكى ينجحوا أن يعطوا الدليل العملى من سلوكهم وقيامهم بالنضال المستميت فى سبيل الحق، فى بعث الاسلام ثقافة وحضارة وشريعة ولغة كتابة، أما اذا كان العلماء يسكتون عن بقاء اللغة العربية فى الحالة التى هى فيها بعيدة عن كل ميادين الدولة بعيدة عن ميادين وافرة من التعليم بعيدة عن الحياة العامة وعن بقاء لغة الاستعمار مهيمنة علينا فى كل تلك الميادين ولم يتقدموا للدعوة والارشاد معلنين أن زوال لغة الاجنبى فرض أساس لا يقبل الله منا ولا من حكامنا صرفا ولا عدلاً الا بتحقيقه، اذا سكتوا فى هذا فكيف يمكنهم أن يتولوا غيره من المسائل التى هى أدهى وأمر.

واذا كان علماؤنا سيبقون غافلين عن استمرار الاستعمار القانونى وهيمنة القوانين الوضعية المؤسسة على مبادىء الاستعمار ومصالح الرأسماليين الاجانب دون العودة الى شريعة الاسلام التى نجد فيها مالا نجده قطعا فى غيرها من مجموعات الشرائع الخمس فكيف يقال عليهم انهم علماء وانهم انصار السنة وخريجوا دار الحديث، والله يقول: ﴿ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون،﴾ ﴿فاولئك هم الظالمون،﴾ ﴿فاولئك هم الفاسقون﴾.

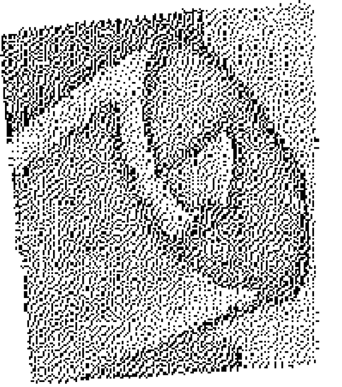
ان من حسن الحظ أن نفحة قد ظهرت باستعداد الدول لاحياء المعاهد الاسلامية لدراسة الشريعة الاسلامية وما يحتاج اليه الطلاب من زاد علمى فالواجب ان يقوم المتخرجون اليوم بواجب الدعوة الى تعميم التعليم الدينى والاخلاقى على وجهه فى سائر مدارس الدول لان طلب العلم ولا سيما الدينى فرض على كل مسلم ومسلمة ولان ذلك وحده هو الذى يحرر فكر طلابنا وشبابنا من الهيمنة والذل والعار





مستحدثات الحضارة الغربية وخمول
الذهن العربي أصابنا بالشعور
بالنقص وعدم امكانية الملاحقة
وانسحب هذا العجز على لغتنا
العربية إذ ما انفكنا نرميها بقصد أو بغير
قصد بعدم مسايرتها وموآكبتها للحضارة
ومستجداتها.. ولعمري هذا خطل
مردود وافتراء ممجوج ذلك لأن
لغتنا كما استوعبت حضارة السابقين
قادرة على استيعاب حضارة اللاحقين

«المنهل»



عندما دعيت للاسهام فى التظاهرة الأدبية التى نظمت تحت شعار (اسبوع التعريب فى العالم العربى) هومتْ فى ذهنى عدة أفكار، وخطرت عدة أوهام أخذت تتجمع فإذا هى تتبلور فى هذا السؤال الذى ألقيته على نفسى : (ماذا يقصد أولا وقبل كل شىء من كلمة التعريب؟)

أى ما هو مدلولها المراد فى عرف الذين حاولوا ان يثيروا مشكلة عن (التعريب)؟ .

والفكر الاكاديمى يحتم على أمثالى قبل محاولة تحديد هذا المفهوم ـ أن ينقبوا فى أضابير افكارهم ليجدوا أو ليعثروا على مدلول ما لكل كلمة. . وكان ان تهت فى مجالات واسعة أرغمتنى على أن أرجع من حيث بدأت لاسأل من جديد عن الدوافع الحقيقية التى من أجلها وضعت كلمة (التعريب).

فمن الأمثال المأثورة، أن **الحاجة أم الاختراع وان اللغة وليدة حاجة الانسان متى أحس بمدلول نفساني ما أن يعطى لذلك المدلول صورة خارجية ملفوظة** ومن هذه الزاوية حاولت ان أجد تحديداً ما لكلمة (تعريب).

لغة الحضارة

بقلم الأستاذ :
عبد الكريم التواتي
من علماء جامعة القرويين
فاس - المغرب

ومن الواضح ان الكلمة مأخوذة من المادة (ع/ر/ب) وهى تفيد اعطاء مدلولات غير عربية جوا عربيا واضفاء اللون العربى عليها من حيث اللفظ أو الجرس الموسيقى ان صح التعبير. . وهذا بالطبع لن يعرض ولن يحدث فى جو عربى لحما ودما أو لحمة وسدى. . وانما يتأتى عندما يحاول العربى تلوين ما انتجته غير أجوائه بالالوان الخاصة الملائمة لجوه هو، لجعل الكلمة مستساغة ومتقبلة من ذوقه العربى الذى كيَّفته ظروف خاصة وبيئة خاصة وأعطته هذه البيئة وتلك الظروف قيما خاصة أصبحت مع مرور الزمن من ذاتياته ومقوماته. . وإذا تتبعنا الحديث من هذه الزاوية وصلنا فى موقفنا من أسبوع التعريب فى العالم العربى إلى النتيجة الحتمية الآتية :

وهى ان تعريب العرب لا يعدو أن يكون من باب تحصيل الحاصل الذى معناه العبث الذى لا طائل وراءه اللهم إلا إذا كان لدينا من الوقت ما نضيعه فى ألاعيب أطفال، الشيء الذى يتنافى والواقع الذى نحياه والمستقبل الذى ينتظر منا أشياء ايجابية هى وضع لبنات حية فى الهرم العظيم الشامخ الذى تحاول الانسانية فى مجهودها عبر الخلود أن ترفعه، وتشيده لتحقيق أمنيتها الغالية التى تنحصر فى إيمان الانسان بأخيه الانسان والعمل على جعلنا نشعر فى قرارة أعماقنا بأن الانسان سيد نفسه والمتصرف فى الظواهر الطبيعية والكونية المحيطة به بما يتفق والرسالات السماوية التى أوجدنا ربُّ الأرض والسماء لتحقيق أهدافها والايمان بجدواها.

فإذن محاولة ايجاد مدلول عملى وعلمى ايجابى لكلمة (التعريب) فى محيط عربى محاولة لا يمكن أن تكون صادقة أو هادفة وبالتالى لا يمكن أن تحمل وراءها إلا تغطية أمر هو أخطر من الظ اهر السطحية،

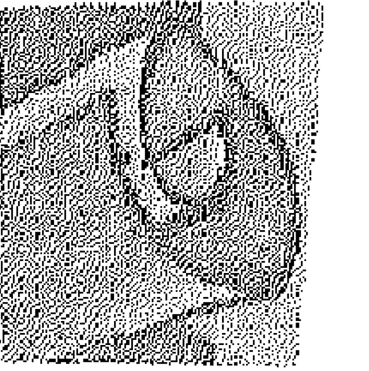
وسنحاول فيما بعد القاء بعض الأضواء على هذا الأمر الخطير فى دائرة الامكان.

كلمة التعريب عبر التاريخ العربى:

ومادة الكلمة قديمة الوجود فى الفكر العربى. . وقد وجدت يوم رأى العرب أنفسهم يواجهون عوالم خارجية عنهم، تختلف أجواؤها وبيئاتها ومحيطها عن أجوائهم وبيئاتهم ومحيطهم الذى ألفوه وعاشوا حياته، ويمكن تحديد هذه الفترة بالفترة التى شاهدت

... والعلوم والفنون

المحاولات الأولى التى اتصل بها العرب بها وراء جزيرتهم ابان كان التبادل التجارى وغيره يجرى بين الجزيرة العربية بما كانت تقوم به قطارات وقوافل قريش التجارية وبين هذا العالم الخارجى شمالا نحو الشام أو جنوبا نحو اليمن وان يكن هذا الاتصال لم يعرف النطاق الأكاديمى بل وربما لم يفكر العرب أولئك فى أن يعطوه هذا المفهوم الذى هو نفسه وليد التفكير الأكاديمى . . هذا التفكير الذى لم يعرفه حتى الانسان المتحضر إلا عندما تجمعت لديه ثروة ضخمة هائلة وتركة عظيمة من مخلفات ورسوبات الماضى فى مختلف النشاطات، ثم وجد الوقت الميت - ان صح التعبير - لاجترار تلك الرسوبات وصبها فى قوالب جديدة ثم صبغها بهذه الالوان التى نحاول نحن اليوم ان نطلق عليها : (الأساليب العلمية) .



ومن الواضح أن العرب عندما كانوا يتصلون بالعالم الخارجى لم يكونوا يهتمون - وهم يأخذون عن هذا العالم الخارجى ويعطونه - بهذا التأثر والانفعال اللغويين أو با لـ التأثير والفعل اللغويين كذلك ومن جهتهم بالخصوص، وانما كان همهم يومئذ محصورا فى اعطاء الأمور المادية معانيها الدالة وفى ايجاد هذه المدلولات المادية فى دائرة النفعية المتبادلة بينهم وبين ذلك العالم الخارجى بل ولم يكونوا ينظرون إلى هذا العالم الخارجى إلا من زاوية مدى استجابته لما يتطلبونه فى دائرة المبادلات التجارية الصرفة .

ومن هنا كانوا لا يفكرون إلا إلى حد ما فيما يأخذون من مصطلحات أو يستعملون من كلمات أجنبية أو ينتقون من تعريفات مختلفة إذ كانت نظرتهم إلى الحياة انما تنبثق عما وراء ما توحيه مظاهرها السريتية . . ومن هنا قد يستغرب العرب - الذين لم يعايشوا هذه المراحل - أن يروا كيف يعمد ذوو الأفكار الأكاديمية فيما بعد وفى فترات خاصة إلى تمحيص الكلمات غير العربية التى أدخلت فى فترات مجهولة إلى اللغة العربية واتخذت لا مدلولها الحقيقى فى نظر العربى فحسب وإنما اتخذت الصورة الصوتية للسان العربى والجرس والموسيقى العربيين حتى عند غيره بل ويستغربون ان يضع أولئك المفكرون قوانين وقواعد لمعرفة هذا الدخيل المعرب .

وما على الذين يريدون أن يقفوا على هذا التفكير وما توصل إليه من التمييز فى الكلمات التى دخلت بمفاهيمها أو ببعض مفاهيمها عن قصد أو غير قصد من مدخليها إلى اللغة العربية - ما على هؤلاء إلا أن يأخذوا أى كتاب يبحث فى فقه اللغة وفلسفتها ليروا بأنفسهم هذه الكلمات التى حلا لأولئك المفكرين أن ينسبوا أصلها لغير العربية . . وتوجد أمثلة لذلك فى كتاب المزهر للسيوطى(١).

ولكن العرب الذين يقال عنهم أنهم أخذوا لفاظا عن غيرهم مع الاحتفاظ بمدلولاتها عند هذا الغير لم يفكروا أبدا فى هل الكلمات المأخوذة - تلك هى من ابتكاراتهم الخاصه أو انها مجرد ترديد واعطاء للحركة التى تربطها بالحياة . . على أنه لا حجة تثبت أن العرب أخذوا لغة غيرهم ولكن العكس هو الواقع أى أنهم لم يأخذوا عمدا ويحوروا وان حاول بعض علمائنا اللغويين ان يقنعونا بأنهم تعمدوا الأخذ . . ثم عندما أرغموا على هذا الأخذ والاقتباس تعمدوا تحوير ما اقتبسوا فقد نقل السيوطى أيضا(٢) عن ابن فارس مقولته هذه : (حدثنى على بن أحمد الصاحبى قال : سمعت ابن دريد يقول . حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها وذلك كالحرف الذى بين الباء والفاء الخ) ولكن كل هذه فروض تحتاج فى إثباتها الى قضية عين ولو عن الطريقة التى كان ينهجها الآخذون وقت الأخذ والتحوير.

تتطور اللغة تبعاً لتطور المعاني المتكمنة في خلايا الإنسان وأعماقه الداخلية.

ثم اتجه النقاش العلمى العربى فيما يخص هذه القضية الوجهة العامة التى هى الأساس فى بداية ما يسمى بالعلم وتدوينه بالمعنى الصحيح عند المسلمين أعنى فى دائرة اتصالها بالقرآن.

ومن المعلوم لدى الجميع ان الغاية الأولى والأساسية عند مؤلفى الاسلام الأولين من تآليفهم انما هى اعطاء القرآن الصورة الحية والمتحركة التى تظهره من جميع الوجوه معقولا ومقبولا ومصدقا به من لدن معتنقيه ومن المناوئين والمعارضين له ليتأتى إبطال كل طعن ودحض كل تنقيص فى أسلوبه أو لغته أو طريقته التعبيرية أو فى مفاهيمه العامة والخاصة وفى أحكامه التى يجب أن تكون فوق كل شبهة.

ومن هنا كان على العرب أن يوجهوا نقاشهم الأكاديمى فى التعريب لا من حيث تجميع القوى لتعريب العلوم والفنون وانما للتساؤل عما إذا كان فى القرآن الفاظ غير عربية.. وهكذا شاهدنا معركة حامية الوطيس - ولكن فى ميادين العلم - بين فريقين كان ينكر أحدهما انكاراً باتا أن يكون فى القرآن لفظة ما غير عربية.. كيف وهو أى القرآن يقول فى صراحة: ﴿**إنا جعلناه قرآنا عربيا**﴾ ويقول: ﴿**بلسان عربى مبين**﴾ بينما كان يذهب الفريق المعارض الى عكس النظرية السابقة حين يعمد إلى القرآن نفسه ليستخرج منه عديدا من الكلمات مثل: (استبرق فارسية للديباج الغليظ.. وقسطاس رومية للميزان.. ومشكاة هندية أو حبشية للكوة التى لا تنفد) الخ..[3]

وينتهى هذا النقاش بظهور فكرة ثالثة هى وسط بين الفكرتين المتقدمتين المتناوئتين وأعنى تلك التى عبر عنها أبو عبيد حين قال: (والصواب من ذلك عندى - والله اعلم - مذهب فيه تصديق القولين معا وذلك ان هذه الحروف وأصولها أعجمية كما قال الفقهاء. إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربتها بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم إلى الفاظها فصارت عربية.. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق ومن قال إنها عجمية فهو صادق.)[4]

ويتجلى من كل هذا أن العرب لم يعرفوا شيئا عن هذه الحركة التى يحاول بعض الناس اليوم فى العالم العربى أن يطلقوا عليها كلمة (التعريب).. وانما يتبين من موقف العرب ذاك أنهم ما كانوا يتورعون كما قلنا سابقا - عن أن يأخذوا الكلمات غير العربية ويستعملوها فى نفس مدلولها الأصلى أو فى مدلول جديد مع بعض تحوير تقتضيه الضرورة الصوتية للسان العربى.. ولكن الملاحظ وربما المؤكد أن لا أحد فى العصور التى تلت الفتوحات الاسلامية لا فى أواخر العهد الأموى الذى كان بداية حركة الترجمة ولا فى العصر العباسى الذى تضخمت فيه الترجمة وأصبحت عملا له مكانته وخطره فى المحيط العلمى كله وفى سائر فروعه وفنونه أقول لا أحد طالب بالتعريب حتى فى الأمم الحديثة العهد يومذاك بالاسلام ولغته العربية بل ولم يفكر أحد فى أن يكتب أو يخطب أو يتحدث علميا بغير لغة القرآن.. ولم يثبت تاريخيا أن الفرس والأقباط مثلا وهم جنس غير عربى طولبوا بالتعريب وانما المعروف ان فاتح مصر: (عمرو بن العاص) سنة: ٢٢هـ حافظ على الاوضاع كما هى من الوجهة الادارية وترك الأقباط فى الدواوين إلى حين تم الأمر للمسلمين دون اثارة أى مشكل أو ضجة من النوع الذى يثيره دعاة التعريب

الحديث وإلى درجة اقامة المجامع له . . مع الاحتفاظ باللغات الأجنبية فى مختلف الأجهزة الحكومية بدعوى عجز اللغة الأم ـ العربية ـ عن الاستجابة الطوعية لهذه الميادين والمجالات التى تخوضها اللغة حاليا أو عليها ان تخوضها . . وبالدرجة التى تلزم المواطنين . . اما ان يتعجموا لغويا او يحكموا على أنفسهم بالاستلاب وبالبقاء خارج حلبة الحياة .

فالكلمة اذن ـ عبر التاريخ العربى ـ ليس لها مدلول ثورى ما . . فماذا يراد اذن من وراء ترديد هذه الكلمة (التعريب)؟ فإذا كان يراد من مدلول هذه الكلمة ـ الآن ـ العمل على ادخال العلوم العصرية والابتكارات الحديثة إلى المحيط العربى وتكييفها بالأجواء العربية لتلقينها للعرب بما يتساوق وأجواءهم قلنا ان الترجمة التى واكبت الوجود العربى منذ ان أخذ هذا الوجود مدلولا مجسما بالاسلام، تقوم بهذه المهمة خير قيام وأفضله وأحسنه وأتمه . . ومن واجب الترجمة أو من حقها أن تواصل عملها فتؤدى تلك المهمة فى أمانة مادامت هى رسالتها التى من أجلها أوجدت الترجمة وهذا لا يقتضى أكثر من تشجيع المسؤولين لمن يتولون القيام بمهمة الترجمة . . أما إذا كان يراد من كلمة تعريب حملنا نحن العرب على أن نتعرب فهذا لا يعدو أن يكون لعبة أو (شانطاج) كما يعبر المطالبون بالتعريب بالمعنى الثانى . . وكل هذا يدعونا إلى التأكيد بأن الزوبعة أو القضية ليست تعريباً وانما هى قضية أخرى تتستر وراء التعريب ومحاولة التعريب .

اللغة الأم والتعريب:

واللغة العربية هى ما يسمى فى عرف علماء اللغة باللغة الأم . . ومن الأمور الواضحة ان لا أحد يستطيع أن يهضم من المعلومات بأية لغة أخرى مقدار ما يمكن ان يهضمه وفى أسرع وقت باللغة الأم . . وهذه القضية أصبحت من القضايا الضرورية عند باحثى اللغات وتطورها واسسها الاجتماعية .

وإذا كانت اللغة فى أصلها ونشأتها ظاهرة اجتماعية وضرورة من ضروريات حياة الانسان فمن الحمق والعبث اذن التفكير فى امكانية تطور حياة الانسان وبقاء اللغة التى هى تجسيم وجوده الداخلى جامدة لا تتطور الشىء الذى لا يمكن ان يخطر بالبال أو هو من المستحيلات ما دامت اللغة كما قلنا تنشأ وتتولد بل وتترعرع وتتسع باتساع مدى حاجات الانسان لتكييف نفسه وتجسيم أهوائه حسب ضرورة الحياة نفسها . . والحياة فى تطورها سريعة التأثير والأفعال كما أنها سريعة التأثير والفعل وإذا كانت اللغة انما هى قوالب لصب المعانى الداخلية للنفس الانسانية واعطاء تلك المعانى الصورة المتحركة وابرازها إلى العالم الخارجى لتعطى مدلولات أكثر وأعمق فإن من غير الممكن أن نوقف تطورها حتى ولو أردنا هذا التوقيف لأنها تتطور تبعا لتطور المعانى المنكفئة فى خلايا الانسان وأعماقه الداخلية، وان الذى يحاول أن يقول للانسان لا تطور لغتك انما هو يقول له بكل صراحة قف حيث أنت وحذار أن تتجاوب وحاجياتك القصوى . . والأمران فى حياة الانسان الحى مستحيلان وأحلاهما مر . . وإذا ثبتت هذه المقدمة كان علينا ان نعرف أن اللغة الأم تمثل الخلية فى جسم الأمة وأنه لا يمكن لأية أمة أن تحدد قيمها ومقوماتها إلا ضمن لغتها القومية . . ومن هذه الزاوية نرى ان الدعوة الى المحافظة على اللغة العربية وفى العالم العربى بالذات دعوة إلى المحافظة على الوجود العربى فى أسسه وبكل معطيات هذا الوجود وبكل تاريخه الحضارى الجبار . . العمرانى والفكرى معا . . لأن اللغة العربية هى التى استطاعت أن تحافظ على هذا العمل الحضارى الذى طاول الدهور وقاوم السنين فأمكنه أن يتغلب على كل العقبات والعراقل التى لم تزده إلا صمودا وثباتا وايمانا بالرسالة الهادفة التى يؤديها من أجل اسعاد المجموع البشرى .

وعندما نطالب بالمحافظة على اللغة العربية فى هذه الربوع بآدابها وفنونها وعلومها انما نطالب بأن نعطى الوجود العربى المدلول الحسى والمفهوم الدال على الكيان، وفى نفس الوقت نعمل على المحافظة على أهم عنصر من عناصر المقومات الذاتية لهذه الأمة، التى يرتبط وجودها بوجودنا. هذا الوجود الذى لا معنى له إذا تخلى عن الايمان بأسمى المثل وأسمى النظريات وعن التأكيد للعالم بأن الموت فى سبيل الدفاع عن المقدسات هو شهادة تستحق الخلود، وتوجب التعظيم والاحترام.. وهكذا يتجلى أنه من غير الممكن الفصل بين لغة أمة ما وتاريخ ووجود هذه الأمة.. فنحن لم نعرف حضارة اليونان والرومان إلا عن معطيات لغاتهم.. وأيضا فى محاولاتنا ربط صلة تاريخنا الحاضر بالتاريخ الموغل فى القدم إنما نحاول ذلك عن طريق الرسوم والحفريات التى هى نوع من اللغات بفضلها نتلمس الوجود الانسانى عبر الآباد العريقة القدم.

والأمم فى بداية طرقها نحو استكناه مجاهيل الحياة للمساهمة بنصيبها فى البناء الانسانى العام لا تستطيع ان تؤمن بشىء ما إذا فقدت الايمان بقدرة مقوماتها على الصمود والمقاومة وعلى مدى استجابتها لما تتطلبه هذه المقاومة بنفسها.. ونحن العرب - ولا أقول اننا فى بداية الطريق وانما وأقولها بصراحة وايمان - نحن نعبىء قوانا لاستئناف طريقنا نحو تتميم

المحافظة على اللغة العربية تعني إعطاء الوجود العربي مقوماته وجوده.

المجد الانسانى.. لا يمكن ان يخطر ببالنا ان لغتنا العربية عاجزة عن مسايرة الركب الحضارى والتقدم العمرانى إلا إذا كنا - ومعاذ الله - قد يئسنا من قدرتنا - من جديد - على الخلق والابتكار والتطور والانشاء.. ان طفراتنا التى سجلتها هذه اللغة كانت دائما طفرات مظفرة تحمل فى ثناياها الخير وفى حركاتها البركة، فمن غير المعقول أن نتشكك اليوم أو يشككنا آخرون فى قدرتنا على مواصلة العمل ضمن لغتنا للخير الانسانى الشامل.

والسؤال الأبدى الذى ظل يرسم على شفاه الشاكين فى قدرة لغتنا على مسايرة العالم الحديث هو: هل تستطيع اللغة العربية أن تستجيب لكل معطيات الحياة الحديثة بما فيها من حضارة وعمران وعلوم وفنون وآداب؟ أما جوابى أنا على هذا السؤال فهو ايجابى فأنا أؤكد أن اللغة العربية قادرة على احتواء وهضم كل شىء يستحدث ويستجد ما دامت قد قدرت على ان تساير مختلف الحضارات الانسانية القديمة ومادامت قد ساهمت قبل فى تكوين هذه الحضارة العصرية إلى حد ليس بالقليل.. وما دمنا نحن العرب آمنا ونؤمن فى خلايا أعماقنا بأننا مصممون العزم كسابق عهدنا على أن نحتفظ بمكانتنا فى المقدمة بين الأمم الزاحفة نحو الامام فى خطا ثابتة لا تعرف الكلل والوهن.. ومع ذلك فلنلق نظرة خاطفة على موقف لغتنا العربية امام التيارات الحضارية القديمة ليتسنى لنا ان نحدد امكانياتها وقدرتها تجاه الحضارات الحديثة.

والحضارة كما يعرفها علماء الاجتماع (ما حققه الانسان من تقدم فى السكان والمال والادارة والتجارة والعلم والفن والسياسة والاجتماع) فهل استجابت لغتنا لكل هذه المجالات؟ لنرجع قليلا إلى الوراء.

يعتبر المقدسى ابو عبد الله الذى عاش حوالى

(٤٠٩هـ/ ٩٨٥م) فى كتابه أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم طبعة ليدن (ص٦٤) أن مملكة الاسلام تمتد من كاشعر(ه) فى اقصى المشرق إلى السوس الاقصى فى المغرب وأنها تقطع فى نحو عشرة اشهر. . ويحددها ابن حوقل فى كتابه المسالك والممالك طبعة ليدن (ص١٠/ ١١) فيقول: (شرقيها ارض الهند وبحر فارس وغربيها مملكة السودان الذين يسكنون على المحيط الاطلسى وشمالها بلاد الروم وما يتصل بها من الارمن والـلان والـرّان والخـزر والبلغار والصقالبة والترك والصين وجنوبيها بحر فارس. .)



تلك كانت حدود المملكة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ومن المؤكد أنها جميعا كانت تنتظمها أنظمة واحدة وديانة واحدة وآمال واحدة ومصير مشترك واحد. . ومن المؤكد كذلك ان اللغة التى كانت تتولى تصريف وتنظيم شئون هذه المملكة الشاسعة الأطراف الواسعة الأقطار المتشعبة الأجناس كانت اللغة العربية ولا أدل على هذا مما تضمه معاجم تراجم رجال هذه المملكة التى تحدثنا كيف ان جميع نوابغها كانوا يكتبون خواطرهم وافكارهم وفلسفتهم على اختلاف مشاربها والوانها باللغة العربية. . وإذا كانت اللغة العربية قد استطاعت ان تصهر فى بوتقتها حضارة وتقدم كل هذه المملكة دون ان تعجز عن رسم وتسجيل كل خلجات قلوب ابنائها ودون ان تجد واحدا فى هذا العالم المتموج بالاغراض والشهوات ينـدد بعجز هذه اللغة العربية عن الاستجابة لمعطياته. فليس من المعقول إذن ان نقول ان اللغة العربية لم تكن اللغة العالمية بالمعنى الشامل الكامل ومع كل ذلك فلنلق نظرة على موقف لغتنا من كل مناحى الحضارة فى عهد العرب الزاهر.

الادارة:

ففى الادارة كانت دولة الخلفاء اشبه باتحاد يتألف من ولايات كبيرة تشرف عليها دواوين اقليمية. . وفى بغداد ديوان لكل ولاية وكل ديوان يتألف من قسمين: قسم اداري ويختص بوضع الضرائب ومراقبتها وحملها الى بيت المال مع تقوية مواردها. . وقسم تنظيمى ويهتم بالخزانة العامة للدولة. . ذاك هو الاطار العام فى بداية التدوين. . وفى عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩هـ/ ٢٨٩) أحدث ما يسمى (ديوان الدار) وهو ذو ثلاث شعب: ديوان المشرق وديوان المغرب، وديوان السواد اى العراق، ويشرف على الجميع وزير واحد. . وفى حدود سنة: (٣٠٠هـ) عرف ما يطلق عليه بلغة عصرنا (كتاب الدولة) ثم تبلورت الشؤون الادارية إلى شبه وزارات خاصة

اللغة العربية التى استطاعت الممالك والأمم التى دخلتها على استيعاب كل معطياتها الحديثة.

كانت فى العموم تتخذ الإطار الآتى:

١) ديوان الجيش ويتكون من مجلسين: مجلس للتقرير وآخر للمقابلة.

٢) ديوان النفقات ويشمل استحقاق الحشم والانزال والكراع والبناء أو المرمة (أى وزارة التعمير والبناء) ونفقات الحوادث (الميزانية الاحتياطية) والانشاء والنسخ والتحرير (وزارة الثقافة).

٣) ديوان بيت المال والمصادرين.

٤) ديوان الرسائل والانشاء.

٥) ديوان البريد.

٦) ديوان الاخبار (وزارة الأنباء) وصاحب البريد هو أبدا وزير الانباء وكان بعض المسلمين وبالأخص من الشباب فى ذلك

الوقت يعيشون من نقل الاخبار شأن مراسلى الصحف فى القرن العشرين وكانت معرفة الأخبار وابلاغها قد بلغت من الاتقان درجة عظيمة حتى انه حكى ان الخليفة الموفق اراد أن يشغل قلب أحمد بن طولون فدس من سرق نعله من بيت حظية له لا يدخله إلا ثقاته ثم بعثها إليه فقال له الرسول: من قَدِر على أخذ هذه النعل من الموضع الذى تعرفه اليس هو بقادر على أخذ روحك(٦)

٧) ديوان التوقيع (الكتابة الخاصة والعامة).

٨) ديوان البر والصدقات (الضمان الاجتماعى).

أن تصهر فى بوتقتها حضارة
الاسلام لقادرة
ات الحضارة

وقد بلغت الدواوين كثرة أثارت انتقادات بعض المصلحين حتى من غير المسلمين فقد كتب (ديونيسيوس Dionysins - von Tellemachre) المتوفى عام: (٢٢٩هـ/ ٨٤٩م) انتقادا لكثرة هذه الدواوين التى قال عنها انها تغتصب عيش الفقير بكل الوسائل.

وكان كافور الاخشيدى ممدوح ومذموم المتنبى الشاعر اول من رتب الرواتب.. ومنذ العهد العباسى الأول عرف العالم العربى الاسلامى نظام التعويض العائلى فقد جاء فى كتاب الوزراء: (ص٢٣) (انه كان للوزير مكان ممتاز بين سائر رجال الدواوين فكان يعطى لكل ولد من أولاده خمسمائة دينارا فى كل شهر وهو مبلغ يساوى مرتب وزير) وفى الخطط للمقريزى الجزء الأول: صفحة ٤٠١ «انه فى عهد الفاطميين كان يعطى اخوة الوزير أيضا من مائتى دينار إلى ثلاثمائة.»

واما التنظيم المالى فقد عرف فى صورته البسيطة عند الفقهاء بما اسموه ضريبة رؤوس أهل الذمة فى الزكاة المفروضة على المسلمين.. وكانت تحسب على أساس الشهور الشمسية.. وفى الأراضى الزراعية كان يتمشى النظام الضرائبى مع حال الزراع وأوقات الغرس والحصاد.. ثم كانت دواوين الخراج تخضع للنظام اللامركزى فقد كانت هذه الدواوين فى الولايات بمثابة خزائن الدولة فى العصر الحاضر (أى ما يسمى بالفرنسى (Tresor) فكان يؤخذ منها أولا الرواتب واعطيات الجند وما يتبقى يحمل إلى بيت المال.. وفى هذه اللامركزية جاء فى كتاب (أخبار مجموعة فى فتح الاندلس وذكر امرائها) أن العادة فى أيام الأمويين (إذا جاءتهم جبايات الأمصار والآفاق يأتيهم مع كل جباية عشرة رجال من وجوه الناس وأجنادها فلا يدخل بيت المال من الجباية دينار ولا درهم حتى يحلف الوفد بالله الذى لا إله إلا هو ما فيها دينار ولا درهم إلا أخذ بحقه وأنه فضل عن اعطيات أهل البلد من المقاتلة والذرية بعد ان أخذ كل ذى حق حقه).

وأما عن دواوين المالية ففى الاطار المحلى يقدم لنا الخوارزمى فى كتابه مفاتيح العلوم صفحة: ٥٤/٥٥ صورة عن نظامها بخراسان فى القرن الرابع الهجرى وقد جاء على الشكل الآتى:

١) قانون الخراج الذى تبنى عليه الجباية.

٢) الروزنامج وهو كتاب اليوم (Bulletinde jour)

٣) الاوراج وهو سجل يسجل فيه ما على المواطنين من واجبات حكومية.

٤) الختمة وهى كتاب يرفعه المسؤول المالى فى كل شهر فيه مجمل النفقات والحواصل :
٥) الختمة الجامعة وتعمل كل سنة وهى ما سمى حاليا التقرير المادى : أو الميزانية السنوية العامة محصولات ومصروفات .
٦) التاريخ ومعناه التنظيم أو النظام .
٧) العريضة وتعمل لابواب يحتاج إلى ان يعمم فضل ما بينها فينقص الاقل من الأكثر من بابين ويوضع ما يفضل فى باب ثالث وهو الذى تعمل العريضة من أجله : (الموازنة والمقاصة بالتعبير الحديث) .
٨) البراءة أى الاعتراف بالاداء . (Rucu)
٩) الجماعة والموافقة وهو الحساب الجامع الذى يرفعه العامل بعد فراغه من العمل على ان ينال موافقة كل من المسؤول المحلى والمركزى ليصبح نافذ المفعول .

وأما فى الصعيد المركزى فقد كانت هناك ميزانيات عامة تقسم إلى أبواب الاستخراج والنفقات وتنتهى فى الغالب كما هو الشأن فى عصرنا بعجز، وضمن التنظيمات المالية يدرج الاقطاع، والاستثمار لأراضى الخلفاء والمواريث والمصادرات والمكوس .

ومن البدهى أن التجارة ذات اتصال وثيق بالميادين والتنظيمات المالية وفى هذا الإطار يتحدث المقدسى عن مدينة بيار بشمال ايران فيقول: (إن السوق فى الدور والباعة نسوان)

والتجارة فى بداية فتوحات الدين الجديد الاسلام وإلى نهاية حكم الخلفاء الراشدين لم تكن تلقى كبير اهتمام ولا فائق عناية من العرب ان لم نقل انها كانت محتقرة لديهم ولكن لم يكد يبزغ فجر القرن الرابع الهجرى حتى تبدلت نظرية العرب تجاه التجارة وأصبح من المألوف ان نرى رجلا كبدر بن حسونة وهو من أكابر رجال الدولة العباسية يبتاع خانا بمدينة همدان ويفرده باسمه ويقيم فيه من يبيع ما يرد من الأمتعة المختارة فى أعماله ويتحدث (آدم متز فى كتابه : (الحضارة الاسلامية) الجزء الثانى صفحة : (٣٦٥) عن عظمة التجارة الاسلامية فيقول : (وكانت لتجارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى مظهرا من مظاهر أبهة الاسلام وصارت هى السيدة فى بلادها وكانت سفن المسلمين وقوافلهم تجوب كل البحار والبلاد وأخذت تجارة المسلمين المكانة الأولى فى التجارة العالمية وكانت الاسكندرية وبغداد هما اللتان تقرران أسعار العالم فى ذلك العصر .

وأدت هذه التجارة الواسعة النطاق الى احداث مواصلات برية وبحرية وهكذا فتح العرب فى القرن الرابع الهجرى الطرق التجارية الى بلاد الروس فى الشمال . . ويتحدث ابن خرداذبة عن هذه الطريق فيقول «فاما مسلك تجار الروس وهم جنس من الصقالبة فانهم يحملون جلود الخز وجلود الثعالب السود والسيوف من اقصى صقلية إلى البحر الرومى فيعشرهم صاحب الروم وان صاروا فى تنيس نهر الصقالبة مروا بخليج مدينة الخزر فيعشرهم صاحبها ثم يصيرون الى بحر جرجان فيخرجون فى أى سواحله أحبوا وربما حملوا تجارتهم من جرجان على الابل إلى بغداد .»

وانتهت هذه العلاقات التجارية إلى أخرى سياسية ختمت فى سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م) باسلام أهالى الفولجا وملكهم .

أما إلى الصين فقد فتح المسلمون طريقا تجاريا اخر بفضل المصاهرة التى تمت بين ملك الصين ونصر بن أحمد السامانى حين ارسل الأول يخطب ود الثانى ويرجوه تزويج ابنته من ولده وكان السامانى على بخارى سنة ٣٣١هـ/٩٤٣م .

ويعزو بعض المؤرخين غزو النورمانديين لنهر الفولجا إلى الحد من تسرب المسلمين إلى أوروبا بفضل نجاح أسواقهم التجارية، وكانت غزوات النورمانديين فى سنوات ٢٧٠هـ/٢٩٧، ٣٠٠هـ (٧)

وإذ كان التجار المسلمون ذوى معنوية عالية من الوجهة الدينية فقد كان غير المسلمين يرفضون حكم غير المسلمين بل كانت الأطراف التى تغلب عليها غير المسلمين لا تقبل إلا حكم مسلم ولا يتولى حدودهم ولا يقيم عليهم شهادة إلا المسلمون وان قلوا (٨)

وكل هذا من جراء ما عرف عن هؤلاء التجار من استقامة وأمانة . . هذه الأمانة التى صارت مضرب الأمثال

حتى ان (ربى بتاحيا Petachia فيما نقله عنه صاحب الحضارة الاسلامية آدم متز (ص٣٨٤) عبر عن هذه الثقة فقال: (ان المسلمين أهل لأن يوثق بهم كل الثقة فكان إذا جاء إلى هناك (العراق) تاجر (وضع أمتعته في بيت رجل مسلم ورجع فيحملون (أي المسلمون) هذه الأمتعة إلى جميع الاسواق للبيع فإذا دفع ثمنها المقرر كان بها والا حملوها إلى جميع السماسرة فإن رأوا أنها أقل قيمة باعوها بثمن أقل وكل هذا مع غاية الأمانة والذمة).

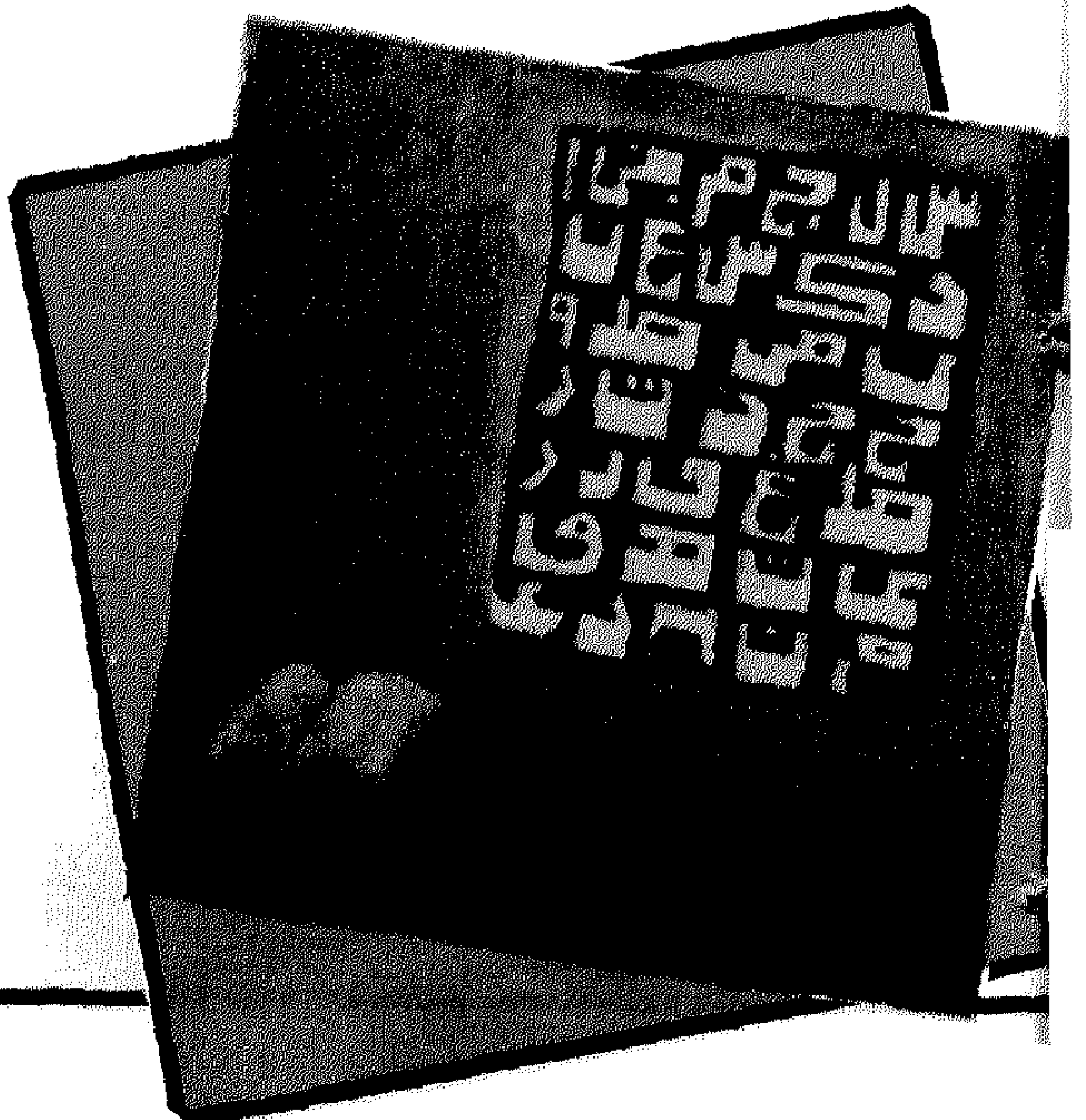


ويذكر المسعودى فى هذا الصدد فى كتابه مروج الذهب: ج٤ ص٩٢/ ٩٣ (انه كان وراء سلجماسة من أرض المغرب وبأقصى خراسان مما يلى الترك قوم يتبايعون عن غير مشاهدة ولا مخاطبة فيتركون عند كل متاع ثمنه من أعمدة الذهب فإذا جاء صاحب المتاع اختار الذهب وترك المتاع وان شاء أخذ متاعه وترك الذهب). هذا وقد عرف العرب فى تجارتهم كل ضروب المعاملات التجارية من عملات أجنبية ونظام السندات والبنوك، فيحكى الرحالة الفارسى ناصر خسرو: (أنه لما خرج من أسوان بمصر أخذ خطابا من صديق له كتبه إلى وكيله فى عيذاب بان يعطى ناصرا كل ما يريد ويأخذ منه مستندا ليضاف إلى حساب الصديق..) وكذلك أرسل الاخشيدى صاحب مصر إلى نائبه ببغداد سفائج بثلاثين ألف دينار ليسلمها للوزير ابن مقلة ايام ان كان مصروفا..) وفى صحيح البخارى ما يفيد ان من وسائل المعاملات الصك(١) وهو فى الأصل سند الدين.. وكان الرجل إذا اشترى عقارا كضيعة مثلا كتب صكا بشرائها.. ويقص ابن حوقل أنه رأى «باود غشت» صكا باثنين وأربعين الف دينار كتب بدين على محمد بن ابى سعدون من أهل سجلماسة لرجل من أهلها.. والمرحلة بين البلدتين احدى وخمسون مرحلة.

وفى العراق كان يكوّن يوسف بن فنجاس وهارون بن عمران اليهوديان شبه بنك أو شركة للاداءات.

وأما عن المواصلات المائية.. فقد استعمل العرب انهار دجلة والفرات والنيل - وجيحون - وسيحان - وجيحان - وبردان - ومهران - والرس - ونهر الملك - ونهر الأهواز - وجميع المسالك المائية التى كانت معروفة آنئذ وكانت كل هذه الأنهار طرقا تجارية للعرب ولاستغلالاتهم التجارية.

وأما الميادين الاجتماعية فقد حملت الفتوحات الاسلامية فيما حملته للعالم العربى جميع الأشياء التى واكبتها عبر زحفها على هذه العوالم الخارجية.. كما خلفت هذه الفتوحات ما يمكن أن يقال أنه تكوّن وانبثق عن الحياة الحضارية الجديدة.. ففى ميدان السلطة: بعد ان كان النظام بسيطا فى بدايته تبعا لبساطة الحياة يومئذ إذا قيس بما أحدث فيما بعد من الأنظمة إذا به بعد ان أخذت الأمور تستقر فى وسط المجتمعات العربية يتخذ شكل ملك عضوض وهكذا أحدثت المناصب الوزارية العديدة.. والألقاب والشارات.. ولم يكد عهد الادارة الاقطاعية يولى الادبار حتى حل محله التنظيم (البيروقراطى): ففى الدولة الأموية لم يعرف اسم الوزير وانما كان هناك معين للملك أو مشير. أما فى الدولة العباسية فقد أصبح منصب الوزارة من الخطورة بمكان إلا أنه فى القرن الرابع الهجرى رؤى ان ينتقص من سلطة الوزير ويحد منها حين أخرجت عن نظره أمور الضياع العباسية التى كانت اقطاعا يؤدى عنه الوزير خراجا معينا.. واصبح الوزير مجرد موظف ذى راتب جارٍ إلا أنه كان مع هذا صاحب



السلطة العليا بعد سلطة الخليفة مباشرة فكان الجميع حتى القواد يخضعون للوزير ولم تتخلف هذه التقاليد فيما يذكر إلا في عام: (٣١٢هـ) حين ركب الوزير طيارة للسلام على القائد مؤنس المظفر أثر عودته إلى بغداد من احدى غزواته.. ثم ان الوزير يعينه الخليفة مباشرة.

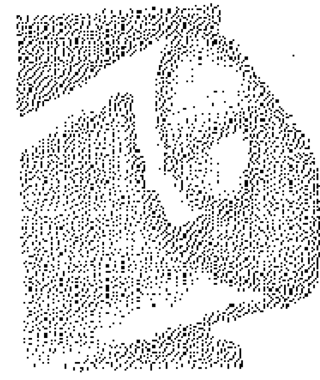
وعرفت المجتمعات العربية النظام الارستقراطي بجميع صوره ونظامه الطبقي واصبح من المعتاد ان تورث المناصب.. وحاول هذا النظام الارستقراطي ان يوجد قواعد قارة ثابتة للطبقات حتى إننا نرى الفضل بن يحيى فيما يحكى عنه أنه قال: (الناس أربع طبقات):

١) ملوك قدمهم الاستحقاق.
٢) وزراء فضلتهم الفطنة والرأي.
٣) عِلْيَة انهضهم اليسار.
٤) أوساط ألحقهم بهم التأديب.

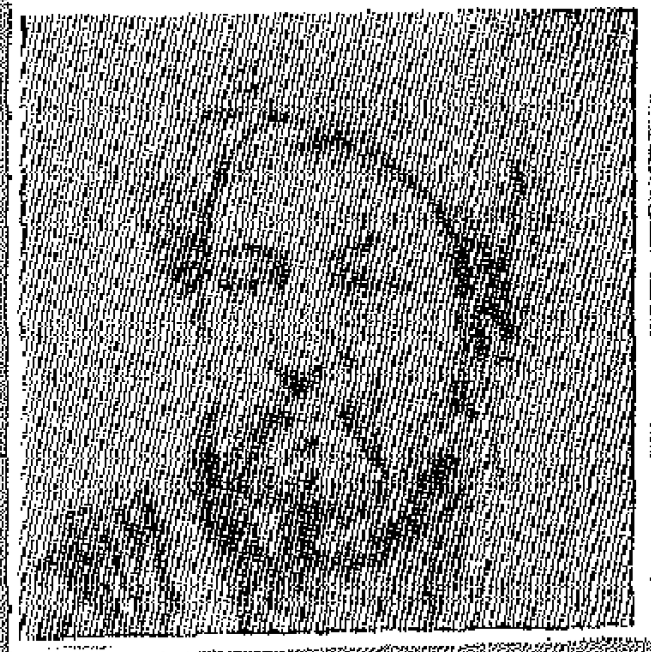
والناس بعدهم زبد جفاء وسيل غثاء لكع لكاع وربيضة انطاع هم أحدهم طعمه ونومه(١٠) وعرف هذا النظام بالصورة الكالحة وأعني بها الرقيق الذي أعتبرته الديانات السماوية ضرورة مؤقتة رغبت في القضاء عليه بكل الوسائل.. ولكن المجتمع العربي الذي أفْلَتَ زمامه من يد الدين الحق الصحيح لم يعرف من الرقيق إلا جانبه الأسود في بعض الظروف..

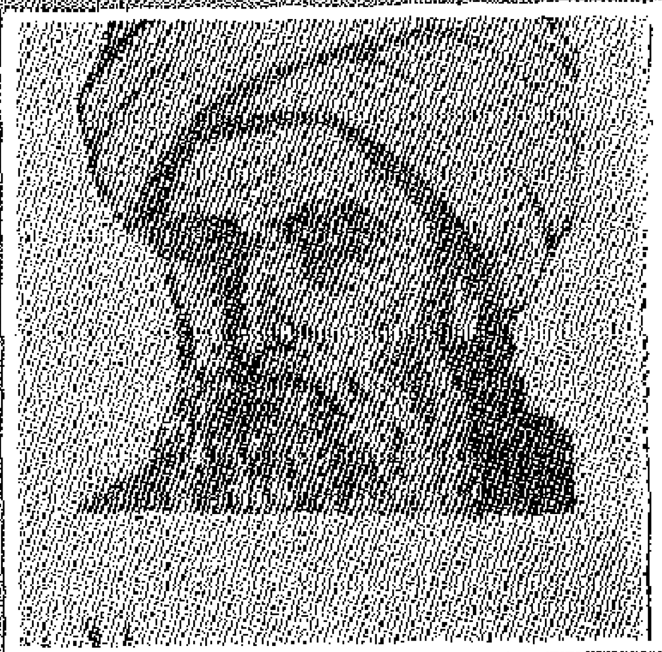
ثم يجب ان لا يفوتنا هنا ونحن نتحدث عن الوزراء في ذلك العهد ان نسجل أنهم بقدر ما كانوا يتمتعون بسلطات مطلقة كانوا يتركون لحكم الشعب المطلق.. لذلك شاهدنا وزراء يغتالون جهرا على يد الجند والغوغاء كما حدث للوزير العالم ابي الفضل السلمي حيث ترك للجند يقتلونه في بيته وهو قائم للصلاة بدعوى أنه عطل أعطيات الجند.

وأما عن العلوم والآداب والفنون.. فقد تطورت هي الأخرى تبعا للتطورات التي واكبت الحياة العامة للمجتمع الاسلامي الاخذ بأسباب النمو والازدهار فبعد ان كانت العلوم مقتصرة في البداية على علم الكلام والفلسفة والآداب بمعناها العام اصبحت مع مرور الزمن تشمل سائر مناحي الفكر الانساني الذي عرفه العالم يومئذ.. ويمكن اعتبار القرن الرابع هو القرن الذي تبلورت فيه فكرة التخصص بمعناه العلمي الحديث وقد عبر عن هذا التخصص ابن قتيبة فيما نقله عنه العاملي قال: (من اراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم)(١١)



وهكذا كان القرن الرابع موعد العلماء مع التخصص في جميع العلوم في الجغرافية، في التاريخ، في اللغة، بحيث أخذ كل علم منهجه الخاص به وتكونت له مدارس متميزة.. وافترق العلماء الى طائفتين: الفقهاء للخطابة والقضاء والأعمال السلطانية والعلماء على الحقيقة وأما صاحب العلوم الدنيوية فقد ميز تحت اسم خاص هو اسم الكاتب وكان هذا التمييز حتى في اللباس فقد اختص العلماء بلبس الطيالسة.. وتفرقت البلدان تبعا لذلك فقد كانت شيراز مثلا تكرم الكتاب وتفضلهم على العلماء بينما كانت خراسان تحترم العلماء وترفعهم إلى درجة التقديس ويقص السبكي في طبقاته هذه القصة الطريفة قال: (دخل أحد العلماء الزهاد خراسان فخرج أهلها بنسائهم وأولادهم يمسحون ادرانه ويأخذون تراب نعله ما بين فاكهة وحلوى وثياب


الفارابي


الزمخشري

وفراء وهو ينهاهم حتى وصلوا إلى الاساكفة فجعلوا ينثرون المتاعات وهى تقع على رؤوس الناس(١٢)

ومن المسلم به ان ليس لنا الوقت الكافى ولا المجال الفسيح لتسجيل جميع المجالات العظيمة التى خاضتها العلوم ولا العوالم الجديدة التى اكتشفتها والقاء نظرة خاطفة على ما ثبت باسماء الرجال فى ميدان العلوم والفنون يكفى لمعرفة هذا الخضم الزاخر من العلماء والفنانين ففى التاريخ نقرأ هذه الأسماء اللامعة : المسعودى ـ الطبرى ـ ابن خلدون ـ وابن الأثير ـ وغيرهم جم غفير لا يحصى.

وفى الجغرافية : نقف على هؤلاء الأعلام : الكندى ـ ابن خرداذبه ـ ابو زيد البلخى ـ أحمد بن أبى يعقوب بن واضح الكاتب المعروف باليعقوبى ـ ابن حوقل ـ أبو القاسم الانباطى ـ الملهبى الذى كتب وصفا فريدا عن السودان للخليفة الفاطمى العزيز.. ولم يكن قبل ابن حوقل يعرف الناس عن السودان شيئا.. ثم محمد التأريخى الأندلسى المتوفى عام: (٣٦٣هـ ٩٧٣م) وقد ألف كتابا وصف فيه افريقيا والمغرب.. ثم خواشير بن يوسف بن صلاح الأركى الذى سافر حوالى: ٤٠٠هـ ١٠١١م) فى مركب (دبوكرل) الهندى وطاف سواحل افريقيا الجنوبية ووضع ما سمى باصول المصورات البحرية.. ثم أبو بكر أحمد بن محمد الهمذانى المعروف بابن الفقيه.. والادريسى.. ثم المقدسى الذى زين كتابه فيما قال بخريطة بين فيها الطرق المعروفة بالحمرة والرمال بالصفرة والبحار المالحة بالخضرة والانهار بالزرقة والجبال المشهورة بالغبرة ومن المؤسف ان هذه الخريطة لم تصل الينا.

وفى الفلك والرياضيات والفلسفة: نقف على اسماء هؤلاء الشوامخ: البيرونى ـ عبد الله الجيهانى ـ الفارابى ـ ابن سيناء ـ ومحمد بن موسى الخوارزمى ـ وأبى مسكويه.

وفى الرحلات : نقرأ ابن فضلان ورحلته إلى البلغار حتى نهر الفلجا.. ورحلة ابى دلف إلى آسيا الوسطى والشرقية حوالى: (٣٣٣هـ ٩٤٤م.. وابن بطوطة وابن جبير.. ورحلة ناصر خسرو الفارسى.. وأخيرا وقبل كل شىء الفتية المغتربين أو المغرورين وغير هؤلاء كثير.

وفى الميكانيك والرسم: نقرأ اسم علم شامخ فى كل ميادين المعرفة ونعنى به الوزير ابن العميد المتوفى عام: (٣٦٠هـ/ ٩٧١م) فقد صوره لنا قيم خزائنته ابن مسكويه فى كتابه فقال: (أما المنطق وعلوم الفلسفة والالاهيات منها خاصة فما جسر أحد فى زمانه ان يدعيها بحضرته.. ثم كان يختص بغرائب من العلوم الغامضة كعلوم الحيل (الميكانيك) التى يحتاج فيها الى أواخر علوم الهندسة والطبيعة والحركات الغريبة وجر الثقيل ومعرفة مركز الاثقال واخراج كثير مما امتنع على القدماء من القوة الى الفعل الى أن قال وله معرفة بدقائق علم التصوير وقد رأيته يتناول التفاحة أو ما يجرى مجراها فيعبث بها ساعة ثم يدحرجها وعليها صورة وجه قد خطها بظفره ولو تعمد لها غيره بالآلات المعدة وفى الأيام الكثيرة ما تأتى له مثلها)(١٣)

العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث فهى لا تحتاج فى اثبات كثرتها الى دليل.


الوزير ابن العميد


الكندي

وبعد أفكانت صور ومظاهر هذه الحضارة الجبارة الشامخة التى لم تكن توجد فى عالم يومئذ حضارة توازيها ثقلا ونوعا وانتاجا وتقديرا.. أكانت تسجل وتصور وترسم باللغة العربية أم كانت ترسم بغيرها؟.. لقد كانت بدون شك أو ريب تسجل بهذه اللغة التى لا نؤمن بفعاليتها وقوتها فحسب وانما نؤمن بقدسيتها.. أجل كانت تسجل بهذه اللغة التى يحاول ـ الآن ـ بعض المغرضين أن يصفوها بالقصور وينعتوها بعدم القدرة على مجاراة متطلبات الحياة الحديثة ورحم الله الشاعر المصرى حافظ ابراهيم إذ يقول ردا على أمثال هؤلاء الذين يَسِمُوْنَ اللغة العربية بالقصور والعجز.

وسعتُ كتابَ الله لفظاً وغايةً
وما ضِقْتُ عن آى به وعظاتِ
فكيف أضيقُ اليومَ عن وصفِ آلة
وتنسيقِ أسماء لمخترعاتِ

كانت اللغة العربية تستوعب كل هذه المظاهر الحضارية دون الاستنجاد بغير ما يكمن فى أعماقها من قوة وعمق ودون الاستعانة بالروافد الخارجية إلا فى حدود ما تقتضيه التطورات البشرية والزمنية أى تلك التى تخضع للزمان والمكان وما تستلزمه هذه التطورات من تفاعلات وانفعالات.. ولم يثبت أن نادى العرب يوما ما بوجوب التعريب فى أى ميدان من الميادين لا الادارى ولا غير الإدارى وإنما كانوا يعملون ويندفعون وكانت اللغة مطواعا لهم تستجيب لرغباتهم دون عناء أو مشقة.. لقد آمن أولئك العرب بان اللغة كائن حى كسائر الظواهر الاجتماعية وأحسوا أنها تسير بسيرهم وتتسع وتمتد عبر الآفاق التى امتد اليها وشملها سلطان ابنائها.

ومن هنا نستطيع أن نقول ان اللغة شديدة الارتباط ـ من حيث الانتشار والحيوية والقوة.. ومن حيث الانكماش والهزال والضعف ـ بالنشاطات السياسية ومدى امتدادها أو انحسارها.. فكلما قويت السلطة السياسية لأمة ما قويت لغتها وأصبحت ذات ثقل نوعى يحسب له حسابه فى موازين القيم الانسانية.. والتاريخ الحديث وما تحمله أحداثه المعاصرة أعظم شاهد لما نقول، مثلا هذا التهافت عل تلقى اللغات الانجليزية والفرنسية والاسبانية الى آخره لم يكن له هذا الحماس ابان النفوذ الهتلرى فى أوروبا قبل نهاية الحرب العالمية الأخيرة. فنحن مازلنا نذكر كيف أن الشاب كان يقبل بحماس وشره بل وفى ادمان ـ ان صح التعبير ـ على تعلم اللغة الالمانية وما كاد العهد الهتلرى النازى يولى الأدبار حتى أخذ الطلبة ـ وبصورة تكاد تكون جماعية ـ ينفضون أيديهم من لغة اثبت الواقع السياسى والحربى أنها لن تكون ذات نفع عاجل على الأقل.

فاللغة اذن كائن حى، ما فى ذلك من شك ولكن حياتها تكون ذات معنى عملى وواضح عندما يأخذ أبناؤها يصعدون سلم الرقى السياسى ومدارج التقدم الحضارى والعمرانى اللذين يبرزان عن العظمة السياسية، وعندما يضفون على لغتهم الأم من اهتمامهم المتزايد قسطا أكبر، وعندما يضعونها فى مرتبة أهم المقومات التى تصل حاضرهم بماضيهم وتربط هذين بالمستقبل المنتظر.

لقد قلنا فيما سلف، ان اللغة هى الدعامة الأولى والعظمى فى تذكير أمة ما بمدى نشاطها فى مختلف

المجالات الانسانية، ومدى قدرتها على الهضم بعد الابتلاع ثم الخلق والابتكار.

ونضيف الآن أنه ما كان لأمة ما أن يكون مستقبلها مضمونا إذا كانت تشك فى قدرة مقوماتها الأساسية والذاتية على المقاومة من أجل الحفاظ على الكيان، والابقاء على الوجود.

اللغة العربية والاستعمار:

وهنا نضع النقط على الحروف ونقولها صراحة وفى وضوح بأن قضية اللغة العربية ليست قضية لها مساس بالاستعمار على الشكل الذى يحلو لبعض الناس أن يدعوا أو ان يفعلوا كلما تهيبوا أن يواجهوا الحقائق مكشوفة عارية وبدون طلاء ولا رتوش.. لقد حاول كثير من هؤلاء أن يلصقوا قضية عدم اعتبار اللغة العربية فى هذه الديار بالاستعمار وقد يكون ولكن الى أى حد؟.

حقيقة ان الاستعمار حاول القضاء على اللغة العربية ما دامت الضمانة الوحيدة التى كانت تذكى روح النضال والمقاومة فى نفوس الشعوب العربية وكانت الموحى بالمواقف الحاسمة التى كانت لنا فى التاريخ تجاه انفسنا وازاء الآخرين وقد يكون من الغريب ان لا يبذل الاستعمار أعظم جهوده للقضاء على اللغة العربية.. ولكن هل استطاع الاستعمار ان يقضى على اللغة العربية؟ أقول بملء فىّ.. لا.. فإذن أية علاقة لهذه اللغة بالاستعمار؟..

ان القضية انها تكمن وراء أعماقنا نحن العرب فيجب أن نسأل أنفسنا الى أى مدى نؤمن بلغة العروبة؟ والى أى حد نعتبرها لغة حية ناهضة فيها كل خلايا الحياة ونشاطاتها ومجالاتها؟..

ان الاستعمار قد استطاع بفضل سيطرته العسكرية والتدجيلية وبفضل بوارق الآمال الكاذبة وبفضل بعض مدنيته الرائعة ان يشكك بعض خائرى القوى وعديمى الايمان ان يشككهم فى أنفسهم ومقوماتهم عن طريق وصف اللغة الأم وما تحمله من خلايا الحياة بالعجز والتخلف، ومن هناك تسرب الشك الى أعماقهم الداخلية فى قدرتها على مقاومة المغريات المؤقتة التى سلطها الاستعمار على أفكارهم المترددة ولا أقول المنهارة فلنا بقية أمل فى أن يعود هؤلاء الى أغوار أعماقهم يستلهمونها الرشد واليقين.. ثم حاول الاستعمار ان ينفث فى عقلياتهم الضحلة سمومه تلك التى تحاول فى فشل ان تقضى على اللغة الأم فوقر فى اذهان هذا الفريق أنهم وماضيهم لا شىء بالنسبة لهذا العملاق الجبار الذى يتجسم فى أوروبا والغرب والاستعمار وقدرته على التزييف والتغرير والتضليل.

فالمشكل اذن يكمن وراء أعماقنا وفى خلايا أغوارنا.. يكمن وراء الحنايا الخفية.. فلنبلور أولا موقفنا من تاريخنا وحضارتنا ولنحدد هذا الموقف تحديدا علميا وعقائديا.. ويومئذ سنعرف كيف نجبه الشاكين والمترددين.. ويومئذ نستطيع أن نقول بفخر اننا لسنا فى حاجة إلى تعريب بقدر احتياجنا إلى استنهاض أرواحنا وجعلها تستلهم ايمانها بنفسها وبمقوماتها..

إننا عرب وسنظل عربا لحما ودما وتفكيرا وعقائد ولغة ولن يستطيع لا الاستعمار ولا ابواق الاستعمار ولا عملاء الاستعمار أن يزحزحوا ايماننا هذا لأنه ينبعث عن فخرنا بهذه اللغة الأم «اللغة العربية» التى لم تعجز فى الماضى عن استيعاب الحضارات الانسانية وهى لا ولن تعجز فى الحاضر - كما قال مندوب الأردن وسفير سوريا فى تلك المؤتمرات - عن استيعاب كل المعجزات الحضارية.. فالمشكل اذن ليس مشكل تعريب ولا مشكل

مؤتمرات التعريب فى النطاق الأكاديمى أو الحكومى ولكن الأمر يتعلق الفصل فيه - أولا وأخيرا - بشىء واحد هو التوجه إلى الشعوب العربية والاحتكام إلى هذه الشعوب واستفتاؤها لأنها صاحبة القول الفصل فى أمر يرجع إلى وجودها مباشرة وفى اطار قوميتها ولغة دينها.

أيها الشاكّون فى لغتنا العربية وفى قدرتها على مسايرة التطورات والطفرات والقفزات الانسانية افسحوا المجال لحاملى الشهادات العربية فهم الذين يستطيعون ان يقيموا لكم الدليل القاطع والجازم على أنهم بلغتهم العربية سيخضعون كل هذه الاهات وسيسوقونها وفق رغبتهم وما تقرره ارادتهم هذه الارادة وتلك الرغبة اللتان لن تحيدا قيد شعرة عن الارادة العليا والرغبة السامية للجموع الانسانى.

ولا يفوتنى بهذه المناسبة ان اذكر بالدور الهام والخطير الذى تقوم به المعاهد الاسلامية العربية فى أهم ميدان من ميادين نشاطنا القومى والانسانى حين تكرس جهودها للرفع من شأن لغتنا والعمل على نشرها وتجديدها بما يتفق ومتطلبات الحياة العصرية والحضارة الحديثة.

أيقال عنها بعد هذا ان دورها ثانوى وأنها بالنسبة إلى المهام الكبرى التى تواجهنا فى طفراتنا نحو المستقبل. انها تمثل نقطة بالنسبة الى المحيط.

وبعد فهل نحن العرب الذابين عن لغتنا مؤمنون بدفاعنا ورسالتنا؟ فبمقدار هذا الجواب يكمن النجاح ويكمن السر فعلينا إذن ان نخوضها معركة وحربا طاحنة ضد جميع الذين يتهاترون ويحاولون أن يجعلوا من قضية التعريب قضية لعبة لربح الوقت. وهؤلاء ليسوا شيئا بالمرة وانما هم اشباح متداعية يخشون ان ينهاروا نهائيا امام انوار الفجر الصادق، ولكنا - ان شاء الله - لن نفسح لهم المجال ولن نتركهم يسوقوننا الى الهاوية فلنؤمن باننا حين ندعو الى اللغة العربية إنما نعمل من اجل قضية وجودنا العربى اولا، ثم وجودنا الانسانى ثانيا، لاننا بهذا الايمان سننتصر وستنتصر اللغة العربية، وبانتصارها ستنتصر قضية السلام والامن - لا فى ربوعنا العربية فحسب ولكن ايضا فى عموم العالم لان اللغة العربية معناها القرآن والقرآن معناه الدستور الالهى الذى اسس مبادىء الاخاء والمساواة والمحبة بين الإنسان واخيه الانسان، وسلام على لغة القرآن.

الفتوحات الإسلامية حملت للعالم العربي خيرما وأكبرها عبر مسيرتها الطويلة

المراجع

(١) الجزء الأول
(٢) المزهر.
(٣) أنظر المحلى على جمع الجوامع الجزء الأول.
(٤) الصاحبى ص: ٢٩ مطبعة المؤيد
(٥) مدينة فى تركشان الصينية دخلها الاسلام فى القرن العاشر الميلادى
(٦، ٧، ٨، ٩) انظر آدم متز فى كتابه الحضارة الاسلامية.
(١٠) انظر مختصر ابن الفقيه
(١١) العاملى: المتوفى سنة ١٠٠٣هـ فى كتابه المخلاة.
(١٢) السبكى فى طبقاته ج ٣.
(١٣) انظر كتاب (الطبيعيات لدى العرب) لمولى الفرنسى (Mullet) لمعرفة ما حققه العرب فى ميدان الطب والصيدلة والبيطرة.



على ثرى تونس الخضراء
يصورها أدباً وينقلها صوراً
الأستاذ/ شكيب الأموي

أسمار وسمّار

العروسى المطوى :

محمد العروسى المطوى أول سفير لتونس فى المملكة العربية السعودية منذ حوالى ٢٠ عاماً . . وهو الآن عضو فى مجلس الأمة التونسى . . ورئيس لخمس مؤسسات تعليمية ثقافية أدبية . . ولذلك يدعونه الرؤساء الخمسة . . وهو فوق هذا رئيس لنادى القصة فى تونس .

جاء فى جمادى الثانية . . ضيفاً على المملكة . . فأحدث ضجة كبيرة .

استضافه النادى الثقافى الأدبى . . وقدمه رئيس النادى الاستاذ عبد الفتاح أبو مدين . . وتحدث الاستاذ المطوى . . عن الأدب والقصة فى تونس . . حديث العارف المتمكن الواعى . . وتحدث عن الأدب فى العالم العربى بصورة عامة حديثاً ذا شجون وشجون . . وانهالت عليه الأسئلة . . فأجاب عليها كلها بلباقة وتدفق .

ولما كان لى قصة مع الاستاذ العروسى . . فى تونس منذ حوالى سبع سنوات . . دُعيت لإلقاء قصتى . . فقلت :

في بيت السفير التونسي

١٣ مارس ١٩٨٤


أ- العروسي المطوي


أ- السفير القاسم أبو سنينه

سعادة الأستاذ العروسي المطوي:
سعادة الأستاذ قاسم بو سنينه
سادتي واخواني:

ما دمنا الآن في جو القصة.. سأقص عليكم قصتي مع الأستاذ المطوي..

منذ حوالي سبع سنوات دُعينا إلى تونس الخضراء.. دعانا الطيب الذكر السفير السابق موسى الرويسي.. والتونسيون فطروا على الكرم.. يكرمون ضيوفهم لدرجة التخجيل.. والإرباك.. لم نكن نزور مدينة إلا وفي الليل صالة معدة.. ليس لإلقاء خطبة فقط.. بل ليكون أمامك جمع من طلاب الجامعات.. وطالبات الجامعات.. يمطرونك بأسئلتهم المحرجة.. وما عليك إلا الصبر.. والإجابة بانتقاء خير الألفاظ.. بثبات ومرح..

وكان خاتم المطاف.. دعوتنا لنادي القصة.. الذي يرأسه المحتفى به.. **الأستاذ العروسي**..

قلت له: سأحرجك..

قال: كل حياتي احراجات.. وهذه واحدة منها.. وابتسم ابتسامة غامضة.

وعدت للفندق.. وكان معي حوالي ساعتين لأستريح.. ثم أنتظر.. لأذهب لنادي القصة.

في هاتين الساعتين.. قلت في نفسي.. سأفاجيء الأستاذ العروسي.. بقصة.. إذا وجدت لذلك سبيلاً ودبجت قصة كنت قد سمعتها في روما.. جرت حوادثها مع شاب عربي هناك.. وقد سمعت تفاصيلها بمحاورة جرت أمامي بين شاب عربي وقنصل الاردن الذي كنت في زيارة له آنذاك.

وجاءت السيارة وحملتنا أنا وزوجتي إلى نادي القصة.. وبعد الاستقبال والترحيب دلفنا إلى غرفة مستديرة المائدة وقدمنا الاستاذ العروسي بكلمات رقيقة وعبارات المجاملات الحلوة.

قلت: وأنا في نادي القصة.. يحسن بي أن أقدم لكم قصة، وتدفقت أسرد لهم القصة التي سلقتها على عجل.

وإذا الاستاذ العروسي عندما سمع أنني سأحرجه بادرني بإخراج أكبر.. ولنقل أنه دبر لي مقلباً وفهمت بعد ذاك سر ابتسامته الغامضة.

فهؤلاء الذين حول المائدة هم يا سادتي من أشهر كتاب القصة في تونس.. وهات يا أسئلة وهات يا إحراجات.. وكأنهم كما يقول المثل الدارج: يفلون النحلة..

وإيش ورطك يا شكيب؟.. فإذا بهم يمحصون كل كلمة وينتقدون بإحراج تام كل حبكة ولا يجاملون.. المجاملات في البيت.. في السفارة.. في الشارع.. أينما كان إلا في نادي القصة.

فهو ناد عريق.. له «**بروتوكول**» خاص وله نظام خاص ولا يدخله كل من هبّ ودبّ.. والحقيقة أنهم رقوا لحالي كضيف.. والحق يقال إن القاصات كن أعنف من القاصين في تلك الجلسة.. ولم يسعفني في تلك الجلسة أنني استهللت حياتي الأدبية بخمس كتب قصصية منها ما هو واقعي ومنها ما هو خيالي..

والحياة قصة يا سادتي منذ قصة آدم وحواء.. إلى قصة يوسف وقصص الأنبياء الى قصص الدول والشعوب إلى قصص الأباطرة والملوك.. ويتق


أ. شكيب الأمـوى


أ. ابو تراب الظاهرى

روايتهـا واستخـلاص العـبرة منهـا شعـراء وكتاب ومؤرخـون فحـول. . فيشـرون الأمجـاد والمروءات والنخـوات. . والتاريخ العربى والاسلامى. . بل والمكتبة العربية والاسلامية زاخرة بالأمجاد والبطولات.

والأمة التى تعنى بالقصة أمة حية لأنها تعرف فن الحوار وتلعب بالشخصيات التى تريد إبرازها وتسليط الأضواء عليها. . كما تلعب بأناملك العشر. . وكما هنـالـك شعر سام متفوق. . قمة. . وشعر حر. . وشعـر سيريـالى. . وشعـر لا رأس له ولا ذنب. . هنـالك قصة قمة. . قصة لا تنسى. . قصة تروى جيلاً بعد جيل. . وقصة تمر بها وكأنك لا تزال جائعا وظمآنا. . وكأنك لم تسمع ولم تر. . ثم لماذا لا نقول الحق. . السينما. . التلفـزيـون. . الإذاعـات. . الصحـافـة. . بأشكـالهـا وألـوانهـا. . وأذواقهـا. . وشموليتها. . التى تغطى كل القطاعات. . الرجل والمرأة. . الشاب والشيخ. . الطفل. . وكل الأجيال والأعمار. . تعتمد فى الدرجة الاولى على القصة. . ولذلك أعتبر المحتفى به الاستاذ العروسى من أذكى الأذكياء. . لأنه تخصص. . وعُنى بهذا الصنف من أطباق مائدة الأدب الشهية.

ولأفرح المحتفى به أكثر أقول: من عام ١٩٦٨ إلى ١٩٨٠ نُشرت فى تونس ٤٨ مجموعة قصصية ل ٣٦ مؤلفاً. . وعدد الكتب الأدبية فى الرواية والشعر والمسرح والنقد المنشورة فى نفس الفترة يبلغ ٢١٠ تمثل القصة القصيرة نسبة ٢٣٪ من الانتاج المنشور.

الصدى. . نشرت ٩٢ قصة ل٤٨ كاتبا.
الملحق الثقافى للعمل. . نشر ١٠٩ قصة ل ٤٦ كاتبا
الفكر: نشرت ٣٤٢ قصة ل ١٢١ كاتبا

ومجلة القصص: حبيبـة الاستـاذ العـروسى وابنتـه المفضلة نشرت ٤٤٣ قصة ل ٤١٣ كاتبا.

وكـذلـك الاذاعـة. . وجريدة بلادى. . ومجلة الشباب. . ومرآة الساحل. . ومجلة الحياة الثقافية. . نشرت هذه كلها ٤٦٣ قصة ل ٢٥٠ كاتباً.

ومنـذ عهـد المشائين الفلاسفة الإغريق. . منذ أرسطـو وأفـلاطـون وسقـراط وتتـدرج حتى تصـل شكسبير. . وتشمخ برأسك إلى أعلى علو. . عندما تصـل المتنبى. . كل فطـاحل الكتاب والشعراء. . مارسوا وتدرجوا فى فنون القصة شعراً ونثراً. . وتركوا بصماتهم نذكرها بخيلاء وكبرياء.

وفى وقتنا هذا. . ومن هنا. . نمجد ونرفع هاماتنا ونـزدهى طربـاً لشعـر الاستاذ محمد حسن فقى. . والاستــاذ غازى الـقـصـيـبـى. . وحبيب تونسى الـزمخشرى ومن قبلهم الشعراء العظام محمد حسن عواد. . وأحمد قنديل. . وحمزة شحاته. . رحمهم الله جميعـاً وستضيقـون إذا أطلت أكثر كلهم قصاصون لقصة حياتنا البائسة فحيا الله كل ما يأتى من تونس من أدب وشعر. . وقصة. . وحيا الله العروسى. .

والسلام عليكم. . أحبائى.

واسمحوا لى إذا قلت حياتنا البائسة التى تنقل حجـارتهـا كما على رقعـة الشطـرنج. . فى الشرق الأوسـط. . اسـرائيـل. . وإلى أن يستفيق المجـد العربى. . والتاريخ العربى. . والانسان العربى. . والبطل العربى. . فنحن بائسون. .

ولابـد وأن نذكركم أن تقرأوا **«وحتى الضحايا»** للاستاذ العروسى. . وهى قصة الصراع مع المستعمر من أجـل الحفـاظ على الأرض ضد اغتصـاب المستعمـرين وتخـاذل المسؤولـين. . ولـه جولات وصولات فى كل فنون القصة.

والسلام عليكم مرة ثانية

في بيتنا.. في ١٤ مارس ١٩٨٤

سيدى الاستاذ العروسى المطوى
سيدى الاستاذ القاسم بو سنينه
سادتى واخوتى:

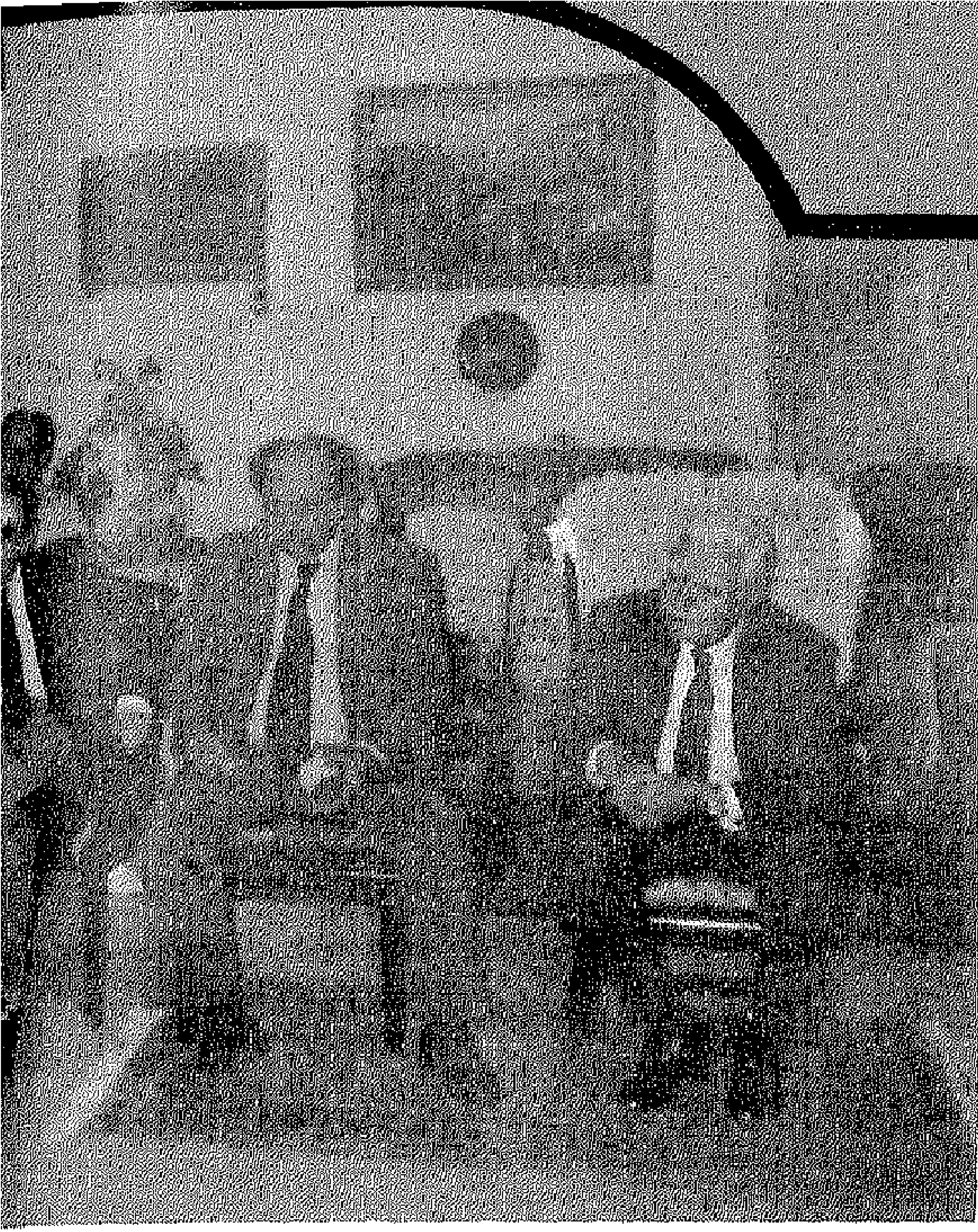
سأقتطف لكم باقة عطرة من أزاهير تونس.. هذه المرة شعراً على سبيل التنويع ولكن إذا استثقلتم هذه التمرات والجمرات.. على رأى استاذى الزيدان.. فلن احوجكم لغير تثاؤبة بسيطة.. أو إيماءة خاطفة.. حتى أتوقف وأخلى الميدان للسادة النجب.. الذين سنختطف الكلام الحلو العذب من أفواههم.. لا فضت أفواههم.. فأهل تونس خليقون بكل تكريم وحب.

الشاذلى خزندار:

وقفوا هناك وحسبهم
بمواقف الشرف الأثيل
ليسوا الجناة وانما
شأن القوى مع الضئيل
قالوا العدالة بيننا
هل للعدالة من سبيل
قالوا اخطبوا فبدا من
الخطباء ما يشفى العليل
نل حقك المهضوم وحدك
حيث خصمك لا ينيل
وادأب عليه محققاً
أن لا وجود لمستحيل

مصطفى آغه

روت لى فتاة حديثا جرى
باحدى مدارس بعض القرى



فقالت رأيت صبيحة يوم
فتاتين أجمل ما قد يُرى
«للى» ذاتُ حسن ايطالية
يجول بخدها ما أسكرا

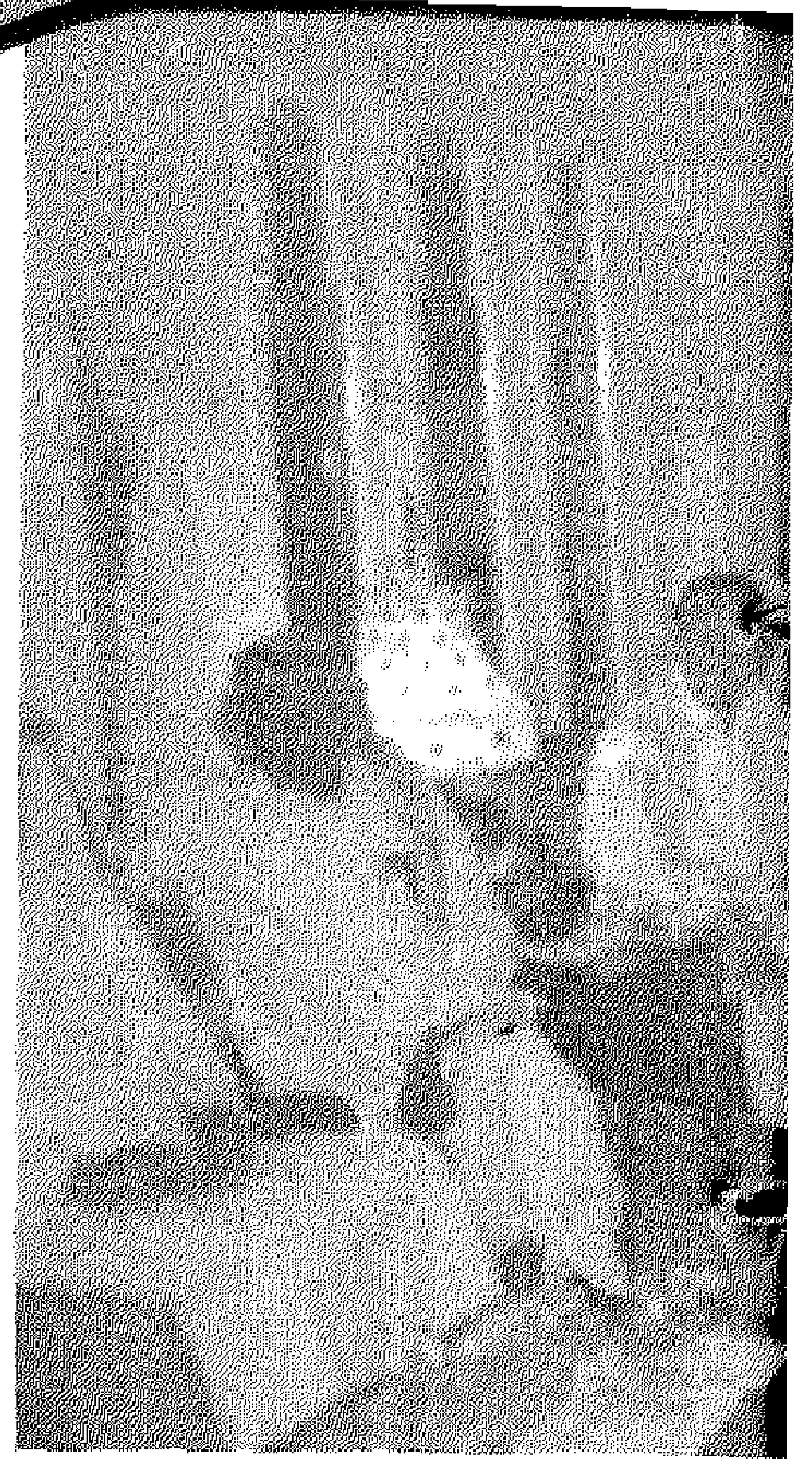
وتتناوب الفتاتان الوطنية والايطالية حواراً طويلاً تثبت فيه الوطنية وطنيتها مهما جار عليها الزمان

ابو الحسن ابن شعبان:

أيا أدباء العصر قد جد جدكم.
فهبوا إلى ايقاظ كل معاصر
ووالوا اجتماعات يعود انتظامها
على قطرنا الزاهى بجم المفاخر
فقد فتح النادى وكان لكم به
مجال الى الملقى وحسن المعاشر
كأنى أرى روح ابن خلدون بيننا
ترحب بالزوار ترحيب شاكر
فأنتم إلى الفصحى حماة بواسل
يذاد بكم عن حوضها كل ضائر

الهادى المدنى: يهيم بشعره:

ما الشعر إلا حياة المرء قد برزت
تختال فى حلل الألفاظ والحلل



أ. طاهر الزمخشرى
أ. قاسم ابو ستينه
أ. السفير المتجول التونسى
أ. الاستاذ منير شما



كم ذا انتشرت به همة ركدت
وكم قرعت به من خامل وَكِلَ
وكم سبيت به فتانة برزت
تسبى السورى برشيق القد معتدل
وكم دعوت به قومى لمفخرة
فشمروا لذرى العليا بلا مهل

وهذا نقادة.. عريق.. زين العابدين السنوسى
يقول مزمجراً:

أكل وشرب والجماع غدت
هذى البلايا ممّ دومها فينا
والمال والجاه والأنساب تفخرنا
يا ليت هذى الرزايا فى أعادينا

* * *

يقولون لى قد هجرت بلاداً
لها المجد فيها مضى والفخار
وكنت عليها مع النائبات
وأنت ابنها من عريق النجار
نعم انى قد هجرت بلادى
وعفت مقامى بتلك الديار
ولو كنت أرضى رقياً ضئيلاً
ومجداً يؤول إلى الاندثار
لكنت بنهضتها معجباً
ووشيت ثوبى بوشى معار
اريد لها المجد غضاً غريراً
دعائمه راسخات القرار
كمجد ابن باديس أو مجد أغلب
أما التمجد فهو الشنار

لابد من التعريج على أبى القاسم الشابى:

نحن نمشى وحولنا هاته الأكوان
تمشى.. ولكن لأية غاية
نحن نتلو رواية الكون للموت
ولكن ماذا ختام الرواية؟
هكذا قلت للرياح فقالت:
سل ضمير الوجود كيف البداية؟
قد رقصنا مع الحياة طويلا
وشدونا مع الشباب سنينا
وأكلنا التراب حتى مللنا
وشربنا الدموع حتى ارتوينا
وبذرنا اللذات والشوق والآلام
والمبهجات، أنى مشينا
جفّ سحر الحياة يا قلبى الباكى
فهيّا نجرب الموت، هيّا



سعادة السفير احمد ابو رحيمه والاستاذ العروسى المطوى

لن أترككم مع الموت . . بل مع الحياة
مع محمد بو شربيه :

آمنت أن بلاد العرب سوف ترى
حزم الرشيد وعزمات ابن مروان
ووحدة الضاد تلتف العروش بها
وصولة الدين فى عزٍّ وسلطان
وألفة تتمشى فى مناكبها
تقصى الخلاف بإيلاف لتيجان
هناك ينبعث الاسلام ثانية
فى الأرض يهدى لارشاد وإحسان
يحيى المساواة والعدالة فى
صدق تنزه عن زور وبهتان

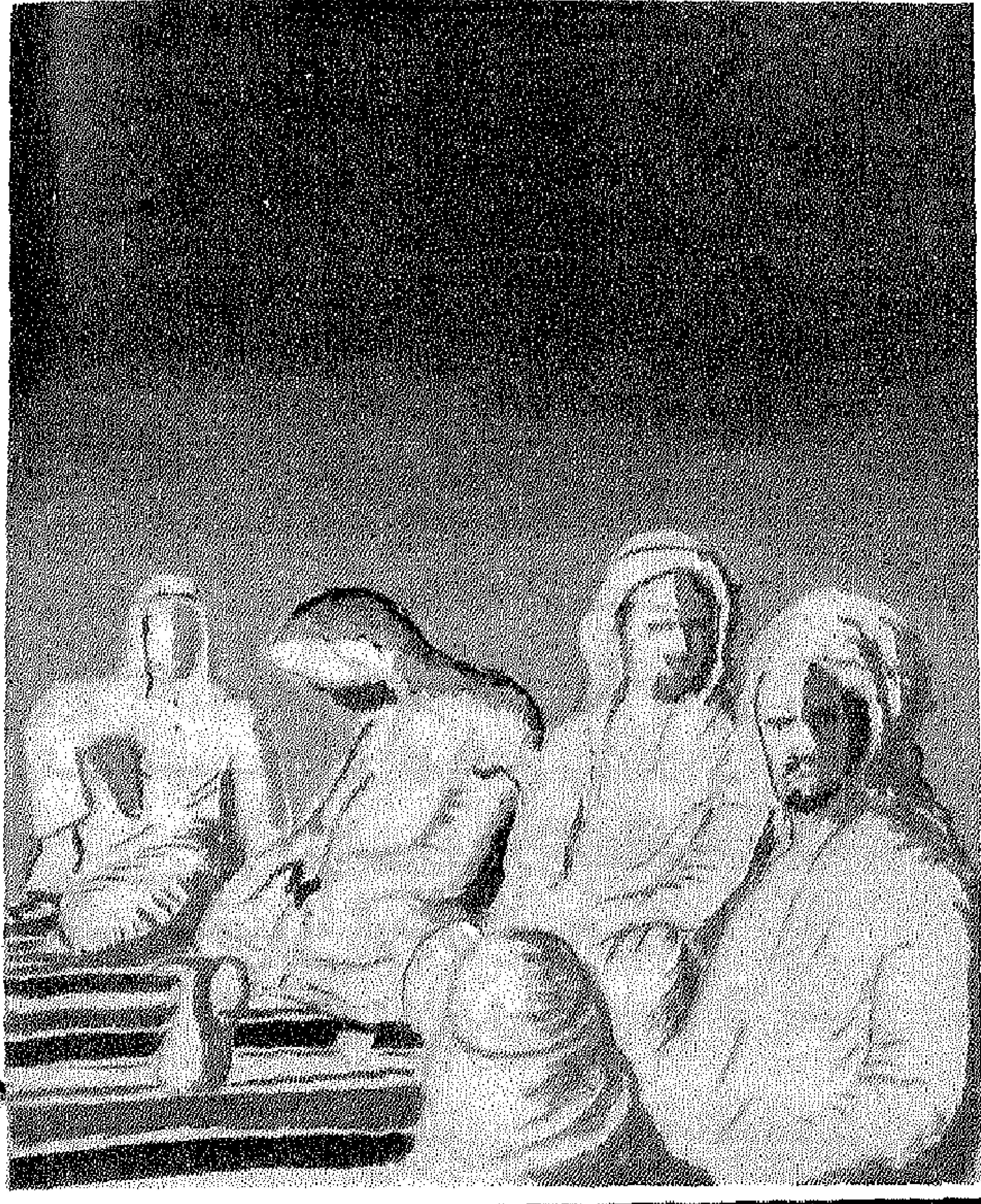
لا نشبع من تونس . . وشعراء تونس . . وأدباء تونس . . وطاهر الزمخشرى التونسى . . ولكن ألمح تثاؤبات وهمهات ووشوشات أخشى بعدها اللكمات والبوكسات . .

وأحيى من هنا . .

أحيى . . كما أحيى أول سفير لتونس فى السعودية . . الاستاذ العروسى المطوى

أحيى الاستاذ موسى الرويسى . . والاستاذ قاسم بوسنينه والاستاذ عبد الرحمن العمران . . والاستاذ طاهر الزمخشرى . . الذين قووا أواصر الود والمحبة والصداقة بين السعودية وتونس .

وتقدم الفارس المغوار . . المجلى فى كل مجال . . الأستاذ العلامة أبو تراب الظاهرى . . فأتحف الحضور . . بهذه الخريدة :



أيها الحفل كرم (المطويا)
كاجتلاء العروس ليس خفيا
إن من حقه علينا جميعاً
أن ينال التبجيل منّا رضيًّا
ولئن أكرمته فتية ناد
فاكْسُه بُردةَ المديحِ حفيًّا
عرفوا قدره فكان مكيناً
واسع الشأو قديرا ألمعيا
همه خدمة (الأقاصيص) فناً
ينتقى فيه نثرها العبقريا
بذل الجهد بالغاً منتهاه
فغدا اليُنْعُ مستطابا جنيًّا
نابه فاضل أديب لبيب
غوصه قد أتي ثِرى لؤلؤيا

وأتـى بالجـيـاد نقبـاً ونـحـتـاً
وأتـى بالحـسـان بحـشـا ذكـيـا
بهر الـنـاس رأيـه وحـجـاه
حين يجلو من الـغـوامض شيـا
برَّ أقـرانـه بثـاقـب فكـر
سمـع المـشـرقـان منـه الـدويـا
فطـن ماهـر يفـوق كثـيراً
من بنـي عصـره يُغِـذُّ المطيـا
ويـمـيـط الـلـثـام عن مبـهـمات
فيـجـيء الـكـلام لحـنـا شجـيـا
نتـسـاقـى من نبـعـه وهـو ثر
صيـتـه طارق الـدنـا أحـوذيـا
وهـو في يَمِّـهِ كَرَبِّ سفـين
هابـه الـقـوم مائـجـا لُجِّيًّـا
أنـت فنَّـار جيـلـك الـيـوم طُرًّا
يرقـب الـنـشء نجـمـه القطـبـيـا
لا تلين الـقـنـاة منـك اذا ما
جاء فدم الـلـسـان شيـئـا فريـا
فامض في سيرك الحـثـيـث دؤوبـا
شامـخ الأنـف مسـتـقـيـما أبيـا
وانـثـر الـورد والأزاهـير فغـوى
ينفـح الطيـب حيث كنت شذيـا
أيهـا الـصـحـب انـه (تـونـسـي)
فارفـعـوا شأنـه مكـانـا عليـا
يسـتـحـق الـثـنـاء وهـو فخـار
هزَّ مَنْ كان دانـيـا أو قصـيـا
وسـلام على ذويـه جميـعـاً
عليـة الـقـوم شرفـونـا إتـيًّـا

ثم استفـاض معـالي الشيخ عبد الله بلخير.. بذكـريات عن تونس كانت معطارة زاهية رائعة من روائع ذكرياته أيام ولت ومناسبات تلت.

وانفض السامر وتفرق السهار.



ويعود السامر وليلتئم جمع السمار من جديد ليوصلوا أقدم ما انقطع حديثا ما يستجد بقلم أديبنا الأفضل الدكتور صلاح الدين المنجد والذي سيبدي في منهله ابداعًا وعطاءً وهمًّا. سيكون له مع القراء الأفاضل لقاء غير متقطع بزهر نفائس الكلام على المنهل في عامه الجديد ١٤٠٥هـ

د. صلاح الدين المنجد في سطور

- مدير معهد المخطوطات العربية في القاهرة سابقا وعضو مراسل لمجمع اللغة العربية في القاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد والمجمع العلمي الهندي والمعهد الالماني للآثار في برلين.
- دكتور في القانون من جامعة السوربون
- مستشار سابق في جامعة الدول العربية.
- أستاذ زائر في جامعة برنستون بالولايات المتحدة
- أستـاذ محاضـر في جامعة فرانكفورت. وبعض جامعات المملكة - والجامعة الامريكية في بيروت.
- شارك في خمسة وعشرين مؤتمراً دولياً للدراسات العربية والاستشراقية.
- نال جائزة المجمع العلمي العربي لأحسن نص قديم محقق (رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة).
- بلغ عدد آثاره مئة وخمسين كتاباً ما بين نصوص محققه وتآليف.
- ترجمت بعض مؤلفاته الى ثماني لغات عالمية.
- له مقـالات وابحـاث كثيرة نشرت في أمهات المجلات والصحف العربية والأوربية.

نحو غدٍ أفضل

الإسلام ومستقبل الإنسـ

الغد هو التاريخ المفتوح الممتد، فلم يعد الزمان مفصولا إلى ماض، وحاضر، ومستقبل.. بل هو تطور متصل، وحلقة متكاملة، يكمل غده حاضره وماضيه أبدا فالحياة وحدة واحدة فروعها من جذورها الضاربة فى أعماق الماضى البعيد.

والغد: هو حاضر الأبناء والأحفاد وهو الأمل الذى نعيش له ونحلم به دائما ونتمناه يجيئنا فى جمال الربيع وعطر الورد ورقة السحر فكلما ضاقت نفس الإنسان بالهموم وأحاطت به الأزمات وأدركه السأم من واقع سيىء تمنى الخروج منه إلى غد أفضل.

وتخطيط الإنسان للغد أمر ممكن والأمم الحازمة تخطط للمستقبل ومن أجل ذلك تقوم وزارات للتخطيط فى معظم الدول اليوم وهنا تتجلى عظمة الحديث الشريف: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا**».

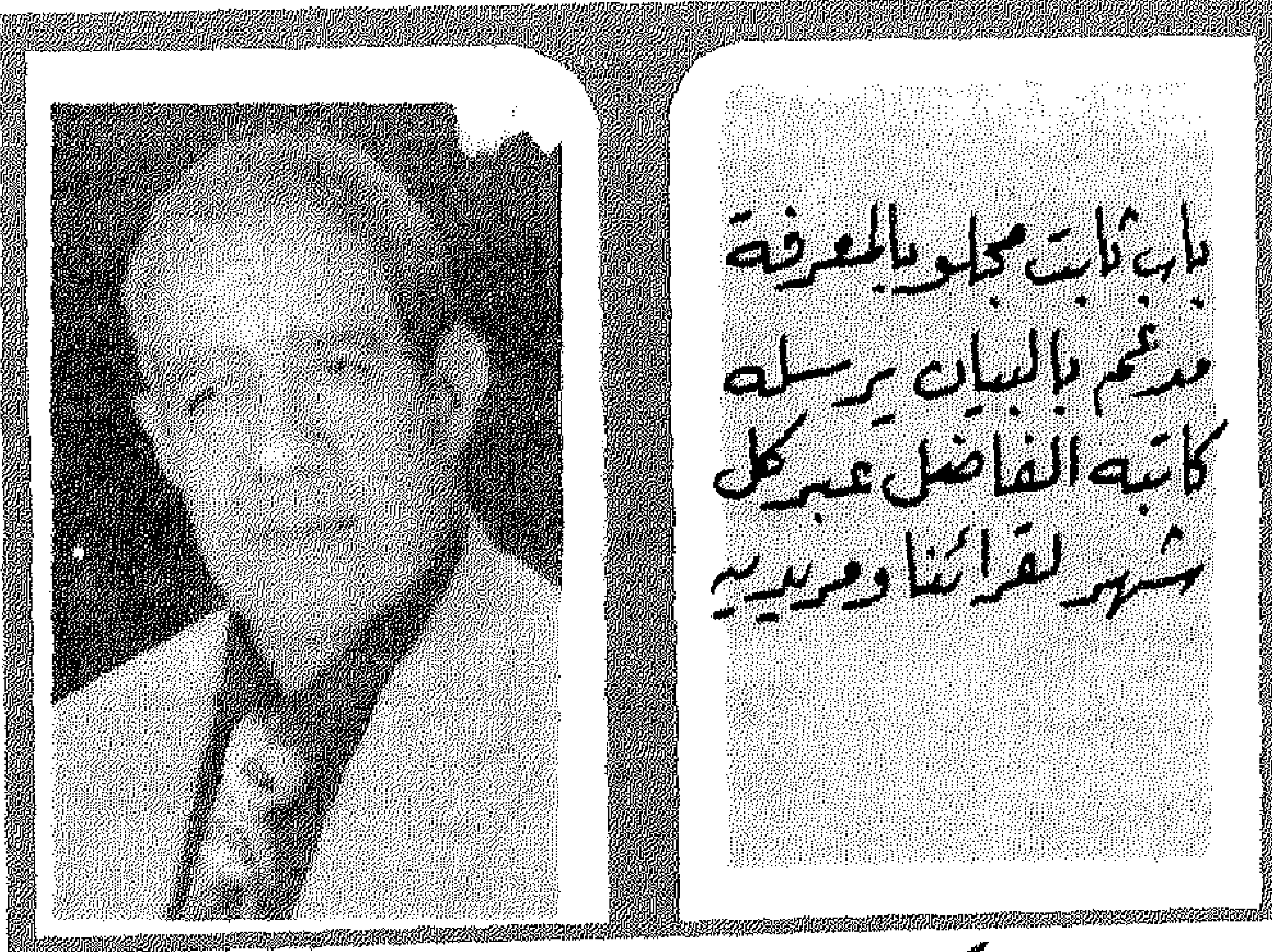
وحين نتحدث عن غد الإسلام فإننا نذكر ما يجيش فى الصدور من أمل.. فى أن يأتى اليوم الذى تتولى فيه مبادىء الإسلام توجيه هذا العالم المضطرب وقيادته إلى شاطىء الأمان ونقوم فيه نحن المسلمين بواجبنا نحو الإنسانية التى جعلنا الله شهداء عليها وأمرنا بتوجيهها إلى الخير وتحذيرها من الشر «**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**»

وتبدل الحاضر المؤلم إلى غد أفضل ليس بالأمر البعيد فى حدود الإمكان وليس بالشىء الذى تعجز عنه قدرة الانسان.

وتمثل انتصارات المسلمين الكبرى خلال حقب التاريخ إمكان ذلك التحول، وقدرة العقل المسلم على تحويل الهزائم إلى نصر مبين، وأمامنا شريط ممتد من بدر إلى فتح مكة فاليرموك فالقادسية ثم حطين وعين الجالوت.. وأخيرا معركة العاشر من رمضان المجيد.

لقد وقفت الإمبراطورية الرومانية الشرقية فى وجه الإسلام العظيم منذ معركة اليرموك حتى فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح فى أواسط القرن التاسع الهجرى تشن عليه الحروب وتدبر له المؤامرات وتؤلب عليه القوى المختلفة.. ونحن نعرف أنها كانت إحدى القوى





ـانية

بقلم الدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى

المحركة للأحداث فى الحروب الصليبية وأنها كذلك كانت المحرك لجيوش التتار لغزو العالم الإسلامى وحسبنا دليلا على ذلك ما يرويه التاريخ من أن هبتون ملك أرمينية المسيحى كان العامل الرئيسى فى إقناع الملك المغولى «مانجوخان» (٦٤٦-٦٥٥هـ /١٢٤٨-١٢٥٧م) بإرسال تلك الحملة التى دمرت بغداد بقيادة هولاكو (٦٥٦-١٢٥٨م) وأن هولاكو التترى زوج ابنه من ابنة إمبراطور القسطنطينية المسيحى(١).. ومع جرائم الإمبراطورية الرومانية الشرقية ضد الإسلام وشعوبه فإنها لم تلبث أن انهارت فجأة بدخول السلطان محمد الفاتح القسطنطينية فى اليوم الثلاثين من مايو عام ١٤٥٣م - ٨٥٧هـ، حيث سار من باب القديس رومانوس ممتطياً صهوة جواده فى موكب نبيل إلى كنيسة سانت صوفيا فأذن من فوق قبابها للصلاة، وكان ذلك انتصارا رائعا للروح الإسلامية ودليلا قويا على أن قوة القرآن فى جمع شمل المسلمين وفى تجديد معنوياتهم لم يصبها أبدا الوهن فى يوم من الأيام.

إن الشعب العربى المسلم لا يعرف اليأس أبدا، ولم يتطرق اليأس إلى قلبه فى يوم من الأيام.

يقول إقبال شاعر الإسلام فى العصر الحديث.

إنك أيها المسلم فى العالم كله حق وحدك وما عداك سراب خادع ووهم باطل.

ويقول سارتون المستشرق الأمريكى المشهور(٢):

إن شعوب الشرق الأوسط - وهى مجموعة الشعوب العربية - قد قادت العالم فى حقبتين طويلتين:

أولاهما: *قبل أيام اليونان طوال ألفى سنة.*

وثانيهما: *فى العصور الوسطى - يريد عصور حضارة الإسلام - مدة أربعة قرون على الأقل، وليس ثمة ما يمنع تلك الشعوب من أن تقود العالم مرة أخرى فى المستقبل القريب أو البعيد.*

فما هو الغد الذى نريده إذاً للإسلام؟

إنه - حتما - لا يمكن أن يكون غدا آخر مقطوع الصلة بماضينا لأن ذلك محال يأباه ديننا وتاريخنا وتراثنا وعقلنا، ويأباه كذلك منطق الأشياء، وإذا تصورنا غدا آخر مقطوع

الصلة بالماضى فإن من المحال الوصول عن طريقه إلى أهدافنا وإلى وحدة إسلامية ووطنية كاملة ومن المحال كذلك فى ظله تلافى الصراع الطبقى والحروب الاجتماعية بين طبقات المجتمع.

وقد *فشلت ولا تزال تسير فى طريق الفشل كل المحاولات لبناء غد للإسلام يرتكز على أصول غير إسلامية من الوثنية أو العلمانية أو المادية الإلحادية أو غيرها من المذاهب الاقتصادية والسياسية السائدة اليوم.*

ومحور دعوات أئمة الاسلام ومفكريه فى العصر الحديث هو عودة منهج الحياة الإسلامى الذى يستمد مقوماته من الإسلام والقرآن منطلقا من الرسالة التى أذن بها محمد صلوات الله وسلامه عليه فى شعاب مكة وبلغها للناس كافة.. فالطهر الروحى هو منطلقنا إلى الحياة والمجد والعزة ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما كان يقول شيخ المجتهدين الإمام مالك رضوان الله عليه.

ونحن نعلم أن عدد المسلمين اليوم فى العالم لا يقل عن سبعمائة مليون فى آسيا ونحو عشرين مليونا فى أوربا وأمريكا وهو عدد هائل يمكنهم أن يصنعوا الأمجاد فى عالمنا المعاصر.

والإسلام وهو يجمع فى نطاقه الكبير كل شئون الدين والدنيا فى بوتقة واحدة لا يمكن أن يكون فى عزلة عن الحياة وواقع الناس وشئون الدولة ولا يمكن أن يصير إلى ما صارت إليه الأديان الاخرى، من اقتصارها على شئون الإنسان وحده حيث لا صلة لها بشئون المجتمع أو الدولة وحيث يردد أصحابها شعارهم المعروف: **«دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله»**.. وهو أكثر الشعارات بعدا عن روح الإسلام وجوهره ورسالته، والله عز وجل يقول فى كتابه الحكيم: **﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء﴾**(٣)، وليس الإسلام كالمسيحية ولا كغيرها دين رهبنة ولا دينا لا تجده إلا داخل الكنيسة.. إنه حركة اجتماعية دائبة تشمل الاعتقاد والأخلاق والدولة والنظم الاجتماعية، يقول العقاد: (٤)**«لم يذهب الإسلام مذهب التفرقة بين ما لله وما لقيصر لأن الأمر فى الإسلام كله لله بل لله الأمر جميعا»**.

وعلى هذا الشعار الزائف وهو: «ما لله لله وما لقيصر لقيصر» لا يكون هناك فى رأيى معنى لأن يأمر الله عباده بتحمل المسؤولية وبالأمانة وبالصدق فى المعاملة وبالحفاظ على أعراض الناس ودمائهم وأموالهم ولا بالعدل بين الناس والإنصاف فى معاملة الرعية.

والتوحيد فى الإسلام هو دعامته الكبرى يقول محمد فريد وجدى(٥): الإسلام أن تسلم وجهك لله مجردا نفسك عن علمك وعقلك وحولك وقوتك وتقاليدك كلها وان يكون الخشوع دثارك والتقوى والرجاء والضراعة صفاتك متجردا له كيوم ولدتك أمك على الفطرة لتتحقق عبوديتك.

وليس من ريب فى أن أعداء الإسلام اليوم من صليبيين وصهيونيين وعلمانيين وشيوعيين ووثنيين وغيرهم يزيفون على الإسلام شعارات وأفكارا زائفة كثيرة محاولين بذلك صد التيار الإسلامى عن طريقه، ويجب أن يعرف المسلمون جيدا هذا ويجب أن يؤمنوا بأن الإسلام ليس هو ما يذيعه المستشرقون وتلاميذهم ولا ما يذيعه من يصفون أنفسهم بالمتحررين والتقدميين وليس هو ما تقرؤه فى كتب تروج لها أيد مجهولة تخطط لعرقلة سير الإسلام ومده العظيم.

وقد وعد الله عز وجل عباده الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن تكون لهم السيادة فى الأرض، فقال عز من قائل: **﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾**(٦).

ولا ريب أن الإسلام الذى سارت تحت لوائه أيامنا وأجيالنا وخفقت فى ظلال انتصاراته أعلامنا وأرواحنا وشهدت حضاراته ومختلف تياراته أرضنا وسماؤنا وكان منه ماضينا، ومن خيوطه نسج حاضرنا وفى ظلاله سوف يحيا غدنا وهو الذى لا غد لنا أبدا إلا فى ظلاله وتحت راياته وفى ضوء نوره.. ولن يصنع الغد المأمول الوضاء للإسلام وشعوبه إلا المسلم الحقيقى الذى وصفه إقبال شاعر الإسلام بأنه «مطلع فجر السعادة فى العالم، ومؤذن الصباح فى الليل المظلم ومصدر التطور الصالح فى التاريخ حتى يشرق العالم بالنور ويستيقظ الكون من سباته بالبعث.»

يقول العقاد: إذا بقى للإسلام إيمانه والمؤمنون به فلا خطر عليه من أقوياء اليوم ولا من أقوياء الغد المجهول(٧).

وإذا بقى للإسلام ذلك فإن قيادة العالم كله ستوضع بين يديه لأنه حينئذ لن يكون هناك صوت أعلى من صوته ولا رايه أرفع من رايته وليس الإسلام خطرا على أحد ليس خطرا على المسيحية ولا على اليهودية ولا على الشرق ولا على الغرب لأنه دين السلام والعدل والرحمة ودين الحب والتسامح الحقيقى.

إن الذى وقف فى معارك الإسلام الكبرى مؤمنا صامدا صابرا مناضلا من أجل الحق والحرية ورسالة السماء إنما هو المسلم الحقيقى وهو ومن ماثله هم الذين روعوا هرقل إمبراطور الرومان وفزعوه فى حروبهم فى الشام فلما خرج منها مهزوما مدحورا ووصل إلى أنطاكية وأقبلت فلول جيوشه إليه محطمة ذليلة أمر بعقد مجلس حربى أعلى وصاح فى كبار قواده .

ـ ويلكم ، أخبرونى: هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا بشرا مثلكم؟

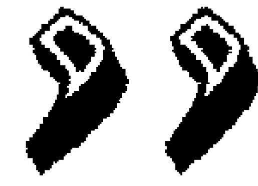
فردوا عليه : بلى.

فقال لهم : فأنتم أكثر أم هم ؟

قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافا فى كل موطن.

قال لهم الإمبراطور : فما بالكم تنهزمون؟

فسكتوا، وأجابه قائد من كبار قواده قائلا : أيها الملك انتصروا وهزمنا من أجل أنهم يقومون بالليل ويصومون بالنهار ويوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزنى ونركب الحرام وننقض العهد ونظلم ونأمر بالسخط وننهى عما يرضى الله ونفسد فى الأرض.



كل القوى الصليبية والصهيونية والوثنية والعلمانية عقدت العزم على حرب الإسلام والمسلمين



وفى غزو المسلمين لبلاد كسرى جلس رسول قائد جيش المسلمين فى مجلس الامبراطور الفارسى يزد جرد وأقبل عليه كسرى يسأله: من أنتم؟ وماذا تريدون؟ وجاء الجواب واضحا قويا جلياً: **إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل السماء.**

يقول المودودى(٨): **إن فلاح الإنسانية وصلاحها فى المستقبل فى أن تؤمن بالإسلام وتكفر بكل ما اخترعت من النظريات الباطلة.**

ويشهد برنارد شو بحيوية الإسلام العجيبة ويقول إنه الدين الوحيد الذى له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة وهو صالح لكل العصور وقال عن رسول الإسلام: إنه يجب أن يسمى منقذ الإنسانية وأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يحكم العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشكلاته بأسلوب يؤدى إلى السلام والسعادة الذين يفتقر العالم إليهما كثيرا.

وإذا كان المسلمون اليوم قد انتهى مصيرهم إلى فرق: فرقة تذهب إلى أن الإسلام قد انتهى زمنه وهؤلاء قد سيطر الجهل على عقولهم فهم مثلا لا يبلغون فى فهم الإسلام مبلغ بعض المستشرقين الذين يجهر واحد منهم بأن «قوة القرآن فى جمع شمل المسلمين لم يصبها الوهن(٩)».

وفرقة أخرى تذهب إلى أن الإسلام سوف يعود إلى الظهور على مسرح الحياة قوة عالمية ثالثة بين قوتى الشرق والغرب قوة بين العديد من القوى التى تسيطر على أقدار العالم والحياة، وكنت أنا أذهب إلى ذلك منذ نحو ربع قرن فى مقالات نشرت فى مجلة الأزهر عام ١٩٤٦م وما بعده وفى كتبى: الإسلام وحقوق الإنسان، الإسلام دين الإنسانية، الإسلام ومبادئه الخالدة وسواها.

ويردد العقاد ذلك الرأى أيضا فى كتابه «الإسلام فى القرن العشرين» فيقول : إن الإسلام مجموعة من مجاميع الأمم الكبرى فى القرن العشرين، وكذلك ذهب الدكتور محمد البهى فى كتابه «الفكر الإسلامى، مشكلات الأسرة والتكافل المطبوع منذ سنوات قلائل.

وأشهد بخطأ هذا الرأى وأقول إن الغد وحده لعقيدة الإسلام والغد للإسلام وحده . . إنه سيكون فى الغد القوة الروحية المؤثرة فى العالم ولسوف يكون الإيمان بالإسلام أمرا توجبه مسيرة التاريخ وحتمية انتصار الحضارة .

إن غرض الصهيونية العالمية هو تمييع التراث العربى الإسلامى فى المنطقة على الرغم من تمسكها هى بتراثها الدينى اليهودى .

وموقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية موقف معروف، فقد ذهب إليه وفد يهودى من «جمعية أحياء صهيون» وعرضوا عليه بوساطة رئيس وزرائه تحسين باشا العرض التالى :

١ ـ يتعهد اليهود بسداد جميع ديون الخلافة ومقدارها ١٣٣ مليون ليرة ذهبية إنجليزية، وفوق ذلك يقدمون قرضا للخلافة مقداره ٣٥ مليون ليرة ذهبية دون فائدة . ويتعهدون كذلك ببناء أسطول بحرى تجارى للدولة يتكلف ١٢٠ مليون فرنك فرنسى .

٢ ـ على أن يسمح الخليفة لليهود بإنشاء مستعمرة لهم قرب بيت المقدس وأن يباح دخولهم إلى فلسطين للزيارة فى أى يوم من أيام السنة .

وكان جواب الخليفة هو ما نصه :

يا تحسين قل لهؤلاء اليهود الوقحين ما يلى :

١ـ إن ديون الدولة ليست عارا عليها فغيرها من الدول مثل فرنسا مدينة .

٢ـ ليحتفظ اليهود بأموالهم فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمى وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام .

٣ـ بيت المقدس افتتحها للإسلام عمر بن الخطاب ولست مستعدا لأن أتحمل فى التاريخ وصمة بيعها لليهود ولا لخيانة الأمانة التى كلفنى المسلمون بحملها .

٤ـ وأخيرا، مر اليهود، فليخرجوا من عندى ولا يحاولوا بعدها مقابلتى أو الدخول إلى هذا المكان أبدا .

وخرج اليهود ليأتمروا مع الاستعمار على السلطان عبد الحميد فقامت الثورة عليه وأقصى عن عرشه، ثم محيت الخلافة من تركيا وكانت الأموال التى رصدوها لحربه وللتخلص منه هى السبب الرئيسى لكل ما حدث .

ولقد مدت الصليبية والصهيونية أيديها إلى الوثنيات المختلفة، تستعين بها فى محاربة الإسلام والقضاء عليه فى بلاده وفى بلاد أخرى كانت إسلامية آمنة، مثل القرم والقوقاز وبخارى وسمرقند وخوارزم وزنجبار والفلبين وموزمبيق وسواها، ولذلك نرى الصهيونية تلقى معاونة من الدول اليسارية وغير اليسارية على السواء . . وهذا كاسترو ينصح السفير الإسرائيلى فى بلاده كما ذكرته صحف كوبا وإذاعتها وترجمته عنها صحفنا العربية فيقول له :



نبذنا حضارة التوحيد والقيم وعملنا «بحضارة» المقامرة والربا وسفك الدماء



على إسرائيل ألا تترك الحركة الفدائية تتخذ طابعا إسلاميا دينيا حتى لا يجعل من حركتهم شعلة من نار الحماس الدينى، مما يجعل من المستحيل على إسرائيل أن تصون كيانها لأن الفداء إذا تملكته عقيدة دينية وبخاصة فى المجتمعات الإسلامية تلاشت أمامه كل العقائد الأخرى بما فيها الماركسية . . وقد أنطق الحقد على الإسلام هذا الشيوعى المتطرف فقال ما قال .

إن جميع هذه القوى تقف فى مواجهة الإسلام لترصد حركاته والتعرف إلى خطواته والتسمع إلى أخباره، ما خفى منها وما ظهر ليدبروا المؤامرات له فى كل مكان .

وتحرص جميع وسائل الإعلام العالمية والصهيونية على تجسيم خطر أية خطوة يخطوها المسلمون ليلفتوا الأنظار فى العالم الصليبى واليهودى والشيوعى إليها، وليعملوا متكاتفين من أجل القضاء عليها . ويجتمع القادة الروحيون وغير الروحيين فى أوربا بين الحين والحين للتخطيط لمستقبل الإسلام . . ولكن الله لهم بالمرصاد ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الأذلين . كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز﴾ .

ويساعد الصهيونية فى تحقيق أغراضها هذا الغزو الفكرى الصليبى للشرق الإسلامى العربى. ونشوء طبقات جديدة من أبنائنا أصبحت لا ترى الحياة إلا بمنظار الغرب وثقافاته وفلسفاته وفكره بل أصبحت ترى أن فكر بلادها وتراثها، بل دينها عبء ثقيل عليها يجب طرحه والتحرر منه وألا يبقى له أثر فى حياة المسلمين المعاصرين أينما كانوا. ومن هذا المنطلق الغريب وهو أثر غسل المخ الذى أجرى فى أوربا وفى مدارس التبشير فى بلادنا لهؤلاء الناس، أصبحنا نجد من يصف الإسلام التقدمى العظيم بأنه دين رجعى ومن يتحدث عن قطع يد السارق بأنه عمل بربرى، ومن يقول عن كل شىء فى الإسلام إنه منطق البداوة وأن تراثه متخلف من مسايرة ركب الحضارة.. وأين هؤلاء من مثل عزل نحو خمس السكان فى الولايات المتحدة عن الحياة بناء على فلسفة التفرقة العنصرية.. ومن مثل إبادة الوطنيين السود فى جنوب أفريقيا ليحل محلهم الأوربيون البيض؟ وكان كرومر إذا سئل عن موعد جلاء الإنجليز عن مصر يقول: حين نربى جيلا مؤمنا بالثقافة الغربية وحدها.

وينادى آخرون من هؤلاء الطبقات بأن الإسلام خصم للعلم، وتكرر الشيوعية والعلمانية أنه دين الغيبيات وأنه سبب ضعف المسلمين. يقول مثلا كليموفتش فى كتابه الإسلام المطبوع فى موسكو عام ١٩٥٦م: إن الإسلام فى جوهره مازال ولا يزال عدوا للعلم. ويقول ماركسى آخر: الإسلام عدو للعلم.

ونود أن نسأل مع العقاد: هل يؤمن عقل الإنسان بالدين فى هذا العصر ويرى دينا أحق بالإيمان به من الإسلام؟

ولماذا لا يؤمن عقل الإنسان بالدين؟ أليس أعظم رجال البحث العلمى فى أوربا كانت نفوسهم مشربة بالشعور الدينى العميق؟.

على أنه لا يفوتنا أن نلفت النظر إلى أن بعض المؤتمرات التى تعقد فى أنحاء العالم باسم الإسلام هى مؤتمرات تهدف الى تزييف تاريخ الاسلام وحضارته وثقافته وأفكاره ويتصدرها المبشرون والمتعصبون من المستشرقين وتلاميذهم.

لقد حاول الغرب إخضاع الشرق الإسلامى لماديته ولمذاهبه الهدامة ولفلسفاته اللا إنسانية ولإلحاده ولآرائه فى السلوك والأخلاق والعادات وخضعت بعض المجتمعات بتأثير ذلك لأفكار الجنس والعرى والربا والخمر والاستهتار وغيرها. فالربا فى رأى دعاة التبعية لا يستقيم أمر العالم إلا به. وإذا قرأنا لعالم فرنسى كبير مثل جاك أوسترى فى كتابه «**الإسلام أمام التطور الاقتصادى**» الذى نشر فى باريس عام ١٩٦١م لوجدناه يقول فى صفحة ١١٢: إن الإسلام يتمتع بإمكانيات هائلة وإذا ما وجد الطريق الصحيح مفتوحة أمامه فإن كثيرا من الصعوبات الاقتصادية سوف يحلها هو وحده، ثم يرى انه أقدر على ذلك من غيره من مذاهب الاقتصاد الروسية والغربية.

إن سياسة التلفيق التى ينتهجها بعض الكتاب فى كتابتهم عن الإسلام لا ثمرة لها فكل فكرة فى الإسلام فى رأيهم يجب أن تقاس بمقاييس الغرب وموازينه قياسا كاملا حتى تصبح مقبولة عند هؤلاء.

ومن خلف هؤلاء تتنمر المادية ويتنمر المبشرون والمستشرقون للإسلام وللمسلمين ويناصبونه جميعا العداء.

ويهددنا الغرب بحضارته المادية.. وهذه الحضارة هى شىء مفزع ورهيب فى نظر المسلم العادى ولكنها مع ذلك وكما نؤكد أوهى من بيت النمل، وأوهن من بيت العنكبوت.

إنها حضارة لا أساس لها. مادة بلا روح وأهواء بلا عقيدة وليست تنطوى على أية نزعة إنسانية أو خلقية، وهى تقف كل لحظة أمام أبواب الفناء الذرى.

يقول إقبال:

«مثلت حضارة الغرب دورها وقد شاخت وهرمت أينعت كالفاكهة وحان قطافها، وسوف ينهار العالم الذى حوله مقامرو الغرب إلى حانة للفساد ولقد رأت أوربا بعينيها النتائج المخيفة لمثلها الاقتصادية والأخلاقية والعلمية ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد وهذا العالم لا يحسن تصميمه إلا من بنى للبشرية البيت الحرام، وورث محمدا وابراهيم قيادة العالم.

إن حضارة القمار والربا والميكيافيلية الشريرة والأيدولوجيات المتخلفة والتفرقة العنصرية البغيضة

والاستعمار الوحشى البربرى، حضارة العرى ـ والإباحية والعلمانية والمادية حضارة استعباد المرأة باسم تحريرها . . لا مكان لها فى قاموس المثل والقيم الشريفة .

وكل عنصر شريف فى حضارة الغرب فهو منا والينا يقول غوستاف لوبون فى كتابه حضارة الغرب :

إن أوربا مدينة للعرب بحضارتهم فالعرب كانوا هم ممدنين للغرب، وأئمة له فى ستة قرون وعن طريقهم اهتدى الغرب إلى تراث الإغريق وكشف ماضيه فأخذ ينقب عنه ونحن لا ننسى أن خضوع العربى المسلم لحضارة الغرب، ووقوعه تحت سيطرتها الكاملة مما جعل المواطن العربى يواجه معضلات ومشكلات هائلة وخطيرة فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلم لا يدرى كيف يتفاعل معها فى علاقاته الداخلية والخارجية على السواء إلى الذلة النفسية التى طغت على الكثير منا أمام طغيان الحضارة الغربية وسيادتها .

وذلك على أية حال أقل بكثير مما كان الغربى يشعر به من قبل حيال سيادة الحضارة الإسلامية العربية .

يقول غوستاف لوبون : الحق أن أتباع محمد ظلوا أشد من عرفتهم أوربا من الأعداء إرهابا عدة قرون، وعندما كانوا لا يرهبوننا بأسلحتهم كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم العربية السامقة، ونحن لم نتحرر من نفوذهم إلا بالأمس .

وقد ذعر الشاعر الإيطالى المشهور بترارك ـ ١٣٣٤ـ١٣٧٤م ـ الذى مضت على وفاته اليوم ستة قرون كاملة لسيادة الحضارة العربية وعجز العقل الأوربى عن مجاراتها فقال :

يا عجبا لقد تساوينا نحن والإغريق وجميع الشعوب غالبا، وسبقناها أحيانا، إلا العرب . فيا لعبقرية إيطاليا الخامدة، فهل قدر علينا ألا نعمل شيئا بعد العرب؟ .

وقد وقف المفكرون الغربيون حيال الشرق العربى موقف المتعجب المذهول .

يقول غوستاف لوبون : إن سبب انحطاط الشرق هو تركه روح الدين وتشبثه بالعقائد الباطلة .

ويقول ولز : الدين الحق الذى يساير المدنية هو الإسلام .

ومن قبل قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه خليفة المسلمين لبعض أصحابه : لقد أعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله .

وقال الهرمزان الفارس لعمر وقواده : إنما غلبتمونا بالإسلام .

ونحن نقول أخيرا فى كلمة موجزة قليلة :

إن الغد للإسلام .

وإن الشعوب الإسلامية لها الغد المشرق فى ظلال الإسلام وهديه العظيم . الإسلام وحده هو عقيدة الغد، والغد وحده هو لعقيدة الإسلام .

إن هذا ليس حلما من الأحلام بل هو الحقيقة الخالدة الواضحة وضوح الشمس فى ريعان النهار .

إن الإيمان بالإسلام ضرورة ملحة للإنسانية لتعيد بناء نفسها من جديد ولترتفع به على المحن، وعلى أحداث الزمن .

إن الإيمان به هو الانتخاب الطبيعى الذى ترجع إليه الإنسانية بين الحين والحين، الانتخاب والتخير لأسس القيم والمثل التى تثق فى قدرتها على الوصول بها إلى مرفأ السلام والحرية والرخاء .

إن الإسلام هو العقيدة التى تعلو أبدا على كل الآلام، وعلى أحداث الأيام وعلى شتى المحن والخطوب الجسام .

ولسوف يظل الإسلام منارة الأجيال والعصور، وفكرة البشرية السامية الرفيعة على مر الأيام والدهور .

الهوامش

(١) ٢٥٢ و ٢٦٠ الدعوة إلى الاسلام ـ أرنولد توماس، ترجمة حسن حسن إبراهيم وعبد المجيد عابدين ـ وراجع : المغول بين المسيحية والإسلام ومغول إيران، وهما لطه مصطفى بدر .
(٢) ٦٩ الثقافة الغربية فى رعاية الشرق الأوسط ـ ترجمة عمر فروخ ـ طبع بيروت سنة ١٩٥٢م
(٣) ص ٣٢٣ الإسلام قوة الغد العالمية
(٤) ١٥٩ الأنعام
(٥) ٢٧ الإسلام فى القرن العشرين ط ١٩٥٤م
(٦) ٢ : ٣٥٦ الإسلام فى عصر العلم
(٧) ١٧٩ الإسلام فى القرن العشرين
(٨) ٥٥ سورة النور
(٩) حاجة الإنسانية إلى نظرية صالحة ـ ص ٩ .
(١٠) ١٤٤ الإسلام قوة الغد العالمية .

الرأي والرأي الآخر



بقلم الدكتور
إبراهيم عوضين

تعقيب على موضوع «القصة القرآنية»
الذي عرضته «المنهل» الزاهرة في عدد ربيع الآخر ١٤٠٤هـ

القصة واحدة من أجناس البيان التي توسَّلَ بها القرآن الكريم في تقديم أغراضه التي تقوم على التذكير والتمثيل دون أن تقطع عن النسق البياني العام فيه .

والناظر في القصة القرآنية وفيما قدم عنها من دراسات وآراء يجد أنها تعرضت لمختلف آراء الدارسين والناقدين على تعدد منطلقاتهم وتباين سبلهم وتعارض وجهاتهم ومقاصدهم .

فبينما يرى بعض الدارسين أن القصة القرآنية ، انما هي سرد تاريخي يتخلل آيات السورة دون التزام بأي شكل من أشكال القصة الفنية المعروفة ، وأنها ـ لذلك فيما يقررون ـ بعيدة تماما عن المنهج الفني للقصة ، إذ تقوم على أسس بيانية تختلف من كل وجه عما تعورف عليه في مجال القصة .

نجد بعضا آخر من الدارسين يقرر اشتمالها على عناصر القصة الفنية الحديثة ويرى أنها مؤسسة على أقوى مقوماتها، مع تناسقها مع البيان القرآنى العام فى الالتزام بجميع القيم الخلقية الدينية. وهؤلاء يعمدون ـ فى دراستهم التطبيقية ـ إلى التفسير والمط ليلائموا بين المنهج القرآنى فى قصصه وبين المنهج الفنى فى القصة الحديثة.

ونجد طائفة ثالثة من الدارسين يقررون ـ كذلك اشتمال القصة القرآنية على عناصر القصة الفنية الحديثة، بيد أنهم يتطرفون فيقطعونها عن البيان القرآنى فى الالتزام بالقيم الخلقية الدينية ليجعلوا منها قصة فنية متمحضة للفن حتى تؤدى رسالتها المقصودة منها ـ فى تقديرهم ـ وهى تقديم نموذج بيانى ليس غير، دون مراعاة للحقيقة والواقع كما هو الشأن فى العمل الأدبى الذى يقدمه المخلوقون.

ومن جهة أخرى يواجه الناظر فى القصة القرآنية بمن يتحفظ فى أحكامه تورعا، فيرى أن فى البيان القرآنى قصة لكنها شىء آخر يختلف عن القصة الفنية المعروفة ـ ليس لاختلاف المنهج الفنى ـ إذ لا يصح أن تسمى شيئا من القرآن الكريم بما تسمى به أعمال البشر المخلوقين خصوصا أن البيان القرآنى كل مترابط ونسج محكم لا يفصل بعضه عن بعض.

بينما تبدو هذه الآراء والاتجاهات للناظر فيما قدم عن القصة القرآنية من دراسات. أرى أن القصة القرآنية قائمة بالفعل لكنها ليست قصة فنية مجردة عن الالتزام بالقيم الخلقية الدينية بل هى بيان فنى فى قالب قصصى يلتزم بالقيم الخلقية والمقاصد الدينية من تربية وعظة كما هو الشأن فى البيان القرآنى جميعه، فهى ليست غريبة على البيان القرآنى ولا شاذة فى ثناياه، انما هى لون من ألوان البيان القرآنى يشمله ما يشمل البيان القرآنى من خصائص ومقررات أبرزها أنه معجز لكل مخلوق، على النحو الذى توضحه النظرة الموضوعية المجردة من التأثر بالأعمال الأدبية الصادرة عن المخلوقين والخالصة من الخضوع للآراء النقدية فى مجال الأدب، وتلك التى تتغير بتغير البيئة زمانا ومكانا وفكرا وثقافة.. الخ.

ويقرره قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (٨٨ الإسراء).

واذا كان من خطل الرأى واضطراب التفكير حصر العمل الفنى فى دائرة ضيقة من تصور الناقدين والدارسين بحيث يتوهم أن هذا هو الخط الصحيح دون غيره وأن الخروج عليه خروج عن الابداع الفنى. فإنه لمن سوء التقدير أن تقاس القصة القرآنية بمقاييس النقاد المختلفة، إذ فى هذا مصادرة للمنطلق الفنى وحجر عليه فى نطاق محدود ضيق، . إذ ليس للبيان القصصى على عمومه ـ بل ليس للبيان جميعه ـ قانون

فى عدد ربيع الثانى ١٤٠٤هـ وتحت باب «تيارات فكرية» كان موضوع «القصة القرآنية» مجالاً للحوار بين الاستاذ الدكتور عبد العزيز حموده استاذ الادب العربى فى جامعة القاهرة والاستاذ الدكتور مصطفى الشكعة استاذ الادب العربى فى آداب عين شمس.

وكان من رأى الدكتور عبد العزيز حمودة: أن الشكل ـ سواء من حيث اللغة أو الفن القصصى ـ يعتبر عنصرا هاماً فى القصة القرآنية.. ولما كانت وظيفة القصة الدينية تعليمية مباشرة فلا مناص من العظة

ثابت جامد يجب أن يلتزمه كل مبين على اختلاف الأزمان والأماكن والأحوال، بل إن لكل جيل فى بيئته ما يتناسب معه ومع مقاصد تلك البيئة من المناهج والرسائل التى تسلك فى البناء البيانى على اختلاف أجناسه وألوانه.

أخلص من هذا إلى أن الزام الأديب - شاعرا كان أو ناثرا - بقالب معين ومنهج ثابت لا يتغير أمر لا يقبله العقل ولا يقره الواقع.

الاخلاقية.. وان من ابرز جوانب الاعجاز الخاصة بفن القصة فى القرآن هو تفادى الفخاخ التقليدية التى يقع فيها كتاب القصة. ومن جوانب الجمال الفنى فى قصص القرآن مواطنه المتعددة فى اللغة والموسيقى والشكل الخاص.

أما الدكتور مصطفى الشكعة فمن رأيه أن القصص القرانى من نوع آخر وينبغى اجلالا لكلام الله سبحانه ألا نخضعه للمقاييس التى تخضع لها كلام البشر. لان كلام الله حقيقة وعقيدة وكلام البشر تصوير من خلال وجدانهم

واذا تقرر هذا بالنسبة للمخلوقين واتجاهاتهم الأدبية - مع توقع تشابههم وتقاربهم - فمن باب أولى أن نقرر أن البيان القرآنى مستقل عن قوانين المخلوقين ومسالكهم، فلا يصح أن نقيس القصة القرآنية بمقاييس استنبطها «فلان» من دراسته لقصة قرأها فأعجب بها فخيل إليه أنها لذلك يجب أن يلزم بمنهجها كل قاص، فنحن الذين صنعنا الصنم ثم تحولنا فجعلناه إلهاً نخضع أنفسنا له ونطوف به وندور فى فلكه.

ولست بذلك أزعم أن العمل الأدبى مطلق من كل قيد أو التزام إذ فى هذا الزعم فوضى وبُعْدٌ عن الصواب.

إنما أقرر أن هناك مقاييس عامة ليست ناشئة عن الذوق الفردى هى التى يقاس بها العمل الفنى لأنها هى المقاييس الخالصة من شوائب المحدودية القاصرة.

والمقياس الصادق - فيما أرى - هو تحقيق المقصد البيانى، والوصول إلى نواحى التأثر فى المتلقى بما يقصد أن يوصله إليه، دون تزيد فى الحقائق أو تطويل فى العبارات، ودون قصور فى هذا وذاك.

فليس ناقدا ذلك الذى يفرض على الأدب الجاهلى فى شبه الجزيرة العربية مقاييس أدباء مصر فى العصر الحديث.. وليس ناقدا ذلك الذى يفرض على الأدب العربى المعاصر مقاييس أدباء أوروبا المعاصرين أو غير المعاصرين.. وليس ناقدا ولا دارسا ذلك الذى ينظر فى البيان القرآنى بمنظار هذا أو ذاك من أبناء البشر المخلوقين لأن التحدى الموجه من الله سبحانه وتعالى إلى المخلوقين جميعا - إنس وجن - فى قوله تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾. هذا التحدى يعنى أنه النموذج الذى يقاس عليه وليس العكس، إذ كيف يتحداهم على هذه الصورة العامة الشاملة ثم نأتى لنقيسه بمقاييسهم الذاتية؟.

فإذا اتجهنا إلى القصة القرآنية من خلال هذا المنظار وجدنا أنها تجمع بين الدقة التعبيرية والإمتاع الفنى والصدق الخلقى والمقصد السامى والتجدد المستمر والتلاؤم الدائم لدرجة أن من يطلب فيها أحد تلك المقاصد يجده دون شك على أرقى وأحكم وأبرز ما يمكن أن يوجد فى العمل الأدبى الصادر عن المخلوق بحيث لا يدانى القصة القرآنية فى هذا أى عمل، على نحو ما تكشفه الدراسة المتأنية

ويؤكده قوله تعالى :

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾

(يوسف ٣) .

فالمولى سبحانه وتعالى يخبر نبيه ﴿ﷺ﴾ بأنه فى القرآن الكريم يقص عليه أحسن القصص على الاطلاق دون تحديد لوجه الأحسنية . . أهو أحسن القصص تركيبا ، أم أحسنه بيانا ودلالة ، أم أحسنه امتاعا ، أم أحسنه صدقا فنيا ، أم أحسنه صدقا واقعيا ، أم أحسنه عرضا لوقائع التاريخ ، أم أحسنه وصولا إلى متلقيه ، أم أحسنه قياما على الحقائق ونأيا عن الخيال الكاذب ، أم أحسنه غاية ومقصدا . . ؟

هو أحسن القصص ـ على الاطلاق ـ فى كل ذلك وفى غير ذلك ، كما قال عنه منزله وموحيه جل وعلا .

ولا أرى مدلولا لذلك التوجيه إلا أن المولى سبحانه وتعالى قد حدد لنا المسار فى دراسة القصة القرآنية حيث أصبح على الدارس أن يبحث عن جوانب الأحسنية فيها ، أما البحث فى وجودها فلا مجال له إذ هى قائمة دون شك تعلن عنها الآيات الكريمة من مثل قوله تعالى **﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾** ويؤكدها الوجود الفعلى لها فى القرآن الكريم .

والقصة القرآنية ـ كما يتضح من تسميتها وموضوعها ـ هى الجزء القرآنى الذى يقص طرفا من آثار الغابرين وبعض الأحداث الماضية لتقدم منها ما ترى أنه يحقق الغاية ويفى بالمقصود فى معرضه ، فهى تشتمل على الأنباء الحقة التى لا زيف فيها **﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾** (الكهف ١٣) وتقدم أحداثا من الواقع القائم والواقع المندثر **﴿ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد﴾** (هود١٠٠) **﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا﴾** (هود٤٩) .

فالقصة القرآنية لا تقدم من الأحداث إلا ما قد مضى ، أما الحاضر والمستقبل فللقرآن فيه وسائله البيانية الأخرى غير القصة من وصف وتصوير ، لأن القصة تقوم على تتبع الأحداث الماضية وعرض آثار السابقين ، إذ هو الذى يحقق العبرة والعظة مقصود القصة القرآنية على النحو الذى يحدده قوله تعالى **﴿لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾** (يوسف ١١١) .

أما الأحداث المستقبلة فليست موضوعا للقصة القرآنية لأن تناولها ان التزم فيه الصدق والحق كان كشفا لغيب مستور يتغير بكشفه نظام الكون ويضطرب ازاءه تفكير كثير من الناس ويهتز معتقدهم لما ينطوى عليه المستقبل من عجائب وغرائب لا تتقبلها العقول قبل وقوعها المسبوق بالتمهيد والتدرج . . وإن لم يلتزم فيه الصدق ـ كما هو حال المخلوقين فيها ـ امتزجت الحقيقة بالوهم واختلط الواقع بالأحلام . . وما بهذا تقوم الهداية والعظة . . فإذا كان المخلوق مضطراً إلى ذلك يستر به نقصه أو جهله ، فالخالق جل وعلا فوق ذلك كله بيده الأمر كله . . لطيف خبير .

هذا إلى أن الغاية من القصة ـ وهى العظة والعبرة ـ لا تتحقق إلا بالنظر فيما وقع وإبراز ما تضمن من دروس ينتفع بها اللاحق .

والناظر فى القصة القرآنية بمنظار الدارس الناقد المتجرد من المؤثرات السابقة يتبين أن لها سمات وخصائص فنية تتميز بها عن الفن القصصى فى مختلف بيئاته البشرية . . ولنا بعونه تعالى لقاء آخر حول هذه الخصائص والسمات .

تعقيب على مقال الدكتور المطعني
مناهج دعوة أم إعلام إسلامي

بقلم / بسيوني الحلواني
المعيد بقسم الإعلام - الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة

«مناهج دعوة أم إعلام إسلامي» هذا الموضوع تناوله الدكتور عبد العظيم المطعني بالشرح والتحليل في عدد جمادى الآخرة ١٤٠٤ هـ وأبدى فيه رأيه الذي جاء فيه: إن ما سمي بـ «الاعلام الاسلامي» لم يعد ظاهرة فردية بل أصبح أمراً واقعا أخذت به بعض الجامعات.. وفكرة «الاعلام الاسلامي» لم تقم على فهم صحيح مدروس بل ارتجلت ارتجالاً مجاراة لفكر الغرب.. ويؤكد اعتراضه على التسمية والفكرة بان الاعلام في الاسلام لا ينفصل عن الدعوة ومناهجها ولا مجال لذلك الفصل»

ويعرف الاعلام لغة بانه «لا يفيد اكثر من قذف معلومات من مراسل الى مستقبل، فدلالة الاعلام دون دلالة الدعوة» « ولقد آثر القرآن نفسه وكذلك السنة كلمة الدعوة عما سواها».

●● طالعتنا مجلة «المنهل» الغراء في عددها الصادر في جمادى الثانية الماضي بمقال قيم للكاتب الإسلامي الدكتور عبد العظيم المطعني تحت عنوان «مناهج دعوة أم إعلام إسلامي».. وفي البداية أشكر وأقدر لهذا الكاتب اسلوبه الرائع الذي عرض به وجهة نظره فيما يتعلق بالدعوة الإسلامية والإعلام الإسلامي وليس هذا بغريب على استاذ متمكن في الأدب والبلاغة.

●● ولقد تطرق الكاتب الفاضل لقضية هامة شغلت وتشغل اساتذة الدعوة والإعلام معا ألا وهي العلاقة بين الدعوة والإعلام حيث يرى بعض الدعاة بأنه ليس هناك فرق بينهما وأن ما يطلق عليه البعض «اعلاماً إسلامياً» هو في حقيقته دعوة اسلامية سواء في الهدف أو الوسيلة.

●● ولتواضع معلوماتي وخبراتي فيما يتصل بالدعوة الاسلامية ومناهجها وطرقها وتاريخها وما إلى ذلك فلن أتطرق لكل ما ورد في مقال الدكتور المطعني ولكني سأذكر وجهة نظري - كما ذكر هو وجهة نظره - خاصة فيما يتصل بالفرق بين الدعوة الاسلامية والإعلام الإسلامي تاركا الفرصة للمفكرين والباحثين في هذين المجالين ليدلوا بدلوهم في هذه القضية الهامة علهم يتفقوا على نقاط محددة تكون

أساسا للدارسين فى شئون الدعوة والإعلام .

●● والواقع أن الفرق بين الدعوة والإعلام الإسلامى أو العلاقة بينهما لم تتضح فى أذهان كثير من الباحثين حتى ممن كتبوا فى الإعلام الإسلامى وقاموا بتدريس مناهجه فى جامعاتنا حيث يذهب أحدهم إلى القول بأن الإعلام الإسلامى هو «*بيان الحق وتزيينه للناس بكل الطرق والأساليب والوسائل العلمية المشروعة مع كشف وجوه الباطل وتقبيحه للناس بالطرق المشروعة، بقصد جلب العقول إلى الحق واشراك الناس فى نوال خير الإسلام وهديه وابعادهم عن الباطل أو اقامة الحجة عليهم*» ويقول آخر «*الإعلام الإسلامى واجب على كل مؤمن ومؤمنة ومن تخاذل عنه لا يعد مؤمنا*» . . ويقول ثالث «*الاعلام الإسلامى هو تزويد الجماهير بصفة عامة بحقائق الدين الإسلامى المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة اعلامية دينية متخصصة أو عامة*» .

والدكتور المطعنى مثله مثل هؤلاء الباحثين الذين يخلطون بين الإعلام والدعوة مع أن الفارق بينهما كبير والعلاقة بينهما كبيرة أيضا .

فالإعلام الإسلامى ليس كما يتصور البعض مجرد مواعظ وارشادات واحاديث دينية وتقديم معلومات عن الإسلام للقراء والمستمعين والمشاهدين وأنه يتمثل فى الوقت الحاضر فى المجلات الاسلامية المتخصصة واذاعات القرآن الكريم . .

فالإعلام هو الإعلام سواء كان يمارس فى بلاد الإسلام أو فى بلاد الكفر وما يفرق الاعلام الإسلامى عن غيره هو أنه إعلام ملتزم بقيم واخلاق الإسلام فهو كالأدب الإسلامى والاقتصاد الإسلامى وغير ذلك من مجالات الحياة .

لذلك فإن الإعلام الإسلامى بمفهومه الواسع الشامل هو: كل ما ينشر ويذاع ويعرض على الناس من أخبار ومعلومات وآراء وأفكار وغير ذلك بشرط أن يكون ملتزما بالقيم والمبادىء والأخلاق الاسلامية .

وهذا لا يقلل من واجب وسائل الإعلام فى تزويد الجماهير المسلمة وغير المسلمة بحقائق الدين الإسلامى بهدف تبصير المسلمين بدينهم ودعوة غير المسلمين إلى الدين الإسلامى الحنيف وهى بذلك تكون فى خدمة الدعوة الإسلامية .

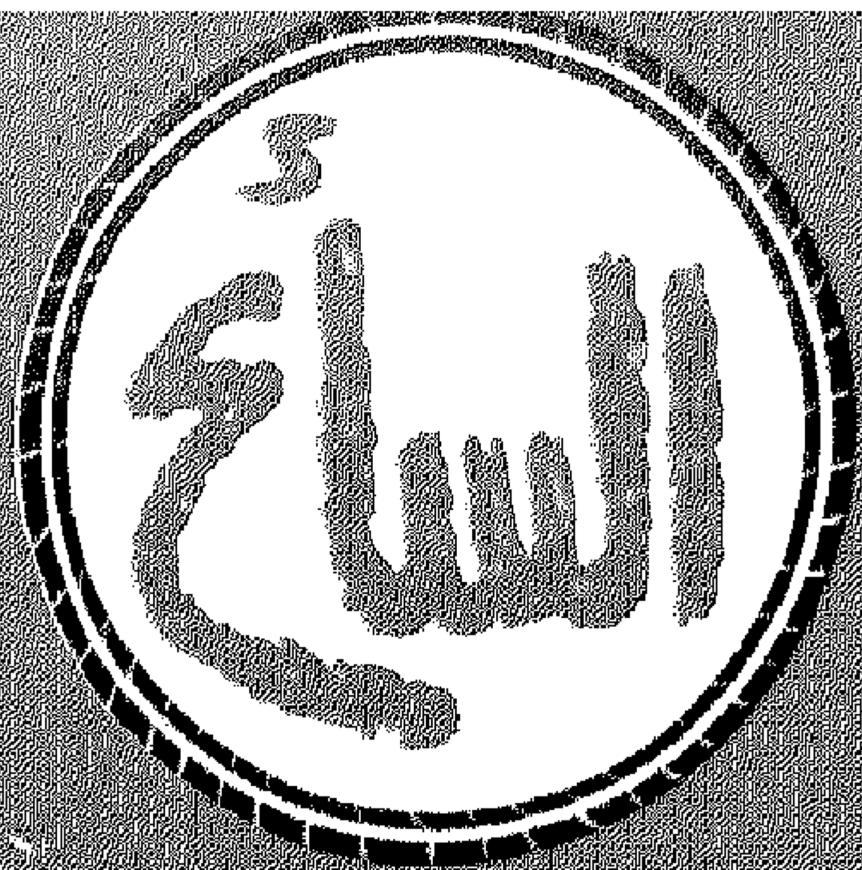
●● **وإذا كان الدكتور المطعنى يرى أن الدعوة والإعلام الإسلامى اسمان لمسمى واحد هو الدعوة فأنا أسأله : هل نشر واذاعة الاخبار والتحقيقات والمقالات والآراء والافكار والتعليقات وغير ذلك من المواد الاعلامية يعتبر دعوة اسلامية؟ .**

إن الدعوة الاسلامية ـ كما يقول الخبيرون بمسالكها وشعابها ـ تطلق على الجهود التى يبذلها الدعاة وغيرهم لتبصير المسلمين بدينهم ودعوة غير المسلمين إلى الدين الإسلامى الحنيف، فالإسلام وعلومه هو موضوع الدعوة وحقيقتها .

●● **وإذا كان الدكتور المطعنى يرى أن فكرة «الإعلام الإسلامى» ارتجلت ارتجالا خطيرا فى اذهان مدعيها مجاراة لفكر الغرب . . فهذا تصور غير صحيح إذ كيف تقوم فكرة لعمل أو اتجاه إسلامى مجاراة لفكر الغرب .**

إن الدعوة إلى إيجاد إعلام ملتزم بقيم واخلاق الإسلام نبعت اساسا بسبب مجاراة إعلامنا لفلسفة الغرب وسياسته الاعلامية والتى لا تتفق مع طبيعة مجتمعاتنا الإسلامية .

●● **وبعد فقد كنت أتمنى أن يكتب الدكتور المطعنى بقلمه البليغ وفكره المعتدل عن كيفية الاستفادة من الإعلام وتطويعه بكل وسائله للدعوة إلى الله ومواجهة التيارات الفكرية المعاصرة والتى تتسرب إلى ديار الإسلام عن طريق وسائل الإعلام الغربية والشرقية . . فهذه هى القضية التى ينبغى أن تكون محل دراسة وعناية باحثينا ومفكرينا . . كما كنت أود أن يكتب الدكتور المطعنى عن ضرورة اعداد الإعلامى المسلم، الذى يجمع بين الثقافتين: الاعلامية والاسلامية حتى نتمكن من توصيل رؤية الإسلام فيما ينشر أو يذاع أو يعرض على الجماهير المسلمة وغير المسلمة .**



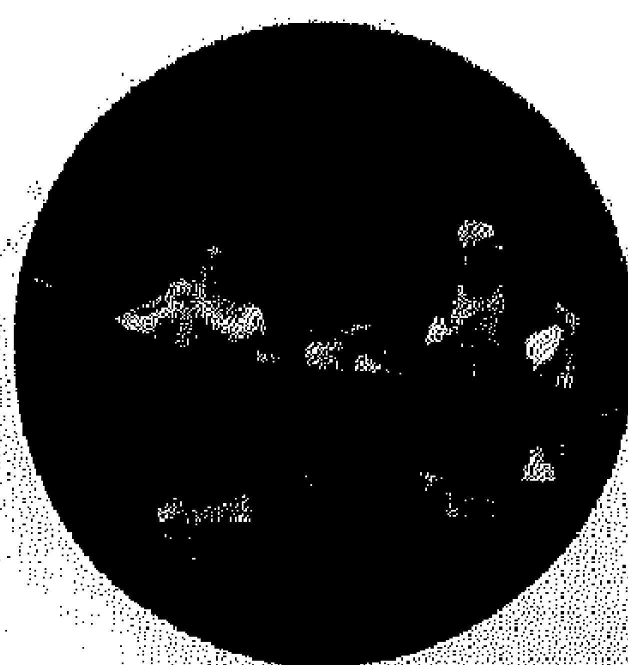
المجلد الأول

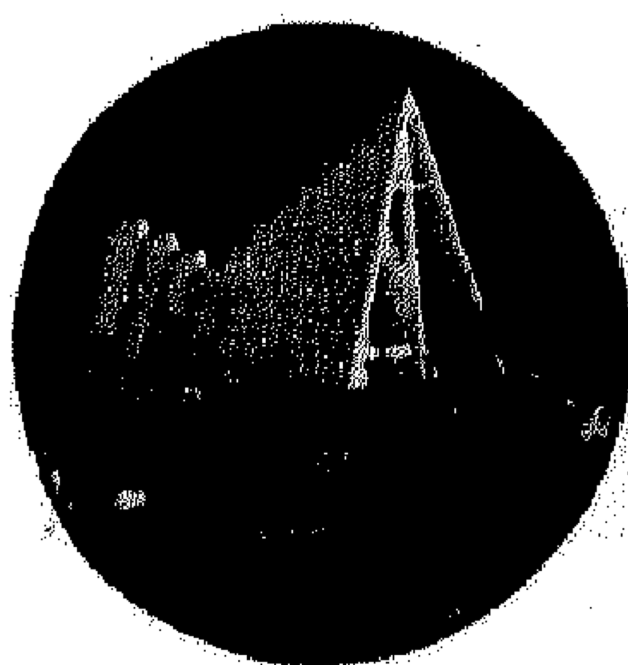
العدد العاشر ذو الحجة ١٤٠٤

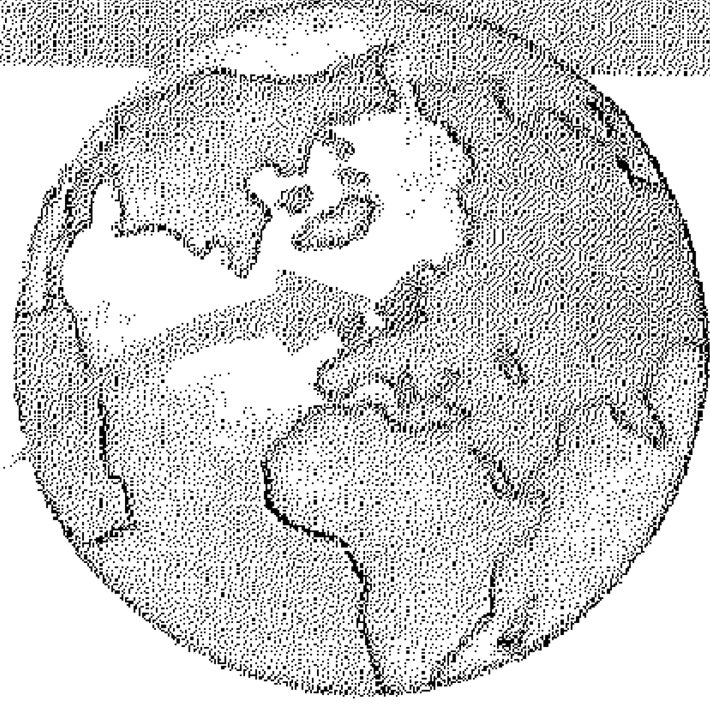


تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد




السويد

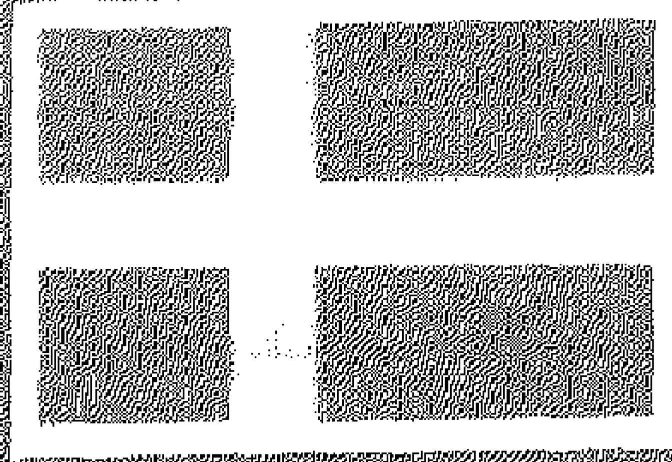

التزلج



مقدمة

الطريق طويل، والرحلة ممتعة، وما أجمل السويد تلك الدولة التجارية الصناعية التى تعد من أغنى الدول المصدرة للأخشاب حيث تؤخذ بثقافة كل أفراد شعبها، وننتقل بين ماريا تورقت، فلهارء فى فاتان، ستارا وسولبرج، تلك المحطات الجميلة ـ حتى نصل الى أبهى أبراج العالم (كاكتاس) والذى يبلغ طوله حوالى ١٥٥ مترا، ونواصل الرحلة الى العاصمة النرويجية (أوسلو) فنمرح فى أفنان حدائقها الغناء متمتعين بطبيعتها الفاتنة.

وثمة رحلة أخرى يصطحبنا فيها الأستاذ محمد مبارك إلى (وادى الفراش) الذى يقع على بعد ٢٦ كيلومتراً من عاصمة جزيرة (رودس) أبهى جزر اليونان حيث نمتع أعيننا بعجائب ذلك الوادى الذى تحلق فى سمائه آلاف الفراش مختلف الألوان، ونتشى بسحره الأخاذ، وطبيعته الخلابة.



«الشمس فى السويد»:

■■■ ضحكت علىَّ الشمس فى السويد وجعلتنى أصلى الصبح مرتين ومع ذلك لم تطلع حقيقة بل يخيَّل للسائح المبتدىء أنها طالعة وهى ليست بطالعة.. وكل شىء يبدو غريبا فى أول الأمر وله قصص وحكايات.

■■■ ذلك لأنه لم يخطر ببالى أنَّ الشمس تستمر طوال النهار وتشرق جزءاً من الليل إلا فى السويد.. وذلك لأنى فى اليوم الأول لم ألق بالا ولم أفكر مطلقاً وقد مضى النهار من غير أنْ أشعر كما مرَّ فى الرحلة واليوم الثانى كذلك.. والليل كما بدأناه مع الزميل حتى أنهى حديثه ثم نمنا وعلى ما يظهر كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة وكانت النوافذ مغلقة ونسيت الساعة فى يدى من غير امتلاء، ونهضت على غير عادتى على إثر ضوضاء بالشارع، ففتحت النافذة لانظر ما هى الحكاية، وكان حادث صدام.. ثم جاءت منى التفاتة نحو الأفق، فإذا هو إسفار بكسر الهمزة وهو ما قبل طلوع الشمس بقليل.. فهرولت إلى المتوضأ مسرعاً وتوضأت وصليت الفجر من غير سنة خوفاً من طلوع الشمس.. ثم نمت ثانية ونهضت بعد ساعة تقريبا وساعتى واقفة وزميلى الألمانى نائم وساعته فى يده ولا لى حق فى إيقاظه لأسأله عن الساعة.. وظننت أنَّ الوقت قد قارب الضحى ففتحت النافذة لأرى الشمس.. ولكنى وجدت الأفق كما هو فى النظرة الأولى، فاخذتنى الدهشة والحيرة وجعلت

أفكر ماذا أعمل هل أوقظ الزميل لأسأله عن الساعة . . ليس لى الحق . . إذ ربما يزدرينى . . لأن السؤال فارغ . . وأخيرا قررت أن ارفع سماعة الهاتف لأسأل المناوب عن الساعة وأطلب الإفطار . . فأجابنى السكرتير أو الوكيل المناوب بمكتب الفندق فقال: الساعة الآن هى الرابعة . . وأما الإفطار فلا يكون إحضاره لك إلاَّ بعد الساعة الثامنة صباحا .

قلت له هلاَّ نحن فى الصباح الآن . . قال أنت فى الليل الآن . . قلت له لماذا والفجر طلع منذ ساعة وأكثر على ما أعتقد فقال الفجر يبدأ من بعد الرابعة والنصف . . ويظهر أنك غريب لا تعلم مواقيت هذه البلاد . . ثم وضع السماعة ووضعتها وأنا متحير من هذه الظاهرة التى لم تخطر لى على بال .

لم أنم بعد ذلك بل انتظرت حتى صارت الساعة الخامسة فتوضأت وصليت الصبح من جديد لأن الصلاة الأولى لم تكن صبحاً كما أفادنى صاحب الفندق ـ وما أن انتهيت من الصلاة حتى استيقظ الزميل الألمانى . . ولبس ملابس الخروج . . وعرضت عليه ما حصل البارحة .

فقال: السائح الجديد لهذه البلاد قد يندهش فى أول وهلة حينما ينظر إلى الأفق لأن البلاد الاسكندنافية شمسها تظل ١٥ ساعة إلى ١٨ إلى ٢٠ إلى ٢٢ ساعة أحيانا فى أوقات معينة من أيام الشتاء . . فظننته مازحاً حتى تحققت من كلامه فى المستقبل . . ثم خرجنا سويا إلى السوق وتناول كل منا طعام الإفطار حسب رغبته .

ثم قال: ماذا من برامج فى هذا اليوم وهو اليوم الثالث . .

فقلت له: إذهب بى إلى حيث تريد بشرط أن لا أكون قد ذهبت إلى ذلك الموضع قبل الآن .

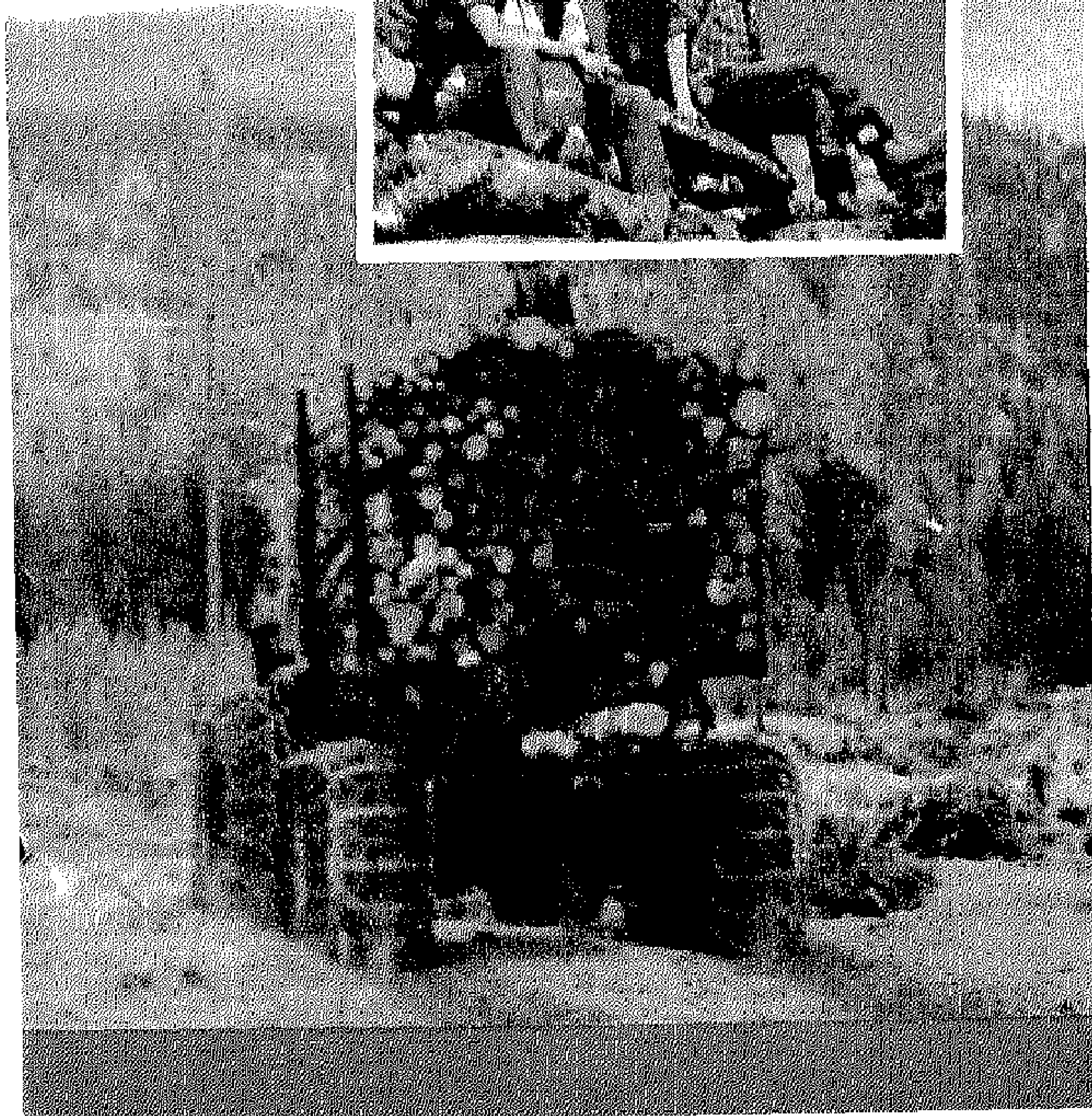
فقال: تذهب إلى (كوكناس تمور) . وهو أطول حصن فى اسكندنافية .

فقلت له: قد ذهبت إليه مع الشركة السياحية والتقطت له منظرين . . وهذا البرج من أجمل الأبراج بالنسبة للأبراج الموجودة فى فنلندا والدانمرك والنرويج وطوله ١٥٥ مترا يعنى أكثر من ٥٠٠ قدما ويسمونه فى العاصمة السويدية (كاكناس) (Kaknas Tower) ومكتوب على بابه (أطول بناية فى اسكندنافيا (The Tallest Buildingin Scandinavia) ومكتوب ارتفاعه بالأقدام والأمتار وهما (155.M.508 FT) وتحيط به الأشجار من سائر الجهات وهو فى وسطها كالقمر بين النجوم .

ثم ذهب بى إلى بهو القصر الملكى وهو الذى يدعى (كارل اكس اى فاليرى) وقد سبق أن أخذتنا إليه مصلحة السياحة فى اليوم الذى قبله وقد أخذت للبهو وللقصر عدة لقطات ، وهذا القصر مع البهو البديع يكتب هكذا (Royal Palace Karxis Gallery)







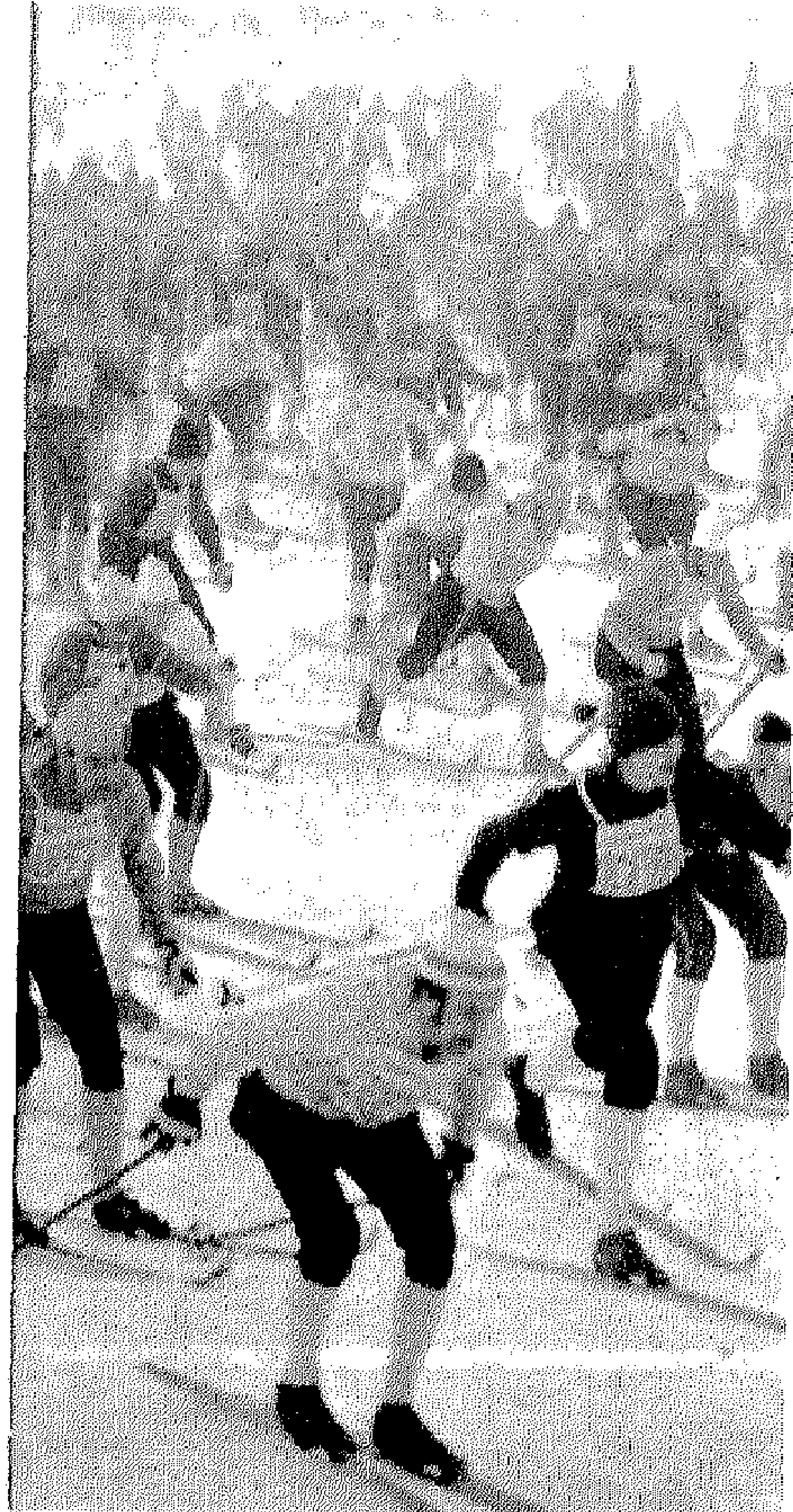
ثم ذهب إلى الشاطىء الجميل حيث البواخر العظيمة الذاهبة والآيبة والمصانع البديعة.

ثم ذهب بى إلى بناية فرندهوتيل وهى جميلة حقاً إلاَّ أنَّ فرندهوتيل الجاثم على كوبنهاجن أفخر منه ثم ذهبنا إلى الطريق الخارجي للبلد لنقف على بعض المحطات الجميلة التى منها (مارياتورڤت) و (ارستا) و (ڤلمار) و (ڤل ڤاتان) و (سولبرڤا) و (ستارا) و (سكندال) و (سولبرج) ثم ذهبنا الى المعارض الكبيرة ومصانع النسيج والكبريت وقد سجلت معظمها فى يوم سياحتى مع الشركة السياحية وكذلك الفنادق الشهيرة والموتيلات التى بضواحى العاصمة وهى جميلة حقاً.. والفرق بين الموتيل والهوتيل: الأول يكون بالضواحى والحدائق ويشبه الفلل.. وأما فى أمريكا فلا فرق بينهما.. ولكن الأسبان القاطنين فى فلوريدا بالولايات المتحدة يكتبون الكلمتين على باب الفندق.

●● وأما المطاعم بالعاصمة السويدية فكثيرة وبعضها بالموسيقى والرقص ورؤية المناظر السينمائية وهذه تزيد فى الاسعار بنسبة ٥٠٪ ومن أشهرها مطعم (قراند هوتيل الملوكى) ٨ بلا سنحولس هامن ومطعم (عدن) وعنوانه ١٠ ستور فانانى ومطعم (امباسادور) وعنوانه ١٨ كنج سفاتان ومطعم (هامبورفار واخوانه) ٦ يعقوب س قطان واما المطاعم الجميلة الخالية من هذه الكماليات المستهجنة بالنسبة إلىَّ فهى كثيرة ومن أشهرها مطعم (الحمراء) وهو يقع فى نهاية الشارع الذى يقع خلف السفارة السعودية بالعاصمة وقد دعانا فيه معالى السفير السعودى.. وهناك مطاعم خاصة بعمل السندوتشات على جميع أنواعها وغالباً ما توجد هذه المطاعم بالمحطات الخاصة بالسفر والترحيلات.

تجارة السويد

السويد دولة تجارية صناعية تتعامل مع جميع دول العالم كما أعلمنا بذلك المرشد السياحى وكما لاحظناه وحققناه وإنها بحق من أغنى الدول المصدرة للأخشاب فلقد مشيت وقطعت أرض السويد من جنوبها إلى شمالها ومن غربها إلى شرقها بالسكك الحديدية وبالسيارات والزوارق التى تمخر مياهها الأقليمية فوجدت الغابات الكثيفة المكتظة بالأخشاب الجميلة على جميع محطات السويد منتشرة هنا وهناك ونرى بعد كل محطة تقريبا.. منجرة تتوسط الغابات لقطع الأخشاب على جميع الأحجام، ونرى ألواح الخشب وهى مصفوفة فى الغابات والأحراش كمثل الطود العظيم، وهذه الأخشاب لها شهرة ومميزات ربما تفوق أخشاب سومطرة وسليبس وبعض جزائر أندونوسيا واستراليا، وتصدر هذه الأخشاب إلى دول جميع القارات الخمس ما عدا أندينوسيا وماليزيا وأجيريانا الغربية



وبعض دويلات أفريقيا الغربية والشرقية ، كما تصدر الحديد والورق وزيوت المعادن وبعض السلع الأخرى، ولها مكاتب رئيسية فى أمريكا الشمالية والجنوبية وأسبانيا وسنغفورة .

«ثقافة السويد» :

كل أفراد الشعب السويدى مثقفون حتى الأطفال والعمال وسائقى التكاسى فنراهم منكبين على مطالعة الصحف صباحاً ومساءا . . وكل طبقة من الطبقات تجد متعتها فى الصحف والمجلات . . وكل صحيفة لها اختصاصات معينة . .

كما أنك لا تجد متسولين ولا نشالين ولا لاهين . . حتى الحدائق الشعبية التى تكتظ عادة بالزوار وخاصة فى النهار فى جميع البلدان . . ما عدا السويد فانك لا تجد فيها نهارا إلا القليل من العجائز ومربيات الأطفال فقط وهكذا الأمم الراقية .

«وداع الزميل»

لما انتهت البرامج السياحية مع الشركة السياحية وما تفضل به علىّ الزميل الألمانى (وندرلانى) وهذا اسمه الألمانى الذى أوقفنى على الكثير من الشوارع والعطفات والقرى والمحطات وما كنت أجهله من المعالم والمتاحف والمصانع ـ قلت له : أشكرك على ما قدمت لى من مساعدة وأرشدتنى إلى أشياء لم ترشدنى إليها المكاتب السياحية ، وهو فى الحقيقة إنسان فاضل لم يشرب الخمره أمامى مجاملة حتى عند النوم إذ يضع أمامه زجاجة (بيبسى كولا) من القطع الكبير . . حتى فى المطاعم إذا صادف جلوسه أمامى على المائدة فإنه لا يطلب لحم خنزير أبداً بل يطلب أسماكا وما شاكلها لئلا أضجر أو يتغير مزاجى .

قلت له : أريد أن أرجع إلى محطة السكة الحديدية لأودع أمتعتى ثم أزور السفارة السعودية لآخذ بعض المعلومات السياحية وأسجل الجواز ثم أرجع إلى المحطة لأقطع التذكرة كى أسافر إلى بلاد النرويج . . ثم أعطانى عنوانه بألمانيا وقال أرجو أن أراك هناك عما قريب .

قلت له : إنى قد جبت ألمانيا أكثر من مرة وخاصة بلدك ولكن ربما أعود إليها إذا قدر الله لى ذلك . . ثم خرج معى حاملا بعض حقائبى إلى المحطة حيث أودعها بيده فى الصناديق وقفلها قفلا جيدا ثم سلمنى المفاتيح وقال أنا سأسافر إلى هولنده الآن وشكراً وإلى اللقاء .

«السفارة السعودية» :

●● لما انتهت جميع البرامج السياحية قررت زيارة السفارة السعودية بالعاصمة السويدية الجميلة . . ومن عادتى فى معظم رحلاتى القصيرة أو الطويلة أن أزور السفارة السعودية فى آخر لحظة وذلك لعدم الإحراج لأن غالبية موظفيها من المواطنين السعوديين الكرماء لهم سابق معرفة بى على أى وجه من الوجوه . . لذلك لا أستطيع التخلص من قبول دعواتهم إلا بهذه الطريقة ، وهى السلام والوداع معا .

●● استأجرت التاكسى وأطلعت السائق على عنوان السفارة فقال أعرفه وهو بحى يقال له (بولواورمان) (هازيلوس باكن ١٨ استوكهلم) . . وكان السائق مهذباً مثقفاً بشوشاً إذ كان يحدثنى عن السويد والسياحة فيها وعن أخلاق السياح وما يلاقيه أحيانا من بعض الهيبيز ويشكو من انحلالهم الخلقى الذى قد يعطب الشرفاء من



السويديين . . ثم يقول: لو كنت حاكما ما كنت لاسمح بدخولهم لان الاخلاق لها تأثير كبير وخاصة فى النشء والجيل الصاعد . . فقلت له : إذا كانت التربية فى البيت سليمة ونزيهة ومطابقة للمدرسة فإن النشء لا يتأثر . . فقال نعم صحيح .

● دخلت السفارة فى الساعة العاشرة صباحاً وكنت أظن أن العمل يبدأ من الثامنة أو من التاسعة ولكن لاختلاف التوقيت فى السويد فإن بدء العمل يتغير وقته بالنسبة لغيرها من البلدان .

«مقابلة السفير» :

دخل سعادة السفير الأستاذ الفاضل ناصر المنقورصالة الاستقبال بدار السفارة أو غرفة السفير الخاصة فسلم عليَّ وحياني . . ثم قال لى : لقد تسلمت رسالة من أخى عبد المحسن ببيروت يوصينى فيها بك . . والحقيقة أن مثلك لا يحتاج إلى وصية لأنك أستاذنا ووالدنا وصديقنا . . ثم ذكرنى أنه كان تلميذا بالسعودية (بمكة المكرمة) حينما كنت مديرها إبان الحرب العالمية الثانية . . ثم قال: لقد كنت تلميذا بالسنة السادسة أنا وأخى عبد المحسن ونحن لا ننسى أساتذتنا فشكرته على أخلاقه الفاضلة وحسن مقابلته وتواضعه . . ثم طلب القهوة ثم الشاى ثم هنأنى على رحلة (جرينلند) وقال لقد مضى لى هنا نحو أربع سنين ولم أتجول فى هذه المنطقة الجزيرة العظيمة على الرغم من دعوتنا مراراً من قبل الدنمارك ولكن لم يرد الله بذلك ولكنى مصمم هذا العام على السياحة نحوها مهما كلف الأمر إن شاء الله فعاتبته على ذلك وقلت له: كان المفروض أن تزور هذه الجزيرة قبلى لتزود السياح السعوديين بالنصائح وما ينبغى أن يتبعونه إذا لزمهم الأمر . . فقال: ذلك صحيح ولكن طريقهم سيكون من الدنمارك أقرب لهم وأيسر ومع ذلك فأنا أعتقد شخصيا أنك أول سائح يصل إلى هذه الجزيرة لأنك من هواة السياحة وما عندنا من يغامر إلا القليل .

●● سألته عن الشمس والليل الضائع فى بلاد السويد وعن مدة الصيام والسحور لأن موضوعهم معقد فى هذا الخصوص . . فقال نحن نفطر فى رمضان على توقيت بلاد الأتراك وبهذا حصلت الفتوى من الأزهر لأن الشمس أيام الشتاء تظل وقتا طويلا قد يتأثر الصائم إذا انتظر غيابها أو غروبها . ثم قال: هنا أى فى العاصمة مواعيد العمل والمدارس والمصانع بالساعات . فالعامل يشتغل كذا ساعة والموظف كذلك والمدرس أيضا لأن النهار هنا طويل جدا وخاصة فى غير هذه الأيام . . قلت له : كان الله فى عونكم لأن هذا أمر غريب يدعو إلى الضجر والسآمة . . ولكن ما دام هناك برامج توزع ساعات النهار ودقائق الليل فلا خوف عليكم . . فقال: الأمر كذلك . . ثم سألته عن الآثار والتجارة والصناعة والمعاهد والجامعات والسياحة . . فشرح لى ما كان قد شرحه لنا المرافق المرشد السياحى وزادنى قليلاً . . فسجلت كل ذلك فى المفكرة ثم استأذنت للخروج لأجل السفر إلى النرويج . . فقال: لا يمكن السفر مطلقا كيف تصل اليوم وتسافر اليوم؟ فقلت له : لى هنا فى العاصمة أربعة أيام وقد وقفت على كل شيء تقريبا . . وقصدى السفر إلى أوسلو الساعة الثالثة بعد الظهر لأصل إن شاء الله قبل الصبح ـ فقال هل حجزت قلت لا ـ قال: ثم إذا وصلت إلى (أوسلو) ما هى برامجك فقلت السفر إلى هولنده ثم بلجيكا . . الخ .

●● **قال لا تؤاخذنى بما أعزوه اليك من خطأ أو غلط وذلك راجع إلى عدم سياحتك لهذه الجهات قبل الآن . . والصحيح أن تسافر من هنا الساعة الخامسة أو السابعة بعد الظهر وتحجز سريراً للنوم بدرجة كذا فتصل إلى النرويج الساعة كذا فى اليوم الثانى قبيل الظهر . . ثم تمكث فى النرويج كذا يوماً حتى تتجول فى جميع مدنها وقراها . . ثم تصل إلى أوسلو فى يوم كذا لتنام وتصبح مسافراً إلى (كوتنبرج) بالسويد وهى أهم مدينة صناعية . . ثم تمكث كذا يوما فى**

هذه المـدينـة لتتجـول فى ضواحيهـا وتقف على مصانعها . . ثم تذهب إلى القرى البعيدة وتنظر كذا وكـذا . . ثم ترجـع إلى (كـوتنبرج) السويدية لتنام ليلة . . ثم هناك سفينة تمر من هذه المدينة الصناعية كل يوم جمعـة وثلاثاء محملة بالأخشاب وفى الوقت نفسـه سيـاحيـة تمر على كذا وكذا حتى تصل إلى هولندة . . فتقلع من شاطئها فى الساعة كذا إن شاء الله . . ثم بعد ذلك تواصل سياحتك إلى أى دولة شئت إذا أقلعت من (اسكندنافيا) لأننا نحن مقيمون هنا كذا سنة ونعلم كل شيىء عن البحر والبر والجو لكـافـة المـدن الاسكندنافية والمثل يقول أهل مكة أدرى بشعابها . .

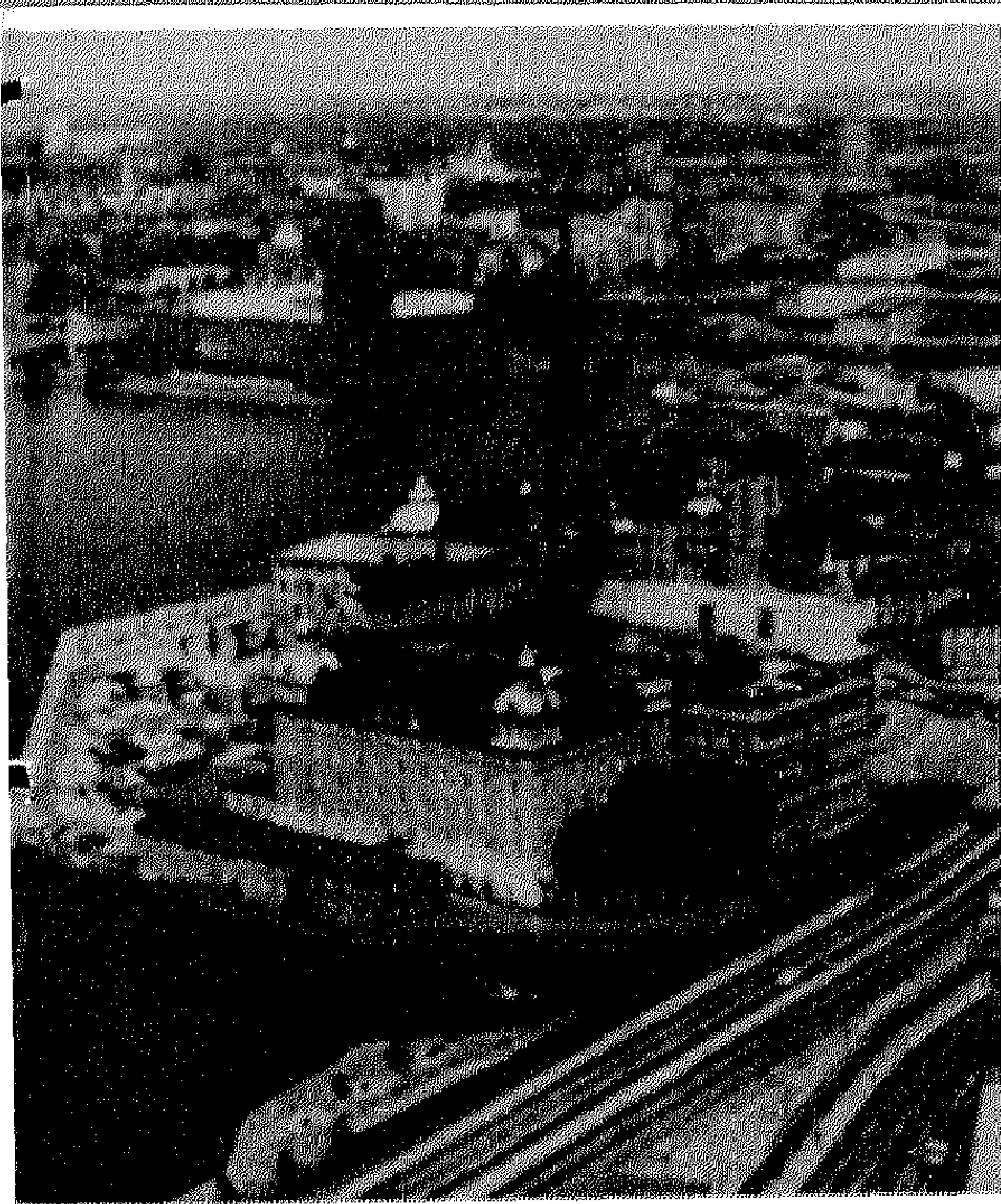
●● هذا البرنامج أفضل وسيلة سياحية بالنسبة لك فما رأيك؟ . . هل توافق على هذه الخطة . . قلت: نعم أوافق إن شاء الله وسأنفذ ذلك حرفياً . . وشكرته وهممت بالخروج فلم يأذن . . وقال: ما دمت موافقاً على هذا البـرنـامـج فدعنى أتصـرف، قلت كيف تتصرف؟ قال لا تسأل أنا سأتولى كل شيىء . . وما عليك إلا البقاء لحين من الزمن لا يطول . . وامتثلت ونهضت إلى المتـوضأ لأداء المهمـة الـدينيـة فقال: دورات الميـاه فى الدور الأول قد تضايقك ولكن فى الدور الثانى دورة فسيحة خاصة للضيوف، وكانت السفارة مكونة من طابقين فشكرته .

●● استهوانى الحمام الجميل وما فيه من مياه ساخنة وباردة وأحواض استحمام وصنابير براقة وفوط نظيفة وقطع صابون معطرة وزجاجات الروائح الزكية . .

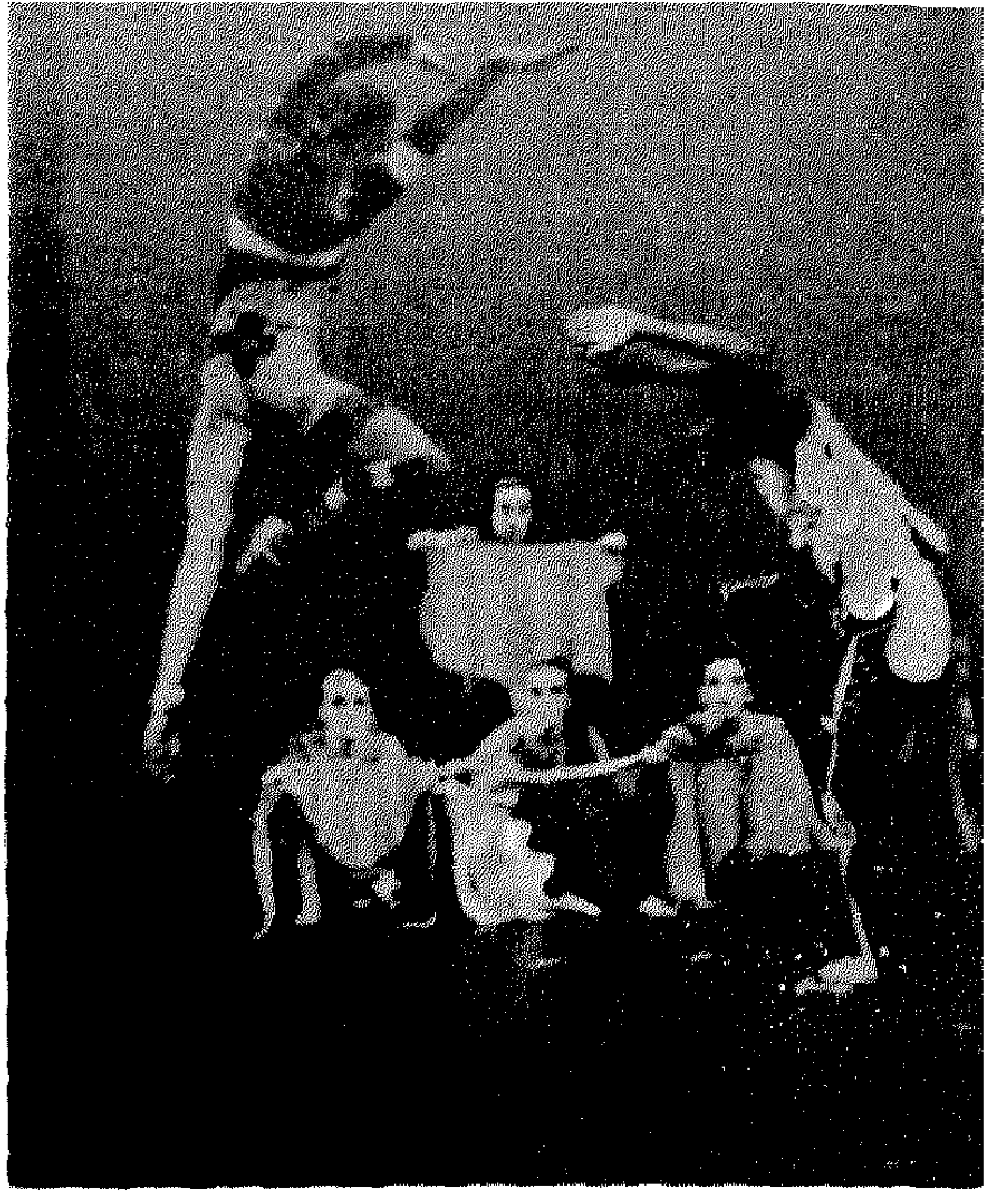
●● ثم خرجت بعد ثلث ساعة تقريبا ثم هبطت الى الدور الأول حيث أجلسنى معالى السفير فى مكتبه فانتظرت أكثر من نصف ساعة حتى جاء واعتذر عن التأخير لأسباب اضطرارية فقلت خيرا إن شاء الله وعزمت على الخروج واستأذنت فلم يأذن . . وقال جواز سفرك معقد لأنك لم تؤشره حين قدومك وقد مضى عليـك أربعـة أيـام . . ثم إنك سترجع إلى السويد وهذا يحتاج إلى تأشيرة جديدة لأن التأشيرة الأولى تنتهى بخـروجك من البلد . . فقلت له إن هذا صحيح ولكن هذا رأيك أما أنا فليس لى قصد فى الرجوع إلى السويد وقد مرَّ علىَّ ما يشبه ذلك فى رحلتى إلى ايـرلنـدا ورجـوعى إلى لنـدن وأخـيرا اضطـررت إلى إلغاء الرحلة وهما فى قطر واحد فما بالنا هنا .

فرجائى العدول عن هذه الخطة ودعنى أسافر من الترويج إلى هولنده رأسا . . فقال مع الأسف الجواز قد سجلنـاه وبعثنـا به إلى الجـوازات فى العاصمة ليدمغ بدخولك فى يوم كذا ثم عمل تأشيرة عودة ثم قطع التذاكر والحجز . . الخ .

وأردف: والآن ليس بيـدك ولا بيدى أى حيلة فالأمر لله وحده والآن الساعة الثانية ولنقم لنذهب إلى البيت لنتنـاول الغداء ـ فعلمت أنى وقعت فى شراك كرم آل منقور ولم يكن لى هم إلاَّ التفكير فى الخروج من هذا الشراك فماذا أصنع وعلمت أن ما عمله من محاولات ما هى إلا لتأخـيرى عن السفر حتى ينفذ برامجه الحاتمية الشهيرة .



لقطه لبهو سيتى هول فى استوكهلم عاصمة السويد
اللقطه للسائح السعودى فى رحلة ١٩٧١م



«مطعم الحمراء»

وبعد أخذ ورد أعلمته أني لا آكل اللحوم مادمت مسافرا لشكي في الذبح والتسمية وما إلى ذلك الخ - فقال الأمر هين - خلف السفارة السعودية على بعد خطوات يوجد مطعم فاخر مخصص للأسماك وفيه مطلوبك ودعنا من اللحوم وأكل البيت وغيرنا يأكل، وأصرَّ على الذهاب سويا إلى المطعم، وفعلا خرجنا مشيا على الأرجل وكان على مسافة أمتار قليلة من السفارة، وكان مطعما فخما واسمه (الحمراء) على اسم حمراء لبنان.. أو حمراء الأندلس، وطلبت سمكا فقال: للطاهي اعطنا نوع كذا وكذا فجاء الطاهي بعدة أطباق متنوعة كلها من السمك حتى الشوربة كانت سمكية وجاملني في نوع غذائه إذ لم يطلب إلا بعض الأنواع من السمك، وبعد الانتهاء من الغداء رجعنا إلى السفارة حيث حفلة الشاي في الانتظار.. بعدها قال لي لنقم الآن للتجوال قليلا ريثما يؤشر الجواز وريثما تحضر التذاكر.

«أسعار التذاكر»:

أخذت التذاكر وقرأت المجموع الكلي لكل تذكرة وكان بالكرونة عملة السويد وكان قد غاب عن ذهني سعرها بالدولارات.. فأخرجت ورقتين ذواتي مائة دولار أمريكي لكل ورقة وقلت لمعاليه هذه ٢٠٠ دولار خذ ما لك من حساب للتذاكر والطلبات، وإن بقي شيء - فلنصرفه أي نستبدله هنا ما دمنا في المحطة فقال أما تبديلك للعملة فسيكون في محطة أوسلو حيث يأخذون ما معك من نقود سويدية أو دولارات ويصرفونها لك بالسعر الرسمي المقرر.. وأما أسعار الطلبات والتذاكر فلا يليق بمثلك أن يتفوه بمثل هذا ويكفي أنك قد حرمتنا من الضيافة المقررة واللازمة وجئتنا في آخر لحظة وجعلتنا أمام الأمر الواقع واعلم ان ما قمنا به لا يمثل القيام بالواجب ولكن لنا أمل إذا قدَّر الله لكم عودة إلى بلاد السويد أن تعوضونا ما قد تعمدتم فواته علينا فهذا دين عليكم يجب سداده وإلا نحتج.

يقول هذا والقطار قد آذن بالرحيل فسلمت للواقع وقدمت آيات الشكر لمعاليه وتعانقنا عناق الوداع وركبت القطار وجلست على الكرسي وأشرت إلى معاليه ملوحا بيدي على أمل أن يذهب إلى سيارته.. ولكن أشار بألَّا يبرح حتى يتحرك القطار ويطمئن عليَّ.

«هكذا العظماء»:

هكذا العظماء والفضلاء والنبلاء أصحاب الخصال الحميدة والأيادي الجليلة والسمات الرفيعة والأعمال المجيدة وهكذا الأصل الطيب والفرع الجيد والأرومة الكريمة والحسب الزاكي والمعدن النفيس ولا شك ولا ريب أن هذا الفضل مكتسب من الآباء والاجداد وقد قال الشاعر قديما:

فما كان من خير أتوه فإنما
توارثه آباء آبائهم قبل

وهـل ينبت الخطى إلا وشيجـه
وتغـرس إلا فى منـابتهـا النخل

●● لا شك أن السفر يسفر عن خبايا ويكشف عن مخبوءات قد لا تظهر لغير المسافر، جزى الله الترحل كلَّ خير إذ لولاه لما عرفت هذه الشخصية الفذة ولما كُشِفَ الغطاء عن مثل هذه الجوهرة.. فمعرفة مثل هذا الرجل من المغانم والمغانم كثيرة.. وقد كانت هذه الـرحلة غنيمـة من المغـانم كما أبنت فى أول المذكرات.. وكانت المغانم والمكاسب فى هذه الجولة أكـثـر من أن تحصى وأجـلهـا وأعظـمهـا على الاطلاق.. معرفة معالى السفير السعودى الأستاذ ناصر الحمد المنقور. إذ هو الرجل الثانى الذى عرفته من أكرم الرجال منذ بدأت رحلاتى للقارات الخمس فى مدى ثلاثين عاما.

●●● فالرجل الاول: كان من مهاجرى حضرموت الى جزر الهنـد الشـرقيـة وهو الشهيد عبد الله بن عفيف صاحب مكتبة مصر بمدينة (شربون) الغربية من (جاكرتا) حاليا. وهذا الرجل قد ذبحه اليابانيون أثناء احتلالهم لهذه الجزر إبان الحرب العالمية الثانية.

●● *ليس كل زائر فى حاجة إلى مساعدة أو مسـانـدة.. إنـما المطلوب حسن الملاقاة وتـوجيـه السـائح أو التاجر إلى الطريق السليم ليكون مواطناً صالحاً يمثل بلاده أحسن تمثيل.*

أمـا إذا صدم أو لم يوجـه توجيهـاً صحيحـاً أو لم يهد النجـدين فستكـون عاقبته التخبط فى دياجير الجهالة والضلال والـوبـال والنكـال فيسيىء سمعـة بلده ويكون مثالا سيئا لأمته ووطنه.

●●● *والمرآة لهذا التوجيه هى السفارة فهى الـدليـل والقـدوة وهى بمثـابة القلب فى الجـسـد إن صلحـت صلح الجـسـد وبالعكس.. والسفير معناه الواسطة بين أمة وأخرى يمثل أمته وحكومته ووطنه.*

فهو كمصباح يضىء لشعبه فى بلد أجنبية ليعرف الطريق الواضح من غير الواضح، فيهتـدى المواطن على ضوء هذا المصباح المنير ويمشى على الطريق الصحيح..

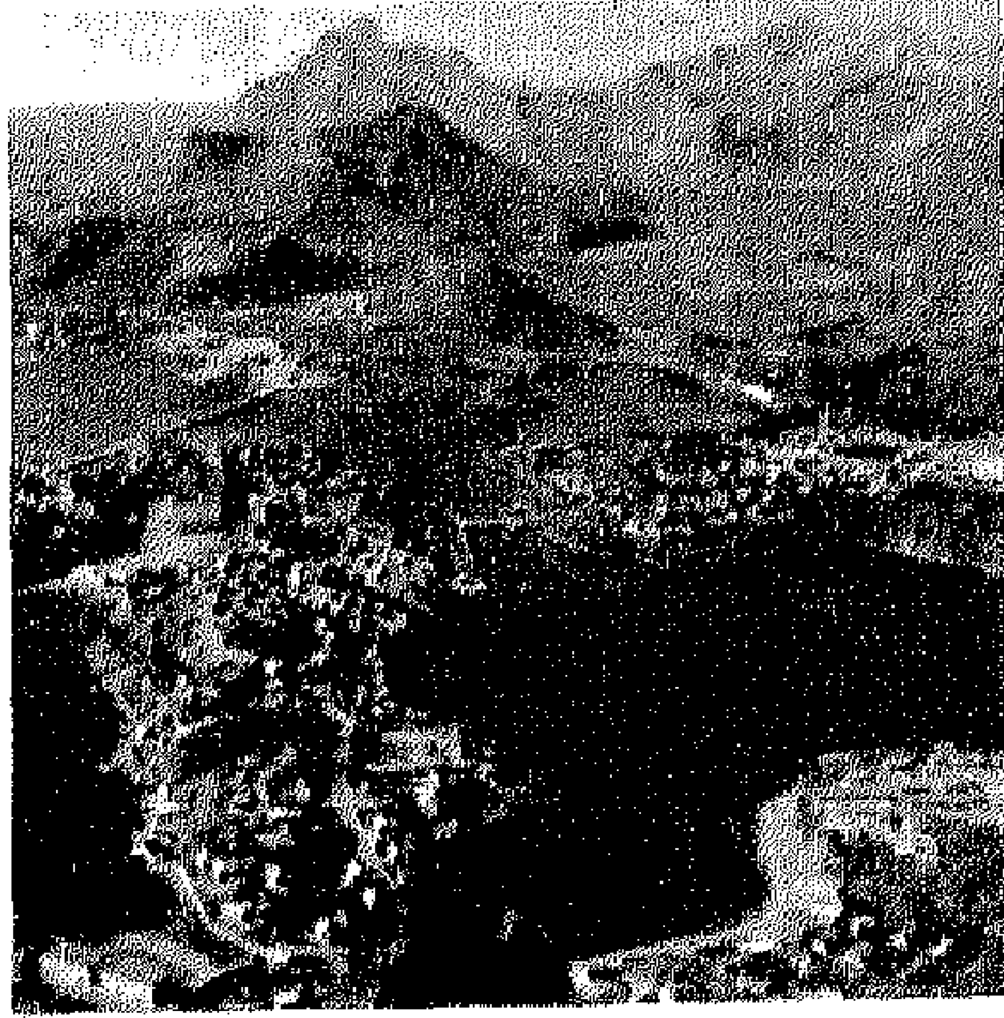
رحلة النرويج



هب القطـار من استـوكهلم العاصمة السـويـديـة مسـرعا، ينهب الأرض، ويبتلع الأشـرطة الحديدية بين غابات الأخشـاب، وبـين الأنفـاق الجبلية التى تربو على العشرين.. وكان السفر ليلا بعد العاشرة.. وكان الاكسبريس لم يتوقف أبداً. مع أننا مررنا بمحطات كثيرة وبلدان عظيمة. ولكن هذا عيب الاكسبريس.

●● *جاء العشاء بعد ساعة ثم القهوة والشاى ثم جاء المختصـون بمنام المسافرين فنصبوا السرر الحديدية وكان سريرى الأول وكان فوقى امرأة فرنسية ومن حين ما تبـوأت سريرها نامت إلى الصباح دفعة واحدة، وأنا كعادتى ما بين النعاس والنوم وتارة أغفو إغفاءة خفيفة كما هى حالتى فى السفر إلا إذا زاد النوم فى الطريق عن ليلة فيكون نصيبى النوم الكامل كما فى دول البلقـان واليونان إذ قد تزيد الرحلة عن ثلاث ليال أحيانا فى القطار أو الاتوبيسات السياحية.*

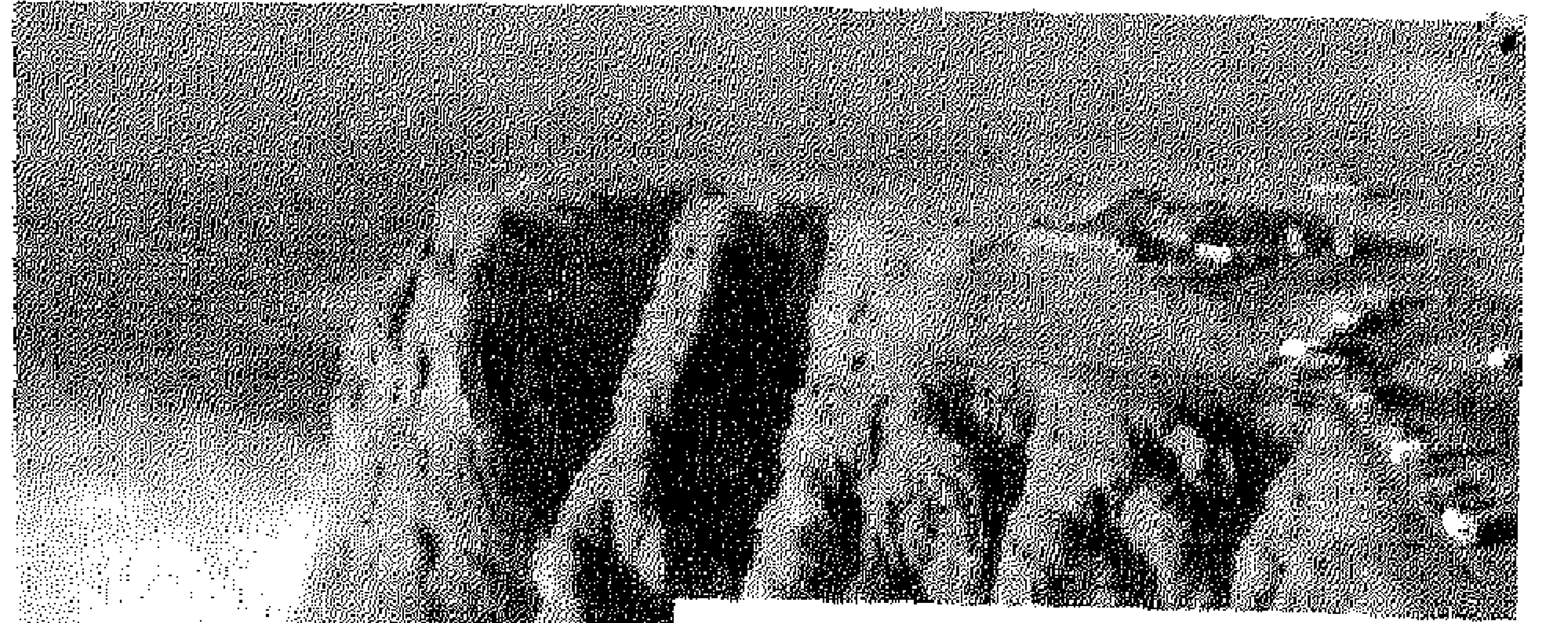
●● *ولما كانت الساعة التاسعة صباحا كنا على أبواب العـاصمة النرويجية (أوسلو) التى تسليك بحدائقها ومناظرها الطبيعية الفاتنة وأحواض سفنها الجبارة وقد*





أخذنا ثلث ساعة بين الحدائق حتى وصلنا المحطة الأخيرة .





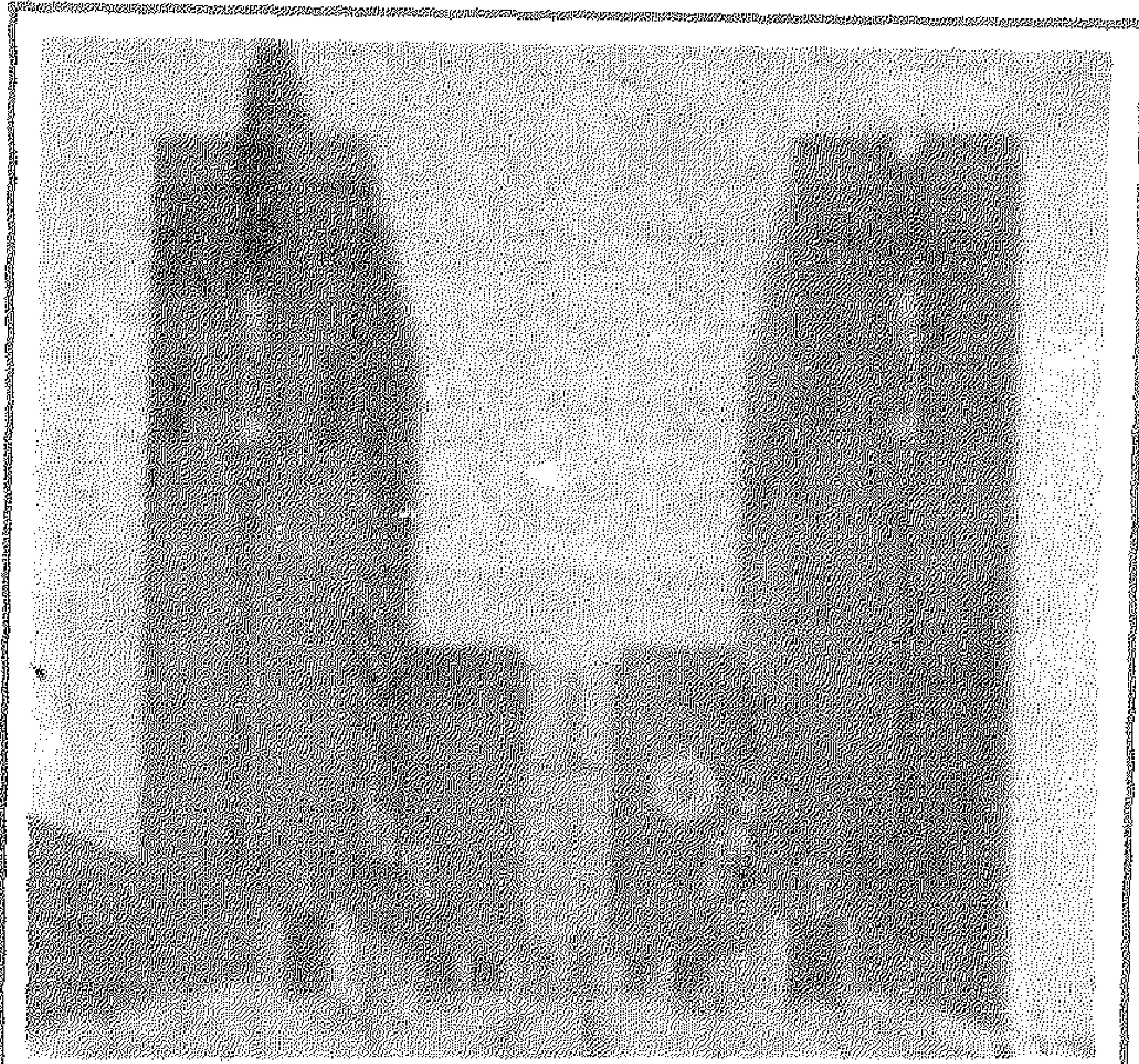


وقبل الوصول إلى العاصمة بساعة تقريبا . . جاء المفتشون عن الجوازات والجمارك وأنهوا اللازم فى بضع دقائق من غير فك للحقائب أو سؤال عن النقود أو أى شيء .

●● بعد وقوف عربات القطار نزلنا إلى العاصمة (اوسلو) ومكثنا بالمحطة ريثما نبدل النقود السويدية وهى الكرونات بالعملة النرويجية وهى السولديات . . لكن معظم المعارض والمطاعم تتعامل مع السياح بالدولار وفيه فائدة لأن البنوك لا تعطى سوى السعر المقرر أما المحلات التجارية فقد تجعل لك فائدة تقارب ٢٪ أحيانا . . أما المحلات الصغيرة مثل المقاهى وأكشاك السجاير وقطع التذاكر السياحية داخل البلاد وخارجها فبالعملة المحلية فقط .

«الفندق»

أدخلنا أمتعتنا فى صناديق المحطة كالمعتاد واستلمنا المفاتيح ولم يكن معى رفيق هذه المرة وكانت الساعة قد جاوزت التاسعة صباحاً، واتصلت بالاستعلامات النرويجية عن موضع بيع طوابع البريد وعن مكتب السياحة فأرشدتنى حالاً ثم دخلت المقهى وتناولت بعض القطع من البسكويت والحليب والشاى ثم خرجت إلى فناء المحطة الحديدية وتجولت بين مراكن الفل والنرجس والورود المصفوفة على حافتى المحطة، ثم خرجت إلى الميدان الكبير للبحث عن الفندق وفى خلال ربع ساعة وجدت خلف ميدان المحطة فندقاً جميلاً يدعى «ستى هوتيل» (City Hotel) ويتكون من تسعة طوابق وبه مصعد كهربائى ومكتب الهوتيل فى الدور الثالث من الفندق . . وأجرته فى الليلة ١٢ دولارا للسرير الواحد فى غرفة منفردة . . وخدمة ١٠٪ يدخل فيها الاستحمام بالماء الحار والبارد . . ويوجد بالفندق مطعم ومقهى وبار وصالة لهو وما إلى ذلك ويوجد فى محل الاستقبال العام تليفزيون لكنه باللغة المحلية . . لغة النرويج فضايقنى ذلك وضايق معظم السياح .



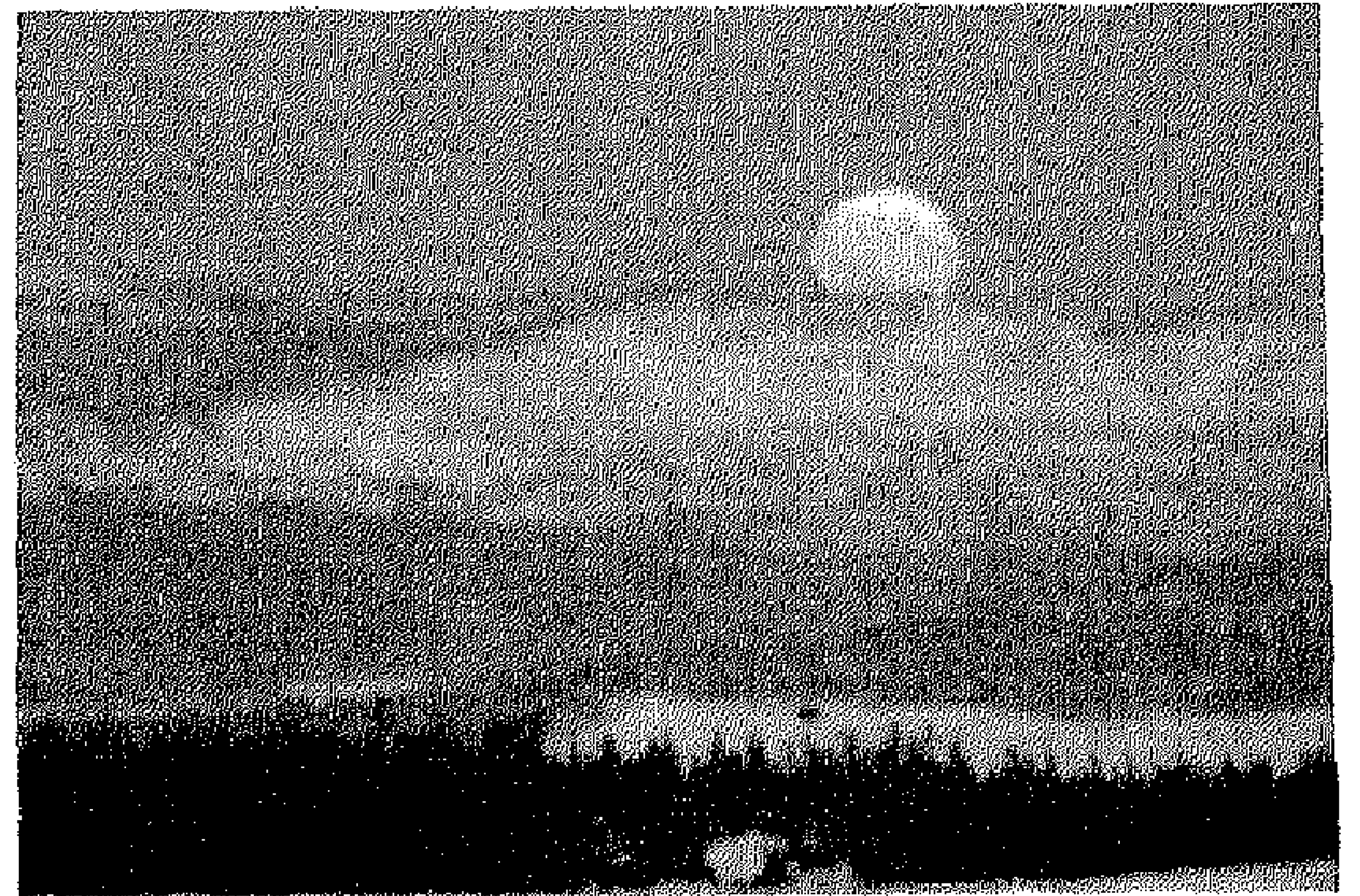
بهو العاصمة النرويجيه (اوسلو)
هذا المنظر التقطه السائح السعودى فى رحلة ١٩٧١م

«ظاهرة الشمس وغرائب الآفاق»:

الشمس فى النرويج كالشمس فى السويد إذ تظل مشرقة يوما كاملا ويمتد غروبها وبقاؤها فى الأفق ولا تحس بوجود شمس مطلقا والليل كالاسفار عندنا إذ لا وجود لليل امرىء القيس ولا قطع الليل المظلم لأن الشمس لا تغيب عنهم إلا بعض الوقت كما تقدم.

حل علينا التعب فى اليوم الأول فاسترحنا وفى صباح يوم غد تكلمت مع إدارة الفندق لتتصل بالشركة السياحية فاتصلت وأخذت عشرة دولارات رسم التجوال وأعطتنى دفتراً وما أن حانت التاسعة حتى كنا بداخل الاوتوبيس السياحى وأول سياحى يقع بقلب العاصمة وصلنا إليه بعد ثلاث دقائق من مغادرتنا للفندق وهو أجمل منظر بالعاصمة النرويجية ويقع أمام الشارع المقابل لمحطة ميدان السكة الحديدية ونزلى كان خلف شارع المحطة، ولو كنت أعلم موقعه لما ذهبت فى الاوتوبيس السياحى.. فإذا استقبلت ميدان المحطة وجلست بالحديقة الشعبية الجميلة وكان بيدك مبصراً (ناظورا) بالعامية الدارجة فإنك ترى من الحديقة هذا المنظر وإذا قطعت الشارع المقابل لميدان المحطة تسير مواجهاً له وعلى امتداد الشارع الذى يقع هذا المنظر فى صدره.. حوانيت ومعارض ومكاتب وعلى يساره حدائق وطنية وما أكثرها فى هذه العاصمة الجميلة.. تمر بسبع حدائق حتى ترى هذا البنيان العملاق فى الصدر.. وارتفاعه يساوى ارتفاع بناية ساعة (بقبن) المقامة بقلب العاصمة البريطانية ويزيد عنها بحوالى ستة أمشار واعنى بالبنيان ـ الحائطين الطويلين الشامخين ـ وهما فى شكلهما كالابراج.. وبنيان الساعة يقع بينهما، وهو قصير لا يزيد ارتفاعه عن عشرين مترا وموقعه الحقيقى فى بهو المدينة العظيمة، ويسمونه فى العاصمة النرويجية (رادهوست) وكتابتها Rad huset) وبالانجليزية (ثاون هول) وكتابتها (The Town Hall وتحيط بهذا المبنى الجميل الأسوار والأشجار والعمارات الجميلة ومدخله الأيمن به سلالم عجيبة لا يزيد ارتفاع السلم الواحد عن خمسة سنتيمترات مزركش بالمرمر المصقول والأيسر كذلك.. وفى الوسط نافورة مربعة الشكل ولها مدارج تستقبل المياه المنحدرة من أعلى النافورة المسطحة وتمر بالمدرج الأول المموج ولصوت الماء نغمات عجيبة.. ثم المدرج الثانى ينحدر منه الماء إلى الثالث حتى السابع ثم تتجمع المياه فى صحن واحد حيث تدخل فى المجارى المدفونة تحت أرض الميدان وتصب فى مجارى الحدائق المشار إليها.. والمنظر فى حد ذاته جميل وجذاب وهندسته رائعة جدا ويصحبك المرشد السياحى إلى أن تصعد السلالم كلها ثم يقف فى وسط الجمهور السائح ويلقى محاضرة عن سبب بنائه وبناية الساعة التى ترى فيها الساعة المثبتة وهو حديث العمارة التى لم تصل مائة عام بعد.

●● وفى إمكان كل سائح أن يصل إليه بدون مرشد لكن من دون دخول البناية، ثم بعد إتمام المحاضرة ذهب بنا إلى المتاحف الحديثة وأحواض السفن والكنائس والأديرة ودور مدائن الملاهى والقصور الفخمة والناطحات والمنتزهات ورخص لنا فى التقاط صور كثيرة.. ثم رجعنا إلى الفندق قبيل العصر بساعة حيث الغداء فى انتظارنا ثم النوم إلى المغرب والقيام للصلاة.. ثم الخروج لرؤية المناظر الليلية والتجول فى طول البلاد وعرضها حتى الساعة الثانية عشرة ليلا.





روديس . . اكبر الجزر اليونانية وأجملها، والمنتجع السياحى الصيفى العالمى . . ملتقى الحضارات، آثار وأسوار وأبراج وشواطىء وزهور وغابات . قريبة من جزيرة «قوس» فى منطقة بحر إيجه التى تعتبر بحق جزيرة الطب حيث أنجبت ابقراط معلم الطب القديم.

وللفراش بجزيرة رودس مكانة خاصة . . فبين ينابيع المياه العذبة العديدة، والبحيرات المتعددة المساحات ومئات الانواع من الطيور والزهور والحيوانات الأليفة مثل الغزلان، والغابات الكثيفة الاشجار . . وعلى بعد ٢٦ كيلومتر من عاصمة الجزيرة يقع الوادى الفريد من نوعه سحرا، وجمالا، وروعة واتساعا ومياهاً واشجارا وزوارا أيضا. ذلك هو «وادى الفراش» الذى يضم مئات الألوف من الفراش المختلف الاشكال والألوان.

حقائق عن الفراش:

تنتمى حشرات الفراش إلى رتبة حشرية كبيرة ويعتقد العلماء أن اسلافها القديمة قد ظهرت على وجه الأرض على الأقل منذ نحو خمسين مليون سنة مضت، وقد توصلوا إلى ذلك عندما وجدوا أجزاء من هذه الحشرات فى صخور بهذا التاريخ الموغل فى القدم وقد عرفت حاليا الآلاف العديدة من أنواع الفراش، وفى كل يوم يكتشف منها المزيد فى مختلف أنحاء العالم، وأغلب ما نشاهده عادة هو ابو دقيق وذلك لأن الفراش يظل مختبئا طوال النهار.

ويسمى الخبراء هذه القبيلة الكبيرة من الحشرات رتبة حرشفية الاجنحة ويرجع هذا الاسم الى كلمتين يونانيتين معناهما «حرشوف» و «جناح»

ويلائم هذا الاسم الفراش تماما لأن معظم أجنحته مغطاة بصفائح من الحراشيف الدقيقة يتراكب بعضها على بعض، وتتصل نهاية كل حرشوف من هذه الحراشيف «بجلد» الجناح مثل ريشة جناح الطائر ولكنها حراشيف ناعمة وصغيرة جدا حتى إنها لتعلق بأصابعك عندما تلمسها مثل التراب، وذلك خلافا للقشور التى تغطى الاسماك والتى تكون كبيرة وخشنة.

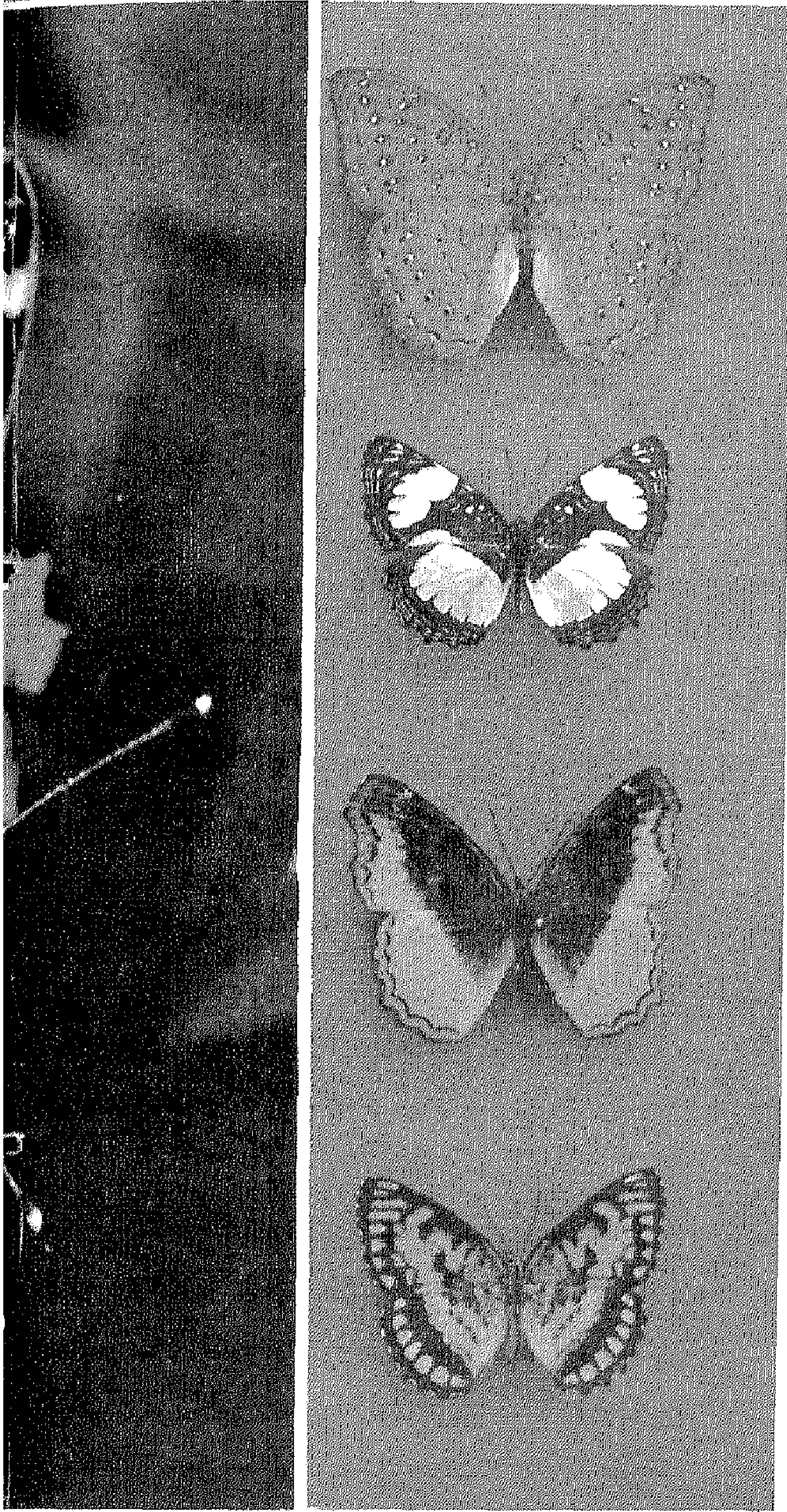
وتوجد أيضا على أجسام وأرجل الفراش حراشيف أخرى، ولكنها أطول من تلك التى على الأجنحة وأكثر شبها بالشعر.

وتبدو هذه الحراشيف على درجة كبيرة من الطرافة والغرابة اذا نظرت إليها من خلال عدسة مكبرة قوية، وتكون أطرف وأغرب من خلال المجهر وتساعد الحراشيف الفراش فى مجالين هامين: فهى من ناحية تجعل الاجنحة أكثر قوة، وهى من ناحية أخرى تزودها بالألوان التى تجعل اجنحة معظم أنواعه فائقة الجمال والابداع.

ولكل فراشة أربعة اجنحة وستة أرجل وينقسم جسمها أيضا إلى ثلاث مناطق رئيسية هى: الرأس ووسط الجسم أو الصدر ثم المنطقة المحتوية على المعدة والجهاز الهضمى وتسمى بالبطن.

ومن أهم الاجزاء فى رأس الفراشة اللسان المجوف أو أنبوبة التغذية المسماة بالخرطوم. وهو عبارة عن نصفي أنبوبة يلتصق أحدهما بالآخر ليكونا أنبوبة اكبر تستعملها الفراشة فى امتصاص الرحيق من الازهار وعندما لا تستعمل الفراشة خرطومها فإنها تحتفظ به ملتفا تحت فمها مثل زنبرك الساعة ويبلغ طوله فى فراشة «الصقر» عند انبساطه ٢٥ سنتيمتراً أى حوالى ستة أمثال طول جسم الفراشة.

ومن جهة أخرى يضع الفراش وأبو دقيق اعدادا كثيرة جدا من البيض كل عام.. ولم ترك لشأنه لغطى سطح الأرض، غير أن هناك جيوشا ضخمة



من الكائنات الأخرى تفترسها واهمها الزنانير، وذباب التاكينا.

وادى الفراش:

هناك تعبير شائع فى رودس يبين أهمية ومكانة وادى الفراش فى نفوس اهل الجزيرة وزوارها:

ـ هل ذهبت إلى رودس؟

نعـــم.

- فهل زرت وادي الفراش؟
لا
- اذن . . أنت لم تزر رودس بعد .

ويجمع وادى الفراش من العجائب ما يجعله محط أنظار زوار الجزيرة . . فغابات الوادى تمتلىء بالاشجار العتيقة الكبيرة الحجم كما يضم الوادى ارتفاعات وانخفاضات صخرية تم اعداد السلالم الموصلة بينهما عن طريق النحت فى الصخر . . ومن مكان إلى آخر تجد جداول الماء تنساب فى رقة وعذوبة



وكأنها صغار لأنهار كبيره . . أو تندفع كشلالات وليدة تتساقط المياه منها قطرة قطرة لتدق على أوتار النسيم .

ثم نأتى للفراش . . ألوف مؤلفة منه . . تفاعلت مع البيئة . . وصارت اجنحتها من الخارج ملونة بلون الخضرة والاشجار التى حولها . . حتى إنه لو دخل الوادى أحد ولا يعرف أنه مستقر الفراش . . فسيعجب بمكونات الوادى من الاشجار والجداول والأزهار والاخضرار وربما فكر أكثر من مرة فى زيارته مرة أخرى ولكنه اذا ما حاول الارتكان إلى احدى الاشجار فسوف يفزع لأول وهلة من مئات الفراش الذى سيطير من حوله .

ولهذا فهناك مرشد يصاحب كل مجموعة من زوار الوادى . . حتى ينبههم إلى أصول الزيارة . . وحتى لا يؤذى أحد الفراش وهو مستقر على الاشجار وجذوعها لأن الزيارات طبعا تكون فى النهار حيث يخلد الفراش للراحة . وما أن يصدر المرشد صفيرا معينا . . ويكرره أكثر من مرة حتى يتطاير الفراش بكثرة . . وكأن هناك اتفاق بين المرشدين والفراش وعندئذ . . يرى الزوار العجب العجاب . . مئات الألوان الزاهية تتبين للناظرين عندما يطير الفراش عقب سماع صفير المرشدين ويمنع المرشدون استخدام الفلاش فى التصوير حتى لا يؤذى الفراش كما يمنع صيد الفراش منعا باتا . . ويصطف الباعة على مدخل الوادى يعرضون مختلف النماذج والصور والاقراط والمناديل والسجاد والاقلام وغيرها مما استخدم الفراش فى صنعها . ونادرا ما نجد زائرا لجزيرة رودس لم يصطحب معه عند عودته منها تذكارا من الفراش باحدى الصور المذكوره . . سواء من باعة وادى الفراش أو من المحال التجارية بمختلف أنحاء الجزيرة .

وتتبخر الذكريات لزوار رودس . . وتنسى مع مرور الايام . . إلا ذكريات وادى الفراش فتظل عالقة بالأذهان مع الزمان .



العيد بين لفظه ومعنى

في التاسع من الحجة كانت وقفة عرفات.. ومع مطلع فجر العاشر هلَّ على الأمة الاسلامية قاطبة عيد الأضحى المبارك أو عيد الفداء؟.. وهكذا يحل العيد الأكبر في اليوم التالي لوقوف الملايين من ضيوف الرحمن كل عام على ذلك الجبل المقدس.. يقفون جميعهم في تلك اللحظات بين يدى الله سبحانه وتعالى لا فرق بين غنيهم وفقيرهم أو بين أسودهم وأبيضهم أو بين العربي منهم والعجمي إلا بالتقوى.. وفي تلك اللحظات يتذاكر المسلمون قاطبة قول الله سبحانه وتعالى ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾.

جاء في صحيح مسلم عن أبي الزبير انه سمع جابراً يقول: «رأيت النبي ﴿ﷺ﴾ يرمى على راحلته يوم النحر ويقول: لتأخذوا عنى مناسككم فإنى لا أدرى لعلى لا أحج بعد حجتى هذه.

ومضى شهران وفي رواية واحد وثمانون يوما على تلك الكلمات التي قالها أشرف لسان أقلته هذه الغبراء.. لسان أفصح عربي مبين.. لسان محمد ﴿ﷺ﴾ بعدها ودع عالم الأحياء وعرفت تلك الحجة بحجة الوداع.

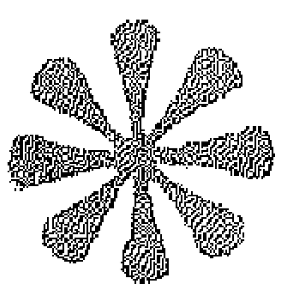
ومضت أيام العيد.. وعاد ضيوف الرحمن بعد أن أدوا مناسكهم وطافوا بالبيت العتيق.. عادوا من حيث أتوا إلى هذه الرحبات المقدسة من كل فج عميق.

وفي هذه الأيام.. أيام عيد الفداء العظيم والكبير جمعتني جلسة مع بعض الأدباء والأصدقاء من سكان حي مصر الجديدة الهادىء الوديع فأخذنا نتذاكر أيام الصبا وذكريات العيد وكيف كان كل منا يفرح بالجديد من الثياب وبما يحمله العيد من بهجة وسرور الى نفوس الصغار والكبار.

وفجأة شدنا واحد من إخواننا «الدكاترة» إلى استكناه كلمة «العيد» من ناحية لفظها ومعناها فقال إن الكلمة حسبما جاءت بلسان العرب لابن منظور «العيد: كل يوم فيه جمع واشتقاقه من عاد يعود، كأنهم عادوا إليه والجمع أعياد: لزم البدل ولو لم يلزم لقيل أعواد كريح وأرواح لأنه من عاد يعود.. وقد تحولت الواو في العيد ياء لكسرة العين وتصغير عيد عييد وجمعوه أعياداً ولم يقولوا أعواداً.

بقلم الاستاذ/ عامر احمد محمود العقاد

قلت: لقد صدق لسان العرب فإن الكلمة فى العربية لتحمل أصدق الكلمات من ناحية الدلالة على اليوم وان قيمة هذه الدلالة لتتجاوز من ناحية الاهمية لغوياً إلى الاهمية فى علم الانسان المعروف «بالانتروبولوجى» من «انتروبوس» التى تعنى الانسان فى لغة اليونان.



فالعيد يستلزم «أولا» أن يعاد فى موعد معلوم من كل سنة أو من كل موسم وعودته مع السنين والمواسم تستلزم وجود مجتمع قد استقر حاله واستقرت له علاقاته بالأرض والسماء.. أو بالمكان والزمان.. فهو يعرف مواقيت الزرع كما يعرف التقويم الفلكى الذى يجعل للزراعة ميقاتا ثابتاً يوافق أوان الزرع والحصاد بالشهر واليوم وربما يخالفه قليلا مع تعاقب الأعوام.

عند ذاك قال صديق من الجالسين معروف لدينا ولعه بالبحوث التاريخية القديمة وبحبه لشيخنا العقاد فقال موجهاً كلامه لى:

لابد وأن شيخنا العقاد ـ يرحمه الله ـ قد عرض فى كتاباته الإسلامية المتعددة والرائدة لأصل الكلمة ولمعناها عند العرب وعند الأقدمين فهل لك أن تمتعنا أيها الصديق بما قاله مفكرنا الاسلامى الراحل فى هذا الصدد؟.

قلت: سمعته يوما يتطرق فى حديثه مع سائل من رواد مجلسه حول هذا الموضوع فقال له: **هناك كلمات كثيرة فى اللغات الأخرى غير العربية تدل على العيد ويدور معناها أحياناً على الموائد والأطعمة: فإذا قال القائل فى تلك اللغات انه «عيد» فمعنى ذلك انه شبع من الطعام، ونال نهمته من الثمرات والخيرات.**

وقد جاء فى سورة المائدة من القرآن الكريم آيات تلخص تلك المعانى وتجمع خصائص العيد بعودته ووفرة مأكوله ومشروبه وتجدده بين الأجيال السابقة واللاحقة.. وكان العقاد يعنى بذلك قوله تعالى: **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين. قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين. قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين﴾** سورة المائدة الآيات ١١٢، ١١٣، ١١٤

واذكر أن العقاد فى ذلك اليوم استطرد ليقول لذلك السائل الحائر: ان الأعياد جميعا قديماً تكاد ترجع بأصولها إلى مواسم الزراعة والرزق حتى جاءت الأديان فارتقت بها من أصولها المادية إلى المعانى الإلهية والروحانية وأضفت عليها صبغة من المقاصد العليا تناسب تقدم الإنسان.

فبنو إسرائيل مثلاً كانوا قد تعودوا أن يحتفلوا بعيد «الفصح» وعيد «المظال» وغيرهما من أعياد البواكير والمحصولات، وقد كان عيد «الفصح» يوافق موعد الإعتدال الربيعى من شهر نيسان الذى يتوسط بين شهرى مارس وأبريل موعد الربيع، وكان عيد «المظال» يوافق ليلة البدر من شهر تشرين، أى الشهر العاشر الذى يتوسط بين شهرى سبتمبر وأكتوبر موعد الحصاد، ثم تطور الإحتفال بهذين العيدين فأصبح لهما معنى الخلاص، ومعنى النعمة الإلهية حسب موقعهما من حوادث التاريخ التى تهم بنى إسرائيل.

لذلك كانوا يحتفلون بعيد النور فى نحو الخامس والعشرين من شهر ديسمبر كل سنة، لأنه هو الموعد الذى يقصر فيه الليل ويطول النهار ويعتبرونه آية على انتصار النور وإندحار الظلام، ثم احتفلوا به لأنه وافق تاريخ إقامة الهيكل عندهم كما وافق تجدد العبادة فيه بعد تعطيله فى زمن «انطيوخس أبيفانس» ولا يزالون كلما احتفلوا به يجعلون من هداياه عناقيد العنب وأوراق الكروم.

ولم يزل هذا العيد مرعيا بين الأمم القديمة من غير بنى اسرائيل، وكان الإحتفال به مصحوبا ببعض العادات التى لا يقرها الدين، فلما دان الوثنيون بالمسيحية ثبتوا على عاداتهم الأولى فى الإحتفال بهذا اليوم كل عام، وحولهم آباء الكنيسة عنه إلى الإحتفال بذكرى مولد السيد المسيح.

أما العيدان الإسلاميان ـ وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ـ فالذى أذكره إن صدقتنى الذاكرة ـ ان شيخنا العقاد قال فى شأنهما حينذاك انه كان لهما أصل قبل الاسلام. إذ كان العرب يصومون من أسبوع إلى إسبوعين فى موعد الانقلاب الصيفى الذى يوافق شهر القيظ أو شهر رمضان.. كما كانوا يحجون إلى الكعبة ويقدمون القرابين إلى أربابهم عند منصرفهم من الطواف.. وكانوا يؤدون شعائر الحج عراة إلا من الكساء الذى يخصصه السدنة للحج فى جوار مكة فلما جاء الاسلام هذب هذين العيدين وأزال عنهما بقايا الصبغة المادية وحولهما إلى العبادة الإلهية وساعد على زوال الأثر المادى منهما.



الخلق والتقصير



عيد الفداء

إن الإسلام حرم النسيء وهو زيادة شهور على السنة كل بضعة أعوام لإعادة التاريخ القمرى الى الحساب الشمسى الذى تنتظم عليه مواسم الزراعة والتجارة ولم يحرم الإسلام النسيء لأنه يمنع تنظيم التقويم على الحساب الصحيح فإنه بخلاف ذلك يوجب على الإنسان أن يعلم عدد السنين والحساب ولكنه حرمه لأن المنجمين الذين كانوا يتولونه قد جعلوه تجارة على حسب الهوى وعبثوا بالزيادة والنقص فى الأيام لإباحة القتال المحرم فى بعض الشهور وطفقوا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً كما جاء فى القرآن الكريم.. فلما بطل النسيء الذى كان متبعاً فى الجاهلية أصبح شهر رمضان يأتى فى غير أوان الرمضاء ويعود فى كل فصل من فصول السنة.. ويعالج الصائم فيه طول النهار كما يعالج قصره كلما دار من الصيف إلى الشتاء.. وانفصل ما بينه وبين مواسم الزراعة ومواعيد النتاج ومنها قد استمد اسمه القديم.. وربما وصفوه قديما فقالوا انه هو الشهر «الناطل» والشهر «الناتق» وكلاهما يدل على كيل السوائل والألبان وعلى وفرة النتاج فى الإبل من قولهم ناقة منتاق أو ناتق أى كثيرة الولادة حسنة النتاج.

وعلى أية حال فان كلمة «التضحية» بمعناها الحديث كلمة إسلامية لم تعرف بهذا المعنى.. ونعنى به معنى الفداء قبل نزول القرآن الكريم.

وإنما أخذ معناها الأصيل على أرجح الأقوال من «الضحى» وهو موعد تقديم ذبيحة العيد بعد صلاته.

ولقد ظن بعض المتعجلين من رجال الاستشراق من المشتغلين بعلم المقارنة بين الأديان انها من أجل ذلك تشير إلى أصل قديم لعبادة الشمس فى عصر الجاهلية. وهو كما يرى كل قارىء عارف بالعربية - ظن عاجل من ظنون تلك القشور الواهية الذى يسيطر عادة على عقول الكثيرين من أفراد ذلك الصنف من الباحثين وذلك لأن «التضحية» كلمة من كلمات كثيرة تفيد معنى الطعام أو تقديم الذبائح فى مواعيده من اليوم بين السحور والغداء والعشاء على حسب أسمائها القديمة التى شاعت من قبل وتشيع اليوم على كل لسان.

إلا أن المقارنة المتئدة بين الأديان الى جانب النظرة الفاحصة المدققة تسفر فى أمر هذه اللفظة عن حقيقة مطردة يعرفها كل منصف من غير المسلمين وهى إرتفاع الإسلام شأوا بعيداً فوق أرفع الآفاق التى بلغتها أطوار الدين مع ارتقاء النوع الإنسانى وصلاحه مع الأيام للتقدم فى شئون العبادة وما يقترن بها من شئون المعرفة والأخلاق والتربية الاجتماعية.

إن المقارنة بين الأديان من ناحية الفروع لابد وان تنتهى حتماً بالباحث المنصف إلى تمييز الإسلام

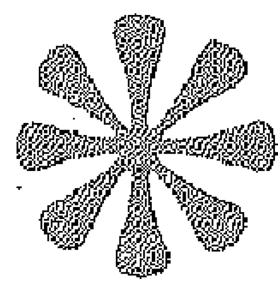
بما جاء به من فضل وتقدم ورقى لا سيما من ناحية النزاهة فى التفكير والاستقامة على هداية الضمير.

ومن تلك الفروع فى العقيدة الإسلامية عقيدة «التضحية» أو القربان فالذين يقارنون بين معنى «التضحية» عند اليهود ومعناها فى ديننا الحنيف من أولئك المستشرقين المتعجلين أو الذين فى قلوبهم مرض يدركون خطأهم سريعاً عند المقارنة الدقيقة، ذلك لأن القرابين والضحايا كما وردت أحكامها فى كتب التوراة والتلمود تحمل فى أطوائها كل بقايا التضحية للأرباب فى الأديان التى قامت على عبادة الظواهر الطبيعية، ولا سيما ظواهر الفصول ومواسم الزراعة.

فالقربان عندهم يكون تارة من بواكير الزرع، وتارة من بواكير الحيوان فى مواسم النتاج أو الحصاد.

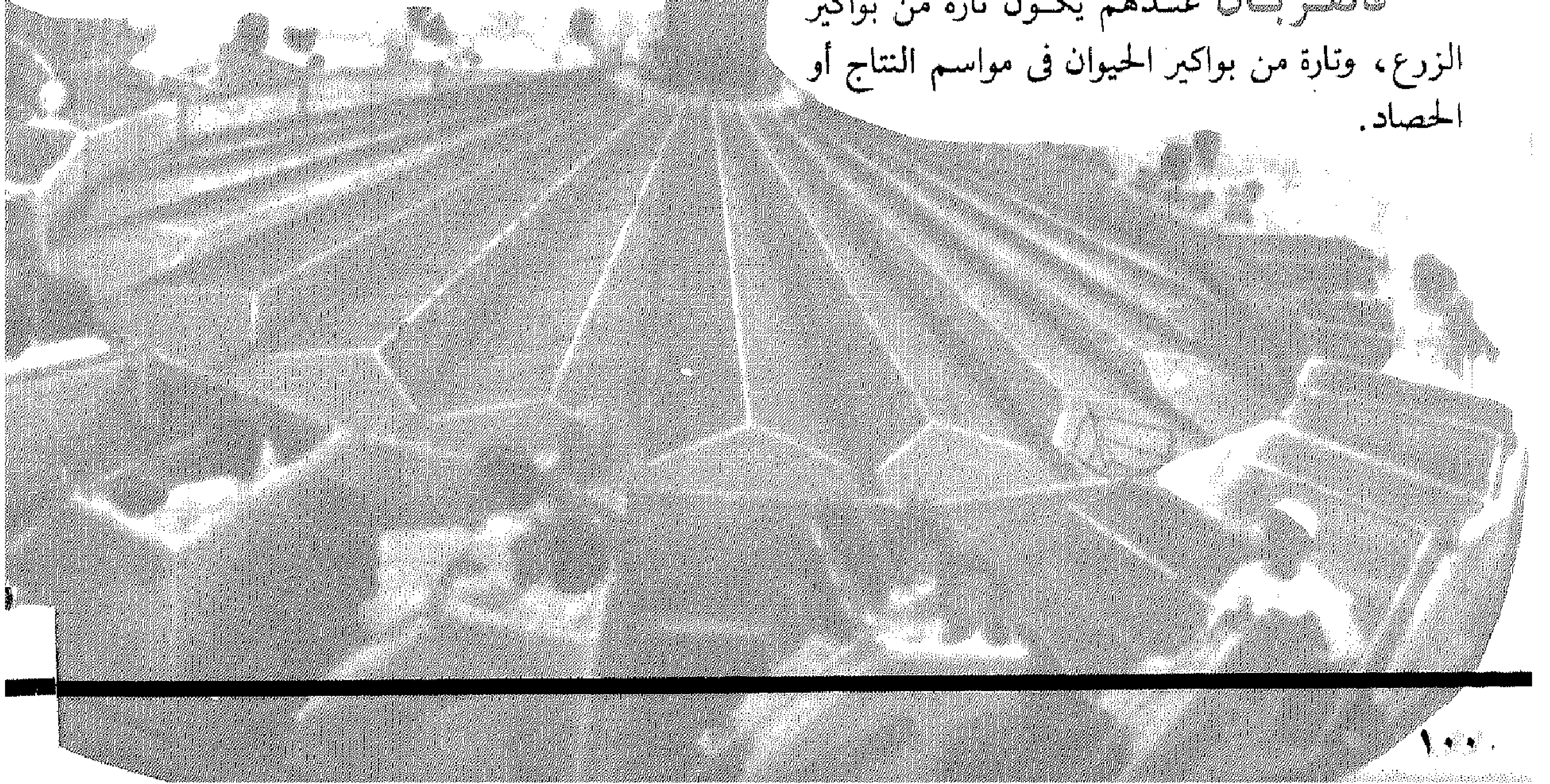
ويكون بالإضافة إلى هذا، تارة أخرى ثمنا للغفران من الله أو «رشوة» لتسكين الغضب واستجلاب الرضى والرعاية.

وفى حالات كثيرة يكون قربانهم الأكبر طعاماً مقدما الى الله لأنه يستسيغه ويشعر بالسرور لاشتمامه ويكون فى كل حال هدية منتقاه من أطايب الذبيحة لكهان الهيكل وخدامه والمنتسبين اليه.



ونظرة واحدة فى كتب التكوين والخروج والاخبار توقفنا على الكثير وبالتفصيل على انواع تلك القرابين عند القوم.

ففى الفقرات الأولى من الإصحاح الأول من



كتاب «اللاويين» نجدهم يقولون «ودعا الرب موسى وكلمه من خيمة الإجتماع قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم إذا قرب إنسان منكم قرباناً للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرابينكم. إن كان قربانه محرقة من البقر فذكراً صحيحا يقربه إلى باب خيمة الإجتماع. يقدمه للرضا عنه أمام الرب ويضع يده على رأس المحرقه فيرضى عليه للتكفير عنه ويذبح العجل أمام الرب ويقرب بنو هرون الدم ويرشون مستديرا على المذبح الذى لدى باب خيمة الإجتماع ويسلخ المحرقة ويقطعها إلىَّ قطعاً ويجعل بنو هرون الكاهن ناراً على المذبح ويرتبون حطبا على النار.. وأما أحشاؤه وأكارعه فيغسلها بماء ويوقد الكاهن الجميع على المذبح رائحة سرور الرب».



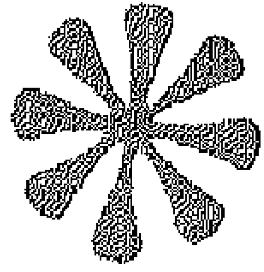
فالمقارنة الدقيقة بين تلك المراسم وما يقابلها من مراسم التضحية الإسلامية تبين لنا بجلاء كل ما هنالك من الفوارق الشاسعة من صفة القربان ومعناه فى الديانتين.

فالقربان فى الإسلام ليس ثمنا للغفران متعلقا بوساطة الهيكل أو الكهان.

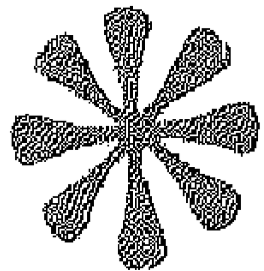
كما ليس القربان فى الاسلام طعاما للرب ولا طعاماً لأحد من الوسطاء بين العبد وربه باسم الدين.

وليس القربان فى الإسلام فرحاً بمنظر الدم واحتفالاً برشه وغمس الأيدى فيه مرضاة للعبد أو لربه.

ومالنا نذهب بعيداً وبين أيدينا آيات القرآن الكريم صريحة فى بيان أغراض التقريب ومراسمه وتنزيه الإله جل وعلا عن النيل منه طعاماً أو شميما وقد جمعتها آيات بينات من سورة الحج فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿**والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون. لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين**﴾. سورة الحج الآية ٣٧.



خلاصة القول فى هذا الشأن أن القربان الإسلامى بعيدٌ غاية البعد من تلك المراسم.. مراسم الوثنية وشعائر الكهانة فليس على المسلم أن يقربه إلى الله ثمناً للغفران ولكنه شكر لله وإحسان إلى الجياع والمحرومين وبرهان على التقوى والصلاح وهما كل ما يطلبه الله من عبده.. تنزه سبحانه وتعالى أن يطلبه سروراً براشحته أو فرحاً بمنظر الذبائح فى دمائها واستئثاراً بالطيبات منها لمن يدعون الوساطة عنده والشفاعة لديه.



وإن عظمة الاسلام أمام كل صورة من تلك الصور «الجسمية الدموية» لتوجد فى صورة تصلحها وتهذبها لتحقق بذلك قضية التطور فى كل رسم من مراسم العبادة فروعها وأصولها.. وإنها لسنة إلهية تعمل عملها فى تهيئة الإنسان للتقدم من عقيدة إلى عقيدة تفضلها وتعلوها.. وحسب الاسلام هذا انه العقيدة التى تعلو جميع العقائد السابقة لها بل وتفضلها على الدوام حتى يرث الله الأرض ومن عليها والله خير الوارثين.



من قام روكس بن زائد العزيزي احد أعضاء مجمع اللغة العربية - الأردني



ولد افلاطون سنة ٤٢٧ ق. م ويقال ٤٣٠ ق. م وتوفى سنة ٣٤٧ ق. م واختلف فى مسقط رأسه فقيل (اثينا) وقيل (جزيرة اجينا) وهو من مشاهير فلاسفة اليونان، فهو تلميذ (سقراط) ومعلم (ارسطاطاليس) اساس فلسفته (الصور) قال: إن الحقيقة التى يطلبها العالم ليست فى الظواهر المفردة الزائلة، ولكن فى الفكر السابق لوجود الكائن وقال: «إن غاية الفكر الخير».

من مؤلفاته:

أ - الجمهورية أو السياسة

ب - المحاورات

ج - فُيدون

د - تيميه

هـ - الشرائع.

وقد وصلت نصوصها الى العرب ملخصة أو مجزأة ما عدا (الشرائع) التى نالت كل حفاوة.

ابوه من نسل (قدروس) آخر ملوك (اثينا) وامه من نسل (صولون) وقد زعم المعجبون بـ (افلاطون) انـه ابن الاله (ايلون) فلقبوه بـ (افلاطون الالهى) فكانوا يحتفلون بعيده فى آخر شهر ايار من كل سنة وهو اليوم المقرر لعيد (ايلون).

زعموا ان النحل كانت تغذوه بعسلها وهو طفل وكان اسمه الحقيقى هو (ارسطوفليس) على اسم جده، لكن مدربه فى الالعاب الرياضية سماه (افلاطون) لسعة ما بين منكبيه، يعتقد انه انخرط فى الجندية دفاعاً عن وطنه تأثراً بمعلمه سقراط. ويقال انه نظم الشعر وهو صغير السن.

اولع بالسفر، فزار (القيروان) و(مصر) و(ايطالية) و(صقلية) وقيل انه زار (بابل) و(بلاد فارس) و(فلسطين) والتقى بالمجوس والبابلين واليهود.

وذكر انه بيع عبداً بامر من طاغية (سيراقوسه) المسمى (يوليوس الاكبر) ثم افتداه رجل من (القيروان) لم تذكر المراجع التى بين أيدينا اسمه فعاد الى (اثينا) واخذ يلقى دروسه على طلابه محاورات ثم يكتبها يقول (امرسن) ان سير أعاظم

فهمه ـ فى محاوراته احيانا ـ لانه ـ على كل ما فى اسلوبه من سحر وجمال ـ يواجهك بمزيج من الفلسفة والشعر والعلم والفن . والرجل مولع بالتهكم والمزاح والخرافة والاستعارة الى درجة تقف معها احياناً ذاهلاً سائلاً نفسك بلسان من يتكلم افلاطون فى محاوراته؟

فكأنه يكتب أو يحاور اناساً بعينهم، صارفاً النظر عن الاجيال التى تقرا محاوراته تلك ففى جمهورية افلاطون مواقف شديدة الغموض. بسبب الاستعارات التى كانت مألوفة فى عصره ولا اثر لها فى زماننا.

فهو بعد ان يهاجم الشعر والشعراء والكهان والاساطير يعود الى الاستناد الى ذلك كله، وهذا شأنه مع اهل السفسطة الذين لم ينجوا من لسانه وان اتكأ عليهم وعلى اسلوبهم.

الغاية من وضع هذه الجمهورية؟

كان هناك مناقشة فى حقيقة العدالة، استطاع (سقراط) بما وهب من ألمعية ان يجعل آراء المتناقشين عصافة تذروها الرياح الا ان اثنين من اتباع سقراط ذهبا إلى ان الانسان مفطور على الظلم وهذا ما رآه شاعرنا بعد ذلك باجيال إذ قال:

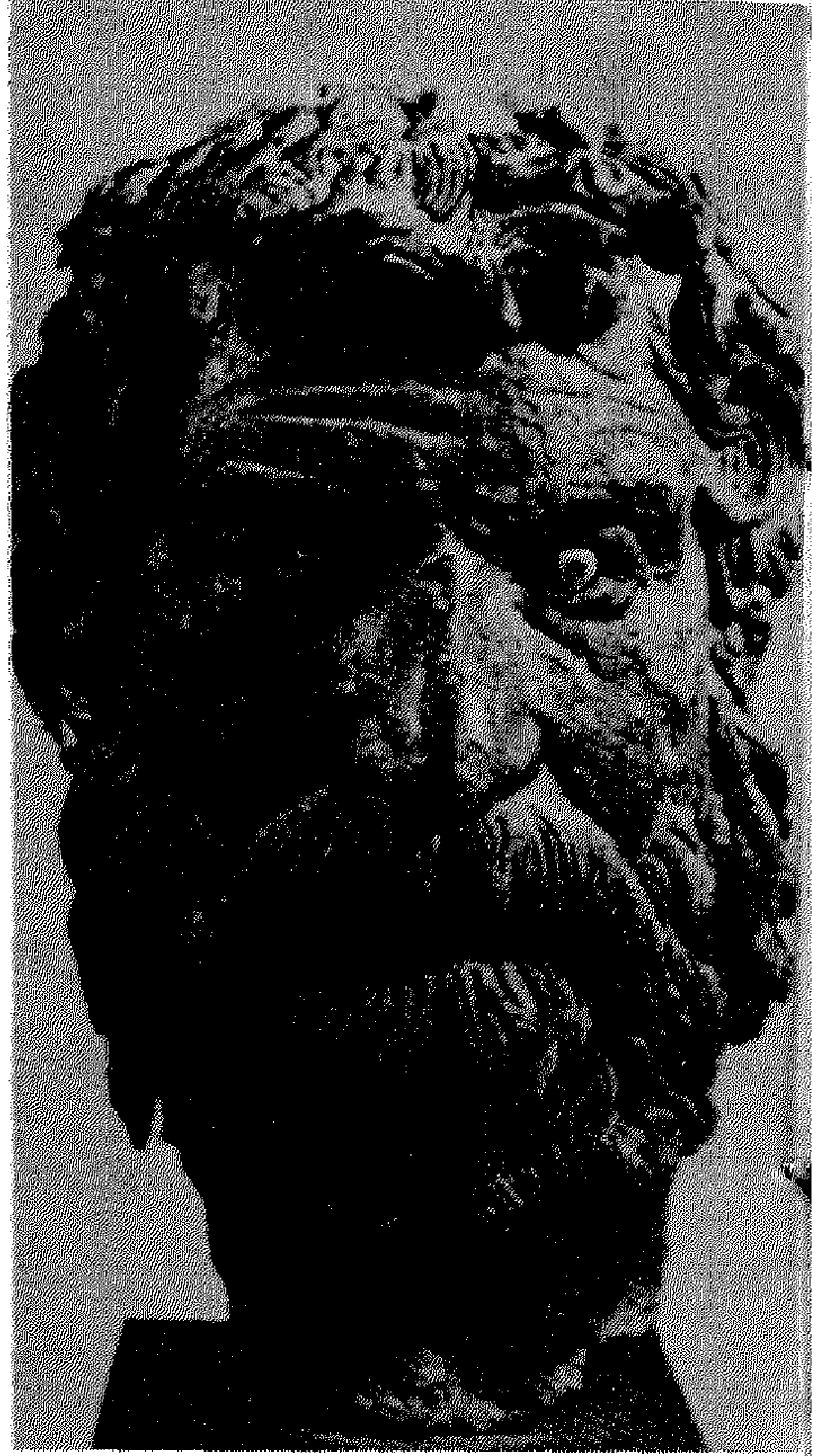
والظلم من شيم النفوس
فإن تجد ذاعفة فلعلة لا يظلم

وقال المعرى:

افضل من افضلهم صخرة
لا تظلم الناس ولا تكذب

ووصل الامر بالمتناقشين ان يوجهوا السؤال التالى الى (سقراط)؛

هل تستطيع يا (سقراط) ان تبين لنا ان العدالة



الرجال اقصر السير فابناء عمهم لا يستطيعون ان يقولوا لك شيئاً عنهم.

اسلوب افلاطون المحيِّر:

ـ (افلاطون) اسلوب محير حقاً فقد يستعصى

بطبيعتها اسمى من التعدى وان الادب اصلح من فساده، إذا كان فى استطاعتك ان تفعل ذلك فبرهن لنا عليه. ؟

القضايا التى اثارها افلاطون بلسان (سقراط):

١ ـ القضية الادبية
٢ ـ القضية السياسية
٣ ـ القضية السيكولوجية
٤ ـ الحلول المقترحة

أ ـ نظام التهذيب منذ الطفولة ـ الذى هو الحل الادبى

ب ـ الحل الادبى وجوهره العدالة، وهى ان يلزم كل فرد العمل الذى يجيده فالرجل العادل فى الدولة هو الذى يحل فى منصبه المعدّ له وفى هذا المنصب يبذل جهده ان يعطى الدولة بمقدار ما يأخذ منها.

من اقوال (افلاطون):

ليس فى نيتنا ان نحلل جمهورية افلاطون فتلك محيط زاخر بكل حكمه بل غرضنا الاشارة إلى هذا الاثر الذى قال عليه (امرسن):

«**احرقوا كل الكتب، ففى هذا الكتاب ـ جمهورية افلاطون ـ غنى عنها**»..

وقال ايضا: «**افلاطون هو الفلسفة والفلسفة هى افلاطون، وقال احرقوا المكاتب فكلها فى هذا الكتاب**»..

ليس أجمل من الرجل الذى جمع بين جمال الظاهر وجمال الباطن

لذا فنحن نكتفى باقتطاف بعض اقوال افلاطون فى الجمهورية:

● فى كل منا ـ حتى فى الرجال الصالحين ـ تكمن طبيعة الوحش البرى وتظهر فى اثناء النوم..

● لا يجوز ان يخرج تهذيب الحر، بشىء من ملابسات الاستعباد.

● يجب ان تسند القوانين الادبية بسلطة من وراء الطبيعة، أى يجب ان يكون لنا دين.. قال برناردشو: «انسان بلا دين، معناه انسان بلا شرف».

● لا نسمح لاحد رجالنا ـ رجال الحكم ـ ان يقبض رشوة أو ان يكون محباً للمال..

● ابرع القضاة هم الذين اختلطوا بكل طبقات الشعب.

● لباب العفاف هو ضبط النفس. وهو نوع من الاتساق وامتلاك الرغائب والاتزان.

● غرض واضع الشريعة هو اسعاد الشعب.

● ان المدينة التى يحكمها النحاس أو الحديد، صائرة الى البوار.

● الشجاعة نوع من التأمين على النفس.

● الغنى ينشىء الرخاء والكسل والملاهى، والفقر ينشىء الخساسة ويفسد المصنوعات.

● العدالة هى اقتصار الانسان على ما يخصه.

● الموت ولا ذلّ الاستعباد.

● الصالح لا يحسب موت صديقه الصالح فاجعة.

● إذا كان العادل خبيراً فى حفظ الدراهم، فهو خبير فى سرقتها ايضا. لان كل ما الانسان بارع فى حفظه هو بارع فى سرقته.

● نتيجة البحث علمتنا ان منفعة الاقوى هى العدالة فى كل مكان.

● اثقل مصائب الناس ان يحكمهم اسافلهم، إذا رفض فضلاؤهم الاحكام.

● إن المرء لا يستغنى عن اخوانه، هذا هو منشأ الحياة الاجتماعية والدولة.

● لا احد يعدل مختاراً بل مرغماً وكل يتعدى حيث يكون التعدى مستطاعاً لانهم يرون ان التعدى أنفع لهم كثيرا من العدالة. (هذا تقرير لواقع الحياة، لكنه ليس رأياً له).

● الاخ عضد قريب.

● العدالة عدالتان، عدالة فى الفرد، وعدالة فى الدولة.

● الحروب فن قائم بذاته.

● إذا تجرد الفرد من احدى هاتين الصفتين:

أ - الوداعة،

ب - والحماسة.

فانه لا يصلح للحكم.

● الحاكم الكفوء فى عرفنا، هو الذى تَعِدُ مواهبه بمسيره نحو الكمال:

أ - عظيم الحماسة

ب - سريع التنفيذ.

ج - شديد المراس.

● تعلم ان البراءة فى كل شىء هى على اعظم جانب من الخطورة.

● وان اراد الله قلب امة.. أنبت شراً وشقاقا بينها.

● اوليس افضل الاشياء فى الوجود اقلها قبولاً للتغير بتأثير خارجى؟

● ان الله تعالى هو صانع الخير ليس إلا **(هذا ما يقوله رجل نعده وثنياً عاش فى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح).**

● لا يجوز ان يسلم لامة كاملة آلات موسيقية تنشىء فيها الرخاوة وثبط العزائم.

● يجب اختيار القضاة من اكبر اعضاء الجسم الاجتماعى سناً واوفرهم فطنة واعظمهم جدارة واعرقهم وطنية فهؤلاء هم الحكام الحقيقيون والذين دونهم يسمون مساعدين.

● إذا مارس الحكام التمثيل فى صغرهم فيجب ان لا يمارسوا تمثيل الدناءة وكل انواع السفالات لئلا يلصق بنفوسهم ما مثّلوه فيصير لهم سجية.

● لا يجوز ان يلامس الحب الشرعى شىء من الجنون والدعارة.

● ليس اجمل من الرجل الذى جمع بين جمال الظاهر وجمال النفس الباطن قرن هذا بذاك لان كليهما منسوج على منوال واحد.

● يدعو الى ما دعا إليه الفيلسوف الالمانى (نيتشه) فيما بعد، وهو اعدام الاشرار الفاسدين غير القابلين اصلاحا.

● يدعو الى تقوية الجسد بالرياضة وتهذيب النفس بالموسيقى.

هذه امثال من حكمة افلاطون وتعريف عابر بجمهوريته.



الشعر سداه الخيال، ولحمته العاطفة. والخيال الخصب والعاطفة الجياشة لا تجتمعان إلا للصفوة من الشعراء الموهوبين ذوى الملكات الملهمة، والبصائر النافذة، والرؤى الشفافة، والأفكار النيرة، والأحاسيس المشبوبة.

ولقد زخر الأدب العربى بجمهرة من الشعراء، حتى قيل: «**الشعر ديوان العرب**» وما أروعه وأمتعه وأوسعه من ديوان يفيض جمالا وجلالا، وعطاء وسخاء.

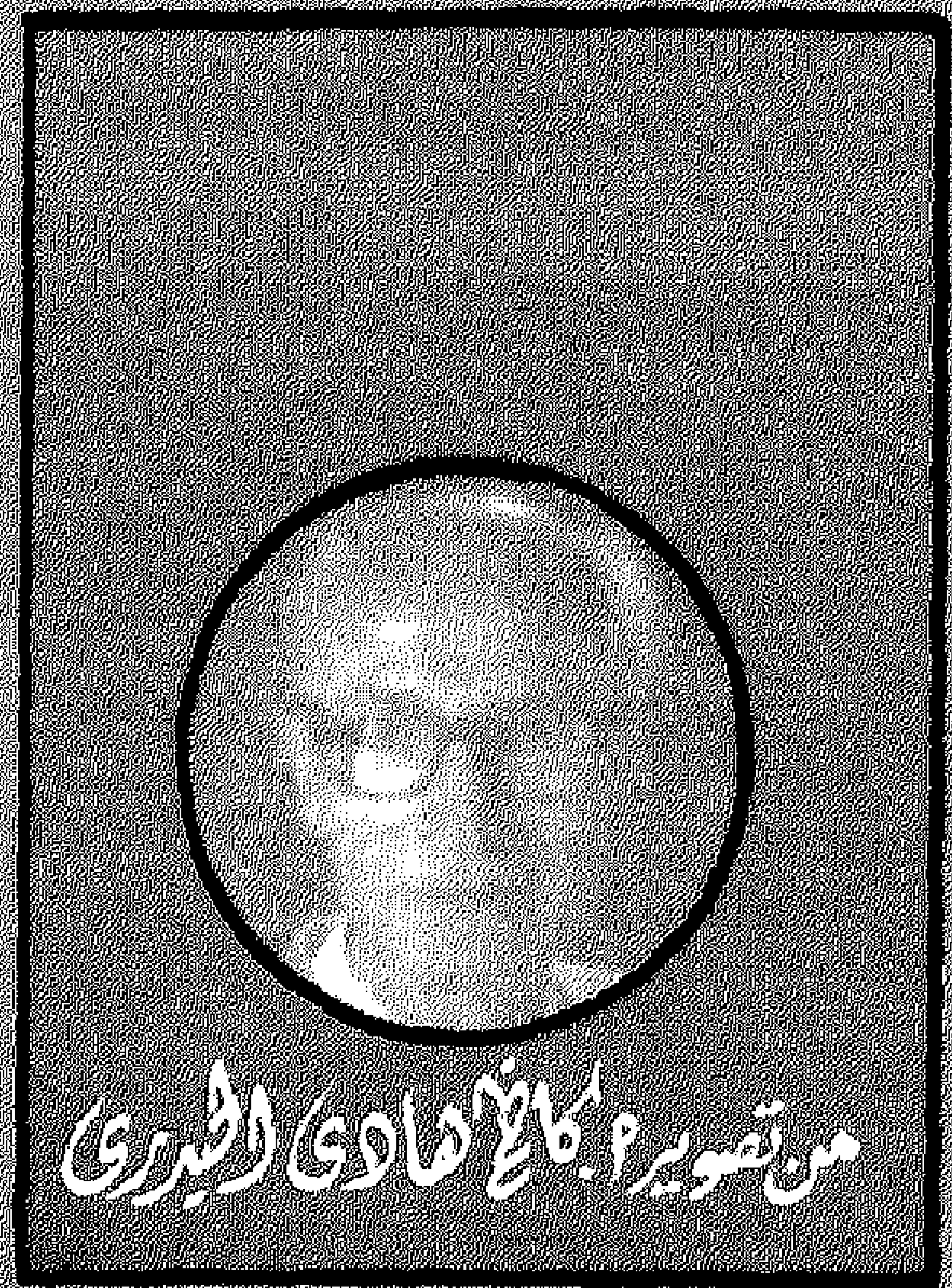
فتراثنا الشعرى كنوز من المعانى الكريمة، والثروة اللفظية.. فكم من شعر دق معنى، ورق مبنى. وكم من علم حفظ بالشعر، وكم من حكم وأمثال خلدت بأبياته. وكم من مواعظ مؤثرة فاضت بها قرائح الشعراء. وكم من دروس تجلت بالشواهد الشعرية. وكم من قصص البطولة، وسير الخالدين من الأعلام الأفذاذ دونت فى الشعر. وكم من مشاهد صورها فأحسن تصويرها ووصفها وصفاً أنيقاً دقيقا.

ومن أراد الدليل - ولو ان الموضوع من الوضوح بمكان - فليتصفح مئات الدواوين والمجاميع وكتب الأدب والسيرة والتاريخ.

قلت لواحد من أسرتى: إن بين كتبى ثلاثين ديواناً شعريا. أجابنى وفى مكتبتى ثلاث مئة منها على ان مكتبته صغيرة، إلا ان ولعه بالشعر كبير. وإن لم يصل إلى ولع الشاعر المهجرى «**رياض المعلوف**» الذى يقول:

رضيت من الحياة ببيت شعر
وأترك كل ما فيها لغيرى

ولكن هذا التراث الشعرى الغزير لابد



وانه يحوى سمينا وغثا، ورائقاً ورثا. فقد صدر عن شعراء مختلفين فى ثقافاتهم وأذواقهم وعصورهم. فمنهم الشاعر الفحل، ومنهم الشويعر الضحل، فى أغراض مختلفة منها الجليل الكريم، ومنها الشائن السقيم. فليس كل شعرنا صفوه ينال من قارئه حظوة.

قال أبو إسحاق الصابى:

رب شعر أطاله طول معنا
ه، وإن قل لفظه حين يُروى
وطويل فيه الكلام كثير
فإذا ما استعدته كان لغوا
عرض البحر وهو ماء أجاج
وقليل المياه تلقاه حلوا

وقال الشيخ محمد رضا الشبيبى:

وقد يفضل البيت البليغ قصيدة
مطولة، لكن على غير طائل

وربما جاء تراثنا الشعرى بهذه السعة من انه كان أفضل وسائل التعبير. فبه افتخروا ومدحوا وهجوا وتغزلوا ورثوا ووعظوا وأعلنوا الحروب وسجلوا الأحداث وانتصروا للمبادىء وتعصبوا للأحزاب.

فقد كان الشعر يقوم مقام وسائل الإعلام الحديثة ونستطيع القول إنه كان يعوض - إلى حد ما - عن تأليف الكتب، وإصدار المجلات والصحف ويؤدى ما تؤديه الخطب والمحاضرات.

أما اليوم فقد تضاءلت أهمية الشعر، وندر الشعراء الفحول. فالشاعرية ملكة وموهبة وسليقة، تصقل بالدربة والمران وتبدع بالرغبة والإقبال والتشجيع.

إن تعقيد الحياة وشيوع القلق والثورة الصناعية وتقدم العلوم ومنجزات العصر عصر الفضاء و«الألكترونيات» و«الليزر» والإخفاق فى تدريس اللغة العربية وطغيان العامية على الفصحى. كل هذا وغيره صرف الأذهان والأذواق والقرائح عن العناية بالشعر وقلل من دولة وصولة الأدب.. فاين نحن - اليوم - من البيئة التى أنجبت عمالقة الشعر فى الماضى. فلم تعد الفصحى لغتنا بعد انتشار العامية. والفصحى معدن الشعر ومنهله ومورده وأين ناشئتنا من تذوق المنظوم، بل أين هم من صحة إنشاده. إن دراستهم للغة وآدابها - من بدايتها وحتى نهايتها - تكاد تكون عقيمة، ومخيبة للآمال.

فكم من حملة الشهادات العليا لا يحسنون قراءة النثر بله الشعر. ولا يتقنون الكتابة إملاء بله إنشاء.

عذراً أيها القارىء الكريم - فالحديث شجون - ومن هذه الشجون إن الشعر الذى بين أيدينا ليس كله موضع تكريم، وأهلا لاعتزاز.

فما أكثر المديح الباطل والملق المزرى. وكم من قصائد نظمت فى الهجاء المقذع، وهل بالإمكان نسيان الغزل الفاضح المكشوف؟.

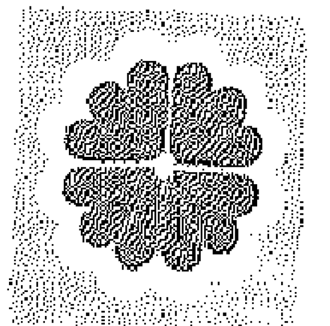
وما ذاك إلا لأن عدداً غير قليل من الشعراء أوتوا مقولا، وعدموا معقولا.

ولئن قال أبو الطيب المتنبى:

الرأى قبل شجاعة الشجعان
هو أول وهى المحل الثانى

فبالإمكان النسج على نفس المنوال فنقول:

الوعى قبل صياغة الأشعار
أكرم به من رائد وشعار



ثم إننا لا ندرى لماذا طغى الكذب على كثير من الشعر، حتى اشتهر قولهم: «**أعذبه أكذبه**» وقال أحدهم: «**والشعر أعذبه الكذوب**» وهذا ما دعا كاتب هذه السطور لأن يقول:

أصدق الشعر - برأيى - **أعذبُهْ**
لا كما قد قيل قبلاً: أكذبُهْ

والإسفاف الذى بلغ ببعض الشعر أدى إلى هذه القولة:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى
لكنت اليوم أشعر من «لبيد»

والصورة المشوهة التى كان عليها الشعراء المتهتكون والمتجاوزون والنافخون فى أبواق العصبية القبلية والمحاربون للإسلام. عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ ﴿ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون﴾ ﴿وأنهم يقولون ما لايفعلون﴾ ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ (٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧ الشعراء).

وقال جل وعلا رداً على تخبط المشركين أمام إعجاز القرآن الكريم:

﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ (٦٩ يس).

ومن تلك الصورة المستهجنة هجاء الشعراء المشركين للنبى محمد ﴿ﷺ﴾ ومن أولئك: عبد الله بن الزبعرى، وأبو سفيان بن حرب، وعمرو بن العاص جاء فى كتاب «**الزينة فى الكلمات الإسلامية العربية**» لأبى حاتم الرازى:

إن النبى ﴿ﷺ﴾ دعا على عمرو بن العاص: «**اللهم إن عمرو بن العاص قد هجانى وهو يعلم أنى لست بشاعر، اللهم فاهجه والعنه عدد ما هجانى**».


المتنبي


أبو نواس

ولكن الصورة تبدلت بالإسلام الذى أحدث ثورة فى كل مجال، ومن ذلك الشعر. ورفع مستوى الناس، ومنهم الشعراء فتهذبت الطباع، فحل الصفاء محل الجفاء والوئام محل الخصام والتعاون محل التشاحن والهداية محل الغواية.

وهجرت أغراض شعرية تتنافى وقدسية الإسلام كالغزل المكشوف، والتعصب القبلى والحمية الجاهلية وشعر الخمور والفجور والشرور واستجدت أغراض التعاليم الإسلامية والمفاهيم الأخلاقية.

فبدل التفاخر بالقبائل والأجداد يخاطب الكميت بن زيد» النبى محمداً ﴿ﷺ﴾:

بك اجتمعت أوصالنا بعد فرقة
فنحن بنو الإسلام ندعى وننسبُ

ونلمس التغيير الحاصل فى قول القائل:

شربت الصبا والجهل بالحلم والتقى
وراجعت عقلى والحليم يراجعُ
أبى الشيب والإسلام أن اتبع الهوى
وفى الشيب والإسلام للمرء وازع

وهذا مثال ثالث على التبدل الطارىء:

وكنتُ امرأ باللهو والخمر مولعا
شبابى إلى أن آذن الجسم بالنهج
فبدَّلنى بالخمر خوفاً وخشية
وبالعهر إحصانا فحصن لى فرجى
فأصبحت همى فى الجهاد ونيتى
فلله ما صومى ولله ما حجى

ولكن هل زال كل شعر المجون والخلاعة، والمديح الكاذب والهجاء المقذع من أغراض - ولك أن تقول من أمراض - الشعر فى المجتمع الإسلامى؟

فلنحاول الحصول على الجواب من الشعراء:

قال عدد غير قليل منهم إن خير الشعر ما كان صادقاً فى تصويره وتعبيره فما ينسب لطرفة بن العبد - وينسب لغيره:

وإن أحسن بيت أنت قائله
بيت يقال إذا أنشدته: صدقا

وقال عمر أبو ريشة:

أعذب الشعر ما يشع به الصد
ق، وتمشى على هداه العقول

وقال مبارك المغربى:

ما الشعر إلا شعور صادق فمتى
هاجت دواخله جاشت خواطره

وقال محرر هذه الكلمات:

أحب الشعر معناه كريم
بألفاظ مهذبة رقيقة
وخير الشعر ما قد كان صدقا
تجلت فى معانيه الحقيقة

فهل هجر الشعراء الكذب؟ إن أوضح صورة له تتجلى فى المديح والهجاء وهما غرضان أكثر الشعراء النظم فيهما. فهل التزموا بمديح من يستحق المديح، وهجاء من يستحق الهجاء؟ بل إن منهم من أيد الظالم المارق، وقبل يد السارق.

قال الشيخ د. أحمد الوائلى:

ويد تُكبَّلُ وهيَ مما يُفتَدى
ويد تُقَبَّلُ وهي مما يُقطعُ

وقال نذار قبانى:

نرفض الشعر أن يكون حصاناً
يمتطيه الطغاة والأقوياء

وقال الشاعر القروى:

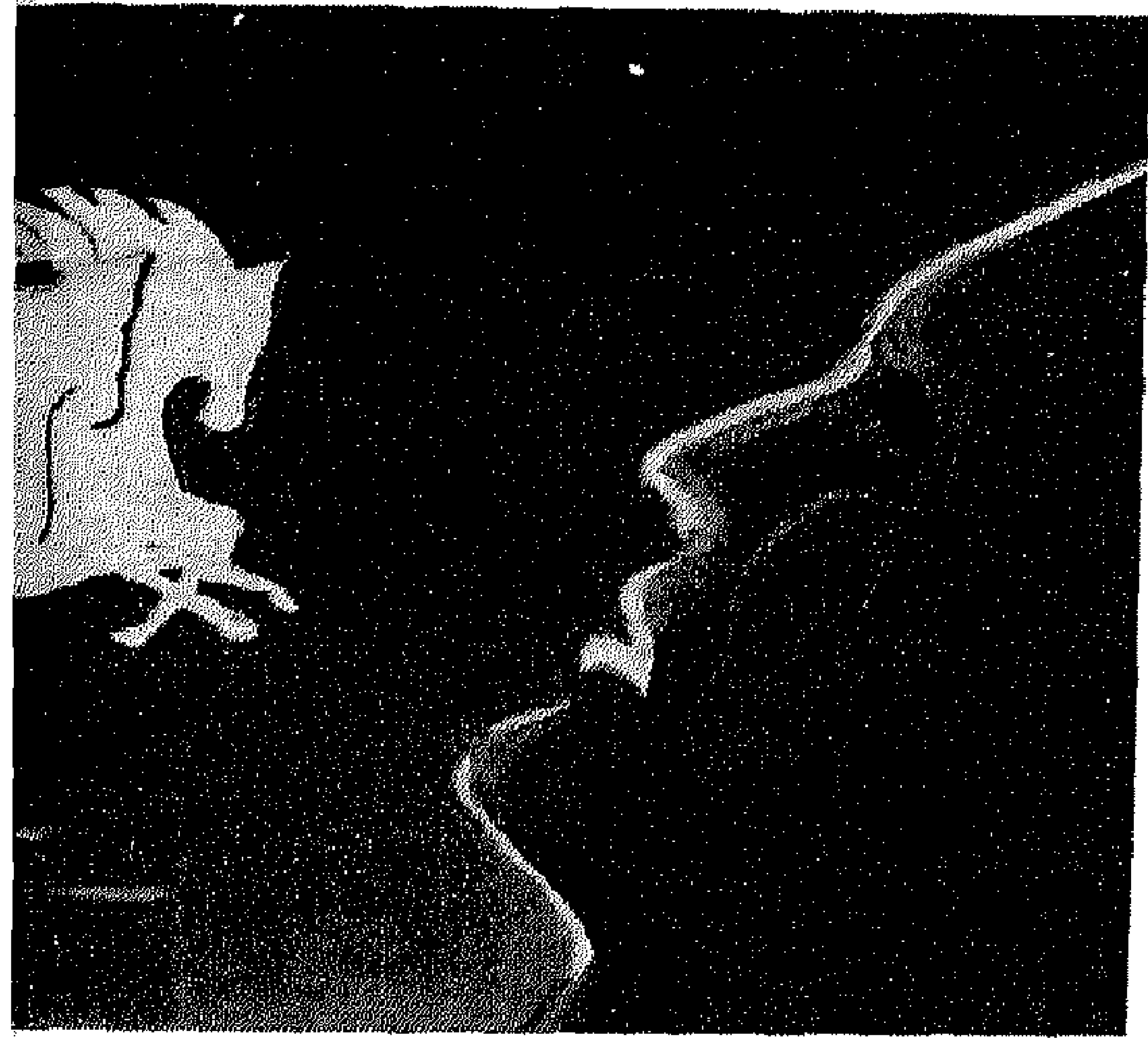
والشعر إن فسد الزمان فخيره
ما عنف الأسماع لا ماشنفا

وهل ترك الشعراء اللهو والتهتك والخلاعة والمجون؟

الجواب عند «**أبى نواس**» وأمثاله من عصابة المجون الفاضح، والتهتك المكشوف، كأبان بن عبد الحميد اللاحقى، والحسين الخليع بن الضحاك، وحماد عجرد، ومطيع بن إياس.

ولكن «أبا نواس» أعطانا فى آخر حياته صورة مشرقة مونقة، بعد تلك الداكنة الآسنة والسادرة الخاسرة بقوله:

يارب إن عظمت ذنوبى كثرة
فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يدعوك إلا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً
فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليك وسيلة إلا الرجا
وجميل عفوك ثم انى مسلم



كما نسب له ـ وهو يودع الحياة بعد ولوغ فى الحرام وبلوغ كل ما يحط من قدر الكرام.

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم
وأسمت سرح اللهو حيث أساموا
وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه
فإذا عصارة كل ذاك اثام

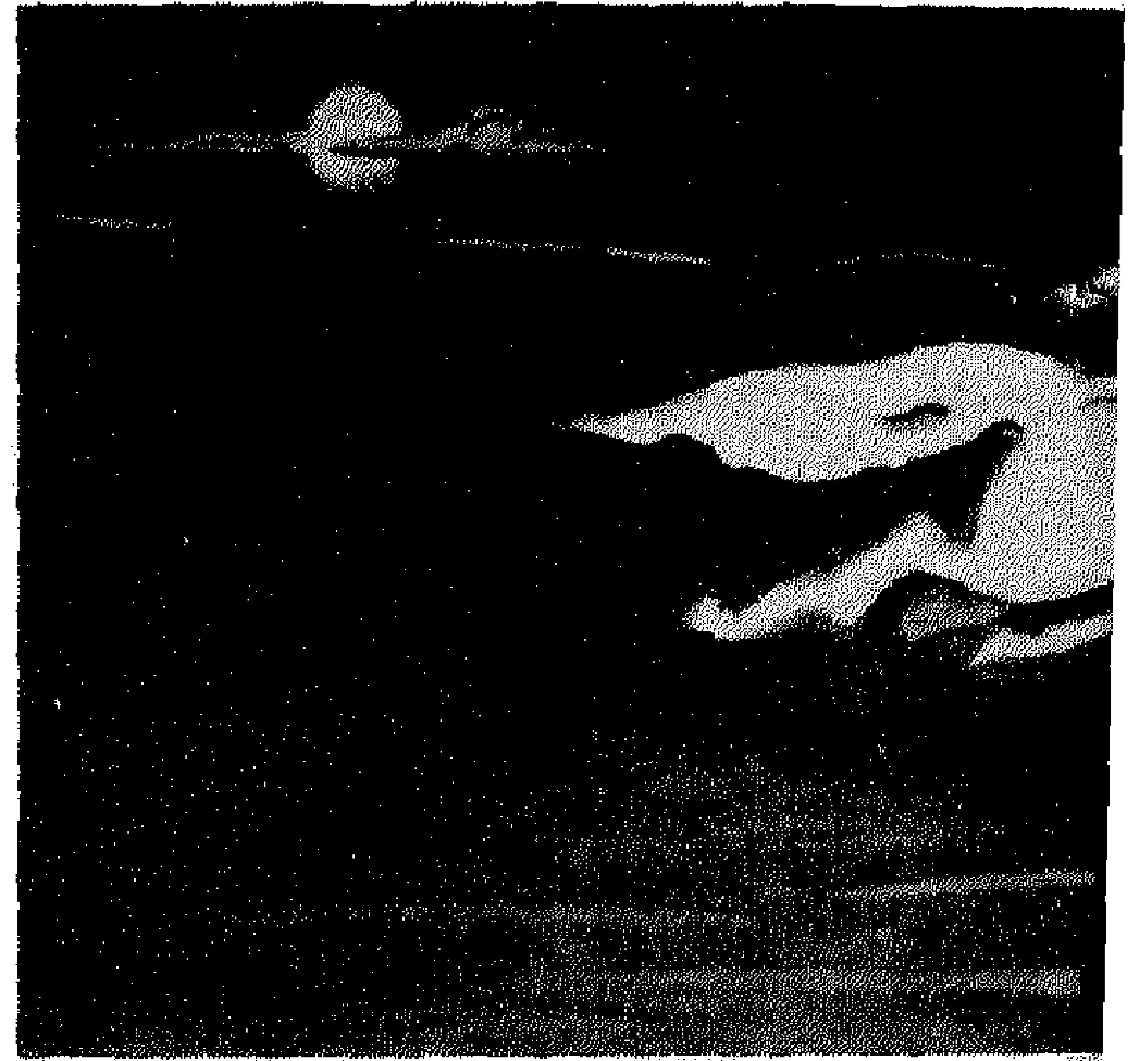
وكأنى به قد خاطب نفسه بقوله:



«يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر»
وبهذا قدم لنا «أبو نواس» دروساً في الاعتراف بالذنوب والأخطاء. وهو خير من الإصرار عليها. وفي هذا عبرة للمعتبرين. و«ما أكثر العبر وأقل الاعتبار».

وهل ترك الشعراء الاستجداء بالشعر؟
كلا. فما أكثر المتكسبين به. فأين المتسولون به من قول الشاعر:

إنما المال لمن هان وما
خلق الشاعر إلا ذا إبا



وهل هجر الشعراء النظم الفارغ من كل معنى أصيل؟
والجواب عند الشعراء أنفسهم:
قال أبو عبد الله محمد بن المبارك المعروف بابن جارية القصار:

وما غاية الفضل نظم القريض
ولكنه نفثة الفاضل

وقال جميل صدقي الزهاوي:

إذا الشعر لم يهزك عند سماعه
فليس جديراً أن يقال له شعر

وقال أحمد شوقي:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة
أو حكمة، فهو تقطيع وأوزان

وقال إيليا أبو ماضي:

(لست مني إن حسبت الشعر ألفاظاً ووزنا)

وقال أحمد الصافي النجفي:

قد انحط شعري واصفا صور الدنا
ولكن علا لما اعتلا للمصور

وقال نزار قباني:

نصف أشعارنا نقوش وماذا
ينفع النقش حين يهوى البناء

وقال كاتب هذه الحروف:

نريد شعراً معه رسالة
هادفة يخلو من الضحالة

وقال: ورب شعر يخلو
من كل معنى يحلو

إن الشعر ترجمة حياة الشاعر. وخير التراجم ما كانت صادقة في التعبير عن صاحبها، كريمة في أثرها على الآخرين سامية في أفكارها ومشاعرها وأحاسيسها، نقية في سيرتها وسريرتها، داعية للحق والخير والجمال.

لقد أسبغنا حتى صفة البطولة على شعراء تجاوزوا الحدود وأشاعوا الفحشاء، واعتدوا على الأعراض وسلبوا الأموال

ورَوعوا الآمنين وقطعوا الطرق.

قال عمر بن الوردي:

ليس من يقطع طرقاً بطلا
إنما من يتقي الله البطل

وقال الآخر:

ليس الشجاع الذي يحمي فريسته
عند القتال ونار الحرب تشتعلُ
لكن من كف طرفاً أو ثنى قدماً
عن الحرام، فذاك الفارس البطلُ

لقد اعتبر النقاد «امرأ القيس» في طليعة الشعراء الجاهليين فهل هو كذلك في ميزان الإسلام؟

يذكر «ابن قتيبة» في الجزء الأول من كتابه «الشعر والشعراء» ان النبي محمداً ﴿ﷺ﴾ قال عن «امرىء القيس»:

«يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار»

فالإسلام يطلب من الشاعر وغيره الدعوة إلى السمو بالأرواح. وإلى صقل العقول وتهذيب النفوس.

قال أحد الشعراء:

وما من كاتب إلا ستبقى
كتابته وإن فنيت يداه
فلا تكتب بخطك غير شيء
يسرك في القيامة أن تراه

وقال كاتب هذه السطور:

رسالة الأديب أن يرشدا
إن رام أن يكتب أو ينشدا

فالشعر ذو الرسالة الهادفة هو الحرى بالخلود، ولا يقتصر هذا على عصر من العصور، أو جيل من الأجيال.. فالخلود للشعر الزاخر بالمعاني الأصيلة، والأغراض الإنسانية والأفكار الرائعة. والخلود للشعر الصالح لكل زمان، والمتردد على كل لسان والمقبول من كل إنسان والخلود للشعر الجدير بالترجمات لكل اللغات. والخلود للشعر الصادق في تصويره، الرائق في تعبيره، الفائق في تأثيره.

وبعد فهل وفينا الشعر حقه؟ كلا. فهو بحر عميق الغور يتطلب غواصاً ماهرا، وكاتب هذه السطور راسب إن سبح فكيف يغوص



ديوان المنهل

العدد
الرابع عشر
ذو الحجة ١٤٠٤هـ

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر

المشرف
محمود عارف

قصائد العدد

نمط الخطاب الإلهي

ان العاقل المتدبر، والذكى المتفرس، يشعر ـ اكثر مما يفهم ويدرى ـ ان هذا الكون ملىء بالاسرار التى لا يعلم كنهها غير مبدع الكون، وان من مظاهر الابداع العجيب هذا الانسان . .

وإذا كان الانسان عاجزا عن استكناه ما يتزاحم فى عالم نفسه من اسرار وعجائب فهو عن استكناه العالم الخارجى عن نفسه أعجز.

شىء واحد يدركه الانسان ما دام انسانا . ألا وهو ان هذه «المائدة الكونية» لن يستطيع اى انسان مد يده اليها إلا حالما يتكامل فى نفسه نور العقل.

غير ان هذا العقل مهما تكامل نوره فإنه يجده فى حيرة جارفة فى الاجوبة عن أسئلته حول اسرار الكون ومفاتح اسراره . برغم ما يصل اليه الانسان من معرفة مهمة عن ذات الفضائل والرذائل وما يدعو اليه كثير من ضروريات الحياة.

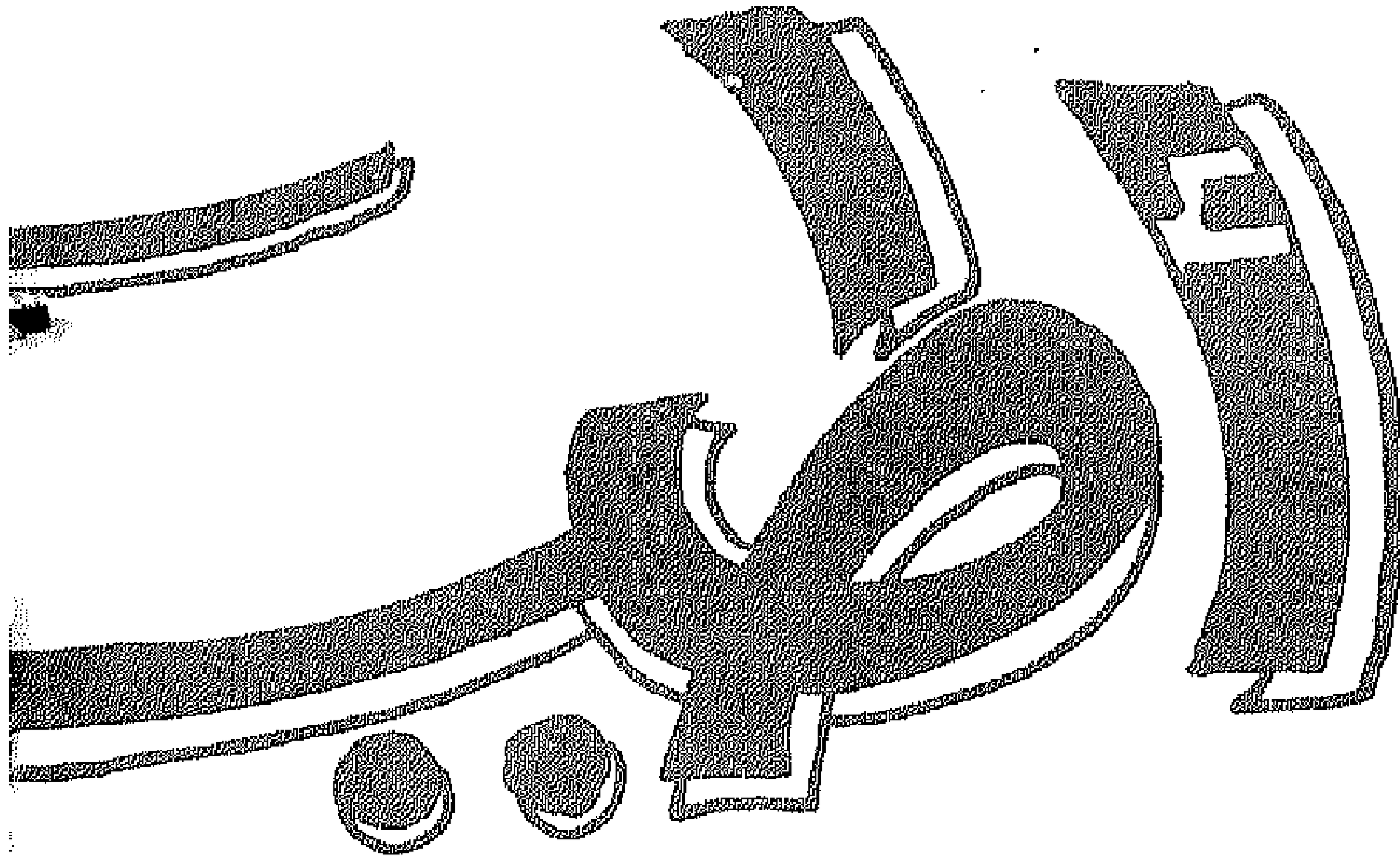
إذن فالانسان العاقل يشعر ـ ضرورة ـ بحاجة الى من يعالج ما فى عقله واحساساته من نقائص ولا سيما فيما يتعلق بالمعلومات التى يقبلها المنطق ويسكن اليها الوجدان.

ومنطقيا فإن الخطاب الالهى يتجه قدما إلى اولى الالباب ويحملهم مسؤولية الريادة فى المجالات الادبية والمادية والحياتية.

وحتى تقتنع العقول الرائدة المسؤولة عن نفسها وعن الفضائل السائرة فى ركابها ومواكبها نجد الخطاب الالهى يتجه اليها اتجاها عادلا فيخاطبها مخاطبة التواد واللطف

لسرعة ادراكها وقوة وجدانها بينما يلفت نظرها الى من فى ركابها ومواكبها من الفصائل التى لا تعدو ان تكون كالأنعام او اضل.

وبهذا الالفات الإلهى الى ما انعم به الله من نعم على اولى الألباب وما قبضه من ذلك على غير اولى الالباب تتصور العقول السليمة خطورة مسئولياتها المتنوعة امام انفسها وامام غيرها من الفصائل التائهة.



بنظرة متركزة على آخر وحى نزل . نجد اسلوبين الهيين فى المخاطبة . ففى سورة آل عمران، والله يخاطب اولى الالباب نجد مثلا قوله تعالى: ﴿ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب﴾ .الآية ١٩٠ اسلوب لطيف رهيف يطبعه تقدير العقل واعطاؤه منزلته الرفيعة اللائقة به.

وفى سورة الأنفال مثلا نجد الخطاب الآلهى يتجه الى غير اولى الالباب بهذا الاسلوب العنيف المنبىء عن وجوب يأس اولى الالباب من أى سمو لتلك الفصائل

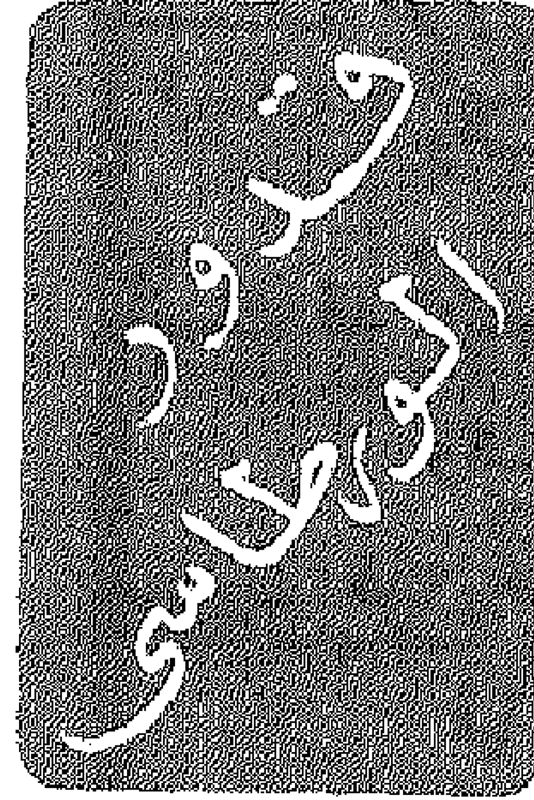
التى هى كالانعام بل هى اضل.

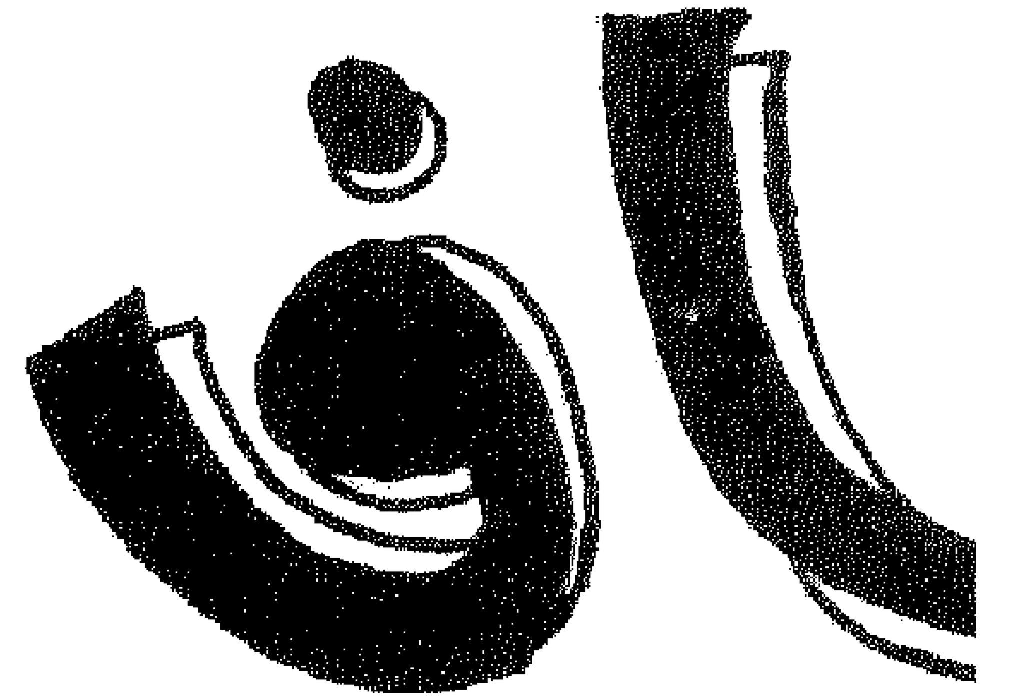
﴿ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ الآية٢٢.

وانطلاقا من مثل هذه الاسرار عرَّف اعلام الاسلام الرسالة الالهية بقولهم:

«سفارة العبد بين الله وبين ذوى الالباب من خلقه يزيح بها عللهم فيما نقصت عنه عقولهم من مصالح الدنيا والآخرة.

يا رفيقَ الشبابِ، قل لى: لماذا
انت كالنهرِ هامس الخطواتِ؟
تتهادى عبر الحياة نسيما
بين فجٍ او مرحبِ العرصاتِ
لا تبالى بوهدة، او عقابٍ
او مسارٍ، تضل بالعثراتِ





غادياً، رائحا على الارض هونا
فبواء لديك كل المثاتى
باسماً ضاحكا على اى لونٍ
شاءه الحظ فى مسارى الحياةِ
ودُنا الناس فى صراع عجيب
وعقول تَنَهَّدُ بالنكبات
وشعور ينهار، آناً فآنا
بين صدر مُلْهَبِ الخفقاتِ
بين أمنية تلوح شعاعا
ثم تخبو كأسرع اللفتاتِ

وإذا بالنفوس وَلْهى وصَرْعى
او حَيارى تنساب فى الفلواتِ
أو تُطيع الأحلامَ من بعد لأيٍ
ثم تهوى بطارىء الآفاتِ
هل تحررت من دنانا فأمسيـ
ـت طليقاً من كل هاك وهاتِ؟
لِمَ هذا الأياسُ؟ والعيشُ وجهُ
باسم الثغر فاتك اللحظات؟
فانثر «الشؤم» من زوايا فؤاد
كم عهدناه طيب النبضاتِ
إنَّما الكون كدرة وصفاء
فانصراف لخالد الرشفاتِ
نعمة الكون من سماء غنى
هل لنا ان نشيح بالنظرات
قال: والبسمةُ المزْهُوَّة تبدو
كالتماعِ الزهور فى الهضباتِ
هرع الناسُ «للنعيم» سراعا
والتهاما لساحر الزهراتِ
فارتضيت الحياة كيف تراءت
امتلاها هادىء القسماتِ
واغتناما لا يسر الورد حقى
لا اضيع الاوقات فى الغمراتِ
إنَّ عمرى.. وإنْ تقادَمَ.. طيفُ
عابرٌ ناظرٌ لما هو آتِ
لست استطيع ان اغير طبعى
لا أرانى مخيراً عبر ذاتى
يطبع الله ذو الجلال برايا
هـ، بطبع ملوَّن الشاراتِ
فليكن للحياة ورد وزهر
ونعيم مؤرج اللذاتِ
هكذا كَوَّن الإله طباعى
ليس عنها من سلوة فى الحياة

حوار مع

الشاعر الأستاذ
عبد المنعم قنديل

عَتَبْنَا على الأقدار فى كل محنة
فلم نلق فيها من سميع ومُنْصِت
تُطالعُ من شاءت بوجه مقطّب
وتأتى لمن شاءت بأروع بسمة
بأيمانها سِفْر قديم محجّب
عن الناس مكتوب بخط الألوهة
فلا العلمُ يلقى السترَ عنه ولا الحِجَا
ومن أين للإنسان سرّ الحقيقة؟
مفاجئة لا تسمع الأذنُ هَمْسَها
ولكن تحسّ النفسُ وقعَ الرّزيئة
وما أخطأتْ يوما ولا طاش سَهْمُها
ولا أشفقتْ عطفاً لمرْأى ضحية
أسائلها: ما ذنب من عاش عابداً
تعاطينه كأساً عميقَ المرارة
ويُجْزى أثيمٌ ذو ضمير ممزَّق
بأشهى ثمار فى حقول الهَناءة
وَيرْفل فى ثوب النعيم مداهن
ويُقْهر فى محرابه كل مُخْنت

وألححت فى سُؤْلى فكان جوابُها
أتسأل عن غيبى وسرى وخُطَّتى؟
ظننتُ غرورا أن فيك زكانة
وأنك ذو عقل مضىء وفِطْنَة
وأنَّك قد أُوْتيت علماً وحكمةً
وكوشفتَ فى الدنيا بسر الطبيعة
غرورك هذا مَحْض وهم مضلّل
فما أنت الا ميِّت وابن ميِّت
وأنتَ غريبٌ جاء موطنَ غربةٍ
ليأكل سمّ الموتِ فى كل لقمة
ولكنْ تَغَشَّاك الغرورُ فجئتنى
لتقرأ فى كفى كتابَ الخليقة
رويدك.. إنَّ العلم ليس بمدركى
ولو ملك الانسان إكسير حكمة
صبحت حياة الناس والغيب فى يدى
ونفذت حكم الله فى كل بقعة
تظنّى بنو الصلصال أن عقولهم
بما فى سناها من هدى ورجاحة

لبيك اللهم لبيك

شعر: عبدالله السيد شرف

سماء تدانتْ وأرضٌ تلالا
ودنيا توالى عليها الجمالا
تسامى بها الناسُ تبغي النوالا
وتشكو اليك الونى والكلالا
أتوا يطلبونَ الرضى منك حالا
ولبيك تعلو فتطوى الجبالا
تغطى السهولَ تجوز التلالا
نداء لعمرى يهدُّ المحالا
نداء الحجيجِ يفوقُ الخيالا
تعاليت ربى نداء تعالى

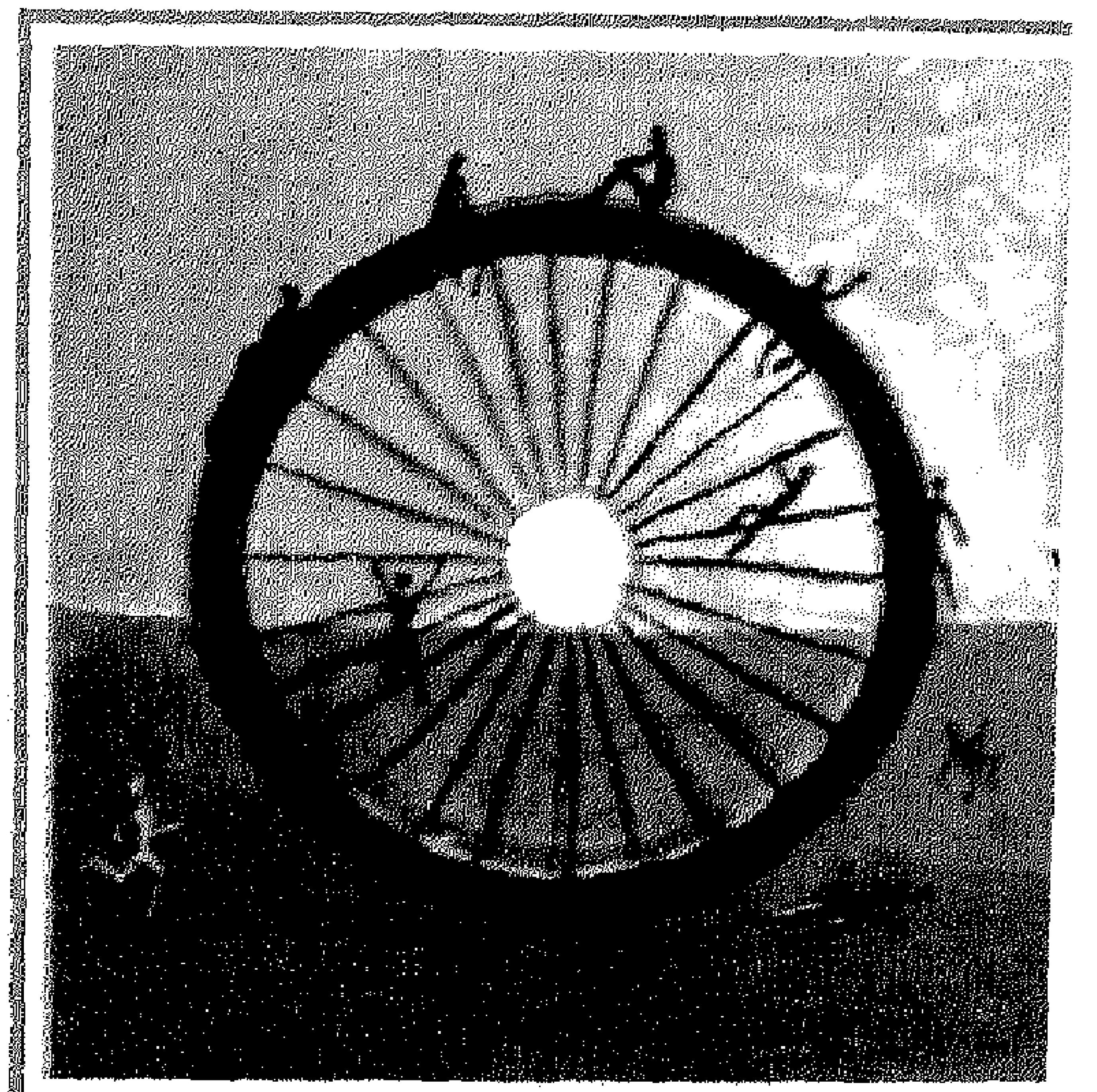
* * *

رحيمٌ قريبٌ مجيبُ النداء
أتيناك نشكو زمانَ الشقاء
ومن كلِّ فجٍ قريب ونائى
تسامى اليك الرجا بالدعاء
إلهى تسربلت بالكبرياء
فجئنا اليك بطيبِ الثناء
نلبى ونسعى وما من عناء
فهل تقبل الوفدَ. وفدَ الرجاء

* * *

الهى كريم.. عظيم خصالا
تعالى علوا كبيرا.. تعالى

ستكشفُ عمّا يَفْجأُ الكونَ في غدٍ
وعمّا يَرُوعُ الناس في كل لحظة
ولو علموا أقدارهم قبل وقعها
لعاشوا جميعا في اضطراب وحيرة
فقلتُ: كفى ما قد ذكرتِ، فإنه
حديثٌ خلا من كل زَيْفٍ وريبة
جَلَوْتِ به للناس سرَّ حظوظهم
إلى أن يلاقوا الله يوم القيامة



﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾

ذكر الله

للشاعر
محمد بن محمد العلمي
(المغرب)

إنَّ ذكرَ الإلهِ سراً وجهرا
أكسبَ القلبَ والجوارحَ طُهْرا
فيهَ يقْربُ البعيدُ ومنه
يُصْبحُ العسرُ في المدارك يُسْرا
فوِّض الأمر للإله فسبحا
ن الذى وحده يُدَبِّر أمرا
وإذا ما هداك إلى الذكـ
ـرأتاك الخصمُ يطلب عذرا
فاذكر الله كلَّ حين تَفُزْ منـ
ـه بفضل وتدَّخر منه ذُخْرا
والمسيراتُ كلّها فى ظلال الذكـ
ـر كانت مدى الدهر خضرا
وإذا ما تذكر العبدُ مولا
هـ حباه عفواً وأمنا ويُسْرا
وكفاه فوق الذى يترجَّى
حيث أعلى بذكره منه ذكرا
فتوجَّه لله دونَ سواه
لاتُركِّز فى غيره منك فكرا
فجميعُ العبادِ عجزُ صريحٌ
قد تجلَّى فى جهلهم وتعرَّى
فالإلَه القدير حقاً وصدقاً
هو من يستطيع نفعا وضرا
وهو يختارُ ما يشاء ويقضى
وفق ما قد أراد خيراً وشرا
وهو نعم الوكيل حسَّاً ومعنى
وهو من يملك المصاير طُرَّا
فَلِمَ الكيدُ والإله سميعٌ
وعليمٌ يَصُدّ مكراً وغَدْرَا
إنَّ فى عبرة الذى يأخذ العبـ
ـرة مما قد دهاه درسا وذكرى
خاب مَنْ غرَّه الغرور فأمسى
ممعنا فى الاحلام بغيا وَكِبْرا

كن مع الله حاضرا فى قيام
وقعود فأنت بالذكر أحرى
وتدبَّر أسمى المعانى ففيها
تدرك السُّؤْل والقبول الأبرَّا
وتَذَكَّر تبصر براهين شتى
وتضرَّع فالله بالسر أدرى
وإذا ما قد نسيت فالله لا ينسا
ك قطعا إذ نلت جودا وَبِرًّا
فاطْمأَنَّ الفؤادُ منك بذكر
منه قد فاح فى العوالم عطرا
إن ذكر الإله خير ضمان
به حقا عمق الضمير أقرَّا
ذاك ذكر الإله قد ملأ المجـ
ـلس أنسا فلنمتلىء منه ذكرا
هو حِصْنُ التوحيد أمنع حصن
فوق هام الجوزاء طاب مقرا
فلتكن منه فى انتشاء فعند الـ
ـوصل ذكر الحبيب يزداد قدرا
فاسقنى يا نديم من كوثر العشـ
ـق وزدنى من الْوِرْدِ شفعاً ووترا
فأنا ظامىء أُعُبّ رحيقا
منه أصحو إذا ترنحتُ سُكْرا
يخفق القلب واللسان بذكر
لبديع الاكوان حمدا وشكرا
فالعلاقات بالإله وبالنَّا
س طريق على الولاء استمرا
فاذكر الله إنه الملك الحـ
ـق وجدِّد لله سعيا وسيرا
من يجاهد فى الله خير جهاد
كتب الله فى جهاده نصرا



كيف يرجو النجاةَ مَنْ لم يفكر
فى رضاء الإله دنيا وأخرى؟
فالحضور الموصول شرط أساسٍ
لأمانٍ فيه الضمير استقرا

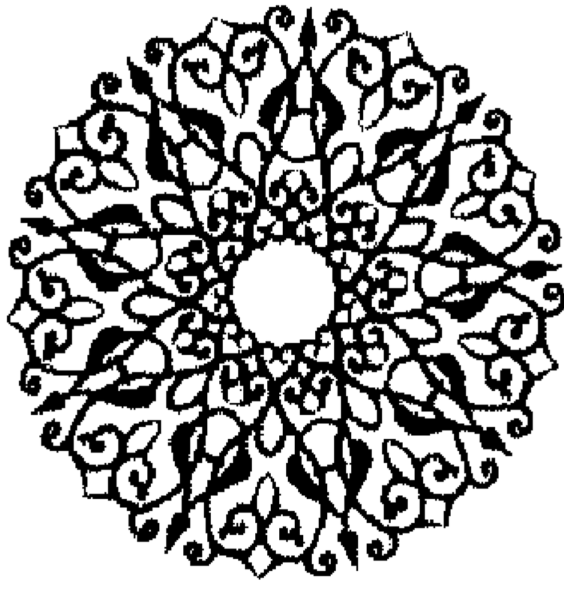
والخشوع استحضار هيمنة الله
إذا الجلد فى الجلال اقْشَعرَّا
كلّ من يركب الهوى أخطأ القصـ
ـد وقد نال فى النهاية صفرا
فالثبات الثبات فى منهج الحـ
ـق وصبرا على أذى الناس صبرا
فالصباح القريب لا شك آتٍ
بعد طول الأشواق يطفح بِشْرا
لا تذوب القلوبُ إلا من الوجـ
ـد فليست إلا مع الوصل تَبْرا

بريشة
الدكتور سعد ظلام
(مصر)

وقفة على

ألثمت ربوة الصفا
بخافقي ومبسمي
وجنَّةٌ من الصفَّا
ء.. في ضميرى الْمُلْهَمِ
وألف شوقٍ مُفْعَم
وألف طَيِّفٍ محرم
قَدْ أشْرَقَتْ في فكرتي
وضَوَّأتْ على فمي
فهاجرٌ تصوَّرَتْ
في مُهجتي.. وفى دَمِي
غريبةٌ.. وطفلُها الـ
ـوحيدُ في الرُّبى.. ظَمِي
فَتَصْعَدُ الصفا
بروحِها الْمُسْتَرحِمِ

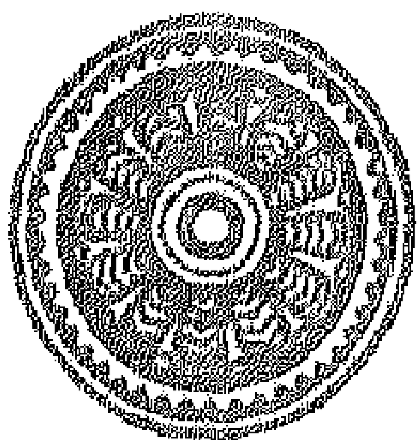
فؤادُها اللهيف
مُضْرَمٌ بصرخة الظمِـ
وقَلْبُها الرهيفُ
مثل خفقة المتيَّم
تظل تذرع الرُّبى
بمهجةٍ لم تُكْلَم
من الصفا.. إلى الصفا
وروحُها لم تُهْزَم
دعاؤها إلى السما
ء يستغيثُ. يَحْتَمِي
وَيُورِقُ الإحساسُ في
حنانه المُبْرَعَم
حتى أفاء حِسُّها
على صبايا «زمزم



الصفا

تفجَّرتْ مـن النَّعيم
عذبـةَ التَّنَعُّـمِ
فيرتـوى صغـيرُهَـا
وتـرتـوى . . وتحتمـى
روحـى على تلك الرحـا
ب . . ما تزال ترعى
تحومُ كالْفَراش فـ
ـى الضيِّـاء . . الْمفعَمِ
لمْشهَدٍ من الضيـاء
والجـلال مُقْـدِمِ
محمدٌ علـى الصفـا
فى مهرجان أكْـرَمِ
يدعو قُرَيْشـاً للهُـدَى
ولـلسنَـا . . والأنْجُـمِ

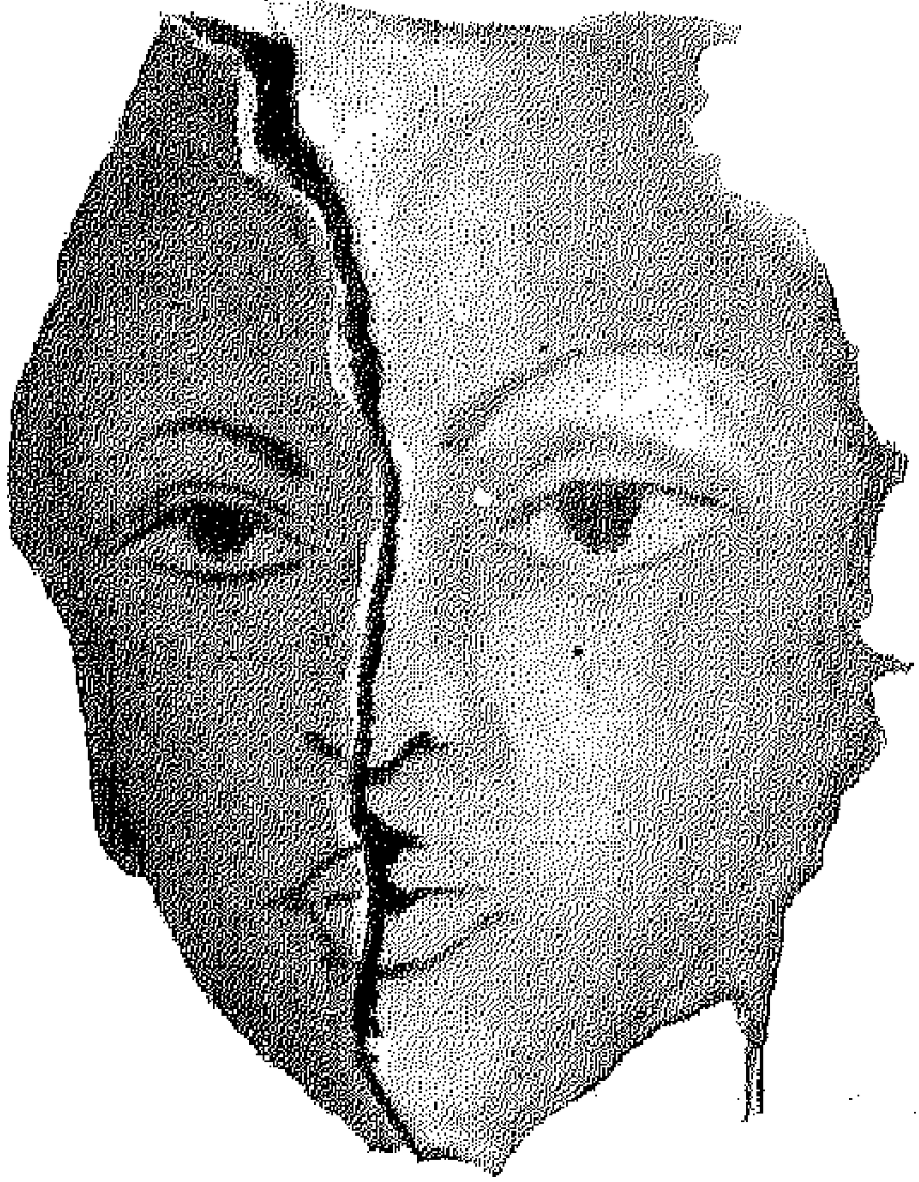
وقلبـه . . كأنَّـه
مظلـة الـتَّرَحُّـمِ
مشاهـدٌ تَبَسَّـمَـتْ
وضيئـة الـتَّبَسُّـم
وذكريـاتٌ كالـصَّبَـا
حِ . . لـم تزلْ بمنجمـى
ظلالُهـا . . كورقهـا
ذكيـة الـتَّنَعُّـم
وخَفْقُهَـا المعطاء فـى
فؤادِ كـلِّ مُسْـلِمِ



رحلة المجهول

شعر الأستاذ
حسن منصور

تمضى الحياةُ وقد مضى عَنّى غدُ
من بعد أن أبطا علىَّ الموعدُ
وبقيتُ منتظراً غداً متجدداً
والعمر ليس يزيد أو يتجدد
ما الأمسُ إلا مُنْيَتِى وغدى الذى
كان اشتياقى قَبْلَهُ يتوقّدُ
يا هذه الأيامُ ترقصُ حولنا
وتغيبُ كالظلِّ الذى يتبددُ
وتظلُّ أطيافٌ لها فى خاطرى
يشقى الفؤادُ بذكرها أو يَسْعَدُ
فى كل يوم أبتنى لِىَ قلعةً
بحجارةِ الأمل الذى لا ينفدُ
مُتَحَصِّنٌ من كل غائلة بها
إنْ جاء ليلٌ أو ضبابٌ أسود
فكأنّنى لَبِدٌ جديد خالد
من بعد أنْ أخنَتْ على لُبَدٍ يدُ
مِنْ حَوْلى البيداء بين رمالها
لجُجٌ بها الموتُ الزؤام مؤكّدُ
لا يُهْتَدَى فيها لرسم أو تُرَى
أبعادُها والصمتُ فيها سَرْمَدُ
قد أعملتْ فيها الرياح سوافياً
بعزيمة تمضى ولا تتردد
حتى الخنافِسِ والجَنادب لم تكُنْ
تنجو إذا ما ثار نَقْعٌ أَرْبَدُ
وتلوح للعين الروابى غضةً
فتقولُ لى نفسى هناك المقْصِدُ
فلتتَّخذ مَتْنَ العواصف مركباً
يدنيك من تلك الرُّبَى ويُسَدِّدُ



ومشيتُ فى دربى بغير تمهل
متخاذلاً طوراً وطوراً أَصْمَدُ

يتجاذبُ النَّفْسَ الشحيحةَ هاجسٌ
يَهْوِى بها وعزيمة تتمرَّدُ
خوف من المجهول مَعْ أمل به
والخوف يُغْنى والرجاء يُجَدِّدُ
متردِدٌ متقلِّبٌ فى حالَتَىْ
فرح يغَنِّى أو هموم تُرْعِدُ
وأنا يُمَزِّقُنِى صراعٌ دائمٌ
وغُبارُهُ يُخْفِى الطريقَ ويُوصِدُ

ـون كالأعشى يسيرُ ولا يرى
أمُغَوَّرٌ في دربه أم مُنْجِدُ
ا انجلى ذاك الغبارُ على المدى
بَزَغتْ شموس وانجلى لِيَ المشهد
ن الرُّبى تبدو أمامي ثانيا
طاب المنى فيها وطاب المَوْرِدُ
ى الفؤادَ تَهُزُّني خفقاتُهُ
وطيورُهُ تشدو الهنا وتُغَرِّدُ
ى الهجيرُ كواحةٍ فينانةٍ
وظلالها وغصونها تتأوَّد
ى السَّرابَ إذا بدا لِيْ كوثرا
أرتادُهُ وبمائه أتبرَّدُ
ـوافل الأيام أحدُوها له
وأريدها من مائه تتزوَّد
ا أسير كأنني ماضٍ إلى
مُلْكٍ مُقيمٍ ما أقام الفَرْقَدُ
ـي شقائي في الطريق إلى المنى
وأقول ثمَّ سيستريحُ المجهَدُ
الحياةُ وما بها من زينةٍ
ألوانُها بنفوسنا تتولَّدُ
ـرٌ من الأوهام يأسِرُ حُسْنُه
وعلى شواطئه عيونٌ ترصُدُ
ـبُ الحظَّ السعيدَ لعلَّها
من لؤلؤ الأوهام قد تتصيَّدُ
ضيعُ عمري في الطريق كأنه
حبَّاتُ عِقْدٍ إثر بعض تُفْقَدُ
ـنَّ عمري والطريق ترافقا
فإذا انتهى هذا فذاك سينفَدُ

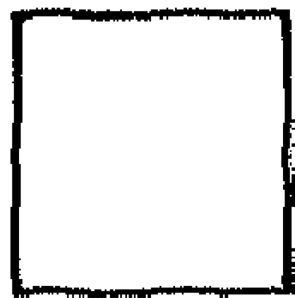
إشراقة

شعر
خالد صباح مظلوم

قد غابت الشمس الحنون طويلا
والليل القى في الفضاء سدولا
لا شيء يُلمح . . لا يُرى . . اين الضيا؟

فاكشف أيا ربّي الكريم سبيلا
بارك بعمري يا الهي انتَ مَن
يسدي اليّ رعاية وجميلا
أغدق عليَّ العطف منك فحالتي
حال اليتيم المشتهي التدليلا
يا ساقيَ القلب الولوع هناءةً
يا مانح الطير الحبيس رحيلا
امشي ووجهك لي منار مسيرتي
فوق الفيافي اطرق المجهولا
امشي بصحرائي وقربي ناقتي
وبمهجتي شوق يفيض سيولا
ما لي سوى حلم بجنات العلا
والأمنيات بأن اراك طويلا
تتحدث الانسام عنك كمنشيء
برأ الوجود منسقا وجميلا





قصيدة للشاعر

تعوَّدَ سوءَ الحظِّ، فيما يحاوله ... فأصبح لا يرضى بسعدٍ، يبا
غريبٌ بهذا الناس آذاه أهله ... وآذاه قبل الناس والأهل، ع
اذا ماامشى قدّامه، خال سعيَه ... وراءً، وأشباح الوراء تزا
وإن رام أمراً، أخفقت في سبيله ... خطاه، وإلا أعجزته وس
وكان غنيَّ النفس، عفاً عن الغنى ... تباعدُه أسبابه، أو تواص
ومايبتغي العيش الرَّغيد لنفسه ... إذا غيره، ضاقت عليه مسا
إذا نظر استحى، وإن حاول اتّقى ... وإن قال: لم تلفظ بسوءٍ مق

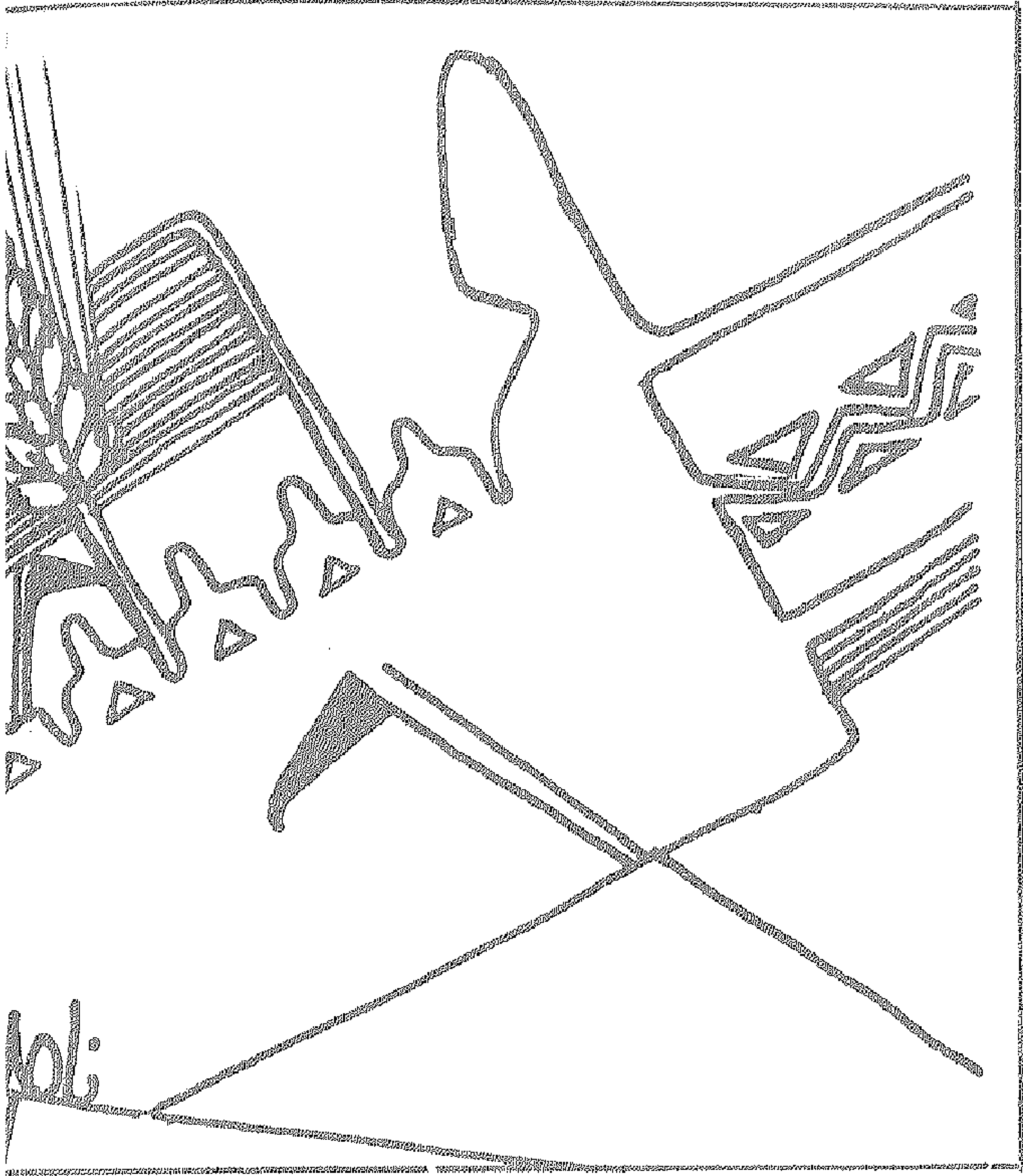
* * * *



ير حسين عرب

الناس يجنون الأماني، وماسعوا
اولهم، تجـري فـراتـاً وسلسـلا
، فيلقى الهزل، يحصُـدُ جِـدَّهُ
رمت الأعـوام، وهـو يعـدهـا
سـار، حتى أتعب الأرض سيرهُ
الـرواسي، أطبقت فـوق رأسه
ل؟ مـاذا شـأنهُ؟ مـاحيـاتـه؟

إليهـا، ومـايسعى لـه، لا يـطاولـه
وتجري بصاب - حين تجرى - جداوله
ومـايستـوي جِـدُّ الأمـور وهـازلـه
سـراعـاً، ومـارفَّت عليهـا سنـابله
وكم قال: حتى أسمع الصخر قائله؟
فنـاءت بمـا قـد حمَّلتْـهُ كـواهله
فعـاد إليـه - دون ردٍّ - تسـاؤلـه



لقـد آن أن يـرتـاح، لكن دهـره تـنـازعـه أرزاؤه، وتـنـازل
ألا مـن لـنفسٍ لا يقـر قـرارهـا ويـا مـن لـقـلـبٍ، بلبلتـه بـلابـ
دعتـه المنىُ، فـاستوحشت طبعَـه المنى فـما هي منـه غَـير طيف تخايـ

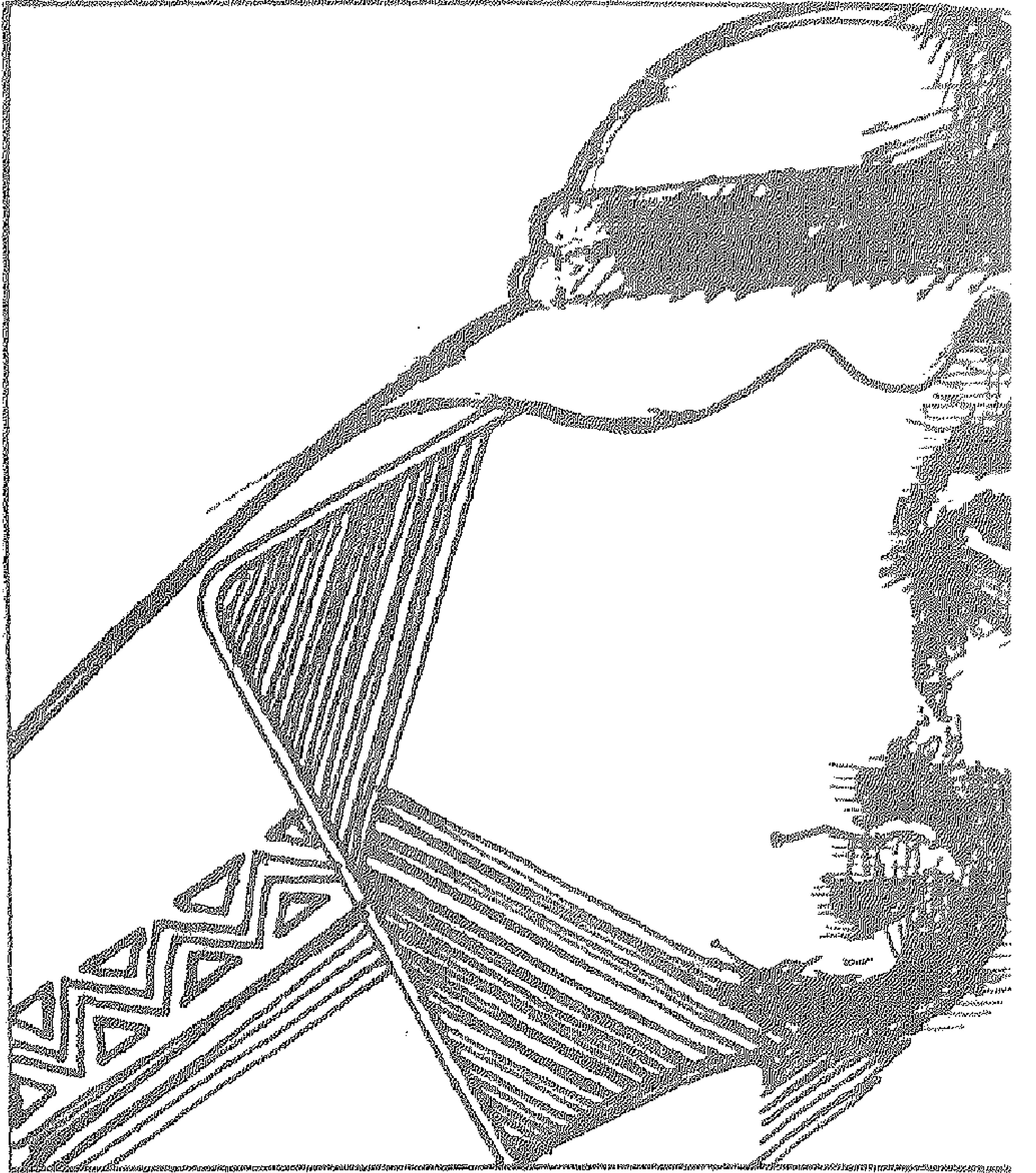
* * * *

تَنَهَّـلَ من نبـع السَّعـادة معشرٌ اطـاعـوا الهـوى، واستعبـدتهم منـاهـ
ومـا السـعْـد، إلا غِـرةٌ وبـلاهـةٌ لمـن يـتـرجَّـاه، ومـن هـو آمـ
ولـيست حيـاة المـرء إلا عـلالـة تـراءت، فـزادت في الحيـاة عـلا
وإن شقـاء النفس، في بعض حـالـه دواءٌ، ولـكـن لا يـسـاغ تـنـا

* * * *

أيـا جـارتـا، لاتعـذلـيه، فـطالمـا تجنىً عليه، ـ دون ذنب ـ عوا
فلو غيره قـد نـال، مـانـال بعضَـه من الشَّرِّ، كـانت زلـزلتَـه زلاز
ولـكنـه يـأبى الخضـوع، فـتلتـوي بمسراه، في الـدرب العسير، منا

المخ



د يحتمي بالحزم، في كلِّ أمرِه — فيصمد مغصوباً، وتغلي مراجله
عزمٍ، فيما يحمل العزم غايةً — وللصبرِ حدٌ، ثم تهوي كلاكله
ا كلُّ حقٍ، ظاهراتٌ صروحهُ — وما كلُّ برقٍ، مسعفات هواطله
ا كل من رام الغلاب مُسَدَّدٌ — إذا لم يصنه بأسه وفياصله
يد تحجب النجمَ المضيءَ سحابةٌ — وقد يغلب الحقَّ المصَرجَ، باطله
ائن يقول الحقَّ، ليس يريده — ويضمر، ما التفّت عليه رذائله

* * * *

اليه - لا تبقى عليه، فما غدا — يطيق بقاءً، لاتطاق نوازله

* * * *

ول: وفي الأيام قولٌ لقائل — متى تتردَّى بالمريب حبائله؟
يهبط الطغيانُ، في دركاته — ويرتفع الأيمان، تسمو دلائله؟
تنجلي عن صفحة الأفق ظلمةٌ — وتنجابُ عن وجه السماء غلائلُه؟
يا متى؟؟!! إن القيامةَ أوشكتْ — تقومُ، وما زال السؤالُ وسائلُه!!



الشعر الإسلامي في أعم

كوكبة من أدباء الجزيرة العربية فى العصر الحديث استطاعوا أن يخرجوا بأدبهم إلى آفاق عربية رحبة وينتزعوا الإعجاب والتقدير والإجلال لنتاجهم من أئمة النقد والأدب والفكر فى الأقطار العربية من أمثال طه حسين وعباس محمود العقاد، وأحمد حسن الزيات والفيتورى والبياتى . . وغيرهم .

من هؤلاء الذين تخطوا بأدبهم الحدود : أحمد عبد الغفور عطار وحسن عبد الله القرشى ومحمد على السنوسى وطاهر زمخشرى ومحمد حسن فقى وحمزة شحاته وأحمد السباعى وعبد القدوس الأنصارى . . الذين تميزوا بسمات معبرة عن مجتمعهم العربى والإسلامى والإنسانى .

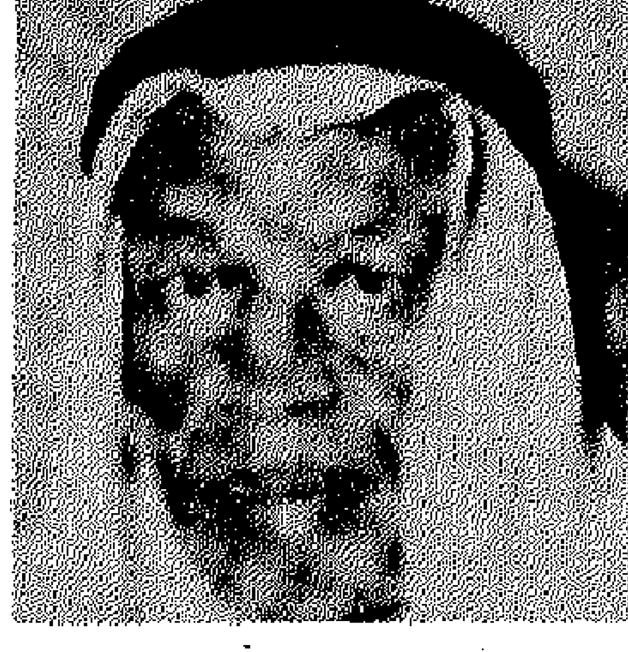
وفى جانب من أعمال الشاعر حسن عبد الله القرشى تتضح لمحات الأصالة العربية المنغمة بفن عمر بن أبى ربيعة ومشربة بعبير منازل الوحى، تلامس الوجدان وتزكى فطرة الإيمان فى بنى الإنسان فشعره الإسلامى بجماله وجلاله وموسيقاه وجرسه المتميز، يقع من النفس موقع السحر الحلال . .

وهذه ثمرات روحية عاطرة ندية، جنيناها من حدائقه الإيمانية التى نبتت فى مهابط الوحي :

مثابة آمال الورى نفحاتُه
تفَيضُ على الدنيا ندىً وتَروعُ
هى الروضُ بسّاما هى الصبحُ ناضرا
هى البدرُ تغذو الروح منه شموعُ

بقلم الدكتور
عبدالباسط [illegible]


أ. أحمد عبد الغفور عطار

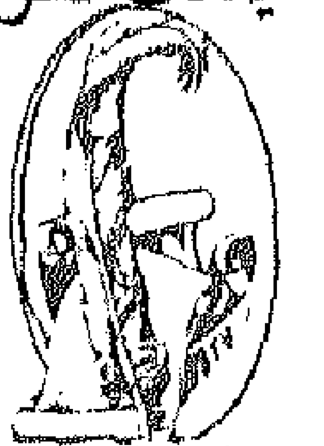

أ. عبد القدوس الأنصاري


أ. طاهر زمخشري


أ. أحمد السباعي

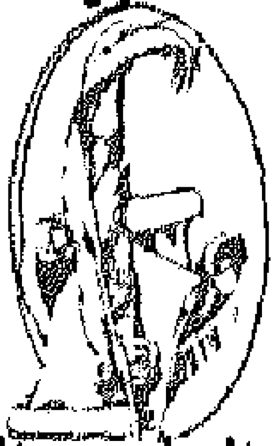
ل حسن عبد الله القرشي

الإنسان فطره الله على التدين، وتظهر فيه غريزة التدين واضحة عند الشدائد ﴿وإذا مسَّ الإنسانَ الضرُّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضرَّه مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضرٍّ مسَّه كذلك زُيِّن للمسرفين ما كانوا يعملون﴾(١) وعرض الشهرستانى فى الملل والنحل بعض الأشعار الجاهلية التى تتجه إلى الخالق الحق وتنأى عن عبادة الأوثان والأصنام، كما فى عصرنا الحديث، عصر الماديات ووسائل اللهو وفن الإعلام ضد التدين، ولكن ذلك لا يوقف الاتجاه إلى التدين والبحث عن الحقيقة والدين الصحيح مما يلفت نظر المعنيين فى العالم.



وفى أدبنا العربى القديم والحديث وفى الشعر خاصة يبدو التأثر بالروح الإسلامى استجابة للفطرة التى فطر الله الناس عليها، وظهر الشعر الإسلامى لحسان بن ثابت وكعب بن زهير. . وأبى العتاهية وابن الفارض والبوصيرى، والبارودى، وشوقى وأحمد محرم وضياء الدين رجب ومحمد حسن فقى ومحمد على السنوسى وحسن عبد الله القرشى . . وغيرهم.

وفى الصفحات التالية استعراض للشعر الإسلامى للشاعر حسن عبد الله القرشى (المولود فى مكة المكرمة سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) فى أعماله الشعرية الكاملة(٢)

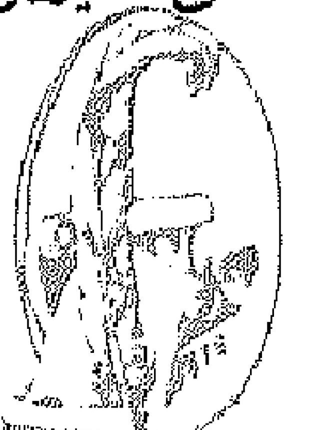


هذا الشاعر بحكم مولده وثقافته التى جمعت بين القديم والحديث حيث تخرج من مدرسة الفلاح ثم المعهد العلمى السعودى ثم جامعة الرياض، ومع خبرته الطويلة وتقلبه فى عدة وظائف داخل وطنه وخارجه وفى ظلال تجربته الشعرية المبكرة وشغفه بالقراءة فى أدب التراث خاصة العصر الجاهلى والعباسى، ووقوفه مع الشعر الإسلامى والصوفى لعمر بن الورد، وعمر بن الفارض والبوصيرى والبارودى وشوقى . . بحكم ذلك وغيره وضحت فى شعره (نفحات من الحجاز ولمحات من قريش ونغمات من ابن أبى ربيعة وان فى أولئك كلهم الدليل على أن مشارق النور لا تزال تهدى ومنازل الوحى لا تزال تلهم)(٣) وأيضا (فى

لغة شاعرنا جدة ويسر يدنيانه إلى الفهم ويؤذنانك بأنه منك وبأنك منه وعليه مع ذلك مسحة من رصانة البادية تذكرك بشعر الحجاز فى أزهى عصوره وأروع جزالته وليس فى ذلك شىء من الغرابة فنفس شاعرنا تعيش فى أشد البيئات اتصالا بالحضارة الحديثة وإمعانا فيها وهو يعيش فى الحجاز والبادية من قريب فهو جديد قديم حاضر باد وهو قريب منك بعيد عنك.. إنه يبشر البيئات الأدبية العربية بأن مهد الشعر الحجازى الإسلامى قد استأنف مشاركته فى إغناء النفوس، وامتاع العقول والقلوب)(٤)

والقرشى بحس الفنان وصفاء نفسه ونظراته المتأملة وخياله الواسع ومنطقه العلمى المبنى على تجاربه الاجتماعية فى دنيا التعامل مع أنماط مختلفة من البشر، استطاع أن يتبوأ مكانة مرموقة فى المجتمع الأدبى، فهو أحد أقطاب ندوة المنهل التى تضم صاحب المنهل عبد القدوس الأنصارى ومحمد سعيد العامودى ومحمود عارف وأحمد السباعى وعبد المجيد شبكشى وعبد الفتاح أبا مدين وشكيب الأموى وينشد القرشى من ذاكرته القوية مطولات القصائد(٥) ويحتل مكانة رفيعة فى مجمع الخالدين، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ويسهم فيه أدبيا ولغويا.

وإذا كان القرشى يقول فى مقدمة ديوانه (**ألحان منتحرة**) عن شعره (**شعرى هو زادى منه تقتات روحى، وفى ظل دوحته السامقة أتفيأ أحيانا ظلالا وارفة وأتنشق عبير أنسام عابقة**) فإن شعره الإسلامى يعبر عن روح وإيمان وعقيدة شاعر عاش بكل كيانه فى رحاب الوحى، استلهم القديم وشهد الجديد مما يجعلنا نتتبع خصائص شعره الإسلامى التى يتميز بها عن كثيرين.



ولا يستطيع باحث أن ينفى عن بقية شعره روح الإسلام، فمحافظته على خصائص الشعر العربى، وعنايته بالمقاييس اللغوية والفنية واهتزازاته لأحداث العروبة ومشاركته الإسلامية والإنسانية.. كل ذلك لا ينفصل عما يدعو إليه الإسلام وللشاعر القدح المعلى فى ذلك.



أ. حمزة شحاته　　أ. محمد حسن فقى

ولكن هنا نقتصر على الشعر الإسلامى فى إطار محدد بالشكل والموضوع أكثر من تحديده بالمضمون الواسع الذى أشرنا إليه فيما سبق فنعرض لأكثر القصائد التى جاءت فى أعماله وهى (**صلاة شاعر**) و(**قبس من الهجرة**) و(**فى مولد الرسول الأعظم**) و(**فى ظلال الغار**) و(**موكب النور**) و(**من وحى الكعبة**) و(**رباه**) و(**فى ظلال البسفور**) و(**مهد الإسراء**) و(**القدس والأطياف الممزقة**) ونقف مع نماذج ترسم الاتجاه الإسلامى عند الشاعر.

ونستعرض صورا من هذه القصائد بحيث يتضح فيها تدفق عاطفة الشاعر الإسلامية وصدقها فى إطار فنى بديع ينم عن شخصيته ومقدرته على تطويع اللغة العربية إلى لغة شاعرية ويحقق خصائص الأسلوب بكل عناصره وهى الصحة والوضوح والدقة، ويجيد فى التوفيق بين اللفظ والمعنى بحسن اللفظ وجودة السبك فى خيال محلق وتجربة شعرية أخرج فيها كل خوالج النفس الإنسانية ولم يكن هذا النوع من الشعر وأعنى به الشعر الإسلامى يقصد به التزلف للآخرين وإنما تبعثه دوافع نفسية صادقة، ومما سما بشعر القرشى الإسلامى أنه ـ فى أغلبه ـ لم يرتبط بمناسبة من المناسبات التى يمجها النقد الأدبى الحديث(٦)(التجربة الشعرية إفضاء بذات النفس، بالحقيقة كما هى فى خواطر الشاعر وتفكيره، فى إخلاص يشبه إخلاص الصوفى لعقيدته،


أ. محمد بن علي السنوسي

"القرشي ممن استطاعوا أن يخرجوا بشعرهم من نطاق المحلية"

هذا تركيز قواه وانتباهه فى تجربته فلا يعد من التجارب الصادقة فى شيء شعر المناسبات، لأنه لا يعتمد على صدق الشاعر..)

وهذه إحدى قصائده التى تعبر عن خلجات الشاعر النفسية يتجه فى (صلاة شاعر(٧)) إلى خالقه حتى فى شروده ويشكو ضيقه الخانق من عالمه الذى غدا فيه الناس كالذئاب الكواسر فيلوذ بحمى ربه فيجد فيه كهفا آمنا:

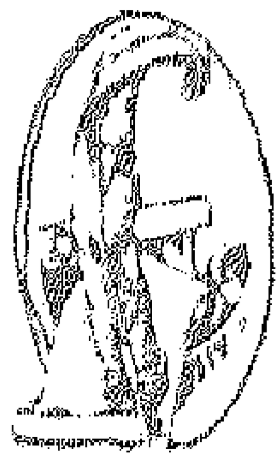
أرومُ انطلاقى نضواً إليك
إلى نورك الغامر الدافقِ
إلى واحة من حنان الخلود
إلى نبضة الأمل الشارقِ
هناك أشيم لذاذات روحى
وأرشف من كوثر رائقِ
هناك تفيض الرؤى حلوة
تضوَّعَ بالأَرَج العابق
أسبحُ فى أفقٍ حالمٍ
وأرنو إلى عالم شائقِ
أمسحُ آلامى المضنيات
ببابك يبسُمُ للطارقِ

صورة شعرية رائعة تجسم الشاعر فى انطلاقة فراشة إلى النور الغامر الدافق، يفر من ظلم وظلام لم وآلام مضنيات إلى واحة الحنان والخلود وفى بابها تجد الروح المتعة والشبع والرى، فيعود إلى الحياة وقد ترك اليأس والقنوط، لأن روحه سبحت فى رحاب ربه فمسح كل ما يشعر به من تعب الحياة ونكدها ويذكرنا الشاعر المكى فى رحلته هذه برحلة المسلم من مجتمعه حين يفر مهاجرا إلى الله تعالى، إلى بيته المحرم فيلتصق بقلبه وجسده بالكعبة ويتعلق بباب الملتزم متضرعا باكيا وهو هنا ينسى كل جراحات الناس وتحلق نفسه فى أفق رحب كأنه طفل وليد. وفى كلمات (أرشف وأسبح وأرنو وأمسح) وغيرها من الايحاءات ما يوضح ملامح النص وما يكشف عن أعماق الشاعر الروحية فى رقة من التعبير:

إلهى إنى فقيرٌ إليك
فخذ بيدى أنت خالقى
وإنى غريبٌ فدع غربتى
ترفرفُ لدى الوطن السامق

وفى قصيدة (قبس من الهجرة)(٨) وهى قصيدة تزيد عن الستين بيتا استهلها بهذا المطلع القوى المعبر بموسيقاه الداخلية والخارجية عن نفسية مفعمة بالإيمان:

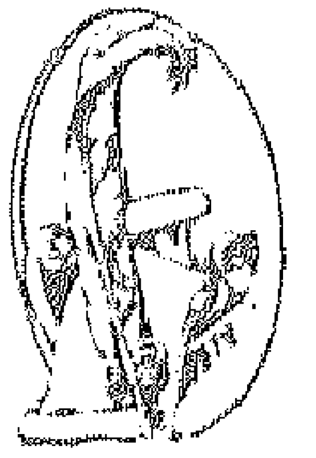
صفق الوجد فى الفؤاد وغنى
وتجلى الحنين فى النفس لحنا
إيه يا ذكريات من أين ضاءت
صور منك تترك الروح مضنى؟
تبعث الماضى المجيد لعينى
صفحات تشع نورا وحسنا
هو ماضٍ من البطولات قد صيـ
ـغ وشيدت به المكارم حصنا



ومع المقدرة الفنية والموسيقى المتميزة ارتفع صوت الإيمان وفاض بصورة تتواءم مع الصياغة الشعرية، فلا قيمة للشعر إذا لم يكن الشعور واضحا جليا، فالشعور والوجدان الانسانى هو الذى يفرق بين الشعر والنظم، ولعب الخيال والمجاز فى المطلع دوراً واضحاً، فالوجد فى الفؤاد صفق وغنى والحنين فى النفس تجلى لحنا، والذكريات تضيء من كل شيء

وفى كل كيان فى الداخل والخارج، ولا يدرى من أين تضىء؟ لكنها تضىء الروح حين ترجع إلى الماضى الذى ينبعث أمام الشاعر، بل يراه ماثلا فى منزل الوحى صفحات تشع النور والجمال والجلال على بطولات شادت المكارم للإنسانية جمعاء بعد أن كانت الدنيا تموج بتيارات الشرك والقهر والظلم والفساد:

هو وحى منزل رف بالحكـ
ـمة والخير كم تحرش لُسنا
فيه هدى الدنيا وفيه سنا الأخـ
ـرى ومنه الضلال ينـدك ركنا
هو آى ينساب فى مسرب الرو
ح وشرع أهدى العظيم فأغنى



والمتأمل فى هذه القصيدة يقف مع كل بيت فيها وكل كلمة، بل بعض الحروف بموقعها فى القافية أو فى كلمة ما، تعطى عمقا للمعنى وبعدا فى المبنى، فالاختيار والتجديد والعذوبة والسهولة مع البعد عن الابتذال والإسفاف، كل ذلك ميزات للشاعر نقلته إلى مرتبة بين صفوف الشعراء المجودين. ومما يرفع من قدر شعره الإسلامى، ويضاف إلى ما تقدم الإحساس المرهف وشفافية المسلم الصادق الإيمان، كما نرى فى حسن تصويره وجمال صياغته لموقف أهل مكة من النبى ﴿ﷺ﴾ قبل الدعوة وبعدها:

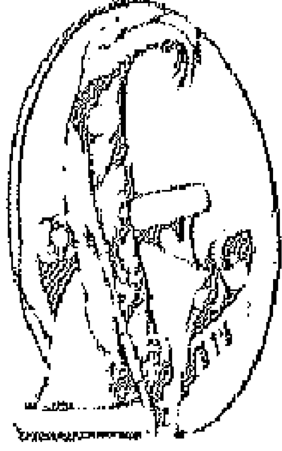
جرعوك الآلام لم يستديموا
فيك قربى أو يفقهوا لك شأنا
لقبوك الأمين لم تعرف المَيـ
ـنْ فكيف ارتضوا لصدقك غبنا

وفى حديثه عن الغار الذى لجأ إليه النبى ﴿ﷺ﴾ وأبو بكر رضى الله تعالى عنه:

أى حصن ضم المغانم والخـ
ـير سميا واستجمع الفخر مغنى
لمس الطهر صخره وثراه
فهو تبر يروع حساً ومعنى

تلك صور جمالية نسقت بيد فنان، تعهدها بهندسة اللفظ وتناسقه مع المعنى كما نرى فى قوله (الفخر مغنى - لمس الطهر - يروع حسا ومعنى) ويمكن أن نتأمل كلمة (مغنى) وكلمة (معنى) وحسب هذه الكلمات أنها توضح الصور الأدبية وتعبر بموسيقى راقصة تثير المشاعر الإيمانية وترتقى إلى مستوى يتفق مع جلال الحدث:

يا لها لحظة تشيب لها الولـ
ـدان ذعرا وتسقط الشهب حزنى
يا لها لحظة أفاضت على التا
ريخ ذكرا فى الخافقين مرنا



ويتأمل الشاعر عناية الله بإنزال سكينته على رسوله وصاحبه، وتلك الحماية بأوهن الأشياء وأضعفها، ففى ذلك ما فيه من الآيات والعبر التى تقتبس من الهجرة النبوية، ويلتفت الشاعر إلى حاضر المسلمين وقد أحاطت بهم جحافل الشر والبغى والباطل يغتال الشرق بمقدساته وهم يحيون كالطفل يخرسه الطبل أو كالطير فى القيد، وينامون على الضيم تشتتهم الأهواء بينما وحدتهم فى عقيدة كالشمس سطوعا وكالرواسخ متنا:

إن فى هجرة الرسول لمعنى
جل أن يستسر أو يستكنا
هى صوت الحق المبين يدوى
ملء سمع الوجود وهديا وأمنا
فابعثى يا قياثر الخلد فى نفـ
ـسى صداه كى أستمد وأغنى

ومن قصائد القرشى الإسلامية (فى مولد الرسول الأعظم) التى يستهلها بهذا البيت:(١)

يالبشرى علوية الترديد
غمرت بالهدى شعاب الوجود؟



يصور الشاعر أن بشرى علوية تردد فتغمر بالهدى شعاب الوجود كله، وذلك استهلال ينبىء عن ملكة شعرية تبعده عن شبهة التقليد الواضح عند ...

الشعـراء، ولكن شاعـرنـا استطـاع بثقافته الواسعة العميقة ألا يكون صدى لغيره وخاصة من الذين تأثر بهم فى مطلع حيـاتـه كأحمـد شوقى صاحب المطلع الغنائى الشهير:

ولـد الهـدى فالكـائنـات ضيـاء



وفـم الـزمـان تبـسـم وثـنـاء

فالمطلع هنـا يجعـل من مولـد النبى ﴿ﷺ﴾ مولداً للهدى فأضاء الكائنات وأن الزمان فى تبسم وثناء لهذا الإشراق المحمدى..

ويتابع القرشى أطوار حياة الرسول عليه الصلاة والسلام فى جدة من التعبير ومقدرة متأججة العواطف لا تفتر وصور بيانية مغرقة فى ضروب البلاغة فى غير تكلف:

هو فجـر فرد على غرة الـدهـ
ـر وعـيـد مخلد الـتـجـديـد
ورؤى صاغـهـا الإلـه فكـانـت
طلعـة فذة لخير ولـيـد
فجـرت فى الجـواء ألـويـة الـنـو
ر لتـجـلو من الظـلام الـعـتـيـد

عبارات فى كلمات قليلة الحروف لكنها كبيرة فى معـانيهـا (فجـر، فرد، غرة، عيـد، فذة، وليـد، جواء.. الـخ) والفضل فى ذلك للصياغة والتركيب الـذى يتفـاضل به الشعراء والكتاب فى كل عصر. ولنقف مع كلمة (جواء)(١٠) وهى الواسع من الأودية أو جمع لجو وهو الفضاء بين السماء والأرض وهو ما يعنيه الشاعـر بالنظـر إلى السياق. واختياره لهذا اللفظ ليتلاءم مع ما حوله من ألفاظ يؤدى المعنى على أكمل وجه يتسع له خيال، فإن النور إذا انبلج من الفضاء يبـدد أكبر تراكمات الظلام، وتظهر معالمه لكثير من سكان الأرض. وفى نهاية القصيدة يتجه شاعرنا إلى تلك الأضواء التى اهتدت بها الأمة الأمية، فأضاء بهذا النور طريق الإنسانية، ثم ما لبثت أن انحرفت عن الاهتداء به، فعلاها قتام بدد شملها وجعلها نهبا لأعدائها:

موكـب الـنـور قد عشينـا فأرسـل
قبـسـة من ضيـائـك المـنـشـود
قد تعـالـى الـقـتـام وارتكـم الميـ
ـن وبؤنـا بواقـع منـكـود
قبـسـة فالظـلام هد قوانـا
وامـتـداد الظـلام لا شك يودى
ها هنـا مهبـط الـرسـالـة مهـوى السـ
ـحـق مجلى لعـالم موعـود

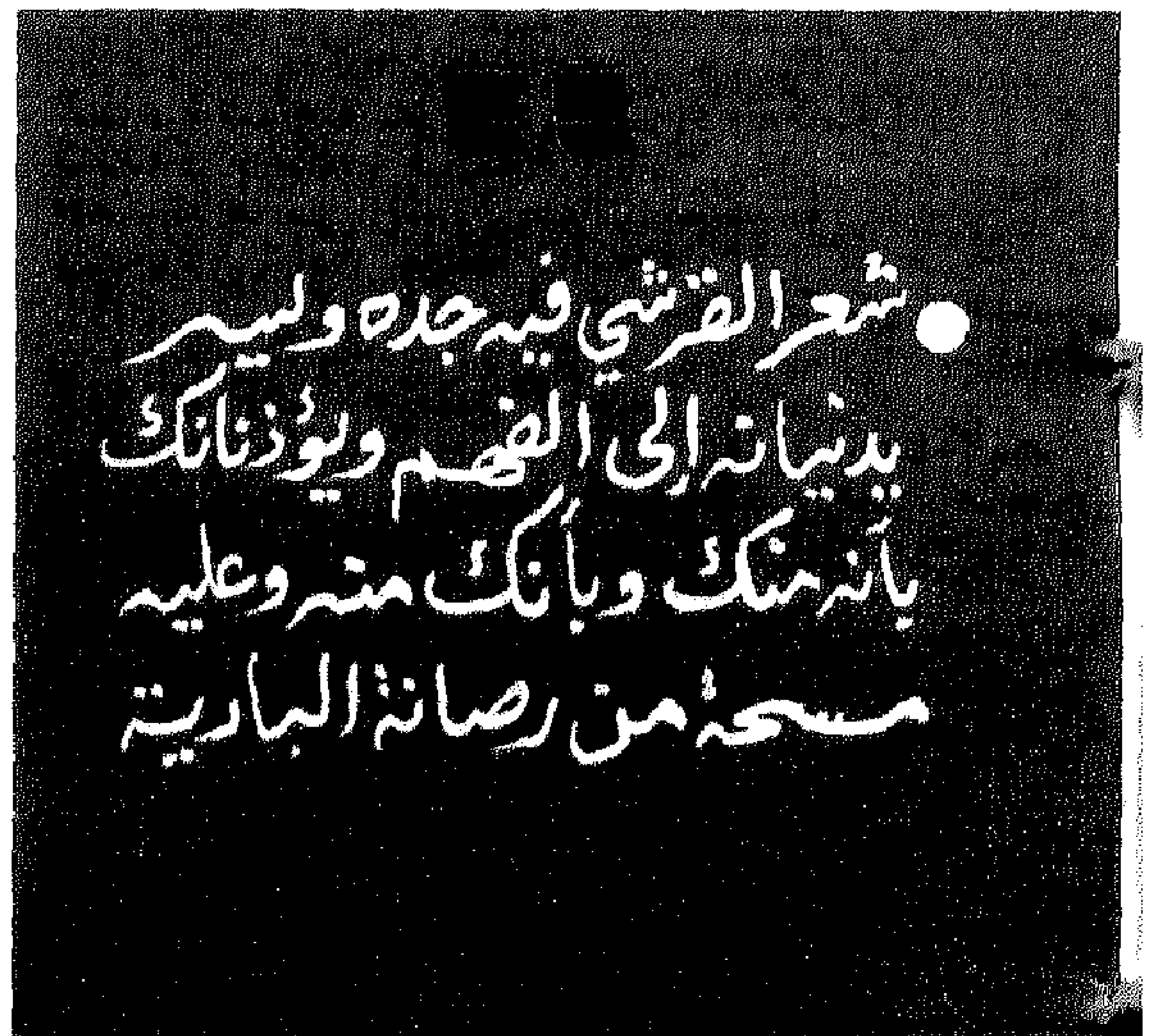


وكثير من الشعـراء المعاصرين التفتوا إلى واقع المسلمين المعاصر فى شعرهم الاسلامى، فهذا شاعر مكى معاصر لشاعرنا، وهو محمد حسن فقى يقول فى قصيدته (من وحى النبوة): (١١)

عودوا إلـى الإسـلام إن سبـيـلـه
ما تلتـوى فى جيئـة وذهـاب.

ويقول فى قصيدة (العروبة والإسلام): (١٢)

قل للرسـول.. بأنـنـا فى محنـة
نكـراء.. تستهـدى بغـير قيـاسـه
قدحـت بها الشـرر المبيـد عصابـة
كانـت من الإسـلام شر أنـاسـه



وقد فعل شوقى مثل ذلك فلا يعاب على القرشى فى ربطه بين الماضى والحاضر فى قصائده الإسلامية كما سنرى فى قصيدة (فى ظلال الغار)(١٣) التى صدرها بأبيات عن تأثير دعوة محمد ﴿ﷺ﴾ فى قريش وعاداتها وعبادتها ولكنها تمادت فى مقاومتها كبرا وعناداً وتحاول القضاء عليها فتعد العدة لقتل صاحبها فيخرج مع أبى بكر مهاجرا ويأوى إلى الغار وتتجلى معجزة:

يالـلغـبـاوة فى رهـط شعـارهـم
ضلالـة وطـواغـيـت وأقـذاء
خسئـتـم لن تنـالـوا منهـا أربـا
(الـغـار) حصـنهـا ما منـه إدنـاء
يا للحـمام الـذى آوى يسـيـجـه
والـعـنـكبـوت فما تقفـوه بأسـاء

ومنها قوله:

أصغـى إلـيـهـا ترانيـما مقـدسـة
والـقـلب تفـعـمـه ذكـرى وأنـداء

وفى مناجاة روحية بلغة شاعرية وبقلب خاشع بالإجلال يقترب من (موكب النور)(١٤) إلى مقامه العالى فى مدح عله يصل إلى ما يليق بالرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام:

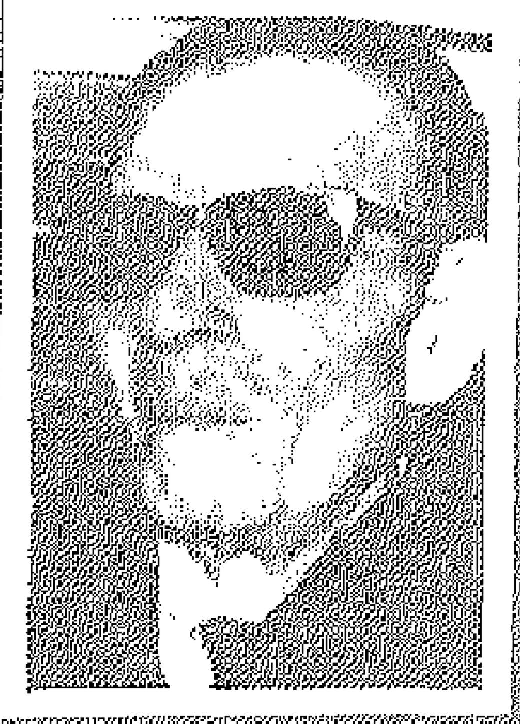
رسـول الهـدى هيهـات يبلغ مادح
علاك منـيـفـا كالـزمـان يضـوع
بلغت ذرى المجـد الـذى ليس بالـغ
سواك إلـيـه ما زهـاك صنـيـع

ويتألم الشاعر لجراحات المسلمين فى حاضرهم فيختم القصيدة بالدعاء لهم:

تداركـهـم يا رب واملأ قلوبهـم
ثبـاتـا ليغـدو الشمـل وهـو جميع
وحطهم بعطف منـك يأسـو جراحهم
وعـفـوك يارب الأنـام شفـيـع

أمـا فى قصـيـدة (من وحى الكعبـة)(١٥) فيقف الشاعر أمام الكعبة ليصور بريشته ما توحيه إليه حين تلتصق بها أجساد وقلوب المسلمين من شتى أنحاء


العقـــاد


د. طـه حســين

الأرض، ويرجع إلى الماضى يوم نزل الوحى على النبى ﴿ﷺ﴾:

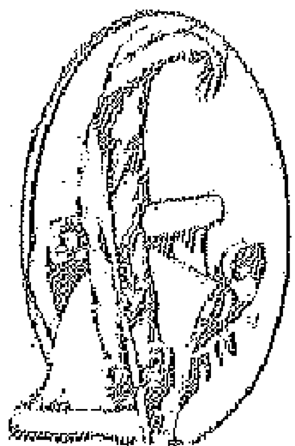
أى ذكـرى شعـت هنـا لرسـول الله
دفـاقـة الـشـذا والحـبـور؟
إنهـا رايـة الإلـه تجلت
هى بشـرى هزت جنـان الـعـصـور

ومن ذكرى الماضى إلى الحاضر، ويهيم بروحه حول الكعبة فى شوق وتعظيم:

شاقـنـى موكـب الجـلال تبـدى
فى ظلال الـتـهـلـيـل والـتـكـبـير
برحـاب الـبـيـت المقـدس حفت
هتـفـات إلـى الـعـلى الـكـبـير
كلهـم لاجـىء إلـيـه شريـد
أرقـتـه لوافـح الـتـفـكـير

وتتفجر لواعج الصدق عند الشاعر فى الرحاب الطاهرة فيناجيه بفؤاده فى خشوع وانكسار:

طفـت مالـى إلـى سواك سبـيـل
رب فاقـبـل نجـوى فؤادى الكسـير
أنـا يا رب حائـر الخطـو عان
أتـراءى لديـك خير مصـير
رب فاملأ بنـور حبـك قلبـى
أرتـشـف كوثـر الـصـفـاء الـنـضـير

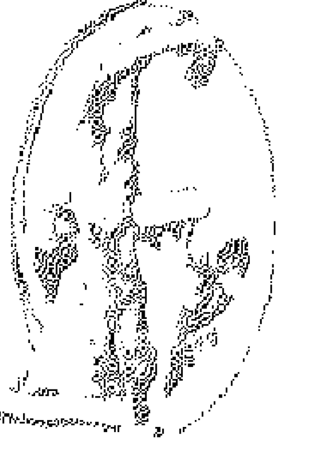


وتجىء قصيدة إسلامية فى هذا الجزء من الـديوان، وكأنهـا تكملة لتبتل الشاعر، وهى (رباه)(١٦):

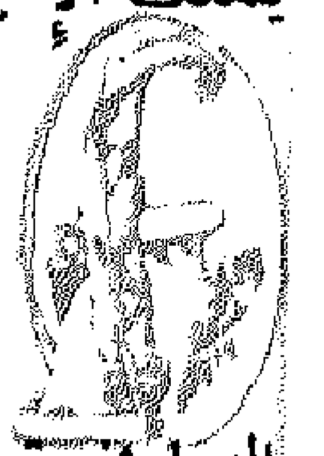
ربـاه هذا الهـيـب شب فى جسـدى
غرائـزى منـه فى هول وأفـكـارى
يلج بى الإثـم أجـفـوه فيـدركـنـى
كما رد من عتـاة الجـن جبـار

ويختم القصيدة بالخضوع والاستسلام ليصل إلى العروة الوثقى.

ربـاه إن مصـيرى فى يديـك فلا
تدع زمـانـى مقـرونـا بأوزارى



ونلاحظ فى هذا المجلد من الديوان الذى يضم (البسمات الملونة) و(مواكب الذكريات) و(الأمس الضائع) أن الديوان الأخير فى هذه المجموعة تتوالى فيه القصائد الإسلامية دون أن يفصل بينها بقصائد غير إسلامية، وما ندرى هل نظمت كلها فى المدة التى أعقبت ديوان (مواكب الذكريات) وأن الشاعر كان يعيش حقبة روحية خالصة وفى ظروف نفسية خاصة، أو أنها كانت منظومة ولكن الشاعر اختار وضعها فى هذا الديوان الذى قدم له طه حسين وأشاد بالشعر فى الحجاز ونجد لأنه وجد فى الديوان روحا **(من مهد الشعر العربى، ومهد الأمة العربية ومهد هذه الحياة الكريمة التى صدر عنها الوحى بالقرآن الكريم فملأ الأرض هدى ونورا)**(١٧)؟ الشاعر وحده يملك الإجابة.

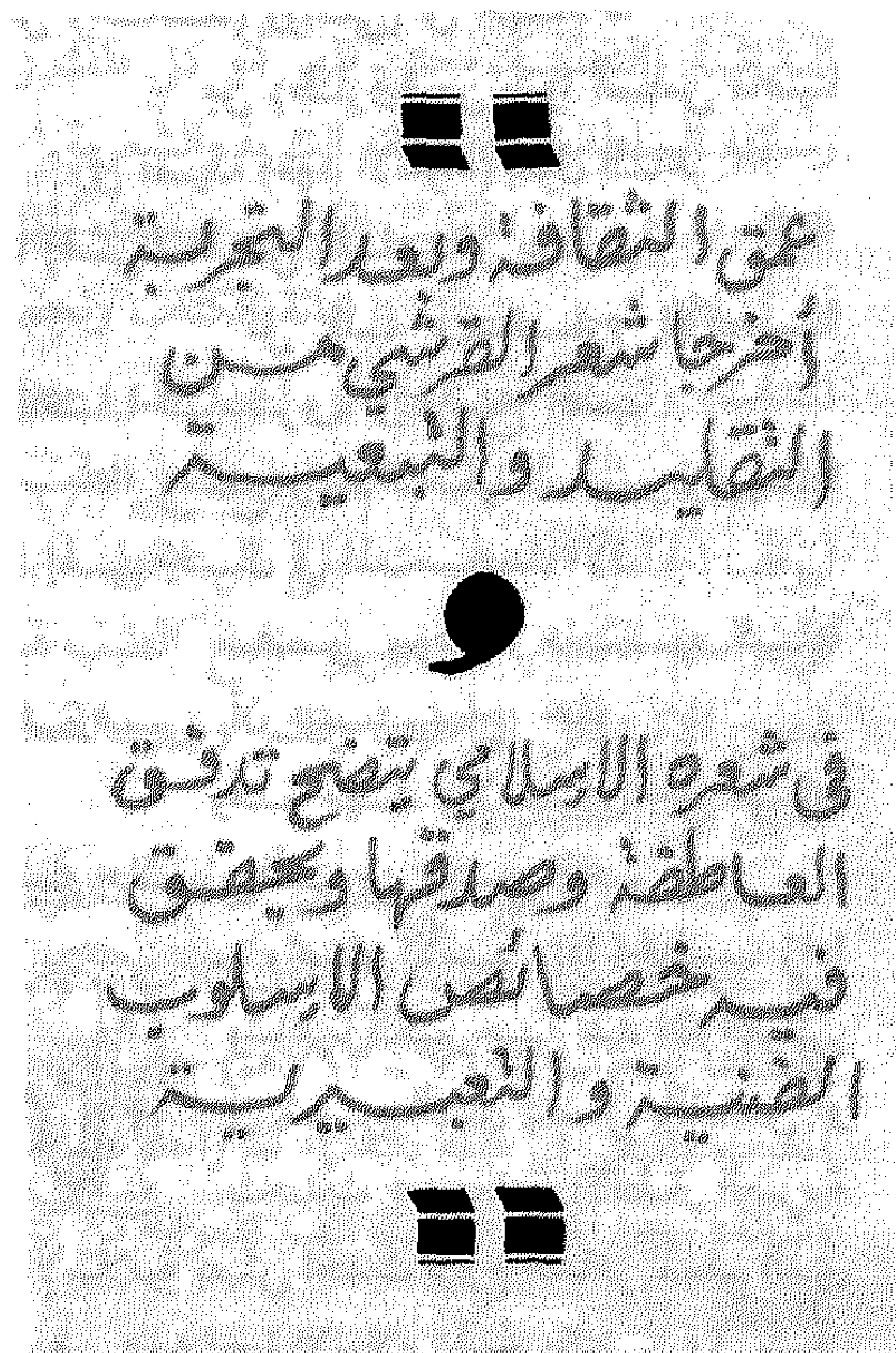


ويخرج القرشى من رحاب الجزيرة العربية إلى دار الخلافة الإسلامية فى عصر الدولة العثمانية ويطوف بأمجادها التاريخية التى تملأ وجدان المسلم الواعى فتجرى نغمات حزينة على ماض من المجد والفخار والبطولات.. و(فى ظلال البسفور) يلج الشاعر إلى التاريخ، وترنحه الرؤى ويرجع البصر كرة أخرى فيرتد وهو حسير: (١٨)

من عذيـرى، وكـم يلج العـذيـر
خاطـرى آسـر وقـلبـى أسـير؟
رنحتـه الـرؤى، وكم رجـع الطـر
ف إلـيـهـا فارتـد وهـو حسـير
ما أراه؟ أتـلك أطـيـاف حلم
أم تراءى لنـاظـرى (البـسفـور)؟

ويتذكر (اسطمبول) القسطنطينية قديما ثم الآستانة وما فيها من ذكريات إسلامية تشهد بالعظمة والقوة للإسلام:

وعـلى كل ربـوة مسـجـد رف
زهـاه الـتـهـلـيـل والـتـكـبـير
شاده أروع وزاد عليـه
أروع صادق الجـهـاد غيـور
فيـه من زخـرف الـفـنـون أفـانـيـ
ـن جلاهـا صناعـهـا المشهـور
قد تحدى الـقـرون رونـقـه الـزا
هى فيا بددت سناه الـدهـور
المـنـارات فى حماه مضيئـا
ت وهـدى الإسـلام فيـهـا ينـير



وأعداء الإسلام فى معسكر واحد مهما اختلف الزمان والمكان، فالحقد على الخلافة الإسلامية وتمزيق شملها وتقسيم العالم الإسلامى إلى كيانات صغيرة وشن الحروب الصليبية والسيطرة على بيت المقدس والثالوث الجديد الذى يجمع اليهودية والمسيحية والوثنية خلف كتيبة متقدمة فى قلب العرب وهى إسرائيل وما جرى منها ومن أعوانها وما يجرى الآن وغدا.. كل ذلك فى حس شاعرنا يعبر عنه وعن شعور كل مسلم فى ديوانه (لن يضيع الغد) ويجسم الآلام ويبعث الآمال فى قصائد كثيرة منها (أخى) و(فدائى العروبة) و(ثأر) و(وعد بلفور) و(ربى القدس) و(حطين) وغير ذلك مما يسمعك شجاه فى موسيقى حزينة باكية وحفز للهمم العالية لتتأسى بالمسلمين فى (حطين): (١٩)

(حطين) واخجلتا من يوم (حطين)
واخجلتاه من الصِّيد الميامينا
من (خالد) و(المثنى) فى جهادهما
مِنْ (طارق) مِنْ بنوا أساس ماضينا

وفى قصيدة (مهد الاسراء) يقول الشاعر: (٢٠)

يا إلهى! ما حل بالقدس يفرى
كل قلب ويصدع الأكبادا
غالها الخاسرون فى وضح الصبـ
ـح وكم كحلوا العيون سهادا
يا إلهى يختال فى المسجد الأقـ
ـصى يهود قد دنسوه كيادا
أفترضى أن يستباح حماه
وهو مهد (الإسراء) جل مهادا
ـه حاشا. فأنت من يمنح النصـ
ـر ويجلو الأسى إذا الخطب زادا



وشاعرنا الكبير حسن عبد الله القرشى فى شعره الذى يتصل بالقدس أو يتحدث عن بعض الأقطار العربية والإسلامية يعيش الحدث بروح الشاعر المسلم الذى تفرض عليه اخوة الإسلام الجهاد والتضحية فى سبيل الذود عنهم والاهتمام بأمور المسلمين. وتلك رؤية اكتسبها الشاعر من بيئته التى ألهمته الشكل والمضمون، فخرج علينا بشعره المتميز فى حلل من الصياغة والديباجة العربية الأصيلة يشق على كثيرين من الشعراء الارتقاء إليها ومباراته فى شعره القومى والإسلامى والإنسانى بل فى تعبيره عن وجدانه وحديث نفسه ونجواها ليحقق رسالة الشعر التى عناها: (٢١)

إنما الشاعر فى آفاقه
صيحة الحق وظل الأبد
دوحة سامقة مورقة
تتحلى بالجنى والرغد
ومنار يملأ الدنيا سنا
لؤلؤيا من ضحاه الأسعد

حقا أيها الشاعر الكبير إنك عبرت برقة حسك ومشاعرك فى بيانك الساحر وإيمانك الزاخر، عن رسالة الشاعر الأصيل المتشرب هوى العروبة والإسلام فى ديار أشرق منها الإيمان.

المراجع

(١) سورة يونس (١٢)
(٢) ديوان القرشى فى طبعته الثالثة ١٩٨٣ يتكون من ثلاثة مجلدات صدر عن دار العودة ببيروت.
(٣) احمد الزيات وديوان القرشى ١ص٢٧٣.
(٤) د. طه حسين المجلد الأول ص٤٨١
(٥) محمد على السنوسى: الأعمال الكاملة ص٦٩
(٦) د. محمد غنيمى هلال: النقد الأدبى الحديث ص٣٩١
(٧)، (٨)، (٩) ديوان القرشى: المجلد الأول ص٢٨٤، ص٢٩٤، ص٥٧٣
(١٠) المعجم الوسيط ج١ ص١٤٩
(١١)، (١٢)، قدر ورجل ص١٥٣، ص١٨٣
(١٣)، (١٤)، (١٥)، (١٦) ديوان القرشى المجلد الأول ص٥٨٦، ص٥٩٣، ص٥٩٦، ص٥٩٩
(١٧) تقديم ديوان الأمس الضائع
(١٨)، (١٩)، (٢٠)، (٢١) المجلد الثانى ص٢٨٥، ٥٤٦، ص٦٥٢، ص٥٦٦



فكري أبو المجد

لسان الدين ابن الخطيب

لسان الدين ابن الخطيب علم من أعلام الثقافة العربية، تألق فى سماء مملكة غرناطة بالأندلس فى النصف الأول من القرن الثامن الهجرى كان شيخ مؤرخى الاندلس دون منازع.

● تحدث ابن خلدون عن رسائله السلطانية واخوانياته النثرية والشعرية فسماها بالغرائب، كما نقل المقرى عددا منها فى كتابه «نفح الطيب»، كذلك ترجم له كثيرون من المشتغلين بتاريخ الاسلام فى إسبانيا وفصلوا القول فى مؤلفاته **«كالاحاطة» و«اللمحة البدرية» و«اعمال الاعلام» و«الكتيبة الكامنة»**.

●● تقلد منصب رئاسة ديوان الكتابة مع الوزارة وكان الناطق الرسمى بغرناطة باسم كل من السلطان يوسف الأول النصرى (٧٣٣-٧٥٥ هـ /١٣٣٣ - ١٣٥٤م) ثم ولده السلطان محمد الخامس الغنى بالله الذى وزر له فى الفترة الاولى من توليه السلطة (٧٥٥ هـ/١٣٥٤ - ١٣٥٩م) وكان قد ملك زمام اللغة شعرا ونثرا بفضل شيوخه من أعلام الاندلس وعلى رأسهم أستاذه **«أبو الحسن ابن الجياب»** الذى كان رئيساً لديوان الانشاء فى عصر أبى الحجاج يوسف الأول النصرى، بالاضافة الى ثقافته الشخصية وتجاربه الذاتية والنفسية، حتى ظهر أثر كل ذلك فى رسائله السلطانية واخوانياته النثرية والشعرية.

●● وقد جمع ابن الخطيب الكثير من رسائله تلك فى كتاب كبير بعنوان **«ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب»** وكانت تحفة فنية الى الحد الذى جعل «المقرى» يؤلف كتابه الشهير **«نفح الطيب»** ليوقف الجانب الاعظم منه على ابن الخطيب بل قرن اسم الكتاب به فسماه **«نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب»**.

واثناء فترة النفى التى تعرض لها ابن الخطيب مع سلطانه الغنى بالله والتى دامت ثلاث سنوات قضاها بالمغرب (٧٦٠ - ٧٦٣هـ) جاب انحاء المغرب والتقى فى مدنه بالعلماء ثم رابط بضاحية **«شالة»** بجوار امرحة حيث الف مجموعة من كتبه القيمة.



الرازى

طبيب عبقري ورائد في الكيمياء

هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازى عاش فيما بين ٢٤٠ و ٣٢٠ هـ / ٨٥٤ و ٩٣٢م وقضى حياته فى بغداد وتوفى فيها.

وقد صرف الرازى جل وقته لتعلم الموسيقى والفلسفة والرياضيات ولما بلغ الثلاثين من عمره اتجه الى علمى الطب والكمياء وجمع بينهما.. ويعده كثير من المؤرخين من اعظم اطباء القرون الوسطى حتى اطلقوا عليه اسم ابى الطب العربى.

يقول جورج سارتون: « **ان الرازى طبيب عبقرى بالاضافة الى تفوقه فى علم الكيمياء.. وهذا يظهر من انتاجه العلمى فى هذين الميدانين.. ويعتبر الرازى من أوائل الاطباء الذين استخدموا معلوماتهم الكيميائية فى الطب، وهو بدون شك أعظم طبيب انجبته الحضارة الاسلامية**».. وحاول علماء أوربا أن يقللوا من شأنه ولكن مؤلفاته جلبت له شهرة عظيمة ومن هذه المؤلفات «**الحاوى فى الطب**» الذى يقع فى عشرة مجلدات ويبحث فيه مختلف الامراض التى تصيب الجسم وكل عضو منه على انفراد.. كما ركز الرازى فى مؤلفه هذا على الامراض العصبية وامراض العين والأنف والاسنان. وكان نفوذ الرازى فى الطب خلال العصور الوسطى عظيما اذ أولى الحصبة والجدرى اهتمامه وفرق بينهما، بينما سلفه يظن انهما مرض واحد، ونجح فى السيطرة عليهما.. ويقول عنه المؤلف المشهور (رام لاندو) فى كتابه «**مآثر العرب فى النهضة العربية**»: ان الرازى أول من شخّص مرض الحصبة والجدرى فهو علامة عصره وكل العصور، فلقد ألف موسوعة طبية تفوق جميع مؤلفات السابقين واللاحقين، كما ظل حجة الطب فى الغرب والشرق حتى القرن السابع الميلادى دون منازع.



ويتميز الرازى على غيره من اطباء عصره بأنه اهتم بالنـواحى النفسية عند المريض وعرف أن هنـاك علاقـة قوية بين الجسم وطبيب الروح، ويقـول ابن أبى اصيبعـة فى كتـابـه **«طبقات الاطبـاء»**: ان الـرازى يقول ينبغى للطبيب أن يوهم المريض أبدا بالصحة ويرجيه بها وان كان غير واثق يجب على الطبيب أن يرفع من معنويات المريض، ويحاول ازالة مخاوفه بالاساليب النفسية المعروفة حين يكتب للمريض الشفاء بحول الله وعونه.

ومن اقواله المأثورة فى العلاج ما لخصه ابن ابى اصيبعـة فى كتـابـه **«طبقات الاطباء»** على النحو التالى:

- ينبغى للطبيب أن يوهم المريض ابدا بالصحة ويرجيه بها ان كان غير واثق بذلك فخراج الجسم تابع لاخلاق النفس.
- متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل.
- مهـما قدرت ان تعالج بدواء مفرد فلا تعالج بدواء مركب.
- الاطباء الأميون والمقلدون والاحداث الذين لا تجربه لهم.. ومن قلت عنايته وكثرت شهواته قتالون.
- ان استطاع الحكيم ان يعالج بالاغذية دون الأدوية فقد وافق الصواب.
- ما اجتمـع الاطباء عليه وشهد عليه القياس وعقدته التجربة فليكن امامك.
- اذا كان الطبيب عالما والمريض مطيعا فما أقل لبث العلة.

ويعـد الـرازى من عمالقـة الكيميائيين وقد قضى فى دراسـة الكيمياء مدة من الزمن فكان الغـربيون والشرقيون يعتبرونه مؤسس الكيمياء الحديثة كما الف كتباً كثيرة فى هذا المضمار.

ع. س



شاعر البادية

محمد سعيد العب

ليس من السهل ان يؤرخ المرء للعظماء، خصوصا إذا كان هؤلاء العظماء شعراء لأن للشاعر كونا عظيما فسيحا متراميا لا يمكن للمرء ان يحيط به وان أحاط به فربما ظهرت له بعض الجوانب وخفيت عنه جوانب اخرى

وقد جهد النقاد فى النظر الى شعر الشعراء وعقدوا المسائل وفلسفوها وتحدثوا عن الاتجاهات والمذاهب الشعرية وتعرضوا للبيئة واثرها على الشاعر ثم وصفوا العصر الذى عاش فيه الشاعر فأطنبوا فى وصف ذلك من النواحى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

وكل جهد بذله هؤلاء النقاد فى ذلك المجال مقدر مشكور فتقويم الشيء يستدعى الدراسة والنظر إلى التفاصيل بدقة محللين مستقرئين مستنبطين مستنتجين.

ولكن كل ذلك علم هو علم النقد، ومع احترامى لعلم النقد ولما له من الفضل، إلا أنى فى هذا المجال لست ناقدا لأن الحاسة الفنية تغلب على الحاسة النقدية عندى. انما من يقرأون الشعر مستمتعين بموسيقاه وبما يطبعه فى وجدانى من صور حية كأنها واقعة باقية على الزمان.

ولو كنت من الذين يقفون عند كل بيت باحثا عن الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة والموسيقى الموزونة، لذهب عنى ما فى البيت أو القصيدة من جمال لا يستقيم إلا لمن نظر الى القصيدة وقرأها كما تقرأ عينه صور الجمال وكما تشم انفه عبير الزهور والورود فى حديقة مخضرة مخضلة الأشجار مزهرة مبهجة.

انا مع الفن ولست مع العلم بل انا احيا بقلبي ولا أعيش بعلمي.



ـاسي

بقلم
أبو القاسم عثمان

انا لا أدخل الحديقة لادرسها كما يدرسها عالم النبات ولكنى ادخلها مستروحاً منتجعا، ادخلها وأغلق الباب دونها مخلفا ورائى ما يلقى به العلماء.

وإذا كانت زهرة الحديقة تأخذ زينتها ثم تذوى وتموت تاركة عبيرها تائها فى الفضاء الفسيح، فإن زهرة الشعر باقية خالدة تزين حديقة الشعر وتظل تنشر عطرها الى ابد الآبدين ودهر الداهرين.

لقد حاول النقاد أن يقللوا من قيمة الشعراء - المتنبى وشوقى على سبيل المثال فذهبوا مذاهب شتى فى نقدهم، وجاروا كثيرا فى احكامهم، وظنوا انهم اطفأوا ذلك القبس الوهاج، لقد ذهب اولئك النقاد وذهب معهم ما سطروه، وبقى المتنبى وشوقى شاعرين متوهجين خالدين يتمثل الناس بشعرهما وكأنه قيل الساعة.

هذا هو الشعر الذى اتحدث عنه، انا اتحدث عن فن الشعر ولا اتحدث عن علم الشعر.

ومن هنا عرفت الشاعر السودانى محمد سعيد العباسى، وهو من أسرة دينية شريفة إذ ينتهى نسبه الى الشيخ الطيب «راجل أمرِّحى» وامرحى هذه قرية تقع الى الشمال من مدينة ام درمان الوطنية. اما والده فهو الاستاذ محمد شريف نور الدائم استاذ الامام محمد احمد المهدى قائد الثورة المهدية ولمحمد سعيد العباسى ولدان شاعران هما الشيخ ضياء الدين والاستاذ القاضى الطيب محمد سعيد العباسى.

وكما هو واضح فإن هذه الأسرة نشأت وترعرعت على الفضل والتقى.

لقد نهلت هذه الأسرة من العلوم الدينية واستهدت بالقرآن الكريم وبالشعراء مداح الرسول عليه الصلاة والسلام، فكونت من ذلك كله ثروة ثقافية زاخرة ظهرت آثارها فى الاجيال المتعاقبة لهذه الأسرة الكريمة.

لقد عاش شاعرنا حوالى ثمانين عاما أو تزيد حتى توفاه الله فى عام ١٩٦٣م ودفن فى مقبرة جده الشيخ الطيب. وإذا كان عمره قد ناهز السبعين عاما وقت زيارته للقاهرة فى أواخر الاربعينات فان ميلاده يرجح ان يكون حوالى عام ١٨٨٥

سبعون قَصَّرتِ الخطى فتركْنَنِى
أمشى الهوينا ظالعا متعثِّرا

والمعنى الظاهر فى بيته هذا هو أنه اصبح شيخا مهدما، ولكنى رأيته فى تلك الفترة من حياته فكان متماسكا يمشى على الارض هونا فكأنه ابن الاربعين.

وجهه عربى وسَمْتُه عربى وملابسه عربية ونزعته عربية ومثله الأعلى فى الشجاعة والصبر والكرم والاريحية العربية، بل هو قد عشق البادية وعشق الخيام وحياة الترحال. وهو عفيف الغزل عفيف اللسان، عفيف الجنان.

ولعل فى اسلوبه العربى وما يتمتع به من اصالة فى المبنى والمعنى، ما خلع عليه لقب «**العباسى**» فهو شبيه بالشريف الرضى فى رفعة شرفه ورقة غزله حيث يقول الشريف الرضى:

ياظبيـة البـان ترعى فى خمائله
ليهنـك اليـوم أن القلب مرعـاك
سهـم أصـاب وراميـه بذى سلم
من بالعـراق لقـد أبعـدت مرمـاك

عرفت الشـاعـر محمد سعيد العباسى وشاهدته لأول مرة فى حياتى فى القاهرة وذلك فى أواخر الاربعينات. وقد عرفته وجالسته عن طريق زميلى فى كليـة دار العلوم الاستـاذ بدوى طيب الاسماء. كنت وقتها عضوا فى جمعية ادباء العروبة ـ وهى جمعيـة أدبيـه ـ برئاسة المرحوم ابراهيم دسوقى اباظة (باشا) وكان يرحمه الله وزيرا للمواصلات فى ذلـك الـوقت وعضـوا بارزا فى حزب الاحـرار الدستوريين، وكانت هذه الجمعية الأدبية تضم الشعراء د. ابراهيم ناجى ومصطفى حمام وطاهر ابو فاشا والعوضى الوكيل ومحمد عبد المجيد الغزالى وغيرهم ممن لست اذكر الآن.

ولقد رأينا ان يزور شاعرنا العباسى الأديبَ المصرى ابراهيم دسوقى اباظة (باشا) وذلك فى دار الأحرار الدستوريين فى حى المبتديان بالقاهرة وفعلا قمنا بالاتصالات اللازمة وحددنا موعد الزيارة، وكانت الدار تعج بالحضور من علية القوم وطلبة الجامعات وقد حضرنا قبل حضور معالى الوزير ـ رحمه الله ـ.

وحينما حضر الوزير فى ركبه المهيب ودخل إلى قاعة الاستقبال وقف كل من بالقاعة محييا ومرحبا بالوزير واخترق الوزير الجموع إلى ان استقر بمقعده فى الجهة المقابلة لشاعرنا الكبير الذى كان جالسا فى كامل هيبته ووقاره، وكان لم يسلم على الوزير بعد.

وبعد ان هدأت الجلسة عرَّفْنا السيد الوزير بضيفه الشاعر السودانى وظل كل منهما فى مكانه يريد من الآخر ان يتقدم للمصافحة. ولكن شاعرنا ظل جالسا دون ان يقف ليتقدم لتحية الوزير ومرت لحظات حرجة فما كان من السيد الوزير ابراهيم دسوقى اباظه إلا ان نهض وخطا خطوات فى طريقه الى ضيفه الذى انتصب واقفا، وخطا إلى الأمام خطوات ليقابل السيد الوزير فى منتصف القاعة. لقد كانت لحظة رائعة فلم يرض الشاعر العباسى لنفسه ان يضعها فى الموقف الذى لا يليق بها، فكان معتزا بنفسه غاية الاعتزاز، وقد أثار بتصرفه ذلك دهشة الحاضرين.

هذا هو محمد سعيد العباسى الذى زار مصر بعد غياب أربعين عاما كان خلالها يجوب الأودية والقرى والبوادى فى غرب السودان الساحر الجميل حيث انشأ رائعته الدالية فى «مليط» تلك القرية الجميلة الرائعة فى غرب السودان:

حيَّـاك «مليـطُ» صوب العـارض الغـادى
وجـاد واديـك ذا الجنـات من وادى
فكـم جلوتِ لنـا من منظـر عجـب
يشجى الخلىَّ ويـروى غُلَّة الصـادى

وهى من عيون الشعر العربى والتى قد نعرض لها فى مناسبة اخرى.



كان **محمد سعيد العباسى طالبا بالكلية الحربية المصرية فى مطلع شبابه ولكن نفسه النزاعة الى الحرية والى التمتع بجمال الطبيعة والريف أبت التقيد بحياة العسكرية فهجر الكلية الحربية ورجع**

قافلا ليحيا الحياة التى ملكت عليه لبه وقلبه.

ولكنه اشتاق لمصر مهد صباباته ومنتجع شبابه، وكان لهيفا إلى لقياها فتم له ذلك بعد حوالى اربعين سنة من مغادرتها.

فماذا رأى العباسى فى القاهرة الجديدة بعد هذا الغياب.. وكأن الزمان كان يغالبه ويصادمه ولكنه لان فى آخر الأمر فهيَّأ له هذه الزيارة الحبيبة إلى نفسه. ومما هو معروف عن العباسى انه كان يحب مصر وأهل مصر وكان من دعاة وحدة وادى النيل:

أقصرت مذ عاد الزمان فأقصرا
وغفرت لما جاءنى مستغفرا
ا كنت أرضى يا زمان لو أننى
لم ألق منك الضاحك المستبشرا
ا حبذا واد نزلت وحبذا
ابداع من ذرأ الوجود ومن برا
مصر وما مصر سوى الشمس التى
بهرت بثاقب نورها كل الورى
ولقد سعيت لها فكنت كأنما
اسعى لطيبة أو إلى أم القرى



نزل شاعرنا ضيفا على الشيخ مصطفى طيب (أطال الله عمره) الذى كان مفتشا بوزارة أوقاف المصرية فى ذلك الوقت. وليست دار الشيخ مصطفى الطيب بغريبة على شاعرنا فكلا الرجلين يرتفعان بنسبهما إلى الشيخ الطيب بن الشيخ البشير السالف ذكره وهو رأس هذه الأسرة الكريمة.

وقد راع صاحبنا ما رآه فى مصر من آيات الجمال ومراتع الفتنة والسحر فثارت فى نفسه ذكريات شبابه الضائعة فاندفع محاولا ارجاعها بهذا الشعر الرائع:

يا من وجدت بحبِّهم ما أشتهى
هل من شباب لى يباع ويشترى
ولو أنهم ملكوا لما بخلوا به
ولأرجعونى والزمان القهقرى
سبعون قصَّرت الخطى فتركننى
أمشى الهوينا ظالعا متعثرا
من بعد أن كنتُ الذى يطأ الثرى
زهوا ويستهوى الحسان تبخترا
فارقتُها والشعر فى لون الدجى
واليوم عدتُ به صباحا مسفرا

يا لها من حسرة أكلت قلبه.

وهل ينسى شاعرنا أيامه بالكلية الحربية؟

لا.

ووقفت فيها يوم ذاك بمعهد
كم من يد عندى له لن تنكرا
دار درجت على ثراها يافعا
ولبست من برد الشباب الأنضرا

وهذا التساؤل الحائر الممض:.

يا دار أين بنوك اخوانى الألى
رفعوا لواءك دارعين وحسرا
زانوا الكتائب فاتحين وبعضهم
بالسيف ماقنعوا فزانوا المنبرا
سبحان من لو شاء أعطانى كما
اعطاهمو وأحلنى هذا الذرى

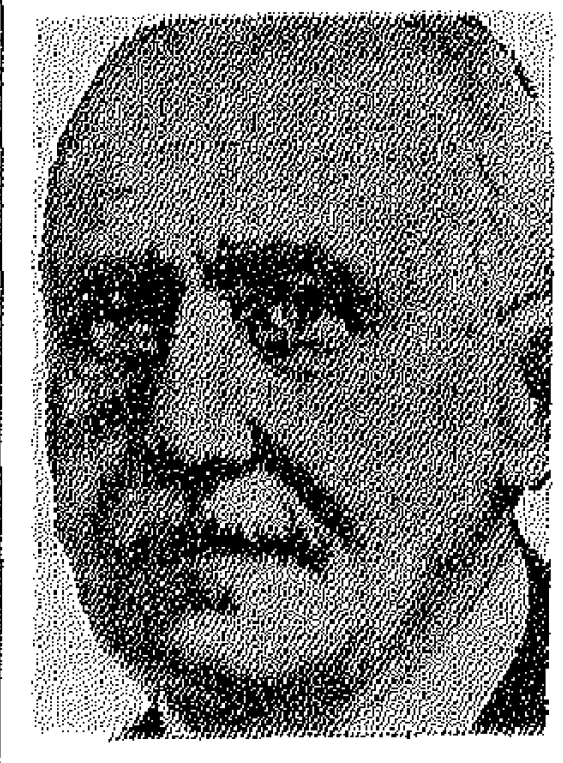
وهى قصيدة طويلة متعددة الأغراض يمكن ان تكون ديوانا كاملا.

وما دمنا بصدد الكلام عن هذا الشاعر، وما دمنا قد عرفنا ميله إلى حياة الحرية والطلاقة وما توحيه للنفس الشاعرة من صور الجمال الطبعى والانسانى فلنستمع الى هذا الغزل الرقيق الفريد وهو فى باديته بغرب السودان:

مررتُ بالحى ضحى
أروض مهرا أدهما
مرتديا من الثياب
ضافيا منمنما
لقيتُه فى أربع
بيض كأمثال الدُّمَى
شَابَهْنَ أزهار
الربيع وحكين الأنجما
خاطبتُه مستسقيا
وشدّ ما بى من ظما
جاء بماء قلت هل
حاجة مثلى منك ما؟.
أنشدته من فاخر
الشعر رصينا محكما
فرق لى مستسلما
ومال نحوى منعما
طويتُه طيّ الردا
متّعْتُ من فم فما..

وهذه الأبيات التى اوردناها له من قصيدتين مختلفتين من ديوانه، لهى غنية عن كل تعليق، ولم ارد ان اقول ان بالسودان شعراء أحسن من غيرهم من الأقطار الأخرى، ولكنى ابعث فى هذا

لأريهمو وأرى الزمان اليوم ما
شأنى فكل الصيد فى جوف الفرا


شوقى


البارودى

الشعر الحياة - استغفر الله - بل اردت ان ابعثه من مرقده فى ديوانه قبل ان تدفنه الدافنات، أو ان تجور عليه السافيات.

ان مثل هذا الشعر يجب ان يحيا حياة ثانية بعد ممات صاحبه وهذا ما يدعونى فى كل مناسبة تسنح لى ان أعرض نماذج من هذا الشعر السودانى لا بغرض النقد كما اسلفت ولكنى اضعه بين ايدى ادباء وشعراء من بيئات مختلفة ليشهدوا ان النبوغ والتفوق موجود فى كل اقطار العروبة والسودان بلد عربى اصيل.

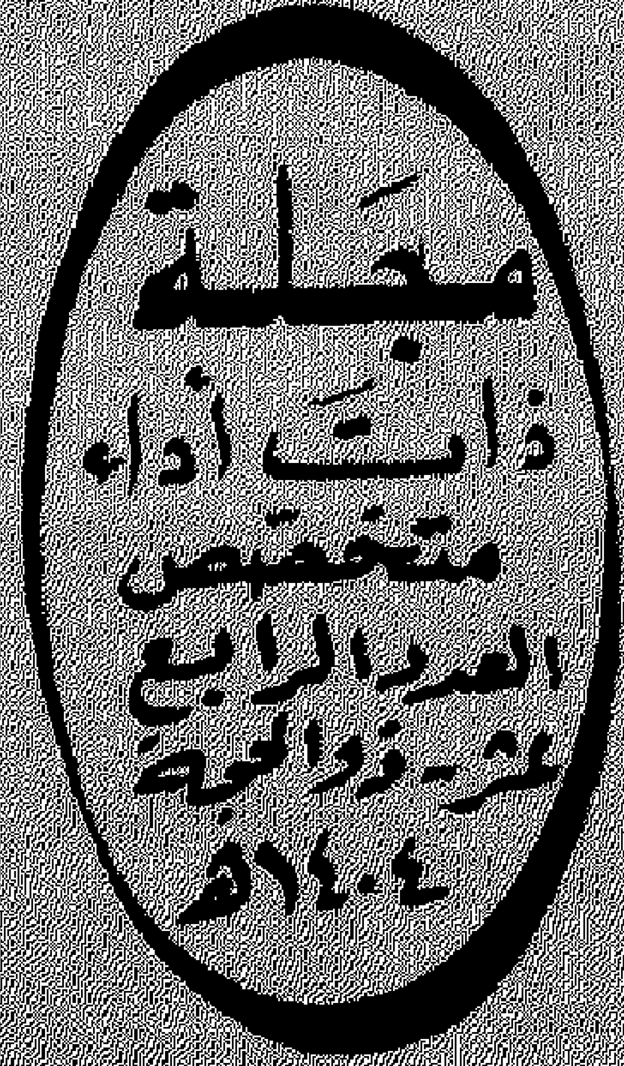
بقى ان نقول ان العصر الذى نشأ وعاش فيه شاعرنا العباسى حفل بشعراء فطاحل كان هو أحدهم بل ويمتاز بمدرسته الخاصة.

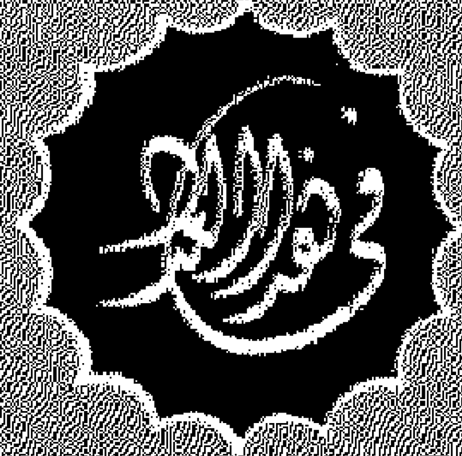
وقد صادفت هذه الفترة ما يسمونه بفترة الحكم الثنائى فى السودان وهى الفترة التى شهدت اشراقة الثقافة المدنية الجديدة التى تمثلها كلية غردون التذكارية والتى انشأها إنجليز لتخليد ذكرى غردون باشا الذى كان يحكم السودان قبل الحكم الثنائى كما شهد هذا العصر ايضا نهضة من الشعر العربى شملت أغراضه واساليبه ومضامينه، وعاد ينبض بالحياة متأثرا بمدرسة البارودى وشوقى وحافظ وبمدرسة طه حسين والعقاد والزيات فى مجلته الرسالة.

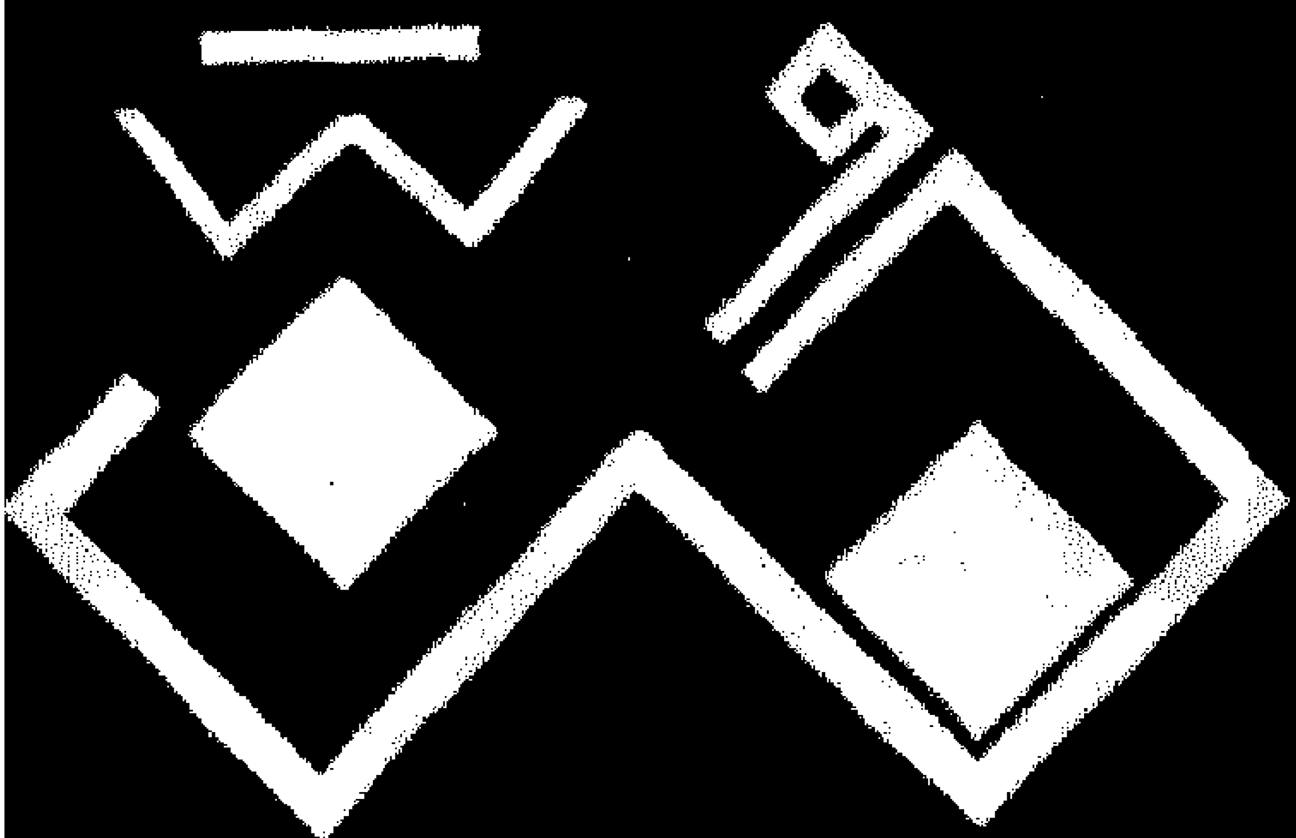
ومن هؤلاء الشعراء دون ترتيب: عبد الله البنا وعبد الله عبد الرحمن واحمد محمد صالح وصالح عبد القادر وابراهيم عبد القادر تلودى وغيرهم ممن شملهم كتاب شعراء السودان لمؤلفه سعد ميخائيل

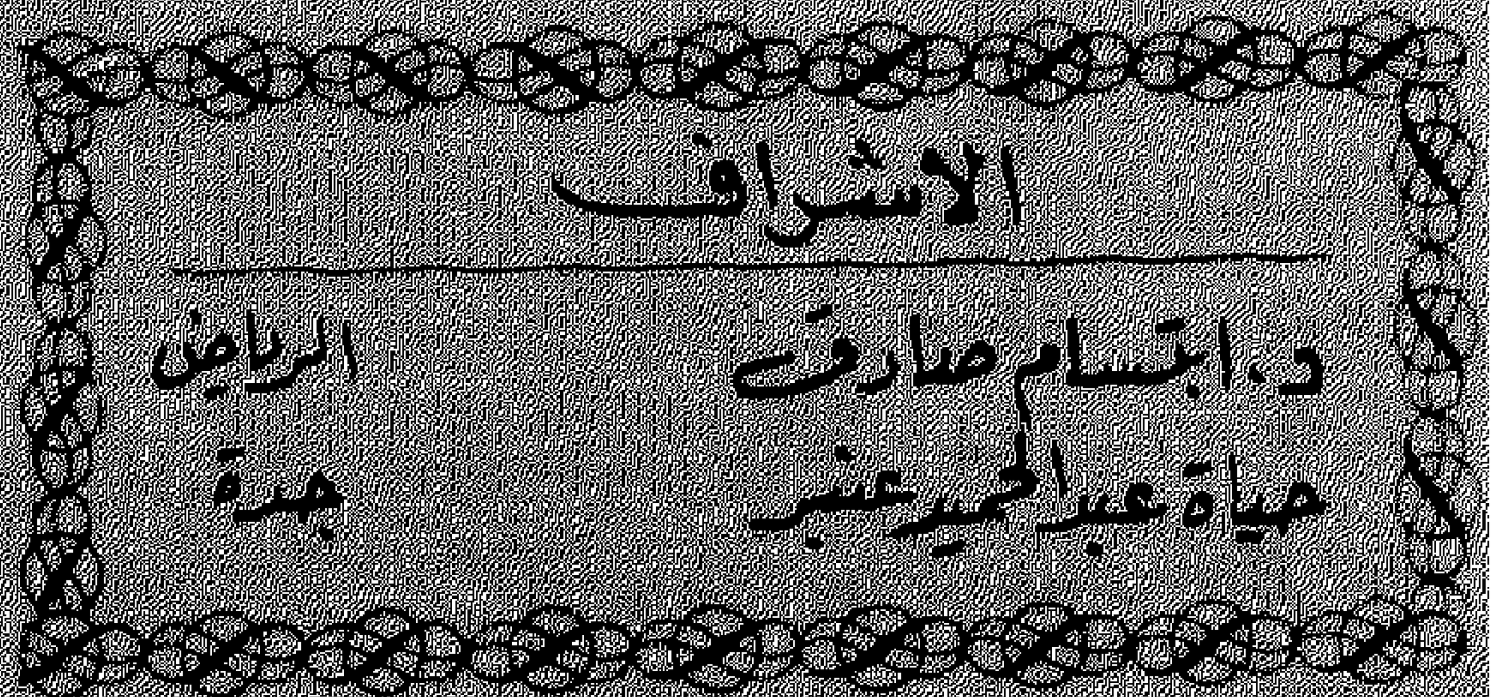


النساء.. شقائق الرجال









الاسلام

بعد الخدعة الكبرى فى تاريخ الامة العربية وانتصار الدول الاوربية على الرجل المريض (تركيا) وسقوط آخر خلافة إسلامية، جعل الغرب هدفه الاساسى هو القضاء على الاسلام هذه الطاقة الروحية التى انطلقت من الصحراء لتغيير مفاهيم العالم وتصنع حضارة انسانية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً، أضاءت الشرق والغرب وحررت الانسان فى كل مكان.

فى ظل هذه المؤامرة الصليبية انكمش مفهوم الاسلام عند غالبية المسلمين من منهج حضارى كامل شمل: الشعائر والعبادات، الشريعة والقانون، الفلسفة والأدب والفن، الاقتصاد والسياسة والاجتماع، الاخلاق والسلوك.. إلى شعائر وعبادات وما سمى بالاحوال الشخصية وتم القضاء على الثقافة الاسلامية فى كل حاضرة اسلامية بنسب متفاوتة.

وبالرغم من ثورة الشعوب العربية على الاستعمار وتحررها منه إلا ان الثقافة الغربية ظلت مسيطرة على العالم العربى واستطاعت ان تفصل بين الدين والدولة ورغم ان الدساتير العربية كلها تقريباً تنص على ان دين الدولة هو الاسلام وان الشريعة الاسلامية مصدر من مصادر القانون إلا ان وضع المناهج الاسلامية ظل كما هو (عبادات واحكام للاحوال الشخصية) وظلت دساتير معظم الدول العربية وقوانيها مقتبسة او منقولة من دساتير وقوانين الدول الاوربية.. وبالرغم من رفع شعار الاسلام فى اكثر من دولة عربية مؤخراً معلنة العودة إلى حكم الاسلام إلا ان التطبيقات كانت تنقصها الشجاعة وظلت على كثير من الاحوال أحلاماً واماني وشعارات.

الاسلام نظرية حياة متكاملة:

الاسلام ليس نصوصاً قانونية تقوم على الأوامر والنواهى وإلا لاكتفت الانسانية بما توصلت إليه من كتابة أوامر ونواهى الحكام على الحجارة مثل قوانين حمورابى والألواح الاثنى عشر وغيرها من قوانين الدول القديمة.. ولو كان الاسلام دعوه للخير والرحمة واقرار مبدأ الثواب والعقاب والبعث فحسب لكان فى رسالة انبياء الله السابقين عيسى وموسى الكفاية.. ولكن الله سبحانه وتعالى أرسل محمد بن عبد الله ليكمل الرسالات السماوية برسالة عالمية اساسها نشر حضارة انسانية هدفها تهذيب الانسان وتحريره رحمة للعالمين.. جوهر هذه الرسالة مكارم الاخلاق (جئت لأتمم مكارم الاخلاق) لم يرسله لتوحيد الاديان وليس هذا على الله ببعيد ولا ارسله كى تسود امة على أمة ولا ارسله حاكماً او غازياً ﴿إنما انت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾.. ورغم وقوف الفاتحين على حدود فرنسا إلا ان الحضارة الاسلامية باخلاقها ومبادئها وآدابها وعلومها قد عمت العالم كله

بقلم
رضية احسان

حضارة

ومنه اوربا. وما الحضارة الانسانية الحالية التى تسمى خطأ بالحضارة الاوربية إلّا نتاج الحضارة الاسلامية التى نقلت اوربا من عهد الظلمات الى عهد النور وتلك الايام نداولها بين الناس فالاسلام لايحابى امة على امة ولا شعباً على شعب.

وانتصر الاسلام ودخلت الشعوب فى الاسلام رضاً واختياراً.. فالشعوب المهزومة لا ترغم على الاسلام والشعوب التى تدخل فى دين الله لا يرفع فى وجهها السيف.. والشعوب التى لا تعادى الاسلام يكتفى فيها بالجزية.

والمسلمون فى جميع انحاء العالم يعيشون نمطاً حضارياً واحداً وحياة فكرية واجتماعية واحدة لا فرق بين عربى واعجمى ابيض واسود اصفر واحمر. يتوجهون الى نفس القبلة ويرددون نفس العبارات فى نفس الاوقات يجتمعون فى مكان واحد من جميع انحاء العالم مجردين من كل زخارف الدنيا مرددين عبارة واحدة (**لبيك اللهم لبيك**).

هذه هى رسالة محمد بن عبد الله نشر الحضارة الاسلامية، لهذا جاء القرآن يرسم معالم هذه الحضارة ولم يأتِ على صورة نصوص تحرم وتحلل إلا بالنسبة لامور محددة معدودة تشكل خطراً على الحضارة الاسلامية وعلى البشرية سواء.. وتلك حدود الله ولا يجوز تحدى حدود الله بالقياس او مفهوم الموافقة او المخالفة.. لهذا نجد القواعد الملزمة فى القرآن هنا وهناك والمبدأ السائد ان لا اكراه فى الدين فالمسلم يدخل فى دين الله اختياراً وحباً فى الله ورسوله وما دام قد دخل الاسلام اختياراً فإنه قد احب السير على سنة الله ورسوله رضاء، لهذا نجد معظم عبارات القرآن والسنة رفيقة رفيقة حانية ليس فيها ارغام ولا اكراه ولا ارهاب (**إن الله يحب المقسطين**..) (**إن الله لا يحب المفسدين**..) (**لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**..) (**ولا تقتلوا النفس التى حرَّم الله إلَّا بالحق**.) (**لايدخل الجنة نمام**) (**من حمل علينا السلاح ليس منا**..) (**من غشنا ليس منا**..) ﴿**يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون**﴾. ﴿**إن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام. رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**﴾.. هكذا تسرى احكام الاسلام فى مشاعر المسلم وعقله وقلبه كالجدول الرقراق فتحرك فيه أسمى المشاعر والافكار وتثمر فيه اعظم الاعمال الانسانية النبيلة فلا خوف إلا من غضب الله وفقدان حبه ورحمته ورضوانه ولا قلق إلا من الانحراف عن سنة نبيه وحبيبه.

﴿**إنما انت مذكر لست عليهم بمسيطر**﴾ فالآثم فى الاسلام يأتى الرسول ليعترف بما ارتكب من مخالفة بما لا يعلم به إلا الله رغبة فى التكفير عن إثمه فيكون هو الشاهد على نفسه وهو النيابة التى تقدم ادلة اتهامه، والزانية تأتى الرسول راغبة فى العقاب والتطهر فيصرفها حتى تلد ثم تعود إليه مرة أخرى فيصرفها حتى تفطم وليدها ثم تعود إليه مره ثالثة ليُنفذ فيها العقاب ثم يواريها التراب بكل تقدير

واجلال بعد أن ذهبت إلى الخالق البارىء.. هذه هى ثمار الحضارة الاسلامية وهذا هو الانسان المسلم.

الاسلام شريعة:

تبعاً لما وصل إليه الغرب نتيجة اسباب تاريخية من فصل الدين عن الدولة وحصره فى العبادات وما سمى بالاحوال الشخصية تضمنت معظم دساتير الدول العربية هذا المبدأ مع ذكر ان الاسلام هو دين الدولة وان الشريعة الاسلامية مصدر من مصادر التشريع وليس المصدر الوحيد للتشريع لهذا كانت عبارة (الاسلام عقيدة وشريعة) التى وردت فى الميثاق اليمنى تعنى ان الشريعة الاسلامية فى الجمهورية العربية اليمنية لا تنحصر فى نطاق الاحوال الشخصية فقط بل انها تمثل المصدر الاول والوحيد للتشريع فى بلادنا وان الاسلام هو دين البلاد ودستورها ومنهج حياتها.

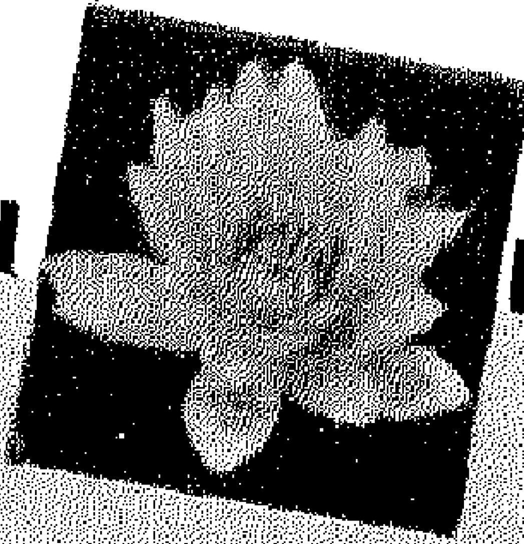
إن تجسيد مبدأ الاسلام عقيدة وشريعة يستدعى **شجاعة تشريعية كبيرة ومجهوداً فكرياً اكبر وتحديد موقف من قضايا اساسية وهامة هى:**

١ ـ موقف الدولة من المذاهب الفقهية والاحكام المستنبطة عن طريق الاجتهاد العقلى والطريقة التقليدية القديمة فى الافتاء والتشريع بالنظر إلى الاحكام الشرعية الجزئية دون النظر إلى التشريع الاسلامى ككل مكون فى القرآن والسنة الصحيحة.

٢ ـ موقف الدولة من الاحزاب والجماعات الدينية وجدية عملها واستخدامها واستخدام رأيها وفكرها البناء فى نشر ما يتفق والشريعة ثم سياسة الدولة المدروسة والهادفة إلى تحرير الشعب من الجهل الدينى ومحاربة الرجعيين والمتاجرة بالدين.

٣ ـ تحديد موقف الدولة من قوانين الدول الأخرى والتى اصبحت جزءاً من الدستور والقوانين.

٤ ـ تحديد موقف الدولة من الآراء الهادفة الى عزل المرأة عن الحياة العامة رغم مخالفة هذه الدعوة لما جاء فى القرآن اسوة بما كان عليه حال المسلمات فى حياة الرسول ﴿ﷺ﴾.. وذلك لما للمرأة ومساهمتها فى الحياة العامة والخاصة والتنمية من آثار عظيمة ملخصها قول الشاعر (الأم مدرسة إذا اعددتها اعددت شعباً طيب الأعراق).



أجد نفسى فى حاجة لأن اكتب فى أول تجربتى مع «المنهل» تقريرا وافيا عن جدوى كتاباتى.. ولو نبذه قصيره لأقدم من خلالها أول حروف اليها.. وقد نقشتها بقلمى.. بمعاناتى.. بصدقى.. واحساسى.. ولست بعد فى مستوى اولئك الكتاب الذين ينقشون نبذة عن حياتهم على اغلفة كتبهم.. فما الحل..؟

فى هذه الحالة.. ساتراجع واتخاذل.. رغما عنى.. بل رغما عن قلم تمخض طرى.. يبحث عن النور.. ويشق الارض باقدام مرتعشه.

ولكنى سأحاول.. سأحرص على اناملى من الظلام وفى الوقت نفسه أحرص على قلمى من الضياع فى سور الاستعطاف.

ويكفى أن أجسد فى مجلة «المنهل» اعترافاً حقيقيا بقلم الانثى.. ينصهر فى ثلاث كلمات «النساء شقائق الرجال».. لأخط خطاً واثقة اليها.. راجيه أن يكون لقلمى صدرا رحبا هناك.. يستقبل تجاربه.. ويصقل ريشته.. وبعد أن افرغ روعى.. اقدم نفسى صديقة قديمة جدا.. جدا للمنهل.. واقدم تمنياتى لمجلة المنهل.. بمستقبل مشرق دائم.

وفاء الطيب

« هن »

اهلا بك حادية ركب يستظل بفيئك شداة الكلمة الطيبة ويستضيىء بمشعلك رفاق الدرب.. واهلا بك فى هن مع اول حروفك ورجع صداك

ونحن وهن نرحب بقلمك الذى انطلاقاته هذا التصوير البديع.. لاتصال الحرف وتوثيق الرسالة.

الدستور الاسلامى:

إن تحقيق مبدأ الاسلام عقيده وشريعة يجب أن يتجسد فى دستور اسلامى يتضمن المبادىء العامة الوارده فى القرآن والسنة الصحيحة والاحكام المنصوص عليها تلك الاحكام الواضحة بمعانيها التى لا اختلاف فيها. . هذه الاحكام والمبادىء السماوية التى لم يتدخل فيها اجتهاد بشرى ولا رأى انسانى والتى لا يجوز المساس بها وتعديلها أو تغييرها وترتفع فى الدوله إلى مرتبة القداسة لانها من عند الله عز وجل.

اما القوانين التى تدعو الضرورة الى تشريعها تلبية للحاجة المتجددة لكل عصر فى الامور التى لا توجد نصوص صريحة تحكمها فإن الضرورة تقتضى تشريع قوانين وضعية لا تتعارض مع المبادىء العامة والاحكام الواردة فى التشريع الإسلامى مستخدمة ما تراه مناسباً من وسائل الاستنباط التى تقرها الشريعة مثل (الاجماع والقياس وفتوى الصحابى، المصالح المرسله. . الخ).

ويرد سؤال: ما هو موقف الدولة من الدراسات والاجتهادات الفقهية القديمة؟.

بالرغم من كل الظروف السياسية والتاريخية والتطرف فى الخروج على النصوص القرآنية وتحميلها ماليس فيها إلا ان علماءنا وفقهاءنا الاعزاء قد قاموا برسالة عظيمة ما كان عصرنا يستطيع ان يطمح إلى ما نطمح إليه لولا مجهوداتهم التى تجلت فى جمع القرآن وتدوين السنة الشريفة وتدقيقها وفصل ما داخلها من تزييف واخراج الصحيح منها وتدوينه. . كما ان الفقه القديم ليس كله فقه رأى إذ أن ما قيل فى الماضى فى نقد الاجتهاد والرأى من نقد ومعارضة يفوق ما يقال الآن فى عصرنا هذا بل ان بعض كبار الائمة ممن ينسب إليهم فقه الرأى قد انكروا لجوءهم إلى القياس فى احاديث معروفة ليس هنا مجال سردها. لهذا فإن موقف الشرع من هذه الدراسات هو موقف التبجيل والاحترام للعلم الذى ينتهى كمراجع للدارسين والباحثين.

أما عن الفتوى فهى من اختصاص دار الافتاء بناء على موسوعات مدونة فيها كل الاحكام الاسلامية القرآنية والمشروحه والموسعة فى السنة الصحيحة أما الحالات غير المنصوص عليها فى الموسوعة فعلى المفتى ان يمتنع عن الافتاء فيها عملا بقوله عليه الصلاة والسلام (ذرونى ما تركتكم. انما هلك من كان قبلكم بكثرة السؤال واختلافهم على انبيائهم فإذا امرتكم بشىء فأتو منه ما استطعتم وان نهيتكم عن شىء فدعوه) ومن هذا يتضح عدم جواز الاخذ بالآراء الاجتهادية للافتاء بها لم يأمر أو ينهى عنه الرسول ﴿ﷺ﴾.

واخيراً ان الاجيال السابقة قد قامت بأعمال جليلة فى جمع القرآن وحفظه وتدوين السنة وتنقيتها من الشوائب وتدوين الصحيح منها ورسالة عصرنا هى اظهار المبادىء العامة والخاصة التى يذخر بها القرآن والسنة وتطهير الشريعة الاسلامية مما علق بها من الشوائب وتوحيد المسلمين بعد أن تمزقوا الى مذاهب وطرق. . ان اظهار الاسلام كمنهاج كامل للحياة أساسه بناء الانسان على اسس قويمة لمنطلق جديد للحضارة الاسلامية التى طمستها الرجعيه وشوهها الجمود وبعثرتها التفرقة والتمزق.

والعودة الى الشريعة فى بساطتها ونقائها هى عودة إلى العزة والكرامة والطمأنينه وصدق رسول الله ﴿ﷺ﴾ حيث يقول:

(لا زلتم منصورين على اعدائكم ما دمتم متمسكين بسنتى فإن خرجتم عن سنتى سلط الله عليكم من اعدائكم من يخيفكم فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتى).

حوار حول الأدب النسائي

● **الأديبة سكينة فؤاد واحدة من أديبات قلائل على المستوى الجيلي.. كيف ترى الأدب النسوى منذ بواكيره..؟**

بداية، أرفض كلمة أدب نسوى إما أدب أو لا أدب. فالأدب ليس له جنس له مستوى، وفكر وممكن ان نطل على قضية المرأة من خلال الابحاث الاجتماعية أما الاطلالة عليها من خلال الادب النسوى فاعتقد انها غير مناسبة وليست فى صالح المرأة، وهذا لا يعنى عدم وجود كتابات للمرأة ولكن ارتبطت الكتابة بالمستوى المتاح من الفكر والثقافة عموما فى المجتمع، لذلك وجدت المرأة الأديبة والمتأدبة والشاعرة والكاتبة فى عصور الازدهار الفكرى العربى الاسلامى بينما اختفت اسماء النساء المتحدثات أو قارضات أو قارئات الشعر فى عصور التخلف رأينا اسم سكينة بنت الحسين والخنساء فى عصور الازدهار فارتباط عطاء المرأة مع الحضارة.

واريد ان ادافع عن ان الجذور الفكرية الحقيقية هى التى اوجدت فى حضارتنا الاصيلة مكانة المرأة، اما فى التخلف فاختفى فكر المرأة.

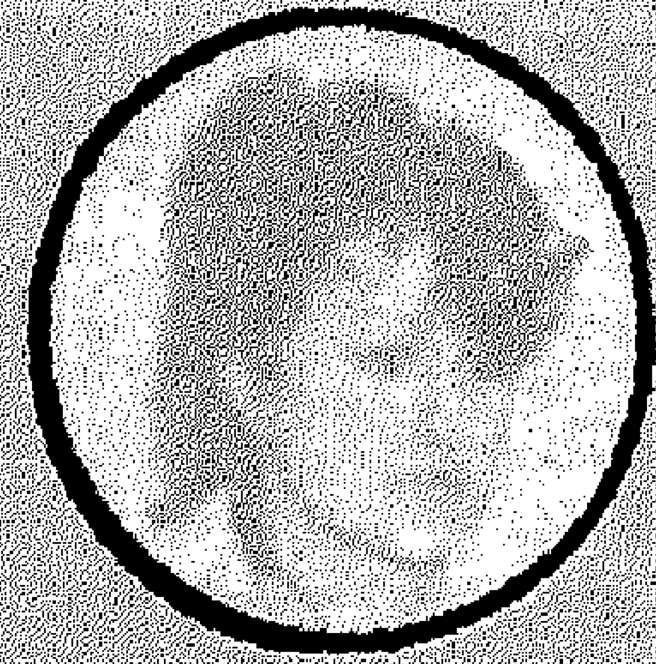
اما عندما حوربت فى ثقافتها فلم تستطع العطاء الادبى الذى من الممكن ان يشكل تيارا، فالتعبير النسائى ارتبط بالحضارة، فلا نظلم المرأة ونقيسها على الابداع بقدرتها، ولكن بالظروف التى اتيحت، ورغم ذلك فهناك عائشة التيمورية، مى زيادة، ملك حفنى ناصف، سهير القلماوى، نوال السعداوى، نازك الملائكة، ملك عبد العزيز، جاذبية صدقى وغيرهن الكثيرات، ورغم هذا فذلك لا يمثل كما كافيا بالنسبة لعدد النساء فى الشرق.

● **هل يمكن اطلاق كلمة ادب نسائى على ما تكتبه النساء ام ان فى ذلك نظرة محدودة لهذا الادب؟.**

من المؤكد ان فى ذلك نظرة محدودة ومحدودة جدا. اريد ان ابحث فى سر التسمية من اين هى

قادمة؟

من أن القلم الـذى أمسكه واكتب به قلم نسائى ام ان المشكلة المطروحة مشكلة نسائية؟ إذا كان حسب القياس الاول بسبب القلم الذى امسكه فهل اذا مسك القلم رجل نقول: ادب رجالى.. وإذا كان حسب القياس الثانى وهو تسمية الادب حسب المشكلة المطروحة فماذا نسمى ما كتبه الرجال من ادب ومن قصص وروايات كلها عن عالم المرأة.. ؟ إلا تصبح ايضا ادبا نسائيا؟ جوهر المشكلة هو انه بالمقاييس الفنية تختلف عما تكتبه المرأة.. المقاييس والشروط الفنية واحدة بين الجنسين فهى تتسع لتشمل الكون بكل اطرافه. اما إذا ضاقت النظرة وتعصبت فهى نظرة يطلق عليها ادب او فن



سكينة فؤاد إحدى كاتبات القصة فى مصر، صدر لها حتى الآن (محاكمة السيدة س) (١٩٧٥) ملف قضية حب (١٩٧٧) ليلة القبض على فاطمة (١٩٨٠) دوائر الحب والرعب (١٩٨٣) وهى تعمل بالصحافة منذ أكثر من عشرين عاما بعد حصولها على ليسانس صحافة، وموقعها الآن مدير تحرير مجلة الاذاعة والتلفزيون فى مصر وكان معها هذا الحوار حول الكتابة والابداع النسائيين.

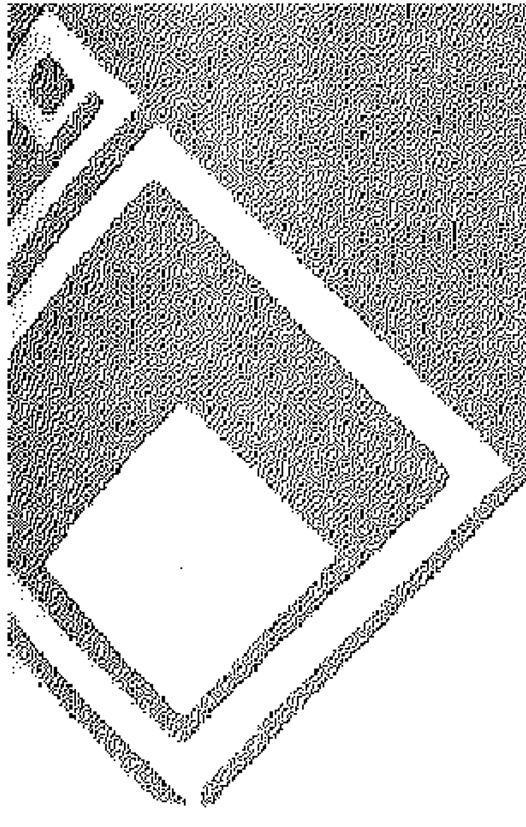
تجاوزا لان الفن الحقيقى ارحب فى النظرة وفى الرؤية وفى عمق التناول بحيث يرى اولا الانسان.. رجلا كان او امرأة انسانا اولا واخيرا..

● **لماذا لا يبرز تأثير الكتابة النسائية على المستوى الابداعى وكيف يمكن تشجيع المواهب الناشئة التى ترزح تحت قيود شتى منها نظرة المجتمعات العربية للنساء ومن ثم إحجام كثير من الكاتبات عن المشاركة المؤثرة. ما هى اسباب ذلك بعيدا عن تلك النظرة؟.**

لقد تضمن السؤال جزءا هاما من الاجابة، وهى هذه الرواسب النفسية والفكرية التى ترسبت عبر سنوات طويلة ـ وتحولت الى قيود تشل الانسان وتشل الابداع الحقيقى، ليس فى مجال الادب فقط وانما فى جميع المجالات الابداعية والعلمية والامور الحياتية. كلها مكبلة بمخاوف ومعتقدات وتقاليد بالية، الكارثة انها لا علاقة لها بجذورنا الحقيقية وانما ترتبط بعصور التخلف.

● **هل تكتب النساء للنساء لأن كل ما تؤكد عليه القراءة النسائية هو ان للمرأة ـ اسوة بغيرها ـ حقها الخاص فى استخلاص معان جديدة من النصوص ذاتها؟.**

إذا توجهت للمرأة وقضاياها ومشكلات المجتمع فهذه قضايا اجتماعية ولكن الادب شىء مختلف تماما، الادب توجه كلى لقضية كلية يصدر عن موقف ويجب ان تملك الكاتبة موقفا ورؤية وقضية ولا يعيبها ان تكون القضية هى



المرأة ولكن كيف تتناولها. وبالنسبة لموقفي فأنا اعنى واهتم بهموم الانسان عموما رجلا وامرأة فالحياة هى حاصل جمع الاثنين وهى ليست المرأة وحدها ولا الرجل وحده، وتوجهى دائما إلى ازمة ولحظة مأزومة يعيشها الاثنان وتودى بهما رغم ما قد يتوفر من رغبات السعادة - الى الاحباط الكامل ثم لا تنس ان عالم المرأة لم يعد بعيدا عن عالم الرجل فقد كان - الى منتصف القرن - معزولا عن الرجل. . للمرأة نوعية من المشكلات تختلف عما هى عليه الآن.

لقد ذابت الحدود الفاصلة وزحفت المشكلات التى يعانيها الرجل على عالم المرأة، وزحفت المشكلات التى تعانيها المرأة على عالم الرجل.

● **تقول فيرجينيا وولف. . ما تكتبه المرأة هو دائما نسائى لا يمكنه إلا ان يكون نسائيا وفى احسن حالاته يكون نسائيا على اكمل وجه ولكن الصعوبة الوحيدة تكمن فى تعريف ما نعنيه بكلمة نسائى. . فما هو تعقيب سكينة فؤاد على ذلك الرأى؟.**

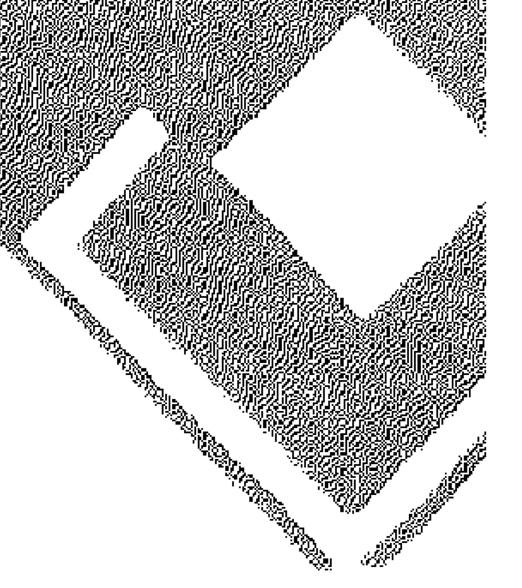
من المؤكد عندما تكتب المرأة تكون كاتبة ايضا، فإذا كانت كاتبة مطبوعة وليست مصنوعة اى تنطلق من ذات حقيقية فى الفن والفكر ستعبر تعبيرا يحمل بصماتها، ومن المؤكد ان التعبير النسائى يختلف عن تعبير الرجل. كما انه من المؤكد انه عندما يكتب كاتبان من الرجال عن مشكلة واحدة سيختلف الاثنان، لان النوع الانسانى امام الموقف الواحد سيختلف. فما بالك لو اختلف النوع. ما قصدته حين رفضت (ادب نسائى) هو رفض الادب الذى يحصر نفسه ويتعصب داخل فكرة وحدود ضيقة او يعبر بمستويات فنية لا تتوفر لها الشروط والاجادة فى الفن ولكن لا يمكن الخلاف فى انه يجب ان تكون لكل كاتب بصماته الخاصة والذاتية.

فمن الطبيعى ان تحمل الكاتبة بصماتها، وفى الرجال يختلف كل كاتب عن الآخر فمن الاشياء المدهشة فى تقييم ادب المرأة انها تقتحم عالما خاصا بالرجال فى امور الحياة واعتقد انها امور واحدة وغير مقصورة على الرجل وحده. . حس الفنان وقوة استشعاره وحواسه التى تتعدى قدرات الحواس العادية تجعله قادرا على استشفاف واستبصار اى عالم وهذا ما يصنع البصمة سواء لرجل او امرأة.

● **هل هناك لغة نسائية مناسبة بمعنى لغة نسائية تصلح للفكر والتنظير. . ؟**

هناك لغة انسانية ينضوى تحت لوائها الكاتب أو الكاتبة بعدها يملك ما يمتلك من لغة. . هذا هو العمق فى القدرة على ادراك ما تحت السطح الانسانى بعد هذا لا يهمنى ولا يعنينى لغة نسائية أو رجالية.

هناك لغة انسانية وفنية إذا ضمنت سلامتها، وبالنسبة لى اعرف سر الغرابة بينى وبين اللغة احس ان موسيقى اللغة سر من الاسرار الذى اعرفه ولا استطيع تفسيره، واعتمد فى ضبط اللغة وتشكيلها واعرابها على الموسيقى رغم اننى كثيرا لا استطيع تفسير القاعدة، وارى ان الجملة الجميلة هى التى تصنع بداخلى كثافة الاحساس وارى ان اللغة كما هى اداة تواصل فهى ايضا تصبح اداة تنافر



● يقول احد النقاد الغربيين وهو (تيودور رايك) ان الكاتبات بين النساء اقل من الكتاب بين الرجال وان السبب فى ذلك هو ان اجسام النساء مكونة بطريقة تسهل الانفراج النفسى فما رد سكينة فؤاد على هذا القول؟

من اين له هذا الاكتشاف فى ان النساء مكونات بطريقة تسهل لهن الانفراج النفسى؟ وإذا كان هذا حقيقيا فما هو سر هذا العذاب النفسى؟ كنت ارجو ان يكون المطروح فى السؤال حقيقيا، واتفق مع الجزء الاول ان النساء اقل من الرجال.

والاسباب التاريخية والميراث الذى حملته المرأة والمسؤوليات والتخلف الذى حكم عليها به يغنى عن اى تفسير وعن اى دفاع عن قضية المرأة ككاتبة واريد ان اعدل الجزء الثانى فارى ان المرأة قد تستغنى عن الابداع على الورق بالابداع على صفحة الحياة فإذا كان الرجل قد اكتفى بانجاب بنات الفكر فقد انجبت هى بناته واولاده.

● الأدب كيان موحد لا يعرف التفرقة والتعنصر..

● الأديب يهتم ويعنى بهموم الانسان عموما، والحياة حاصل جمع الرجل والمرأة على السواء

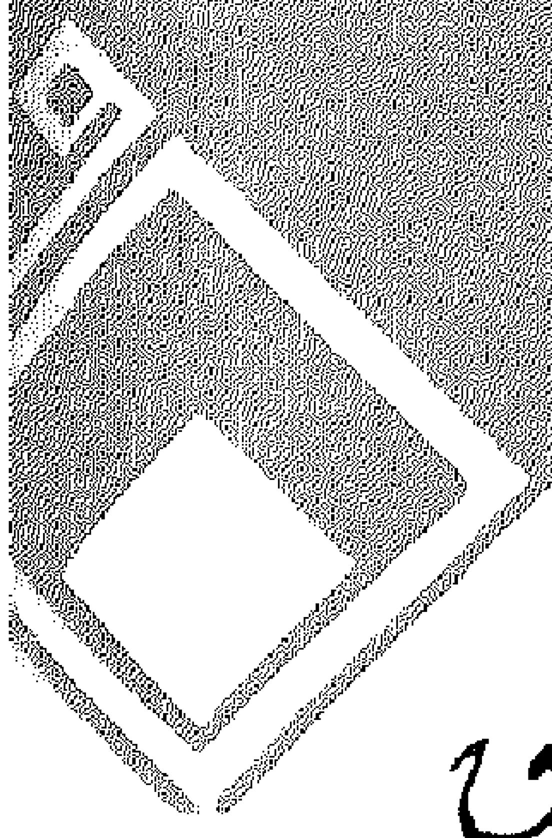
● الحرية التى نسعى اليها هى الحرية الملتزمة القادرة على صنع الخير وطبع الفضيلة فى جدار النفس الانسانية

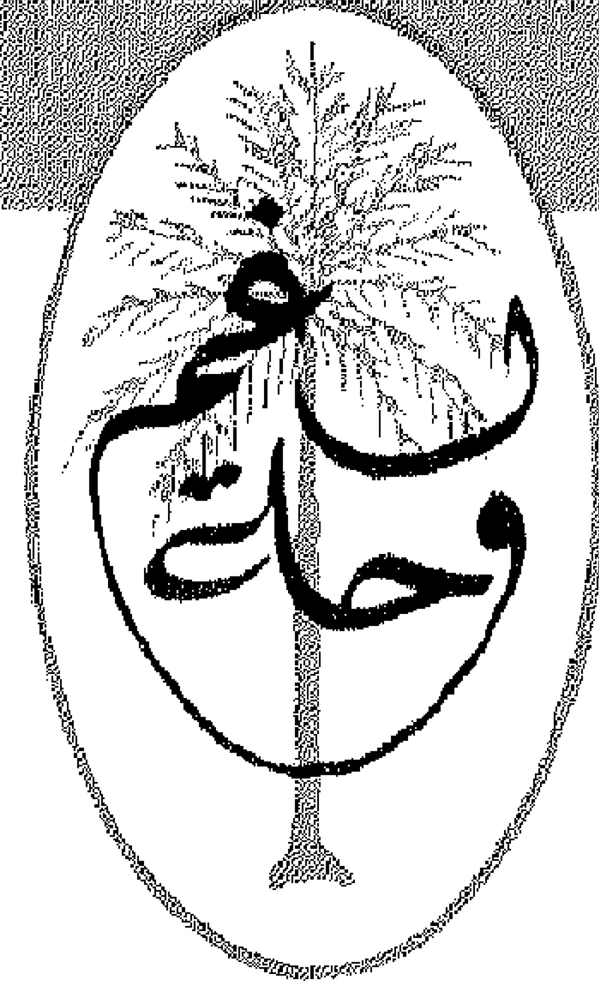
● نلمس فى اعمال سكينة فؤاد ـ وعلى سبيل المثال مجموعة (ملف قضية حب) ـ توقا الى الحرية المطلقة فهل لهذا التوق انعكاسات سببتها النظرة العربية للمرأة ام ان قلق الكاتبة يختلف عن قلق الكاتب ولو على المستوى البيولوجى؟.

رأيى ان الوجود بلا حرية لا وجود على الاطلاق وان الانسان ليس حيوانا ناطقا فما اكثر الحيوانات الناطقة التى تفوقها الحيوانات غير الناطقة فى المرتبة ولكن الانسان فى الاصل حيوان حر.

إذا لم يعط الانسان حريته سلب كل وجوده ولم يعد هناك اى شىء، الحرية تعنى قدرة الاختيار والموقف من منطلق انسانى لان الاحباط مصاب به الرجل والمرأة على السواء والتعاسة واضحة على جبين المجتمعات الشرقية، والحرية التى اسعى إليها واتوق واقصد هى الحرية الملتزمة القادرة على ان تصنع كل شىء كما يجب ان يصنع وان يصبح الجد والجدية عميقة والترفيه والسعادة عميقة ايضا لان الحرية الحقيقية ضائعة منا فلا العمل جاداً ولا السعادة والترفيه والاشياء الصغيرة التى يتكون فيها عالم الانسان الحقيقى موجودة.

الحرية ان تملك وجودك وتؤديه افضل اداء وتأخذ ما تريد وتعطى ما يجب ان يعطى، ونحن لا نأخذ ولا نعطى كما يجب ان يكون الاخذ والعطاء.. الحرية هى الكلمة والتوق الاول الذى اتوق اليه.. اسعى إلى الحرية الانسانية الآخذة والمعطية.





تكتبها: عصمت صادق

أبكيك يا قدسي

بكيتك وما بكيت نفسي
بكيتك حتى مات همسي
بكيت حتى ذبل ريشي
ابكيك لانى اعرف ما يفعله بك البعد والتأسي
بات حال يومى كأمسى . .
اذ لم يعد هناك ضياء لإشراقة شمس
ولم تعد هناك فرحة تقتل بؤسى .
بل ضاع املى . . ضاع حلمى . . وظللنى يأسى .
بكيتك وما بكيت نفسي
بكيتك حتى تصدع رأسى
بكيت حتى تبخرت آخر قطرة من كأسى
ابكيك لانى أرى ما يفعله بك شرذمة من الناس .
عاثوا فى حرمك فساداً ولوثوا طهارته بالخبث .
مزقوا كتبا اعتلت ارففك وعرضوها للضياع والدهس .
ابكيك وما ابكى نفسى
فمتى يكون لقاؤنا يا قدسى؟
لأضع عقدا من الورود على رأسى
وازرع ارضا حرثتها بفأس

أقوال

ـ من عجائب القدر ان يحمل فى جعبته من المفارقات ما يعجز الانسان عن تصديقها .

ـ ومن عجائب الزمان انه يدفع بنا الى نهايات مجهولة نصل اليها ونحن لا نملك القدرة على تغييرها .

ـ لكل شيء نهاية . . ولقدرة الانسان على التحمل نهاية .

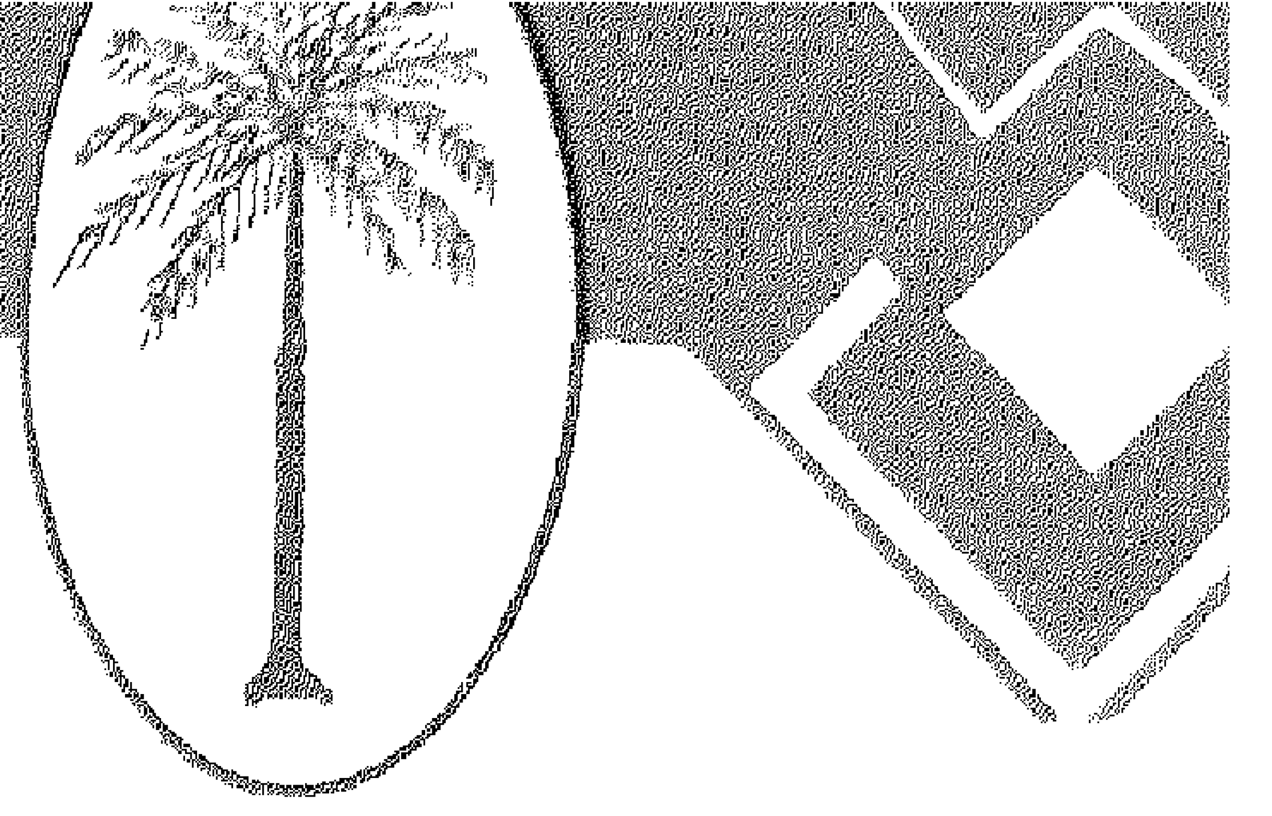
لذا نجد ان هناك من يستطيع الصمود امام تيار من الآلام دون ان ينبس ببنت شفه .

ونجد ان هناك من يعيش عالما من الاحلام لا يستطيع تحمل نتائج غلطاته . . دائما فى تذمر . . لا يدرى ماذا يريد . . ولا يعرف لنفسه طريقاً . .

ـ قد تبذل كل ما فى وسعك لخدمة شخص ما . . وقد تضحى بمعظم ما تملك لإسعاده . . ولكن فى لحظة غادرة . . قد يحطم هذا الشخص كل شيء ويوجه لك طعنة فى صميم مشاعرك دون ان تستطيع الرد عليه . . ودون ان تستطيع استيعاب ما حصل . . فتأخذك الدهشة والخيبة . . لان تقديراتك كانت خاطئة .

ـ ليس المهم ان نحصل على ما نريد . . ولكن المهم ان نحاول المرات تلو المرات لتغيير الظروف التى منعتنا من ان نحقق امانينا .

ـ ليس المهم ان تكون نهاية كل جهد ايجابية . . ولكن المهم ان تكون جهودنا مخلصة وكله يكون بتيسير القدير . وليس من اعتراض للبشر.



قريتي

قريتي . . . ما زلت اذكر شوارعك الضيقة ومنازلك الصغيرة وحدائقك البهية.

مازلت اذكر شعارات الصبيان وهتافات الاطفال الفرحة عند قدوم العيد.

مازالت اذكر واذكر وكلما تذكرت تتحرك في نفسي مشاعر شتى.

مازالت رائحة ترابك الندى تعبق انفى وهواؤك البارد النقي يلفح وجهي.

اشعر بغصة في حلقي كمن يودع الحياة.. فبعدى عنك موت بطيء.. وقربى منك حياة وهناء.

- قريتي اتذكرين؟؟ اتذكرى عندما كنت ألهو بين ازهار الحديقة.. اركض كفراشة رقيقة.. اتعثر بالعشب الاخضر.. فيتسخ فستاني فتوبخني والدتي.



وعندما يحل الشتاء نجمع الحطب ونوقد الموقد ونلتف حوله نستمع لصوت الرياح بصمت قدسي وكأننا نستمع إلى انشودة حزينة.

اتذكرى ذاك الفتى اليافع الذى كان يتجول في حارتنا وكلما خرجت لأجمع زهور الصباح اخذ يرمقني بنظرات غريبة وكأنه يود أن يقول شيئا.

ولما مرضت وانقطعت عن جمع الزهور.. اخذ يعزف بنايه قرب نافذتي ويضع لي وردة حمراء واسطر شوق كل صباح.

مرت بنا لحظات سعيدة لا تنسى.. وقضينا فترة الخطوبة كأسعد عاشقين.

اتذكرى يا قريتي الحبيبة كل هذا ام انك نسيتي.. وتقدم بك العمر ولم تعودى تذكرى سوى الحزن والالم؟.

سأظل أذكرك ولن أسمح للصدأ بأن يتسرب إلى ذاكرتك.

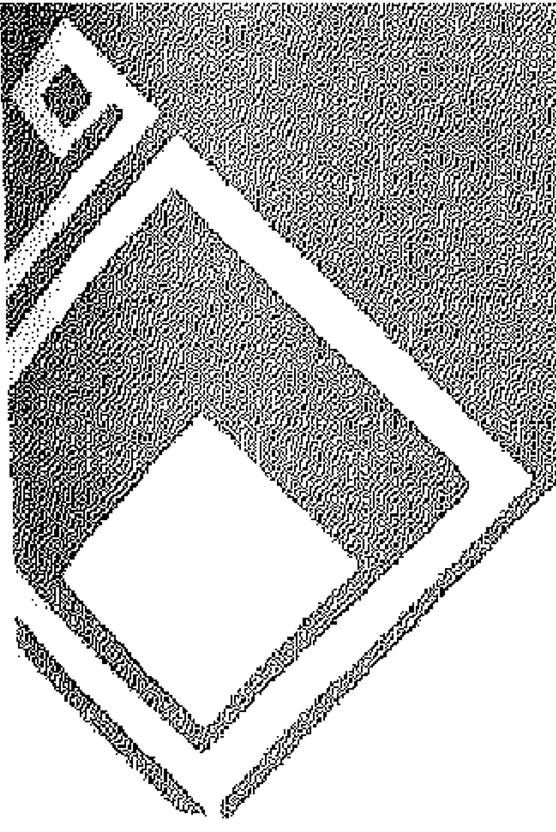
مازلت اذكر تلك القبعة المخملية الوردية التي اهداها لي زوجي في اول عيد لزواجنا.. انها ما تزال معي في خزانة ثيابي رغم مرور عشرين عاما عليها فهي ما تزال جديدة ورائحة عطري تفوح منها..

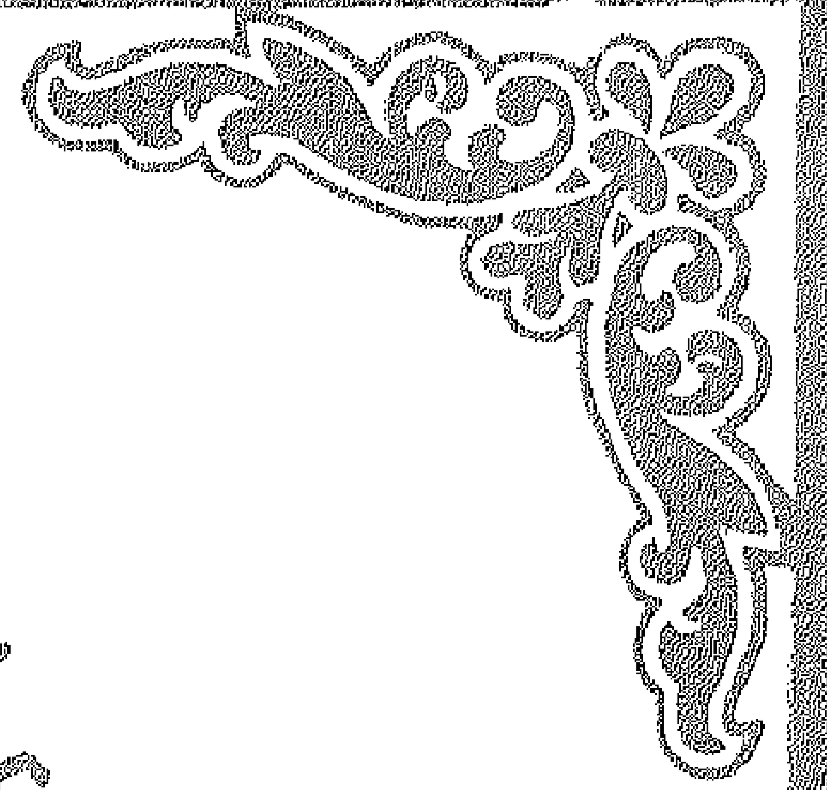
اليس كذلك يا عزيزي؟؟

أوه.. يبدو ان النعاس قد تسرب اليك وانا كعادتي اثرثر كل مساء ولا أمل من استرجاع ذكرياتي.

إذن استودعك الله يا قريتي فها هو زوجي قد نام إذ أن للسن أحكاماً وخاصة في فصل الشتاء يتدثر بالاغطية ويتظاهر بانه يستمع إليَّ بينما هو قد غط في سبات عميق..

فالى اللقاء يا قريتي كالعادة كل مساء..





بمناسبة حصول الدكتورة سميرة اسلام على درجة الأستاذية فى العلوم

شعر د. مريم البغدادى

جاءتْ تَبَخْتَرُ فى جميلِ خُطَاها
وسنا العيونِ رسالةٌ لصباها
تختالُ فى أفْيَائنا مثل الرَّشَا
يا حُسْنَها والعلمُ من أسراها
يتجاذبُ الأطرافَ منها، والهوى
يخطو يسابقُ فى الغرام خُطَاها
وَدَنا يُغازِلُ فى اللَّيالى قَلْبَها
ودنا يُقَبِّلُ فى النهار الْفَاها
أمِنَ الْعُلومِ مفاتنٌ تسبى النُّهَى
ومن المعارف جرعةٌ لِنُهَاها
كتبتْ رموشُ العلمِ سطرا نَيِّرا
وعلى الْخدودِ تخطُّهُ يُمْنَاها
ليس الجمالُ بأحمر أو أخضر
إنَّ الخدودَ جمالُها بصفاها
والعلمُ حُسْنٌ لا يُضَاهَى حُسْنُهُ
والْحُسْنُ عند نسائِنا تَقْوَاها
والنَّفْسَ طفلٌ إنْ أسأْتَ قِيادَها
خَبُثَتْ وأفْلَحَ قائدٌ زكَّاها

شمسٌ سميرةُ فى سماءِ بناتنا
وغدتْ بإسلامٍ تجوبُ رُبَاها
هاتى يَدَيْكِ أيا سميرةُ سطِّرى
فوقَ الْخُلودِ كتابةً نَهْوَاها
رُدِّىْ إلينا عَهْدَ عائشةَ التى
جاءتْ بذكرِ نبيِّنا ذكراها
إنِّى وضعتُ على جبينِكِ مُنْيَتِى
حتى تحقق فى العلومِ مُناها
هذى نسائى فى بلادى نخبة
أقلامُها هَتَفَتْ نصون حماها
بنتَ الجزيرةِ عِشْتِ فى نورِ التُّقَى
والعلمُ يهتف قد رَعَيْتُ خُطَاها
كتبَ الزمانُ على رمالِ جزيرتى
أطوارها وحواضر وقراها
قد عادت الخنساء خولة أختها
وتلثَّمتْ بعلومها أسماها
يا حادى العيس الأصيلة حيِّها
هذى النساء فقهدُها حيَّاه

وحَبَا الجميعَ كرامة وعناية
حتى تُثَبِّتَ في الخُلودِ خطاها
فَتَحَ المدارسَ والمعاهدَ وانْثَنَى
ليُرَكِّزَ البَحْثَ الأصيلَ وباهى
قد قال فهد: يا نساء نصيركم
أنا مَنْ يُحِبُّ نساءَهُ يرعاها
ولذا أختي: لا تظلمنَّ وراءها
فمسيرةُ العلياء في مَسْراها

أمٌّ وأختٌ ثم زوجٌ صالحٌ
لا تُذبلنَّ زهورَها وشَذَاها
زهراتنا فتياتنا بقلوبنا
فاحفظ نسائي من بغيض شقاها
ثِقْ باللَّواتي في العلومِ تقدَّمَتْ
بل فاقت الشُّبانَ في عَلْيَاها
إنِّي أُحَيِّيَ في القصيد حمائما
تشدو المعارفَ والسِّماكُ رجاها
نَجْمُ العلوم مرامها تهفو له
سربالها منه جميل غطاها
تتوشَّحُ التَّقوَى فجلَّ وشاحُها
وشريعةُ الاسلامِ عطرُ شَذَاها

حيُّوا معي هذي النساء تَجِلَّةً
وسميرة الإسلام دام سناها
وكذلك فاطمةَ النَّصيفِ كريمةً
ربِّي يُسَدِّدُ في النعيم خُطَاها
فإذا افْتَقَدْتُكِ في الادارة فجأة

مازلت لبناتي ربيع هناها
لا تقلقي. فرجاء ترعى عَهْدَنا
ارجو العدالةَ أنْ يكون جناها

ارجو توفُّقَ في إدارة قِسْمِنا
حتى تُحقِّقَ في النَّجاحِ رَجَاها
طُوْبَى لمن يرعى المصالحَ خَشْيَةً
من رَّبنا طُوْبَى لمن يرعاها
يا ربِّ واحفظ للمليك هدايةً
يمشي بها يسعى إلى دنياها
حتى يَعُمَّ الخيرُ في أوطاننا
بمسيرةِ التَّقْوَى لنُرْضِي الله
يا أيُّها الحفلُ الكريمُ تَيقَّنُوا
أن الحضارة في سلوكِ فتاها
ليس الحضارةُ في جميل ثيابنا
ليس الحضارةُ في ارتفاع بناها
ليس الحضارةُ شركةٌ أو أسهمٌ
وجواهراً بجمالها نتباهى
أو حفلةً أو سهرةً أو رحلةً
للغَرْبِ يا بؤسَ الذي يهواها
لا ليس هذا من صميمِ حضارتي
إنَّ الحضارةَ في سُمُوِّ جناها
إنَّ الحضارةَ في رُقِيِّ سُلُوْكِنا
إنَّ الحضارةَ في كريمِ عطاها
إنَّ الحضارةَ في صفاء نفوسنا
بمحبَّةٍ وسماحةٍ نلقاها
إنَّ الحضارةَ في جهادِ عَدوِّنا
نتحمَّلُ الأعباء بل أقساها
هي غايةُ العظماء يا أهلَ النُّهى
هَيَّا إليْهَا نستبحه حماها
هذا الرقيُّ فسابقوا لِصُعُودِهِ
لتكونَ أرضُ سُمُوِّنَا كساها
وادعوا معي يارَبِّ كُنْ لنسائنا
سندا وسدِّدْ للنجاح خطاها

فلسفة الحب

عند فروم و(ابن حزم) وأوفيد

بقلم : سلوى العناني

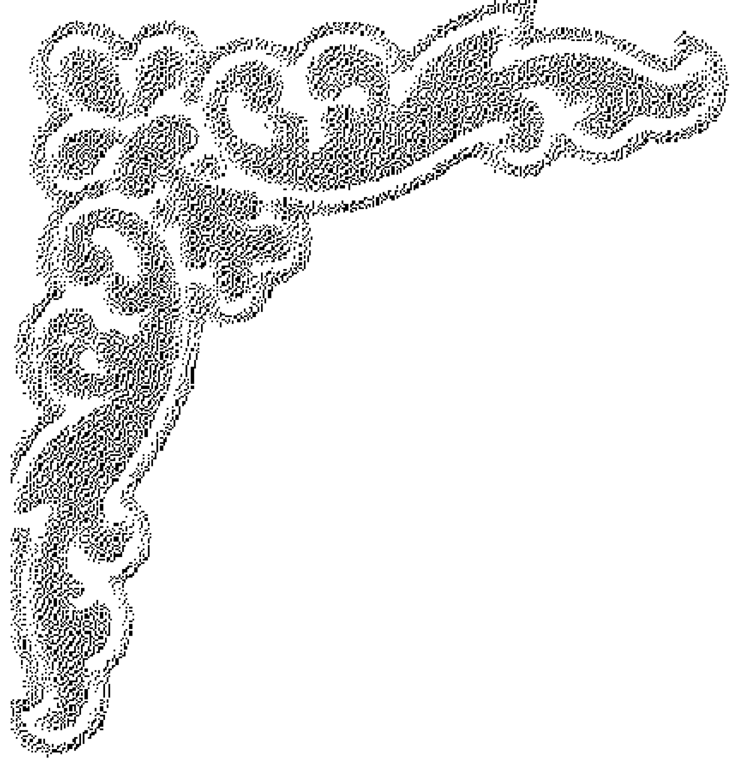
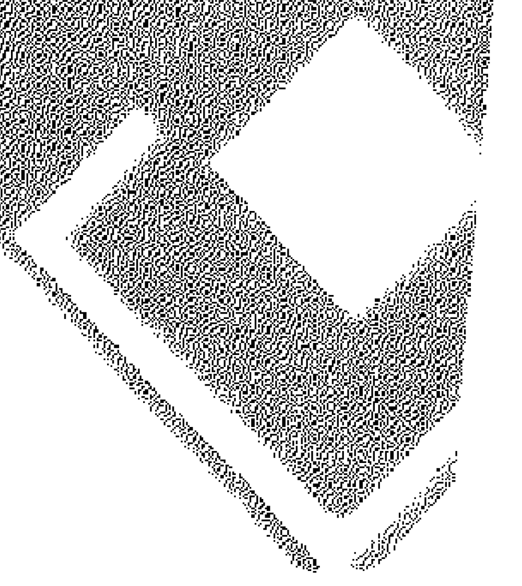
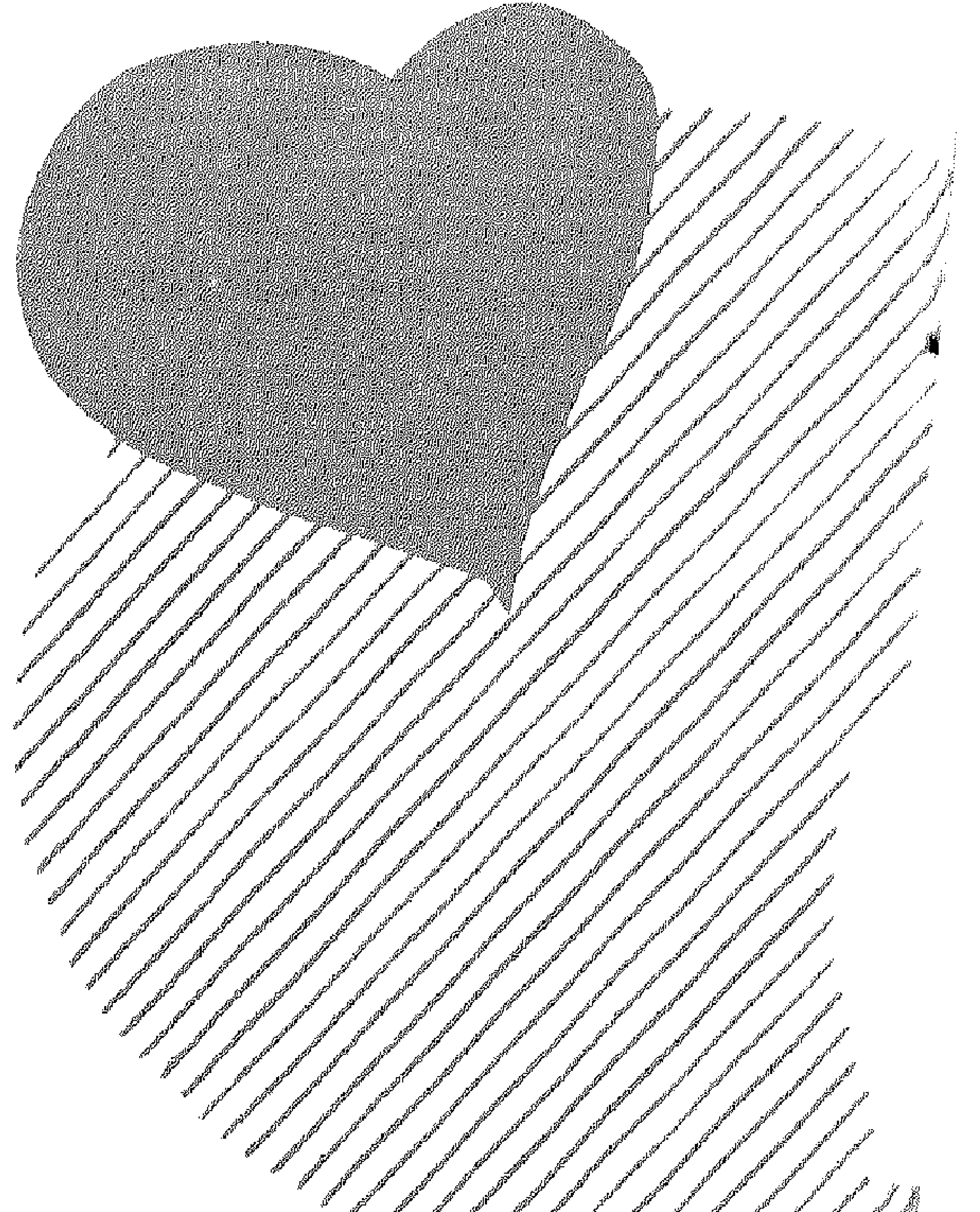
أوفيد ووصاياه فى الحب

هذا الكتاب عن الحب عمره هو عدد السنوات الميلادية فقد كتبه (بوبليوس أوفيد يوس) فى العام الأول الميلادى ورغم أنه ليس أول كتاب فى هذا الموضوع إلا أنه قد يكون من أشهرها جميعا.

وعندما تتصفح رائعة «أوفيد» «فن الهوى» سترى نفسك فتى رومانيا ممشوق القوام يلتف بثيابه التقليدية الموشاة يمرح بين أقرانه فى الساحة الكبيرة فى يوم من أيام أعيادهم المتعددة التى ورثها هؤلاء الرومان من اليونانيين جيرانهم الآخرين أو صنعوها من خيالهم الخصب ثم جعلوها تتعايش كما يتعايش البشر وتتزوج وتنجب وتتشاجر ويخون بعضها بعضا. بل ويسخر أغلبهم من هذه المثل العليا التى صنعها الإنسان أثناء بحثه عن الفضيلة والقيمة العليا.

وأوفيد فى كتابه هذا والذى يضم ثلاثة كتب جُمعتْ تحت عنوان واحد هو «فن الهوى» يتحدث عن نوع خاص من الحب فهو لا يرى فيه هذه العاطفة الرقيقة بممارستها «الرومانسية» ولا يرى فيه هذا العشق المعذب ولا هذا الوجد القاتل بل هو يراه نوعاً من أنواع الرياضة أو اللعب أو التسلية الاجتماعية.

و«أوفيد» لا يفلسف الأمور ولا يُنظِّرها بل هو يصور مواقف نمطية ويشرح للمتلقى كيف يتصرف إزاءها ويتنبأ بما قد يكون لدى المرأة من انعكاس لتصرفات الرجل ويوازن بين الفرص والمخاطر وبين المزايا والمثالب ويوصى المحب الذكى باتباع بعض الحيل والمناورات كما يحذره من غيرها ضاربا أمثلة بحكايات من الأساطير يسردها فى براعة وإبداع.

عامة الشعب.

وسط هذا الجو العام ظهرت حركة إصلاحية تهدف إلى اشاعة الاستقرار الاجتماعى بتحسين أحوال الشعب واعادة المعايير المثالية إلى المجتمع وقد شجع الامبراطور أوغسطس هذا الاتجاه وان لم يتحمس له أوفيد الذى استعذب حياة اللهو والمرح واللامبالاة مما أغضب عليه الامبراطور فنفاه فى آخر أيامه.

عاش أوفيد حياة لاهية ساعدته عليها حالته المادية المتيسرة وشجعه عليها المجتمع وكتب خلاصة تجاربه هذه وهو فى الأربعين من عمره.. رجل اكتملت رجولته ونضجت تجاربه.. طارحاً وراء ظهره هذه النظرة المثالية المندفعة للحب مبتعداً عن النموذج الاغريقى القدرى فى الحب فكان حبه لهواً ولعبا ومتعة.

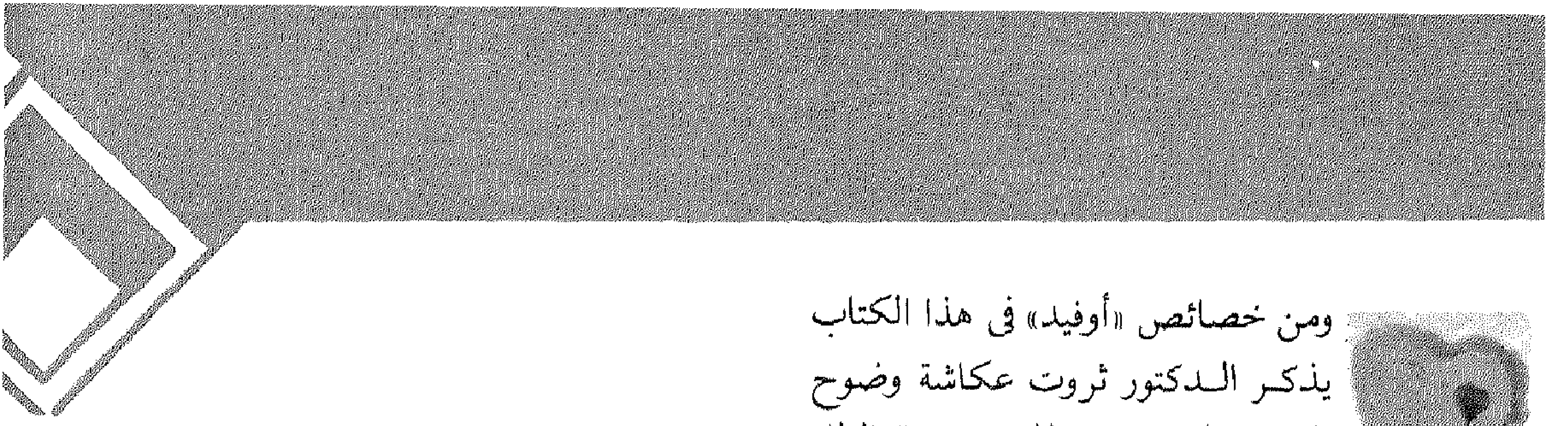
وينقسم «فن الهوى» إلى ثلاثة كتب مستقلة فى الأول يوضح المؤلف كيف يفوز المحب بالمحبوبة التى يريدها مستعينا بالرصيد الهائل من القصص الرومانى حول صراع الآلهة ومغامراتهم الغرامية لتأكيد ما يقدم من تجاربه الخاصه.

●● وفى الكتاب الثانى يلقن أوفيد قارءه كيف يحتفظ بحب فتاته أطول مدة ممكنة مستعينا بذكائه واتزانه.. وهو هنا لم يترك أياً من تفاصيل العلاقة بين الرجل والمرأة إلا وتحدث عنها ابتداءاً من تبادل الهدايا والرسائل وأحاديث الغزل حتى زينة الرجل وحديثه وثقافته.

●● وفى الكتاب الثالث يتوجه بالحديث إلى المرأة فيشرح لها كيف تدفع بالرجل إلى حبها وتحتفظ به ثم يحدثها عن دقائق حياتها ويقدم لها نصائح متعلقة بأمورها الخاصة جداً.

[...]شعار «فن الهوى» ترسم بوضوح صورة الطبقة [...]لمجتمع الرومانى فى سنوات ما قبل الميلاد أو الأوغسطى كما يسميه دارسو التاريخ ولهذا [...]سمات ثقافية واجتماعية تحدث عنها د. ثروت [...]فى مقدمته لهذا الكتاب الذى نقله إلى العربية [...]رقيق دقيق حافظ على شاعرية النص [...]وحساسيته.

فى هذا العصر نمت حركة ثقافية عامة واكبت الاستقرار السياسى والاقتصادى وصاحبت هذا الزهو الحضارة الرومانية فى أنحاء العالم فانطلق فى جو مرح متفتح متلهف إلى الاستمتاع تحقق له السعادة والمتعة إلا أن هذا المناخ أوساط الخاصة قابله فقر شديد ومعاناة لانهزام لدى صغار الفلاحين والبسطاء من



ومن خصائص «أوفيد» في هذا الكتاب يذكر الدكتور ثروت عكاشة وضوح الرؤية والموضوعية والذكاء وخفة الظل والسخرية والثقافة الواسعة وحبه للدعابة وكراهيته للحرب والقسوة وافتتانه بالحياة والمتعة وهيامه بالمرأة مدركاً ما فيها من مفاتن. . ناعياً نواقصها. . كما يتميز أسلوب أوفيد بقدرته على الانتقال من موضوع إلى آخر في لطف ومهارة.

ويرى أوفيد في كتابه هذا أنه أستاذ في فن الحب. . اختارته «فينوس» آلهة الجمال ليكون وصياً على ابنها «وكيوبيد» إله الحب.

لهذا فهو يفتتح كتابه قائلا:

«أنت يامن غاب عنك فن الحب إليك قصيدي، فاقرأ تمسى في الهوى عبقريا فبالحذق تشق السفن العباب سريعة وبه تطوى المركبات الأرض طيا، وكذا الهوى بالحذق يساس».

ورغم السخرية الشديدة الواضحة في كتابات أوفيد بالآلهة وبالقيم والمثل العليا لأي مجتمع إلا أنه كثيرا ما يبدو فارساً نبيلاً حريصا على المبادىء فهو مغامر جرىء لكنه ليس نزلا ولا خائنا.

وأوفيد في أشعاره ينبىء عن عقلية (سيكلوجية) خبيرة عندما يتحدث عن المرأة أو الرجل على حد سواء. .

فيقول عن المرأة «لكن المرأة لا تصمد إذا انساب في أذنيها معسول الغزل، حتى تلك المرأة التي تخالها تتمنّع يمكن أن ترضخ» وفي موضع آخر يقول «الرجل ضعيف يغالب كي يخفي مشاعره والمرأة أقوى في إخفاء رغباتها» وعن طبيعة عصره يقول «العصر يقينا عصر الذهب. . الذهب أو الألقاب هو الفائز بالحب».

وعندما يقف أوفيد موقف المعلم الخبير نراه ينطق بالحكمة وهي يقينا خلاصة تجاربه العريضه. . يقدمها لقارئه في عذوبة وسلاسة من خلال صور جمالية رقيقة.

«والجمال ميزة هشّة تخبو على مر الزمن ويأتي عليه تعاقب السنين فالبنفسج لا يزدهر إلى الأبد والزنبق لا يفتر بالبسمة دوماً والوردة إذ تذبل تخلف الشوك الشائك وعما قريب أيها الشاب الوسيم يكسو الشعر الأشهب رأسك إذن فأبدع لنفسك روحاً مشرقة صنوا لجمالك فهي وحدها تبقى بجوارك حتى ساعتك الأخيرة فوق المحرقة».

●● وهو عندما يدعو الرجل والمرأة إلى الاهتمام بالثقافة يراها مفتاح العقل والقلب معا كما يراها نوعاً من الجمال الدائم فيقول:

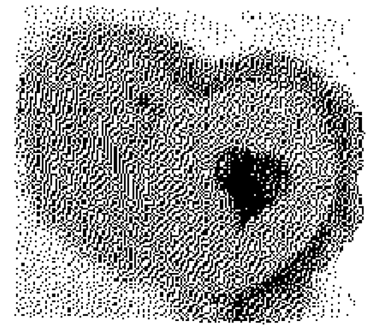
«حذار من الثقة بجمال يغدر بك فيزول عنك ولتحرز في باطنك ما يسمو فوق ظاهرك».

●● وهو ينصح المحب مرة أخرى قائلاً كن على ثقة بأنك لن تحتفظ بحبيبك إن لم تضف هبة العقل إلى ميزات جسدك. والمحب الحق عند أوفيد فارس شجاع لا يعرف الجبن ولا التراجع «الحب حرب فابتعدوا أيها الضعاف المتقاعسون».

●● ومن أطرف ما جاء في كتاب أوفيد عن الحب هذه النصائح التي كتبها للرجل والمرأة حول الزينة والتزين ومن الغريب أنها ما زالت صالحة حتى أيامنا هذه يرددها أخصائيو التجميل للجنسين فيقول للرجل:

«الأحرى بالرجل ألا يغالي في زينته. . آيتك النظافة واترك وجنتيك لريح الحقول تلوحها. . ولتكن عباءة التوجا مناسبة لقدك وثوبك خالياً من البقع. . وأربطة نعلك مشدودة ولتَجْلُ صفرة أسنانك حتى تتألق واختر لقدمك حذاءاً لا تغرق فيه وتضل. . ولا تسلم شعرك المتصب العنيد وذقنك المهوّشة ليد حلاق خامل. . قلّم أظافرك البارزة واطرح عنها القذى. . وانزع الشعيرات المطلة من تجويف منخارك».





أما حديثه إلى النساء فهو أكثر طرافة:

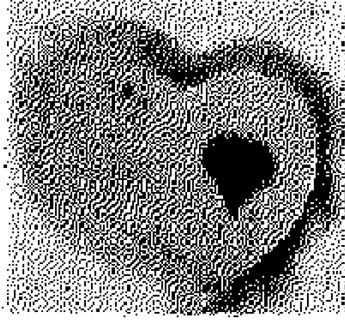
«أقول لكُنَّ لا تثقلن آذانكنَّ بنفيس الأحجار مما يجمعها الهندى الباهت البشرة من أعماق الماء الأخضر.. ولا تَخْطُرْنَ مثقلات بثياب مطرَّزة بالقصب فالاناقة وحدها تشدنا إليكن.. ولا تُرْسِلْنَ شعوركن غير منسقة فلمسة من أيديكن كافية تضفى الجمال عليه أو تحرمه منه.. ولا يذهب بكن الظن أن هناك أسلوبا فريداً للتجميل فلتختر كل منكن ما يناسبها ولتلتمس من مرآتها النصح فلن تحتاج صاحبة الوجه البيضى لغير مفرق بسيط فى شعرها.. وصاحبة الوجه المستدير تكتسب جمالا بكعكة صغيرة من الشعر فوق رأسها تظهر أذنيها جليتين ولترسل واحدة شعرها على كتفيها.. ولتضفر أخرى جدائل شعرها.. وان عجزت أنت عن إحصاء ثمار البلوط ونحل جبل هيبلا وضوارى جبال الألب فانى لكذلك عاجز عن تعداد تصميمات الأزياء».

أما الثياب فإليكن رأيى فيها:

«أى جنون ذلك الذى يدفعكن إلى السير محملات بثرواتكن فوق أبدانكن بينما تستطعن بأبخس الأثمان ارتداء ثياب مختلف ألوانها.. هذا ثوب فيروزى فى لون السماء الصافية.. واليك الأصفر الضارب إلى لون الذهب.. وذاك الأخضر خضرة ماء البحر.. واليك لون شجر الآسى من باقوس والورد الأبيض ولون ريش الكركى الطراقى.. اختارى لونك الأثير بعناية فلون بعينه لا يتفق وجميع النساء.. فالبشرة البيضاء بياض الجليد يلائمها الرمادى الداكن.. والسمراء يناسبها الأبيض».

وعن مساحيق التجميل يقول أوفيد للنساء:

«وأنت أعلم كيف تكسين بشرتك بالمساحيق فالفن قدير على إكساب بشرتكن نضارة.. فخير لجمالك أن يكون الفن بعالجه مستورا.. بل من ذا الذى لا ينفر من طلاء يطغى ويلطخ ملامح وجهك بتراكم طبقات قد تميع من فرط ثقلها».



ولو مضينا نستعرض كل ما قاله أوفيد من نصائح للنساء لما انتهينا إلا بعد أن ننقل أغلب صفحات الكتاب الثالث والذى خصصه للمرأة..

وبعد.. فهذا تلخيص للبعض القليل من هذه الطرائف والقصص والأساطير التى أوردها «أوفيد» فى كتابه «فن الهوى» وكم كان المترجم دقيقاً فى ترجمته لكلمة الهوى فهو غير الحب وغير العشق.. انه لون من العلاقة ذات المذاق العابر الخاص الذى يستهوى نوعية خاصة من الناس وقد عكس هذا طبيعة عصر أوفيد بما فيه من تحلل أخلاقى وبحث دائب عن اللذة حتى لو كانت عارضة.

لكن.. هل خلا هذا العهد من هذه العاطفة السامية الرقيقة المفعمة بالوفاء حتى الموت.. وهل كانت الطهارة كلمة غير ذات معنى فى هذا العصر (الأفيدى)؟.

يكتبها: علي حافظ

كنا نعرف في المدينة المنورة انه اذا صار الاتفاق على الزواج وتعينت ليلة العقد يدعو اهل العريس الاقرباء والاصدقاء والاخوان فيجتمعون في دار اهل العريس ويتناولون القهوة والمرطبات. ثم بعد صلاة المغرب يتوجهون كوفد هم وضيوفهم إلى دار اهل العروسة. كما ان اهل العريس يدعون اقاربهم واخوانهم واصدقاءهم فيستقبلون جميعا اهل العريس ووفدهم استقبالا حارا بكل ترحيب، ويجلس الجميع في المكان المعد للحفل سواء كان قاعة أو ديوانا او كليهما مع المقعد والدهليز وتمتلىء دار العروسة بالمحتفلين وتضج الدار بالزغاريد، ويخطب خطيب اهل العريس راجيا من اهل العروسة قبول طلبهم فيرد خطيب اهل العروسة بالقبول، ويتلو الذي يتولى العقد ما يتيسر من كتاب الله والاحاديث النبوية الشريفة التي تحث على الزواج في خطبة يسمعها الجميع، ثم يجرى العقد وتقسم الحلوى وتدار كؤوس المرطبات في الصيف والحليب في الشتاء مع القهوة وينصرف الجميع وغالبا يدركون صلاة العشاء في المسجد النبوي لمن اراد الصلاة في المسجد.

ثم يصير الفرح في الوقت المقرر بين الطرفين، والمهر متواضع لا ارهاق ولا تكليف فيه وتُزَفُّ العروس بالدفوف للعريس. ويولم اهل العريس وليمة متواضعة حتى ولو كثر المدعوون فالطباخ يأتي الى البيت ويطبخ ويقدم الطعام للمدعوِّين وينتهي الفرح بالدعاء للعروسين بالسعادة والتوفيق، وما يزيد من الطعام يعطى للفقراء.

اما اليوم فلا يدرك العريس العروسة إلا بشق الشنط والجيوب وتفريغ الرصيد من البنوك ولابد من اجتياز ثلاث مراحل حتى يصل العريس للعروسة.

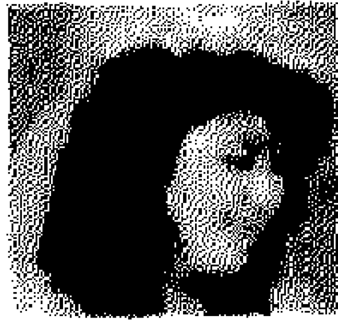
المرحلة الاولى: الشبكة قبل العقد وهي ما يهديه العريس للعروسة وينبغي ان تكون مما غلى ثمنه مع حفلة الشبكة.

المرحلة الثانية: حفل العشاء الذي يقام بعد العقد.

المرحلة الثالثة: حفل العشاء ليلة الدخلة ويسهر اكثر المحتفلين الى قرب الفجر الى ان تزف العروس للعريس حتى لقد قالوا (العروسة للعريس والجرى للمتاعيس)

حفلات

وهـذه الحفلات الثلاث تقام فى فنادق الدرجة الاولى ويصرف فيها عشرات الألوف واحيانا مئات الألوف من الريالات ثم اين يذهب الطعام؟ ـ فالمدعوون قليل منهم الذين يأكلون فى الليل ـ فيبقى الطعام وربما بعضه لا يمس ولكن رجال الفندق بعد انتهاء الحفل ـ كما اخبرنى شاهد عيان ـ يجمعون ما بقى من الخرفان والحلوى والمأكولات الأخرى ويرمون بعضها على بعض فى اكياس تنقل الى صناديق القمامة.



فالشاب المتخرج من الجامعة كيف يستطيع ان يتزوج؟ وكيف يستطيع ان يتحمل النفقات؟

ومن اين يأتى بها؟ ألسنا نفتح للشباب بهذه التكاليف ابواب الزواج من الخارج؟ اننا نعقد الآمال على بناتنا وفتياتنا المتعلمات المثقفات ونرجوهن ان يحلن دون هذا الاسراف الذى لا يأتى بخير والذى لا نفع منه مطلقا فليس هذا سبيل العلم والثقافة والعقل، فكلام بناتنا المهذبات المثقفات مسموع وامرهن مطاع وفى استطاعتهن وقف هذا النزيف المالى فيما لا جدوى منه.

الزواج



عادات في





إن سكان اليمن يخضعون لعادات وتقاليد معينة في مختلف نواحي الحياة، هذه العادات والتقاليد تتشابه تبعاً للتشابه الجغرافي، وعلى العكس تماماً نجدها تختلف كلما اختلفت البيئة الجغرافية للسكان. ولكن على الرغم من وجود الاختلاف بين تقاليد وعادات سكان السهول والجبال مثلا أو سكان السواحل والمناطق الداخلية إلا أننا نجد سمات عامة مشتركة فيما بينهم جميعاً، فبالرغم من اندثار مظاهر كثيرة من تقاليد وعادات سكان اليمن في عدة مناطق يمنية، إلا أننا نلمس السمات المشتركة والتي تشكل الجوهر والمضمون لتلك العادات والتقاليد في شتى مجالات الحياة، نلمسها في جميع مناطق اليمن وتكون وجوه الشبه اكثر من وجوه التباين والاختلاف.

إن وجود سمات عامة مشتركة في التقاليد والعادات اليمنية لسكان اليمن يجعلنا غير مخطئين إذا سلطنا الضوء على منطقة ما باليمن - ونحن نستعرض عادات وتقاليد الزواج اليمنية - ولن نخطىء أيضا إذا اعتبرنا ما سوف نستعرضه تعميماً لكل اليمن فالإختلاف لا يكمن في الأساليب والمظاهر ولا في المضمون وإنما فقط في التسميات المحليه حسب لهجة كل منطقة وكذا في عدد الأيام التي تستغرقها احتفالات الزواج وبعض أمور بسيطه لا تكاد تذكر.

ولنستعرض معاً السمات العامه المشتركة وهي سمات موروثة ومازالت متبعة في مناطق عديدة من اليمن.



وأول خطوة في طريق الزواج تكون ببحث الأم عن عروس لابنها وكما تسمى في اليمن (عروسه - حريوه) وما أن يستقر الرأي ويرضى الإبن بالأوصاف التي حددتها أمه حتى يحدد وقت الخطبة رسمياً. والخطبه هي الاتفاق بين الرجال من الطرفين وتُقْرَأ الفاتحة ويحدد المهر وقد يتسلم والد العروس من والد العريس وكما يسمونه (العزوس أو الحريو) قد يتسلم المهر

وتقاليد الزواج

اليمن

كاملاً أو جزءاً منه فقط وفى الخطبه ايضاً يحدد وقت الزواج ويحضر العريس وأهله فى ليلة الخطبه الحلوى المصنوعة محلياً والتى تسمى (مضروب) فى بعض المناطق وتشبه الملبن المصرى ولكن بدون مكسرات فقط يضاف إليها الهيل بدلا من المكسرات ويحضرون معهم أيضا البن والزنجبيل حتى تعد منه القهوة المرة ليحتسوها مع الحلوى. أما خاتم الخطوبة فليس له أى وجود فى تقاليد الزواج الأصليه ووجد من حوالى خمسين عاما تقريباً ولكن يحضره العريس لعروسه بعد الزواج. ويجب أن نشير ان المهر يكون معقولا حين تكون هناك صلة قرابة بين الطرفين ويرتفع إذا كان العريس من منطقة أخرى أو من قبيلة أقل شأنا وجاها عن القبيلة التى تنتمي إليها العروس، وقد يطلب والد العروس مبلغاً باهظاً لا لشيء وإنما بغرض التخلص ممن لا يرغب فيه.

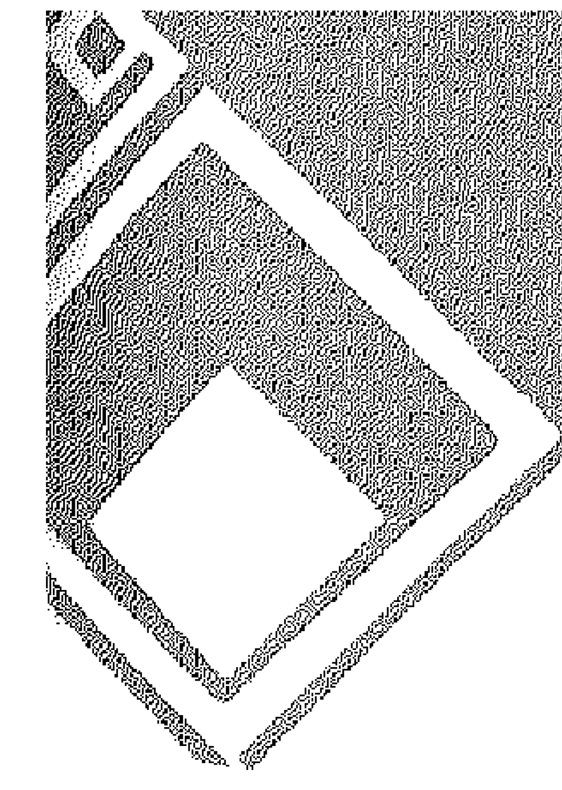


ولا يرى العريس خطيبته إطلاقاً إلا بعد أن تكون زوجة له ويكفى أن رأتها والدته وقريباته ولكن ان كانت من قريباته فباستطاعته رؤيتها من حين لآخر سواء فى بيت أهلها أم فى بيت أهله.

فى اليوم الذي يلى ليلة الخطبة تقوم والدة العروس بتوزيع الحلوى على الجيران والمعارف ويكون هذا بمثابة إعلان للجميع بان ابنتها قد خطبت لفلان.

الاحتفال بالزواج عند أهل العريس:

يبدأ بتجهيز منزل الزوجية وتأثيثه حسب امكانيات العريس ويصاحب ذلك زغاريد وغناء خاص بهذه المناسبة تقوم به النسوة فقط. وعقب الانتهاء من ذلك تقوم والدة العريس بدعوة الجارات ليساعدنها فى تنظيف الأرز الخاص بمأدبة الغداء وتكون فرصة لان تطلعهن على منزل إبنها أو الغرفة



التى ستخصص له ان تعـذر بناء منزل خاص به.
وتبدأ المراسيم بعد ذلك قبل الزفاف بثلاثة ايام وتكون البـدايـة بقهوة أم العريس حيث تدعو أم العريس المقـربـات اليهـا والجارات لتقدم لهن القهوه الحلوه وتكـون كالمرة مع اضافة السكر إليها والقرفة والهيل وقد يكون هذا الاحتفال على ايقاعات الطبول حيث تقـوم المـدعوات باداء الرقصات الشعبية وقد تكون بدون احتفال اطلاقاً. والغرض من قهوة أم العريس هو تقديم المساعدة المادية لوالدة العريس قبل احتفال ولدها بزواجه بيوم واحد فقط .

وفى اليـوم التالى ومنذ الصباح الباكر تجهـز مخدرة العـريس وهى عبارة عن سرداق كبـير يقـام فى الشـارع الـذى يسكن فيه العريس وتكون على شكل مستطيل وتجهز بالمخدات والسجاجيد والانوار الكهربائية أو مصابيح الكيروسين ومكبرات الصوت وهذه تنعدم فى المناطق التى لا يوجـد بها كهرباء. وفى واجهة المخدرة يعد مجلس للعريس ووالده ووالد العروس وكبار المدعوين ويكون مختلفاً عن بقية المجالس الأخرى ولكن مجلس الفنان وفرقته ـ ان كان هناك فناناً يكاد لا يقل شأنا عن ركن العريس وأقاربه سواء من حيث الألوان أم الشكل. وإلى جوار المخدره يقام سرداق آخر ذو قيمة أقل ويجهز لتناول مأدبة الغذاء خاصة إذا كان منزل والد العريس صغيراً ولا يتسع لان يتناول المدعوون فيه الغذاء وتبدأ الاحتفالات بالذبائح وإعداد الوليمة ويصـاحب ذلـك إطـلاق الأعيرة النارية فى الهواء، وظاهرة إطلاق الأعيرة النارية إختفت تماماً من جنوب اليمن ولكنها مازالت تمارس فى اليمن الشمالى طوال أيام وليالى الاحتفالات بمختلف أنواعها.

وتأخـذ الاحتفـالات مجراها بشكل مكثف بعد صلاة الظهر فيتوافد المدعوون إلى المحذره ليأخذ كل واحـد مكانه، فى الوقت الذى تتم فيه عملية وضع الحناء على جسد العريس ورأسه فى جهة خارجية من المنزل وهذه العمليه قد تنحصر على أقارب العريس بمن فيهنّ قريبـاته النساء وقد يشارك فيها أصحابه المقربين دون أن يكون هناك وجود نسائى، ويكون **«نصف جسد العريس العلوى عارياً تماماً»** ويتبارى الحاضرون لوضع الحناء عليه وهو مستكين لهم دون حراك، وليت الأمر يقتصر على ذلك فقط ففى بعض المنـاطق يقوم مجموعة من المدعوين **«بتشريط جسد العريس»** تشريطاً خفيفاً بأمواس الحلاقة وهذا مظهر من مظاهر الابتهاج بهذه المناسبة وقد يكون له مغزى



آخر وهو اختبار قدرة العريس على التحمل والصبر.

وفى المدن قد يأخذون العريس فى سيارة مفتوحة وقبل أن يغتسل من الحناء والجميع من حوله، ومن خلفه سيارات عديدة ليجوبوا المدينة وسط دقات الطبول والغناء. أما فى القرى فليس هناك داع لان يجوبوا به القرية فالجميع حاضرون ومشاركون وحتى وإن لم تصلهم الدعوه.

بعد الحناء يغتسل العريس ويُبَخَّر بالعود ويُعَطَّر بدهن العود أو أى عطر آخر ثم يُزَفّ بالطبول حتى يصل الى مكانه بالمخدرة ويوضع أمام العريس جردل حديد فارغ ليضع فيه المدعوون كل حسب استطاعته المساعدة النقدية الممكنة للعريس. ويقوم والد العريس أو أحد اخوته بعد ذلك بدعوة الجميع لتناول الغذاء والطبق الرئيسى فى هذه المناسبة هو الأرز مع اللحم ويسمى (الزربيان) فى بعض المناطق ومنها منطقة عدن مثلا. بعد الانتهاء من مأدبة الغذاء يبدأ المقيل وهو الوقت الذى يمضغ فيه الجميع «القات» فكل مدعو يحضر معه لفة القات اضافة الى ما يزودهم به والد العريس فالقات لا يفارق المجالس اليمنية جميعها فكيف اذن بمجلس الفرح والغناء والطرب.

تنقضى الأمسية وسط ايقاعات الطبول، وفى اليمن الشمالى نجد المزمار ملازماً للطبل دائما وعلى وقع هذه الايقاعات اليمنية الراقصة يقوم المدعوون باداء الرقصات اليمنية الشعبية وقد يشارك فيها العريس كما يشارك فيه أقاربه ومن أراد من الحاضرين. وقد يُحْضِرُ العريس فناناً لاحياء الحفل ولكن وجود الفنان لا يعنى الكف عن اداء الرقصات الشعبية فالاغنية اليمنية اغنية راقصة حتى وان كانت اغنية كلها ألم وعذاب ونواح فان الفنان لا يتردد إطلاقاً فى ان يتغنى بها فى مناسبة بهيجة كهذه فالنغمة الراقصة تلهى الجميع عن أنَّاته ونحيبه وما يشغلهم هو أن يأخذ كل دوره فى الرقص.

فى اثناء الاحتفال وخاصة بعد وقت العصر يحق لكل مدعو أن يغادر الحفل ان شاء، فقط عليه ان يضع ما يقدر عليه من مال فى الجردل وقبل ان يصل الى العريس يقابله شخص مهمته رش المدعوين بالعطر وقبل أن يعطره ينطق كلمة (عرووس) ليلفت انظار العريس والحاضرين ويكون بمثابة اشارة بان هذا الشخص قد ساهم بالحضور الى الحفل وعند انصرافه من المخدرة يقرع له الطبال الواقف عند مدخل المخدرة ايقاعات الترحاب والوداع معاً. وظاهرة وضع النقود فى الجردل تكاد تكون اختفت، وبدلا عنه يقوم المدعو بمصافحة العريس ليضع فى يده المبلغ المراد اعطاؤه إياه. ويتناقص عدد المدعوين كلما اخذت الشمس تقترب من المغيب حتى يغادر الجميع ولكنهم يعودون لمواصلة السمر بعد العشاء ويمتد سمرهم حتى ساعات الفجر الأولى وينتهى الاحتفال برقصة جماعية يشارك فيها العريس. هذه الرقصة هى رقصة الحناء وتعتبر مسك الختام. ولا يبقى إلا ان يذهب العريس فى الليله التالية أو بعد ليلتين حسب ما حدد لاحضار العروس ويكون هذا بعد أن يتم عقد القران. وقديما كانت العروس لا تُمَثَّل أمام القاضى سواء فى المنزل أم فى المحكمة فَيُكْتَفَى بولى أمرها نيابة عنها. ويذهب العريس وأهله لاحضار العروس بالسيارات أو مترجلين حسب بعدهم أو قربهم من منزل العروس ولكن فى كلتا الحالتين يكون ذهابهم مصاحباً بالايقاعات الجميله والرقصات الشعبية التى

يؤدونها طوال المسافة من منزل العريس إلى منزل العروس خاصة حين يكونوا مترجلين فنجد فرقة الطبالين والراقصين من وراء العريس وأصحابه وذويه ومن أشهر هذه الرقصات ـ رقصة (المسيمبا) كما يدعونها فى منطقة عدن وما جاورها.

الاحتفال بالزواج عند أهل العروس:

تبدأ الاحتفالات بالاستعدادات الأولى كإعادة طلاء المنزل من الداخل والخارج مثلا، وشراء مستلزمات العروس خاصه بعد أن يكتمل دفع المهر لها من قبل العريس والى جانب شراء الملابس وتجهيزها تقوم والدة العروس بصنع البخور وجميع أنواع الطيب والتى لها تسميات مختلفة (كالذريره والخضرين مثلا) وغيرهما الكثير ويأخذ هذا كله فى المتوسط شهراً كاملاً قبل الزواج. وتجهز العروس أيضا بفراش قطنى ومخدتين وأشياء بسيطه تؤخذ معها ليلة الزفاف وحين يكون كل شىء جاهزاً تدعو والدة العروس الجارات لتنظيف الأرز وتقدم لهن القهوة الحلوه وقد تطلعهن على بعض ملابس العروس وحليها ويصاحب ذلك الزغاريد التى لا تنقطع طوال فترة الاستعداد للزواج حتى نهاية آخر مراسيمه.
ويجب أن تعرف أن الوليمة التى تقيمها والدة العروس للمدعوات تكون تكلفتها على نفقة العريس. وقد يقدم مقابل ذلك مبلغاً نقداً وقد يقوم هو بإحضار الذبائح والأرز ومستلزمات المأدبة الأخرى. ولكن هذا لا يعنى ان والد العروس لا يضيف نفقات أخرى بل العكس نجد الكثيرين يدفع أضعاف ما يدفع العريس حتى يتحدث الجميع عن زواج إبنته.



عقب الاستعدادات الأوليَّة تبدأ مرحلة تحجبة العروس وقد لا يصاحبها أى احتفال يذكر إذ كانت هذه المرحلة تسبق الزفاف بوقت طويل يقارب الشهر أو يزيد خاصة فى المناطق الريفية والجبلية كمنطقتى مكيراس ويافع فى اليمن الجنوبى مثلا، فالعروس التى تقوم بالرعى وجلب الماء تحجب فى الدار ولا تغادره أبداً ولا تمارس أية أعمال فى الداخل أو الخارج حتى الأعمال المنزلية البسيطة لا تقوم بها وتبقى خاضعة لنظام قاسٍ فى تجهيزها لتكون عروساً جميلة فيغطى وجهها بأقنعة من العسل والصمغ وتوضع الحناء مع مواد نباتية أخرى حتى يكتسب الكثافة واللمعان ويغطى

قدمه لوالد العروس ولكن في منطقة عدن وما حولها كمنطقة لحج فالعريس غير مسؤول عن تجهيز العروس، فقط عليه أن يدفع المهر المتفق عليه وتجهيز منزل الزوجية وإن أراد أن يهدى عروسه شيئا فهذا راجع له وليس شرطا لإتمام الزواج.

تستغرق الاحتفالات بزواج العروس في المتوسط ثلاثة ايام قبل الزفاف ويليه احتفالات أخرى كالصبحية (كما يسمونها) اليوم التالي للزفاف - وغذاء الثلاث (في اليوم الثالث) والثامنة وهي الاحتفال بمرور ثمانية أيام ويعتبر مسك الختام وبعده تمارس العروس حياتها العادية كاداء الاعمال المنزلية والخروج للزيارات وغير ذلك.

تبدأ الاحتفالات بتوجيه الدعوة الشفوية للمدعوات وتقوم بهذه المهمة نسوة معينات يكون هذا العمل بمثابة مهنة خاصة بهن. ولكي نعطي صورة موجزة نأخذ منطقة لحج كنموذج فهي تجمع بين بساطة المدن وتعقيد المناطق الريفية وتبدأ الاحتفالات بليلة الكلفاسه كما يسمونها هناك ولها تسميات أخرى (كالزقره) و(المحجبه) وكلمة كلفاسه أو زقره يقصد بها أن تأتي مجموعة من النسوة على غفلة ومن خلفهن

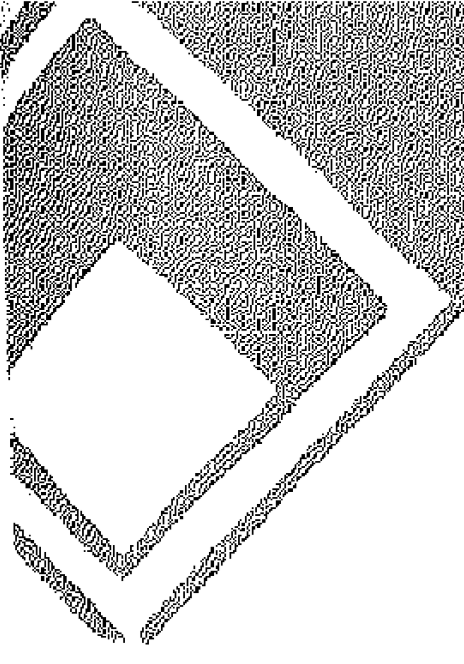
جسمها يومياً بالكركم الأصفر ويسمونه في اليمن (الهرد).

وفي منطقة مكيراس بجنوب اليمن يكون هناك احتفالٌ يسبق الزفاف بأسبوع ويسمى هذا الاحتفال (الشلّ) وفيه يقدم العريس كسوة العروس من ملابس وعطور وكذا الذبائح، وكذا يحدث ومازال في بعض مناطق شمال اليمن، ففرح العروس في حريب مثلا بوادي سبأ لا يتم إلا بعد أن يحضر العريس لها ثلاث حقائب بالتمام والكمال مملوءة بالملابس والعطور وأدوات الزينة. هذا إضافة إلى المهر الذي سبق أن

والدة العروس ويمسكون بالعروس مسكة مفاجئة وذلك بالقاء مفرش أخضر عليها يلفونها به ثم يحملونها حملاً وسط الزغاريد وإيقاعات الطبول حتى المحجبة والمحجبة سرير محاط بستارة خضراء. وتبكي العروس كثيرا عند الإمساك بها وحملها ربما لان النسوة يحطن هذه الخطوة بشيء من الرهبة والتهويل أو لقسوتهن في حملها خاصة إذا علمنا ان عدد من يحملنها يفوق العشر نساء ويجدر بنا ان نشير ان بكاء العروس فيه فخر لأهلها وان من لا تبكي يقمن بقرصها قرصا جامدا حتى تنخرط في البكاء مرغمة. ربما أعتبرت انه من العار ألا تبكي وهي تودع مرحلة وتستقبل مرحلة جديدة كهذه.

هذه الخطوة تختلف من منطقة لأخرى ففي بعض مناطق اليمن لا تعامل العروس بقسوه فنجدها تذهب من تلقاء نفسها لتجلس في المحجبة وتغطي جسمها بالرداء الأخضر ووجها بالطرحة الخضراء الشفافة. والآن يكتفي فقط بوضع الطرحة الخضراء أو الشفافه على وجه العروس وسط الزغاريد وإيقاعات الطبول دون اي بكاء أو نحيب. تبقى العروس في المحجبة ولكن يمكنها أن ترى النسوة وهن يرقصن الرقصات الشعبية على ايقاعات الطبول ومن هذه الرقصات (الميحه) و«الزنته» كما في منطقة لحج ونواحيها ولها تسميات أخرى في بقية المناطق. في هذه الليلة تحنى العروس في كفيها وقدميها وذلك بعد الانتهاء من الرقص وتناول العشاء وبعد انصراف معظم المدعوات.

وفي اليوم الثاني ويسمى (الشرقيه) أو (يوم الغسل) يتم فيه غسل العروس بعد أن توضع الحناء على جسمها كله وتزف بالطبول قبل دخولها الحمام وحين تخرج منه وقد



ارتدت ملابس الغسل الخضراء وتبقى مغطاة الوجه ولكن بطرحة خضراء جديده تختلف عن طرحة الأمس.

أثناء زفة العروس فى يوم الغسل تقوم النسوة بخطف طرحتى كل من والدة العروس ووالدة العريس ثم تمزيقها إرباً ويصاحب ذلك مطلع غنائى خاص على ايقاعات الزفة اليمنية. ثم تجلس العروس على كرسى أو على حافة سرير وترفع الطرحة من على رأسها ليمشط شعرها ويفرق نصفين ثم تضع المرأه المختصة بذلك وتسمى (**الماشطة**) تضع مادة حمراء على طول المفرق وتسمى هذه المادة (**الحسن**) وتكون على شكل بودرة ثم يعاد وضع الطرحة على رأسها ووجهها وتمسك هى بطرفى الطرحة وتبدأ عملية (الطرح) كما تسمى فى لحج وتتولى المرأة المتعهدة بهذه المهمة أخذ المبالغ المالية التى ساهمت بها المدعوات ووضعها على طرحة العروس مع ذكر اسم المرأة والمبلغ الذى دفعته. وتبدأ هذه العملية بوضع هدية أم العروس وتكون دائما حلية ذهبية ثم تأتى باقى المدعوات فيها بعد ومن ضمنهن والدة العريس وقريباته والآن تكون المساعدات المادية للعروس وأم العروس فقط فتكتفى كل مدعوة بان تسلم على والدة العروس وتضع المبلغ فى يدها ولكن فى المناطق الريفية مازال هناك تقيد باتباع الاسلوب القديم فى الغسل وعملية الطرح.

بعد هذه العملية تزف العروس من جديد وتتناول المدعوات الغذاء ويجهزللعروس الغذاء لتتناوله مع صاحباتها البنات. وتنصرف المدعوات بعد تناول الغذاء ويبدأ الاحتفال مرة أخرى عقب عودتهن مع العصر ويكون باداء الرقصات الشعبية على ايقاعات الطبول ولابد أن تعرف أن من أرادت أن ترقص هى وصاحبة لها يجب عليها أن تدفع المقابل المادى للنسوة اللاتى يقمن بالدق على الطبول أى (الطبالات) وتقوم صاحباتهن بوضع عملة معدنية ذات قيمة بسيطة على رأس كل واحدة ثم إلقائها فى منديل أعدته الطبالات لهذا الغرض. وقد يمتد الإحتفال الى ساعة متأخرة من الليل ولكنه لا يتجاوز الحادية عشرة مساءاً ولا يقدم البعض طعام العشاء للمدعوات فى هذه الليلة ولكنه ليس تعميما.

اليوم الثالث والأخير قبل الزفاف: ولا يصاحبه أى احتفال بالنهار وفيه يتم تجهيز العروس وتطيبها وقد تخضب بخضاب أسود يدعى (مزجه) ويمتاز برائحة زكية، تقوم (**المخضبة**) برسم نقوش جميله على كفى وقدمى العروس وتضع نقطاً صغيرة متتابعة فى منتصف جبهتها ونقطة بين حاجبيها ثم نقطاً صغيرة متتابعة ابتداءا من شفتها السفلى وحتى نهاية رقبتها. هذه تسمى (نقشه) وهناك خضاب آخر يشمل كل الذراعين وكل الساقين. ويبقى الخضاب على جلد العروس قرابة الاسبوع ثم يبدأ فى الاختفاء التدريجى.



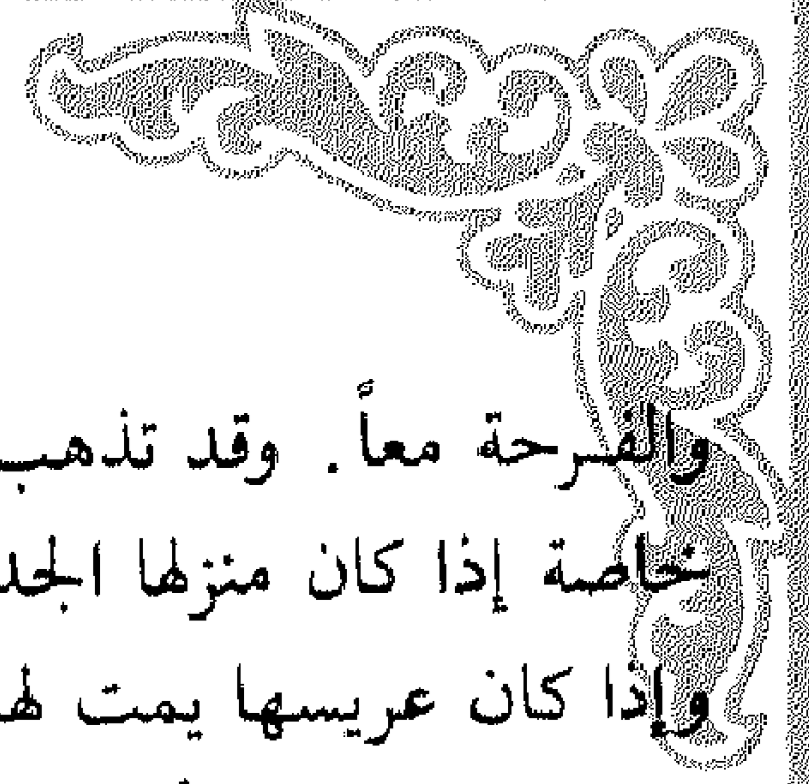
تبدأ النسوة فى التوافد على منزل أهل العروس عقب صلاة المغرب للمشاركة فى حفل (الدخله) وتقدم لهن القهوة الحلوه ليحتسينها وهناك مجموعة من النسوه يأتين مبرقعات ولا يستطيع أحد معرفتهن إلا بصعوبه ويطلق عليهن (**المبرقعات**) أو (**المغرغرات**) هؤلاء قد لا يكن مدعوات وقد يكن ملزمات بفترة عزاء لوفاة احد المقربين ولكن حب الاستطلاع غلاب. ويجدر الاشاره أنه يحدث شغب كبير ونقد لاذع مسموع من قبل هؤلاء المبرقعات سواء النقد الموجه للحاضرات أو للعروس أو للعريس نفسه. لذا فإنه فى وقتنا الحاضر يكتب على بطاقات الدعوة للافراح عبارة (ممنوع حضور المبرقعات).





عنـد الانتهـاء من تجهيز العـروس تحضرها الطبالات بالزفه محاطة بالأهل والأصحـاب وتنهض معظم المدعوات للمشاركة فى زفتها حتى تصل إلى مكانها الذى أعد لها أمام المدعوات. وقديما وحتى وقتنا الحاضر وفى بعض المناطق الريفية ـ كانت العروس تلبس الثوب الأخضـر حتى فى يوم زفـافها ويكون مخاطاً حسب الطـريقـه اليمنيـة التقليديه ففى منطقة عدن ولحج وأبين يسمى (درع) وسبب اختيار اللون الأخضر هو أنـه لون يجلب التفـاؤل بان حيـاة العـروس المقبله ستكون خضراء وارفة الظلال. وهناك مناطق لا تتقيد بأى لون معين فيكفى ان يكون ثوب الزفاف مكلفاً وذا بريق ولمعان ليجلب الانظار إلى العروس. وتزين العروس بالحلى التى اشتراها لها والدها من المهر وقد يضيفه إليه. ولكن هناك الكثيرات ممن لا يشترى لهن أولياء أمورهن الحلى عدا أشياء بسيطة فتعمد والدة العروس إلى أن تستلف حلياً من أخريات حتى تزين به إبنتها ثم تعيده ثانية. وفى ليلة الدخلة أى الزفاف يبقى وجه العروس مغطى بطرحة من الحرير مطرزة الحـواشى ويستحسن ان تكـون بيضـاء أو خضراء ويسمـونهـا (نقبه) وتمر لحظات الحفل مع الرقصات الشعبيه المتتالية وغناء الطبالات وايقاعاتهن الجميلة حتى يحضـر العـريس ويكون حضوره بين التاسعة والعـاشـرة مسـاءاً وإذا كان من منطقة بعيده يأخذ عروسه بعد المغرب مباشرة ولكن الآن وبما أن معظم الاحتفالات تقام فى الفنادق والانديه فانها تمتد الى الـواحـدة بعـد منتصف الليـل، أما فى المنازل فلا تتجاوز الحادية عشرة أو العاشرة. وقد يأتى العريس مترجـلا أو على سياره فإذا أتى مترجلا نجده محاطاً بوالده وذويه ومن ورائه قارعو الطبول والراقصون وهم يؤدون رقصـة خاصة بهذه المناسبة تسمى فى بعض المنـاطق كمنطقـة عدن وما حولها برقصة (المسيمبا) ويصـاحبهـا غنـاء خاص بها. وفى حالة مجيئه على سيـارة نجد وراءه عشرات السيارات التى لا تكف عن التـزمـير ودق الطبـول وتـرديد الأغانى الشعبية الخاصة بليلة الدخلة.. يكون والد العروس وذويها فى استقبـال العـريس وأهله وقبـل أن يدلف إلى الداخل تعطى إشارة لكى تتحجب النسوه ثم يضع العريس ووالده وجميع من معهم قطعاً نقديه معدنيه فى صينية تسمى (المعشره) وتأخذ هذا المبلغ الماشطة.

وما أن يدخل العريس ووالده ووالد العروس وأخوتها حتى تكـون العـروس قد حجبت نهائيـا بالمفـرش الأخضر السميك ويصاحب دخولهم زغاريد النسوه ولا يجلس العريس أطلاقاً ـ كما يحدث الآن ـ فيكتفى بان يأخـذ والـد العروس أو ولى أمرها كفه الأيمن ويمسح به رأس ابنته ثلاث مرات ثم يدعو الجميع للانصـراف وتـزف العـروس وسط الزغاريد ودموع والـدتهـا واخـواتهـ ومن ودعنها إلى منزل الزوجيه ويصاحب زفتها هذه اغنية خاصة تحوى معانى الوداع



والفرحة معاً. وقد تذهب والدة العروس مع ابنتها خاصة إذا كان منزلها الجديد قريباً من منزل والدها وإذا كان عريسها يمت لها بصلة قرابه. وقد يكتفى البعض بارسال إمرأه كبيره فى السن لتتعهد العروس بالرعاية وتسمى فى بعض مناطق اليمن الشمالى (جاريه) وفى بعض مناطق اليمن الجنوبى (حارية) وتستقبل العروس بالزفه من قبل أهل العريس اللاتى يسبقنها وقبل ان تدخل منزل الزوجيه تذبح لها ذبيحة عند الباب لكى تتخطاها ومن لا يملك ثمن الذبيحة يضع سيفه حتى تتخطاه عروسه. ولا تكشف العروس وجهها أبداً أمام العريس حتى يدفع مقابلاً لذلك ويسمى (كشفة الوجه). ومازال هذا الاسلوب متبعاً فى بعض مناطق اليمن الشمالى كمنطقة حريب مثلاً حيث يجب على العريس أن يدفع مبلغ ثلاثة الاف ريال حتى تكشف العروس وجهها.

وفى بعض المناطق كمنطقة لحج تقوم الحاريه بغسل قدمى العروسين بالعطر فى إناء واسع ودائرى ثم تحدث مباراه بين العريسين وسط انقسام الحاضرين الى فريقين لمعرفة من بامكانه أن يدوس على قدم الآخر فمن يداس قدمه سوف يبقى طوال عمره مذلولا من قبل الطرف الآخر.



ثم يأتى يوم الصبحيه وفيه يجب على العريس ان يعطى عروسه مبلغاً مالياً محدداً من البداية بين الطرفين وهذا المبلغ يسمى (الصباحه) تأخذه الحاريه لأهل العروس اضافة إلى مبلغ (كشفه الوجه) والحاريه تأخذ مقابلاً مادياً لما تؤديه من الطرفين.

وفى يوم الصبحية تعد وليمه غذاء للأهل فقط وبعد الظهر يقام احتفال بالطبول والرقص وتوزع الحلوى على المدعوات وكذا المرطبات أو القهوة ويستمر هذا الاحتفال حتى المغرب وترتدى العروس الزى التقليدى ويكون مكلفاً حتى يليق بالمناسبة.

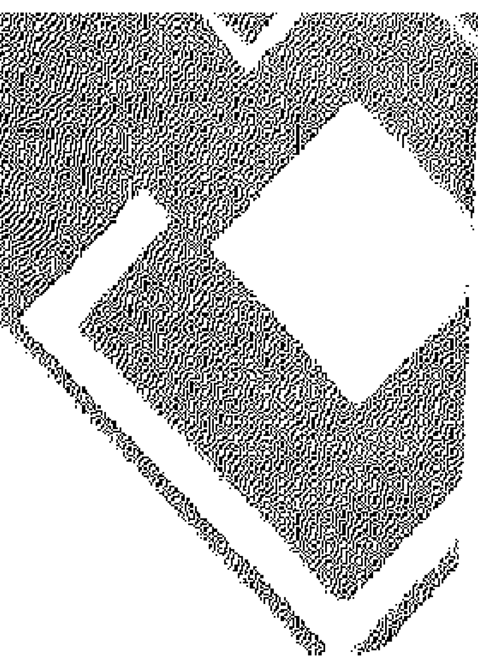
وتقوم العروس بتوزيع ما جلبت معها من كعك وحلوى وزبيب ومكسرات على كل من تحضر لتهنئتها طوال الأيام التى تلى الزفاف وهناك احتفال آخر ويسمى (غذاء الثلاث) ويكون فى اليوم الثالث للزفاف ويحضر أهل العروس مأدبة الغذاء من منزلهم حتى يتناولها أهل العروسين معاً. وبعد الظهر تأتى المدعوات ثم يكون الرقص والغناء ودق الطبول وتزف العروس كما فى الاحتفالات السابقه ويوزع على المدعوات خليط مشكل من الفل والكاذى والمشموم والحنون (التمرحنه) وكلها زهور ذات روائح زكيه تضعها النساء وسط الشعر وفى الملابس لاكتساب الرائحه العطره وينتهى الحفل بعد المغرب..

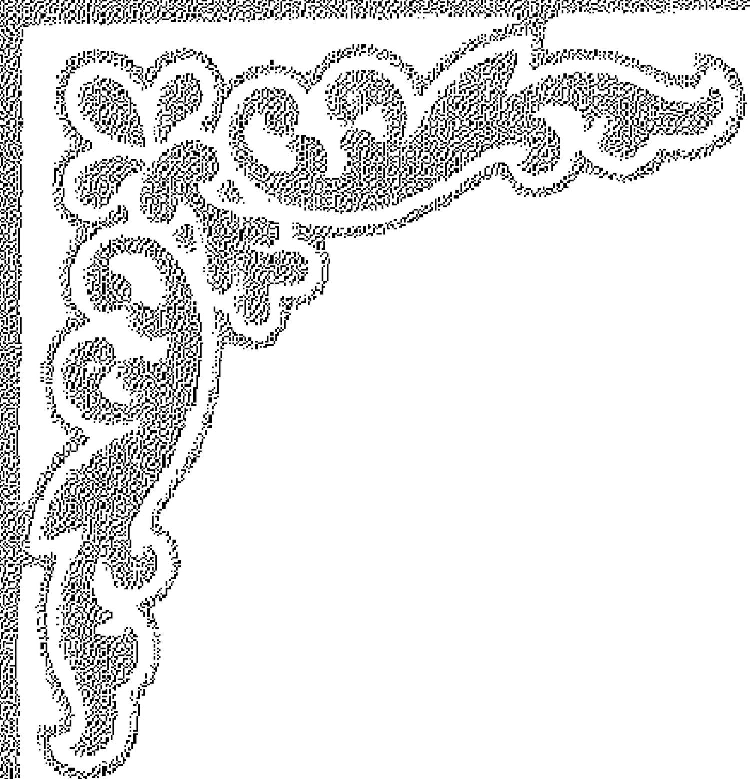
آخر احتفال بعد الزفاف هو (الثامنة) ويكون بعد مرور ثمانية أيام على الزفاف من بعد صلاة العصر حتى العشاء وهو عبارة عن زفة للعروس وغناء وسط الإيقاعات المختلفة للطبول وتقوم المدعوات باداء الرقصات الشعبيه وتشارك العروس فى الرقص أيضاً فى هذا الاحتفال.



وقديما إذا تعذر على أهل العريس اقامة حفل الثامنه الذى يسمى (خرجة) أى الحفل الذى بعده تستطيع أن تخرج العروس - إذا تعذر ذلك يكون خروجها ومشاركتها فى الأفراح وهى مغطاة الوجه حتى تسمح الظروف باقامة الحفل الأخير لها وهو الثامنه ويعتبر مسك الختام.

ونعود لنقول ان هذه التقاليد والعادات تعدلت وتطورت فى معظم مناطق اليمن وان بقى الجوهر موجوداً فى التعديل والتطوير. ولكن هناك وفى المناطق النائيه والمنعزله مازال الناس يتبعون هذه التقاليد وتقاليد أخرى شاقه وصعبه بكل حذافيرها ويتناقلها الأبناء عن الآباء والاجداد حتى لا تندثر بمرور السنين.





من قلم
د. محمود سلام زناتي

زعموا أن المهر ثمن الزوجة

شاعت بين من كتبوا عن عادات ونظم الشعوب الافريقية من الرحالة والمبشرين والباحثين الغربيين لا سيما القدامى منهم فكرة مؤداها ان الزواج لدى هذه الشعوب يتم عن طريق شراء المرأة من أهلها.. وان الاشياء التى يدفعها الراغب فى الزواج إن هى إلا ثمن للزوجة.. والذى أغرى المؤلفين الغربيين بهذا التفسير هو ما تمخضت عنه مشاهدتهم من ان الرجل يكتسب بدفعه هذه الاشياء حقوقا كثيرة على المرأة ما كانت لتثبت له لولا هذا الدفع.. وقد ساعد على وقوعهم ضحية هذا التفكير ان نظام المهر ليس معروفا فى بلادهم.. فالزواج عندهم لا يتم بدفع مهر من قبل الراغب فى الزواج. بل قد يقترن الزواج لديهم بتقرير ما يقدمه والدا الزوجه أو أحدهما من أموال تحملها إلى زوجها لينتفع بها.. وقد يقترن بتكوين اموال مشتركة بين الزوجين يسهم كل منهما فيها بنصيب.. وقد لا يقترن الزواج بشىء من ذلك فيحتفظ كل من الزوجين بأمواله منفصلة عن اموال زوجه.. لكن الزواج، فى كل الاحوال، لا يتطلب قيام الراغب فى الزواج بدفع مال من أجل زوجته..

ونسوق فيما يلى على سبيل المثال اقوال بعض الذين كتبوا عن المهر والزواج فى افريقية.

● ففى بداية القرن السابع عشر (عام١٦٠٩) كتب احد الرحالة البرتغاليين وهو جوس دوس سانتوس Joaos dos Santos يصف عادات سكان سوفالا (Sofala) فى جنوب شرق افريقية (موازمبيق) فيقول: أهل هذه البلد يشترون النساء اللاتى يتزوجونهن من آبائهن وامهاتهن ويعطون من أجلهن ابقارا أو اقمشة أو نقودا أو عزّافات كل حسب قدرته وحسب حالة المرأة.. وهذا هو السبب فى ان الرجال الذين لديهم الكثير من البنات يشعرون بالسعادة لحيازتهن حيث انهم بحيازتهن يكون لديهم الكثير لبيعه.. وإذا لم يكن احد الرجال راضيا عن زوجته فباستطاعته ان يعيدها إلى من باعها له لكنه يفقد كل الثمن الذى دفعه من اجلها عندما اشتراها.. ويلتزم الأب/ أو الأم باسترداد البنت المطلقة وبعودتها إلى سلطته تنقطع صلتها بالزوج الذى طلقها.. ومن

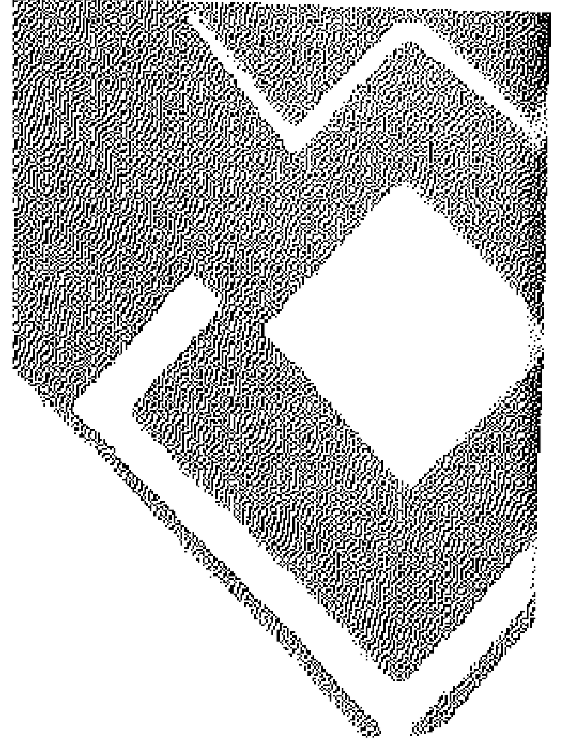
الممكن للاب ان يبيعها من جديد بأن يزوجها من رجل آخر. . ولا تستطيع المرأة الانفصال عن الزوج فلا يمكنها هجره أو تطليقه لانها - الى حد ما - أسيرته وقد كلفته مبلغا من المال»(١)

● وفى حوالى منتصف القرن التاسع عشر كتب احد الرحالة الانجليز وهو سير ريتشارد بيرتون (Richard Burton) يصف الزواج لدى بعض شعوب شرق افريقية فيقول: «**الزواج لدى هذا الشعب، كما الحال لدى كل الشعوب الهمجية وحتى فى الطبقات الدنيا للاجناس المتحضرة - هو مجرد مسألة شراء وبيع. . فالرجل يجب ان يتزوج لأن ذلك ضرورى لراحته وبالتالى فإن المرأة تصبح سلعة قابلة للتسويق فأبوها يطلب من أجلها من الابقار والاقمشة والأساور المصنوعة من النحاس قدر ما يستطيع الراغب فى الزواج ومن ثم يبيعها فعلا. . وهى تخص المشترى وتأخذ مكانها إلى جانب حيواناته الاخرى**»(٢)

● وفى اوائل القرن الحالى كتب احد المؤلفين الفرنسيين وهو (كيرو) عن تقاليد شعوب كونغوبرازافيل (وكانت وقتها مستعمرة فرنسية) يقول ان «**الزواج هو مسألة شراء وبيع لا أكثر. . فالرجل يشترى زوجته من ابيها ومن ثم تتكون الاسرة. . ولا تحصل المرأة من اختيار زوجها على فائدة اكثر مما تحصل عليه فرس من بيعها إلى هذا التاجر او ذاك من تجار الخيول**»(٣)

● ولم تقتصر فكرة كون المهر ثمنا للزوجة والزواج المقترن به شراءا على كتابات المؤلفين. . بل لقد وجدت لها صدى فى احكام بعض القضاة الأوربيين الذين كانوا يمارسون وظائفهم فى البلاد الافريقية وقت ان كانت مستعمرات للدول الاوربية. . ومن الممكن ان نشير هنا إلى الحكم الذى أصدره (**سير روبرت هاملتون**) عام ١٩١٧ وكان وقتها رئيسا للمحكمة العليا فى كينيا. . وكان موضوع القضية يدور حول معرفة ما إذا كان الرجل والمرأة المتزوجان طبقا للعرف القبلى يعتبران زوجين بالنسبة لحكم المادة ١٢٢ من قانون الاثبات الهندى (**الذى كان مطبقا فى كينيا**) والتى تنص على انه «**لا يجوز اجبار أى شخص متزوج أو كان متزوجا على الافضاء بأية معلومات اطلعه عليها اثناء الزواج زوجه أو من كان زوجا له**». . فالذى كان مطلوبا فى القضية هو معرفة ما إذا كان الزواج الذى يخضع للقواعد العرفية يعتبر زواجا ومن ثم يحول دون اجبار أحد الزوجين على الافضاء بالمعلومات التى اطلعه عليها زوجه؟. . ام

الدكتور محمود سلام زناتى. .
يكتب «هنَّ» فى هذا الاستطلاع الشيق عن تصور (أو قل سوء تصوير) بعض المستشرقين والأوربيين لوضع المرأة فى أفريقيا: فكتبوا أن الزوج يشترى زوجته بما يقدم لها من مهر.
وكاتبنا بحماس أهل المشرق وتصديهم الدائم لكيد المفترين الذى كثيرا ما ينصب على افريقيا والافارقة يحاول فى هدوء ان يدفع عنهم تلك الفرية الضالة الموجَّهه ويُفصِّلُ فى ثقة دوافعها. . ويحدد افعالها. . ويثبت بالواقع مناهجها واهدافها. . وهو بكل هذا ينقلنا لذلك العالم - الساحر او السحرى - كما يحلو للبعض ان يصفه.
«هنَّ»



انه لا يعتبر زواجا ومن ثم يجوز اجبار احدهما على الافضاء بهذه المعلومات؟ . .

وكانت النتيجة التى انتهى اليها رئيس المحكمة العليا هى ان الزواج، طبقا للتقاليد القبلية، لا يعتبر زواجا بالمعنى الصحيح ومن ثم لا ينطبق عليه النص المشار إليه. وقد جاء فى حيثيات هذا الحكم ما يلى: «فى رأيى ان استعمال كلمة (زواج) فى وصف العلاقة التى يكون طرفا فيها رجل افريقى وامرأة من قبيلته طبقا للعرف القبلى، تسمية خاطئة أدت فى الماضى إلى كثير من الخلط فى الأفكار. ولست اعرف عن كلمة واحدة تصفها بطريقة صحيحة «شراء زوجة» ليست مرضية تماما. لكنها اقرب الى المعنى من كلمة (الزواج) بمفهومها المألوف لدى الشعوب المتحضرة. فعناصر ما يسمى زواجا فى العرف الوطنى تختلف اختلافاً جوهريا عن المفهوم السائد عما يكون شكلا متحضرا للزواج لدرجة انه من الصعب المقارنة بين الاثنين»(٤)

● لكن عندما شرع الأوربيون فى دراسة التقاليد القبلية الافريقية دراسة متأنية جادة تبينوا خطأ وصف الزواج الافريقى بانه شراء. . والمهر بانه ثمن الزوجة. . ولهذا اخذوا يبحثون عن تفسير جديد للمهر. . وقد تشعبت بالباحثين السبل، واختلفت بينهم الآراء. .

وسوف نعرض فيما يلى نماذج من هذه الآراء الجديدة التى تنفى وصف الشراء عن الزواج الافريقى. . ونحاول ان نجد للمهر تفسيرا اكثر تمشيا مع واقعه.

● ففى دراسة عن قانون التسوانا (Tswana) يعرض لنا شابيرا ما انتهى اليه فى شأن المهر فيقول: «لا يكتمل الزواج طبقا لقانون التسوانا إلا اذا كان اهل الزوج قد دفعوا ماشية إلى اهل الزوجة. . وكان المبشرون وبعض الاشخاص الآخرين ينظرون الى دفع الماشية هذا بوصفه شراء للزوجة وباعتباره منطويا على الكثير من النتائج المهينة بالنسبة لها».

لكن هذا المفهوم للمهر خاطىء تماما على ما سيتبينُ من المعلومات التالية: فليس ثَمَّة مساومة فيما يتعلق بعدد الماشية التى تعطى. . فاقارب الزوج يقدمون من الماشية ما يريدون وما يقدرون عليه. . وهذه الحقيقة وحدها تقتضى استبعاد فكرة الشراء. حقا ان المرأة التى يقترن زواجها بدفع مهر تقع تحت سلطة زوجها إلى مدى ابعد من المرأة التى لم يدفع من أجلها مهر. . وإذا تركته اعادها اهلها إليه إلا اذا كان لديها مبرر معقول لتصرفها. . وحقا ان قانون التسوانا القديم كان يعطى فى حالة موت زوج مثل هذه المرأة أخاه أو غيره من عصبته الحق فى معاشرتها. . لكن من ناحية اخرى تشغل المرأة التى يقترن زواجها بدفع مهر مكانة فى القبيلة اسمى بكثير من مكانة المرأة التى لم تتزوج على هذا النحو. فإذا أسيئت معاملتها أو كان لديها اى شكوى لها ما يبررها ضد زوجها كان يمكنها الاستنجاد بوالديها وعصبتها الذين يحمونها. . بينما المرأة التى لم يدفع من اجلها مهر لا توجد تحت تصرفها وسائل قانونية ضد تصرفات زوجها.

والتسوانا انفسهم يتحدثون عن المهر بوصفه «تقديم شكر» لوالدى الفتاة من اجل العناية التى بذلاها فى تربيتها وكعلامة عرفان بالجميل لتفضلهما الآن بالسماح للزوج بالزواج منها. . ويقول البعض انه تعويض لوالدى الزوجة عن فقدان خدماتها. . ويقول آخرون انه نوع من توثيق الزواج يدل على ان معاشرة الرجل والمرأة تلقى قبولا تاما من جانب أسرتيهما. . ويركز آخرون على كون ان المهر يخلق رابطة خاصة بين جماعتى القرابة، كما يخلق نقل الماشية فى حالات إخرى روابط خاصة بين زعيم

القبيلة ورعاياه، وبين مالك الماشية ومن يقوم برعيها. . ويقال ايضا إن المهر يدفع لاعطاء الاولاد المولودين من الزواج بعض امتيازات فى بيت اهل امهم لا يكون لهم بدونها حق فيها. . فمن حقهم مثلا ان يذهبوا أو ان يبعث بهم إلى بيت امهم ليربوا هناك ويعالوا من الماشية التى اعطيت بوصفها مهرا من اجلها.

« غير ان الوظيفة الأساسية للمهر هى نقل طاقة المرأة التناسلية من اسرتها إلى اسرة الزوج». (٥).

● ويتحدث هكسلى عن المهر لدى الكيكويو فى كينيا فيقول: ان الكيكويو مثل معظم قبائل البانتو، لديهم النظام المعروف بثمن العروس (bride - price) والذى فى ظله يجب على العريس ان يسلم عددا من الماشية أو الماعز إلى اسرة العروس. . وهذا النظام يكاد جميع الاوربيين يسيئون فهمه وتفسيره حيث يرون فيه مجرد شراء للزوجات. . غير ان الانثروبولوجيا الاجتماعية بغوصها تحت المظهر السطحى ألقت ضوءا جديدا على هذا النظام: فقد أبانت مثلا عن ان مغزاه الرئيسى لا يتعلق بمجرد شراء زوجات بصفتهن الفردية، وانما يتعلق باستمرار العشيرةالتى هى محور الحياة الاجتماعية الافريقية ومركز التفكير الافريقى. . فلابد للعشيرة ان تستمر، ولكى تستمر العشيرة لابد لرجالها من الحصول على اولاد، وللحصول على اولاد لابد لهم من نساء. . فالنساء لا يخدمن العشيرة بوصفهن فلاحات وطباخات فحسب وانما بوصفهن منجبات اولاد أيضا. . ولهذا فإن من العدل عندما تتخلى عشيرة عن امرأة على سبيل الزواج لعضو بعشيرة أخرى ان تحصل منها على ما يمكنها من تعويض نفسها.

● ومن وجهة نظر العروس والعريس، بوصفهما فردين ليس المهر(bride - price) مجرد صفقة مالية: انه تأمين، فأسرة العروس تحوز ماعز الزوج وماشيته بوصفها ضمانا لعدم اساءة معاملتها وتأمينا لحسن سلوكها. . وإذا هجرت الزوجة زوجها دون سبب مقبول او ارتكبت زنا (تختلف التفاصيل من قبيلة إلى اخرى لكن المبادىء العامة مطردة) ردت اسرتها المهر. . لكن إذا تركت زوجها بسبب أساءته معاملتها فليس له حينئذ اى حق وهو يفقد المرأة كما يفقد الحيوانات»(٦)

● كذلك يصف وسترمان موقف شعوب غرب افريقية من المهر فيقول: **«ان الافريقيين يدافعون بحق عن انفسهم ضد تقرير الملاحظين السطحيين انهم يشترون ويبيعون نساءهم. . فلو ان الأمر كان كذلك لكان من اللازم ان تصبح المرأة أمة للرجل. . وهو ليس صحيحا لا فى القانون ولا فى الواقع. . فالرجل من الإيوى (Ewe) لا يستطيع بيع أمته بمجرد زواجه منها فما بالك بالمرأة الحرة. . وتقدر المرأة قيمتها والاحترام الذى سوف تلقاه من الزوج واسرته فى ضوء قيمة المهر الذى دفعه من أجلها. . والزواج الذى ينعقد بدون مهر يعنى بالنسبة للافريقى، الذى لم يتأثر بالأفكار الاوربية، إذلالا بل عارا للزوجة حتى المثقفين ومعظم الافريقيين المسيحيين من هذا الرأى»**. (٧)

● **ويقول هرسكوفتش بالنسبة لداهومى (بنين فى الوقت الحاضر) «إذا تساءلنا عما إذا كانت الزوجة فى داهومى ينظر اليها بوصفها شيئا يشترى كما يشترى الحيوان المنزلى أو الوعاء ام لا، فان الجواب يجب ان يكون بالنفى»** ويرى هرسكوفتش **«انه من الممكن تكييف الوضع بالنسبة للمهر على النحو الآتى: عندما يدفع رجل من اجل زوجته لا يكتسب ملكيتها، وانما يعوض اهل زوجته من اجل تنازلهم عن اية ذرية قد تنتج عن الزواج»**(٨)

● ويتحدث مسيك عن الزواج لدى الأيبو (Ibo) فى جنوب شرق نيجيريا فيقول: ان النظام العادى لابرام

الــزواج لديهم هو ذلــك الــذى يقتضى دفــع ثمن العروس (bride - price) ويضيف انه لا تكاد توجد ضرورة لتذكير القراء بان هذا الاصطلاح الشائع لا يقتضى ان الزوجة تشترى من أبيها وانها تصبح مجرد متاع لزوجها . . فالغرض الأساسى من ثمن العروس هو تصحيح الرابطة التى تقوم بين رجل وامرأة وكفالة الدوام لها وبالتالى تمييز الزواج وتكوين اسرة عن مجرد العلاقة الغرامية وانجاب اولاد من علاقات جنسية غير نظامية .(٩)

● كذلك يتحدث سميث عن الفكرة السائدة لدى الاوربيين عن زواج الافريقيين فيقول : لا توجد لدى الاوربيــين (بــما فيهم المبشرون) خرافة ، فيما يتعلق بالافــريقيــين ، اكثــر شيــوعــا من انهم يشــترون زوجاتهم . . لقد حان الوقت لكى ينتهى هذا الوجه من سوء الفهم . . لقــد بلغ من تكــرار هذا القــول للافريقيين انهم فى بعض الجهات بدأوا يصدقونه ومن ثم فهم يعتبرون المهر الآن ثمنا للزوجة . . لكن فى نظــر الافــريقيــين الحقيقيين لا تعد الماشية والاشياء الاخــرى التى تقــدمهــا عشيرة العريس الى عشيرة العــروس ثمنــا . . فالرجل لا يكتسب على زوجته حقــوقــاً ملكيــة كتلك التى يكتسبهــا عندما يشترى امة . . فالمهر هو من ناحية ضمانة لحسن المعاملة وهو من ناحية اخرى رمز للزواج المشرف من وجهة نظر النســاء . . فالنســاء اللاتى دفع من اجلهن مهرهن يعتــبرن زوجــات . . وانــه لمن العسير ان يفهــم المرء السبب الذى من اجله لم يؤيد المبشرون هذا التقليد الأهلى الممتاز .(١٠)





المراجـــــع

(1) Juned, Coutumes diverses des Vandau de I'Afriquc Orientale Pertugaise, P. 160.
(2) Burton, The Lake Regions of Central Africa, New Ed. London 1963, Vol2. P. 332.
(3) Cureau, Savage man in Central Africa, Eng. Trad London 1915, P. 103.
(4) Phillips, Reports on Native Tribunals, 1944, P.292.
(5) Schapera, A Handbook of Tswana Law and Custom, London, P. 138.
(6) Huxeley, Africa view, Londin 1931, P. 199.
(7) Westermann, The African to-day and to-morrow, New Ed. Londen 1949, P. 125.
(8) Herskovits, Dahomey, Vol.I, New York 1938, P. 85.
(9) Meek, Law and authority in a Nigerian Tribe, London 1950, P. 267.
(10) Smith, The Golden Stool, London 1927,P. 277.



هذا كتاب علم نفيس نادر له من العمر سبعة وأربعون عاما يضم فى شوارده ونوادره شرائحاً طبية حية تتجه للجنسين معا وتتخصص فى اغلب الاحيان للجنس النسوى الناعم . وهو من هذا الجانب المشترك - اذن - يدلل على ان النساء شقائق الرجال ، وكلٌ لما فُطر له .

أردنا بنشره على حلقات معدودة أن نوظفه طبيا لصالح حواء عصرنا فى كل صقع ومكان ، مستلهمين ذلك من مقدمة المؤلفة قولها (وما ينطوى عليه عمل جليل كنشر هذا الكتاب بين ابناء المجتمع من تزويد ثقافتنا بنوع جديد من الجمال الحى المفكر الفاضل ما كان يمكن النهوض به على غير أكتاف المرأة الحديثة) . وأخذنا بهذا الذى حثت عليه وأملته . وأكدناه بذلك الترشيح الذى استنطقناه من قبل أحد الاطباء المتخصصين فكان نشره اضافة وازديادا فى المعرفة بعد ان ذوبنا بعض هناته التى قد لا تتفق مع تقاليدنا وبيئتنا وهى من القلة بحيث لا تنظر . ومرحبا بالمؤلفة الفاضلة التى لا شك أنها اثرت هذه الناحية فى وقت عزَّفيه القلم والقرطاس .

إنـه أحد جديد عامنا الجديد ١٤٠٥هـ فترقبنه اخواتى الفضليات شهريا فانه لكنَّ بالذات . « هـن »

الاهداء

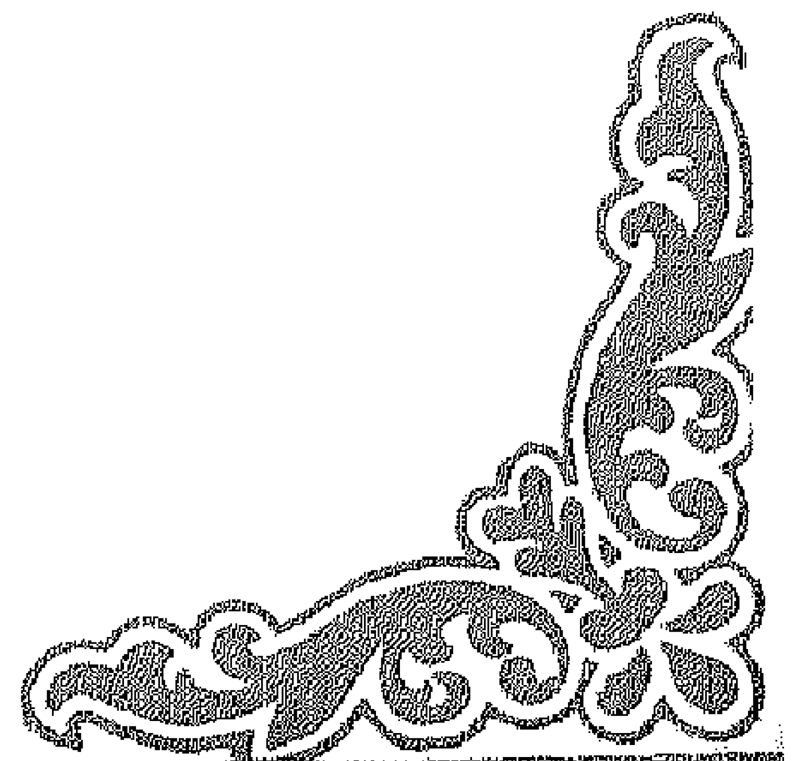
اليكِ ايتها الذات الجميلة ، يا من اشربت القلوب حبك ، وتطلعت العيون الى ودك ، وتعالت الالحان فى نجواك . . .

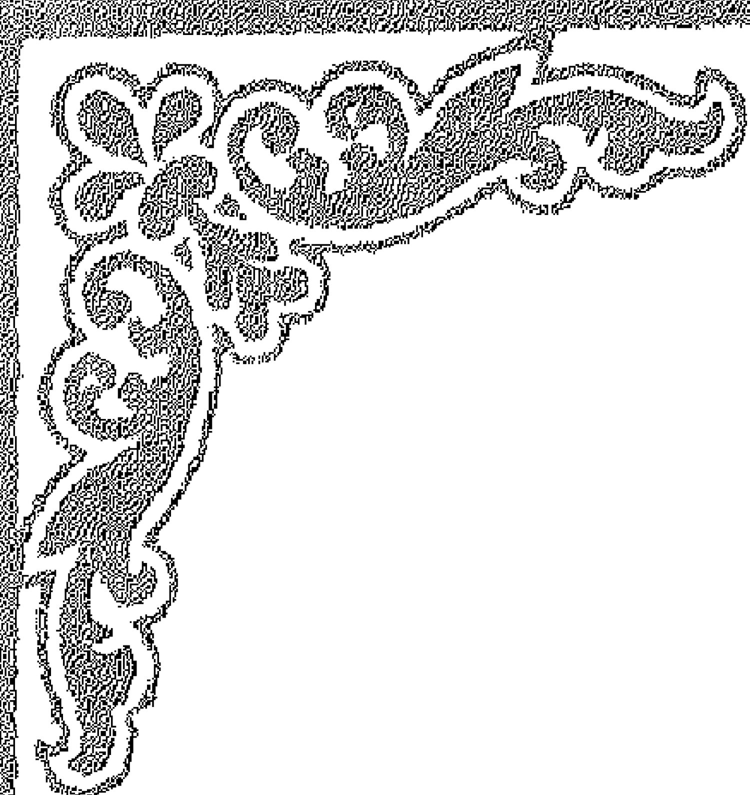
فأوحيت خيال الشعر ، والهمت آية الفن وأسمعت أنشودة الخلد ، من كل رمز جميل وفى كل لحن جميل . .

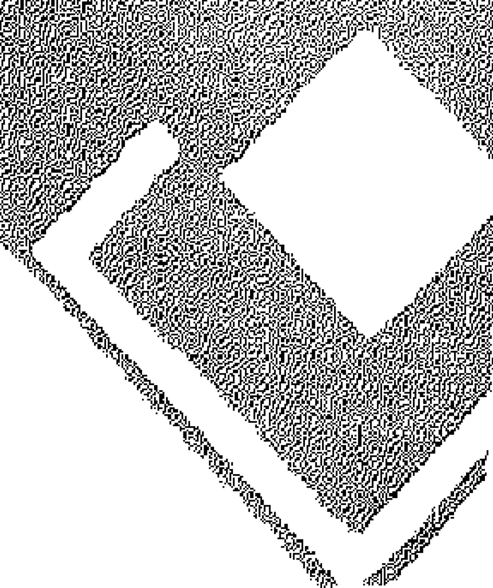
الى كل فتاة . . الى كل سيدة . . تجسمت فيهما رسالة الجمال . .

الى اول مولود سعيد ، أضع تحت جسمه الرطب وملمسه الندىّ الغضّ . . كتابى هذا . . كالمهد وتبرا ، واسهر على العناية به فى حراسة الله .

حكمت منصور
١٩٤٧









الجمال وفن التجميل

BEAUTE POUR LA FEMME MODERNE

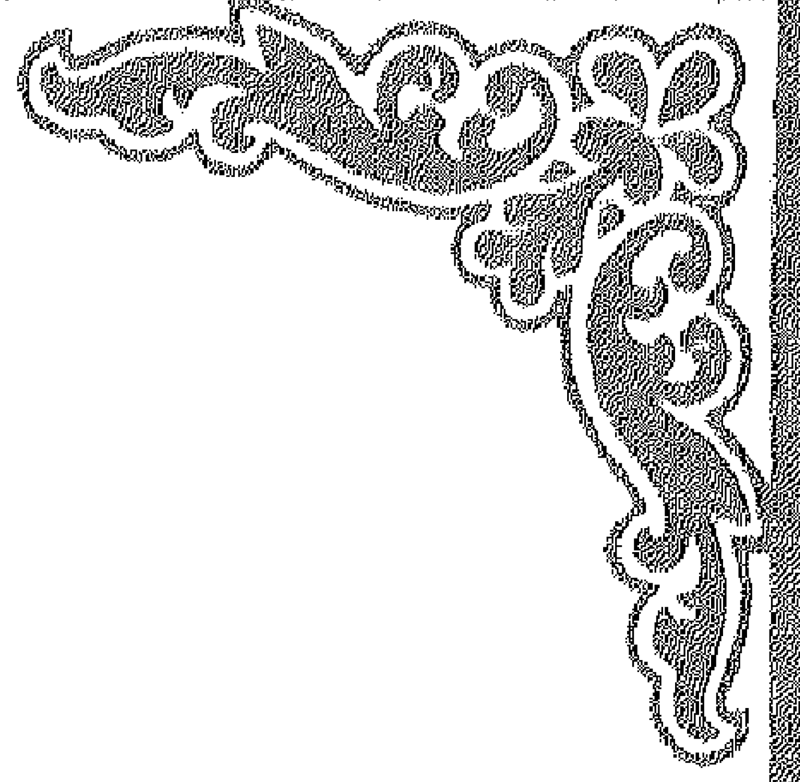
الفكرة الصحيحة عن الجمال الانسانى، تلك الشخصية العظيمة المثال، التى يختص الله منها المرأة بأكبر نصيب، لم تصادف ـ حتى انتهائى بعون الله من اعداد هذا الكتاب ـ من يعمل على نشرها واذاعة ثقافتها بين قراء العربية، سواء من قبل الهيئات الرسمية أو الجماعات الشعبية، ولا فرداً من الأفراد يحق لى أن أسجل هنا أثره فى سبيل الجمال.

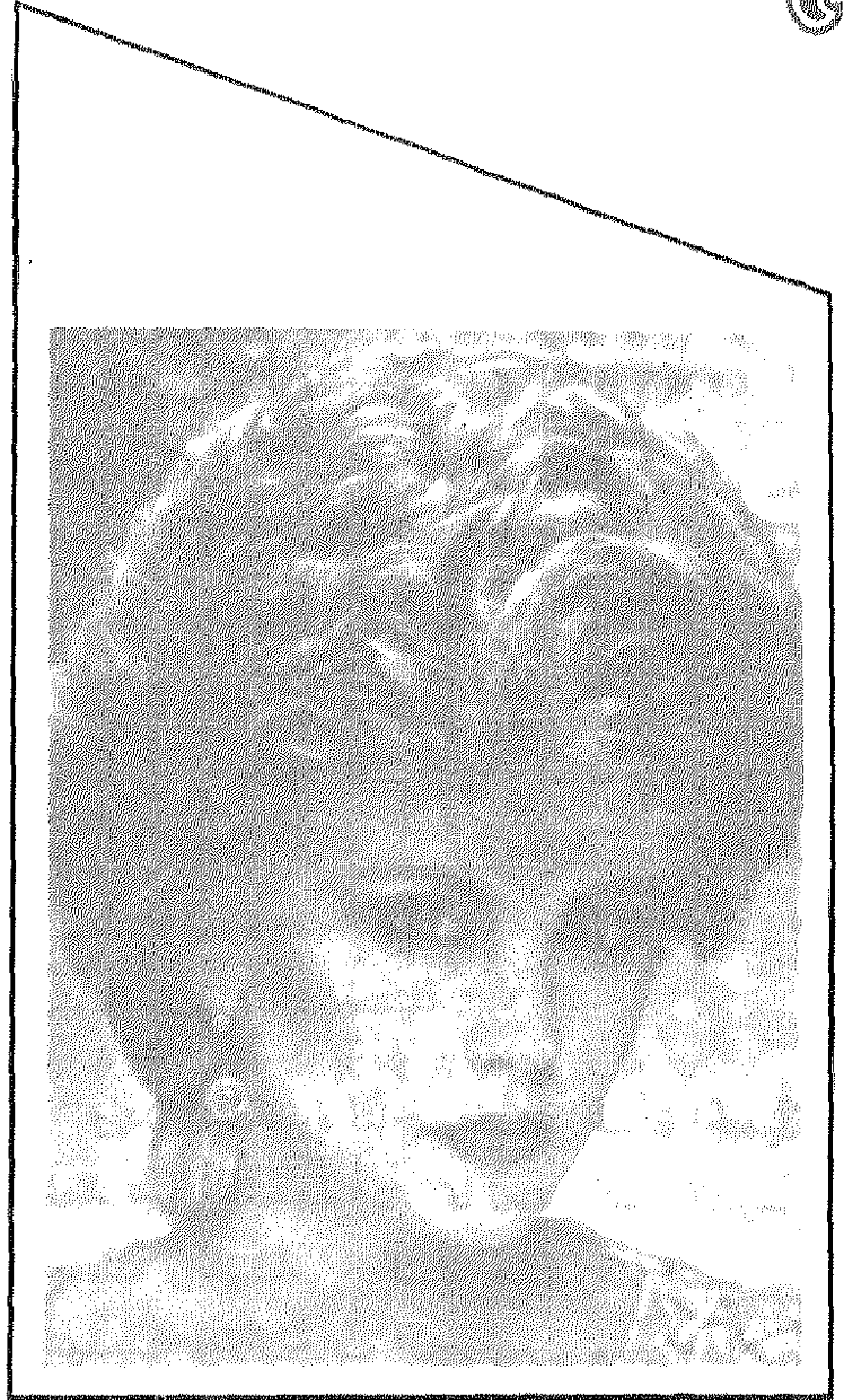
فلقد كانت تلك الفكرة ـ أمر تكوينها أو حظها من الذيوع والانتشار، فى مصر على الأخص ـ رهينة بأسباب المشاهد الاجتماعية الكثيرة التى ترى فى حركات الجسم الجميل، ورهينة بما تجود به التقاليد على المرأة.

فكل ما يمكن أن يظهر عن تلك المشاهد بين الناس عادة من مظاهر الاعجاب أو الاستحسان لا نسميه فكرة صحيحة عن الجمال الانسانى أو بعبارة أخرى المرأة الجميلة.

وإذن فالفكرة المأخوذة عن المرأة الجميلة تعتمد على المشاهد أكثر مما تعتمد على الدرس والبحث والقياس بحيث يعوزها التنوير والتهذيب والانتخاب الصحيح، ويعوزها من كان يأخذ بيدها إلى مدارج المثل العالى الذى تكاثر على الزمن طلابه ومحبوه.

أما كون الجمال فكرة وأما كونه خيالا بديعا أو روحا ساميا أو سرا محفوظا إلى الأبد.. فقد بحثت كل هذا فى مطالعاتى الكثيرة بين كتب الفلسفة والأدب والشعر، بين ما كتبه العرب وما كتبه الغربيون من فلاسفة الاغريق والرومان فى تصوير الجمال وفلسفة الجمال وحقيقة الجمال، ووجدت فيها آثاراً ومذاهب عظيمة تشهد بالخلود





لأصحابها فى الفن وفى العلم وفى براعة التصوير ودقة التعبير، ولكنها لم تكن تصرفنى عن الغرض الأول من اعداد كتابى على هذا النمط فى بحثه ودرسه وجمع تراجمه واستيفاء شروحه واختيار صوره وتنسيق أسلوبه، ليكون قاموساً وافياً بكل الأغـراض التى تعمـل على خدمـة الجـمال الانساني ممثلا فى المرأة .

وأيضاً لم تكن تصرفنى المؤلفات الغربية عن مراعاة الحالات الخاصة بالجمال فى مصر والشرق واستعمال الحكمة فى علاج هذه الحالات طبقاً لميزات الجمال الشرقى، من حيث اللون والشكل والدم والروح بعيداً عن الابتذال أو المغالاة أو الخروج عن دائرة التقاليد. فأوقفت فى الكتاب أبوابا خاصة بذلك راعيتها حتى فى تكوين مستحضرات التجميل والدقة فى استعمالها، وفى أنسب القواعد للرياضة البدنية، وأوفق النظم للغذاء والتغذية، كذلك الحالات الخاصة بعلاج عيوب الجمال وأمراضه المختلفة التى كانت كلها موضع شكوى آلاف السيدات والفتيات ممن وصلتنى رسائلهن أثناء كتاباتى .

وإنى واثقة مطمئنة الى أن كل سيدة أو فتاة تسترشد بالكتاب وتعمل بما جاء فيه، فهى لابد ناجحة وكأنها فى ذات الوقت تعمل معى يداً بيد على تحقيق الغايات التى أبغيها من خدمة الجمال الشرقى عموماً، وإزاحة الستار عن مثال المرأة الجميلة فى مصر أمّ المدنيات فى العالم. . وما يكون فى العناية بتكثير نسلها من دلائل الرقى وسمو الروح وتهذيب النفس، وما ينطوى عليه عمل جليل كنشر هذا الكتاب بين أبناء المجتمع من تزويد ثقافتنا بنوع جديد عن الجمال الحى المفكر العاقل، ما كان يمكن النهوض به على غير أكتاف المرأة الحديثة .

نسأل الله تعالى النجاح والتوفيق .

« حكمت منصور »

الواوات والياءات في النحو والصرف

«فتحية حسين عطار»

بسم الله جلت قدرته الذى ﴿علّم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلم﴾ وأحمده وأشكره تعالى الذى أول ما دعا له القراءة فى خطابه الرسوله: ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾ والصلاة والسلام على من بعثه الله نوراً وضياء للناس كافة.

وبعد: وبعد: فهذا موضوع دراستى عن: (الواوات والياءات فى النحو والصرف) الذى احتوى على بابين اثنين يسبقهما مقدمة وتمهيد.

فالباب الأول: هو (الواوات والياءات فى النحو) وقسم إلى فصلين: الأول: الواوات فى النحو والثانى: الياءات فى النحو والباب الثانى هو: الواوات والياءات فى الصرف وقسم إلى ثلاثة فصول:

الأول: أحكام صرفية خاصة بالوار.

الثانى: أحكام صرفية خاصة بالياء.

الثالث: أحكام مشتركة بين الواو والياء.

وينتهى البحث بخاتمة وهى عبارة عن ملخص للموضوع، وفيه بعض نتائج هذه الدراسة ثم الفهارس العامة.

فالتمهيد كان عن الدراسة الصوتية للواو والياء عند بعض العلماء قديماً وحديثاً كالخليل وسيبويه. وابن جنى وابن سينا، وابن منظور والدكتور على عبد الواحد وافى، والدكتور ابراهيم أنيس، والدكتور تمام حسان.

أما الباب الأول: فهو (الواوات والياءات فى النحو) الفصل الأول فيه الواوات فى النحو مثل: واو العطف التى تفيد الجمع والتشريك فى الحكم لا الترتيب، لأن هناك حرفاً آخر يحمل معنى الترتيب، وهو الفاء، فكل حرف مختص بحكم لا يتعداه وفى هذا كمال للغة، ودليل على دقتها. ثم واو المعية وقد بين البحث اختلاف النحويين فى المفعول معه، ورجح الرأى الذى يقول: إنه ينتصب بعده الاسم بالفعل أو بشبهه بواسطة الواو. وواو القسم: وضعها

بعض النحاة مع حروف الجر، لأن الاسم بعدها يأتى مجرورا. ثم كان الحديث عن الواو التى تأتى علامة إعراب فى جمع المذكر السالم والملحق به، وفى الأسماء الستة. ثم الواو التى تقع فاعلاً وواو الحال سماها كذلك الأزهرى فى: (**تهذيب اللغة**) وهى تقع بعد جملة مركبة من مبتدأ وخبر فيها معنى الحال كقوله تعالى: ﴿**إذ نادى وهو مكظوم**﴾ ومن الواوات التى تضمنها البحث: واو التحذير تأتى بعد لفظة «إياك» مثل إياكم والظن «واو الصرف» هو مصطلح كوفى، وهو أن تأتى بالواو عاطفة على كلام فى أوله حادثة لا تستقيم إعادتها على ما عطف عليها، ويكون فى أوله جحد أو استفهام ويرى الفرّاء أن الصرف علة لنصب الفعل المضارع بعد واو المعية وفاء السببية، وأو، بينما يرى جمهور البصريين أن المضارع بعد هذه الحروف منصوب بأن مضمرة وجوباً نحو لاتنه عن خلق وتأتىَ مثله. ومن واوات البحث «واو الإشباع» وهى التى تأتى من إشباع الضمة كقوله: ﴿**فأنظور**﴾ أى: فأنظر ويراها سيبويه جزءا من الكلمة وحذفها ضرورة، ويرى المالقى: أنها وضعت للدلالة على المفرد المذكر مثل: «ضربتهو» كما تدل الألف على التأنيث فى: «ضربتها» و«واو الصلة فى القوافى» تكون إطلاقا للقافية المطلقة وتأتى فى موضع النون من آخر العروض السبعة.

و«واو الإنكار» هى زيادة تلحق آخر الاسم فى الاستفهام وهى تتبع حركة الحرف الذى قبلها نحو هذا عمر، فتقول أعمروه؟ و«واو التذكر» هى مدة قد تزاد بعد الكلمة إذا أراد المتكلم أن يتذكر اللفظ الذى بعدها و«واو الثمانية» اختلف العلماء فى تسميتها، قالوا: هى زائدة، أو واو الحال، أو واو الابتداء.

«الواو اللطيفة» استحسنت العرب استعمالها حين السؤال، ويكون جوابه بلا النافية، كقولك: أتبيع هذا الكتاب؟ والجواب: لا ورعاك الله بدل أن تقول: لا رعاك الله وقالوا عن هذه الواو: إنها زائدة



ولكن كيف تكون زائدة وفيها هذا المعنى اللطيف؟

أما الفصل الثانى: فهو «الياءات فى النحو» ومن موضوعاته: «ياء المخاطبة» وقد ناقشت اختلاف النحاة فى كون هذه الياء اسماً أو حرفاً وهل هى علامة تأنيث كالتاء فى «ضربت»، و«ياء المتكلم» اختلف العلماء فى تسميتها فبعضهم سموها: «ياء الاضافة» وبعضهم: ياء النفس وهى تتصل بالاسم وبالفعل وبالحرف نحو كتابى، أكرمنى، إنى. و«ياء المضارعة» تأتى أول الفعل المضارع وانفرد المالقى بالقول أن الياء أصل حروف المضارعة لكونها حرف علة خالصة، ولأن الواو تحذف لوقوعها بين الياء والكسرة نحو «يعد» أصلها «يَوْعِد» ولكن هذا الحذف مطرد مع كل حروف المضارعة وليس مختصا به الياء، لأنهم أرادوا أن يكون الباب على وتيرة واحدة فهذا السبب لا يدل على أصلية الياء. وتأتى الياء علامة إعراب فى المثنى وجمع المذكر السالم، والملحق بهما فى حالتى النصب والجر، وفى الأسماء الستة فى حالة الجر.

ومن موضوعاته: ياء الاشباع، وياء الصلة، وياء التذكر، وهى كواو الإشباع والصلة والتذكر التى سبق ذكرها. أما الباب الثانى والأخير فهو: «الواوات



والياءات فى الصرف». وقسم إلى ثلاثة فصول.
الأول: «أحكام صرفية خاصة بالواو» ومن موضوعاته إبدال الواو المضمومة همزة إذا كانت فى أول الكلمة كقولك فى: «وجوه» أجوه لأن العرب يكرهون الواو عليها ضمة كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو: موونه فيقولون مؤونة وإذا وقعت الهمزة فى وسط الكلمة، وكانت ضمتها لازمة، ولا يمكن تخفيفها بالسكون يجوز همزها فتقول فى جمع دار: أدؤر. أما إذا كان الضم على الواو للإعراب نحو: هذه دلوك فلا تقلب، لأن الضمة عارضة يزيلها النصب والجر، وكذلك إذا كانت مشددة كالبقول لقوتها بالتشديد.

وتبدل الواو المفتوحة همزة على غير قياس، قالوا فى وجم: أجم أما الواو المكسورة فيجريها كثير من العرب مجرى المضمومة فيبدلونها همزة عند مجيئها أولا، لأنهم يستثقلون الكسرة فيها فيقولون: إسادة فى «وسادة» وإذا اجتمعت الواو مع أخرى تقلب أولاهما همزة وجوبا لأن الواو أثقل حروف العلة مثل: أواصل فى «وواصل» وقلبوا فى: فُعَّل وهو جمع، لأن الواحد كان معتلا نحو صائم جمعه صيَّم وسبب جواز لقلب أيضا مجاورة العين اللام، فالشىء إذا جاور الشىء دخل فى كثير من أحكامه والأجود صوم لأن الأصل ألا يقلب. وإذا اجتمعت واوان تبدل الأولى تاء لأنهم لو لم يبدلوها تاء لوجب إبدالها همزة لاجتماع الواوين فى أول الكلمة، والعرب تهرب من ذلك مثل: تولج فى: فوعل أصلها «وَوْلَج».

والواو من حروف الزيادة التى جمعت فى قولك: «أمان وتسهيل» مثل حومل وتعوذ وبهلول وقلنسوة ومن موضوعات البحث: حذف الواو عن علة والقياس فيه مطرد، و حذف التخفيف.

أما الفصل الثانى: فهو: أحكام صرفية خاصة بالياء ويحتوى على: إبدال الياء إبدالا مطرداً من الهمزة، وهذه لغة قريش، وأكثر أهل الحجاز. وبنو تميم وقيس يخففون الهمزة، لأنها حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف. وإذا انكسر ما قبل الهمزة أبدلت ياء تقول فى: ذئب: ذيب، **وهو قياس مطرد** فى كل ما كان بهذه الصفة.

ويجب إبدال الياء واوا إذا كانت ساكنة وقبلها ضمة، وكانت فاء الكلمة نحو: موقن أصلها ميقن ولكن لا تبدل الياء المضموم ما قبلها إذا كانت خفيفة متحركة مثل: «هيام»أو مضمومة نحو: «عُينُ» جمع «عِيان» ولا تبدل أيضا إذا كانت مشددة نحو: «سُيَّل» وأبدلت بعض الحروف إبدالا غير مطرد، **وقالوا إنه شاذ لا يقاس عليه**، كقولهم أمليت الكتاب، وأمللته. وأبدلت الياء من **حروف مضعفة** لأنهم لما كرهوا التضعيف عملوا على إبدال الحرف المضعف نحو: قيراط فى «قراط» وقصيت أظفارى فى قصصت وأبدلت أيضا للضرورة الشعرية مثل:

لها أشارير من لحم تُتَمِّره
من الثعالى ووخز من أرانيها

أراد الثعالب، وأرانبها.

وأبدل بنو سعد الياء المشددة جيما قالوا: عربانج، أى عربانى وأبو علج أى «أبو على» وقيل: إن هذه لغة طيىء، وقيل: هذه من ضرورة الشعر، ولكن كثرة مجىء هذا الإبدال فى شعرهم، ونثرهم

يبين لنا أنه ليس من ضرورة الشعر، وإنما هو لغة لبعض العرب، ولم يختص هذا الإبدال بالياء المشددة إنما كان أيضا فى غيرها كما فى قول الراجز:

لا هم إن كنت قبلت حجتج . . أى: حجتى.

وبعض العرب أبدلوا الجيم ياء كقولهم: شيرات، وشيره، أى شجرات، وشجرة ومن موضوعات البحث: ياء النسب، وسميت بياء الإضافة، والياء المشددة وكذلك ياء التصغير وتأتى فى كل أوزانه فُعَيل، فعيعل، فعيعيل.

أما الفصل الثالث والأخير فهو: **«أحكام صرفية مشتركة بين الواو والياء».**

ومن موضوعاته: إبدال الواو والياء فى الجمع همزة إذا وقعتا بعد ألف الجمع الذى لا نظير له فى الآحاد نحو: «عجائز وصحائف» أصلهما: «عجاوز وصحايف».

وتقلبان همزة لزوماً أيضاً إذا وقعتا بعد ألف الجمع الذى لا نظير له فى الآحاد، وقد تقدم الألف ياء أو واو نحو: سوائد بيائع فأصلهما: سواود، وبيايع وإذا كانت الواو والياء أصليتين نحو: مقاوم ومعايش لا تنقلب همزة، فإن ماله حركة أصلية أجلد وأقوى. وتقلبان همزة إذا وقعتا طرفاً بعد ألف زائدة ثالثة نحو: كساء، ورداء، أصلهما: كساو، وردای. ومن الموضوعات المشتركة: «الإدغام» فالواو والياء من حروف يرملون التى تدغم فيها النون الساكنة والتنوين بغنة، والغرض منه التخفيف.

بعد ذلك كان الحديث عن الرسم الاملائى للواو والياء، فيكتب المقصور الثلاثى الواوى سواء أكان اسماً أم فعلاً بالألف نحو: قفا ـ دعا أما اليائى منهما، فبالياء نحو: الحصى، وقضى وبعضهم يكتب باب المقصور كله بالألف سواء أكانت ثالثة أم رابعة أم فوقها، وكانت عن الياء أم عن الواو، وإن كان الفعل مبنيا للمجهول يكتب بالياء على كل حال، وإن كان أصله الواو، وذلك نحو: يغزى.

وإذا لحق الفعل حرف من حروف الزيادة كتبته بالياء، ولم تنظر إلى أصله نحو: أغزى وإذا انتهى المقصور بيائين سواء أكان فعلا أم اسما يكتب بالألف كراهية اجتماع ياءين فى آخرهما مثل: العليا، وما كان على: يفعل نحو: يعيا إلا يحيى اتبعوا فى ذلك رسم المصحف.

والاسم المنقوص إذا لقيه ساكن نحو: هذا قاض فى الرفع، ومررت بقاض فى الجر يكتب بدون ياء، لأن الأصل فيه: هذا قاضى و«مررت بقاضى» أسكنت الياء استثقالا لمجىء الضمة بعد الكسرة والياء، ومجىء كسرة وياء، والتنوين بعدها ساكن، فحذفت الياء، لالتقاء الساكنين، وبقيت الكسرة دليلاً عليها. وإذا عرف المنقوص بالألف واللام يكتب بالياء نحو هذا القاضى، ويمكن حذف ياء المنقوص المعرف ولكن ليس بمستعمل إلا فى رسم المصحف كقوله تعالى ﴿وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام﴾.

أما عن المصادر والمراجع فهى عديدة أهمها: «الكتاب» والذى سمى بقرآن النحو، وبجانبه بعض أمهات الكتب مثل: الخصائص، والمنصف، وسر صناعة الإعراب، وشرح المفصل، وشرح الشافية وشرح الكافية، والممتع لابن عصفور، وإصلاح المنطق لابن السكيت، والابدال لأبى الطيب اللغوى وكتاب الكتاب لابن درستويه، والمنقوص والممدود للفراء. كما كان هناك اعتماد على بعض المعاجم اللغويه مثل: اللسان.

ولقد عانيت الكثير فى سبيل تخريج الأبيات، لصعوبة الحصول عليه فى بعض كتب اللغة والأدب التى رجعت إليها لهذا الغرض. ونصحنى بعضهم بالرجوع إلى «معجم الشواهد العربية» ولكننى حينما رجعت إليه لم أجد ـ مع تقديرى للمجهود الكبير الذى بذله الاستاذ عبد السلام

هارون فى جمع الأبيات وتخريجها ـ بعض الأبيات فى المراجع التى أشار إليها، ولعل ذلك راجع إلى أن طبعة الكتاب التى تحصلت عليها غير الطبعة الموجودة فى المعجم وحاولت التعريف على قدر الامكان ـ بكل عالم نحوى ولغوى، فاحتجت لذلك إلى الرجوع إلى بعض كتب، السير والتراجم والطبقات مثل: أخبار النحويين البصريين للسيرافى، ونزهة الالباء لابن الأنبارى، ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى، والإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى وغاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى، والأعلام للزركلى.

ومن نتائج الدراسة:

١) اشتراك الواو والياء فى أحكام كثيرة، فإضافة إلى ما كتب فى فصول البحث أفرد أيضا فصلا خاصاً، لارتباطهما الوثيق. وهذا يدل على وجود صلة قوية بين الواو والياء.

٢) من الواوات ما تختص بالاسم كواو القسم نحو: والله وواو المعية نحو: «سرت وسور المدرسة» والواو التى تأتىَ مع التحذير نحو: «إياكم والخيانة» ومنها ما تشترك بين الأسماء والأفعال كواو العطف نحو: «دخل محمد وخالد وذهب زياد إلى المكتبة وقرأ كتاباً.

٣) لا تأتى الياء مفردة أبدا بل تأتى مع كلمات مثل: تكتبين، يسافر عكس الواو التى تأتى مفردة كواو العطف، والقسم، والمعية.

٤) لوحظ كسر حروف المضارعة، والتى سميت: «تلتلة بهراء» تستعمل حتى الآن فى مكة وما حولها، حتى الياء يكسرونها فيقولون: نحن نكتب، هو يكتب، أنت تكتب.

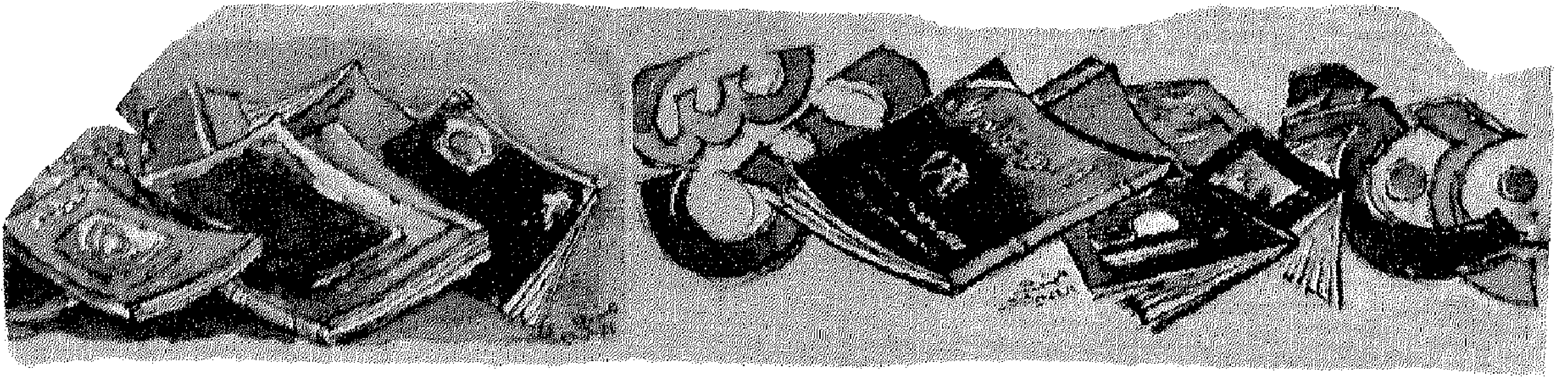
٥) لم يذكر قدماء النحاة فى كتبهم كسيبويه، والفراء، والمبرد، وثعلب: «الواو اللطيفة» و«واو الثمانية» ولكنها جاءت فى كتب من جاء بعدهم مثل: الحريرى، وأبى البقاء العبرى، والصفدى.

٦) لوحظ بقاء بعض الظواهر اللغوية فى بعض الدول العربية كواو الإنكار وواو التذكر وقلب بعض الحروف كقلب الجيم ياء، وقلب الياء جيماً.

٧) لا تزاد الواو أولا لأنها لو زيدت لأدى ذلك إلى قلبها همزة، ولو قلبت لفقدت معنى الزيادة بخلاف الياء فهو تقع زائدة أول الكلمة مثل: يرمع.

٨) لا تحذف الياء إذا وقعت فاء الكلمة فى: «فعل يفعل» نحو: «يعر الجدى ييعر» كما حذفت الواو منه فى: «وعد يعد» لأن الياء أخف من الواو لقربها من الألف، والواو ليست كذلك، لأنك تحتاج فى إخراجها إلى تحريك شفتيك.

٩) أبدلت الواو تاء وأبدلت الياء تاء أيضا لكن أقل من الواو، لأن التاء أقل مناسبة للياء منها للواو، ولكن إبدالها فى: «افتعل ومفتعلا وكل ما تصرف منه ليس بقليل.. وبعض أهل الحجاز لا يلتفتون إلى



تخالف أبنية الفعل فى الياء، فيقولون: ابتعد، ياتعد، وهذه لغات تحدث بها بعض العرب إلا أن قلبها تاء «أكثر وأقيس، وهى لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن».

١٠) لوحظ أيضا مجيء ألفاظ بالواو وبالياء فى اللغة العربية، وتحمل معنى واحداً، وهذا يدل على ثراء لغة القرآن مثل: الوتن واليتن» والمعنى: خروج رجلي المولود قبل رأسه. ولم تذكر كتب اللغة أى الحرفين مبدل من الآخر وأيهما الأصل، وأغلب الظن أن الاستعمال المشهور منها هو الأصل، أو أن ذلك لهجات لبعض العرب فكما نطقوا بذلك الحرف نطقوا بغيره.

١١) وقد جاءت ألفاظ بالياء فكان لها معنى، وإذا جاءت بالواو كان لها معنى آخر، وفيها يغلط المتكلم كثيراً نحوا قد سروت ثوبى وأسروه سرواً: إذا ألقيته، وبالياء تحمل معنى مغايرا لما تحمله التى بالواو تقول: قد سريت بالليل، وأسريت إذا سرت ليلا.

١٢) والجديد فى هذا البحث أنه قد جمع فيه أحكام جميع الواوات فى مصنف واحد، وكذلك أحكام جميع الياءات.

وكان لى موقف ناقشت فيه كثيراً من الآراء النحوية والصرفية، ورجحت ما رأيت أنه يستحق الترجيح وذلك مثل:

(١) ترجيحى لرأى سيبويه على رأى الكوفيين فى الواو التى تقع فاعلا فى مثل: كتبوا فوجود هذا الضمير وإعرابه فاعلاً يغنينا عن القول بأن الفاعل مستتر، وأن هذه الواو حرف مؤذن بأن الفعل لجماعة، لأن عدم التقدير أولى من تقدير شيء محذوف.

(٢) ومثل ميلى لرأى من يقول بإعراب الأسماء الستة بالحروف، ومن مكان واحد، «لأن الاعراب أمارة على المعنى وذلك يحصل بعلامة واحدة، ولم يكن لنا حاجة إلى أكثر منها».

(٣) وقد ناقشت آراء النحاة فى الواو التى سميت بواو الثمانية، ورأيت فيها معنى العطف الذى لم أجده عند أحد من النحاة ـ ممن رجعت إلى كتبهم، إنما قالوا: إنها زائدة، أو واو الحال، أو واو الابتداء.

(٤) وناقشت آراء نحاة البصرة والكوفة فى جواز حذف حرف القسم، وإبقاء عمله، ورجحت رأى الكوفيين الذين جوزوا ذلك قياساً على حذف حرف الجر، وسبب جوازهم أنه جاء فى أقوال العرب كثيراً، وسيبويه أجازه لذلك.

(٥) ورجحت مذهب سيبويه فى ياء المخاطبة فهو يرى أنها اسم، لأنها تسقط فى حال التثنية: «إضربا» أما لو كانت علامة تأنيث فلا تسقط فى التثنيه كما لم تسقط فى: قامتا وضربتا.

(٦) واخترت رأى يونس فى كتابه المنادى المنقوص الذى يرى حذف الياء فى النداء مثل: «يا قاض» لأن النداء محل حذف كما فى الترخيم نحو «يا حار» أى: «ياحارث» على رأى الخليل الذى يرى بقاءها فى النداء.

(٧) وهدانى بحثى المتواصل إلى إثبات أن إبدال الجيم ياء ليس قاصراً على لفظة واحدة فى «شجرة: شيرة» كما ذكرت بعض كتب النحو والصرف وإنما هو منتشر انتشاراً كبيراً فى بعض دول الخليج العربى كالكويت، والمنطقة الشرقية من بلادنا المملكة العربية السعودية، فهم يقولون: وايد» أى: واجد، بمعنى كثير، ريال أى: رجال بمعنى رجل. وقد وقعت أخيرا على أحد أعداد مجلة العربى التى تصدر فى الكويت، وفيه موضوع عن: «أصالة لغوية فى اللهجات الأردنية».

ذكر كاتب المقال أن إبدال الجيم ياء فى لهجة عشيرة عيسى الأردنية.

وأملى أن أجد من يبعث لى من الإخوة العرب المهتمين بالدراسات اللغوية العربية ممن سيطلعون على بحثى هذا ما يثبت أن هذه اللهجة موجودة فى بعض مناطق بلادهم، لاثبت انتشارها فى العصور القديمة، وأنها لهجة عربية وهى امتداد لما كان فى القديم، وليست دخيلة على العرب.

متابعات ثقافية



معسكر العمل الشبابي العربي يختتم أعماله



سمو الامير سعود بن عبد المحسن وبجواره الشيخ صالح السالم امير منطقة الطائف، يتفقدان المعارض الخاصة بالمعرض.

تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد المحسن نائب أمير منطقة مكة المكرمة وحضور الشيخ صالح السالم أمير منطقة الطائف احتفل معسكر العمل الشبابي العربي الثاني الذي نظمته الرئاسة العامة لرعاية الشباب وجامعة الدول العربية باختتام نشاطاته في الطائف

الملتقى الثامن عشر للفكر الاسلامى



د. عبد الله التركى

فى منتصف شهر شوال المنصرم عقد فى الجزائر المؤتمر الثامن عشر للفكر الاسلامى.. وطرحت خلال أيام المؤتمر العديد من القضايا الاسلامية والحضارية تناولت الصحوة الاسلامية السارية فى المجتمع الاسلامى كما عالجت البحوث والمحاضرات التى القيت فى المؤتمر تلك الجوانب المطروحة للمناقشة.

وحضر الملتقى عدد من الباحثين والأساتذة الجامعيين المتخصصين من مختلف بلدان العالم الاسلامى بدعوة من وزارة الشئون الدينية الجزائرية التى نظمت الملتقى..

وشارك فى الملتقى معالى الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وألقى محاضرة بعنوان (بلاغ للصفوة) تناول فيها مواضيع شتى منها الاصلاح الدينى والاجتماعى والفكرى، والصفوة ودورهم الريادى فى مجتمعاتهم.

التكنولوجيا والمجتمع العربي

في الندوة العلمية التي نظمها المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الرياض تحت عنوان (أثر التكنولوجيا على المجتمع العربي) جرى البحث حول عديد من الموضوعات المتعلقة بالمنتجات التكنولوجية الحديثة.. وما لهذا التطور العلمي من سلبيات وإيجابيات، وأبعاد ذلك في حياة الناس الاجتماعية والنفسية والأمنية وأثر التكنولوجيا في جوانب الزراعة والأمن الغذائي وحضر الندوة مجموعة من ممثلي الوزارات ذات الاختصاص في هذا الجانب من الدول العربية

المؤتمر الرابع للسيرة النبوية الشريفة فى القاهرة

تقرر عقد المؤتمر الرابع للسيرة النبوية فى الثانى عشر من شهر ربيع الأول القادم بالقاهرة.

ويدرس المؤتمر إصدار موسوعة تضم الأحاديث النبوية الصحيحة وإمكانية إخراج موسوعة جغرافية تضم المواقع الإسلامية والأحداث التاريخية التى تمت فى العهد النبوى الشريف إلى جانب إعداد مجلة عالمية متخصصة تتابع حركة التأليف والنشر المتعلقة بالسيرة النبوية وإصدار دليل يضم الكتب والمراجع والدراسات المنتشرة فى هذا المجال.

ويشارك فى المؤتمر عدد من العلماء من مختلف الدول الإسلامية

أول معرض كتاب لدول المجلس

● وجهت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان الدعوة الى الجهات المعنية بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية للاشتراك في معرض الكتاب لدول المجلس المقرر اقامته في مسقط في شهر سبتمبر القادم

وتاتي اقامة هذا المعرض تنفيذا لقرار اتخذه وزراء الاعلام بدول المجلس يهدف الى تنشيط الحركة الثقافية بين الدول الاعضاء وتبادل الثقافات والمعارف حول مكنونات التراث القديم والحديث بدول المجلس.

جائزة لأفضل مقال فى الأدب العربى

حددت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية جائزة مقدارها أربعة آلاف دولار امريكى لافضل انتاج ادبى عربى فى شتى المجالات وتكون الجائزة تحت اسم «الابداع الادبى» لأفضل عمل يكتبه أديب عربى شاب.

ومن شروط المسابقة أن لا يقل عدد الصفحات عن مائة صفحة من القطع المتوسط وان لا يزيد عمر المؤلِف عن أربعين عاما ويشترط أن تكون الكتابة باللغة العربية غير العامية وأن لا يكون المتسابق قد نال جائزة أدبية من قبل وسيكون آخر موعد لقبول المسابقات هو آخر شهر سبتمبر لعام ١٩٨٤م.

معرض الكتاب الخليجي

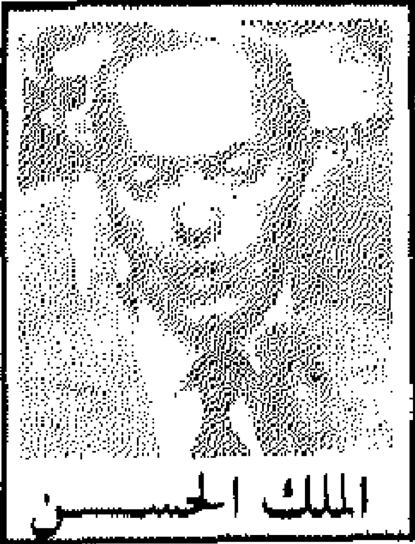
وجهت وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان، الدعوة إلى الجهات المعنية بدول مجلس التعاون الخليجى للاشتراك فى معرض الكتاب الخليجى، الذى سيقام فى العاصمة مسقط فى شهر سبتمبر المقبل.

وجدير بالذكر، أن إقامة هذا المعرض يأتى تنفيذا لقرار اتخذه وزراء الإعلام بدول مجلس التعاون الخليجى، ويهدف إلى تنشيط الحركة الثقافية بين دول المجلس، وتبادل المعارف والثقافات.

◆ ترميم الآثار فى سلطنة عمان

فى اطار التعاون الثقافى بين المملكة المغربية وسلطنة عمان سيقوم فريق عمل مغربى من المختصين فى ترميم القلاع والآثار والمبانى التاريخية، بزيارة لسلطنة عمان وذلك لترميم قلعة الرستاق التاريخية وحصن السيب وكذلك بعض المعالم الاثرية الأخرى بسلطنة عمان.


السلطان قابوس


الملك الحسن

●● قرارات المجمع الفقهى الاسلامى فى مجلدات

مكة المكرمة:

تعكف ادارة مجمع الفقه الاسلامى، على جمع وتصنيف القرارات والبحوث التى صدرت عن اجتماعات المجمع الفقهى الاسلامى برابطة العالم الاسلامى، وذلك تمهيدا لاصدارها فى مجلدات كبيرة..

وتشتمل المجلدات على القرارات التى صدرت عن المجمع الفقهى من الدورة الاولى حتى الدورة السابقة.

جامعة إقبال للغة العربية

عقدت جامعة العلامة إقبال في الباكستان عدة دورات تدريبية لتطوير سبل تعليم اللغة العربية لدى معلميها، وقد استعانت الجامعة في ذلك بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وقد غطى هذا النشاط المكثف عدداً من المدن الباكستانية وسيسمح البرنامج بتدريب ألفين وأربعمائة معلماً ومعلمة.

ومن المشاريع المقترحة انشاء مكتبات اسلامية في مناطق مختلفة من الباكستان واصدار مجلة للدراسات العربية واعداد قاموس (عربي - أردو - عربي).

إقبال

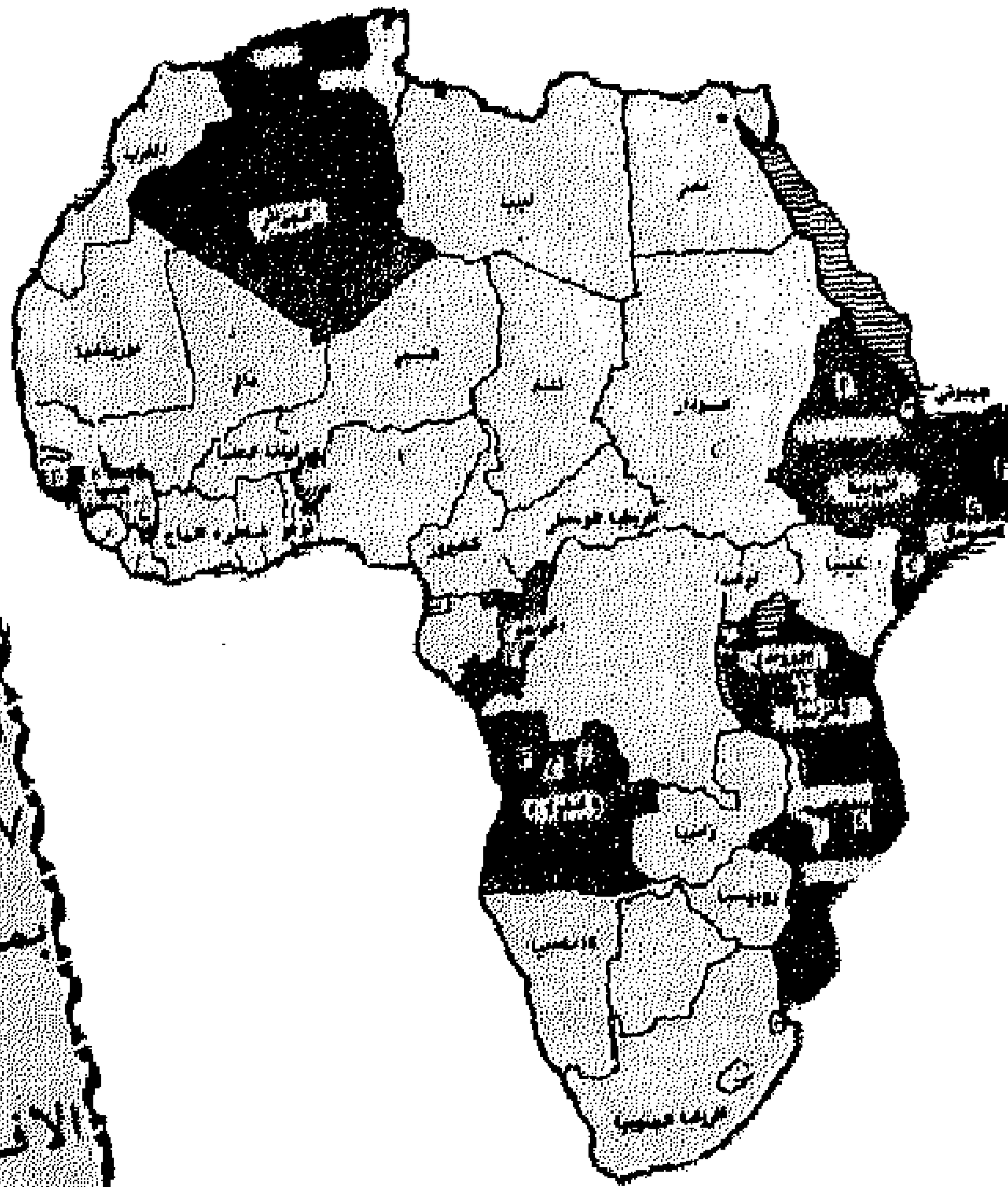
دراسة حول حالات العقم بجامعة الأزهر

قدم الدكتور احمد التاجى الاستاذ بجامعة الازهر بحثا عن الجديد في مجال العقم بالنسبة للرجال والسيدات وذلك في المؤتمر السنوى للجمعية المصرية للمسالك البولية خاصة وان هناك علاقة وثيقة بين المسالك البولية والعقم .. وقد دار البحث حول الحالات التى ليس لها سبب واضح للعقم .. بمعنى ان تحليلات الزوج تكون طبيعية كما ان التبويض عند الزوجة سليم وليس هناك انسداد انابيب والرحم طبيعي .. ويمكن اثبات هذه النتائج عن طريق الفحص الاكلينيكى والاشعاعات والبحوث المعملية ورغم ذلك لايحدث الحمل وعن طريق تحليل افرازات عنق الرحم والسائل البريتيونى يمكن اكتشاف السبب .. ويأتى هذا البحث كمحاولة لايجاد سبب يتعلق بوجود توافق او عدم توافق مابين الزوج والزوجة .. وقد دلت التجارب التى اجريت على هذه الدراسة انه امكن علاج كثير من هذه الحالات وكانت النتائج مشجعة ..

الفقر يقتل ٥ آلاف طفل بريطاني سنويا

ذكر تقرير نشرته جامعة برستول البريطانية ان انتشار الفقر يشكل اكبر مشكلة في المجتمع البريطانى حيث ان ذلك يترك بصماته الواضحة على الاطفال بصفة خاصة .. وفقا لاحصائيات الحكومة البريطانية فان عدد الاطفال قد انخفض بمقدار مليون في الفترة ما بين ١٩٧٧ و١٩٨١م فيما ارتفع عدد الفقراء بمقدار ٤٣٠,٠٠٠ ليبلغ ثلاثة ملايين.

واوضح التقرير ان الفقر يقتل خمسة الاف طفل كل عام حيث ان آباءهم لا يستطيعون ان يقدموا لهم كل متطلبات الحياة.



الإسلام في وسط افريقيا

فرغ المركز الإسلامي الافريقي بالخرطوم من إعداد الدورة الحادية عشرة في سلسلة دوراته التدريبية لمعلمي اللغة العربية، والتربية الإسلامية داخل السودان وخارجه.

والجدير بالذكر أن المركز الإسلامي الافريقي بالخرطوم استطاع أن يصل بجهوداته الفعالة إلى كل المسلمين بالقارة الافريقية ساعيًا إلى تقديم العون المتكامل من أجل ازدهار العقيدة الإسلامية، وربطها بالقارة الافريقية.

طفل عام ٢٠٠٠ يلعب بالكمبيوتر واشعة الليزر !!

باريس « أ ش أ » : طفل عام ٢٠٠٠ سيكون مختلفا عن طفل اليوم هذا ما جاء في الدراسة التى نشرت مؤخرا في العاصمة الفرنسية واوضحت الدراسة ان التطور في مجال الطب سوف يمكن الطبيب من استخدام الموجات فوق الصوتية لمعرفة ما يصيب الطفل من أمراض كما سيستخدم سائل الأمينوس المحيط بالجنين لتغذية الجنين الذى لا ينمو طبيعيا كما سيمكن بوسائل كيماوية تحديد قدرة الذكاء عند الاجنة وسيتم تزويدها بالعناصر الناقصة ..

وفي عام ٢٠٠٠ ايضا سيوزع المنهج الدراسى على الاطفال في صورة شرائط تسجيل عليها المادة الدراسية كما ستختفى الألعاب الكلاسيكية كالعرائس وتظهر الألعاب التى تعمل بالكمبيوتر وأشعة الليزر حيث تكون اللعبة عبارة عن شخص الكترونى يرد على كل أسئلة الطفل وبذلك تكون اللعبة افضل وسيلة لتعليم وتثقيف الطفل

السعودية تمول مشروع الموسوعة الفلسطينية

رصدت المملكة العربية السعودية مبلغ خمسة ملايين دولار اميركي لتمويل مشروع انجاز الموسوعة الفلسطينية التي تشرف على انجازها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بالتعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية وتتضمن المعطيات والحقائق عن فلسطين الشعب والحضارة والتاريخ، وتفنيد ادعاءات الصهيونية بأن الشعب الفلسطيني شعب الاشتات والضياع والبعد عن الجذور


• محمد على السنوسى •

السنوسى يستنجد بالصحافة

استغاث الاستاذ الشاعر محمد على السنوسى رئيس النادى الادبى في جازان بالصحفيين للكتابة عن الموضوع المتردى للنادى .. وذلك بسبب عدم حضور اعضاء النادى الرسميين .. مما يحرم النادى من الاستفادة من نشاطاتهم ومقترحاتهم لتطوير اعمال النادى .

وقد حمل الاستاذ السنوسى الصحافة مسؤولية اثارة هذا الموضوع وحث اعضاء النادى على المساهمة في نشاطات ناديهم .



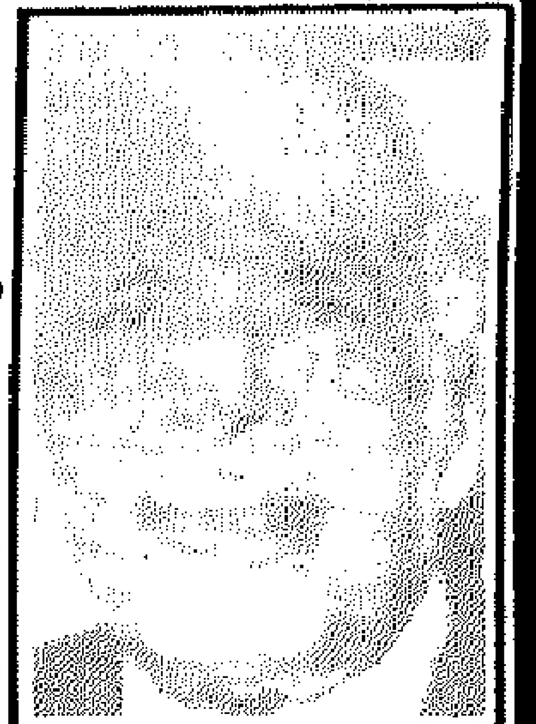
استخدام البصل لعلاج «الشرايين»

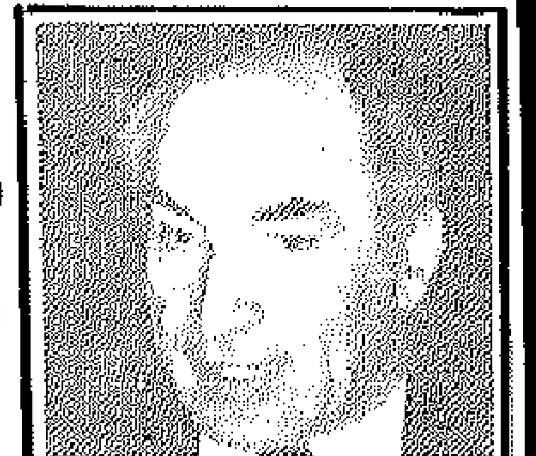
اكدت دراسة علمية أجريت فى القاهرة ان البصل يخفض نسبة السكر والكولسترول فى الدم ويقلل الاصابة بتصلب الشرايين.

وذكرت الدراسة ان البصل يحتوى على مواد كبريتية وزيوت متطايرة ذات مفعول مخفض للسكر والدهنيات الكلية فى جسم الانسان.

والبصل يقتل الميكروبات العنقودية والسبحية وشديدة المقاومة كميكروبات السل

• قانون جديد ينقذ الكتاب التونسى •


بورقيبه


مزالي

عكس مشروع قانون صادق عليه مجلس النواب التونسى باغلبية ساحقة الازمة التى تعيشها صناعة نشر الكتب فى تونس وتعرضها الى خسائر حقيقة لايمكن تفاديها الا بتدخل حكومى مباشر فقد أقر المجلس النيابى التونسى مشروع قانون بتسوية الاوضاع المالية للدار التونسية للنشر.. ويقضى بان تتخلى الدولة عن الديون المتخلفة لها بذمة هذه المؤسسة حتى نهاية عام ١٩٨٣م. وان تتخلى المصارف عن ٥٠ المئة من ديونها المستحقة حتى نهاية عام ١٩٨٣م.

وينص القانون الجديد كذلك على تحويل ديون البنوك ومؤسسات الضمان الاجتماعية القصيرة الأجل المترتبة على الدار التونسية للنشر الى ديون طويلة الأجل وحملها على ميزانية الدولة.. وكذلك قيام الدولة بزيادة رأس مال الدار وذلك بهدف تمكينها من الحصول على رصيد قيد التداول.

وسيترتب عن تطبيق هذا القانون تحميل خزينة الدولة التونسية حوالى مليونى دينار تونسى أي حوالى (٦ر٢ مليون دولار امريكى) وذلك تشجيعا لنشر الثقافة فى تونس.

أول مؤتمر للفكاهة يعقد فى الهند

حددت فى الفترة من ١٤ الى ١٩ نوفمبر القادم لاقامة (المؤتمر الدولى الاول لفن الفكاهة) والذى تنظمه جمعية «زندا.. ديلان» بولاية حيدر اباد الهندية.. وهى الجمعية التى تكونت منذ حوالى ٢٠ عاما وتضم اصحاب القلوب السعيدة من الشعراء والكتاب والفنانين الذين تميزوا بالفكاهة فى اعمالهم.

واعلنت الجمعية الهندية المنظمة للمؤتمر عن أهدافه.. فقالت: لقد قمنا بتنظيم هذا المؤتمر عندما اكتشفنا ان الفكاهة التى تعتبر متعة الحياة.. لم تؤخذ حتى الان كضرورة مثل الماء والهواء.. خاصة فى هذا العصر ونحن نؤمن بأن الفكاهة يمكن ان تنقذ عالم اليوم مما يتهدده على المدى القريب والبعيد.

●

اكتشاف أثرى فى الصين

عثرت مجموعة من الفلاحين الداخلية على نظام حسابي صيني يرجع إلى حوالى ثلاثة آلاف عام.. ويحتمل أن يكون هذا الاكتشاف هو أقدم آلة حاسبة فى العالم.

والاكتشاف عبارة عن مجموعة من عصي العاج تصل إلى عشرين عصاه، أكد العلماء أنها جزء من نظام حسابي مسجل أول مرة فى عهد أسرة جاو قبل ثلاثة آلاف عام.

نداء لأصدقاء المنهل

إلى أولئك الأفاضل من العلماء والباحثين والمثقفين والأدباء الذين صحبوا المنهل رحلته الطويلة واستمالة المديد والى الذين لم يبخلوا عليه بثمرات يراعهم وعصارة فكرهم إثراءً للفكر ونماءً للمعرفة..

يزجي المنهل والى عامة قرائه وخاصتهم تهنئته العطرة بالعام الجديد ١٤٠٥هـ. جعله الله عام خير وبركة على المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها. وهو إذ يعتلى قمة عامه الخمسين حاملاً شعلة رسالة وحضارة.. وكما هو فى سابقه نودُّه فى مستقبله..

● يستصحب الثقافة العربية ويأخذ من القديم بتجربته وخبرته ومن الجديد أحسنه وأجمله..

● الكلمة فيه تمثل وعاءً بلوريًا يشف عن آلام هذه الأمة الإسلامية العربية وتحكى آمالها وتطلعاتها فى المستقبل.

● نوده ميدانا للفكر الإسلامي العربي ومنتدى للآراء النيرة. يلم الشمل، ويوجه الفكر ويبرز ملامح المعرفة الحقة..

● يفتح نوافذه لفكر وثقافات الأمم ويأخذ منها ما يريد ويلائم..

● نوده نبراسا مضيئا يزيل الظلام وينير سراديب الفكر الإنساني

● هذه رسالة منهلكم، وهذا نهجه ومبتغاه وهى كذلك دعوة مفتوحة لمن يشارك المنهل خطوه وخطاه من المثقفين والمفكرين والكتاب.. داعيا رابطة محبيه.. منتظرين مد تواصلهم الفكري فى هذا الإطار وتوافقه مع هذه الإطلالات المباركات.

وبالله قصد السبيل.

الاكاديمية الاسلامية السعودية فى واشنطن

فى واشنطون، تقرر ان تفتتح - قريبا - الأكاديمية الإسلامية السعودية لتعليم أبناء الجاليتين العربية والإسلامية فى ولايتى فرجينيا وميرلاند والعاصمة واشنطون.. وتعتبر هذه الأكاديمية الإسلامية الأولى من نوعها فى الولايات المتحدة. وتهدف الأكاديمية إلى تخريج الطالب المسلم المؤهل علميا ودينيا والمشبع بالقيم الإسلامية والتراث الحضارى الإسلامى



اليوم الوطني
للمملكة العربيّة السّعوديّة
بمناسبة اليوم الوطني للمملكة العربيّة السّعوديّة
يطيب لشركة أرامكو أن تتقدم
بأسمى التهاني وأجمل الأماني
إلى حضرة صاحب الجلالة
الملك فهد بن عبد العزيز المفدّى
وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وحكومة المملكة العربيّة السّعوديّة الرّشيدة والشعب السّعودي الكريم.
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات.
أرامكو
(PRS-5-84)



عيد مبارك

بمناسبة عيد الأضحى المبارك

يطيب لشركة **أرامكو** أن تتقدم

بأسمى التهاني وأجمل الأماني

إلى حضرة صاحب الجلالة

الملك فهد بن عبد العزيز المفدى

وصاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز

ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وحكومة المملكة العربيّة السّعوديّة الرّشيدة والشعب السّعودي الكريم.
أعاده الله على الجميع بالخير والبركات.

أرامكو

(PRS-4-84)

المنهل

ALMANHAL

السنة ٥٠ المجلد ٤٦
جمادى الآخرة ١٤٠٤ مارس

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

ن والقلم وما يسطرون









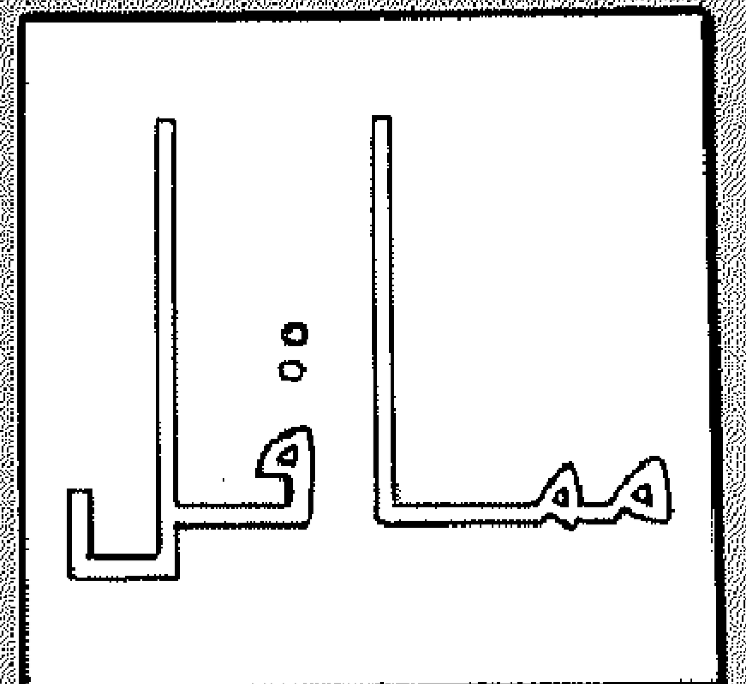


إذا نظرنا إلى تاريخ البشرية، منذ القدم حتى اليوم، فإننا واجدون أن هذا التاريخ كثيرًا ما تشرق صفحاته بالندوات تعقد في شتى المنتديات، وتلقى فيها الأحاديث المهمة، التي تهم المجتمع الخاص أو العام، في شؤونه الخاصة وفي شؤونه العامة، وكثيرًا ما تضيء دياجيره المهرجانات الدينية والأدبية والاجتماعية والرياضية تعقد في شتى أمكنته ومجتمعاته لبحث الشؤون التي يهتم بها الناس..

وأنا أذكر بخير وتقدير تلك الندوات التي كان يقيمها "المنهل" في مكة المكرمة بداره في السوق الصغير عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة وقد حضرها شخصيات كبيرة ومتوسطة من رجالات البلاد وأدبائها وعلمائها ومثقفيها، وكان يتولى تدوين ما يدار في تلك الندوات كاتب هذه السطور ثم تنشر برمتها في بعض أعداد "المنهل" مما يجعل الإفادة منها مزدوجة في حالتي الإلقاء والنشر معًا.. فهل لنا أن ندعو أعلام الفكر ورجال العلم والطب والأدب والاقتصاد والاجتماع في داخل البلاد وخارجها لمثل هذه الندوات.. وتتكفل وزارة الإعلام بنفقات هذا "الإعلام" الميمون الشامل المحبب إلى النفوس، وبذلك تساهم الوزارة فعليًا في وضع الخطة الشاملة البناءة التي ترمي إلى استعادة طائر "مجد هذه البلاد" إلى مهده الأصيل ليغرد فيه، فيستهوي القلوب إليه من كل مكان.. كما نتوصل إلى جعلها كما كانت "كعبة" العلم والأدب ومنتجع العلماء والأدباء من كل مكان..؟

[illegible]

١٣٨٣هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

المجلة السعودية الأم

أسسها : عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

السنة ٥٠ ـ المجلد ٤٦ ـ جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ ـ مارس ١٩٨٤م

صاحب المنهل / رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

ت: ٦٦٢٧٨٣١

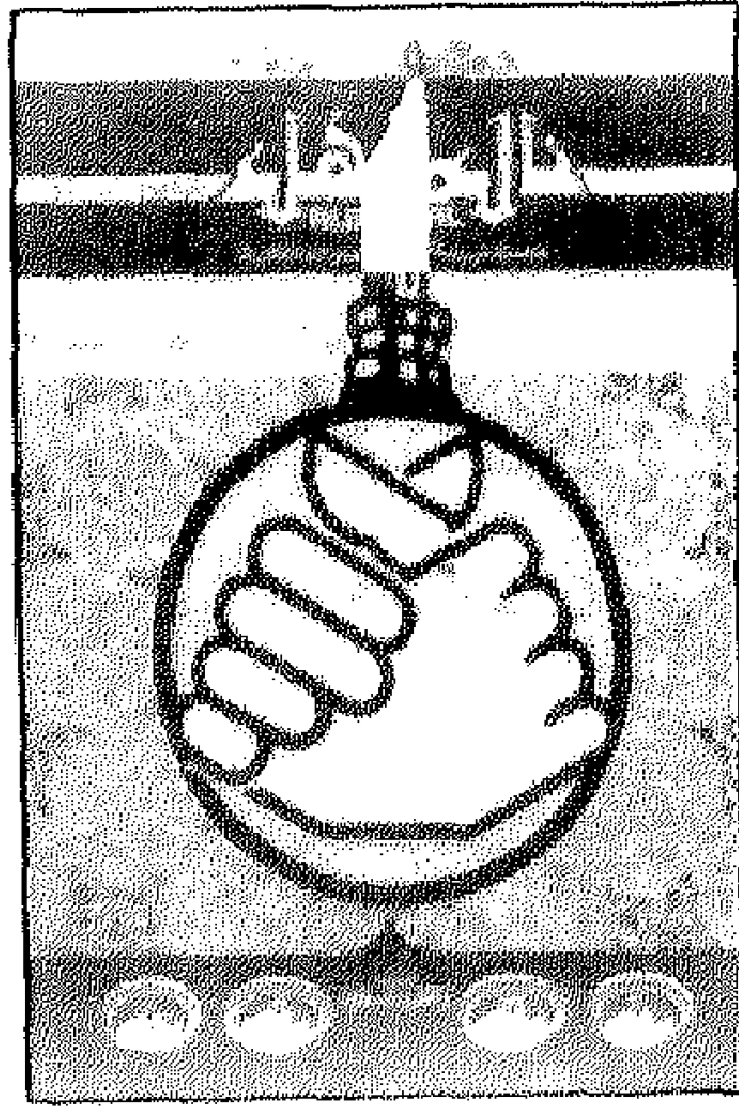
مدير الإدارة والتحرير

زهير نبيه الأنصاري

ت: ٦٤٣٩٧٦٥

مراسلونا في الخارج

- القاهرة: د. أحمد الحفناوي
  أديب وباحث
- عمان: روكس بن زائد العزيزي
  محقق وباحث موسوعي
- الرباط: عبد الرحيم بن عبد السلام
  أديب وباحث
- تونس: عز الدين المدني
  ناقد وموجه



مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الطيب الأنصاري

المخرج الفني

فريد أبو سعدة

معلومات إدارية وتحريرية

المجلة ٢ شارع رأس تنورة ـ الشرفية ـ ش عرفان سابقاً

العنوان البرقي : « المنهل » ـ ص.ب : ٢٩٢٥

- **الإعلانات :**
  - تخاطب بشأنها الإدارة
    ت: ٦٤٣٢١٢٤ / ٦٤٤٧٧٩٤
  - وكالة المدينة للإعلان
- **قيمة الاشتراك السنوي :**
  - في المملكة العربية السعودية ١٥٠ ريالاً سعودياً أو ما يعادلها ومرجعها الإدارة

سعر النسخة

- السعودية ٨ ريالات
- المغرب ٥ دراهم
- تونس ٣٠٠ مليم
- مصر ٥٠ قرشاً
- قطر ٧ ريالات
- السودان ٨٠ قرشاً
- الأردن ٤٠٠ فلس

عكاظ

المنهل يباع في جميع المكتبات

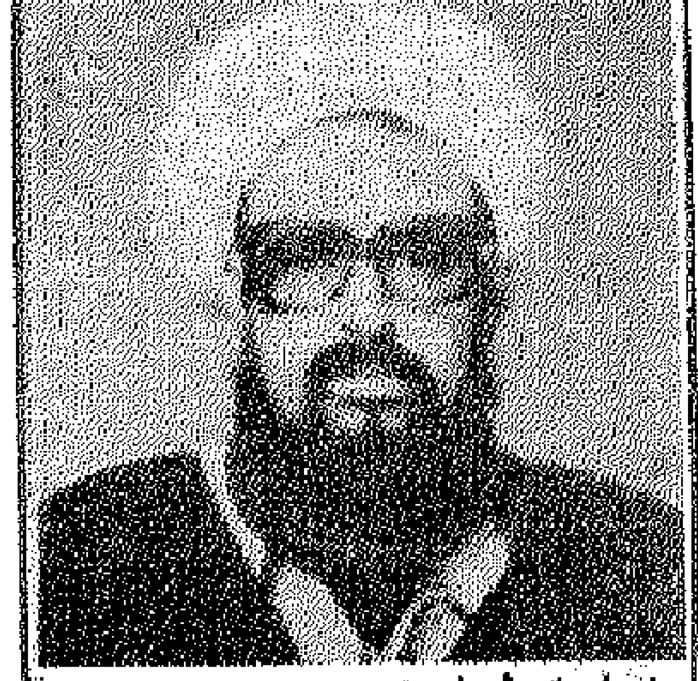
مكتبة مجلة المنهل	« الرياض »	السليمانية ـ ص.ب ٢٩٠
مكتبة الثقافة	مكة المكرمة	سوق الليل
مكتبة ضياء	المدينة المنورة	باب المجيد ـ الدرويشية
مكتبة القلم	جدة	باب مكة ـ عمارة باخشب
المكتبة العقيلية	جازان	وسط المدينة
المكتبة السعودية	الطائف	
مكتبة الطلبة الحديثة	بريدة	وسط المدينة

تهامة للتوزيع
ص.ب ٩٤٠٩

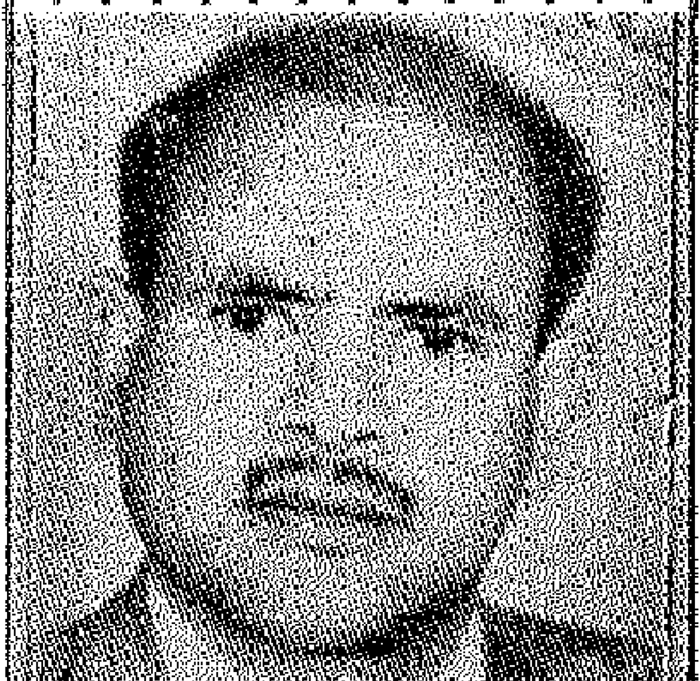
DL

خمسون عاماً في خدمة الثقافة والمعرفة

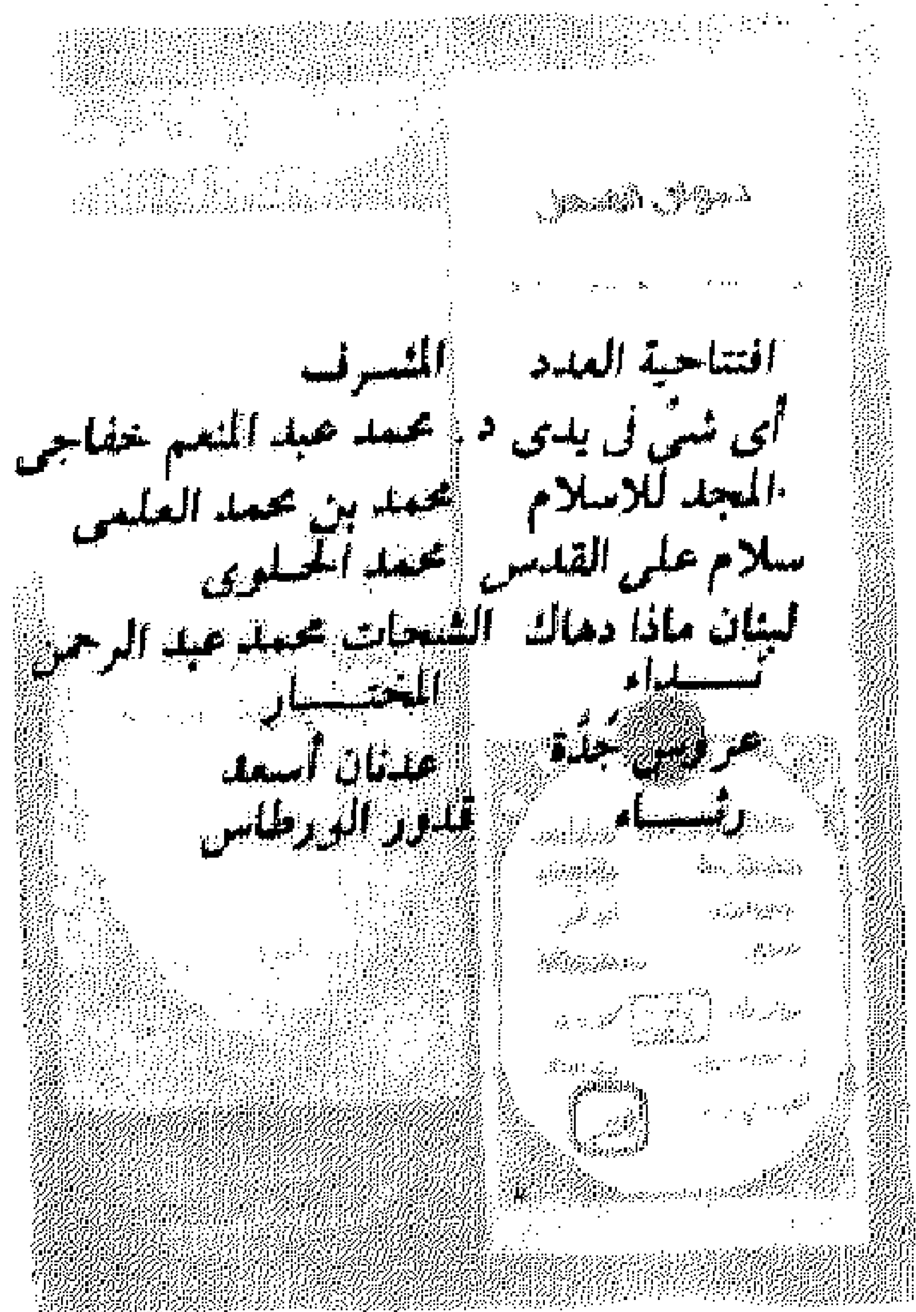
في هذا العدد

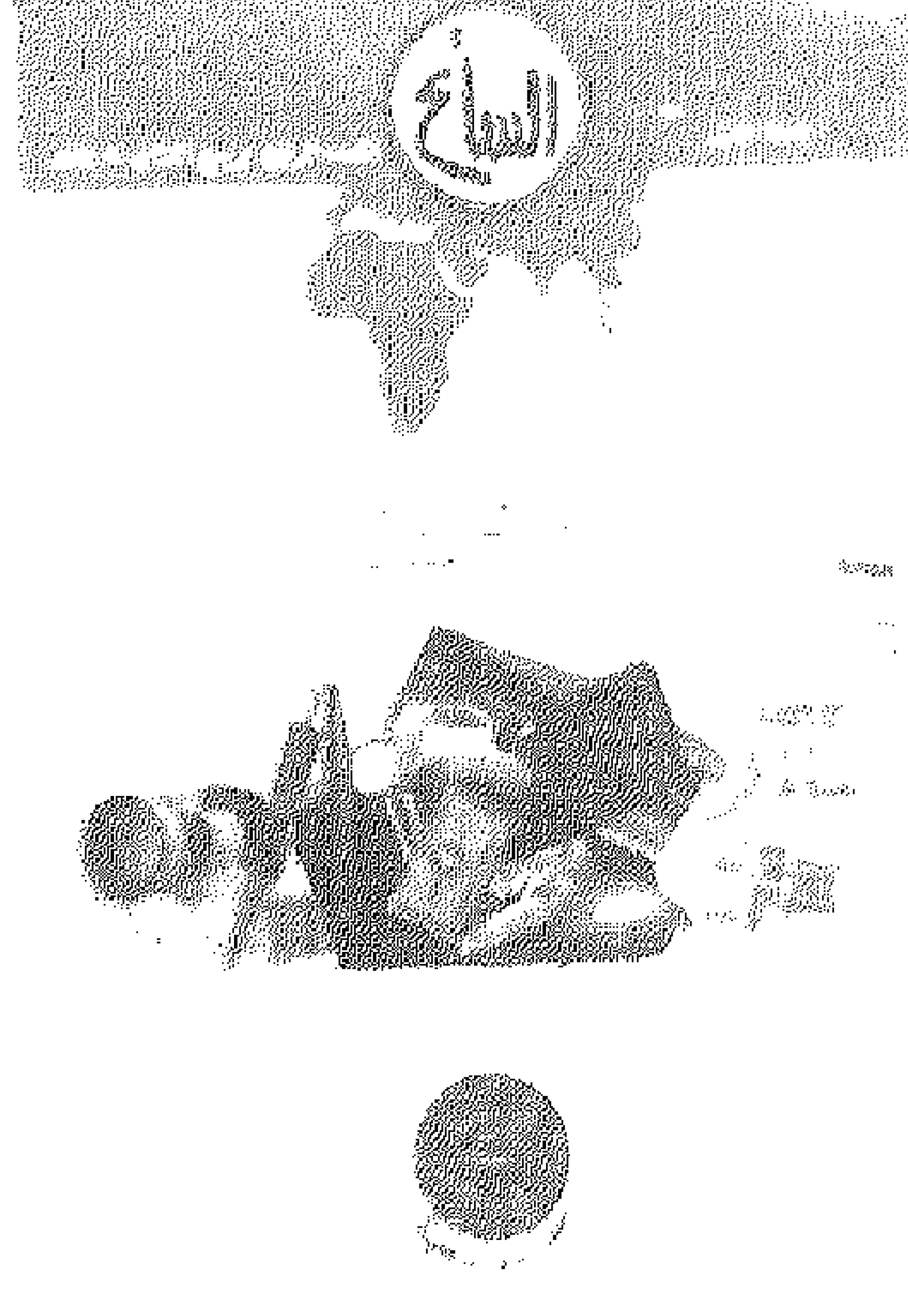

عبد الله بلفقيه العلوى

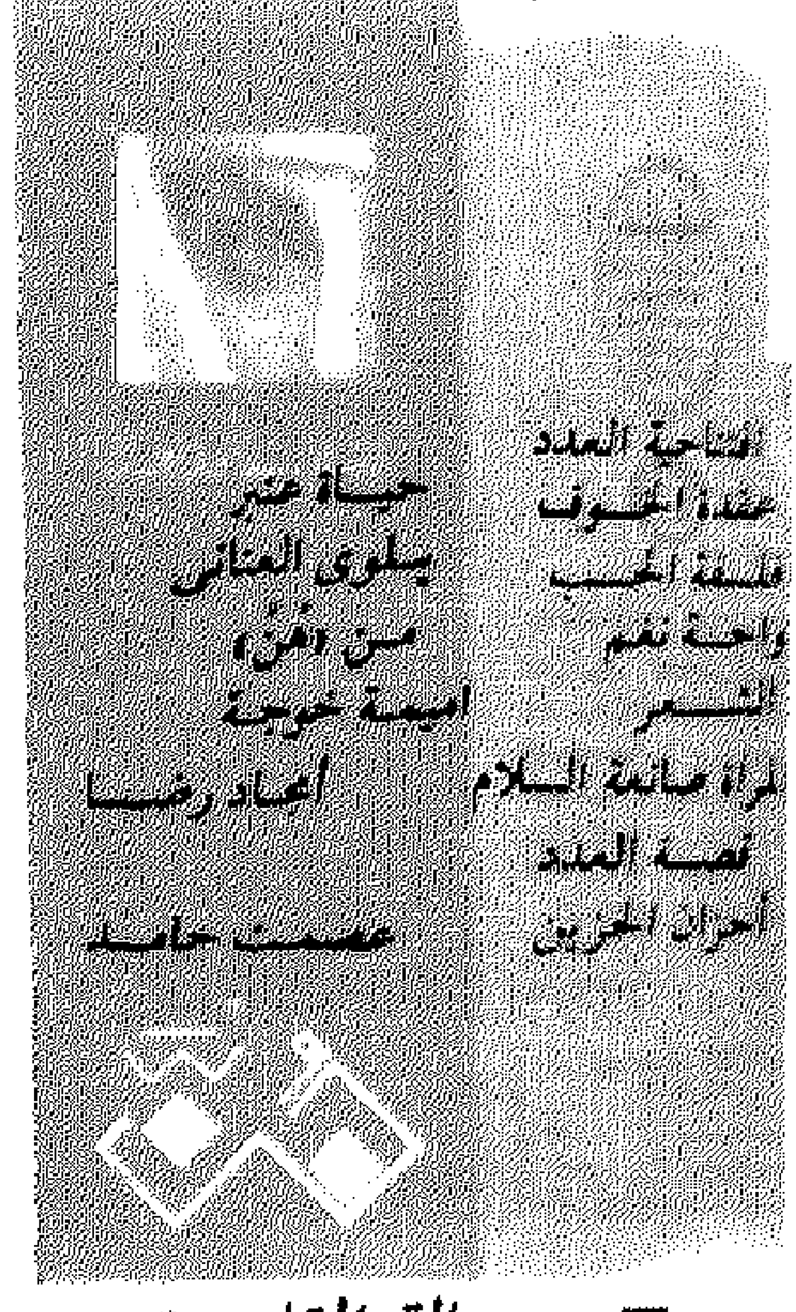

هاشم دفتر دار


د. عبد العظيم المطعنى

في هذا العدد

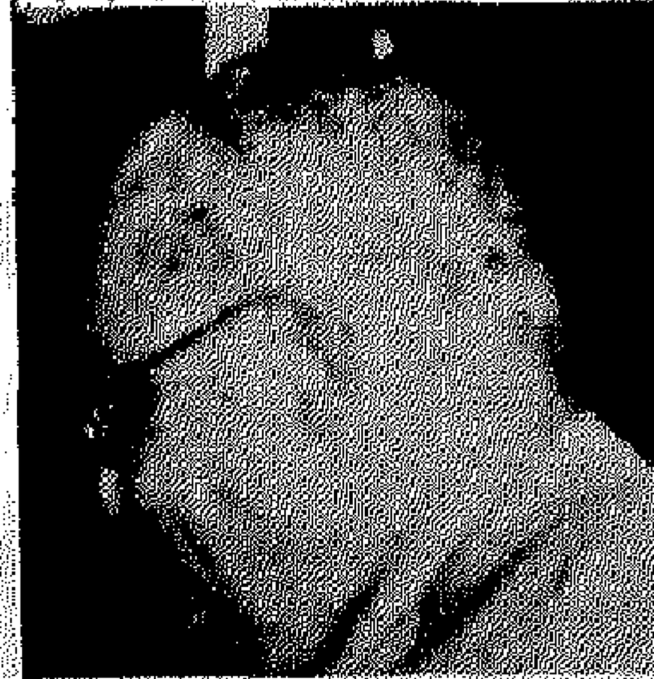







سماحة الشيخ بلخوجة


محمد أحمد العقيلي


الاستاذ

افتتاحية العدد

فكرنا ومواطن الإبداع

وداَرت الأيام.. والتحمت تبعات الحديث.. وامتزجت بالعمل والأمل.. وغلفتها الحقيقة وجافاها الخيال.. وشكلت ـ معاً ـ بهذا التزاوج الفطرى «المقيم.. والمخيم» لحن اندثار حزين يصدح ايقاعه ـ هنيهة ـ يقتحم الحواجز. ويعبر الاخاديد.. لحناً فيه حلاوة وطلاوة برغم رتابته.. ذلك لكونه مس رفات الماضى وصاحب عبق الحاضر ونفذ لإطلالات المستقبل. ولهذا فاتصاله ووثوقه ـ برغم جفافه ـ أمر وارد محتوم.

● وهو وان عالج الصحافة الوزارية وكان له سبقه.. وداعب ذمم مفكرينا وأبقى على نهجها.. ودغدغ لواعج امهات التعبير عن فكرنا وكان له وقعه.. فإنه بامتداده برتابته بانطلاقه.. امتزج وتمازج. وانتهى ـ هنا ـ فى حشيشة.. خاصة وبانحياز جامح جامع.. سمين غير عجف.. يعالج ولا يمتهن.. ويسأل ولا يتبذل.. يطرق الباب على استحياء. يستأذن للولوج الى حيث يريد ويشتهى، «والرِّجْل تدب حيث تحب».. لا يعيقه عائق كان.. ولا يصده حاجز ما كان ـ

بقلم
رئيس التحرير

ألمهات التعبيرية

بين الشك واليقين
٣

خطاره

كيف لا - وهو في رحاب صحبه وفي حمى احبته وفي مواطن مالِكِي عنانه وفي مرابع صفوة أصدقائه ما أحوجه إليهم.. وما أحوجهم إليه.. يرتاح في جوارهم ينتعش بمقيمهم ويشدو بوافدهم في غير ما إفراط أو تفريط.. وتصفو ملكاته.. وينجلي فكره.. وتتسع آفاقه.. وتشرق أبعاده في هذا الصفاء الممزوج بالمقارنات الملتهب بالحماس المتقد بالعزم.

●● ويتجه الحديث - ومباشرة - إلى «اليفين».. يستصرح ذاتيته.. ويناجي نفسيته في غير مأذلة او خنوع.. يتساءل ويحيد يسأل ويعيد..

أين مثقفنا المعاصر؟

.. اين رقته ومشاعره في شعر يمس شغاف القلوب لردح من الزمن قد يطول.. شعر روى - آنذاك - الأفئدة والنفوس.. وسُجِّل في الأسفار وحملته الصدور..

وا أسفاه..

لم نعد نراه.. لم نعد نستمتع بعبقه ونتذوق عبيره.. لم نعد نتنقل في دوحه وجنانه.. لم نعد نرتوي من لحنه الشجي.. أو ننفعل بطبقاته الصاخبة.. لم يعد يخفق على أديم الوطن.. أو في سماء العروبة.. ما باله انحسر.. تجمد.. تحجر؟..

هل أصبح بمؤشراته العجلى والمتريثة ينبىء عن الجفاف الكاسر؟.. أم تراه ينبىء عن خواء الفكر الجاسم؟..

ام لعلها حالة يأس وذل إحساس.. تستدعي التمعن وتستحث العلاج.

أم - يا ترى - هي دنيا الواقع بمادياتها المطبقة.. وسأمتها المحرقة.. وآلياتها الحاصدة؟..

ومع كل هذا ـ وبرغمه ـ يبقى الإنسان الذي كرمه الله ا . . **نسائله مرة اخرى . . أين فكرك وابداعك الذي تميَّزت به عن سائر المخلوقات؟ . .**

إنها خصيصة مرهفة ما أجدرك أن تجليها باحساسك وتستظهرها بذاتيتك، حتى تُطلقها للناس عامة في تحدٍ سافر وعطاء دائم.

● إننا في وقتنا هذا ـ مثلا ـ نعاني في أحد روافد ***«المنهل»*** مجلتك المتخصصة ***«المشتار . . المختار»*** ذلك . . وكثيراً ما نحس بالخجل فيما ندجه على عجل ونزجه في وجل. لقلة الناتج وخشية احتجاب الماثل.

فهل لنا أن نجدد دعوتك لذلك النتاج المغرد الملتزم بالوزن والقافية والجرس والحس ؟ . .

إننا لمتشوقون منتظرون

« وماأكرم الإنسان العربي . . وما أسرع استجابته . . وما أنبله لفرض ذاتيته . . واستشعار مكنوناته ـ واخيرا ـ «ما اعظمه في تحديه» .

ولا بد مما ليس منه بد . . ما دمنا في حديث الثقافة ومترادفاتها وأهليها . . وبطواعية أو اكراه لا بد أن نقفز للنصف الثاني ـ الآخر ـ من المجتمع . . نتجاور في حماهنَّ ـ أيضاً ـ ونتجاوز فوارقهنَّ ـ بالضرورة ـ ونستحث سخاءهُنَّ ـ بالمنطق ـ نطالبهن بالانتشار لتثبيت ملكاتهن ونطارحهن (الاحتكار) الذي يودي بانطلاقتهن . . نسأل الرصفاء في غير ما امتهان أن يطلقوهنَّ بلابل مغردة في سماء ثقافتنا لتكون مواطن استظهار واستشعار جماعي يبقى ولا يذر . .

وما أحوجهُنَّ مع هذه «الصحوة» . . ومع قلة أولئك «الصفوة» ان يثبتن أنفسهن ويفرضن وجودهن ويؤكدن مثولهن.

و(هُنَّ) مجلة المجلة «المنهل» **ذات الاداء المتميز بهُنَّ . . تدعوهن في أن يفدن لرحابها زرافات متطاولات ووحدانا متعاليات . . وأهلا بهُنَّ . . ومرحباً ببواكيرهنَّ.**

> الانسان الذي كرمه الله بـ[illegible] المخلوقات بالفكـ[illegible] ما أحوجنا في عصريتنا إلى [illegible] فكرنا وثقافتنا في إيقاع مص[illegible] مؤكدين على خصيصة الص[illegible] والاصالة .

ثم ـ ومعذرة ـ نلج إلى التحدث عن «امهات التعبير عن فكرنا وثقافتنا» **﴿والسابقون السابقون اولئك المقربون﴾** وفي عتاب رقيق مرسل إليها نقول: **ترى ما بالها لا تأخذ حظوتها . . وتدع جفونها؟** . أليس من واجبها ـ بعضها البعض ـ ان تفرز وفاءها وترسب بعضه أو جله فيما يدفعها مجتمعة أو متفرقة سوكما يحلو لها ـ وبحرص ومتابعة ويقين إلى تضامنها في ابراز معطياتها والإعلام عنه وفرضه كلمة مجنحة وحرفاً مطبوعا وحديثاً مسموعاً وصورة مشاهدة؟ .

وغير بعيد عنا ما وصل اليه تمازج أمهات التعبير «عن فكر وثقافة مجاورينا» في ايقاع جماعي . . مصحوب بالشدو وموشح بالنغم،

حتى غدت ـ ولا زالت ـ مواقع للفعل والأداء ومواضع للإشارة والإشادة . . سواء بركيكها أو بسخيفها . . أو بكثير سمينها ومتينها . . أو بقليل عالمها واعلامها .

● فيا أحرانا وأحوجنا في عصريتنا هذه التي خطفت فيه «امهات تعبيرنا» ذلك البريق بقضه وقضيضه . . ما أحرانا وأحوجنا لأن نمتلك تلك الخصيصة المحبوة بالصدق

ـقى متميّزًا عن سائـر
ـروالابـداع .
ـازج أمهات التعبيرعـن
ـحوب بالشدو وموشح بالنغم
ـدق المدعومة بالقوة والمتانة

والمدعومة بالقوة والمتانة والأصالة . . فنطلقها في كل حين لتحلق وتعانق هي الأخرى ـ بوجد وهيام ـ واقعية فعل امهات التعبير عن ثقافتنا ومثقفينا . . تزهو بهم بقدر ما يشدون بها . . خاصة وفي المجال اتساع ، وفي الحيز انطلاق ، ومع الغايات بصادق الاهداف غاب الانغلاق .

★★★★

وثمة عتب من نوع آخر مجنح مرسل . . متصل منفصل . . يرسله «المنهل» ـ أيضاً ـ لرصفائه علي ساحة مواطنتنا ثم يعود معه سائلاً مستقصياً :

●● أين أمهات التعبير عن ثقافتنا من زميلتهم الأم ، «منهلهم»؟ . .

ان من أوليات واجباتها من وقائع ما اسلفناه أن يشدوا بها . . ويشيروا إليها مع كل عدد جديد صادر مجلو بإبداع الفكر محشو باشراق البيان .

●● أين هم . . من حُلم مؤسسها الذي أعطى ما لم يعط إنسان غيره في أثرة وإيثار؟ . . ذلك الحلم «دارته لمنهله» . .

●● أين هم . . بل وأين موقعهم من مدرستهم الأولى الرائدة «منهلهم»؟ . . أليس من حقها عليهم ـ وفاءاً بوفاء ـ أن يعلموا عنها ويدعموا مسيرتها ويظهروا تطورها الذى مس الجوهر والشكل والكيان؟ .

●● أين هم . . من ولادتها ـ الطبيعية ـ التي أنجبت ثلاث مجلات متخصصة متكاملة متينة . . رابعتها ستكون «فلسطيننا» .

●● أين هم ـ وهذه أولية خاصة ـ من مشاركتها فكرهم ، ومطارحتها ثقافتهم ؟ تحتضنها وتعتز وتتسع بهما . .

أسئلة عفوية ولكنها جديرة بالتمعن . . وقمينة بأن تعمق رضا «الأم» الحبيبة الحنونة . . وتضاعف من عطاء أبنائها ولداتها وشداتها اللذين ما بخلت عليهم قط . سواء في نشر فكرهم المتين . . أو إبراز إنتاجهم الرزين . .

● وعن هذا : يقدر «المنهل» ويعتز ويفخر بكل المشاركات الفكرية التي أخذت تنطلق من هنا وهناك مما يرى ويقرأ في ملازمه . . ويقدر ـ أيضاً ـ كل الأحاسيس والعواطف والحب الذى يصدر اليه مباشرة . . وبين كل

حين وآخر سواء من الداخل أو الخارج.

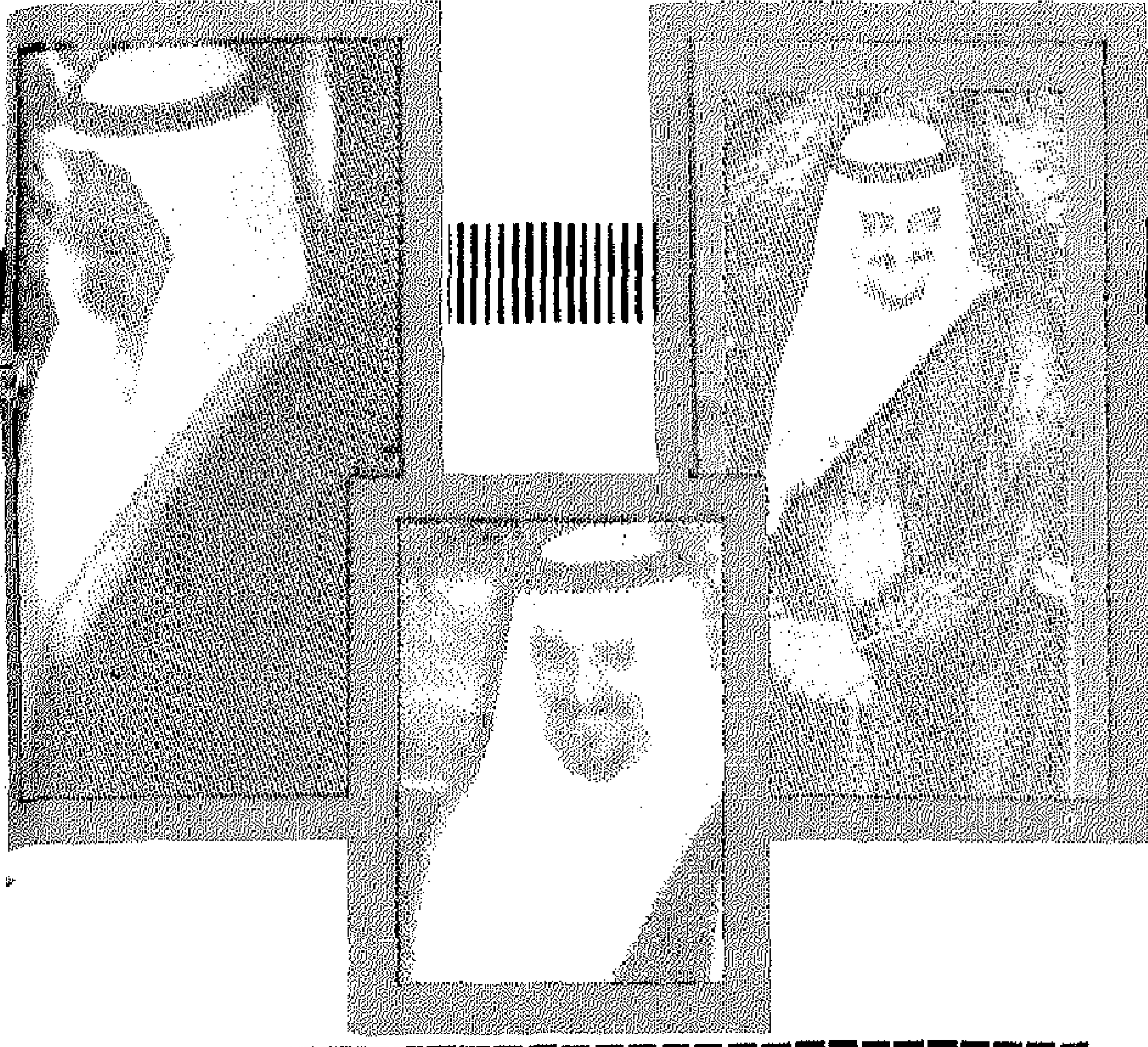
● وعن ذاك: يخص «المنهل» منهم بالثناء والشكر - على سبيل التسجيل الأستاذ «**عبد العزيز الرفاعي**» الذي يحرص على ايصال دعمه الاشتراكي لمنهله بواقع الفي ريال في العام.

● والأستاذ «**مصطفى العالم**» الذي دعم موارد منهله بواقع الف ريال في العام إلى جانب قيمة اشتراكه الرمزي بدءا من عام ١٤٠٤ هـ..

● ومعالي الأستاذ «**عبد الله السعد**» الذي نسجل له مشاركته الذاتية في دعم مشروع بناء دارة المنهل اذ قدم **ثلاثين الف ريال سعودي** لهذا الغرض.. وكأنه يفتتح بهذا باب تشكيل مجلس «**رابطة محبي المنهل**».. ويحثهم على ضرورة مشاركتهم في إقامة دارتها المزمعة.. وتبني طموحاته.

ومع هذا وبعده.. لا بد أن نسجل بالفخر والاعتزاز طلائع وفاء أمين مدينة جُدَّة معالي المهندس الأستاذ محمد سعيد فارسي نحو منهله وحُلم مؤسسه.. حيث اختار لدارة المنهل موقعاً متميزاً في شارع الصحافة كما سماه وتصوره المؤسس منذ ما يربو على ثلاثين عاماً.. تتطاول على احد جنباته «**دارة المنهل**» بمحبرتها وريشتها وأضوائها المتلألئة الزاهية.. وكأن معاليه بهذا الفعل الجلل قد أعاد الكرة لساحة المؤسس على مساحة موسوعة تاريخ جُدَّة الخالدة.

« ومن لا يشكر الناس.. لا يشكر الله »



إن لنا - كصحافة - من الوسـ... الكثير الذي يشيد ولا يهدم وبـ...

وبادىء ذي بدء

يبقى العطاء الكبير الاخاذ الذى لم ينقطع عن «المنهل» منذ تأسيسه حتى يومنا هذا.. ذلكم هو عطاء وتشجيع وحنو وحدب الدولة على المنهل واسرته.. وحرصها على تثبيته وتقويم عوده وتمتين مسيرته ومضاعفة عطائه.

★★★★

وختاماً.. ولا بد مما ليس منه بد. وعتاب حثيث صادق يرسله «**المنهل**» منفتحا على صدى بعض ذلك اللحن «**المندثر**» الحزين الذى ذبلت وذابت - ولله الحمد والمنة - أصداء إيقاعاته الصدئة.. عتاب يشير - بنعومة - لتلك الاقليمية الجوفاء العجفاء التى تئن تحت وطأتها - بحسن نية - بعض امهات التعبير السيارة عن ثقافتنا ومجتمعنا.. وتؤثر - سلباً - على مراحل تصاعدنا للذرى.. في



ـائل والدوافع والمستنبطات
ـون ولا يبدد، ويثبت ولا يزلزل.

وسائل صادرة أو فى تمييز منحاز عابر.. أو فى تشدق عنصري ممجوج.

● إننا - جميعاً - نؤمن «بيقين» بانه منذ ان قامت هذه المملكة وتوحدت بفضل الله عز وجل، وعلى يد بانيها ومؤسسها المغفور له الزعيم «عبد العزيز آل سعود» لم تعد هناك اقليمية مقيمة.. ولا عناصر أو عنصرية مهترئة.. وتوحد الكيان واتحدت الكلمة.. وتبنت أمهات التعبير عن ثقافتنا ومجتمعنا وكياننا ومقوماتنا ومثلنا الوليد الذى شب - ولم يزل وسيظل - وفياً لدفء محتضنيه.. وحضن حاضنيه.

● إن وسائل الإعلام والصحافة هى السلطة الرابعة المسيطرة فى المجتمعات، وهى - بالطبع - من أوائل أمهات التعبير عن واقعنا.. لهذا فهى مدعوة بكل ثقلها ومواطنتها وبعدها وتأثيرها وطاقاتها وإمكاناتها لتأصيل هذا التمازج والامتزاج.. ومدعوة لتثبيت تراب هذه الأرض الطيبة وتمتين بناء وتلاحم هذا الكيان الكبير فى ابنائه وجيرته واخوته وعمومته وخؤولته بحرص ويقين.. ولا بد أن تكون صحافتنا التعبير الأمثل لوحدتنا واتحادنا.. ولقيمنا التاريخية.. ولدورنا الدينى والحضاري المتميز بأخلاقياته وعقيدته.. وصدق القائل «وضعتكم على المحجة البيضاء.. ليلها كنهارها».

● إننا فى هذا وذاك.. مطالبون بمراجعة القلم ومناجاة المداد بالمقاييس العصرية التى تتوخى البناء وتهدف فى بذلها إلى ما ينفع الناس.

● إننا مع أمهات التعبير عن ذواتنا.. لابد أن نستظهر الفعل وندمج الأداء ونعمق المشاعر ونجنى رحيقها.. ولنا - كصحافة - من الوسائل والدوافع والمستنبطات الكثير الذى يشيد ولا يهدم ويصون ولا يبدد ويثبت ولا يزلزل..

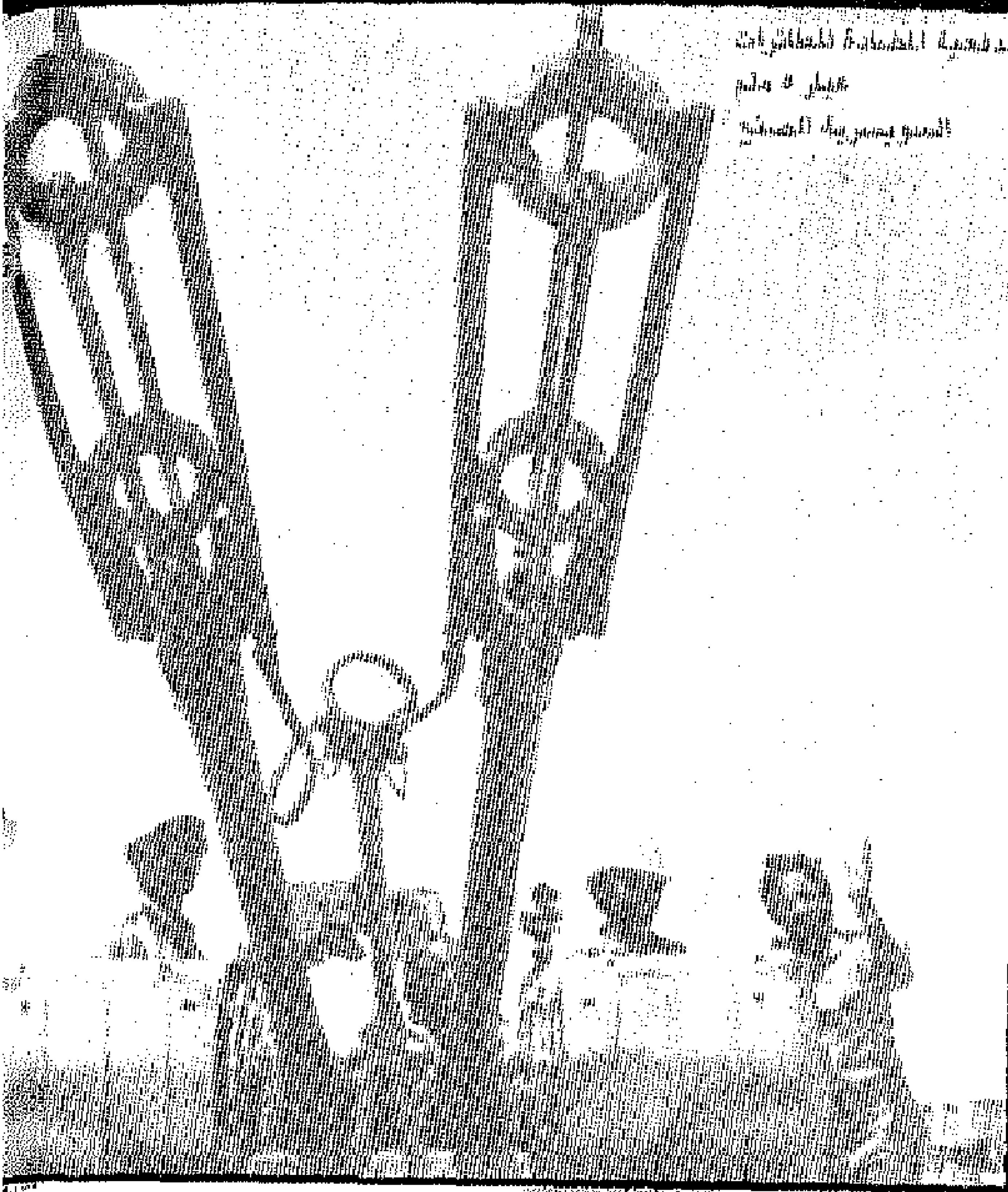
★ ★ ★ ★

● وتنتهى بنا حلقات هذا الحديث.. ممسكاته يقين العروة الوثقى المقيمة.. وموبقاته انفعالات الشك العابرة.. متوسلين إلى المولى القدير أن يجعلنا من اللذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.. مترسمين أجر الاصابة فى الغرض والهدف والعمل لأننا مجتهدون غير خاطئين.

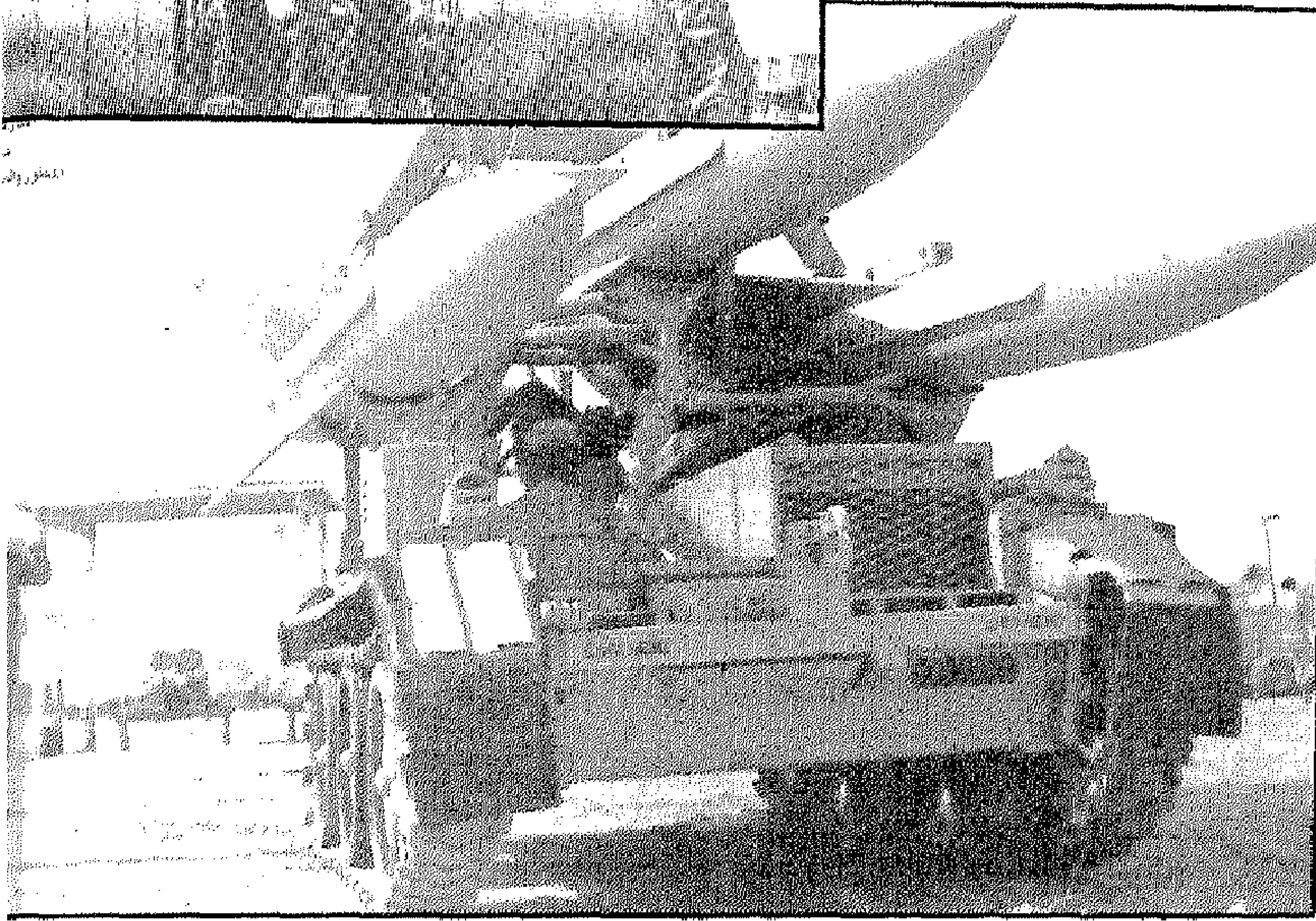
والله الهادى إلى سواء السبيل..



سمو الأمير سلطان يتفقد قاعدة الملك فيصل البحرية بجدة



زوارق صاروخية حديثة وصلت القاعدة



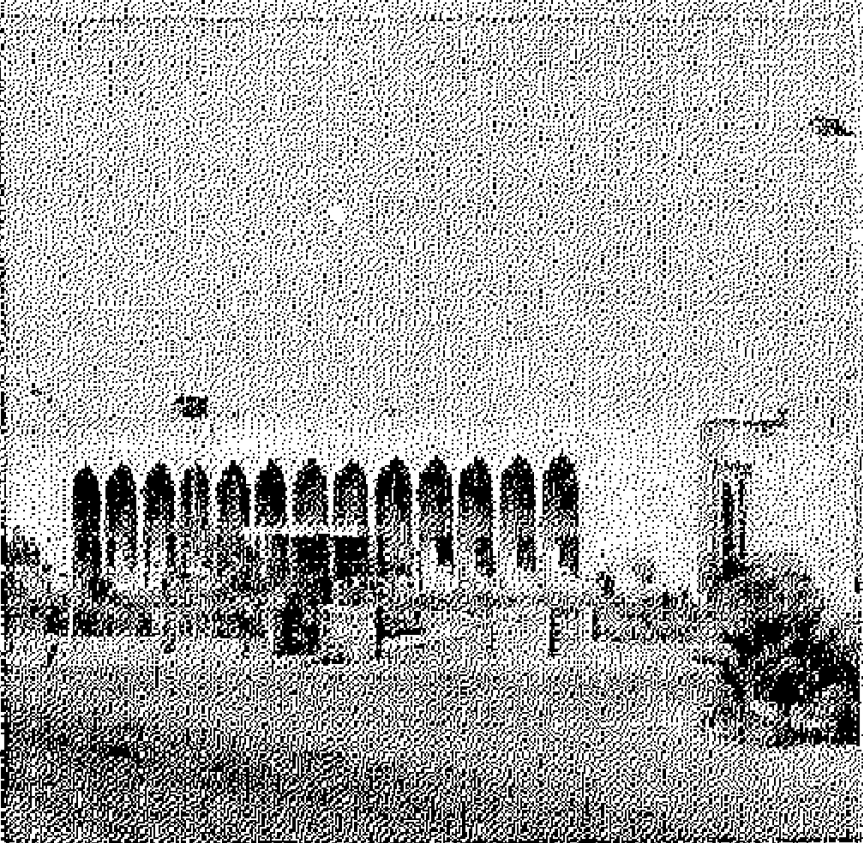
قام صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام بجولة تفقدية لقاعدة الملك فيصل البحرية بجدة.

وتفقد سموه حرس الشرف وبعض القطع البحرية والزوارق الصاروخية الحديثة التي وصلت إلى القاعدة مؤخرا.. واعرب سموه لابنائه ضباط ومنسوبي القاعدة عن سروره وغبطته بما لمسه خلال الجولة واوصاهم بتقوى الله ومضاعفة الجهد للوصول إلى ما يصبون اليه.

مسابقة لافضل العمائر والمباني في جدة

تكريم اصحاب المباني الفائزة والمهندسين المنفذين





المهندس/ محمد سعيد فارسي

اعدت امانة مدينة جدة اكثر من مائة شهادة تقدير للعديد من المهندسين واصحاب العمائر الذين تتميز عمائرهم بفن التصميم الرائع والمهندسين الذين قاموا بهذا التصميم.

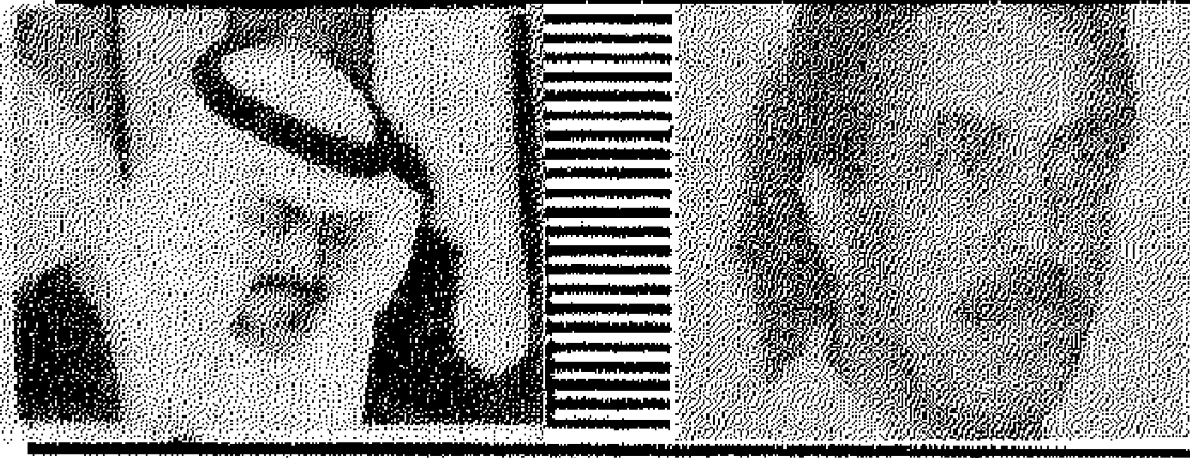
وهذه الخطوة الجديدة والرائعة التي تقوم بها الامانة من اجل الارتفاع بمستوى البناء والتشييد الى مستوى افضل واضفاء طابع البناء الاسلامي على جميع المباني.

وسوف تقوم لجنة من رؤساء الاقسام مشكلة لهذا الغرض بمهمة البحث والتقصي عن افضل التصميمات والمباني واختيار الفائزين في حفل كبير يحضره معالي امين مدينة جدة المهندس محمد سعيد فارسي.

مع الأحداث المنهل

مهرجانات الخليج

السعودية تحقق المركز الأول في البرامج في مهرجان الخليج الثالث للانتاج التلفزيوني والكويت تحصد الجوائز

معالي الشيخ علي الشاعر وزير الاعلام

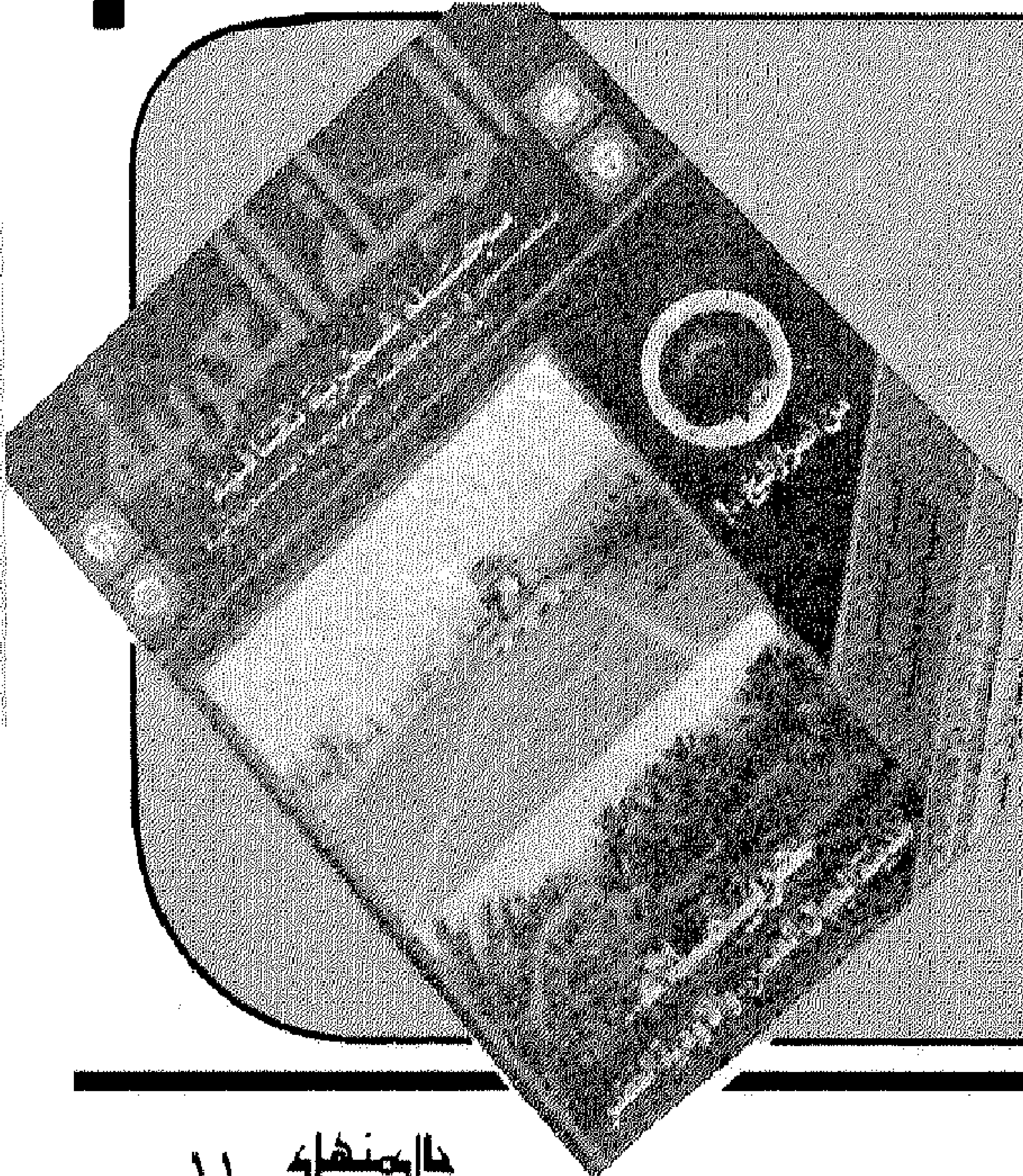
● الحديث عن المهرجان يتطلب مساحة كبيرة لذا نوجز القول بأن مهرجان الخليج الثالث الذي أقيم في الكويت يمثل قمة التعاون الثقافي لاحياء القيم الإسلامية والعربية تصدرت مملكتنا المقام الأول في البرامج الثقافية والعلمية عن فن الإدارة وكذلك البرامج الدينية عن المجلة الإسلامية المصورة التي يعدها ويقدمها الدكتور محمد احمد صبيحي مدير عام التلفزيون بجدة.

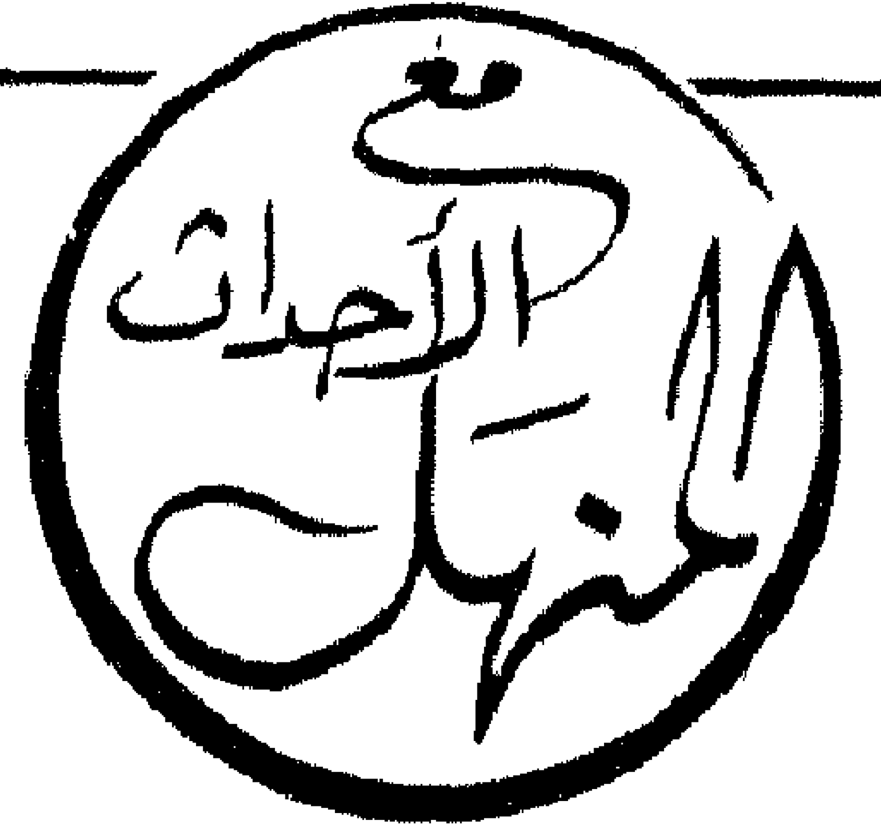



● د. محمد احمد الصبيحي

جلالة الملك الفهد والثناء على المجلة العربية

تلقى معالي وزير التعليم العالي والمشرف على المجلة العربية حسن بن عبد الله آل الشيخ خطاب شكر وتقدير من جلالة الملك فهد بن عبد العزيز المقدى للجهود الطيبة التي يبذلها معاليه وكافة العاملين بالمجلة العربية في سبيل نشر العلم والمعرفة وقد تمنى جلالته للجميع التوفيق والسداد في سعيهم المستمر لتحقيق الاهداف التي من اجلها انشئت هذه المجلة.






وزيـــر المعـــارف

الثانويات الشاملة

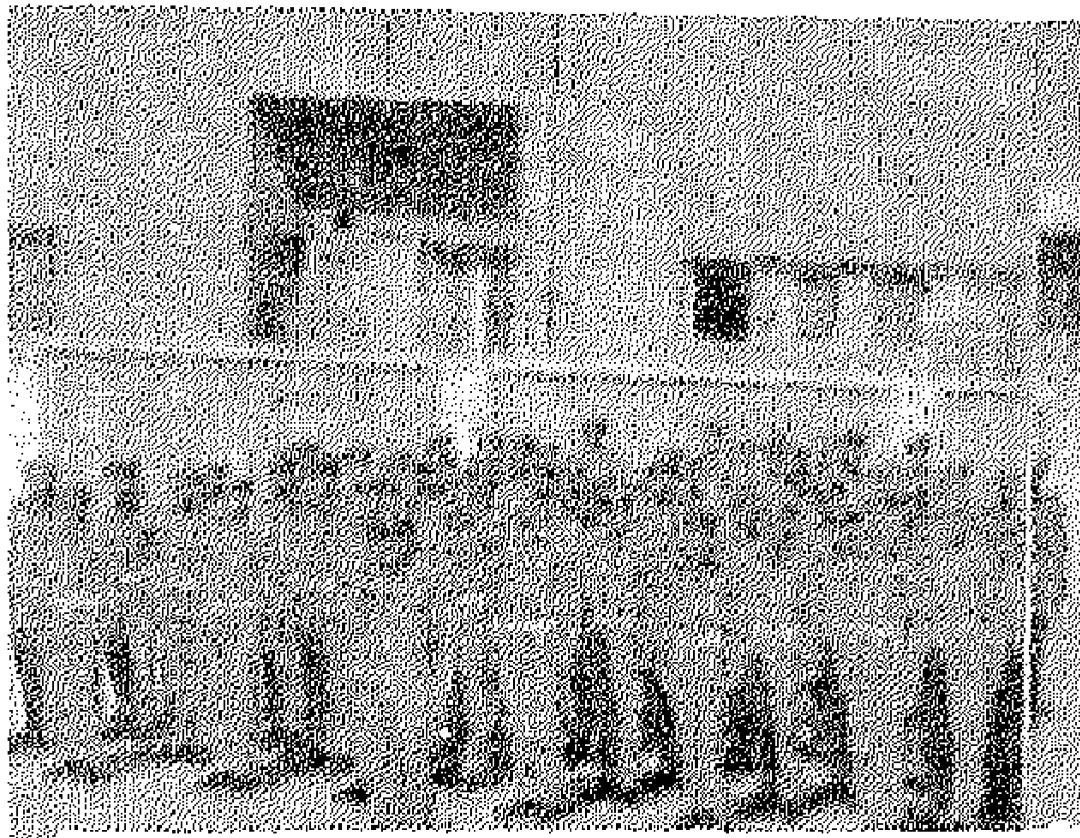
انتهت وزارة المعارف من دراسة نظام الثانويات الشاملة على جميع مدارس المملكة الثانوية والذى اثبت نجاحه حسب تقارير الوزارة والذى ينتظر الموافقة السامية لاقراره وتعميمه على المدارس الثانوية فى المملكة.. وسيتم ادخال مواد اختيارية والزامية على المواد التى تدرس فى هذه المدارس.


● د. المهندس نبيل عنانى

واجهات المحلات التجارية بجدة

ـ اكد المهندس نبيل عنانى ان هناك لجنة خاصة لتحسين واجهات المحلات التجارية بمنطقة الشرقية وذلك في اطار الخطوات التى تتخذها امانة مدينة جدة في مجالات التحسين والتجميل واعطاء المناطق الواجهة الحضارية التى يجب ان تكون عليها..

واشار إلى ان هناك العديد من المهندسين السعوديين يقومون بالاشراف والمتابعة على تلك الاعمال.





معهد الجوازات والكوادر المتخصصة

أنشىء معهد الجوازات لتخريج وإعداد الكفاءات الوطنية المدربة والمتخصصة للعمل في إدارات وأجهزة الجوازات المختلفة كدعم لهذه الإدارات لمواجهة التوسع في أعمالها ولتقديم أفضل الخدمات للمواطنين والمقيمين في هذا المجال تخرج من هذا المعهد منذ افتتاحه عشرة دورات ويجرى الاعداد لافتتاح الدورة الحادية عشرة.

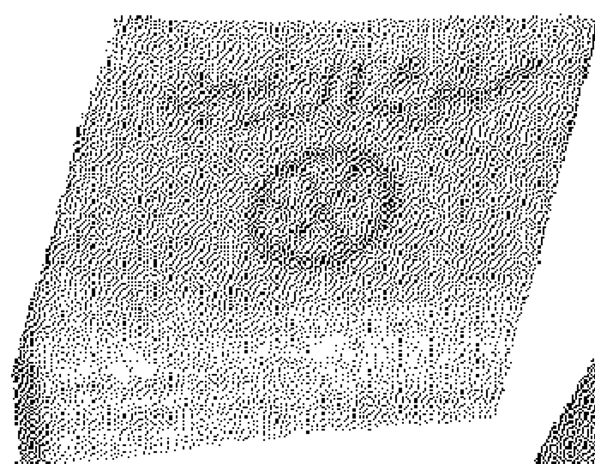


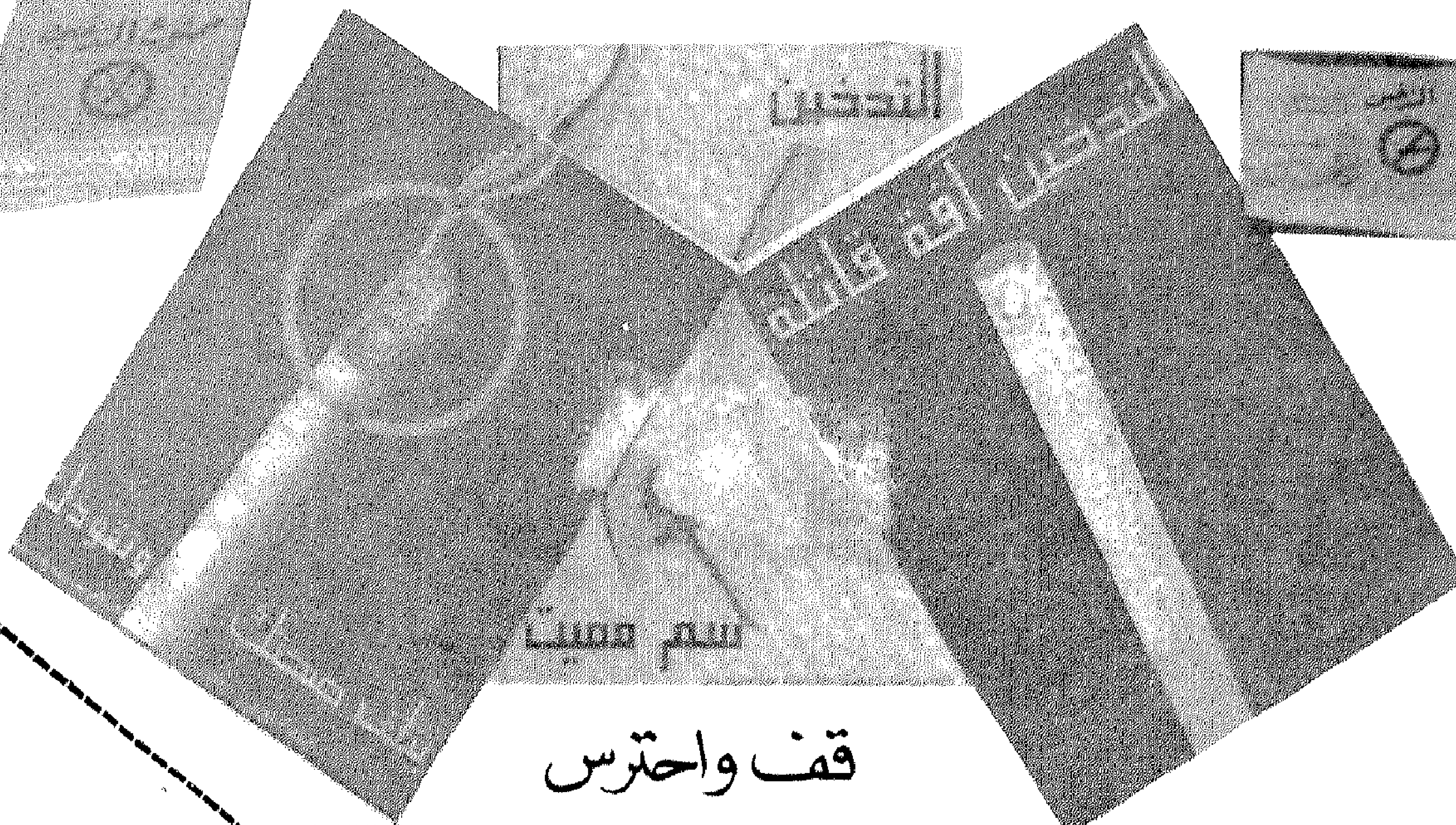
الصناعة الوطنية فى أفلام إعلامية

دعا الدكتور فؤاد فارسى وكيل وزارة الصناعة والكهرباء لشئون الصناعة والمصانع الوطنية الى تبنى فكرة انتاج افلام اعلامية حول الصناعات والمصانع الوطنية.

وأكد على ان هذا الانتاج سيكون مشتركا بين وزارة الصناعة والاعلام وبين المصانع. وقال ان كل ٢٠ مصنعا ستشارك فى عمل فيلم مدته نصف ساعة.





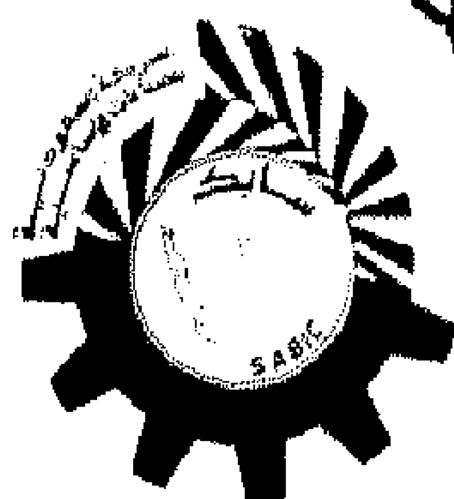


قف واحترس

مشروع إسكاني بالعاصمة المقدسة


صالح كامل

للمساهمة فى توفير مزيد من الاسكان في العاصمة المقدسة وتنافس الاثرياء من أهالي ام القرى ورجال المال والاعمال فيها.. قرر سعادة الشيخ صالح عبد الله كامل تنفيذ اضخم مشروع اسكاني يتمثل في انشاء ٣٠٠ فلة مختلفة الاحجام صغيرة ومتوسطة وكبيرة وفق فن العمارة الإسلامية.



٤٥٠ ألف طن من الميثانول باعتها "الرازي" خلال عام

■ بلغ اجمالى مبيعات الشركة السعودية للميثانول «الرازى» بالجبيل التابعة لشركة سابك خلال العام الماضى ٨٣م ٤٥٠ الف طن من مادة الميثانول.. وذكر نائب الرئيس التنفيذى لشركة الرازى المهندس عبد العزيز التركى ان الطاقة الانتاجية للشركة قد بلغت خلال العام الماضى خمسمائة وخمسين الف طن ومن المتوقع أن يرتفع حجم انتاج الشركة خلال العام الحالى.

سيبيريا منذ العصر الحجرى

توصلت بعثة كشف عن الآثار تعمل في ياقوتيا وهي مقاطعة تقع شمال شرق سيبيريا للعثور على أدوات عمل تعود لما قبل ٥٠٠ الف إلى مليون سنة.

هذا ما اعلنته وكالة نوفوستي واضافت ان هؤلاء المنقبين عن الآثار اكتشفوا معدات عمل لانسان ما قبل التاريخ ترجع للعصر الحجرى مما يدل على ان تلك المنطقة كانت مسكونة في العصور الغابرة.

أرامكو تنفذ أول مشروع من نوعه

نفذت مؤخراً ارامكو أول مشروع من نوعه لتبطين الانابيب بواسطة وسادة اسمنتية وذلك في منطقة (أبو علي) وقد استعملت هذه العملية التقنية الحديثة لاصلاح خط للانابيب مصنوع من الفولاذ في خط تجميع المياه لتبطينه ببطانة اسمنتية.. كما ان هذه البطانة الاسمنتية سوف تحمي خط المياه الرئيسي من التآكل الذي ينتج عادة بسبب المياه العالية.

اكتشاف آثار صينية بالبحرين

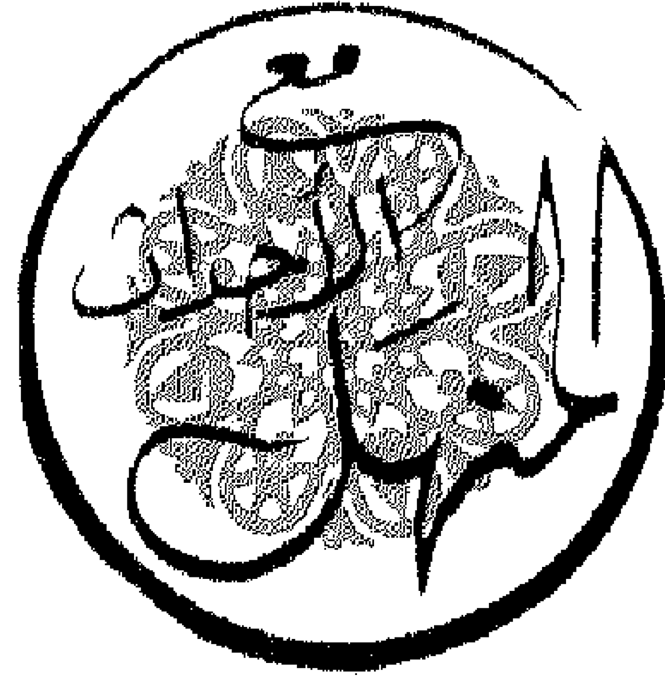


تم فى البحرين مؤخرا اكتشاف كمية كبيرة من المسكوكات والفخار وعشرة مدابس فى مواقع الحصن الواقع قرب القلعة الاسلامية والذى يجرى فيها العمل حاليا.. وذكر ان كمية المسكوكات والجرار الفخارية الصينية التى عثر عليها كبيرة جدا مقارنة بالمواقع الاثرية الأخرى التى وجدت فيها مما يرجح ان يكون من تبادل تجارى بين البحرين والصين..

واشارت الدكتورة فونيك خلال دراستها لجدران الحصن أن هناك جدرانا اقدم منها ويحتمل ان يكون الحصن قد اقيم على انقاض حصن آخر بنى قبله بحوالى الف سنة.

واضافت رئيسة بعثة الآثار فونيك انه تحدد تاريخ بناء الحصن المكتشف بالعثور على عملة محلية حملت اسم احد الاتابكة والذى كان عمره يمتد من ١٢٣٠/١٢٨٠م.

واشارت الدكتورة فونيك إلى انه تم تحديد بناء قلعة البرتغال مؤخرا بعد العثور على مجرى فى جزيرة جدا الواقعة فى الشمال الغربى من جزيرة البحرين كتب عليها ان قلعة البرتغال بنيت فى شهر شعبان ٩٦٨هـ الموافق سنة ١٥٦١م.. واوضحت فونيك ان المشتقات الحديثة فى الحصن اثبتت ان البحرية فى ذلك الوقت تتمتع بقوة سياسية واقتصادية وتنظيم مما يدل على خصب التراث الحضارى للبحرين..





الذكرى الخمسون لوفاة الشابي

تحتفل تونس حالياً بالذكرى الخمسين لوفاة الشاعر الكبير أبى القاسم الشابى، وستقوم وزارة الثقافة التونسية بدعوة عدد كبير من الشعراء العرب منهم أحمد عبد المعطى حجازى ومحمود درويش وأدونيس، وستجرى الإحتفالات بين قرية الشاعر والعاصمة التونسية





وفاة معين بسيسو شاعر الكفاح الفلسطيني

أعلنت وكالة الأنباء الفلسطينية (وفا) أن الشاعر الفلسطينى معين بسيسو قد توفى إثر نوبة قلبية حادة فاجأته أثناء توقفه في لندن.

■ وذكرت الوكالة أن الشاعر الفلسطيني كان في طريقه إلى موسكو للقيام بمهمة تتعلق بنشاط الثورة الفلسطينية.

«أبوشاكر» : الكونفدرالية لن تقوم الا بتحرير الارض الفلسطينية

قال السيد رفيق النتشة ممثل حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) لدى المملكة ان موضوع الاتحاد الكنفدرالي الاردني - الفلسطيني هو مشروع علاقات سياسية بين كيان فلسطيني نأمل جميعا أن نصل الى اقامته على ارض فلسطينية وهو موضوع مستقبلي وبين كيان سياسى قائم وهوالنظام الاردني.

وقال السيد «ابوشاكر» ان الحوار بين منظمة التحرير الفلسطينية والحكومة الاردنية حوار يتم وفق قرارات المجلس الوطني الفلسطيني وحركة «فتح»، وهو مستمر بنفس الحماس والصدق والاخلاص من طرفنا ونأمل ان نستطيع بالتعاون ليس فقط بيننا وبين الاردن، بل بيننا وبين كل الانظمة العربية، ان نقيم كيانا سياسيا كونفدراليا.

طرزان.. مات

● توفي جونى ويسمولر أشهر من مثلوا دور طرزان فى أكابولكو لاصابته باستسقاء فى الرئتين وكان فى التاسعة والسبعين من عمره.

■ وكان الممثل الأمريكي قد أصيب بجلطة فى المخ مما جعله عاجزاً عن الحركة تقريبا.

■ وكان جونى بطلا أولمبيا سابقا فى السباحة وقد تدهورت حالته فجأة إلا أن أقاربه والطبيب المشرف على علاجه لم يكشفوا عن تدهور صحته.



اكتشاف خامات صناعية فى قطر

الدوحة أعلن فى الدوحة عن اكتشاف عدد من الخامات الصناعية التي تستخدم فى الأعمال الانشائية وصناعة الاسمنت ومواد البناء والصناعات الكيميائية والزراعية.

وذكر مدير عام المركز الفنى للتنمية الصناعية القطرى الشيخ عبدالرحمن بن جبر ال ثانى ان المركز حصل على الصور والخرائط بالتعاون مع احدى الشركات المتخصصة فى تطبيق تكنولوجيا التصوير

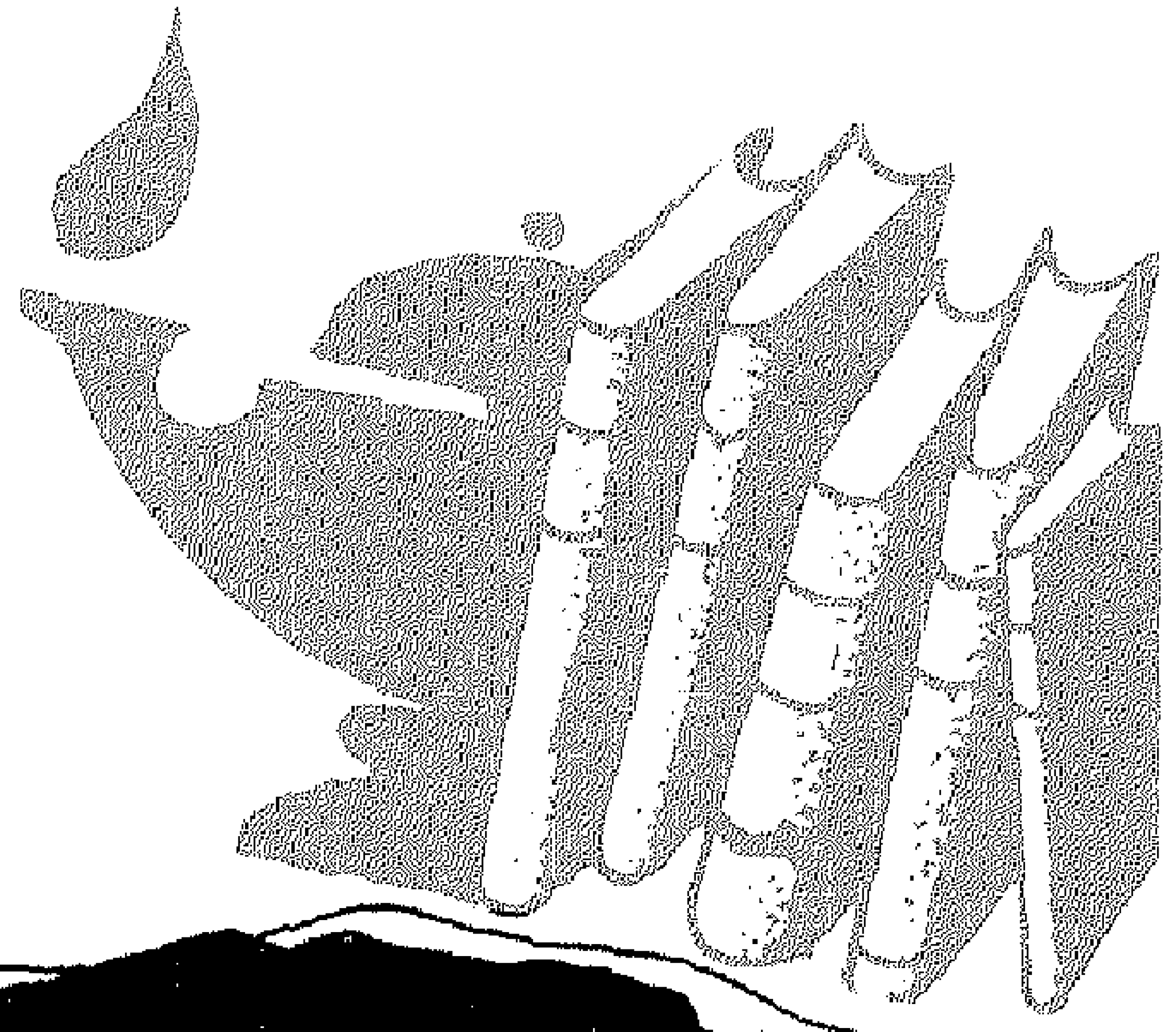
وتجدر الاشارة الى انه قد تم اكتشاف مخزون جديد من الجبس يبلغ اجمالى حجمه اثنى عشر مليون طن يوجد بالقرب من سطح الأرض وهو من النوع الذى يمكن استغلاله بسهولة .. كما تم اكتشاف مخزونات اخرى من المواد والمياه الجوفية العذبة او قليلة الملوحة.

دكتور عبد العظيم المطعنى فى سطور

★ أستاذ مساعد النقد والبلاغة فى كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر - القاهرة

★ من أهم مؤلفاته :

- مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه .
- ساعة مع القرآن العظيم .
- خصائص التعبير فى القرآن الكريم .
- أزمة التدين عند الشباب .
- شرح الوصايا العشر .
- الإسلام فى مواجهة الاستشراق العالمى .
- الحكيم فى حديثه مع الله .



بقلم : د. عَبْد العظيم المطعني

مناهج دعوة أم

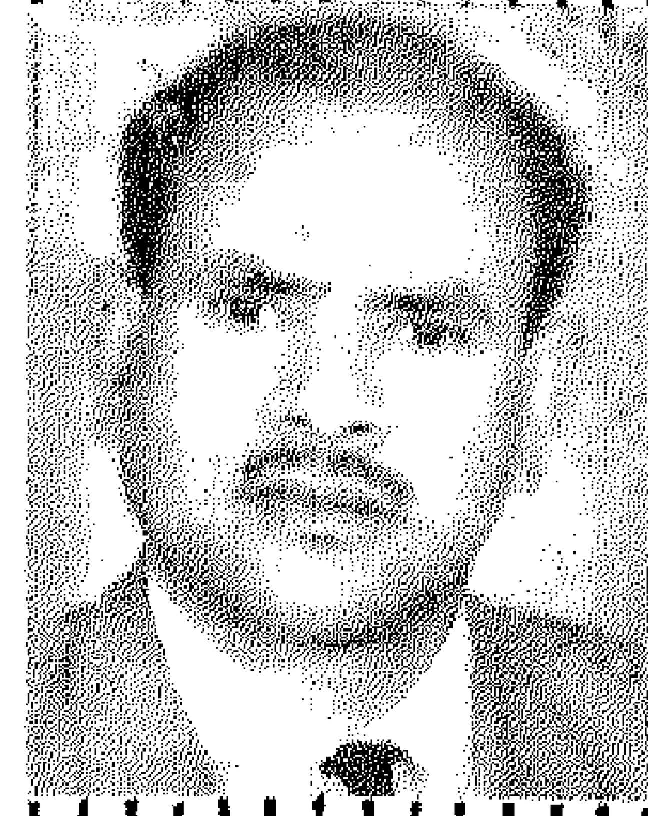
يحلو لبعض الكتاب أو المفكرين المعاصرين أن يطلقوا على بعض المبادىء والمفاهيم الإسلامية مصطلحات حديثة، مصدرها فى الغالب فكر الغرب وثقافته، ولهذا الاتجاه منازع شتى وبواعث مختلفة، بيد أن أصحاب هذا الاتجاه يبررونه بأنهم يعصِّرُون القيم الإسلامية (أى يجعلونها عصرية) ليواكب الإسلام - كما يزعمون - حضارة العصر ومفاهيمه؟.

ونحن لا ننكر أن بينهم من هو حسن النية، كما لا نستبعد أن من بينهم من يسعى من وراء ذلك إلى مكاسب شخصية، كأن يلمع نجمه بين الناس أو يوصف بأنه «مجدد» عرف عن الإسلام ما لم يعرفه سواه من القدماء والمحدثين؟.

ومن هذا ما يدعونه الآن بـ«الإعلام الإسلامى» وهى ظاهرة كثر الحديث عنها اليوم، ووضعت فيها كتب وكتيبات، ولم تعد هذه الظاهرة مقصورة على آراء أفراد، فتكون مجرد فكرة قابلة للأخذ والرد، ولكنها صارت أمراً واقعاً أخذت به بعض الجامعات، وأنشئت له أقسام علمية يقوم بالتدريس فيها - أحيانا - أناس ليس لهم مؤهلات علمية سوى أنهم يعملون فى مؤسسات «إعلامية» تنشر أو تذيع، وقد علت الشَّكوى من قُصُور هذا الفريق وهروبهم من قاعات الدَّرس خشية مواجهة أسئلة طلابهم المحرجة؟.

★★★

والسبب فى هذا أن الفكرة نفسها



(فكرة الإعلام الإسلامي) لم تقم على فهم صحيح، ولا أصول مدروسة، بل ارتجلت ارتجالاً خطيراً في أذهان مدّعيها مجاراة لفكر الغرب، وسعياً وراء الشهرة والولوع بالعصرية.

ودليلنا على هذا أن أنصار الفكرة مضطربون كل الاضطراب في تصور ما يلهجون به، لدرجة أنك لن تجد اثنين منهم يتفقان على تصور محدد سوى أوهام لا تثبت أمام النظر الواعي، والفحص المدقق. وما يجري في التطبيق العملي في قاعات الدّرس والبحث دليل آخر على صحة ما نرى، فبعض المكلفين بتدريس مادة «الإعلام الإسلامي» يُقرِّر على طلابه دراسة سورة البقرة على أنها مظهر من مظاهر الإعلام الإسلامي. وفي هذا ما يضحك ويبكي في آن واحد.

ومن أقطع الدلائل على اضطراب القوم أنَّك حين تطَّلع على مؤلفاتهم في هذا المجال تراهم يتهافتون لا يلوون على شيء، وقد اتّفق لي أن قرأت مؤلفاً لواحدٍ منهم عن «الإعلام الإسلامي» اشتمل مؤلفه على فصول عدة كرّر فيها عبارة «النظرية الإعلامية الإسلامية»، بحيث لو حذفت هذه العبارة وحدها لذهب ثلث كتابه، الذي اعتبر مواده عبارة عن ألْغاز وأحَاج لم يستطع أن يفصح عن مراده منها. وقد سطا على كثير من النصوص الشرعية قرآنا وحديثا وفسرها تفسيراً تابعاً هواه، وأحياناً يجانبه الصواب في التقديم لبعض النصوص. فقد ساق حديثاً رواه أبو الدرداء قال المؤلف في التعقيب عليه «خرَّجه أبو الدَّرْدَاء».

ومعلوم أن تخريج الحديث مصطلح متأخر عن عصر أبي الدرداء. وأبو الدرداء راوٍ للحديث بسماعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس مُخَرِّجاً للحديث، ولكن المؤلف لم يفرق بين راوي الحديث ومخرج الحديث، ولا بين الرواية والتخريج. ومع هذا يستبيح أن يكتب عن الإعلام الإسلامي؟. أما مراجعه فتكاد تكون غربية صرفة مترجمة إلى العربية، أو عربية مأخوذة عنها أو غير مترجمة.

ومعنى هذا أن ما يُطْلق عليه «الإعلام

إعلام إسلامي؟

الإسلامى» لم نأخذه عن أنفسنا وإنما أخذناه عن كُتَّاب الغرب ومفكريا .

★ ★ ★

وسيظل هذا الاضطراب هو سمة القوم، لأن ما يدعون إليه مسبوق بما هو أصل وأقوى، فليس فى الإسلام إعلام مفصولاً عن الدعوة ومناهج الدعوة . . وهذا هو الحق الذى ينبغى أن يصار إليه، ولكن القوم يحاولون أن يفصلوا بين الدعوة الإسلامية ومناهجها، وبين الإعلام الذى يتحمَّسون من أجله، وهما فى الواقع اسمان لمسمًّى واحد . . ثم وجدوا أنفسهم مضطرين لطَرْقِ قضايا الدَّعوة ومناهجها، ولكى يستقيم لهم ما يريدون أجهدوا أنفسهم فى اختلاق الفروق وانحرفوا عن الجادَّة فكان الاضطراب والتشويه .

وهم يدركون تماماً أنهم لو سلَّموا بأن الإعلام الإسلامى هو الدعوة ومناهج الدعوة، وليس مفصولا عنها لانتهى دورهم، لأن للدعوة سلاحها الذى لا يحسنون حمله واستعماله، ولها فرسانُها الخبيرون بمسالكها وشعابها . ومن هنا كان إصرارهم على ما لا يُحْمَد الإصرار فيه .

فإن نازعونا فى هذا فعليهم أن يُحدِّدوا لنا الفروق التى تفصل بين الدَّعوة ومناهجها وبين الإعلام الإسلامى التحمسين من أجله . . فإن زعموا أن بينهما فروقاً قلنا لهم : إن الإسلام لا يعترف بإعلام مفصول عن مناهج الدعوة فلا تنسبوه إلى الإسلام ثم قولوا فيه ما شئتم من قول .

★ ★ ★

وأين يقع الفرق يا ترى؟ أيقع فى المادَّة المعروضة أم يقع فى الوسيلة العارضة؟ إن المادة المعروضة فى الدعوة ومناهجها هى القرآن والسنة وما تولَّد منهما من قيم ومبادئ، وسيرة أعلامه النبلاء . وما يتسق مع منهج الدعوة من وقائع التاريخ العام والخاص . ولا خير فى إعلام يقال أن المادة المعروضة فيه تختلف عن هذه المادة المعروضة فى مناهج الدعوة .

فإن قالوا : المادة واحدة فيهما قلنا إنها دعوة إذن وليست إعلاما مفصولا عنها . فلماذا لا نسمى الأشياء بأسمائها المعروفة؟ .

لقد آثر القرآن نفسه، وكذلك السنة كلمة الدعوة عما سواها، مكررة فى القرآن والسنة . فمن القرآن الكريم نذكر قوله تعالى : ﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى . . ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾ . والرسول عليه السلام حرص فى كتبه التى بعث بها إلى قادة الشعوب ورؤسائها على أن يخاطب كلا منهم بقوله : «أدعوك . . . » ولم يقل «أُعْلِمُكَ» .

ولو علم الله أن فى «الإعلام» وفاء بحق المعنى المراد فى هذا المجال لم يكن فى «الدَّعوة» لآثره عليه، وإننا لنلحظ بين الكلمتين فرقاً دقيقاً من حيث المعنى اللغوى . . فالدعوة تعنى الجذب والإقبال على الداعية والمدعو إليه، أما الإعلام لغة، فلا يفيد أكثر من قذف معلومات من مراسل إلى مستقبل، فدلالة الإعلام دون دلالة الدعوة، ولذا اختار

الله ورسوله ما هو أوفى بالمعنى المراد.

★ ★ ★

وإن كان الفرق يقع فى الوسيلة العارضة مع وحدة المادة المعروضة، فهذا لا يعطيهم الحق فى تسمية «الدعوة» بغير ما سميت به فى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة سلفاً وخلفاً.

والدعوة قديماً وحديثاً عرفت من وسائل العرض الخطابة والمحاضرة والمقال والدرس والكتاب والبعوث والسفارة. وكلها وسائل استخدمت منذ عهد النبوة وما تزال تستعمل إلى الآن، بل إن الرسول نفسه كان يستعمل الرَّمز فى توضيح بعض الأفكار. فقد خطّ يوماً خطاً مستقيماً على الأرض رامزاً به لصراط الله، ثم خط حوله خطوطاً رامزاً بها للسُّبل التى تفرق بالناس عن سبيله.

تلك هى وسائل عرض الدعوة، فماذا يريد هواة الإعلام أن يضيفوه إليها؟.

الصحيفة؟ التمثيل؟ الرسم والصُّورة؟ الراديو؟ التليفزيون، ليقولوا ما شاءوا.. فالوسيلة العارضة لا تُغيِّر حقائق الأشياء، فلم يبق مُبَرِّر واحد لطمس اسم الدعوة وإحلال الإعلام محلها.

★ ★ ★

فإن قالوا إننا نريد تطوير الأداء بالاستفادة من المناهج الحديثة فى مجال صُنْع الرأى والتأثر والتأثير، قلنا إن الإسلام لا يُمانِع من الاستفادة بتجارب الأمم واستثمارها فى نُصْرة الحق الذى يدعو إليه.. ولكن له

سلطانه الخاص فى إثبات ما يُثْبَت ونفى ما يُنْفَى، ولا يسمح بأن تطغى أية عوامل على أصوله وخصائصه المقررة.

★ ★ ★

وأمامنا نموذج لا يرتاب فى صحته أحد، وهو كتاب «الدعوة الإسلامية والإعلام الدينى» للدكتور عبد الله شحاته الأستاذ بدار العلوم جامعة القاهرة.. ويبدو أن المؤلف قد أخذه بعض الاعجاب بالمصطلح الجديد «الإعلام» فأضاف مقطعاً لعنوان كتابه يؤكد ذلك الاعجاب. وهو مقطع «الإعلام الدينى» ورغم هذه المجاراة اللفظية فإن المؤلف لم يعرض فى كتابه إلّا موضوعات الدَّعوة، فقد تكلم على الجهاد والعبادات والأخلاق، والعقيدة والإيمان، والحلال والحرام والآداب الاجتماعية والأخلاق والأسرة، وهذه كلها أمور من صميم الدعوة ويشتغل بها الدعاة فى كل عصر ومصر. فهذا كما قلنا نموذج صحيح لربط الإعلام بالدعوة.

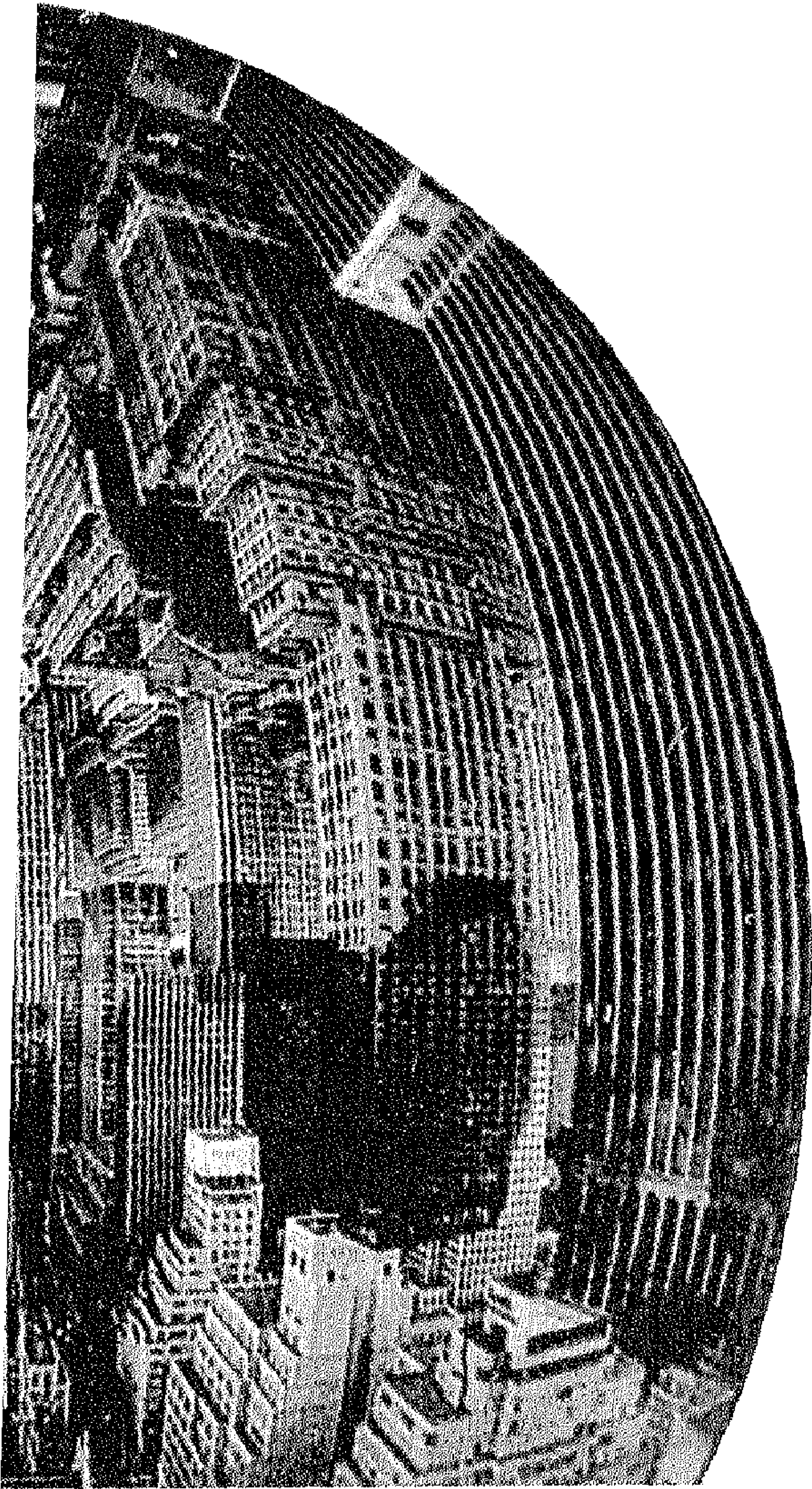
فما هى الحاجة إذن لتزاحم الدعوة بالإعلام الإسلامى أو تحله محلها أو تتحمس له على حسابها، وقد صدق شاعرنا حين قال فى مثل ما نقول:

خذ ما رأيت ودع شيئاً سمعت به
فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

★ ★ ★

المنهل: هل من مُعَقِّب مُفيد..؟؟

الاسلام دين العل



علم من مجمع مباحث علم النفس ان اجتماع قلوب اى طائفة من الناس على عمل واحد وتظاهرهم عليه قلباً وقالباً مما يؤكد معنى الوحدة فيما بينهم، فانظروا إلى حصول هذا المعنى فى اجتماع الأمة على اداء عمل واحد كل يوم خمس مرات متلاصقين صفوفاً المنكب بالمنكب والقدم بالقدم متوجهين جهة واحدة يتعبدون بلغة واحدة يقومون معاً ويركعون معاً ويسجدون معاً متحدين فى حركاتهم - يحرص كل واحد منهم على أن تكون حركته موافقة لحركة إخوانه.

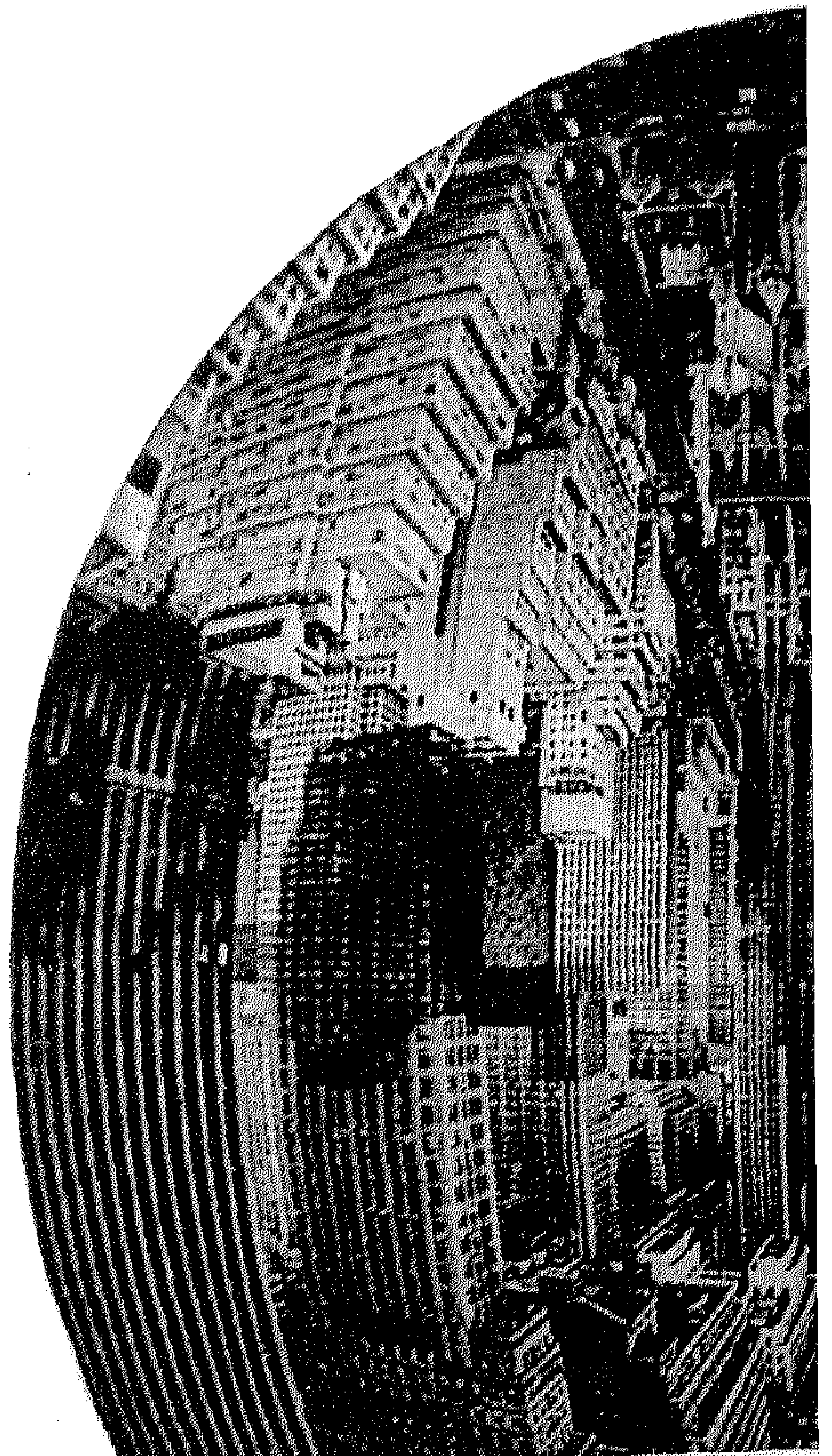
وعن فهم ما ذكر قال رستم قائد الفرس الأكبر فى وقعة القادسية حين رأى المسلمين يصلون جماعة: أكل كبدى عمر يُعَلِّم هولاء الأدب، ويعني بعمر أمير المؤمنين رضى الله عنه. هذا مع ما ورد من الأمر المؤكد فى الاعتصام بحبل الله مجتمعين عليه، وحبل الله هو القرآن، وهو المثل الأعلى الذى نصبه الله لهذه الأمة لتجتمع كل هممها ومساعيها لاقامته كما يجب. فتجتمع عليه ولا نتفرق عنه. وما ورد من الوعيد الشديد للمتفرقين والمختلفين والمتهاجرين. وقد قرن الله بالأمر بعبادته الأمر بالإحسان للطوائف التى يتألف منها جمهور الأمة كالقرابة والجيران والأصحاب

خــــاص

مرو البرهان



بقلم سماحة الدكتور عبد الله عبد القادر بلفقيه العلوي
معهد دار الحديث الفقهية (مالانج - اندونيسيا)



واليتامى والمساكين وابن السبيل. فهذه الأعمال الدينية الداخلة فى مسمى العبادة جامعة لتعظيم الخالق ونفع الأمة وتنافعها مما يغود عليها بتقوية وحدتها. ومن ذلك ما وردت الأوامر الربانية بايجاب ادائه ورعايته من حقوق المسلم على أخيه المسلم. وما جاء النهى عنه من كل عمل وخلق يفضى إلى التنافر ويعارض الائتلاف كالغيبة والنميمة والسباب وسوء الظن والكبر والحسد والحقد والغش. فكل ذلك جامع لتزكية النفس واقامة العدل والاحسان إلى الخلق ومؤد إلى تقوية بنيان الأمة واتحادها.

● فلو ان المسلمين داموا على العمل بشريعتهم لما وصلوا بتفرقهم إلى الدرك الذى تدهوروا إليه ولكانوا إلى اليوم سادة الأمم وهداتها إلى الحياة الطيبة، ولكانوا هم المنقذين لها من حياة الجشع والتكالب والتغالب والخلاعة والمجون والشهوات المؤدية حتماً إلى أسوأ عاقبة يتصورها العقل.

● إن هذه الإشارة إلى بعض عقائد دين الإسلام وأخلاقه وأعماله مشفوعة بشىء من ثمراتها النافعة وحكمها الجامعة كافية فى مثل هذا المقام.

● ولقد شاع هنا بين بعض الناس تساؤل عن حكم الأعمال الدينية، تساؤل صادر عن شك أو تشكيك.

بالمنهل

● أساس الدين التعظيم والطاعة والمحبة والتصديق.

● منزلة المسلم من ربه ليست أقل من منزلة الجندي من ضابطه.. عليه أن يطيعه دون تردد أو تساؤل.

● لقد أوجب الإسلام حفظ الكليات الخمس وهي: النفس والمال والدين والنسب والعرض.

● في القرآن الكريم أصول المسائل الاجتماعية التي ينبني عليها بقاء الأمم أو فناؤها وسعادتها أو شقاؤها.

وقد كانت طوائف الفرق الباطنية تتوصل بذلك إلى نشر نحلتها الباطلة، وقد حذت بعض النحل الجديدة حذوها. فعلى المسلم الحريص على دينه ان يحذر من الوقوع في شباكها وإن تظاهرت باسم الإسلام.

إن أساس الدين هو التعظيم والمحبة والطاعة والتصديق، وانكم لتعلمون ما هو واقع من تعظيم المرؤوسين في هذه الحياة الدنيا لرؤسائهم وتنفيذ أوامرهم وتدبيرهم وطاعتهم لهم والنشاط إلى ما انتدبوهم إليه من غير بحث ولا سؤال، أفليس من العار أن لا يكون عند المسلم من الثقة بأوامر ربه الدينية والتصديق بها وبعاقبتها مثل ما عند هؤلاء الناس. ؟ إن منزلة المسلم من أمر ربه كمنزلة الجندي من ضابطه.. عليه أن يطيعه وليس عليه أن يسأله متشككا متردداً، أو لسنا نقول في صلاتنا **﴿إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾**؟

فمن عزم وأكد عزمه وأخلص نيته بتقديم نفسه لله في عبادته وفي الحياة والموت لما يرضيه عز وجل من الصلاح في نفسه والإصلاح لغيره.. من أقر بمثل هذا وآمن به ووعد به من نفسه كيف يتأتى أن يكون عنه ذلك التساؤل التافه الذي لم يبعثه إلا الشك والتردد؟ ولنضرب لكم مثلا في الجندي لو توقف عن طاعة رئيسه أو حكومته وأخذ يسائلها لم كانت رايتها على هذا اللون دون ذلك؟ ولم كانت الألوان خمسة ولم تكن أربعة؟ ولم كان المدفع أو البندق على صفة كذا؟ ما كان إلا عاصيا أحمق سفيها؟ أو ليس سؤالات المتشككين انما هي من هذا القبيل. ؟ لم كانت العصر اربعاً؟ وكانت المغرب ثلاثاً؟ ما مَثل هؤلاء المتسائلين عند ربهم إلا مثل ذلك الجندي العاصي فإن حق الله على العباد أعظم من كل حق وواجب. وليس كل الناس مستعدا لفهم الحكم الدينية لاختلاف طبائعهم.. فاللص لا يقدر على تذوق حكمة تحريم السرقة لأن شراهته إلى أموال الناس تحول بينه وبين ذلك.. كما ان الشهواني الخليع يرى حكمة منعه عن الزنا والتلاعب بأعراض النساء تافهة لثوران شهوته وفساد خلقه وتربيته، بل بعض الحكم يتوقف فهمهم لها على تقدم معرفة علوم الاجتماع والنفس ولا يقدرون على فهمها قبل ذلك كما لا يقدرون على فهم حكم بعض الظواهر الكيميائية ونتائج الأشكال الجبرية والهندسية قبل معرفة مقدماتها.

إن علم الدين وشرائعه وعقائده متعلق بعلوم الغيب وعلاقة العبد بربه والأغذية والأدوية الروحية، وقد تكفل الله بانزال كتبه وارسال رسله يعلمون الناس ذلك اذ لا تستقل عقولهم باستنباطه بخلاف سائر العلوم المعاشية، وان الأعمال والأحكام الدينية منها ما هو بمنزلة الدواء. فعلى العبد ان ينتفع بما شرعه الله له منها كما ينتفع بما خلقه له من الأغذية والأدوية، ومن مارى الرسل عليهم الصلاة والسلام

فى ذلك، كان مثله مثل من يقول لم جعل لنا الغذاء؟ لم كان لحماً وأرزاً ولبنا وفاكهة؟ ولم كان لون الفاكهة أحمر؟ ومثل المريض الذى امتنع عن أخذ الدواء واشتغل بمجادلة الطبيب فى الدواء لم كان مركباً من أجزاء؟ ولم كانت الأجزاء كذا وكذا نوعاً؟ ولم اختلفت مقاديرها؟ ولم كان مقدار هذا كذا وكذا جراماً دون ذلك؟ وإذا كان المريض بهذه الصفة انتهى أمره بحرمان الدواء والشفاء. وكيف يعتمد أحدنا على قول الطبيب فى تشخيص مرضه ويمتثل أمره فى غذائه ودوائه وحميته وهو بشر مثله، عرضة للخطأ والاصابة ولا يثق بالله علام الغيوب فيما شرعه له.؟ قال الله تعالى ﴿**إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون**﴾ «**النور٥١**».

وكلامى هذا فى اولئك المشككين الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، لا فيمن يتطلب ذلك ليزداد هداية وإيماناً.. فما فهمه شكر الله عليه وما لم يفهمه وثق فيه بعلم الله وحكمته.

إن دين الإسلام هو الدين الاجتماعى، ففى القرآن أصول المسائل الاجتماعية التى ينبنى عليها بقاء الأمم وفناؤها، وسعادتها وشقاؤها.. وهى فى القرآن أبسط من سائر الاشارات العلمية، إلى ما سوى ذلك من العلوم، ومع ذلك فقد سئل الدكتور جرنية الفرنسوى عضو مجلس النواب سابقا عن سبب إسلامه؟ فقال: «**انى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها تعلق ما بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية وهى التى درستها من صغرى وأعلمها جيداً فوجدت هذه الآيات منطبقة تماماً على معارفنا الحديثة فأسلمت لأنى تيقنت أن محمداً عليه الصلاة والسلام أتى بالحق الصراح من قبل أكثر من ألف سنة من غير أن يكون له مُعَلِم أو مُدَّرس من البشر. ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلمه جيداً - كما قارنت أنا- لأسلم بلا شك اذا كان عاقلا خالياً من الأغراض.**

وليست المسائل الاقتصادية بأقل من المسائل الاجتماعية فى القرآن، الا ترون كيف نص على تحريم الفواحش الثلاث المضادة للفطرة، والمخربة للديار، والمذهبة للثروة، والمثيرة للبغضاء والحسد والكراهة والوقاحة وهى الزنا والخمر والقمار، مع ما فى الزنا من ضياع الأنساب، وخراب البيوت والأسر، وفساد الأخلاق وذهاب الحياة وفشو الأمراض التناسلية وقلة النسل وظلم النساء أو يصرن ألعوبة بأيدى الفساق، محرومات من الكرامة البيتية، ومن الذرية وحقوق الزوجية وما يتصل بها كالارث والنفقة والحضانة.. مع ان المتزوجة إنما تحاول ارضاء رجل واحد وهو زوجها تأخذ منه بايجاب الشرع كل ما تحتاجه من النفقة والكسوة واسباب الزينة، وتصير أم بيت وأسرة وذات ذرية تقر بها عينها إلى غير ذلك.

● فالزنا هو الذى يفتح باب ظلم المرأة وامتهانها، والزناة هم الذين يظلمون البيئة الاجتماعية بافسادهم جانباً منها وتعطيلهم إياه عن صلاحيته للزواج، ومثل الزنا فى كونه يفتح باب ظلم المرأة كل ما صار سبباً إليه أو حال دون سهولة الزوجية الشرعية فإن كل قيد مانع سهولة الزواج الشرعى أو حائل دونه يلجىء لا محالة إلى اقتحام الرذيلة، فإنه إذا ضاق على النفوس البشرية جانب الحلال المشروع اقتحمت لا محالة جوانب الحرام الغير المشروع. فالدين الإسلامى أقفل باب الزنا من كل وجه. ووسع للناس فى النكاح الحلال إلى الأربع زوجات. أما عكس ذلك فهو السبب فى قلة العفة عند بعض الأمم واضطرارهم إلى إباحة أو تخصيص حرمته بالمتزوجة.

● ومع ما فى الخمر من إزالته للعقل واضعافه للبدن باتلاف انسجته بتأثير الكحول كما أجمع على هذا

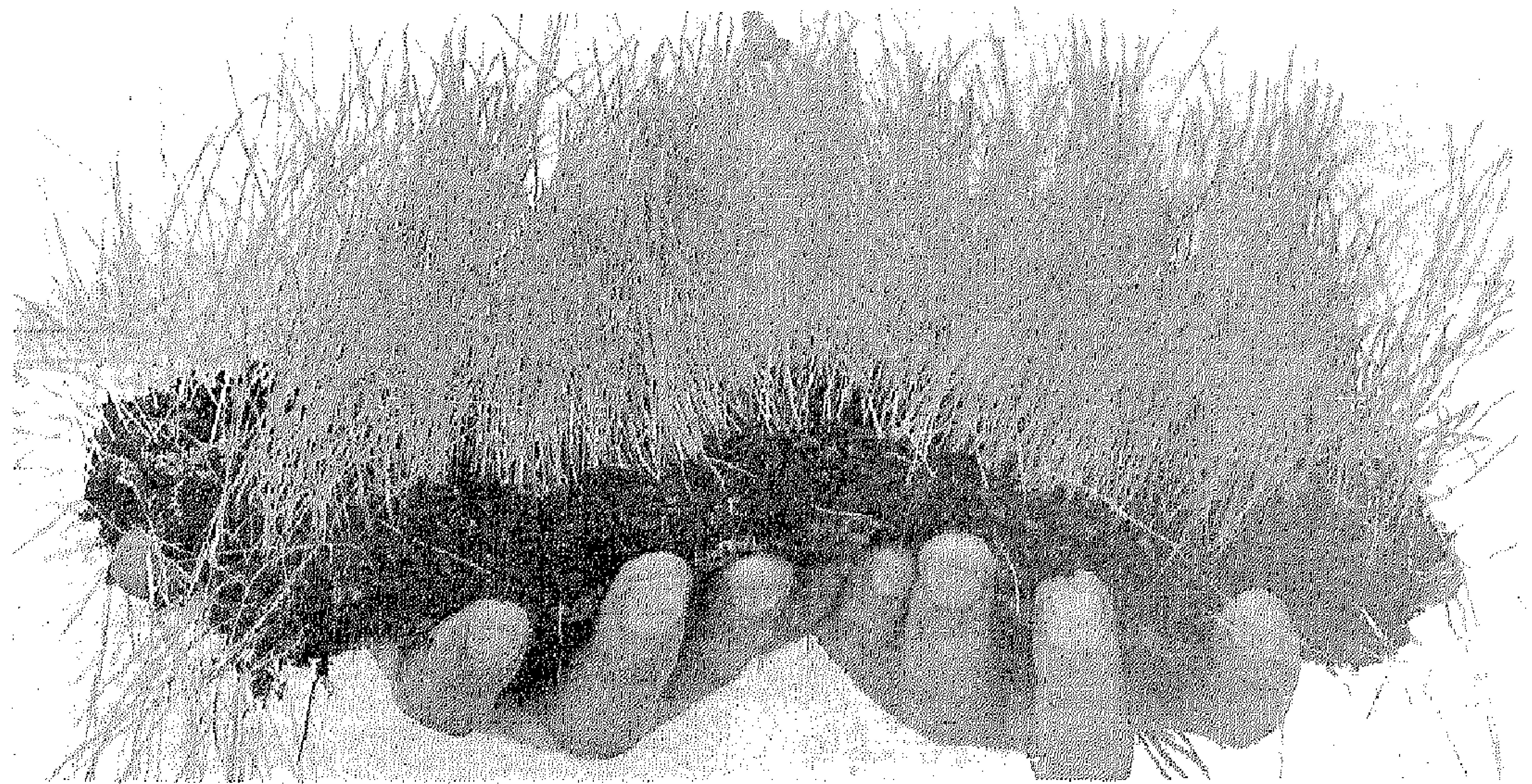
محققو أطباء العالم، وهو مبدد للثروة، سائق إلى الفجور، وإلى الجنون في النسل.

● ومعلوم تأثير القمار في إفناء الثروة وإفساد الخلق وتقوية خلق الطمع والشراهة إلى مال الغير كما تشاهدون ذلك في المقامرين، وان أثره في المصرين عليه في البلدان المعدة له في بلاد أوروبا أظهر. وأظهر وحسبنا في ذلك قول الله تعالى: ﴿**إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان، فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾ (المائدة ـ ٩٠).

● وتأملوا كيف نهى الله عز وجل عن التبذير وأمر بالاقتصاد وأثنى على أهله، فقال عز وجل: ﴿**ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا**﴾ (الإسراء ٢٦-٢٧) ﴿**والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ (الفرقان ـ ٢٧) وكما أشار في سورة النساء إلى قاعدة اقتصادية عظيمة نبه بها إلى أن ثروة الأفراد هي في الحقيقة ثروة الأمة من حيث تكافلهم. وتشريعه الحجر على السفهاء لئلا يضيع مجموع ثروة الأمة بتبذير أفرادها، وأن المال قوام الأمة لا يصلح شأنها بدونه. وذلك في قوله تعالى: ﴿**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً**﴾ (النساء ٥).

وقال تعالى في سورة الانعام: ﴿**وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** (اى فى القوة والثروة والعلم وسائر ما يتفاوت فيه البشر) **ليبلوكم فى ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**﴾ (١٦٥) اى ليختبركم فيما آتاكم من النعم التى تفاوت بسببها رفع بعضكم فوق بعض. وقال تعالى فى سورة الزخرف: ﴿**نحن قسمنا بينهم مَّعيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً**﴾. (٣٢)

فالتفاوت فى القوى أمر خلقى طبيعى واختبار الهى للناس. وعن هذا التفاوت وشعور القوى بقوته نتج التغالب بالحق والباطل فيما بين البشر أفراداً وأمماً. بل يكاد يكون عاماً في الأحياء كافة فإنك تنثر الحب للطيور فتراها تتزاحم عليه وينقر قويها ضعيفها



لا ظلم على النساء بمقتضى الشريعة الإسلامية

● التفاوت فى القوى أمر طبيعى، والمهم فى علاقات الأفراد أن لا يخرج التغالب عن دائرة العدل والابتلاء الإلهى.

● إن المال قوام الأمة لا يصلح شأنها بدونه.

● لو أن المسلمين داوموا على العمل بشريعتهم لما وصلوا إلى الدرك الذى تدهوروا إليه، ولكانوا اليوم هداة الأمم إلى الحياة الطيبة.

فيطرده ويحرمه، ويخرج الأطفال من المدرسة فيتزاحمون حول بائع الثلج فيزحم القوى الضعيف بمنكبيه فيغلبه على مكانه حتى قيل إن الظلم من شيم النفوس.

● ومهما كان الحال فإن العقلاء غير معذورين فيما خرج من التغالب عن دائرة العدل والابتلاء الالهى فى قوله تعالى ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ إنما هو فى كيفية استعمالنا تلك القوى مع غيرنا ممن هو أضعف منا، بأن تكون هناك حقوق وأسباب وحدود فيما بين الفريقين، ولا بد من تحديد المعاملة فيما بينهم حتى لا يبغى قويهم على ضعيفهم، ولا يستأثر بقوته، ولا يستعملها فى سلب حقه.

● **فهل يوكل إلى البشر ايجاب الحقوق ووضع الحدود واى الفريقين يوكل إليه ذلك وهم إما قوى لا يعدل وإما ضعيف لا ينصف؟**

لا جرم فى أن خالق الخلق قد تكفل بوضع هذا القرآن، فيه نظام العدل وأصوله الأساسية. وفيه فوق ذلك نظام الاحسان والفضل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**لا تقدس امة لا يقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متمنع**» (١).

● فقد روعى حال ضعفاء الأمة وفقرائها فى شرع الإسلام فأوجب لهم ربع العشر من النقد من مال أغنيائها كل عام ومن سائر أنواع الأموال الزكوية حصصاً متفاوتة لتتم ألفتها واتحادها فلا تدفع فقراءها إلى حال الاضطرار والفاقة والفقر المدقع. مع تحريمه الربا لئلا يستغل ذو الثروة حاجة الضعفاء فتقسو قلوبهم عليهم ويستولون بالتدريج على اكسابهم وعقاراتهم بل وابدانهم، فيعودون بسبب ذلك تحت نفوذهم وسيطرتهم يسخرونهم لمصالحهم كيف شاءوا، أو تتراكم الثروة فى يد عدد محدود من الأفراد والجماعات.

● ففى الزكاة المعونة الايجابية، وفى تحريم الربا المعونة السلبية. مع ما فيه من الضرر العظيم بالأمم كما يفهم ذلك من عرف آثار النظام المالى فى العالم وما نتج عنه من المصائب، والربا من أعظم الأسباب فى وجوده، ولأجل ما ذكر قرن الله بين الصدقة والربا فى آية واحدة فقال ﴿**يمحق الله الربا ويربى الصدقات**﴾ وذكر حكم الربا بعد الأمر بالصدقة والانفاق فى سورة البقرة، ويدخل فى ذلك نظام النفقات العينية والكفائية للأقارب وصلة الأرحام وسداد حاجة المحتاجين وإزالة ضرورة المضطرين حتى قال بها بعض الفقهاء للذمى والمعاهد.

● بل قد أوجب فى معاملة أهل الذمة ما هو آية الغايات فى العدل والمرحمة والفتوة، ذلك أنه أوجب على اتباعه جميع الحقوق المالية الكفائية العامة،

والدفاع بالنفس والمال عن أهل الذمة مع إعفائهم - أعني أهل الذمة - عن كل ذلك إلا ذلك القدر الضئيل المسمى بالجزية، وأطلق لهم الاختيار في التحاكم إلى رؤساء دياناتهم اذا أحبوا، وأوجب لهم المساواة في الأحكام إذا تحاكموا إليه.

● وأعلن بأنه لا إكراه في الدين، ولا تزر وازرة وزر أخرى، فلا تعاقب نفس ولا أمة إلا بذنبها دون ذنب غيرها حتى في أحكام الحرب.

● وبنى الأحكام على قاعدة لذة ولا ألم، وأوجب حفظ الكليات الخمس وهي النفس والمال والدين والنسب والعرض، وشرع من الأحكام الضرورية ما يتكفل بصيانتها. ولم يكل أعواض المتلفات إلى تقدير حاكم ولا رأيه بل جعل عوض المثل بمثله، والمتقوم بقيمته، وأوجب للمجني عليه بجناية في بدنه مما لا قصاص فيه عوضاً مقدراً مقابل ما ناله من المفسدة والتعس فإن كانت الجناية بالقتل حيث لا قصاص [illegible] الدية [illegible] ترياقاً لحزنهم وعوضاً لما انتقص [illegible] عجز الجاني ولم يكن له عشيرة تعقل عنه [illegible] هو الذي يقوم بأداء ذلك كله [illegible] المعاهد والذمي واعتمد في ثبوت [illegible] لم يجعل [illegible] سبب إثباته والحكم به إلى رأي كاهن كما في أحكام الجاهلية ولا ماء بارد ولا حديد محمي ولا مصارعة ولا رفع صليب كما في أحكام الروم (الرومان) وحرم حرب الإكراه على الدين وحرب الابادة والحرب للاستعباد الشخصي أو القومي وحرم قتل من لا يقاتل كالمنقطعين للعبادة على دينهم الخاص والنساء والأطفال ومجرد التخريب والتدمير، وحرم حرب الانتقام والبغض الديني والحزبي وحرب الطمع في المال.

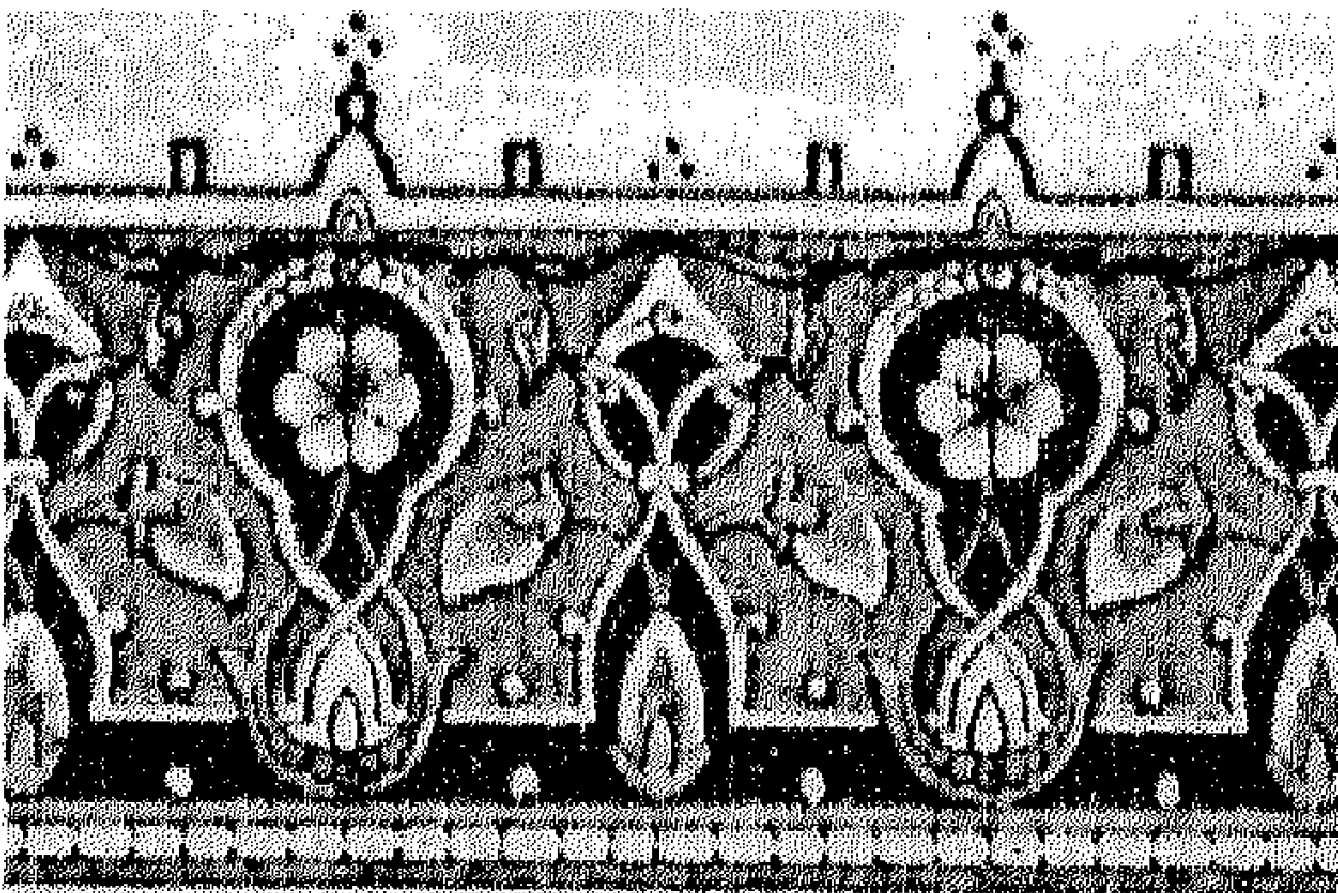
● وشرع من الأحكام ما تصلح به الأسرة ويتم به تكوين العائلة الطبيعية، فساوى بين الزوج والزوجة في الحقوق المتبادلة فيما بينهما وجعل حق الطاعة للرجل إذ لا يصلح مجتمع صغير أو كبير ليس له رئيس، فكانت العائلة كمملكة صغيرة تقاسمت الأعمال وتكافأت في الحقوق وكان للزوج حق الرئاسة وعليه القيام بالمهر والنفقة والكسوة والمسكن وأدوات الطبيخ والتنظيف والأدوية والعمل والكسب والتعب وعليها طاعته وحفظ شرفه بحفظ عرضها وأن لا تدخل بيته من لا يحب دخوله [illegible] فإن ولدت كان لها حق الارضاع [illegible] والحضانة [illegible] طلبتها وإن طلقها وهي حامل كان عليه نفقتها حتى تضع فإذا وضعت كان لها حق الرضاعة والحضانة واجرتها إلى سن التمييز في تفصيل لا محل لذكره.

فإن طلقها (رجعية) فلها النفقة إلى انقضاء عدتها. وهي مختارة في مالها إذا كانت رشيدة لا تتوقف صحة بيعها ورهنها وتصرفها على اذنه.

● وبالجملة فإن دين الإسلام أعطى المرأة من الحقوق ما يصلح عليه المجتمع مما لم يسبق بنظيره أمة من الأمم ولا دين من الأديان [illegible] وقد كانت المرأة في الغرب [illegible] قبل عشرات من السنين مستعبدة [illegible] بعد [illegible] والاقبال في تكريم النساء وتعليمهن لا يزال دون درجة المساواة المتبادلة التي أثبتها الإسلام للنساء ورفعهن إليها وليس هذا من باب المبالغة بل هو مبنى على استقراء وتتبع لقوانينهم، بل ان الدولة الانكليزية لا تورث النساء البتة، ولا تزال حقوقهن في قوانين فرنسا وامريكا ادنى مما في الإسلام، وليس اطلاق العنان لها في ارتياد الأسواق والملاهي والمتنزهات مما يصلح عليه البيوت والنسل ويعرف به صحة النسب.. وهل تتعرض المرأة في ذلك إلا لضياع العرض وان تفترى على زوجها في ذريته فتقذف بين يديه بمن لا يعلم كيف كان اصله وكيف يكلف الرجل بالنفقات من أجل

أمر غير مضمون له ولا موثوق به وليس الحق في حراسته أو ما يحل محل الحراسة من الطاعة ولزوم البيت؟ ان المرأة خلقت وهيئت لتكون أماً ومرضعة ومربية وممرضة ومديرة بيت فاشتغالها بذلك مع ما يعرض لها من الحمل والولادة ونحوهما، مما يعرض النساء بمنعها عن العمل ففرض الشرع الإسلامى نفقتها على الزوج فإن لم يكن فعلى اقربائها وخص الرجل بالأعمال الشديدة بمقتضى بنيته وخلقته، ومع ان المرأة في مجموعها مكفية في مؤنها فقد راعاها الشرع الإسلامى أتم المراعاة وعاملها بمنتهى الرحمة والشفقة وفرض لها من الارث نصف ما للرجل، والرجل كما تعلمون مهيأ لأن يقوم بنفقة امرأة وهى زوجته فكأن ما أوتيه من الارث فقد أرصد له وللمرأة الذى ينتظر زواجها منه، إذاً فنصيب جنس المرأة من مجموع مال الأمة أكثر من نصيب جنس الرجال، فإنها تستولى بواسطة ماها من النفقة والارث على نحو ثلثى مجموع متوسط ثروة الأمة، مع ما تختص به كما هو العادة من الحلى والحلل وأنواع الزينة، أما الاستمتاع فالرجل والمرأة متقاسمان فيه، ولهذا تعرفون أنه لا ظلم على النساء بمقتضى الشريعة الإسلامية، بل ان كان هناك ظلم فالرجل هو المظلوم. والحقوق بينهما في المعاشرة الزوجية متبادلة وليس للرجل زيادة في ذلك إلا حق الطاعة، ولقد قام عليه هذا الحقّ عاليا فإنه قد حمل الأعمال الثقال، وانفاق المال مقابل ذلك، فالرجل هو الذى يكفى المرأة تعب الكسب وإنماء المال بالتجارة والحرف والزراعة وتعدين المعادن والضرب في الأسفار وغوص البحار وصيد الأسماك وفلح الأرض وحرثها واتعاب التجنيد والحرب، وقد خُلِقَ مهيأً لذلك، ولا تتأهل المرأة لشيء من ذلك لأسباب اجتماعية ودينية وخلقية وخلقية (فسيولوجية) مما لا حاجة لشرحه ولا يتسع لى الوقت لزيادة عما ذكرته في هذه المسألة المهمة التى تناولتها أقلام الملحدين وألسنتهم مع جهلهم المطبق بالشريعة الإسلامية وظهور سوء القصد والغرض فى كلامهم وقد سكتوا عن الطعن على كل دين إلاّ دين الإسلام مما يدل على أن لهم ديناً ولكنهم يكتمونه فى قلوبهم ليخدعونا معاشر المسلمين، والملحد يعتقد أنه ليس له رب يخالفه.. ولا يعرف حلالاً ولا حراماً ولا فاحشة ولا قبيحاً ولا ظلماً وإنما يمنعه على الوقوع فى جميع المخازى خوفه من الناس وضعف قوته، فلا يجوز لنا معاشر المسلمين أن نسكت عن طعونهم الباطلة، بل علينا أن نلقمهم الحجر ونقيم عليهم الحجج حفظاً لبقية إخواننا منهم.. وانك لتراهم ينكرون ما أجازه دين الإسلام من تعدد الزوجات ولا ينكرون ما أجازته قوانين بعض الأمم من العهر، فأيها أحق أن ينكر؟ والتشريع الذى يفتح للضرورة باباً يكرم المرأة ويرفعها لتكون ذات روح وذرية وبيت أم التشريع الذى يفتح باب التدهور في حياة الرذائل؟ ليس قصدنا من هذا التمثيل والتنظير التعرض لأى قانون وإنما قصدنا تفهيم إخواننا سوء نية الملاحدة وإنهم مستأجرون فحسب ولا يتسع المقام لأكثر من هذه الاشارة في هذا الموضوع، فإن كان هناك ملامة فهي علينا إذ لم نتمسك بأحكام ديننا.

قال الله تعالىٰ: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران ١٠٢-١٠٣).**



أيُّ

بقلم: هاشم دفتردار



● ليس كل من ينتسب إلى العلم الحضارى هو من علمائها الأعلام . . لا . لا . . إن عالم الحضارة من ينهض بمسائل العلم وقضاياه إلى مُثله العليا . . إن عالم الحضارة من يقيم قواعد العلم على حقائق علوم الأكوان المكتشفة ويجاهد ويناضل في حدود مناهجها اليقينية العالية ولا يقيم وزناً لمواريثه المرتكزة على تقاليد آبائه البالية وأساطيرهم الفاسدة، ونزواتهم الآثمة، وفتن الأيام اللاهية ومباذل الليالى الحمراء.

● ولا يكترث للذين ينتسبون إلى علوم الحضارة زعماً ودعوى، ويتصيدون كلماتها من هنا ومن هناك زاعمين أنها منهم وأنهم أهل ابتكار وتجديد وعلم، حتى يجعلوا الأساطير «نحلهم» أصولاً من العلم الحديث ودلائل صارخة من بيناته الناطقة. أجل لا يكترث بهم فهم أهل إفك وزور. . وهم فى واد سحيق مظلم. . وعلماء الحضارة الصاعدون على أعلى قممها بإشراق أضوائهم وشموسهم وأقمارهم. . أجل إن علماء الحضارة هم أبطال أحرار يحولون ما بأنفسهم مما ورثوه من تقاليد الآباء المخالفة لحقائق العلم اليقينى وأسسه.

● ***وعلماء الحضارة يعلمون أن العلم أبداً فى تجدد، وأن ما اكتشفوه منه قليل جدا، وان أكثره لما يزال محجوباً في غيوب الأكوان . .***

● لذلك تجدهم يغيرون ما بأنفسهم بقوة وعزيمة ورضا دون أى خوف أو تردد أو وسوسة فراراً بأنفسهم من تخلف المواريث. . ولا ريب أنهم هم العلماء الأحرار الأبطال،

الرجلين عالم الحضارة

الذين استطاعوا ويستطيعون أن يخلصوا أنفسهم من الانحطاط إلى السمو ومن التمزق إلى الوحدة ومن الافساد إلى الاصلاح، ومن النوم إلى اليقظة ومن الأسطورة إلى الدين ومن الجهل إلى العلم.. فهم على كل حال أهل الرئاسة والكياسة والسعادة والزمام، هم أهل النور، هم الناس كل الناس.. أى هم أهل الحضارة حقاً.. وهم القادرون على إقامة دعوة الخير والهدى والنور في كل بلدة، وهم أهل متابعتها.. ولا ريب أن تلامذة هؤلاء العلماء الأعلام هم الذين يطرحون ما في أنفسهم من رواسب التقاليد الموبوءة المعدية دون مبالات واكتراث، وهم الذين يصدق عليهم قول الله جل وعز ﴿ **إن الله لا يغير ما** بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

● فإذا رأينا أمةً متخلفةً ممزقةً فاسدة مهملةً حقيرةً لا وزن لها ولا قدر في عالم الحضارة والعلم والأخلاق والكرامة والعزة علمنا أن باعث أفرادها على كل ذلك. ومما استقر في أنفسهم والله جل جلاله لا يغير الظاهر المنحط الفاسد حتى يغيروا ما في أنفسهم من الانحراف والانحطاط والفساد..

● ومن أجل ذلك تجد العلماء الأمناء، يأبون أن يتلقوا حقائق علوم الحضارة القطعية وتوجيهاتها السامية مما انطوت عليه أنفس البشر من مواريث فاسدة وتقاليد عمياء ولكن أشطار المثقفين العنصريين هم الذين يتلقون علومهم ومعارفهم من تقاليد أممهم ومواريثها وعنصرياتها، وكان الأجدر بهم أن يطرحوها تحت أقدامهم لأنها كلها أضرار وأحقاد وإلحاد وجحود عنصرية غابية مسلحة ترقب ساعة الانقضاض.

● والآن نجد الشبان المثقفين في الأوطان يودون أن يعلموا صفات علماء الحضارة الانسانيين الأمناء، لكى يؤيدوهم ويأخذوا بأيديهم وينتصروا لهم وينتسبوا إليهم..

وهاهى صفات عالم الحضارة الأمين:-

● هو الذى يحاكم نفسه من قبل أن يحاكمه الآخرون.

● هو الذى يزن مواريثه وتقاليده بموازين العلم اليقينى الخبر المنزل فى وحى الله المعجز المتحدى. فما كان منها مؤيداً به أخذ به ودعا إليه وأعلنه وأنفق في سبيل إنجاحه لدى الأمم الأموال الطائلة:. وما لم يكن كذلك انصرف عنه وهجره وداسه بأقدامه وحاربه حرباً لا هوادة فيها.

عالم الحضارة :-

• وجدانه عامر بحقائق الإيمان وأضوائه.

• فكره إنساني أنّى كان موطنه .

• عقله يصفي مواريث البشر بمصفاة أمينة نصوحة .

• لسانه متحضر يترفع عن سفاسف الكلام

• قلبه يحمل الخير لكل الناس .

● هو الذى يحمل مصفاته الأمنية النصوحة كلما التقى بمواريث البشر ومعارفهم وتقاليدهم ومللهم ونحلهم ومؤلفاتهم فيأخذ بالتصفية بها دون محاباة ومجاملة، ودون وجل وخوف فما كان نافعاً ومفيداً وصادقاً وحقاً قطعياً أبقاه، وما كان فاسداً أو ضاراً وخبيثاً ألقاه وراءه ظهرياً، وهكذا يقدم للشبيبة في كل الدنيا ما يسعدها ويضفى عليها طيب العيش ورغده وظلال الأمن والايمان، ويبعد عنها كل الأضرار المجرمة الهدامة.

● وهو الذى تسمو كلماته بالآداب سموها الممكن وترفع عن القصص والمسرحيات خبائث المباذل ومآثم الغرائز وسفاسف العواطف، وثرثرة السقطات، وانحطاط الأساليب، وإخالك تهتف بكل صرخات قلبك : وأنت مقبل عليها لله ما تمنحنا إياها من منافع الرأى الناضج إنها من معالى الفكر وأضواء العلم، وكريم السلوك، إنها قبس من نور وحى الله وكفى بذلك اعتزازاً.

● وهو المزحزح عنها لعنات العنصرية ودسائسها ومؤامراتها، أى هو عالم مفكر مصلح يحقق وجود الإنسان فى كل الأوطان، ويزودهم بعدد الانتصار..

●● فكر يا أخى الإنسان من أهل أى وطن كنت، وبأية لغة تكلمت. . فكر ما دمت تؤثر أن تعيش آمناً مطمئناً على نفسك وأهلك وأمتك. . فكر بعُمقٍ وقدر. . وتأملّ بتدبرّ وميزْ بوعى :-

أ - بين العالم المتحضر الإنسان الذى يحمل الخير لكل الناس.

ب - وبين العالم العنصرى الحقود الذى يزعم أنه مصلح، وهو فاسد مفسد، الذى يدس الفتن والخبائث بين الناس وسموم الأفاعى.

● أجل يا أخى الإنسان ألا تفكر أن تميز بين رجل يحمل فى يده المسدس والطربيد والصاروخ حين يلقاك باسماً رقيقاً عذب اللسان وهو يعتزم أن يطرحك صريعاً، ويقذف بك في رحم الأرض وحفائر الأدغال. . وبين رجل قلبه عمران بحقائق الإيمان واضوائه : تتفجر بسلطان من كل نواحيه لينقذ الإنسانية من ظلمات الإلحاد، وطغيان مظالمه.

● يا أخى الإنسان لا تثق بمن يستوحى ثقافته وبواعث سلوكه وتوجيهات أعماله من انطباعات مواريث الغاب الرابضة في مجموعته النفسية، وإياك أن تفتنك بوارق كلماته اللينة، فهى معاول هدامة لحقائق العلم الذى أقام الله به الأكوان لهداية الأنام. ألا تدرى أن كل فجائع الانسانية وتحريف أديانها السماوية من أبعد الأزمان هى من صنع أشطار المثقفين الآخذين بمواريث تقاليدهم الرابضة في أعماق مجموعاتهم النفسية المشيدة على تُرّهات الأساطير وخوارق الأحلام وتمائم السحر الحرام.

● هؤلاء هم عقبات الصعود العلمى

الحضاري السلمي لأن أمراضهم مزمنة وعنصرية معدية فتاكة، ولولاهم لكانت حضارة عصرنا سوى هذه الحضارة التي لا يأمن الناس بعضهم بعضاً. . ولا يتحدثون أحاديثهم ولا يعقدون مؤتمراتهم هنا وهناك، إلاّ ولهيب أحقاد الذرة والهيدروجين والجراثيم الفتاكة وفجائعها ومخاوفها ولعناتها ونذرها تتفجر في كلماتهم، وتوشك أن تنفجر في أعمالهم إذا لم يكن من ذلك بد.

● يا أخي الإنسان المفكر في أي وطن كنت، لو التزمت يقين العلم بدلاً مما هو مطبوع في مجموعتك النفسية من تقاليد الالحاد المتوارثة المتنكرة ليقين العلم في معارف الحضارة لرغدت أنت وذراريك وامتك ناعمين بظلال أمن الأمان على مدى الأزمان.

● يا أخي الإنسان المفكر، ناقش بحقائق العلم اليقيني جماعة الملاحدة العنصريين الذين يحولون كل وفاق إلى خلاف وكل أمن إلى خوف، وكل إيمان إلى إلحاد، وكل عفاف إلى تهتك، وكل سلم إلى حرب.

ألا ترى أن هؤلاء هم السبب الأول والأخير الذي يدفع الدول الكبرى إلى رصد الأموال للإعداد الكبير وهل تعد مثل هذه العدد لولا توقع الغدر في ساعة مجنونة منتقمة.

● يا أخي الإنسان المفكر، إنك إن تجد كل دولة أقامت دوائر لدراسة ثمرات الأقلام. . لأجل الحذر والانتباه لكل ما يخالف ما هو متواطىء عليه من دسائس ومؤامرات ضد بعضهم بعضاً ظاهراً وباطناً. والقصد الوقاية من بغتات ساعة الانقضاض الكبير العام المفاجىء لغفلة الأمن والسلم والرجاء. . ألا إن هذا النوع من الدوائر حاصل في كل الدنيا ولكن الرجاء إقامة دوائر لأجل كشف الحقائق المفيدة لسلام البشر وأمنهم ومودتهم وتعارفهم، حتى تؤيد أقلام السلام وتشجع وتذاع ويدعى لها من كل الدنيا وتكرم. .

● عسى أن يحصل ذلك بوجه عام، ألا إن في الدنيا أقلاماً معدة لهدم العلم والحق والايمان والتفاهم والسلام، حطمها، حطمها أيها الإنسان إن كنت تريد الحياة الآمنة المطمئنة للإنسانية كافة.

● ألاّ إن في الدنيا أقلاماً معدة لبناء العلم والحق والإيمان والتفاهم والسلام أيدها أيها الإنسان إن كنت تريد الحياة الآمنة المطمئنة للإنسانية كافة.

● **يا أيها الناس إن فيكم أشراراً ملحدين فتاكين كفوا شرهم عنكم قبل فوات الأوان، والفكر ليس نافعاً إذا أوانه مضى.**

● عالم الحضارة هو الذي يقيم موازنته على العلم اليقيني والخبر المنزّل في وحي السماء.. الآمن أخذ بترّهات الأساطير وخوارق الأحلام.

● عالم الحضارة ليس عنصريًا والا ملحدًا، وليس عاملاً من عوامل الاعداد للغزو وتفجر احقاد الذرة والهيدروجين والجراثيم القتالة.

ملاحظات غير عابرة

بقلم المربي الشيخ
عثمان الصالح

إن فى الاسلام الذى شرَّف الله به محمداً ﷺ ، وشرَّف به المسلمين ، وحفظه فى كتابه وسنة رسوله ، صلاح الدنيا والآخرة ومن تتبع منبعه . . ودرس أصوله . . وسار على منواله فهو على نور من ربه . . ولنا فى سيرة نبينا وخلفائه والتابعين من أمته ما يعطينا الضوء فى مسيرتنا . .

والسعادة فى مجتمعنا وإليك ما اختاره (عبد الملك الكليب) فى القبس من هذه الحكم الوضاءة والتوجيهات البناءة :

عن سفيان بن عُيَيْنة قال : قال التميمى : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا منها وأدبرت عنكم فاتبعتموها .

وعن بكير أو أبى بكر عن ابراهيم التيمى قال : ينبغى لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأنَّ أهل الجنة قالوا « الحمد لله الذى أذهب عنَّا الحزن » وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لانهم قالوا « إنَّا كنا قبل فى أهلنا مشفقين » .

وعن زكريا العبدى عن ابراهيم النخعى : أنه بكى فى مرضه فقالوا له : يا أبا عمران ما يبكيك ؟ قال : وكيف لا أبكى وأنا انتظر رسولا من ربى يبشرنى إما بهذه وإما بهذه .

وعن المسعودى قال : قال عون بن عبد الله بن عُتْبة : إنَّ من كان قبلكم كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم ، وإنكم اليوم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن دنياكم .

وعن المسعودى عن عون بن عبد الله قال : ما أحد يُنْزِل الموتَ حقَ مَنْزِلتِه إلاَّ عَدَّ غداً ليس من أجله ، كم مِنْ مستقبل يوماً لا يستكمله ، وراج غداً لا يَبْلغُه ، لو تنظرون إلى الأجل ومسيره لأبْغَضتم الأمل وغروره .

وعن المسعودى عن عون قال : كان الفقهاء يتواصون بينهم بثلاث ويكتب بذلك بعضهم إلى بعض : من عَمِل لآخرته كفاه الله دنياه ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس .

وعن مسحر عن عون قال : ما أقبح السيئات بعد السيئات وما أحسن الحسنات بعد السيئات وأحسن من ذلك الحسنات بعد الحسنات .

. . إنَّ من لم يعتبر ولم يأخذ الحكمة من أربابها والنصيحة من أصحابها والقيادة من القائد والريادة من الرائد يصبح فهو كالبهيمة التى لا تعقل والسائمة التى لا تعى . . إنَّنا فى دنيانا أمرنا أن نعتبرها ممراً لا قصراً . . فعلينا أن لا نعمر ممرنا ونترك قصرنا . . وما أسعد من تزوَّد الخير فى ممره لعمارة قصره .

••••••••••••••

ليس السعيد الذى دنياه تسعده . .
إنَّ السعيد الذى ينجو من النار

إسرائيل

وراء نسخ مزورة من القرآن الكريم..

ذكرت مجلة « تمبو » أن الحكومة الاندونيسية قلَّلت من أهمية أنباء بانَّ نسخاً مزورة من القرآن الكريم توزع فى البلاد بعد أن عبثت بها اسرائيل .

وقالت أنباء صحفية محلية إنَّ النسخ المزورة تضم حوالى ١٨٠ آية وإنَّه فى بعض الحالات جرى إبدالها بجمل تهدف إلى تضليل المسلمين . وقالت المجلة إنَّ تحقيقات الوزارة كشفت بدلا من ذلك ان عددا من المصاحف المطبوعة محليا تنقصها آيات مهمة .

إنَّ أندونيسيا ذات المائتى مليون نسمة وال ٩٠٪ من المسلمين من سكانها أصبحوا فريسة — مع الأسف — لكلّ مفسدّ ومقوّض لمعالم الدين فيها بالدعوة إلى الضلال ونشر النحل والملل الضالة والمضلَّة وليس كاليهود افساداً وفساداً وإنَّ علينا قبل أن يتفاقم الوضع وينتشر الإفساد فى أندونيسيا — للعقائد أن نتنبّه لهذا الدين وأن نضع نصب أعيننا أن هذا البلد حارس لدين الله عامل بكتاب الله متّبع لرسول الله وعلينا أن لا يؤتى كتاب الله ونحن المشرفون عليه أو المسؤولون عنه وأن لا يجرح دين الله من قبلنا بالسكوت على من أراد له تقويضاً وأن نكون القوة التى تطيح بأولئك وتقف دون خبثهم ودسائسهم وأن نسعى جاهدين بأن يكون حفظ كتاب الله من الدسِّ والتزوير على أيدينا لأنَّ الله تكفَّل بحفظه ونحن الامة المنصورة والامة الصادقة فلدينا المال والرجال والدعاة والمدارس والثقافة الاسلامية التى بها نمحو دياجير الضلال وعساكر المضلين ونزيل شبه الحاقدين وتزوير المزورين وتخليط المخلطين وإسفاف المسفين .

المعري : الأديب والفيلسوف واللغوي

المعرى — أحمد بن عبد الله بن سليمان المعرى

أحد أفذاذ العرب المسلمين فى الأدب والمعرفة والقبادة والأصالة . . وكان آية فى اللغة ومفرداتها . . وفى الفلسفة الأدبية . . والمعارف والفكر والعمق فى ذلك . فعلى الاديب أن يجعل من كتبه (سقط الزند) و (اللزوميات) ورسائله وغيرها من مؤلفاته زاداً فكرياً وسيرى فيها علما وأدبا . . (إذا جعل بعض جنوحه وشيئا من شطحاته جانباً) فسيرى علما جما يصحح لسانه ويروى ذهنه لسانك به واملأ به فكرك لتعلم من هو (أبو العلاء المعرى) بين (أساطين العربية . . وبين فرسان القريض . . وبين علماء الدين . . إنه رهين المحبسين . . الكفيف الذى بذ المبصرين . .

ويعطيه محصولا أدبيا وثروة لغوية لاحدَّ لهما وإننى أريد أيها القارىء أن تقرأ كتابا للدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء الكتاب : مع أبى العلاء المعرى فى رحلة حياته . إنه كتاب عظيم يعطيك معلومات عن هذا العبقرى العربى الأصيل الذى تتشرف العروبة ويتشرف به الأدب كعملاق من عمالقته ، إنه كتاب يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة فمتع ذهنك . . وقوّم



مختارات مباركات

طرفة لطيفة

تنبأ رجل فى أيام المعتصم فاقتيد الى مجلسه

فسأله : ما هى معجزتك ؟

ـــ سل ما شئت

ـــ أخرج لنا من الأرض بطيخة

ـــ أمهلنى ثلاثة أيام

ـــ بل أريدها فى هذه الساعة

ـــ يا أمير المؤمنين أنصفنى ؛ أنت تعلم أن الله ينبتها فى ثلاثة أشهر ، أفتستكثر على ثلاثة أيام ؟

فضحك المعتصم وأمر بإخلاء سبيله ...

□ المرء باصغريه : رأى سقراط مرة رجلا وسيما بدينا شديد القوى .. فقال له يا هذا : كلمنى حتى أراك .

□ أيام الانسان خمسة :

يوم مفقود

يوم مشهود (اليوم)

يوم مولود (غدا)

يوم محدود (الممات)

يوم موعود (القيامة)

□ أول من رثى : هو يزيد بن حذاق العبدى وتعتبر أشعاره الأولى فى ذم الدنيا حيث :

هل للفتى من ثياب الدهر من واق ..
أم هل له من حمام الموت من راق



قرأت في الموشّى لهذه القصة :

قال المؤلف : خُبّرتُ أنَّ عبد الملك بن مروان وَجَد على بعض عماله فقيده وحبسه فى داره .. فأشرفت عليه إبنة لعبد الملك فنظر إليها فأنشأت تقول :

أيها الرامى بالطر ف وفى الطرف الحُتُوف
إن تُرِدْ وَصْلاً فقد أمـ كنك الظبى الألوف

فأجابها الفتى .. فقال :

إن ترينى رانى العَيْـ ـين فالفرج عفيف
ليس إلّا النظر الفا تنُ والشعر الظريف

فأجابته الجارية :

قد أردناك على أنْ نعتنق ظبياً ألوفا
فتأبيت فلا زِلْـ ـتَ لقيديك حليفا

فذاع الشعر ، وبلغ عبد الملك ، فدعا به ، فزوجه إياها ودفعها إليه .

آفاق في العدد القادم

الغلاف :

ويمثل وحدة مواد العدد عموماً ..
والموضوع يقرأ من عنوانه .

الافتتاحية :

لمعالي الاستاذ الكبير حسين عرب

اسلاميات

الإقتصاد الإسلامي بين النظرية والتطبيق

من قلم الدكتور ممدوح حقي

أدبيات

حوار أدبي ماتع .. مع د. عبد العزيز شرف

رجل من الشرق .. ورجل من الغرب .

العلاقة بين الدين والادب .. بحث طليعي للدكتور محمد علوان

علوم

نموذج لتفوق الفكر العربي في الطب والصيدلة

بقلم الاستاذ الأجفل : عبد العزيز بن عبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية

السرطان والبحر .. والمراكب الفضائية منذ ألف عام

بحوث علمية عصرية
دسمة

المستشار .. المختار :

أنت يافهد للسناء سناء

للشاعر العالم الاستاذ عبد الكريم التواتي
من علماء جامعة القرويين بفاس

تاريخيات

مادة التاريخ .. بحث جاد رصين من قلم الاستاذ الرائد محمد بن احمد العقيلي

صفحات من التاريخ المحيط بنا .. "الفكر القرمطي"

بقلم الأديب الاستاذ / عبد الله أحمد الشباط

هن

هموم المرأة العربية في أدبها

بحث أدبي أكاديمي بقلم : أمجاد محمود رضا

على طريق المجمع اللغوي السعودي

رأى النصف الآخر

عطاء الحياة .. وطفل الانابيب

مشاركة قصصية لموضوعات الساعة .

الى جانب :

المنهل مع الاحداث

متابعات ثقافية

التي تطالعك بكل جديد مشوق معبر

فالى ذلك العدد .. وعدد الفن الذي يليه

الثوابت والبدائل

العالم العربى اليوم يجتاز أزمة روحية من أخطر الأزمات وأكبرها أثراً على مستقبله بل على حاضره .

فالشعارات التى أطلقتها أوربا فى بلادنا منذ عصر الاستعمار حتى الأمس باسم الحرية حيناً وباسم المدنية والتطور والتجديد حيناً آخر وبأسماء أخرى كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان أرادت بها أوربا أن تخدعنا عن ماضينا وتراثنا وجوهرنا الأصيل وعن ماضينا الكبير الخالد وأن تصرفنا عن إسلامنا وديننا العظيم-وقد أدت بنا ـ هذه الشعارات كلها وما نجم عنها . . مع انصرافنا إليها واعتناقنا لها ـ إلى كل ما نراه اليوم فى عالمنا العربى كما نسميه أو قل فى منطقة «الشرق الأوسط» ـ كما تسميه أوربا ـ من خواء روحى شديد وفراغ فكرى عجيب غريب .

● لقد أراد ساسة عصر الاستعمار الأوربى . . أن تبعد طويلا عن مسيرتنا الاولى وخطنا الإسلامى الأول وعن كل خصائصنا ومقوماتنا التى عرفناها بالإسلام وألفناها فى رحابه وانطوت عليها حياتنا وجوانحنا وأفئدتنا فى ظلاله ومع كل انصرافة عن الطريق نفقد أصالتنا وقوتنا الذاتية .

● ولقد أسفت أسفاً كبيراً وأنا أقرأ بياناً صادراً عن مدير الامتحانات بوزارة معارف بعض الدول العربية خلاصته أن مادة الدين لن تضاف درجاتها إلى قائمة النجاح أو الرسوب فى شهادات الطلاب ولماذا لا يكون الدين مادة أساسية ورسمية فى جميع سنوات الدراسة فى العالم العربى والإسلامى اليوم؟ أليس دراسة الطالب للدين والاعتداد بمادة الدين فى النجاح والرسوب مما يعزز فهم الطالب الشاب لدينه ولمبادئه فى نفسه ومما يجعله على صلة دائمة بدينه فى مختلف أطوار حياته؟ .

● إن المعركة اليوم بيننا وبين الصهيونية لا ينقصها إلّا شىء واحد هو قوة الدين فى نفوسنا هو قوة الإسلام فى قلوبنا هو عملنا الكامل الجاد فى الالتزام بالدين ومبادئه وروحه التزاماً تاماً فعالاً له أثره وخطره فى حياتنا .

● أما مواقف الضعف والتردد حيال الإسلام مما يتراءى أمامنا اليوم فى العالم العربى فهى مواقف لا تقودنا إلّا إلى شىء واحد هو الهزيمة والذلة والهوان مهما بلغت أسلحتنا من القوة والاكتمال .

إن السلاح الوحيد الذى لا ننتصر إلّا به هو سلاح الإيمان سلاح العقيدة سلاح الاسلام الذى جربناه فى الماضى فى حروبنا مع الأمبراطوريتين الفارسية والرومانية وفى حروبنا مع الصليبيين والتتار وفى حروبنا مع الاستعمار وفى كل موقف انتصرنا به .

الأستاذ الدكتور «محمد عبد المنعم خفاجى» خص ـ منهله ـ بهذه البحوث الثبتة المنطلقة المغردة لِتُسَلْسَلَ تحت عنوانها الثابت الأخاذ «نحو غدٍ أفضل» يناجى بها الحرف ويعالج بها المستقبل.. يدنيه من ماضيه ويستهلمه فى حواضره ويرسله صيحة حَرًّا.. ورشاداً وتبصرةً وعظة ويقينا للأجيال فى كل زمان ومكان.

«المنهل»



بقلم: د. محمد عبد المنعم خفاجى

● وإذا ما عدنا للحرب واردناها فلنكن على ثقة تامة من أننا إذا فقدنا سلاح الإيمان فقد فقدنا كل شىء وضاع من أيدينا النصر الذى نتمناه وسقطنا فى هوة الخزى والعار والذلة والهزيمة. وإذا ما سرنا إلى المعركة ونحن قد صبغنا حياتنا وبلادنا ونفوسنا بصبغة الإسلام الكاملة فقد ملكنا كل أسباب النصر.

● إن كل حرب للإسلام فى عالمنا الإسلامى وكل انصراف منا عنه هو مقدمة لهزيمة جديدة.. وكل حركة وحياة مع الإسلام وبالإسلام هى مقدمة لنصر جديد وفتح جديد.

● وإذا كنا مع الله كان الله معنا وعلينا أن نثق أبداً ودائما بقول الله عز وجل وهو مدار الحكمة الخالدة والحقيقة الأزلية: ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾.

● ولقد كان منظر الرجل القادم إلى زيارتى فى عام ١٩٤٨م أثناء حرب فلسطين ـ من قرية قاصية من قرى مصر، منظراً عجيباً لازلت أذكره، رجل حطمته السنون سعى إلىَّ وهو يحمل على ظهره أوزارها وقال لى وهو يبكى: إن ابنى الوحيد الذى يعولنى ويعول أمه قد تطوع مع المتطوعين للحرب؟. فطمأنته وقلت له: وماذا وراء ذلك إلا النصر أو الشهادة فى سبيل الله؟ فرد علىَّ يقول: إننا لا نملك قوت يومنا وهو الذى يسعى على معاشنا.. وقلت له: وماذا تريد؟ قال: أريد ابنى لتستمر حياتنا ومعاشنا.. وقلت له وأين هو؟ قال لى: فى مخيم للمتطوعين سوف يسافر فجر الغد إلى أرض فلسطين.

قلت له: هيا بنا وسرنا فى الطريق أنا وهو وفى الطريق قلت للرجل الكهل ألم تذهب إلى ابنك وتخبره بحالكم لعله يقدر الأمر تقديراً على أساس واقع حياتكم؟.

● ثوابتنا العقيدة الراسخة واليقين بنصر الله لمن ينصر دينه .. وعدم التردد حيال إسلامنا في كل مناحي الحياة .
● الإسلام يعلم المسلم الرحمة والحب والتسامح والإنسانية .. وقد شهد بذلك بعض المستشرقين .

قال : قد فعلت ولكنــه أبى الاستماع إليّ . . ووقفنا أمام المسؤول الأول حيث شرحت له حالة الرجل .

فقــال : إنى لا أملك من الأمر شيئاً . . القرار الأخير كله بيد المتطوع ابن هذا الكهل . وإن شئتم فقابلوه واقنعوه فإما أن يسافر مع المتطوعين وإما أن يخرج مع والده إلى قريته .

وذهبنا إلى الابن المجاهد البطل وشرحنا له حال الأب وطلبنا منه العدول عن السفر فاشرق وجهه بنور الأمل والإيمان وقال فى نشوة عجيبة .

● أبى معه الله .

● ولماذا أحرم من لذة الشهادة فى سبيل الله .

● هذا الطراز من المجاهدين المؤمنين هو الذى نريده لمعركتنا اليوم مع الصهيونية الماكرة الخبيثة التى تحاربنا بكل سلاح وتقف ضدنا فى كل معترك .

● لقد تعجب السير توماس ارنولد فى كتابه «انتشار الإسلام» لرعاية المسلمين للكنيسة المسيحية التى قويت وتقدمت فى ظلال ملوك المسلمين وحكمهم . حيث تمتعت جميع المذاهب المسيحية بالرعاية والتسامح من الحكام المسلمين على حد سواء بل كان هؤلاء الحكام يحولون دون اضطهاد بعض المسيحيين لبعض ويكفلون الحرية الدينية للجميع . . حتى ان المعتصم بن الرشيد فى خلافته ولى اخوين مسيحيين منصب الوزارة ومنها بيت مال المسلمين وهما إبراهيم وسليمان . . ولما مرض ابراهيم عاده الخليفة فى بيته . . فلما مات حزن عليه وأمر بجثته فجيء بها إلى القصر ، وجرت المراسم المعتادة فى قصر الخلافة الذى شيعت منه الجنازة .

● ويقول : لقد كان التعب وافداً دائماً لبلاد الشرق من اوربا ولم يكن الأمر بالعكس فى يوم من الأيام لأن الإسلام عَلّم المسلم الرحمة والتسامح والحب والإنسانية .

ويـذكـر توماس : فرح النصارى فى الشرق بالتحرر من حكم الصليبيين كما فرحوا بالأمس بالتحرر على يد المسلمين من حكم الرومان .

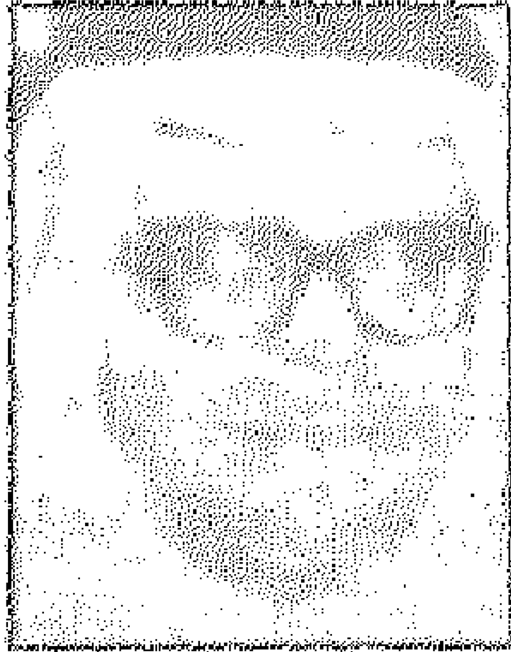
وقد بلغتنا رسالة للبطريق بوساب الثالث اليعقوبى بعث بها من خراسان فى العصر الاموى إلى زميل له وجاء فيها «أما العرب الذين آتاهم الله ملك الدنيا فلم يطعنوا فى ديننا ، ولا اعتدوا على "بِيَعِنَا" بل بالعكس وقفوا يناضلون مع ديننا يفضلونه على غيره ، واكرموا رهباننا وقساوستنا واحترموا اولياءنا واحسنوا الهبات إلى معابدنا» . . ولم يُؤثر فى أيام الفتح العربى أن قام العرب الفاتحون بأية محاولة لاكراه غيرهم فى الدخول فى الإسلام أو لاضطهادهم وظلمهم حتى يغيروا عقيدتهم .

● ويروى بعض المستشرقين الاوربيين أن الكثير من المسيحيين بعد سقوط غرناطة حزنوا حزناً شديداً وهاجروا فى جموع الفارين المسلمين من السيف والنار ودخلوا فى الإسلام .

● وهذه أكاديمية العلوم الجنائية فى روما تنوه بالحكم الفقهى الإسلامى الذى ينص على أنه إذا قتل قتيل ولم يعرف قاتله حكم بديته على بيت المال أو على أهل المحلة أو المنطقة التى وجدت فيها جثته بعد أن يستحلف خمسون من اهل الحى الذى وجد فيه القتيل بأنه ما قتله ولا يعرف له قاتلا .

●● إن ديننا هو سر قوتنا ومنعتنا وسر انتصاراتنا ، والبعد عنه هو سبب كل هزيمة نُمْنَى بها ، وسبب كل نكبة تحيق بأمتنا . هدانا الله إلى سواء السبيل .

موسى والتوحيد في رأى فرويد



بقلم الاستاذ الاحفل : أحمد عبد الغفور عطار

مقدمة

في هذه الحلقة، ينقلنا كاتبنا الاحفل لمظان وترهات وتقولات «فرويد» التى يخدع بها قوما.. ويفرد لاخناتون توحيداً مستقلا.. ويحاول ان يثبت تشريعا محرفاً.

.. وكاتبنا ونحن عامة المسلمين معه ندحض ذلك ونرد عليه ونذوبه ونمحوه في هذه الدراسة والتحليل المتسلسل الأخاذ الثبت.

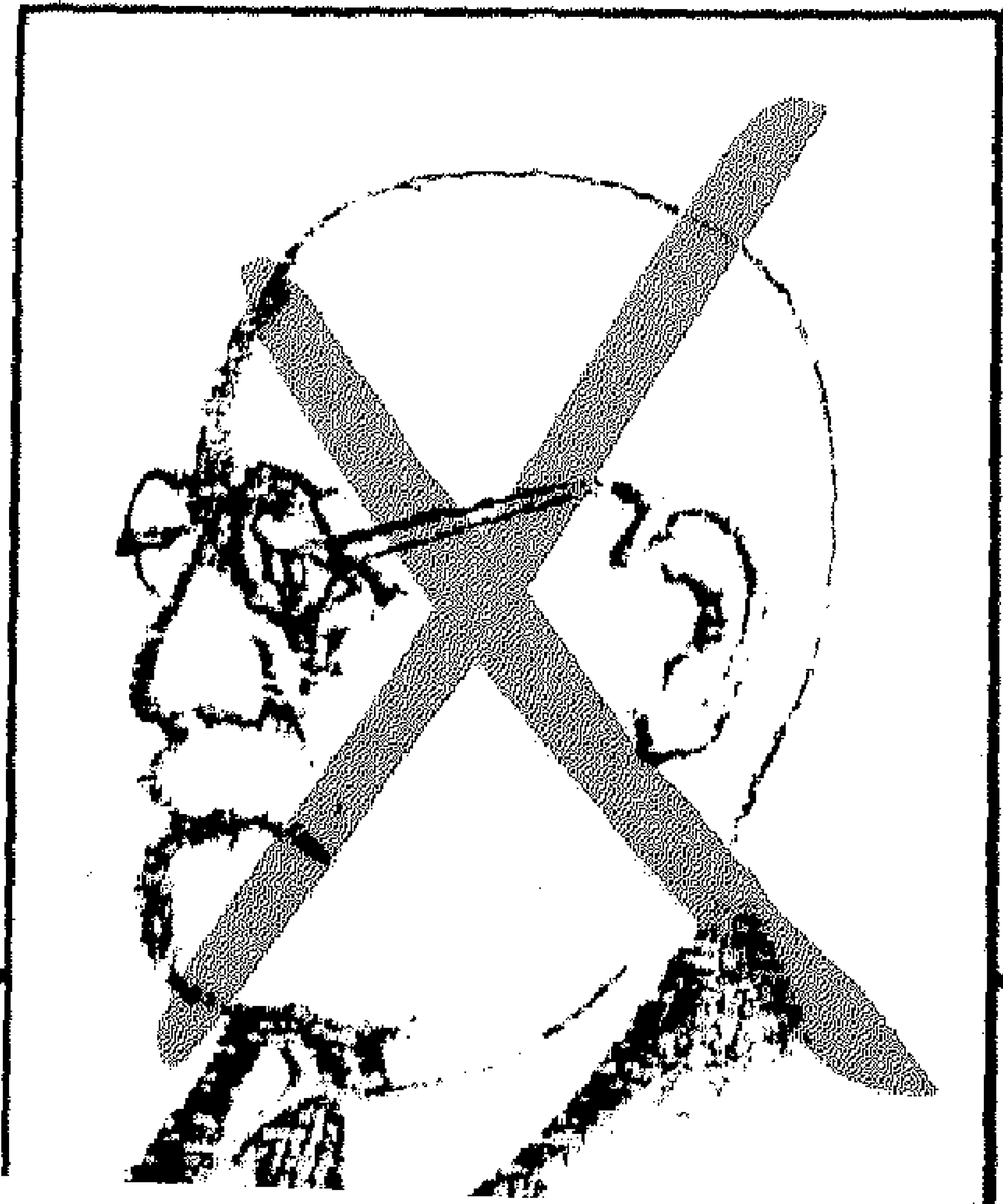
«المنهل»

موسى وديانته في رأي فرويد

يقول فرويد في القسم الأول تحت عنوان «المقدمات التاريخية» صفحة ١٢٧ ـ ١٣٠ :

إن الخلفية التاريخية للأحداث التى أثارت اهتمامنا هي كالتالى :

سارت مصر من خلال فتوحات الأسرة الثامنة عشرة امبراطورية عالمية، وانعكست الامبريالية الجديدة في تطور بعض الأفكار، إن لم يكن في أفكار



الشعب كله فعلى الأقل في أفكار الطبقة العليا الحاكمة والفعالة ثقافياً، وتحت تأثير كهنة إله الشمس في أتون «هليوبوليس» والذى ربما قوّته أفكار مصدرها آسيا قامت هناك فكرة إله عالمي: أتون ـ لم يعد مقصوراً على شعب واحد وبلد واحد ـ واعتلى الفرعون الشاب أمينحوتب الرابع العرش (الذى غير اسمه فيما بعد إلى أخناتون) ولم يول شيئا عناية أكبر من عنايته بتطوير فكرة هذا الإله ورفع ديانة آتون.. فأصبحت الديانة الرسمية، وبذلك صار الإله العالمي هو الإله الواحد ووصف كل ما كان يقال عن الآلهة الأخرى بأنه غش وخداع، وقاوم بصلابة هائلة كل مغريات الفكر السحري، ونبذ الإله الأثير بصفة خاصة للمصريين. نبذ هذا الوهم والفكر الذى يقول بحياة بعد الموت.

«وكشف بتنبؤ رائع للمعرفة العالمية اللاحقة في طاقة الإشعاع الشمسى مصدرا لكل حياة على الأرض. وعبد الشمس كرمز لقوة إلهه، وتمجد بفرحته في الخلق وفي حياته في اطاعت (الحقيقة والعدل)».

« إنها الحالة الأولى في تاريخ البشرية، وربما كانت الأنقى لديانة توحيدية، وإن المعرفة المتعمقة للظروف التاريخية والسيكولوجية لنشأتها لَمَعْرِفة لها قيمتها التى لا تقدر.

«ولقد اتُّخِذَت الاحتياطات ألا تصلنا معلومات كثيرة عن ديانة أتون، وكان كل شيء قد دُمِّر في حكم خلفاء أخناتون الضعاف، وصب الكهنة الذين اضطهدهم غضبهم عليه في الآثار التي تذكّر به، وقضى على ديانة أتون، وأزيلت عاصمة الفرعون الكافر، ونهبت، وانتهى أمر الأسرة الثامنة عشرة سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد، وبعد فترة سادتها الفوضى أعاد القائد حور محب النظام، وحكم حتى سنة ١٣١٥ قبل الميلاد.»

«وبدت أصلاحات أخناتون كما لو كانت حادثا مصيره إلى النسيان.»

هذا هو ما تقرر تاريخيا، وعند هذه النقطة يبدأ العمل في الرأى الذى نراه، وربما كان هناك رجل بين خلصاء أخناتون يدعى توتمس thathmes كما كان يدعى الكثيرون في ذلك الوقت، ولا يهم الاسم ولكن الجزء الثانى من اسمه لابد كان «موسى mose » وكان يشغل منصبا كبيرا، وكان من المؤمنين المقتنعين بديانة أتون، ولكنه كان على نقيض الملك المتأمل. كان ذا قوة وعاطفة متدفقة، وكان موت أخناتون والقضاء على ديانته يعنى بالنسبة لهذا الرجل نهاية كل آماله، ولم يكن يستطيع أن يبقى في مصر إلا منفيا أو أن يرجع عن دينه وينكره.

«وإذْ كان حاكما لإقليم من أقاليم الحدود فمن المرجح أنه اتصل بقبيلة ساميّة معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال، وتحول في يأسه وفي وحدته إلى أولئك الأغراب (كذا والصواب غرباء) وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده، واختارهم ليكونوا شعبه، وحاول أن يحقق من خلالهم مُثُله.

■ وبعد أن غادر مصر معهم يصحبه أتباعه الملاصقون باركهم بختانهم، ومنحهم الشرائع، وبشرهم بديانة أتون التى كان قد نبذها المصريون توا، وربما كانت الشرائع التي أخذ بها يهوده كانت أقسى من الشرائع التى اسنّها سيده ومعلمه أخناتون، وربما كان قد ألغى كذلك الارتباط بإله الشمس في الوقت الذى كانت ديانة أخناتون ما تزال من المؤمنين به.

«ويجب أن نحدد زمن الخروج من مصر لأنه جرى خلال الفترة التى وقعت بين حكم أخناتون وحكم من ولي العرش بعد سنة ١٣٥٠ قبل الميلاد، وتختمص بصفة خاصة الفترات الزمنية التالية حتى امتلاك أرض كنعان، ومن الظلام الذى تركه نص

● لقد أراد أحبار اليهود في الروايات التي قدموها أن ينشئوا جسرا يصل بين عصورهم والعصر الذي وجد فيه موسى عليه السلام.

● إن فرويد وأمثاله لا يتهمون بعدم الاطلاع على أعظم مصادر الإسلام، وهو القرآن الكريم - مترجم المعنى - إلى لغتهم. وسواء اطلعوا أم لم يطلعوا فقد قرروا ما في كتبهم المقدسة من التغيير والتبديل.

● ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

التوراة هنا- أو الذي خلقه بالأحرى- بوسع البحث التاريخي لعصرنا أن يميز واقعتين:

الأولى: - اكتشفها إرنست سيللين ومؤداها أن اليهود الذين وصفتهم التوراة نفسها بأنهم كانوا عنيدين لا يطيعون مشرعهم وزعيمهم فتمردوا عليه آخر الأمر وقتلوه، وطرحوا عنهم ديانة أتون التي فرضها عليهم كما فعل المصريون من قبلهم.

والواقعة الثانية: - دلل عليها ادوارد ميير ومؤداها أن هؤلاء اليهود عند رجوعهم من مصر اتحدوا بقبائل كانت لهم بها تقريبا صلات نسب في المنطقة الواقعة على حدود فلسطين وشبه جزيرة سيناء وشبه الجزيرة العربية، وأنهم هناك في بقعة خصبة اسمها قادش، وتحت تأثير قبائل مديان العربية اعتنقوا ديانة جديدة هي عبادة إله البراكين (يَهوَه).

وبعد ذلك مباشرة كانوا مستعدين أن يفتحوا أرض كنعان.

● ويردد فرويد في ثنايا مؤلَّفه توحيد أخناتون وأحيانا توحيد موسى ليركز في ذهن القارىء فكرة التوحيد الأخناتوني بخاصة، وها هي ذي بعض ما قال: «ولقد عجبت مرة أخرى الفكرة التوحيدية التي توهجت في عصر أخناتون، وكان عليها أن تبقى في الظلام لمدة طويلة بعد ذلك»(١).

و«تشابه الإله اليهودي في صورته المحدثة مع إله موسى القديم في ثلاث نقاط هامة، النقطة الأولى والحاسمة هي الإقرار به إلها واحدا، لا إله إلا هو والوحدانية التي قال بها أخناتون آمن بها كل الشعب إيمانا صادقا، والواقع أن هذا الشعب التصق بهذه الوحدانية لدرجة أنها صارت المحتوى الأساسي لحياتهم الثقافية»(٢).

و«إن السجلات والتاريخ اليهودي نفسه تبين لنا الطريق بأن تقرر تقريرا جازما - دون التعارض مع بعضها البعض هذه المرة - بأن موسى هو الذي أعطى الشعب فكرة الإله الواحد، فإذا كان هناك ما يعترض به على صحة هذا التقرير فهو أن الأحبار عندما أعادوا كتابة نص التوراة إلى الصورة التي نعرفها بها الآن قد نسبوا الكثير جدا الى موسى. وقيل عن التشريعات وأحكام الطقوس التي تخص بلا شك العصور اللاحقة: أنها قوانين موسوية، والهدف من ذلك واضح وهو الإعلاء من سلطتها.

● ولا ريب أن هذا سبب يثير الشك، ولكنه شك لا يرقى إلى درجة أن نلجأ إليه لاستخدامه، لأن الدافع الأعمق لمثل هذه المبالغة واضح كضوء النهار، وأراد الأحبار في الروايات التي قدموها أن ينشئوا جسرا يصل بين عصورهم التي عاشوا فيها وبين العصر الذي وجد فيه موسى، وحاولوا أن ينكروا بها

بدأنا نسلم أنه أبرز سمات التاريخ الديني اليهودي، ألا وهو شقة بين تنزيل الشريعة الموسوية وبين الديانة اليهودية اللاحقة ـ شقة ملئت في أول الأمر باللجوء إلى عبادة يهوه ـ ولم يَسْعَ أحد لتغطيتها إلا فيما بعد وببطء، وننكر الروايات التي قدموها في هذا التسلسل للأحداث بكل ما نملك من قوة، مع أن صلتها التاريخية شيء لا يرقى إليه أى شك طالما أن نص التوراة [برغم التغييرات التي اعتورته على مر الزمن] ستبقى أكثر مما يكفي من البراهين التي تدلل لمن عليها»(٣).

● أكثرنا من شواهد مقولات فرويد ليكون القارىء على علم بالتوحيد الذي تصوره لنبدي رأينا فيه بعد أن نقف عند مقولة: «أن الأحبار عندما أعادوا كتابة نص التوراة التي نعرفها بها الآن» وتقريره «أن نص التوراة برغم التغييرات التي اعتورته على مر الزمن، ستبقى أكثر مما يكفي من البراهين التي تدلل عليها»(٤).

● والمتَصَفِّح لكتاب فرويد في «موسى والتوحيد» يدهش من تعسفه في ايحائه لقارىء كتابه هذا بعد أن يدفعه في مَتَيهات التخمين والشكوك كأنما يحتال عليه ليصدق ما يقرره له من آرائه التي تنتهي لخدمة قومه اليهود وديانتهم التي يقرر أنها ديانة توحيد، ويدور كثيرا حول التوحيد أشواطا كثيرة.

● ومع أن فرويد نفسه ملحد فإنه يريد ضرب التوحيد والوحدانية بمعوله الذي يحسن به الظن ويخال ان بوسع معوله هدمها بعد أن يعرضها عرضا يتفق مع عرضه، إذ يرى القارئ التوحيد والوحدانية ليس غير الكفر، وبذلك يستويان مع الإلحاد الذي يعتقده، ذلك الإلحاد الذي يُعرِّفه الشيوعيون في معجماتهم أنه نفي وجود الله على أسس علمية»(٥).. وزجوا بجملة «أسس علمية» في التعريف ليوحوا للقارىء أن الله غير موجود.. وتمَّ النفي على الأساس العلمي ادعاءا وزورا، مع العلم الصحيح بكل ضروبه يثبت وجود الله خالق هذا الكون الكبير العجيب العظيم.

● وتوحيد أخناتون الذي مجَّده فرويد تمجيدا حتى جعل موسى تابعا لأخناتون الذي وصفه فرويد بأنه سيد موسى ومعلمه، وهذا كذب

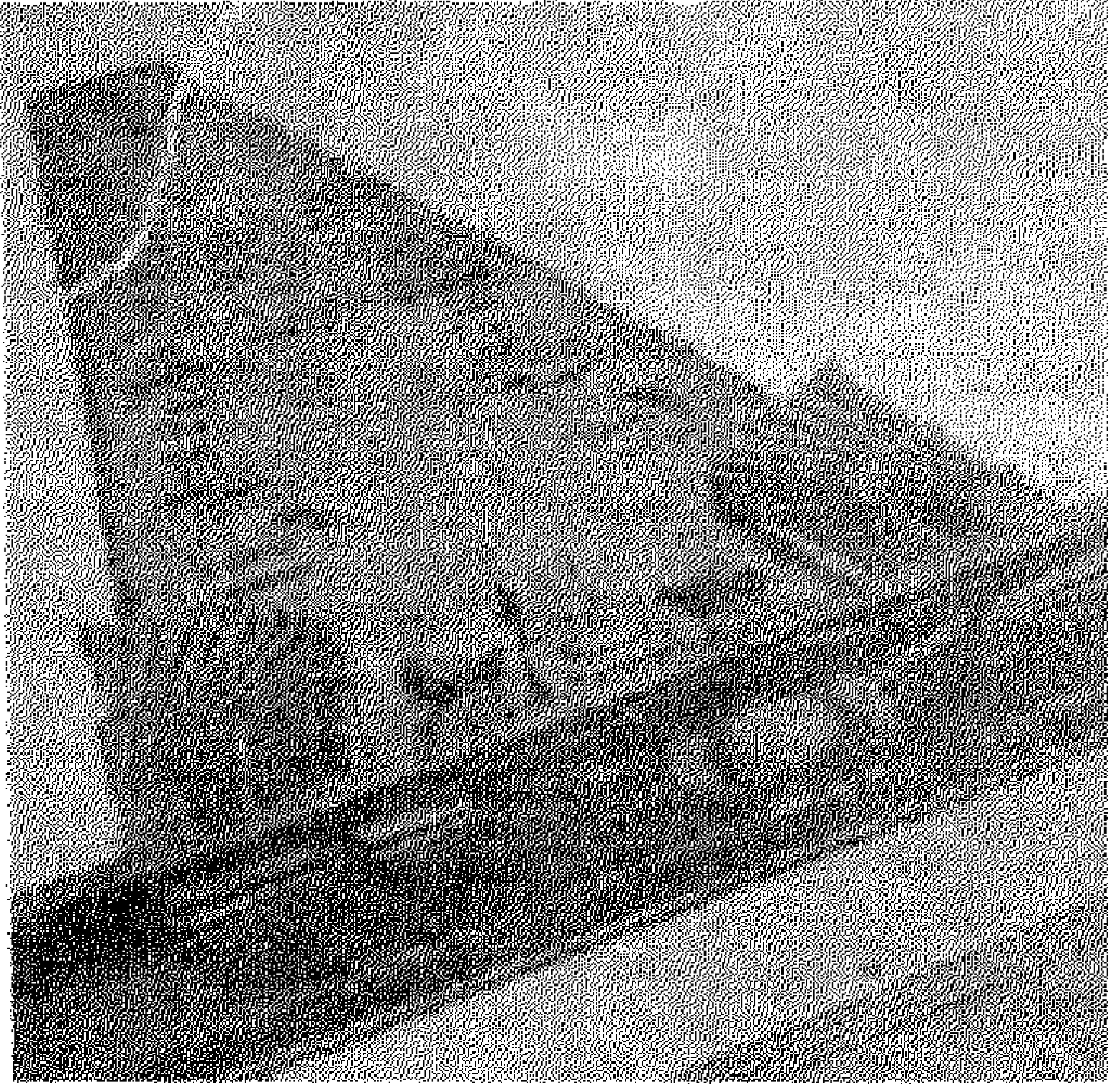
محض، فما كان موسى ولا يجوز أن يكــون لأحـد تابعـا وتلميـذا ومسـودا لأى أحد فى الأرض وبخاصة لفرعون سافل خبيث.

● وإن فرويــد وغــيره من أعـلام اليهـود والنصــارى المعاصرين عندمارأوا وأعلنوا ما تعـرضت له التـوراة من إعـادة كتابتها بعد موسى بقـرون، وما اعتور نصها من تغيير وتبـديـل يحسبون أنهم قد جاءوا بجديد من الرأى ابتداء فابتهجوا بهذا الابتكار.

● وإذا صح أنهم لم يطلعوا على القرآن أو ترجمـة معـانيـه فإن حداثـة ما رأوا وجـدَّته تحسبـان لهم من مزايـاهم.. ولكن فرويـد وأمثاله لا يتهمون بعدم الاطلاع على أعظم مصدر للإسلام وهو القرآن الكريم مترجم المعنى إلى لغاتهم، وسواء اطلعوا أم لم يطلعوا فقد قرروا ما فى كتبهم المقدسة من التغيير والتبديل.

● والعجب من بعض الكتــاب المسلمـين هُتـافهُم بأسماء أولئك الأعلام ظنا منهم أن تلك الآراء جديدة ولم يُسْبَقوا إليها، مع أن القـرآن الكـريم الذى أنزله الله على رسوله الأمين الصادق المصدوق محمد عليه صلوات الله وسلامه قد سبق كل الباحثين منذ أربعة عشـر قرنا، وبيَّن بوضوح ما اعتور التوراة والإنجيل من تغيير وتبديل فى مواضع معدودة نقتصر منها على مواضع معدودات هن:

﴿أفتطمعونَ أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ★ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحـاجُّـوكم به عنـد ربكم أفـلا تعقلون ★ أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ★ ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيَّ وإن هم إلا يظنون ★ فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾ البقرة: ٧٥-٧٩.



● كان رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم قد دعا اليهود إلى الإسلام كما دعا كل أصحـاب الـديـانـات والملل والنحل وفيهم اليهود والنصارى لأنهم أهل كتاب سماوي، ورجا هو وأصحابه «دعوة اليهود» طمعا منهم أن يدخلوا فى دين الله، وكان منهم من يتظاهر بالإسلام، ومنهم من يحرفون التوراة ويختلقون مفترين على الله الكذب وهم يعلمون أنهم يكذبون، وأن الحق مع محمد وأصحابه. وقد افتروا على الله فاختلقوا عليه سبحانه وتعالى وقوَّلوه ما لم يقل وكتبوا بأيديهم الكذب ونسبوه إلى الله عز وجل طمعا فى مال حرام يكسبونه ببيع ما كتبوا ناسبين إياه إلى الله جل جلاله، ويحصلون بما يبيعون على كسب هو سحت محض.

● إن اليهود غيروا فى كتابهم المقدس وبدلوا بالحذف والاضافة حسب هواهم وأحلوا الحرام وحرموا الحلال.

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مُسْمَع وراعنا لَيًّا بألسنتهم وطعنا فى الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظُرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ ـ النساء: ٤٦ ـ.

و﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرِّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذُكروا به ولا تزال تَطَّلِعُ على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعفُ عنهم واصفحْ إن الله يحب المحسنين﴾ (المائدة: ١٣). و﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يُبينُ لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ (المائدة: ١٤). و﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ (التوبة: ٣١). و﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويَصُدُّون عن سبيل الله﴾ (التوبة: ٣٤).

■ فى هذه الآيات وصف صادق لليهود الذي لا يستطيعون تكذيبه، بل يؤيدون ما وصفهم به القرآن فى بعض ما وصف، فهم قساة القلوب كما ذكر القرآن، وغلاظ الرقاب كما ذكرت التوراة، ونحن استشهدنا بهؤلاء الآيات لنؤكد أن اليهود غيروا فى كتابهم المقدس وبدلوا بالحذف والإضافة حسب هواهم، وأحلوا الحرام وحرَّموا الحلال، فأنزل الله القرآن بديلا من التوراة المحرفة والإنجيل الذى اختفى فى أيام عيسى بعد اختفائه عليه السلام.. ولهذا صرف الإسلام والمسلمون نظرهم عن التوراة والإنجيل.

● وفى عصر النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أجمعت كلمة الإسلام على نزع الثقة عن كل الكتب المقدسة التى أنزلها الله، لأنها حرفت عن أصلها الصحيح، ولم تعد كتبا سماوية.. حتى أن كتب الحديث الشريف تذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جاء إلى النبى ﴿ﷺ﴾ بوريقة من التوراة أعطاه إياها يهودي، فتغير وجه الرسول عليه افضل الصلاة وأزكى السلام وقال كلمة شديدة قوية: «**أمُتَهَوِّكون أنتم كما تهوَّكت اليهود والنصارى، والله، لو كان موسى بن عمران حيا لما وسعه إلا اتباعى**» فإذا المسلمون من وقت تلقى عمر بن الخطاب كلمة سيد الخلق وأشرف المرسلين.. وتعاقب الأيام وهم لا يتهوَّكون بتَّة ـ والتهوك: التحير ـ بل صرفوا النظر عن كل ما عدا القرآن من الكتب المنزلة.

● ولقد جاءت البحوث والدراسات العصرية الحديثة مصدقة لما قال الله فى محكم كتابه (القرآن) وكما قال رسوله الكريم فى حديثه الحق.. وها هوذا فرويد من أكبر مفكرى اليهود المعدودين على الأصابع يقرر فى غير موضع من كتابه «موسى والتوحيد» معترفا بصراحة أن الأحبار أعادوا كتابة التوراة بعد موت موسى بقرون، واعترف بتحريفها.

■■ ويظهر من أقوال فرويد ضعف إدراكه للوحدانية الصحيحة المنزهة تنزيها مطلقا عن كل ما يجرحها أو يخزها.. ولو كان الوخز يسيرا أو من بعيد.

لقد كان همُّ فرويد فى مؤلفه أن يثبت تبعية موسى لاخناتون فوصف أخناتون بأنه سيد موسى ومعلمه.

فهو يذكر أول ما يذكر فى تمجيد أخناتون أنه «**نبذ هذا الوهم والفكر الذى يقول بحياة بعد الموت**» وهذا النبذ ينقضُ التوحيد نقضا، لأن من أركان التوحيد فى كل ديانات السماء الإيمان بالحياة بعد الموت، فديانة آدم فنوح فإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وداود وسليمان وموسى وعيسى ومن عرفنا من الرسل ومن لم نعرف ديانة توحيدية تقرر أن لهذه الدنيا آخرة يوفى الله كل امرىء حسابه، ثم يمضى إلى مقره الأخير إما الجنة وإما النار.

ويختلف الإيمان بالآخرة التى هي حياة بعد الموت بحسب العقيدة نفسها، ففى ديانات السماء جميعها من لدن أبى البشر آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم كل الأنبياء والمرسلين أن القيامة حق، وهي آتية لا محالة بدون أدنى شك، ولكن علمها عند الله وحده، وأن الخلق مجموعون بعد بعثهم من قبل الله سبحانه وتعالى للحساب.. فمن عمل مثقال ذرة من خير فى دنياه يره ويثاب عليه من الله برضوانه وجنته.. ومن عمل مثقال ذرة من شر فى دنياه يره فى آخرته ويعاقب عليه من رب العباد بسخطه وناره.

أما البعث الذى يذكر فى بعض ديانات الوثنية فهو بعث وحساب يتفقان مع الوثنية وأساطيرها بقدر اختلافهما عن ديانات السماء، ولا يحسب ذلك الإيمان بالبعث والحساب إيمانا صحيحا، وإنما هو إيمان وثني لا ثقل له فى ميزان التوحيد الحق.

وإن تصور فرويد للتوحيد تصور وثني، وإلا لفطن إلى أن توحيد أخناتون ليس بتوحيد صحيح، ففرويد نفسه يقول فى تصوره لتوحيد أخناتون: «وكشف بتنبؤ رائع للمعرفة العالمية اللاحقة فى طاقة الإشعاع الشمسى مصدراً لكل حياة على الأرض، وعبد الشمس كرمز لقوة إلهه، وتَمَجَّدَ بفرحته فى الخلق وفى حياته فى اطاعت (الحقيقة والعدل)».

ويمكن أن ينطبق كلام فرويد على الهواء والماء كمصدرين لكل حياة على الأرض، وما داما كذلك فإنهما لحريان أن يعبدا كرمز للقوة والحياة ما دامت العبادة تُقَرر بمثل هذه الأمور التى ذكرها فرويد.

ويظهر أن فرويد خالى الذهن عن التوحيد الصحيح وعن ديانات التوحيد التى سبقت أخناتون.. وهي ديانة آدم أبى البشر وديانة نوح وديانة إبراهيم وديانة إسحاق وديانة إسماعيل وديانة يعقوب وديانة داود وديانة سليمان.. أو أنه تصور كل هذه الديانات ديانات غير توحيدية، بل لم يرها جديرة بالذكر فأغفلها إغفالا تاما واتجه إلى ديانة أخناتون يمجدها ويفردها بالذكر، كما يفرد أخناتون بالذكر الأجمل فيقول:

«واعتلى الفرعون الشاب أمينحوتب الرابع العرش (الذى غيرَّ اسمه فيما بعد إلى أخناتون) ولم يول شيئا عناية أكبر من عنايته بتطوير فكرة هذا الإله.. ورفع ديانة آتون فأصبحت الديانة الرسمية.. وبذلك صار الإله العالمي هو الإله الواحد.. ووصف كل ما كان يقال عن الآلهة الأخرى بأنه غش وخداع.. وقاوم بصلابة هائلة كل

مغريات الفكر السحري ونبذ الإله الأثير بصفة خاصة للمصريين ، نبذ هذا الوهم والفكر الذى يقول بحياة بعد الموت» .

إن فرويد ـ كما تدل مقولته هذه ـ لا يؤمن بالبعث، بل ينكره ويجعل الإيمان به وهما . . وإذا كان فرويد غير مؤمن بالبعث فهو غير مؤمن بكل ديانات السماء التى سبقت ديانة أخناتون . . وأغفل كل تلك الديانات إغفالا تاما حتى لكأنها لم تكن ذات يوم موجودة .

وفرويد لا يتهم بجهل ديانات السماء، بل هو يعرفها حق المعرفة، ولكنه يتجاهلها تجاهلا ويثبِّت الضوء على ديانة أخناتون ويصفها بقوله : (**إنها الحالة الأولى فى تاريخ البشرية، وربما كانت الأنقى لديانة توحيدية**) وهذا يوحى بأنه لا وجود لديانة توحيدية قبل أخناتون، بل يوحى كلامه بأنه لم يسبق ديانة أخناتون التوحيدية فى رأيه ديانة توحيد ألبتة . . بل يقرر بإصرار أن ديانة أخناتون التوحيدية هي الحالة الأولى فى تاريخ البشرية . . ولا يكتفى بهذا الادعاء الذى محا الماضى السابق كله لإخناتون، بل يضيف إليه دين الإسلام أعظم ديانات التوحيد طرا، وهو الدين الذى ظهر بعد أخناتون بقرون . . ولكيلا يذهب باحثون إلى ذكر الإسلام ووصفه بأنه دين توحيد نقي يقرر فرويد بأن ديانة أخناتون أنقى ديانة توحيدية .

ولا ريب عندنا أن فرويد يعرف حق المعرفة ديانات التوحيد الحق . . ويعرف أن الإسلام وحده أنقى ديانة توحيدية . . ويعرف حق المعرفة أن موسى عليه الصلاة والسلام بشَّر بدين توحيد حق، ولكنه لما كان ملحدا جعله تابعا لأخناتون ومبشرا بديانته

- فرويد ضعيف الإدراك للوحدانية الصحيحة المنزهة تنزيها مطلقاً عن ما يجرحها أو يخدشها .
- وهو لا يؤمن بالبعث .. بل ينكره ويجعل الإيمان به وهماً .
- فى تاريخ كل الديانات نرى القبائل والشعوب لا تستجيب لرسلها وما يعرضونه من ديانة جديدة .
- فما كان موسى والمعجزات يكون تابعاً وتلميذاً ومسوداً لأي أحد في الأرض وبخاصة لفرعون سافل خبيث .

التى مجدها أعظم تمجيد ، وأفردها بالذكر الحميد .

نعم، ان فرويد يعرف ما تجاهله من ديانات السماء السابقة لعهد أخناتون، كما يعرف الإسلام أيضا، ولكنه مثل أسلافه فى خلائقهم، ولقد صدق الله سبحانه وتعالى فى وصفه هؤلاء إذ قال فى محكم كتابه : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾ البقرة: ١٤٧ .

وفرويد من هذا الفريق فى كتمان الحق، فهو يعرف على الأقل توحيد الإسلام، ولكنه ملحد ومغالط مثل قومه اليهود فى كل زمان ومكان وإن من اليهود من هداه الله فى الماضى والحاضر يشهدون على قومهم، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعبد الله بن سلام: «أتعرف محمدا كما تعرف ولدك؟» قال: نعم وأكثر.. نزل الأمين من السماء على الأمين فى الأرض بنعته فعرفته، وابنى لا أدرى ما كان من أمه..

وعبد الله بن سلام يهودي من يهود المدينة هداه الله وأسلم عن فقه وعلم وايمان، وصار من كبار صحابة محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن ابن سلام واخوته الصحابة الكرام.

ومؤلف فرويد يكشف عن محاولته الشديدة فى إثبات تبعية موسى لاخناتون، ووصف أخناتون بأنه سيد موسى ومعلمه.

أراد فرويد من محاولته هذه أن يجرد موسى من النبوة والرسالة، ويجعل الدين الإلهي الحق الذى أرسله الله به إلى بنى إسرائيل هو ديانة أخناتون نفسها، وبهذا يتم له تجريد الدين من قداسته بأن جعله من صنع البشر تأكيدا أو تأسيا لأخ له يهودي مثله هو«دركهايم» الذى زعم أن الدين عمل إنساني من صنع البشر.. وها هو ذا أخناتون قد صنع ديانة توحيد فريدة فى تاريخ البشرية.. ثم ها هو ذا موسى يأخذ هذه الديانة ويبشر بها وينشىء شعبا يتبعه.

يقول فرويد: «ربما كان هناك رجل بين خلصاء أخناتون يدعى توتمس thothmes» كما كان يدعى الكثيرون فى ذلك الوقت، ولا يهم الاسم، ولكن الجزء الثانى من اسمه لا بد كان «موسى mose» وكان يشغل منصبا كبيرا، وكان من المؤمنين المقتنعين بديانة آتون، ولكنه كان على نقيض الملك المتأمل، كان ذا قوة وعاطفة متدفقة، وكان موت أخناتون والقضاء على ديانته يعنى بالنسبة لهذا



كان رسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم قد دعى اليهود إلى الإسلام كما دعى أهل أصحاب الديانات والملل والنحل وفيهم اليهود والنصارى لأنهم أهل كتاب سماوي.

الرجل نهاية كل آماله.. ولم يكن يستطيع أن يبقى فى مصر إلا منفيا أو أن يرجع عن دينه وينكره.

■ **وإذا كان حاكما لإقليم من أقاليم الحدود فمن المرجح أنه اتصل بقبيلة سامية معينة كانت قد هاجرت منذ بضعة أجيال، وتحول فى يأسه وفى وحدته إلى أولئك الأغراب، وبحث فيهم عن تعويض لما كان قد فقده واختارهم ليكونوا شعبه، وحاول أن يحقق من خلالهم مثله».**

■■ وأسلوب الترجيح فى أقوال فرويد كثير. ولكنه بهذا الأسلوب يقرر أشياء كثيرة غير واقعية، فهو فى هذه الفقرة يقرر أن موسى التابع الأمين المخلص لسيده بقي متشبثا بديانة سيده أخناتون، وشعر بالخيبة والأسى بسبب انتهاء ديانة سيده بهلاكه.. ولم يكن بين يديه سوى طريقين، إما أن يرجع عن دين أخناتون الذى اعتنقه إذا أراد البقاء فى وطنه، وإذا أراد التمسك بهذا الدين الأخناتوني فليبحث عن طريق آخر.

● وعجيب من فرويد أن يجعل شعبا سامياً غريبا يستجيب بسرعة وسهولة لموسى المصري ـ على زعم فرويد ـ ويقبل أن يدين له بالولاء والطاعة، ويرضى بدينه الأخناتوني ويعتنقه، ويجعل المصري الغريب عنه سيده وزعيمه.

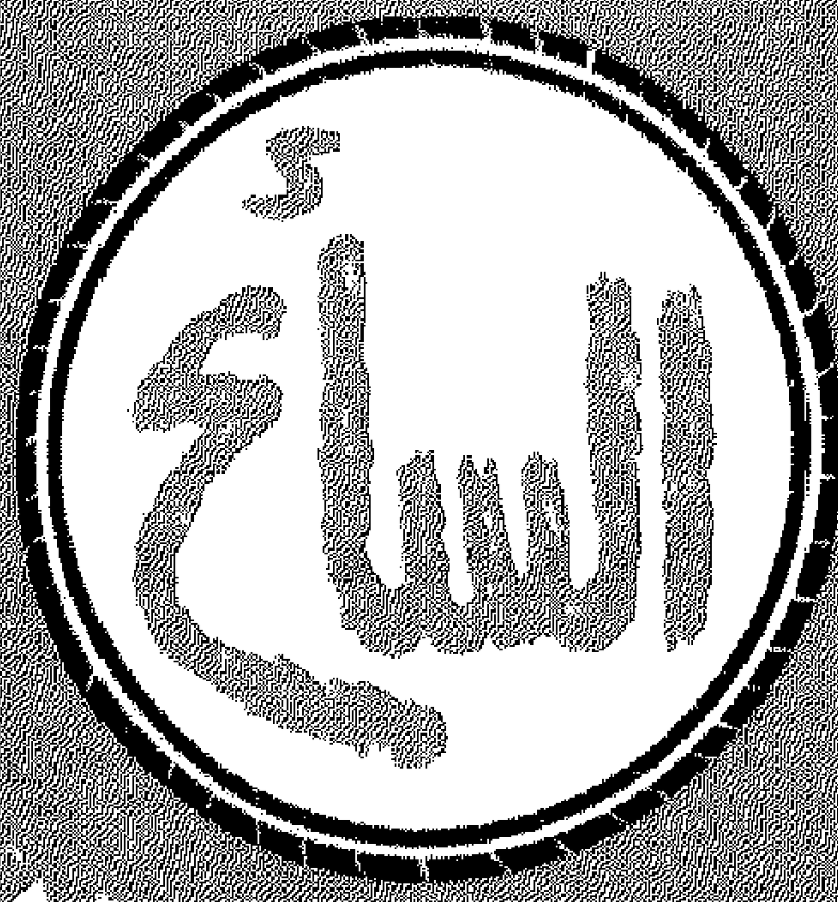
● كان على فرويد أن يفكر في هذه الاستجابة من الغرباء لموسى وألا يجعل القارىء يفاجأ بهذا الحدث الكبير، لأن الاستجابة هذه غير طبيعية، إذ من العسير على الناس أن يتخلوا عن دينهم بهذه السهولة لمجرد عرض من غريب عنهم، ويقبلون أن يهجروا مصر ويخرجوا معه باحثين عن أرض ووطن.

هذا الذى ذكره فرويد غير طبيعي، ففى تاريخ كل الديانات نرى القبائل والشعوب غير مستجيبة لرسلها لمجرد عرضه عليهم دينا جديدا لم يسبق لهم التدين به، وإنهم لشديدو التمسك بدين الآباء.. كل الرسل منذ نوح حتى محمد عليهم جميعا سلام الله وصلاته قد لقوا من أممهم العنت والصد والمقاومة، وما أكثر ما تعرض الرسل للأذى والمكروه مع أن المدعويين عشيرته وأهله، **فكيف إذا كان الداعى غريبا عنهم؟.**

● لا شك أنهم سيصدون عن دعوتهم ويقاومونه، ولن يستجيبوا له إلا بعد جهد من الرسول جهيد.. ولهذا فليس بطبيعي أن يتبع بنو إسرائيل إنسانا غريبا عنهم والطبيعي أن يكون موسى من بنى قومه هؤلاء، ووجد معهم من المصريين وحاكمهم الظلم والاضطهاد فيثور المضطهدون بقيادة زعيم منهم، يشترك معهم فى الآمال والمطالب.

«للبحث صله»

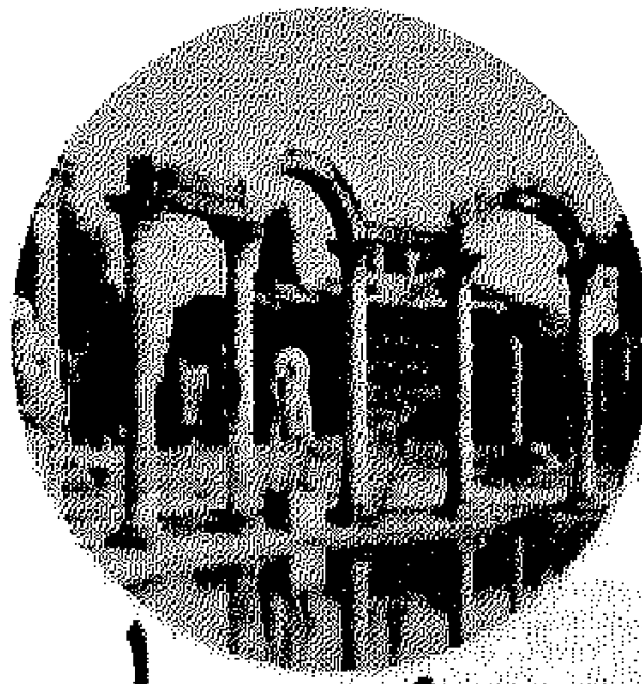
المجلة الأولى
العدد السادس جمادى الآخرة ١٤٠٤هـ





تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد





لبيك رسول الله لبيك

يصورها قلم الأستاذ:
ثروت أباظة
نائب رئيس اتحاد كتاب مصر

● فى زحمة الحياة المعاصرة وجنوح الأجناس الأدبية إلى التخصصية، من شعر وقصة ومسرحية يلوى أدب الخواطر عنا الوشاح.. ويغيم.. ويغيب.. إلا النذر اليسير.

وهنا واحدة.. خاطرة.. فيها عبق الروح، وسحر البيان، حيث يصور قلم أديبنا القدير وقفة عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) تشدنا إلى الأرض الطاهرة وتسمو بنا إلى سماوات اليقين.

تظهر هذه المقالة وأنا لازلت فى الأجواء الروحية الطيبة.. فى طيبة ضيفاً على رسول الله. وكل قاصد إلى رحابه صلى الله عليه وسلم يحس أنه مدعو. ففى رحاب أكرم المخلوقات لا تسمع إلّا مرحباً وفى أفناء حرمه تقيم مرحبا لا تغيب عنه ولا تشيح عن قادم.

● وأنا رجل كثير الأسفار، فقد طويت من الأرض آفاقاً وآفاقاً. فزرت كثيراً من البلاد العربية ورأيت المدن الحديثة البناء. ويهزنى الشارع ليس فيه بيت قديم أو بناء عتيق. وزرت باريس ولندن، وزرت مدناً كثيرة فى أمريكا ورأيت في نيويورك الناطحات وهى تخمش بأظافرها السحاب وتجرى صعداً فى العلو فلا يمسك بها بصرى. وزرت بولندا وساحلت بحراجيه فى تركيا. وشهدت فى استامبول متحف قوب كابو حاشدا بلهو الامبراطورية العثمانية الذى قضى على دولة بنى عثمان وشهدت فى غرفات المتحف ذاته زهد النبّى وصحابته فرأيت فى حجرتين متلاصقتين كيف قامت دولة الإسلام على التقى والورع والزهد والتقشف وكيف غابت آخر امبراطورية إسلامية فى بحار من شهوة التملك وبريق الأبهار بالمال والإسراف فى المظهر دون نظر إلى الجوهر.

واعتليت الجبال فى سويسرا وأشهد فى ربوعها كل عام عجباً من خلق الله سبحانه وتعالى الذى يصفه شوقى بقوله الخالد:

لف فى طَيْلَسانه طُرَر الأرْض فطَاب الأديم من طيلسانه
ساحر فتنة العيون مبين فصل الماء فى الربى بجمانه

عبقرى الخيال زاد على الطيف وأربى عليه فى ألوانه
صبغة الله أين منها رفائيل ومناقشه وسحر بنانه

● وكنت حاضر النفس والجسم فى كل مازرت. وحين اندلع نظرى إلى القمم من ناطحات السحاب لم أشعر هناك بهوان الإنسان كما قال بعض الكتاب وإنما شعرت أننى أنا الإنسان أعلى من هذه القمم وأرفع، فأنا الإنسان بما أتاح الله لى من عقل بنيت هذه الناطحات وأنشأتها وأعليتها. وأنا الإنسان بلغت القمر بإذن الله الذى جعل البشر سيد المخلوقات.

● ولكن الشعور الذى أحس به وأنا فى جوار النبى عليه الصلاة والسلام لم يخالجنى فى أى مكان من هذه الأماكن التى زرتها.

ما هذا الذى يتلبسنى وأنا فى جنابه الطاهر؟.

ارى جسمى الضخم هذا يتصاغر ويتضاءل ويمحى فى اللاوجود، فقلهُ ذرة أو قلهُ هباءة أو قلهُ كأن شيئاً ثم لم يكن.

ولم يبق منه إلّا قلب يمور به الشوق والحنين وأنا فى الرحاب ويفهق بالخشوع والهيبة والخضوع، فأنا أمام رسول الله ﴿ﷺ﴾.

ولم يبق منى إلّا دموع ساجيات هوامل لا ينقطع سيبها ولا يشح لها انهار. وأنا رجل لست بخطاء وما أنا بكثير الذنوب. طريقى طريق المعتدلين من البشر لم أسرف على نفسى ولم أحملها مالا تطيق. سبيلى فى الحياة قليل العوج. فما هذه الرعشة تتمخضنى عند القبر السنى؟. وما هذه الرعدة الحبيبة عند مهبط الوحى بالمكان القدسى الذى شهد آخر لقاء بين رسول السماء ورسول البشر؟.

أهى ارتياعى من القرب لذات الرسول عليه السلام؟.

أهى رهبتى وأنا ماثل بدارة أكرم البشر أجمعين؟.

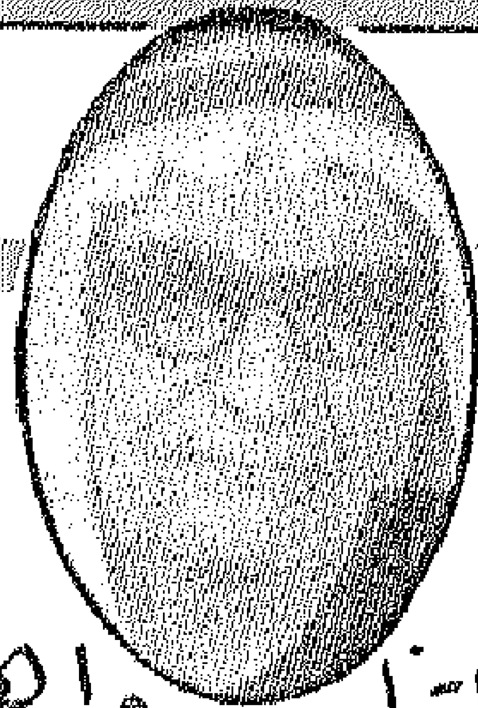
أهى وقوفى فى ساحته وهو رسول ذى الجلال واصطفاه ليكون خاتم الأنبياء وليكون وحده من بين مخلوقاته بشيراً ونذيراً ولتكون معجزته الوحيدة بين معجزات الأنبياء التى خصها الله بالحفظ والخلود على الزمان فخلدت إلى الأبد الأبيد؟.

أهى شىء من هذا. أم هى هذا جميعاً؟ أم هى مالا أدرى وما يخفى على بصر الإنسان الكليل وبصيرته وقد أصبحت فى سياج بلورى من الجلال فى أوج أوجه، وفى الذؤابة الشماء العليا من عظمة هذا الإنسان النبى الذى لم يكن إلّا بشراً رسولاً، أدبه ربه فأحسن تأديبه وأدب هو البشرية بنهجه وسنته وسننه فمنها من سار الطريق ومنها من قصر راجياً عند الرحمن الرحيم العفو والغفران؟.

●● أنا فى هذا الرحاب روح فكأنى خفقة جناحين لطائر من طيور الجنة. أو نبعة من نهر الكوثر. أو همسة تسبيح فى عليين.

● لبيك نبى الله لبيك... إلى قدس رحابك أطير مع الطير أو مع الأنسام الحنون أو مع شعاع من الشمس سنى غير قائظ.

● لبيك يا رسول الله إلى البشرية جمعاء وهل أملك لدعوتك إلا لبيك؟



في هذه الحلقة مع السائح يقف رحالتنا أمام تماثيل وأعمدة الفنون في روما فلا يملك إلا أن يعود بذاكرته إلى "مدائن صالح" و"جبال ثمود" وما نحته فيها أجدادنا من كهوف..

فما أعظم الفارق؟ هناك توجه الفن لخدمة الوثنية يقدم للإنسان تماثيل.. وهنا توجه لخدمة الإنسانية تقدم له المأوى.

واهتمام الإيطاليين بالآثار في روما - كما يصفه رحالتنا - يصل إلى حد أنهم يعتبرون المنزل الذي يبلغ مائة عام أثراً.. تمتلكه الدولة وتعوض صاحبه

حقاً أنها مدينة الفنون والآثار والجمال فلنذهب معها مع رحالتنا باسمين.

على أن رحالتنا يصف لنا في تفصيل ودقة ما يميز الحياة في روما.. وعلى رأسها الاهتمام بالحدائق العامة مثل حديقة تيفولي التي يرجع بناؤها إلى عدة قرون، وقد وعدنا رحالتنا بأن يصف لنا نظائرها في جميع ما يمر به من حدائق العالم لما راقه من مناظرها وتنسيقها وجمالها.. ومنها برج بيزا والضواحي الجليدية لتي تقدم وطناً ترفيهياً للانزلاق على الجليد.. ومدينة الملاهي وبيتها ذو الأبواب الزجاجية والمداخل العجيبة الغريبة.. وفيها جميعاً جمال وروعة

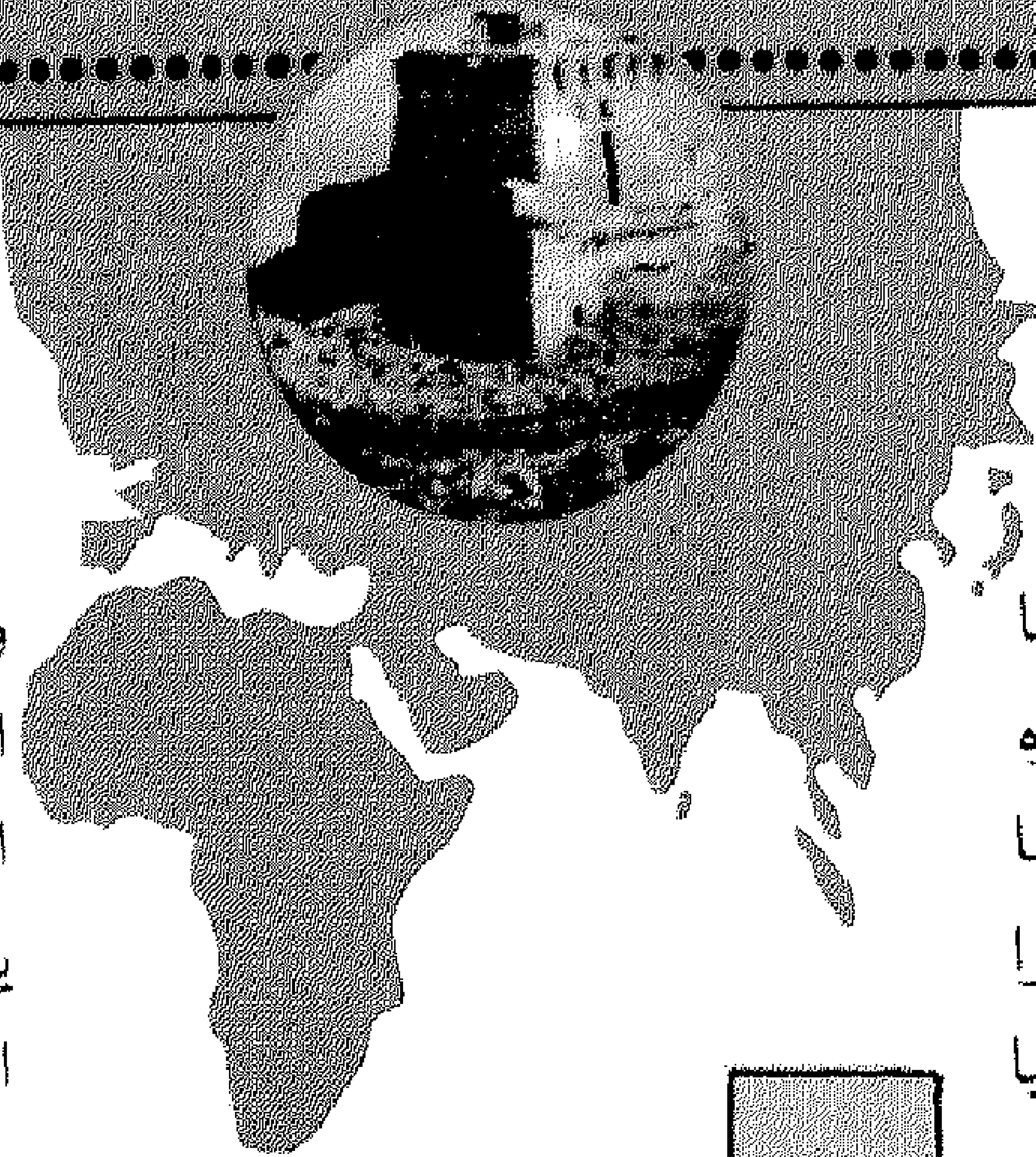
• بدأ تاريخ إيطاليا باستقرار جماعة اللاتينية فوق تل بالاتين (داخل في حدود روما الحالية).

• في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد كانت "روما" مجرد دويلة تقوم على فئة من الزراع والجنود.

• ولكن اتسع سلطانها بعدة غزوات في القارات الثلاث من العالم القديم بقيادة المشاهير أمثال "ماريوس" و"سولا" و"يوليوس قيصر" و"بومبي" و"أنطونيو" و"أوكتافيوس".

• وقد اتسعت رقعة هذه الإمبراطورية الرومانية لتشمل قسماً من شمال أفريقيا وغرب آسيا وجنوب أوروبا وغربها بما في ذلك فرنسا وبلجيكا وبعض أجزاء ألمانيا وبريطانيا.

• انتخب أكتافيوس امبراطوراً لهذه الامبراطورية الرومانية عام ٤٤ق.م. وقد دامت الامبراطورية أربعة قرون قبل أن تنحل نهائياً.



مدنية روما عظيمة يتمثل فيها فن الآثار بحذافيره فكلها آثار وكلها حضارة بناها وشيَّدها لهم الأولون الذين مدوا أعناقهم إلى الشرق وغرب أفريقيا وشمالها فالرومان واليونان هم الذين دونوا الحضارة القديمة وجعلوها مثالاً لبقية الأمم وهذه آثارهم تدل عليهم.

أما النحت فلم يسبقهم إليه أحد.. بل هم الذين أجادوا فنَّ النحت، وأقصد بالنحت حفر الأعمدة والسوارى والتماثيل والنقوش ونحت الصخور الصغيرة التى هى من أحجار الرخام أو الجرانيت.. إذ يستطيعون أن يكيفوا الصخرة الواحدة من الرخام إلى عائلة مكونة من جملة أفراد كلهم منحوتون وأجسامهم عارية.. ونرى مع العائلة المنحوتة أثاثها ومتاعها وحيواناتها المنزلية كل هذه المجموعة من حجر واحد من الرخام أو الجرانيت.

أما نحت الجبال كسكن فهذا اختصت به البلاد العربية كما تراه ماثلا أمام الأعين فى مدائن صالح بالبلاد العربية السعودية.. هذا النحت ليس له مثيل ولا شبيه فى العالم كله فقد نحتوا الجبل وهو من الصخر الصلد الصلب الذى لا يقبل الحفر ولا النقش ـ ذللوه بايديهم وعلمهم حتى خضعت لهم الجبال ـ ويلاحظ أنّ جبال ثمود المنحوتة ليس فيها الهش ولا الجرانيتى ولا الرخامى ـ وأما النحوت التى رأيتها فى كافة المتاحف العالمية والحدائق والمعاهد لم تكن الا من المرمر والرخام والجرانيت.

■ وأعظم حديقة أثرية فيها النحت والرسم والنقش والمناظر الطبيعية الساحرة كانت قد بنيت قبل قرون



كثيرة.. هى حديقة (تيفولى) بضواحى روما.. وتبعد عنها نحو ستين ميلا تقريبا وهذا أحد مناظرها من مائة منظر. أقصد ان هذا المنظر عبارة عن جزء من مائة جزء من الحديقة الجميلة القديمة.

(تيفولى) هذه كان يمتلكها قبل عدة قرون أحد الأثرياء بروما وتدعى بقلة أدريان نسبة إلى صاحبها الثرى واسمها على الحقيقة هو: tivoli villa d'este villa adrion

وبناؤها يرجع إلى عدة قرون وفيها من النحت ما يبهر الأبصار ويحير العقول.. وهى بسفح جبل من جبال ضواحى روما، ومساحتها تقارب نصف ميل تقريبا، وفيها من أنواع الزهور والأشجار الشيء الكثير، كما فيها النافورات العديدة المنحوتة من حجر الرخام، اذ ترى كل نافورة تختلف عن الأخرى شكلا ومنظراً ونقشا.. ثم ترى الماء وهو ينحدر من فم التماثيل أو الحيوانات أو بعض أعضاء جسم الإنسان.. ثم تتعجب من تنسيقها وترتيب ركبانها الزراعية ومراكن زهورها وورودها.. ثم تندهش من موقعها الجغرافى وجوها اللطيف وعذوبة مائها والاحتفاظ بهيكلها وبنائها الأول الذى لم يخدش حتى الأن.. لكن لا يوجد بها غرف ولا مجالس.. فهى فيللا تنزهية لا سكنية على ما يظهر من رسمها ومن تصميمها.. وعلى العموم فهى أجمل وأقدم وألطف حديقة فى الدنيا.. وجميع الحدائق التى تسمَّت بهذا الاسم فى العواصم الأوروبية الكبرى لا تساوى نقيرا ولا قطميرا بالنسبة لهذه الحديقة.. وسأذكر كلَّ الحدائق المسماة بهذا الاسم عند المرور بها أو عند ذكرها فى هذه المذكرات إن شاء الله.



ثم الاكاديمية بروما - بناؤها قديم ورائع - ثم (قصر سانت انجلو) وهو مطل على نهر النيغر وبناؤه يرجع إلى ثلاثة الاف سنة تقريبا.

ثم كنيسة الفاتيكان - من عجائب الدنيا - وخاصة الصليب المنصوب على قبتها إذ تراه العيون لا يزيد طوله على شبر واحد وهو فى الحقيقة - أطول من تسعة أمتار - بل هناك ما هو أبعد من ذلك إذ تجد فى تاريخ الكنيسة أن طوله يزيد عن عشرين متراً فى عشرين متراً.. وما أدرى أى عين تثبت ذلك ولكن لعلها العيون السحرية.

ويحكى فى تاريخ كنيسة (سان بيترو) بروما - أنَّ البابا «جوليو الثانى» أصدر أمره بتنفيذ بناء الكنيسة إلى المهندس (البرامانتى) الذى قام برسم خريطتها بحبارة التى سميت (بالصليب اليونانى) وذلك فى عام ١٥٠٦.. وكانت الخارطة عجيبة إلى حدٍّ ما إذ تنتهى أركانها بأربعة صلبان وأربعة أبراج ذات زوايا.. ثم بالقبة المركزية ولكن المهندس المذكور هلك قبل أن يتمم عمله الموكل إليه.

ثم أعطى العمل بعد موته إلى النَّحات الرومانى الشهير الذى يدعى **(ميكائل انجلو)** ليكمل البناء - وهذا النحات الشهير ولد فى عام ١٤٧٥ وتوفى عام ١٥٩٤ ميلادية - ثم بدأ بتشييد سان بيترو فى عام ١٥٧٤ إلى أن هلك ثم شيد من بعد ميكائيل انجلو - القبة حيث جعل لها طابعا خاصا لم يعرف من قبله - إذ جعلها بطريقة السداسى الحاد - التى اتبعها من

تتألف إيطاليا من حيث البناء الجيولوجي ومظاهر السطح إلى وحدات تركيبية رئيسية ثلاثة هي :-



بعده أى بعد هلاكه ـ المهندس (ديلابورتا).

وكتابة الكنيسة هى : san cietro والمهندس اسمه بالحروف الأفرنجية سطسضسضظش ططاطصشظضط ومقاس الصليب كما هو مكتوب fij 13 ثم fij 12 (١٢×١٣).

أما المناظر الطبيعية بروما وضواحيها فكثيرة وجميلة وهامة ومن أهمها بحيرة (براتشانو) وهذه تبعد عن روما حوالى ٣٦ كيلو متراً وتقع فى الشمال الغربى لروما وعنوانها كالاتى : lilajo d:bratchinel lontaano da roma

وقد دعانا للتجوال حولها والوقوف عليها فى رحلة ١٩٧١-١٣٩١ هـ الأستاذ عبد الله رشيد فطانى الملحق الثقافى السعودى بروما حينذاك . . وذلك بصحبة شقيقه الدكتور عبد الرحمن رشيد فطانى الذى كان يتعلم فى مدينة (مينز) بضواحى فرانكفورت بألمانيا الغربية حيث كان فى إجازة . . كما دعا سعادة الأستاذ عبد العزيز الحليسى المستشار بالسفارة السعودية بروما انذاك . . وكان يرافقنا فى هذه الرحلة الممتعة أنجال الملحق الثقافى راشد وحاتم، وقد أخذ لنا عدة لقطات فوتوغرافية انذاك . . وهذه البحيرة الجميلة يرتادها السياح والسكان على اختلاف طبقاتهم ويوجد حولها عدة مقاهى ومطاعم وتحيط بها الأشجار والزهور كما يوجد بالقرب منها ميادين صغيرة للألعاب الرياضية وغير ذلك من وسائل التسلية والرياضة بما فيها السباحة.

برج بيزا المائل

هذا البرج من الآثار القديمة التى يرجع تاريخ بنائه إلى عدة قرون ويدعى (bisa) ويبعد عن روما بحوالى ٢٢٠ ميلا تقريبا وهو مائل بحوالى درجة (زاوية أربعين) وهو من عجائب الأبنية الرومانية القديمة.

ترمنيلو

بكسر التاء وتسكين الراء وكسر الميم والنون بعدها ياء المد ثم اللام المضمومة المشددة . . وهذه مواضع زحلقة الجليد فى روما وهى فى ضاحية من ضواحيها ولهذه المواضع الجليدية شأن فى أيام نزول الثلوج وقد زرنا هذه المواضع العجيبة الجميلة مع الدكتور هانى طاهر مرداد وأخذنا لها عدة لقطات لم تحمض وتغسل بعد.

ربيتى

بكسر الراء والباء بعدها ياء المد ثم التاء المكسورة المشددة . . هذه بلدة أثرية قديمة تبعد عن روما بحوالى ٦٤ ميلا تقريبا . . وقد وقفنا عليها فى الرحلة الأخيرة.

■ **ومن قصصها التاريخية . . أن الرومان لما احتلوا هذه البلدة سبوا أهلها من النساء فقط ـ لعدم وجود نساء بروماـ وسمى هذا الغزو (بالسبينا) مشتق من السبى ـ الكلمة العربية الخالدة ـ وقد سرقها الرومان من لغتنا وحرفوها بلغتهم حتى أصبحت كذلك . . والكلمة بالطليانية ضبطها كالاتى همزة مفتوحة مضافة الى اللام الشمسية ثم السين المفتوحة المشددة والياء المكسورة وياء المد ثم النون المفتوحة مع ألف المد.**

ثم **اتجهنا إلى ضاحية ربيتى قرب روما واسترحنا شيئا من الوقت ثم اتجهنا الى «بحيرة بيدى لوكو» . بكسر الباء بعدها ياء المد والدال المكسورة وياء المد ثم اللام المضمومة وواو المد ثم الكاف المضمومة وواو المد ـ وهى بحيرة جميلة تصغر عن بحيرة «براجانو» بقليل إلا أنَّ من مميزاتها تموين شلالات (المارمورى) بالماء لأنَّ فيها منابع كثيرة . . والمارمورى اسم لهذه الشلالات العظيمة التى بها المولدات الكهربائية لمنطقة (الامبريا) بكاملها . . وضبط كلمة (الامبريا) آل قمرية ثم الهمزة المضمومة والميم الساكنة والباء المكسورة والراء الساكنة ثم الياء المفتوحة وبعدها ألف المد.**

■ **وهذه المنطقة من المناطق الشهيرة بروما . . وقد أقمنا يوماً حول هذه البحيرة الجميلة مع الدكتور هانى مرداد وتناولنا وجبة الغذاء على ضفافها من أحد المطاعم الفخمة**

التى تجيد شواء الأسماك والجمبرى اللذيذ.

مدينة الملاهى

بمنطقة (الأيور) بروما وضبطها كسر الهمزة وضم الياء التى بعدها واو المد ثم الراء الساكنة.. وأما إضافة أل إلى الكلمة فغير ثابت إلاَّ فى حالة تعريبها أو تحريفها.. وهى بروما وموقعها جميل وبها حديقة جميلة وفيها كل ما يحتاجه الطفل والسايح واللاهى.. وهى على نمط مدن الملاهى بسائر المدن الأوروبية لكن يضاف إليها غرفة الزجاج الجميلة المتعددة النوافذ والأبواب المغلقة.. وهى كاللغز ويقطع لها تذكرة خاصة خلاف التذكرة العمومية ودخولها من باب (استخدم ذكاءك) فإذا لم تحسن التصرف فى كيفية ولوج أبوابها لا تستطيع الخروج من الأبواب إلاَّ بشق الأنفس وربما تصطدم بالزجاج لأنهَّ يخيل إليك أنك خارج من الباب فاذا أنت خابط جبهتك فى اللوحات الزجاجية ـ ومن كان خارجا عنها يراك تتخبط فيضحك عليك من الخارج وربما يصفق الجميع حين يرونك مرتبكا لا تفهم الخروج من المأزق.. وقد يضيق صدرك إذا كنت ضيق الصدر أو مصابا بعقد نفسية أو معك العصب الحائر ولسوء الحظ لا يوجد هواء مطلقا بداخل هذه الغرف. . فتجد الناس يتراكضون والعرق يتصبب من وجوههم ومن يدخلها مرة واحدة وتلتوى عليه مسالكها لا

تقع إيطاليا على طريق تجارى هام قريب فى مركز وسط بين شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه.

وقد كانت لجنوة والبندقية مثلاً أهمية تاريخية فى مجال التجارة عبر البحر الأبيض المتوسط وسهول إيطاليا الشمالية ومرتفعات الألب.

وقد انتشرت حضارة البحر المتوسط واللغة اللاتينية منذ القدم فى [illegible] بشماليه.

أما حضارة البحر المتوسط واللغة الإيطالية المشتقة من اللاتينية فقد بقيتا فى المنطقة على الرغم من توالى الغزوات التى اجتاحت إيطاليا عبر مرتفعات الألب.

ويصل عدد سكان إيطاليا حاليا حوالى ٦٠ مليونا تتركز كثافتهم فى الجزء الجنوبية من إيطاليا عنه بالشمالية.



يعيد الكرة فى الولوج إليها مرة أخرى. وقد دخلتها ذات مرة فى رحلة عام ١٩٦٩م وكاد يغمى على ولكن الله سلم.

أما فى هذه الرحلة فاقتصرت على ما فى حديقة المدينة المذكورة من ملاهى والعاب سحرية ورياضية وغير ذلك. أما الغرفة الزجاجية فلم أقف أمامها مطلقا وتسمى هذه المدينة بالطليانية luna bark eur وبالانجليزية (إريا) area بمعنى منطقة.

وفى ضاحية من ضواحى روما يوجد المصعد السابح فى الجو وقد زرته مع الأبناء وبعض الرفاق. هذا المصعد الذى يرفعك إلى الجو مئات الأقدام حتى يحط بك على سطح الجبل المطل على الضفة الأخرى للبحيرة وهو لا يسع إلاّ راكباً أو اثنين على الأكثر على نمط صناديق العيد، لكنه يسبح بك بعيدا عن الارض، وربما تصاب بالدوران لأول مرة. ثم إذا انقطع التيار الكهربائى فجأة ربما يغتريك القلق والاضطراب. وهذا فى قلب روما وليس بالضواحى البعيدة عنها.

بائع الكسكسو

الكسكاس الأكلة المغربية المفضلة. وعامة السعودية يضمون الكاف ويسكنون السين للكافين والسينين. وإخواننا فى المغرب يضمون الكاف الأولى والثانية ويسكنون السين وبعض البلاد فى شمال أفريقية يضمون الكافين من غير الواو الأخيرة. وعامة مصر تسمى هذا النوع من الطعام برملٍ الجنة. ولا يأكلونه إلاّ بالسكر. أما فى شمال أفريقية فيستغنون به عن الارز ويتفننون فى طبخه بالبخار تارة وبالتحميص وإضافة بعض البهارات مع اللحم والحمص. وهو من الذّ الأكلات الشهية بشمال أفريقية - **وفى روما** - يوجد مطعم واحد لعمل هذا النوع من الطعام، وصاحبه إيطالى كان مقيماً فى طرابلس ٢٠ عاما. وهو من طهاة المكرونة إلاّ أنّه أضاف إلى معلوماته أجادة طبخ هذا النوع، فلما رجع إلى بلاده فتح هذا المطعم وخصّصه لاكلة (الكسكاس) على جميع أشكالها وألوانها. ولهذا تجد مطعمه مزدحماً بإخواننا المغاربة والسعوديين. وقد أكلت مرارا فى هذا المطعم مع بعض الاخوان السعوديين. فلا تتردد فى تناول وجبة فى هذا المطعم، وعنوانه معروف.

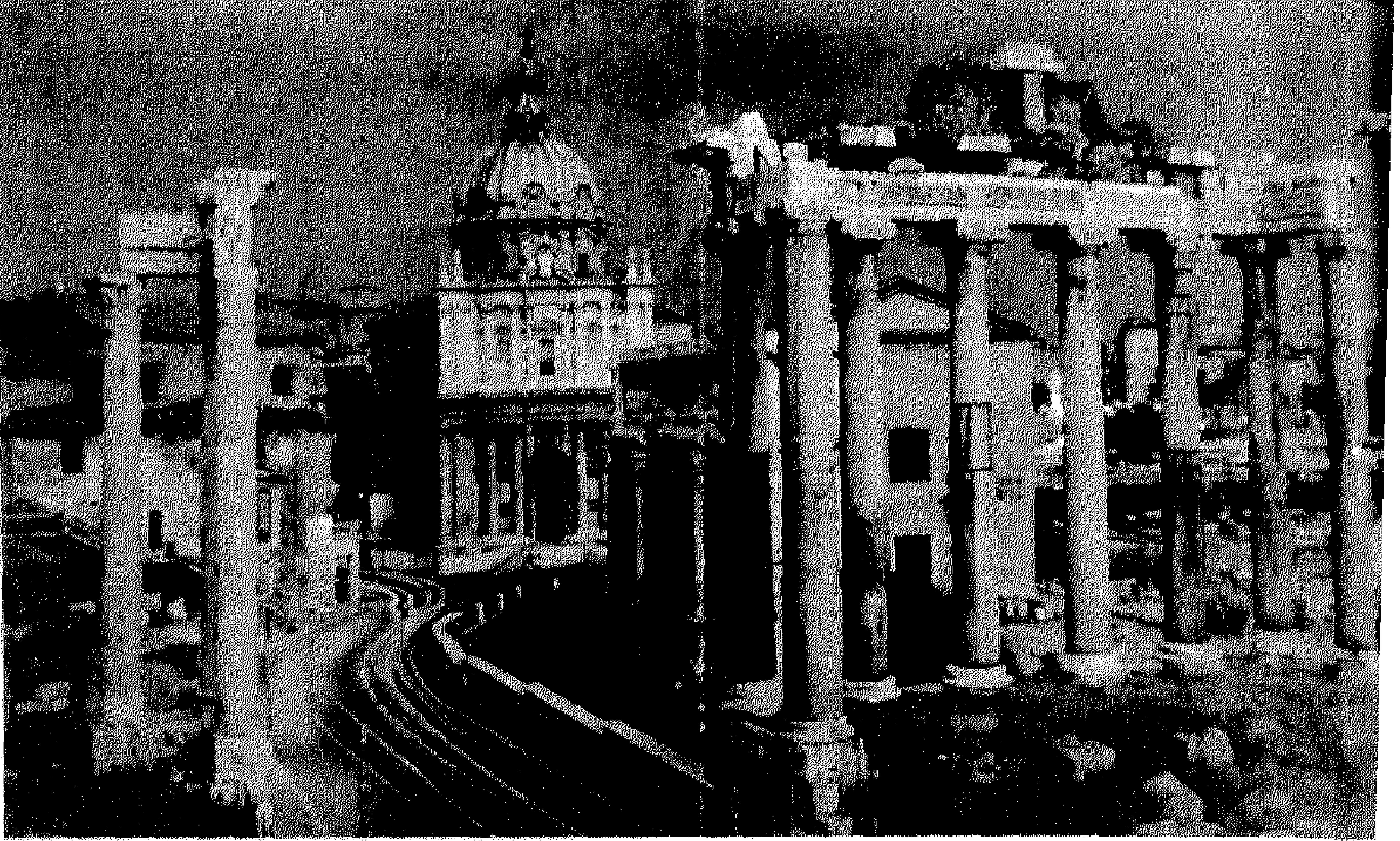
السفارة السعودية

وفى كل رحلة أذهب فيها إلى روما أو ما جاورها من بلاد الطليان أذهب أولاً وقبل كل شيء إلى زيارة السفارة السعودية. إذ هى الركن الشديد الذى يأوى إليه كل مواطن سعودي فى كل بلد فيها سفارة سعودية. وكل مواطن يحتاج إلى سفارته سواء لحلّ المشاكل أو لتسجيل الجواز أو طلب تأشيرة لزيارة بلد أجنبية أو ما إلى ذلك.

وكنت فى مشكلة مع السفارة الألمانية بروما فى رحلة ١٩٦٩م - ١٣٨٩هـ لم تحلها إلاّ السفارة السعودية بمساعدة وضمان سعادة الأستاذ خالد الناصر فى ذلك الحين، إذ امتنعت السفارة الألمانية من إعطاء تأشيرة إلاّ بعد الاستئذان والأخذ والرد الذى يستغرق وقتا طويلا لا يقل عن عشرة أيام لأنّ المفروض أن آخذ التأشيرة من البلد التى رحلت منها من الأساس وكنت قد أخذتها وانتهيت مدتها بسبب تأخيرى فى كندا والولايات المتحدة آنذاك. فلجأت إلى السفارة السعودية فتوسطت فى حلّ المشكلة فى أقل من ساعة.

وأمّا الأستاذ «الفطانى» الملحق الثقافى بروما فى تلك الفترة، فهو عنوان الفضل والجود ولا يستطيع أى سائح أو مواطن سعودى أن يفلت من حبال كرمه وفضله فبدلاً من توصيله السائح إلى الفندق أو مكان إقامته،

يفاجأ بوصوله إلى دار الملحق نفسه أو إلى أفخم المطاعم بروما، ثم بعد ذلك توصلك السيارة إلى منزلك وليست الأمر يقف عند هذا الحد. فلقد تراه بكرة وعشّيا سائلا وزائراً وداعيا ولا ينقطع عن ذلك يوميا. وقد يغطى النقص الذى تسببه الشركة السياحية للسياح فتراه يرشدك إلى أماكن أثرية قد لا توصلك إليها شركة السياحة وخاصة إذا كانت الأمكنة على بعد مائة ميل أو أكثر عن روما - إذ شركة السياحة ليست



مسؤولة إلا فى حدودها والشىء بالشىء يذكر . فقد دعانا إلى بيته العامر ودعا لذلك الأستاذ الحليسى والأستاذ عباس غزاوى وسعادة السفير أحمد عبد الجبار لكن الاخير اعتذر بسبب استقبال عائلته من المطار فى نفس الميعاد . وقد عمل حفلة غذاء فاخرة جمعت بين البخارى وطيور البر وصيد البحر وما لذَّ وطاب من الفاكهة والحلوى . جزاه الله عنا خير الجزاء وأكثر الله من أمثاله وأخلف عليه من الرزق الحلال وبارك فى أنجاله .

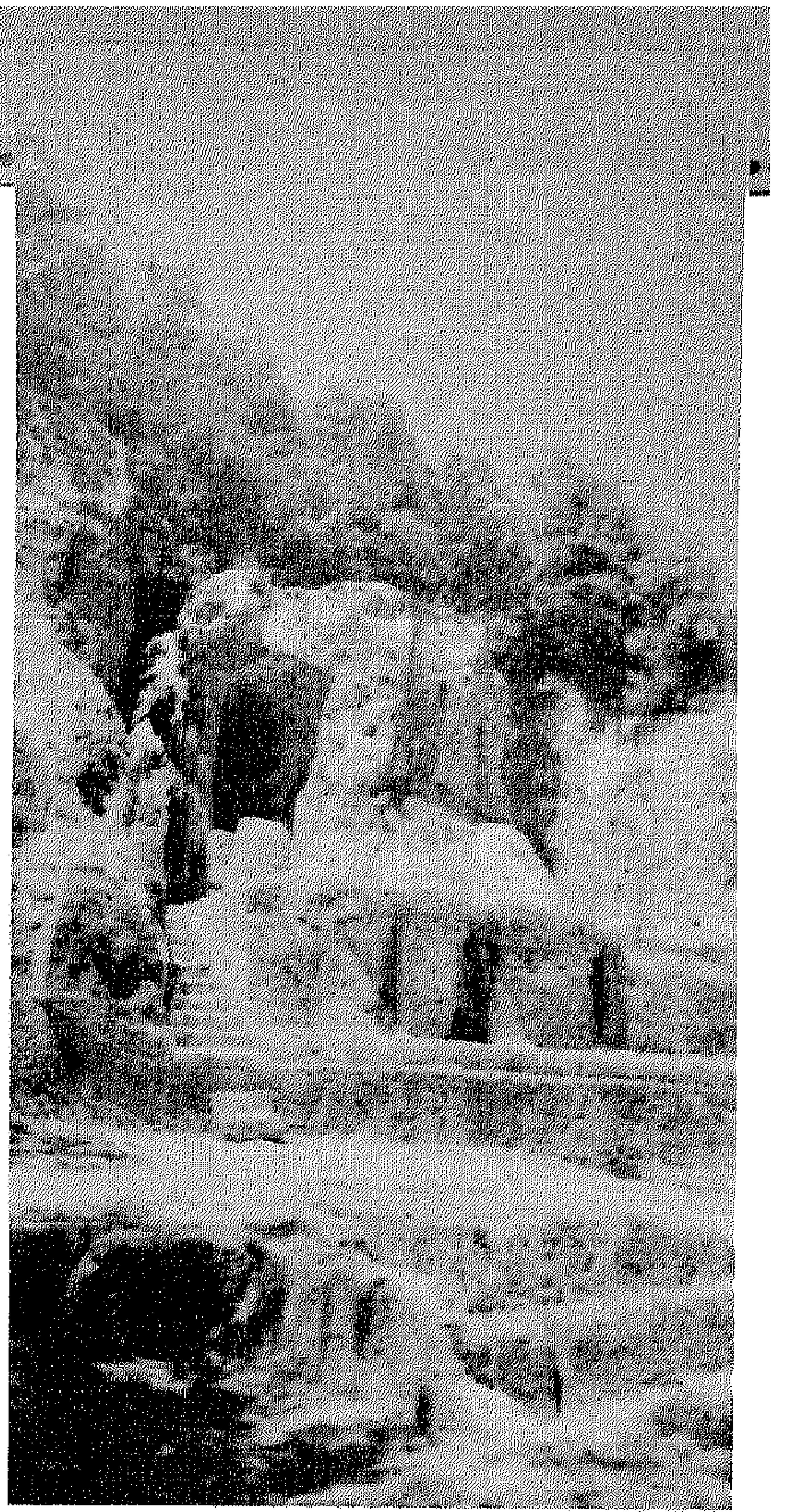
تمثال أمير الشعراء أحمد شوقى

ونظير هذا التمثال فى قلب روما لامير الشعراء أحمد شوقى وقد وقفت عليه مع بعض الإخوة من السعوديين وهو تمثال رائع منحوت نحتاً فنياً رائعاً ومكتوب عليه اسمه بالحروف اللاتينية البارزة . . وبعد وقوفنا على تمثال أحمد شوقى ذهبنا نتجول فى ميادين وشوارع روما الفسيحة حتى وقفنا على الكثير من المسلات المصرية المنتشرة فى بعض الميادين العامة وهى مسروقة عن أرض الكنانة .

ماذا تجدد فى روما

بالنسبة للرحلات السابقة . . صدر قرار حكومى بعدم هدم أو ترميم أى بناية قديمة وخاصة ـ التى تم لها مائة سنة . . إذ يجب على كل مالك بلغت بنايته أو عمارته المائة عام أن يبلغ الحكومة **(مصلحة**





- تشغل الزراعة نصف مساحة ايطاليا
- تشمل المحصولات الشجرية عشر المساحة
- تنتج ايطاليا حوالي ٨٠٪ من احتياجات سكانها من القمح .
- اقامت الحكومة (هيئة استثمارات الجنوب) وتقوم بمشروعات تشجير الارض القاحلة وتحسين التربة في الجنوب . والتحكم في الفيضانات .
- تنمو الصناعات الايطالية بمعدل سريع لتستوعب هجرة السكان من الريف .
- ومصادر القوى في ايطاليا تشمل الغاز الطبيعي في السهل الشمالي ، والبترول في جزيرة صقلية وتنتشر معامل تكرير حول روما وميلانو وجنوه وغيرها . وكذلك الفحم ولكنه قليل الأهمية .
- أما المعادن فهي ليست كبيرة الأهمية ومنها الحجر الجيري والصلصال والرخام والبوكسايت والزئبق وغيرها .

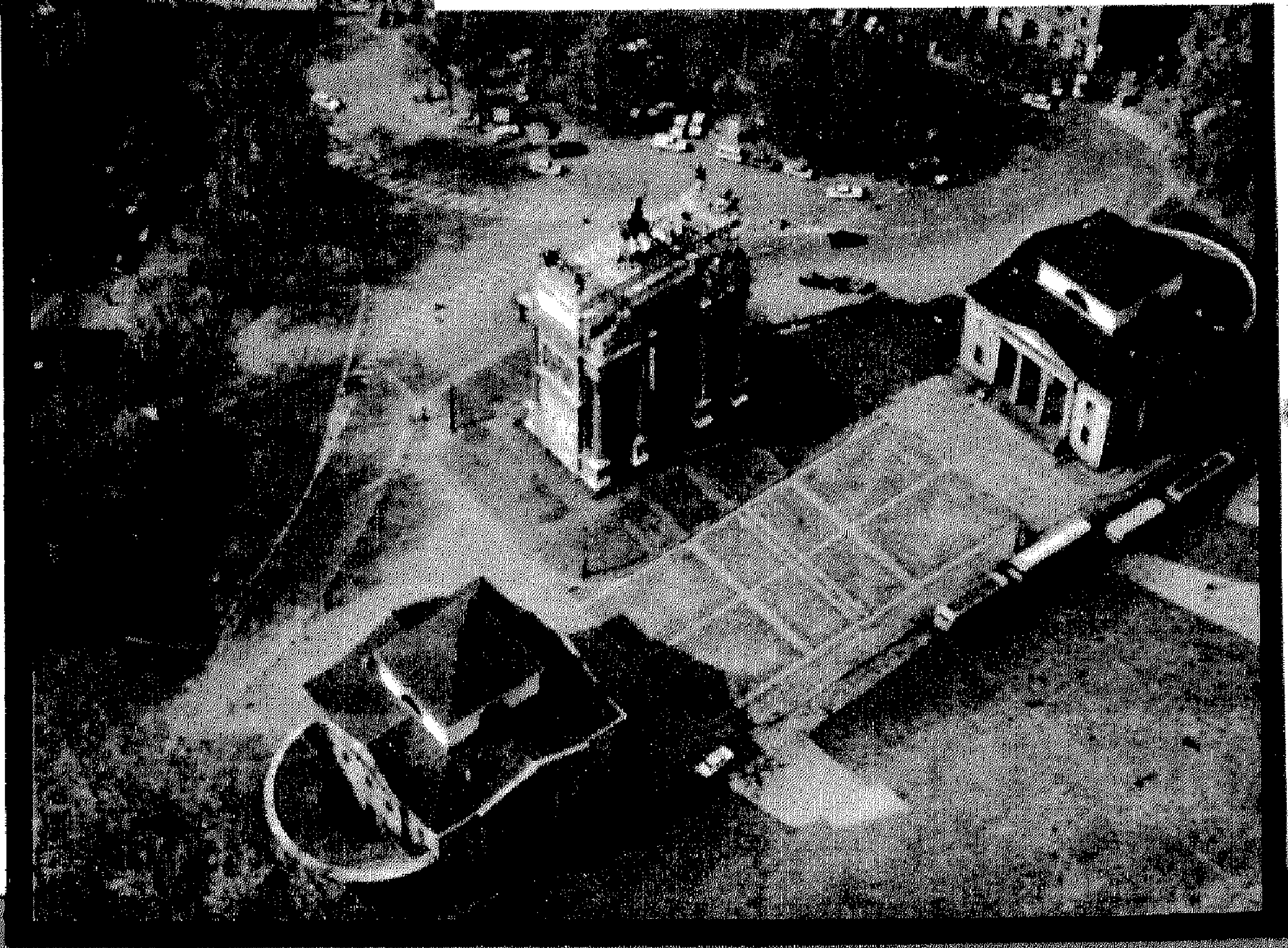
الآثار) وفى الحال تصل إلى بنايته لجنة التقدير والتثمين لتسجل القيمة المستحقة . . ثم تعوضه أما نقداً وإما استبدالاً . . ثم تضم تلك البناية إلى مصلحة الآثار، ولذلك فإنَّ جميع البنايات القديمة التى تجاور الأكاديمية والسجون القديمة التى كان يعذّب فيها الرومان العصاة أصبحت الآن ملكا لمصلحة الآثار وخالية من السكان . . حتى العمارة التى كانت ولا تزال فى ميدان النصر والتى كان يخطب فيها (موسولينى) ويطل من نافذتها على الميدان أصبحت خالية وتابعة لمصلحة الآثار . . وأصبحت روما منقسمة إلى قسمين روما الجديدة وروما القديمة . . وأصبحت هذه العادة متبعة فى سائر مدن أوربا . . إذ كل قديم مضى على إقامته مائة عام فأكثر أصبح من الآثار - ومع ذلك فالأبنية القديمة كثيرة ولا تهتدى أليها المصلحة إلا إذا مالت حيطانها أو ظهر تشقق ماثل للعيان لأنَّ صاحبها لا يرضى بالبديل ولا بالتعويض مهما كانت حالته المادية لأنَّه يعتبر نفسه أولى بالاحتفاظ بآثار أجداده وخاصة إذا كانت البناية مزينة بالنقوش والنحوت الفنية وما إلى ذلك .



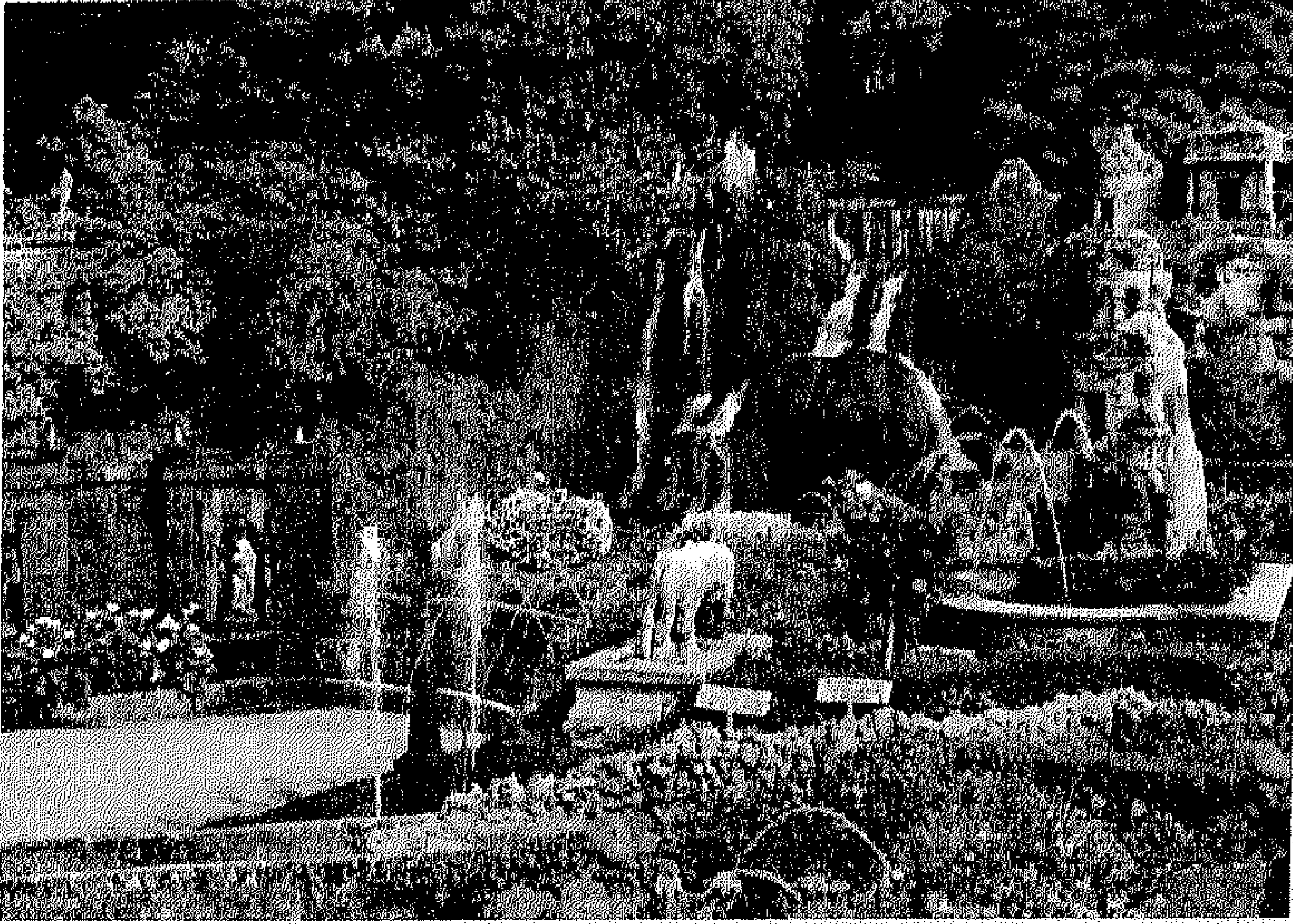
ميلانو

لما انتهى تجوالى الأخير من العاصمة الكبيرة (روما) ذهبت إلى الاخوان السعوديين الموظفين بالسفارة السعودية بروما بشارع (سلاريا) فودعتهم وشكرتهم على معروفهم وجميلهم وإلى من كان منهم بشارع(دقلى أورتاجى)، وإلى من كان منهم بشارع (بو) وإلى من كان منهم بجامعة الدراسات بروما: وإلى من كان منهم بشارع «نومنتانو» nomentano .

ثم ذهبت إلى المحطة وقطعت التذكرة مع بعض الزملاء.. ونهب القطار الأرض ليلا وسار سيراً متواصلا على القضبان الحديدية حتى أصبح الصباح ودارت القهوة المحروقة مع المعلبات و**(الاوساط)** التى هى السندوتشات ما هو محشى منها بالقديد الأحمر النيىء ويدعى بالعامية (**باسطرمة**).. ومنها ما هو محشى بالزبد والمربى أو بالجبن الكشكبان.. فتناول السياح أفطارهم وتناولته معهم.. وكانت الساعة الثامنة صباحاً حيث وقف القطار ونزل الركاب ومن جملتهم كاتب هذه المذكرات.. وكان نزولى على سبيل(**الترانزيت**)وهو المرور المؤقت لأنى قد عرفت ميلانو أكثر من مرة وأما هذه المرة فللعبور منها إلى(**سويسرة**).. وأما فى الرحلات السابقة فقد جئتها سائحا







لمدة أسبوع بطريق الجو ثم توجهت منها إلى ميونيخ بالمانيا ولى فى ذلك قصص دُوِّنت وسُجِّلت فى رحلة أوربا.

نزلت الآن لمدة أربع ساعات وحفظت حقائبى بصناديق المحطة ثم تجولت فى ميلانو لإعادة **الذكريات الماضية بهذه المدينة الكبيرة.**

بائعة اللبن

ووقفت أثناء تجوالى بهذه المدينة الطليانية الكبيرة على محل بقالة لأشترى بعض المعلبات والفاكهة والبسكويت.. وكان كل من بالبقالة من النساء اللائى لا يعرفن من اللغات الطليانية.. ولسوء الحظ لم أر معلبات اللبن الطازج المغلفة بالورق السميك لا بالثلاجة ولا بالصناديق المكشوفة فى معروضات البقالة.

● فقلت لإحداهنَّ: (**من فضلك أعطنى ثلاثة كراتين لبن حليب طازج**). **طبعا بالانجليزية (مِلْك)**.

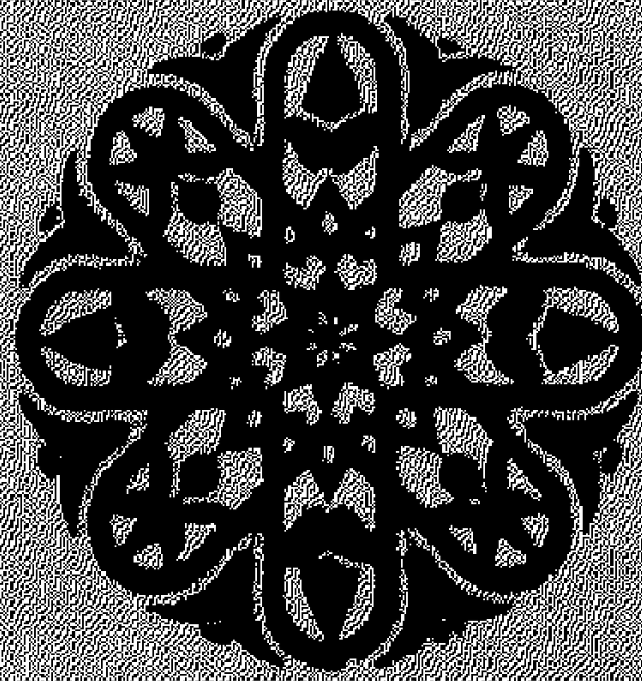
● فصارت تتخبط فى الكلام.. واخيراً أدخلت يدها إلى الثلاجة الكبيرة، وصارت تخرج من كل صنف محفوظ علبة واحدة.. حتى أخرجت كرتون الحليب الذى عليه صورة (**الذئب**) فقلت لها هذا الذى أريد فقالت وهى غاضبة لم لم تقل(لاتِى) بفتح اللام وألف المد ثم التاء المكسورة وهى بالطليانى معناها(حليب) وحروفها الأفرنجية late فقلت لها: لا أعرف لغتك سامحينا من فضلك.

● ثم طلبت منها أن تغلِّف لىَ اللبن بعد ما دفعت لها القيمة.. طبعا بالانجليزية (باك) بفتح الباء الثقيلة ثم الف المد والكاف الساكنة وحروفها وكتابتها back فازدادت غيظا لعدم فهمها الانجليزية.. أخيرا لعبت الاشارة دورها كالصم البكم وللضرورة أحكام.. فقالت: لم لم تقل (كرتا)بفتح الكاف وتسكين الراء وفتح الثاء بعدها الف المد وهى بالطليانية تقابل كلمة(باك)بالانكليزية وحروفها وكتابتها: karta فقلت لها: سأذهب وآتيك بدفتر وقلم لأتعلم منك اللغة الايطالية.

وسرت على عجل.. ولمحطة القطار متجها إلى «سويسرا».

صفحات من التاريخ المحيط بنا
- ١ -

بحث في السياسة القرمطية والعقيدة والعلاقات الاجتماعية والإدارة



يجلوه بقلمه الرصين
الأستاذ عبدالله أحمد الشباط

مقدمة

يعرض هذا الحديث المتسلسل في شمول وتركيز صورة تاريخية للعقيدة والإدارة والسياسة عند القرامطة. كما يكشف عن قصور من علاقاتهم المتلونة وطموحاتهم المدمرة كما أظهرها تاريخهم المصبوغ بظلام الهدم والخروج بأطياف الريبة .. وهذا البحث إذ تقدم خدمة فكرية جديدة عن تاريخ سوآتهم التي أهملها التاريخ فإنه يلقي بعض الظلال - أيضاً - على ما أحدثهم العابرة للأحداث منذ. فلنقرأ ونتابع - فضلاً - هذه الحلقات القيمة التي خص أديبنا الأستاذ عبدالله أحمد الشباط منهله وقراءه بها.



دولة الجنابي

اعتقادهم الدينى

★ كانت عقيدتهم الدينية فى البداية على أساس تبنى الدعوة الإسماعيلية بإثبات الإمامة لأبناء إسماعيل بن جعفر.. ثم تحولت إلى دعوة سياسية تبعتها تحولات مذهبية.. وعقيدة دينية عرفت بعد بالباطنية لأنهم لا يأخذون بظاهر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.. وإنما يقولون لكل ظاهر باطن.. ويعطون كل قول أكثر من تفسير تبعاً للأهواء والمصالح.. ثم تطورت تلك العقيدة إلى الأخذ بما يرونه صالحا من الأديان الأخرى حتى أخذت المبادئ الإسلامية تتحلل شيئاً فشيئاً فلم يبق منها إلا فلسفات الحادية.

● فكانوا يقولون عن البارى عز وجل: لا نقول هو موجود.. ولا لا موجود.. ولا عالم ولا جاهل.. إلى آخر هذه السفسطة الإلحادية.. كما تمكنوا من استخراج تفسير لكل آية يتفق مع أهوائهم وأغراضهم.

وقد تحدث عنهم أبو منصور البغدادى فقال: (الذى صح عندى من دين الباطنية انهم زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الشرائع والرسل لميلهم إلى استباحة ما يميل إليه الطبع).

● والمؤمن الحقيقى لديهم هو من يؤوّل الوحى الإلهى.. أما من يتبع الشرائع المنزلة وأحكامها على ظواهرها فليس إلا كافراً وحماراً..

● هذا مذهب الباطنية الذى دان به القرامطة فى البداية.

★ ولا ننسى ما أرخ عن دخول أبى طاهر القرمطى بيت الله الحرام.. ولن ينسى التاريخ هذه الفعلة الملعونة الشنعاء التى ألبت جمهور المسلمين على القرامطة وأتباعهم ونحلهم.. لذا نجد اسمهم فى كتب التاريخ يكتب مقروناً بالسب واللعن.. لأن الله جعل بيته مثابة للناس كما جعله حرماً آمنا «ومن دخله كان آمنا».

● ومن بطون التاريخ.. لا ننسى أيضاً ما حكي من أنه نما إلى علم الوزير على بن عيسى وزير المقتدر بالله أن رجلا من أهل شيراز على مذهب القرامطة يكاتب أبا طاهر ويزوده بالأخبار فأحضره وسأله عن صحة ما نسب إليه فما أنكر.. وقال نعم.. كنت ولا أزال عضوا من اعضائهم وعونا من اعوانهم.. ولن انفك عن ذلك ما لم يحل الموت بينى وبينهم.. فلما سأله عما يدعوه إلى هذا الإصرار..؟ قال: ما صحبت أبا طاهر إلا لما صح عندى أنه على حق وأنت وصاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم بحق وتقترفون الحرام.. فقال له: هل تدلنى على من يتبع طريقتك من عسكرنا وأنا أطلق سراحك..؟ فقال القرمطى: وأنت بهذا العقل ولك هذه الموازرة والرياسة تطمع فى أن أسلم قوما مؤمنين إلى قوم كافرين يقتلونهم.. لا.. لا أفعل ذلك أبدا.

● ويورد «دى خويه» حديثا منسوبا إلى شخص وقع فى أسر القرامطة قال: تملكنى رجل منهم لا أعرف اسمه ولا مركزه.. فكان يسومنى سوء العذاب ويسبنى لأتفه الأسباب.. ويستخدمنى أعظم خدمة.. ويعربد على إذا سكر.. وفى إحدى الليالى سكر وعربد وسألنى ما تقول فى محمّد (صلى الله عليه وسلم) صاحبكم..؟ قلت: لا أدرى وإنما تعلمنى إياه أيها المؤمن: فأخذ يسب النبى (صلى الله عليه وسلم) ويسب أبا بكر ثم عمر ثم عثمان وأخيرا عليا رضوان الله عليهم أجمعين.. فعلمت أن القوم زنادقة.

● وقد اتهمهم بعض المؤرخين بالاباحية التى تسللت إليهم مع عقائد المزدكية والزرادشتية والمجوسية.

●● هذا وضعهم الظاهر وموقفهم الفعلى من الدين.. فإذا رجعنا إلى آرائهم ومعتقداتهم نجد

● القرامطة أقاموا عقيدتهم الإسماعيلية وتحولتإلى دعوة سياسية مذهبية عرفت فيها بعد بالباطنية.
● تحللت المبادئ الاسلامية فى عقيدتهم، وتحولوا عن ممارسة شعائر العبادة إلى تأويلات بعيدة.
● ليلة الماشوس صورة للهمجية والبوهيمية الحيوانية.
● من مشكلاتهم أن بعض أعمالهم ظاهرها المصلحة العامة وباطنها الكفر.

أن دينهم الذى يتفانون فيه لم يكن سوى الهدف الذى يسعون إلى تحقيقه.

● وهم متفقون مع الشيوعية بأن الغاية تبرر الوسيلة.. ولن تخدعنا تلك الفلسفات الدينية التى يبهرون بها عقول السذج من الناس.. مع بعدها وانحرافها عن جادة الإسلام.. كاعتقادهم أن الله جل جلاله يتجسد فى الامام ليكون الإمام حجة كما قال القرمطى الشيرازى لابد لك من حجة فى ارضه.

● والعبادة لديهم ليست طقوساً تمارس.. وإنما هى فلسفة تنحصر فى عبادة العقل الأعلى لأنهم لا يعترفون بالرسل والشرائع بقدر ما يقدسون إمامهم الذى لم يكن فى الحقيقة سوى القائم بأمرهم.. المتولى لسلطانهم.. فمعنى الصلاة موالاة الإمام.. والحج زيارته وادمان خدمته.. والصوم الامساك عن إفشاء السر.. وإن من عرف معنى العبادة سقط عنه اداؤها.

● وقد ورد فى بعض المراجع ذكر ليلة الامام عند الاسماعيلية.. وليلة الماشوس عند القرامطة.. وهى أنهم يجتمعون فى ليلة من ليالى السنة.. والأرجح أنها الليلة العاشرة من شهر محرم.. فإذا اجتمعوا رجالا ونساءا أطفئت الأنوار وقبض كل شخص على

من بجانبه لممارسة الجنس.. مهما كان محلها منه أو محله منها فى القرابة.. وهذا لعمرى بوهيمية حيوانية لا أكاد أصدقها.. ولولا تواتر ورودها فى كتب التاريخ لما تعرضت لها.. تلك صورة من افعالهم كما أوردها المؤرخون.

● اما آراؤهم التى أشرنا إليها فى أول هذا المقال فيمكننا أن نضيف لها: أنهم يقولون:

[إن القرآن كلام محمد (صلى الله عليه وسلم) لقوله تعالى: «إنه لقول رسول كريم». وما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من معجزات فلها عندهم تفسير غريب.. فنبع الماء كثرة علم الامام.. وطلوع الشمس من مغربها خروج الامام صاحب الزمان.. ويسمون دعاتهم الملائكة.. ومخالفيهم الحمير..]

● وجاء فى كتاب الفرق بين الفرق لأبى منصور البغدادى: أن دعوة الباطنية تتعدد بتعدد طبقات الناس وأصنافهم.. فإن هو يميل إلى الخلاعة والمجون فعليه أن يوافقه ويقول له: إن الادمان فى العبادة بله وحماقة.. وان الفطنة والذكاء فى نيل الملذات وممارستها.. أما من رآه شاكاً فعليه ان يحمله على الاعتقاد بنفى الميعاد والثواب والعقاب.. ويزين له استباحة المحرمات.

● وبناء على ذلك فقد مارسوا بعض الأعمال التى

● كان زعماؤهم إن أرادوا التشاور فى أمر خرجوا إلى الصحراء بدون خدم أو حراس خوفا من أن يكون بينهم جواسيس.
فقد أقاموا نظامهم السياسى على الجاسوسية.
● تتصل القرمطية بالمبدأ الماسونى العالمى اتصالا قويا.
● كانت الأنظمة الاجتماعية القرمطية تطبق بشكل أو بآخر على أولئك الذين ليست لهم جذور قَبَلية.

● مراتب المجتمع عندهم:
شباب = ١٥ـ٣٥سنة
أخيار = ٣٠ـ٤٠سنة
أنصار = ٤٠ـ٥٠سنة
مريدون = اكثر من ٥٠سنة
والغريب أن هذه المراتب

ظاهرها المصلحة العامة بينما باطنها الكفر.. ولعل هذا ما أكسبهم صفة الاباحية.

لكن أهل الاحساء الحقيقيين لم يكونوا مثل القرامطة.. فهذا ابن حوقل قد زار الاحساء ثم زارها من بعده ناصر خسرو الرحالة الفارسى.. وكذلك الرحالة العربى ابن بطوطة فلم يذكر أحد منهم أى شىء عن هذه الاباحية.. والكل منهم يؤكد أن عرى المحبة والثقة بين المؤمنين لازالت قائمة.

● وقد ذكر ابن حوقل أشياء كثيرة عنهم وعن بلادهم ليس فيها ما يمس اخلاقهم.. أما المقّدسى الذى زارهم فيما بعد.. فقد كتب فصلا ليس فيه ذكر لما يسمى بالاباحية وقد ذكر ناصرى خسرو عن أهل الاحساء فى ذلك الوقت (انهم لا يشربون خمراً لا لأنه محرم عندهم.. بل محافظة على النظام).. وقال فى مكان آخر (إنهم كانوا يبيعون لحوم الكلاب والقطط والحمير إلى جانب الفئران والخراف على شرط ان يضع البائع رأس الحيوان وجلده عند لحمه وهم يربون الكلاب فى المراعى حتى اذا سمنت وعجزت عن المشى ذبحوها وأكلوها).

★★★

ولو عدنا إلى الوراء قرنين من الزمان إلى عام ٢٠ هـ عندما دخلت جيوش المسلمين فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حيث جمع مرداويج مرازبة الفرس.. ورهبان المجوس ونصحهم قائلا لهم: اشغلوا عمر فى بلده.. فابتدأت الفتن والقلاقل فى بلاد الإسلام منذ اغتيل سيدنا عمر.

● فإذا قارنا مبادىء القرامطة.. ومبادىء مرداويج لوجدنا أنها تعود إلى جذور تاريخية بعيدة.. وأصول دينية مستخلصة من المزدكية التى ابتدعها مزدك الفيلسوف الفارسى الذى أباح المحرمات والغى الديانات قبل الاسلام والتى تمخضت عن عدة فروع منها: الحزمية التى نادى بها بابك الحزمى والى بنى العباس على أذربيجان وعمل على الاستقلال بهذا الاقليم.. فابتدع لهم هذا المذهب الذى هو خلاصة المجوسية والزرادشتية والمزدكية.. إلّا إنه قتل فيما بعد.. وقد ساعده على نشر هذه الدعوة المضللة حيدر الافشين الذى كان واليا على تركيا وأرضروم.. ومازيار الذى كان واليا على

طبرستان.. فكل هؤلاء الولاة الذين كانوا محل ثقة الخلفاء العباسيين دخلوا فى دعوة بابك وعملوا على نشرها.. لذلك كان موقفهم من الدعوات المناهضة للدعوة العباسية موقف التأييد والتشجيع.. وخلاصة اعتقادهم الدينى اوردها عدد من المؤرخين فى قصيدة منسوبة إلى ابن فضل:

خذى الدف يا هذى والعبى
وغنى هزاريك ثم اطربى
تولى نبى بنى هاشم
وهذا نبى بنى يعرب
لكل نبى مضى شرعة
وهذى شريعة هذا النبى
فقد حط عنا فروض الصلاة
وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضى
وإن صاموا كلى واشربى
ولا تطلبى السعى عند الصفا
ولا زورة القبر فى يثرب
ولا تمنعى نفسك المعرسين
من الأقربين مع الأجنبى

● فإذا قارنا هذه الأقوال وتلك الأفعال.. وما لها من جذور فى المزدكية وفروعها التى أشرنا إليها وجدنا أنها تتصل اتصالاً قوياً بالمبدأ الماسونى الذى دعا اليه اليهود عام ٤٠ ق.م.

النظام الإدارى

من المعلوم أن مؤسسى الدولة القرمطية والداعين لها كانوا من عامة الناس البسطاء الذين استهوتهم الدعوة الاسماعيلية (الباطنية) فانساقوا خلفها.. فحمدان قرمط لم يكن سوى أكار بسيط.. وكذلك أبو سعيد الجنابى كان يعمل فى ترقيع الأكياس.. لذلك لم يكن لأبى سعيد هذا أى رصيد شعبى سوى رصيد الدعوة التى رأى أنه لا يمكن التفريط بها لئلا يضيع فتمسك بها وأخذ يطبق ما يتلاءم منها مع مصالحه.. ولذلك حرص على أن يجمع حوله عدداً من الأعوان الذين اطلق عليهم اسم السادة وسلم لهم أمور البلاد ما عدا قيادة الجيش.. فى الحرب والغزو.. فإنها كانت بيد أبى سعيد نفسه.. ولم يكن لأى من أعضاء مجلس السادة أية مميزات.

وكان مجلس السادة مكونا من اثنى عشر عضواً.. ستة ملوك من أبناء أبى سعيد وأحفاده.. وستة وزراء يختار كل واحد من الملوك وزيراً.. وفى أثناء الجلسات كان الملوك يجلسون على تخت عال والوزراء خلفهم يمدونهم بآرائهم وتوجيهاتهم.. وكانت رئاسة المجلس لأبى سعيد.. فان غاب فلوزيره حق الرئاسة..

● وقد ظل هذا النظام معمولا به حتى نهاية الحسن الأعصم.. فلما مات أصبح المجلس بدون رئيس.. وكانوا إذا أرادوا التشاور فيما بعد يخرجون إلى الصحراء بدون خدم أو حراس خوفاً من أن يكون بينهم جواسيس فيناقشون امورهم ويقررون ما يعزمون عليه.. ثم يعودون لتنفيذه.

● وقد تحدث ناصرى خسرو باسهاب عن هذا المجلس.. إلاّ أنه لم يذكر أن للمجلس رئيساً حين قام برحلته إلى الاحساء.. وقد أشار بعض المؤرخين إلى اشاعة الأموال بينهم لكن خسرو لم يذكر شيئا عن ذلك.. وانما أورد أن الأراضى كانت مشاعة لمن يريد الاستفادة من زراعتها بمساعدة مجلس السادة.

● أما التجارة فقد كانت بيد الحكومة.. فهى التى تتولى التصدير والاستيراد وتبيع على الشعب وتشترى منه.. ولم يلاحظ خلال إقامته بينهم أنهم جلدوا أو قطعوا أو قتلوا فى الحدود.. أما لأن الناس كانوا مشغولين إلى درجة انهم اصبحوا فى غنى عن ارتكاب الجرائم.. أو لأنهم لا يريدون إقامة الحدود والتمسك بالشريعة:

ولخوفهم من الغزاة.. ومداهمة القبائل.. فقد

بنى أبو طاهر مدينة الاحساء واحاطها بأربعة اسوار بين كل سور وآخر فرسخ . . لأن الأعداء صاروا يحيطون بهم من كل جانب . . العباسيون فى العراق . . والفاطميون فى الشام ومصر . . والزياديون فى عمان .

● ويحدثنا ناصر خسرو عن نظامهم : (كان فى الاحساء أكثر من عشرين الف محارب . . ولما توفى أبو سعيد الجنابى انتقلت الحكومة إلى مجلس شورى مكون من ستة أعضاء من الدعاة . . كانوا يحكمون بالعدل والانصاف . . وكان لهذه الحكومة ثلاثون الف عبد زنجى يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين .

● ويصف بندلى جوزى هذه الحكومة بقوله : (**كانت هيئة الحكم فى البحرين أقرب إلى حكم الجمهورية الروسية فى الوقت الحاضر . . يرأسها مؤسس الجمهورية ما دام حيا . . فاذا مات تولى الأمر أعوانه المقربون**) .

النظام الاجتماعي

لم يتعرض أبو سعيد ولا خلفائه من بعده للنظام القبلى الذى كان سائداً فى جزيرة العرب . . فلقد احتفظت القبائل بوحدتها العرقية والاقليمية دون المساس بحقوقها . . وكانت الأنظمة الاجتماعية القرمطية تطبق بشكل أو بآخر على أولئك الذين ليست لهم جذور قبلية كالسودان الذين يجلبون للخدمة أو الغرباء الذين يفدون للارتزاق والكسب . . وعلى أولئك الذين ينتمون إلى أصول فارسية . . لأن هؤلاء أسهل تطبيقاً . . وأسرع استجابة من غيرهم .

وكما قلنا أثناء الحديث عن اعتقادهم أنهم لم يقيموا جمعة ولا جماعة . . بدليل عدم وجود جامع . . فلم يشتهر اسم إمام . . أو قاض للشرع يقوم بالفتوى وإنما كان الرئيس هو الذى يتصدر للأحكام والتشريع والبت فى القضايا . . وتبعاً لذلك فقد منحوا مواطنيهم حرية شخصية لا حدود لها شريطة ألا تمس عقيدتهم (الباطنية) ولا تسىء إلى رؤسائهم فأباحوا كل محظور .

● وكان دور العلماء أن يرشدوا الناس فى مجالس عامة حسبما تمليه الدعوة القرمطية عن سير أبطالها ودعاتها . . وامامها المستور الذى اتخذوه وسيلة لابتزاز عقول العامة . . إلا أنه لا يوجد من المراجع ما يمكن الرجوع اليه إلا كتب الاسماعيلية والفاطمية وهى لا تتحدث بشىء من التفصيل عن قرامطة الاحساء .

النظام الأسري

وكانت المرأة فى المجتمع القرمطى تشارك مشاركة فعالة فى الأعمال البعيدة عن السياسة . . أو الجيش . . وكان السفور عاملا مهما من عوامل مشاركة المرأة لأنهم يقولون : انه لا يجوز أن يحجب المؤمن امرأته عن اخوانه . . حيث استخدم ذلك السفور استخداما اجتماعياً . . إذ أصبحت النساء يشاركن فى تنمية موارد الدولة إلى حد أن المرأة كانت تغزل فإذا اجتمع لها شىء من الغزل سلمته للامام .

والبغاء مسموح به للجوارى المملوكات كما كان فى الجاهلية . . أما إذا مارسته إحدى بنات الاشراف فإنها تقتل بهدوء ويخفى أمرها .

● وقد حدث المؤرخون أن القرامطة يجتمعون فى ليلة العاشر من محرم ويسمونها «ليلة الإمام» أو «ليلة الماشوش» رجالا ونساء . . فإذا أطفئت الشموع أخذ كل واحد من بجانبه من النساء وبالعكس . . وقد حكى ابن مالك أن أحدهم مد يده للتى بجانبه فإذا هى عجوز شمطاء . . فحاول الهروب منها إلّا أنها تمسكت به وقالت لا بد من حكم الامام .

● والزواج يتم بأن يختار طالب الزواج الفتاة التى يرغبها . . ومن ثم عليه أن يطلبها من الرئيس . . فإذا كان كفؤا لها من حيث النسب والشرف زوجه بها حتى وإن كان وليها غير راض بهذا الشخص أو إن كانت

هى غير راغبــة فى الـزواج . . فإن لم يكن كفؤا لها اختاروا له زوجة أخرى .

● وقد برزت فى العهد القرمطى أربع نساء من الدعاة هن: رقيــة بنت زكـرويه . . ليلى بنت الجنانى . . عليـاء بنت رضوان . . وسعدى بنت دندان . . وفى اليمن رباب بنت على الهمذانى .

★★★

ولم يكن يسمح للأغراب وأبناء البادية بدخول البلد بأسلحتهم بل كانت تؤخذ منهم عند المداخل خوفاً من الفتنة واضطراب الأمن .

ثم عمدوا إلى تحرير العبيد الذين كانوا فى حوزة المتنفذين والرؤساء والتجار وجمعوهم مع السبايا . . فكونوا منهم شعباً يدين لهم بالولاء .

وكان المجتمع القرمطى مقسما إلى أربع طبقات :

الشباب : الذين تترواح أعمارهم من ١٥ـ٣٥ وعرفوا بصفــاء نفــوسهم وســرعــة الفهم والتصـور . . ويدعونهم (الإخوان الأبرار الرحماء) .

الأخيار : وهم فى سن ٣٠ـ٤٠ الذين يتلقون الحكمة ومهمتهم مراعاة الأخوان وتوجيههم والعطف عليهم .

الأنصار : وهم فى سن يتراوح ٤٠ـ٥٠ وهم أصحاب الأمر والنهى ونصر الدعوة ودفع المعاندين .

المريدون : وهم من يزيد سنهم عن خمسين سنة حيث يكـونـون فوق الناموس والطبيعة ويكون منهم من يستطيــع ان يكشف أحــوال القيامــة من البعث والنشـور والحساب . . وتأخذ درجتهم فى الارتفاع من المــريـدين إلى المعلمين . . إلى القـادة . . ثم المقربين إلى الله .

والجدير بالذكر أن هذه المراتب خاصة بالرجال دون النساء .

● وفى الواقع أن الحركة القرمطية فى أكثر مراحلها أداة هائلة من أدوات التغيير الاجتماعى وزعزعة أركان المجتمع وإزالة رواسبه وتفكيك روابطه . . كما أن لها جاذبية قوية تهفو بنفوس بعض الناس فتدفعهم إلى المخاطرة والمجازفة والاتيان بغرائب الأفعال فى طاعة عمياء واستسلام مطلق مكن لأبى سعيد وأبنائه من تكوين دولة ذات كيان مستقل سياسياً واجتماعياً ودينياً . .

● وكانوا يقولون : أن العامل المأجور فى مجتمع يقوم أساسه على نظام الأجور يبقى أبداً تحت رحمة مخدومه سواء كان فرداً أم جماعة أم دولة مهما قلت ساعات العمـل وزيـدت أنصبة الربح . . وهكذا استهووا فئات العمال للانضمام إلى دعوتهم . . وتأييد مبدئهم .

العلاقات السياسية

ما دمنا تحدثنا عن تاريخهم السيـاسى حسب تسلسل الأحداث . . فإن ذلك يربطنا بالحديث عن علاقاتهم السياسية بجيرانهم . . علماً بأن سياستهم الخارجية العامة قامت على أساس ترويع الجميع والاستفادة من كل نقطة ضعف . . مستغلين الدعوة الاسـماعيلية . . والتشيع فى الظاهر لكسب عطف الفـاطميين فى الخارج وعطف الشيعة فى الداخل والخارج . . فلما تمركزوا وقوى نفوذهم ضربوا بكل تلك المبادىء والدعوات عرض الحائط . . ونستطيع أن نستطلع ذلـك من خلال علاقـاتهم بالدول كل حسب أهميته .

علاقتهم بالدولة العباسية

من البديهى أن الدعوة الاسماعيلية قامت لمناهضة الدولة العباسية فى بغداد . . ولذلك فإن موقف بنى العباس لم يكن ودياً فى يوم من الأيام بالنسبة لهذه الـدعوة ولمن يروجون لها مما اضطرهم إلى التستر حتى اكتسبت الشعبية التى أمدتها بالقوة للظهور فى عدة أمـاكن . . اليمن . . المغرب . . البحـرين . .

فارس . . وأصبح كل فرع من هذه الفروع يشكل عبء على الدولة العباسية التى لم تكن فى أحسن حالتها .

● فبالنسبة للاسماعيلية فى فارس والعراق استطاعت الدولة أن تكبح جماحهم وتقضى على حركاتهم . . أما فى اليمن فان أهل اليمن أنفسهم لم يكونوا على استعداد لتقبل مثل هذه الدعوة أو التعاون معها . . ولــذلــك فقد انقلبوا على ابن حوشب فى أول فرصة . . أما فى المغرب فإن بعد الشقة عن مركز الخلافة ووجود عدة جبهات تقاوم الخلافة العباسية أفسح المجال أمام أبى عبد الله الشيعى الذى وجد أرضاً خصبة لبذر بذور الدعوة التى انتجت فيها بعد الدولة الفاطمية فى أفريقيا .

● أما قرامطة البحرين فإن ما يميزهم عن غيرهم أنهم أقرب المواقع إلى عاصمة الخلافة ويشتركون مع الدولة فى حدود مشتركة وسواحل وموانى هامة . . وهذا مكنهم من الاغارة على البصرة والكوفة وبغداد فى كثير من الأحيان وفرض الأتاوات ومصادرة الأموال .

● وكان وجود دولة القرامطة شوكة فى صدر الدولة العباسية التى كانت تقاوم وتحاول كسر تلك الشوكة إلّا أن جواسيس القــرامطــة وعيـونهم فى حاضـرة الخلافة كانوا دائما يحبطون تلك الخطط . . ويدلون القـرامطـة على عورات الحكومة المركزية فى بغداد لتحديد ساعة الهجوم . . ولكن الجيوش التى كانت تبعث بها لقتال هؤلاء الخوارج كانت تمنى بالفشل الـذريـع . . فاكتفى الخلفـاء بالقبض على أنصـار القـــرامطـة أو من ينتمى إليهم ممن يحمـل خواتيم القرامطة التى يعملها لهم الكعكى من الطين مكتوب عليها : محمد بن إسماعيل الإمام المهدى ولى الله . . أو أن تهدم مسجـدا من مسـاجدهم كمسجد (براث) كانوا يجتمعون فيه ويسبون الصحابة . . فلما تمكنوا وفـرضـوا وجودهم وبلغ الضعف بدولة العباسيين مبلغـه أصبـح لهم نائباً فى بغداد يجمع لهم الأموال ويمدهم بالأخبار .



علاقتهم بالبويهيين

لقد أصبح الخلفاء العباسيون فى وضع لا يحسدون عليه من كثرة ما يتلقونه من الانتفاض فى الخارج والزعزعة فى الداخل مما اضطرهم إلى الاستعانة ببنى بويه الذين تسلطوا فسيطروا على مقاليد الأمور حتى أنه لم يبق للخليفة العباسى إلا الاسم.. وهنا دخلت علاقات القرامطة ببغداد مرحلة جديدة تتصف بالعلاقات الحميمة إلى حد أن معز الدولة بختيار ساعد القرامطة على غزو الشام.. وان جعفر أحد أحفاد أبى سعيد الجنابى استعان بالبويهيين لملاقاة جيوش الفاطميين سنة ٣٦٨ وكذلك أبو بكر ابن شاهويه ممثل القرامطة فى بغداد أحتل الكوفة باسم السلطان عضد الدولة.

● وقد استمرت هذه العلاقات الطيبة إلى سنة ٣٧٦ إذ رأى صمام الدولة أن هؤلاء القرامطة قد تعدوا حدودهم بجيش فرق شملهم وكسر شوكتهم وأعادهم إلى قواعدهم.. فى حدود لم يتعدوها حتى انتهى أمرهم.

علاقتهم بالفاطميين

أشرنا سابقا إلى أن القرامطة فى الأساس جزء من الدعوة الاسماعيلية.. بل عضد من أعضادها القوية لأن وجود القرامطة فى البحرين أشغل الخلافة فى بغداد عما يجرى فى المغرب.. مما أفسح المجال أمام أبى عبد الله الشيعى أن يقطع شوطاً بعيداً فى الدعوة العبيدية بعيداً عن الخلافة العباسية حتى استطاع احتلال المغرب وتأسيس الدولة الفاطمية.. لذلك لبسوا شعار الفاطميين فى بادىء الأمر وصاروا يتلقون التوجيه منهم.. غير أنهم عندما استقامت الأمور للفاطميين فى مصر اكتشفوا أن الدعوة الدينية



والتشيع التى كان ينتحلها العبيديون ما هى إلا غطاء لمطامع سياسية.. وان مظاهر الزهد والقناعة سرعان ما تكشفت عن زيف المظاهر.

اكتشفوا حينذاك أية بلاهة غشيتهم وهم يتحمسون لتلك الدعوة ويقاتلون من أجلها لأنهم كما يصفهم المستشرق الهولندى (دى خويه) «انى مع ما أعرفه عن تلك السنن الشيطانية التى سنها ابن القداح للاسماعيلية اعتقد اعتقاداً راسخاً أن القرامطة وعلى الأخص قرامطة البحرين كانوا يعملون على اعتقاد متين بأنهم إنما يخدمون عملا طيباً.. وتتكشف لهم الحقيقة فيعلنون التمرد والعصيان فى البداية.. ثم تطورت الأمور حتى غزوهم فى عقر دارهم فاحتلوا الشام.. وأرادوا احتلال مصر لولا خيانة جعفر بن فلاح لهم.. وهنا بدأت مرحلة جديدة هى مرحلة العداء التام وإعلان حالة الحرب بين الفريقين».

الشاعر أبو الـ



في هذا البحث يقدم كاتبنا واحداً من رجالات جازان - المنطقة المعطاء في رصيد الأدب والفكر، ينتمي إلى القرن الخامس الهجري... فيكشف عن بعض الغموض في نسبه.. ويحيل إلى بعض مصادر البحث عنه.. ويفتح - في النهاية - باباً نلج منه إلى أبعاد تلك الشخصية في تاريخنا الأدبي.

يقول إبن خلكان فى ترجمته (وهذه النسبة إلى تهامة وهى تنطلق على «مكة» ولذلك قيل للنبى ﴿ﷺ﴾ تهامى . . وتنطلق أيضا على جبال تهامة . . وهى خطة متسعة بين الحجاز وأطراف اليمن ولا أعلم نسب الشاعر إلى مكة أم اليها) .

لقد لفت نظرى الأخ الأستاذ محمد زارع عقيل قبل عشر سنوات تقريبا عندما تحصل على ديوانه وأعارنى إياه مشكوراً قائلا : قد يكون هذا الشاعر من منطقتنا فإنى أشتم من رائحة شعره نسمات مخلاف منطقة جازان . . فأخذت فى البحث والاستقراء عن هذا الشاعر وهل يوجد له قريب من الشعراء أو الأدباء ورد اسمه فى التاريخ ، أو أسرة لا تزال تحتفظ بهذا الاسم فى المنطقة .

إن تهامة إذا أخذنا بمنطوق هذه التسمية الواسعة المجال فإنها تشمل السهول المحاذية للبحر الأحمر من العقبة فى عَمّان شمالا إلى عدن فى

علي بن محمد التهامي

(نسبة إلى تهامة)

الجمهورية العربية اليمنية الجنوبية ـجنوباـ والتقسيم المصطلح عليه جغرافياً هو أن يضاف كل قسم إلى ما هو أعلاه فيقال : تهامة الحجاز ـ تهامة عسير ـ تهامة اليمن . . وهنا نحار إلى أي قسم من تهامة ننسبه .

إلا أن الحيرة لا تستمر طويلاً فيهدينا البحث إلى ما يأتي :

١ـ في سنة ٤٦١هـ ـ ١٠٦٨م سار الملك أحمد المكرم الصليحي لمطاردة الملك جياش بن نجاح فوصل إلى «هجر»(١) فوجد أن «جياش» قد فاته وانه لا سبيل إلى إدراكه وفي عودته من هجر وصل إلى الساعد، فأنشده الشعراء مهنئين ومنهم الشاعر أحمد بن علي التهامي الذى مدحه بقصيدة غراء منها الأبيات الآتية :

نفضت غبار العار عن ثوب يعرب
وقد سحبت أعطافه كل مسحب

بشعواء في (صنعاء) قرع طبولها
وريعانها بـ(العرق) دون المحصب

أدرت على درب الحُصيب مع الضحى
رحى ذات قطب حاشدي ولولب

فأضحوا على الأبواب صرعى كأنهم
قبائل عاد في الصباح المعصبب

وجيئت وأم المؤمنين وسربها
كـ(زينب) يوم (الطّف) حول المخضب

حماها الذى أعطاك ملكا كما حمى
بنات على مسوخ وأكلب

فان ذكرت بالفجر يوما نسابها
قريش كـ(عمرو)أو كـ(عيسى)بن مصعب

أو الخرق (عتاب) أو القرم خالد
أو الشهم (مروان) الخطيب المهذب

واخواننا الازد اليمانون ان اتوا
بغر بنى الايام آل المهلب

أتينا بذى السيفين أحمد انه
يفوق على الحيين أد ويعرب

لقد طالهم فخرا ومجدا ونجدة
كما طال (كيوان) على كل كوكب

أليس نظام المؤمنين وملكهم
أبوك وان الفخر للمتسبب

وامك بنت القيل من آل جعفر
فناهيك من أم وناهيك من أب

فدم لبنى قحطان يا رأس عزهم
ومهيعهم في الحادث المتصعب

● إن هذه المنطقة المعطاء ـ منطقة جازان ـ المعروفة تاريخيا باسم المخلاف السليماني أنجبت الأعداد الوفيرة من العلما والأدباء والمفكرين.

● البحث في تاريخ أعلامنا في الأدب والفكر يقود حتما إلى مزيد من المعرفة عن بيئتهم والملابسات التاريخية التي سادت عصرهم مما يعمق درسنا من الماضي ووعينا بالحاضر.

٢ـ إن اسم هذا الشاعر أحمد واسم أبيه علي التهامي فإذا عرفنا أن الشاعر أحمد بن علي التهامي قتل سنة ٤١٦ فيكون قد مر على قتله ٤٥ عاماً، ومن المعقول أن يكون ابناً للشاعر في ذلك التاريخ هو في عمر السابعة والاربعين أو الخمسين.

● *والذي يترجح لي أن اتفاق الاسم المضاف إلى اسم الابن مع النسبة ـ التهامي ـ وموافقة تاريخ سن الشاعر الابن ـ بالنسبة إلى تاريخ وفاة الشاعر الأب كل ذلك يؤيد أن أحمد بن علي التهامي هو ابن الشاعر أبو الحسن علي بن محمد التهامي.*

● يضاف إلى ذلك أن (الساعد) هي من مدن المخلاف السليماني، وفوق ذلك بأنه يوجد إلى هذا التاريخ جماعة من بني حمد يطلق عليهم اسم آل التهامي وبلاد بني حمد في جنوب المخلاف السليماني ـ منطقة جازان ـ الذي لا يبعد عنها الا بمسافة قريبة نسبيا عن موقع مدينة الساعد التاريخية(٢).

●● كيف رحل الشاعر الاب؟

ليس تحت أيدينا ما يوضح كيفية سفر الشاعر من وطنه إلى الحجاز ثم إلى مصر. وكل ما وقفنا عليه هو أن الشاعر وصل إلى الديار المصرية مستخفيا برسائل من حسان بن مفرج الطائي الثائر في الرملة من فلسطين على خليفة مصر الحاكم بأمر الله ليسلم تلك الرسائل إلى قبيلة (بني قرة) ليحرضهم على الثورة ضد الحاكم بأمر الله فظُفر به. وعندما سئل قال انه من بني تميم فلم تنطلي على من ظفروا به الحيلة فسيق إلى القاهرة وأودع السجن في ٢٦ ربيع الآخرة سنة ٤١٦ ثم قتل سراً في سجنه في ٩ جمادى الأولى من السنة المذكورة.

●● وما أشبه الليلة بالبارحة.

بعد ١٣٣ عاماً تقريبا رحل نفس الرحلة الشاعر عمارة اليمني الشاعر المخلافي المشهور إلى الحجاز ثم سار إلى مصر يحمل رسالة من أميرها إلى الخليفة العاضد.. ولم تكن الرسالة للاثارة والتحريض وإنما هي رسالة وفادة وتفاوض فلقي الاقبال والحفاوة وعاش في مصر حيناً من الوقت متكسبا بشعره إلى أن زالت الدولة الفاطمية على يد (صلاح الدين) فتآمر مع بعض المخلصين للخلافة الزائلة فقبض عليهم ومنهم عمارة فشنقوه كما هو معروف في التاريخ.. فعمارة هو الشاعر الثاني من منطقة المخلاف السليماني الذي يلقى مصرعه في مصر.

● إن هذه المنطقة المعطاء ـ منطقة جازان ـ المعروفة تاريخياً باسم المخلاف السليماني أنجبت الأعداد الوفيرة من العلماء والأدباء والمفكرين ومع وفرتهم وتخليد آثارهم، التي جُلها في المخطوطات لم يشهر منهم على مستوى العالم العربي إلا أبو الحسن على بن محمد التهامي ثم عمارة اليمنى فقط.. وقد وفق الله وكتبنا وألفنا عن عدد وفير منهم، ومنهم عمارة وابن هتيمل والجراح بن شاحر والحسن بن أحمد عاكش والبهاكلة وغيرهم ممن ينوف عدد على العشرات.. وها نحن الآن نستعين بالله ونقدم هذا الشاعر الذى هو معروف لكل من اطلع على الآداب العربية ولو لم يكن له من الشعر المشهور المتداول على مستوى العالم العربى الا قصيدته الخالدة:

حكم المنية فى البرية جارى
ما هذه الدنيا بدار قرار

لكفاه مكانة وشهرة. وإنما الذى يعنينا فى هذه الكلمة هو ما أسفر عنه التحرى والبحث من ترجيح انه من منطقة جازان، وهذا مما يزيد فى رصيدها الفكرى والأدبى.

● لقد ترجم له فى أشهر كتب الأدب مثل تتمة اليتيمة جـ١ ص٣٧ والنجوم الزاهرة جـ٤ ص٢٦٣ وعبر الذهبى جـ٣ ص١٢٢ كما ترجم له ابن خلكان فى جـ٣ ص٣٧٨ وبركلمان فى التكملة جـ١ ص١٤٧ وغيرهم وإنما لم يشر أحد إلى ما أشرنا إليه ـ حسب علمى ـ من بنوته لهذه المنطقة.. وقد يكون استنتاجنا هذا يلقى الضوء لدراسة حول هذا الشاعر تَقِرُّ ما توصلنا إليه أو تخالفه فالعلم أوسع من أن يحيط به شخص أو أشخاص.

● للشاعر التهامى ديوان شعر صغير مطبوع يقول عنه ابن خلكان: (أكثره نخب) ونورد هنا مختارات من بعض قصائده مثل:

قلت لخلى وثغور الربا
مبتسمات وثغور الملاح
أيهما أحلى ترى منظرا
فقال: لا أعلم، كل أقاح

وقوله فى المديح:

أعطى وأكثر فاستقل هباته
فاستحيت الأنواء وهى هوامل
فاسم السحاب لديه وهو كنهور
آل وأسماء البحور جداول

ومن غزله الرقيق من قصيدة طويلة قوله:

كم قلت اياك الحجاز فانه
ضريت جاذره بصيد أسوده
وأردت صيد مها الحجاز فلم يسا(م)
عدك القضاء فصرت بعض صيوده

ومن شعره:

بين كريمين مجلس واسعْ
والود حال يقرب الشاسع
والبيت إن ضاق عن ثمانيةٍ
متسع بالوداد للتاسع

وله بيت بديع من جملة قصيدة وهو:

وإذا جفاك الدهر وهو أبو الورى
طراً فلا تعتب على أولاده

(١) بلدة هجر ومدينة الساعد من المخلاف السليماني راجع كتابنا المعجم الجغرافى مادة (س) ومادة (هـ).

(٢) راجع تحقيقاتنا عن الساعد فى كتابنا المعجم الجغرافى ص ٢١٣ الطبعة الثانية.

المنظمة العربيّة للدّفاع

نشأة المنظمة

سبق لجامعة الدول العربية أن أنشأت سنة ١٩٥٢م بناء على طلب الامم المتحدة، مكتبا عربيا متخصصا فى شؤون المخدرات ألحق بالامانة العامة للجامعة وعهد اليه بالاشراف على تنسيق التعاون بين أجهزة الأمن العربية والأجهزة الدولية فى مجال مكافحة المخدرات، مما يشجع عددا من الدول العربية إلى التفكير في توسيع نطاق عمله بحيث يؤدى إلى انشاء منظمة عربية تقوم بتنسيق التعاون العربى فى مجال مكافحة المخدرات بجميع أشكالها.

وهكذا خرجت إلى الوجود «**المنظمة العربية للدفاع الاجتماعى ضد الجريمة**» بموجب القرار الذى اتخذه مجلس جامعة الدول العربية رقم ١٦٨٥ بتاريخ ١٠ ابريل/نيسان ١٩٦٥م والذى صادق فيه على الاتفاقية المنشئة للمنظمة. وقد ارتفع عدد الدول العربية المنضمة إلى المنظمة تدريجيا إلى أن بلغ سنة ١٩٧٥م ثمانى عشرة دولة.

وكان من أهم نتائج اكتمال عضوية الدول العربية فى المنظمة إعادة النظر في اتفاقيتها الأولى التى اعطت للمنظمة طابعا شرطيا إذ حددت اغراضها فى «العمل على دراسة أسباب الجريمة ومكافحتها ومعاملة المجرمين وتأمين التعاون المتبادل بين الشرطة الجنائية فى الدول العربية ومكافحة المخدرات.

وبتاريخ ١٩٧٦/٩/٩م وافق مجلس جامعة الدول العربية، بقراره رقم ٣٥١٢، على الاقتراح الذى تقدمت به الجمعية العامة للمنظمة والرامى إلى تعديل الاتفاقية المنشئة للمنظمة. وبموجب هذا التعديل اتسع نطاق عمل المنظمة حيث نصت المادة الأولى من الاتفاقية بعد تعديلها بأن الغرض من انشاء المنظمة هو «**توثيق التعاون بين الدول الاعضاء بهدف الوقاية من الجريمة ومكافحتها ومعالجة آثارها وذلك فى المجالات التشريعية والقضائية والاجتماعية والشرطية، وفي مجال المؤسسات العقابية والاصلاحية والتهذيبية**».



● **لا تقف دراسات المنظمة عند حد دراسة أسباب وعوامل الجريمة والانحراف.. بل تتعدى ذلك إلى استنباط طرق الوقاية والعلاج.**

الاجتماعي ضد الجريمة



وترتب عن هذا التعديل الأمور التالية:

أ ـ تدعيم أمانة المنظمة بحيث أصبح لها كيان مستقل واختصاصات محددة.

ب ـ التركيز على النواحي التخصصية فى عمل مكاتب المنظمة التى أصبحت بمثابة أجنحة فنية تعمل تحت إشراف أمين عام المنظمة.

ج ـ جعل الجمعية العامة الجهاز الموجه للمنظمة وإعطاء المجلس التنفيذى دورا أكبر مما كان عليه.

د ـ تأمين نوع من الاستقلالية لمكاتب المنظمة فى مجال ممارسة أنشطتها العلمية والاجرائية وذلك فى إطار السياسة العامة التى ترسمها الجمعية العامة وقواعد التنسيق بين أجهزة المنظمة التى تنفذ باشراف أمين عام المنظمة.

اجهزة المنظمة

تتكون المنظمة من عدد من الاجهزة حددت اتفاقية المنظمة اختصاصاتها وتشكيلها ومقر كل منها وطريقة عملها، وهى:

الجمعية العامة

● تتألف الجمعية العامة من مندوبى الدول الأعضاء الذين غالبا ما يمثلون اجهزة العدالة والأمن والشؤون الإجتماعية. وتختص الجمعية العامة «بوضع السياسة العامة التى تسير عليها المنظمة، وتخطيط ومتابعة برامجها وأنشطتها، ومراقبة أعمالها الفنية والمالية والإدارية.

المجلس التنفيذى

يتكون المجلس التنفيذى من خمسة أعضاء تختارهم الجمعية العامة من مرشحى الدول الاعضاء لمدة سنتين، ويختص بالعمل على تحقيق أهداف المنظمة ومتابعة أعمالها لا سيما: النظر فى مشروع موازنة المنظمة قبل عرضه على الجمعية العامة، واقتراح الوسائل اللازمة لحسن سير العمل فى المنظمة ودعم أنشطتها، وتنظيم التعاون بين المنظمة وبين الأمانة العامة لجامعة الدول العربية وغيرها من الهيئات والمنظمات العربية والدولية.

الأمانة العامة للمنظمة

● تتكون أمانة المنظمة من الأمين العام الذى تنتخبه الجمعية العامة لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، ويعاونه عدد من الموظفين الفنيين والخبراء والاداريين وتقوم الأمانة بتنفيذ خطة العمل التى يضعها الأمين العام الذى يتولى تمثيل المنظمة وادارة اعمالها والاشراف على مكاتبها المتخصصة واعداد الخطة الانمائية لها والاشراف على تنفيذها، واعداد مشروع الموازنة وبرنامج العمل السنوى، ومتابعة تنفيذ القرارات والتوصيات الصادرة عن الجمعية العامة والمجلس التنفيذى، وغير ذلك من المهام المنصوص عليها فى اتفاقية المنظمة.

المكتب العربى لمكافحة الجريمة

● يقوم المكتب باجراء الدراسات والبحوث العلمية المتعلقة باسباب الانحراف والجريمة وسبل الوقاية منها ومكافحتها، واقتراح الانظمة الملائمة للمؤسسات الاصلاحية والعقابية. ويقدم خدماته للدول الاعضاء، وبصفة خاصة أجراء البحوث الجنائية والأجتماعية التى تطلبها، وأعداد الباحثين والاخصائيين فى مجال مكافحة الجريمة.

سمو الأمير أحمد بن عبد العزيز

الأمن والسلامة اللذان تنعم بهما المملكة حققهما تطبيق الشريعة الاسلامية

مفهوم الاسلام جنبنا انحرافات ومشكلات اجتماعية عديدة

لا يمكن فصل التنمية المادية عن التنمية الاجتماعية والثقافية

في المؤتمر الدولي لابحاث الوقاية من الجريمة

المكتب العربي للشرطة الجنائية

● يتولى المكتب ضمان وتدعيم التعاون بين الاجهزة الشرطية العربية في مجال مكافحة الجريمة، ويقدم المعونة التي تطلبها الدول الأعضاء من أجل تدعيم وتنمية الدراسات الشرطية.

المكتب العربي لشئون المخدرات

● يتولى المكتب متابعة الأجراءات والتدابير الخاصة بمكافحة المخدرات وتنفيذ الاتفاقات الدولية المتعلقة بالمخدرات. كما يعمل على تنسيق الجهود التي تبذلها الدول الاعضاء والهيئات والمنظمات الدولية في هذا المجال.

شعب اتصال المنظمة

● تتكون شعب اتصال المنظمة من الأجهزة المتخصصة التي تعينها كل دولة عضو، والتي تقوم بمهمة شعبة الاتصال بين هذه الدولة والمنظمة. كما تتعاون كل شعبة اتصال مع بقية الشعب في الدول الأعضاء من أجل أهداف المنظمة.

أنشطة المنظمة في المجالات الأمنية

أ ـ مؤتمرات وزراء الداخلية العرب:

اقتناعا من المنظمة بأن الأمن العربي يُعَدُّ شرطا ضروريا لكل تقدم ولنجاح مجهودات التنمية على اختلاف مستوياتها، ولكون وزراء الداخلية يمثلون قمة المسؤولية عن الأمن فقد سعت المنظمة إلى عقد لقاءات فيما بينهم، وتوجت جهودها بانعقاد:

ـ المؤتمر الأول لوزراء الداخلية العرب الذى عقد بالقاهرة ما بين ٢١ـ٢٢ سبتمبر ١٩٧٧م.

ـ المؤتمر الثانى لوزراء الداخلية العرب الذى عقد ببغداد ما بين ٣ـ٤ اكتوبر تشرين أول ٧٨م.

ـ المؤتمر الثالث لوزراء الداخلية العرب الذى عقد بالطائف ما بين ٢٦ ـ٢٨ أغسطس آب ١٩٨٠م حيث تقرر تحويل مؤتمرات وزراء الداخلية إلى مجلس دائم أطلق عليه اسم «مجلس وزراء الداخلية العرب».

ـ المؤتمر الطارىء لوزراء الداخلية العرب الذى عقد بالرياض بتاريخ ٢٢ فبراير ـ شباط ١٩٨٢م حيث تم اقرار النظام الاساسى لمجلس وزراء الداخلية العرب (عقد المجلس دورته الأولى بالدار البيضاء/ المملكة المغربية ما بين ١٣ـ١٥ ديسمبر/ كانون أول ١٩٨٢).

وفى اطار الاعداد لمؤتمرات وزراء الداخلية وتنفيذا لما صدر عن هذه المؤتمرات من قرارات وتوصيات، قامت المنظمة بتنظيم عدد من اللقاءات العربية منها:

ـ أجتماعات ممثلى وزراء الداخلية العرب.

ـ أجتماعات المجلس الاصلاحى العربى المنبثق عن وزراء الداخلية.

ـ اجتماعات اللجنة العلمية العربية لتقييم البرامج الاعلامية والثقافية المنبثقة عن وزراء الداخلية.

ـ اجتماعات اللجنة العلمية المكلفة باجراء دراسة علمية عن انتشار التهجير والتشريد وتنتهى بممارسة العدو الصهيونى وانجزت المنظمة في إطار اعدادها العلمى والفنى لهذه اللقاءات عددا من الدراسات وأوراق العمل منها:

● أمن الوطن العربى وحمايته من الجريمة.

● الصيغة العربية لمنع الجريمة.

● ظاهرة الاحجام عن الالتحاق بوظائف الشرطة ووضع الحلول لمواجهتها.
● أمن المجتمعات العربية والتحديات المعاصرة.
● المشكلات الامنية فى الدول العربية (دراسة ميدانية).
● المقومات الاساسية للاستراتيجية الأمنية العربية.
● استراتيجية العمل الاصلاحى والتهذيبى العربى.
● دراسة الآثار السلبية لعمليات التهجير والتشريد التى يمارسها العدو الصهيونى.

ب ـ مؤتمرات قادة الشرطة العرب:

ويُعدُّ تدعيم التعاون بين اجهزة الأمن العربية فى مجالات الخبرات العلمية والدراسات والتدريب والبنيان التنظيمى من الأهداف التى تسعى المنظمة إلى تحقيقها بموجب أهداف المنظمة التى نصت عليها الاتفاقية المنشئة لها. ولهذه الغاية تعقد المنظمة مؤتمرات دورية لقادة الشرطة العرب. وقد عقدت حتى الآن ثمانية مؤتمرات تناولت بالدرس مختلف القضايا المتعلقة بالعمل الشرطى والأمنى على المستوى العربى.

وفى اطار الاعداد لمؤتمرات قادة الشرطة العرب ومتابعة ما يصدر عنها من قرارات وتوصيات وتنفيذا لبرامج عمل المنظمة، عقدت المنظمة عدة لقاءات عربية منها:

ـ الندوتان العربيتان الأولى والثانية حول مشاكل المرور.
ـ اجتماع مديرى ادارات الهجرة والجوازات العربية.
ـ الأجتماع الأول والثانى والثالث لمديرى وعمداء كليات الشرطة العربية.

كما أنجزت المنظمة عدة دراسات شرطية على المستوى العربى منها:

ـ دراسة عن شرطة الموانيء والمطارات والحدود.
ـ دراسة لتوحيد نظم ادارة الشرطة.
ـ دراسة قوانين المخدرات المعمول بها فى الدول العربية.
ـ دراسة احصائية مقارنة لقضايا المخدرات المضبوطة فى الدول العربية عامى ٧٩ـ٨٠م.
ـ النشرة الشهرية لقضايا ضبط المخدرات فى الدول العربية.
ـ اصدار عدد من الكراسات المتعلقة باعداد افراد وضباط الشرطة.
ـ اعداد منهاج تدريبى للمدربين من ضباط الصف.

فى المجالات التشريعية والقضائية

◆ مؤتمرات وزراء العدل العرب:

حرصا من المنظمة على اعطاء دفعة قوية للتعاون العربى فى المجال التشريعى والقضائى الذى يعد جزءا هاما من نشاطها المتنوع، سعت إلى عقد لقاءات دورية لوزراء العدل العرب. وهكذا عقد فى اطار المنظمة وباعداد منها:

ـ المؤتمر الأول لوزراء العدل العرب الذى عقد بالرباط ما بين ١٤ـ١٦ سبتمبر/كانون أول ١٩٧٧م.
ـ المؤتمر الثانى لوزراء العدل العرب الذى عقد بصنعاء ما بين ٢٣ـ٢٥ فبراير/شباط ١٩٨١م ـ كما عقدت بتكليف من المؤتمر الثانى:ـ
ـ الدورة الأولى لمجلس وزراء العدل العرب التى عقدت بالرياض ما بين ٤ـ٦ ابريل/ نيسان ١٩٨٣م حيث انتخب الأستاذ محمد الشدادى أمينا عاما للمجلس.

وتوجت اعمال هذه المؤتمرات الثلاثة بالتوقيع على الاتفاقية العربية الموحدة للتعاون القضائى واقرار خطة لتوحيد التشريعات العربية وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

وفى إطار الاعداد لمؤتمرات وزراء العدل العرب، وتنفيذا لما صدر عنها من قرارات وتوصيات ولما تضمنته برامج عمل المنظمة، قامت المنظمة بتنظيم عدد من اللقاءات العربية منها:

ـ اجتماعات اللجنة المكلفة باعداد مشروع قانون جنائى عربى موحد، حيث انجزت هذه اللجنة القسم الأول من مشروع القانون.
ـ اجتماعات اللجنة المكلفة باعداد مشروع قانون عربى موحد للاحوال الشخصية.
ـ اجتماع مديرى معاهد تأهيل الاطر القضائية فى الدول العربية.
ـ اجتماع اللجنة المكلفة باعادة صياغة مشروع الاتفاقية العربية الموحدة للتعاون القضائى.

كما انجزت المنظمة فى إطار اعدادها العلمى لهذه المؤتمرات عددا من الدراسات واوراق العمل منها:

ـ دراسة تمهيدية للنظم القضائية العربية.
ـ دراسة حول استبدال عقوبة الاشغال الشاقة بعقوبة السجن.
ـ دراسة مقارنة حول قوانين العقوبات والاجراءات الجنائية.



من الأهداف التي تسعى المنظمة إلى تحقيقها تدعيم التعاون بين أجهزة الأمن العربية في مجالات الخبرات العلمية والدراسات والتدريب والبنيان التنظيمي .

فى المجال العلمى

١ ـ النشر :

أ ـ توالى المنظمة أصدار مجلتها العلمية المتخصصة «مجلة المدفاع الاجتماعى» التى صدر منها حتى الآن أربعة عشر عددا. كما توالى اصدار نشرة اعلامية باللغات العربية والفرنسية والانجليزية، وقد صدر منها حتى الان أربعة عشر عدداً.

ب ـ أصدرت المنظمة سلسلة من الكتب ذات العلاقة بموضوعات الدفاع الاجتماعى منها :

سلسلة الدفاع الاجتماعى وصدر منها الكتب التالية :

- جنوح الاحداث.
- الوقاية من المخدرات.
- دور الجمهور فى الوقاية من الجريمة.
- الجرائم الاقتصادية.
- المرور وعلاقته بالتنمية.
- السياسة الجنائية من الشريعة الاسلامية.

ويوجد تحت الطبع من هذه السلسلة :

- الوقاية من الجرائم الناجمة عن النمو الاقتصادى.
- مواد الكتابة وادواتها وعلاقتها بجريمة التزوير.

السلسلة الامنية، وصدر منها الكتب التالية :

- الجريمة والعلم.
- الجريمة والممارسة.

ويوجد تحت الطبع من هذه السلسلة :

- العلم فى خدمة الشرطة.
- استخدام الكومبيوتر فى اعمال الشرطة.

ج ـ ورغبة من المنظمة فى التوثيق للقاءات التى تعقد فى اطارها أصدرت كتابين هما :

- المؤتمرات العربية للدفاع الاجتماعى.
- مؤتمرات قادة الشرطة العرب.

كما يوجد تحت الطبع كتاب بعنوان :

اصول الاحصاء الجنائى ودراسة السلوك الاجرامى.

٢ ـ اللقاءات العلمية :

تعقد المنظمة سلسلة من اللقاءات العلمية العربية لدراسة عدد من الموضوعات التى تدخل ضمن اختصاصها. من هذه اللقاءات :

- المؤتمرات العربية للدفاع الاجتماعى. وقد انعقد منها حتى الآن اثنا عشر مؤتمرا.

ويخصص كل مؤتمر لدراسة موضوع من موضوعات الدفاع الاجتماعى التى لها علاقة بالواقع العربى ويحضره ممثلون عن الجامعات ومراكز البحث العلمى العربية بالاضافة الى عدد من الخبراء.

- الاجتماع الأول والثانى لمديرى مراكز البحوث الاجتماعية والجنائية والقانونية فى الوطن العربى.



سمو الامير أحمد فى حفل افتتاح المؤتمر الدولى حول ابحاثه الوقاية من الجريمة

مدير الأمن العام الفريق عبد الله آل الشيخ وعدد من كبار المسئولين في المؤتمر



- ندوة مواد الكتابة وادواتها وعلاقتها بجريمة التزوير والزييف.
- ندوة علمية حول آثار الاسلحة والمرامى النارية.
- ندوة علمية حول الدفاع الاجتماعى والسياسة الجنائية من خلال التشريع الاسلامى.
- ندوة خبراء الاحصاء الجنائى العربى.
- ندوة استخدام الحاسب الالكترونى فى مجال الشرطة.
- ندوة الوقاية من المخدرات.

٣ـ الدراسات العلمية :

ان اجراء الدراسات والبحوث العلمية المتعلقة باسباب وعوامل الانحراف والجريمة وتقصى بواعثها واستنباط طرق الوقاية والعلاج الخاص بها هو من الوسائل الكفيلة بتحقيق اهداف المنظمة وفقا للفقرة الأولى من المادة الرابعة من اتفاقية انشاء المنظمة. لذا تبذل المنظمة جهودا مكثفة فى مجال الدراسات العلمية لا سيما تلك التى تمس الواقع العربى. ومن بين الدراسات التى أجرتها المنظمة فى اطار خطتها الانمائية الخماسية ١٩٨١ـ١٩٨٥، الدراسات التالية :

- دراسة عن التغيرات فى اشكال وابعاد الجريمة فى الوطن العربى على ضوء التطورات الاقتصادية والاجتماعية.
- بحث عن جرائم العنف وطرق مكافحتها.
- دراسة عن البغاء وعوامله وآفاته فى الوطن العربى.
- دراسة عن ظاهرة التسول والتشرد فى المجتمع العربى.
- دراسة عن المخدرات الطبيعية والمخلقه الرائجة فى المنطقة العربية وحجم ظاهرة الادمان والتعاطى على مستوى الوطن العربى.
- دراسة عن وسائل الاعلام والانحراف.
- دراسة عن دور الشرطة فى المجتمع المعاصر.

٤ـ الدورات التدريبية :

ورغبة من المنظمة فى تعميق خبرات الاطر العربية العاملة فى مجالات مكافحة الجريمة والوقاية منها ومواكبتها للتطورات العلمية الحديثة فقد نظمت عددا من الدورات التدريبية لهذه الاطر.. من هذه الدورات :

- دورات تدريبية للعاملين فى مجال مكافحة المخدرات فى الدول العربية.
- دورات تدريبية للعاملين فى شعب اتصال المنظمة.
- الدورة التدريبية الموسعة لاعداد الاطر الاحصائية للعاملين فى مؤسسات العدالة الجنائية العربية.
- دورتان تدريبيتان للعاملين فى مجال مكافحة التزييف والتزوير

ـ دورة تدريبية للعاملين فى مجال العلاقات العامة فى الشرطة.
ـ دورة تدريبية للضباط العاملين فى الادلة الجنائية فى البلاد العربية.

التعاون مع المنظمات والهيئات العربية والدولية

أ ـ التنسيق بين الاجهزة العربية المعنية بمكافحة الجريمة والوقاية منها:

تحرص المنظمة استنادا إلى المادة الرابعة من الاتفاقية المنشئة لها، على تنسيق التعاون مع مختلف الجهات العربية المعنية بمكافحة الجريمة والوقاية منها. ومن بين اللقاءات التى عقدتها المنظمة اخيرا فى هذا المجال:

ـ اجتماعات رؤساء اجهزة مكافحة المخدرات فى الدول العربية.
ـ اجتماع مديرى المؤسسات السجونية فى البلاد العربية.
ـ الاالاجتماع الاول والثانى لمديرى العلاقات العامة بوزارة الداخلية العربية.

ب ـ التعاون مع الامانة العامة لجامعة الدول العربية والمنظمات الدولية ذات الاختصاص المماثل:

كما تحرص المنظمة على تنمية وتدعيم علاقاتها بالامانة العامة لجامعة الدول العربية والادارات المتفرعة عنها وبالمنظمات العربية الاخرى لا سيما المنبثقة عن جامعة الدول العربية.

بالاضافة إلى ذلك فانها تتعاون مع المنظمات الدولية والاقليمية ذات الاختصاصات المتماثلة وعلى الخصوص:

ـ قسم الوقاية من الجريمة والعدالة الجنائية التابع للامم المتحدة.
ـ المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (انتربول).
ـ اللجنة الدولية للمخدرات.
ـ المجلس الاوروبى.

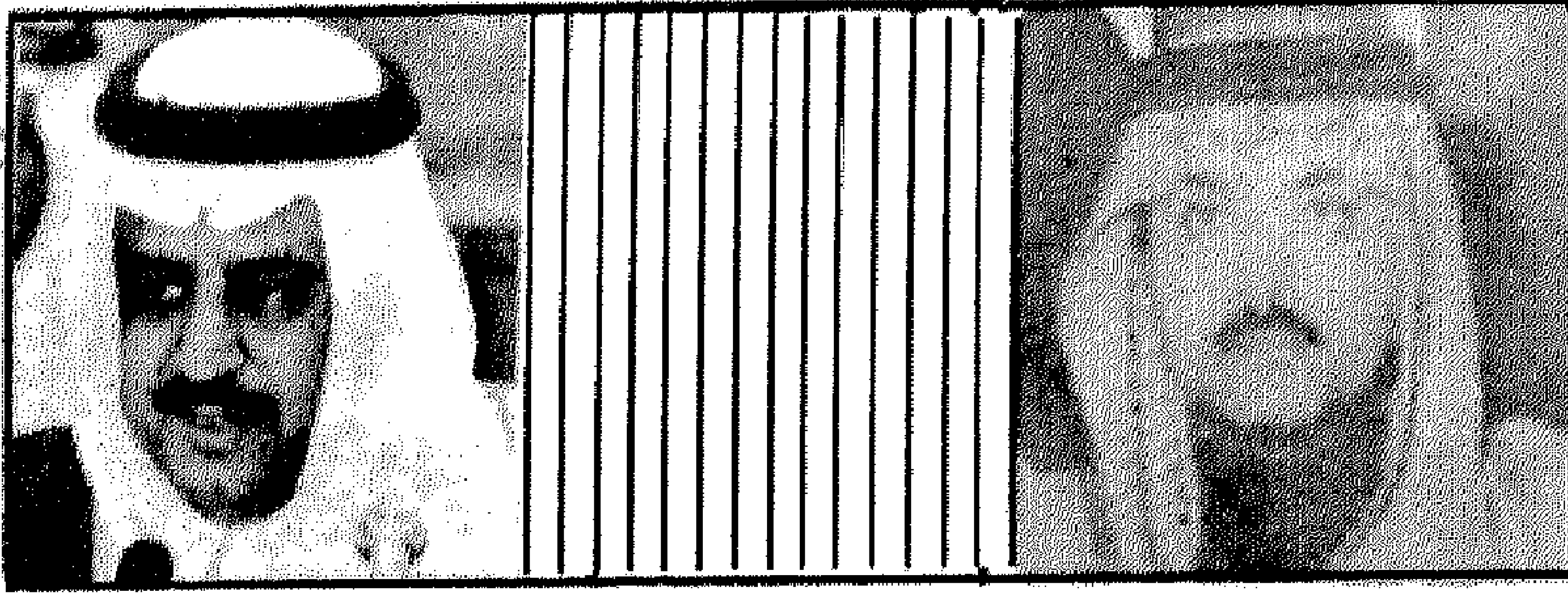
ج ـ المشاركة فى المؤتمرات الدولية:

وتعمل المنظمة على مواكبة الجهود الدولية فى مجال مكافحة الجريمة ومعاملة المذنبين، وذلك بمشاركتها فى اللقاءات الدولية التى تعقد لهذا الغرض. ومن بين هذه اللقاءات:

ـ مؤتمرات الامم المتحدة لمنع الجريمة ومعاملة المذنبين.
ـ اجتماعات اللجنة الدولية للمخدرات.
ـ مؤتمرات واجتماعات منظمة الانتربول.



صورة تذكارية من المؤتمر الثانى عشر للدفاع الاجتماعى الذى انعقد بمدينة الرباط فى الفترة ما بين ٢٥ و ٢٨ اكتوبر ١٩٨١م والذى نظمته المنظمة العربية للدفاع الاجتماعى.





اختتام أعمال المؤتمر الدولى للوقاية من الجريمة

التركيز على التشريع الاسلامى للحد من الجريمة

اختتم المؤتمر الدولى المشترك حول ابحاث الوقاية من الجريمة الذى نظمه المركز العربى للدراسات الامنية والتدريب أعماله واستمرت اجتماعاته على مدى يومين وكان صاحب السمو الملكى الامير احمد بن عبدالعزيز نائب وزير الداخلية قد افتتح المؤتمر

وقد رفع المشاركون فى أعمال المؤتمر شكرهم وتقديرهم لجلالة الملك المفدى فهد بن عبدالعزيز وسمو ولى العهد وسمو النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء على حسن الضيافة والاستقبال اللذين حظوا بهما طوال انعقاد المؤتمر ..

كما توجه المشاركون فى المؤتمر بخالص الشكر لصاحب السمو الملكى الامير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخلية وسمو نائبه الامير احمد بن عبدالعزيز ..

وقد أصدر المؤتمر عددا من القرارات والتوصيات العامة خلال الجلسة الختامية التى عقدت أمس بحضور رئيس المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب الدكتور فاروق مراد ، وقد تناولت هذه التوصيات عددا من الموضوعات الهامة مثل اثر التربية الإسلامية فى مكافحة الجريمة والتشريع الجنائى الاسلامى واثره فى مكافحة الجريمة وتطبيق حد السرقة واثره فى الحد من الجريمة والمعاملات الاقتصادية من خلال المنظور والتوجيه الاسلامى ..

وقد اصدر المؤتمر فى بيانه المعلن عدة توصيات تحث جميعها على ضرورة واهمية استمرار التعاون بين مراكز البحوث والمعاهد الأمنية المتخصصة فى مكافحة الجريمة وبين اجهزة ومعاهد الامم المتحدة المتخصصة فى هذا المجال .. وان تتولى المراكز والمعاهد ترجمة البحوث الى اللغات الحية بهدف الاستفادة من الفكر والأساليب والوسائل المتعلقة بهذه البحوث فى مجال مكافحة الجريمة والوقاية منها ..

كما حث المؤتمر على ضرورة عقد لقاءات دورية بين المراكز والمعاهد الدولية والاقليمية .. وجاءت توصيات المؤتمر من منطلق ان هناك بحوثا ووسائل وتشريعات اسلامية ذات أهمية كبرى فى مكافحة الجريمة لا يعلمها الباحث الغربى فى المجتمع الأوروبى بسبب اللغة لما لها من فوائد وتطلع فى الفكر الجديد قد يكون علاجا لكثير من المشكلات السائدة فى المجتمع الغربى ..

★ حاولنا خلال هذا العرض الموجز التعريف بالمنظمة العربية للدفاع الاجتماعى وما قامت به لا سيما فى السنوات الثلاث الاخيرة تحقيقا للاهداف التى انشئت من أجلها المنظمة وتحدوها عزيمة قوية وإرادة ثابتة وثقة كبيرة بالنفس، لتواصل مسيرتها وتسهم فى قيام مجتمع عربى متوازن ضد كل أنواع الانحراف.

«مراسلنا»

القصة القرآنية

هل هي قصة بالمقاييس الأدبية الحديثة ؟!

بقلم :
د. محمود شاكر سعيد
- جازان -

●● تعرض الأستاذان الجليلان الدكتور/ عبد العزيز حموده والدكتور/ مصطفى الشكعة لهذه القضية فى كلمات قليلة فى عددها كثيرة فى معانيها على صفحات مجلة المنهل فى عددها الصادر فى ربيع الأول ١٤٠٤هـ - يناير ١٩٨٤م .

●● وإن كان رأى الاستاذ الدكتور/ حمودة قد اكتنفه بعض الغموض إلا أننى أعجبت بقوله :

« لاشك فى أن للغة القرآن الكريم سحراً خاصاً بها ، وهذا فى حد ذاته إعجاز لم ولن يستطيع إنسان تحقيقه ، ومهما حاولنا التنقيب فى جعبة النقاد ، فستظل الكلمات قاصرة عن وصف تلك القيمة الفريدة للغة القرآن » .

★★★

■■ فالقصص فى القرآن الكريم أحد الأساليب التى حملها القرآن ليحاج بها الناس ، وليبعدهم عن الجدل والمماحكة والنقاش .

"منَ المناقشة ينبثق النور"

الرأي الآخر



بسم الله الرحمن الرحيم

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ .

صدق الله العظيم

● لأن القرآن كتابٌ الهي منزل وليس من صنع البشر كان لقصصه نهجًا خاص فى الموضوع والأسلوب والأداء والغاية.

● فى القصص الانسانى يختلط الخيال بالحقيقة وتكثر الرؤى والأحلام.. أما قصص القرآن فهو «القصص الحق».. فلا مجال للمقارنة.

■■ ولما كان القرآن الكريم هو كتاب الله المنزل، وليس من صنع البشر، فقد كان للقصص القرآنى نهج خاص فى موضوعه، وفى أسلوبه وفى أدائه، وفى مقاصده وغاياته: فقد جاء القصص القرآنى صادقاً خالصاً، بعيداً عن التوهم والخيال. فليس القصص القرآنى إلا القرآن الكريم فى صدقه المطلق فى كل دقيقة من دقائقه، بل هو الحق الذى ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾

■■ وما القصة القرآنية إلا ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع القلبى والاطمئنان النفسى، ولم يكن هدفها استثارة العواطف الإنسانية أو استرضاء الميول البشرية بضروب من الخيال والتشويق والإثارة.

●● وإذ القضية التى طرحها الأستاذان الجليلان: هل القصة القرآنية قصة بمعناها الفنى؟ وهل لنا أن نقيسها بالمقاييس الفنية الأدبية؟.

هذه القضية تدل على انخداع بعض الدارسين والباحثين بكلمة «قصص» الواردة فى القرآن الكريم فأرادوا أن يأخذوا هذا [القصص] بمعايير القصص الأدبى الإنسانى البشرى بما فيه من تلفيقات الوهم والخيال، متناسين أن ليس فى القصص القرآنى ما فى غيره من القصص القائم على مزج الحقيقة بالخيال والواقع بالوهم والمحال ومتناسين الهدف من القصص القرآنى. ومع ذلك تعرضوا للمقايسة بين الله سبحانه وتعالى، وبين الإنسان، وأنزلوا كلام الله، الحق، منزلة كلام البشر، فحكموا عليه كما يحكمون على غيره من الإبداع بما لا يليق بذات الله وقدسيته. متناسين ما ذكرنا من أن القصص القرآنى نموذج للواقع، وليس خيالاً ولا وهماً ولا حُلماً ولكنه «لهو القصص الحق»، أما القصص الأدبى فنموذج للحياة الواقعة أو المتوقعة، حيث يختلط فيه الخيال بالحقيقة وتكثر فيه الرؤى والأحلام.

●● ونحن هنا لا ننكر أن الجمال الفنى إلى جانب الإثارة والتشويق تتوافر فى القصة القرآنية، وأن لها أثرها الفنى فى نفوس البشر ما ليس لأرقى أنواع القصص الأدبى الإنسانى.

■■ ومن هنا فأنا أقف مع رأى الأستاذ/ الشكعة الذى يقول (بأن القصص القرآنى «ينبغى ألا يقارن به القصص الذى يكتبه البشر، لأن ذلك كلام الله، وهو حقيقى، وهذا تصوير من خلال وجدان البشر وهو خيال»).

■■ وقد عرف الصحابة والتابعون لهذا القرآن حرمته فوقفوا عند مدلولاته اللغوية، لا قصوراً منهم، بل لمعرفتهم بحرمة آيات الله وقدسيتها، ولاقتناعهم بأن كل كلام إلى جانب كلام الله ليس إلا غثاء كغثاء السيل.

■■ وأذكر الجميع بقول رسول الله، (ﷺ): «من قال فى كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ». وقوله: «من قال فى كتاب الله بغير علم فليتبوأ مقعده من النار».

ظاهرة اللؤم في القرن العشرين

«مدخل»

● يضم هذا المقال مفهومين أراد الكاتب أن يعبر عنهما:

أولهما: أنه رصد مفهوم انسياب ظاهرة تسير على سطح المعترك الحياتى للأفراد، فلم يعجبه، ولم يسرُّه.

ثانيهما: عندما حاول أن يطبق هذا النهج على حياة الأمة، وجد أن روح الأمة وفكرها قد بقيا بمنأىً عن كل ظاهرة(غير طيبة) وبالمقارنة مع الأمم الأخرى توصل إلى أن أمتنا (أمة الاسلام) ما زالت بخير. . بل وأكثر من ذلك أنها في مقدمة الأمم نقاء وطُهراً وأصالة وطيب مَعْدنٍ، وبعداً عن اللؤم وسوء الطوية.

● استمرت هذه المحاولة ثماني سنوات، قبل أن يستوى الفكر على هذه الشاكلة وهذا النحو الرشيد، ويستقر على مثل هذه الحالة الرائعة في الادراك.

● أليس هذا مؤشراً على أن أمتنا الاسلامية هي الأمة الخالدة، التي هي أهل لقيادة الأمم. . ؟ كما كانت في ماضيها العريق.

لعل، وعسى

والله ولي التوفيق

«المنهل»

- «هل سدَّد(١)سعيد ما عليه. ؟
- نعم، ولكني سأسجنهُ. .»

«حسن طيِّب وما في أطيب مِنُّه(٢)، لكن بدْنا(٣)نعذِّبه، ونضحك عليه. .»

● ● ●

- إضرب هذا التلميذ.
- كيف أضربه وهو لم يذنب. ؟
- ليس مُهماً أن يذنب.
- ما هو المهم إذن؟.
- المهم أنني لا أحبه. ألا ترى شكله المقرف؟ إن شكله لا يعجبني أبداً. .

● ● ●

- «كيف كانت إجابته في المسابقة. ؟
- رائعة، لكنه لم ينجح.
- لماذا لم ينجح. ؟
- لأن اللجنة لا تريده أن ينجح».

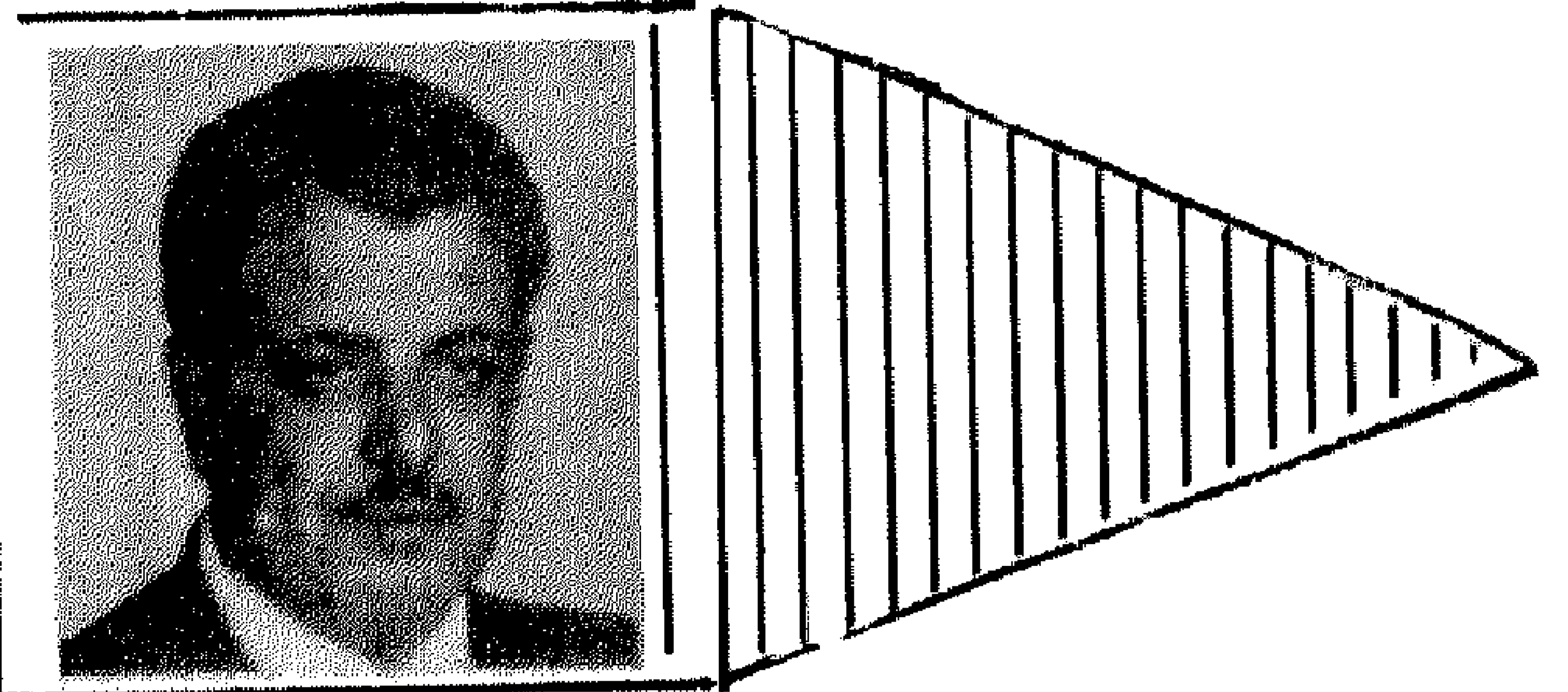
● ● ●

- «لماذا لم تُصرف له علاوة بدل اقتناء السيارة. ؟
- لأن المدير لا يحبه.
- وهل حُبُّ المدير هو الذي يمنحه العلاوة أم القانون. ؟
- القانون طبعاً، لكن المدير يرفض ذلك. .»

هذه نماذج من عبارات سمعتها من أفواه أصحابها، وسمعت مثلها الكثير، لكني اقتصرت على ذكرها فقط لسببين:

أولهما: ما يحتويه بعضها - المحجوب عن الذكر - من كلمات فاحشة تخدش الحياء وتخرج عن حدود اللياقة والأدب.





بقلم الأستاذ أحمد جبر

وثانيهما: أنها تكاد تكشف عن عورة المجتمع بصورة سافرة. وهذا مالا نريده لأن المجتمع بعمومه أسمى من ذلك وأرفع شأناً. كما لازلنا نطمح في أن تكفي الإشارة التي يفهم بها اللبيب(٤)، بدلاً من بيان المثالب التي تُغري السفيه رؤيتها، فيشتطّ في غيِّه، ويغلو فيه.. ولأن قصد هذه المعالجة هو الإصلاح وليس الإساءة إلى المجتمع أو النيل منه بأية صورة من الصور. فهي ليست أكثر من إيماءة خفيفة أو تنبيه لما يمكن أن يضرّ المجتمع، ويسيء إلى سمعته.

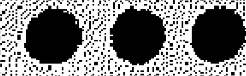
وإني مقتنع أن مجتمعنا العربي وإن كان لا يخلو من مثل هذه الظاهرة الخطرة، إلا أنه ـ بحمد الله ـ أقل المجتمعات تأثراً بها، أو انسجاماً معها. وبهذا يكون شرف مجتمعنا وميزته عن غيره من المجتمعات الناهضة تكنولوجيّاً في الشرق والغرب والفاقدة للأواصر العائلية.

ولئن كانت هذه الظاهرة غريبة على أخلاقنا، مدسوسة على أمتنا، بعيدة عن مسارها كأمة نخوة وشهامة وتضحية وكبرياء. هذه الأمة التي سادت العالم بدستورها السّماوي وأخلاقها الأصيلة، لا يمكن أن تتفاعل مع هذه الظاهرة، أو تقبل بها، إلا إذا كانت مفروضة عليها في لحظة ضعف وانكسار. فهي هجينة على عالمنا وأمتنا، وبعيدة عن جوهرها الديني والإنساني والأخلاقي. لكن القرن العشرين ـ وهو يكاد أن يكون قرن الرذيلة ـ مهيأ لها. لذلك ارتبط بها، وصار مُسخّراً في خدمتها، في جميع بقاع الأرض (تقريباً)، ومنها عالمنا العربي ـ للأسف الشديد ـ ولكن في حدود ضيّقةٍ للغاية.

وإذا كان للأخلاق الكريمة **(كظاهرة اجتماعية)** وجودٌ مرتبط إرتباطاً عضوياً كاملاً بالمجتمع، بمعنى أن لها مقام الصدارة في الأمم الصادقة مع نفسها.. فإن الأمة العربية والإسلامية في مقدمة الأمم التي تحضّ على التمسُّك بالخلق الحسن، وتدعو إلى التضامن والتعاون والتماسك والتآلف والتآزر، بل وأكثر من ذلك، فهي تنطلق من منطلق الرحمة والعطف والتواضع. وليس قول الفاروق عمر: «**إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**» ببعيد عن قول الرسول ﴿ﷺ﴾: «**مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحُمّى والسهر**» فأي تجسيد أبلغ من هذا التجسيد الذى يجعل من الأمة جسداً واحداً..؟ تعيش بذات الاحساس، وتتداعى لأقل عطبٍ يُصيب أحد أفرادها.. وهو منسجم تمام الإنسجام مع قول البارى عز وجل: **﴿وتعاونوا على البرِّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم**

والعدوان﴾، وهل أدقّ من تعريف المسلم بأنه «من سَلِمَ الناسُ من لسانه ويده»؟، وهو دليل واضح وحُجَّة دافعة على بُعدِ هذه الأمة عن اللؤم والحقد، واتصافها بالعفاف والتُقى والثبات على مبدأ التسامح.

وليس حديثي عن هذه الأمة من قبيل التعصب لها، كوني أحد أبنائها الغيارى على سمعتها ولغتها وتراثها وشرفها. ولا لأنها أفضل الأمم بتقدير الخالق (سبحانه)، «كنتم خير أمّةٍ أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»، ولكن لأنها في أساس بُنيتها كانت تحافظ على الأخلاق، وترعاها حتى في أيام جاهليتها حين كانت تئدُ البنات، وتُعاقر الخمر، وتسبي الحرائر، ويغزو بعضها بعضاً، كانت تحافظ على الأخلاق من خلال محافظتها على العهد وحماية الذمار، وقرى الضيف، والبرّ بالوعد، وعدم خفر الذمم، لذلك كانت دلالة الحديث: «إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق» ذات أساس منطقي، وفحوى اجتماعية صحيحة، وصادقة عن هذه الأمة، كما يتضح من موقف أبي سُفيان أحد سادة قريش حين مرَّ بحيَّيْن مختلفين من العرب، فلم يزد عن أن سألهما: هل لكم في الحق أو ماهو أفضل من الحق.؟ فقالوا: وهل هنالك ما هو أفضل من الحق.؟ فأجاب: أجل، التسامح. فتبادر القوم واصطلحوا، وانتهى الإشكال. فأي أمّةٍ من الأمم أنقى من هذه الأمة جوهراً.؟ هذا في جاهليتها، فكيف بإسلامها الذي نشر ألوية العدل، واعتبره أساس الملك.؟



ولدى الرجوع إلى القاموس(٥) بحثاً عن تفسير وافٍ، أو الخروج بتصور كاف لمعنى كلمة **اللُّؤم** بحيث يكون شاملاً مستوعباً لما تتضمنه كلمة (اللئيم) حقيقة وواقعاً. فإنك لا شك ستصاب بخيبة أمل وإحباطٍ شديدين، لأن ما هو موجود عن هذه المادة قليل لا يشفي غليلاً، ولا يكفي باحثاً يريد أن يُقلِّبَ الحقائق بين يديه، ليستنبط من خلالها نتائج مستوفيةً للمعاني التي تدور في ذهنه، وتكُد قريحته، ويَعْياً بها تفكيره المثقل بالإشارات والإيحاءات، التي تومىء إلى معنى تعمَّق في أرجاء النفس، وترسَّخ فيها بمائة توجُّه وتوجُّه، فالذي يلجأ إلى القاموس مثلاً يجد في باب (لأم) بعض ما كان يتوقع دون أن يبلغ ما يريد.. مثلاً:

أَلأَم الرجلُ: ولد اللئام، أو صنع ما يدعوه الناس لأجله لئيماً. ومنها لَؤُمَ، لُؤْماً ومُلأَمةً ولآمةً: كان دنيّ الأصل شحيح النفس مهيناً فهو (لئيم) جمعها لِئام ولُؤماء. (اللئيم): خلاف الكريم. البخيل، الدنيّ الأصل، الشحيح النفس، المُهان.

فأي معنى من هذه ينقع غُلَّه، أو يروي غليلا، أو يوصل باحثاً إلى ما يبتغي من بحثه عنها.؟

ولئن كنت قد نوَّهْتُ في مقال سابق لي(٦) في مجال الحديث عن عدم تقدير الأمة للمُلهمين وتنكرها لهم، وعدم تذكرها إياهم إلا عند موتهم. (٧) عن هذا المقال. إلا أني كنت قد سرت في كتابتي له مساراً حولياً، بمعنى أن الحول قد مضى عليه إثر الحول، دون أن تتم كتابته، أو يستكمل هيكله الذي كنت قد وضعته له. وقد يستغرب القارىء العزيز إذا علم أن هذا المقال ـ الذي بين يديه ـ كان وليد عام ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م. أي أنه قد مضى عليه ثماني سنوات قبل أن يخصص «للمنهل».

ليست القصائد وحدها هي الحوليات فحسب، ولكن للأدب أطواراً حوليّة أيضاً. والقارىء الحصيفُ هو الذي يثمِّنُ ويقدرُ معنى حولية الأدب، ويضعها في اعتباره، وليس كما يظن (عامّة الناس) أن كتابة المقال شيء سهل، وما على الكاتب إلا أن يحمل قلمه ـ كالجندي الذي يحمل بندقيته ويطلق الرصاص ـ إذ يكتب بمجرد التقاطه له، وتنهال عليه الأفكار، التي ما عليه إلا أن ينظم عقدها في سلسلة طويلة، تنضدُ في المطبعة، وتصفُ حروفها، وتخرج إلى القارىء بسهولة ويُسْر.؟ ولو كان الأمر كذلك ـ بهذه البساطة ـ لانتهى الأمر، وأصبحت الكتابة في متناول كل حامل قلم.

ولو نحّينا (اللؤم) جانباً ـ بصورة مؤقتة ـ لنبحث

في معنى ظاهرة (وهى ليست من الظواهر الكونية) بل هي سمة اتصف بها العصر، وهو ليس كله، بل فترة زمنية محددة منه ـ القرن العشرون ـ فقط. إذ ربما لم تكن في غيره من القرون السابقة، أو أنها ربّما كانت أقل بروزاً وتأثيراً في وقتها ذاك من وقتها الراهن، موضوع الحديث.

فتصريف الفعل: ظَهَرَ يَظْهَرُ ظُهوراً، ومعناه برز بعد الخفاء، أى بعد أن كان خافياً، وبعيداً عن العين أو المشاهدة. فالظاهر إذن خلاف للباطن، (المخفى)، والظاهرة مؤنث الظاهر، فهي لا تختلف شيئاً عنه من حيث المعنى، وإن أضيفت لها تاء التأنيث في آخرها.

والظاهرة بمعناها الشامل تعني غير الخافية (الواضحة، البينة).

والظاهرة شكل من أشكال الوضوح إن كانت منفصلة عما أضيفت إليه (اللؤم) فهى هنا صفة بينة للّؤم. واللؤم بالاضافة إلى كونه صفة، هو تصرف شائن، فالبخل صفة شائنة مزرية بصاحبها، تجرده من صفة نبيلة هي صفة (الكرم)، وكذلك شُحّ النفس والمهانة ودناءة الأصل، وما إليها من الصفات القبيحة التي تشين صاحبها، وتزرى به، وتحطّ من قدره.

وباعتقادى، أنها تصرُّف وسلوك يغاير القيم النبيلة، وينبو عن إطارها، وقد تطورت مع تطوّر الزمن (فيلولوجيا)، وانتقلت إلى مختلف أنحاء العالم وبيئاته. ففى مصر مثلاً: يقال للخبيث، وهو من في تصرفه إبطان وإخفاء لحقيقة سلوكه (لئيم) والذى يبدى غير ما يبطن معروف بأنه (منافق) وتصرفه شكل من أشكال النفاق، وفيه أيضاً معنى الكذب.

والخبث بحد ذاته، مكروه ومرذول ومحارب من قبل أصحاب السلوك المستقيم، ومن الشرائع السماوية على اختلافها. لذلك كان اللؤم مكروهاً، وكان حراماً لأنه يتنافى ومنطق الشريعة الغراء التى تعطي كل ذى حق حقه، بينما يغمط (اللؤم) الحقوق وينصر الظلم، ويشجع عليه، كما يتخلى عن الحياء وهو من صفات الإيمان. الحديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة . . . . أدناها الحياء».

لذلك كان (لظاهرة اللؤم) صفات يأباها الخلق الكريم، ويرفضها الدين، وتسقطها الفطرة، وينحصر مسارها في أربع نقاط (خطيرة) لها تطبيقات تحدد ماهيتها، وتبين خطواتها العريضة وسيئاتها وضررها، كما يلى:

(١) *نزعة نفسية شريرة [دنيئة، مهينة، ضد الكرم].*

(٢) *تنبع من حقد دفين، وتصدر عن نفس غير صافية، ولا نظيفة، وتتمادى في الباطل، وتنغمس فيه إلى أبعد الحدود.*

(٣) *تحارب القيم الجميلة في النفس الإنسانية، وتحاول تدميرها واستبدالها بما يعاكسها في الاتجاه والفحوى.*

(٤) *دليل قائم على التحلل من الفضائل والأخلاق السليمة الكريمة والصفات الحسنة الطيبة.*



ومن تطبيقات هذه الظاهرة المقتصرة على ما أوردت من عبارات في مقدمة المقال (فقط) ما يلى:

أولا: ما دام سعيد قد قام بتسديد ما عليه، بمعنى أنه وفى بالتزامه كاملاً، ولم يبق بذمته شيء فإن سَجْنَهُ يعتبر اعتداء صريحاً على حقه، وهضماً له لا يجوز السكوت عليه. لكنها الرغبة في القهر والظلم والاعتداء على الحق هي التى ولَّدت الإصرار على سجنه بدون ذنب. هذه إحدى صور اللؤم.. استيفاء كامل للحق.. تَنَاسٍ كلى للشكر.. زرع للظلم بدلاً من العدل.. وعدم النظر إلى نتيجة ما يولده الظلم من عواقب وخيمة.. قدرة بسيطة **(قدرة الإنسان)** تتجاهل قدرة أكبر منها **(قدرة الله)** جل جلاله.. وفي ذلك معادلة مختلفة الأسس.. لذلك كانت النتيجة لا تنسجم مع الدين أو العقل، ولا تسير ضمن الأطر الاجتماعية النقية.

ثانيا: الاعتراف بطيبة حسن، وبيان أنه لا يوجد من هو أكثر طيبة منه، يضعه فى صف أصحاب

● اللؤم نزعة نفسية شريرة دنيئة مهينة، تنبع من حقد دفين وتحارب القيم الجميلة في النفس الانسانية.

● لولا ظاهرة اللؤم العدوانية ما استمرت في العالم حروب وحلت السعادة محل الشقاء.

● لا حدود للؤم فهو صورة اجتماعية كريهة لا يقبلها إطار ولا يحصى بشاعتها أحد.

الخلق الكريم. ومع ذلك فلا بدَّ من تعذيبه بدلاً من تكريمه والإحتفاء به، تشجيعاً له على أن يبقى القدوة، وليس ذلك فحسب، بل يجب الضحك عليه والسخرية منه. والضحك والتعذيب هنا نوع من الظلم والتعدي على حرمة رجل كريم، هضم لحقه في التكريم، واعتداء على شخصه، لا شيء، إلا لأنه طيِّب، ومغرق في الطيبة.

● وهذه صورة أخرى للؤم فهي لا تنكر الطيبة في الرجل وإنما تتصدى له لتقتلعها منه اقتلاعاً جائراً يدل على ما في اللؤم من خسَّةٍ ونذالةٍ وامتهان لحقوق النفس البشرية.. وهذا يتنافى مع الشريعة التي تتوخى العدل، وترفعه كشعار للخلق الصادق الكريم.

ثالثاً: الحض على ضرب التلميذ الذي لم يقترف ذنباً، بمعنى انعدام مبرر(**العقوبة المطلوبة**)، والإصرار على طلبها، وإبراز مبرر تافه كاذب ساقط في كل الاعتبارات والموازين الإنسانية، وهو(**الشكل المقرف..**) الذي لم يعجب طالب العقوبة.. وفي ذلك منتهى الظلم والوقاحة المتسمة باللؤم، والمتشحة بسوء الخلق وفساد الضمير، والغياب عن كل أمل في الإصلاح.

● تلك هي الصورة الثالثة التي تبينُّ خُلُو الروح من الإيمان. أين هو التسامح والإنسانية.؟ بل أين الحق والعدل في هذا الطلب الفاسد.؟

رابعاً: روعة الإجابة ـ في المسابقة، أي في الامتحان ـ لم تمنحه فرصة النجاح، لوقوف رغبةٍ جامحةٍ غاشمةٍ ضد النتيجة البيِّنة التي تمنح صاحبها النجاح والوصول بعد ذلك إلى مايصبو إليه. أي وقوف الباطل بوجهه السافر الكالح ضد الحق الأبلج المبين. إرادة اللجنة(هنا) تسلُّط واستبداد، ورغبة أعضائها غير صادقة طالما تعارضت مع المنطق الصحيح وهو النجاح لمن ملك أسبابه وأخذ بناصيته.

● **لكن اللؤم لا حدود له. ورحم الله المعلم الذي ذكر له أحد تلاميذه ـ على سبيل الإعجاب بعلمه الغزير ـ أن «العلم بحر»، فأجابه: «هذا صحيح، لكن التياسة محيط»، مما يوضح بجلاء أن اللؤم كصورة اجتماعية كريهة لا يقبلها إطار، ولا يحصى بشاعتها أحد.**

لذلك، فاللئيم لا يعترف بحق أو منطق أو ضمير، وإنما هو تارك النفس على هواها، وحبلها على غاربه، ولا مجال لرأي آخر، أو صوت غير صوته.

خامساً: حُبُّ المدير هو الأساس الأقوى من القانون، بل هو الحيلولة الصريحة دون تطبيق القانون، هوى جامح عاصف يدمر كل ما بنت الأمة، لأنه المتحكم فيمن يليه من الموظفين الذين عليهم الإذعان والقبول لكل ما يريد في غياب القانون عن التطبيق، بسبب لؤمه وبعده عن السماحة، أو اعترافه بحقوق الآخرين.

● تلك صورة أخرى عن اللؤم. هذه الظاهرة التي وسمت وتسم القرن العشرين بميسمها وتطبعه بطابعها. وتغذيه من لبانتها شيئاً فشيئاً إلى أن يتحول أفراده إلى وحوش كاسرة، بعضهم لبعض عدو، فيكون أشبه بمجتمع الغاب الخالي من الخلق والدين والعدل والإنسانية.

وتحضرني في هذا المقام قصتان

الأولى: أبطالها أربعة شباب أوروبيين كانوا

مسافرين على متن إحدى السفن برحلة طويلة، بَدَوْا للناس كالاخوة، فإن طلبوا خبزاً، طلبوا أربعة أرغفة، وإن شربوا شاياً فأربعة أكواب، وفي كل شيء أربعة.. وفي أحد الأيام ضاعت فلوس أحدهم، فتحولت (الأربعة) التى يطلبونها إلى (ثلاثة) حتى في أرغفة الخبز. ثلاثة يأكلون ويشربون، وصاحبهم كاسف حزين ينظر ويتحسر دون أن ينال من عطفهم شيئاً.

إزاء هذا الواقع «المُرّ»قادت النخوة رجلاً عربياً، فردَّ على الرابع المذَنف (روحَهُ) ونفحه شيئا من ماله، فعادت الصحبة فوراً إلى سابق عهدها، وعادت (الأربعة) من جديد.

فأي خلق هذا الذى تأباه الأريحّية العربيةُ، وينفر منه، ويعافه الطبع الكريم.

والثانية: قصة أسرة أجنبية زارها رجل عربي في بيتها وهي تأكل باستثناء شابة فيها جالسة وحدها وهي مهمومة حزينة. ولما سأل عن سبب حرمانها من الأكل، أجابه الأب بأنها لم تدفع حصتها من ثمن الأكل لذلك الاسبوع. ولما دفع الرجل الضيف عنها الجُعْلَ المطلوب، سُمِحَ لها بالتقدم نحو المأدبة وتناول اكسير الحياة(**الأكل**)مع أهلها (**الكرام**..).

عدم القدرة على الدفع تعنى الحرمان من الطعام والشراب حتى لو أدى ذلك إلى الموت جوعاً لأحد أفراد الأسرة (**المترابطة جدا**.)

فأية أسرة هذه التي ترضى بمثل هذه (الحالة) لابنتها.؟ وما هو الدافع لذلك غير اللؤم وسوء التصرف، والبعد عن الدين والخلق الكريم.؟

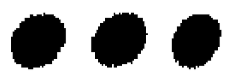
إن هذه الظاهرة التي بدأت ترين على المجتمعات، وتسمها بميسمها، والتي قامت على أسس (ظالمة) أهمها:

(١) *عقاب من لم يذنب رغبة في الإذلال والتعالي.*

(٢) *مقابلة المحسن بالإساءة المتعمدة، وغمط حقه جهاراً نهاراً حباً في الظلم وسعياً إليه.*

(٣) *استبداد الرأي وقتل الرأي المخالف بشخص صاحبه، دون وازع من دين أو ضمير.*

(٤) هضم الحقوق دون مبرر.



طغت هذه الظاهرة الخطيرة على المجتمعات الأوروبية والأميركية والأجنبية خاصة، وهي جاءت تسير إلى مجتمعنا العفّ (الأصيل ـ النقى) على استحياء. ولولا هذه الظاهرة العدوانية ما استمرت في العالم الحروب، ولحلّت السعادة محل الشقاء، ولما نُصبت المدافع وأعواد المشانق وعابرات القارات من الصواريخ باتجاه النساء والأطفال والرجال العزّل دون ذنب جنوه. إلا لأن حظهم العاثر قادهم إلى العيش في أكناف القرن العشرين، وعلى شواطئ (الحضارة)..

ولولا هذه الظاهرة لما وُجدَتْ إسرائيل في قلب العالم العربي كخنجر مسموم يطعن أمتنا في ظهرها صباحاً وظهراً ومساء.. ولولاها لما كانت هموم العالم العربي منذ الحروب الصليبية وحتى الآن.

(فسُحقاً للؤم واللؤماء إلى قيام الساعة).

والله أسأل أن يقي أمتنا من داء اللؤم الوبيل وظاهرته الخسيسة، وأن يلهمنا التقوى، فنحن «أحق بها وأهلها».

فآمن يارب روعاتنا، وأرحم ضعيفنا، واهدنا إلى صراطك المستقيم.

بك آمنا، وعليك توكلنا، واليك المصير.

(١) دفع.
(٢) أي لا يوجد من هو أطيب منه. لم نراع الفصحى لنقل الحديث بنصه الحرفي.
(٣) نريد. ذُكرتْ كذلك حفاظاً على حرفية النص.
(٤) المثل: «إن اللبيب بالإشارة يفهم»، وله صورة أخرى «اللبيب يفهم بالإشارة».
(٥) المنجد في الأدب واللغة والعلوم، (ط،٥)ص ٧٥٤
(٦)، (٧) «الكتابة إبداع وجمع شتات» نشر في المنهل عدد ذى القعدة/ ذى الحجة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. الصفحات ٧٤-٧٩

(ظاهرة اللؤم ٢/٢/٥)

الشعر في رحاب الدعوة الإسلامية في العصر العباسي

بقلم الدكتور :
محمد أحمد سلامة
الأستاذ المشارك في الأدب والنقد
الكلية المتوسطة .. المدينة المنورة

● في هذا الفصل الثالث ـ والأخير ـ عن شعر الدعوة الاسلامية في العصر العباسي عرضنا غرَضاً هاماً من أغراض الشعر اتضح فيه أثر الإسلام، وهو «الهجاء» حيث أقام شعراء الإسلام هجاءهم على التنديد بمخالفة الدين وعدم الإيمان بالقضاء والقدر وغير ذلك مما يشين بعقيدة المرء. وفي هذا الجزء الأخير نتابع أغراض الشعر لهذا العصر وننشر ألوان اخرى من الوان هذا الشعر.

الشعر السياسي

ونكتفى منه بالإشارة الدالة ، والمثال الشاهد ، وإن كثر في هذا العصر كثرة ملحوظة .. وكان السيد الحميرىّ من الشعراء المبدعين ، وأعجب به الناقد الأصمعى إذ قال عنه : « **لولا ما في شعره من سبّ السلف لما تقدمه من طبقته أحد** » وقد مدح علي بن ابى طالب كرم الله وجهه ، ورثى الحسين ، وكان يمدح العلويين ، ويدارى العباسيين .. وكان يحرض الخليفة المهدىّ على أن يحرم آل عمر بن الخطاب من بنى عدى ، وتيما قوم أبى بكر من العطاء ، وكان يؤكد نزعته بقوله :

قل لابن عبّاسٍ سميّ محمد
لا تعطين بنى عدىّ درهما
احرم بنى تيم بن مرة إنهم
شرّ البريّة آخراً و مقدّما
إن تعطهم لا يشكروا لك نعمة
ويكافئوك بأن تذم وتشتما
ولئن منعتهمُ لقد بدءوكمُ
بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما

وهو في هذا يصدر عن القول « **الشر بالشر والبادى أظلم** » مع أن الاسلام يدعو إلى التسامح والصفح والعفو عن المسيء .

□ ودعبل بن على الخزاعى الذى لم يسلم من لسانه أحد من الخلفاء والوزراء والولاة ، وقد مدح على بن موسى الرضا بخراسان ، ويوازن بين آل رسول الله وآل زياد !! فيقول عن بنى هاشم :

ألم تر أنى من ثلاثين حجة
أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى في غيرهم متقسّما
وأيديهمُ من فيئهم صفِرات
فآل رسول الله نحفٌ جسومهم
وآل زياد حُفَّل الخصرات
بنات زياد في القصور مصونة
وآل رسول الله في الفلوات

الرثاء

يتجلى في هذا الغرض وفاء الشعراء للخلفاء وقادة المسلمين ، ويعرّفون فيه بالبطولات الإسلامية الفذة ، وما كان لهؤلاء من أثر قوى في نشر الإسلام ، وتثبيت أسسه ، وتقوية أركانه .. فالبحترى يرثى الخليفة المتوكل ، بل يرثى الخلافة الإسلامية في شخصه في قصيدة تزخر بالأسى والرثاء مطلعها :

محلٌّ على القاطول أخلق داثره
وعادت صروف الدهر جيشا تغاوره

وفيها :

كأن لم تبت فيه الخلافة طلقة
بشاشتها والملك يشرق زاهره
ولم تجمع الدنيا إليه بهاءها
وهيبتها والعيش غض مكاسره

ولأبى تمام رائية يرثى فيها محمد بن حميد الطوسى مطلعها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر
فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
توفيت الآمال بعد محمد
وأصبح في شغل عن السفر السَّفْر

وفيها :

ألا في سبيل الله من عطلت له
فجاج سبيل الله وانثغر الثغر
فتى كلما فاضت عيون قبيلة
دما ضحكت عنه الأحاديث والذكر

فهذا الماجد الكريم تتكلم عنه مكارمه وتنم عنه أحاديث عظمته وقوته ، وقصص كرمه .

□ وهذا معن بن زائدة الشيباني من أولى الأمجاد ومن ذوى الفضل والسماحة، فيقول في رثائه الحسين بن مطير : « ابن مكمل الأسدى ، من مخضرمى الأموية والعباسية ، وأخباره مع خلفاء العباسيين أكثر ، لأنه أراد أن يظهر معهم وهم الباقون — بعد الله — له » قصيدة عينية .. يرثيه فيها بصفات تتطلع إليها النفوس ، وتتمنى لو أنها الفانية ليقال فيها ما قيل تخليداً لها على الزمن .. وسيرورة لها في كل مكان .. يقول :

ألما على معن وقولا لقبره
سقتك الغوادى مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معن كيف واريت جوده
وقد كان منه البر والبحر مُتْرعا
ويا قبر معن أنت أول حفرة
من الأرض خطت للسماحة مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولو كان حياً ضقت حتى تصدّعا
فتى عِيش في معروفه بعد موته
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

ولما مضى معنٌ مضى الجود وانقضى
وأصبح عرنين المكارم أجوعا

□ ومهيار الديلمى « الشاعر الأديب الكاتب الفارسي ، وهو شاعر كبير في معانيه ابتكار ، وفي أسلوبه قوة وهو طويل النفس في شعره » يرثى الشريف الرضى ، ويذكر فجيعة الدنيا وأهلها بفقده ، ويذكر ما دخل في الشرف والفضل والأدب من النقيصة بفقده ، وكان ذلك في السادس من المحرم سنة ٤٠٦ هـ ومطلع القصيدة :

مَنْ جَبّ غارب « هاشم » وسنامها
ولوى « لؤيا » فاستزل مقامها
وغزا قريشا بالبطاح فلفّها
بيد وقوّض عزها وخيامها
وأناخ في مضر بكلكل خسفه
يستام واحتملت له ما استامها

وفيها :

الدين ممنوع الحمى ، من راعه ؟
والدار عالية البنا ، من رامها ؟
أتناكرت أيدى الزمان سيوفها
فاستسلمت أم أنكرت إسلامها ؟
أما غال ذا الحسنين حامى ذودها
قدر أراح على الغد و سوامها

□ وأبو العلاء المعرى يرثى الفقيه الحنفى أبا حمزة ، ويذكر فيه صفات العالم العابد الأواب التواب ، ويشيد بفقهه وروايته الحديث ، وخطابته المؤثرة التى تجعل الوحوش رحيمة مع الغنم .. فيقول:

قصد الدهر من أبى حمزة الأو
واب مولى حجا وخدن اجتهاد
وفقيها أفكاره شدن للنعـ
ـمان ما لم يشده شعر زياد

وخطيباً لو قام بين وحوش
علّم الضاريات بر النقاد
راويا للحديث لم يحوج المعـ
ـروف من صدقه الى الاسناد
أنفق العمر ناسكا يطلب العلـ
ـم بكشف عن أصله وانتقاد

☐ ويؤكد أبو العلاء هذه الصفات عند أبي حمزة ، تنبيها لمكانتها بين العلماء وأصحاب الفقه والفتوى والحديث .

الفخـــر

برز هذا الغرض الشعرى لأن أسباب ظهوره كانت واضحة ، فقد كثر لقاء الروم وتوالت هزائمهم ، وكثر الخارجون على السلطان في الداخل والخارج ، ولذلك كان الشعراء الفرسان يفخرون بوقائعهم وبما أحرزوا فيها من نصر على الأعداء ، وبما صاروا إليه من قوة وعزة .. وهذا أبو فراس الحمدانى الذى وقف مع مثله الأعلى وابن عمه سيف الدولة ضد الروم ، وخاض معارك انتصر في بعضها وأسر في بعضها الآخر ، ولكنه يظل يفخر بما قام به ضدهم في معاركه السابقة ، ولم يزعزعه الأسر ، أو تفتّ في عضده تلك المواقف .. فيقول :

وإنى لجــرار لكـل كتيبــة
معودة ألا يخل بها النصــر
وإنى لنزال بكـل مخـوفـة
كثير إلى نزالها النظر الشــزر
فأصدى إلى أن ترتوى البيض والقنا
وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر

ويارب دار لم تخفنى منيعة
طلعت عليها بالردى أنا والفجر

ثم يفخر بصفات بنى حمدان فيقول :

ونحن أناس لا توسط بيننــا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر
تهون علينا في المعالى نفوسنا
ومن يخطب الحسناء لم يغلها المهر
أعز بنى الدنيا وأعلى ذوى العلا
وأكرم من فوق التراب ولا فخر

☐ ويفخر الشريف الرضى بصفات إسلامية فيقول عن نفسه :

وقور فلا الألحان تأسر عزمتى
ولا تمكر الصهباء بي حين أشرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
غرائب آداب حبانى بحفظها
زمانى وصرف الدهر نعم المؤدب

ولعله أراد في البيت الأول بعده عن الخمر والسُكر ، وربما اضطرته القافية إلى ذكر الجملة « **حين أشرب** » إذ لا تتفق ومعانى الإسلام ومبادئه المقررة .

الجهاد والتحريض

كان المسلمون في العصر العباسي يعقدون المصالحات بينهم وبين الروم ، ويهادنونهم ، وكان بعض هؤلاء المعاهدين ينقضون مواثيقهم .. والشعراء كانوا لهم بالمرصاد ، فكانوا يحرضون الخلفاء على الجهاد .. وتأديب الناكثين .. وحرب المخالفين ويقول الشاعر أبو محمد عبد الله يحرض الرشيد على حرب نقفور :



نقض الذى أعطيته نقفور
فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فإنه
فتح أتاك به الإله كبير
فلقد تباشرت الرعية أن أتى
بالنقض عنه وافد وبشير
ورجت يمينك أن تعجل غزوة
تشفى النفوس مكانها مذكور

ويصف هذا الشاعر نقفور بالجهل والغرور وذلك لأن الرشيد :

ملك تجرد للجهاد بنفسه
فعدوه أبداً به مقهور

☐ وكذلك كان الرشيد يغزو عاماً ويحج عاماً ، وهو في كلتا الحالتين يتصف بما ينبغى للخليفة المسلم أن يتصف به .. فهو شجاع في عز باذخ من قريش ، وزحوفه كثيفة يغطيها السلاح يدفع عن الإسلام النكبات ، وهو في عام حجه ذو مواكب إسلامية وفضائل خلقية .. ويقول أبو العتاهية ممثلا للحجا فنبين :

وهارون ماء المزن يشفى به الصدى
إذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
وأوسط بيت في قريش لبيته
وأول عز في قريش وآخره
وزحف له تحكى البروق سيوفه
وتحكى الرعود القاصفات حوافره
إذا نُكب الإسلام يوماً بنكبة
فهارون من بين البرية ثائره
ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك
كذا لم يفت هارون ضد ينافره

رحم الله هؤلاء الشعراء الذين عبروا عن أمجاد الإسلام ، وعظمة هذا البنيان الشامخ الذى يحاول كل عدو النيل منه والعمل على إضعافه ولكنه :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

الهوامش والمراجع

١) ابن هرمة : يكنى أبا إسحق ، وهو من أهل المدينة « طبقات الشعراء لابن المعتز ٢٠ » .
٢) ديوان الحماسة ٣١٩ .
٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٧٤ .
٤) ديوان البحترى جـ ٩٩٣/٢ . ومواضع أخرى من الديوان .
٥) الحياة الادبية في الشام في القرن الخامس الهجرى د. عبد الجليل حسن عبد المهدى .
٦) من الأدب في العصر العباسى الأول د. محمد أحمد سلامة
٧) ديوان البحترى ٨٣٨/٢ .
٨) ديوان المتنبى تحقيق البرقوقى ١٨٨/١ .

ديوان المنهل

العدد العاشر
جمادى الآخرة
١٤٠٤هـ

قصائد العدد

المشتار.. المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقاً أن يقال له شعر

المشرف
محمود عارف



قالوا: «ما أشبه الليلة بالبارحة».

ويقول شعراؤنا فى هذا العدد: «شتان».

شتان بين الأمس واليوم..

بين أمسنا المشرق بحضارة الاسلام ومجد العروبة..

وحاضرنا الغائم فى الخلافات والانهيار وفقدان الغاية..

سار أجدادنا وأسلافنا على الطريق الصُّلب.

أما نحن فقد غاصت الأرض من تحت أقدامنا:

سرقوا قدسنا

ومزقوا لبناننا

وغاب ماضينا

ولكن شعراءنا يصرون على أن «اليوم نصحو وغدا يأتى الدوى»

فلنزرع.. ولنرو.. «فكل حصاد المرء من حيث يزرع»

ولنكدّ.. ولنؤمن.. ولنعمل.. ولنضع أقدامنا على نفس طريق الأجداد.. طريق الدين والهدى والتقوى ونبذ الخلافات.. و«الهيافات».

وساعتها.. فالمجد للإسلام.. من جديد.

«المشرف»



أى شىء من هوانا فى يَدَىّ
يا أحباء حياتى؟ أى شىّ
يا أخلاء شبابى والصِّبا
أنا بعد الوصل بالهجرِ قصىّ
ما أمرَّ البينَ كم أشقى به
بالزمانِ الغادرِ الحرّ شقىّ
المغانى والغوانى والصِّبا
أنا عنهن غريب أجنبى
فسواء أملى أو ألمى
ليس فرق بين الاثنين لدىّ
المنى كل المنى قد ذهبت
وتلاشت بددا من راحتىّ
وبقايا الحُلْم كانت بيدى
أين ما كان لحظى بيدىّ
وسراب كاذب يخدعنى
ثم أبْقَي لى الأسى فى وجنتىّ
جئت للنور ودنيا أمتى
يحتويها العزُّ والمجدُ السنىُّ

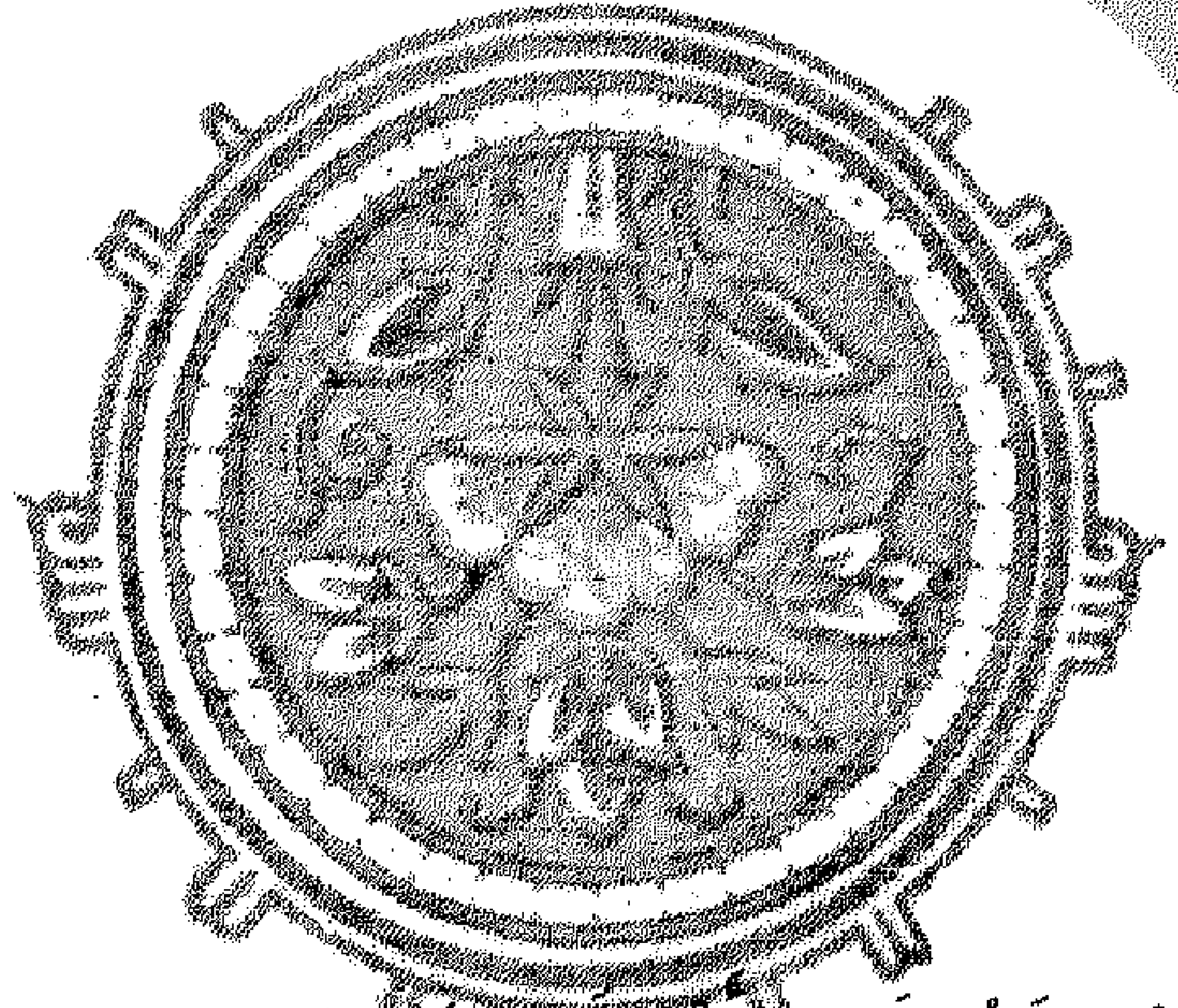


بريشة الشاعر المبدع
د. محمد عبد المنعم خفاجي

الصدى أم الصدى أسمعه
ليس منه نغم فى أذنىّ
يالَماضى أمتى فوق الذُّرىَ
أين منى ذلك الماضى الذكىّ؟
لست أدرى ولماذا عبثت
يدها بالكنز، بالكنز الثرىّ
بحضارات بنتها أمم
وبناها الذهن والفكر السرى
شادها قومى وقومى كم بنوا
معجزاتٍ لجلالٍ عربىّ
عمموا بالشمس هاما تهمو
ورنا الفجر إليهمْ والعشىّ
ملكوا الدنيا وسادوا أمم ال
أرض بالدين العظيم العُلوِىّ
بكتاب الله، بالوحى وبال
نور شادوا كل مجد عبقرى
أمتى، يا أمة الدين العلىّ
انهضى للفجر، للمجد العلى

ظلا يومنا
ـنـز للغد بالفكر السوى
ـنـا قرنا أصداؤنا
وارتمينا فى ظلام سرمدى
ومن الحمق حروب ـت
بيننا لا تنتهى اليوم لشىّ
وكما قال رسول الله كما
ن اللذى نشهد فى الافق القصى
كسروىٌّ بابلىٌّ وقَفا
يلهوان اليوم بالسيف الغبى
هيه يا يومى التليد العبقرى
يوم ميلاد الرسول الهاشمى
أنت نور الفجر فى ليل السُّرى
أنت داعى الله للعزِّ السنى
أنت من علمت أجيال الهدى
ولهمْ كنت الأخ البرّ الوفىّ
هيه يا مفتاح أبوابِ المنى
بك نخطو فى الضياء النبوى
أمتى لا تحزنى، لا تحزنى
معكِ العزة من وحى نبى
ومع اليوم غد يصنعه الله
بالدين وبالحق السوى
امتى، لا تحزنى، بعد المسا
يجئ النور والفجر البهى
كل شىء قدر قدره الله
والأيام نشر ثم طى
الدجى يعقبه النور، وما
من شقاء أو رخاء أبدى
كانت الدنيا لنا، بالأمس
واليوم نصحو، وغدا يأتى الدوى

المجدُ



إسْلامُنا أعْلى مَنارِ
فِيهِ سَلامَةُ الاخْتِيارِ
وَمُحَمَّدٌ عُنْوانُنا الـ
ـزَّاهِي وكنز الافْتَخارِ
فَهْوَ الضَّميرُ الحَيُّ يَطْـ
ـفَحُ نوره بالازْدِهارِ
وَهْوَ الشَّبابُ الدَّائِمُ الـ
ـمَحْفُوظُ في أبْهى دِثارِ
يَدْعُو بأعْلى صَوْتِهِ:
هبُّوا إلى أقْوى قَرارِ
فَشَرِيعَةُ الإِسْلامِ ضَا
مِنَةٌ لِعُمْرانِ الدِّيارِ
دِينُ الحَقِيقَةِ والهُدَا
يَةِ لَيْسَ يُبْقِي مِنْ عِثارِ
دِينُ الأُخُوَّةِ والمُسَا
واةِ العَمِيمَةِ لا يُداري
ضِمْنَ المَحَبَّةِ وَالعَدَا
لَةِ لِلصِّغارِ وَلِلكِبارِ
في فِطْرَةِ الرَّحْمنِ مَنْـ
ـجَاةٌ لَنا مِنْ لَفْحِ نَارِ



وَحِمايَةُ الإسْلامِ حِصْـ
ـنٌ لِلسِّيادَةِ وَالوَقارِ
وَالوحْدَةُ الكُبرى حَيَا
ةٌ لِلعَقِيدَةِ والمَسارِ

للإسلام

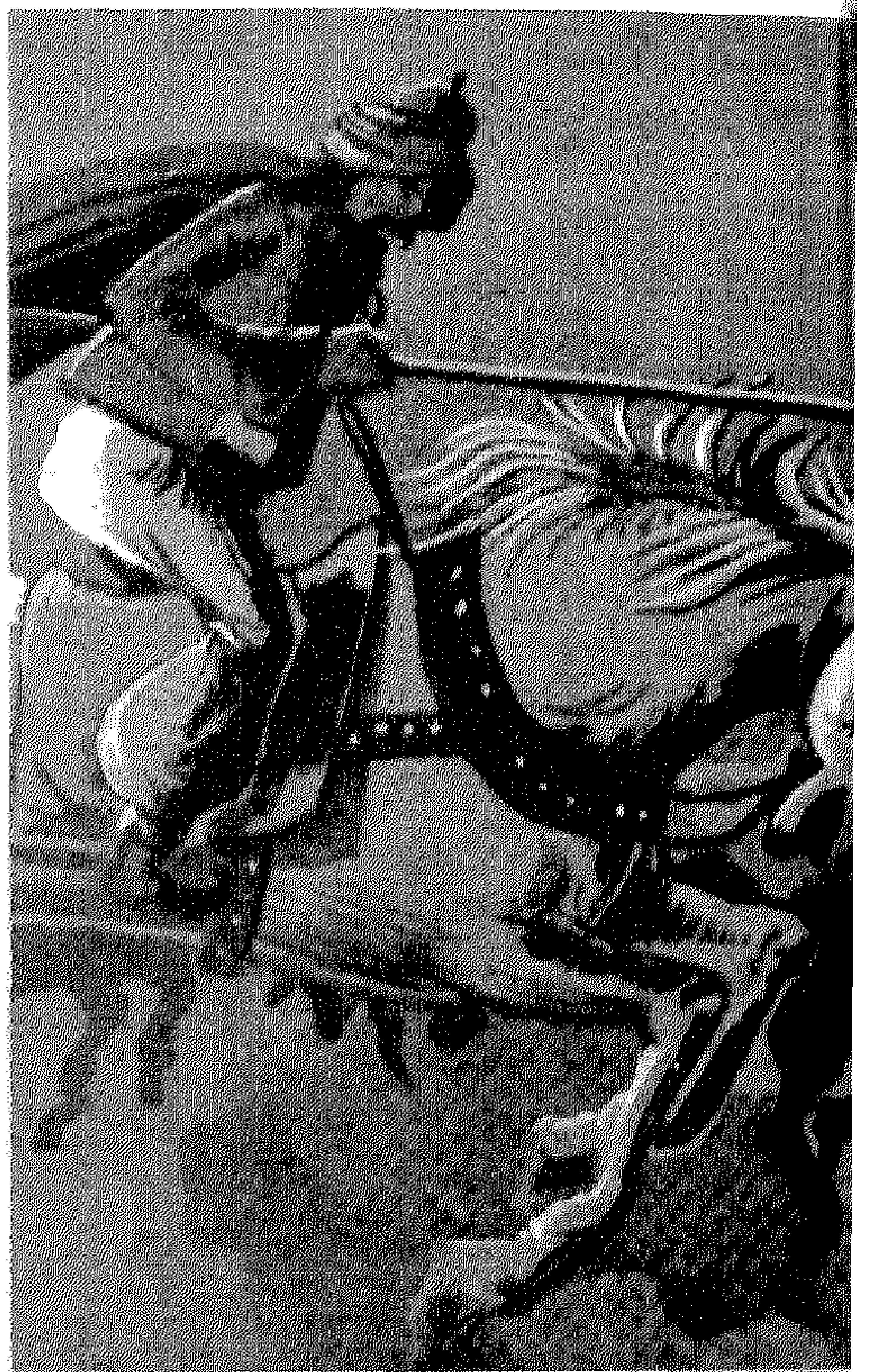


شعر: محمد بن محمد العلمي

لا الشَّرقُ يَطْبَعُنا ولا
لِلْغَرْبِ نَخْضَعُ في المَدارِ
فَعلاقَةُ الإنْسانِ بالإِ
نْسانِ جَوهَرُ الاعْتِبارِ

★★★

إنَّا تَحَدَّيْنا الصِّعا
بَ وقَدْ طُبِعْنا بِاقْتِدارِ:
لَسْنا ضِعافاً في الوَرى
كَلَّا وَلا أَهْلَ افتِقارِ
فإذا تَكَتَّلَتِ الجُهو
دُ تَوَفَّرَتْ فُرَصُ الحِوارِ
وأَتَتْ كُنوزُ الكَونِ تَخْـ
ـدمُنا بِأَرْصِدَةٍ غِزارِ
إسْلامُنا رَمْزُ اكْتِفا
ءِ الذَّاتِ عُنْوانُ انتِصارِ
ديناً ودُنيا نَحْنُ قَدْ
نِلْنا النَّجاحَ في الاخْتِبارِ
إذْ لَيْسَ يُقْبَلُ في التَّقا
عُسِ والقُعُودِ من اعْتِذارِ
والمَجْدُ للإسْلامِ في
هِ هِدايَةٌ لِلْعالَمِ المُحْتارِ



وبالاعْتِدالِ لَقَدْ بَدا
لِمَنِ اهْتَدى أَسْمى شِعارِ
والشِّركُ والإلْحادُ والـ
ـتَّشْكيكُ عارٌ أيُّ عارِ

سلام

سلامٌ على القدُس والعَتبات ومهد الرسالات في الحقب
سَلامٌ على مُلتقى الأنبياء ومولد عيسى ومسرى النبي
يُسبح فوقَ رباها الحمامُ ويَسبحُ في عطرها الطيب
مَنائرها الزهر فوقَ القباب عرائس تختالُ في موكب
تظللها المعجزاتُ الكبارُ وَتَعبق بالرسل والكتب
وترتفع «الله اكبر» في مآذنها بالصدى الملهب
هنا عاش عيسى وانصاره ومنها ارتقى للسماء النبي
كأني بفاتحها عُمرٍ يُطل على جملٍ أشهب
يسيرُ وصاحبُه راكبٌ. ومن يفتح المدنَ لا يركبُ
يصلي ويلثم حصباءها ويبني بها المجد للعرب
سلامٌ على القُدس شامخةً تُرابِط في المعقل الأشيب
تصُد الصليب وأتباعهُ وتخضِدُ من شوكة الأجنبي
يحف صلاح بأسوارها كما حُفتِ العَينُ بالهُدب
إذا انتسب القدسُ كُنا لهُ كأكرم جَدٍ وخيرِ أب
سقينا ثراه دماً سائراً وكنا له الحصن في النوب
نشد الرحال الى أهله ونجثو لديه على الركب
وتهفو القلوب لمسجده كمكة في الطهر أو يسرب
سألت الزمان وبي غُصّةٌ ودمع عيوني لم ينضب
عن القدس. والعرب الفاتحين وماذا دهاهم، فلم يجب

لى القدس

شعر : محمد الحلوي

وما أخرس الدهر الا مصاب توالى على الشرق بالكرب
أذابت بنيه خلافاتهم وضاعوا مع الحزب والمذهب
تُقتل صهيون أبناءنا وتفتك بالطفل والأشيب
وتنسف فى القدس اقداسنا فتصبح كالهيكل الخرب
وتحتشد الغرب فى محفل لتمطر صهيون بالخطب
ويجتمع الامن في مجلس ليصدر حكما على المذنب
ويبلغ صهيون إنكاره جرائمها السود فى أدب
تحارب صهيون فى خندق وتبحر للحرب فى أهب
وتعصف بالعرب أهواؤها فتسعى الى الحرب فى عصب
اذا اشتعلت بينهم فتن تعهدها الغرب بالحطب
ملايين نحن ! ولكننا صقور تصول بلا مخلب
فيا أمة أثقلتها الهموم وظلم الاباعد والاقرب
علام الخلافات في باطل وفيم الحروب بلا سبب
وماذا تركتم لاعدائكم سماسرة الحرب والشغب؟
ويا سارق القدس من امتي خسرت الرهان ولم تكسب
فما وحد الغرب الا الخطوب ولا اجتمعت في سوى النوب
ومن هيج الأسد فى غابها وأغضب جامحها تغضب
ويا يوم قدسى حان الاوان ويا شمس قدسى لا تغربى
غدا يلتقى الشرق فوق رباك ويسجد فيها مع المغرب

لبنان ماذا دهاك

العين من شدّة الأحْـزان تنْهمِـرُ
والقلب من حمم الأحْـداث ينفطرُ
والعقْلُ ضلّ طريق النور مُذْ أخذت
نارُ الضّـغـائن فى لُبْنـان تسْتعِرُ
لبنان يا بَهْجة الدّنيا وزينتها
يا دوحة يتغني جوها العطرُ
يا جنّة تأسرُ الألْباب فتنتُها
أفنانها بصنوف الخير تزدهر
ماذا دهاك؟ وكُنْت الروض مُؤْتلقا
فصرْتَ مُسْتنْقعاً يفْني به البشـر
سطت عليك وحُوش الغاب ضاربةً
تبْغي افْتراسك لا تُبْقى ولا تذرُ
منْ كلّ وكْرٍ أتاك جحْفلٌ شرِهٌ
بلهيب أسْلحة التّدمير يعتجرُ
شقُّوا حشاك بسهْم الخُلْف فانْقطعت
عنْك الحياةُ وجفّ الماء والشّجرُ
وأحْرقُوك بنارٍ منْ صواعقهم
حتّى رأوا كلّ شيء فيك ينْدثرُ
ويزْعُمُون ضلالاً أنهم وفدُوا
ليَحْفظُوا السِّلْم والعدْلِ الذى نشروا
غِشٌّ وزُور وأوْهامٌ مُلفّقةٌ
قدْ زيّنُوها وفيها الدّاءُ والخَطـرُ

شاعرنا.. فى سطور
١ - مواليد سنة ١٩٤٧م - محافظة القليوبية/ مصر.
٢ - حاصل على درجة الماجستير فى النقد الأدبى والبلاغة العربية
٣ - يعمل مدرسا مساعدا فى قسم النقد والبلاغة بجامعة الأزهر.
٤ - له عدد من البحوث والنتاج الشعرى.
٥ - يعد - حاليا - رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى موضوع: «البلاغة القرآنية فى تفسير أبى السعود».

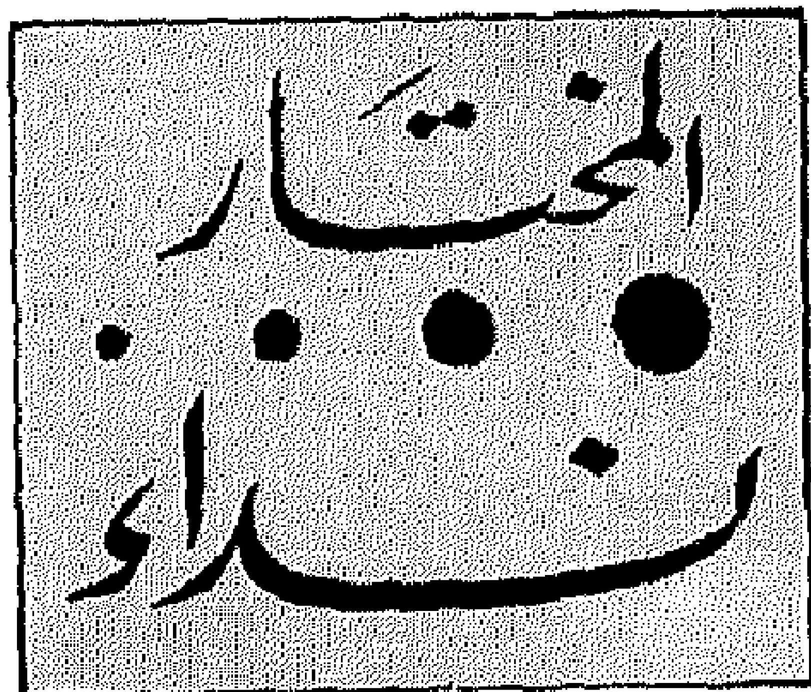
بريشة الأستاذ :

الشحات محمد عبد الرحمن

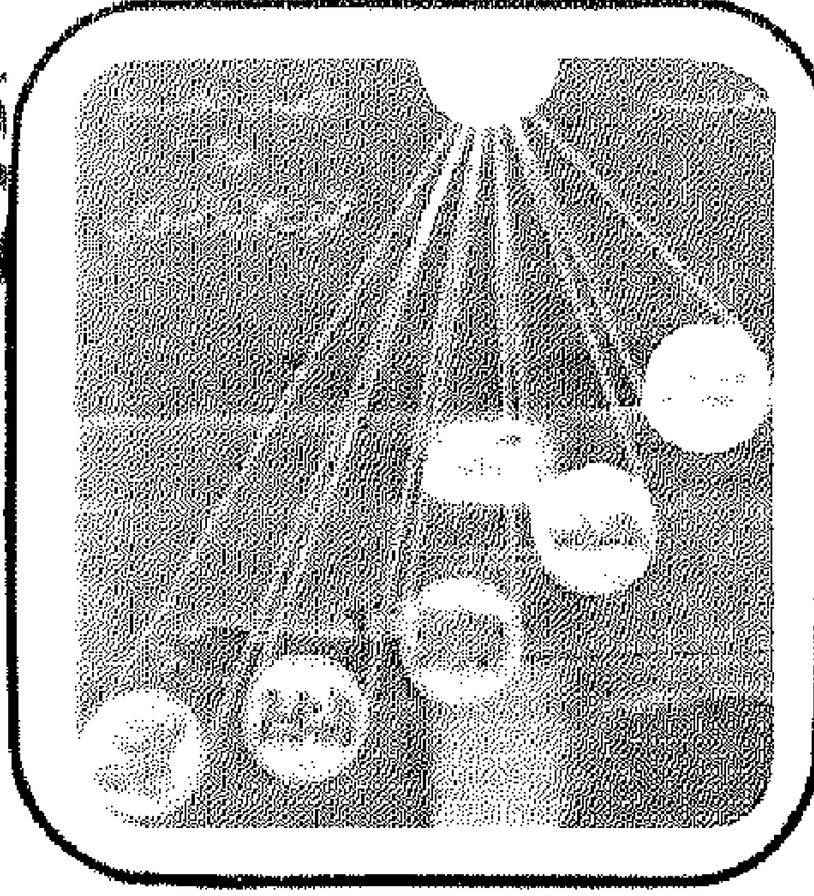
تلكَ المبادِئ عبْء لا يقُومُ بِهِ
قوم بكلِّ مواثيق الهُدى كَفَرُوا

هل يحفظُ السِّلم منْ بالْقتْل قَد عُرِفُوا؟
أمْ يَنشُرُ العدْل منْ بِالظُّلْم قدَ شُهِرُوا؟
لا لنْ يقوُم بهذَا الفضل منْ أحَدٍ
الآكِرام لشَيْطانِ الهوى قَهَرُوا
يا أمَّة العُرْب فى لبْنان قدْ فَنِيت
ومـا بها من بقايا بَات يحتضِرُ
شراذم البغْى فى أفنْائِها قَبَعُوا
ولِلْفضِيلةِ فى ساحاتِها عقرُوا
لم يَكْتَفُوا بفلِسطين التِّي سَلَبُوا
فداهمُوها بما اسطَاعوا وما قَدَرُوا
مالِى أراكمُ وقدْ شبَّت بوحْدتِكمُ
نارُ التَّفرُّق تفنِيكم وتنتشِرُ
هلَّا أفَقتُم سراعًا منْ غوايتِكُم
لتجْعلُوا حُجُبَ الأهْواءِ تنْحسِر
هيّا انْبُذُوا الخُلْفَ وابْنُوا صَرْح وحْدتِكمُ
وبالشَّريعة دين الحَقِّ فأتمرُوا
وجاهِدُوا فى سبيلِ الله يحْفِزكُمُ
خيْرُ الثَّوابيْن نَيْلُ الخُلْد أوْ ظَفَرُ
حتَّى تُعيِدُوا لرَوضِ الشام نُضْرَتَه
ويأتِى الخَيْرُ فِى لُبْنَان يَنْهَمِرُ





بنى وطنى انا على فجر نهضة
تصد الدجى أنى تدجى وتصدع
وللفجر في وجه الحياة أشعة
تذيب الكرى عن ناظريها وتدفع
وانى لأستنشى شذاها وعطرها
وأشدو لها من نشوة واوقع
بكينا على الماضى كثيرا وان يكن
خطيرا فما يجدى البكا والتفجع
مضى السلف الأبرار يعبق ذكرهم
فسيروا كما ساروا على الدهر واصنعوا
وما الفخر بالماضى اذا لم يكن له
من الحاضر الزاهي بناء مرفع
خذوا باكف الأسد من أسهم العلى
نصيبا فان الحاضر اليوم أوسع



يد الدهر لا تسخو بمجد لعاجز
ضعيف ولا تندى ولا تتبرع
لقد أفصحت عن سرها لو تكلمت
حياة بقدر (السعي) تعطي وتمنع
وما قيمة (الأوطان) ان لم يكن لها
(رجال) يلذون الشقاء لينفعوا
جرت حكمة الدنيا على الناس أنها
تصد لمن صدوا وتسمى لمن سعوا

***

حصدنا الضنى لما زرعنا له المنى
(وجل حصاد المرء من حيث يزرع)
ومن ضاق ذرعا بالحياة فانها
تضيق به وهو الكريم السيدع

بريشة الشاعر الرائد
مُحمّد بن علي السنوسي
شاعر الجنوب

عروس البحر

مهداة لمعالي المهندس أمين مدينة جدة

محمد سعيد فارسي

أُغرودة الثغرِ والشطآنِ والبحرِ … "جُدة" البلدِ الميمونِ والعُصُرِ
يدُ صناعٍ مشتْ في جيدِها فبدتْ … في الليلِ لؤلؤةً تزدانُ بالدُّرَرِ
كانت مرابعُها جرداءَ عاطلةً … من الجمالِ وكانت ميْتةَ الشجرِ
وحين مسّت يدُ التخطيطِ ساحتَها … وهوّنَ العزمُ ما قد كان من عُسُرِ
غاض الشحوبُ بها واخضوضرتْ وغدتْ … حديقةً تحتفي بالعطرِ والزّهَرِ
الفنُّ والذوقُ والتخطيطُ أودعها … سحرَ الجمالِ فصارتْ فتنةَ النظرِ
شتّانَ ما أمسُها واليومَ إذ لبستْ … ثوبَ العروسِ وأضحت زينةَ الحضَرِ
كأنما السّحرُ قد ألقى بساحتِها … عصا الحضارةِ والإعجازِ والقدَرِ
أكذَبتُ عيني وما عيني بكاذبةٍ … لكنها نفحاتُ العزمِ والسّهَرِ
بالأمسِ كانت على عهدي مرابعُها … طيَّ الرُّكامِ بليلٍ نائمٍ خَدِرِ
واليومَ أضحت عروسُ البحرِ زاهيةً … في جيدِها لمساتُ الفنِّ والفِكَرِ
قد قيَّضَ اللهُ قلباً عزَّ مُشْبِهُهُ … أجلْ. وأيّدهُ في العُسْرِ باليُسُرِ
وعبقرياً وذا صبرٍ يؤيّدُهُ … عزمٌ وحزمٌ مع الإصرارِ والظفَرِ
هذي العروسُ عروسُ البحرِ ناهدةٌ … كأنها من بناتِ الحورِ والحوَرِ
كأنها جنةٌ خضراءُ واعدةٌ … وعُرسُها اليومَ ملءُ السّمعِ والبصَرِ

صفر ١٤٠٤هـ. عدنان أسعد

وفيات الأعيان

عبرات على الشيخ عبد القدوس وتهان لشبله نبيه

بريشة الشاعر
قدور الورطاسي الحسني
نائب مدير الشؤون الدينية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

هيامي «بجُدّة» هيام مُروع ... وآية وجدان بدين مُقوَّم
ففي كل آن اجنحي تتصدع ... وآية اداب به تتفرع
متى هوَّم المنامِ حَوَّم طيفها ... ومن ذا الذي يرى «نبيها» بمنهل
فلاحت بآفاق الفؤاد تَضوع ... ويرتاب في القراح، أو يترفع؟
فما زلتُ مذ رايتُها مُتولها ... فما الشبل إلّا من عرين أصوله
وقلبي بلطفها مدى العمر مُولع ... وما في العرين إلّا ما يَتَمنع
فلله ما أحلى المقام بتُربها ... فلازلتَ يا «نبيه» منهل جيلكم
طويلا و«منهل» به أتمتع ... يعب به طول الحياة ويكرع
أغْذِي شعوري من قطاف يراعه ... فيسمو بأخلاق كرام وفكرة
تصول «بمنهل» فتُثْرى وتمرع ... صؤول بها تنمو العقول وتُرْفع
وأحْيَا به فوق الأثير مُحلّقاً ... ولازال «شيخ الفكر» في الخلد راضيا
كما شئتُ لا همٌ يزور فيُوجع ... أبوكم وفي «الفردوس» يحيى ويهجع
ولكنها أفنان دوح ثقافةٍ ... لئن كنت «يانبيه» تذرف دمعة
عصيرٌ حلالٌ طعمه متنوع ... ففي أعيني والله شجو وادمع
لَكَمْ جُلْتُ في «جنّاته» متمليا ... وفي القلب أحزان «عليه» لهيبة
ثماراً من الأفكار تُرْوى وتُبْدعُ ... فلله أحزان تثور فتفزع

نقاط..



مصطفى ادريس

عن الحداثة عن التجديد !

□ الوقوف فى وجه تيار الحداثة فى الادب يعنى رفض ضخ الدماء للجسد الادبى .. وتنثر الدماء فى عروقه ..

○ هذا ليس تشخيصا « طبيا » لقضية الحداثة .. لابد ان نؤمن بان اعطاء الفرصة للتجربة ضرورة اذا اردنا استمرارية التفاعل الفكرى مع مجريات الزمن ..

○ ايضا نخطىء اذا بترنا انفسنا عن الارضية القومية فى ادبنا القديم .. فهو القاعدة التراثية الهائلة التى تعطى الدفعات للجديد وبين القديم والجديد تقع منطقة « التجريب » لتحديث الموروث من الفكر .. والحداثة لا تعنى قطع الصلة بين الانتاج الجديد وبين الموروث من الفكر فالانسلاخ عن الهوية والطابع تجعل من التجديد عملية تشويه ..

○ عندما نعطى الضوء للتجريب لا يعنى الامر « الانفلات » دون ان تكون هناك رواية محددة .. او كما يدعو البعض لالغاء الذاكرة !

○ ان خلق ادب جديد لا يعنى ان نلغى الحصيلة الفكرية وهى نتيجة تجربة قوية جديرة بالتقدير واثراء التجربة الجديدة ..

○ وكمثال للجدل القائم اليوم فى قضية التجديد فى الشعر نستشف ان هناك مواقف متصلبة من كلا الطرفين ..

فالطرف الأول يرى ان الشعر اليوم يمر بازمة وان « الشعراء » المجددين من المدرسة الحديثة يلجئون للغموض وتقليد خطوات وتكنيك الشعراء الغربيين وكأنهم فقدوا ذاكرتهم الشعرية العربية ! ويطالب اصحاب هذا الرأى بان تنطلق الحداثة من ارض صلبة وجذور تتيح لها ان تقف شامخة فى وجه الرياح ..

○ ليس من داع للاستمرار فى احداث الحالة التصادمية بين القديم والجديد .. فالحديث لا يعنى التخريب ..

والقديم لا يعنى السكون والتقوقع فى بوتقه متحجرة اننا بحاجة لانطلاقات جديدة فى كل فروع الادب وليس الشعر وحده . ومن الخطأ الاستمرار فى هذا الخلاف مادام التجديد قضية حتمية .. انما المطلوب ان تكون هناك نتيجة محددة للجديد ومن ثم الحكم عليه .. لان الملاحظ ان مقياس الحكم يتم بشكل خاطىء فعندما يسأل احد « فطاحل » الشعر العمودى يستشهد بقصاصة نثرية منشورة فى زاوية القراء فى صحيفة ما .. وبالطبع هذا مقياس خاطىء ونظرة محدودة ترفض التجديد .. او « الرفض للرفض » فلا ننسى ان شاكر بدر السياب شاعر مجدد .. امل دنقل .. نازك الخ .. والحكم على التجربة يأتى من خلال هؤلاء الكبار الذين استطاعوا حركة التجديد الفعلية وفى تراثنا القديم ثروة هائلة قابلة للتحريك .. للتجديد .. اعطوا الفرصة ثم احكموا !!

ستحرص رسالة القاهرة على أن تقدم الأقلام الرائدة في تخصصاتها على مستوى مصر كلها حرصا على أن يكون للمبدع سبق التعليق على القضايا الأدبية . ولعلكم تعلمون أن الأستاذ القنديل قد تلقى الكثير من الكتابات كتعليق على ما كتبه عن الشعر والشعر ونشر في عدد صفر الفرد سنة ١٤٠٤ هـ وصدر بيان عن لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة أشرنا إليه في رسالتنا لشهر ربيع وكذلك كان هناك تصريح للدكتور عبده بدوي رئيس تحرير مجلة الشعر القاهرية أوضح فيه أن الشعر الجديد ما هو إلا ثورة ومعنى هذا أن المجال بكتابه الرواد سيكون له دائما فضل السبق إن شاء الله كما ستحرص رسالة القاهرة دوما - بعونه تعالى على ألا تقدم إلى «المجال» إلا العناصر الجيدة التي يكون لكتاباتها صدى إعلامها واسعا .

حمدي الكناوي



بقلم : الدكتور أحمد الحفناوي

قضية للمناقشة

شعراؤنا .. وفنون التجديد

الحلقة الثالثة

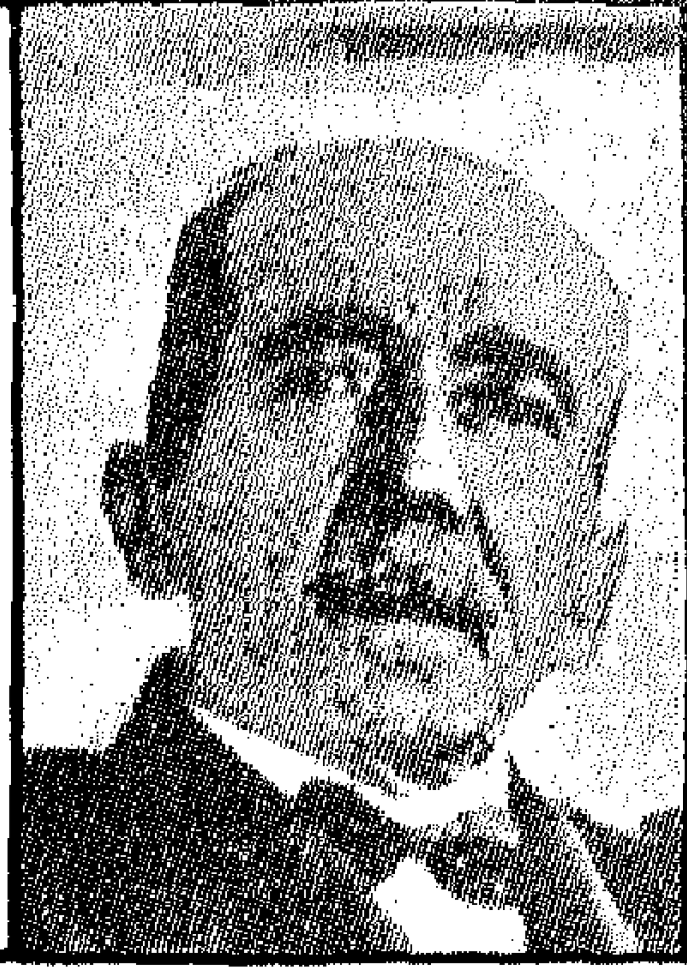
من قلم الأستاذ عبد المنعم قنديل

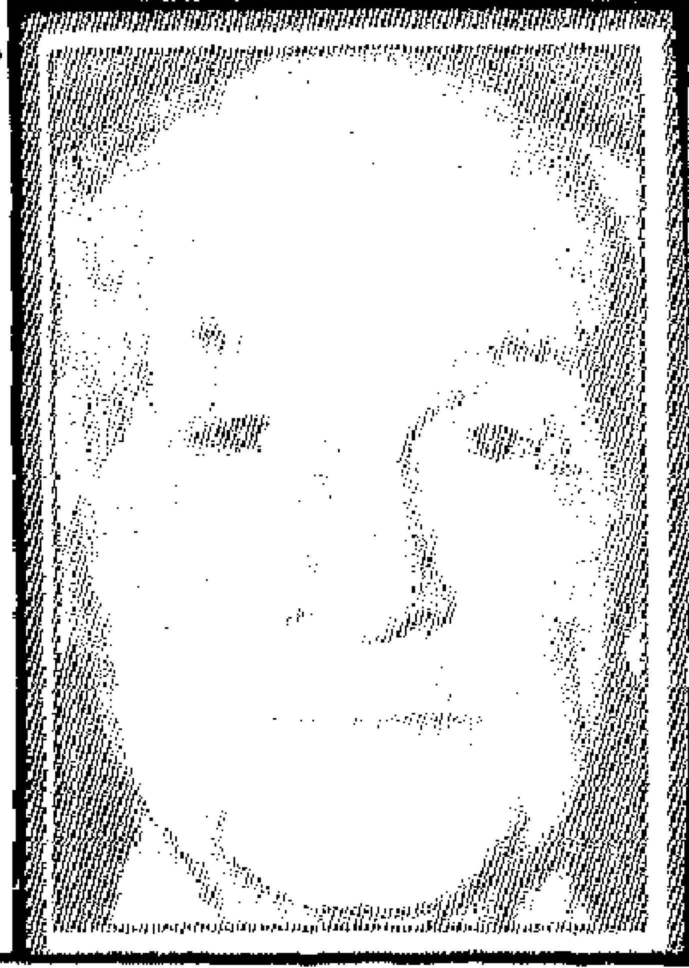
في المقال السابق أشرنا إلى أن الشعر العمودى لم يقف جامداً عند حدود فن الأقدمين .. وأنه ارتدى ثوب التَّجديد على يد بعض شعرائنا المبدعين ... ومن ألوان التجديد التى اتَّسَم بِها : دخوله ميدانى المسرحية والقصة .. ونقول اليوم .. ان التجديد شمل ناحيتين مهمتين : الشكل والمضمون .. فمن ناحية الشكل أدخل الشعراء المجددون ألفاظا عصرية قد تكون مُعَرَّبَة أو قد تكون غير مُعَرَّبَه ، إلا أنها أضْفَتْ رونقاً على الصِّياغة وأسبغت جمالا على الأداء ، وواكب بها الشِّعر مسيرة العصر . فلم يعد مُتَّشحاً بالرِّداء السَّلفى فحسب ، وإنما اصطبغ بصبغة جديدة ، لم تفصمه عن ماضيه ، ولم تعزله عن تراثه .. وإنما كانت بمثابة انطلاقة به صوب رحاب أوسع ، وآفاق أشمل .

كاتبنا في سطور

- تخرج في كلية دار العلوم سنة ١٩٤٩ .
- حصل على الميدالية الذهبية في الشعر وعمره ١٨ عاما .
- أصدر ديوان شعر عنوانه : « رحلة الحياة » سنة ١٩٥٢ .
- أصدر ١٦ كتابا عن أبطال الفتح الاسلامى .. يدرس عدد منها في بعض البلاد العربية .
- عضو اتحاد كتاب مصر ، بمبادرة من الاتحاد .
- يعمل ناقدا أدبيا بمؤسسة أخبار اليوم بالقاهرة .
- ومديرا لمجلة اللواء الاسلامى

ولا ريب أن لغة العصر — شعرا ونثرا — تختلف وتتباين في كل بلد عربى ، عما كانت عليه في الحقب السوالف ، والعصور الخوالى .. وهذه طبيعة الأشياء .. ولكن شعراءنا المجددين الذين التزموا بالإطار العربى .. والقواعد الموروثة .. كانوا أشد حرصا على ألا يفقد الشعر جماله ، ولذلك لم يسرفوا على فنِّهم في مزجه بقسط أكبر من ألفاظ العصر .. المستخدمة والوافدة على السواء .. ولو أنهم فعلوا ذلك لكان مثلهم مثل من يتناول دواء


أحمد شوقي


عزيز أباظة

لتجديد شبابه .. ولكن بجرعات أكبر مما ينبغي .. فتكون النتيجة أن يأتي الدواء على عكس ما يُنتظر منه .. وهكذا كان التجديد في الاداء قائماً على أساس فني دقيق .

نلاحظ هذا كله في شعر الشَّابِّي وأبي شادى وعلى طه ومن لَفَّ لَفَّهم من الشعراء الذين كانوا إرهاصا لمن جاء بعدهم من المجددين في المضمون .. والمحلقين في سماوات جديدة من فنون الشعر .. وكان من حسن حظ هؤلاء الشعراء أنهم جاءوا تترى في فترة توفرت فيها الحرية بأعلامها .. وينطلق فيها الفنان بمخيلته في كلّ وادٍ يريده ، وفي كل شِعْب يسلكه .. ومن ثمة أجادوا وأحسنوا ، وأثْرُوا المكتبة العربية برصيدٍ عالٍ من الشعر الممتع ، والقريض البديع .

وفي الوقت نفسه كان الشعراء الذين خلفوا أحمد شوقي « طيَّب الله ثراه » ، وعلى رأسهم الشاعر الفنان المأساوى « عزيز أباظة » يُمسِكون بِلِوَاء الشعر العمودى ، ولكن في ميدان العمل المسرحى الجيد .. وهنا لا بد لنا من وقفة لنبين للقارىء ما كان عليه شوقي وعزيز أباظه من قدرة مُبْدِعة وطاقة مفتنة .. مع اختلافهما في الحِسّ والوجدان .. فمما لا شك فيه أن شوقي كان له فضل الرِّيادة والسبق في نظم المسرحية الشعرية .. وكان شاعراً كبيراً استطاع أن يُطوِّع الحوار للتفاعيل ، وأن يجعل أكثر من شخص يتحاورون في بيت واحد من الشعر ، دون أن تهتز موسيقى الشعر بنغمة نشاز . وهذه الموهبة قلّ أو ندر أن تتاح إلاّ لشاعرٍ له خصيصة ذاتية ينفرد بها ، وتتسامى به على من عداه .

ولكن مسرحيات أحمد شوقي . وان كانت بداية موفقة ، وريادة مثمرة وفتحاً جديداً في عالم الشعر .. فإنها كانت تعتمد على ملكاته الفنية وحدها .. أي كان ينسج هذا الرِّداء الفنى ، وابداعه قائم على العقل وحده ، وعلى التفكير الخالى من الشعور .. ولذلك فنحن نبهر بحكمه وعظاته ولمحاته الذِّهنيَّة ، وروعة أدائه .. دون أن نحس نبضات قلبه ، وخفقات وجدانه ، وخوالج شعوره .. فهو فنَّان يصور أحداث التَّاريخ ، ويستنبط منها العبر ، ويستخرج الآيات .. وهو جالس على منصة الحكمة أحياناً ، وفي « عكاظ » أحياناً أخرى .. ومسرحياته وإن لم تكن ذات هيكل فنّي رفيع ـــ لأن شوقي لم يكن فناناً مسرحياً بالمعنى الحقيقي ـــ إلا أنها تأخذ القارىء في رحلة فنِّية ممتعة لما فيها من جمال وفنون .. وهى تحمل صُوَراً رائعة من الشعر ، ولكنها مجردة من الشعور .

عكس هذا نجده في مسرحيَّات عزيز أباظه .. فالإحساس فيها يطالعك في كل لَفْظَة ، ومعنى ، فضلاً عن كل موقف ومشهد .. ولعل

مردّ هذا إلى أن الشاعر عزيز أباظه لم يحترف الشعر ولم يتجه إليه إلاّ بعد وفاة زوجته .. فقد تفجر في نفسه الشعر الحزين ، وتماوجت في صدره خواطر الشجن والشّجا والأسى والألم .. وأحس بغُربة الرُّوح رغم أنه يعيش في بذخ القصور .. ثم استحال هذا كله إلى شعر دامع ، وقريض عهش ، وقصائد باكية .. تضمنها ديوانه الأول « أنّات حائرة » .. ولا ريب أن هذا الدّيوان كان كالجدول الصغير الذى تتابعت بعده موجات النّهر الكبير المُتمثّلة في مسرحياته .

فقد راح عزيز أباظه ، وهو شاعر لا يقل إبداعا عن شوقي ، من ناحية الاداء ، راح يبحث في طوايا التاريخ عن الذين رماهم القدر في مقْتل ، وفرقت بينهم أيدى المنون .. ليعكس مأساتهم في شعر مسرحي يُفرغ فيه وجدانه الحزين ، وشعوره الأسيان ، وخواطره الشّاجية .. ومن هنا كان الفارق بينه وبين شوقي من ناحية الشُعور ، وليس من ناحية الشِعْر .. فحين نقرأ مسرحية « قيس ولبنى » .. أو « العباسة » فإننا نحس في مشاهد كل منهما لوعة الفراق .. وأحاسيس الألم .. فهو يستنطق التّاريخ بما يتّقد في نفسه من شجن .. وما يعتمل في صدره من شجى .. ويتضح من روحه الواهنة في الحوار .. حتى استحالت مسرحياته إلى عمل فنّي يُثمر المواجع ، ويبعث الآلام .

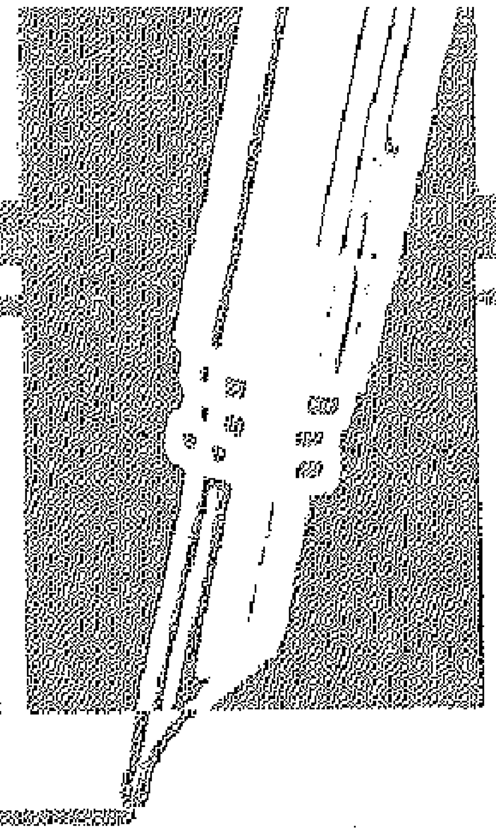
وإلى جانب ذلك فإن عزيز أباظه أفاد من شوقى ناحية مهمة .. وهى بناء الهيكل الفنى للمسرحية بناءً أشدّ مناعة ، وأبدع جمالاً ، وأكثر إصابة .. وكان التّجديد عند عزيز أباظه قائماً على لبنات قوية من التُراث .. فقد رفض أن يستخدم إلا اللفظ العربى المتداول في شعر السلف ، وحجته في ذلك أن هذا الجيل بَعُدَ عن اللغة العربية الفصحى ، واستمرأ اللغة التى لا تُجيزُها لغة الضاد ، ولا تأبه لها .. وعلينا إذا أردنا أن نُربّى الذوق العربى الأصيل في أبنائنا .. أن نربطهُم بالتُّراث ، وأن نصل بينهم وبين أسلافهم .. فليس التّجديد — في رأيه — أن أُدْخِل ألفاظاً وافدة أطعم بها لغتنا وأكتفى بذلك .. وإنما التجديد ألاّ يكون الشعر محصوراً في القصيدة والمقطوعة والأرجوزة .. وهكذا مضى عزيز أباظه يُجدِّد بمفهومه للتجديد .. وقد خلّف لنا طائفةً من الدّواوين والمسرحيات .. كلها تنطق بعظمة عبقريته .. وتشهد بعروبته الشعرية ، وتشبُّثه بأم اللغات .

● الشعراء المجددون الذين التزموا بالإطار العربى والقواعد الموروثة لم يسرفوا فى مزج شعرهم بألفاظ العصر .. ولو فعلوا ذلك لكانوا كمن يتناول الدواء لتجديد شبابه بجرعة أكبر مما يجب .

● علينا إذا أردنا أن نربى الذوق العربى الأصيل فى أبنائنا أن نربطهم بالتراث .. وأن نصل بينهم وبين أسلافهم .

نخلص من هذا إلى أن التجديد في الشعر العمودى سار في شعبتين : شعبة الاداء بتطعيمه بالوافد المستساغ من الألفاظ والصور والتخيلات .. وشعبة التطوير بإنشاء عمل فنى يماثل ما كان يتخايل به الشُعراء غير العرب ، ويعدونه امتيازاً لهم ، ومضماراً خاصاً بهم .. وهناك ألوان أخرى من التجديد في الشِّعر العمودى سنتناولها في المقال القادم إن شاء الله .

* * *



ندوة مع سماحة الشيخ

نادي مكة الثقافي

بسم الله الرحمن الرحيم

بطاقة دعوة



يسر نادي مكة الثقافي الأدبي دعوتكم لحضور الندوة الفكرية التي تنظمها مجلة المنهل في مقر النادي ويشترك فيها :

فضيلة الأستاذ محمد الحبيب بن الخوجة مفتي الديار التونسية .

معالي الدكتور راشد الراجح مدير جامعة أم القرى .

الأستاذ أحمد محمد جمال الكاتب الإسلامي المعروف .

الأستاذ ابراهيم امين فوده رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي .

الأستاذ نبيه الأنصاري رئيس تحرير مجلة المنهل .

الدكتور عبد العزيز عبد الله الحميدي عميد كلية الشريعة وأصول الدين

وذلك مساء يوم السبت ١٣/٣/١٤٠٤هـ بعد صلاة العشاء مباشرة بمقر النادي .

شاكرين تعاونكم معنا ،

رئيس نادي مكة الثقافي الأدبي

ابراهيم امين فوده







محمد الحبيب بلخوجة

مفتي الديار التونسية يقيم المنهل ولأول مرة نادي مكة الثقافي

مقدمة

«وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ»

★ لقد أصبنا فى تاريخنا بنكسات ونكبات وأيام سود وسنين عجاف، وضعف التزامنا بهذا الدين وبالرغم من هذا كله بقى لنا الانتماء ووجدته. هذا الانتماء الذى كان مرتكز القادة والمفكرين والمصلحين والدعاة وحاملى لواء التجديد والتغير الاجتماعى - وبمعنى آخر - هزم المسلمون سياسياً وعسكرياً وبقى الإسلام ديناً وعقيدة وعلماً وحضارة وتاريخاً فكان درع صمود وعامل مواجهة.. وحالنا اليوم لا يعانى من فقدان الالتزام وبقاء الانتماء فحسب .. بل يعانى من التذوب الذى قد يقذف بنا إلى الضياع عن طريق المغالطات العقيدية.. والسفسطة الكلامية ودعاوى التجديد الفكرية والتربوية.

كيف نواجه الحالة الصعبة التى نحن عليها؟

ما هو الطريق الأمثل الذى تواجه الدعوة الإسلامية به خصومها؟.. ويستمد الشباب المسلم من مساره؟..

بل بالأحرى:

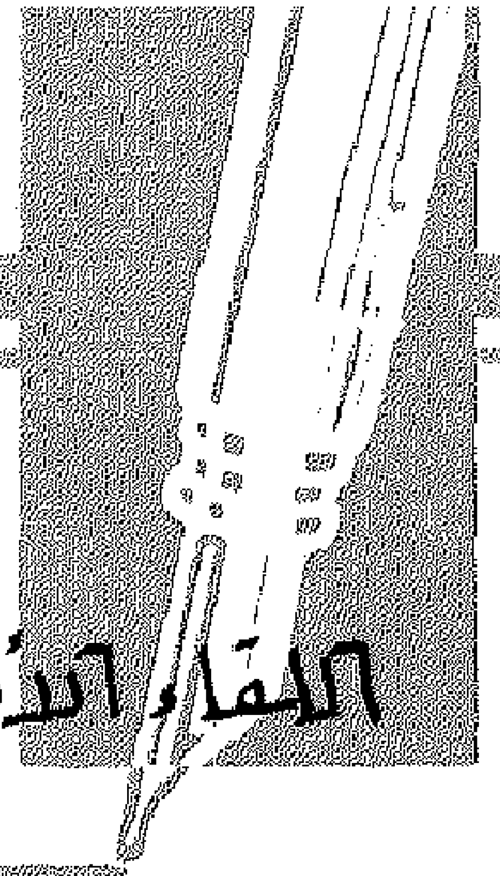
●● *ما هى مصادر الفعل وردوده؟..*

●● *ما هو رأى علمائنا ومفكرينا ودعاتنا؟..*

●● *ما هى وسائل المعالجة ودوافعها؟.*

●● *ما هو موقفنا من كل هذا وذاك؟..*

اسئلة - حيرى - حرية ان نتعمق منطلقاتها وردودها وفعالياتها وحواجزها فيا أظهرته وفصلته هذه الندوة المباركة التى شهدها نادى مكة المكرمة الثقافى بإعداد ومشاركة المنهل.. وعلى شرف سماحة الشيخ محمد بن الحبيب بلخوجه وصحبه الأفاضل.



اللقاء الأدبي الثقافي المزدوج بين "المنهل" و"نادي مكة الثقافي"

الأستاذ عبد الكريم نيازي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اصحاب السماحة والسعادة . .

يسعدنا أن نرحب بكم فى هذه الأمسية، ومع محصلات جديدة فى نادى مكة الثقافى، حيث يتجدد بنا اللقاء فى هذه الايام، ومع الفكره البناءة الهادفة، ومع الرسالة الخالدة التى انطلقت من هذه الارض المباركة فأضاءت للدنيا كلها طريق الخير والسلام والمحبة. . يسعدنا أن نلتقى فى لقاء مشترك مع مجلة المنهل الغراء، التى أسسها الاديب الكبير المرحوم عبد القدوس الانصارى، ويتولى مسيرتها الآن نجله الأستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى. . يسعدنا أن نلتقى بكم في عمل ثقافى مشترك مع المجلة ونادى مكة الثقافى. . ومع سماحة الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة مفتى الديار التونسية (تعريف به حسب ما كتب عن لسانه)، الذى نوجز التعريف به فى هذا:

محمد الحبيب بن الخوجة . .

- مفتى الديار التونسية .

- العميد سابقا لكلية الشريعة واصول الدين

- جامعة الزيتونة .

- استاذ الدراسات القرآنية والسنة النبوية بنفس الكلية .

- تخرج فى جامعة الزيتونة بالحصول على شهادة العالمية بالقسم الشرعى .

- له دراسات لغوية وادبية، ودراسات شرعية .

- حقق كتاب منهاج البلغاء وسراج الادباء لحازم القرطاجنى . . وكذلك ديوانه الشعرى قصائد ومقتطفات . . وله تاريخ الادب التونسى . . ودراسات عن المجالس اللغوية وعلوم العربية . . ومدارس علم البيان والبلاغة فى المشرق والمغرب .

ثم اضافة لذلك تحقيق كتب دينية وادبية منها :

★ افادة النصيح فى التعريف بالسند الجامع الصحيح للامام البخارى .

★ وسنن الابين فى السند المعنعن .

★ ورحلة ابن رشيد . . الموسومة بعلم العيبة .

- شارك فى عدة مؤتمرات . . عضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة . . وعضو بمجمع البحوث الاسلامية بالازهر . . وعضو بالاكاديمية الملكية المغربية . . وعضو باكاديمية الحضارة الاسلامية بالاردن . . وعضو ببيت الحكمة بتونس .

ويشارك أيضا فى هذه الندوة الكاتب الاسلامى الكبير الاستاذ أحمد محمد جمال عضو مجلس الشورى، وصاحب المؤلفات الاسلامية الكثيرة، وأستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبد العزيز والمشارك فى الكثير من المؤتمرات والندوات العالميه والذى اسهم مساهمة إيجابية فعالة في نشر الدعوة الإسلامية . . ويشارك أيضا

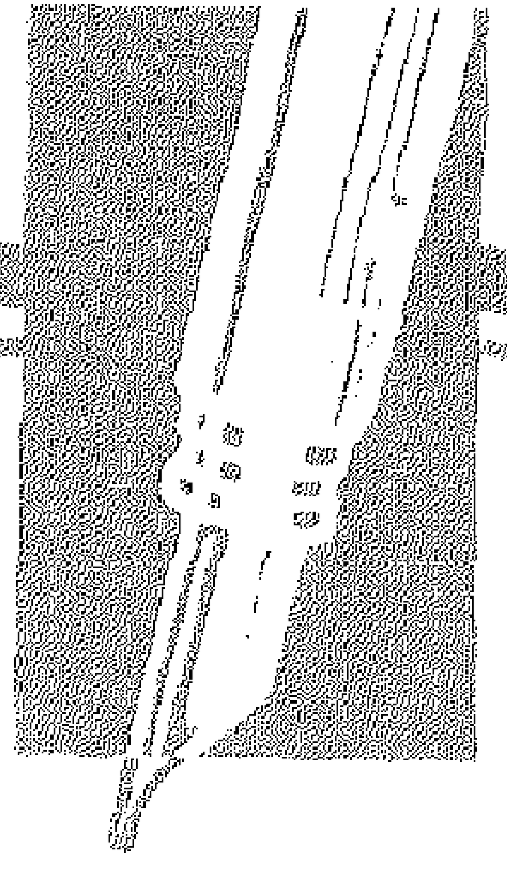
كما سجلته مدوناته الصوتية.. وكما ألقاه سماحة الشيخ الحبيب بن الخوجة والمشاركون الأفاضل

في هذه الندوة الدكتور عبد العزيز عبد الله الحميدي عميد كلية اصول الدين والدعوة بجامعة أم القرى، وهو معروف بمساهماته الاسلامية الفعالة في سبيل الدعوة والدعاة.. يشاركنا - أيضا - الأستاذ أبراهيم أمين فودة رئيس نادي مكة الثقافي، والشاعر الكبير والاديب المعروف.

يسعدنا أن نرحب بالجميع.. وإلى الندوة..

الأستاذ نبيه الأنصاري

اشكر سماحة الشيخ الحبيب بن الخوجه الذي نحن في شرف اللقاء به في هذه الديار المقدسة.. والذي سعدنا به في ندوتنا هذه.. وأجزل الشكر والثناء للأساتذة الأفاضل الذين قام اخي الاستاذ عبد الكريم بتعريفهم، وأطنب في توضيح مهامّهم الدينية والأدبية والفكرية.. والذين انتفعنا وننتفع دائما بأدبهم وبعلمهم داخل المملكة وخارجها.. واحمد الله على هذا اللقاء الذي يعتبر من أوليات المنهل.. والذي حرصنا به ان نمزج «المنهل» التي تعتبر المعطيات الثقافية بين «أم» المجلات السعودية ورائدة الفكر في المملكة.. وبين «نادي مكة المكرمة الثقافي» في شخص رئيسه وأعضائه الغر الميامين.. وإني أعتبر هذا أيضا فتحا مبينا للثقافة.. وتزاوجا- أوليا - للفكر المرتحل بين أمهات المدن في داخل المملكة.. وأسأل الله أن تتحقق هذه «الرحلات المتزامنة» وتشد رجالها إلى خارج المملكة لكي تمتزج الثقافة وتتصل المعارف بعضها البعض ويتقارب المسلمون يوما عن يوم.. وهذا - بالطبع - من مسئولية رجال الفكر خاصة والنوادي الأدبية الثقافية بصفة عامة.. والواقع إني جد مسرور - وباسم المنهل - لهذا اللقاء وهذا التمازج، وهذا التفاعل.. وفي قمة الابتهاج لرحلة الكلمة واستيطانها بين هذا النَّفر الطيب المبارك الذي سعدنا به - ايضا - في هذه الأمسية الطيبة بمحاضريها ومنتديها ومستمعيها... نرحب بكم...، وأسأل الله أن يجلسنا مجالس الايمان هذه في بطون مملكتنا وخارجها باعتبار أن المملكة هي «الأم» الكبرى ولنلتقي على الخير وعلى الفلاح والصلاح دوماً، وبها يثبت - فينا- ديننا الإسلامي الخالد العظيم، وعن طريق الكلمة والحرف.. وإذا كان «العلماء هم ورثة الأنبياء» فإني أشكر مفتي الديار التونسية لهذا التشريف الكبير.. وأقدر له استجابته الأولى التي انطلقت من بلد الرسول عليه افضل الصلاة والسلام، عند لقائي به هناك، وانتهت في البلد الحرام مكة المكرمة التي شرفها الله ورفع قدرها.. وأشكر الاخوان الأساتذة المشاركين.. وكان بودي أن يشرفنا معالي الدكتور راشد الراجح «مدير جامعة ام القرى» ولكن ظروف عمل مهم طاري حال دون حضوره.. وكان بودي ان يشرفنا ايضا - في هذه الندوة سعادة الأستاذ الأحفل أحمد عبد الغفور عطار ولكن مرضه حال دون ذلك.. وقد اقترح عليّ «جزاه الله خيرا» وهو



كثيراً ما يوجهني واستفيد من توجيهه ونصحه . . اقترح عليّ أن أضع صورة الوالد «رحمه الله» في منتدانا هذا ليكسب منّا دعاءاً صالحا على ما قدمه وأثرى به الكلمة والحرف في دعة وسكون وروية واطمئنان.

. . واسأل الله له ولعلمائنا الذين اختارهم الله إلى جواره المغفرة والرحمة . . ولنقرأ جميعا الفاتحة على روحهم الطاهرة في مناسبة المولد والهجرة النبوية الخالدة . . جعلها الله «بفضلها» رحمة ونوراً على عباده أجمعين . . ويسعدني أن يتناول إدارة الندوة الحفية بصحبها الدكتور محمد حمدون استاذ الادب العربي المساعد بكلية التربية بجده . . وهو يشاركنا رحلتنا في المنهل كضيف عزيز، يعطي الكلمة والحرف حقهما، فجزاه الله خيرا واثابه .

الدكتور محمد حمدون

الواقع تحفل هذه الندوة بالعديد من الأسئلة التي لا شك أني قد استمتعت بمطارحتها ـ نيابة عن المنهل ورئيس تحريره ـ مع سماحة الشيخ الحبيب بن الخوجة . . وهذا المنهج اعد لتدار الندوة على أساسه . اما الاسئلة التي بين أيدينا الآن فأولها موجه إلى سماحة شيخنا الفاضل :

(السؤال الأول) :

★★ إن التغيير المستمر في أساليب الحياة والأحياء . . وكميات المعرفة الإنسانية يقتضي إعادة النظر ـ دائما ـ في المنهج، وأساليب الدعوة وتوجيهات الدعاة . . والمناهج الاسلامية تحتاج ـ بالطبع ـ إلى رعاية قيادات داعية واعية . . وليست بحاجة إلى القيادات التي تأتي بها الظروف التربوية .

ما رأي سماحتكم والمنتديين الأفاضل في الأساليب المتخذه لبناء الأجيال؟ . . وهل تضيفون لوسائل الدعوة ولواقع الدعاة جديداً مؤثراً مستهدفاً نُصلح به شأنهم ويعتمل في وجدانهم؟ . .

سماحة الشيخ الحبيب ابن الخوجة

«بسم الله الرحمن الرحيم» وأصلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

يسرني ويسعدني قبل أن اجيب على هذا السؤال الموجه إليّ، ان أحمد الله لكم على هذه الفرصة الكريمة التي اتاحها لي صديقي وابن أخي المرحوم الشيخ عبد القدوس الأنصاري . . عندما دعاني إلى المشاركة في هذا الحفل . . وعندما جئت من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة لأحظى بهذا اللقاء، وأكون بين إخوان وأساتذة وشيوخ ورفاق وطلاب، يرعون حق الكلمة، ويعملون من أجلها ويتنقلون في سبيلها، ويرعونها حق رعايتها . . وإني لا أسمح بمثل الكلمة التي تقدم بها اخواني ـ إكراماـ جزاهم الله خير بأني أشرف هذا المكان، بل الشرف كله لي فأنا المتشرف بهذا النادي، وبهذااللقاء في الرحاب الطاهرة وبين هؤلاء الإخوة الكرام . . أتشرف بأن أصبحت متحدثا في النادي الثقافي الأدبي بمكة المكرمة . . كما أتشرف بأن أكون قد واصلت العهد الذي كان لي مع أخي الشيخ الكريم المرحوم «عبد القدوس الأنصاري» غفر الله له . . وأكون بذلك ـ بدعوة من ابنه ونجله الكريم ـ في هذا المكان أستمع إليكم، وأتحدث

لبنات قوام المجتمع الاسلامي شباب يرث نهضة الاسلام ويدافع عنها بما جبل عليه من حماس وقوة واندفاع وتضحية .

لكم وأتحاور معكم . . وإنى قبل أن أجيب على هذا السؤال الموجه ، وهو سؤال دقيق جدا ، ينبغى أن أشعر بأنى فى رحاب مكة المكرمة ومنطلق الدعوة التى كانت نورا مشرقا مضيئا فى اطراف المعمورة .

ثم أشعر أيضا بأنى بين يدى مؤتمر الدعوة الذى سينعقد بالمدينة المنورة قريبا . . فكل الظروف الزمانية والمكانية التى تحيط بنا تدعو إلى مثل هذا السؤال وتلح فى وضعه فى مقدمة الحديث . . وبقدر فخرى بأن أكون متحدثا ومحاورا لكم ، ومتصلا ، ومتشرفا بهذا اللقاء ، بقدر ما أريد أن أؤكد بأن الدعوة هى خير الأعمال على الإطلاق وأحسن ما يقوم به المرء . . ذلك لأن الله جعلها فى القمة بين الأعمال الصالحات التى يستطيع الإنسان أن يمارسها فيكون بذلك عليا . . ويكون بذلك داعيا إلى الخير . . وهل أدل على هذا المعنى من رفع الفرد المسلم الداعى إلى الله أو الداعى إلى الخير إلى رتبة القادة ورتبة أصحاب الريادة ، بل إلى رتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إذ قال تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين﴾ .

لعل الجواب عن هذا السؤال يتمثل قبل كل شىء فى الوقوف عند هذه الآية الكريمة . . فقوله تعالى ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله﴾ . . فيه تشريف للداعى ورفع لمكانته ، وتنبيه على عظيم دوره فى الحياة الاجتماعية فى هذه المعمورة بين الناس قاطبة .

فالدعوة هى خير القول ، وأشرف الأعمال التى يستطيع الناس أن يطلعوا بها من أجل إنارة المجتمع الإنسانى وهدايته وتوفيقه وتمهيد الطرق له حتى يبلغ بنفسه الأمن والسعادة والاستقرار وكل ما يتطلبه فى هذه الحياة الدنيا ، ذلك لأن الدعوة هى دعوة إلى الله ، هى دعوة إلى التوحيد ، هى دعوة إلى الخير كما سماها القرآن - ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير﴾ فهذا الخير المتمثل فى الوحدانية والمتمثل فى عبادة الله دون غيره . . والمتمثل فى هذا الاتجاه السليم للعقيدة الذى جاء به الاسلام ، يحتاج إلى شىء ثان نبهت إليه الآية ﴿وعمل صالحا﴾ وهذا العمل الصالح هو السلوك ، وهو عبارة عن مطابقة الفعل للقول حتى لا تكون هناك مجافاة بين الدعوة التى يقوم بها المرء وبين عمله الذى يظهر به فى الناس . . فلا يصدق إن لم يكن مطابقا فعله لقوله ، ولا يؤخذ بشىء من توجيهاته لأنه يكون فى هذا السلوك مخالفا لما يدعو إليه . . فلا يعرف الناس . . أصدق . . أم كذب . .

ثم هناك الجانب الثالث الذى يؤكد القول ويؤكد العمل . . ذاك هو الالتزام بالدعوة ، وهو الالتزام بالإسلام . . ، هو الفخر والاعتزاز بكونه مسلما وبكونه داعية اسلاميا لقوله تعالى : ﴿وقال إننى من المسلمين﴾ فإن قول الله تعالى ﴿وقال إننى من المسلمين﴾ تنويه بشرف هذا الانتساب للامة الإسلامية التى يصبح بعد ذلك لسان دفاع عنها . . وموجها لها . . يحث الناس على الانتساب إلى منهجها الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لعباده ليكونوا من الصالحين . . وإنى حينما أنظر من خلال هذه الآية للمقومات الثلاث التى ذكرتها أخرج من هذا بما يحتاج إليه الداعى ليكون جديرا حقا بهذه الأمانة . .

يحتاج أولا : إلى الإيمان بالله إيمانا كاملا ، ومعرفة بالله كاملة ، وإن الإيمان لا يكون إلا نتيجة معرفة ، ولأن الإيمان يسوق بعد ذلك إلى حب ما آمنت به . . فتكون الدرجات معرفة

الذي جعل دراسة المراجع من الأمهات الإسلامية صعبة هو تدني مستوى التدريس في المرحلة الثانوية وما قبلها.

وإيمانا ومحبة.. ثم لا بد من معرفة الناس ومعرفة المجتمعات ومعرفة المخاطبين الذين نتوجه اليهم بالدعوة.. وهؤلاء المخاطبون قد يكونون فى الداخل وقد يكونون فى الخارج، اي فى المجتمعات الأجنبية الغربية أو غيرها، التى نريد التوجه اليها بالدعوة.. وإنك لن تستطيع أن تظفر بأمنيتك أو تبلغ قصدك من التأثير على هذه الأوساط وإقناعها إلا إذا عرفتها حق المعرفة...، وتبينت درجتها من النضج الفكرى أو التقدم العلمى، أو التخلف الاجتماعى، او ما يقابل ذلك كله.. فأنت إذا درست الأوضاع وعرفت الأحوال وقست المجتمعات التى تخاطبها وأدركت خصائصها كنت فى دعوتك على السنن الذى دعا إليه القرآن.

فالله سبحانه وتعالى حين أوصى إلى رسوله ﴿ﷺ﴾ بهذا الكتاب المبين من أجل دعوة الناس إلى الحق.. كشفَ أحوالهم وبين الظروف التى يعيشون فيها ـ وتحدث عن تلك العقائد الفاسدة التى سيطرت عليهم والتى جعلتهم في شقاء، وفي حرب وتأخر وتمزق وتناحر.. ولم يكن من سبيل فى إنقاذ المجتمع العربى أولا.. ثم انقاذ المجتمع الإنسانى ثانيا.. إلا بالكشف عن تلك العورات والتنبيه على تلك المخاطر والإشارة إلى ما ينبغى أن يأخذوا به من أجل الوصول إلى الغاية التى يستهدفونها ويريدون الوصول إليها.

وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذا الأمر فرضا على المسلمين الذين وجدوا فى تلك الفترة فرضا على المسلمين الذين يقومون بعمل جاد يوصى بالخير ويحمل على الخير، هو عمل رسول الله ﴿ﷺ﴾ بين ابناء مكة وبين ابناء المدينة حين كان يوجههم ويدعوهم الى الخير. فلما اطمأن الناسُ إلى أن الدعوة قد انغرست فى قلوبهم أصبح هؤلاء بدورهم قادرين على أن يطلعوا بنفس الأمانة، وأن يبلغوا عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ تلك الرسالة.. وطالبهم القرآن بذلك حين قال: ﴿ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير﴾.. فهل كان هذا مقصورا على العرب والمسلمين فى الفترة الأولى.. أم أن الخطاب موجه إلى عامة المسلمين فى كل عصر.؟ الذى يرجحه علماء الإسلام والمفسرون أن هذا الخطاب موجه إلى المسلمين فى كل عصر، حتى يطّلعوا بهذه الأمانة التى كَتبها الله عليهم.. ثم أجد فى قول رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى حديث وجد شعبية كبيرة فى كتب السنة عندنا، واشهر ما ورد من ذلك (إنما الأعمال بالنيات) أو(ان العمل بالنية)..ووجد فى أحاديث أخرى هى ـ إن صحت ـ تشير الى جوانب ثلاثة: هذه الجوانب هى: القول

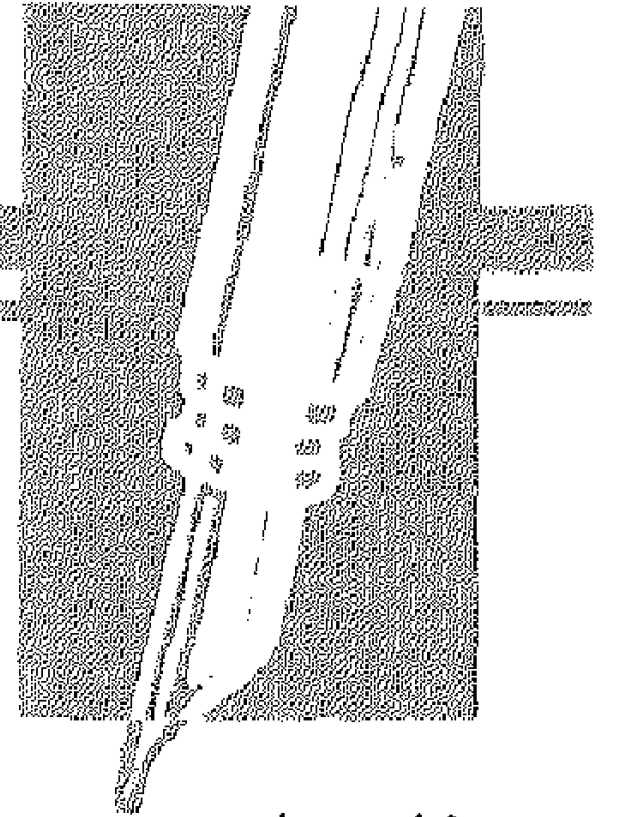


نرجو أن تصل الأمة من الرقي الأخلاقي إلى واقع قريب من المستوى الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم.

والفعل والنية.. كقوله ﴿ﷺ﴾ (لا قول إلا بعمل ولا عمل إلا بنية ولا نية إلا بموافقة السنة).. فنحن إذا كنا نريد أن نصدر إلى اقوال من أجل الدعوة إلى الله ومن أجل الخير الذى يدعو اليه الله فإن هذا القول ينبغى أن يكون معززا بعمل.. ثم إن هذا العمل ينبغى أن يكون صادرا عن نية وعن اخلاص وعن ارادة.. ثم هذه الإرادة لابد أن تكون موافقة للمنهج الرائع الذى جاء به رسول الله ﴿ﷺ﴾.. فإذا أمكن أن نضمن هذه الأسس، وعلى الأخص المعرفة بأحوال المخاطبين فى المجتمعات الإنسانية التى نتوجه إليها بالدعوة فإننا نصل بعون الله إلى ما نريد تحقيقه من هذه الأغراض.

ولذلك كنت فى مؤتمر الدعوة الأول الذى انعقد بالمدينة المنورة.. أدعو الدعاة، وخصوصا خريجى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إلى أن يهتموا باللغات الأجنبية اهتماما أساسيا، وخاصة فى اللغات التى يذهبون إلى أهليها ليحدثوهم بهذا الخير، وليدعوهم إلى هذا الصراط المستقيم، فإن الله سبحانه وتعالى قد بعث الرسل بألسنة أقوامهم.. ولذلك فإن الذى يذهب - مثلا - إلى السنغال فى المناطق الوثنية، أو إلى المناطق الوثنية فى السودان، أو فى آسيا، أو افريقيا، وفى كل المناطق التى لا تعبد الله، لابد أن يتحدث باللغة المحلية لتلك المناطق، حتى يكون لها تأثير على المخاطبين، فيشعرون - عندئذ - بشىء من العزة حين يرتبط بهم ويمن يخاطبهم بتلك اللغة التى يظنون أنها غير منتشرة أو معروفة.. وقد سبقنا إلى ذلك النصارى والدعاة إلى النصرانية - ولا أقول المبشرين - فإن هؤلاء على ضلالهم كانوا قد خططوا لهذا الامر من فجر القرن الماضى، وذلك بتكوين المدارس التى تسمى: مدارس اللغات الشرقية.. ومنها المدرسة الموجودة بباريس، وكذلك لندن.. تخرج منها دعاة الاستشراق وأئمته وأصبحوا يعرفون دقائق هذه الاستعمالات اللغوية.. ولقد لقيت عددا كبيرا منهم فأعجبت كل العجب من كونه يعرف اللغة العربية أكثر من بعض قراء العربية، ويبحث فى جزئيات دقيقة فيها، لينكر لا لينصح، ويعرف اللغات السواحلية وغيرها من اللغات الأفريقية والأسيوية.. يعرف «الأردو» وكان على انا أن أعرفها، يعرف اللهجات فى أندونسيا وغيرها.. وأنا لا اعرفها، فأقيس حظى بحظ هؤلاء، وأجد أنهم قد خططوا لأمر دعوتهم، ونحن لم نخطط لأمر هذه الدعوة.





ثانيا: إذا كنت أعرف الحضارة التي يعيشها المجتمع الانساني اليوم، فإني أستطيع أن أنبه إلى العيوب الموجودة فيها.. والدليل على ذلك أننا إذا قرأنا اليوم لرجل أسلم مثل «روجيه جارودي» الذي أصبح يسمى «رجاء جارودي».. هذا الرجل أصبح مسلما.. هذا من فضل الله عليه وعلينا.. ولكنه حين يتحدث عن الإسلام ويخاطب بذلك المجتمع المسيحي والغربي والمجتمع الملحد، يأخذ في تحليل الوضع الاجتماعي «الاوروبي» تحليلا يذهب به إلى التشكيك والتخويف مما سيؤول إليه أمر المجتمع الإنساني.. ولذلك يذهب فيولي وينصرف عن هذه الحقيقة إلى بيان مميزات الإسلام وفضائله.. وما في الإسلام من طاقة وقدرة تستطيع أن تنقذ المجتمع الإنساني من الهوة السحيقة التي سيتردى فيها، وتأخذ به إلى السلم والأمن.. وهي الغاية الأساسية التي يبحث عنها الناس في المجتمع الأوروبي قبل أن يبحثوا عن «الماورائيات».. وقبل أن يبحثوا عن الآخرة، وعن الجنة والنار.. وعندئذ ينبغي أن نعرف المجتمعات لنقيس دعوتنا بحاجياتهم ومتطلباتهم ونكون موفقين في عملنا إن شاء الله.

بقي علي في هذا السؤال أن الفت النظر إلى أمرين..

أولهما: *هو ما أشرتم إليه عن المناهج التربوية الموجوده في مدارسنا.. هل هي كافية أم لا؟.*

أعتقد *ان المدارس التي تحتضنها البلاد العربية والاسلامية.. كثير منها بعيد عن الروح الإسلامي.. بعيد عن المنهج الإسلامي.. كلها عبارة عن مدارس لصنع الناس.. صناعة تتماشى مع متطلبات المجتمع الإنساني في هذ العصر.. وربما وقع التركيز على النواحي المادية أكثر من غيرها..*

فإذا *خاطبت إنسانا.. ماذا تريد أن تكون، وهو في طور الطفولة والشباب؟.. يقول أريد أن اكون طبيبا أو مهندسا أو صيدليا.. ينظر إلى ذلك من الناحية المادية فقط.. ولا ينظر إلى الناحية الأخرى الأساسية الذاتية.. التي هي تربية الروح والوجدان، وكمال التصور للحقيقة الإلاهية من خلقنا، وهي قول الله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾.. لأن العبادة لا تتمثل فقط في الصلاة والزكاة وما إليها من شعائر الإسلام.. بل كل عمل نوى إليه المسلم، وأخلص فيه لوجه الله من أجل تحقيق الخير، أو دفع الضرر أو الارتفاع بالمجتمع الانساني.. فإن ذلك يكون عبادة.*

وبالاضافة *إلى هذا أريد أن أذكر بأن المسلمين كانوا يفتحون العالم باقوالهم وبدعوتهم، وهذا شأن الدعوة.*

●● **كان** الرسول ﴿ﷺ﴾ يقرع اسماع الناس بالوحي ويدفعهم إلى الخير بالإشارة والعبارة وكان يقرأ عليهم القرآن.. وكان كلامه ﴿ﷺ﴾ ينزل على قلوبهم بردا وسلاما.. أو يزعزعهم ويدفعهم إلى الخروج مما هم فيه.. أو مما استولى عليهم.. إلى حالة هي أقرب إلى الخير.

● **إن هذا هو العمل الذي يقوم به الداعي، وليس لنا دعاة من هذا الصنف.. هذه الدعوة وحدها لا تكفي اذ جاءت عصور بعد ذلك انتشر فيها الإسلام بالرجل التاجر، وبالرجل القروي، وبالرجل الفقير والفلاح، ينتقل من**

تتصل المعارف بعضها البعض ويلتحم الفكر وتتزاوج أوالياته فيتقارب المسلمون يوما عن يوم .. وهذا بالطبع من مسئوليات رجال الفكر خاصة والنوادي الأدبية عامة.

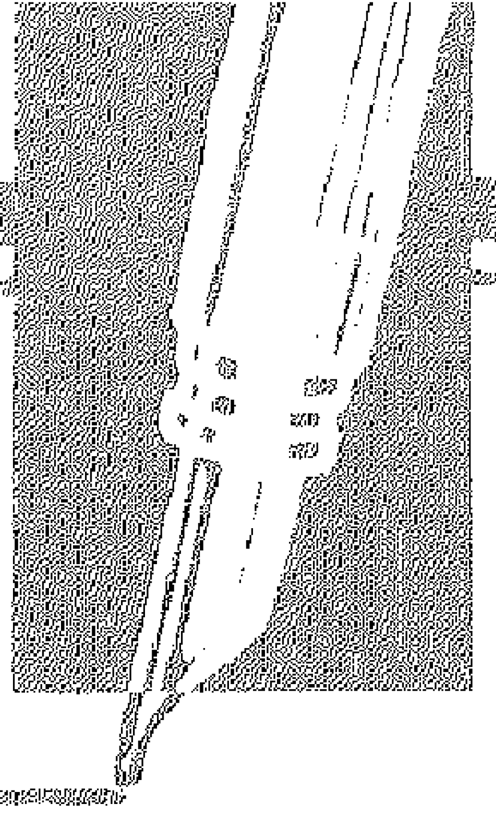
العمل الصالح مظهر للسلوك الإسلامي وهو عبارة عن مطابقة الفعل للقول عند الدعاة. والداعي الذي لا يطابق فعله قوله لا يؤخذ بشيء من توجيهاته.

مكان إلى مكان . . فالشعوب التى انتقلت إلى آسيا . . إنما نشروا الاسلام بسلوكهم، وبوعيهم، وبخلقهم، وبتربيتهم . . عندما قارنت تلك المجتمعات ـ بين ما هم عليه وبين ما يتصف به هؤلاء المسلمون ـ وجدت انهم تركوا ما هم عليه وأقبلوا على الإسلام . . ثم بعد ذلك أصبحت الأمم كلها فى أيام عز الاسلام وفى أيام قوته يريدون أن يربحوا، يريدون أن يغنموا، يريدون أن يفوزوا بالدرجات العليا والمراكز الرئيسية فى البلاد . . فأعلنوا إسلامهم، كان بعض ذلك طمعا فى العزة، وطمعا فى الثروة والجاه، وطمعا فى أشياء كثيرة . . عندما استلبنا هذه الاشياء فى عصرنا الحاضر، ولم يبق المسلمون كما كانوا فيه أيام قوتهم . اصبحنا نستطيع أن نؤثر بالجاه والمال وبالسلطان . . وعسانا أن نؤثر بالكلمة الصادقة، وبالسلوك الخيِّر الحسن الذى يقود الناس إلى العمل الصالح، وإلى الإيمان بالله والتصديق بكتابه، والانتفاع بدعوته.

الأستاذ نبيه الأنصاري

فى الواقع سماحة الشيخ رفعنا إلى درجات عالية من الفهم والعلم والادراك . . والواقع أن المناهج الإسلامية لها خصوصية ولها عمومية . . عمومية نراها فى كثير من الدول التى لا يعتمد دستورها على الاسلام . . مع أنها تكاد تكون شبه مسلمة . . وخصوصية نراها والحمد لله تتمثل فى ديارنا الكريمة بكل أبعادها وطموحاتها . . سواء فى المدارس والجامعات ونوادى العلم والأدب، أم فى مجالس الفضلاء.

. . وهذه الخصوصية أجد نفسى، وبجوارى استاذنا «أحمد محمد جمال» خير من يتحدث عنها . . وإنى أنقل له فى هوادة هذا الحديث لكى يضيف جديدا مشوقا يأتى على خصوصية وعمومية . . وكما تعودناه منه دائما فجزاه الله خيرا.



الأستاذ أحمد جمال

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين أجمعين.

وبعد .. لعلكم لاحظتم أن المسألة المطروحة، هي أن هناك تغيرا وتطورا في الأحداث العامة بالمجتمعات الإنسانية كلها .. والسؤال هنا هو:

هل من الممكن أو من المستطاع أن نغير نحن المسلمين كدعاة ومعلمين ومدرسين وموجهين أساليبنا لننجح في دعوتنا وتربيتنا وتعليمنا؟ .

أنا أعتقد أن هذه هي المسألة المطروحة .. إن المسلمين الآن يعانون من تجمد أساليبهم ومناهجهم .. وهناك من يعارض تغيير منهج الدعوة أو التربية في المجتمعات الإسلامية .. هذه هي المسألة.

لقد تفضل سماحة الشيخ ابن الخوجة بحديث رائع لهذه القضية .. وإذا كانت هناك إضافة مني فهي: إن الاسلام في صميمه لا يعارض هذا التغير، وهذا التطور في أسلوب الدعوة أو أسلوب التربية أو التعليم .. أو أسلوب موائمة الأحداث الزمنية في المجتمعات الإسلامية .. ونلاحظ أن الإسلام قد أتى بأصول، وأتى بقواعد عامة .. لكنه لم يفرض طرقا ووسائل للإصلاح .. أيا كان مجال هذا الاصلاح .. فلا شك أن المجتمعات الإسلامية تعاني من هذا الوضع من طرفين متناقضين ..

الطرف الأول: فريق من العلماء المتعصبين للأساليب القديمة، الذين لا يبذلون أو يغيرون من أساليبهم، ولا يريدون أن تغير هذه الأساليب، أو تبدل في المدارس والجامعات.

الطرف الآخر: الذي يريد أن نترك كل تعاليمنا وعاداتنا وتقاليدنا وإسلامنا ومناهجنا، ونأتي بكل جديد من الحضارات الأخرى .. هذه مشكلتنا الحقيقية .. إننا نقع بين طرفي نقيض .. وإن الشباب المسلم يعاني من هذا الوضع المتناقض .. يستمع إلى العلماء والفقهاء إلى رؤساء الدعوة الإسلامية والمجتمعات الاسلامية الذين لا يريدون التغيير .. بينما يجد أيضا الدعاة والمفكرين الآخرين يدعوننا إلى أن نقتبس من الحضارات الأخرى، وأن ننهج منهجها بخيرها وشرها.

لا شك أن علينا نحن المسلمين أن نفكر كثيرا وأن نتدبر حقيقة الإسلام .. حقيقة الدعوة الإسلامية .. حقيقة المنهج الإسلامي، لنمضي في أساليب دعوتنا، أو أساليب تربيتنا وتعليمنا، محافظين أولا على الأصول والقواعد الإسلامية، ومتخذين الوسائل والطرق الحديثة لنجمع بين الأصل وبين الوسيلة والطريق والأسلوب .. الإسلام لا يمنع أن نُحَدِّثَ الناس بما يفهمون وبما يعقلون، وأن ندعوهم إلى ما يستطيعون، وأن نبدأ بالأهم .. لا نختصر الحديث على أمور قد لا يعيشها المجتمع الذي نتحدث إليه. هنا مثلا الشباب في مجتمعاتنا العربية والإسلامية .. ينبغي أن نخاطبهم بما يعيشون، وبما يسمعون، وبما يعقلون. نبدأ بالمهمات لنجذبهم نحو الإسلام وعقيدة الإسلام .. لماذا

يهرب الشباب المسلم؟ ولماذا يفر؟

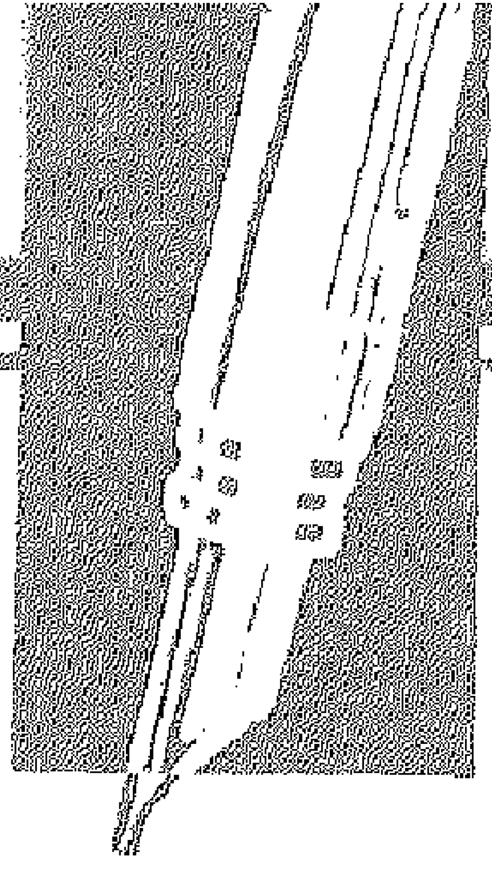
الجواب على هذا، هو أن الشباب يرى أو يَزْعُمُ أو يُزْعَمْ له أن الإسلام دين جامد. دين قديم لا يصلح للعصر الحديث. لماذا؟ لأن فريقا من علمائنا لا يتحدث إلى هذا الشباب بالأسلوب العصرى الذى يجذب هذا الشباب نحو الاسلام.

أنا ايضا اريد أن أضرب مثلين على ان الإسلام أتى بالقواعد والأصول، ولم يأت بالمناهج والسبل والوسائل، وإنما ترك هذه المناهج والسبل والوسائل للعصور التالية وفقا للظروف والبيئات وتطور الزمن.

مثلا الإسلام أوجب الاستخلاف، أى تحكيم الحكام وتولية الولاة.. لابد من إقامة الولاة والحكام فى المجتمعات الإسلامية، ولكنه لم يفرض أسلوبا واحدا لاختيار الحاكم والوالى، وهذا ظاهر من السيرة النبوية.. الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه تُوفى ولم يستخلف.. لم يعين شخصا يكون خليفة بنص صحيح صريح وحصل الخلاف كما تعلمون فى سقيفة بنى ساعدة بين المهاجرين والأنصار. حتى قال قائل الأنصار «**منا أمير ومنكم أمير**» فرد عليه عمر وقال «**إن العرب لا تخضع أو تطيع إلا لهذا الحى من قريش**».. إختلفت أكبر طائفتين فى العهد الإسلامى.. وهم المهاجرون والأنصار على تولية الخليفة، ثم اتفقوا على مبايعة أبى بكر رضى الله عنه.. معنى هذا أن الخليفة الأول، والحاكم المسلم الأول اختير بالانتخاب الحر بعد النزاع والاختلاف.. هذا أسلوب من الأساليب الإسلامية التى تركها الرسول للمسلمين حسب ظروفهم.. ثم أتى سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فلم يترك المسألة للأنتخاب ولا للخلاف.. بل اختار سيدنا عمر رضى الله عنه.. اختار فَرْدُ فَرْداً، اختار سيدنا عمر.. وكان نِعْم الاختيار بلا شك.. ثم أتى سيدنا عمر بعده.. لم يترك المسألة للانتخاب العام، ولا للاختيار الشخصى، إنما اختار ستة من خيار الصحابة ليختاروا الخليفة الثالث.. هكذا نجد الإسلام وضع الأسس والقواعد وترك الأساليب والمناهج للظروف والطوارئ.

نأتى لقضية ثانية وهى الشورى.. الإسلام أمر بالشورى ووصف المسلمين أن «**أمرهم شورى بينهم**»، وأمر الرسول الذى يوحى إليه، وهو معصوم من الخطأ قال: ﴿**وشاورهم فى الأمر**﴾.. وثبت من السيرة أنه كان يشاور أصحابه، ويأخذ بآرائهم، كما حدث فى غزوة بدر.. أخذ برأى الحباب بن المنذر فى اختيار الموقع، وكان يأخذ برأى «**عمر.. وأبى بكر**».. إلى آخره.. فالإسلام أوجب الشورى بين الحاكم والمحكومين.. لكنه لم يختر طريقا أو أسلوبا واحدا.

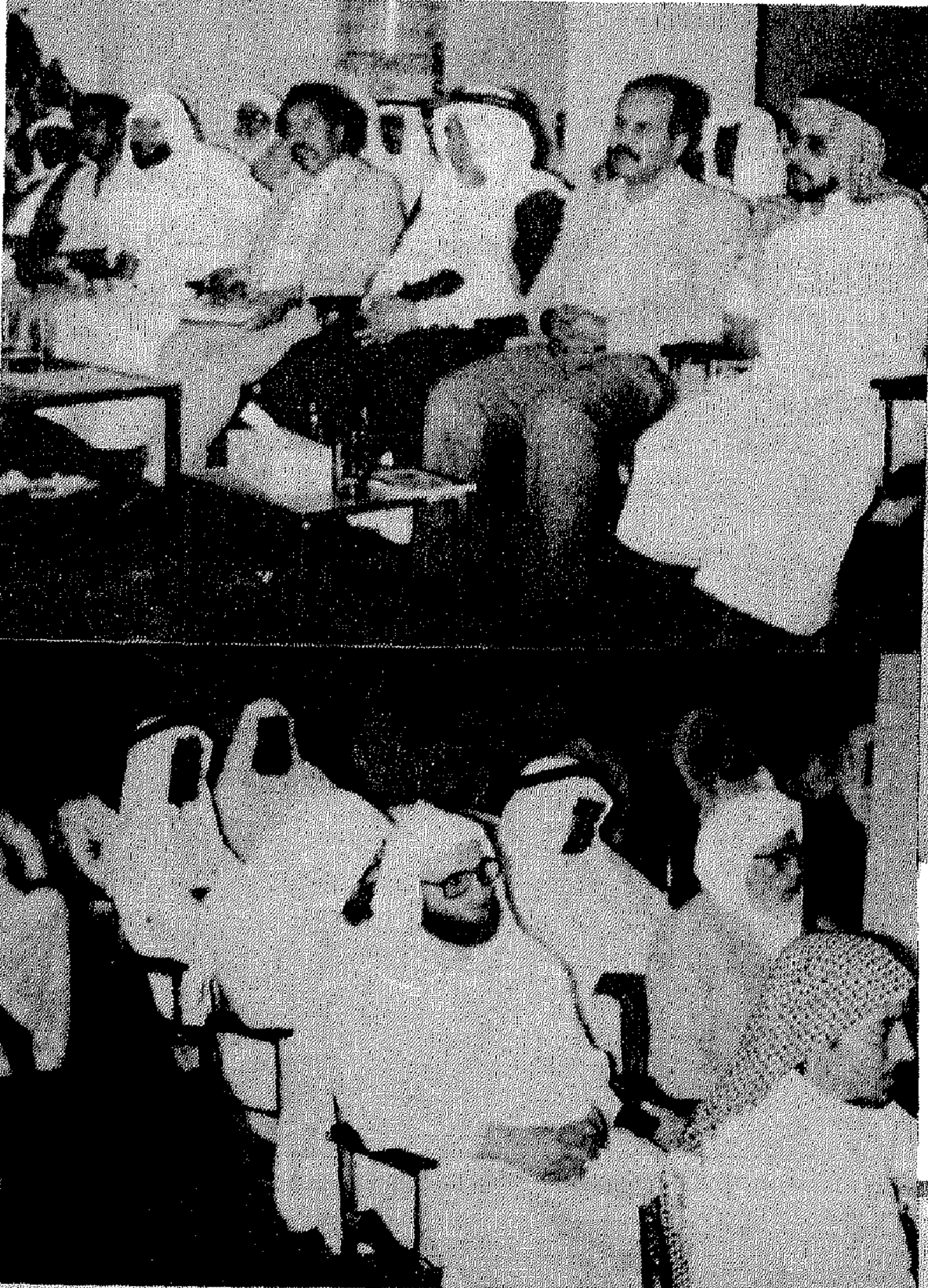
ان الداعي لا يظفر بأمنيته ولا يبلغ قصده من التأثير على الاوساط المختلفة - سواء في المجتمعات الغربية أو غيرها - إلا إذا عرف مواقع المعرفة، وتبين درجتها من النضج الفكري أو التقدم العلمي او التخلف الاجتماعي او ما يقابل ذلك كله.



المهم أردت بهذين المثالين إثبات أن الإسلام يضع الأصول والقواعد التى ينبغى الا نتخلف عنها، والا نغيرها أو نبدلها. لكن ينبغى أن نتخذ الوسائل والأساليب التى تلائم العصر الذى نعيش فيه من أجل أن تكون دعوتنا إلى الإسلام دعوة صريحة ومعقولة.. يعقلها من ندعوه إليها.. وهذه قضية كنت اتمنى أن يعالجها مديرو المدارس، والأساتذة في الكليات والمدارس عندما يخاطبون طلابهم ويدرسونهم.. ينبغى أن يكون ذلك بالأسلوب العصرى الحديث.. وبخاصة فى مسألة العقيدة وعلم التوحيد.. لكن ـ مع الأسف ـ المدرسون يدرِّسون بالأسلوب القديم، وبالكتب والقواعد القديمة، والنصوص القديمة.. لذلك فالتوحيد فى وادٍ.. وصحة العقيدة في واد.. وهذه الكتب فى واد آخر.. ينبغى ان نُعَلِّم التوحيد ـ والفقه أيضا ـ بأسلوب حديث. لا نتمسك بالكتب القديمة فهى مرجعنا نحن الاساتذة والمفسرين، ولكن الطلاب لا يفهمونها جيدا.. نحن قبل أن ندعو الناس للإسلام ينبغى أن نربى بناتنا وأولادنا على الإسلام.. لا أريد أن أطيل، وأكتفى بهذه الإضافة.



▲ سماحة الشيخ محمد الحبيب بلخوجة في حديث مع الاستاذ نبيه الأنصاري



◄ جانب من الحضور

● ان في الاسلام فضائل ومميزات تستطيع أن تنقذ المجتمع الانساني من الهوة التي يتردى فيها، فتأخذه الى الأمن والسلام.

● الأمن والسلام هما الغاية الأساسية التي يبحث عنها الناس في المجتمعات الغربية اليوم قبل أن يبحثوا عن "الماديات".

الاستاذ عبدالكريم نيازي

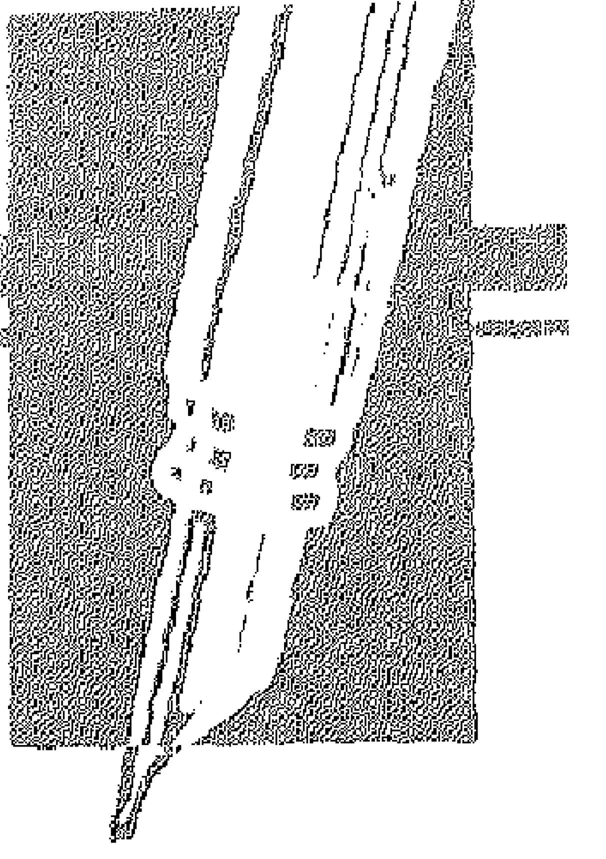
شكرا للأستاذ أحمد جمال على هذه المرتكزات الأساسية، التي أوضحها سعادته لبناء الدعوة الاسلامية في مواكبة العصر الذي نعيش فيه.. معنا في هذه الندوة الأستاذ الدكتور عبد العزيز عبد الله الحميدي، وأعتقد أنه سيتحدث عن هذه القضية التي أثيرت.. وهو يعمل في صميم مجال هذا السؤال، كعميد لكلية أصول الدين والدعوة.

الاستاذ نبيه الانصاري (معقباً)

أرى أن الأستاذ أحمد جمال في حديثه السابق، قد نقلنا إلى سؤال آخر.. وهو سؤال للشباب، وسعادة الدكتور الحميدي خير من يتحدث في موضوع الشباب بحكم أستاذيته ومنصبه الأكاديمي الذي يفضي بنا الى أن نستمتع بحديثه.

الدكتور عبدالعزيز الحميدي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد: اشكر الاخوة القائمين على هذه الندوة لاتاحة الفرصة لي بالمشاركة في الحديث عن هذه الموضوعات الهامة وقبل ان اجيب على السؤال الذي طرحه الاستاذ نبيه.. احب ان اعلق تعليقا بسيطا على السؤال الاول وهو كيفية العمل على ايجاد المجتمع المثالي، فاضافة الى ما تكلم به سماحة المفتي وسعادة الأستاذ أحمد جمال.. أحب أن أنبه إلى أن هناك هدفا يجب أن يسعى إليه المسلمون جميعا.. وان يسعوا إلى تحقيقه.. وهناك منهج يجب ان يتخذه المسلمون للوصول إلى هذا الهدف.. فهذا الهدف كما تعلمون جميعا.. هو ابتغاء رضوان الله عز وجل واجتناب ما ينهى عنه.. هذا الهدف هو الذي يوحد بين المسلمين جميعا، وهو الذي تشخص إليه انظار المسلمين.. وللوصول اليه لا بد ان نسلك طريق المنهج القويم الذي جاء في كتاب الله وسنة رسوله.. وأحب أن اتكلم عن حديث واحد يُبيِّن لنا هذا الهدف، وهو قوله ﴿ﷺ﴾ في



هذا المعنى «ان الله يرضى لكم ثلاثا . . ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا . . وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . . وان تطيعوا من ولاه الله امركم» . . فبين لنا النبى ﴿ﷺ﴾ ان ما يجب علينا للوصول إلى رضوان الله عز وجل، ان نعبد الله وحده وألا نشرك به شيئا وأن من اهم ما تقوم عليه العبادة ان يستقر فى قلب المؤمن تعظيم الله عز وجل وحده، والخضوع له وحده، وطاعته وحده، فمن اطاع غير الله فى معصية الله فقد أخل بعبادة الله، وعبد غير الله مع الله . . ولذلك نهانا الله عز وجل على ان لا نعبد الشيطان، مع ان المسلمين لا يسجدون ولا يركعون له، وانما يطيعونه فى معصية الله . . كما أكدّ الله سبحانه وتعالى طاعة اليهود والنصارى لعلمائهم وعقائدهم «عبادة لهم» حيث قال تعالى ﴿اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله﴾ .

ولقد *قال عدسى بن هاشم حينما دخل على الرسول ﴿ﷺ﴾، وكان قد تنصر قبل اسلامه : والله ما عبدناهم يا رسول الله . قال : اليس يحلون ما حرم الله فتحلونه . . ويحرمون ما أحل الله فتحلونه . قال : بلى . قال : فتلك عبادتهم . . فبين لنا النبى ﴿ﷺ﴾ . ان من أطاع غير الله فى معصية الله فقد عبده مع الله . . فعلينا ان نحرر عبادة الله عز وجل، وان نعتبر بهذا الهدف السامى الذى امرنا الله به . . ومتى حررنا جانب العقيدة الصحيحة، فاننا نصل إلى رضوان الله عز وجل . . ثم بَيّنَ النبى ﴿ﷺ﴾، أن هذا الحق الذى هو عبادة الله وحده، لابد ان يجتمع عليه المسلمون جميعا ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ . .*

فلا بد «أولا» من معرفة الحق وتنفيذه . . ولا بد «ثانيا» من الاجتماع على تنفيذ هذا الحق، لان الاسلام دين الجماعة . . وقد شرع كثيرا من شرائع الاسلام على اعتبار وجود الجماعة الاسلامية . . ولا يكفى ان يعبد الانسان الله وحده، بل لا بد أن يكون مع الجماعة، وان يعبد الله مع الجماعة . . ثم بين النبى ﴿ﷺ﴾ انه لا بد من القيادة، التى تشرف على تنفيذ هذا الحق، ولا بد من طاعة هذه القيادة، حتى تنتظم امور المسلمين . . فاذا طبقنا هذه الأمور التى ترضى الله عز وجل عنا، فإننا نكفل باذن الله وجود المجتمع المثالى الذى هو فى الحقيقة مجتمع الصحابة . . والذى نرجو أن تصل الأمة من الرقى الاخلاقى إلى واقع قريب من المستوى الذى وصلت اليه الأمة الاسلامية فى عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ .

اما عن قضية الشباب ودورهم . . فمما لا شك فيه أن الشباب هم عدة المستقبل . . والجيل الراشد يعلم ابناءه ليكونوا فى المستقبل بناة هذا المستقبل . . ولقد كان الصحابة الشباب فى عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ من اسرع الناس إلى التقوى وإلى العبادة، وإلى التفانى والتضحية فى سبيل الله . . ولقد كانوا يسارعون إلى الموت احيانا قبل أن يسارع إليه الشيوخ، وذلك لما جُبِلَ عليه الشباب من الحماس والقوة والاندفاع والتضحية . . فَعلى الشباب يقوم بناء النهضة الاسلامية . . والشباب الذين يرثون هذه النهضة من الجيل الراشد الذى علمهم هذه الأمور النافعة هم لبنات قوام المجتمع الاسلامى .

• يجب أن نتسم أدبيا بالجمالية من جانب والالتزام من جانب آخر.

كان فى عهد الصحابة نماذج حية وواعية لما كان عليه الصحابة الشباب، وسأكتفى بمثال واحد.. فمن ذلك ان «ربيعة بن كعب الاسلمى» رضى الله عنه، كان يخدم النبى ﴿ﷺ﴾، وهو غلام. قال له النبى ﴿ﷺ﴾: سلنى - بمعنى سلنى حاجتك - قال: اسألك يا رسول الله مرافقتك فى الجنة. فقال: او غير ذاك. قال: هو ذاك. قال: فأعنى على نفسك بكثرة السجود.

فمن هنا نفهم طموحات الشباب المسلم فهو لم يسأل مستقبله فى الدنيا. لأن المستقبل الدنيوى يخضع للمستقبل الأخروى.. وانما كان يسأل مرافقة النبى ﴿ﷺ﴾ فى الجنة، لانه يعلم انه سيكون فى اعلى درجات الجنة.. فعلى ذلك نريد من الشباب أن يكونوا من العابدين لله، وبهذا يستطيعون ان يقاوموا الالحاد، ويقاوموا شرور هذه الحياة الدنيا بقوة من الايمان والعقيدة الصحيحة التى يزودهم الله بها كلما واصلوا وداوموا على عبادة الله وتقواه.

الدكتور حمدون

فى الواقع غطى تبادل الحديث.. وتناول الرأى والارشاد كثيراً من الأسئلة التى اعلنت.. وإذا ما رجعنا لنلخص مسألة الدعوة والدعاة، وما قيل فيها، فإننا نفهم مما قيل لنا.. ان الداعية فى الحقيقة بحاجة إلى أن يكون إنسانا كاملا.. كاملا فى ايمانه.. كاملا فى معرفته بأسلوب الدعوة.. كاملا فى حبه لها.. ولامكان فى الواقع فى طرق الدعوة الحديثة لأنصاف العقول أو أنصاف القلوب.. أو انصاف الحلول..

أظن هذا هو الدرس الذى نستطيع أن نستفيده من تلك المحاضرات القيمة.

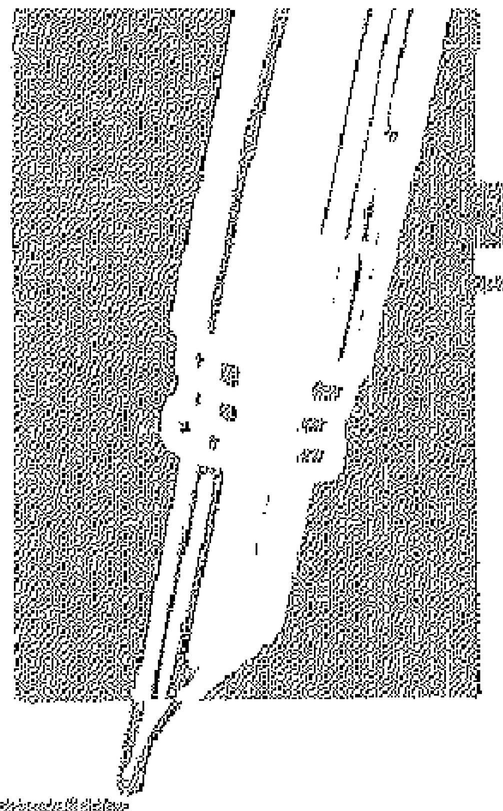
والسؤال الآن:

★★ ألا ترون أننا مقصرون فى وسائل الدعوة والارشاد الموجهة المرسلة عن طريق الحرف والكلمة والتى من شأنها وضع شباب المسلمين على الطريق القويم السليم.. خاصة أولئك الشباب - ونحمد الله على كثرتهم - اللذين اخذوا فى الآونة الأخيرة يشتد عودهم، وتقوى عزائمهم وتتنوع اطلاعاتهم.. وحتى يتمكنوا بالحرف المطبوع سواء فى الشريعة أو الفقه أو السنن أو الاحكام ان يكونوا متفقهين فعلا غير مجتهدين او غوغائيين.

والا ترون ضرورة تنصب الحكومات والافراد القادرة المسلمة إلى مضاعفة طبع وتعميم كتب السنة والفقه والاحكام والتشريع، المخطوط والنادر منها، وتوزيعها بالمجان او بالقيمة الرمزية. كما فعله - مثلا - المغفور له جلالة الملك خالد عندما امر بطبع مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية وكما نراه هنا وهناك فى قلة نادرة.. وعطاء مبتسر.؟

سماحة الشيخ الحبيب بن الخوجة

ان ما تطرقتم إليه الآن هو فى الواقع موضوع خطير جدا وله ابعاد كثيرة، وكان بودى قبل هذا ان اعود إلى الحديث عن الشباب لان الدعوة ستوجه فى الواقع إلى الشباب.. والدعاة قد



يكونون على حق فيها يعتزمون القيام به، لكنهم لا يجدون تجاوبا مع الشباب، لان الشباب منصرف الى جهات أخرى، وإلى طموحات غير الطموحات التى يريد ان يبنيها فى نفسه.. فنحن لا ندعوه مجتمعا اسلاميا إلا بوجوب الالتزام بالاسلام، لان الدعوه قد توجه إلى شباب آخر غير اسلامى او تكون الدعوة موجهة إلى شباب مسلم. لكنه مسلم منحرف قد فقد حقيقة اسلامه.. هنا لا بد من تقرير الجانب الذى اشار اليه سعادة الدكتور عبد العزيز الحميدى.. يتمثل فى ظنى فيها كان يفعله رسول الله ﴿ﷺ﴾، عندما كان يقوم بهذه الدعوة، كان يدعو الشاب والفتاة والغلام إلى وجوب الأخذ بالمنهج الصحيح الرابح، فاذا هو كما ورد فى حديث «ابن عباس» رضى الله عنه، عندما قال رسول الله «﴿ﷺ﴾» (لعبد الله بن عباس)، وقد ركب خلفه: «يا غلام اتريد ان انصحك بنصيحة». قال«نعم يا رسول الله».. فقال له: «احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك. اذا سألت، فأسأل الله، واذا إستعنت، فاستعن بالله. ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك، وما اصابك لم يكن ليخطئك. إن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا».

هذا الحديث هو فى الواقع ضميمة روايتين للحديث الواحد.. قصدت إلى هذا التركيز لنواحى متعددة:

الناحية الأولى: بيان العلاقة التى ينبغى ان تكون للشاب مع الله.. وهى التى سميناها العقيدة الصحيحة، والايمان بالله، وتوحيد الله، والاستعانة به، والعبادة له.. إلى آخره، وقوله احفظ الله يحفظك.. احفظ الله تجده امامك.. احفظ الله فيما امرك، وفيما دعاك له.. وفيما يجب عليك قِبَله، وفيما ينبغى ان تلتزم به، لتكون عبدا شكورا فإن كان الحفظ لله على هذا النحو، فان الله لا يخيب عبده، ولا يتركه، ويكون دائما معه لنصرته.

اما الناحية الثانية: واذا سألت فاسأل الله، واذا استعنت، فاستعن بالله.. العلو أو التعالى عن كل شيء غير الله، لان الذى بيده النفع والضر، والذى بيده الايجاد والمحو، والذى بيده الخلق والاعدام، والذى بيده الازدهار والتأخر. انما هو الله الذى يتصرف بملكه كيف يشاء، لتكون هناك العبر، والمواعظ.. والسنة الذى ذكرها الله فى كتابه غير مرة ﴿سنة الذين خلوا من قبلكم﴾، فتكون هذه السنة دافعة بالرجل اليقظ والشاب الذكى إلى الاعتبار بتلك الحقائق والاخذ فى سبيلها.

والناحية الثالثة: قول الرسول «﴿ﷺ﴾».. إن ما اخطأك لم يكن ليصيبك - الفقرة - هذا يشير إلى تشجيع وتقوية قلب الفتى المؤمن حتى لا يخشى فى الله لومة لائم. كما انه ينبغى عليه ان يعلم بأنـ ـه كان طالبا الحق وسالكا سبيل المتقين، فإن الله معه يدفع عنه كل الاخطار. فاذا لحقه شيء فذلك من ثمرة الجهاد الذى يثاب عليه لأن الله قد كتبه له.

والرابعة: ركز ﴿ﷺ﴾ على الحقائق الثلاث الاخرى، هى: إن النصر مع الصبر، لا يمكن لانسان أن ينتصر وهو لم يكافح ولم يجاهد.. ثم: إن الفرج مع الكرب لا يتصور بالخروج

● نخطئ فى تصورنا الكلمة أدب إذا عزلناها عن مضمونها الخلقى والتهذيبى.

من الوضع القائم الذى نحن عليه الآن فى المجتمعات الاسلامية، ولا بالفرج الذى يعطيه الله ويحققه لعباده المخلصين.. إن مع العسر يسرا، التى وردت فى القرآن الكريم فهذه المعانى التى ينشأ بها الفرد، هو فى جعل نفس الشاب المسلم شفافه تتأثر بهذا الجانب العقيدى وتعيشه وتلتزم به فتكون بعد ذلك مطمئنة خيرة.. "واما الجماعة الاسلامية فامرها غير ذلك، لان المجتمع اذا كان متكونا من خلايا كما ذكرنا. فهذه الخلايا هى ذلك الشباب.. فكل خلية صالحة بانضمام اخرى مثلها اليها تقوى على تكوين بنية صالحة.. هى هذا المجتمع الاسلامى الذى نريده أو ننشده.. وهو الذى وصفه الله سبحانه وتعالى بالامة الوسط وبالامة الخيرة فما هى الامة الوسط ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾..

فهؤلاء الذين لهم القدره والمكانة بأن يشهدوا على الناس يوم القيامة. ينبغى ان يكونوا من أماثل القوم، وينبغى أن يكونوا عليه. وذلك هو معنى الوسط أى الشرف والفضل والخير الذى يقع بين طرفين متجانسين.

وامــا قول الله تعـالى ﴿كنتم خير امة اخرجت للناس﴾، فهو قد مثل الركائز الثلاثه، كنتم خير امة اخرجت للناس، بأى شىء.. تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله، فاذا لم توجد هذه الركائز الثلاث فإنه لا سبيل بأن نكون خيِّرين. فتحقيق الخيرة لهذه الامه انما كان بالقيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وبتوفر حقيقة الايمان كاملة.

انا استطيع ان اقول ان المجتمع الاسلامى لسوء الحظ قد فقد حقيقته.. أو أن الشباب المسلم قد فقد حقيقته.. وفقدانه لهذه الحقيقه ادى لأن يصبح غير مبال بحقيقة الاسلام وغير ملتزم بها.. وربما فى كثير من المجتمعات لا يعرفها ولا يريد ان يعرفها: لانه قد انجرف واخذ به التيار إلى متاهات أخرى، وهى التى اقتضت بفقدان الاصالة التى ينبغى ان تكون فيه.. وهو الاسلام الحقيقى.. كما وانه اصبح ذائبا فى غيره فاقدا الالتزام بدينه مرتبطا بذلك الغير لانه تصور ان الغير اقوى وازكى وأثرى واعظم سلطانا.. ولذلك اصبح يتذكر لذاته وهواه.. ويريد ان يكون من ذلك الجنس.. فلتحويله عن ذلك الاتجاه الذى اراده النصارى واراده المستشرقون لا بد ان يتأتى مع ايراد بعض الدلائل الدالة - فمثلا - نجد ان الحمله التى وقعت عند احتلال بلاد الجزائر فى سنة ١٨٣٠م، كان بعض القساوسه والرهبان يكتبون فى جريدة «العالمين» الفرنسية ويقولون: ليس الغرض من تعليم الفرنسيه فى شمال افريقيه، وبخاصة الجزائر ان تكون عقولا كعقول «مونتسفية» أو «فولتاه» ولكن الغرض من ذلك ان نعوض لغة بلغة، وعادات بعادات - وهكذا تنقص تلك الجماعة وتذوب، ويصبح الناس غير شاعرين بتلك الروابط التى تشدهم بمجتمعهم الاصلى، وبدينهم وبلغتهم.

فطريق معالجة هذا هو التذكير، كما تفضلتم، هو استعمال الحرف والكلمة، لان كل شىء يبدأ بالقول:

والعرب لا تبدأ بجمع جموعها
الا سمعت نشيدها وحداءها

فهذا القول الذى هو من نعم الله على الانسان يستطيع ان يسخره للخير وذلك بالكلمة البليغة والمؤثرة وبالموعظة الحسنة.. وهنا اريد أن انوه لما لا بد من التنويه به، وهو الصحوه الاسلامية الموجودة فى العالم كله.. فان الشباب اليوم ليس الشباب الذى كنا نعرفه من ثلاثين سنة خلت، فقد تغير الشباب وذلك بفضل جامعاتنا الاسلاميه وفضل كلمة الحق التى يصدح بها كثير من المصلحين.. وبفضل الكتب ودواوين السنة التى اصبحت بين ايدى الناس.. فهذه الاشياء الخيِّرة، وهذه المنابع.. منابع الحكمة.. ومنابع الهداية اصبحت متوفرة عند الكثيرين، فنحن لا ينبغى ابدا أن نضيعها لكن يؤخذ على بعض الشباب ما جاء من السؤال المطروح من «غوغائية» او محاولة الاجتهاد والبعد عن معرفة الفقه الاسلامى.. هنا اريد أن أذكر حضراتكم بأن أكبر ثروة للامة الاسلامية فى مشارق الارض ومغاربها من أقدم العصور إلى اليوم تتمثل فى فقهها وتتمثل فى شريعتها وتتمثل فى الانظار المختلفة التى كانت لمجتهدى الفقه.. وفى الذين استنبطوا من القرآن الكريم ومن السنة النبوية الشريفة الاحكام الجزئية وذلك اعتمادا على القواعد والفصول التى نعرفها.. واذا اراد الله خيرا بالمجتمع الانسانى، فانه يدفع به إلى الاخذ بهذه الشريعة.. هذه الشريعة التى لا يمكن ان يشبهها شىء من شرائع الامم الاخرى الوضعية التى ابتلينا بها فى ديارنا وفى عالمنا العربى.. فإن الناس اصبحوا يحتكمون إلى القوانين الوضعية وهذه القوانين الوضعية من نتاج الفكر البشرى، وهل يسموالفكر البشرى إلى التشريع الإلهى ؟.. والارادة الإلهى ؟.. لا بدون شك.. ثم ثانيا: اذا كان الانجليز يفاخرون الفرنسيين وهؤلاء يفاخرون الهولنديين وأولئك يفاخرون الألمان بما عندهم من نظريات قانونية وفلسفية وسياسية جعلوها موضوع دراستهم القانونية فى كليات القانون.. فإن للمسلمين فى اصولهم وفى قواعدهم الكلية وفى قواعدهم الأزلية. وفى الاشباه والنظائر التى ضبطوها وفيما عندهم من تراث نرجع فيه إلى ائمة علماء الاسلام - وليس المقام مقام التنويه بمثل هذه الكتب - فاننا نستطيع ان نكشف للناس وللانسانية جمعاء ما فى هذا التراث من خير وما فيه من سبل لتحقيق الأمن والسلام.. ولذلك اعود مرة اخرى إلى أن الكلمة الطيبة والمقال الشريف والخطبة الناجحة والتأليف الرائع فى التشريع وفى السنة وفى غير ذلك.. وان احياء التراث الفقهى الموجود فى مجتمعاتنا الاسلامية والذى لا يعرفه كثير من الناس.. كل ذلك يستطيع ان يغير ما بنا، لانه سيلفت النظر إلى اشياء لها اثرها الكبير فى المجتمع الانسانى ولا اقول من المجتمع العربى المسلم فقط.

والشعوب اذا كانت متحفزه لمثل هذا العمل، ورجال العلم والفكر اذا كانوا متطلعين ومندفعين إلى تحقيق هذه النتائج، فان الدول او الحكام اذا قاموا بذلك كما حصل بالنسبة لهذه المملكة التى يرعاها الله برعاية خادم الحرمين الشريفين لها، وبقيامه بواجبه من هذا الميدان، فان الآخرين يدعون إلى مثل ذلك.. ولا ارى واحدا من الحكام المسئولين اليقظين الشاعرين بواجبهم، يتخلى عن هذا الواجب.

الاستاذ نبيه الانصاري

نحمد الله اننا معه واسأله ان يحفظنا، ونحن بالحرف الموروث فى قرآن وحديث وسنة واتباع واجتهاد سائرون ان شاء الله ما سار الزمن.. ونحن فى رحاب نادى مكة المكرمة الثقافى وبين فتية امنوابربهم واطاعوه.. لعله من المناسب ان

ينتقل حديث الشباب والحرف والكلمة إلى شاعرنا الأستاذ ابراهيم امين فوده رئيس هذا النادي المبارك . . واني - سلفا - اعرف حبه الجيد للمشاركة في هذه الندوة بما يفيد ويوجه ويدفع إلى الخير . ونحن في نادي مكة المكرمة ومثله بقية انديتنا الادبية، نعيش الحرف والكلمة والمتن والشرح والقياس والاستظهار واني من منبر «المنهل» والتحاما للثقافة وتفاعلا لاجوائها وادوارها يطيب لي ان اقدم الشكر للاندية الادبية - لا فرق بين هذه وتلك - نظرا لما يسرته - مجتمعة - من علم مفيد، واطلاع نافع، وادب مرسل وارجو ان تمتزج ثقافتنا بهذه العناصر الخيره ويقوى تفاعلها بها .



الاستاذ ابراهيم فوده

احمد الله مستحق الحمد في السراء والضراء واعتذر اليكم واحمد الله عليه، فقد سمعت كثيرا مما دار في هذه الندوه . . وفهمت ان اخي وابني الأستاذ نبيه الانصاري يطلب مني ان اتحدث عن الشباب . . لكن الحقيقة ان المسئولية قبل الشباب تقع على الشيوخ . . اننا حين نتحدث عن الشباب . . هناك أمران . . أمر يتعلق بتربيتهم وتكوينهم . . وأمر يتعلق بالمطلوب منهم، أما أمر تربيتهم وتكوينهم فمسئولية الآباء سواءا بالجسد او النسب . . وسواءا الآباء بالروح «وهم المدرسون» . . وأبوة . . الروح اكثر تأثيرا من أبوة النسب . . لأن أبوة . . النسب قد تكون في متسوى من الثقافه وقد تكون في مستوى من الجهل وقد تكون في مستوى من الوسطية . . لكن المفروض من أبوة الروح انها في مستوى من الثقافه يعتبر مسئولا في هذا المجال . . تحدثت مرتين إلى المعلمين في منطقة مكة المكرمه التعليمية، ثم جمعت هذين الحديثين في كتيب بعنوان «حديث إلى المعلمين» كان موضوع الحديث الاول «سر مهنة التعليم» . . وكان موضوع الحديث الثاني «مهمة التعليم في العالمين العربي والاسلامي اليوم» . . اما سر مهنة التعليم فلا يتغير في كل جيل ومكان وزمان . . ولكن مهمة التعليم قد تختلف من جيل إلى جيل ومن بيئه الى بيئه . . تحدثت في مهمة التعليم عن اننا في عالمنا اليوم - لا اقول شبابا مع الاسف ولكن شيوخا ايضا - نفتقد الثقه في عقيدتنا . . ونفتقد الثقه في لغتنا . . ونفتقد الثقه في وحدتنا الاسلامية . . ونفتقد الثقه في تاريخنا . . ونفتقد الثقه في طبيعة بلادنا . . كل هذا كان نتيجة ما بهرنا به الغرب اليوم، وكان ايضا نتيجة ما دخل على كتبنا القديمة وعلى وسائل تدريسنا من تشويه . . سواءا في التاريخ بحكم العصبيات . . من امويين وعباسيين وشيعة وسنة . . الخ .

... كتب هؤلاء ضد هؤلاء.. فأصبح القارىء يختار بين أن يصدق أى نمط من هذا الحديث أو ذاك.. وفى نفس الوقت يشعر القارىء الحصيف بانه احيانا قد تكون هناك صورة مبالغ فيها من السوء غير قابلة للتطبيق ولا للتصديق، لكنها على كل حال كتبت.. فنحن فى حاجة كمسئولين من علماء - كما قال اخى الاستاذ احمد جمال - إلى النظر فى مؤلفاتنا التى تدرس للطلبه.. ان التوحيد يدرس الآن بنفس الكتب المؤلفة قبل خمسين عاما على الاقل، ويشركون ويناقشون موضوعات بعضها مات وانتهى وما زلنا نشغل لأذهان الطلبه بها وننسى ان هناك موضوعات مستجدة الآن.. هى فى حاجة إلى ان نكتب فيها.. هذا التوحيد كان رسول الله ﷺ يعلمه للمسلم فى جلسه واحدة.. حولناه فى عصر من العصور إلى علم الكلام فاصبح علم الكلام هو علم التوحيد.. شىء من المضيعة التى دخلت بالفلسفة والمنطق.. ثم حولناه فى عصر آخر إلى مشاكل ومعضلات ادخلنا ابناءنا الطلبه ندرسهم هذا التوحيد بطريقه مكررة معادة.. كتب الفقه فى المدارس مثلا مأخوذة بالنص من الكتب القديمه، لم يفعل فيها المؤلف غير انه اختار منها النصوص التى تناسب المراحل التى وضعتها وزارة المعارف فى التعليم.. بعض هذه الكتب فيها كلام عجيب.

فى المدرسة الاعدادية «بنتى» سألتنى يوما، ما معنى «الثيب»؟ فقلت لها «الثيب» من زوجت سابقا وطلقت.. ثم قلت لها اعطنى الكتاب لأرى.. فاذا الكتاب يشرح لطالبات المدرسة الاعدادية متى يحق للزوجه ان تطلب من زوجها الطلاق اذا لم يعاشرها.. كيت او كيت.. او مرة كذا.. الخ. هل ونحن ندرس الطلاق او غيره فى المدرسة الاعدادية ينبغى ان نعطيهن كل هذه التفصيلات؟ المفروض ان نتحدث لهن عن الزواج بمعناه العام.. ثم نترك للمتخصصين فى الدراسات العليا الاشياء الاخرى.

رأيتها مرة تقدم إلى الكتاب.. فاذا الكتاب يقول: فان طلق جزءا منها طلق اصبعها طلق زراعها.. طلق طلق....... اثار هذا نكته من الطالبات.. كل هذا لأن المؤلف لم يفعل غير انه نقل ما فى الكتاب القديم ووضعه بكامله فى الكتاب الحديث الذى سماه لنفسه.. لا اريد أن أطيل، إنما هناك مسئوليه كبيره.. المسئولية الاخرى التى قالها الأخ الأستاذ احمد جمال، يأتى مدرس التوحيد فيقول ان التصوير حرام، والصورة حرام ويأتى الطالب والطالبه فيجد الصورة فى مؤلفات وزارة المعارف وفى بعض الكتب.. فتسألنى أصدق من؟.

هذه الاشياء التى تخلق الشخصيه المزدوجة ينبغى بسببها ان نبحث موضوع المناهج بحثا هاما.

. هناك اشياء اخرى اهمها ما ذكره فضيلة «المفتى».. شخصية الداعى، هناك أمران.. أمر يتعلق بالداخل، والآخر يتعلق بالخارج.. اما الأول فهو يرجع ايضا إلى المدرس.. ونحن نرى انه من الاهم فى هذا العصر ان نعالج داخلنا قبل ان نعالج خارجنا.. نحن نبعث الدعاة إلى المناطق الملحدة لكننا أحوج بهم فى بلادنا الاسلامية فلا بد أن نفهم ديننا الذى ندعو اليه.. اما بالنسبة للذين ندعوهم من غير المسلمين فقد قلت مرة لمدير الجامعة.. اننى اقترح أن لا تكون هناك كلية للشريعة ثم كلية للدعوة.. المفروض ان الداعى يعرف - اولا - ما هي مهمته؟ ما هى الرسالة التى يدعو اليها؟ اذا ينبغى ان يتخرج من كلية الشريعة اولا فاذا علم ما فيها واصبح فى درجة التخصص ينتقل إلى مرحلة دراسات عليا للدعوة.. هذه الدراسات العليا تقسم إلى قسمين:

الاول عام: لا بد ان يعلم فيه للمتعلم علم النفس والتربيه والفلسفه وعلم المنطق والاجتماع والعلوم العامة التى تساعده على صيغة الدعوة.
ثم ثانيا: ان يتعلم المتخصص كل فى تخصصه لغة وعادات وتاريخ واجتماعيات كل بلد يريد ان يذهب اليه. مشكلتنا الاساسيه هى: من اين يخرج هذا الأستاذ «الداعية»؟.. يخرج من التدريس الداخلى الذى يبدأ معه منذ الابتدائيه.

ذكر الى البعض أن معلم الا تا ائيه حَدَّث الطلبه، وهو يعلمهم الفقه، فقال مثلا ان الزكاة هى التى ينبغى ان يدفعها المسلم مرغما صاغرا رغم انفه.. وهو «حمار».. أما الصدقه فهى التى يدفعها تطوعا ومن عنده وعلى راحته.. بهذا الاسلوب يدرس الفقه فى الابتدائيه.. فكيف بـ بالشباب؟، فالى جانب الاخلاقيات المهمه لرسول الله ﴿ﷺ﴾ قال لاصحابه «**ان اقواما سيأتونكم، يطلبون العلم، فقولوا لهم مرحبا بوصية رسول الله، واقنوهم**» استعمل هذا اللفظ «الاقناء» بالأدب، باللسان، بالمال.. مع الاسف نحن فى حاجة إلى رعاية كبيرة لهذا الاستاذ من الداخل اولا.. ثم بعد ذلك نطالب الشباب بما يجب ان يكونوا عليه.

ومع الاسف أصبح من ميزة العصر أن هناك قاعده عريضه متعلمه، لكن هذه القاعدة العريضه افقدتنا التفوق او الجودة التى كانت موجودة.. القاعدة العريضة فى المدارس الجأتنا الى تخريج اساتذه لا يستحقوا أن يكونوا مدرسين.. القاعده العريضة فى الصحافة الجأتنا إلى استعمال كُتّاب لا يستحقوا أن يكتبوا.. القاعدة العريضة فى الجامعات الجأتنا فى كل بلد مسلم إلى اساتذة فى كل مكان دون المستوى.. انا أجد ان مطالبة الشباب بالمستحيل مطالبة صعبه.. على الذين يطالبونهم مسئولية قبل ان يطالبوهم.. اما هم فنسألهم ان يتجهوا إلى الله وأن يحاولوا ان يكتشفوا بأنفسهم الطريق.. فاسأل الله الهداية لكل مسلم شب.. كما كان الصحابه فى الجيل الاول فى حالة الكفر يلتمسون الهداية.. لكنهم وجدوا حملة المشاعل، ووجدوا فى البدايه رأس النور ومصدره الموجه من الله سبحانه وتعالى.. فاليوم عليهم ان يلتمسوا النور حيث يجدونه.. واسأل الله ان يلهم الذين بايديهم المشاعل، أن يوفقوا إلى رسالتهم.

- ينبغي أن نعرف احتياجات المجتمعات لنقيس دعوتنا باحتياجاتها ومتطلباتها فهذا شرط اساسي للتفوق في العمل.
- أن العبادة لا تتمثل فقط في الصلاة والزكاة وما اليها من اركان بل كل عمل نوى اليه المسلم واخلص فيه لوجه الله من اجل تحقيق الخير او دفع الضرر او الارتفاع بالمجتمع الانساني، فهو عبادة.
- اصبحنا نستطيع أن نؤثر بالمال والجاه والسلطان.. وعسانا أن نؤثر بالكلمة الصادقة.

الأستاذ نبيه الأنصاري

هل للأساتذة تعقيب؟

سماحة المفتي الحبيب بن الخوجة:

سيدي لقد اثلجت صدورنا وتحدثت في جوانب كان لا بد من الاصداح بها . . والعالم العربي في مختلف دياره وكذلك العالم الاسلامي يشكوا من هذا الوضع . وان لفت النظر إلى هذه الحقائق امر لازم وضروري . . فانتم كما وصفكم الأستاذ «نبيه الانصاري» عندما قدمكم . . موجه لهذا الجيل والداعي بحق إلى المناهج الصحيحة في مجال التعليم والتدريس وفي مجال الدعوه إلى الله .

اريد فقط ان اشير إلى جانب آخر . هذا الجانب هو الذي اغفلناه بالنسبه للحرف والكلمة . . ولعله يكون مطلوبا بالحرف والكلمه او الادب بعبارة أخرى . . هو شيء جميل ولطيف ومؤثر لأن الكلمة الخيره اذا صيغت في قالب غير جميل وغير صحيح وغير بديع لا تؤثر . والقرآن أثر لكونه رائعا ولكونه معجزا ولكونه بليغا ولانه تحدى البشر كلهم فاتي بما لم يستطع به أحد .

انا اقول على الشباب وعلى الامة العربية والاسلامية ان تسهم بالحرف في الدعوة إلى الله فقط . . بل اقول ينبغي ان نوجه هذه الكتابات وهذه المقالات والدراسات توجيها نحقق فيه الجمالية المطلوبة بلغة العصر . أي البلاغه والابداع والتفنن والروعه في الاداء . . لان الأدب هو فن قبل ان يكون اى شيء آخر والذى لا يعرف فن الادب لا ينبغي ان يكتب . . لانه يضجر غيره ويحمله العنت في قوله وهو في غنى عن ذلك .

والامر الثاني . . هو اني اريد أن أشير إلى أن طلائع كل قوم في كل مجتمع انساني تعتمد الحرف والكلمة . . ينبغي ان تكون افعالها هادفه إلى جانب الجماليه . . ولذلك وجدنا حتى في الفلسفات المحاربه للاسلام والمحاربه للعقيده والمحاربه للاديان . . كلها في الوجوديه . . مثلا نجد الوانا من الانتاج الادبي الغربي الذى يؤثر على النفوس فلما لا تكون قصتنا قصة مبتدعة اسلامية رائعة مؤثرة ومشوقة؟ . حتى إلى متى نبقى عالة على انتاج الغرب ننقل منه الكثير؟ . على حين ان ماضي تاريخنا وتراثنا يستطيع ان يمدنا بالشيء الكثير من هذا القصص ومن هذا الادب . . كذلك يقال بالنسبه للرسالة التي انقطعت من هذا العصر . . لم يبق هناك ادب الرسائل . . بالاحرى ان تتكون هذه الاخوانيات وتتصل هذه الروابط، وان يتبادل الناس هذه المقالات ادب المقاله ايضا مفقود، الخطب بمعناها الصحيح الفني . . فقدت . . لم تبق موجودة . . وعندئذ فهناك مجالات متعدده ادبية منها الذى انقضى ولا يعود . . ومنها الذى استجد كالروايه والقصة والشعر وما إلى ذلك . . ينبغي ان يستمر جماليا وادبيا وذوقيا وهدفا إلى تحقيق الغاية المرادة منه . . فاذا لم نفعل ذلك فاننا نكون مقصرين . . الناس مقبلون شئنا أم أبينا على الرواية وعلى المسرحية وعلى القصص . . اذاً لم لا نكتب قصصا رائعا اسلاميا؟ . ومسرحيات اسلامية؟ . وكذلك خطبا اسلامية؟ . ويحولون هذه الآثار إلى آثار ملتزمة . . هناك الالتزام من جانب والجمالية من جانب والهدف الذى يقصده صاحبها **ورائه** من جانب آخر . . واعتقد ان بجانب الحرف والكلمة والمقاله التي تنشر في الصحافه او المجلة والكتاب او الديوان هناك التسجيلات الصوتية . . لا بد ان نعود إلى تقييم المنهج في اختيار الخطباء والدعاة، فالدعاة ينبغي ان يكونوا خطباء، وهؤلاء الخطباء ينبغي ان

يكونوا على مقدار من الجودة والنجاح والا فلا حاجة للناس ان يتكلموا . . اذا كان كلام الخطيب «غوغائيا»، يعيد فيه كلام غيره او يقرأ الكتب فيأتي بها مجته الاسماع ولا يحتاجون إليه فان هذا التطوير وهذا التغير يحتاج كما قال بعض علماء النفس إلى دراسة نفسية سابقة للمجتمع الذي تريد ان تخاطبه . . هذا ما يفعله «القساوسة»، ولسوء الحظ استشهد بما يفعلونه لانى قرأت الكثير عنهم . . قبل ان يرسلوا بأى انسان إلى منطقة من المناطق للتبشير حسب زعمهم يعلمونه جغرافية تلك البلاد وتاريخها واحوالها الاجتماعية وظروفها الاقتصادية، وما يمسها من كل جانب حتى تصبح ماثلة لديه وكأنه ينظر اليها، فاذا ذهب علم الوسائل التى ينبغى ان يستغلها فى تحقيق تلك النتيجه وهذا ما يفعله سفراء الدول عندما يذهبوا لغايات سياسية في بلاد اجنبيه . . لا بد ان يدرسوا تلك الاوضاع التى تكون عليها تلك البلاد التى يوجهوا اليها . . والداعيه المسلم لا ينقص اهمية وجدوى فى عمله عن دور المبشر وعن دور السفير بل هو الداعى إلى الله يريد ان يغير ما بالناس . . وكما قال الاخ «الفودة» واقعنا فى داخل مجتمعاتنا هو أوكد بكثير من توجيه الدعوه واعلانها بين الناس لانهم يأخذون صورة عكسيه من حياتنا تكون حجه علينا ولا تكون حجه لنا .

الاستاذ نبيه الانصاري

لقد اثار كوامن الشجن فى نفسي ومس شغاف قلبى حديث سماحة الشيخ «ابن الخوجه» فى موضوع المقالة . . وتيسيرها . . وتوجهها إلى الناس عامة بما يفيد ويصلح وانى بتواضع فى «المنهل» أجد نفسى مثقلا متعبا بهذه المقالة وهذا التوجيه . . اطلبه واستحدثه بمن يحملون الكلمة ويحسنون البيان . . ولا انسى التنويه والاشاده بالموضوع الذى اثاره سماحة الشيخ «بالخوجه» . . وهو موضوع وجوب تعلم الدعاة للغات الاقوام الذين يتوجهون اليهم من اجل ان تكون دعوتهم بلسان مفهوم مبين . . وانى فى هذا المنحنى الطيب لى سؤال وهو عن علاقة المعنى الاصطلاحى بالمعنى اللغوى؟ واعيد ذكرى قريبة إلى نفسى بمجلس كريم ضمنى فى المدينة المنورة، وبزيارة أبوية لمنزل «مؤرخنا ومؤرخ الجزيرة العربية» الأستاذ السيد «امين مدنى» . . وكان من ضمن ذلك الحديث ما تطرق اليه سيادته من ميله إلى امكانية ادراج المسميات الشائعه فيما استجد فى الحياة . . واعود للسؤال هنا: لماذا لا نقر بتلك المصطلحات اللغوية والحياتيه التى فرضت علينا واصبحت جزءا من حياتنا مع انها كانت كامثالها من غريب اللغة؟ . . والقرآن الكريم كما نعرف أتى على بعض منها مثل: السندس . . والاستبرق . . وفى غريب اللغة ما يربو على المائة شائعة بين الناس وفى الالسن وأجيز استعمالها، فلماذا لا نطوعها ونستعملها نحن - ايضا - ونعربها وندرجها فى مصادرنا، ونتعارف عليها فى تعاملنا؟ .

ارجو ان يتفضل الاستاذ «احمد جمال» بالتوضيح الذى يراه . . وشكرا؟ .

ان "أبوة الروح" التى تجسد فى المدرسين "الكرام" أثرا من "أبوة النسب"

الأستاذ أحمد جمال

في الواقع هذا الاقتراح، وهذا الرأي لا اعارضه. بل اؤيده، وينبغي لنا اذا كنا لا نجد في لغتنا كلمة او لفظا لا تقابل المصطلح الحديث. ينبغي ان نعرب هذا المصطلح الاجنبي.. ويعني نعربه أن نجعله في صيغة عربية.. فلا شك ان اقتراح الأستاذ «امين مدني» ثابت، ومطروح في الصحف والمجلات.. وكثيرهم اللذين يدعون إلى تعريب المصطلحات الاجنبية التي لا يوجد لها بديل في لغتنا

سماحة الشيخ باخوجه

الواقع ان هذا الموضوع لا يخرج بنا عما كنا فيه.. لان الحديث عن الدعوه هو حديث عن ماضي الاسلام المجيد وعن مواصلة العمل من اجل ان نرفع من شأن هذه الامه ومن انتاجها وقوتها.. انا اريد ان اذكر للاجابه عن هذا الموضوع.. ان «اليوتبي» رحمه الله، في كتاب «الاتقان» تعرض لعدة قضايا.. كما تعرض في كتاب «المزهر»ايضا الى هذه القضايا بالذات.. وقال ان القرآن قد اشتمل على خمسين لهجه عربيه غير قرشية.. وتضمن نحو مائه وخمسين كلمه ليست عربيه اطلاقا.. هي مأخوذه من اللغات الاجنبيه.. تعرفون بدون شك وانتم أهل اللغة واصحابها وقد درجتم في رحابها وشدوتم أدبها وتغذيتم بلبانها.. هذه اللغه مرة تكون مقصوره على الاستعمالات والالفاظ الرائجه التي تدور على الالسنه.. لكن اذا ظهر جانب غريب عن المجتمع العربي واراد ان يؤثر في ذلك المجتمع جاء إلى المجتمع العربي.. بلفظه واسمه فيصبح ذلك اللفظ او ذلك الاسم عنوانا على الشيء الذي كان مجهولا عند العرب، فلينتقل الامر الألف من غير العربي إلى العربي، وينتقل معه اللفظ الذي يدل عليه.. هذه هي حكاية انتقال الالفاظ من لغة إلى لغة ومن مجتمع إلى مجتمع ولذلك كان الدارسون ورجال النقد في الادب العربي يتحدثون عن هذه الالفاظ ويسمونها الفاظ الحضارة وهي ليست مقصوره على مجتمع بعينه، ولذلك نجد في كثير من الشعر العربي وحتى الجاهلي الفاظا حضاريه لم تكن معروفه في جزيرة العرب وانما انتقلت على السنة هؤلاء الشعراء للدلالة على معنى حضاري قد شارك فيه هؤلاء الناس.. وبالاضافة الى هذا اقول ان المجامع اللغوية الموجودة الآن سواء في القاهره او في دمشق او في العراق او في المغرب او في تونس.. هذه المجامع تتبع الالفاظ والمصطلحات.

وقد سألني الأستاذ نبيه الانصاري عن الفرق بين الاستعمال اللغوي والاستعمال الاصطلاحي.

.. الاستعمال اللغوي عادة يكون اوسع.. والاستعمال الاصطلاحي ينتقل اليه من ذلك المعنى العام إلى المعنى الخاص «الجزئي» ليصبح في الدلالة الاصطلاحية لا يعني الا ذلك المعنى الخاص.. ولكن استعمال المفردات الغير عربية بطريق التصريف الذي يكسبها سلاسة ويخضعها لقوانين العربية كأن يصبح اللفظ الاجنبي الدخيل في اللغه العربية قابلا للجمع قابلا لاداة التعريف قابلا للتصغير ولغيرها من الوان الاشتقاق في اللغة العربية.. اذا خضع لذلك فانه يصبح عربيا ولكن الالفاظ الاصطلاحيه بالنسبه لقضايا العلوم هي اكثر من ان تحصى.. لكنها لم تشتهر ولم تعرف بين الناس لأن التوزيع غير منظم لما يطبع من المجامع اللغويه.. ثم ثانيا لان هذه الالفاظ انما تكتب

ان الاسلام قد أتى بأصول وقواعد عامة للاصلاح ولم يفرض طرقاً ووسائل خاصة .. ومن هنا فانه لا يعارض التطور أو التغيير فى اسلوب الدعوة أو التربية أو التعليم .

ان الشباب المسلم يعانى من التناقض حين يستمع الى علماء وفقهاء لا يريدون التغيير وآخرين يدعوننا الى أن نقتبس من الحضارات الاخرى وننهج منهجها .

لها الحياة بالنشر وبالاستعمال واذا تركها الناس فانها تموت . . كما ان اللفظ الذى لا يقره المجمع اللغوى اذا أقرته الصحافه والكتابه والخطابه والتأليف يصبح فارضا لنفسه موجودا فى الاستعمال . . هذه كلمتي واشكركم على اقتراحكم هذا .

• الاسلام
لا يمنع أن نحدث الناس بما يعقلون
وأن ندعوهم الى ما يستطيعون
وأن نبدأ بالأهم
وأن لا نقصر الحديث على أمور قد لا يعايشونها .

الدكتور عبد العزيز الحميدي

فى الحقيقه لى تعليق بسيط على بعض الموضوعات التى مرت . . وانا اوافقكم على ان المناهج الابتدائيه والثانويه ممكن ان تسهل فيها المعلومات وان تبسط ولا يلتزم فيها بالكتب التى تعتبر من المراجع البحته . . اما بالنسبه للدراسة الجامعيه فالمفترض فيها ان تكون دراسة تخصصيه . . والذى جعل هذه المراجع وعرة على الطلاب هو تدنى مستوى التدريس فى المرحلة الثانوية وما قبلها . . فى الحقيقة يجب ان تقوى هذه المراحل السابقة ليستطيع الطالب ان يسير فى المرحلة الجامعية التى تعتبر من المراحل التخصصية . . اما بالنسبه لقضية المذاهب فيمكن الاختصار على المذاهب التى بها وجود فى واقع المجتمع . . اما بالنسبه للمذاهب التى درست . . اولا يحتاج الامر الى أن يدرسها جميع الطلاب وانما يمكن ان يدرسها اصحاب التخصص الدقيق .



كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم المسلم التوحيد فى جلسة واحدة .. ثم حولناه الى مشكلات ومعضلات .

البزوغ للأمة الإسلامية تتمثل في فقهها وشريعتها.
الكلمة الطيبة..
والمقال الشريف..
والخطبة الناجحة..
والتأليف الرائع في التشريع..
وإحياء التراث الفقهي
كل ذلك يستطيع أن يغير ما بنا.
● الدكتور حمدون

في الواقع إن لي تعليقاً على موضوع الأدب، والذي أثير اثارة عابرة هنا.. ولحسن الحظ اني أجلس بجوار الأستاذ «احمد محمد جمال»، وقد قرأت له حين كنت أبحث عن شيء في مفهوم الادب الاسلامي.. وكيف «نُؤسْلِم» الأدب إن صحَّ أن نتوسع في اللغة ونستخدم الفعْل «أسْلَمَ» يُؤَسلم ووجدت له أيضا (ادبنا يجب أن يكون ملتزما).. وفي إطار البحث عن هذه القضية أعتقد أن هناك خطأ في تصورنا لكلمة «أدب» حين نعزلها عن مضمونها الخلقي والتهذيبي.. اذ لا نجد في الادب العربي قبل البعثة المحمدية استعمالا لهذه الكلمة فقد كان الجانب الأدبي مقصورا على الشعر والنثر واستخدمت كلمة «أدب» في الغالب بمعنى الدعوة إلى الطعام، وتذكرون قول الشاعر:

نحن في المشتات ندعو الجفلى
لا ترى الأدب فينا ينتقر

ولما جاء الاسلام اقترنت هذه الكلمة بمعنى التهذيب الخلقي.. كما نعرف قوله ﷺ: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».. وأخذت كلمة الأدب في اللغة العربية تتطور من هذا المنطلق أي منطلق التهذيب والتقويم. ولم تعترف اللغة العربية - فيما أتصور- فصلا بين مفهوم التهذيب والتقويم الاخلاقي وبين الدين وبين الأدب إلا في فترة متأخرة إلى حد اننا في البحث عن ترجمة لهذه الكلمة في لغات أخرى، مثلا نجد أن كلمة likerature في اللغة الانجليزية، أو كلمة literatur في اللغة الألمانية أو غيرها من اللغات، لا تفي بالحد الكامل لمفهوم الكلمة في اللغة العربية، مما اضطرهم إلى ان يبحثوا عن مصطلحات اخرى مثل: bell ietters حتى يؤدوا معنى الأدب.

ان هناك في الغرب تصورا أساسيا، هو أن «الأدب».. عمل من بدع الإنسان، منفصل عن الدين والخلق والتهذيب.. وهذا الفصل أمر طبيعي في الحياة الثقافية الغربية بصفة عامة لما تقوم عليه من علمانية.. لكنه ليس طبيعيا في وقت من الاوقات بالنسبة لنا نحن المسلمين.. وعدم طبيعيته ترجع كما قلت: ان الكلمة نفسها لا تسمح بذلك، بل اننا اذا اخذناها في مفهومها وتطورها، وجدنا أنها لا تؤدي معناها الا في إطار أخلاقي تهذيبي إسلامي.. هذا ما أردت ان اعلق به.. وشكرا.

وانتهت الندوة التي عقدت مساء يوم السبت الموافق ١٣/٣/١٤٠٤هـ في بطاح مكة المكرمة وفي امسية مباركة طويلة.. بعد ان حفلت بمشاركات روادها الكثر الافاضل من علماء ودكاترة واساتذة وطلاب.. وعمق ابهاجها وافادتها ومؤانستها بعض من هؤلاء واولئك نخص بالذكر منهم:

- فضيلة الشيخ ابراهيم الشوري.
- الدكتور محمد الرشيد.
- الدكتور جابر العلي.
- الدكتور بركات دويدار

علوم
اعداد
خالد الجبر

تجربة علمية مثيرة في جامعة مانشستر لكشف حقيقة الحاسة السادسة

وقبل ان نتطرق للتجربة الاخيرة يجب ان نعرف ما هي الحاسة السادسة فهي ـ كما يقول الاستاذ عادل صادق استاذ الطب النفسي والاعصاب بجامعة عين شمس بالقاهرة .. ليس لها تصور مادي بعينه كما انها غير موجودة في كل البشر ونعني بها بشكل عام التوقع والحدس والتخمين غير المبني على وقائع أو حقائق ملموسة أو مرئية اذ هي نوع من الادراك الداخلي أو البصيرة أو الاحساس التلقائي . وكما نعرف فان الحواس الخمس الأخرى : النظر ، الذوق ، السمع ، الشم ، اللمس .. هي حواس موجودة على المستوى المادي ونشاطها يمكن تسجيله وقياسه فسيولوجيا وهي موجودة في كل البشر ولها حدودها الملموسة برغم أن هذا لا يمنع تفوق بعض البشر بقوة خاصة في احدى هذه الحواس وان كانت هي الأخرى قوة يمكن قياسها وتجريبها .

حاسة واحدة وظواهر عديدة

□□□□

ايضا .. وقبل ان نتعرض للتجربة الأخيرة .. فإن التجارب السابقة كانت كثيرة جدا .. ولأن الحاسة السادسة ليست كالحواس الأخرى لها طبيعة واحدة بل ان لها طبائع أخرى مثل التوقع والحدس والتخيل والتخمين ..

فهناك امثلة عديدة على تجارب شخصية ربما يتخيلون شيئا قبل وقوعه .. فيقول لك انسان أن شخصا آخر سيجيء الآن ويقول كذا وكذا .. ويتحقق هذا التخمين فعلا .. واحيانا يتنبأ احد بنتيجة مباراة رياضية او يحس شخص بحادث لشخص آخر عزيز رغم انه يبعد عنه مئات الأميال .

الا ان الدكتور عادل صادق يقول انه حتى الآن لا يوجد أساس علمي لهذه الظواهر أي انها لم تخضع للتجربة المعملية ولكن هذا لا يمنع من التسليم بوجودها حيث أن هناك خبرات فردية متعددة من كل انحاء العالم تؤكد وجود مثل هذه الظواهر .. لكنها تظل على المستوى الشخصي الفردي ولا يمكن قياسها او تعميمها فالجموع الهائلة من البشر لا تحظى بمثل هذه القدرات الخاصة التي يحظى بها الأفراد القلائل .. ونقول قلائل في حدود علمنا بهذه الحالات ولكن ربما هناك الكثير منها ولكن لم يصل لنا خبر عنها شأنها في ذلك شأن بعض الظواهر النفسية المرضية التي لا يمكننا ان نخضعها للبحث العلمي المعملي ، فإذا جاءنا شخص يقول انه يسمع اصواتا حيث لا مصدر لهذه الأصوات فما علينا الا ان نصدقه لأنه لا يوجد جهاز يكشف اذا كان حقيقة يسمع أصواتا أم لا .. وبالمثل اذا جاءنا شخص آخر وقال انه قادر على قراءة أفكار الآخرين أو أن وحيا هبط عليه من السماء فإن التحقق من هذا بالأسلوب العلمي المقنن مستحيل جدا .

التجربة الانجليزية

□□□□

ونعود الى التجربة الأخيرة .. وهي كما قلنا في جامعة مانشستر البريطانية .. فقد جمع أساتذة الطب النفسي عددا من الطلبة وأبعدوهم عن الجامعة بمسافات تصل الى ٨٠ كيلومترا ..

ما علاقة المخ بالحاسة السادسة ؟

وهل توجد بوصلة

في عقل الانسان أو الحيوان ؟

وكانوا في طريقهم معصوبي العينين وعندما استقروا في مكانهم البعيد طلب الاساتذة منهم ان يشيروا الى الاتجاه الصحيح الذي يؤدي لمقر الجامعة ..

وبالفعل اتفق كل الطلبة على اتجاه واحد .. وكان هو الاتجاه الصحيح .

وفي المرحلة الثانية تم ما حدث في التجربة الاولى ولكن هذه المرة وضع الاساتذة فوق رؤوس بعض الطلبة مغناطيسيا وفوق رؤوس البعض الاخر بعض قطع من الرصاص .. وفي هذه الحالة لم يستطع الطلبة ان يتوجهوا للوجهة الصحيحة

موجات كهربائية للمخ

□□□□□

ماذا يعني هذا !

الاستاذ الدكتور محمد رفعت استاذ جراحة المخ والاعصاب بكلية الطب بجامعة القاهرة .. يقول انه ليس هناك في المخ ما يمكن ان نسميه بمركز للحاسة السادسة .. لكنها حاسة توجد عند اناس غير عاديين يتميزون بشفافية عالية . فالحاسة السادسة هي حاسة التوقع والتخمين والحدس "التليباثي" وهي كلها ظواهر غير مبنية على اساس واقعي او احداث ملموسة .لكننا في هذه التجربة فنحن امام شيء اخر هو تحديد الاتجاه دون معرفة سابقة به .. وهذا

يتم عن طريق الاشعاعات الكهرومغناطيسية التي يرسلها المخ وهي تشبه موجات الميكرويف التي ترسلها اجهزة الراديو وتستقبلها اجهزة اخرى خاصة بالاستقبال . هنا المخ يرسل اشعته وتستقبلها الجهة الموجهة اليها تلك الاشعاعات لان المخ يضبط المسافة والاتجاه تلقائيا ويرسل الاشعة لتستقبلها ادارة الجامعة في هذه التجربة ثم تعيد ارسالها مرة اخرى ليستقبلها المخ ويحدد على اساسها الاتجاه والمسافة .. اما عندما تم وضع مغناطيس او قطع الرصاص حول المخ

فقد توقفت هذه الاشعاعات الكهرومغناطيسية عن العمل مرة لان المغناطيس يشوش على حركتها .. والاخرى لان الرصاص لا ينفذ الاشعاعات .

بوصلة داخلية

□□□□

ويتفق الدكتور عادل صادق على هذا فيقول ان البوصلة الداخلية موجودة بكل تاكيد .. والمؤكد حاليا بشكل علمي هو وجود الساعة الداخلية فالانسان يستطيع ان يستيقظ في ساعة معينة اذا اراد ذلك وانه يستطيع ان يحدد الوقت رغم انه لا يملك ساعة . والتجارب العلمية اثبتت ان منطقة معينة في المخ تسمى "الامجدالا" لها وظائف متعددة من اهمها الادراك والتعبير وهو يتاثر في حالة القلق النفسي ويكون سببا في السلوك العدواني وبإزالة هذا الجزء تتحسن حالة بعض المرضى ولكن لوحظ ان هذا الجزء مسئول عما يسمى بالساعة الداخلية . وقياسا على ذلك يمكن القول بان هناك بوصلة داخلية توجه الانسان وجهة معينة بفعل اشارات كهربائية تصدر عنها .

□□□□□

الحاسة السادسة للأسماك

□□□□

هذا ما اكدته تجارب علمية اخرى عديدة .. عن اهمها يتحدث الدكتور حسين عبدالظاهر الخبير بمعهد بحوث البحار بالقاهرة .. قال ان الحاسة السادسة الخاصة بتحديد المسافة والاتجاه موجودة بشكل واضح جدا لدى الاسماك والحيوانات البحرية . فهناك العديد من هذه الحيوانات لا تسمع ولا ترى ومع ذلك فهي تعرف اين هي بالضبط والى اين تسير .

مثال واضح امامنا جميعا يظهر في ثعابين السمك ، فهذه الثعابين تعيش في الانهار فقط ، الذكور منها يعيشون عند المصب والاناث يعيشون عند المنبع .

وعند ٧ سنوات تبدأ تلك الثعابين في هجرتها سواء من منابع الانهار او مصباتها .. لتذهب في رحلة طويلة جدا الى جزر الهند الشرقية ، وهو المكان الوحيد في العالم الذي يتم فيه وضع البيض . وفي الرحلة الطويلة التي تستمر ٧ سنوات يسير ثعبان السمك بلا بوصلة في طريق لا يعرفه من قبل وهو مع ذلك يصل الى مكانه ثم يعود مرة اخرى الى المكان الذي يعيش فيه في

لماذا يشعر الانسان بالحدث قبل وقوعه ؟

وكيف يحدد اتجاه مكان لا يعرفه من قبل ؟

رحلة تستغرق ٧ سنوات أخرى بنفس الطريق الذي سار فيه

والطيور أيضاً

□□□□□

هناك أيضا في الطيور نفس القصة .. فهناك الطيور التي تهاجر آلاف الأميال بدون بوصلة في يدها .. انما هناك بوصلة في المخ ترسل اشعاعات تحدد المكان والمسافة وهي لا تخطىء أبدا .

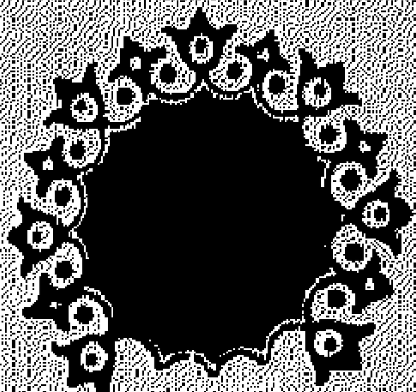
وقد أجرى بعض العلماء عددا من التجارب واختاروا الحمام الذي اشتهر عنه معرفته بالمكان الذي ولد وعاش فيه وكيف يعود اليه من اي مكان .. حاول العلماء معرفة السر وراء هذه القدرة .. فاختاروا مجموعة من الحمام التي تربت في مكان معين وأبعدوها داخل سيارات مغلقة بحيث لا ترى شيئا من الطريق ، الى مسافات بعيدة .. وهناك اطلقوها لتطير عائدة الى نفس المكان .. وعندما وضعوا بعض رقائق الرصاص حول راس الحمامة لم تستطع ان تحدد اتجاه سيرها وبالتالي لم تصل الى هدفها .. وهذا يؤكد ان المخ يرسل اشعاعات تحدد على اساسها الاتجاه والمسافة وان الرصاص يمنع هذه الاشعاعات فيؤثر على البوصلة الداخلية التي تسير او تطير بها . وهذا ممكن جدا في الانسان كما هو ممكن في الحيوان . والدليل على ذلك ان الانسان يمكنه تحديد اتجاهه للسير الى مكان معين رغم أنه قد يكون في مدينة لم يزرها من قبل ويكون اتجاهه صحيحا .. والفكرة هنا ان الانسان يرسل عن طريق خلايا المخ اشعاعات تقصد مكانا معينا وعندما ترتد له هذه الاشعاعات يحدد أين الاتجاه . وهذه هي فكرة الرادار الذي يرسل هو الآخر اشعاعات وعندما ترتد له من جسم آخر يحدد مسافته ومكانه بالضبط .. وهذه الفكرة ظهـرت واضحة في الخفاش او الوطواط الذي لا يسمع ولا يرى رغم انه يحدد بدقة أين هو والى اين يسير ، فإن له بوصلة داخلية رادارية تعمل بكفاءة عالية .

ظاهرتان أساسيتان

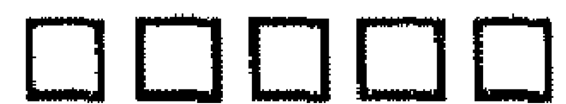
□□□□□

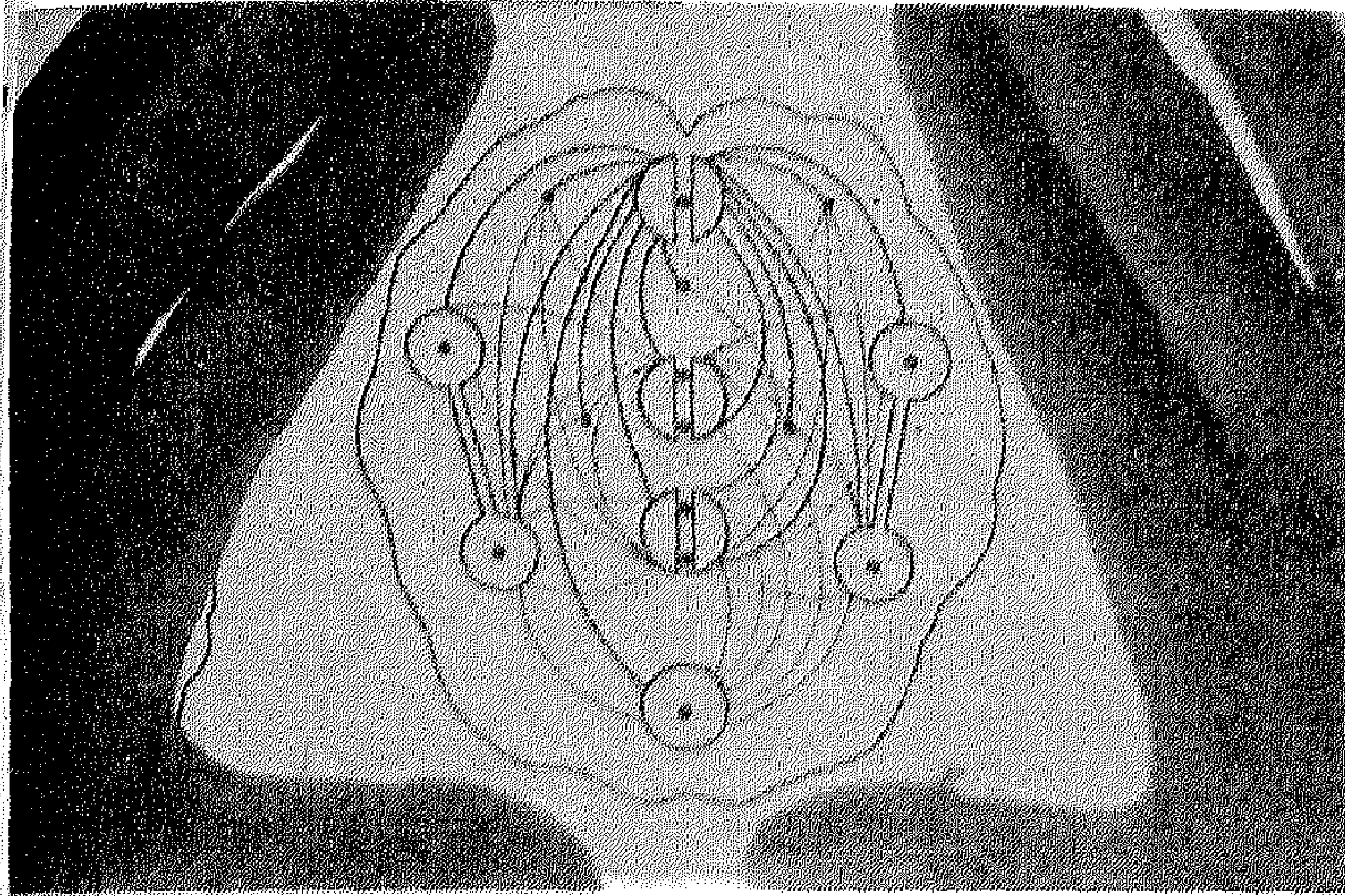
ولكن .. الوجهين الرئيسيين للحاسة السادسة ـ كما يقول الدكتور عادل صادق

هل هناك ما يمكن أن نسميه : الحاسة السادسة! واذا كانت هناك فعلا حاسة سادسة عند بعض الناس أو الطيور او الحيوانات .. فما هي .. وما حدودها ومظاهرها .. وما هو السر الذي تختفي وراءه ! كل هذه الأسئلة كانت ـ ولا تزال ـ محور اهتمام علماء النفس والأطباء النفسانيين في كل انحاء العالم .. خاصة ذلك العالم المتقدم الذي ظن علماؤه انهم يعرفون كل كبيرة وصغيرة في جسم الانسان .. لكن قدرة الله تعطيهم درسا لا ينتهي .. لأن احدا منهم ـ مهما بلغت قدرته ـ لن يستطيع التوصل الى اعماق النفس الانسانية وفيها الكثير مما لا يعرفه الانسان عن نفسه ! ولأن محاولات العلماء لا تنتهي وتجاربهم لا تتوقف .. فان آخر تجربة في بريطانيا .. وبالتحديد في جامعة مانشستر التي أجرى علماء النفس بها تجربة جديدة للتعرف على الحاسة السادسة داخل الانسان

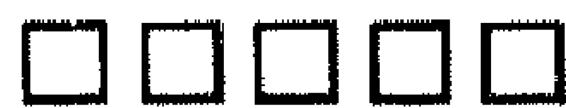


ـ ليسا في تلك البوصلة الداخلية .. لكنهما في ظاهرتي : التخاطر "التليباثي" والألفة "ديجافي" الأولى عبارة عن معرفة أو تصور واقعة تحدث في نفس الزمان لكنها في مكان بعيد وفيها يتخطى العقل مئات الأميال ليحس بالواقعة .. وهذا لا يحدث الا بين اثنين بينهما رابطة عاطفية قوية أو أن هناك أمرا مشتركا بين كل منهما ، فتشعر الأم أن ابنها في خطر أو أنه يموت في هذه اللحظة أو يشعر الأب بالآلام الجسدية التي يشعر بها ابنه الذي يعيش آلاف الأميال بعيدا عنه أو تشعر الزوجة أن زوجها يعاني كربا أو هما وهو يعيش في بلد آخر .. وهذا معناه أن هناك جهاز ارسال وجهاز استقبال يعمل بتأثير العواطف الجارفة التي يحملها الانسان لانسان آخر لأن المخ يعمل بتيارات كهربائية يمكن تسجيلها على الورق بواسطة جهاز رسام المخ الكهربائي وهي ربما يمكن أن تنتقل من مكان آخر مثل موجات الراديو على أن يكون المرسل والمستقبل على موجة واحدة .





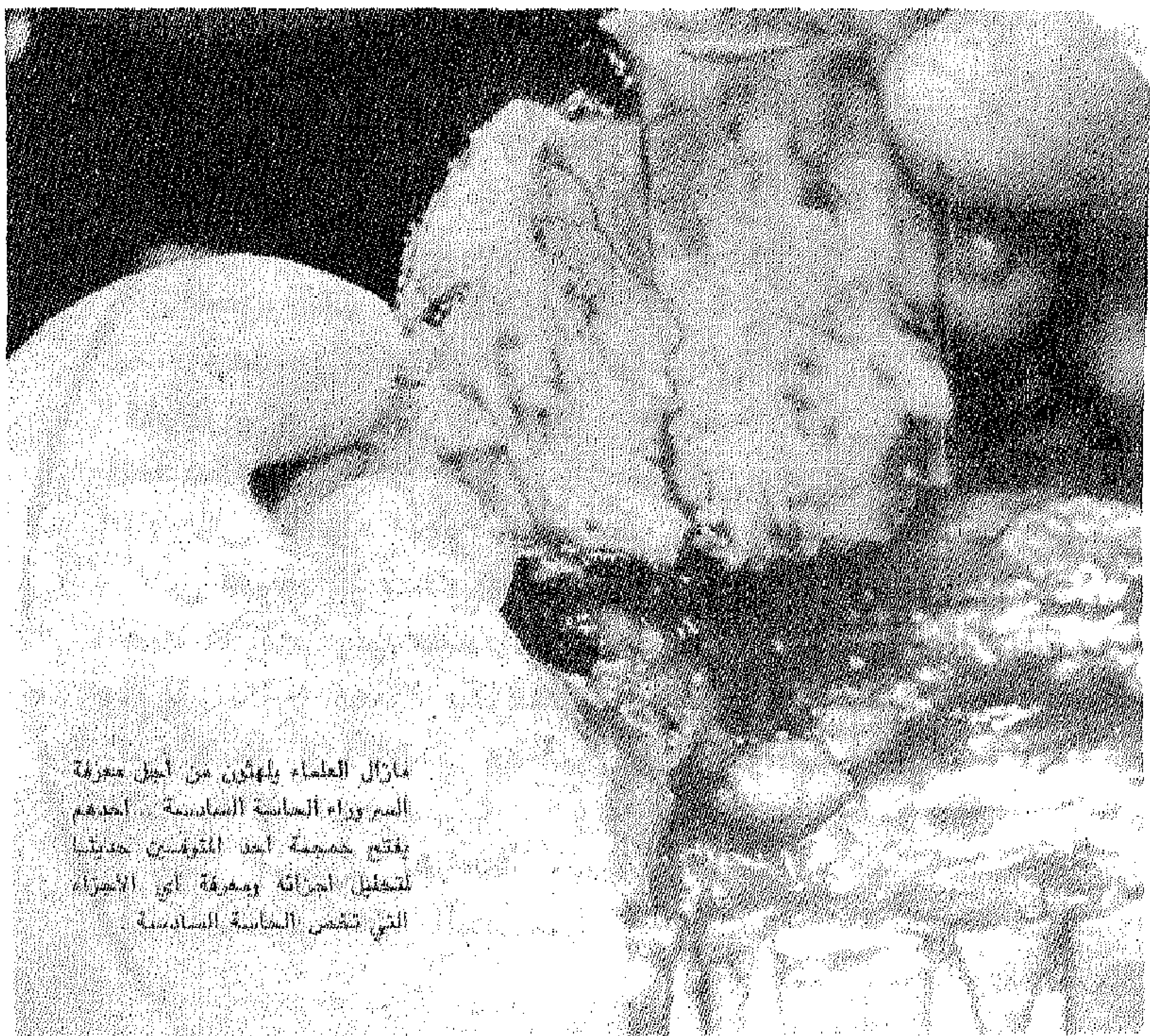
ظاهرة الألفة



اما الظاهرة الاخرى ونسميها ظاهرة الألفة .. ولها اسم آخر وهو ظاهرة الرؤية المسبقة "ديجافي" وهي الاحساس بأنك زرت هذا المكان من قبل أو رأيت هذا الشخص أو سمعته يقول نفس الكلام .. وقد يصل الأمر انك تتخيل الخطوة القادمة أو الكلام الذي سيقوله ثم تسمعه فعلا .. وهذه الظاهرة موجودة في حالات كثيرة والعلم يفسرها بأن المخ له جزآن متساويان والذي يحدث في مثل هذه الحالات أن الصورة أو الكلمة التي نراها تقع على جزء من أحد جزئي المخ بشكل أسرع من الجزء الآخر لأن الدم المفروض أن يصل الى الشقين في نفس الوقت لكنه يصل الى أحدهما أسرع من الآخر بجزء من الثانية ، والذي يحدث هذا أن أحد الجزأين يرى الصورة ثم ينقلها داخليا للجزء الآخر فيدركها قبل أن تصله من الخارج وعندما تصله من الخارج يشعر أنه قد رأى هذه التجربة أو سمع هذا الكلام من قبل .

□□□□□□

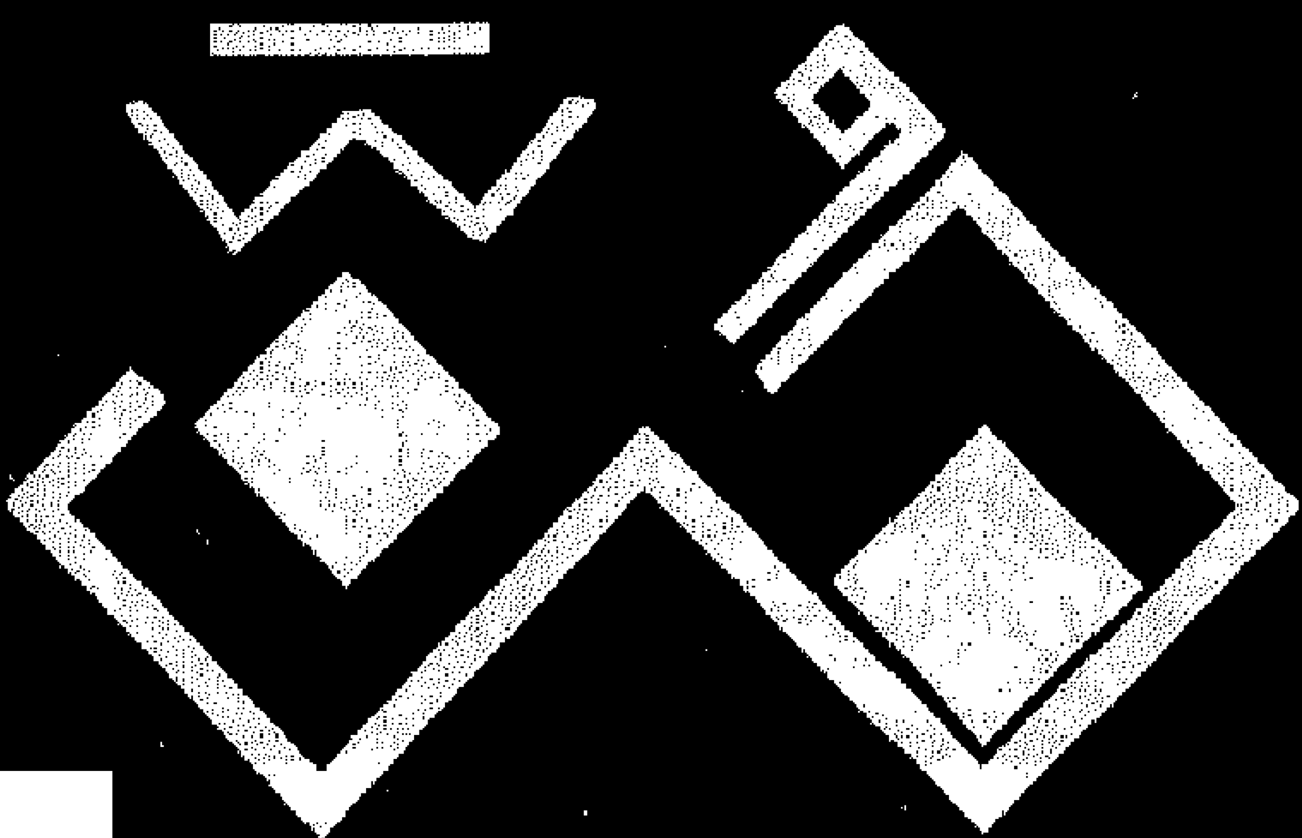
وبعد كل هذا .. فإن العلماء مازالوا مستمرين في بحثهم حول هذا السر الذي تختفي وراءه الحاسة السادسة .. انه سباق بين العلم الطبيعي وعلوم ما وراء الطبيعة .. ولا أحد يستطيع أن يتنبأ من الآن لمن سيكون السبق .

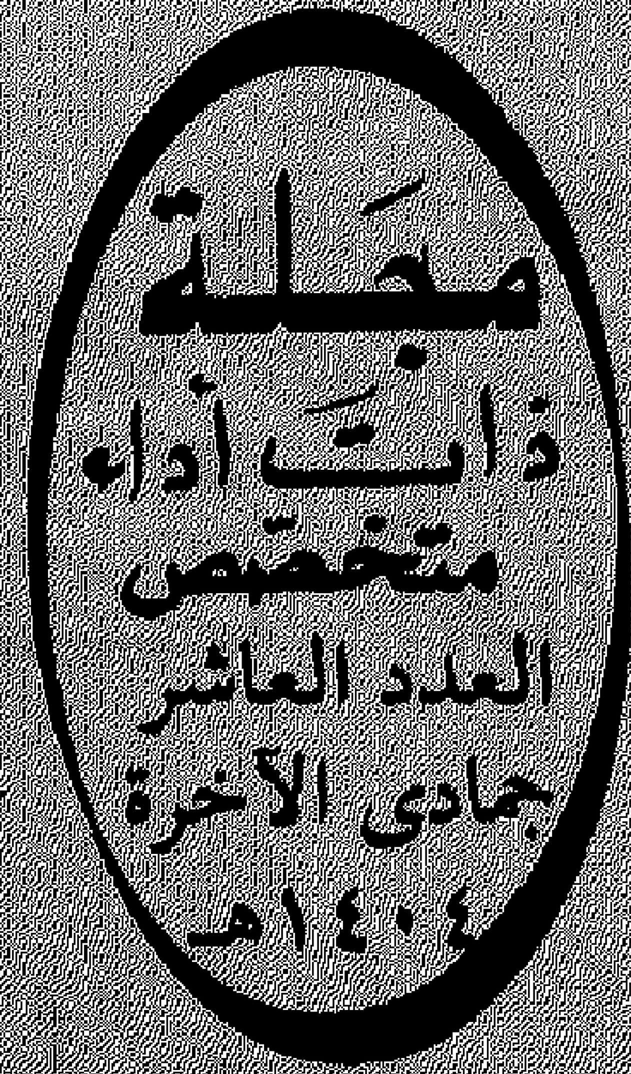


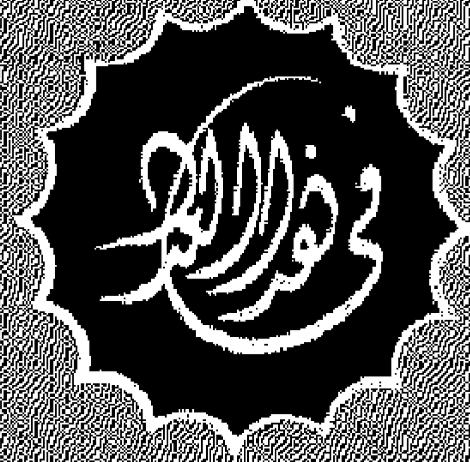
مازال العلماء يلهثون من أجل معرفة السر وراء الحاسة السادسة .. أحدهم يفتح جمجمة أحد المتوفين حديثا لتحليل أجزائه ومعرفة أي الأجزاء التي تخص الحاسة السادسة



النساء .. شقائق الرجال







الاشراف
د. ابتسام صادق — الرياض
حياة عبدالحميد عنبر — جدة

عقدة الخوف
التي يعيشها إنسان هذا العصر

بقلم: حياة عبد الحميد عنبر

افتتاحية العدد

● الخوف غريزة طبيعية في كافة المخلوقات الحية، وهو غريزة فطرية أوجدها الخالق لكى تحمى نفسها من الاخطار التى تحيط بها من كل الجوانب.. وغريزة حب البقاء أوجدت لدى الانسان على وجه الخصوص رغبة قوية في الدفاع عن نفسه ضد كل ما يتعرض له من المخاطر.. ومن هذه الرغبة وجد ما سمي بالبقاء للاقوى، أو شريعة الغاب، وكان الانسان مثل الحيوان في البداية يسلط كل قواه الجسدية ليغالب بها خصومه ويفزعهم: وتطورت حياته إلى استعمال الآلات البدائية ليُشهرها في وجه العدو.. وحينما نجحت طورها من بعده أبناؤه.. وهكذا إلى أن أصبحت في عصرنا الحالى الذى يسمى عصر التقدم والرقى قوة تهدد صانعها بل ستكون معول الانحدار مع كل لحظة واخرى.

فمع هذا التقدم الرهيب في صناعات آلات الدمار أصبح الإنسان يعيش في فزع.. وهو يتوقع ان تحدث الواقعة التى ستدمر الحياة فوق رأسه وابنائه وأسرته بل وأوطانه.

● وليس بمستغرب أن يسأل طفل أحد الكبار هل حقاً أن الدنيا ستنهار وتشتعل من أقصاها إلى أقصاها بضغطة من «أزرار». كما لا يخلو ليل من ساهر مفكر في النكسة التى ستصيب الإنسان فيفقد فيها العلم الذى صنع به كل شيء فيتخيله طريداً أبله.. وربما خاف أن يكون هو ذلك الأبله الفريد إن سلبت منه حصيلة أفكاره، أو دمر بيته على أبنائه.. وربما سكن خيمة بعد ان يسرق وطنه فسرقة الأوطان في هذا العصر أصبحت جائزه ولا يعاقب عليها سارقها.. ومن الجائز أيضا ان يسكن الخيام.. ولكن حتى الخيام إن نصبت داخل الاوطان المسروقه كانت وباء لابد من التخلص منه فيحصد الموت الجماعى ساكنيها.

من هنا خوف إنسان هذا العصر أعمق بكثير من خوف أسلافه فيستبد به «الخوف» ويبسط جذوره في الداخل فيؤثر في سلوكه وإدراكه حتى ليتسلط على تفكيره وبالتالى على جسده.

وربما دفعه «الخوف» إلى الهرب من الواقع فيتصرف بأساليب بعيدة كل البعد عن الانسانية.. وربما تصرف بنذاله.. فعدم الاستقرار يجعله يريد ان ينال كل شيء.

وبعض النفوس الحساسة يدفعها هذا الخوف إلى الاستكانة التى قد تؤدى به إما إلى الانطواء أو شل الحركة الكاملة فيصبح يعيش في عالم آخر من صنعه.. والخوف له صلة بالعقل والادارك وبالجسد ويزداد في حالة ادراك الأخطار في الحياة التى نعيشها.. وهذا العصر الالى الذى نعيشه كله لحظات خطر تهدد الحياة وتهدد الكيان والوجود.. ولسوء حظ انسان هذا العصر انه يعيش وسط صعاب ومفاجآت ومواقف مباغته. ويغوص في عملية البحث عن الامان والاستقرار والجهد المستمر على ابعاد أسباب الخطر الذى يتهدده في كل لحظة من لحظات عمره القصير.

فلسفة الحب

عند

فروم و(ابن حزم) وأوفيد

بقلم : سلوى العناني

مقدمة:
دراسة ماتعة
وتسلسل أخاذ
الكاتبة الاديبة
من أسرة صحيفة



في أسلوب مشرق
تهديها « لهن » خاصة
سلوى العناني
الاهرام القاهرية

الحلقة الأولى

ايريك فروم وفلسفة الحب

■■ تعوّد الكثير منا أن يقرأ عن الحب فى كتب الشعر والروايات، وأن يُبهر بقصصه وحكاياته على خشبة المسرح أو من خلال الأغنيات.

لكن (الحب) ليس هو فقط هذه (الرومانسية) المكتوبة على الأوراق الملونة أو المسموعة من خلال الأصوات الجميلة، بل هو قضية أكبر وأشمل تحوى فى مضمونها قضية وجود الإنسان ذاته وتوافقه النفسى والاجتماعى.. وقد عرف الإنسان دراسة فنّ الحب أو فلسفة الحب منذ تعلم التفكير العلمى المنظم فكتب سقراط، ثم أفلاطون فى الحب صفحات وصفحات ضمها تُراثهم الفكرى المتوارث منذ فجر التاريخ يؤكد على هذه القيمة العليا التى وجد فيها مفكرو العصر الحديث الحل الوحيد لكل مشكلات الحياة.

الحديث عن الحب هو الحديث عن الحاجة القصوى للإنسان.

اريك فروم

الكاتبة في سطور

★ سلوى سيد العنانى.

★ ليسانس صحافة/ جامعة القاهرة ١٩٦٨

★ كاتبة بالقسم الأدبى

- صحيفة الأهرام - القاهرة.

★ لها العديد من البحوث والمقالات المنشورة فى المجلات العلمية المختلفة، وكذلك الصحف المصرية والعربية.

وخرجت لنا هذه التجارب الإنسانية العديدة فى شكل دراسات وكتب اختلفت فى مناهجها وفى أساليبها وفى صورها ولكنها لم تختلف فى قضيتها الأولى.. الحب.

●● *وقد يكون من الصعب على الشخص غير المتخصص أن يُلمّ بكل ما كُتب فى هذا الموضوع، لهذا فقد اخترت ثلاثة من الكتب الشهيرة التى تحدثت فى هذا الموضوع لكى أعرضها بإيجاز..*

أول هذه الكتب هو فن الحب للمفكر الأمريكى المعاصر أريك فروم. (١٩٠٠ - ١٩٨٠)..

والكتاب الثانى هو أحد عيون الأدب والفكر الإسلامى العربى وهو كتاب (طوق الحمامة لابن حزم الأندلسى)..

أما الكتاب الثالث، فربما كان أقدم كتاب متكامل فى (فن الحب) للشاعر الأغريقى الشهير أوفيد (٤٣ ق.م - ١٨م)..

●● **هذه الكتب الثلاثة تمثل حضارات مختلفة كما تمثل عصوراً متباينة.. فكيف صوّر كل عصر ضالته المنشودة وغايته المفقودة؟..**

■■ يرى اريك فُروم أن المجتمع الصناعى الحديث قد أبعد الإنسان عن عرش السيادة، واحتل هو مكانه وتحول السيد إلى خادم وأصبح الإنسان مغترباً عن ذاته، وهكذا يستحيل العالم كله إلى عدُوّ للإنسان ويفسر فُروم هذا الاغتراب بأن العالم بكل مكوناته قد أصبح غريباً بالنسبة للانسان خاصة إذا تحول إلى كائن مستهلك تنحصر حياته فى المقايضة والاستهلاك فحسب فما من مُراقب موضوعى فى حياة الإنسان المعاصر فى الغرب يمكن أن يشك فى أن الحب - الحب الأخوى أو الحب الأمومى أو الحب الجنسى - هو ظاهرة نادرة نسبيا، وأن مكانته قد احتلها عدد من أشكال الحب الزائف والتى هى فى الواقع أشكال عديدة لتفكك الحب، ويقول (أنت المستهلك ذو الفم المفتوح شغُوف ومُستعدّ لابتلاع كل شئ.. الصّور والمشروبات والمعْرفة، وهذا النقص فى التركيز واضح تماماً فى صُعوبة الانفراد بأنفسنا).

■■ ووسط هذا الاغتراب يرى فُروم أن الأمل الوحيد المتبقى أمام الإنسان هو الحب، الحب المثمر المُنتج الذى يحقق لصاحبه الحُرية بمعناها الحقيقى. لهذا فقد أراد فُروم أن يجعل الحب فنا فكان كتابه الذى بين أيدينا (فنّ الحب) أو (فنّ الوداد).

إن اكبر مشكلات الحب فى المجتمع الرأسمالى هي أنه - كالعلاقات المادية الأخرى - أعطيك بقدر ما تعطينى.

ان الأمل الوحيد المتبقى أمام الإنسانية هو الحب المثمر المنتج الذى يحقق لصاحبه الحرية بمعناهاالحقيقي.

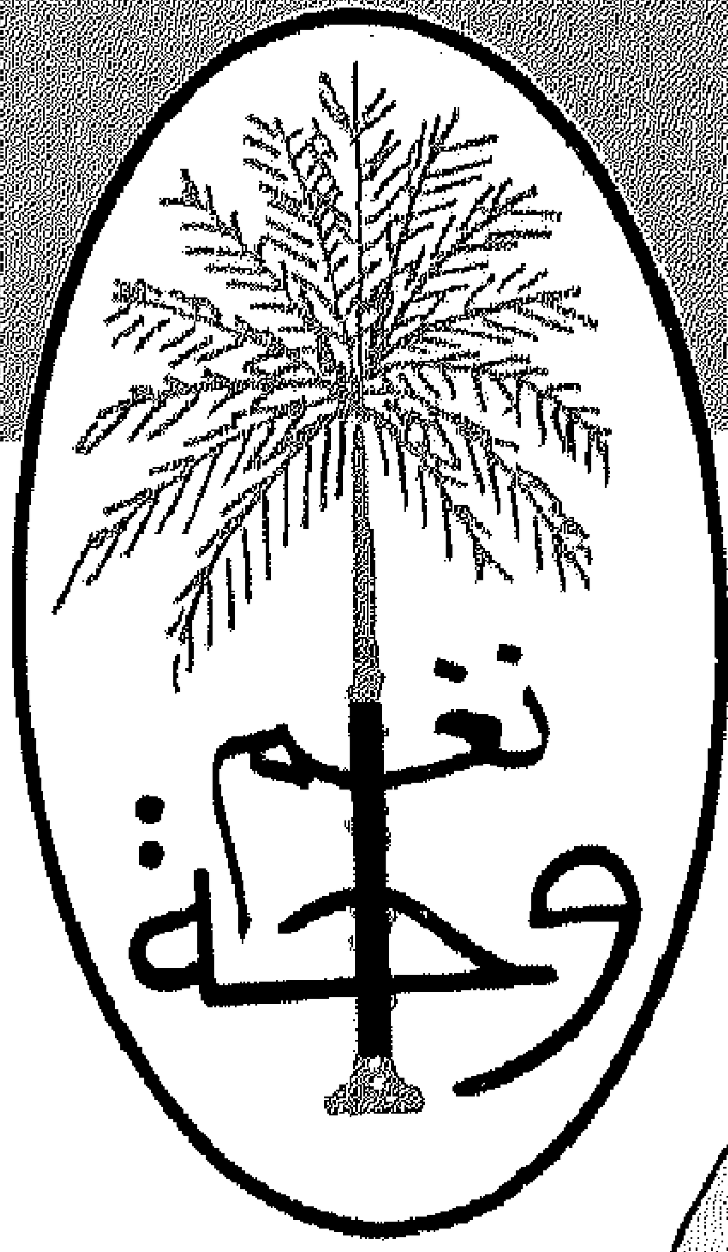
■ ويرى فروم أن الحب هو القُوة التى تسمح للحاجز المُقام بين اثنين أن يسقط وأن يصبح هذان الشخصان شخصاً واحداً يتبادل العطاء مع نفسه ومع العالم من حوله. فالحب عنده ليس شعورا سلبيا قائماً على التَّلقى بل هو موقف إيجابى قائم على العطاء والمشاركة يُوقد النَّفس لتخرج من جُزئيتها وتُعانق شُمُوليتها..

وفروم فى هذه النظرة للحب لا يلغى ذاتية.. الفرد، بل هو يؤكدها من خلال هذا الحوار المستمر بينها وبين غيرها من الذوات وهو يقول (فى الحب يصبح الاثنان واحداً ومع هذا يظلان اثنين)، كما يرى أن الصحة العقلية بالمعنى الانسانى تتميز بالقدرة على الحب والخلق وهكذا يكون العقل هو الرابطة الطبيعية بين الحرية والحب القائم على الاختيار..

■■ ومن خلال قراءتنا لدراسة اريك فروم عن الحب والتى ترجمها إلى العربية مجاهد عبد المنعم نُلاحظ تأثير العديد من النظريات الاقتصادية والنفسية والاجتماعية، بل والطبيعية على آراء فروم الذى ينظر إلى الإنسان المُعاصر نظرة فيها شُمولية افتقدتها الكتب الأخرى التى تناولت هذه القضية فى قُرون سابقة،فهو لا يُناقش تفاصيل هذه العاطفة الانسانية ولا أشكالها بمعزل عن المناخ العام الذى يحكم الفرد المطحون بين تروس المجتمع الصناعى بمشاكله واغترابه. وربما كانت هذه النظرة هى التى أعطت لكتاب اريك فُروم طابعاً محلياً بالنسبة لأوربا وأمريكا فقط، فما زال الإنسان فى الشرق وفى الدول النامية عامة يعيش وفاقاً مع نفسه ومع مجتمعه ولم يفتقد بعد هذا الهدوء الداخلى الذى حل محله (الاغتراب) و (التَّشيُّؤ) عند إنسان المجتمعات الصناعية..

■■ كما أنه فى دراسته لأشكال الحب حصر نفسه داخل قُيود نظرية «فرويد» بتأثيراتها الجنسية للعديد من الرغبات والعواطف الإنسانية مما جعله فى تفسيره هذا متجاهلاً العديد من العوامل الأخرى التى أغفلها فرويد كذلك. كما أغفل أشكالا أخرى للحب وأشباها له تعتبر قنوات تصل بالإنسان الى المنبع الكبير للحب الحقيقى، كما لم يتحدث عن الحب كعلاج من أمراض العصر وحلاً للصراعات الدولية والحروب وغيرها من المشكلات العالمية.. وكان تركيز فروم على دراسة الحب فى المجتمع الرأسمالى الذى تسُوده قاعدة اخلاقية هى (إننى أعطيك بقدر ما تعطينى) وهذه القاعدة تحكم العلاقات المادية والحب على حدّ سواء.. وهو يناقش الرأى الذى يرى أن الحديث عن الحب اليوم لا يعنى سوى المشاركة فى الخداع العام..

■ وفى النهاية يُقرر فروم أن الخروج من هذه المشكلة يكون بوضع الإنسان فى مكانه السامى حيث يخدمه الجهاز الاقتصادى بدل أن يخدمه هو.. وأن يعُطى فرصة المشاركة فى العمل بدل أن يُشارك فى الأرباح فقط.. وبأن ينتظم المجتمع بطريقة لا تجعل طبيعة الانسان الاجتماعية المحبة تنفصل عن وجوده الاجتماعى بل تتحد به..



عَوّدتني ألاّ تحضر

ذهبت إلى الحفل بمفردى كالعادة. وأستقبلتنى الأيدى مصافحة والعيون متسائلة. ما كنت أدرى بما سوف أبرر لهم عدم حضورك معي.. وأين ستكون.. مريض أم مسافر أم مشغول وستأتى..

حقيقى لم أكن أدرى بمء سوف أعتذر لهم نيابة عنك. وحين طوقتنى الحيرة وأخذت جانباً قصياً هرباً من السؤال المطروح فى عيونهم رأيتك مقبلاً وأنت تتوسط صالة الحفل وتحتضن يدك الأيدى المصافحة. والابتسامة العريضة تعلو شفتيك فرحت.. وسررت كثيراً. ولكنى ما لبثت أن حزنت ولمت نفسى كثيراً وكثيراً جدا لأنى سمحت لظنونى أن تظلمك..

وبحرارة وصدق عميق وجدتنى آخذة يدك فى يدى وأنا اعتذر لك. وقلت والفرحة تكاد تحملنى من على الأرض..

اعذرنى.. لقد ظلمتك..

«نجوى صلاح الغرباوى»

من أحلامي إلى أبي

أبى.. ها أنا أتناول القلم لأكتب إليك، وها هى الأفكار تتزاحم والرغاب تفور فى أعماقى.. ترى هل يصح أن أكتب دون أن استهل رسالتى شاكية مما أقاسيه من ألم الغربة؟

●● الحياة بدونك شقاء.. والأمل يلمع كالسراب«والله وحده يعلم كم سراب وسراب ينبغى أن يتجاوز المرء منا حتى يصل إلى الماء.. ان الزهور هنا ما زالت تفتر عن اكمامها وشمس الصباح تشرق كل يوم بهية مائعة.. وما زالت لسكون الليل روعته وقدسيته وأنا أحب كل هذه المفاتن وأراها جميلة ولكنى أحبها أكثر وأراها أجمل بقربك يا أبى.. صدقنى يا أبى أنه لا يضاهى قسوة الحياة إلا جمالها.. جمال الأحلام التى ينبغى ألا تظل أحلاما.. لقد تعودت أن أرحل إليك دوماً تجتاحنى أصقاع من الحزن والأسى، تلفنى دوامة من الكآبة وتغلفنى هالة من الضياع.. أرحل إليك وأعود كلى إيمان وكلى أمل.. أحاول دائماً لو أمتص منك جهادك وحكمتك فى الحياة.. أحاول لو أتمثل فيك بتضحيتك وحبك وأود لو أمدك ببقية من عمرى تزهر فى حنايا خاطرك بسمة تمدنى بالأمل.

★★ فى حكمتك لى عمر أعيشه بفرح، وفى حنانك على غد أحياه بأمل.. وفى رضاك عنى مشعل ينير دروب أيامى بالهداية.. ودعواتك لى زاد من الإيمان أحيابه فى حاضرى القلق وغدى المجهول..

فهل تعود يا أبى؟..

«فاطمة النجار»

من الشعر الجديد
في العالم
ليل الانجحار



شعر: سنجور

أيتها المرأة، مسي. حاجبي بيديك البلسميتين،
فيداك الطف من الفراء
اشجار النخيل الطويلة المتأرجحة في ريح الليل
لاتكاد تطلق حفيفا.
ولا حتى اغاني المهد
ان الصمت الايقاعي يحجرنا
اصيخي السمع لاغنيته.
اصيخي السمع لخفقان دمنا الاسود الاسود..
اصيخي السمع لضربات النبض الافريقي الاسود
في ضباب القرى الضائعة
الان يجنح القمر المنهك صوب سريره المائي الرخو..
الآن تغفو جلجلة الضحك، والمنشدون انفسهم
يسندون رؤوسهم كالاطفال على ظهور امهاتهم
الان تثقل اقدام الراقصين والسنة المنشدين
هي ذي ساعة النجوم وساعة الليل الذي يحلم
ويتكيء على هذه التلة من السحاب، ملتفا بعباءته
الحليبية الطويلة..
اسطحة المنازل تلمع برقة
ترى، ما الذي تقوله للنجوم بكل ثقة؟
وفي الداخل يخمد الموقد في الفة الروائح الحلوة والمرة
ايتها المراة، اشعلي مصباح الزيت الصافي
ودعي الاطفال في الفراش يتحدثون عن اجدادهم
كما يفعل اباؤهم..
استمعي الى صوت قدماء اليسا
فمثلنا، نحن المنفيين، لم يشاؤوا الموت
لكيلا يضيع في الرمل طوفانهم
دعيني اصغي في الكوخ الداخن للزيارة الظليلة،
زيارة الانفس السمحاء
ان راسي ليتوهج على صدرك مثل كرة من الكسكسى
تبعث دخانها عبر النار
دعيني اتنسم رائحة موتانا،
دعيني اتأمل واستعيد صوتهم الحي،
دعيني اتكلم كيف اعيش قبل ان اهوي،
اعمق من الغواص
في اعماق النوم المهيب.



أيتهـا القـارئة العزيزة :
إن كنت ممن يحببن الشعر أو يعشقن الأدب ..
أدعوك للمشاركة فقد أفردنا في مجلتك هذه باباً مستقلاً تحت عنوان باسم واحة نغم ..
ويسعدنا أن تعد هذه الصفحة من قبل القارئات الفضليات .. حيث تختار أو تكتب المقطع الشعرية والنثرية الجميلة والمناسبة التوقيات في المرأة لتصدرجيد هذا الحيز.

دعوة مفتوحة

بُرود التـذوق

قد يصاب البعض من الناس بمرض اسمه «برود التذوق» كمن يشرب من البئر ويلقى بها حجراً . ولذلك نجدهم يتخبطون على غير هدى بعد أن يتناولوا نقد هذا الكاتب أو ذاك الموضوع . ولعدم إدراكهم للمعنى الحقيقي الذى احتواه الموضوع . تبدو وجهة نظرهم سقيمة، كذبابة تسقط فى كوب من الشاى تقزز نفس شاربه . . ولكنها أبداً لا تقتله فيعود ويصنع لنفسه كوباً آخرا . . مجددا رغبته الأكيده فى شرب الشاى . ولكن بعيداً عن جماعة الذباب .

وقفة تأمل . .
جميل منك ان تعى وتدرك معنى ما تقرأ

وتنتظر النهاية حتى تأخذ منها العبر .

«نجوى صلاح الغرباوى»

تصوير الأشعة..
سلاح ذو حدين

●● بعض المرضى - عند الذهاب إلى الطبيب - تستهويهم كثرة الفحوص والأبحاث التى تجرى لهم بل ويطلبون بأنفسهم إجراء المزيد.. اعتقاداً منهم أن هذا سوف يفيدهم ويريحهم من الالام.

ولكن هل يعلم هؤلاء المرضى أن الإسراف فى استخدام الفحص بالأشعة هو سلاح ذو حدين؟.

● الأشعة هى موجات كهرومغناطيسية غير مرئية تمر عبر الجسم لتستقر على فيلم حساس وأجزاء الجسم المختلفه تمرر هذه الموجات حسب طبيعتها وتركيبها فالعظام تختلف عن الأنسجة الرخوة - والأنسجة الرخوة تختلف عن بعضها البعض فى تمرير هذه الموجات وبعد إجراء تحميض الفيلم تظهر لنا هذه الأجزاء بما فيها من أمراض أو اصابات على صورة الأشعة.

وفى الوقت الذى تفيد فيه صورة الأشعة الطبيب المعالج لتشخيص المرض، فهى إن أسرفنا فى طلبها واستخدامها فإنها تؤثر تأثيراً ضارا على الجسم وعلى الدم.

● فالأم الحامل: إذا أجرى لها فحص بالأشعة بطريق الخطأ - اذا كانت لم تعرف بعد أنها حامل فان جنينها يكون معرضا لاحتمال الاصابة بسرطان الدم بعد ولادته خمس اضعاف الشخص العادى وان تكرر تعرضها للاشعة فإن ذلك قد يؤثر على تكوين الجنين بخاصة فى الأشهر الثلاثه الأولى من الحمل.

● أما تأثير الاشعاع على الدم فله أيضا أضراره فانه بتكرار استخدامه يقلل من عدد كرات الدم البيضاء اللازمة لمناعة الجسم من مختلف الأمراض، كذلك الاسراف فى التعرض للاشعة على منطقة البطن قد ينتج عنه العقم.

●● واذا كان العلم «بمشيئة الله» قد انعم علينا باكتشاف الأشعة السينية المساعدة على تشخيص الأمراض ومعرفتها وبالتالى علاجها والقضاء عليها، فإن العلم ايضا حذرنا من المبالغة فى استخدامها الا للضرورة.. لانها سلاح ذو حدين.

«د. فاتن العطار»

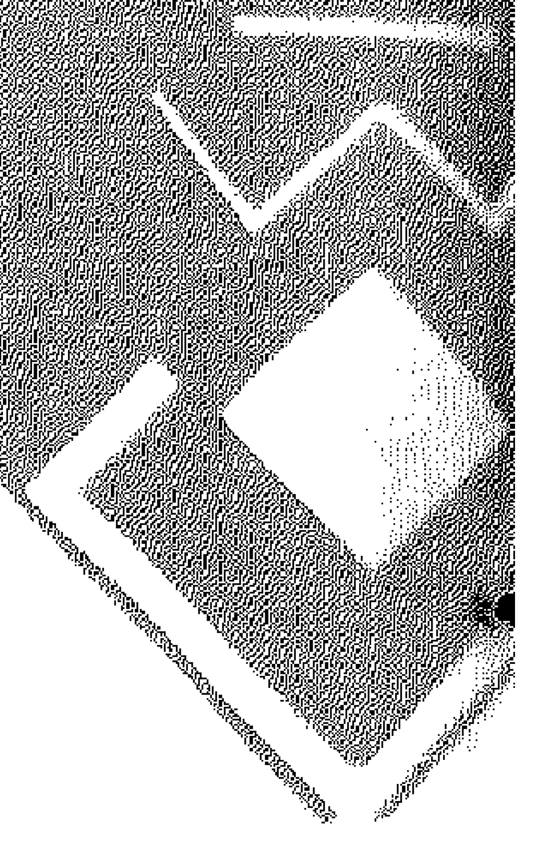
احصائية الأشعة بالادارة الطبية

رباعيات

ضقت ذرعاً يا رفاقي
بين أحقاد وغدر؟
بين واش قد تمادى
وعدوٍ رام قهري؟
غير أني لن أبالي
فثباتي زاد صبري؟
يا الهي أنت عوني
وملاذي عند عسري؟

«على خضران»

«نادى الطائف الأدبى»



الثقافة والمثقفون

الثقافة والمثقفون كلمتان تتداولهما الالسن على وجه الخصوص مع نهاية القرن العشرين .

ولو اننا تصورنا الثقافة كما يقول بعض علماء الاجتماع على انها مجموعة الافكار والمعايير التي تجمع بين طائفة من الناس في وحدة اجتماعية متماسكة لكان في وسعنا ان نقول ان هناك من الثقافات قدر ما هنالك من جماعات بشرية .

ومن غير الصواب الحكم على الرجل بانه بالضرورة انسان غير مثقف لانه ليس بالضرورة ان يتعارض التخصص مع الثقافة والتثقيف .. لان التخصص الحقيقي لا يتم الا من خلال خلفية من المعارف العامة او الثقافة الكلية، لانه من النادر ان يلتقي المرء برجل متخصص حقا دون ان يجد لديه قسطا من الثقافة العامة التي يرتكز عليها تخصصه .

والحق يقال اننا مازلنا في حاجة الى تفهم الدرس الذي قدمه لنا فلاسفة عصر النهضة حينما اتجهوا يؤكدون لنا ان الثقافة الحقة لا تنحصر في شحن الذاكرة بالمعارف والمعلومات بل هي تنحصر اولا وبالذات في تزويد الذاكرة بشتى صنوف المعارف والحرص على تربية ملكة الحكم دون ان يقتصر على حشو الذهن بالمعلومات وتزويد الذاكرة بشتى المعارف، او كما هو الوضع حاليا في طرق التربية في المدارس .

ورفع التعارض الذي اقامه مفكر عصر النهضة المفكر (ديكارت) بين الحكمة والعلم او بين العقل والذاكرة قد اظهر للناس على ان الثقافة الحقة لايمكن ان تكون مرادفة للمعرفة او سعة الاطلاع بل هي: الجمع بين العلم ورجاحة الحكم .. وان ما يتلقنه الطالب من مناهج مكثفة لا يستطيع معها ان يربط التعليم بالثقافة او بتحصيل شيء من المعلومات .

فهذا التعليم الاجوف هو حقا ما يتعارض مع الثقافة ..

وان فرضنا ان الثقافة المتداولة في مجالسنا في الوقت الحاضر هي ذلك الكل الذي يطوى تحته تفكير الانسان وسلوكه وتأمله وارتباطه بالاخرين ونمط حياته في التعامل

وهذا يعطينا تعريفا واضحا وفعليا للانسان المثقف فهو ذلك الوجود المتكامل الذي يعرف كيف يحقق التفاعل في حق ذاته بين علمه وادبه ودينه واخلاقه وشتى مظاهر نشاطه المختلفة.. وذلك لا يعني ان يتخلى الانسان عن فروقه الفردية او ان يذيب شخصيته تماما في شخصيات الآخرين بل معنى ما أعنيه ان يفيد من مجموعة الاساليب والسلوكيات التي يتحصلها العقل البشري من مجموعة المتناقضات التي تمر في حياته اليومية، والتي قد يكتسب منها محصلة ثقافية أو هي بالفعل كذلك .

هدى الجاسر



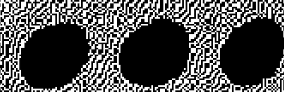
الرياض

ما بال عيني يترقرق فيها الدمع
ثم يسيل
كلمات تعصف بي فينشد
وجدي كثير الكثير
ظلمات، عناكب سوداء،
تذكرني بفراق مرير
حطام أشرعة ممزقة ملقاة على
ضفاف النيل
غرقى، حيارى، لا مجيب لهم،
لا مرشد ولا دليل
صراخ يتعالى، أنات تتهادى،
ثم عويل
فجأة غمغم الصمت، أنبهنى
لحنه، فرأيت وجهه الجميل
فرحت أستقطر النغم. نغم
عودى القليل
فتلألأت حبات لؤلؤ فى عينيه،
سرت على خده الأسيل
قلت: ما بالك تئن وتبكي
أحسبه حلماً هزلياً طويلا
قال: ودعيني، قبليني،
تذكريني كلما وافتك ساعة
أصيل
رحت أبكي وأبكي عل الدمع
ينسى راحلي الهزيل
فما أنساني البكاء حبيبي.
ولا أعادت لي
دموعي ماضيَّ الجميل
«أماني الترك»

بريشة
أميمة
خوجه

حلم

كأني بعينيك وحدي أسافر
بطبعي البسيط وقلبي المغامر
وزادي بدربك حرف وحب
ففي داخلي عاش طفل وشاعر
وأعلم أني أجرب حظي
وأني بدفء الحنايا أُقامر
فعذراً فعينيك فيها نداء
ألبيه كالمستجيب لساحر



كأني لقيتك رجع السنين
وهل خلف لقياك إلا الحنين
تبسم وجه الحياة ليمحو
برفقٍ خطوط زماني الحزين
وأشرق بالبشر وجه انتظاري
فأحشاء قلبي تضم الجنين
سيولد حتماً شجاعاً كقلبي
أبياً كطبعي وضيء الجبين



وحين أتى القلب يوم المخاض
تقاطر دمع الحنايا وفاض
تعجلت أن يولد الحب جهلاً
فعذبني الرفض والاعتراض
وآثرت حبس الهوى في فؤادي
وهل يملك الزرع إلا الحياض
لأني أخاف على الحب يغدو
مع الوقت بعض ظلال افتراض



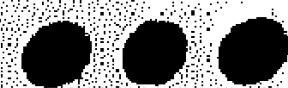
خاص بـ هن

الهوى

وعشنا زمان التراجع عشنا
مع الوقت أرجوحة الأمنيات
فيوماً أرى الحب عشباً وزهراً
ويوماً أراه كجدب الفلاة
وحيناً يلوح بعينيك شوقاً
فأفهم إن لاح سر الحياة
وأعجز عن وصف ما يعتريني
وترحل عني جميع اللغات

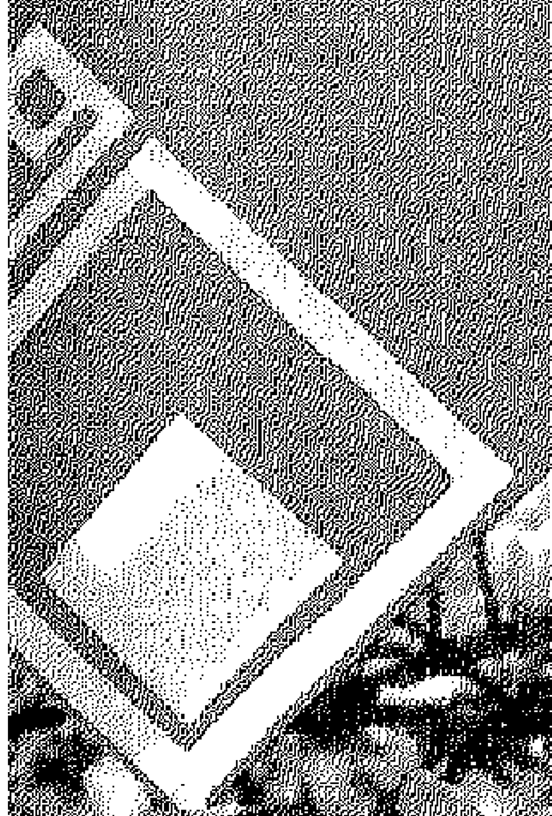


وعدت إلى البدء أخشى الندم
وخوفاً من الرأس حتى القدم
وحرت أيجهض طفل الهوى
ليقطر في القلب دمع ودم؟
ولازلت أذكر دمعاً تهاوى
بعينيك كالصرح حين انهدم
يقول أنا الوهم لا تقربيني
ولاء الهوى جاءني من عدم



وأرقت دمعي وحيرت فكري
فإما خضوع وإما إباء
لكم يصعب الجمع بين اثنتين
خلود الحياة وظل الفناء
فإن ضاق في الأرض ما تبتغيه
ستلقى تعاليمه في السماء
وليس الهوى غيرهذا الخلود
يدوم ويبقى دوام البقاء

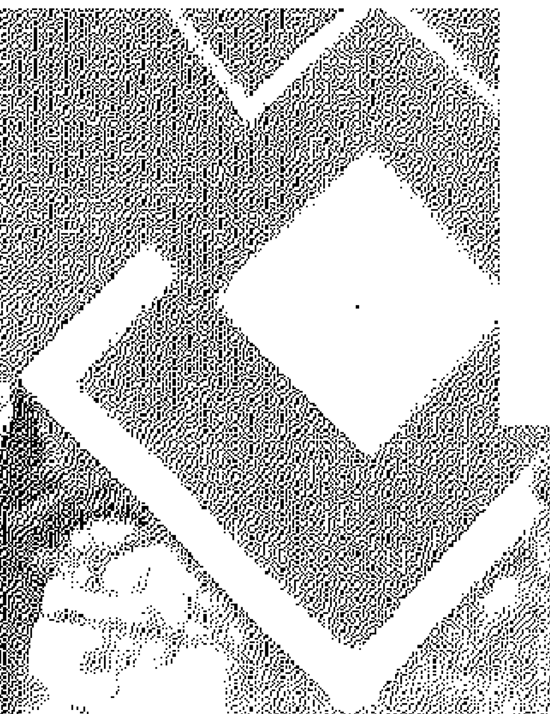






مقدمة

إننا نسأل قارئاتنا اللاتي يجدن صناعة الحرف ومعالجة الفكر أن يشاركننا في هذا المرأى الطبيعي في سلام ووئام :





قصة العدد ١

بقلم : عصمت حامد

أحزان الحزين

● غمر المرأة العجوز حزن كبير. . كبير. . حزن أشد قسوة من الخوف ومن الغربة. . غمرها حزن طفل عجوز ليس فيه من رياء حزن الكبار، دون أن تدرى لماذا وكيف؟.

● كانت تسير وتلك الشبكة العارية من أعصابها معلقة بالأيدى المرفوعة تحمل نعش زوجها، وهى مشتتة الفكر. . ممزقة. . كل ما تقوم به مجرد ردود فعل غريزية، كطائر جريح ما زالت بندقية الصياد تطارده. . لتصل الرصاصة إلى الصميم. . إلى القلب.

● سارت طويلاً خلف جنازته. . يداها مشدودتان أمامها. . متعلقتان بلحظة دفن الجسد. . وتجمدت الدموع. . لا تدرى كيف تبكيه. . إنه جزء من كيانها، سار معها مشوار الحياة خمسة واربعين عاماً. . لم يكن - دائماً - بجوارها. . لكن خياله لم يفارقها أبداً. . حتى عندما تزوج باخرى.

● تعجب الناس. . المعزون تملكتهم الدهشة. . النسوة حولها فى حلقة واحدة، كل منهن تحمل قلقاً فى عينيها. . وفى العيون كلام لا ينطق به اللسان. . وان لم تخل من دوامة التساؤلات.

●● **كيف تحزن عليه إلى هذه الدرجة. . ألم يخذلها؟.**

● ***أحدهم لا يتصور ذلك الاحساس المرهف الغريب، الذكريات الخصبة الحلوة التى جمعتها معا. . لماذا تحاسبه على لحظة ضعف. . لماذا تبخل عليه بأن يكون له ولد من صلبه. . ما لهم بها؟.***

●● **وظلت الذكريات تتساقط امام العجوز تذكرها به. . كان. . وكان. .**

● ***تزوجته وهى فى الخامسة عشرة، على يديه تفجرت عواطفها وانوثتها معا. . كان رجلا يجيد فن معاملة المرأة. . يشعرها بأنها كل شىء فى حياته وقبل اى شىء. . لماذا لا تحبه؟.***

من أجله استقالت من وظيفتها. . وسارت بها الحياة هادئة. . اسلمته دفتها يديرها كيفما شاء واعتقدت أن الأولاد ليسوا وحدهم الحياة. . هناك ما يربط الرجل بامرأته غيرهم.

. . كانت واهمة. . تتذكر ذلك اليوم جيدا كأنه تلك اللحظة. . البسته بدلة كحلية كادت تنطق عليه.

. . ببراءته المعهودة سألها:

. . ما رايك يا الفت. . ؟. . . هل اغيرها حتى أخطف الأضواء من العريس؟.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة
على النفس من وقع الحسام المهند

.. وكان هو العريس ـ فعلا ـ وهذه ليلة زفافه.

.. كلا.. لم يقلها بلسانه.. فقد أكد لها أنها ليلة عرس زميل له فى العمل.

احست هى بغريزة المرأة.. تمنت أن يصارحها بأنها ليلة عرسه هو على فتاة فى عمر اولاده.. هكذا قال لها الناس.. لكنه لم يفعل.. اكتفى بطبع قبلة باردة كالثلج على جبينها ثم ولى دون أن ينظر فى عينيها.

.. كم عانت فى تلك الليلة.. وهى وحيدة تتخيل زوجها يزف إلى غيرها.. لكن ما حيلتها؟.. الشرع يعطيه هذا الحق، وهى لا تنكره.. من حقه أن يبحث عن الاولاد..

.. لم تنم حتى أحست بأقدامه تتسلل بحاول ألا يوقظها..

لأول مرة ينام دون أن يطبع على جبينها قبلته الرقيقة.. معذور هو.. أعصابه لا شك مرهقة.. الأفكار تتصارع داخله، كيف يعدل بين زوجتين.. واحداهما تحمل ملامحها سمات الخريف الذى كاد بدوره أن يولى؟.. كيف يفاجئها بنبأ زواجه.

.. اشفقت عليه من حيرته.. قررت أن تعفيه من هذه المهمة.

.. فى الصباح صارحته هى.. قالت له إن مطالبها متواضعة.. فهى لا تبغى الآن ـ إلا مجرد الحياة فى ظله.. فقد هرمت.. أصبحت فى الخمسين، العودة للعمل مستحيلة.. والحياة وحيدة أيضاً مستحيلة.

.. وتصحـو المرأة على يد تربت على كتفهـا.. وصوت يهمس فى اذنها برقة.

.. البقية فى حياتك يا ألفت هانم..

.. لم ترد.. غرقت فى صمتهـا، وأومأت برأسهـا تشكر صديقتها على التعزية.. وعادت سريعاً إلى ذكرياتها البعيدة.

.. *مساواة ظالمة بين الزوجة التى طالت عشرتها مع زوج أكثر من ثلاثين عاماً، وبين زوجة لم تدم حياتها الزوجية أكثر من شهور. كان المفروض أن يحكم عليه بنفقة أبدية حتى تموت.. فكم بقى لها من العمر؟.*

.. *ما حيلتها.. إنها الطرف الضعيف فى القضية.*

.. وقررت ألفت.. استجدته ليبقى عليها، وسوف ترضى بما يفيض عنـه من الفتـات.. وعـاشت قانعة.. صحيح مرت السنوات عليها طويلة كئيبة ولكن مجرد وجوده يضىء جزءاً من حياتها.

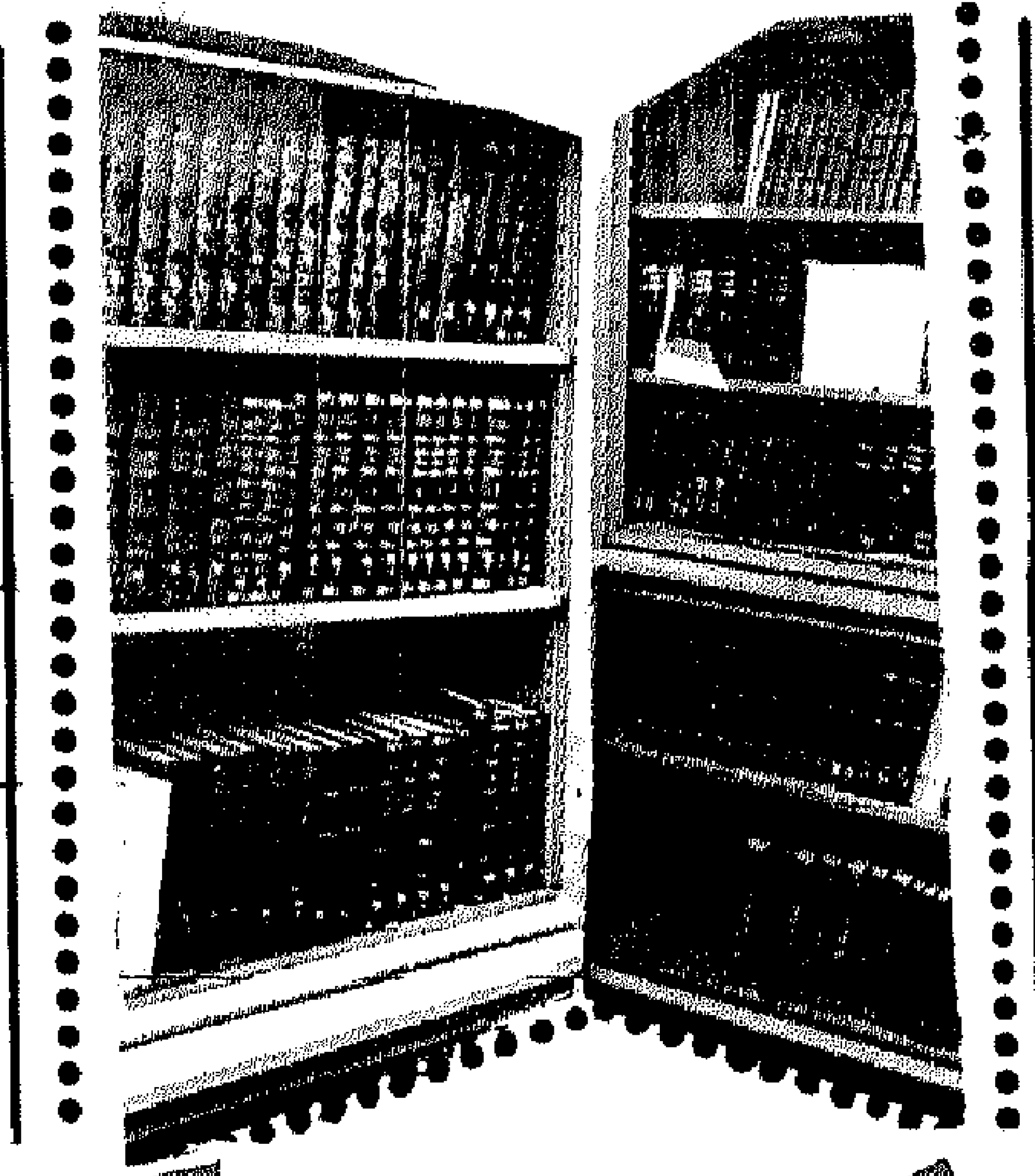
.. الآن ـ مات ـ ماذا بقى لها؟.. لا شىء..

.. *بعد انتهاء مراسم العزاء عادت ألفت إلى شقتها التى شهـدت أجمل أيام عمرها، حاولت أن تقرأ كتـاباً، وماتت الحـروف، استحـالت جثثا هى الأخرى.. ستشغل نفسها فى اليوم التالى باجراءات المعاش.. لا بد أنه سيكون مبلغاً معقولا.. زوجها كان مديراً عاما فى وزارة التعليم.*

.. *ويـومهـا ـ واجهت العجـوز أكـبر صدمـة فى حياتهـا.. زوجهـا طلقها منذ عشر سنوات.. لم يعلنها بالطلاق، وبالتالى ليس لها حق فى المعاش.*

.. *من أين تأكل؟.. وكيف تعيش؟.. أتخدم فى البيوت بعد هذا العمر؟ أتستجدى لقمة العيش وهى التى عاشت معززة طوال حياتها؟.*

.. *وفى لحظة.. انقلب كل حزنها إلى حقد على هذا الرجل الذى ظلمها فى حياته.. وضاعف لها الظلم حين مات؟.*



الإعراب بين الوسيلة والغاية

الدكتور عبد الهادي الفضلي
كلية الآداب - جامعة الملك عبد العزيز

كان الإعراب ولا يزال الظاهرة العلمية المهيمنة على دنيا النحو، والشاغلة لعلمائه وشداته، والمالئة لساحته الدراسية، ولجميع مجالاته وأطرافه، حتى قيل: النحو هو الإعراب، والإعراب هو النحو.

وأُريدَ به الطريقة لا الشكل ولا القرينة، وبهذه الإرادة التي فرضت نفسها على النحو فرضاً تحولت الوسيلة إلى غاية من حيث يُقصد ذلك أو لا يُقصد.

ولتوضيح هذا ننطلق من التعريف لمستويات الإعراب الذي يعيش عالم النحو:

للاعراب نحوياً ثلاثة مستويات هي:

١ـ الشكل.
٢ـ القرينة.
٣ـ الطريقة.

وأعنى بالمستوى الأول أو (الشكل) هو أن ننطق الكلمة ضمن الجملة أو التركيب الكلامى متبعين في نطقها سمت العرب الفصحاء في نطقهم فنفصح بشكلها حركة وسكوناً كما يفصحون، ونبين بها مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة أو مسكونة كما كانوا يبينون.

ويلتقي هذا المعنى مع المعنى اللغوى

لكلمة الإعراب، لأنه يعني لغوياً الابانة والافصاح، قال في (لسان العرب / مادة عرب): «**وقال الأزهري: الإعراب والتعريب معناهما واحد وهو الإبانة، يقال: أعرب عنه لسانه وعرّب أي أبان وأفصح... ومن هذا يقال للرجل الذي أفصح بالكلام: أعرب... وأعرب الكلام، وأعرب به: بيّنه**» ولا تبان الكلمة في التركيب ولا يفصح بها إلّا إذا استكملت جميع عناصرها المؤلفة لها لغوياً ونحوياً، والحركة والسكون من عناصرها النحوية لانها تكتسبها عند التركيب ومنه، وبهما (أعنى الحركة والسكون) أو قل بـ (الشكل) يتقوم اعرابها أي الافصاح بها نطقاً وإبانتها تلفظاً.. ولهذا سُمي الإعراب إعراباً، قال ابن منظور في المصدر نفسه: «**وإنما سمى الإعراب إعراباً لتبيينه وايضاحه**».

وعلى هذا المعنى (أي الشكل) تحمل كلمة (إعراب) الواردة في بعض المأثورات المُقالة قبل وضع النحو واستقرار كلمة (إعراب) مصطلحاً نحوياً، مثل:

ـ ما جاء في معجم الأدباء ١/٨٩: «وقال نافع مولى ابن عمر: كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن كما يضربهم على تعليم القرآن. وحدث فيها أسنده إلى شُريك عن جابر قال: قلت للشعبي: أسمع الحديث بغير إعراب فأعربه، قال: نعم. لا بأس به».

ـ وما أورده السيوطي في رسالته (سبب وضع علم العربية ـ ضمن التحفة البهية ٥٠ ـ ٥١): «**وقال ابن الانبارى: حدثني ابي حدثنى ابو عكرمة قال: قال العتبى ـ رحمه الله ـ: كتب معاوية إلى زياد يطلب عبيد الله ابنه، فلما قدم عليه كلمه، فوجده يلحن، فرده إلى زياد، وكتب إليه كتاباً يلومه فيه ويقول: أمثل عبيد الله يضيع؟.. فبعث زياد إلى ابى الأسود، فقال له: يا أبا الأسود إن هذه الحمراء قد كثرت وأفسدت من ألسن العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم، ويعربون به كتاب الله، فأبى ذلك أبو الأسود، فوجه زياد رجلاً، وقال له: اقعد في طريق أبي الأسود، فإذا مرَّ بك فاقرأ شيئاً من القرآن وتعمد اللحن فيه، ففعل ذلك، فلما مرَّ به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأ ﴿إن الله برىء من المشركين ورسوليه﴾، فاستعظم ذلك أبو الأسود، وقال: عز وجه الله أن يبرأ من رسوله، ثم رجع من فوره إلى زياد، فقال: قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن ابدأ باعراب القرآن... الخ**».

ويراد بالمستوى الثاني أو (القرينة) أن يُعتمد الشكل المذكور ـ في المجال الذى يمكن الاعتماد عليه ـ قرينة لايضاح وبيان

هناك مجال علمي لدراسة القرائن النحوية ووظائف الكلمات والإعراب التقريبي وهو من عمل المتخصصين في الدراسات النحوية.. ويخطئ من يخلط بين المستويين.

وظيفـة الكلمـة في الجملة نحوياً، ذلك أن الـوظيفـة النحـوية أمثال: المبتدئية والخبرية والفاعلية والمفعولية، وما إليها لا تستبان إلّا بالقرائن التي تصحب الكلام مقاماً أو مَقُولاً فمثلاً عندما يقال: (**أهدى محمدٌ علياً ساعة ثمينة**) يفهم من (الشكل) الإعرابي أن كلمة (محمدٌ) فاعـل لانهـا مرفوعة وكلمة (علياً) مفعول به لانها منصوبة، ولو عكسنا فقلنا: (**أهـدى عليٌ محمـداً ساعة ثمينة**) لانعكس الإعـراب وكـانت كلمـة (عليٌ) هي الفاعل وكلمـة (محمـداً) هي المفعـول اعتـماداً علي العـلامـة الإعـرابيـة أو (الشكـل) كقـرينـة موضحة لوظيفة الفاعل ووظيفة المفعول.

ولـو قلنـا: (**أكـرم محمدٌ علياً**) ـ بالبناء للمعلوم ـ و(أُكرم محمدٌ) بالبناء للمجهول ـ لادركنا من صيغة الفعل ان كلمة (محمد) في الجملة الأولى فاعل وفي الجملة الثانية نائب فاعـل، وكـانت (الصيغـة) مع (الشكـل) القـرينـة على ذلـك، ولـو قلنا: (**استضاف مصطـفـى مرتضى**) و (**استضـــاف مرتضى مصطفى**) كانت الكلمـة الأولى في المثـالين فاعلاً والثانية مفعولاً، وذلك لقرينة الرتبة.

وهكـذا الشأن في سائر القرائن النحوية كالأسلوب والسياق والأداة والدلالة.

ويقصـد بالمستوى الثالـث أو (الطريقة) البيـان المتضمن ايضـاح الـوظيفـة النحـوية للكلمة، والحالة الإعرابية أو البنائية، وعلامة الإعراب أو البناء، كما في إعرابنا لجملة: (هذا كتابٌ) عندما نقول: ها: حرف تنبيه لا محل له من الإعــراب.. ذا: مبتــدأ مبني على السكون في محل رفع.. كتابٌ: خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة.

وبعد أن تعرفنا مستويات الإعراب وواقع كل مستوى منها نتبين الآن أياً منها هو غاية، وأياً منها هو وسيلة في ضوء ما توصلنا إليه من معنى كل مستوى من المستويات الثلاثة.. وهذا يتطلب منا ـ بطبيعته ـ معرفة مجالي النحو:

ـ المجال التطبيقي.
ـ المجال العلمي.

وأعنى بـ (**المجـال التطبيقي**) للنحو هو الالتـزام بـ (الشكل) اثناء التكلم بالفصيح

التزام الشكل الإعرابي هو غاية من يريد التكلم بالفصيح ليبين عن غرضه ويوضحه، وهو المجال التطبيقي للنحو ..

نطقاً وكتابة، وهو الشيء المطلوب من كل من يتعامل مع اللغة العربية الفصيحة نطقاً أو كتابة، نحوياً كان المتعامل أو غير نحوي.

وأريد من (**المجال العلمي**) دراسة الإعراب كقرينة نحوية لمعرفة وظيفة الكلمة في الجملة، وهو الأمر المراد من المتخصصين بالدراسة النحوية.

وفي ضوء هذا تأتي معرفة (الشكل) غاية لكل من يريد التكلم بالفصيح، وتأتي معرفة (**الإعراب القريني**) غاية الدارس النحوي فقط.

أما الإعراب بمعنى (الطريقة) فليس هو من مجال التطبيق ولا من مجال العلم، وإنما هو وسيلة إيضاح، أو طريقة تربوية، وضعت أو اتبعت لتساعد المبتدىء في دراسة النحو على فهم مفاهيمه ونظرياته، ولتعينه على غلغلتها في ذهنه.

ولكننا بتأثر منا غير مقصود بطريقة الجدل للجدل التي غزتنا عن طريق دخول الفلسفة الإغريقية إلى بيئاتنا العلمية ونفوذها فيها، تحول الإعراب لدينا ـ ومع مرور الأيام ـ إلى غاية، فأصبحنا نعرب للإعراب، لا لفهم النحو وترسيخ معارفه في أذهان الناشئة من الطلبة.

وفي طغيان تيار المستوى الثالث وبتأثير تحوله إلى غاية انحسر أمامه المستويان الآخران إلى حد كبير يكاد يصل إلى ظلمة النسيان.

وقد ألمح إلى هذا من قبلُ الجلال السيوطي في كتابه (الاتقان ٢ / ١٩٠) بقوله: «فالنحوي تراه ليس له هم إلّا الإعراب، وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدي في البسيط وابي حيان في البحر والنهر».

والذى أريد أن أقوله هنا بعد هذه التطوافة السريعة في عالم الإعراب: علينا أن نضع كل واحد من هذه المستويات الثلاثة للإعراب في موضعه فنستخدمه في مجاله، محافظين على واقعه غاية أو وسيلة.

وذلك لكي نعيد النحو إلى نصابه، ولنعيد له مسؤوليته الاجتماعية والعلمية كقواعد تنظم كلامنا لنفصح فيه ونبنى مقاصدنا من خلال ألفاظه، وهو وضعه الذي كان عليه أيام الرعيل الأقدم من أعلامه أمثال: الخليل وسيبويه والكسائي.

عالم الكتب

كتاب من الشرق

هل يمكن صياغة نظرية إعلامية إسلامية

تأليف الأستاذ الدكتور محيي الدين عبد الحليم
عرض وتقديم الدكتور أحمد الحفناوي - القاهرة

جرت محاولات عديدة فى هذا المجال فى إطار الصحوة الإسلامية فى العقد ـ الأخير ـ وهى لا تعنى رفض كل ما أخذناه من الغرب ، ولكنها تعنى تطويع هذا الذى أخذناه لما يمكن أن نسميه النظرية الإعلامية الاسلامية ، فينتج عن ذلك مزيجا يتناسب مع طبيعة المجتمعات الإسلامية المعاصرة .

● على أن المحاولة التى قام الأستاذ الدكتور /محيى الدين عبد الحليم رئيس قسم الاعلام فى جامعة الأزهر ، تقف فى مقدمة المحاولات التى يبدو ـ **حتى الآن** ـ أنها فى الطريق الصحيح لتحقيق الأمل . .

●**لقد أخرج لنا الكاتب الفاضل الدكتور محيى الدين كتابه : الأول : « الاعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية »** محاولاً فيه : جمع أطراف النظرية الإعلامية الإسلامية منذ صدر الإسلام وحتى العصر الحديث ولم يكتف بهذه الدراسة النظرية ، ولكنه شفعها ببحوث ميدانية فى مجتمعات متباينة حضاريا فى الريف والمدن المصرية قاصداً بذلك : التعرف على عدة مؤشرات أهمها تقييم دور وسائل الاعلام العامة فى حقل الاعلام الدينى ومعرفة موقف الرأى العام من هذه الوسائل . .

●● **ثم جاء كتابه الثانى** : « الرأى العام فى الإسلام » **وفيه قام بتحديد المفهوم الإسلامى للرأى العام بين « الأيديولوجيات »** المعاصرة ، **وأكد** : أن الإسلام قد أعز الرأى العام ورفع منزلته وأعطاه حق النظر فى سائر الأعمال وتقييمها والحكم عليها إنطلاقاً من قوله تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾

وغيرها من الآيات والأحاديث . . ويقرر فى موضع آخر أن الرأى العام يعتبر من أهم مرتكزات النظام الإسلامى ، ويعرف الرأى العام وحدوده ومسئولياته فى الإسلام . .

● ولاشك فى أن القضايا التى يطرحها الكاتب الفاضل . . قضايا جديدة وهى قابلة للمناقشة . .

وبقى أن نسجل له التحية والتقدير على ما بذل من جهود . .

كتاب من المغرب

المغرب قبل الاستقلال

تأليف الأستاذ : عبد الرحيم بن سلامة
عرض وتقديم : سهام و دغيري

• صدر مؤخراً عن دار الثقافة بالدار البيضاء الطبعة الثالثة من كتاب (المغرب قبل الاستقلال) للاستاذ عبد الرحيم بن سلامة وهو يقع فى حوالى مائة صفحة من الحجم المتوسط ، قدم له المرحوم علال الفاسى وتتصدر الكتاب كلمة للاستاذ عبد الله كنون أمين عام رابطة علماء المغرب وعضو الاكاديمية الملكية المغربية .

• قسم المؤلف كتابه إلى ثلاثة فصول تعرض فيها لأهم الاحداث السياسية والدستورية بالمغرب قبل الحماية واثناءها . كما أبرز عمل الحركة الوطنية فى تحريك الملف المغربى فى سبيل الحرية والاستقلال ، مختصا بحثه بملحق خاص لمشروع الدستور المغربى الذى ساهم الوطنيون فى وضع نصوصه سنة ١٩٠٨ على عهد السلطان مولاى عبد الحفيظ .

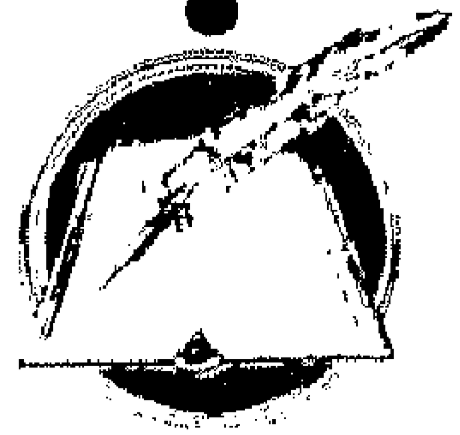
• وبما أن العادة جرت أن يستقطب المؤلف آراء بعض المهتمين ورجال الفكر حول مادة كتابه ليدرجها فى الطبعة الجديدة ، فقد حرص المؤلف على ان يستقطب آراء بعض الشخصيات العلمية والفكرية المغربية منها والمشرقية حول موضوعات الكتاب التى تتناول فترة هامة من تاريخ المغرب الحديث ، فجاء الكتاب حاملا لكلمات طيبة لعلماء أجلاء أثنوا فيها على المؤلف والجهود التى بذلها .

• يهتم الفصل الأول من الكتاب بثلاث نقط مهمة :

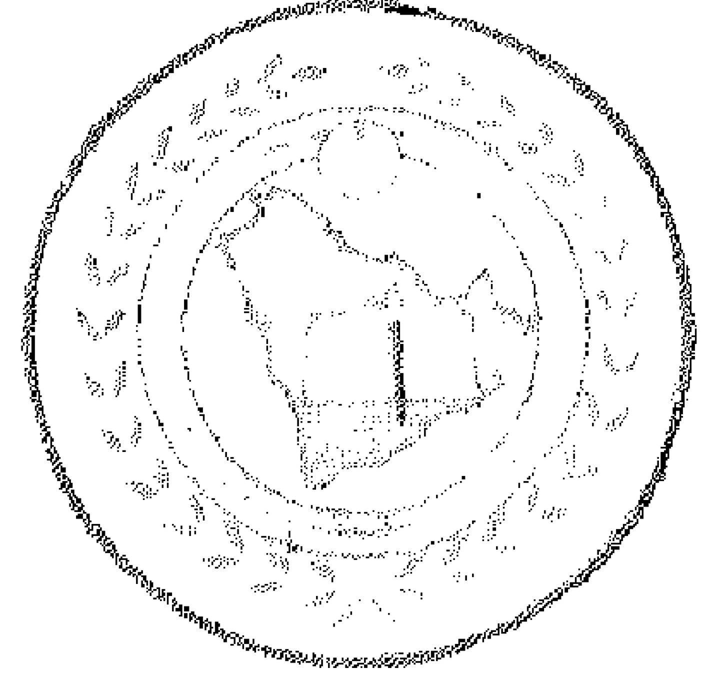
— الخلافة الاسلامية كأساس للحكم فى المغرب وارتباطه بالخلافة الاسلامية فى المشرق .
— التقاليد المغربية فى الحكم .
— التجربة الدستورية فى عهد السلطان مولاى عبد الحفيظ عام ١٩٠٨ .

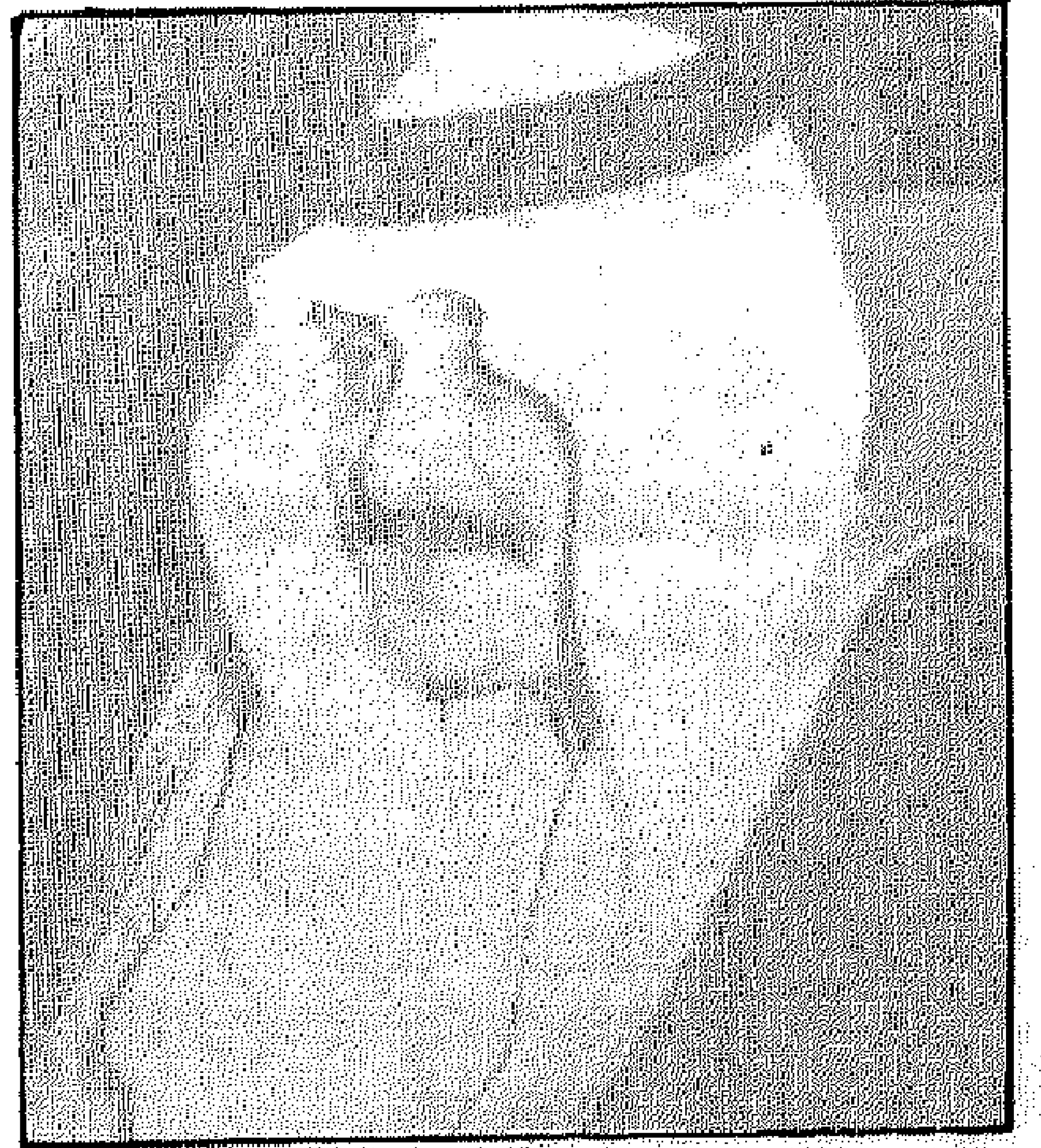
• وفى معرض تناوله للوضع الدستورى قبل الحماية يستدل المؤلف بما جاء فى كتاب « حفريات دستورية » للمرحوم علال الفاسى الذى كان قد اهتدى إلى العثور على وثيقة دستورية كانت بحوزة المؤرخ المغربى العلامة المرحوم عبد الحفيظ الفاسى الذى ساهم فى وضع دستور لسان المغرب على عهد الملك فؤاد عبد العزيز على اثر مطالبة الدول بالاصلاحات فى مؤتمر الجزيرة الخضراء الشهير، وفى هذا الباب يسرد الكتاب محتويات هذه الوثيقة الدستورية الهامة ، كما يبين وجه الشبه بين مواد هذه الوثيقة ومواد دستور ١٩٠٨ .

• كما خصص الفصل الثانى من الكتاب للحديث عن الاستقرار وتطور نظام الحكم .



دعوة الأدباء لجائزة الدولة للأدب





وجه سعادة أمين عام جائزة الدولة التقديرية في الاداب الدعوة لترشيح الادباء لجائزة العام ١٤٠٤هـ.

وقد تم فتح باب الترشيح وفق الشروط المحددة بان يتم الترشيح عن طريق الجامعات والهيئات العلمية والأندية الأدبية والمجلات المتخصصة والمؤسسات الصحفية بالمملكة وعن طريق الأدباء الذين سبق فوزهم بجائزة الدولة التقديرية في الاداب.

وحدد أمين عام الجائزة بقية الشروط في أن يكون المرشح سعودى الجنسية وألاّ يقل عمره عن خمسين عاماً وألاّ يكون من الأدباء الذين سبق فوزهم بجائزة الدولة التقديرية في الأدب.

كما يشترط في المرشح أن تكون له اسهامات جليلة في إبراز القيم الدينية وإثراء الحياة الفكرية والأدبية بالمملكة.

وترسل الترشيحات من نسختين من المؤلفات والأبحاث التي قام المرشح بعملها وصورة من حفيظة النفوس وبالنسبة لمن تم ترشيحه في العام الماضى وقام بتزويد الامانة بانتاجه فيكتفي بارفاق نسختين مما استجد من أعماله ويرسل استبيان الترشيح بعد ملء بياناته باسم الأمين العام لجائزة الدولة التقديرية في الاداب على عنوان الامانة العامة بالرياض « **شارع الجامعة مبنى الرئاسة العامة لرعاية الشباب ص. ب: ٩٥٦ - الرمز البريدى: ١١١٨٥**»..

وتحدد آخر موعد لقبول الترشيحات والانتاج في نهاية شهر رجب لعام ١٤٠٤هـ.

●● **تتكون الجائزة من براءة - وميدالية ذهبية ومنحة مالية مدى الحياة.**

اكاديمية المملكة المغربية والتراث العربي الاسلامي

عقدت لجنة التراث بأكاديمية المملكة المغربية اجتماعاً لها لبحث موضوع خطة نشر المخطوطات، وقد طرحت في الاجتماع عدة افكار أهمها:

★ في موضوع الموسيقى الاندلسية: تسلم الاستاذ عبد الرحمن الفاسي عدة بحوث تتعلق بالموسيقى لنشرها واقترح ان تضم مكتبة الاكاديمية ما هو موجود من نسخ مخطوطة ومطبوعة في المتحف كمراجع في موسيقى الالة.

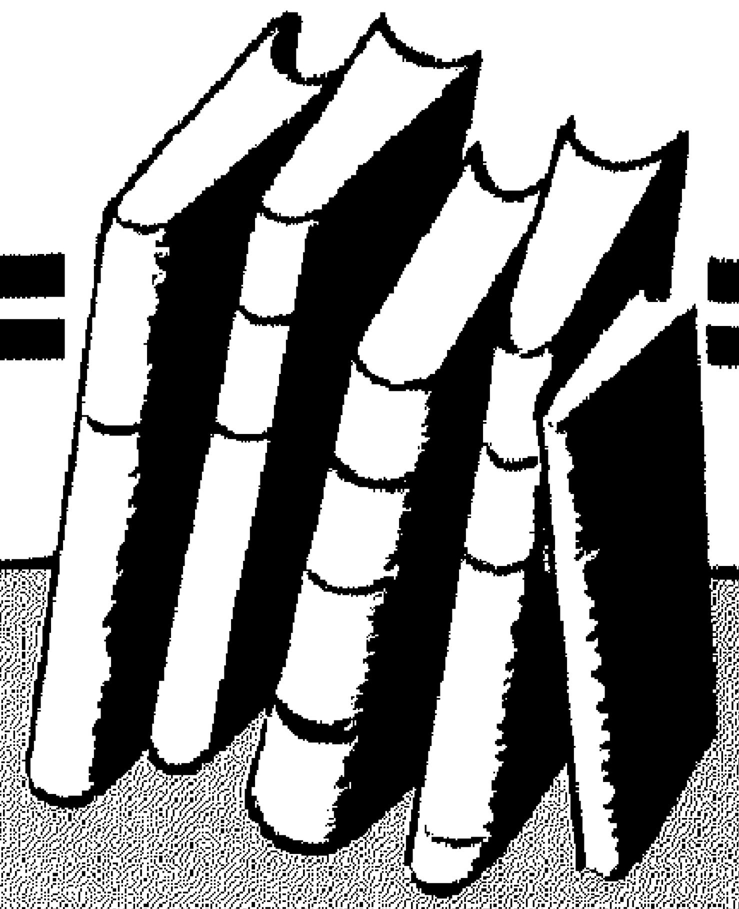
تم الاتفاق على تصوير كتاب «الحيك» الموجود في الخزانة العامة واعتماده للتحقيق والنشر.

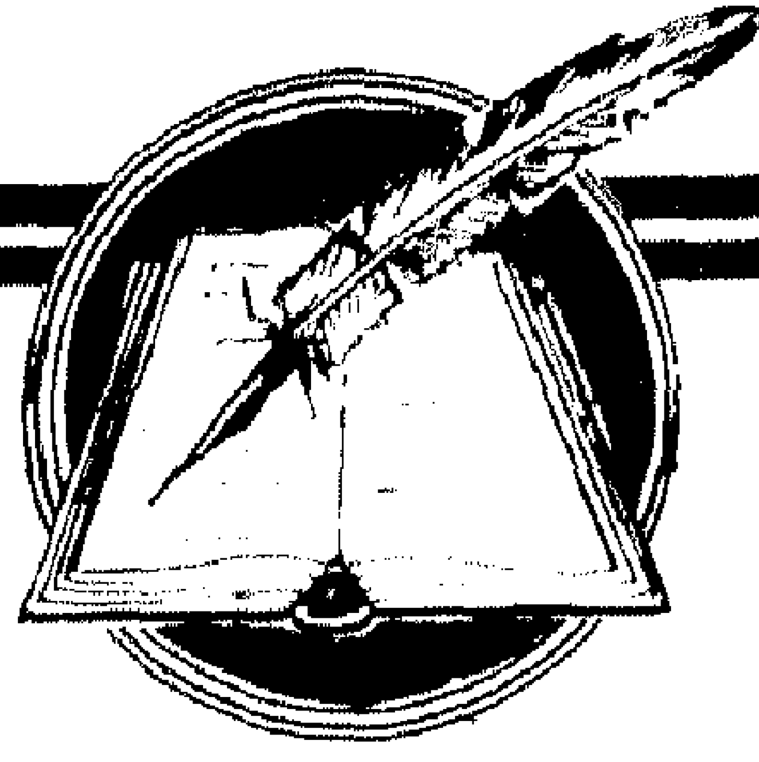
★ في مجال عمل الاكاديمية الخاص بنشر المخطوطات اتفق على:

● التعجيل في اخراج الجزء الأول من كتاب «معلمة الملحون»، في المراحل النهائية.

● كتاب «الذيل والتكملة» ينشر فيما بعد.

● **كتاب «الماء وما ورد فى شربه من الآداب» للالوسي**







دائرة المعارف العربية الإسلامية بالمملكة

● بناء على موافقة كريمة من المقام السامى تم فى الرياض، تشكيل لجنة من الاساتذة من جامعة الملك سعود ويمثلها الدكتور أحمد الضبيب وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ويمثلها الدكتور محمد الربيع، ودارة الملك عبد العزيز ويمثلها الاستاذ عبد الله الحقيل، والاستاذ عبد العزيز الرفاعي.

●● مهمة هذه اللجنة ان تقوم بوضع التصور الكامل لاعداد دائرة المعارف العربية الإسلامية بالمملكة، وقد شرعت اللجنة على عقد اجتماعات مكثفة لانجاز هذا المشروع الهام.

المعجم الطبي الموحد بلغة أهل الضاد

يصدر قريباً المعجم الطبي الموحد الذى يضم أكثر من ١٥ ألف مصطلح باللغات الثلاث العربية والانجليزية والفرنسية ويأتى المعجم الجديد للمصطلحات الطبية الموحد تطويراً وتوسيعاً لمعجم طبى سابق كان اتحاد الأطباء العرب قد اشرف على إعداده باللغتين العربية والانجليزية في منتصف السبعينات بمشاركة ممثلين عن مجامع اللغة العربية واساتذة كليات الطب فى البلاد العربية حيث ضم ١٤ ألف مصطلح.

■ وقد ارتأى بعد ظهور الحاجة الملحة للمصطلحات الطبية الموحدة فى الأقطار العربية التى تتعامل إلى جانب العربية باللغة الفرنسية، أن يضاف إلى المعجم المقابلات الفرنسية مع توسيع مادته تبعاً لتطور وتجدد المعطيات والمعلومات الطبية.

■ وقد احتضن مجلس وزراء الصحة العرب عملية توسيع المشروع الجديد ليكون منطلقاً إلى تدريس الطب في كليات الطب العربية باللغة الأم..

كما تقرر طبع ١٥ الف نسخة فى طبعة المعجم الأولى تمكينا للمتخصصين والطلاب من اقتنائه.

■ وكانت لجنة الخبراء المكلفة باعداد المجمع الجديد قد عقدت اول اجتماعاتها بالإسكندرية عام ١٩٧٧م، وتم آخرها بمدينة الجزائر فى شهر ديسمبر ١٩٨١م.

الاعداد للموسوعة الفلسطينية الثقافية

بدأ مجلس ادارة المؤسسة الفلسطينية بتونس سلسلة اجتماعات مشتركة مع اعضاء لجنة خبراء الموسوعة برئاسة السيد أحمد المرعشلى رئيس مجلس الادارة..

وبحضور الدكتور محى الدين صابر المدير العام للالكسو والدكتور أحمد الفرا الامين العام المساعد للجامعة العربية المكلف بشئون فلسطين..

وناقش المشاركون منهجية العمل لاعداد الجزء الثانى من الموسوعة الفلسطينية والتراتيب المالية والاجرائية الضرورية لاصدار الموسوعة.

ومما يذكر ان مشروع الموسوعة الفلسطينية اعد بالاشتراك بين الالكسو ومنظمة التحرير الفلسطينية..

شعر الإمام الشافعي

- انهى مؤخرا - الدكتور مجاهد مصطفى بهجت الاستاذ المساعد فى الادب والنقد بجامعة بغداد عمله فى جمع وتحقيق شعر الامام الشافعى (المتوفى سنة ٢٠٤هـ).

● وقد قام الدكتور بهجت بتخريج النصوص من كتب الطبقات والتراجم والأدب والشعر واعتمد على العديد من المخطوطات فى هذا العمل.

«صحيفة العام»

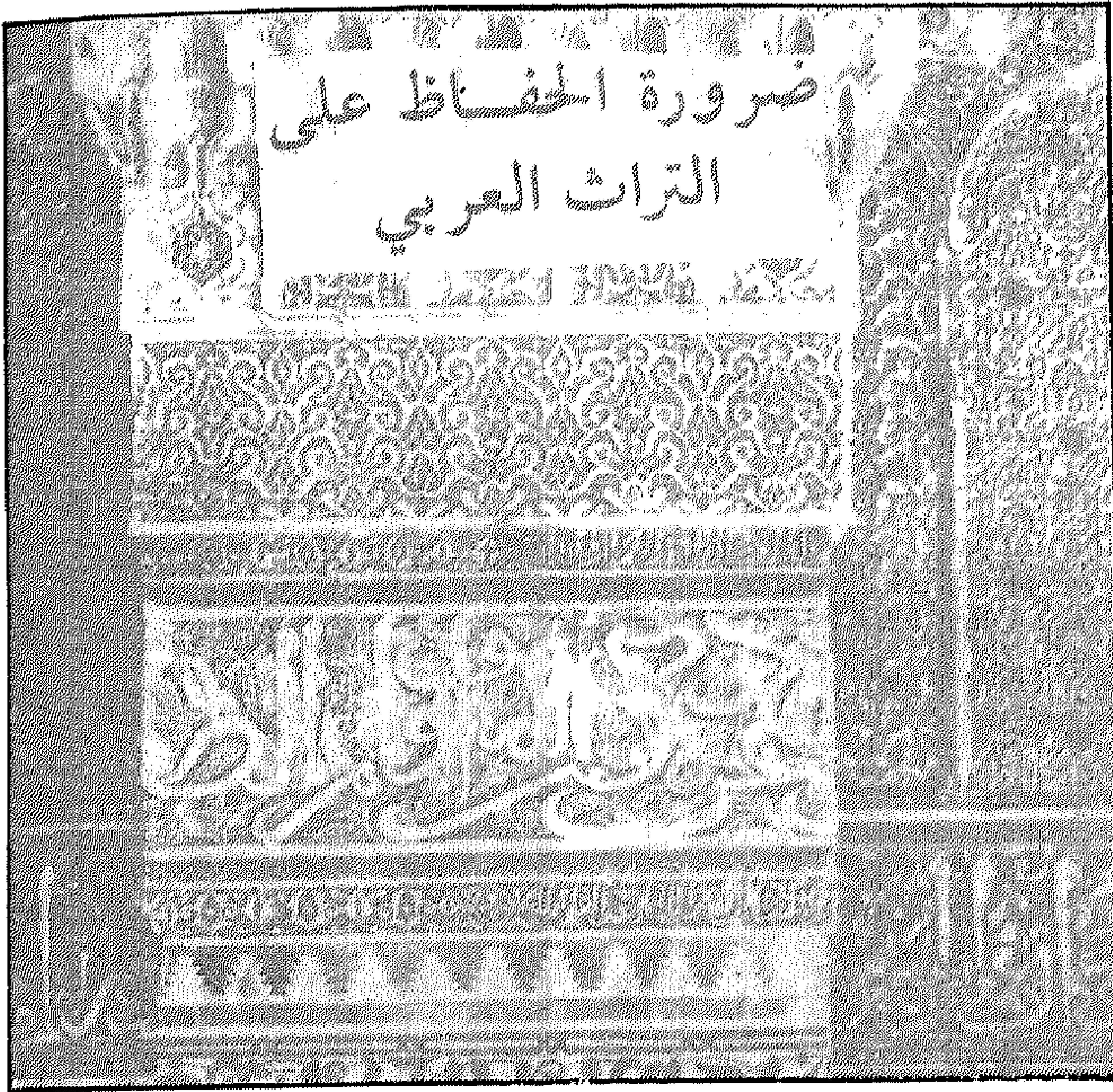
حصلت صحيفة «فاينانشيال تايمز» على لقب «صحيفة العام» عندما قدم برنامج مطالعات الصحف في قناة التلفزيون الرابعة جائزته السنوية للصحافة.

وقال حكام الجائزة التى قدمها زعيم حزب العمال نيل كينوك خلال مأدبة أقيمت بهذه المناسبة ان الصحيفة تظل احد افضل الوسائل إلى معرفة الحقائق.

العلم وصيانة المخطوطات

فى مائتين وتسع واربعين صفحة من القالب الكبير - صدر مؤخرا، فى جدة عن شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، كتاب جديد موضوعه «العلم وصيانة المخطوطات» وهو من تأليف الاستاذ مصطفى السيد يوسف.

يتضمن الكتاب دراسة عن المخطوطات العربية من حيث النشأة والتكوين وطريقة حفظ المخطوطات، كما يتضمن بابا كاملا عن «الميكروفيلم» ودوره فى حفظ المخطوطات.



■ حثت الندوة العالمية الثالثة لتاريخ العلوم عند العرب المؤسسات العربية المسؤولة عن نشر التراث على إعطاء الجانب العلمي حظه من الاهتمام، والقيام بنشر المخطوطات المحققة في مجالات العلوم العربية والاتجاه إلى إعادة طبع الكتب التراثية في مجال العلوم، وخاصة ما هو منها في حكم النادر أو ما وجدت له مخطوطات جديدة تضيف إليه أو تقوم نصه.

■ وأوصت الندوة التى أختتمت أعمالها مؤخرا في الكويت، بالاهتمام البالغ بفهرسة الكتب التراثية العلمية، وذلك لكشف محتواها، واضاءة جوانبها، وتيسير التوصل إلى المعلومات في دقة ووضوح، بالإضافة إلى الاهتمام بالترجمة لخدمة التراث العلمي العربى سواء الترجمة إلى العربية أو غيرها، ومنها اللغات الأجنبية الحية لتحقيق الاستفادة من جهود كبيرة أصيلة غير عربية وللتنويه بقيمة هذا التراث عالمياً.

■ كما يوصى بحث المسؤولين عن التعليم الجامعي وما في مستواه، على الاهتمام بالتراث العلمي العربى فتخصص له مقررات في الكليات، على أن يولي الأساتذة الجانب التراثي ما هو له أهل من الدراسة، ويعرفوا طلابهم به وبقيمته ويجعلوا له نصيباً من بحوثهم.

●● هذا وقد استقر الرأي على أن تعقد الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب في موعدها الدورى، أي بعد أربع سنوات في عام ١٩٨٧م، ويترك الأمر لمعهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب السورية تحديد مكانها والموضوع الذي تتناوله.

المعهد العربي الإسباني للثقافة

● أعلن المعهد العربي الأسباني للثقافة في مدريد عن أسماء الفائزين بجائزة ابن زيدون في الشعر، وابن طفيل في القصة.

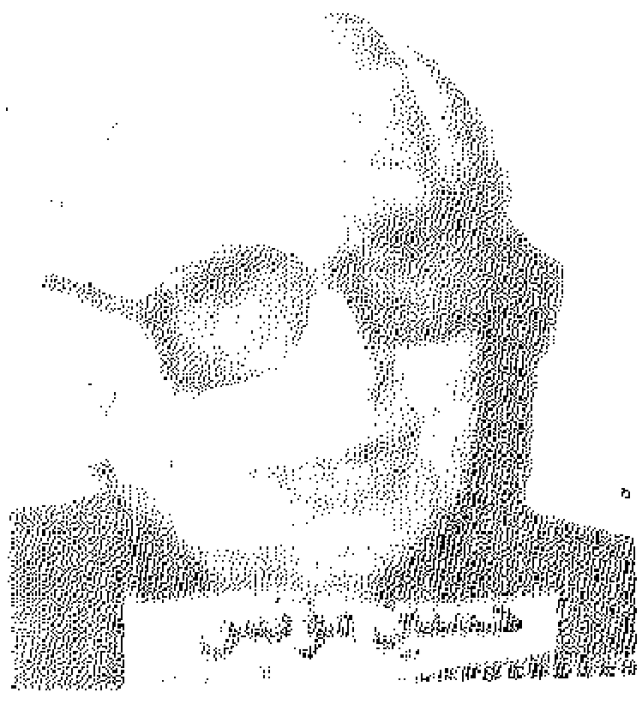
■ ويهدف احداث الجائزتين إلى تشجيع رجال الفكر والأدب الأسبان والعرب على تعميق دراساتهم حول مواضيع عربية أندلسية.

■ ومن المنتظر أن يحدث المعهد العربي الأسباني للثقافة قريباً جوائز أخرى عن حي بن يقظان في التاريخ وابن رشد في الفلسفة ومسلمة المجريني في العلوم.

البيان والتحصيل لابن رشد

● في الرياض وقطر يتوقع أن تصدر قريبا عن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وإدارة إحياء التراث الإسلامي في قطر الأجزاء التسعة عشر الأخيرة لكتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد (المتوفى سنة ٥٢٠هـ) بتحقيق لجنة من العلماء المغاربة.

■ المعروف أن الكتاب موسوعة ضخمة في الفقه المالكي تقع في أربعة وعشرين جزءاً وكانت الأجزاء الخمسة الأولى قد صدرت - في بيروت - عن دار الغرب الإسلامي قبل نحو سنتين.



تراث الإسلام

صدرت مؤخراً عن مكتبة الاداب طبعة جديدة لكتاب «تراث الاسلام» من تأليف مجموعة من المستشرقين.

● الكتاب يعرف بتراث الإسلام وتأثير هذا التراث في النهضة الأوربية وقد اشتمل على جزأين:

■ الجزء الأول: مجموعة من الدراسات عن البرتغال واسبانيا، والحروب الصليبية، والفلسفة.. وقد عرب هذا الجزء وعلق عليه الاساتذة حسين مؤنس وعلى أحمد عيسى وعبد اللطيف حمزة وتوفيق الطويل.

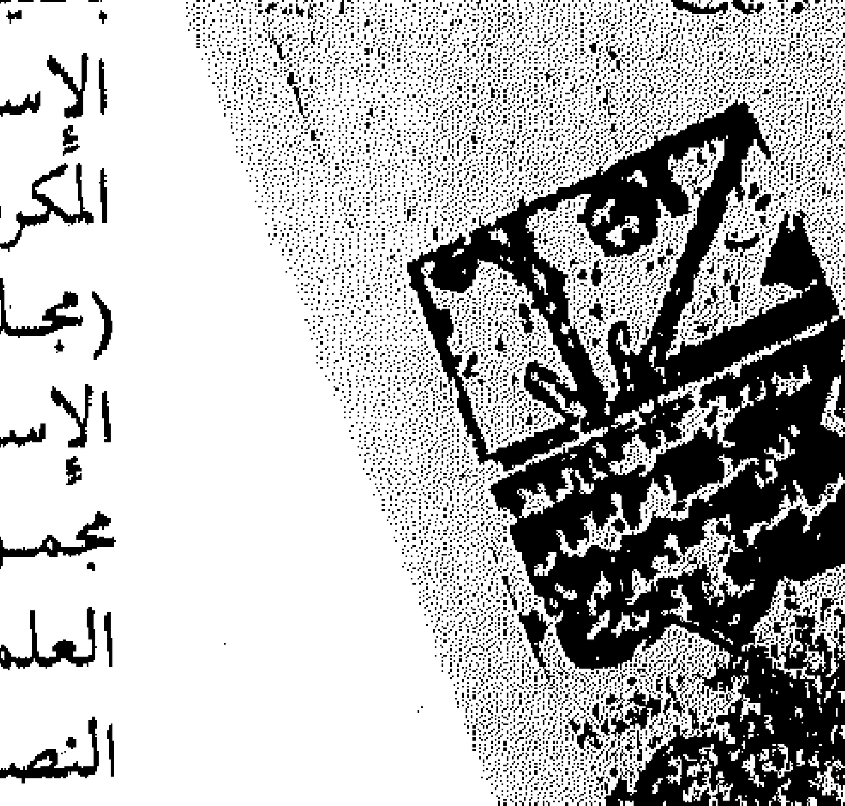
■ الجزء الثاني: يعرف بتراث الإسلام في مجال الفنون، وقد ترجمه وشرحه وعلق عليه زكي محمد حسن.

● يتضمن الكتاب مجموعة نادرة من اللوحات التراثية.

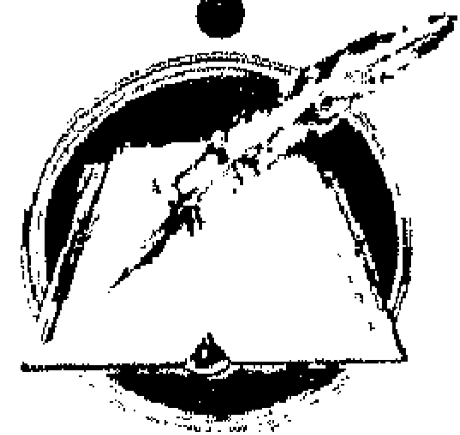


إنقاذ التراث المخطوط في المغرب

- بدىء - مؤخرا بتعضيد وزارة الشؤون الثقافية بالمملكة المغربية في مشروع انقاذ التراث الاسلامي المخطوط والمطبوع، وذلك بتعقيم المخطوطات والوثائق التي تضمها خزانة الجامع الكبير في منطقة مكناس، وتشمل نحوا من خمسة عشر الفا من المخطوطات وامهات الكتب التراثية والوثائق.



اصدر - مؤخراً - مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - العدد السادس من مجلته (مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي) متضمنا - كعادته - مجموعة من البحوث والدراسات العلمية الرصينة وبعضاً من النصوص التراثية الجديدة المحققة.



تهامة: اصدارات تهامة



عن سلسلة اصدارات تهامه صدرت عدة كتب حافله بالموضوعات الحيويه والتقنيه وموضوعات الساعه.. صدر منها:

■■ كتاب.. «العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها فى ضوء الكتاب والسنة». للباحث السعودى الدكتور مطيع الله دخيل الله الصرهيد اللهيبى..

● والكتاب بحث قيم فى العقوبات المقدرة فى التشريع الاسلامى. تعرض فيه الباحث للشبهات التى أثيرت حولها والرد عليها مبينا عقب كل عقوبة أسبابها ودوافعها والحكمة البالغة من تشريعها والنتائج التى تترتب على تطبيقها.

■■ كتاب.. «الدليل الى كتابة البحوث الجامعية ورسائل الماجستير والدكتوراة»..

● والكتاب دراسة خاصة باعداد وكتابة البحوث وتحضيرها، يقوم بشرح الاسس العلمية لطريقة السير فى كتابة المقالات والبحوث ومناهج السير فى تحضير الرسائل ذات الدرجات العلمية الكبرى وكيفية اقتباس المعلومات من مصادرها وتدوينها.

■■ كتاب.. «فى رأيى المتواضع».. لمعالى الدكتور غازى عبد الرحمن القصيبى..

● والكتاب مجموعة مقالات فى قضايا متنوعة معاصرة. ضمت الشعر والادب والفكر والفن وكذلك الخاطرة التى تعبر عن خيال الشاعر وتستوحيه فى أناة المفكر فيما ينبض من حوله.

■■ كتاب.. «مشكلات بنات».. للاستاذ أحمد شريف الرفاعى..

● والكتاب معالجة لمجموعة من المشكلات فى حياة الجنس الناعم فى مجتمعنا.. نشرت وأثارت ردود فعل فى حينها.. ولا يزال بعضها قائما حيا على الرغم من حساسيتها وتأثيرها على الجيل الجديد بكل تطلعاته وآلامه وآماله.

■■ كتاب.. «حكاية جيلين»..
للاستاذ الدكتور عبد الله حسين باسلامة.

● والكتاب مجموعة خواطر فى موضوعات مختلفة تتناول قضايا التحول الاجتماعى الذى أحدثته صحوة الفكر ووثبة الانماء فى بلادنا وهى تأخذ بأسباب الرقى والتقدم فى شتى مجالات الحياة فى أسلوب مشرق جذاب.

بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على الرصيفه مجلة العربى الكويتية التى تصدرها وزارة الاعلام هناك احتفل فى جو علمى ادبى ثقافى بمطارحات الندوات المميزه المحددة التى اعدت لاثراء المناسبة ودعم حركة الفكر والمعرفه فى محيطنا الثقافى.

و«المنهل» التوءم الأكبر «للعربى» ومن خلال رحاب احتفائه واحتفاله بذكرى مرور خمسين عاماً على صدوره.. يجزل التهنئة لأخيه. ويسأل المولى القدير ان يحتفل معه ـ ومعا ـ باعياد ذهبيه وماسية على طريق النهج السوىّ والرسالة الخالدة.



اصدارات اردنية جديدة

★ من الادلة القضائية عند البدو:

قدم الدكتور أحمد عويدى العبادى إلى المكتبتين الاردنية والعربية كتابا تحت عنوان «من **الادلة القضائية عند البدو**» بعد ان قدم من قبل اربعة كتب هى: المرأة البدوية، من القيم والآداب البدوية، المناسبات البدوية، وعدالة البدو..

مجلة الحرس الوطني

صدر العدد السادس عشر من مجلة الحرس الوطني وهي مجلة عسكرية ثقافية فصلية تصدر عن إدارة العلاقات العامة بالحرس الوطني.

واحتوى العدد على العديد من الموضوعات في الثقافة العسكرية والعلمية والأدبية بطباعة انيقة.

تضمن العدد مقالا للواء الركن عبد الرزاق الدردري وهو أحد العسكريين العرب الذين عايشوا الجامعة العربية عن قرب كما كتب النقيب سبأ باهبرى عن الأبحاث النووية الحالية في اسرائيل كما نشرت المجلة معلومات دائمة عن طائرات (سوبر ايتندار) ورحب رئيس تحرير مجلة الحرس فى مقاله الافتتاحي باحتواء خطة التنمية الرابعة على بند تطبيق نظام خدمة العلم وادخال التربية العسكرية كمادة أساسية للتعليم الثانوى.

جمع ٤ آلاف مخطوطة فى عمان

قال سمو السيد فيصل بن على آل سعيد وزير التراث القومى والثقافة العمانى ان وزارة التراث جمعت اكثر من اربعة آلاف مخطوطة من مختلف مناطق السلطنة ولا تزال عملية جمع هذه المخطوطات مستمرة..

والمعروف بان لدى الوزارة دار للمخطوطات والوثائق وقد اجريت العديد من البحوث والدراسات عما حوته المخطوطات العمانية من موضوعات فقهية وادبية وتاريخية وحضارية..

وسيتم قريبا نشر اول فهرس للمخطوطات العمانية للتعريف بالتراث العمانى العريق..

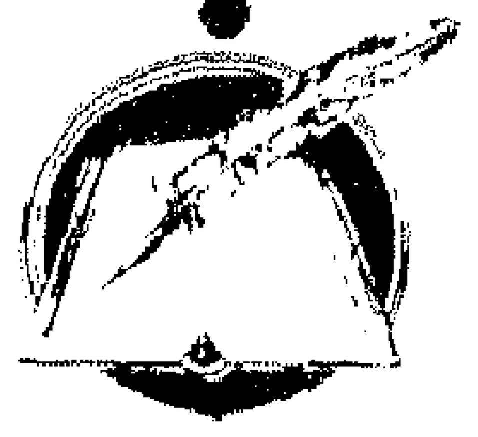
الموضح فى تعليل وجوه القراءات

اوشك الدكتور عبد المجيد قطامش الاستاذ المساعد بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى والمحقق بمركز البحوث العلمي واحياء التراث على الفراغ من تحقيق كتاب «الموضح فى تعليل وجوه القراءات» لابى العباس أحمد بن عمار المهدوى (المتوفى سنة ٤٣٠هـ).

وقد حققه على نسختين وثيقتين، قوبلت إحداهما على نسخة قرئت على الامام المقرىء الشهير ابى القاسم بن فيرة الشاطبي.

شركة إسلامية للصحافة والنشر

يعتزم عمر التلمسانى زعيم حركة الأخوان المسلمين في مصر تأسيس «شركة اسلامية للصحافة والنشر» وذلك للحصول على ترخيص جديد لاعادة اصدار مجلة «الدعوة» الشهرية الناطقة باسم الحركة والتى منعت من الصدور لما يقرب من نحو عامين.. وقد يحصل التلمسانى على هذا التصريح بموجب نظام المطبوعات الجديد فى مصر.



بدائل اصطناعية للدم

ابتكرت شركات يابانية بدائل اصطناعية للدم - يمكن على حد قولها - حفظها مدة اطول من الدم الطبيعي وتبعد خطر انتقال الامراض المعدية.

وقد ابتكر الباحثون فى شركة (اجينوموتو) اسلوبا يتم من خلاله مزج المكون الرئيسى من مكونات الدم الطبيعى بمادة اخرى هى (جليكول بوليثيلين) لانتاج بديل الدم.

وتقول الشركة ان هذا البديل له عدة مزايا على الدم الطبيعى فهو يزيل خطر انتقال الامراض المعدية التى يحملها الدم فى عمليات نقل الدم مثل مرض القوباء والتهاب الكبد. كما يمكن حفظه مدة اطول من الدم الطبيعى واستخدامه بصرف النظر عن فصيلة الدم. والدم الطبيعى اذا توافرت درجة حرارة مثلى هى اربع درجات مئوية لا يمكن حفظه الا لمدة ١٢ ساعة الامر الذى يعنى فى العادة أنه لابد من التخلص مما يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ فى المائة من كل احتياطيات بنوك الدم.

ويقول الباحثون ان هذا الدم الذى يتم التخلص منه يمكن الآن استخدامه كمادة خام لانتاج الدم الاصطناعى.

ويجرى ازالة اغشية الخلايا من الكريات الحمراء فى الدم الطبيعى الامر الذى يمكن من استخدام بديل الدم مع اي فصيلة دم. ووظيفة الكريات الحمراء فى الدم الطبيعى هى نقل الاوكسجين إلى انسجة الخلايا فى جسم الانسان.

اختتام الدورة الرابعة للموثقين العرب

اختتمت في عمان اجتماعات الدورة الرابعة للموثقين العرب، وناقش المشاركون خلال اجتماعاتهم التي استمرت عشرة أيام، الأمور المتعلقة بتنظيم جميع أنواع المعلومات المطلوبة بأشكالها المختلفة وتوفير جميع المتطلبات والمعدات اللازمة.

كما ناقش المشاركون طريقة بناء المصادر البيليوغرافية الأساسية في مجالات العلوم الادارية، ونشر الانتاج الفكري العربي وترجمات البحوث والدوريات الهامة في مجالات العلوم الإدارية، لتسيير نقل التجارب والأفكار العلمية في هذه المجالات.

ايطاليا والأجانب

■ قال تقرير لوزارة الداخلية أن عدد الأجانب المقيمين بصورة قانونية في إيطاليا بلغ في مطلع العام الجارى ٤٠٠ الف شخص.

● واشار التقرير إلى وجود مليون أجنبى آخر يعيشون في إيطاليا بشكل سرى.

● ومضى التقرير يقول إن الأجانب المقيمين بصورة غير قانونية بدأوا بدخول عالم الجريمة المنظمة أو الوقوع في براثن أصحاب العمل للقيام بأعمال دنيا دون أية حقوق اجتماعية أو نقابية.

■ واعلنت الوزارة أنها ستقدم اقتراحا للبرلمان لتعديل قانون إقامة الأجانب بشكل جذرى بما يتوافق مع الدستور الايطالي ونمو المجتمع في الأعوام العشرة الاخيرة.



■ ابن عساكر ■

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

■ من مطبوعات مجمع اللغة العربية السورى صدر مؤخرا فى دمشق - نص كتاب (تأريخ مدينة دمشق - حماها الله - وذكر فضلها، وتسمية من حلها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها، من وارديها وأهلها) لابن عساكر بتحقيق الأستاذة سكينه نشهابى.

برقيات ورسائل

رسالة من المغرب

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيد المرسلين
أقدم لكم أزكى تحية وأطيب السلام
يشرفني أن أبعث الى حضرتكم هذه الرسالة
لأتعرف عليكم وعلى بلادكم الجميلة
أن هذه الرسالة تجدكم بخير وعلى
أحسن حال وإني أخذت العنوان من
كتاب إسمه المنهل وأنا كنت دائما
أبحث عن من يراسل لي فالتحية لكم
ولي أريد من فضلكم أن ترسلوا
لي بعض كتب من المصحف الكريم
والفقه وسيرة النبوية وغيرها
في سبيل الله ورسوله فجزاكم
الله خيرا ولكم مني الشكر

«المحرر»

أهلا بك فى رحاب المنهل صديقاً غالياً.. وقد أرسلنا لك بالبريد أعداداً من منهلك وعدداً وافراً من الكتب الدينية وبعض مؤلفات المغفور له الأستاذ عبد القدوس الانصارى.

● نقدر عواطفكم تجاه منهلكم ونحن على الدرب سائرون.. وإلى الإمام على الدوام.. وهلا شاركتمونا رحلتنا بين حين وحين وشكراً.

سعادة الأستاذ رئيس تحرير مجلة (المنهل)

قضيت وقتا طويلا فى تدريس الأدب السعودى للدارسين بالكلية المتوسطة بجازان ووقفت على العطاء الكبير والجهد المتواصل الذى قام به الأستاذ عبد القدوس الأنصارى، وكان المنهل من أنجح الوسائل فى توصيل عطائه وعطاء الأدباء والشعراء والمفكرين إلى العالم العربى والإسلامى.

وفى ضوء هذا الموقف كتبت هذا البحث عن جانب من جوانب الأنصارى.. ومع احترامى وتقديرى واعجابى بهذا الرائد، حاولت أن أنحى هذه العواطف ليكون بحثا علميا خالصا فى تصوير الحقيقة.

تحية للمنهل فى عيده الخمسين، وتمنياتى بدوام مسيرة الخير والعطاء لمنهل من مناهل العروبة والاسلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

د. عبد الباسط أحمد على حمودة
جازان

للمحرر

«أخي الخزرجي»

اذا رمت يوما أن ترتوى
فاشرب هنيئا من المنهل
ديناً وعلماً وفكرا ثرى
ترقى به ذرى المنـزل
واذكر بخير أخ الخزرج
يمناه جادت بلذ المنهل
وشادت صروحا لا تمحى
بنبل الهجاة ..بالأخطل
فلا ينكر الحق غير الذى
مريض الفؤاد .. والمبتلى

سعيد محمد الخزرجي الانصارى
محافظة قنا ـ مصر



GOVERNMENT ARABIC TEACHERS' COLLEGE, KANO

Cable-Grams— GOVARABIST
Telephone—5610

P.M.B. 3128
KANO NIGERIA

In case of reply please quote reference
No. ....

التاريخ : ١١ ـ ٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الى سعادة الاخ مدير التحرير ... المحترم

[illegible]

«المنهل»

حبا وكرامة .. وستصلكم المجلة هدية ووفق الله العاملين لما فيه خير وفلاح الدين الاسلامى الخالد.

برقيات ورسائل للمحرر

رسالة من الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الأستاذ / نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
رئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد،

فأشكركم على تفضلكم بتزويدي بمجلة المنهل. العدد الأول ... وصلني عدد صفر وعدد ربيع الأول ...

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة فضيلة الشيخ عبد القدوس الأنصاري الموقر
رئيس مجلة «المنهل»

تحية عاطرة وسلاماً وبعد:

فإني أخوكم رياض أحمد بن عبد الغني هندي من الجامعة الإسلامية ... الحاصل على شهادة الفضيلة ...

فيا حبذا لو تكرمتم بإرسال تلك المجلة ...

فأرجو أن يوضع هذا الطلب المتواضع موضع القبول لديكم، ولكم مني غاية الشكر والامتنان.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم رياض أحمد عبد الغني هندي
الخريج من جامعة ديوبند الإسلامية

عنواني لإرسال المجلة :—

REYAZ AHMED ABDUL GHANI.
VILL. DUMARIA.
PO. KAUREHAR.
VIA. RAXAUL.
DISTT. E. CHAMPARAN.
BIHAR. INDIA.

المنهل:

سيصلكم عدد المنهل باذن الله مع كل شكرنا.. وستظل وشائج العلم والثقافة موصولة بيننا.

المنهل:

سعدنا بورود رسالتك الرقيقه.. وستصلك المجلة شهرياً،، رحم الله «عبد القدوس الانصاري».. فذكراه العطره باقية للأبد.

يسر.. المكتب العقارى للتقسيط

أن يقدم لعملائه الكرام ...

المرحلة الاخيرة .. من مخطط

حى السامر

رقم ١٥٧ / ب / ١٤٠٠

بعد أن اكتملت أعمال
- السفلتة والرصف والانارة

الموقع : شرق الخط السريع - مقابل ثلاجة الشربتلى
المساحات : من ٦٠٠ متر مربع إلى ٧٥٠ متر مربع
الشوارع : ٥٢ ، ٢٠ ، ١٥ متر

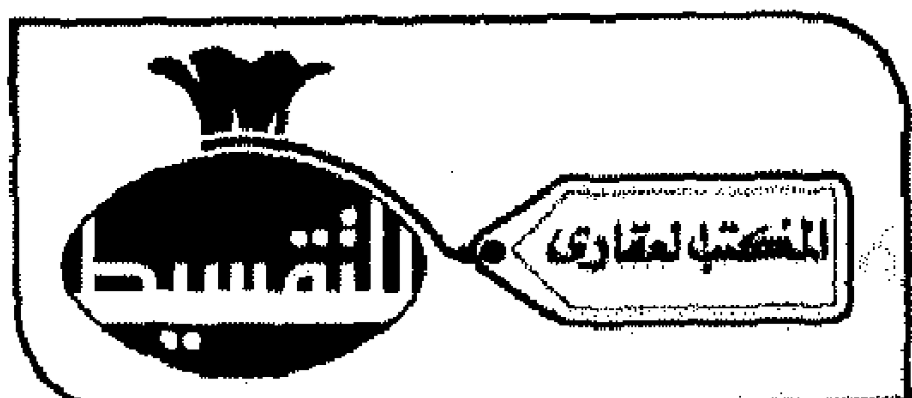
الأسعار : نقدًا والافراغ فورًا
تقسيط ثلث القيمة مقدمًا
والباقى على ٢٤ شهرًا





المميزات : الموقع محاط بالعمرات
تسهيلات فى الدفع
كما عودناكم دائمًا

لمزيد من التفاصيل يرجى الاتصال



المكتب العقارى للتقسيط

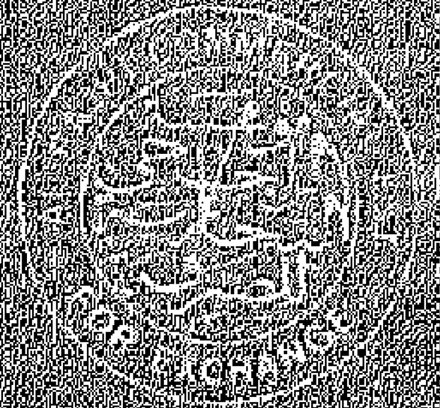
جدة : شارع الستين جوار بلدية جدة الشمالية تليفون ٦٦٠٠٨٥٠ / ٦٦٠٠٨٥٤



خدمة مصرفية عصرية
CITICORP
201 204-760
Fifty Dollars



AL RAJHI COMMERCIAL EST.
FOR EXCHANGE



المنهل

ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

رجب ١٤٠٤هـ - ابريل ١٩٨٤

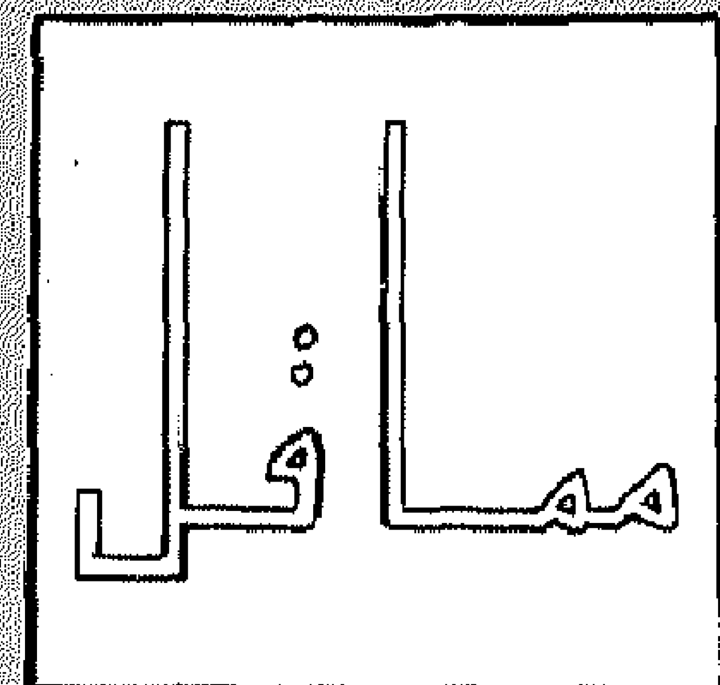
سنة ٥٠ - المجلد ٤٦





المنابع الثرة التي تفيض منها جداول التفكير البشري قاطبة في حقيقة الأمر واحدة ، وهذه المنابع الفياضة هي هذه العواطف المشاعة بين بني الانسان كافة من سرور وحزن وبغض وأمل وهي التي تسيطر على اتجاهاتهم النفسية فتعكس صورها على مرايا ما ينطقون وما يكتبون .. والاختلاف والتمايز في الكتابة والمنطق إنما يجيئنا من بعد ذلك ، فهما ينتجان من طرق التعبير والتصوير ومقدار استيعاب الفكر لما تلتقطه عدسة المخيلة من صور وأشباح وانطباعات .. وفي هذا الميدان يتبارى فرسان الكلام فيتقدم سابق ويتأخر لاحق ، وفي هذا المجال تتعرف بلاغة البليغ وإسفاف المسف ولون كل منهما.

عبد القدوس الأنصاري



١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

A. Monthly Magazine For Literature, Science and Culture.

المجلة السعودية الأم

أسسها : عبد القدوس الأنصاري سنة ١٣٥٥هـ

السنة ٥٠ ـ المجلد ٤٦ ـ رجب ١٤٠٤هـ ـ ابريل ١٩٨٤م

صاحب المنهل / رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الانصاري

ت : ٦٤٢٧٨٣١

مدير الإدارة والتحرير

زهير نبيه الأنصاري

ت : ٦٤٣٩٧٦٥

مراسلونا في الخارج

- القاهرة : د. أحمد الحفناوي
  أديب وباحث
- عمان : روكس بن زائد العزيزي
  محقق وباحث موسوعي
- الرباط : عبد الرحيم بن عبد السلام
  أديب وباحث
- تونس : عز الدين المدني
  ناقد وموجه

مستشار التحرير

عبد الرحمن الطيب الأنصاري

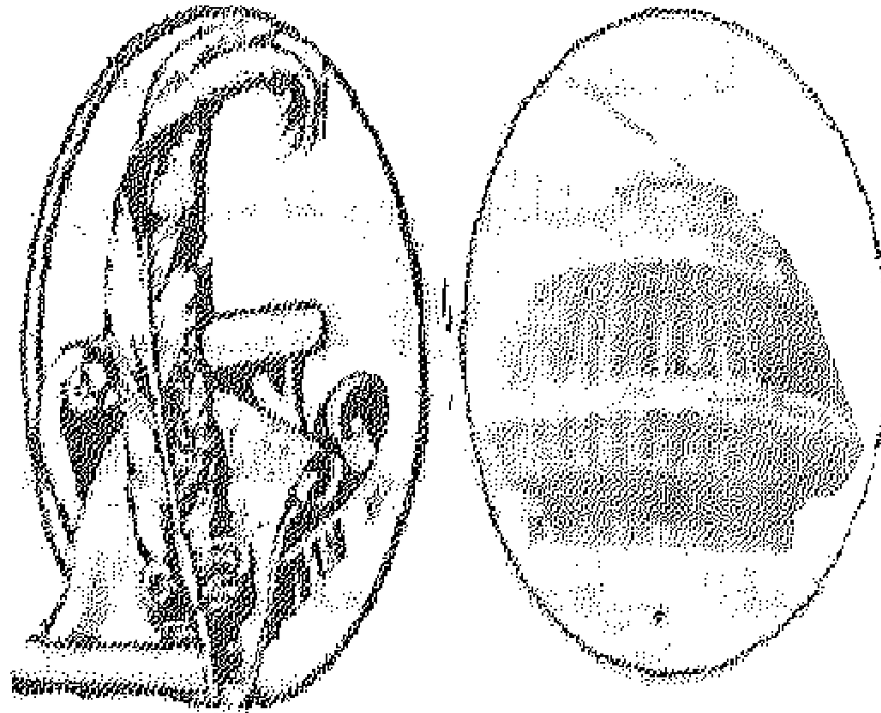
المخرج الفني

فريد أبو سعدة

معلومات إدارية وتحريرية

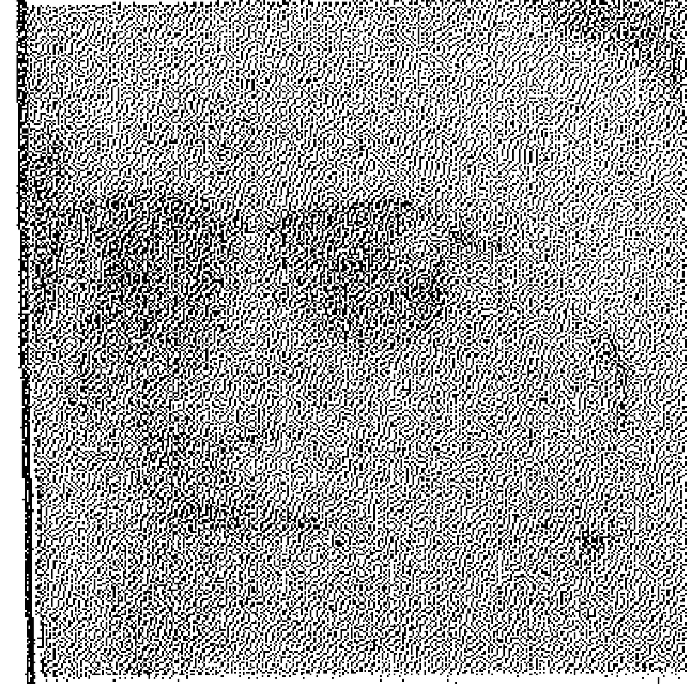
المجلة ٢ شارع رأس تنورة ـ الشرفية ـ ش عرفان سابقاً

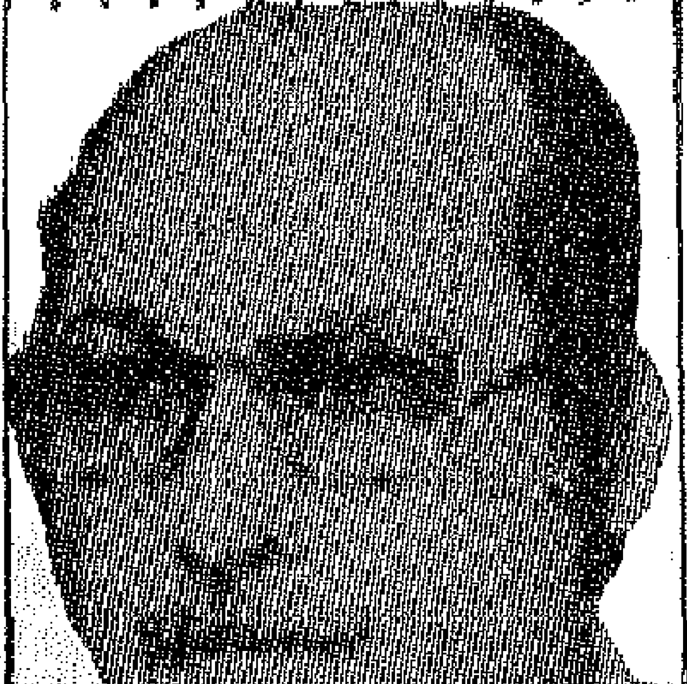
العنوان البرقي : « المنهل » ـ ص.ب : ٢٩٢٥



خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة

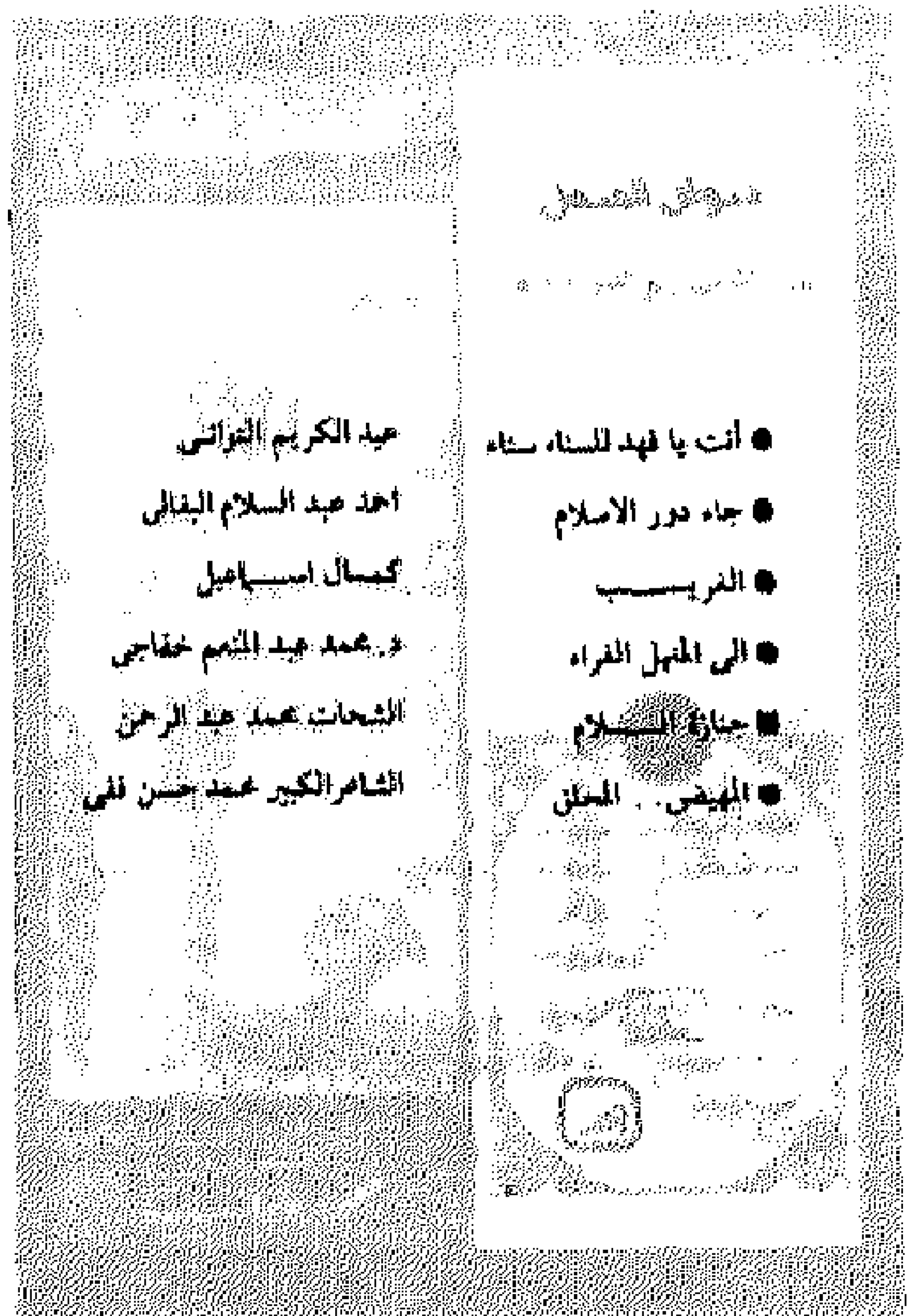
في هذا العدد


الاستاذ حسين عرب

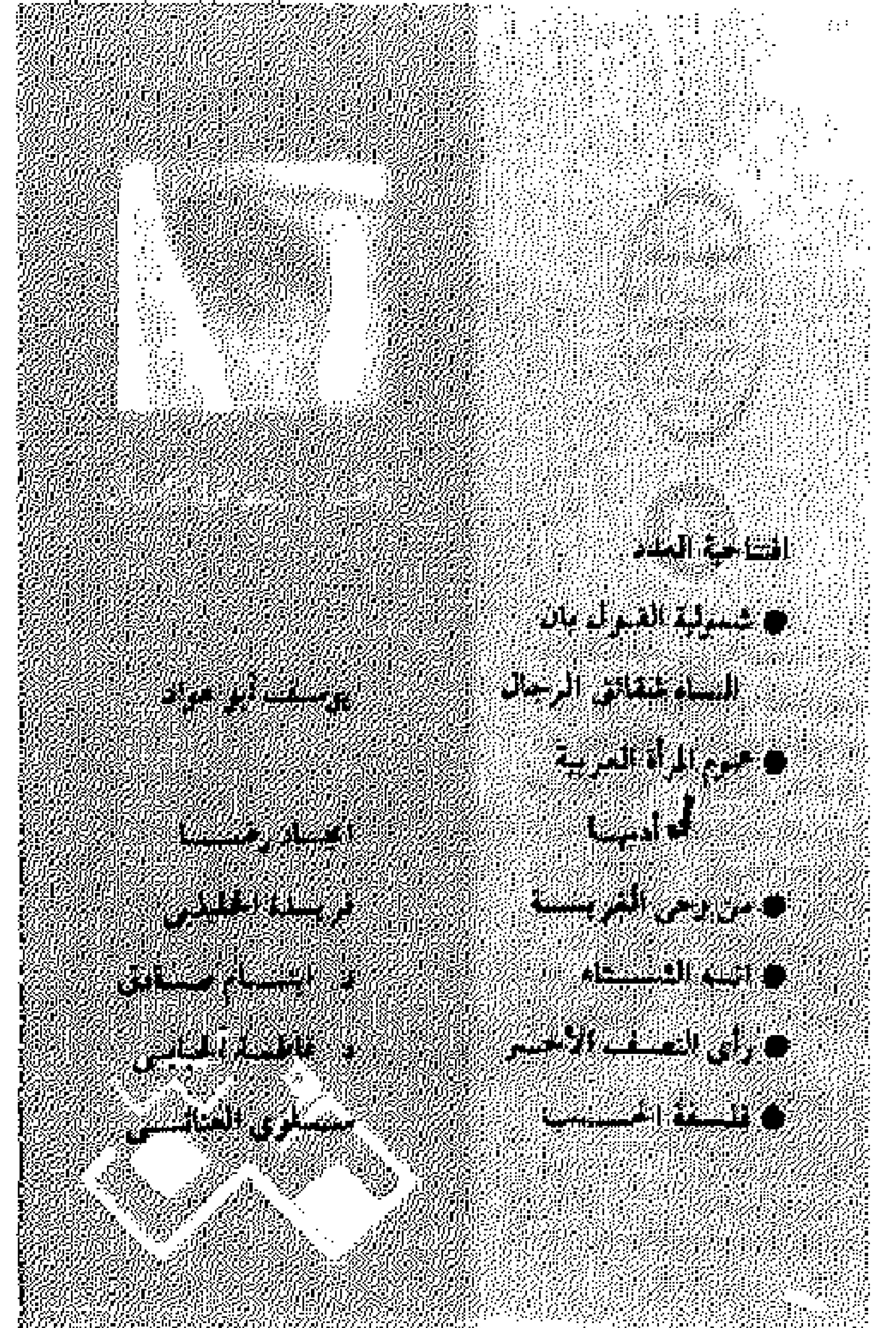

الاستاذ عامر العقاد


الشاعر محمد حسن فقى

في هذا العدد



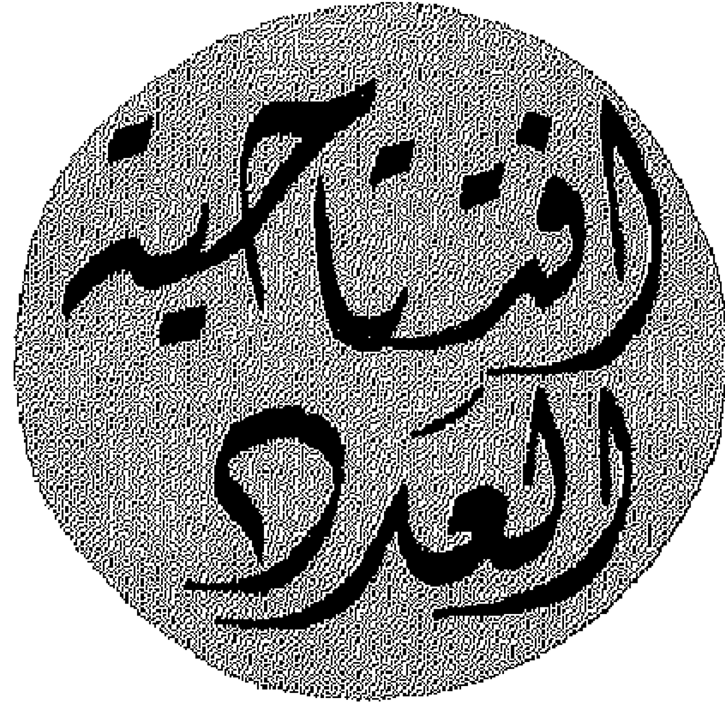





الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله


الدكتور عبد العزيز شرف


الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي



العلاقة بين النثر

ليس هناك شك فى أن النثر هو لغة التخاطب والحديث والكتابة والمراسلات والتعبير اللفظى بجميع أنواعه ومستوياته . فهو الأداة الأولى للتعبير نطقا وكتابة ورمزا .

وقد جاء الشعر بعد ذلك ليرتقى بهذه الوسيلة الى درجة أرقى وأعظم ولكن هذه الدرجة لا يستطيع كل كاتب أن يرقى اليها إلا إذا كان مسلحاً بسلاح الموهبة الطبيعية التى تضيف اليه وسيلة الشعر مع وسيلة الكتابة .

معنى هذا أن النثر ـ والجيِّد منه على الأخص ـ هو منهل لكل الناس يردون اليه ويصدرون عنه .

وان الشعر هو للخاصة ، ولا أعنى الشعراء بهذه الخصوصية ولكن أعنى كل من يتذوق الكلمة ويطرب للنغم وتشنف اذنيه الموسيقى وتسترعيه الخاطرة ويعجبه الوزن وتأسره العبارة الرشيقة والقافية المتألقة .

فالشعر بهذه الصورة هو ترف الخيال وإشراقة الشعور ودسامة اللغه ـ وقسامة اللفظ والتعبير .

ثم هو مع ذلك قدرة ذهنية وشعورية ولغوية قد تستعصى على الكثيرين الذين لم يقدر لهم أن يكونوا شعراء بالمعنى الصحيح للشعر .

وليس الشعر تشريفاً للشعراء بقدر ما هو تكليف لهم ليرتقوا مراقيه الصعبة وليأمنوا العثار فى دروبه أو السقوط فى مهاويه التى لا ترحم الضعيف فى ميدانه والعاجز

بقلم
الأستاذ الكبير
حسين عرب

والشعر

فى حيلته وأسبابه .

ولسنا بهذا فى مجال المفاضلة بين الشعر والنثر فليس هناك مجال للمفاضلة فالنثر وجه والشعر وجه آخر لعملة واحدة هى عملة التصوير والتعبير والتأثير وإنما يفضل أحدهما صاحبه بمستوى جودة اللفظ وبلاغة الأداء وبراعة الايقاع فى أذن السامع أو فى نظر القارىء .

ولكل نوع من النوعين رواده وقصاده وأبطاله وقل من يجمع بين الصناعتين أصالة وإتقانا إلا من جبل نفسه على الدرس والنظر والاستمتاع ثم الامتاع ـ إمتاع القراء والسامعين بما أمتعه الله به من نعمة القول وموسيقى الكلمة وجمال النغمة فاذا أضيف الى كل ذلك حسن الصوت ونبرته فى الأداء والإلقاء فذلك مطلب النابغين .

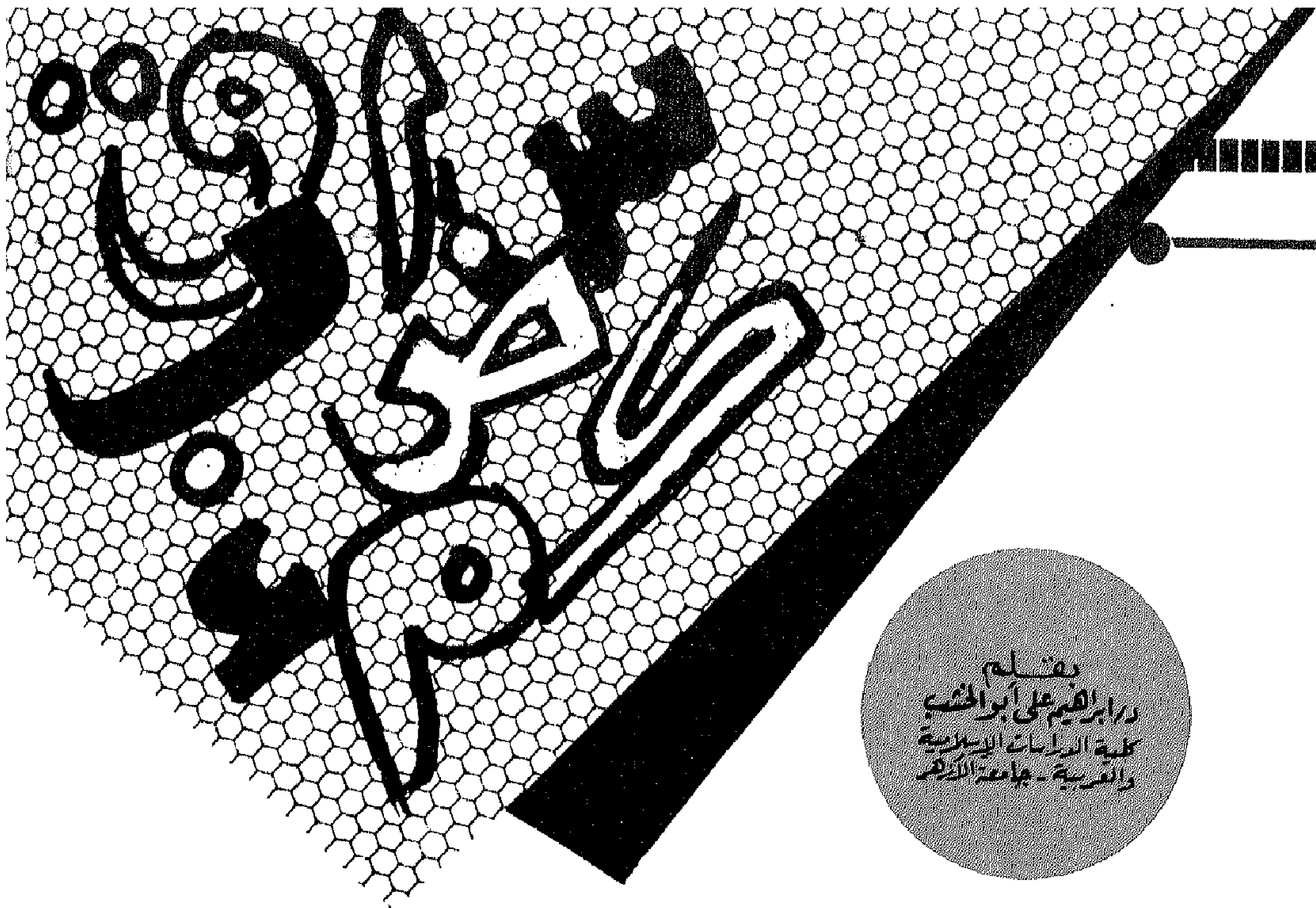
هناك صفة أو حالة عند الموسيقيين، تسمى التوزيع الموسيقى ولها تخصص فى دراسة الموسيقى ومجمل معناها هو إختيار النغم المناسب ونوع الآلة الموسيقية لكل كلمة من الكلمات أو جملة من الجملات أو شطر أو بيت من الشعر يتصوَّر فيها المعنى ويتأدَّى بها النغم .

وإذا كان هذا التوزيع الموسيقى ضرورة غنائية فهو أكثر من ضرورة فى صناعتى الشعر والنثر والأدب .

فإن كل من حذق القراءة والكتابة يستطيع أن يعبر كتابة وقولا عما يشاء كما يشاء ولكن الأديب والشاعر يمتازان عن الكتاب بأنهما يعبران نفس التعبير وبنفس الشعور ولكن بأدوات لفظية ذات جرس خاص يتجمل بها اللفظ ويلتذ لهما السمع، ويحسن المعنى حتى يغدو وكأنه صورة جميلة تراها. فتديم النظر فيها وتلتذ بذلك غاية اللذة حتى لا تريد أن تفارقها .

تلك هى المفارقة الواضحة بين صنعة الكتابة ولغة الأدب والشعر والنثر وصدق القائل :

إن من البيان لسحرا . .
وان من الشعر لحكمة



بقلم
د. إبراهيم على أبو الخشب
كلية الدراسات الإسلامية
والعربية - جامعة الأزهر

العربية

هل كان من المعقول أن يكون الرسول «ﷺ» غير عربى؟ . . سؤال ربما دار بخيال بعض الناس وطلبوا الإجابه عليه . أو حاولوا أن يلتمسوها ممن يمكن أن تتوفر لهم القدرة على الإجابة من هؤلاء الذين يفلسفون الأشياء ويعللون الحقائق ويبررون الأسباب والمسببات . . قد يبدو لأول وهلة تفاهة مثل هذا السؤال وبخاصة عند ذكر الآية الكريمة ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ وهى واضحة فى أن الرسالة ليس من اللازم أن تكون لإنسان بعينه ولا فى مكان بذاته ولا لصاحب كفاية من العلم أو طاقة من الفكر . . وربما كان أدعى لقبولها، أو الإيمان بصاحبها والإذعان له والاستجابة إليه أن يكون مجرَّداً من المؤهلات من الرأى والعقل والألمعية والذكاء والذوق والأدب، لأن ذلك كله ربما كان دليلا واضحا على أنه وهو لا حول له ولا طول سيكون مؤيدا بحول الله وطوله . وأنه كالصورة المتحركة التى يحركها صاحبها كما شاء وكيفما أراد .

وقد صح أنه كان صلى الله عليه وسلم أميًّا لا يقرأ ولا يكتب وأنه لم يكن شاعرا كما كان غيره من العرب الذين يباهون بالقصيد ويفاخرون بأنهم يُصَرِّفون عنان القول ويذللون عصى البيان ونافر البلاغة . . وكان ذلك معنى من عناية الله به وإعداده له ومؤازرته إياه . لأنه لو كان غير أمى لقالوا يكتب عن الأولين وينقل عن السابقين ويتتبع ما كان فى أساطير المتقدمين . . ﴿وما كنت بجانب الغربى إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾ .

وهو سبحانه بهذا النص من الكتاب يدلنا على أن تلك الصلة بينه وبين السماء كانت وحدها هى السبب القوى فى الإيمان به إيماناً لا شك فيه، وبخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أنه لم يكن هنالك تاريخ مكتوب ولا رواية تنقل. وأن المصدر الوحيد لعلم ذلك هو الوحى الإلهى الذى نزل به جبريل الأمين عليه صلى الله عليه وسلم.. وكذلك كانت قضية الشعر.. الذى كان لا يقيم وزنه. ولا يعالج نظمه ولا يلهم قوله ولا يأخذ من اهتمامه القليل ولا الكثير والناس من حوله يحتفلون به ويفاخرون الأنداد والأقران والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغى له﴾ كأن ذلك مما يزرى به، ولا يليق بتلك المهمة الملقاة على عاتقه. والشعر - كما نعلم - يعتمد على الكذب. ويقوم على الخيال.

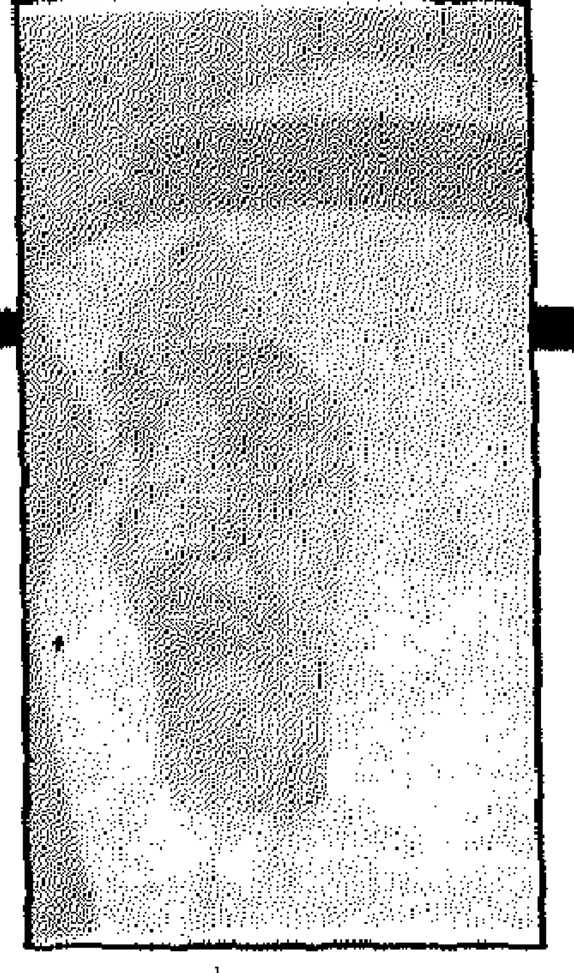
والرّسالة

وقد قالوا فيه «أعذبه أكذبه» وربما كان فيه الهجاء وفاحش القول الذى يزرى بالمروءة وينزل بأقدار الرجال، على أن أهله قد يتكسبون به ويريقون ماء وجوههم لنوال الناس.. وحتى على فرض جريانه فى هذا المضمار - والدعوة تشغله عنه - ربما كان ناقص الشاعرية فى نظر النقاد الذين تكون لهم الكلمة فى الشعر والشعراء.. ومن أجل ذلك كان «وما ينبغى له» وهو هذا الإنسان الذى اصطفاه ربه على الخلق وفضله على العالمين.. على أن الشعر والنثر وسائر فنون القول، إنما جعل لها هذا الاعتبار وأحلها تلك المكانة من الإجلال والاحترام، ما كانت تشتمل عليه من روعة البيان وفصاحة القول وبلاغة المعنى.. وقد كان هو ﴿ﷺ﴾ سيد الناطقينْ بالضاد، لا يسبقه سابق ولا يلحق به لاحق، باعتراف أهل هذه الصناعة من غير استثناء، ولذلك كان يقول عن نفسه «أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش وأرضعت فى بنى سعد» وما علمنا أن أحدا أنكر عليه ذلك أو عارضه فيه.. ونحن لا نشك فى أن الشعر فى هذه الفترة قد أصابه الذهول، وأن بعضاً من الشعراء تركه بعد هذا الذى سمعه من سحر القرآن وروعة الحديث النبوى.

وقد يكون هذا الذى جرينا فيه من القول قد أنسانا السؤال الذى طرحناه بادىء ذى بدء وهو: هل كان من المعقول أن يكون هذا النبى غير عربى. والآية الكريمة ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾.. يقتنع بها المسلم تدينا وإيمانا. لكنه لا يزال بحاجة إلى أن يسأل عن الذى هو يشبه حكمة تشريع الفريضة التى كلفنا الله بها.. إلا أننا من ناحيتنا نسأل هذا السائل. أو نسأل التاريخ. هل كانت العرب وحدها بحاجة إلى هذا الإنقاذ وهى فى هذا الانحدار والتورط والجهل والغى والتردى

أنا أفصح العرب . بيد أنى من قريش وأرضعت فى بنى سعد .
"صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم"

والإسفاف والعداوة والفرقة والفوضى والاضطراب والتخلف والهمجية . . أم ان الفرس والرومان ـ وهما الدولتان الكبيرتان فى هذا الوقت ـ مع ما كان لهما من حضارة وفيهما من نظم وقوانين طفح فيهما الكيل وتجاوز الأمر حده . . ولكن الذى جعل الأولوية للعرب وأراد أن يكون الزمام بأيديهم ، وأن يبتدىء منهم مصدر الإشعاع والنور ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ان العرب ـ على ما كانوا عليه ـ أهل غايات ومثل تؤهلهم لأن يكونوا جنود حق وحماة فضيلة ودعاة إصلاح . . وهم إلى جانب ذلك سلالة نبى ، وفى أرضهم دوت دعوات إبراهيم وإسماعيل وموسى وعيسى وإسحاق ويعقوب وغيرهم ممن عاشوا فوق تلك الأرض ودفنوا هنالك فى ذلك التراب . . ولعله مما يتصل بذلك أن تكون مكة بالذات مهبط الوحى فى أول الأمر ـ أو مركز القيادة ـ ويعللون ذلك بأنها تشبه ما يسمونه قطب الرحى فى هذه الكرة لأنها تتوسط العالم . ومن أجل ذلك سماها القرآن أم القرى ولم يبق بعد هذا إلا أن يكون الرسول واحداً من أهلها . . وقد كان من الممكن أن يكون إنسانا كيفما اتفق . وقد كان هنالك أشخاص كثيرون تؤهلهم مراكزهم الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية . وهذا هو السر فى أن قصار النظر اعترضوا على أن يقع الاختيار على محمد . . وحكت الآية الكريمة ما كانوا يرددونه «لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» وقد كان الرد الحاسم هو قوله جل جلاله ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ وان كان محمد صلى الله عليه وسلم فيه من بياض الصحيفة وطهارة السريرة ونقاء العرض وغير ذلك من المزايا والخلال ما يؤهله للسيادة والريادة . . وكأنما يبقى بعد ذلك كله سؤال يلح على الخاطر إلحاحاً عنيفا : وهو لماذا قدر لكتابه هذا الخلود؟ . ألأن دعوته قائمة إلى يوم الدين؟ . وهو الديدبان الذى يحرسها . والصوت الذى يعلنها . . أم ان تلك الحصانة التى أودعها الله فيه هى التى صانته من العبث؟ . وحفظته من الضياع؟ . وهذه الرسالة الباقية الخالدة إنما يرعى بقاءها ويصون دوامها ويؤكد خلودها . . هذا الكتاب الذى كانت له هذه المزايا وتلك الخصائص . . ومن العجيب أنها مزايا وخصائص لم يضمنها له حد السيف ولا صلف الحكم ولا رهبة السلطان ولا سواد الجيش ولا كثرة الدبابات . ولا الصواريخ الموجهة . وانما كانت من تلك المناعة التى أودعها الله فيه . والتى كان من أثرها أن خصومه اعترضوه فخابوا وقاوموه فغلبوا وحاربوه فهزموا ونأوا عنه فذلوا وعادوا بعد ذلك بذلة العاجز وهوان الكاذب وخزى المتهم وفضيحة اللص وهزال المريض . . وظل هو ـ هكذا ـ له صولة الحق وصيحة الصدق وسلطان العدالة وجبروت القانون ورهبة الحاكم وهدير المحيط وأريج العطر ورى الماء وطلعة المحب ينازع الدهر خلوده والقدر صموده ﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾



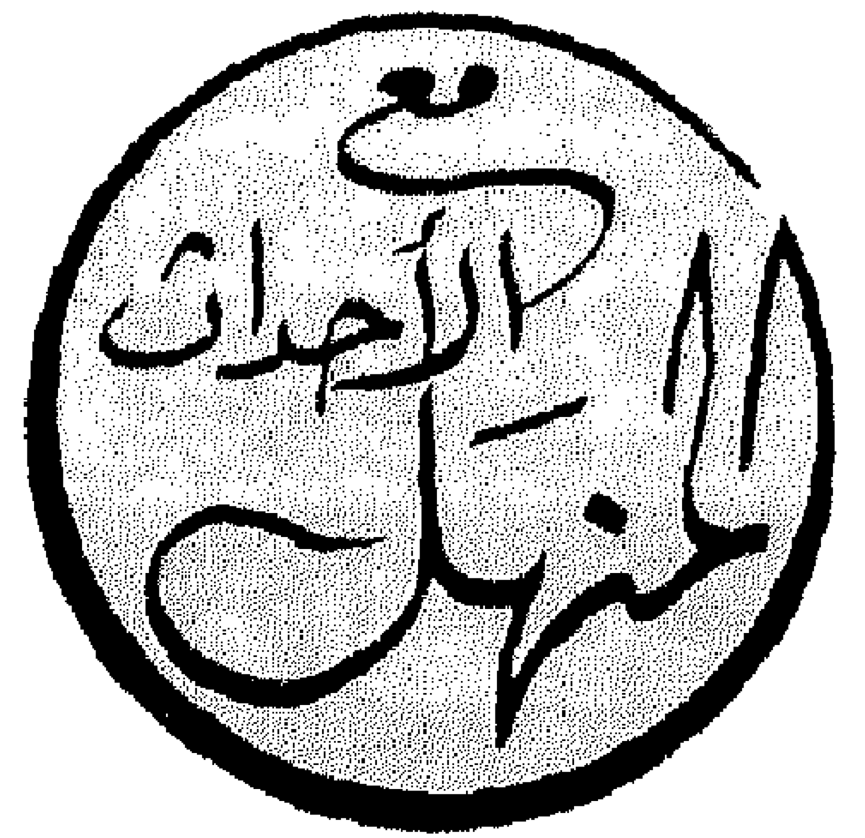
الأمير عبد الله الفيصل

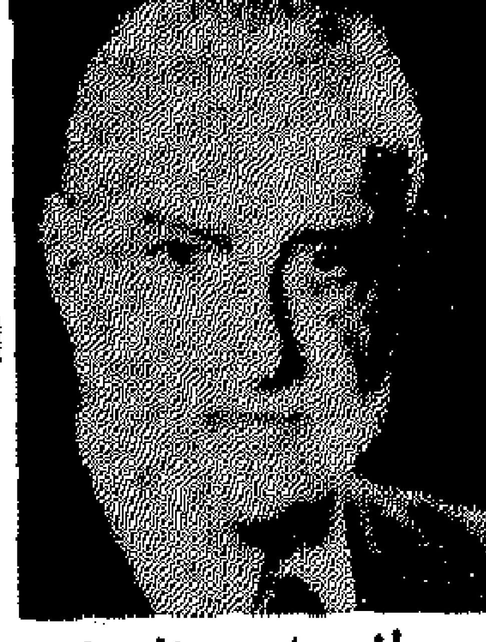


الامير خالد الفيصل



● ولقد شرف الحفل جلالة الملك حيث وزعت الجوائز على الفائزين





مصطفى احمد الزرقاء



محمود محمد شاكر



د . جون س . فورتران



د . وليام جرينوف

جائزة الملك فيصل العالمية

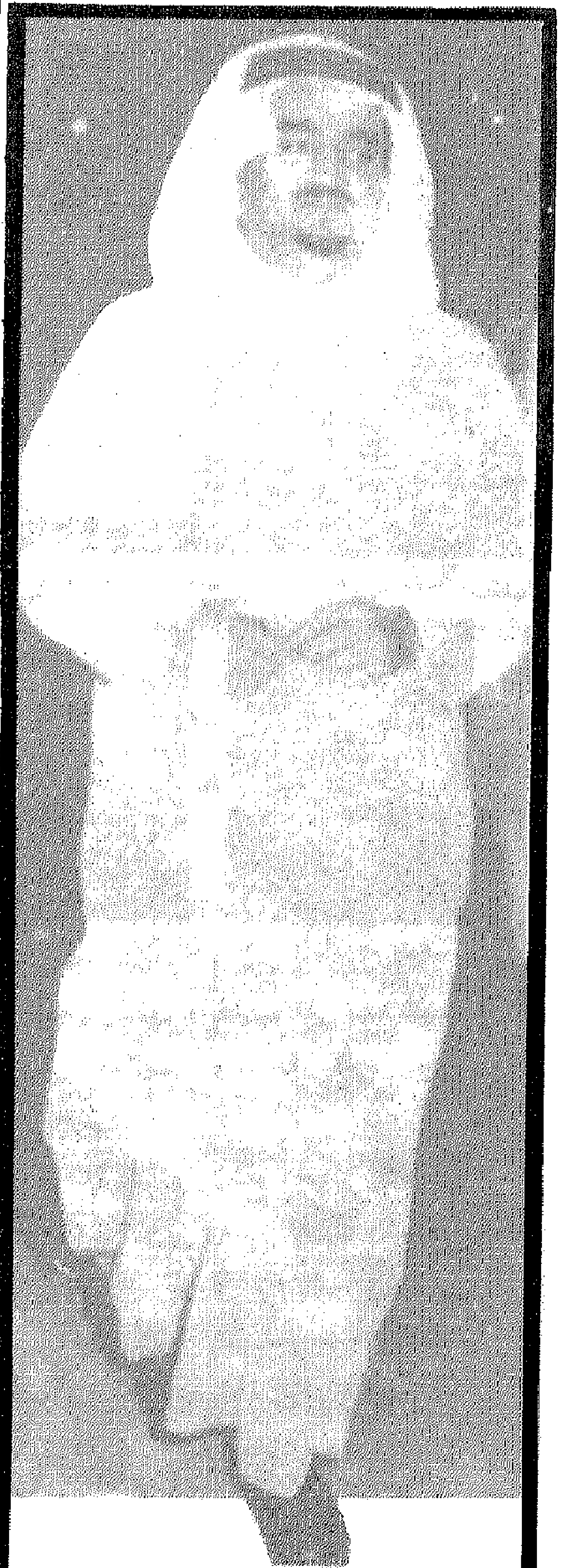
● فى غرة الشهر المنصرم (جمادى الآخرة) احتفلت مؤسسة الملك فيصل الخيرية بالرياض بتوزيع الجوائز التقديرية للفائزين بها فى مجالات خدمة الاسلام والمسلمين والدراسات الاسلامية واللغة العربية وآدابها والعلوم والبحوث الطبية .

● ولقد شرف الحفل جلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز حيث وزعت الجوائز على الفائزين وحضر الحفل جمع من العلماء والمفكرين والأدباء والباحثين من كثير من دول العالم لما لهذا الحفل من قيم وأهداف وغايات تسعى مؤسسة الملك فيصل الخيرية لتحقيقها وهذه المؤسسة ـ كما يقول مدير عام المؤسسة ورئيس هيئة الجائزة صاحب السمو الملكى الأمير خالد الفيصل ـ قامت لتشارك فى تصحيح المسار الخاطىء للبر فى الوقت الحاضر وتجعله فى مستوى التحديات . . وقد وضع لها لهذا الغرض رأسمال ثابت يزيد عن البليون ريال سعودي الى جانب ما يتوصل اليه مالاً عن طريق التبرعات والاحتياطات . . ويتم استثمار هذه الاموال ويصرف من ربحها على أوجه الخير المختلفة الخادمه لصالح المسلمين فى الداخل والخارج .

● وكان فى مقدمة الفائزين بالجائزة جلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز الذى رشحته اللجنة المختصة للفوز بالجائزة المخصصة لخدمة الاسلام والمسلمين وذلك لما قام ويقوم به جلالته من اعمال رفيعة وجليلة فى خدمة الدين ورعاية المسلمين والسهر والحدب على مصالحهم وحقن دمائهم وإشاعة الود بين مجتمعاتهم . .

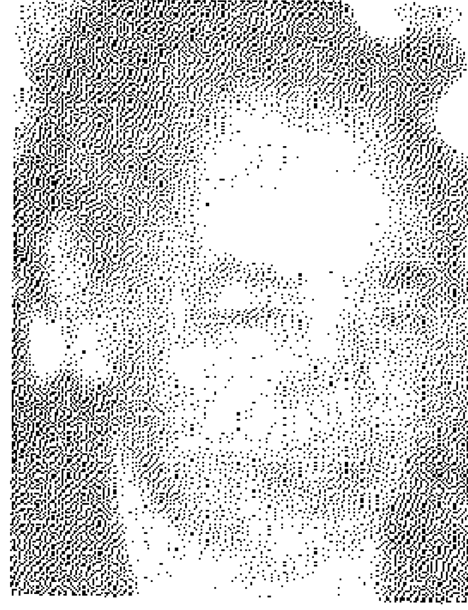
● ثم تلا ذلك توزيع الجوائز الأخرى على الفائزين وهم : فضيلة الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء لاسهامه المتميز فى مجال الدراسات الفقهية المتمثلة فى كتابه (المدخل الى نظرية الالتزام فى الفقه الاسلامى) . . وفاز بجائزة الأدب العربى الاستاذ محمود محمد شاكر الذى أسهم فى مجال دراسات الأدب العربى القديم والحديث وألف كتاب المتنبى عام ١٩٣٦م . أما جائزة الطب فقد قسمت الى نصفين حصل على الأول الدكتور جون فورد تران أمريكى وعرف بمساهماته فى مكافحة أمراض الاسهال والنصف الآخر حصل عليه الدكتور وليم جرينوف والدكتور مايكل فيلد من الولايات المتحدة.

ومن أبرز ما تناوله الحفل كلمة جلالة مولانا الملك المفدى الضافية الوافية .



خطوات الواثق
المؤمن بربه
نحو ترقية الخير ومشاريعه
المعطاءة التى تشاد لبنات
فوق لبنات تشهدها المنطقة
الشرقية بحضور خادم
ومتميز تعاقبت فيه
فتوحات «الجيل» الصانع

فى مناسبة ذكرى توليه العرش جلالة الملك الحسن الثانى يعفى المحاصيل الزراعية من الضرائب



اعلن الملك الحسن الثانى عاهل المغرب ان حكومته قررت اعفاء المحاصيل الزراعية فى المغرب من كل الضرائب اعتبارا من هذا العام وحتى عام الفين..

ففى كلمة القاها بمناسبة الذكرى الثالثة والعشرين لتوليه العرش اعلن عاهل المغرب ان هذا الاجراء قد اتخذ بهدف تخفيف العبء على سكان القرى ودعم قطاع الزراعة.

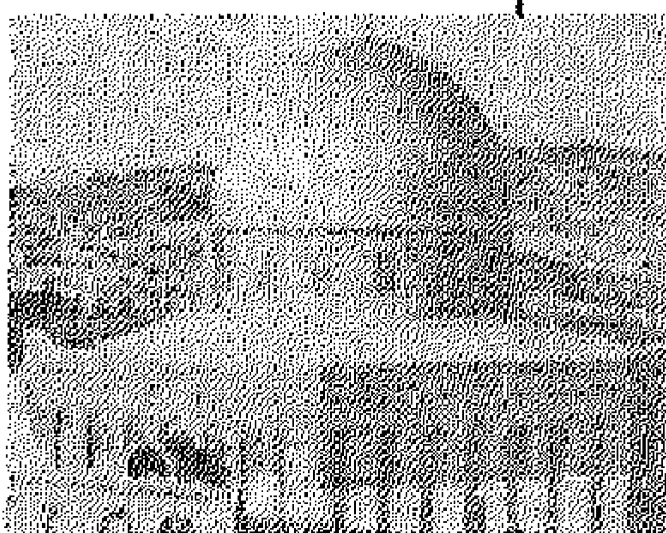
واضاف عاهل المغرب ان يكون الشعب المغربى حذرا فى خياراته الخاصة بالافكار والتيارات الفكرية والثقافية.

واكد الملك الحسن الثانى ان اصالة الشعب المغربى الثقافية والحضارية تجد اساسها فى القرآن الكريم وسنة الرسول «ﷺ»

بمناسبة تخريج دفعتين من معهد الدراسات الفنية بالظهران على شرف جلالة الملك المفدى :

ثبتت كفاءة الشباب السعودى فى التعامل مع الآلات الفنية الدقيقة

الأردن يقرر زيادة حراس المسجد الأقصى



علم من مصدر موثوق به فى عمان ان مجلس الاوقاف الدينية الاردنى قرر زيادة عدد الاشخاص المكلفين بحماية المسجد الاقصى فى القدس من ١٣٠ شخصا الى ٢٠٠ شخص.



المملكة ستكون الدولة المسيطرة على انتاج وتسويق الاثيلين عالمياً

الاثيلين المنتج في «سابك» له تأثير كبير على الأسواق العالمية والعائدات تشكل ما نسبته ٦٪ الى ١٣٪ في المستقبل.

جاء في مجلة التحليلات العالمية للمواد البتروكيماوية الصادرة بلندن ان المملكة سوف تقوم بانتاج البولي اثيلين منخفض الكثافة المصنع بطريقة الضغط المنخفض والذي يعني أن على المنتجين المحليين لشرائح البولي اثيلين ان ينتقلوا لتصنيع البولي اثيلين منخفض الكثافة المصنع بطريقة الضغط المنخفض.

وتوقعت المجلة أن تكون المملكة هي المصدر المسيطر لمشتقات الاثيلين وخاصة البولي اثيلين.

كما يتوقع أن تكون المملكة في مقدمة مصدري الميثانول في الشرق الأوسط يليها الجزائر وقطر في تصدير الامونيا.

الجائزة الدولية لمسابقة القرآن الكريم

في رحاب القرآن الكريم وفي أحضان مكة المكرمة، وفي غرة جمادى الآخرة.. افتتح سمو الأمير ماجد بن عبد العزيز نيابة عن جلالة الملك فهد بن عبد العزيز حفل المسابقة العالمية السادسة للقرآن الكريم التي تعد لها وزارة الحج والاوقاف.. ووصل عدد المتسابقين لهذا العام ١٤٠٤هـ (١٤٨) متسابقاً يمثلون جميع أنحاء العالم وذلك بهدف حفظ وتجويد القرآن الكريم.

وتتجه النية الى اقامة مسابقة للبحوث القرآنية يؤدي الفائز فيها فريضة الحج.



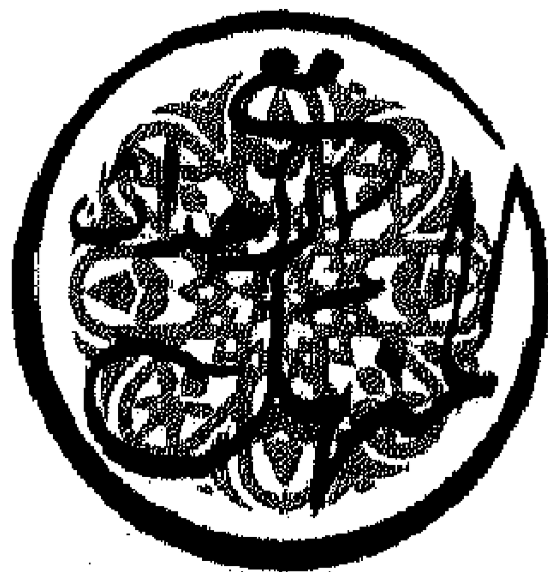
خبير سعودي يتوصل إلى مادة كيمائية جديدة.

استطاع خبير سعودي بكلية العلوم بجامعة الملك سعود بالرياض من التوصل الى مادة كيميائية جديدة اثبتت الدراسات الميدانية التي اجريت عليها فعاليتها في ايقاف التصاق وتراكم الكائنات البحرية على سطوح السفن واجزائها المغمورة في الماء.

وذكر صاحب البحث الدكتور سالم الذياب انه من الممكن ان تستخدم هذه المادة الكيميائية في حماية اجزاء السفن المغمورة في الماء بفعالية تامة نظرا لما يمتاز به هذا المركب من مميزات هامة كقوة احتماله ومقاومته للتفكك السريع مما يجعله مادة مضادة للتلوث لمدة اطول.

تفجير حصوة المثانة

نقل عن وكالة انباء الصين الجديدة ان الاطباء الصينيين تمكنوا من تطوير طريقة جديدة تستطيع تفجير حصوة المثانة داخل جسم الانسان دون اذى.



واوضح المصدر نفسه ان مجلس الاوقاف الدينية الذي يرأسه عبده داود وزير الشؤون الدينية الاردني قد اتخذ هذا القرار عقب تفاقم المخاطر التي تهدد هذا المكان المقدس.

ويذكر في هذا الصدد ان المسجد الاقصى تعرض خلال الشهور الاخيرة لعدة محاولات اعتداء.



صورة تحكي الأحداث في أضخم افتتاح لدورة خليجية

▪ أضواء على صرح طبي كبير. يستحق وقفة هادئة :

• مستشفى الملك خالد الجامعي بالرياض يتسع لـ ٨٧٠ سريراً

• العيادات الخارجية صممت لاستقبال ٣ آلاف مريض يومياً.. وتستقبل حالياً ألف شخص في المتوسط

ثقة ملكية كريمة



● ترأس جلالة الملك المفدّى بجلسة العاشر من شهر جمادي الاخرة عام ١٤٠٤هـ جلسة مجلس الوزراء . . هذه الجلسة الخيِّرة الفاعلة كعادتنا بها وبامثالها والتى تناولت توجيهات جلالته لمزيد من الرخاء للوطن والمواطنين . .

●● وبتوجيه من جلالته اوجز معالى وزير الاعلام ابرز ما تناقلته الانباء من آخر التطورات والمستجدات الراهنة على صعيد المنطقة .

●● *وبناء على ما عرضه صاحب السمو الملكى الامير سعود الفيصل وزير الخارجية وافق المجلس على ترقية ثمانية موظفين من منسوبى الوزارة من وظيفة وزير مفوض بالمرتبة الرابعة عشرة الى وظيفة سفير بالمرتبة الخامسة عشرة وهم السادة محمد عبد القادر علاقى ومحمد محمد حسن فقى واحمد محمد مؤمنة وجعفر مصطفى اللقانى وصالح عبد العزيز السابق وعلى محمد القفيدى وعبد العزيز عبد الله المبارك ومحمد حامد مرزوقى .*

ووافق المجلس على طلب صاحب السمو الملكى الامير سعود الفيصل بترقية اربعة عشر موظفا من منسوبى وزارة الخارجية من وظيفة وزير مفوض ـ ب ـ بالمرتبة الثانية عشرة الى وظيفة وزير مفوض ـ أ ـ بالمرتبة الرابعة عشرة .

و «المنهل» يجزى لهذا النفر من رجالاتنا الدبلوماسيين العظماء عاطر تهنئتنا الخاصة بهذه الثقة الملكية المباركة التى صادفت مكانها وارتبطت بزمانها .

بئر جديد للبترول في باكستان

اعلن عن اكتشاف بئر بترولى جديد تبلغ طاقته الانتاجية ١٦٠٠ برميلا يوميا تقريبا فى منطقة دوهرنال التي تقع على بعد خمسين ميلا جنوبى مدينة روالبندى .

وذكر بان انتاج الباكستان من البترول يبلغ ١٣ الف برميل فى اليوم وسوف يصل اعتبارا من شهر مارس الحالى الى ١٦ ألف برميل يوميا عندما يبدأ بئر لاغارى البترولى الواقع فى اقليم السند فى الانتاج الكامل .

بقلم أحمد بن محمد طاحون

حضارة أهل القرآن

كأنما بعث العرب من جديد

بدأت الحياة تدب فى جسم الإنسانية الخامد الهامد فى القرن السابع من ميلاد المسيح عليه السلام منذ أن صَدَع النبىُّ محمد صلى الله عليه وسلم بأمر ربه ونادى فى الناس بكلمات الوحى: ﴿**اقرأ باسم ربّك الذى خلق. خلق الإنسان من عَلَق. إقرأ وربُّك الأكرم. الَّذى عَلَّم بالقلم. علَّم الإنسان ما لم يعلم**﴾ - ﴿**ن. والقلم وما يَسْطُرون. ما أنت بنعمة ربِّك. بمجنون**﴾ - ﴿**الرحمنُ. علَّم القرآن. خَلَق الإنسان. عَلَّمه البيان**﴾ - ﴿**ولقد كرَّمنا بنى آدم..**﴾.

وغير ذلك من الآيات البينات التى تنبه القلب وتوقظ العقل، وتنير السبيل أمام الإنسان الذى عاش فى ظلماتٍ بعضها فوق بعض: ظلمةِ الجهل بمكانة الإنسان من الوجود الذى حوله.. وظلمة الجهل بحقوق الربِّ.. وظلمة الإنكار لوجود الرب.. وظلمة الشركِ واتخاذِ الوسطاء بين العبد والرب.. وظلمة تسلّط القوىِّ على الضعيف.. وظلمة حرمان الضعيف من حقوقه.. وأولى هذه الحقوق حقّ الإخاء والمساواة فى الحقوق والواجبات أمام القضاء.. وظلمة الحروب التى تثور بغير سبب أو بسبب تافه.

كان ظهور الإسلامِ فى هذه الفترة بمثابة العُصارة الحَّية التى مُدَّتْ بها شجرة كادت أن تموت فعادت إليها الحياة.. أو قُلْ كان ظهور

الإسلام بمثابة بعث جديد لأمة العرب، وحياة جديدة للناس فى كل مكان إذ كان أول إعلام عالمى يبشر بحياة فيها أخوة وفيها تعاون، وفيها تعاطف، وفيها مساواة، وفيها تواضع:

﴿ياأَيُّها النَّاسُ إنا خلقناكم مِّن ذَكَر وأُنْثَى وجَعَلْنَاكُم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله أتقاكم . . ﴾

عالمية الإسلام

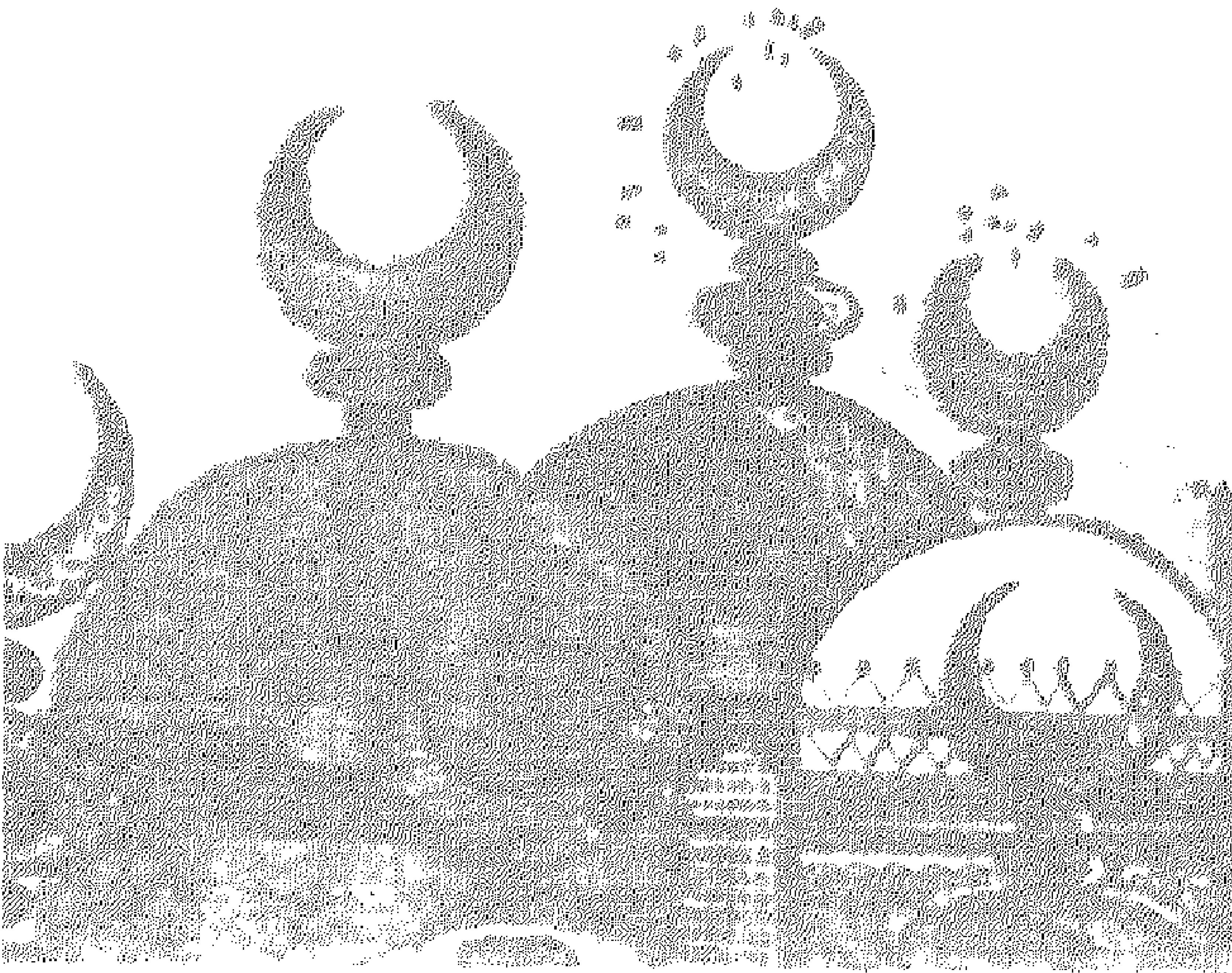
والخطاب للناس من كل لون وجنس ودين ولسان، ويذكِّرهم القرآن بأنهم إخوة لأب وأمٍ هما آدم وحواء . . ثم شاءت إرادة الله وحكمتهُ أن يتوزَّع بنو آدم على سطح الأرض لعمارتها . . وأن يكونوا قبائل وشعوبا يَرْجِعُون جميعاً إلى أصلٍ واحدٍ بيَّنه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم للناس حين أعلن: **أن الناس سواسية كأسنان المشط كلهم لآدمَ وآدمُ من تراب لا فضل لعربىّ على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح .**

فالناس فى الدنيا أمام الحق والعدل سواء وفى ظلّ دولة الإسلام يعيش الجميع آمنين على حقوقهم . . والتفاضلُ أمام الله بتقوى القلوب والعمل الصالح .

أقوى رابطة عالمية وانفعها للناس جميعًا

وقد حقق الإسلام بفضل أحكامه العادلة وشريعته الهادية أقوى رابطة عالمية بين بني الإنسان، التقى فى رحابها الكريمة العربىٌّ والفارسىّ والرومىّ والهندىّ والصينى، أو

«كونوا علماء صالحين، فإن لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء، واسمعوا علماً يدلكم على الهدى ويردكم عن الردى، أى الهلاك والضلال» «إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع» «صدق رسول الله»



بعبارة أخرى امتزج فيها العنصر الآسيوىُّ والأفريقىُّ والأوربىُّ . . وكان من هذا المزج فى مَجْرىً فكرى يستمدّ حياته ومقوماته من ينبوع الوحى الإلهى ومن قيم الحياة الفاضلة التى أقامها الإسلام . . كان من هذا المزج أعظم ثراء فكرىّ وأدبىّ عرفه تاريخ الإنسان . . وأثبت هذا الثراء الفكرى عظمة الإسلام . . كما أثبت ثراء اللغة العربية وحيويتها ونضجَها وقدرتَها على حَمْل أعباء أعظم الحضارات، وعلى التعبير عن حقائق الكون والحياة تعبيراً حيا قويا مرناً منضبطاً غاية الانضباط فى إيصال الحقائق الكونية

والصور التعبيرية بجلاء ودقة ووضوح وفى التعبير عن أدق المسائل العلمية والفكرية .

لولا الإسلام ما ظهر هؤلاء وأمثالهم

وكسبت لغة القرآن الكريم للفكر الإنسانى عناصر غير عربية لولا الإسلام ما كان لها هذا الدور العظيم فى إثراء الفكر الإنسانى هذا الإثراء العظيم الذى شهد له كلُّ الباحثين من كل دين، وعلى سبيل المثال لا الحصْر. . أيُنكر أحد فضل أمثال: الخوارزميّ، والرازيّ، وابن سينا، وسيبويه، والبخاريّ، والترمذيّ، ومسلم وعشرات من العلماء والفقهاء والمحدّثين والمفكّرين والرواد على مدى الأجيال منذ انتشار الإسلام.

أسس الحضارة ونموها

إن أسس الحضارة الإسلامية وضوابطها وملامحها وُضِعَت فى القرن السابع الميلادى، وامتد رواقها إلى مساحات كبيرة من الأرض فى الشرق والغرب، وازدهرت أيما ازدهار فى القرن الثامن من الميلاد، وظل هذا الازدهار ينمو ويعطى أعظم الثمار ويقدم للإنسانية أروع وأجمل وأثرى عطاء نافع إلى القرن الثالث عشر من الميلاد حيث كانت قرون التجديد والابتكار والتأليف والتصنيف والاجتهاد والاستنباط والنقل عن الأمم الأخرى. ثم تمحيص ما يُنْقَل وتنقيته من الزيف والزيغ والانحراف ليكون زاداً نافعاً بمقاييس الإسلام وموازينه. . وحين نقلت أوربا مثلا الفلسفة والعلوم اليونانية عن العرب إنما نقلت علوماً طوّرها الفكر الإسلامى ونقحها حتى أخذت طابعاً إسلامياً وروحاً جديدة مع إضافات وتعليقات، وهذا أمر يشهد له الباحثون فى كل مكان.

وكان هذا الزاد الفكريّ والعلمى والأدبى هو الأساس الذى شيدت عليه المدنية الأوربية الحديثة.

ومنذ القرن الثالث عشر من الميلاد اتجه هذا المد الفكرى والحضارى نحو الانكماش من ناحية. . ونحو مراجعة ما ألفه السابقون أو شرحه والتعليق عليه من ناحية ثانية، وجمع وتدوين ما فقده المسلمون فى أثناء الغارات الهمجية كغارات المغول من ناحية ثالثة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. . وظهر مبتكرون وباحثون جادون وعلماء عظماء فى هذه الفترات التى تعد فترات ضعف وانحدار على حد تعبير مؤرخى الحياة الأدبية والفكرية، لأن هذه الفترات لم تخلُ من فطاحل أمثال ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما من أصحاب الباع الطويل فى الفكر الناضج المستقيم الذى قدم زاداً دسماً لفظاً ومعنى وغايةً وعُمقا فى محاولة للبحث عن الذات الأصيلة فى خضم الظلمات، وكان لهذا الزاد أثره فى عصرنا الحاضر. . ثم ضعُف المسلمون ودخلت حضارتهم طور انطواء وانزواء فترةً من الزمن فما أسباب ذلك؟

لماذا انحسر مدّ الفكر العلمى والحضارى للمسلمين بعد أن كانوا الرواد فى كل المجالات النافعة والخيرة؟

سؤال لعلنا نجد من يروينا بالاجابة عليه على صفحات مجلتنا الغراء «المنهل» واضعاً النقط على الحروف.

الاقتصاد

بين النظرية

التعاون أصل من أصول الدين

قال الله تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾ وقال: ﴿**وتزودوا فإن خير الزاد التقوى**﴾. ومثل هاتين الآيتين كثير، وضع فيها التعاون الى جانب التقوى، فما يقصد بالتقوى؟ هل هي القيام بالعبادات وحسب؟ كلا حتماً. لقد أعطى الله تعالى المتقين ـ وهم الذين يمارسون التقوى ـ ثلاث صفات في مفتتح سورة البقرة فقال:

١ ـ **الذين يؤمنون بالغيب.**

٢ ـ **ويقيمون الصلاة.**

٣ ـ **ومما رزقناهم ينفقون.**

وردد ذكر الانفاق مصاحباً للايمان في عدد آخر من الآيات.. وهو ضرورة مشاركة الفقراء والمعوزين في مال الموسرين والمترفين: هكذا نرى أن هذا النوع من الانفاق أصل من أصول التقوى، وهو وجه

طلبت الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي من الأستاذ الدكتور ممدوح حقي كتابة بحث حول الاقتصاد الإسلامي ... فكتب هذا البحث الطليعي القيم الذي أجزنا نشره بخصوصية مقيدة.

«مراسلنا»

بقلم
د. ممدوح حقي

الإسلامي والتطبيق

تعاوني اجتماعي، ويتضمن هذا التعاون تبادل المنافع وأي منفعة أعظم من الاطعام؟ فبالطعام تتغذى الاجساد لتقوى النفوس على تحمل العبادات، والعقول على البحث والتفكير. وقديما قيل «العقل السليم في الجسم السليم» والجسم الذي لا يتناول كفايته من الحراريات (كالورى) لا يمكن أن يكون سليماً، انه جسم ناقص عاجز عن اعطاء العقل وقوده الكافي للتفكير. وبهذا السبب لم يبرز من الشعوب الجائعة مفكرون ولا فلاسفة ولا علماء بالقدر الذي تنتجه الشعوب الشبعى.

ونحن ـ المسلمين ـ الذين نعد أكثر من خمس مئة مليون نسمة، يسلك العلماء المتخصصون أكثر من نصفنا في جملة الشعوب الجائعة. وهو أمر مؤسف محزن. وتنظيم شئون التغذية فيما بين هذه الشعوب واجب انساني واجتماعي تمليه الحاجة الملحة في هذا العصر الذى جفت فيه ضمائر الدول العظمى فلا تنبض بعاطفة حنان ولا رحمة.. كما هو واجب ديني كذلك.

رقعة البلاد الإسلامية . .

ظهـر أول مصـوّر جغـرافي خاص بالبـلاد الاسـلاميـة بُعَيْـد الحرب العالمية الثانية . . نشر في أمـريكـا ملونـاً ومكتـوبـاً باللغـة الانكليـزية وفيه احصاءات عن البلاد التي يقطنها مسلمون ونسبتهم الى مجمـوع سكـان البلاد اذا شاركهم فيها غيرهم وكانوا أقلية أو اكثرية . . ظهر هذا المصور في الوقت الـذي كنت أتمنى ويتمنى سواي من مفكري العالم الاسلامي بوضعه لنعرف أين نحن من هذا الكون ، ونقيس أنفسنا عليه ونقدر كيف ننطلق في زحمة هذه الحضـارة فسبقتنـا اليـه دولـة غير اسـلاميـة مع الأسف . . وعـرفت بعـد سنين أن الذي قام على خدمته وطبعه ونشره ادارة المخابرات في تلك الدولة لغـرض سياسي واستعماري مستعينة ببعض أساتيذ الجـامعـات هنـاك وليس فيهم مسلم واحد ولذلك ظهـرت فيـه بعض الاخطـاء بأسـماء الأمكنـة والأشخاص. انما المهم فيه أنه حدد كثيراً جداً من البلاد التي يقطنها مسلمون بنسب معينة بعضها أقلية وبعضها اكثرية وكنا نجهل ذلك قبله . . ثم ترجمته إحدى دور النشر في مصر وأبرزته على علاّته بحسن نية منها خدمة للثقافة الاسلامية . . وتمنيت لو تقوم إحدى الجامعات الإسلامية بنشر مصوَّر على غراره أكثر دقة وأقوم صحة فقد تغيرت الاحصاءات التي فيه بتغير الاحوال الدولية العامة ، وإن ربع قرن من الزمان كان كافياً لتبدلها في أشكالها ونسبها العامة . . على أن نظرة سطحية عابرة إلى هذا المصور كافية لتعطيـك صورة واضحـة عن امتـداد رقعـة العـالم الاسلامي على وجه البسيطة امتداداً واسعاً جداً من أقصى شرقي آسيـا مروراً بالفليبين واندونيسيا إلى أقصى غرب افـريقيـا عنـد المغـرب ومـوريتـانيـا والسنغال . . ومن أواسط آسيا في التركستان الروسية والقفقاس وإيران وتركيا إلى أواسط افريقيا جنوبي خط الاستواء وما بعد السودان والصومال وتنزانيا .

هل فكر المسلمون بالتعاون . .

يسكن هذه الرقعة الهائلة الفسيحة من الأرض شعـوب يجمعهـا الايـمان بالله وحـده وبمحمد نبيه وبالاسلام دينه . . وتفاهمت تفاهماً روحيا يبدو بارزاً جداً أيام الحج إلى بيت الله المكرم . . غير أن التعاون الدنيوي الاقتصادي بينها يكاد يكون مفقودا . . ومع أن الحج فرصة ماثلة في كل عام لعقد مؤتمر اسلامي يتـدارس المسلمـون آمـالهم وأمـانيهم وآلامهم ومصائبهم لكنهم قد لا يفعلون . . إنهم يكتفون من الحج بتنفيذ الشعائر الدينية يطوفون ويسعون ويقفون على عرفـات ويلبسون ويقدمون الأضاحي في منى ويعـودون إلى بلادهم مضيفـين إلى أسمائهم لقب «الحاج» يتفاخرون به تفاخراً كأنهم جاءوا بشيء عجيب .

عقبات في سبيل التواصل :
العقبة الأولى :

بعض هذه الشعـوب المسلمـة تامة متكاملة في أوطـانهـا يشكـل المسلمـون فيهـا العـدد المئـوي الصـافي . . منهم مئة في المئـة مسلمـون كالمملكـة العربية السعودية وإمارات الخليج العربي والصومال وبـاكستان وموريتانيا . . وبعضها يشكل المسلمون فيهـا الأكثـرية الساحقة ، منهم في المغرب الأقصى ٩٩٪ وكـذلك الحال فى الجزائر وليبيا وافغانستان ، وفي السنغال ٩٥٪ ومثلها تركيا وإيران واندونسيا ، ويشكل المسلمون في بعضها الآخر الأكثرية المطلقة ففي مصر مثلاً هم ٨٤٪ وفي سوريا كذلك وفي لبنان ٥٧٪ . . ويشكل المسلمون في بعض البلاد أقليات كبيرة كما هي الحال في الهند فهم سبعون مليوناً من أصل / ٤٥٠ / مليون هندي وثني وفي روسيا كانت الاحصاءات القديمة تقول إنهم نحو / ٤٥ / مليوناً

العقبة الثانية

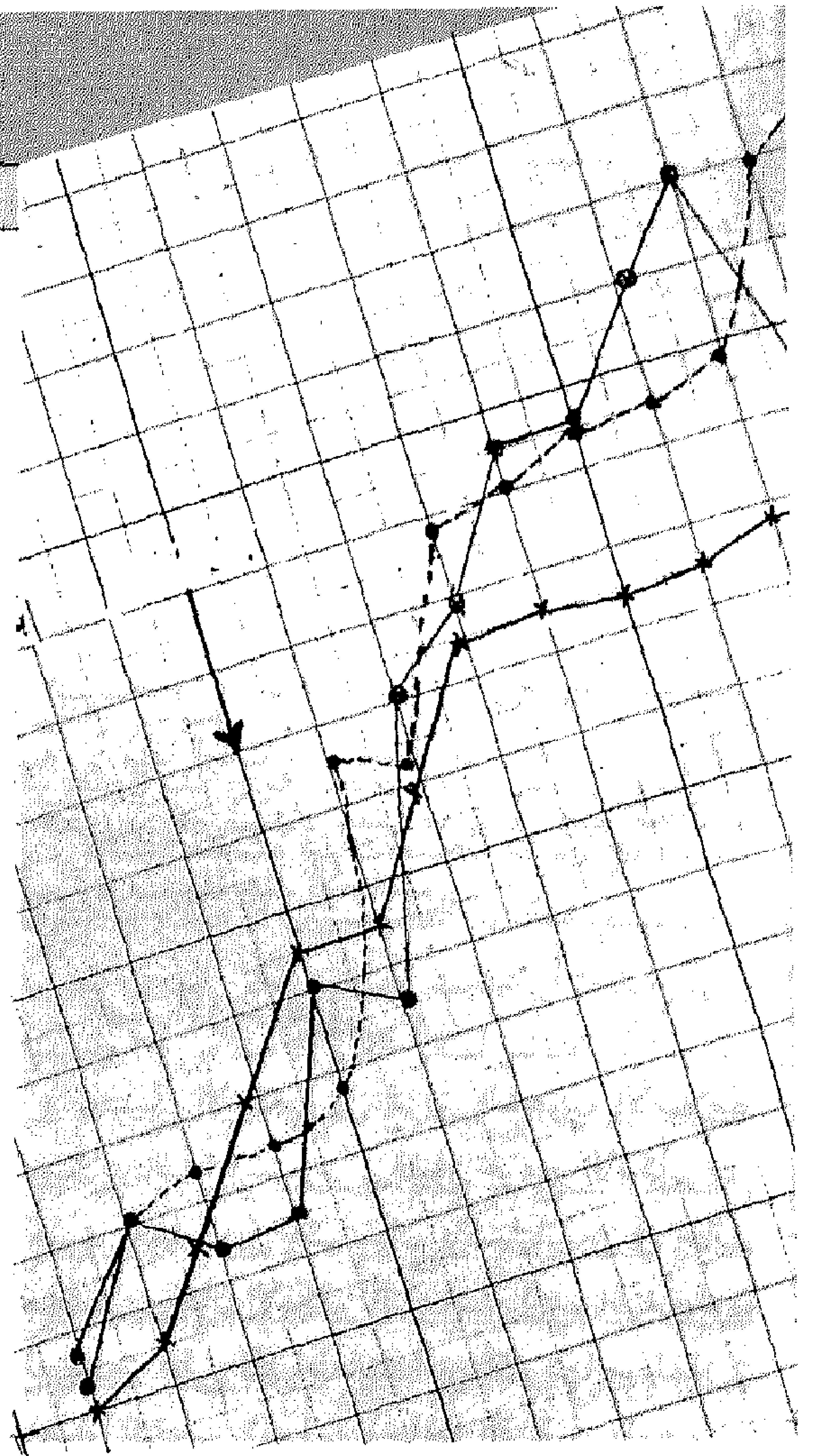
وهناك عقبة أخرى أكثر تعقيداً منها، هي: التباين في أساليب الحكم. ففي بعض البلاد تطبق الشريعة الاسلامية بحذافيرها كما هي الحال في المملكة العربية السعودية، وتطبق في بعضها الآخر القوانين الوضعية مع الشرعية على كثرة أو قلة وتفاوت.

وبعضها مستقل استقلالا كاملا لا تشوبه شائبة وحكامه من خالص المسلمين كالمملكة العربية السعودية ودول الخليج والمغرب وموريتانيا وباكستان والصومال.. وبعضها يشترك في قيادته غير المسلمين كما هي الحال في سوريا ومصر.. وبعضها الاخر يتحكم فيه غير مسلم مع أن المسلمين يشكلون الاكثرية الساحقة كما هي الحال في السنغال وتشاد والحبشة ولن أتحدث عن البلاد التى فيها أقلية مسلمة ولو أنها تعد بالملايين كالهند.. فهناك يخضع المسلمون لحكام وثنيين كما يخضع مسلمو الصين والتركستان لحكام ملحدين.

تلك هي العقبة الثانية في سبيل تفاهم المسلمين وتعاونهم.. بل كانت في بعض الأحيان وسيلة للخصومات والانقلابات والشقاق والتباعد.

العقبة الثالثة:

وهناك عقبة ثالثة تتصل بشكل الحكم ومظهره الخارجى.. فبعض البلاد المسلمة يقودها ملوك يتوارثون الحكم ولكل بلد طريقته الخاصة في ذلك كالمغرب والمملكة السعودية والمملكة الأردنية وسلطنة عمان.. أو إمارات كامارات الخليج العربى.. وبعضها الآخر جمهوري النزعة والسلوك ولكن القادة لم يصلوا إلى الحكم بالطرق الديمقراطية المعروفة في العالم المتحضر تنتخبهم شعوبهم انتخاباً حراً على درجة أو على درجتين.. بل وثبوا إلى الحكم بانقلاب أو ثورة أو بالاستناد إلى قوة أحزابهم وسلاحهم.. فهم يتهمون البلاد الملكية بالرجعية



أو أكثر أما الان فالحكومة السوفيتية تدعي بأنهم لا يزيدون على أثني عشر مليوناً.. فهم اذن في تناقص مستمر.. وكذلك الحال في الفليبين والحبشة والصين وتايلاند.. وفي بعض البلاد يشكلون أقلية صغيرة ولكنها تفرض احترامها على الأكثرية المغايرة كما هي الحال في كوريا الجنوبية وبلجيكا.

فهذا التفاوت العددي في النسب السكانية يشكل العقبة الأولى في التواصل والتفاهم والتعاون. غير أنها ليست بالعقبة الكأداء التي يستحيل تجاوزها.. ولن أتحدث عن اختلاف اللغات واللهجات ولا تباين الطباع والتقاليد والعادات فتلك أمور فرغت منها أوروبا حين انشأت السوق المشتركة بالرغم مما كان بينها من قتال وحروب وثارات.. فكيف نعجز عن التغلب عليها ونحن - بحمد الله - إخوان في الدين وليس بيننا عداوات ولا ثارات وكلنا نتفاهم حول لغة القرآن وتاريخ الاسلام.

ويطلقون على أنفسهم لقب تقدميين. . وينعتهم أولئك بالدكتاتوريين ويسمونهم ثواراً مستبدين. . ووصل الأمر فى بعض الأحيان إلى أن كانت بعض الدول التقدمية تثير على الرجعيين شعوبهم بشتى الطرق وتفضل التعامل مع دول غير مسلمة تبيعها فائض منتجاتها الزراعية وركازها المعدني والنفطي وتحرم منه جيرانها المسلمين ولو أنهم يدفعون الثمن نفسه والأمثلة على ذلك ليست بالغائبة عنا - مع الأسف -

تلك العقبات الثلاث وحدها كافية لعرقلة الصلات بين الشعوب المسلمة فكيف إذا أضفنا إليها سواها مما لا يقل عنها أهمية ولو أنها غائبة عن أعين الجماهير.

عقبات خفية

١ - المواصلات

المواصلات بين الأمم الاسلامية غير منسقة بل هي في بعض الأحيان مقطوعة قطعاً بغير مبرر. . والحدود تقفل حالا لسبب أي خصومة سياسية كما حدث مرة بين العراق وإيران بسبب مشكلة الأكراد وما يحدث الآن من حرب طاحنة مدمرة بينهما، أو كما حدث بين سوريا والعراق كذلك وكلتا الدولتين يحكمها حزب واحد. . وكنا حمدنا الله تعالى أن زالت هذه الغمة بينهما بعد مؤتمر القمة العربى الذي عقد في بغداد (تشرين الثانى١٩٧٨) لكن سرعان ما عادت القطيعة، وما هو واقع بين ليبيا ومصر. . ومازالت الحدود مقفلة بين المغرب والجزائر. . وفي كل يوم حادث جديد قد يعجز المؤرخ عن ملاحقته.

وإذا أردت السفر من المغرب إلى الصومال مثلاً فلا بد أن تمر بطريق روما أو باريس بل لو اردت المجيء من ليبيا إلى الصومال (وكلتا الدولتين في القارة الافريقية وفوق خط الاستواء) فإن أسهل طريق لك هو أن تصعد إلى روما في أوروبا ثم تهبط منها إلى مقديشو في شرق افريقيا. . ومنذ قطعت السكة الحديدية بين دمشق والمدينة المنورة أوائل الحرب العالمية الاولى (أي أوائل هذا القرن، ونحن الآن مشرفون على نهايته) لم تتصل حتى اليوم.

وحتى المواصلات السلكية واللاسلكية غير منسقة. . فإذا أردت أن تهتف من دمشق إلى الجزائر أو الرباط مثلا فالخط يمرُ عبر روما وهي تتحكم فيه. . وإذا أردت أن تتصل من المغرب بالسودان فالخط يمرُ عبر لندن، وهذا ما يجعل جميع مكالماتنا وأسرارنا مسجلة عند الأجانب.

٢ - عمل الاستعمار :

وعمل الاستعمار فى تمزيق الشعوب الاسلامية عملا حاقداً مستمراً. . فقبل خروج الانكليز من الهند جعلوا من باكستان باكستانيين في حالة ضعف. . وكان الانكليز أثناء استعمارهم الهند يولون الوثنيين على المقاطعات التي أكثريتها مسلمة. . وفصلوا كشمير المسلمة وخلقوا الفتنة في بلوجستان وأغروا الأفغان بالمطالبة بها. . وقبل خروجهم من الصومال اقتطعوا منها أجزاء اصبحت جزءاً من الحبشة وكينيا. . وكذلك فعل الطليان بالصومال اقتداء بزعيمة الاستعمار إلبيون العجوز. .

وقبل خروج الفرنسيين من المغرب اقتطعوا منه جزءاً سلموه لجارتها ليوقعوا العداوة والبغضاء بين الجانبين. . وقبل خروج الاسبان من الصحراء المغربية خلقوا مشكلة اليوليزاريو لاستنزاف اقتصاديات المنطقة.

وحين عقد مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط على أثر إحراق اليهود المسجد الأقصى ظهرت انتماءات بعض الدول الاسلامية - ولو بشكل موارب - إلى مختلف الجهات الشرقية أو الغربية. . ولذلك جاءت توصيات المؤتمر هزيلة.

وعملاء المخابرات الاجنبية واقفون بالمرصاد لكل حركة اسلامية يثيرون القلاقل والاضطرابات

والانقلابات يحكموا برقاب الشعوب من يرتضونه اذلالا لها واستنزافاً لخيراتها.

٣ ـ دولة إسرائيل :

وخلقوا دولة اسرائيل وركبوها تركيباً عجيباً وحشدوا لها من كل بلاد العالم مهاجرين حقودين على الاسلام ومنحوها السلاح المدمِّر والتأييد السياسي والعسكري وأوهنوا قوى الدول العربية حولها بكل وسيلة فأصبحت لنا مشكلة المشاكل.. طرد اليهود سكانها الفلسطينيين الأصلاء واحتلوها وجعلوها مثار تهديد مباشر لكل الدول العربية وتهديداً غير مباشر لسائر العالم الاسلامي.. وقسموا المنطقة العربية الى قسمين: عرب آسيا وعرب افريقيا وقطعوا الصلات والمواصلات بينهما.. وأرغمونا بحكم هذا الواقع على شراء الأسلحة منهم فنحن نصرف مداخيلنا وثرواتنا ثمن حديدهم حفاظاً على حياتنا ويبقى لنا الأقل الأقل لبناء أنفسنا.. فكيف يستقيم اقتصاد أمة هي في حالة حرب أو تهديد بحرب وإبادة؟..

ولا أتحدث عن الوضع الاجتماعي القلق والتحلل الاخلاقي والتفسخ النفساني نتيجة هذا الوضع الشاذ، فتلك أمور ربما يعدها الاقتصاديون خارجة عن موضوعنا، ولذلك نكتفي بالاشارة إليها ونمضي في طريقنا إلى الغاية.

٤ ـ الأمية أم المصائب

الجهل والأمية وانعدام الوعي لدى الكثرة الغالبة تعقد الأمور وتجعل تنظيم العمل في غاية الصعوبة.. والأعمال الانتاجية سواء في الزراعة أو الصرف أو في الصناعات الزراعية أو الغذائية ـ على العموم ـ تحتاج إلى مقدار من الوعي لفهم معنى تحليل التربة واختيار الأسمدة المناسبة لها واستخدام الآلات الزراعية والري في حدوده الدنيا المنطقية.. ونحن نجد الفلاحة في أكثر البلاد الاسلامية مازالت كما كانت على عهد آدم، بل إن بعض الشعوب لم تعرف كيف تستخدم الثور في الفلاحة حتى اليوم.. ولنأخذ البلاد العربية وحدها مثالا على ذلك. فقد جاء في احصائيات اليونسكو أن نسبة الأميين فيها عام ١٩٧٠ بلغت ٧٣٪ والنسبة بين الذكور ٦٠٪ والنسبة بين الاناث ٨٥ر٧٪ نعم لقد حصل تقدم عما كانت عليه الحال عام ١٩٦٠ فقد كانت نسبة الأمية ٨١ر١٪ الذكور فيهم ٧١ر٦٪ والاناث ٩٠ر٧٪ لكن مع كل هذا التقدم فقد زاد عدد الأميين من ٤٢ر٧ مليوناً إلى ٤٩ر٩ مليوناً والسبب هو النمو الديمغرافي المتصاعد والعناية الصحية التي خفضت الوفيات والأطفال منهم بصورة خاصة.. ويجب ألا ننسى بأن الأمية في بعض البلاد الاسلامية تزيد على ٩٥٪ من مجموع السكان وما أسهل الأمثلة على ذلك.

تعليق :

تلك هي بعض المشاكل التي تعانيها البلاد الاسلامية في عصر تكتَّلت ضدَّهم كل قوى الشر من استعمار جديد وصهيونية وصليبية.. فكيف يستطيعون النهوض والوقوف في وجه هذه الهجمة اللئيمة للدفاع عن أنفسهم وللسعي نحو تقدم اقتصادي وسياسي أرفع ولتحسين أوضاعهم ورفع مستوى معيشتهم؟ أيدفعنا هذا إلى اليأس والاستسلام والاعتقادالوهمي الخطر بأن قدرنا هو هذا وما علينا إلا أن نرتضي به ونموت على مهل؟.

أعوذ بالله من اليأس والقنوط.. وإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضالون.. ونحن ـ بحمد الله ـ من المؤمنين، والايمان عمل وأمل. فلنعمل إذن ولكن كيف نعمل؟ أنعمل متفرقين كل أمرىء يقول: يارب نفسي ومن بعدي الطوفان؟ أم نعمل ضمن نظام آلي مشترك (colleeif) متعاونين متساعدين؟. ومن يضع لنا هذا النظام؟ ومن يقف على حسن تنفيذه؟ وكيف ينفذ؟.

نحن نعرف أن النظام الاقتصادي في مجال التغذية، يتضمن

البحوث فيما يلي على الأقل:

١ ـ الزراعـة.

٢ ـ الصناعات الزراعية.

٣ ـ الصيد البحري.

٤ ـ صناعات الحفظ والتعليب.

٥ ـ استخدام الآلات والتكنولوجيا الحديثة.

٦ ـ معرفة الأسمدة الطبيعية والكيماوية بالنسبة للتربة.

٧ ـ العمل على أساس تعاوني.

٨ ـ تسويق المحاصيل والمنتجات الزراعية... الخ.

ونعرف كذلك أن التكامل الاقتصادي مرتبط بالتكامل الاجتماعي والسياسي والثقافي والعمل والعمال والتجارة والزراعة والصيد والصناعات الزراعية وحفظ الأغذية.. وأمور أخرى كثيرة، فكيف تجمع هذه وكيف تبحث؟..

لقد استعرضت ـ قبل الاقدام على هذا البحث ـ جميع النظريات الاقتصادية قديمها وحديثها ما طبق منها وما لم يطبق وما نجح منها وما أخفق، وعرضت ذلك كله على وضعنا الاسلامي العام فما وجدت ما يمكن تطبيقه حتى ولو ببعض التعديل والسبب ـ على ما يبدو لي ـ انها وجدت لمجتمعات تختلف عنا كل الاختلاف، وكان واضعوها من المفكرين متأثرين بتاريخ تلك المجتمعات وبوضعها العام وبتطورها ضمن اطار معين وبمكانها الجغرافي وبأمور أخرى كثيرة، وحينما استوردتها بعض مجتمعاتنا للتطبيق أخفقت فاضطرت لاستخدام العنف وللقيام بتعديلات جذرية فيها. حتى لقد جمعت بين المتناقضات المتباعدة العجيبة. وجميع الذين كتبوا أو بحثوا في الاقتصاد الاسلامي أو تحدثوا فيه كانوا متأثرين بايمان ديني عميق غير أنه بعيد عن الواقع الحقيقي للمسلمين المنتشرين في أنحاء العالم هذا الانتشار الفسيح كما تقدم وصفه.. ولكي يكون لرأينا قيمة علمية وعملية بعيداً عن النظريات الوهمية يجب أن ننطلق من هذا الواقع وأن نضع خطتنا بدءاً منه وأن نرسم برامجنا قائمة عليه.. فمشاكل باكستان الخارجية ـ مثلا ـ لا يمكن أن يحسها المصري أو الموريتاني بوضوح كما يحسها الباكستاني نفسه. ومشاكل المغرب لا يمكن أن يشعر بها الايراني بالعمق نفسه الذي يشعره المغربي. ومشاكل الصومال، لا يمكن أن يدركها البعيد عنها ادراكاً صحيحاً ما لم يعش في الصومال ذلك لأن لكل قطر من ارثه التاريخي ومن موقعه الجغرافي مشاكل خاصة به يحاول التغلب عليها بما قدر عليه وقد ينفعه التعاون مع سواه وقد لا يأتيه بأي فائدة.. فالاقطار الاسلامية منتشرة إلى درجة تكاد تغطي نصف مساحة الكرة الأرضية فكيف نجمعها على صعيد واحد ونتطلب منها التعاون المجدي ضمن خطة اقتصادية موحدة؟ هل يمكن ذلك؟..

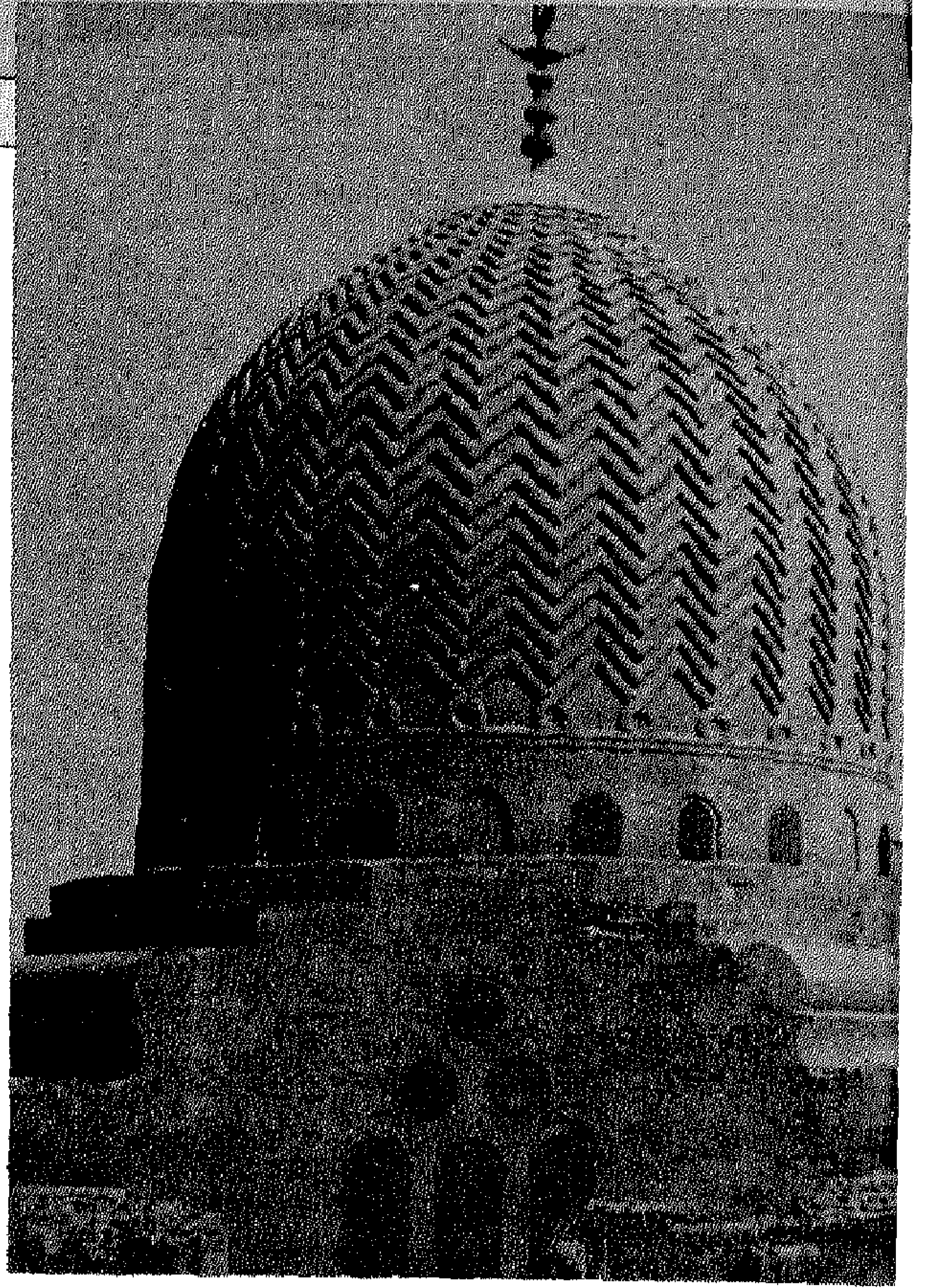
نعم يمكن والإيمان يفعل العجائب وبخاصة إذا تأيد بخطة مدروسة مبرمجة واضحة.. ولعل الرأي التالي يكون فيه الخير إن شاء الله.

إقتراح جديد

لتنظيم عملية التكامل الاقتصادي للتغذية يتضمن رأينا شقين متلازمين يسيران في خطين متوازيين لا يفترقان يدرس كل واحد منهما على حدة للتعمق والتفصيل وهما:

١ ـ تقسيم البلاد الإسلامية ـ نظرياً ـ إلى مناطق محدَّدة متشابهة في الوضع الجغرافي والتاريخي بقدر الامكان.. تدرس كل منطقة على حدة وتجمع عنها احصائيات دقيقة وبيانات واضحة جداً بالفائض والعوز من انتاجها وتبلغ إلى المنظمة الاسلامية باستمرار.. كما تدرس القوى البشرية والعاملة والمستوى الثقافي والصحي والمالي والانتاج الزراعي والثروة المائية والسمكية والركاز والنفط.. وما شاكل ذلك وتحفظ هذه البيانات في سكرتارية المنظمة المقترح انشاؤها في البند التالي.

٢ ـ تؤسس من الأمم الاسلامية منظمة تدعى ـ «منظمة التكامل الاقتصادي في مجال التغذية» ـ ويكون مركزها مكة المكرمة لارتباط جميع مسلمي الأرض بهذه البقعة المقدسة.. وعمل هذه المنظمة هو التنسيق في التبادل والتعاون التجاري والزراعي والمالي والاقتصادي والخبرات.. ما بين هذه المجموعات الاسلامية في داخلها وفي خارجها مبنية على ما تتلقى من احصاءات، كما تدرس تقارير الخبراء الفنيين وتقدم اقتراحاتهم



العملية بشأنها للدولة المعنية.

وذلك هو الاطار العام.. ويمكن الاستهداء بالمنظمات الأممية المشابهة لتشكيل المنظمة الاسلامية على غرارها ومع شيء من التبديل والتحوير اللازمين لتطابقها مع مصالح المسلمين.. وإذا كانت هناك منظمات أممية كمنظمات الأغذية والزراعة (الفاو والأونرا) فإن منظمتنا ستكون خاصة بنا - والأقربون أولى بالمعروف - هذا مع عدم تخلينا عن المساهمة في المنظمات الأخرى وتعاوننا معها بما يتفق وسلوكنا وأهدافنا. وليكن لنا من السوق الأوروبية المشتركة درس مفيد، فقد كثرت محاولات دول الكوميكون بزعامة السوفييت، ومحاولات دول أمريكا اللاتينية عقد معاهدات اقتصادية مع هذه السوق للافادة من تركزها وتجمعها.. ولكن المشرفين عليها لم يقنعوا حتى الآن بضرورة التخلي عن التضامن الأوروبي في هذا المجال والسماح للآخرين بمقاسمتهم أرباح هذا التجمع وفوائده ومزاياه.

لن اقترح الآن الصورة التي ستكون عليها المنظمة تفصيلا لأن ذلك سابق لأوانه.. على أني اقترح مبدئياً تقسيم المناطق الاسلامية على الشكل التالي - ولا أصر عليه - فهو اقتراح قابل للدرس والتعديل متى حان وقته وهو: -

أ - المنطقة العربية.. وتشمل جميع الناطقين باللغة العربية في آسيا وأفريقيا.

ب - منطقة الشرق الأوسط.. وتشمل تركيا وايران وافغانستان وباكستان.

ج - منطقة الشرق الاقصى.. وتشمل اندونيسيا والملايو والفلبين وسائر الجزر.. ويمكن تقسيم كل منطقة إلى مناطق ثانوية كتقسيم المنطقة العربية مثلا إلى:

١ - المغرب العربي. ويشمل: تونس والجزائر والمغرب الأقصى.

٢ - شرق افريقيا. ويشمل: ليبيا ومصر وارتيريا والصومال واليمن وعمان والسودان.

٣ - منطقة الشرق العربي. ويشمل: الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق.

ولنقدم مثالا مختصراً لبحث إحدى هذه المناطق ولتكن المنطقة العربية في آسيا وافريقيا.

المنطقة العربية

تبلغ مساحة المنطقة العربية قرابة ١٢ مليون كيلو متر مربع ثلثها تقريباً صحراوات رملية قاحلة غير قابلة للزراعة وبعضها جبال جرداء أو مهملة ولذلك فان المستخدم منها للزراعة لا يزيد على ٣٠٪ غير أن سواحلها طويلة جداً تطوق أعظم البحار الغزيرة بالثروة السمكية والاسفنج واللؤلؤ والمرجان.. وتوسطها ما بين الشرق والغرب جعل موقعها للملاحة البحرية والجوية وللطرق التجارية نادراً في العالم فهي صلة الوصل ما بين المحيطين الهندي والاطلسي، والبحار الكبرى كالمتوسط والأحمر والأسود، والخلجان الكبرى كالخليج العربي وخليج عدن وخليج البنغال، واختلاف مناخاتها ما بين خط الاستواء إلى ما فوق مدار السرطان، وتضاريسها المتفاوتة ما بين أدنى نقطة عن سطح البحر في العالم إلى الجبال الشاهقة التي تكسوها الثلوج وقتا طويلا من السنة.. كل هذا جعلها قابلة لجميع أنواع الزراعات في العالم وفيها من الركاز احتياطي ضخم جداً من البترول، ومن الحديد ما يقاس بمليارات الاطنان. ففي الجزائر منه / ٣٠٠٠/ مليون طن وفي ليبيا/ ٢٠٠٠/ مليون

وفي البلاد السعودية /٦٠٠/ مليون وفي تونس /٥٠٠/ مليون وفي مصر /٣١٥/ مليون وفي المغرب /١٩٤/ مليون وفي موريتانيا /١٦٨/ مليون، ومن الفوسفات في المغرب والاردن وسوريا وتونس ما يكفي العالم كله لمدة مئة عام على الأقل.. فهل هذه الثروات قليلة؟.

وسكان المنطقة العربية ينيفون على /١٥٠/ مليون نسمة نصيب الكيلومتر المربع نحو عشرة اشخاص فقط، وهي نسبة ضئيلة جداً بالقياس الى الكثافة السكانية في البلاد الأخرى التي تعاني اختناقاً سكانياً مرهقاً لا نشعر به نحن.. ففي أوروبا مثلاً تبلغ الكثافة /٩٣/ نسمة للكيلو متر الواحد وفي المدن الكبرى تبلغ المئات.. وحجم القوى العاملة العربية نسبة إلى مجموع السكان نحو ٤٨ر١٪ تبلغ نسبة مساهمة المرأة فيها نحو ٥٪ فقط.. غير ان هذه القوى لا تستغل استغلالاً حسناً لانتشار البداوة والعطالة بسبب الجفاف وتهافت سكان الريف على المدن.. ويلاحظ أن سكان الريف يبلغون الآن نحو ٦٣٪ بينما لا يزيد سكان المدن على ٣٢٪ وقد كانت النسبة غير ذلك قبل هجرة سكان الريف الى المدن الكبرى واستيطانها.

يقول تقرير المدير العام لمنظمة الأغذية والزراعة الدولية، أعلنه في المؤتمر الاقليمي المنعقد في دمشق أوائل سبتمبر (ايلول ١٩٧٨) إن الانتاج الزراعي في المنطقة ما زال منخفضاً وسوء التغذية ما زال سائداً، مع أن الانتاج سائر في طريق النمو. وعزا ذلك إلى أسباب خارجية منها: التضخم المالي، والانحسار الاقتصادي في البلدان المتقدمة وارتفاع أسعار الأسمدة.. ودعا إلى مضاعفة الجهود، وحذَّر من أخطار الجراد الصحراوي الذي يهاجم المنطقة من سواحل البحر الأحمر.. ونسي أن يشير إلى سوء توزيع المنتجات وضعف أساليب تسويقها وفقر السكان وجهل الريف بأساليب الزراعة الحديثة.. ولو كانت المنظمة الاسلامية قائمة لاتخذت اجراءات خاصة تنسق التعادل والتبادل ما بين دول هذه المنطقة ودول المناطق الاسلامية الأخرى وتتلافى النقص والأخطار.

ان كثيراً من مواسم الموز والبابايي وجوز الهند في الصومال يكاد لا يفي ثمنه بمصاريف قطافه وكذلك الحال بمواسم العنب والطماطم (البندورة) في سوريا والاردن مثلاً.. ولماذا يذهب نفط الجزائر وغازها إلى أمريكا وتحرم منها جاراتها المغرب وموريتانيا؟ ولماذا تذهب معلبات السمك المغربية إلى أوروبا وتحرم منها سوريا والعراق. ولماذا تستورد علب عصير الفواكه إلى البلاد السعودية والخليج من امريكا ولا تصنع في المناطق الاسلامية.. ومثل كثير لا يمكن حصره الآن ولكن يمكن بحثه بدقة ضمن نطاق المنظمة.. ولنأخذ مثالاً صغيراً على ما يمكن تنظيمه في كل قطر على حدة بما فعلته المملكة المغربية مثلاً، فقد قفز المغرب في مدى خمس عشرة سنة فقط مسافة ما قطعته كثير من الدول بعشرات السنين. إن هذا البلد يختزل التطور اختزالاً ويختصر الزمن بقدرة ودراسة(١)، فقد كان المغرب يعاني من نقص الماء للري مع وجود أنهار فيه تفيض في الشتاء فتدمِّر، وتشح في الصيف فتقتل الأرض عطشاً. فوضعت سياسة السدود لتلافي هذا الأمر الخطير. وأعلن الملك مشروع المليون هكتار

- لم يبرز من الشعوب الجائعة مفكرون تنتجه الشعوب الشبعى
- عمل الاستعمار على تمزيق الشعوب وأشاع الفتن .. فتعددت الانتماءا
- ظهر بين الشعوب الاسلامية القلق الاجتما
- التكامل الاقتصادي بين الدول الإسلامي
- أقترح تأسيس منظمة من الامم الإسلام مجال التغذية ، وتكون مركزه

وبوشر في العمل حالاً وأنشىء في مدى عشر سنوات نحو عشرين سداً كبيراً لجمت الأنهار عن الفيضان وسرحت الماء للري بمقدار موزون فنشطت زراعة الفاكهة والخضار ثم البنجر والقصب لتصنيع السكر منه وحصلت البلاد على الاكتفاء الذاتي تقريباً وربما تصدر منه الى البلاد الأخرى في السنين القريبة القادمة. فمثل هذه التجربة الرائدة جديرة بالدرس والاقتباس.

ولنأخذ مثالاً آخر على التعاون العربى الناجح ما حدث فى الصومال فقد تركته ايطاليا بعد استعمار ثلاثة ارباع القرن فقيراً جداً جاهلا بدوياً قبلياً. وتوقعت أن يعود إليها فيرتمي في أحضانها طالباً منها الرجوع لاطعام السكان على الأقل. ولكن الذي حدث كان بخلاف ما تصورت فقد اثبت الذين تولوا حكمه رجولة وايماناً واتصلوا باخوانهم العرب فامدتهم مصر بالمعلمين، والعراق بالمعلمين والأطباء. واقامت

...الفلاسفة والعلماء بالقدر الذي

...سلامية وتشتيت شملها.. عمق الخلافات

...ياسية والعقائدية.

التحلل الأخلاقي والتفسخ النفساني.

...ط بالتكامل الاجتماعي والسياسي والثقافي

... «منظمة التكامل الاقتصادي في

... المكرمة.

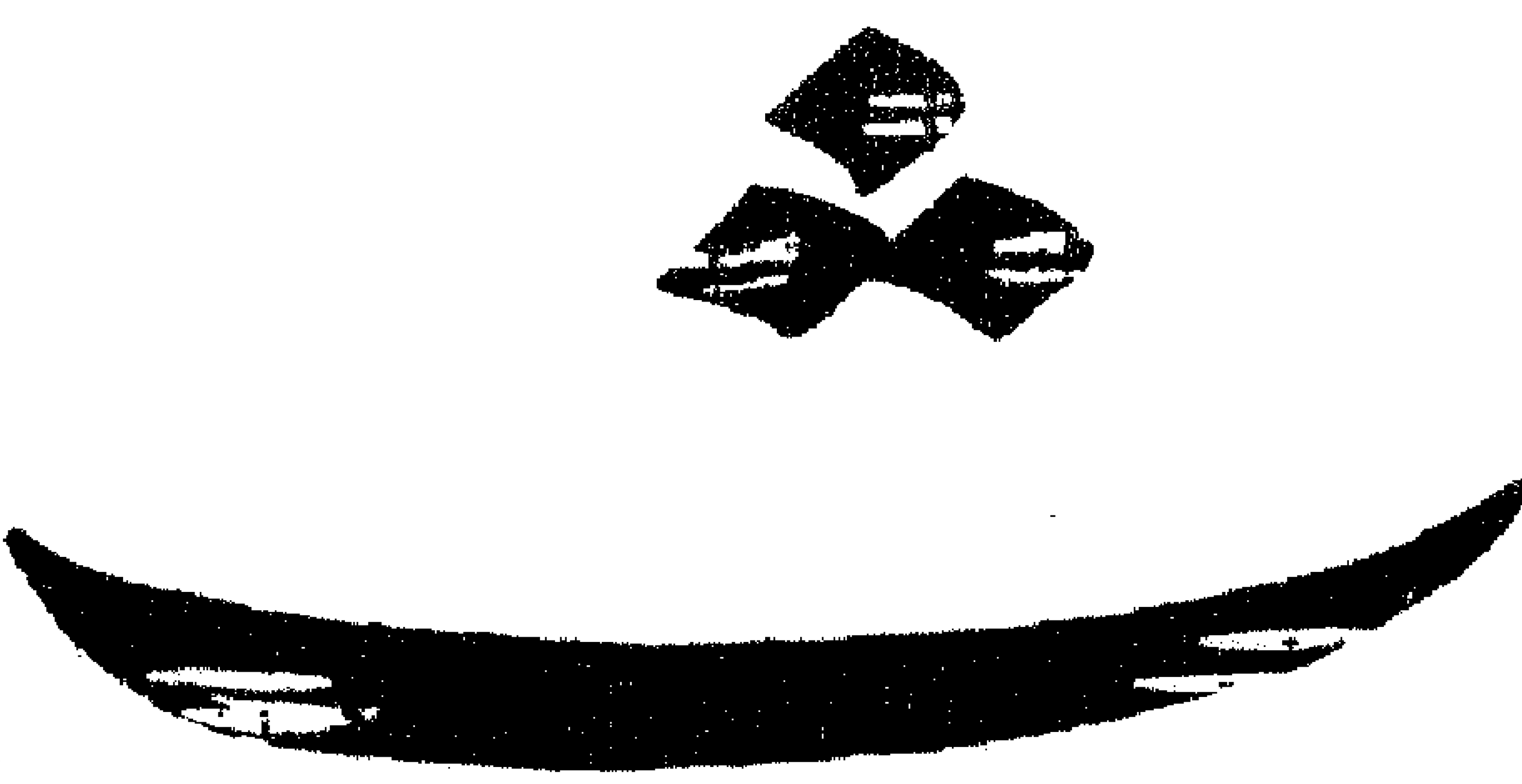
لهم الحكومة العراقية مصفاة للبترول بلغت تكاليفها سبعة ملايين دينار. وبنت لهم المملكة العربية السعودية مساجد ذات هندسة مثالية وأمدتهم بالأموال يقيمون بها ميزانيتهم ويعدلون توازن الأداءات والمدفوعات. وساعدتهم باكستان بمجموعة متكاملة من الأطباء وأهدتهم سوريا السلاح ليدافعوا به عن أنفسهم وقدمت لهم جامعة الدول العربية أساتذة للجامعة ومدرسين للثانويات وفتحت معهداً للمحاسبة.. بل جاءتهم المساعدات الفنية من الصين فشقت لهم طرقات تزيد على ألفي كيلومتر.. كل ذلك قدم إليهم هدية وبالمجان أو على شكل دين طويل الأجل ربما يعفون من أدائه. وأصبح في الصومال الآن عدد عديد من المدارس الابتدائية والثانوية وجامعة تشمل جميع فروع المعرفة الجامعية المعاصرة.. وبذلك اختصرت الصومال الزمن التطوري وقفزت من البداوة إلى المعاصرة وألغت القبيلة نهائيا.. ولن يمضى غير قليل من الوقت حتى تصبح على مستوى أخواتها الدول العربية الأخرى.. ولولا هذا التعاون لبقيت تتخبط في دياجير الجهل والفقر كما تركت بادىء ذى بدء.

فاذا درسنا كل منطقة من المناطق الاسلامية المقترحة بدقة وجمعنا هذه الدراسات ورسمنا خطة عملية لتنفيذ برامجها، استطعنا انقاذ الشعوب الاسلامية من المجاعات أو نقص التغذية، وسرنا في طريق التكامل الاقتصادي في مجال التغذية سيراً واضحاً لا تعثر فيه.. ومتى حسنت النيات بلغنا الأهداف بسلام.

الهوامش:

المنهل (١) وهذا ما تفعله «السعودية» فى فجر نهضتها الصناعية والزراعية والتعليمية والعلمية والاجتماعية وغيرها.. وجاراتها الكثر لهم من اختزالاتهم واختصاراتهم مثلها الكثير السمين الغير عجف.

ولله الحمد

تراث

تحرك الصهيونية العالمية ومن خلفها اتباعها من الشيوعيين والصليبيين والملحدين والوجوديين وكل اعداء الاسلام واعداء العرب نفرا معدودا ومحدودا من كتابها للقيام بدعوة واسعة وبما يملكون من وسائل الاعلام الموضوعة تحت ايديهم من اجل الانفصال عن التراث وخلعه نهائيا ورميه فى النار وعدم الاعتداد به . .

ولا يظن ظان من حسنى النية ومن الذين يحملون الامور على خير وجوهها ان الانفصال عن التراث معناه الاتصال بثقافة اوروبا العلمية فحسب والاقبال على التكنولوجيا الحديثة قبل كل شىء، وانما الانفصال عن التراث فى عرف هؤلاء الدعاة أمر خطير يتناول ترك جميع ما ابدعه العقل العربى فى جميع العصور من حضارة فكرية ثمينة فى كل فروع الثقافة مع اثرها الجليل فى اضاءة دياجى الحياة فى انحاء العالم خلال الف عام . . ويكشف بعض هؤلاء الدعاة المأجورين اللثام والاقنعة عن وجوههم فيدعون كذلك إلى الانفصال عن اللغة وعن الدين وعن القرآن . . ﴿كبرت كلمة تخرج من افواههم إن يقولون الا كذبا﴾.

لقد رأينا العديد من الاقلام المشبوهة تكتب لتثير العداوة بين الشباب وتراثهم بل ودينهم . .

ومنذ مدة انعقدت ندوة فى جامعة عربية لتدارس ما سمى بازمة التطور الحضارى فى الوطن العربى . وتجمع فى هذه الندوه كثير من هؤلاء واولئك .

فهذا احدهم ـ ومن يرجع لنصوص هذه الندوة يجد اسمه وصفته الاكاديمية ـ للاسف ـ يقول فى بحثه ـ او فريته على اصح تعبير ـ والذى عنون له بما يأتى : (الدين وازمة التطور الحضارى) ما نصه :

(الاعتقاد التقليدى السائد بأن «الشريعة الاسلامية تحتوى على نظام كامل للحياة وقانون ثابت غير قابل للتغير» هو عقبتنا العظمى امام التطوير الحضارى اللازم لمجتمعنا) .

هل هناك بعد هذا الكلام شىء؟ هل هناك دعوة صريحة مكشوفة للانفصال عن الدين من اجل «التطوير الحضارى» اكثر من هذه الدعوة؟ . . وكأن الشريعة الاسلامية هى دعوة للتطوير الحضارى فى نظره، وكأنه لم يقرأ شيئا عن تاريخ الحضارة العالمية وتطورها على الاطلاق . . بل لم يقرأ ما كتبه فلاسفة اوروبا عن الاسلام وحضارته . . ثم يعود ويقول :

(ان كل التشريعات التى تخص امور المعاش الدنيوى والعلاقات الاجتماعية بين الناس والتى يحتويها القرآن والسنة بل سائر مراجع التشريع الاسلامى لم يقصد بها التمام والاستيفاء ولم

الإسلام

يقصد لها الدوام وعدم التغيير ولم تكن الا حلولا مؤقته فليست بالضرورة ملزمة لنا).

فلا داعى للاسلام فى رأى هذا الكاتب لانه كان دينا مفروضا فى عهد الرسول فحسب اما فى عصرنا فليس الاسلام دينا لنا ولم يفرض علينا ولم نعد ملزمين به.. اليس هذا هو معنى ما قاله وافتراه؟.

● وان شئت فاستمع إلى ما هو اعجب من ذلك.. إنه يدعو إلى قيام ثورة شجاعة يقوم بها من سماهم بالمفكرين للتغيير الجذرى فى الدين وفى فهم الناس لجوهر الدين فيقول:

(لابد ان يقوم مفكرونا بحملة منظمة متصلة شجاعة على الفكر التقليدى حتى ندخل تغييرا جذريا فى فهم الناس لجوهر الدين).

(لابد ان يقوم مفكرونا بحملة منظمة متصلة شجاعة على الفكر التقليدى حتى ندخل تغييرا جذريا فى فهم الناس لجوهر الدين).

(وهـدف هذه الحملة هى أن تقنع الناس بوجوب الاخذ بالنظرة العلمانية الخالصة فى كل ما يختص بامور معاشهم ودنياهم وان الاسلام وهو مسائل العقيدة والعبادة ـ لا يتنافى مع النظرة العلمانية).

● ومن اجل ذلك بدأ بحثه المسموم بالحقد على الاسلام بالافاضة فى شرح وجهة نظر الداعين إلى رفض الدين.. أو قل هى وجهته نفسه أولا وقبل كل شىء، لان الدين فى زعمه الباطل لا يصلح للعصر الحديث ولا يستطيع ان يواكب التطور الحضارى فيذكر أن الدين تطور للاسطورة وانه طاقة تجهيلية شريرة.. ويحمل على رجال الدين من العلماء حملة شريرة كذلك، ثم يدعو إلى التفسير المجازى والرمزى للقرآن ونصوصه.. بل يرى أنه آن لنا ان نناقش تلك النصوص نفسها دون أن نكون قد نبذنا الايمان بالوجود الالهى.

د. محمد عبد المنعم خفاجى



● أهناك شىء أوضح من ذلك فى الكشف عن طبيعة الدعوة إلى التطوير الحضارى وهدف الداعين إليه؟.. اليست هذه الدعوة قصدها الاول والاخير هو الانفصال عن الاسلام وبالتالى عن تراثه جملة وتفصيلا؟.



أرأيت أوضح من ذلك؟

تراثنـا الاسلامى ـ فى كل مجالاته بالطبع ـ أى تراثنـا الـدينى والفكرى والعلمى والادبى واللغوى تراث منقطع . .

وما سبب دعوى انقطاعه؟

سبب الدعوى عنده انه لا صلة له بالحاضر.

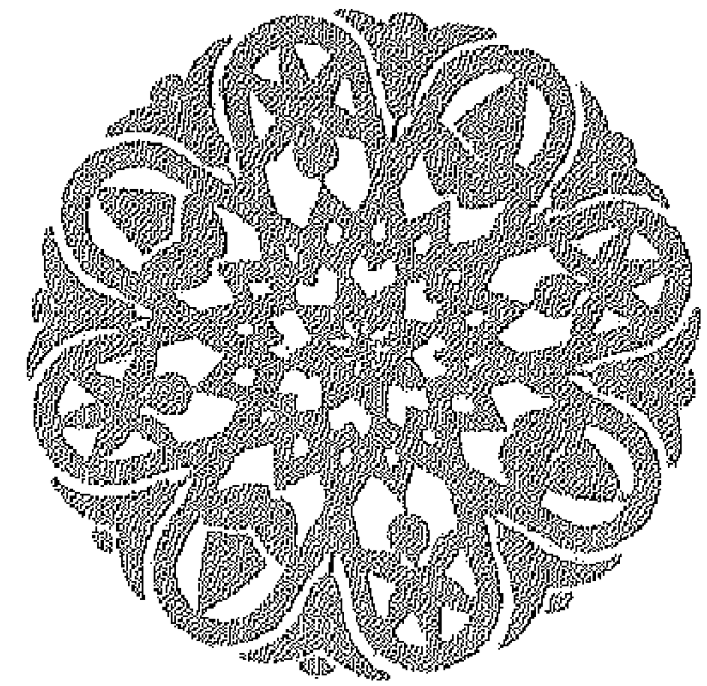
اذا فيجب علينا الرفض الحاسم لهذا التراث . . نرفض اللغـة العربية . . نرفض كتبها نرفض الدين نرفض القـرآن نرفض كل ذلـك لانـه تراث منقطع بحجة انه لا صلة له بالحاضر العربى .

● وقد يرمينا رام بأننا نغالى فى التأويل ولكننا نحيله على مقالته ليقرأها ويتأملها . . وهو الذى يدعو إلى اصلاح حاضر نا من خلال منطق العصر مسترشدين بأوروبا وكيف اقامت نهضتها منفصلة عن الدين والتراث . .

وغاية: ما فى الامر أن كاتبنا هذا يحتاط فى كلامه ويلقيه بحذر شديد . . بعكس «صاحبه الاول» الذى كشف عن احقاده واحقاد سادته من دعاة الصهيونية العـالميـة ضد الاسـلام والقـرآن باعتبـارها فى نظره ونظـرهم تراثـا متخلفا لا يصلح لنا فى عصرنا وهو منقطع عن عصرنا . .

واعجب أن تبادر مجلة الاداب البيروتية إلى نشر هذه البحـوث ثم تقفوها مجلة المعرفة السورية التى خصصت معقبـين على بعض هذه الكلمات وكـان الكثير من هذا التعقيب ضعيفا هزيلا .

● **ايها المفكرون العرب وياقادة الامة العربية فى هذه الفترة الحاسمة فى تاريخنا تدبروا جيدا ما يراد بأمتنا وببلادنا وما يدبر لها فى الخفاء . . وما يراد لها من الانفصال عن التراث وعن الاسلام وعن كل عوامـل نهضتنـا وحضـارتنا وعن كل اسبـاب مفـاخـرنا وانتصاراتنا وحياتنا ووجودنا القومى والحضارى والذاتى وهو الدين وتراثه . .**



● ولنـتركه إلى باحث آخر من باحثى هذه الندوة الغريبة . . كان بحثه عن (التخلف الفكرى وابعاده الحضارية) . .

فماذا قال؟

قال: (ان تراثنا تراث منقطع لانه لا صلة له بالحاضر العربى وان من الممكن قيام نهضة علمية وفكرية رفيعة المستوى على اساس الرفض الحاسم للتراث).

الحلقة الثالثة

موسى والتوحيد

فى رأى فرويد

بقلم الأستاذ الأحفل
احمد عبد الغفور عطار

وفرويد يصور موسى حسب مزاجه ومعتقده . . فلما كان ملحدا لا يؤمن بوجود إله جرد موسى من النبوة والرسالة ولم يعترف بديانات التوحيد السابقة لأخناتون والآتية بعده . . لم يعترف بكل الديانات السماوية ليتسنى له إفراد توحيد أخناتون بالذكر والتمجيد.

وما شأن فرويد بالتوحيد والديانات وهو ملحد؟ من حق كل باحث أن يبحث ويكتب، فما ذلك بمحجور، ولكن المطلوب من العالم الباحث أن يكون منصفا يتوخى الحق ويتحرَّاه، لا أن يصدر عن الهوى ويفتري على من لا يتفق مع ديانة قومه اليهود وما لايرتضى من العقائد والديانات فيحمل على المسيحية، ويفترى على الإسلام ورسوله افتراء كثيرا، ليضع من مكانتهما على حساب رفع الديانة اليهودية . . وها هو ذا نموذج من الافتراء الذى يسوقه مساق الحقيقة فيقول: (١)

«يبدو لى أن قيام الديانة المحمدية كان تكرارا على نطاق ضيق للديانة اليهودية . . وأن الديانة المحمدية ظهرت مقلدة للديانة اليهودية . . وهناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد أن النبي محمدا كان يزمع فى الأصل اعتناق الديانة اليهودية هو وكل شعبه، وأثمرت لدى العرب العودة إلى الايمان بالأب الواحد البدائي الكبير تقدما غير عادي فى الثقة بالنفس: ثقة أدّت بهم إلى احراز نجاحات دنيوية عظيمة ولكنها فى الواقع استنفدت نفسها فى هذه النجاحات . . وكافأ الله شعبه الإسلامى المختار بأكثر مما كافأ به «يهوا» شعبه اليهودي المختار عندما اعتنق ديانته . . ولكن التطور الداخلى للديانة الإسلامية الجديدة سرعان ما توقف، وربما كان ذلك لأن العمق كان ينقصها، وهو العمق الذى تحلّت به الديانة اليهودية وكان نتيجة مقتل مؤسسها.

ولذلك فإن ديانات الشرق التى تبدو فى ظاهرها وكأنها تقوم على العقل وهي فى جوهرها عقائد سلف تتوقف عند مرحلة مبكرة من عملية بناء الماضى».

وهذا الكلام كله باطل ووهم . .

مقدمة
يواصل كاتبنا الأحفل ما سبق عرضه فى سوابق ثبته عن :
فرويد ومزاعمه الباطلة منوِّنًا بالأدلة الداحضة تلك الفريات المتشعبات . فاليه ننتحى .

فما كان الإسلام قط تكرارا على نطاق ضيق للديانة اليهودية لأن الفارق بين الديانتين كبير حتى يصل إلى التضاد الذى ينعدم معه أي لقاء فيهما إلا لقاء المخالفة الذى يتأكد التضاد معه.. وإن كل المزايا التى اخترعها لديانة قومه اليهود لا تكسبها أي معجزة تبنى على دعوى منفية من داخلها وخارجها.

■ فالديانة اليهودية التى ذكرها فرويد وسبّح بحمدها قائمة على الشرك والوثنيه والكفر اللئيم.. ويستحيل أن يكون الإسلام تكرارا لها لأنه قائم على التوحيد والوحدانية اللذين ينتفى معهما كل شرك وكفر ووثنية.

■ وإذا كان زعم فرويد صحيحا فلماذا لم يقبل اليهود ديانتهم التى هم عليها؟ أو لماذا لم يردوا على محمد ﴿ﷺ﴾ عندما عرض عليهم الإسلام الذى بشر به ودعاهم إليه أن إسلامه هذا تكرار على نطاق ضيق لديانتهم؟.

■ لو صح زعم فرويد لكان فى وسع اليهود الذين كانوا يجاورون رسول الإسلام محمدا ويردون عليه بأن يتهموه بانتحال ديانتهم وبأن دينه تكرار لديانتهم، وما كان أحبار اليهود ليسكتوا عن محمد أربعة عشر قرنا وينتظروا فرويد ليكشف لهم هذا السر الخطير.

وليس من المعقول أن يكون نقيضان متخالفان كل التخالف توأمين، ولكنَّ غير المعقول يكون هو المعقول ـ الذى لا معقول سواه ـ ما دام اليهود يرون ذلك، فإذا كان الذى يرى المستحيل واقعا عالم من علمائهم فما لأحد أو للعالم كله رأي.

■ ويبلغ من كفرهم أن تلمودهم ـ وهو لديهم أعظم قداسة من التوراة ـ ينص على أن الحاخام اليهودى يصبح «يَهْوَهْ» فإذا اختلف الحاخام مع الله فالحق مع الحاخام الذى يملى إرادته على الله الذى لا يستطيع أن يُملىَ إرادته على الحاخام.

■ وبمثل هذا الغرور يقضى فرويد قضاءه المبرم على الإسلام ورسوله والمسلمين جميعا، وما على العالم إلا أن يسمع ويطيع ما دام من يتكلم يهوديا، فإذا كان المتكلم عالما كبيرا فالحكم حكم التلمود الذى رويناه.

إن فرويد قضى بأن قيام الديانة المحمدية كان تكراراً على نطاق ضيق للديانة اليهودية ولم يكتف بهذه الدعوى المسحوقة من نفسها سحقا، بل أكد زَعْمته هذه بأخت لها مستمسكة بها وهي قوله: «وإن **الديانة المحمدية ظهرت مقلدة للديانة اليهودية**».

وأخذ فرويد بتأكيد بهتانه بضروب من البهتان يأخذ بعضه برقاب بعض طمعا فى خدْع القارىء بأن يثبت فى خالى الذهن كل ذلك البهتان المتكرر، ويدعى قائلا:

«هناك من الأسباب ما يدعونا إلى الاعتقاد أن النبي محمدا كان يزمع فى الأصل اعتناق الديانة اليهودية هو وكل شعبه، وأثمرت لدى العرب العودة إلى الإيمان بالأب الواحد البدائي الكبير تقدما غير عادي فى الثقة بالنفس: ثقة أدَّت بهم إلى إحراز نجاحات دنيوية عظيمة ولكنها فى الواقع استنفدت نفسها فى هذه النجاحات.. وكافأ الله شعبه الإسلامى المختار بأكثر مما كافأ به «يهوا» شعبه اليهودى المختار.

■ وما أكثر ما يناقض فرويد نفسه حتى ليكون التناقض فى فقرة واحدة، فهو قد جعل الإسلام تكراراً لليهودية، وأكد هذا التكرار بأن الإسلام ظهر مقلداً لديانة اليهود.

■ ومن المقرر لدى فرويد أن الديانة المحمدية هي الديانة اليهودية، وبعد هذا يقوم هو نفسه بنقض قراره ودعواه عندما يدعى **«أن النبي محمدا كان يزمع فى الأصل اعتناق الديانة اليهودية هو وكل شعبه»** فهو يؤكد أن محمدا معتنق الديانة اليهودية بدليل أن الإسلام كان تكرارا لها ومقلداً إياها.

وفى الفقرة نفسها ينقض ما ادعى بأن محمدا كان يزمع اعتناق الديانة اليهودية ولكن لم يذكر أتحقق الإزماع أم لا؟.

ثم تأتى دعوى من دعاواه الظاهر فيها افتراؤه إذ ينسب إلى هذا الإزماع إثمار عودة العرب إلى الإيمان بالأب الواحد البدائي.

وكل محاولات فرويد أن يبهت الإسلام ويدعي عليه بما يخرجه عن الوحدانية والتوحيد ويقذفه بما يجعله أدنى من اليهودية، فهو يبالغ فى الافتراء على

الإسلام حتى يزعم أن العرب - ويقصد المسلمين - عادوا إلى الإيمان بالأب الواحد البدائي . ويهدف من هذا الادعاء أن يعيد المسلمين إلى الوثنية التى تمثلها فقرة من كلام فرويد الذى مر الاستشهاد به ، وهذه هي : «إن ديانات الشرق التى تبدو فى ظاهرها وكأنها تقوم على العقل وهي فى جوهرها عقائد سلف تتوقف عند مرحلة من عملية بناء الماضى» .

■■ وهذه الفقرة من مكر اليهود إذ يحتاطون لما سيُجابَهون به عندما يُرَدُّ على مفترياتهم التى يعرفون أنها مفتريات ، فرويد زعم فى أسلوب ماكر يتبطَّن الخبث أن ديانات الشرق التى منها الإسلام تبدو فى ظاهرها وكأنها تقوم على العقل ، ولكن هذا «البُدُوَّ وهْمٌ» لأن الحقيقة أو الجوهر ما هما إلا عقائد سلف جامدة لا تقبل التطور فتقف عند مرحلة مبكرة فى عملية بناء الماضى .

ولما كان الإسلام الدين الوحيد الفاذّ الصالح للبشرية كلها من يوم أن بشَّر به الرسول الأعظم محمد ﴿ﷺ﴾ ودعا إليه إلى أن تقوم الساعة دخل فيه أعلياء من كل لغة ودين ووطن وجنس ، كما دخله أعاظم الناس وأكثر الحكام كما دخله السوقة والعبدّى والمستضعفون فى الأرض فصعدوا إلى مقام الأعلياء وصاروا جميعا أكفاء وإخوة .

■■ وتتعذر الموازنة كل التعذر - إذا لم تكن مستحيلة - بين الإسلام والديانة اليهودية ، وبين توراة اليهود وقرآن المسلمين ، وبين الألوهية فى الديانتين ، لأنه لا مجال لأى موازنة بين نقيضين : الإسلام الذى يقرر الوحدانية الحق والكمال المطلق لله وحده ، والعصمة لكل الأنبياء والرسل ، والحق فى الحياة والحرية لكل البشر ،

الديانة اليهودية التى ذكرها فرويد وسبّح بحمدها قائمة على الشرك والوثنية

■■ وغاية فرويد النيل من الإسلام الذى جاء للبشرية كلها بدين جديد فى شموله ومعتقده وشريعته ومنهاجه وكماله الذى تفرَّد به دون كل ديانات التوحيد الحق لأنه دين يكبره العقل أيما إكبار ، وكلما عَظُمَ العقلُ وتجرد من الهوى وصحَّ من السقم وكثر العلم وارتقى هو والعقل كان الإكبار أجلَّ وأعظم بدليل دخول عباقرة فيه ، وثناء عباقرة ينزلون فى مرتبة أعلى بكثير من فرويد حتى أنهم رفعوا الإسلام فوق دينهم حتى كان الإسلام متفرداً بالعلو وحده .

■■ وعندما دعا محمد ﴿ﷺ﴾ العالم إلى الإسلام الذى أرسله الله به هدى ورحمة للعالمين استجاب وأخذ يستجيب على مر العصور .

وبين اليهودية التى تجرد الله من صفات الكمال ، وتنزع العصمة من الرسل والأنبياء ، والإنسانية من البشر .

●● وكيف يكون دين كامل مقلداً لدين وثني ناقص جمع من الأسواء الفظيعة البشعة ما تفتقده فى كل الديانات الوثنية مجتمعة .

■■ ولا يمكن عقد موازنة بين دين يصف الله بصفات الكمال المطلق المثلى ودين يكذب على الله فيصفه بصفات العيب والمنقصة التى يتنزه عنها من زينّه الله بمكارم الأخلاق ولا يرضى أن يوصف بها ، بل يحارب من يصفه بها حربا لا هوادة فيها .

بلغ من كفرهم أنَّ تلمودهم ينصُّ على أنَّ الحاخام اليهودى اذا اختلف مع الله فالحق مع الحاخام الذى يملى ارادته على الله...

● وفى بعض مؤلفاتنا تفصيل لديانة اليهود الوثنية، وفى بعض مؤلفاتنا لمحة سريعة لهذا التوحيد الذى هو شر من الكفر اللئيم الذى حواه كتابهم المقدس (التوراة) التى لم تترك منقصة وذاما وعيبا ومساءة إلا رمت بها الله جل جلاله فى قحة وجراءة منقطعتي النظير فى كل الملل والنِّحَل، والديانات الباطلة التى تسمو على اليهودية وتوراتها إذ تمجّد أربابها بإغراق المديح عليها إغراقا.

وأما الرسل والأنبياء فقد جردتهم التوراة من خلائقهم الفاضلة أيما تجريد، ثم هبطت بهم إلى أحط دركات المجرمين، بل المجرمون يترفعون عما وصفت به مَنْ هم خير البريَّة.

● ويقرر فرويد التعدد فى الفقرة التى استشهدنا بها، والمليئة بضروب البهتان ويقول: «**وكافأ الله شعبه الإسلامي المختار بأكثر مما كافأ به يهوا شعبه اليهودي المختار عندما اعتنق ديانته، ولكن التطور الداخلي للديانة الإسلامية الجديدة سرعان ما توقف، وربما كان ذلك لأن العمق كان ينقصها، وهو العمق الذى تحلّت به الديانة اليهودية، وكان نتيجة مقتل مؤسسها**».

●● وإن الله الذى يؤمن به الإسلام ليس خاصا بالمسلمين، إنما هو رب العالمين، رب كل شيء، رب المسلمين واليهود والنصارى، ورب كل الناس مؤمنين ومشركين وكفرة وملحدين ودُهْريين ووثنيين، وليس بين الله وأحد من خلقه قرابة، وكل بنى البشر عنده سواء، ﴿فمن يعملْ مثقال ذرة خيرا يَرَهْ، ومن يعملْ مثقال ذرة شرا يَرَهْ﴾، ولهذا تنزه الله عن المحاباة والمجافاة، وإنما يُجزَى كلٌّ على ما عمل، ولم يقرر الله «الخيرية» لشعب أو لأمة إلا بسبب، وجعل قوام هذه «الخيرية» أصولا ثلاثة هنَّ كما بيَّنَ الله جل جلاله فى كتابه الكريم إذ قال: ﴿**كُنْتُمْ خيرَ أمة أُخْرِجَتْ للناس تأمرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْنَ عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾.

● فشعب الله المختار من أطاع أمره فائتمر به وانتهى عما نهى.. فإذا لم يطع أمره ولم ينته عما نهى فليس بمختار. أما رب اليهود يهوه فهو مع شعبه فى كل حال، فهو رب خاص بهم حتى صفاته التى تذكرها التوراة صفات انتقاص ومعابة، وتعالى الله الحق عما يصفون، أما صفات يهوه فإن من المستحيل أن تكون من صفات الله عز وجل.

●● **وأما ادعاء فرويد بأن** «التطور الداخلي للديانة الإسلامية الجديدة سرعان ما توقف، وربما كان ذلك لأن العمق كان ينقصها، وهو العمق الذى تحلت به الديانة اليهودية، وكان نتيجة مقتل مؤسسها» **فهو ككل ادعاء من دعاواه الباطلة على الإسلام، وفى هذه الفقرة الموجزة دعاوى معدودة نقتصر فى تفنيدها على اثنتين منها لخطرها وهما:**

أولا ـ دعواه بأن التطور الداخلي للديانة الإسلامية سرعان ما توقف، وهي دعوى شديدة البطلان لأن حركة الإسلام منذ بدئها بمكة لم تكن ضعيفة ولا متأنية مع قسوة أعدائها وضراوة الحرب المشنونة عليها من قبلهم، وان الثلاث والعشرين سنة التى أمضتها الحركة فى الدعوة لم تكن إلا زمنا قصيرا، ومع هذا ظهر لأعدائها مع كثرتهم عدة وعددا ومالا وقوة أن زمن الإسلام قد طال. ورأوا المسلمين مع قلتهم كثرة وقوة فى أعينهم حتى ازداد المسلمون قوة بما لقواهم ودعوتهم من نجاح ونصر لا نظير لهما، ومع أن المشركين موقنون بأن المسلمين قلة ضئيلة فقد أنذرتهم بالثبور، وأدركوا خطرها على كل حياتهم

الدينية والسياسية والتجارية والمالية والاقتصادية، وعلى نظام الحكم وعلى عادات المجتمع وتقاليده وعرفه، ومع أن الحركة أحيطت من كل جوانبها بقوى غلَّابة فإنها تحدتهم بصبرها وإيمانها، واجتذبت إليها أناسا بعيدين عنها.

وبلغ من قوة الحركة «الديناميكية» أن كل دورة من دوراتها السريعة كانت تجتذب إليها أتباعا مخلصين لها كل الإخلاص وهم يعلمون ثمن هذا الإخلاص من أولادهم وأنفسهم وأموالهم ونسائهم وكل مرتخص وغال لديهم، واستعدوا أتم الإستعداد للخطر المرتقب كما استعدوا لبذل الثمن مهما غلا.

ولم تكن الحركة غامضة على أصحابها وأعدائها على السواء، فقد كانوا جميعا على علم بحقيقتها، ولهذا كاد يتساوى حجم الهجوم والدفاع وحجم الاندفاع من الفريقين.. وزاد عنف الأعداء لأنهم أدركوا خطر الإسلام الذى أعد لكل شيىء عدته، فلديه نظام حديث للحكم والمجتمع هو خير بديل عما تحدَّر من السلف وعما استقر عليه المجتمع من أنظمة وتقاليد وعبادات ومعاملات.. بل استقر الإسلام بأحكام وأنظمة وعلوم وفنون جديدة لم يعهدوها ولكنهم كانوا جميعا على يقين بأن حركة الإسلام تتناول الحياة كلها.

وعجيب أن يدعي فرويد أن التطور الداخلي للإسلام سرعان ما توقف وهو يعلم أن أمما حضارية عريقة فى الحضارة والآداب والفنون والثقافة قد رحَّبتْ بالإسلام ورضيت به بديلا صالحا عن كل حياتها بدْءا من العقيدة والرأس والقلب فقد أفرغوا كل ما كان بها من التراث العريق ليحل محله الإسلام.

رضيت أمم وشعوب بأن تستبدل الإسلام بكل ما كان لديها، حتى بلغ إخلاصها أن تأخذ لغة الإسلام والقرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام: لغة العرب وغاروا عليها من لغاتهم حتى كان منهم أئمة فى اللغة وعلومها وعلوم القرآن.

وكان فى شريعة الإسلام قسوة فى بعض أحكامها كالحدود والزكاة لم تمنعهم من قبول الإسلام ديناً يحكمهم فى كل شىء.. قبلوا الإسلام ورضوا به طواعية واختيارا لأنهم أدركوا أن تلك القسوة رحمة عظيمة أو سببها وثمرتها.

إن الإسلام دين الفطرة السليمة والأصالة الصحيحة ودين الجدَّة الدائمة إذْ أودع الله فيه بذور التجديد ليكون صالحا للحياة فى كل تقلباتها وتطورها.

العقيدة ثابتة لا تقبل الإضافة والتطور وما ذلك بجمود أو وقف للتطور والنمو وإنما لكمالها، إذ الكمال لا يقبل الإضافة وإلا لما كانت موصوفة بالكمال إذ الإضافة تنفيه كما أن التطور ينفيه أيضا، لأن التطور تغير إلى الأحسن أو هكذا يجب أن يكون، والكامل لا يقبل التطور، لأن قبوله إياه ينبغى الكمال الذى استوفى الأحسن فما تم بعد الكمال أحسن ألبته.

وأما زعم فرويد بسرعة توقف التطور الداخلي للإسلام ودعواه أن الديانة اليهودية موصوفة به، والسبب الذى يراه نقص العمق فى الإسلام وتوافره فى اليهودية لأن مؤسسها قتل ومؤسس الإسلام لم يقتل، لهذا توافر التطور الداخلي لليهودية.

وهذه الزَّعمات التى يدعيها فرويد يحسن الرد عليها من قِبَل الحق ببيت الشاعر العربى الكبير أبى العلاء المعرى:

هذا كلام لَهُ خَبِىء
معناهُ ليستْ لنا عقولُ

●● وما رأي فرويد إذا قتل مؤسس الإسلام أكان يوصف منه بتطوره الداخلي وتوافر العمق له؟ أكل هذا بسبب مقتل موسى الذى لم يتجاوز الدعوى التى لم تثبت، وعلى فرض صحة الدعوى فلماذا ماتت ديانة أخناتون المؤسس القتيل؟.

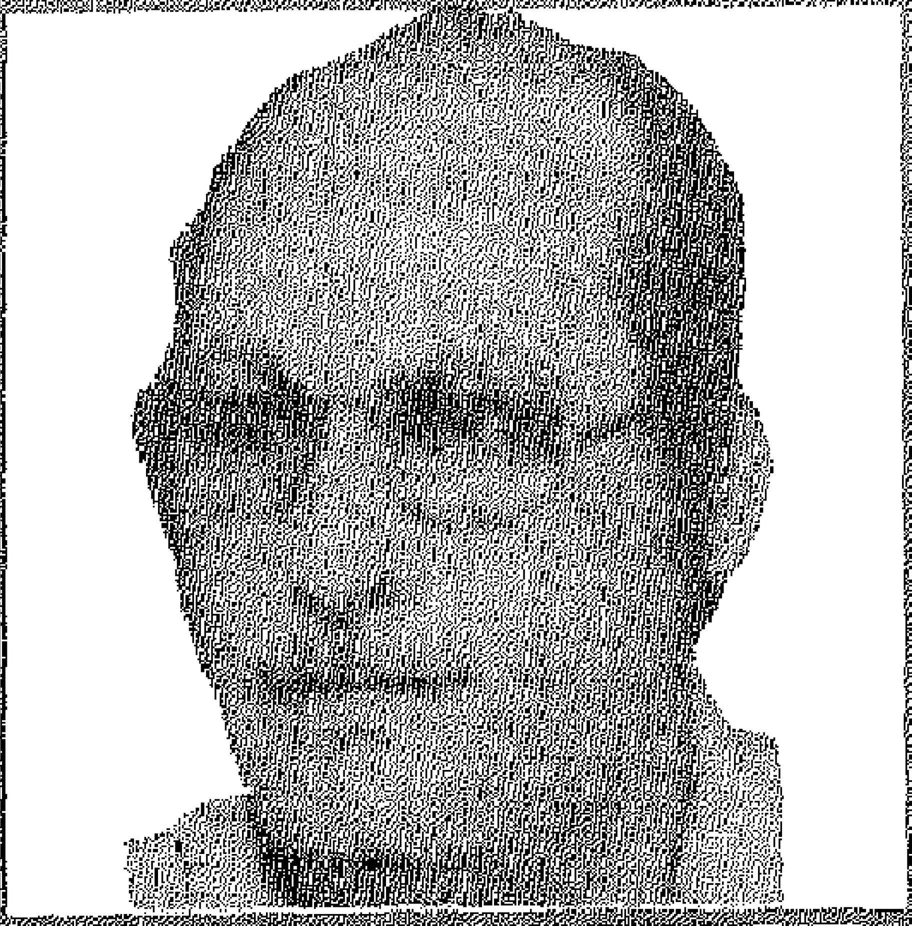
«للبحث صلة»

بشار بن برد

بين العقاد وأحاديث بعضنا

في جلسة مع صديق أديب دار الحديث بيننا عن الشاعر الكبير بشار بن برد، وعن سيرة حياته وديوان شعره فى طبعته التى حققها وشرحها العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور والتى قامت بنشرها منذ سنوات الشركة التونسية بالإشتراك مع الشركة الوطنية الجزائرية فى أربعة أجزاء والتى قال محققها فى مقدمة الجزء الأول منها: « **انه ليس بخاف على أحد ممن زاول أدب اللغة العربية مزاولة مغرم ما يجده الأديب من الحسرة على نزارة ما بين يديه من شعر بشار بن برد، ذلك الشاعر القرم الذى هو فاتح باب شعر المولدين وخاتم عصر الشعراء المتقدمين. . ومن أجل ذلك لم يزل ولا يزال المتأدبون يشدّون بما تناله أيديهم من شعره، فيزينون به مدوناتهم، ويرصعون بفرائده مجموعاتهم. فما خلا غرض من أغراض الشعر إلا وضعوا على رأس مباحثه تاجاً من فرائد بشار، ثم تراهم يتساقطون على إلتقاط جواهره تساقط الطير حيث يلتقط الحب، سواء فى ذلك الحكيم والبليغ والخليع وصريع الحب، وكأنك لا يغيب عنك تلهفهم على ما تلاشى منه**».





بقلم الأستاذ
عامر العقاد

قال صاحبي: وهل صحيح ما قاله بعض مؤرخي سيرته من أن أباه كان أول من اسلم وانه كان من أبناء ملوك الفرس ؟ .

كما قال عن نفسه شعرا:

أنـا ابـن ملوك الأعـجـمـين تقطعت
على ولـي في الـعـامـريـن عماد

قلت له: لا أعتقد يا صاحبي.. فالرجل يبالغ في ذلك. إذ أن المصادر الثقة تقول إن أباه كان عبداً وان اسم العبيد ببرد معروفة عند العرب من قديم، ألم يكن ليزيد بن مفرغ الحميري - وهو كما لا يخفى عليك من شعراء صدر الدولة الأموية - غلام اسمه برد باعه أو بيع عليه وفاء لدين فأسف على بيعه وقال:

وشـريـت بـرداً ليـتـنـي
من بـعـد برد كـنـت هامـة

فهو - أي بشاراً - كان من الموالي من أبناء الفرس بلا خلاف. وقد ذكر ابوالفرج عن حميد بن سعيد انه قال: كان بشار من شعب أديرس بن يستاسب الملك بن يهراسب الملك.

بل لقـد غالى البعض بنسبه فرفعه إلى أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام واعتقد انه من مغالطات ثلة من المؤرخين أو أصحاب الخيال الذين ظنوا أن الفرس من ذرية إبراهيم. وهذا ما لم يقل به أحد من علماء الأنساب الثقاة ولا بد أن ذلك قد خرج من بين كتابات بعض مؤرخي الفرس الذين كانوا يرمون من وراء ذلك التقريب من العرب.

● وقد أشار محقق مخطوطة ديوانه إلى أن بشاراً كان مولى لبني عقيل بن كعب من بني عامر، وأن أباه «بـرد» كان قد وقـع في الفيء في مسبى المهلب من أعجام ما وراء النهر في حدود عام ٨٠ وأصله من طخرستان فصار عبداً لخيرة القشيريه زوج المهلب بن أبي صفرة، ثم وهبته مولاته لإمرأة من بني عقيل.

وكان «برد» طياناً يضرب اللَّبِنَ حاذقاً، وقد ولد له بشار وهو عند العقيلية وقد اعتقت العقيلية الفتى بعد موت أبيه، فصار مولى عقيل، ولذلك نجد أن بعض المؤرخين كانوا يلقبونه ببشار العقيلي وقد أشار هو نفسه إلى ذلك في بعض شعره حينما قال:

إننـي من بنـي عقـيـل بن كعـب
موضـع السـيف من طُلى الأعنـاق

قال صاحبي: رحم الله أبا معاذ.. وهي كنية عرف بها بشار..

قلت كذلك لقب بالمرعَّث بفتح العين المشددة وهو اكثر ما كان يعبر به عن نفسه، والرعث بالتحريك الإسترسال والتساقط، أو هو مشتق من رعثة الديك

وهى اللحمة الحمراء المتدلية تحت حنك الديك.

ويقول البعض انه قد لقب بذلك بسبب تفرده بوقوع الكلمة فى شعره حينما قال:

قــال ريــم مرعَّــث
ساحــر الطــرف والــنظــر
لســتَ والله نائــلي
قلــتُ أو يغــلــبَ الــقــدَر

قال صاحبى: إذن يكون بشار من جملة الشعراء الذين لقبوا بكلمات جرت فى أشعارهم وحسبنا وصفه لنفسه:

أنــا المــرَّعــث لا أخــفــى على أحــد
ذرت بى الــشمس للقــاصى وللدانى

أو قوله كذلك:

فُتــنَ المــرَّعــث بعــد طــول تَصــاح
وصــبــا ومــلَّ مقــالــة الــنُّصَّــاح

وفجأة رأيت صاحبى يشرد كمن يسترجع من الذاكرة بعض ما قرأه قديما فى سبب تلقيبه بتلك الكلمة من جملة ما رواه علماء اللغة ومؤرخو سيرته.

فقال: أذكر أننى قرأت لأحدهم أن بشارا قد لقب بذلك لأنه كان بأذنه رعثة وهى من عادات الفرس قديما عندما يثقبون أذن مماليكهم ليضعوا فيها قرطا من ذهب لا سيما اذا كان أولئك المماليك من الأجناس النفيسة.. وهناك طائفة منهم عُرفت عندهم بمثقوبى الآذان. ولربما نقلت هذه العادة فعمل بها موالى بشار فثقبوا أذنه لوضع قرط بها.

قلت: خلاصة القول أن مولد بشار كما أشارت معظم المصادر كان بالبصرة ونشأ بها، واشتهر شعره بين ربوعها، وتنقل فى البلاد. ثم رجع إليها وكانت وفاته ببغداد سنة سبع وقيل ثمان وستين ومائة كما ذكر الخطيب البغدادى فى تاريخه الشهير، وكذلك قال الصفدى فى «الوافى بالوفيات» وقد بلغ عندما جاءته الوفاة تسعة وتسعين عاما.. فيفهم من ذلك انه قد



عاش حتى شاخ وابيض رأسه ولحيته وان كنت أرجح انه قد توفى بعد أن تجاوز السبعين من العمر على أية حال لأنه فى قصيدته التى هجا فيها أبا هشام الباهلى يقول:

وحســبــك أنى منــذ ستــين حجــة
أكــيــدُ عفــاريــت العِــدى وأكــاد

قال صاحبى: أما الحديث عن صفاته فحدث عنها ولاحرج.. فعارفوه قد اجمعوا على أن عرضه كان اكبر من طوله، وانه كان فى مجموعه كتلة ادمية بشعة بل ومنفرة. فلو حاول مثَّال من الذين يجيدون صناعة التماثيل أن يجمع ما تفرق من الدمامة فى تمثال لما استطاع أن يأتى بأقبح من صورة بشار أو أشنع، بل إن تلك المرأة التى أخذت «الجاحظ» يوماً إلى نقاش ليرسمه حتى تخيف به إبنها لورأته لتركت الجاحظ يذهب لحال سبيله ولرأت فى صورة هذا الشاعر ما يرهب عصبة من الصبيان من أمثال ذلك الابن المعربد والطاغية والذى أعجزها أن تخيفه.

قلت: أنت محق فيما تقوله يا صاحبى من ناحية الصورة التى كان عليها بشار فإنه العجيب الذى يدعو إلى العجب حقاً أنه لا تكاد رواية واحدة تند عن أن صورته كانت صورة مشوهة وان كان شيخنا العقاد قد رأى فى تلك الصورة التى كان عليها بشار مفتاحاً لشخصيته عندما تحدث عنه. فقد كان العقاد

يرى ان فى تلك الصورة دلالة سريعة وقاطعة على مذهبه فى الشعر والحياة بل هى عنده تفسر الكثير من أخلاقه ونوادره.

فقد روت كتب سيرته انه كان ذات يوم نائما بالكوفة فى دهليز وكأنه جاموس راقد ودخل عليه أحدهم فقال له: يا أبا معاذ من القائل:

إن فى بردى جسماً ناحلاً
لو توكأت عليه لانهدم

قال له: أنا. فقال الرجل كرة أخرى: ومن القائل أيضا:

فى حلتى جسم فتى ناحل
لو هبت الريح به طاحا

قال له: أنا أيضا القائل: فلم يتمالك الرجل نفسه من مساءلته قائلا: فما حملك على هذا الكذب؟.. والله إنى لأرى لو أن الله بعث الرياح التى أهلك بها الأمم الخالية ما حركتك من موضعك.

وروى عنه أيضا أن رجلا سأله ذات يوم عن منزل ذكره له، فجعل يفهمه والرجل لا يفهم. فلما يئس منه أخذ بيده وقام يقوده إلى المنزل الذى كان يبتغيه وجعل ينشد في طريقه:

أعمى يقود بصيراً لا أبالكمو
قد ضل من كانت العميان تهديه

وظل بشار يقوده حتى وصل به إلى المنزل المنشود فدفعه إلى داخله وهو يقول له: هذا هو المنزل يا أعمى..

● ومما يلفت النظر فى أمر هذا الشاعر الأعمى انه لم يكن يأتى فى شعره بما يناسب العمى. فالقارىء لشعره لا يشعر بذلك العمى الذى كان يلازمه طوال حياته وربما كان سبب ذلك فرط دقته وعلمه بالأشياء ووصفه لها اللهم إلا فى قوله:

نأتيتهن مع الجرى يقودنى
طربا ويالك قائداً ومقوداً

قال صاحبى: وقد أخذ الحديث بنا حول سيرة هذا الشاعر مناحى متعددة.. وفجأة وجدته يسألنى عن رأى شيخنا العقاد فيما إشتهر به بشار من مجون، بل لو شئنا القول فجوراً فى بعض مواقف حياته.. فالمعروف عن شيخنا العقاد انه كان لا يحترم شعراء المجون أو الغارقين فى اللهو منهم.

قلت: لقد سمعته يوماً يتحدث عنه حينما جرى ذكره على لسانه فقال عنه: انه كان حتى أخريات أيامه وفى شيخوخته وهى السن التى تسكن فيها النفس عادة بل ويهدأ فيها شره الطبع وتفتر نزوات الحياة كان وكأنه فى سن الفتوة ومجانة الصبا ودفعة الحيوية العارمة.. وأصحاب ذلك المزاج - يقصد الذين يغلب عليهم اللهو والفجور والشغف باللذات وما تسوله غواية اللحم والدم - لا يملكون كبح جماح النفس ويستسلمون فى معظم الأحيان لطبيعتهم الحيوانية ولمطالبهم الجسدية ولشهواتهم الحسية.. وقد كان ذلك التيار وإنغماس بشار فيه مما يدل على إطاعته لتلك الطبيعة الحيوانية التى عرفت عنده.

فلو كان بشار قد ولد كالمعرى فى بيت تقوى وعلم ونشأ منذ الطفولة نشأة مهيأة للدرس والتوقر لجاز له أن يكبح نفسه وأن يسيطر على بواعث طبعه. إلا انه كما هو معروف قد نشأ فى بيئة كان أهون شىء عليها الوقار والكرامة. أبوه كان مولى طياناً من السبى، وأمه امرأة ترضى أن تتخذ عبدها زوجا لها. كما كان الفقه فى الدين أبعد ما يتصور من ابى بشار وأغرب ما منى به الناس منه.

وأذكر: أن العقاد روى يومذاك أن والده كان يضربه ضرباً مبرحاً لهجوه الناس. وكانت تقول له أمه: **لم تضرب هذا الغلام الضرير؟ أما ترحمه؟** فيقول: بلى والله إنى لأرحمه، ولكنه يتعرض للناس فيشكونه إلىّ، فسمعه بشار فطمع فيه وقال: ان هذا الذى يشكونه منى هو قولى الشعر، وإنى ان أتممت عليه أغنيتك وسائر أهلى. فإن شكونى إليك فقل لهم: «**ليس على الأعمى حرج**» فلما أعادوا الشكوى على

الأب قال لهم ذلك فلم يملك الناس إزاء رده هذا سوى أن ينصرفوا عنه وهم يقولون: فقه بُرد أغيظ لنا من شعر بشار.

حينذاك قال صاحبي معقباً على ما رويت له من رأى لشيخنا العقاد فى بشار أى أن العقاد - يرحمه الله - كان يعتقد أن طبيعة بشار وتربيته هما اللتان أرادتا به أن يكـون كما كان من ناحيـة مجونـه وإستجابتـه للشهوات الحسية ومطالب الجسد.

قلت: نعم بل وربما كانت تلك الطبيعة هى التى جعلته يوطن نفسه على ما كان يلقى من السخرية والعبث فى سبيـل ذلك، وأن يستهدف فى كثير من المواقف للضحك والابتسام والولع به والتغامز عليه مما إضطـره إلى أن يخلع الحيـاء فلا يبـالى بشرف ولا يراقب النـاس فى أمـر من الأمـور التى اجتـذبتـه واستهوته والتى يضاعف الحرمان عادة من النظر رغبته فيها وتكالبه عليها فلم يكن هناك أحد غيره أحق بأن يقول:

من راقب النـاس لم يظفـر بحاجتـه
وفـاز بالطيبـات الفـاتـك اللهـج

وإذا وضعنا نصب أعيننا انه من عادة التمادى فى اللهو إضعاف التقية ومما يساعد على قلة المبالاة.. ومـع الأيـام يغدو المدح أو القدح لا يعنيه والشرع والضمير لا يزعه. فهو والحال هذه لا يحفل حرمة من الحرمـات التى يقدسها الناس ويستعينون بها عادة على النزوات والأهواء. وقد بلغ الأمر ببشار هذا كما روى المؤرخون لسيرته إلى ذلك الحد المكروه فكان لا يستبقى نسباً ولا مودة ولا سمعـه إلا ما يمسه منه الضرر ويحول بينه وبين ما يريد.

قال صاحبى: لكن ما قولـك يا أبا العباس وما قول شيخنا العقاد فيمن قالوا إن بشاراً كان من المعتزلة؟

قلت: لقـد عرض شيخنا العقاد لأصحاب ذلك القول عنه فى مقال قديم كتبه فى العشرينات فقال انه من الهزل أن يحسب لبشار رأى فى الدين والعصبية فيقـال انـه كان معتزليا. فما كان لذلك شأن عنده يشغله اكثر من ساعة سمر، أو كلمة يرسلها فى قطعة من الشعر للمداعبة وإغاظة بعض المتحرجين على عادة المتهتكين والخلعـاء فى العبث بمن يظهـرون العفة والصلاح.

وأذكر: أن العقاد قد أضاف الى رأيه ذاك حديثه عن عصر بشار الذى واكب نشأته وهو أوائل عهد المدنية العباسية وهى الفترة التى راجت فيها الأزياء الفكـريـة والذوقية كما تروج الأزياء عامة فى عهود العمران والمدنية فقد كانت الزندقة من أزياء الظرفاء أو كان الظرف من أزياء الزندقة، كما قال أبو نواس «تيه مغنٍ وظرف زنديق» فكان بشار من ذلك الصنف الذى كان يتخذ له كل يوم زياً من تلك الأزياء التى كان يتحلى بها ظرفاء عصره ورواد مآلفه فكان يغشى مجالس المعتـزلـة لا لشىء إلا ليتلقف منهم ما كانوا يخوضون فيه من نحل غريبة، وما كانوا يتحدثون به من أقاويل معتسفة. فتارة يجارى القائلين إن أبليس خير من آدم ولا يعتقد العقاد بحال من الاحوال أن هذا مما يدخل فى المذاهب الفلسفية أو الدينية بحال من الأحوال. وتارة نراه - أى بشارا - على مذهب الجبرية الذين يسقطون الحساب والتكلف ويتضح هذا من قوله:

طبـعـت على ما فىّ غير مخير
هواى ولـو خيرت كنـت المهـذبـا
أريـد فلا أعطـى وأعطـى ولم أرد
وقـصـر علمى أن أنـال المغيـبـا
فأصـرف عن قصدى وعلمى مقصـر
وامسـى ومـا أعقـبـت إلا التعجبـا

وفى تارة أخرى يعود بشار فاذا هو مؤمن يذكر الموت ويخشى الحساب فيقول:

كيـف يبـكـى لمحـبس فى طلول
من سيـقـضـى لحبس يوم طويـل
إن فى البـعـث والحسـاب لشغـلا
عن وقـوف برسـم دار محيـل

ويبلغ الشأو من الإيمان حينما نراه يقول:

بدا لى أن الدهر يقدح فى الصفا
وأن بقائى ان حييت قليل
فعش خائفا للموت أو غير خائف
على كل نفس للحمام دليل
خليلك ما قدمت من عمل التقى
وليس لأيام المنون خليل

حينذاك أراد صاحبى أن يدير حديثه من الكلام عن عقيدة بشار ومذهبه الدينى الى تقييم شعره فقال: ومع كل ما قيل عنه فقد كان صاحب شعر رصين وان كان ينقسم فى معظمه بين الجزالة إلى جانب الرقة والنعومة.. فهو عندما كان ينظم فى الأغراض الشعرية القديمة نراه كان أقرب إلى لغة الاعراب التى لا تشوبها دماثة الحضارة، أما اذا نظم فى الغزل كان أقرب إلى اللغة المألوفة الشائعة التى سلست عباراتها ورقت فى الوقت ذاته حواشيها.

وقد كان يدل بسلامة ألفاظه وجودة نظمه ويقول لمن كان يسأله فى ذلك: ـ ومن أين يأتينى الخطأ وقد ولدت ونشأت فى حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ؟ وأما نساؤهم فأفصح منهم، ويستطرد فيقول: وأيفعت فأبديت إلى أن أدركت، فمن من أين إذن يأتينى الخطأ؟

حينذاك لم يفتنى أن ألفت نظر ذلك الصديق إلى أن شاعره هذا على ما علمنا من قوة جسمه وطول عمره لم يسلم من فدية الأدب أو ضريبته التى يفرضها على بعض أبنائه والتى يقول بعض العلماء النفسانيين انها حق الفن على بعض الفنانين يأخذه من عقول ذلك البعض أو من نسلهم وحواسهم ونادراً ما يعفى منها واحد من المشتغلين بالآداب والفنون.. وقد كانت ضريبة بشار أولها بصره الذى فجع فيه وهو جنين فى بطن أمه، وكان ذلك أول خلل إعتراه فى تركيبه وربما كانت له علاقة حميمه بالمزاج والأعصاب، وثانيها نسله الذى فقده فى حياته فلم يرزق سوى ولداً وبنتا ماتا صغيرين ولم يعرف بعد من سيرته التى امتدت عبر الأيام والسنين انه أعقب غيرهما خلفا من ذكور أو إناث.

رحم الله أبا معاذ.. فمهما تمر السنون فإنه سوف لا يعدم ذاكراً لسيرته ولشعره وكيف لا. ألا يوجد حتى الآن من نسمعه يردد بين آونه وأخرى قوله:

يا قوم « أذنى » لبعض الحى عاشقة
والأذن تعشق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى «تهذى» فقلت لهم
الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

أو قوله:

وكاعب قالت لأترابها
يا قوم ما أعجب هذا الضرير
هل يعشق الإنسان ما لا يرى؟
فقلت والدمع بعينى غزير
إن تك عينى لا ترى وجهها
فإنها قد صورت فى الضمير

قال صاحبى: نعم سوف لا يعدم بشار من يذكره ويترنم بشعره رغم أن أهاجيه قد كرّهت العديد من أبناء عصره فيه وفى شعره حتى قيل أنهم قد شمتوا بموته، وهنأ بعضهم بعضا لدرجة أن أبا هاشم الباهلى شيعه بقوله غداة مصرعه:

يا بؤس ميت لم يبكه أحد
أجل. ولم يفتقده مفتقد
لا أم أولاد بكته، ولم
يبك عليه لفرقة ولد
بل زعموا أن أهله فرحاً
لما أتاهم نعيه سجدوا

حينذاك كان الوقت قد سرقنا وصاحبى.. ونحن نجوس خلال سيرة بشار وبعض مناحى شعره ونوادره فقام صاحبى مستأذنا على أمل الجلوس مرة أخرى يكون القاسم المشترك خلالها بيننا سيرة علم من أعلام شعرنا العربى الرصين ورأى شيخنا العقاد فيه وقديما قيل الحديث ذو شجون.

حوار مع د. عبد العزيز شرف

أجراه د. أحمد الحفناوي

الدكتور عبد العزيز شرف أديب وناقد صحفي متخصص، نال درجة (الدكتوراه) سنة ١٩٧٥ من جامعة القاهرة، وعمل عضوا بهيئة التدريس في جامعتي القاهرة والأزهر.

وهو عضو في نقابة الصحفيين، وفي مجلس اتحاد الكتاب.. ونال العديد من الجوائز.

ويمكن تلخيص جهوده الأدبية في المجالات الآتية:

★ أولا: النشاط العلمي: الذي تركز في الجامعة حيث تخرج على يديه الكثير.

★ ثانيا: المشاركة الأدبية والثقافية في الجمعيات والاتحادات العربية والمجالس القومية المتخصصة.

★ ثالثا: ارتباطه بوسائل الإعلام: تولى التحرير الأدبي بالأهرام، وتولى من خلال الصفحة الأدبية فيها توجيه الأدب العربي الحديث وتقويمه ونقده.. ويرأس حاليا/رئاسة تحرير مجلتين أدبيتين هما: (مجلة الحضارة)، (مجلة الأيام الجديدة) الى جانب مساهماته في المجلات والصحف العربية..

رابعا: تأصيله لمنهج عربي جديد في الدراسات الأدبية: حيث حقق فيه الصلة بين الأدب ووسائل الاتصال.

وفي بداية لقائي معه:

●● قلت له: يسعد «المنهل» ان يبادءكم بسؤال يطرحه عن الفكرة الرئيسية التي تدور حولها كتبك أو بالأحرى ماذا أردت أن تقول فيها؟.

★★ لم يكن أمامي من محور اهتمام غير الانسان..





الارتقاء بمستوى اللغة .. اظهار خصائصها التعبيرية .. الإفادة من وسائل الإعلام والاتصال الحديثة .. تأصيل «علم الاعلام اللغوي» .. كلها خطوط عريضة لتفاصيل دقيقة شيقة نعيشها في هذا الحوار الممتع .

الـذى شاهدته فى قريتى . . وفى المدينة يبحث عن شعاع النور وسط ظلام كثيف . . ان البحث عن هذا الشعاع هو الأمل الذى يجب أن يتميز به الانسان . . وهـذا الانســان فى كتبـى عربى . . يتمكن من التجاوز . . والمحنة التى يعيشها الشعب العربى بعد حرب حزيران وثورة شعبى على المحنة التى فرضت عليه هى فرصة للتجاوز . . فى قصائدى الاولى «نهر من دمـوع» لم تكـن رؤيتى واضحـة ولكن ثمـة ارهـاصـات كانت فى عيـون هذه القصـائـد تبشـر بالفجر . . وتدعو إلى التمرد من خلال الدُّموع ، التى تجمدت فى النهر كما تتجمد دموع الشموع . .

ومن بعـد . . كان الإنسـان أمـامى هو أبى الفـلاح . . وكنت أقول ما أروع أن يكون الانسان فلاحـا . . يحمى نفسـه وبيتـه . . وفى الشتاء يدور حديث عذب بينه وبين أولاده . . سيقدمهم للوطن يوماً ما . . الـوطن العظيم هو المواطن العظيم . . المواطن العظيم يستطيع معرفة الله . . والوطن العظيم هو أساس العالم العظيم . . والعالم العظيم هو أساس الانسان العظيم . . والانســان العظيم هو الـذى يستطيـع أن يفهم خالقـه الأعظم . . ويفتـح أمامه الطريق اليه .

وعلى هذا الأساس كلما فكرت فى قريتى فكرت فى الكون الذى نعيش فيه . . وفاضت مشاعرى . . وعلى هذا الاساس تعتمد مؤلفاتى وأفكارى .

●● فى عطائكم العملى المتمثل فى دراساتكم أثيتم قدرة اللغـة العـربية على التعبير عن منجـزات الحضـــارة . . نود إلقـــاء بعض الضــوء على هذا الموضوع الحيوى .؟

★★ يشهد عالم اليوم اهتماما متزايدا بالاعلام ووسـائله وبتطـور الاعلام فى العالم الحديث تطورا مذهلا ، وهذا التطور المذهل إن هو إلا امتـداد للانتصـارات التى حققتها اللغة فى سبيـل تحقيق اتصـال جماهـيرى ، فأصبحت اللغة فى ظل الإعلام ذات سلطان لما لها من تأثـير على الأفـراد والجماعـات ولذلك فإن دراسـاتى تنظـر للعمـل الإعلامى على أنه يفرض بالدرجة الأولى على وسائل الارتقاء بمستوى اللغة العربية التى عاشت ككل لغة إنسـانيـة مراحـل التطـور منـذ انبثاق الحياة الإنسـانية التى تعاملت بالكلمة المنطوقة ثم المدونة ثم المطبوعة ثم المذاعة . .

وتأسيسـاً على هذا الفهم فان دراساتى اللغــويـــة ركــزت على أثـر هذه المحصلة الاعلامية على الوطن العربى من جهة وعلى

اللغة العربية الفصحى من جهة أخرى . .

وأيا كان أمر هذه النظرية فإننى ذهبت فى دراساتى المتواضعة إلى أن اللغة المكتوبة أو المنطوقة قد أصبحت فى عصر ثورة الاتصالات الألكترونية أبرز ملامح العصر . ولذلك فقد كان من الطبيعى أن أسعى ـ على استحياء شديد ـ إلى تأصيل «**علم الإعلام اللغوى**» الذى يرتكز على كل ما كانت تقوم به علوم : النفس والاجتماع ونظرية المعرفة عن قوة تأثير الكلمة .

هذا وقد حاولت اظهار الخصائص التعبيرية فى اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن مستحدثات العصر فى كتابى (**الاعلام وعبقرية اللغة العربية**)، أما كتابى : (**الاعلام ولغة الحضارة**) فقد أكدت فيه هذا المعنى من خلال دراسة مستقبلية أتصور فيها مستقبل الفصحى فى ظل وسائل الإعلام وأقمار الاتصالات الجديدة .

ومن أجل هذا نذهب إلى أن الدعوات العامية فى البلاد العربية حين بلغت ذروتها فى أواخر المرحلة الطباعية ـ ان جاز هذا الحسم التعسفى بين المراحل ـ كانت المرحلة الإذاعية تدق أبواب العالم وكان مغزى ذلك على الصعيد العربى الإيذان بميلاد «**قرية عربية**» من المحيط إلى الخليج إن جاز هذا التعبير، وهذا هو ما سيحققه بالفعل استخدام أقمار الاتصالات فى الإعلام بما يؤدى إلى مقاومة الدعوات الإقليمية، وما ارتبط بها من دعوات إلى العامية . .

ومن اللازم فى لغة الاعلام . . أن نفرق بين اللغة الفصحى واللغة الصعبة التى لا يفهمها الا الأقلون . . اذ ليس كل فصيح صعبا، ولا كل عامى ركيك سهلاً على سامعيه كما يقول العقاد رحمه الله . . واستعمال الفصحى لغة للاعلام ليس مطلبا عسير المنال . . فلغة الاعلام هى الفصحى السهلة المبسطة فى مستواها العملى . . وقد امتازت وسائل الإعلام باظهار خصائص العربية التى تمتاز بها، بالفعل، مثل المرونة والعمق، الذى يجعلها تنهض بالحياة والترجمة الأمينة للمعانى والأفكار والاتساع للألفاظ والتعبيرات الجديدة التى يحكم بصلاحيتها الاستعمال والذوق والشيوع .

●● **«التفسير الاعلامى للأدب» منهج جديد يرتبط باسمك منذ دعوت اليه فى الدراسات الأدبية العربية، فما هى ملامح هذا المنهج وهل يؤدى إلى تأصيل منهج عربى فى النقد الأدبى؟**

** هذا المنهج بالفعل حصاد للصلة بين الأدب ووسائل الاتصال، وهو يرفض فى معطياته الاتجاهات النقدية التى تصطبغ بصبغة قضائية، ذلك أن هذه الاتجاهات القضائية كما يقول «**جون ديوى**» قد أفسدت مفهوم النقد نفسه . فالحكم النهائى الخاسم يغلق السبيل أمام تجدد الطبيعة البشرية . . وعلى العكس من ذلك الحكم الذى ينمو ويتطور فى مضمار الفكر، كادراك واع قد تحقق بنفاذ وعمق .

والتفسير الاعلامى للأدب يقوم على أساس من فهم طبيعة الأدب، وأنها تقوم فى جوهرها على أساس اتصالى، يحقق التناغم الوجدانى بين المرسل والمستقبل، وحينما بشرت بالتفسير الإعلامى للأدب العربى



د. شرف في حوار مع د. الحفناوي

فإنني - كما قلت لك - حاولت الإفادة من تخصصي في الدراسات الإعلامية ومن اهتماماتي الأدبية، بهدف طرح افتراضات حول استخدام هذا الاسلوب الجديد في تفسير الأدب العربي.

ذلك أن التفسير الاعلامي للأدب يقوم على أساس من الوحدة الاتصالية، فالأديب والمضمون والوسيلة والمستقبل والاستجابة، هي جميعا حلقات متصلة في سلسلة واحدة.

●● حينما يركز التفسير الاعلامي - في بعض عناصره - على الهدف من العملية الاتصالية في العمل الأدبي. هل يعني ذلك أنه يحتفي بما يسمى «الأدب الهادف»؟.

★★ لايمكن تقويم العملية الاتصالية في الادب إلّا على أساس الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه.. ولا نعني هنا بحال من الأحوال ما يسمى «**بالأدب الهادف**» - كما تفضلت - وانما نعني أن الأدب«**عمل اجتماعي**» ذلك أنه حين يتوصل بوسائل الإعلام، فانه يشتق أحداثه ومواقفه من البيئة الاجتماعية ومن الثقافة السائدة بما فيها من اتجاهات وقيم ومعايير وتقاليد.. فالاتصال بالجماهير تجسيد لثقافتها وحضارتها.. والأدب حين يتصل بالجماهير لابد وأن يكون انعكاسا صادقا لهذه الثقافة أو الحضارة.. ومن خلال ذلك يقوم بتعميق المفاهيم الشائعة في المجتمع، وترسيخ القيم السائدة فيه، وتثبيت العلاقات القائمة.

●● هل قدمت دراسات تطبيقية في التفسير الإعلامي للأدب العربي؟.

★★ بالفعل.. هناك عدد محدود من الدراسات التي قدمتها في هذا المجال، منها: «**نظرية الاعلام في النقد الأدبي**»، «**التفسير الاعلامي للأدب العربي**»، «**رؤيا شاملة**»، «**التفسير الاعلامي للأدب العربي الحديث**».. *إلى جانب الدراسات التي تناولت عددا من الأدباء في ضوء التفسير الاعلامي، مثل «طه حسين وزال المجتمع التقليدي»، «محمد حسين هيكل»، «الرؤيا الابداعية في شعر الهمشري»، «الرؤيا الابداعية في شعر البياتي»، و«النماذج البشرية في أدب ثروت أباظة».. وغيرها من الدراسات.*

●● يرتبط بالتفسير الإعلامي في منهج د/ شرف النقدي، مفهوم الوحدة والتنوع في الأدب العربي.. ظهر ذلك واضحا في كتابك الأخير عن «الوحدة والتنوع في الأدب العربي الحديث».. فالى أي مدى نرى الصلة بين التفسير الإعلامي، والوحدة والتنوع؟.

★★ ان الأدب العربي يمتلك بأصوله الممتدة قرونا طويلة من مقومات الوحدة الكثير مما يجعل هذا التنوع في الادب استجابة

طبيعية لمطالب الحياة اليومية . . ودراسة مفهوم الوحدة في التنوع تقتضينا أن نؤكد دائما أن التنوع لا ينبغي أن يبعدنا عن الأصول الاساسية لوحدتنا الثقافية لأنها وحدها القادرة على استيعاب طموحنا وآمالنا القومية على مستوى الوطن العربي كله . . وهي أيضا تمثل مشاركتنا كأمة عربية واحدة في بناء الحضارة الانسانية . . واننى أتفق معك تماما في أن دراساتي - المتواضعة - في الأدب العربي الحديث تتسم بهذه النظرية إلى «التنوع» في إطار «الوحدة» فكنت حريصا في الدراسات على عبور الحواجز الاقليمية المصطنعة في تطبيق التفسير الاعلامي للأدب . . فكتبت عن المقاومة في الأدب الجزائري، وكتبت عن أدب المملكة العربية السعودية والخليج العربي ، ومصر والسودان والعراق وعلى نحو ما يتضح من عناوين بعض كتبي .

ويمكن القول أن دراساتي في التفسير الاعلامي تنظر للأدب العربي الحديث على أنه نظام اجتماعي يصطنع اللغة العربية وسيلة اتصالية واللغة نفسها ابداع اجتماعي . . وعلى ذلك أذهب إلى أن التنوع في الوحدة ليس طبيعة الأدب العربي الحديث فحسب . . ولكن الوحدة في التنوع تمثل الاطار العام للأدب العربي في جميع عصوره . . فحرصت على دراسته من خلال دراسة قواعد الأدب وأجناسه الأدبية وخصائصه الفنية .

●● في كتابك : «المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر» . . كيف ترى مفهوم التنوع في الوحدة؟ .

★★ *لقد أكدت في هذا الكتاب على أن أي باحث في تاريخ الثورات الانسانية والحركات الوطنية المعاصرة لا يستطيع أن يدرك عمق الثورة الجزائرية وعبقريتها وشمولها ما لم يلم إلماما واسعا بجذورها التاريخية وبالخصائص القومية والحضارية للشعب العربي الجزائري التي لعبت دورا هائلا في تفجير القوى النضالية لدى الشعب الجزائري ودفعه في طريق الكفاح المسلح الذي هو أسمى وأعلى مظهر للكفاح ضد الاستعمار والاستغلال . لتعطي من خلال الممارسة الحية للنضال الشاق العنيف أروع تجربة ثورية في تاريخنا الحديث . .*

ومن وجدان هذه الثورة الممتدة الجذور . . نشأ الأدب الجزائري المعبر بالفرنسية . . والذي اعتبرته أدب مقاومة . . إنه يحتفظ للروح العربية والمقاومة الجزائرية بمقوماتها التاريخية . . ولأن هؤلاء الأدباء اتخذوا من اللغة الفرنسية سلاحا لمنازلة الاستعمار في ميدانه فتبنى أدبهم قضية التحرير بكل أبعادها فاسهموا بذلك في خدمة وطنهم ونفذوا من هذه القضية إلى المستوى الانساني . . وتميز هذا الأدب عن غيره من الآداب بروح المقاومة ضد المستعمر ومحاولاته لافقاد الشخصية والتجهيل والافقار المادي والفكري . . وكانت دعائم هذه الروح التمسك بالقومية والارتباط بالأرض . . ومن أجل هذا دعوت الأدب الجزائري المعبر بالفرنسية «أدب مقاومة» في مجموعه .

●● بعد خطوات التعريب التي قامت بها الجزائر، هل يمكن أن نقول بمستقبل للأدب المعبر باللغة الفرنسية؟ .

● لغة الإعلام هى الفصحى السهلة المبسطة في مستواها العلمى .

● التفسير الإعلامى للأدب يحقق التناغم الوجدانى بين المرسل والمستقبل

★★ أنا مع أدباء الجزائر اذا رفضوا اعتبار أدبهم المكتوب بالفرنسية جزءا من التراث الفكرى الفرنسى . . لأنه أدب عربى يحمل الروح العربية ولم تقف اللغة الفرنسية حائلا دون ارتباطه بالواقع العربى وارتباطه بقضية الانسان الجزائرى . . لأن أدباء الجزائر استخدموا الفرنسية كسلاح لمواجهة المستعمرين ولذلك لا يمكننى أن أتفق مع القائلين باتصاف هذا الأدب بالاقليمية لأنه أدب معركة لاعتبار بدهى . . وهو أن الأدب المعبر تعبيرا صادقا وأمينا عن محنة شعب معين وروح المقاومة فيه ـ وان كان ينطلق من اقليم معين ـ هو أدب انسانى . . لأنه يتمثل فى صميمه الذات القومية ليعبر حيز الحياة الاقليمية إلى حيث نطاق الأدب العالمى . . هكذا فعل «**لوركا**» فى أسبانيا، و«**أوكيزى**» فى ايرلندا، و«**لاكسنى**» فى ايرلندا و«**كنزنزالكيس**» فى اليونان و«**طاغور**» فى الهند . . يؤكد هذا الرأى أن الأدب الجزائرى أثار مشكلات وتناول أوضاعا كانت لها القوة فى اثارة الضمير الانسانى فى لحظة تاريخية معينة . . ولكننى اقترحت منذ خمسة عشر عاما تقريبا أن ينفتح هذا الأدب الجزائرى المعبر بالفرنسية على قضايا الوطن العربى الكبير . فهناك ما يمكن أن يثير هذا الأدب المعبر بالفرنسية لاثارة الضمير الانسانى فى الفترة التاريخية التى تمر بها الأمة العربية . . وهذا يعنى أن الأدب المعبر بالفرنسية فى الجزائر بعد استقلالها يمكن أن يدخل ـ كما فعل أثناء حرب التحرير ـ فى نطاق الأدب الانسانى سواء فى محتواه أو فى فنيته . . فالأدباء المعبرون بالفرنسية لديهم غزارة الموهبة والتعبير معا . . كما أن النضال العربى الحضارى ضد الصهيونية والاستعمار الجديد يمكن أن يشكل منابع للالهام لابداعه هذا الأدب الانسانى المنشود .

ان هؤلاء الأدباء الجزائريين مدعوون جميعا إلى أن يسهموا بأدبهم فى المعركة الحضارية بعد معركة التحرير، ضد الصهيونية والاستعمار الجديد . . وأن يسمعوا العالم صوت الأمة العربية . . وأن يصوروا الحياة الثائرة فيها وكل ما يحيط بهذه الحياة من أحداث ومستويات اجتماعية .

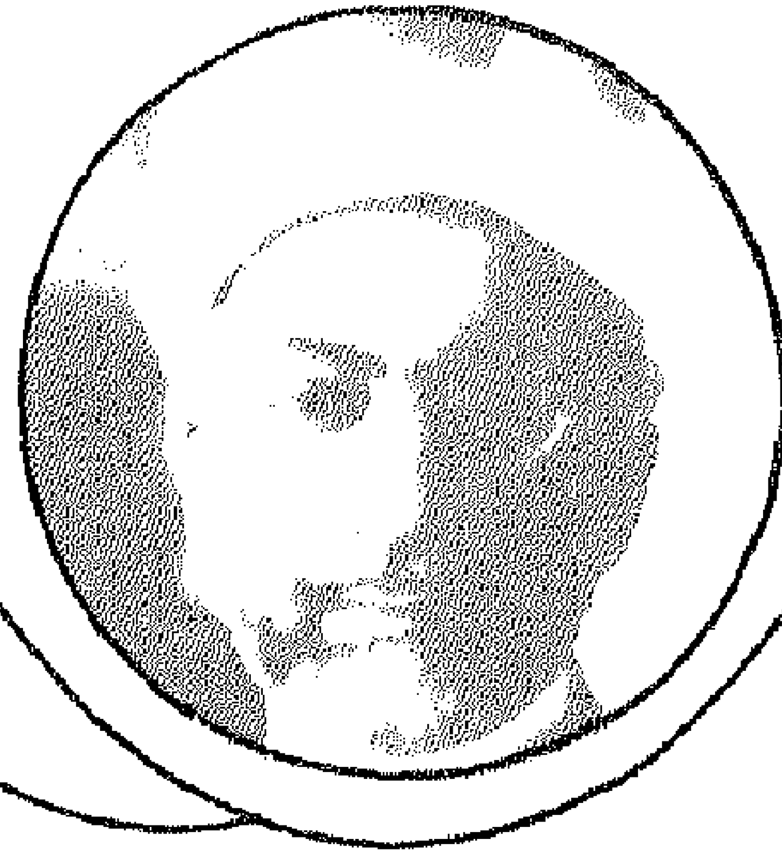
وبعد . . .

فلقد اكتشفت أن لقائى هذا بالدكتور / شرف فى مكتبه بصحيفة الأهرام قد استغرق أربع ساعات، ولكن استمراره فى حديثه الممتع المتدفق المعطاء والمعبر جعلنى أشعر بأننى ما مكثت فى لقائى معه كل هذا الوقت.

عزيزى القارىء

الى الملتقى فى حوار آخر مع علم من أعلام الأدب والفكر . .

رجل من الشرق



الحاج محمد على زينل

مؤسس مدار

الحاج محمد على زينل آل رضا من علية القوم فى مدينة جدة. ولعائلته دور كبير فى عالم التجارة وفى البلاد السعودية تعرف هذه العائلة بحب الوطن والتفانى له بتقديم اجل الخدمات لا سيما فى مجالى العلم والتجارة. ويعرف الحاج محمد على زينل بأنه المؤسس الاول لمدارس الفلاح فى جدة ومكة. حيث قام بانشائها فى عام ١٣٢٠هـ من ماله الخاص. وبذل الغالى والرخيص فى تدعيم هذا المدارس حتى اصبحت طيلة ثمانين عاما ونيف مركز الاشعاع العلمى فى البلاد السعودية.

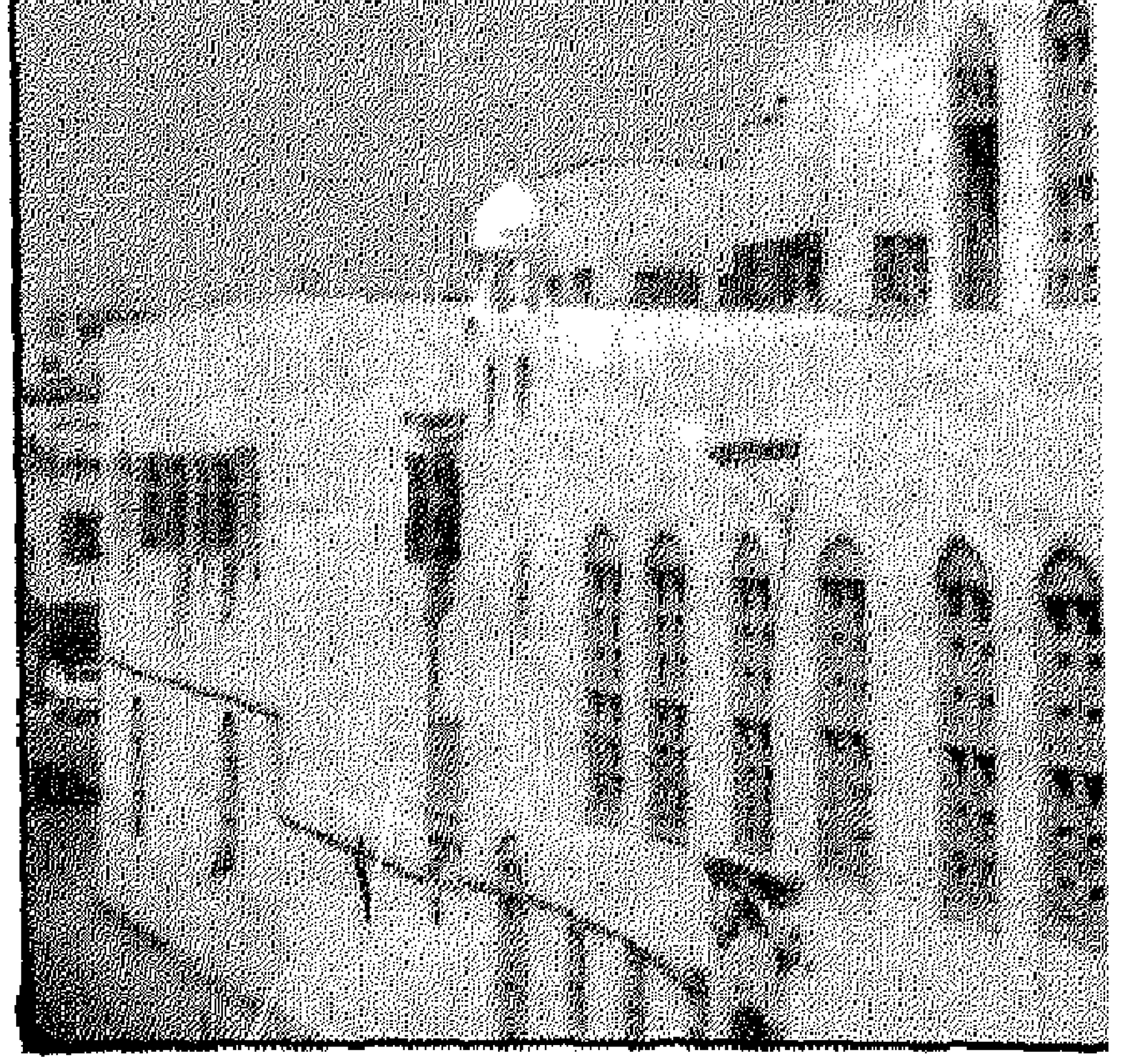
دور الفلاح

وتأسست مدرسة الفلاح بمكة بعد سنوات قليلة من انشاء الفلاح بجدة ـ وكانت لا توجد الى جانب مدارس الفلاح غير المدرسة الصوتية الى جانب المعهد السعودى ومدرسة تحضير البعثات ومدرسة حكومية بجدة.

المستوى التعليمى فى الفلاح

وكان التعليم فى مدرستى الفلاح لا يتجاوز المستوى الابتدائى والمتوسط والثانوى على النظام القديم.. وبعد تطور المناهج صدرت التعليمات من وزارة المعارف بتطوير المناهج ومن اجل التقارب حصل تعديل فى مستوى الدرجات فالمتوسط والثانوى على النظام القديم اصبح فى مستوى شهادة الكفاءة على معادلة النظام الجديد وتحولت البرامج فى مدارس الفلاح الى ممارسة التدريس على نظام وزارة المعارف ابتداء من عام ١٣٧٠هـ حتى الوقت الحاضر. ودور مدارس الفلاح فى السابق هو التركيز على تدريس العلوم الشرعية واللغة والتاريخ. مع تدريس المبادىء من الهندسة النظرية والجغرافيا علم الدوبيا. ودفتر الحساب اليومى. ودفتر الاستاذ. وكانت مدارس الفلاح تعنى بتلقين طلابها المذاهب الاربعة الشافعى والحنفى والمالكى والحنبلى فى عهد الحكومة الهاشمية

الاستاذ . محمود عارف



... س الفلاح

ثم اقتصر تعليم الفقه على تدريس المذهب الحنبلى. تمشيا مع برامج المدارس السعودية. واخيرا انصرف الطلبة الى مسايرة برامج المعاهد والكليات والجامعات تمشيا مع متغيرات التعليم فى البلاد العربية. وفى أمريكا وأوربا.

رصيد مدارس الفلاح

من عام ١٣٤٣هـ الى عام ١٤٠٣هـ كانت شهرة مدارس الفلاح تغطى على بقية المدارس الاهلية والحكومية الاخرى. ورصيد الفلاح من المتخرجين كبير جدا. ومعظم هؤلاء المتخرجين كانوا اساتذة ومدرسين وموظفين وادباء وعلماء وكانوا دعاة صدق ونزاهة واخلاص فى وظائفهم على كافة المستويات الاهلية والحكومية.

اعلام المتخرجين

من ابرز المتخرجين السادة علوى مالكى وابنه محمد. وعبد الوهاب آشى ومحمد سعيد العامودى واحمد شطا وحامد كعكى. وحامد هرسانى. وعبد الله عريف وكثير غيرهم وهؤلاء هم من اوائل متخرجى مدرسة الفلاح بمكة.

ولمدرسة الفلاح بجدة قسط من المتخرجين ومن الطلائع السادة: محمد زاهد واحمد اكبر ومحمد حسن عواد وحسن ابو الحمائل وحمزة شحاته واحمد قنديل ومحمد على مغربى ومحمد عبد الله زينل وحسن نصيف. وعبد الله الدباغ. وعلى رضا ومحمد ابراهيم مسعود. وعمر شمس - وهؤلاء كانوا من اعيان واعلام مدينة جدة ولهم اثر على كافة المستويات الاهلية والحكومية وبالاضافة الى بروز بعضهم فى عالم الادب والشعر ووصول الاخرين الى مستوى الرواد.

خطوة رائدة

وتأسيس الحاج محمد على زينل لمدارس الفلاح بجدة ومكة. يعتبر خطوة رائدة فى سبيل نشر العلم. ولولا وجود هذه المدارس لما وجدت هذه الصحوة العلمية من بداية عام ١٣٢٠هـ حتى عام ١٤٠٣هـ والريادة العلمية بدأت بادىء ذى بدء من مدارس الفلاح ثم تحولت الصحوة العلمية الى وثبة ثقافية بفضل تولى صاحب السمو الملكى الامير فهد بن عبد العزيز اول وزارة معارف فى البلاد السعوية وفى عهد وزارته انتشرت المدارس على مختلف مستوياتها الى جانب انتشار المعاهد والكليات واخيرا بحكم متغيرات الوقت انتقلنا الى نشر الجامعات لتلقى العلوم العربية فى سبع جامعات سعودية بالاضافة الى اكمال التخصصات العلمية فى جامعات أوربا وأمريكا فكان هذا الزخم العلمى الذى نشاهده عيانا فى المتخرجين سنويا وهذا للإنفتاح العلمى الذى ملأ الدوائر والمصالح والبنوك والشركات وهو رصيد الحياة وبذرة التنمية وشحنة التحرك وشعلة النجاح.

رجل من المغرب

مراسل المنهل



أبو العباس الجراوي

شاعر الدولة الموحدية

★★ يعتبر أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى الغفجوني التدلاوى المولود فى ثمان وعشرين وخمسمائة، والمتوفى عام تسعة وستمائة هجرية فى نظر المؤرخين المغاربة أكبر شاعر انجبته التربة المغربية خلال القرن السادس الهجرى . . وقد كان للشاعر الجراوى مقام كبير عند سلاطين الدولة الموحدية(١) وهو الذى خلف ابن حبوس شاعر الملك الموحدى عبد المؤمن وابنه يوسف، وكلا هذين الشاعرين من مفاخر الأدب العربى العام.

★ وجراوة التى ينتمى اليها شاعرنا ابى العباس قبيلة من زناته كانت ديارها بناحية تادلة وهى من أعظم قبائل البربر بالمغرب، وقد قال عنها صاحب كتاب (مفاخر المغرب): «وكانت جراوة تهودت قبل الاسلام، وكانت فيهم ملوك ورؤساء مشاهير، ومنهم كانت الكاهنة واسمها (داهية) بنت ثابتة بنت تيعان ملكة افريقيا والمغرب.

★ ولا ندرى عن مكان ولادة الجراوى اذ ليس لنا نص صريح فى تعيينه . . الا اننا نعلم أنه درس بمدينة فاس. قال ابن خلكان: «كان شيخا مسنا تجاوز ثمانين سنة» ولقد شب على ما يظهر بمدينة فاس وبها درس واستوطنها، وروى عن أبى الفضل بن الاعلام وأبى العباس بن سيد وغيرهما.

★ ويبدو أن دراسته ارتكزت بالخصوص على المباحث الأدبية واللغوية فقد كان له اطلاع واسع على الأدب العربى الجاهلى والاسلامى حتى كان يُنْعت بالحافظ.

★★ وكان لشاعرنا المغربى مع كل ذلك فصاحة بيان وحضور بادرة وبديهة نادرة، قال ابن الأبار فى (التكملة) «كان عالما بالآداب حافظا بليغ اللسان شاعرا مفلقاً من تأليفه صفة الادب ونخبة ديوان العرب» جمع فيه ما انتخبه من محفوظه ومما اطلع عليه من الشعر العربى وبوبه على أبواب الشعر المعروفة من مدح وفخر ونسب إلى غير ذلك، كما فعل أبو تمام فى كتابه الذى ابتدأه باشعار الحماسة فسمى لذلك بديوان: (الحماسة) . .

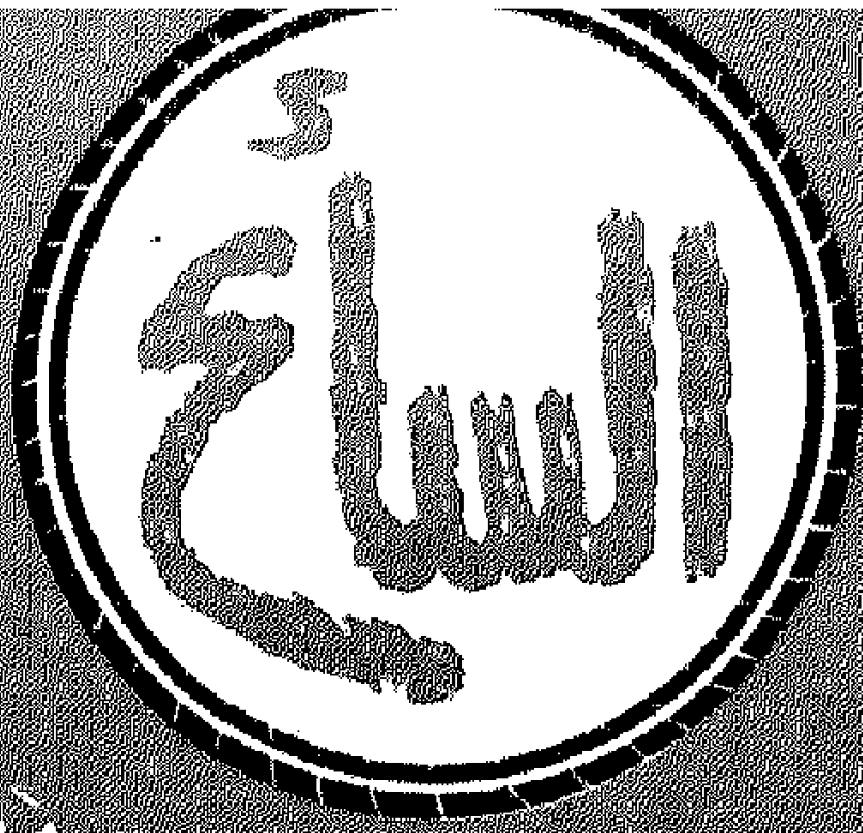
★ كان الجراوى رغم تخصصه فى معرفة الادب العربى يميل للابحاث الفلسفية، أورد هذا ابن أبى أصيبعة فى كتابه (عيون الانباء فى طبقات الاطباء) اثناء ترجمته للفيلسوف ابن رشد.

★★ ذلك هو شاعرنا الجراوى وتلك هى الفترة التى عاشها على عهد الدولة الموحدية التى حكمت المغرب بعد دولة الادارسة والمرابطين.

---

(١) الدولة الموحدية من أهم الدول التى تعاقبت على حكم المغرب قديما وهى دولة بربرية حكمت المغرب ما بين القرنين الخامس والسادس الهجرى.

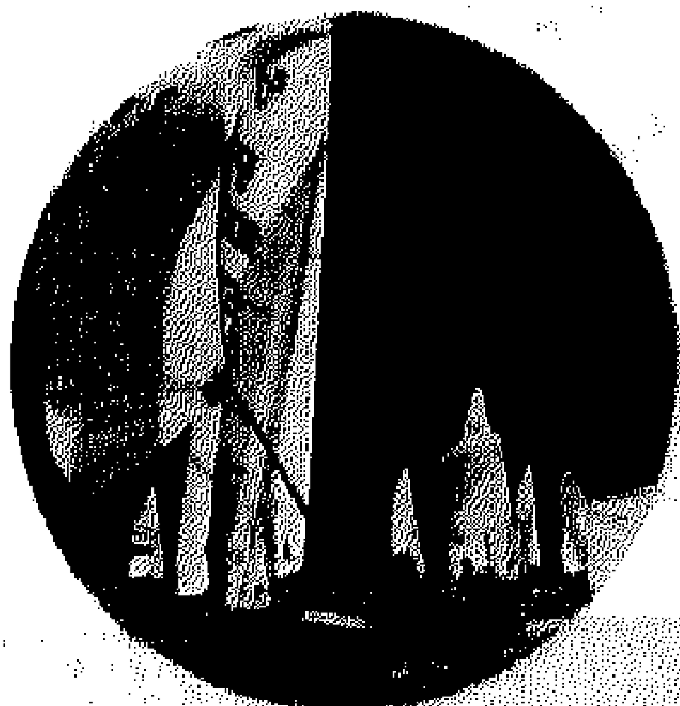
المجلة الأولى
العدد السابع رجب ١٤٠٤هـ





تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلمٌ وآدابٌ وصحبة ماجد





المناظر الجميلة الخلابة.. الطبيعة الساحرة الغناء.. الآثار التى يتربع فوقها المجد.. تحكى التاريخ وتعيده جديدا، كل ذلك وغيره من مقومات السياحة وشدّ السائح.. لكن يبقى هنالك جانب له أهميته.. وله جاذبيته وطعمه المميز وهو جانب الزوق وحسن المعاملة فى الاستقبال وأثناء الاقامة وعند الرحيل.. فالسياحة فن وذوق.. وهذا ما نجده فى هذا البلد الهادىء الناعم الوادع (سويسرا).

فلنصاحب الاستاذ مرداد فى رحلتنا هذه من (بيرن الى جنيف).. ورغم أنها رحلة شاقه الا أنها ممتعه.. ويزيدها امتاعاً جمال



• يتركب ثلثا البلاد تقريبا من جبال تغطيها الثلوج والجليد والصخور وانهيار أحجار الجبال.. وربع مساحة الاراضى صالح للزراعة، وهو يكوّن الهضبة السويسرية وأجزاء من الجورا

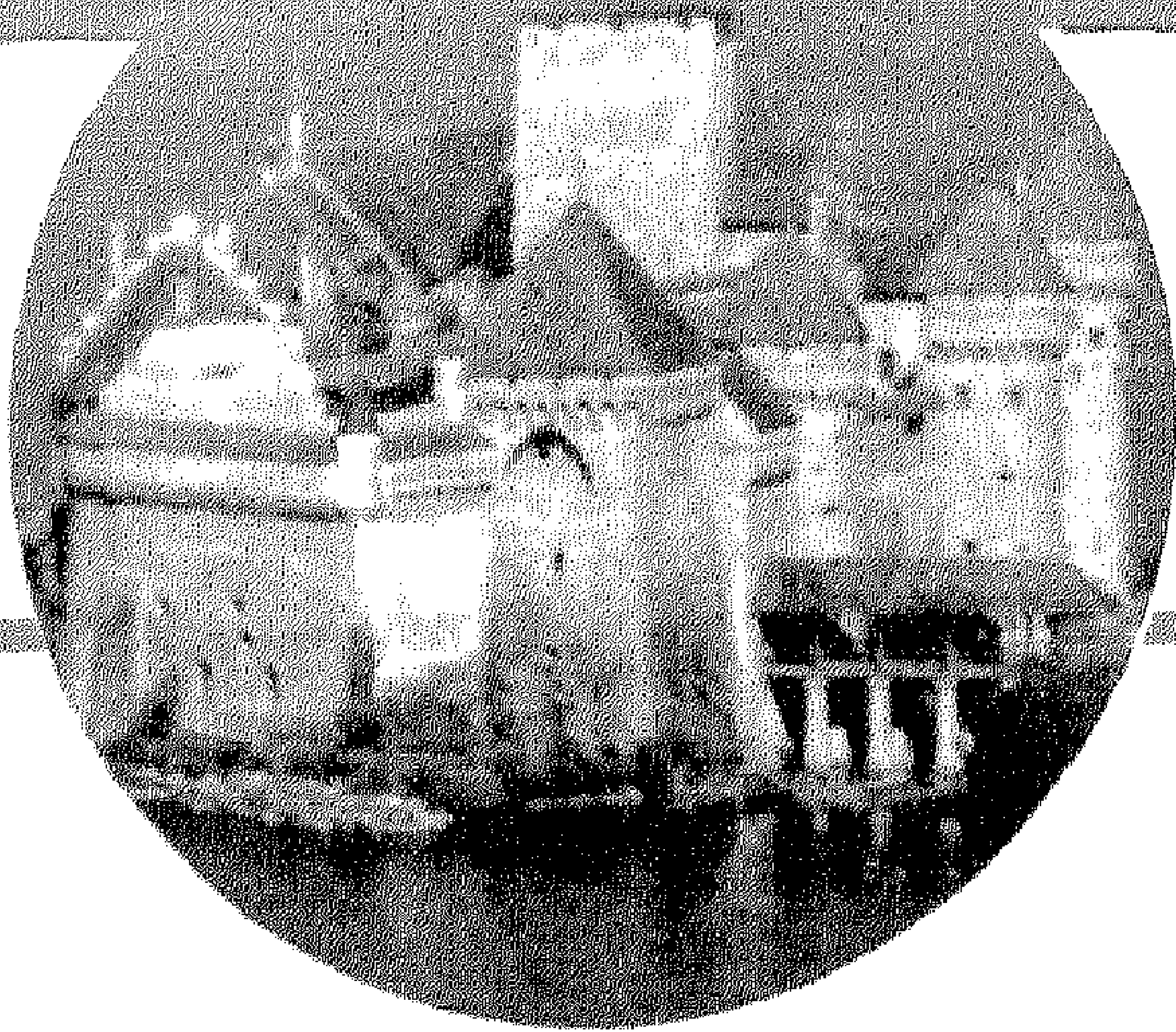
• يركز السويسرى على رياضة «التزلج على الجليد» حتى فى الصيف لأن بعض الجبال مغطاة بالثلوج كما يمارس رياضة تسلق الجبال

• بفضل الواع اكتشف السويسريون مناظرهم الطبيعية وشرعوا فى استغلالها.. واليوم تعرض سويسرا نفسها كتحفة من التحف البديعة.

الطبيعة وروعتها.. وحسن التنسيق.. فنقف على التلال والهضاب ونتسلق المرتفعات.. ونستقرىء التاريخ فى الآثار.. ونستمتع بجمال الحاضر فى معطيات الانسان الحضاريه التى بلغ بها ذرى المجد.. فهذا وذاك بعضهما.. ويضيف الكل الى الحياة جديدا.

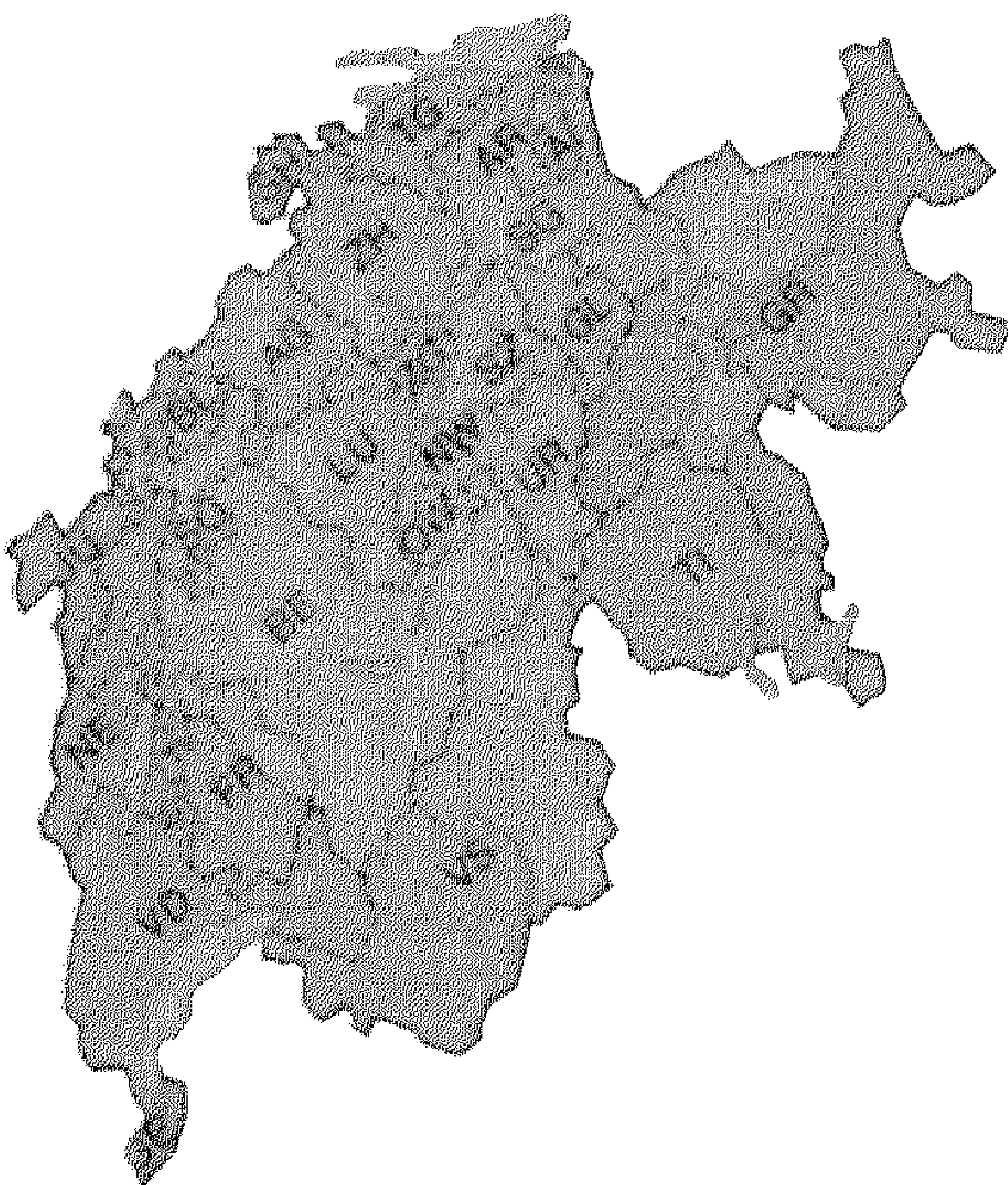
ومع انطباعات الأستاذ روكس عن (سويسرا) تتجلّى لنا صورة الانسان هناك.. سلوكه، اخلاقه، معاملاته، مفهومه للمواطنة وتفانيه فى بناء وطنه. وحبه للآخرين وسعيه لراحتهم..

فإلى سويسرا ـ أعزاءنا ـ على طائر الطرس الميمون..



وصلنا بسلامة الله العاصمة السويسرية (بيرن) وكان الرذاذ يتساقط خفيفا على الرؤوس المكشوفة الحاسرة من العمائم والقبعات، وكان الليل قد خيَّم وأرخى سدوله على الجبال المكسوة بالثلج الناصع. . وكانت محطة العاصمة السويسرية مكتظة بمراكن الزهور والورود وهذا ما تتميز به سويسرا على سائر مدن أوربا، إذ كل محطة من محطات السكك الحديدية فيها من أنواع الزهور والرياحين ما يجلو فؤاد السائح. . وقبل وصول القطار بدقائق طلع المفتش ليرى جوازات السياح ثم مفتش الجمرك. . وما هى إلاَّ لحظات حتى استلمنا جوازاتنا وتأشيرة الطباشير الأبيض على الحقائب بدون فك أو سؤال عما فى باطنها. . بل اكتفى الموظف المسؤول بالاستمارة التى ملأناها ووقعناها بالامضاء.

وهكذا نزل كل سائح فى أرض المحطة. . فمنهم من حفظ حقائبه فى صناديقها. . ومنهم أنا وذلك حتى نجد فندقا ملائما. . وكانت الفرنكات السويسرية قد وجدت عندنا من بنك ميلانو وبنك محطة (بيرن) وكان الدولار الأمريكى يساوى خمسة فرنكات تقريبا وبجانب المحطة وفى نفس ميدان الزهور وجدت فندقا يدعى (رستورنت هوتيل). . سألت مديره هل أجد سريرا خاليا



فى غرفة منفردة قال نعم . . قلت بدون طعام قال نعم ـ قلت ما السعر قال : ثلاثون فرنكا سويسريا . . قلت له هذا جوازى فسجله ثم دفعت مقدما أجرة ليلة واحدة، وذهبت فى الحال إلى المحطة وأخرجت الحقائب المودعة وأحضرتها إلى الفندق، وأتممت ما تبقى من النهار وخرجت ليلا متفسحا فى شوارع العاصمة السويسرية الجميلة . . ومررت بمعظم معارضها المغلقة ومقاهيها ومطاعمها . . دخلت مطعما أندونوسيا فيه أنواع المأكولات الصينية والجاوية فتناولت ما تيسر . . ثم ذهبت إلى مقهى بجانب الفندق . . شربت كوبا من الشاى السيلانى الجميل . . ثم أردت أن اشترى فاكهة وسيجارا من الغليظ لكن مع الأسف . . كل شيىء هادىء فى العاصمة وكل المعارض والدكاكين على اختلاف أنواعها مقفلة لأنَّ الساعة السادسة قبيل المغرب بقليل هى نهاية كل الأعمال تماما . . فلا تجد بقالة مفتوحة ولا بائع فاكهة، ولا صاحب سجائر أو حلويات، إلَّا بعض المقاهى والمطاعم . . وبعد الساعة السابعة لا شيىء حتى المطاعم والمقاهى .

أما الحانات ويسمونها (بار) (Bar) فهذه الخمارات مفتوحة طوال الليل إلى قبيل الفجر بساعة تقريبا .

وقد يلجها المضطر إذا لم يجد طعاما فى الأسواق وخاصة إذا قدم من سفر بعد الساعة السابعة ليلا فسوف لا يجد أمامه إلَّا هذه البارات الخبيثة . . أما إذا كان عارفاً بالاوقات وسبق أن وصل إلى هذه البلاد قبل السفرة



هذه أو خلافها فسيكون خبيرا بالبرامج كلها . . فلو دخل البلد متأخرا تناول طعامه من المحطة لأن المحطة لا تغلق دكاكينها ومطاعمها ومقاهيها إلَّا بعد الساعة الواحدة ليلا أى بعد منتصف الليل .

أما البارات فالداخل فيها مفقود والخارج منها مولود كما وصف عمر رضى الله عنه البحر إذ معظم رواد الحانات من السكارى المعربدين أو المدمنين الذين يتجاهلون النظم والقوانين، لأنَّ المدمن نادرا ما يصح عقله، لكنه إذا رأى غريبا وأراد ايذاءه أو ضربه أو سلبه يتحايل ـ ثم يقوم بالدور ـ ومعظم السكارى الذين يلجون هذه الحانات لا يلجونها فرادى فنراهم يدخلون جماعات بالجملة ونادرا ما يدخل الاثنان أو الواحد . . ولهذا أنصح لكل سائح محافظ مؤمن ألَّا يدخل هذه البارات حتى ولو دعته

الضرورة إلى ذلك.

ذهبت تلك الليلة وأمضيتها بين الشوارع والتجوال حتى صارت الساعة العاشرة، طلعت إلى فندقي وخلعت ملابس السفر وولجت الحمام الموجود بداخل حجرتي حيث الاستحمام بالماء الدافىء، ثم النوم الهادىء إلى الصباح، ثم الايقاظ المبكر للصلاة وتبديل الملابس وتناول طعام الإفطار، ثم اللحاق بالشركة السياحية التي تتجول بالسياح من الساعة العاشرة صباحاً حتى الثانية بعد الظهر.. وقد تنظم هذه الشركة في اليومَ الواحد خمس رحلات أو أكثر بحسب مسافة المواضع السياحية ولما مضى من الأيام ثلاثة وانتهت البرامج السياحية والأثرية والاستكشافية والاستطلاعية.. طلبت الدليل من مكتب الفندق لأهتدي على عنوان السفارة السعودية بالعاصمة السويسرية.. حالا وجدت رقم الهاتف أمامه عنوان السفارة فناديت على (تاكسي) سيارة الأجرة الصغيرة ذات العداد المعروف وما هي إلاَّ دقائق حتى وصلنا إلى السفارة المحبوبة وهي مكونة من طابقين جميلين وتقع بشارع كرام بورغ (karamburg street) والمسافة بين نزلي وبينها لم تكن بعيدة فقد أخذ صاحب (التاكسي) ثمانية فرنكات تقريبا بما يعادل الدولار والنصف تقريبا.

السفارة السعودية

من حظي الطيب.. كانت مقابلتي لأول شخصية بالسفارة ـ سعادة الأستاذ الشواف نجل الدكتور الشواف إذ بمجرد رؤيته للجواز قام وصافحني واجلسني وطلب القهوة والشاي والمثلجات.. ثم لما عرف أنّ أنَساً ابني قال إنه زميلي ورفيقي وأعمل معه في مكتب واحد بوزارة الخارجية السعودية بجدة.. ثم قام معي إلى مكتب القائم بالأعمال الأستاذ الناظر أو القنصل العام ثم إلى مكتب معالي السفير وكنت محل الحفاوة والتكريم من قبل الجميع.

ثم عرضت مشاكلي فحُلَّت جميعها ثم استفسرت من معالي السفير عن وسيلة السفر إلى (قرين لاند وايسلند) فقال إذا كنت تريد السفر إلى كوبنهاجن عاصمة الدانمرك فسيكون سفرك من هناك لأن (جرينلند) تابعة للدنمارك.. ثم قال: كوبنهاجن عندها كل الاستعلامات ثم تصفّح جوازي ورأى تأشيرة الدانمارك التي لم

تنته مدتها فانشرح لذلك وطمأنني وسهل لي كل الأمور . . ثم ودعته وبقية الإخوة .

مع الأستاذ الشواف

واستأذن الاستاذ الشواف أن يوصلني بنفسه إلى الفندق، وركبت مع الأخ الكريم الأستاذ الشواف في سيارته الفخمة إلى الفندق الذي نزلت به وكان المطر يهطل بغزارة أثناء الرحلة من السفارة إلى الفندق . . وما أن وصلت إلى الفندق حتى نزل ودخل معي إلى بهو الفندق، ثم عرض عليَّ أن أنقل إلى داره واترك الفندق . . ثم قال : لا تظن أنَّ عندي عائلة هنا أو أطفالاً ربما تضجر منهم أو يضايقونك فلك مطلق الحرية . . فشكرته من الأعماق واعتذرت له بسبب سفري إلى (جنيف) في ذلك اليوم، فلم يقتنع حتى أظهرت له تذكرة السفر وحجز الكرسي بالقطار الحديدي ثم أطلعته على حقائبي الموجودة بغرفة الأمانات والودائع بالفندق كما أظهرت له قائمة الحساب فاقتنع بعد ما سأل مدير المكتب بصحة ذلك، ولكني قلت له سأقبل منك كل دعوة عند الرجوع من «لوزان» و«جنيف» إن شاء الله . . ثمَّ ودعته وشكرته ودعوت له بالخير واعتبرت ما فعله معي معروفا وفضلا وقد كفاني من ذلك كله المقابلة الحسنة والبشاشة، ولعمري انهما لمن أفضل الصفات وأجمل السمات .

ويا حبذا لو تتوفر هذه الشمائل في جميع مواطنينا الرسميين وغير الرسميين ممن لهم علاقة بالخارج سواء كانت تلك العلاقة سياحية أو تجارية أو علاجية أو وظيفية واقصد بالوظيفية الموظف الذي ينتمي إلى الوظيفة في خارج البلاد ليمثل حكومته ومليكه في أي منظمة أجنبية كمثل منظمات اليونيسكو وهيئة الأمم والمكاتب الثقافية والسفارات وما إلى ذلك .

اما السائح فيجب أن يكون مثقفا ملما بالكتابة والقراءة وبعض اللغات الحية لبقا غير مغفل ولا طائش، اجتماعيا مهذبا عاقلا . . أعدد هذه الصفات وانا لست متصفا ولا بجزء منها إنَّما من واجبي أن أذكرها وأشرحها للمواطنين كما سمعتها من عقلاء السياح وكما علمتني التجارب طول هذه المدة الطويلة .

وأما التاجر فيجب عليه رغم أنفه أن يتواضع ويتعامل بالحسنى مع الشركات الأجنبية ويخلص ويتجنب الكذب والحماقة . . وأن يكون صادقاً في معاملاته مخلصا في أداء أمانته عالماً بالأصول التجارية وإلَّا ذهب فريسة الذئاب .



وأمـا المـريض ـ وخاصـة إذا دخـل إحـدى المستشفيات الأجنبية في خارج بلاده ـ فيجب أن يكون حلو اللسان وخاصة مع الممرضين والممرضات طري اليد وإن كانت حالته المادية لا تساعده على ذلك فليسعد النطق إن لم يسعد الحال كما قال المتنبي .

إني أسرد هذه الفضائل على سبيل المثال فقط وإلا فلله الحمد ما من مواطن من الانواع الاربعة إلاّ وله من الصفات الحميدة أكثر مما وصفته وحددته ومثلت له .

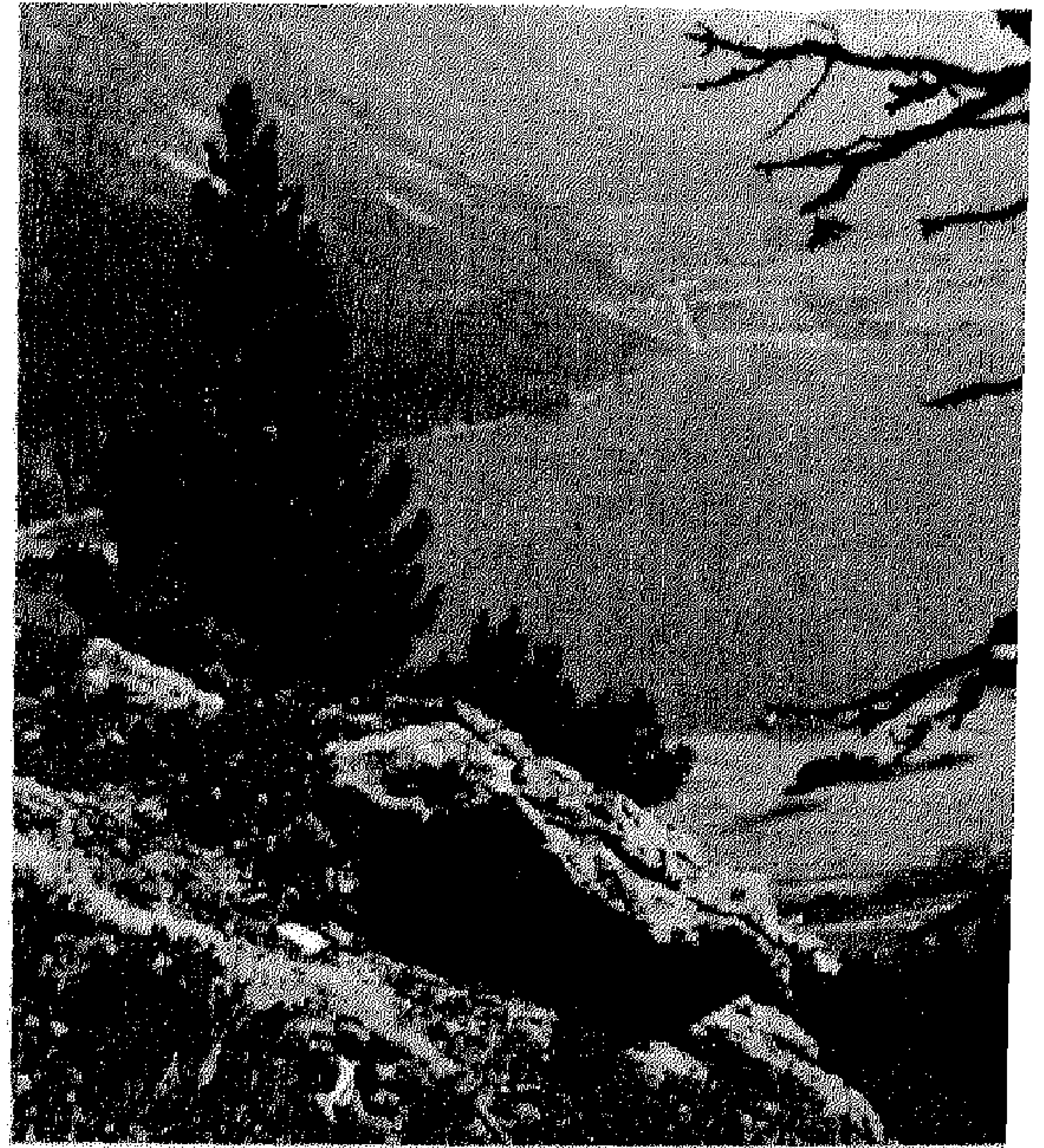
ودعني الأستاذ الشواف بعد ما وثق أني راجع إلى (بيرن) وكتابتها بالأفرنجي (Bern) وأني سوف ألبي طلبه ـ لكنى لم أفعل ـ لأني لّما رجعت إلى العاصمة المذكورة لم أكن عابراً فقط فقد قطعت التذكرة من جنيف إلى (باسل) ثم المانيا وكان المرور على بيرن لا محالة لتبديل القطار. لكن الجميل لا يُنسى فقد سجلت معروفه وسأقوم بردّ جميله إن شاء الله .

جنيف

قطعت تذكرة تبديلية ـ يعني يتبدل فيها القطـار عند كل بلد ـ وذلك لأقف على البلدان السويسرية من بيرن إلى جنيف ، وهي إن كانت متعبة إلا أنها ممتعة . . فهذه الرحلة على الموجة الطويلة كما يقولون . . أما القطار الاكسبريس فلم أركبه إلاّ عند الرحيل الأخير من سويسرا إلى ألمانيا . . فإذا أردت تذكرة كمثل تذكرتي تقول لصاحب شباك قطع التذاكر ـ أريد تذكرة تمر على هذه البلدان . . وهي بالطبع مقيدة في اللوحة المعلقة على حائط بهو صالة الانتظار وبشباك الاستعلامات وبالممر بالمحطة . . وفي إمكانك شراء تذكرة طويلة الأجل لمدة شهرين وبسعر مخفض ، لكنك لا تحتاج إليها إلاّ في الرحلات الطويلة التي تزيد مسافتها على ألف ميل وتمر بدول متعددة .

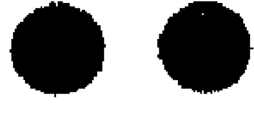
أول بلد يقف عندها القطار من بيرن إلى جنيف بلدة (فلمات) (Falamert) تجولت فيها ساعة وأخذت بعض اللقطات الطبيعية النهرية ولم يكن فيها آثار وهي بلدة صغيرة جميلة هادئة ، تكسو جميع هضابها وجبالها الطبيعة الساحرة ، والثلوج المتوجة لرؤوس الجبال ، والمياه المتدفقة من الينابيع والأنهار .

ثم ركبنا قطاراً آخر حيث انتهى بنا إلى بلدة (ددقن) (Dudgen) وهي أصغر من (فلمات) بعض الشيء ، تجولت فيها نصف ساعة وأخذت بعض اللقطات . . وتوجهت إلى المحطة وركبت القطار الذي رحل بنا إلى مدينة (رينيه) . . وهي بلدة عظيمة لا تقل مساحة وسكانا عن العاصمة وفي نظري أنّها أجمل مدينة في سويسرة بالنسبة للمناظر المائية والنباتية لانك ترى ما يشبه الركبان والأحواض الزراعية في وسط الماء العذب



كأنها مجموعة جزر نائية وبارزة على وجه الماء وكل قطعة ملونة تغاير ما قبلها فى الشكل واللون والمساحة على نمط الأراضى المقسمة والتى تشبه الجزر فى نهر الهنود الحمر بخليج فلوريدا فى أمريكا. . وأنا فى الحقيقة لا أهوى سوى البلد التى فيها آثار قديمة أياً كان نوعها وشكلها. . لكن هذا المنظر استهوانى إذ ذكرنى برحلة فلوريدا بالولايات المتحدة فى صيف عام ١٩٦٩م.

على أنّ بعض الناس يفضلون جنيف وبعضهم يفضل لوزان وبعضهم (بيرن) وأنا لا أفضل إلّا (رينيه) وكل واحد له مزاج ورأى وتمييز. . وفى الحقيقة (سويسرا) فى مجموعها هى أجمل دول أوربا قاطبة وخاصة فى المناظر الطبيعية والهدوء والنظام واعتدال الأسعار وخاصة فى بعض الكماليات كالساعات والسجاير والحلويات. . فهى لا تضع ضرائب مرهقة على الساعات كغيرها من البلدان ولا على السجاير المحلية ولا على الحلويات. . إذ من عادة البلدان الأوربية والأمريكية أن تضع ضرائب محلية أضعافا مضاعفة على السلع التى تنتجها بلادها، وفى حالة تصدير تلك السلعة ترفع عنها جميع الضرائب كمثل بكت السجاير التى تصنع فى امريكا تشتريه بنصف دولار فى داخل أمريكا وإذا خرج من امريكا تشتريه بربع دولار أو أقل. . وبكت الشيكولاته تشتريه بثلاثة شلنات فى البلد التى تصنعه كمثل لندن بينها تشتريه خارجا عنها باقل من شلن. . أما فى سويسره بعكس ذلك. . فلقد اشتريت علبة قطع الشيكولاته التى تحتوى على مائة قطعة بفرنك واحد. . أما الفواكه والخضروات فسعرهما معتدل والفنادق كذلك.



أما من يقل بأن سويسرة أو بعض بلدانها أجمل شيىء فى الدنيا فليس بصحيح على اطلاقه ـ فهناك (منتريال) فى كندا لا تضارعها بلاد فى المناظر الطبيعية والهدوء والجمال واعتدال الأسعار وناطحات السحاب والمتنزهات ونظافة الشوارع ـ وهناك (باندوغ) فى أندونوسيا وهناك (ميدان) فى سومطرة وأوكيناوا فى اليابان وغير ذلك كثير.

● الأحواض الزراعية وسط... على سطح الماء. .

● لعل السعادة الغامرة لا تبقى... ليبدع صورة أجمل وأرق...

تجولت مدة ساعتين والتقطت بعض اللقطات وركبت القطار إلى جنيف رأساً وصلتها فى الساعة الخامسة إلّا الربع قبل المغرب بنصف ساعة. .

رحلتى مع الفنادق

وذهبت أتجول فيها لعلى أجد فندقا قريباً كعادتى فلم أجد. . ثم مددت رجلى إلى الشارع المجاور فلم أجد. . وهكذا حتى تعبت رجلى وضعفت همتى، وبدأ الكلل يتسرب، وحلّ التعب بجسمى، فماذا أصنع وقد قرب المغرب وكتبت الجمل المشؤومة على الفنادق وهى جملة (كمبليت)؟. . وأردت أن أرجع إلى المحطة فلم أقدر أخيرا وجدت مقهى على

بعد خطوات من بعض الفنادق - استرحت قليلا بعد احتساء كوب من الشاى، ثم استأجرت تكسيا إلى المحطة وهذه أولى المتاعب والمصائب والشدائد.

خيَّم الظلام على البلاد وياهل ترى أأجد فندقا بشركة الفنادق التى لها مكتب بالمحطة؟ دخلت إلى داخل المحطة وراجعت الاستعلامات، فأرشدنى إلى مكتب الفنادق وكان يبعد عنه عدة خطوات ومكتوب عليه بالانجليزية (hotel).

فلما وقفت على المسئول وجدت جمعا قبلى فوقفت خلفهم حتى جاء ترتيبى بعد نصف ساعة من وقوفى. وعندما وقفت أمامه وجها لوجه صار يقلِّب الدليل ويطلب فيجد المطلوب قد انتهى وهكذا حتى مرَّ على عشرة أرقام من أرقام الفنادق حتى وجد الإجابة فكتب إيصالا وكلفنى بدفع القيمة وهى ستة فرانكات فقلت له هذا المبلغ للسرير مقدما فقال لا. مكالمات وسمسرة والسمسرة هى نصف فرنك والباقى للمكالمات فدفعت مضطرا ثم كتب ورقة عليها ختم المكتب

ا والعذب كأنها مجموعة جزر طافية

ـ نسان مجالا لاستخدام خياله

فيه . . .

وقال إذهب فى التكسى إلى هذا الفندق فاعترانى القلق وتوقعت ما كنت منه اخاف.

«المسافة الطويلة»

فناديت على سائق تكسى كان واقفاً أمام المكتب وأعطيته الورقة التى استلمتها من المسؤول فقال اركب فركبت عربة التكسى المشؤومة وظلَّ يمشى ويمشى ويلف شمالا ويمينا حتى خرج من جنيف إلى الضواحى. فقلت له: ما الخبر. فقال: لم نصل بعد إلى الفندق المطلوب لأنه بعيد جداً فسلمت أمرى لله حتى وصل إلى الفندق المشؤوم وكان المطلوب ٢٥ فرنكا - يا لها من مصيبة - دفعتها وأنا صاغر.

الحمد لله فقد وصلت للفندق المطلوب. والفندق هذا ليس له مصعد كهربائى. والغرفة التى سأحل فيها فى الدور الرابع. فصعدت السلالم على مضض. ودخلت إلى غرفتى بائسا جائعا مجهداً منهوكا. فقفلت باب الغرفة وارتميت على السرير ولم استيقظ إلاَّ فى النصف الأخير من الليل. دخلت الحمام ثم توضأت وصليت العشاء. وأخرجت من الحقيبة شيئا أقتات به حتى الصباح من التين واللوز والبسكويت. ونمت ثانية إلى الفجر حيث أخذت فى أسباب التهيؤ للخروج. صليت الصبح وطلبت قهوة من الفندق وليتا فقط حتى إذا ما انتهيت من (بلل الزور) طلبت الدليل للاتصال بالشركة السياحية فاتصلت بها فجاءت فى الساعة التاسعة، وذهبت مع السياح إلى الأمكنة الأثرية ولم تكن كثيرة لأنَّ معظم محتويات البلد - الحدائق والطبيعة الفاتنة ودور الملاهى والبنوك والناطحات والجامعات والمدارس وكلها كانت مغلقة بسبب إجازة الصيف.

الساعة ١٢ ظهرا انتهينا من الرحلات السياحية الرسمية التى دفعت لها الرسم المقرر - ولكنى لم أرجع إلى الفندق المشؤوم وكان اسمه (**كورفان هوتيل**) لبعده وغلائه وعدم وجود مصعد به.

أنزلتنا الشركة بعد الزيارة بميدان لوزان وتمشيت قليلا حتى إذا ما لمحت عينى فندقا خاليا من اللوحة المشؤومة (كمبليت) - ولجت وسألت المدير عن غرفة خالية فقال نعم أهلا وسهلا وبثلاثين فرنكا - دفعتها وانا مرتاح الضمير لأنى فى البلد على الأقل - وهذه عاقبة الفنادق التى تكون من طريق المحطات سواء محطة المطار أو السكة الحديدية أو محطة الاتوبيسات. وأنا شخصيا لى قصص عجيبة معها وما وقعت فى شراكها إلاَّ للاضطرار. فكن على حذر أيها السائح، وخذ درسا كافيا من هذه القصة التى مرَّت بى ولكنى مضطر. وما حيلة المضطر الا التسليم. (١)

لثانى مرة أنزل فندقاً آخر اسمه (**كريز هوتيل**) بقرب ميدان محطة السكة الحديدية (cruez hotel) نظيف ومريح وبه مصعد كهربائى وقريب منه السوق والمعارض والمكاتب السياحية وكل الحاجيات الضرورية والكمالية والسياحية.

بت ليلتى وفى الصباح طلبت الدليل لأرى رقم تلفون الملحق الثقافى السعودى - بجنيف. فوجدته حالاً ولا داعى إلى تكسى لأنَّه على بعد خطوات من نُزُلى. كانت الساعة العاشرة صباحا - والمكتب بشارع لوزان رقم ٤٤ ذهبت أتجول الهوينا فى الشارع







الطويل ريثما يصل الموظفون خوفاً من ضياع الوقت في الانتظار ومع ذلك - لما وصلت إلى العمارة كانت الساعة العاشرة والنصف - صعدت بالمصعد إلى الغرفة التي بها المكتب فلم أجد سوى السكرتيرة . . ثم بعد لحظات حضر الأستاذ عبد العزيز المسلم وهو المشرف الفني . . وحضر الشاي والقهوة وطاب الحديث والسؤال عن التلاميذ السعوديين وأحوالهم فأعطاني بعض المعلومات . . وقال لي : يوجد معنا موظف مصري وهو المستشار الفني واسمه الدكتور عزمي نوار لكنه مسافر في إجازة . . أما الملحق الثقافي فهو الاستاذ محمد أبو السمح ومن عادته الحضور مبكرا لكن اليوم تأخر لمهمة استدعته.

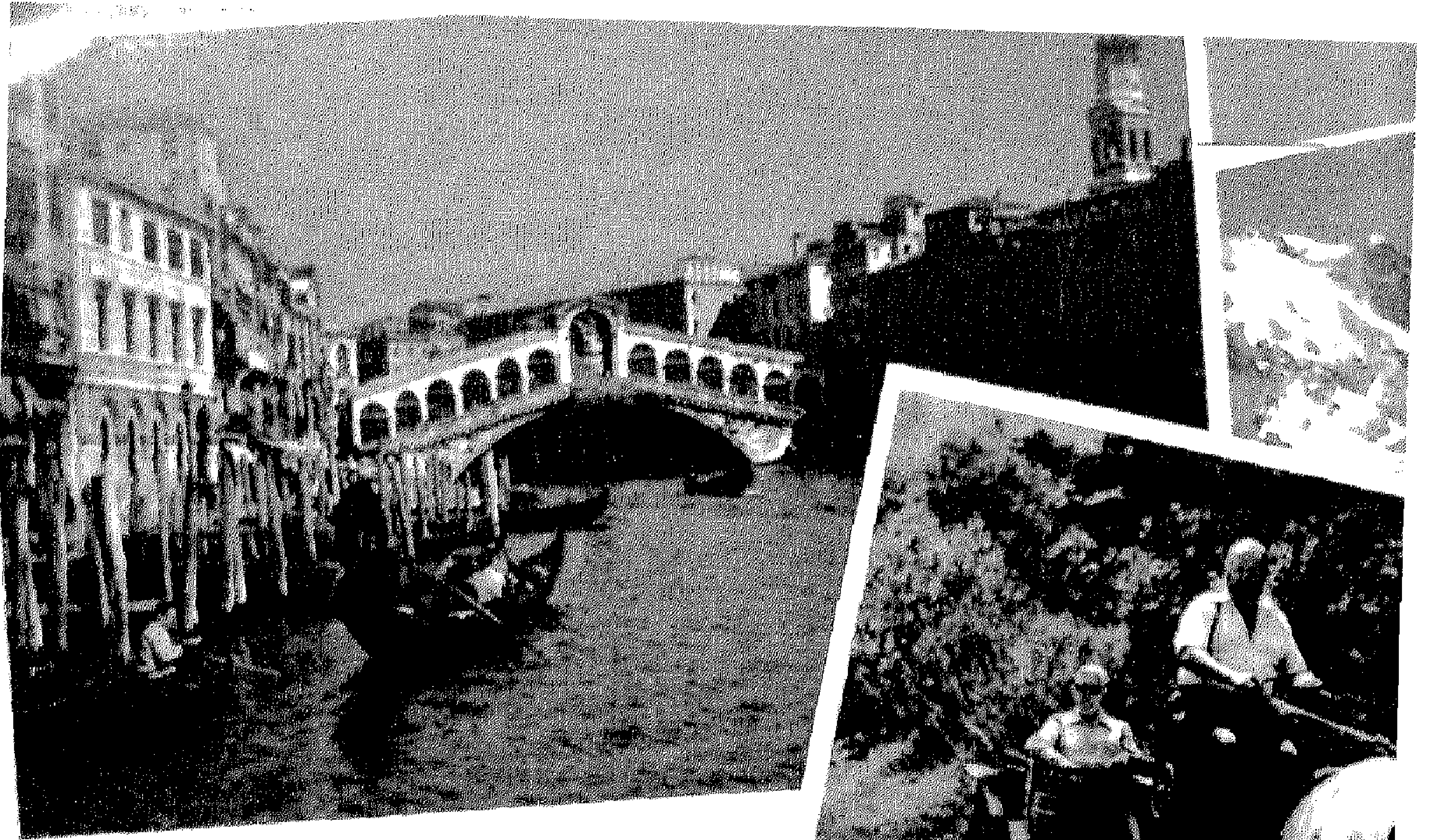
قلت له : دعني أزور مكتب السفير السعودي الدائم لدى المقر الأوربي للامم بجنيف الأستاذ محمد شرارة من المدينة المنورة . . وكان المكتب في الدور الخامس على ما اعتقد . . ولسوء الحظ . . صعدت إلى المكتب المذكور وكانت الساعة قد جاوزت الحادية عشرة فلم أجد سوى القهوجي . . أخيرا وضعت بطاقة بها اسمي وهدفي من الزيارة والساعة التي حضرت فيها وأبقيت الكرت عند القهوجي وكان الظهر قد وجب.

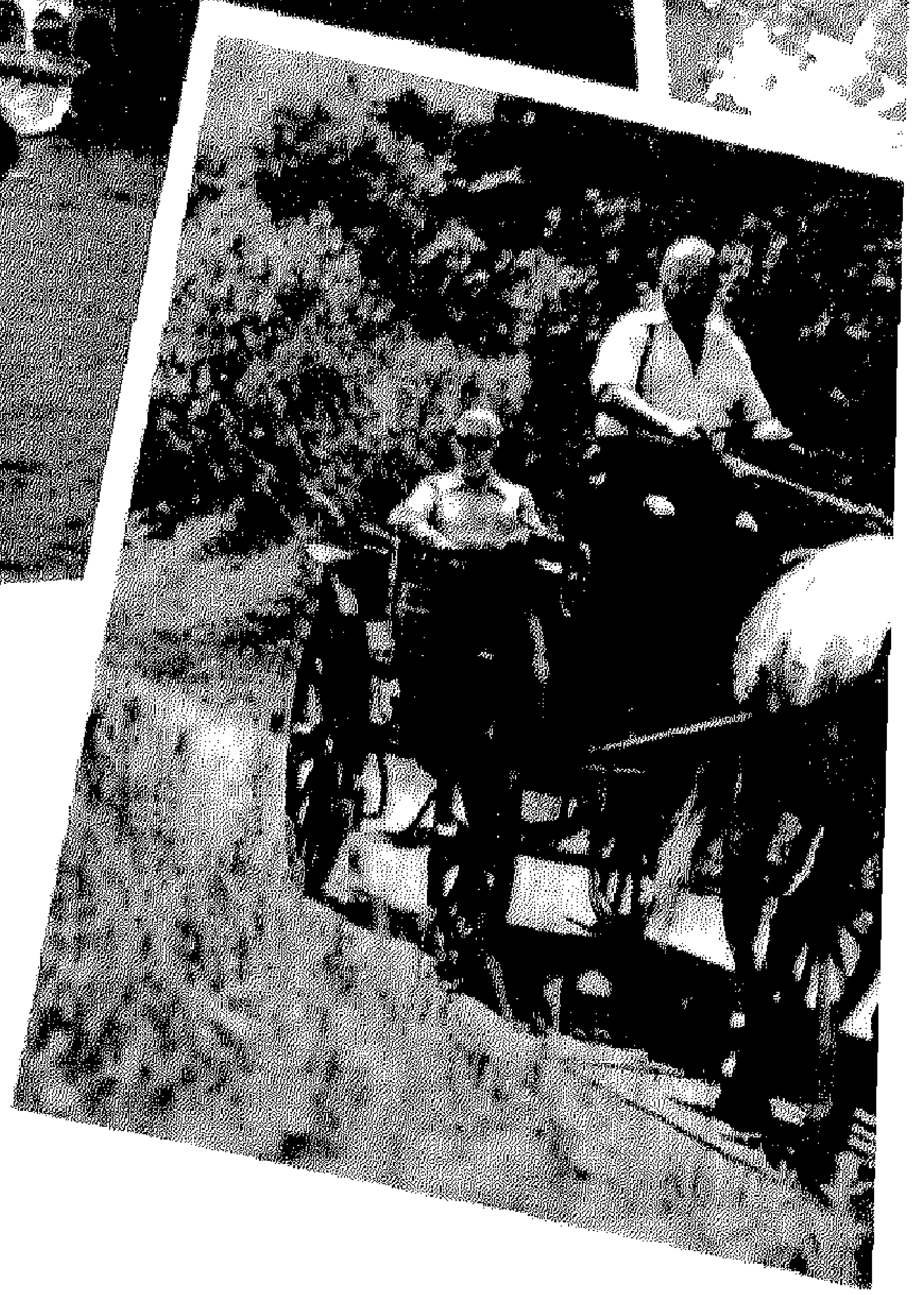
«من جنيف إلى لوزان»

قطعت التذكرة من جنيف إلى لوزان في القطار المتبدل لأقف على البلدان السويسرية كلها وأحظى بمناظرها الجميلة . . وحجزت الكرسي خوفاً من الوقوف، لأني قطعت في هذه المرة الدرجة الثانية لقصر المسافة . . وما أن جلست حتى أذن بالسفر فركبت حالا إلى لوزان . . وهذه لوزان كما تراها في الصورة . .

واللقطة لمناظر أثرية متلاصقة منها متحف فرنسي بجانب الفندق.

هب القطار من جنيف إلى لوزان سريعا . . وكانت أول مدينة وقف بها هي مدينة (رينيه) التي مرَّ ذكرها - لذلك لم أنزل بها حيث قد نزلت بها سابقا ودوَّنت لها ما يُدوَّن - ثم هبَّ كالريح حتى وصل إلى مدينة





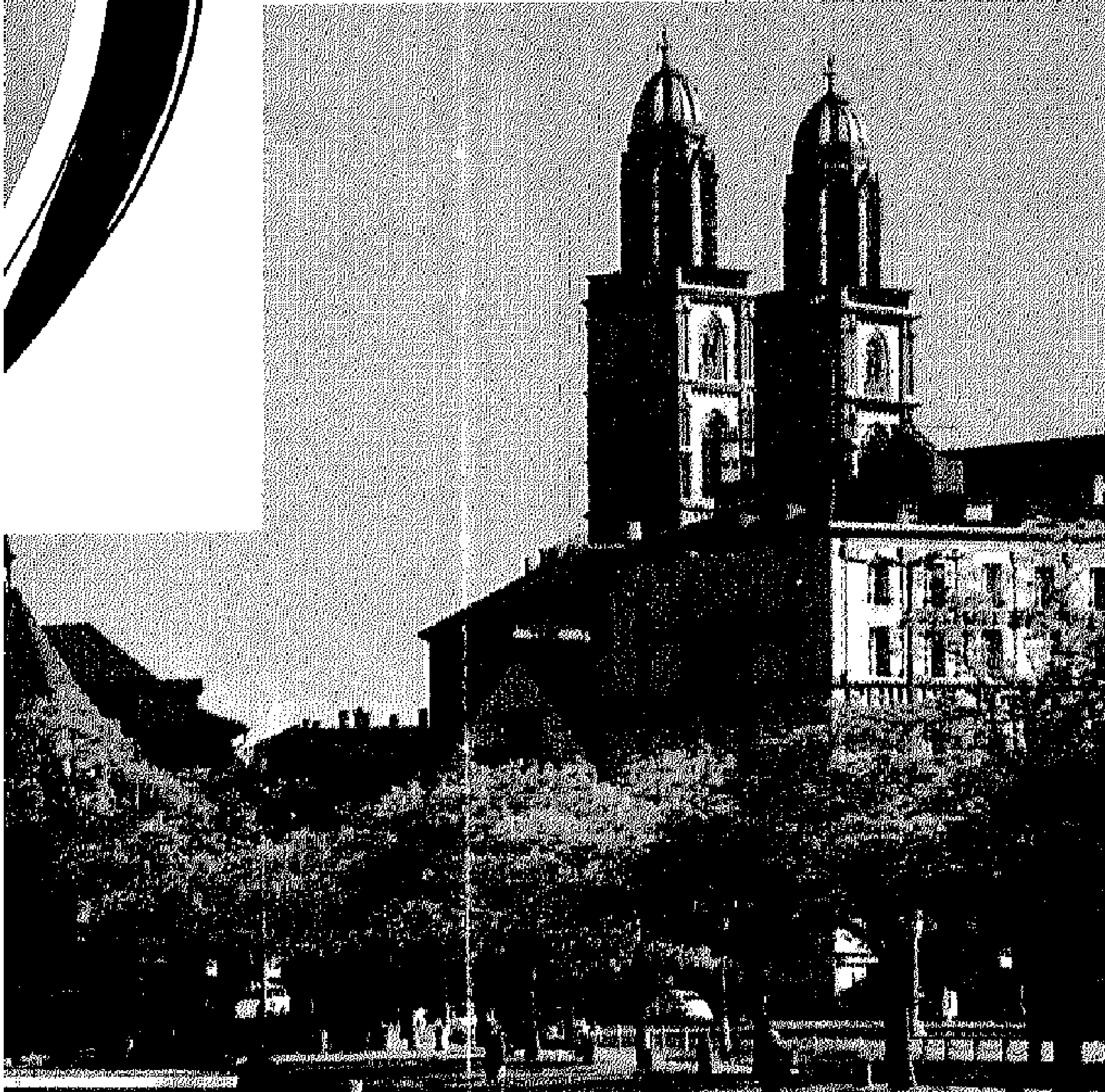
(روقس) ـ وهى مدينة جميلة كلها طبيعة ساحرة ومياه نهرية عذبة وحدائقها كثيرة . . ولا يوجد بها آثار قديمة تذكر . . ثم سافرنا إلى مدينة (رول) وهى تضارع ما قبلها من المدن السويسرية ـ ثم وصلنا إلى (لوزان) ونزلنا بها ومكثت بها يوما وليلة، وأخذت لها مناظر عديدة، وبعض اللقطات الملونة وما تراه فى الصورة العليا كان عاديا . . ولوزان هذه من أغنى البلاد السويسرية منظراً وطبيعة وعمرانا وتنسيقا وحسنا ـ نزلت فى فندق (مارينا هوتيل) . . وسألت مدير الفندق عن الشركة السياحية . . فقال: لا داعى إلى ذلك لأنه لا يوجد بها سوى مناظر طبيعية وبعض المتاحف التى يمكنك الوصول اليها على قدميك وأما المدارس والجامعات فمغلقة . . فارتأيت ما رآه مدير الفندق وتمشيت طوال النهار آخذاً بعض اللقطات، ثم رجعت إلى الفندق للمنام والسفر المبكر إلى (بيرن) (Bern) العاصمة لأرحل منها إلى بازل (Basel) آخر بلد فى سويسرة . . وهى فى الحدود بين المانيا وسويسرة . . وكانت التذكرة فى الاكسبريس رأسا إلى المانيا ـ والتبديل يُقر فى بازل ـ لذلك لم نقف فى بيرن كثيراً حسبما أشرنا إليه سابقا .

ولما سرنا من لوزان إلى (باسل) أو بازل فى طريقنا إلى همبرج مررنا بثلاثة أنفاق فى داخل الجبال السويسرية ثم وقف بمدينة (رومت) وهى سويسرية جميلة ذات أنهار وأزهار وطبيعة فاتنة ولكنه لم يقف سوى دقيقة واحدة ثم سار رأسا إلى مدينة (فريبور) .

بعدما تركنا مدينة (فريبور) وصلنا إلى مدينة (برق دورق) ولم يقف بها

القطار بل تعدَّاها حتى وصل إلى مدينة (هـرزوق ان بيـج) وكتابتها (Erzogenpugh) وهى مدينة صغيرة ولم يقف بها القطـار. . حتى وصـل إلى مدينـة (لان جنـت جال) (Langentchal) . . ولم يقـف بها الاكسبريس بل تعـداهـا حتى وصل مدينة (براثالين) . . وسار القطار إلى (باسل) رأسا. . وهى آخر البلاد السويسرية.

أنزلنا جميعاً لنبدل الخط السويسرى بخط المانى كما هو نظام القطارات. . ولكن بازل هى المدينة الوحيدة التى فى آخر الحدود السويسرية وهى بلدة كبيرة مكثنا بها أربع ساعات قضيناها تجوالا وتطوافا وأخذاً لمناظرها الجميلة وبعض اللقطات الملونة ولحدائقها الغناء ومعاملها الكيمائية حيث تكثر بهذه المدينة العملاقة مصانع الأدوية وشركات التصدير كما أنَّ بها شبكة مواصلات حديدية جبارة لأنها تقع على حدود دول متعددة أهمها المانيا.



سياحة عصرية بأبعاد إنسانية

من قلم: روكس بن زائد العزيزي
عمان

هذا هو اليوم الاول من شهر اغسطس ١٩٨٣م هو عيد (سويسرا) القومي. تعطل الاعمال عامة، والابتسامة تعلو كل ثغر، والشعب كافة اسرة واحدة على الرغم من اختلاف جنسياته، وكأن كل فرد من هذا الشعب الطيب يحتفي بعيده الخاص. او كأن الامة كلها اسرة واحدة تحتفي بعيد ابنها الوحيد، لا نسمع صخباً ولا ضجيجاً..

بعد ان تناولنا طعام الفطور في نُزُل (مديترنين) توجهت بنا الحافلة الى جبال الالب، فقلت للدليل. اتعجب كيف لا يكون كل واحد منكم شاعراً في هذا السحر الطبيعي الأخّاذ؟.

ابتسم، وقال: لعل السعادة الغامرة لا تبقى للانسان مجالاً لاستخدام خياله ليبدع صورة اجمل وارقى مما هو فيه واعتقد ان دوافع الشعر كثيرة منها:-

أ ـ الحرمان الروحي، والحرمان المادي.

ب ـ الكبت المرهق، والتشوق الى الحرية.

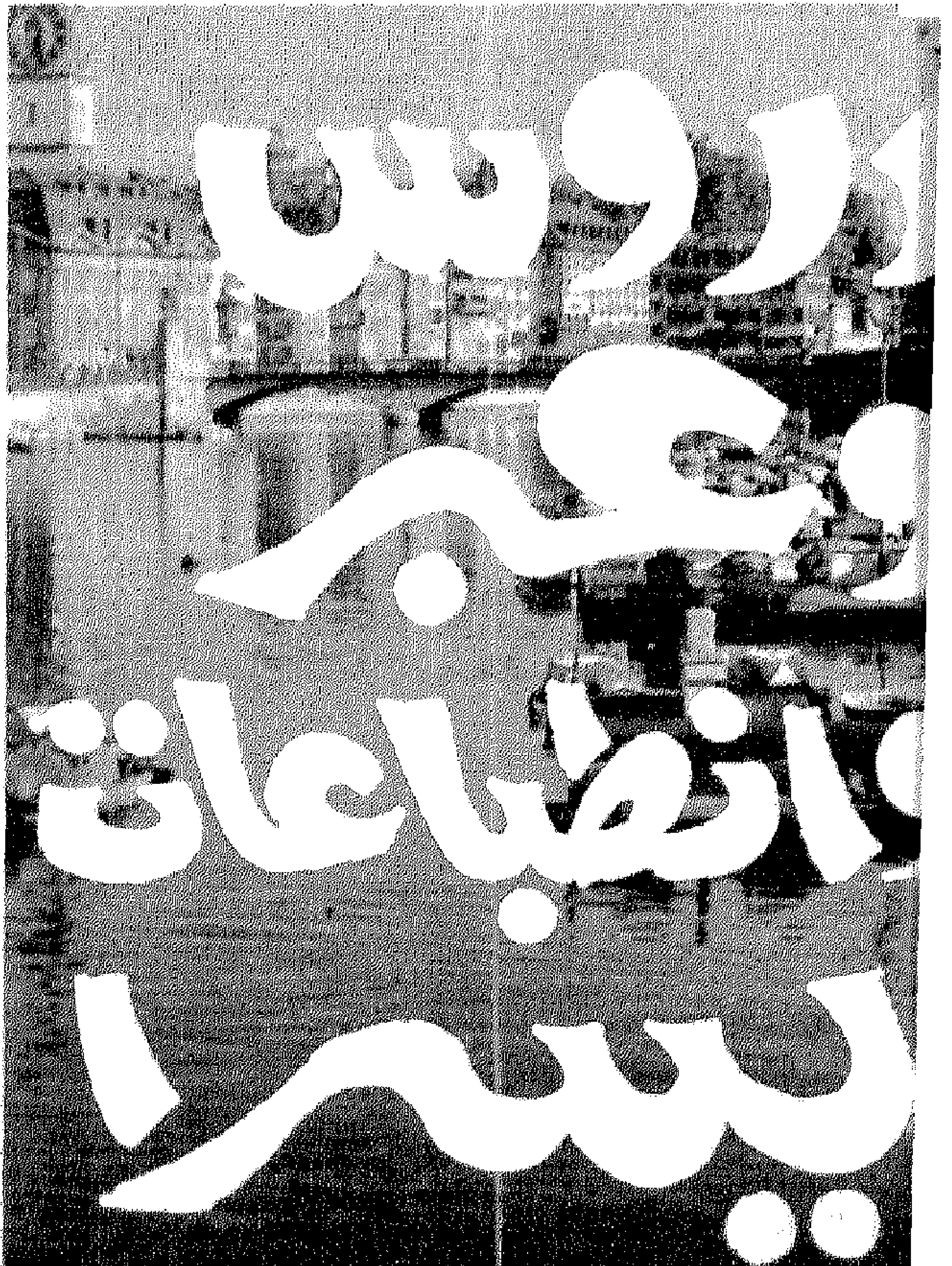
ج ـ الشوق الى المساواة.

د ـ الخوف من المستقبل الغامض الذي هو اشد انواع الخوف من المجهول.

هـ ـ الحرمان من جمال الطبيعة الذي يجعل الحياة عادمة المذاق.

و ـ التشريد من الوطن.

ز ـ الظلم الاجتماعي.



ونحن في هذه الديار قد سلمنا من ذلك كله، كما يشير علمنا، الذي نراه انه حليب ابيض في بحر من الدماء.

لقد غاصت بلادنا قديماً في بحور من الدماء، ونجانا الله منها، فاشرنا الى ذلك بالحليب الابيض الذي تراه..

●★★●

كل هذه الامور التي ذكرتها لك ـ كما اعتقد ـ الوان من الشعر العملي ـ ان صح لي التعبير من اجل هذا انصرفنا عن الشعر التخيلي، لاننا نعيش حياة اجمل مما يتخيل الشعراء. بل هي ـ كما اعتقد ـ ممارسات لحياة هي الشعر والموسيقى معا بل هي الفن والعلم جميعاً وهما يسعدان الجسد، ويسموان بالروح..

●★★●

سألته ونحن نمر ببناء استرعى انتباهي، ما هذا؟

اجاب: «انه السجن الذى يقيم فيه المجرم عشرين سنة» وقد سأله احد الاخوان مازحاً: «كيف السبيل الى الدخول فيه؟»

اجاب: «ان الامر في غاية البساطة، فاذا ثبتت عليك جريمة، قدم لك مقام ومأكل مدة عشرين سنة، لتحمى المواطن منك، ولا اقول لنحميك من الناس، لاننا لا نعرف الثأر، لاننا نقدس القانون، ونعتبر سلطته هى العليا..

●★★●

سألته عن السجن المفتوح؟

فاجاب: «**هذا السجن للاطفال المنحرفين فسجنهم ساعات معلومة كل يوم، يمرون بها على خبراء متخصصين في الاصلاح الاجتماعي، لكى يعود الحدث الى المستوى الاجتماعى النظيف اللائق عن طريق الاقتناع الشخصي، يعود وقد اتقن هواية تنظف عقله، وفكره، وضميره، وتجعله مواطناً صالحاً وهو في اثناء تلك المراقبة المخلصة لا يشعر بان القانون يريد ان يسلبه شيئاً من الكرامة الانسانية.**

●★★●

سألته عن الجندية في بلادهم؟

اجاب: ليس في جنديتنا شيىء تنفرمنه فالشعب كله ـ رجالاً ونساءاً ـ جنود مدربون ومدة التدريب عندنا سبعة اشهر، يتقدم اليها المواطن برغبته، وبعد هذه المدة يسلم ملابسه وسلاحه الذى درب عليه ليحسن استعماله عند اللزوم، فاذا حدث ـ لا سمح الله ـ أن احتاجت البلاد الى الدفاع عنها، وجه نداء الى الشعب كله فيكون مستعداً في غضون اربع وعشرين ساعة، من غير ان تسمع كلمة تذمر، او اشارة تأفف، لاننا كلنا نشعر ان الوطن يخصنا نحن وان السلطة التى اخترناها وجدت لكى تنظم الخدمات لنا.

●★★●

قلت هل جرى ان المدرب تفوه بكلمات بذيئة في اثناء التدريب؟

اجاب: ان المدرب يعلم انه يخاطب اخوانه واخوته، فهل تتوقع ممن يخاطب اخته او اخاه ان يتفوه بكلمات نابية؟.

قلت له: الاحظ هنا بيوتاً صغيرة، فما هى؟

اجاب: هذه البيوت، ابتكار خاص بنا نحن السوسريين، وهو للمتقاعدين الذين لا هوايات لهم، يبنيه كل متقاعد لنفسه مشتملاً على كل ما يحتاج اليه من:-

أ ـ غرفة نوم.
ب ـ مكتبة.
ج ـ كل ما ينتفع به.

في مساحة لا تزيد على ٤×٤ من الامتار، كما تشاهد حوله قطعة ارض يزرع فيها المتقاعد كل ما يحتاج اليه من الخضار والازهار، وهذا الاختبار برهن على انه يطيل عمر المتقاعدين ويحميهم من الضياع

الفكري ويجعل حياتهم سعيدة، وهذه القطع من الارض يستأجرها المتقاعدون من الحكومة باجور رمزية.

● ★★ ●

قلت له: «ما رأيك في حقوق الانسان، أهي مصونة في دياركم؟».

قال: «ان حقوق الانسان وحمايتها تعتمد على الانسان نفسه، واعني بالانسان نفسه ذلك الانسان الذي أئتمنته الامة على رعاية مصالحها، والمحافظة على حقوقها، وهو الحاكم والحكام اصناف:

أ ـ *صنف اختاره الشعب ووثق به، وهذا يصعب عليه ان يجور على ابناء بلده، لانه يكون ابا او بمنزلة الاب.*

ب ـ *وصنف فرضته سلطة اجنبية فهذا ذئب او ثعلب متذئب مسعور، لا يمكن ان يعرف للانسان حقوقاً ولا كرامة، لانه لو اعترف بذلك أصلاً، لما قبل ان يكون مطية للاجنبي.*

ج ـ *وصنف جاء في غفلة من الزمن في انقلاب اهوج، لا خبرة له في السياسة ولا في اساليب الحكم، لا علاقة بينه وبين المواطنين الا البطش لان همه الاوحد هو الاحتفاظ بالسلطة، وبالكرسي المشرف، وهذا لا يمكن الا ان يكون مدمراً للكرامة ولحقوق الانسان، لذلك اصبح من واجب الشعب نفسه، ان يعيد النظر في اصناف الحاكمين للمحافظة على روح الدستور العالمي لحقوق الانسان.*

فليس هناك من فائدة في دساتير لا تجد من يُطبِّقها، او يسعى الى تطبيقها، ولعلنا نحن وكل الشعوب التي تتمتع بالديمقراطية الحقيقة النابعة من فطرة الانسان من اشد الناس حرصاً على تطبيق حقوق الانسان في بلادنا.

لاننا نعلم ان المخلوق الذي لا يتمتع بحقوقه الانسانية وبكرامته الانسانية ليس انساناً سوياً ولو

اقام فى بيت من الالماس رياسة من الزمرد والياقوت، وهو بالتالى لا يمكن ان يكون وطنيا مخلصا.

●★★●

سألته: «كيف تنظرون الى هذه الشعوب التى تزور بلادكم؟»

اجاب: «ننظر الى الذين يزورون بلادنا نظرنا الى اشقاء لنا ونرى انهم يستحقون منا كل تقدير لان زيارتهم لبلادنا تشير الى اننا قريبون من قلوبهم وهم بالتالى احباء لنا وهم سفراء خير لبلادهم، وسفراء لبلادنا ـ فخريون ـ.

●★★●

وقبل الارتحال عن «جنيف» قلت لابنتى الكبرى، وابنتى الصغرى، ان يرتبن حقائبنا وأوجهتهما ان لا تنسيا شيئاً وفى الصباح اعدت السؤال: «أكل حقائبنا مرتبة ؟»..

اجابتا: «نعم».

وقبل ان تتحرك الحافلة، تقدم المسؤول عن الفندق وسألنى بلطف: «انت الاستاذ العزيزى ممثل الرابطة الدولية لحقوق الانسان؟» اجبت نعم انا هو هل من خدمة؟ اجاب: وجد الخدم هذه المحفظة فى الغرفة التى شغلتها كريمتاك. وهذه هى المحفظة وكانت المحفظة تشتمل على حلى وعلى نقود فشكرت الرجل ووعدته بان اسجل هذه الامانة.. فانحي مبتسماً شاكراً.

●★★●

متعهد مصرى ومضيفة اعتقد انها يهودية ومصور ايطالى وصاحب مطعم متخصص فى رحلتنا الى جبال الالب كان المتعهد رجلاً مصرياً تقاضى منا اجرة عالية تناسيناها لان الرحلة نفسها كانت شديدة الامتاع وكان يجب عليه ان يقدم لنا وجبة غداء فى الاستراحة التى تحتضنها جبال الالب، فلما نزلنا الى الاستراحة التقينا بالمسؤولة عن الاستراحة ويبدو انها لاحظت ملابسى العربية التى لم اتخل عنها فى كل رحلاتى تجهمت ولما جاء دور الغداء كان ما قدم على المائدة يصلح لمن فرضت عليه الحمية القاسية وعندما جاء النادل يسأل عن رأينا فى الغذاء قالت له ابنتى الكبرى: «هذه انموذجات لا غذاء ولا وجبة» فضحك الحضور.

اما المصور فقد التقيناه عند تمثال (جان جاك روسو) فعرض علينا ان يصورنا انا وابنتى فسألته عن الكلفة؟ فقال كل صورة عشرة فرنكات سويسرية قلت مازحاً: هذه الاسعار خاصة بالسياح من العرب، ام انت تعامل السياح كلهم معاملة ديمقراطية واحدة؟ ضحك والتقط لنا صورتين ولما اراد ان يسلمنى الصورتين قال: اياكم وان تعرضوهما للشمس، فضحكت وقلت: «هذا يجب ان يكون تلقى دروساً خارج (سويسرا).

ولما حان وقت الغداء ذكر لى بعض الاخوان ان فى (جنيف) مطعماً عربياً يقدم وجبات طيبة» فكان يجاوره مطعم متخصص بالاسماك دخلناه خطأ فلما طلبت قائمة الطعام، فوجئت بانه ليس المطعم الذى وصف لى فخجلت من ان اغادر المكان من غير ان اتناول شيئا فطلبت ثمانى سمكات من صنف (السلطان ابراهيم) لا يزيد وزنها على مائتى غرام، فقدمت لى القائمة بما قيمته عشرون ديناراً اردنياً وقتها ضحكنا من هذا الاستغلال الذي انسانا ما يلقاه السياح من ابتزاز فى بعض البلاد. اما ابنتاى وسبطى فقد تناولوا الغذا فى غير هذا المطعم المتخصص.

●★★●

الانطباع الذى كونته عن الشعب السويسرى:

ان الانطباع الذى كونته عن هذا الشعب انه شعب لطيف محب للخير امين صادق رقيق منظم يعتقد ان حبه للناس كنز وحب الناس له ثروة ادبية خدوم رآنا رجل سويسرى وزوجته حائرين فى اختيار الحافلة التى توصلنا الى الفندق فى (زوريخ) فطلب الى زوجته ان تزيل حيرتنا فتقدمت وارشدتنا بكل لطف فتحية لهذا الشعب المهذب الراقى.

على مائدة الأدب

بقلم الأستاذ / عبد الله الحقيل

للأدب رسالة جليلة وأهداف نبيلة اذ هو كما يقال خلاصة عناصر متعددة من لغة وأساليب ومعاني. ومن يلق نظرة على كتب تاريخ آداب اللغة العربية في العصور المتعددة منذ صدر الاسلام إلى العصر الحديث يدرك الثراء اللغوي والادبي يتجلى في مجموعة من الكتب. ومن الكتب الحديثة كتاب أدب اللغة العربية للمرصفي، وخلاصة أدب اللغة لابراهيم عبد الخالق، وتاريخ علم الادب للخالدي، وتاريخ الادب العربي للزيات وللرافعي ولزيدان والادب العربي وتاريخه وتاريخ اداب اللغة لمحمد دياب وأدبيات اللغة العربية لمحمد بركات وتاريخ الادب لحفني ناصف ودروس في تاريخ اداب اللغة العربية للرصافي وغير ذلك من الكتب التي الفت في هذا الميدان. وهي تكملة لجهود أدباء العرب القدامى في هذا المجال ولا ننكر في هذا المجال ما قام به المستشرقون حيث بادروا الى ولوج باب دراسة الادب دراسة تقوم على الاسلوب المنهجي كما ان كتاب تاريخ التراث العربي لمؤلفه محمد فؤاد سزكين قد صنف التراث وسيكون مرجعا مفيدا في هذا المجال ولقد عالج الادب والادباء أغراضا متعددة مع اختلافهم في الطريقة والاسلوب وفي تصوير المعاني وما يتفاضل به البعض ويمتاز به من تجارب وخبرات وقدرات وتفاعل واخيلة وعواطف واجادة وابداع. ولذا نجد الادب الموضوعي الرصين يكتب له البقاء والخلود.

ان الاستعداد الفطري ضروري جدا لانه الاصل والاساس الذي يدفع صاحبه إلى ممارسة هذه المهنة.

ولقد ركز ابن الاثير في كتابه المثل السائر على هذه الناحية فاوضح أدب الكتابة والشعر لمن يريد أن يتعلمها مع أهمية الذوق الادبي والطبع الفطري. وليس هنالك من شك في دور الناقد الادبي في بعث النشاط الادبي والعمل على النهوض بالادب ودفع مركبه إلى الامام. فالنقد ضرورة أدبية اذ الناقد هو الذي يقيم الاعمال ويحاول الكشف عن حقائقها وما يراه نافعاً ومفيداً.

ان الادب فن من الفنون الاصيلة العريقة التي حظيت باهتمام الامم وحفاوتها في مختلف عصورها واحلتها المحل الرفيع والمكان اللائق وما النقد الا عامل على ابراز نواحي الضعف والقصور في الانتاج والعمل الادبي.

ان نقاد الادب تقع عليهم مسؤولية كبيرة في تسليط الاضواء وتميز العمل الجيد واصدار الاحكام بتدبر وامعان بعد دراسة متأنية وفحص دقيق وقياس وتمييز ومعرفة واعية وفهم عميق بأصول النقد واتجاهاته وغاياته ومقاصده، ولعل مما يؤسف له أن نقرأ بعض الاحيان نقدا بعيدا كل البعد عن الطريق واتجاهاته وغايته ومقاصده ولعل مما يؤسف له أن نقرأ بعض الاحيان نقداً بعيداً كل البعد عن الطريق والمنهج السوي. ان الالتزام بقواعد النقد وأصوله أمر على جانب من الاهمية لمن يمارس ويزاول فن النقد الادبي ومن هنا كانت أهمية الادب رفيعة ودور الناقد وقدرته كبيرة وعليه أن يرتفع بها إلى آفاق واسعة مع مراعاة الصفات الخلقية واحترام الآخرين حتى يظل الناقد جديرا باحترام وثقة القراء والأدباء.

العلاقة بين

بحث طليعي تحليلي مقارن

«المنهل»

تتضح العلاقة بين الدين والأدب لأول وهلة عندما يكون موضوع الأدب دينيا. لكن العلاقة أعمق من ذلك بكثير. فليس من الضروري لكي نلمس أثر الدين في قصيدة، مثلا، أن يكون موضوعها دعاءا وابتهالا إلى الله، أو أن تكون في مدح الرسول «ﷺ» أو تتغنى بالفضيلة أو غير ذلك من أوجه التعبير الديني المباشر. إن الشاعر في قصيدته أيا كان موضوعها ـ حتى ولو كان غزلا أو هجاءا ـ انما يصدر عن «موقف كونيّ» عام. كما يتأثر في صوره الشعرية وموادها المُكَوِّنة بحصيلة من تراث. والموقف والتراث كلاهما من معطيات الدين. كذلك فان موهبته الفردية تكونت ونمت في إطار جماعة ذات وجهة دينية.

من ثَمّ حرص كثير من الدارسين في مختلف العصور والبيئات على دراسة العلاقة بين الدين والأدب واستجلاء جوانبها المتعددة.. وحظيت الدراسات الغربية في العلوم الانسانية بنصيب وافر من هذه الاهتمامات التي نوردها في هذا البحث بإيجاز نصل منه الى اهتمامات اثنين من أعلام هذه الدراسة في أمريكا، أولهما:

هـ. ج. ميلر. والآخر، وهو أكثر أهمية وشهرة عند القارىء والشاعر والناقد العربي، هو:

تِ. س. إليوت.. (١٨٨٨ ـ ١٩٦٥م) والذي ترجع أهميته في هذه الدراسة إلى أنه يمثل تحولا كبيرا في الاهتمام بعلاقة الدين بالأدب في الدراسات الغربية، فقد كان هو نفسه أحد أعلام مدرسة النقد الحديث، والتي ركزت على عزل الأدب عن البيئة والظروف الخارجية ووجهت الاهتمام إلى النص مباشرة، ثم تحول إلى موقف الدفاع عن الغاية الدينية والخلقية للأدب إلى حد أنه اتُّهم بأنه يريد «فرض رقابة دينية» على الأدب.

ومن ناحية أخرى، فقد أثر اليوت الشاعر

الدين والأدب

بقلم الدكتور: محمد حمدون
كلية البنات - جده

الناقد فى آن واحد على كثير من شعرائنا المعاصرين وتردد صداه - خاصة فى الستينات - فى كثير من جوانب الشعر الحديث فى العراق ومصر وغيرهما من الأقطار العربية التى احتك شعراؤها بالثقافة الغربية بطرق مباشرة أو غير مباشرة. (١)

على أن مناقشة «ميلر» و«اليوت» لطبيعة العلاقة بين الدين والأدب، وما أصابها من تصدع بسبب النظرة الغربية العلمانية، إنما تفتح بابا لمناقشة هذه القضية من وجهة النظر العربية الاسلامية، وهذا ما نهدف فى النهاية إلى بيانه فى صورة تتفق وطبيعة هذه الدراسة الموجزة. ولذا سنعالج البحث فى عدة نقاط أهمها:

١ - طبيعة العلاقة بين الدين والأدب.
٢ - بعض الاتجاهات العامة فى تحديد العلاقة.
٣ - الأدب والدين أم الدين والأدب؟.

ثم نتبع هذا كله بدراسة تفصيلية عن أساس العلاقة فى تراثنا.

طبيعة العلاقة بين الدين والأدب:

■■ مباحث الدين والأدب فى منهجيها وعلاقتها، وما يتصل بهذين معا، من أهم المجالات التى يجب أن تتوجه إليها العناية فى دراساتنا الأدبية والنقدية العربية المعاصرة. وأعنى «الدين» و«الأدب» هنا فى مفهوميهما: الخاص، كعلمين من العلوم الانسانية الحيوية، والعام، كنوعين من أنواع النشاط الانسانى، يتفقان فى السعى إلى ارساء القوانين والمثل العليا التى يحاول الانسان جاهدا فى مسعاه الوصول إليها ليربط «واقعه» الحى «بمثاله» المرجُوّ.

■ إن مَثَل «الدين» و«الأدب» فى هذه العلاقة كمثل أى علمين من العلوم المتداخلة (interdisciplinary) التى شاعت فى أوروبا وأمريكا فى الأونة الأخيرة بالنسبة للدراسات الانسانية

---

(١) انظر مثلا: A.Loya
al Sayyb and the Influence of T.S.Eliot.Muslim Word lxi 1971. no 3 pp 187-201.
وأيضا: Kh. Semaan
T.S.Eliot's Influence on Arabic Poetry and Theater, Comparative Literature Studies, vol. no 4 1952 p.482

عامة مثل «الأدب وعلم النفس» أو «الأدب وعلم الاجتماع» وغير ذلك من الصلات العلمية التى وازت الدراسات المتداخلة بين علوم الطبيعة والأحياء أو الاحياء والكيمياء Bio-physics أو غير ذلك . . ومن ثم صارت Bio-chemistry دراسة «الأدب وعلم الدين» دراسة متداخلة تقوم على تتبع العلاقة بينهما من النواحى التاريخية، ومن نواحى الصياغة والتعبير والرؤية الفنية، ومن نواحى الكُتَّاب وتأثرهم بالنصوص من ناحية، وببعضهم البعض من ناحية أخرى، كل هذا مما يثير اهتمام فئة كبيرة من الكتاب والباحثين، فضلا عن الدراسات المتخصصة فى هذا الحقل الجديد فى أقسام الدراسات الشرقية والدينية والأدبية فى عدد كبير من الجامعات(٢).

■ وبالرغم من أن العلاقة بين الدين والأدب وطيدة إلى حد أن أكثر هذه الجامعات والدراسات المختلفة لم تعد تعتبرها موضع تساؤل، إلا أن هناك اختلافاً كبيراً بين المادتين يجب أن لا نغفله ونحن بصدد تحديد طبيعة العلاقة بينهما . . ذلك الاختلاف يتصل بمصدر كل منهما؛ فبينما يعد مصدر الأدب فى الوقت الحاضر(٣)بشريا human داخليا internal يظل مصدر الدين قدسياDIVINE خارجيا external، ان الأدب ينبع من ذات الأديب، ويصدر عن موهبته وطبعه وتفاعله مع ما ومن حوله، كما أنه نتيجة الاحساس العميق بالأحداث والمؤثرات الخارجية التى يتعرض لها الأديب والتى لا بد أن تمر عبر ذاته قبل خروجها للناس أدبا جيدا، هو فيه المحلل للدوافع والمحدد للقيم . . أما الدين فيقوم على معايير قدسية، هى مجموعة العقائد والقيم والأفعال التى آمنت بها الجماعة ـ ومنها الأديب ـ ورأت أن مصدرهاهو الحقيقة العلوية المنزهة، أى الله سبحانه وتعالى . . فهى حقيقة خارجية لا دخل لذات الأديب فى تحديدها أو تكوينها مهما كانت درجة تفاعله معها أو تأثره بها . . وكل ما يتصل بها يقع فى إطار «الثابت»، هو فيه أيضا محلل للدوافع، ولكنه ليس «المحدد للقيم».

■■ هذه التفرقة من حيث المصدر أساسية، خاصة وأن غرض البحث الحالى هو التوطئة لدراسة الاسلام والأدب العربى دراسة منهجية تطبيقية فى المستقبل تعتمد على نتائج البحوث والدراسات الهامة فى هذا المجال، وتأخذ فى الاعتبار أن مصدر الشعر والشاعر يختلف عن مصدر الوحى والنبى . . غير أنها تفرقة لا تنفى قدرا من **«الغيبية»** فى طبيعة مصدريهما، ولا تقلل من أهمية المادة الأدبية أو تجعلها تابعة للمادة الدينية، أو تعبيرا مباشرا أو غير مباشر عنها، على نحو ما سنشرح فيما بعد.

انها فقط تفرقة تتصل بمصدر كل من المادتين حيث تقوم احداهما ـ الدين ـ على «الوحى» (Revelation) ولا تحيد عنه فى مفهومها الصحيح نصا أو مضمونا . . بينما تقوم الأخرى على موهبة الأديب أو الشاعر talent ، ومن ثم فهى تخضع للتحولات الطارئة على مزاجه وطبعه ومكوناته الثقافية والاجتماعية . . ان علاقة الدين بالأدب هنا عند الكاتب الذى يعى هذا الفرق ويصدر عنه تمثل «الثابت والمتغير» فى عملية ابداع فنى تهدف ـ كما قلنا ـ الى ارساء القوانين والمثل العليا للانسان دون أن تخلط بين المصدرين ونتاجهما المادى وإن توطدت العلاقة بينهما إلى أبعد الحدود، خاصة «غيبية» طبيعتهما.

■ لقد حرص كثير من كتاب ونقاد الغرب على تحديد طبيعة تلك العلاقة، وظهرت اتجاهات وآراء مختلفة ومدارس ذات نزعات متميزة فى البحث والتطبيق ربما تفوق من حيث الكم والكيف ما كتب بالنسبة للأدب العربى . . ولكن ما تناثر أيضا فى ثنايا النقد العربى القديم والمعاصر لا يقل أهمية عنها فى إلقاء الضوء على طبيعة تلك العلاقة وفهم ودراسة الأدب على أساسها . وهذا كله سنعرض له فيما يلى :

بعض الاتجاهات العامة فى تحديد العلاقة :

●● لخص ج. ب. جَنّ فى كتابه «الأدب والدين»(٤) الاتجاهات السائدة لدى كتاب الغرب عامة فى تحديد العلاقة بين الأدب والدين، فرأى أنها لا تحيد عن واحد من ثلاثة اتجاهات :

أولها : ذلك الاتجاه الذى يهتم بتحديد وتعريف المحاور ونقاط التلاقى الأساسية بينهما، والذى ينتج عنه «تداخل بعض المصطلحات فى التجربتين الدينية والأدبية» فمصطلحات مثل الإلهام (inspiration) كمصدر للحقائق الغيبية فى التجربة الدينية، وكموَجِّه وهادٍ للعبقرية فى التجربة الشعرية؛ أو الحَدْس أو الوعى (intuition) كوسيلة من وسائل المعرفة الدينية ـ خاصة عند المتصوفة ـ وأساس ذوقى فى النتاج الأدبى وتقويمه؛ أو المطلق، أو المنزه، أى الغائى الذى لا يحد ultimate كموضوع أساسى فى العقيدة الدينية، وهدف جمالى رئيسى فى فلسفة الأدب ونقده.. كلها مصطلحات تصلح فى هذا الاتجاه كمنطلقات لبحث العلاقة بين الأدب والدين.

● *وواضح أن هذا الاتجاه يربط علاقة الدين بالأدب بفلسفة الجمال ونظرية الأدب.. كما أنه يعتمد على التَّقْعيد والتنظير أكثر منه على تحليل النصوص ومقارنة مواقف الكتاب.. كذلك فإن المصطلحات التى يعتمدها كمنطلقات لدراسة العلاقة خاصة حين تقوم على تحديد «المعنى الثانى» ـ وهو بحث أدبى بلاغى لا غبار عليه ـ قد تتضمن أفكارا مثيرة للجدل الدينى الذى يُخرج البحث عن طبيعته الأدبية، وذلك مثل قضية «الحَدْس» وما يترتب عليها من معرفة إشراقية أو صوفية أو ادعاء للتفسير (الدينى) بالباطن ـ وهو بالطبع ما يأباه الفكر الاسلامى فى جوهره.. ولذا فان هذا الاتجاه يتطلب الحذر من الباحث الذى يهدف الى تطبيق العلاقة على «الاسلام والأدب» رغم أنه يشير إلى مظهر أساسي من مظاهر العلاقة بين الدين والأدب يتصل بالمصطلحات والأفكار التى ترتبط بسعى الانسان الدائب لفهم ما يحيط به من أسرار الكون والوجود.*

●● أما الاتجاه الثانى فهو الذى يبحث العلاقة بين الأدب والدين فى أعمال أو ثقافات أو عصور محددة وقد يبحثها عند كُتاب بعينهم.

● ويتجه البحث إلى دراسة تأثير إحدى المادتين (الدينية والأدبية) على الأخرى، سلبا أو ايجابا مع بيان أن الدوافع والعقائد الدينية «تُشَكِّل التجربة الأدبية»، «وقد تَتَشَكَّل بها» على حد تعبير جَنّ.

---

(٢) أنشئت فى كثير من هذه الأقسام برامج لمنح درجات علمية (ماجستير أو دكتوراه) فى مجال الدين والأدب كتخصص مستقل، وقد قدم كاتب هذه الدراسة رسالته للدكتوراه بعنوان :

Islamic Identity and the West in Contemporary Arabic Literature, Temple University, philadelphia, Pa. 1977.

وفيها قدم دراسة تحليلية، تاريخية ومقارنة، للأدب العربى المعاصر مطبقا على بعض النماذج البشرية الأدبية وخلفيتها وموقفها بين «الاسلامية» و«التغريب».

(٣) كان العرب قبل الاسلام يعتقدون أن مصدر الشعر خارجى، أى ليس الشاعر نفسه، ومن ثم نشأت لديهم فكرة شياطين الشعر. وقد وضحت هذه الفكرة فى أشعارهم، وفخروا بها كقول قائلهم :

فإن شيطانى أمير الجن
يذهب بى فى الشعر كل فن

وقول الآخر :

إن كل شاعر شيطانه أنثى «وشيطانى ذكر»... الخ.

والفكرة قريبة من فكرة «إلاهات الشعر» عند الاغريق. ولكنها بدأت تتلاشى تدريجيا بعد الإسلام، ولعل رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد من أهم مصادر شياطين الشعراء والكتاب وفى حيوان الجاحظ وغيره نلمح أثرها.

(٤) انظر: G.B.Gunn

Literature and Religion. Harper and Row, New York 1971.

● ويمثل هذا التشكيل والتشكل بين المادتين أعمق جوانب العلاقة الممكنة، حتى لا نكاد ندرك أيتهما المؤثرة وأيتهما المتأثرة.. إنها علاقة يصبح «الدين والأدب» فيها «موقفا» أو طريقة معاش عند الأديب أو الشاعر. والذى ينظر فى تجربة حسان بن ثابت الدينية الأدبية - مثلا - يرى ما كان بين التجربتين من تلاحم. ففى الوقت الذى حوّل فيه حسان تجربته الشعرية السابقة - وهى كانت وسيلته الفنية فى التعبير عن الذات فى مثلها وغاياتها - سلاحا قويا يشكل من حيث الوسيلة أداة ثقافية دفاعية اسلامية، نجدها قد «تشكلت» بالعقيدة الإسلامية ومتطلباتها وقد صارت - مرة أخرى - وسيلته الجديدة فى التعبير عن الذات فى شكلها الجديد.. لقد توحدت التجربتان الدينية والأدبية بعد الاسلام ووجد حسان لزاما نفسيا عليه (نابعا من الذات) أن يَسُلّ النبى ﴿ﷺ﴾ مما يهجو به قريشاً كَمَا تُسَلُّ الشَّعَرةُ مِنَ الْعَجِين. وبقدر ما شعر بقدر ما التزم فى شعره بالقضايا والقيم، التى تحتمها عقيدته حتى صار «الشعر والدين» عنده لا ينفصمان إلى الحد الذى دعا بعض النقاد - فيما بعد - إلى وصف شعره بعد الاسلام باللين والضعف بناء على مذهبهم النقدى «الشعر نكد، حَظُّه الشر»(٥) فاختلاف الحياتين قبل الاسلام وبعده - وهو اختلاف فى الدين - يتبعه اختلاف فى الشعر.

●● وليس هنا مجال متابعة هذه القضية، وانما أردنا أن نمثل لما ذكره «جَنّ» من تلاحم بين الدين والأدب يُعدُّ أحد المنطلقات الهامة فى تحديد العلاقة بينهما، حين يلتقيان فى «غايات خلقية واجتماعية وانسانية عامة تدعو إلى تشكل وتشكيل أحدهما بالآخر.

● ومع مشابهة هذا الاتجاه للاتجاه الأول فى أنه قد

«إن دراسة الدين والأدب.. لا تقف عند حد النصوص الأدبية ذات الطابع الدينى المباشر وإنما تمتد إلى موقف الأديب وطرقه فى التعبير والأداء»

ينحو بالبحث منحى نظريا فلسفيا إلا أنه لا بد وأن يبدأ من النصوص الأدبية أو الكُتّاب أنفسهم عند تحديد العلاقة.. ولذا يتميز بطابع تحليلى ونقدى عام.

●● ويختلف الاتجاه الثالث عن هذين معا فى أنه ينحو منحى عمليا تحليليا صرفا.. وهو اتجاه مباشر أيضا يتناول الأعمال الأدبية، فيعرض القضايا والموضوعات الدينية التى تتضمنها تلك الأعمال.. وقد يحللها من حيث مطابقتها (أو عدم مطابقتها) لما ورد فى الدين، مع بيان قدرة الكاتب على تصوير النواحى الدينية والانتفاع بها.. أى أن هذا الاتجاه يهتم بما يطلق عليه «الأدب الدينى» بالدرجة الأولى ويرى الأدب وسطا أو بيئة medium للتعبير الخلقى والدينى سواء أجاء هذا التعبير عن طريق استخدام الآراء والأفكار الدينية المباشرة أو عن طريق الرمز والايحاء.. انه ينظر إلى الأدب - كما يقول جَنّ - من خلال عدسات دينية تبلور الموضوعات وتشرح الارتباطات وتفسر المواقف، كل هذا فى أطر دينية



محددة . . ولذا فإن طبيعة العلاقة فى هذا الاتجاه تكاد تنحصر فى كون الأدب أداة للتعبير عن الدين(٦) كما يريده الناقد أو الدارس رغم الأديب أحيانا.

وواضح أن هذا الاتجاه مرتبط إلى حد كبير «بالأدب الدينى» Religious Literature الذى تتعدد أمثلته فى الأدب العربى قديمه وحديثه، بدءا من المدائح النبوية إلى الهاشميات إلى الحجازيات إلى شعر التصوف إلى غير ذلك من النصوص الشعرية والنثرية ذات الطابع الدينى المباشر.

ولكنه بالطبع اتجاه يَقْصُر عن تغطية كل ما تشمله الدراسة المتداخلة للدين والأدب.

الأدب والدين أم الدين والأدب؟

يترتب على ما سبق أن أشرنا اليه من الاتجاهات العامة فى تحديد علاقة الدين والأدب سؤال هام هو:

أيها أولا : الدين أم الأدب؟

■■ لقد قلنا من قبل إن شرعية الدراسة المتداخلة فى هذا المجال لم تعد موضع تساؤل عند أكثر الباحثين فى الغرب، ومع ذلك فقد نجد من يعترض على دراسة الأدب بناء على هذه العلاقة ويرى أنها «خليط» أو «مشوشة» (messy) وأنها تنزل بالنص الأدبى إلى مستويات خارجة عنه . . وحسْب الأدب فى آخر ما وصلت إليه مدرسة النقد الحديث فى أمريكا، مثلا هو «التحليل النصى» لتفادى مثل هذا الخروج بالعمل الأدبى عن نطاقه(٧).

■ على أن ما تذهب اليه مدرسة النقد الحديث ليس جديدا . . وقضية الخروج بالنص الأدبى عن نطاقه لا تقتصر على التحليل الدينى للأدب . . إنها قد تنطبق على أى من المدارس المختلفة والمتنازعة حول تفسير الأدب، يستوى فى ذلك مؤرخو الأدب والمحللون الاجتماعيون والنفسيون ومؤرخو الفكر، بل ومدرسة النقد الحديث ذاتها كما يذهب مُورِس فريدمان فى دفاعه عن العلاقة وشرعيتها . . (٨)

● ***نعم لا يصح الخروج بالنص عما يحتويه أو تحميله مالا يتحمل أو تأويله على غير مقصود كاتبه . . ولكن هذا كله لا يعنى أن الناقد الذى قد تسلح بسلاح الدين والأدب كليهما ليس له الحق فى تفسير النص على أساس من الدين . . إنه يعنى فقط أن أى عمل أدبى له صلة بالدين يمكن دراسته على أساس اختيار الموضوعات والقضايا الدينية التى يطرحها صراحة ـ إن كانت***

---

(٥) وممن مال إلى هذا الرأى الأصمعى ، عبد الملك بن قريب، الذى لاحظ أن شعر حسان فى الجاهلية أقوى منه فى الاسلام فعقب على ذلك بقوله: «الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرىء القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل . . فاذا أدخلته فى باب الخير لان».

(٦) ج . ب . جن ، المرجع السالف الذكر (ص ص ١٠-١١)

(٧) و(٨) موريس فريدمان M.Friedman

(the Meeting of Religion and Literature), Main Currents in Modern Thought, vol. 28, no. 2 pp. 35-36.,36.

ـ أو على أساس مقارنة طريقته فى التعبير عن العقائد والشعائر والنواحى الاجتماعية، أو على أساس مقارنة مواقف النماذج والشخصيات الأدبية فيما يتعلق بالقضايا الأساسية للوجود الانسانى(٩) ويترتب على هذا أن الدين فى مفهومه هنا ليس مجرد «فلسفة موضوعية» أو مجموعة من «الشعائر والعقائد» التى تنحصر دلالتها فى إقامتها فحسب . . أو «تجربة فردية» أو «مجموعة من الرموز والأساطير» مهما كانت دلالاتها . . إنه «طريقة معاش» . . يوجهها ويحكمها موقف أساسى من الحقيقة الكونية الكلية . . إيمان . . وهو بالرغم من كونه «حقيقة فعلية» يعيشها المرء يوما بيوم الا أن له فى وجوده المستقل أولوية تفوق الحياة ذاتها، إلى درجة أن بول تيليك (P.Tillich) ، من أشهر علماء الأديان المعاصرين فى الغرب ـ يُعرِّفه بأنه «ذلك الذى يستعد الانسان للموت فى سبيله» ـ ولم نذهب بعيدا؟ إنه «إسلام» ـ بمعنى الفعل . . أى تسليم للذات حيث يجب تسليمها وخضوعها . . ومن ثم انسجامها مع ما ومَنْ حولها.

ان الدين في حقيقة أمره انما يتمثل فى هذين الأمرين:

(١) اتخاذ موقف أساسى من الكون والحياة . . وفى هذا الموقف يظهر جانب العقيدة والإيمان بالله سبحانه وبمتعلقات هذا الايمان من ملائكة وكتب ورسل وموت وبعث وقضاء وقدر ويوم آخر.

(٢) ترجمة هذا الموقف إلى سلوك معين يحدد معالم الشخصية الانسانية ويرسم هويتها، سواء فى واقع الحياة، أم فى الأعمال الأدبية والفنية، أم ـ بالطبع ـ فى إنجاز العبادات والشعائر.

ولهذا فإن لقاء الدين والأدب لا يعنى البحث عن « لاهوت مختبىء فى الأعمال الأدبية» ـ على حد تعبير فريدمان ـ ولكنه بحث عن «الوجود الانسانى الأصيل»(١٠) الذى يظهر فى كل عمل أدبى ناجح مهما كان عصره وجنسيته . . وليس سعيا دائبا لتصيد الأساطير والخرافات المعبرة و«المهَوِّمة» فى الشعر، ولكنه البحث عن طرق فعالة لتناول معارف العصر فى إطار من القيم. (١١)

واذا كان الأمر كذلك فليس فى بحث علاقة الدين بالأدب ما يوهم الخلط أو «التشويش» وليس فى نقد الأدب وتقويمه على أساس دينى ما يوجب الثورة على نحو ما ذهب اليه دعاة مدرسة النقد الحديث، ومن قبلهم دعاة «الفن للفن».

<u>وهكذا يظهر لنا أولا</u> : أن «الأساس الجذرى» فى العلاقة بين الدين والأدب هو فى «موضوعهما» المتصل بموقف الانسان من الحقيقة الكونية من ناحية واستجابته المترجمة الى سلوك معين والمترتبة على هذا الموقف من ناحية أخرى. أى الايمان والسلوك المترتب عليه . .

وثانيا : أن علاقة من هذا النوع لا تكون «خليطا» كما لا تستلزم بالضرورة أن تكون إحدى المادتين «مهيمنة» على الأخرى وسائدة عليها مخرجة لها عن طبيعتها مهما قدمت عليها فى الموقف النقدى للكاتب . .

■■ وسنضرب مثالا على ذلك بمقالتين احداهما: لـ ج . هـ . ميلر (J.H.Miller) «الأدب والدين» والأخرى: لـ ت . س . إليوت (T.S.Eliot) «الدين والأدب»(١٢).

■ ففى هاتين المقالتين تبرز لنا اهتمامات الكاتبين واتجاهاتهما منذ البداية، إذ يتخذ إليوت الدين ركيزة ينطلق منها إلى استكشاف علاقته بالأدب . . على

حين يأخذ ميلر موقفا عكسيا ينطلق فيه من الأدب إلى الـدين. . ودراسـة كل منهما تخرج عن مجرد استكشاف العلاقة إلى تأكيد تداخل المادتين موضوعا وغاية. . فهذا اليوت يقرر صراحة أن «**عظمة الأدب لا يمكن أن تقرر فقط بالمعايير الفنية**» وإنما يجب أن «**تصغى خلال معايير أخلاقية ودينية محدودة**»(١٣) على حين يذهب ميلر «**إلى انكار جدوى العمل الأدبى، مهما كانت درجة جماله، اذا صور لنا العالم تصويرا زائفا**». (١٤)

■ وقد قلنا ان ميلر يجعل الأدب هو الركيزة الأساسية فى بحث العلاقة. . ولكن ليس معنى هذا أنه يقلل من أهمية الدين أو يجعله تابعا للأدب.

انه ينظر إلى طبيعة القصيدة أو العمل الأدبى من حيث المعانى الداخلية (intrinsic) والخارجية (extrinsic) معاً وعلاقة هذه وتلك بالكاتب والقارىء كليهما وما يحيط بهما من ظروف وملابسات تاريخية واجتماعية وثقافية. .. ولكن المنطلق هو العمل الأدبى نفسه. . وعنده أن دور هذه «الملابسات والظروف» واضح فى ربط الأدب بالدين وإن أضفت بعض الصعوبات على دراسة العلاقة بينهما. . فبسبب تلك الملابسات والظروف، وانطلاقا منها، يواجه الناقد عملا أدبيا لا على أنه «معانٍ لغوية» يتم استحضارها للوجود كما ذكرها الكاتب تماما والا لما كان هناك مجال للشرح والتفسير. . وإن الناقد نفسه صاحب آراء وأفكار وعقائد تحدد موقفا دينيا معينا. . وحتى بالنسبة للذين «يتسامحون» فى النواحى الدينية

إن عظمة الأدب لا يمكن أن تقرر فقط بالمعايير الفنية وإنما يجب أن تُصَغَّى خلال معايير أخلاقية ودينية محددة

أو «لا يهتمون بها» يرى ميلر أن هذا نفسه يعد «موقفا دينيا» أى أن الموقف الدينى مفروض على الناقد (بحكم الملابسات والظروف المذكورة) شاء أم أبى وعى أو لم يع. . (١٥)

ويلخص ميلر أن «الموقف الدينى» قد يظهر فى نقد العمل الأدبى على وجه من ثلاثة. . فنحن إما أن نجنح الى اختيار الأعمال التى تتشابه مع ما نعتقده ونقره فنتعاطف معها ونروج لها. . وإما أن نعمد الى رفض مالا يتفق مع وجهات نظرتنا الدينية (وعندى أن **هذين الموقفين ما هما الا وجهان لقطعة عملة واحدة تصدر عن الناقد الملتزم دينيا**). . وإما أن نتخذ موقفا حياديا من القضايا والموضوعات الدينية عامة. . وهذا الموقف الثالث هو الذى يمثل الملتزم أدبيا «لا دينيا». . ومن ثم فهو «الفارق الأساسى» بين موقف من يضع الدين أولا ومن يضع الأدب أولا. . ولكن الذى ينبه إليه ميلر على كل

---

(٩)و(١٠) المرجع السابق ص ص ٣٦-٣٧،٣٧

(١١) انظر D.Daiches

Religion, Poetry, and the Dilemma of Modern Man. in: Perspectives in Contemporary Criticism, ed. by S.N. Grebstein, Harper and Row, N.Y.1968, P.61.

(١٢)و(١٣)و(١٤) ظهرت مقالة ت.س. اليوت أولا فى مجموعته:

Selected Essays (HIB Inc.) New York 1938.

ثم ظهرت فى طبعات تالية، أما مقالة ميلر فقد ظهرت أولا فى:

the Relatlons of Literary Studies: Essays on Inter-disciplinary Contributiins (MLA, N.Y.,1967)

ثم ظهرت أيضا فى طبعات اخرى. وقد اعتمدنا فى المقالتين هنا على طبعة لهما فى:

Religlon and Modern Literature, Essays in Theory and Practice, ed. by G.B. Tennyson and E.E. Ericsin, Jr. (WBE Publing co., Michigan, 1975). ص٢١ ؛ ص٣٥

(١٥) واضح أن ميلر يستخدم «الموقف الدينى» بالمعنيين الايجابى والسلبى ففى الأول يدافع الكاتب أو الناقد عن الدين ويهتم به، وفى الثانى يتجاهله أو يرفضه.

حال: هو أن كلا من هذه الأوجه الثلاثة للموقف الدينى رُبّما يقود الى نوع معين من تشويه العلاقة(١٦).

●● غير أن السؤال الذى يفرض نفسه هنا أولا هو: هل يمكن أن يتخذ الناقد (أو المتلقى للأدب) موقفا حياديا مطلقا فيما يتعلق بالدين خاصة حين يدرس العمل الأدبى من حيث المعانى الداخلية والخارجية معا؟(١٧).

● قد يجيب البعض: «نعم» طالما أن المعانى الداخلية والخارجية جميعا لا تفترض ولا تفرض ارتباطا دينيا من أى نوع.. ولكننا إذا عدنا إلى شرح ميلر نفسه «للموقف الدينى» وجدنا أنه يعنى «الموقف» فى جانبيه الايجابى والسلبى، وفى مثل هذا لا يصبح الملتزم أو الداعية الدينى فقط ذا موقف دينى، بل يصبح المتجاهل للدين أو الرافض لأهمية علاقته بالأدب أيضا ذا موقف.. ولكنه موقف سلبى.. ومثل هذا الموقف السلبى قد يسىء إلى الأدب والدين معا، وذلك حين يكون الدين ضرورة موضوعية فى العمل الأدبى بقدر ما يكون الموقف الايجابى مسيئا للدين والأدب حين يتجاهل خصائص كل منهما وفرديته.

● إذن فالسلبية الدينية التى تتجاهل علاقة العمل الأدبى بالدين مرفوضة. والإيجابية التى تلغى الفوارق بينهما مرفوضة أيضا.. وفى نفس الوقت تصعب الحيادية المطلقة خاصة وأن الناقد والمفكر الناضج ملتزم، ولا مجال للالتزام - كما يرى ميلر نفسه - أهم من مجال الدين والأخلاق.

●● بقيت اذن مهمة أصعب.. أن ندرس الدين والأدب بصورة موضوعية تؤمن بلقائهما ولا تلغى شخصية أى منهما.

إن أخطر ما يواجهه الأدب حقيقة، هو محاولة بعض النقاد شرح وتفسير الأعمال الأدبية من وجهة نظرهم الدينية التى يحبونها ويؤمنون بها، وان كانت مثل هذه الأعمال لا تسوغ ذلك. فقد وجد بين النقاد المسيحيين مثلا - وعلى مختلف العصور - من يرى فى «الأساطير الوثنية اللاتينية.. صورة مشوشة من الوحى المسيحى.. بل لقد استطاع بعض نقاد عصر النهضة والعصور الوسطى أن يجعلوا من فرجيل - الشاعر الاغريقى الوثنى - شاعرا مسيحيا عظيما.. كما يرى بعض المعاصرين - بروتستانت وكاثوليك على حد سواء - أن أعمالا مثل أعمال كافكا وكامى ذات معنى ومغزى مسيحيين»(١٨) وهو ما لا تدعمه حقيقة الكاتبين.

● إن خطورة مثل هذه المحاولات ليست فقط فى خطئها، بل - وهذا هو المهم - فى أنها تنفى الخصائص الفردية للعمل الأدبى ووجهة نظر الكاتب الكونية العامة التى تشكّل عمله فى إطارها، ومن ثم فهى تخرج الأفكار والموضوعات - دينية أو لا دينية - من إطارها المقصود فى بيئتها الأولى إلى أطر خارجة تماما عن نطاقها.. وما أشبه ذلك بما فعله الكتاب والشراح المتصوفة من الفرس فى تناولهم لموضوع وشخصيات «قصة يوسف» المذكورة فى القرآن الكريم، تناولاً بَعُدَ بها عن أصولها.. فنرى يوسف (عليه السلام) فى قصة جامى «يعتقد - كما يعتقد المتصوفة - أن التأمل فى الجمال الإنسانى يقود الى الله ذى الجمال المطلق»(١٩) وهى فكرة لا توجد فى الأصل الأول للقصة سواء فى القرآن الكريم أو العهد القديم.

● واذا كان هذا «التأويل» لا ينطبق تماما على ما عناه ميلر - حيث إنه تم بواسطة (كاتب) لا (ناقد) - فإنه يصلح فى نظرنا مثالا يقرّب الى قراء الدراسات العربية والاسلامية خطورة تأويل

النصوص الأدبية الدينية (فى هذه الحالة: قصة يوسف فى القرآن الكريم)، بسبب الاهتمامات الدينية المعينة التى يلتزم بها كاتب أو ناقد (فى هذه الحالة: جامى)، فى ظل ملابسات وظروف تاريخية وثقافية واجتماعية (فى هذه الحالة: الفرس والصوفية).

●● نعم ان الناقد ـ أو المتلقى للأدب ـ تصعب عليه «الحيادية المطلقة» اذا حاول الربط بينه وبين الدين ـ فما يقرؤه مستر B يعود دائما الى مستر B ـ على حد تعبير ميلر(٢٠). ومستر B هنا هو موريس بلانشو (M.Blanchot) الذى أولع بدراسة العلاقات الأدبية الدينية فى أعمال تتسم بالعمق الفلسفى، مثل أعمال كافكا وبيكيت وريلكا وغيرهم.. فتعمقها وقدم لها تحليلات وافية.. ولكنه كان دائما ينتهى ـ كما ذكر ميلر ـ عند «إعصار لغوى» يذيب فردية هذه الأعمال ويمتصها فى ذاته هو.

ومهما يكن من شأن هذا الاعصار اللغوى فإنه لا يعفى دارسى هذه الأعمال الأدبية التى حللها بلانشو من التساؤل عما اذا كان تحليله هذا يعد من قبيل النقد الأدبى.. أو ربما «يعطيه اسما آخر»(٢١).

● ان الناقد الحق اذن هو الذى يستطيع أن يقف على مسافة من الأعمال الأدبية متمسكا بقوة بما يعتقده ويؤمن به من ناحية، ومحللا تلك الأعمال دون أن يحولها وكتابها فى اتجاه ما يعتقده هو، من ناحية أخرى.

●● مرة أخرى يتضح موقف ميلر فى محاولة الحفاظ على «أولية» الأدب فى كشف ودراسة العلاقة بينه وبين الدين.. إذ أن على الناقد مهما كانت طبيعة التزامه واهتمامه أن يعالج النصوص «معالجة دينية» فى «موضوعية».. واذا فرض وظهر مثل هذا الناقد ـ وقد كان، حيث يعُد ميلر «ت. س. اليوت» من هذا القبيل ـ فإنه يستطيع أن يتساءل عن حقائق الأشياء وجوهرها فى الأعمال الأدبية.. عن حقيقة الصورة التى تقدمها، عن قيمها الدينية والخلقية.. إذ ما جدوى العمل الأدبى، مهما كانت درجة جماله، إذا صور لنا العالم تصويرا زائفاً؟ إن الناقد الذى يرى «واجنر» شاعر اللذات أو يرى «ميلتن» صاحب لاهوت لا إنسانى، أو أن «ييتس» قد عبث بعالم الغيب، لن يرى أن هذه العناصر خارجة (extrinsic) عن نطاق النصوص.(٢٢) وان علاقتها بالنصوص حتمية لا تفرضها الظروف والملابسات الخارجية التى تحيط بالنص فى نشأته، فحسب، أو التى تحيط بالناقد نفسه فقط، ولكنها دائما جزء المعنى

---

(١٦) انظر: J.H. Miller
Literature and Religion, in Religion and Modern Literature, op.cit. p.32.

(١٧) استخدمنا هنا ـ ومن قبل كلمتى «داخلية» بمعنى intrinsic وخارجية بمعنى extrinsic بدلا من esoteric (داخلية) و exoteric (خارجية) حيث يشيع استخدام هذين المعنيين الأخيرين استخداما دينيا فيكون الأول بمعنى المؤوَّل والثانى بمعنى الظاهر، وكلاهما مما يقع فى مصطلحات الفقهاء والخلاف بين الفقهاء والمتصوفة. أما المعنيان المقصودان فى هذه الدراسة، فلا ينسحب إليهما المعنى الدينى إلا إذا قصد الناقد إلى ذلك قصدا فربط الأول مثلا بالرموز الدينية والثانى بالشعائر الدينية، وهكذا.

(١٨) ج. هـ. ميلر، المرجع السالف الذكر، ص ص ٣٢-٣٣.

(١٩) انظر الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمى هلال (ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٢م) ص ص ٣١٢-٣١٣، ص ٣٧٣، والمصادر التى يشير إليها.

(٢٠)و(٢١)و(٢٢)ص ٣٥ من مقالته Literature and Religion السالفة الذكر. وهذه العبارة إشارة إلى دراسات الناقد الفرنسى موريس بلانشو. وانظر ص٣٥ وص ص٣٥-٣٦.

الداخلى للنصوص. (٢٣)

●● وعلى الجانب الآخر من تأكيد علاقة الدين بالأدب والذى ينطلق أساسا من الدين نرى «ت. س. اليوت» مدافعا عن المعايير الدينية والخلقية للأدب مؤكدا وعيه بأن هذه المعايير الدينية والخلقية فى المجتمع الغربى قد تتغير باختلاف الجماعات والأجيال.. ولكن هذه ليست هى المعايير التى يعنيها حين يتحدث عن العلاقة بين الدين والأدب، لأنها «كالمعايير الأخلاقية المسيحية فى العصر الاليزابيثى» مثلا.. إنها ـ فى تقديره ـ لا تزيد عن مجرد «عادات وتقاليد».. انه يعنى المعاير «النابعة من» و«المرتبطة بـ العقيدة»، والتى تؤكد أن جميع محاولات الانسان فى وضع القواعد والقوانين الأخلاقية انها تقف فقط كشاهد على أن أحدا لا يستطيع أن يتحلل من تلك الأسس الأخلاقية الثابتة التى أرسى قواعدها الدين. (٢٤)

● **ومن أهم النتائج العملية لهذا التصور للعلاقة عند إليوت أن ما نطلق عليه «الأدب الدينى» ليس هو المقصود وإن كان «الجيد» منه يخدم الاتجاهات الدينية فى المجتمع ويقويها. ووجهة نظره هنا أقرب فى الواقع إلى ما نجده عند كثير من الكتاب المسلمين المعاصرين الذين يدرسون «خصائص التصور الاسلامى». ومؤداها أن الأدب فى العصر الحديث إنما يقدم لقارىء يفصل خطأ بين الأدب كلون من «الإشباع الجمالى» والدين كلون من «الإشباع الروحى» ويظن أن هذا الفصل صحيح، ومن ثم يعتقد أن العمل الذى يؤدى الوظيفتين عمل جيد.**

نعم، قد يكون العمل جيدا بأداء الوظيفتين.. ولكن جودته لا تعنى زوال الخطأ، لأنه خطأ فى التصور.. تصور الفصل بين الجانبين. (٢٥)

● **اننا ـ على حد تعبير إليوت ـ لا نضع ونحن نقرأ عملا أدبيا أخلاقنا وديننا فى وعاء ونحفظ اللذة الجمالية المستمدة من العمل فى وعاء آخر، وهذا هو الملتقى الحقيقى للدين والأدب.. ان «كلا» منا فى هذه الناحية «كلٌ» لا يتجزأ، يؤثر فينا العمل الأدبى ككل شئنا أم أبينا وقصد الكاتب أم لم يقصد.. واذا كان ما نأكله يؤثر فى تكويننا الجسدى فان ما نقرؤه يؤثر فى تكويننا الفكرى والسلوكى.** (٢٦)

●● ويعلق اليوت أهمية خاصة على الجانب السلوكى الناتج عن قراءة الأعمال الأدبية.. فإذا أخذنا القصة باعتبارها أكثر الأعمال الأدبية انتشارا وتأثيرا (فى الغرب)٢٧) وجدنا أنها مرت بمراحل آلت فى نهايتها إلى نوع من العلمانية، أصبحت فيه مفصولة عن الدين فصلا كليا سواء فى تصور الكاتب أو احساس القارىء.. ومع ذلك بقى تأثيرها فى السلوك ملوحظا.

● لقد بدأت القصة دينية منذ ثلاثة قرون على يد بنيان (Bunyan) وديفو (Defoe) (٢٨) حيث كانت لها أهدافها الدينية والخلقية.. ولكنها مرت بعد ذلك بمراحل ثلاثة: فى الأولى أخذت الدين فى صورته المعاصرة لها.. صورة آلية مجردة عن الحياة.. وتتمثل هذه المرحلة فى قصص ديكنز (C.Dickens) وفيلدينج (H.Fielding) أما فى المرحلة الثانية والتى تتمثل بوضوح فى أعمال جورج اليوت (G.Eliot) وجورج ميريديت (G.Meredith) وتوماس هاردى T.Hardy فقد بدأت تثير القلق والشك بل تصارعت مع الدين أحيانا.. وفى المرحلة الثالثة حيث طغى الطابع العلمانى على القصة تماما ـ وفيه يضع إليوت كل المعاصرين عدا جيمس جويس (J.Joyce) ـ نجد ان قضايا الدين لم تعد ذات صلة مباشرة بالقصة(٢٩)

● لكن علاقة الدين بالقصة كما قلنا تتصل أساسا بالجانب السلوكى فى حياة شخصياتها النابع من

والمترتب على تصوراتهم الكونية الأساسية.. ومن ثم يعتبر اليوت أن «القاعدة المشتركة بينهما ـ أعنى الدين والقصة ـ هى السلوك» فالدين هو أساس الأخلاق الفردية والاجتماعية.. وعلى ضوئه يقوم الحكم على الذات ونقدها.. وعلى ضوئه ـ أيضا ـ تتحدد علاقاتنا بالآخرين وتصرفاتنا نحوهم. نعم «يمكن أن نتأثر فى السلوك على نحو ما يصور الكاتب». (٣٠)

● أليس هذا التأثير السلوكى هو ما تحدثه القصة فينا حين نقرأ عن شخصيات معينة تسلك سلوكا معيناً لا يوافق عليه الكاتب أو يشجعه؟.. على أن أخطر ما فى الأمر حقا عند اليوت أن موافقة الكاتب على سلوك ما وتشجيعه له قد تتضح لا عن طريق مباشر بل من خلال ترتيب الأحداث واختيارها.. وهذه بلا شك نواح فنية فى القصة وليست مجرد قضايا أخلاقية واجتماعية ذات صبغة دينية معينة يهتم بها الكاتب أو لا يهتم.. ولعل أقرب ما يشرح ذلك التأثير السلوكى الخلقى للقصة وما فى حكمها من الأعمال القائمة على السرد أو الحوار وصراع الشخصيات، هو دراسة «الموقف الأدبى» حيث يتضح فيه أن الوجود الانسانى المشروع ليس سوى وجود فى موقف. (٣١)

واستجابات الشخصيات الأدبية للمواقف واستجاباتنا نحن ـ كقراء ـ لتلك الشخصيات، كلها استجابات كلية أى لا ينفصل فيها الذوق الفنى عن القيمة الخلقية أو الاجتماعية أو الدينية.

●● اذن فالشخصية الأدبية ـ وحقا العمل الأدبى كله ـ بما فى ذلك القصائد الشعرية قد «تغزو» خاصة القارىء الذى لم ينضج بعد.. وهنا يحذر اليوت من خطر هذا الغزو، فيشير إلى أننا جميعا، وخاصة فى مراحل التكوين الفكرى الأولى، تعرضنا ونتعرض له. ومشكلته فى الواقع أشد تعقيدا من مشكلة الغزو الفكري الناتج عن الأعمال الفكرية أو «اللادينية» المباشرة المناهضة لعقائدنا. ذلك أن المعرفة التى نستقيها من الأدب هى «معرفة الآخرين للحياة»..

ولا سبيل إلى الوقوف مع ذواتنا لنقول: إن هذا الذى نقرأ إنما هو «العالم من وجهة نظر معينة».. اننا نتفاعل معه وبه، دون أن ندرى مناقضته لذواتنا أحيانا، ومن ثم تكون خطورته الدينية والأخلاقية(٣٢) حيث إن استجابتنا له ـ كما أسلفنا ـ

---

(٢٣) حين أعجب الناقد الأمريكى ر.ب. بلاكمور بقصائد ييتس، رغم ما فيها من تجديف حاول الدفاع عنها، بأن ما فيها من تجديف يتعلق بالحقائق الغيبية لا يمكن أن يكون جزءا من معناها. ولذا حاول ـ عبثا ـ تفسيرها كأساليب مجازية أو كألوان من الفكر الساحر، أو كرموز لابد من إعادة تركيبها. انظر مثلا:

The Later Poetry of W.B. Yeats, in: Language as Gesture (Harcourt, Brace N.Y) 1952.

(٢٤) أنظر: Religion and Literature by T.S. Eliot فى كتاب Religion and Modern Literature السالف الذكر. ص ص ٢١-٢٢.

(٢٥) انظر مثلا خصائص الأدب العربى لأنور الجندى، ومنهج الفن الاسلامى لمحمد قطب، والتوحيد والفن، سلسلة من مقالات ثلاثة لاسماعيل راجى الفاروقى وترجمتى ـ مع آخرين ـ نشرت بمجلة المسلم المعاصر. وبحثا لى بعنوان «ما الاسلامى فى الأدب الاسلامى؟» بالانجليزية فى Islamic Thought and Culture وأيضا: مجموعة البحوث القيمة التى القيت فى مؤتمر الأدب الاسلامى فى الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢٦)و(٢٩)و(٣٠)و(٣٢) ت.س. اليوت، المرجع السالف الذكر، ص ٢٥ وص٢٤ وص٢٤ أيضا وص٢٥.

(٢٧) بالنسبة للأدب العربى، ينافس الشعر القصة وتكاد سيطرته تفوق، او على الأقل تعادل، سيطرتها فى اكثر البلاد العربية اهتماما بالقصة. وهذا يحتاج إلى دراسة إحصائية واستقراء ليس هنا مجالها.

(٢٨) الأول: جون بُنيان (١٦٢٨ ـ ١٦٨٨م) قسيس وكاتب انجليزى ومن أشهر أعماله «رحلة الحج». والثانى: دانيال ديفو (١٦٥٩؟ـ ١٧٣١م) روائى وكاتب انجليزى ومن اشهر اعماله «روبنْسُون كُروسُو».. وفى هذين العملين لا ينفصل الدين عن القصة بالشكل الذى آل إليه الأمر فى الوقت الحاضر.

(٣١) محمد غنيمى هلال: المرجع السالف الذكر.

استجابة كلية . . وفى نفس الوقت غير محسوبة .

■■ وأهم ما نستطيع الوقوف عليه من مناقشات اليوت يمكن تلخيصه فيما يلى :

١ ـ ان التفرقة بين أدب دينى (religious) وأدب دنيوى (secular) هى التى قادت وتقود إلى خطأ جسيم فى تصور طبيعة العمل الأدبى ووظيفته . . فالأدب ـ دينيا كان أم دنيويا ـ إنما يصدر عن موقف للكاتب . . هذا الموقف لا ينفصل بحال من الأحوال عن مجموعة المبادىء والعقائد الدينية والأخلاقية التى يعتنقها .

٢ ـ إنه لا فصل بين الحِسَّين «الجمالى» و«الخلقى» لدى المتلقى للعمل الأدبى قراءة أو مشاهدة . . فنحن لا نقرأ الأدب للاستمتاع أو التفكه أو التذوق الجمالى فقط ، حتى وان قصدنا إلى ذلك قصدا .

٣ ـ إن الأعمال الأدبية التى لا تتطابق ومبادىء العقيدة أو الخلق «ضارة» بالمجتمع والناشئة على وجه الخصوص حتى ولو أغفلتها الرقابة أو تسامحت فيها ، فيما يعتقد اليوت ، ونوافقه . . رغم ما يراه ف . ر . ليفى وج . هـ . ميلر من أن اليوت كان فى بعض المواقف أقرب إلى الدعوة إلى الرقابة على الأدب منه الى نقد الأدب . (٣٣)

● ومهما يكن من أمر فان اليوت يذهب فى تصوره للعلاقة بين الدين والأدب الى تأكيد الدين أولا وعدم فصله عن الأدب من حيث التصور أو التطبيق .

واذا كان هذا الأمر قد قاد البعض الى تصور أنه كان يحاول أن يفرض رقابة على الأدب فإنه قد دافع عن وجهة نظره من ناحيتين :ـ

فأولا : نحن نفرض رقابة على ما نأكل ونشرب ، بل ونطالب المسؤولين بتشديد تلك الرقابة ، فهل ما يدخل العقول ويستقر فى الوجدان أقل خطرا مما يدخل البطون والأجسام؟ . . هكذا يتساءل فى صرامة .

وثانيا : ليست المسألة عنده ـ كما هو الحال فى الرقابة ـ تقويما لبعض الأعمال بأنها من «الأدب الرفيع» ولغيرها بأنها «أدب رخيص» وهما مصطلحان يرفض اليوت أن تؤول نتيجة بحثه إليهما . . ولكن المسألة أن «ما يجب أن يكون يجب أن تتجه اليه العناية حفاظا على القيم والمبادىء والمثل الانسانية الخالدة» . (٣٤)

ومما تجدر الاشارة اليه قبل أن نغادر موقف اليوت فى مقالته هذه أنها تنتمى إلى المرحلة الثانية من تفكيره النقدى وهى المرحلة التى تحول فيها من المدرسة الأمريكية الحديثة فى النقد والتى كانت تصر على تفسير الأدب تفسيرا نصيا داخليا معزولا عن القيم والمبادىء الاجتماعية والأخلاقية والانسانية العامة . (٣٥) ولكن اليوت وبناء على موقفه النقدى الأخير قد أصبح من أبرز نقاد النزعة الانسانية فى الغرب «وترك بصمات واضحة على الشعر الانجليزى» عامة على حد تعبير «إدموند ويلسون»(٣٦) . وحَصل على جائزة نوبل فى الآداب عام ١٩٤٨م . . غير أن الأهم من ذلك كله أنه قد أضاف إلى شرعية دراسة الدين والأدب دراسة متداخلة ـ وهى شرعية أرساها نقاد كثيرون فى الغرب من دعاة النقد الأخلاقى (moral crticism) ولعلنا نتعرض له فى مجال آخر . أضاف :

أنَّ قيم الدين والأخلاق والسلوك والمواقف الناتجة عنها لها المحل الأول فى العلاقة بين الدين والأدب .

«للبحث صلة»

---

(٣٣)و(٣٤) انظر : Religion and Modern Literature السالف الذكر هامش رقم١٢ ص٣٦ وص٢٨ .

(٣٥) انظر لهذا التحول مع تلخيص لموقف اليوت النقدى قبله وبعده : النقد الأدبى الحديث ، للدكتور محمد غنيمى هلال ، (ط٣ ، دار ومطابع الشعب ـ القاهرة ١٩٦٤م) ص ص ٣٢٦-٣٣١

(٣٦) انظر مقدمة الناشر لـ

T.S. Eliot, the Complete Poems and Plays 1909 - 1950 (Harcourt, Brace' World Inc. N.Y.) 1971



فقهاء الشعراء و شعراء الفقهاء

هناك رأي ثابت عند نقاد الشعر ان الفقهاء من حملة العلم مقصرون في ميادين البلاغة على أنواعها ولا سيما ما كان منها ترجماناً عن الوجدانات والخوالج التي تثور فى صدر الانسان فى حالات الحب والكره والاعجاب . . وأصحاب هذا الرأى يرجعون ذلك إلى أسباب منها :

ان الفقه حقائق راهنة وأقيسة ماثلة فلا يتفق مع الشعر الذى جله خيال ومجاز واستعارة وعواطف هائجة وألفاظ فواحة بالمعانى .

ومنها : ان معاناة الفقهاء لحفظ المنظومات والمتون الفقهية البعيدة عن طلاوة الشعر وحلاوة البلاغة يخدش ملكاتهم في البيان فلا تواتيهم الفصاحة مهما أجهدوا أنفسهم حتى كأن الفقه والبيان الادبى على طرفى نقيض .

فاذا أراد النقاد التعبير عن سخافة شعر وبرودته قالوا : انه شعر فقيه أو نظم علماء . وممن يرى هذا الرأى ابن خلدون فى مقدمته حيث يقول :

«ان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرون فى البلاغة وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم من القوانين العلمية والعبارات الخارجة عن اسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة لأن العبارات عن القوانين والعلوم لاحظَّ لها فى البلاغة ، فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثر وتلونت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور ، وانحرفت عباراته عن أساليب العرب فى كلامهم» .

وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين وغيرهم ممن لم يمتلىء من حفظ النقي الحر من كلام العرب .

فاذا سمعت شعر أحدهم عرفت أنه من الفقهاء العلماء ودلك ما يأتى به من الالفاظ على نوع صنعته . ويروى لنا ابن خلدون أن القاسم بن رضوان أنشد أبا العباس بن شعيب (وكان اديبا) مطلع قصيدة ابن النحوى ولم ينسبها له ، وهو قوله :

لم أدر حين وقفتُ بالاطلال
ما الفرق بين جديدها والبالي

. . فقال على البديهة : هذا شعر فقيه . . فقيل له : ومن أين عرفت؟ قال : من قوله (ما الفرق) إذْ هي من عبارات الفقهاء وليست من أساليب كلام العرب .

وشكا ابن خلدون إلى لسان الدين بن الخطيب أنه يجد صعوبة فى نظم الشعر متى رامه. . مع بصره به وحفظه الجيد من الكلام ومن القرآن والحديث وفنون من كلام العرب.

وعزا ابن خلدون هذا إلى ما حصل عليه من حفظ الأشعار العلمية والقوانين التأليفية، فعاق القريحة عن بلوغها وخدش وجه الملكة التى استعد لها بالمحفوظ الجيد من القرآن والحديث وكلام العرب، فأعجب ابن الخطيب بجواب ابن خلدون.

وهذا واقع وحق وملاحظ على شعر الاقدمين وعلى أهل زماننا ولكنه ليس رأياً مطلقا بلا قيد. . فقد يكون هذا الحكم صادقاً على الفقهاء الذين أتوا بعد القرن الثالث الهجرى، أما الفقهاء الذين كانوا فى القرنين الأول والثانى وبعض الذين جاءوا فى القرن الثالث فانهم كانوا من فحول البيان وأرباب الفصاحة وصاغة الشعر.

وسبب ذلك: أن الفقه لم يستعجم فى زمنهم وكان مرجع الفقه الكتاب والسنة وأخبار الصحابة وهى مما يكون ملكة البلاغة. . فكلما توغل الفقيه إذ ذاك فى علمه صحت لغته واشتدت عارضته وانطلق لسانه، فكأنه يروض نفسه على البيان من حيث لا يشعر.

أما من جاء بعد القرن الثالث فقد جعل مرجعه المتون والمنظومات ثم الشروح والحواشى. . فالقرآن والحديث إذا توغل القارىء فيهما حصل من ذلك على نفعين: حصل على الفقه وحصل على الأدب وبلاغة القول: ولهذا يرى بعض النقاد أن كلام الاسلاميين من العرب أعلى طبقة فى البلاغة وأذواقها من كلام العرب فى الجاهلية منثورة ومنظومة. . والسبب أن الاسلاميين سمعوا الطبقة العالية من الكلام فى القرآن والحديث اللذين عجز البشر عن الاتيان بمثلهما وهذا لم يتهيأ للجاهليين.

وهناك أمثلة كثيرة من شعراء فقهاء وفقهاء شعراء أجادوا وبلغوا الغاية فى التعبير. . من أشهرهم عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أحد وجوه الفقهاء الذين رُوي عنهم الفقه والحديث وأحد الفقهاء السبعة من أهل المدينة وتوفي فى بداية المئة الثانية من الهجرة،

نقل ابن حجر عن ابن عبد البر قوله «وكان عبيد الله عالماً فاضلاً تقياً شاعراً محسناً لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا فيما علمت فقيه أشعر منه ولا شاعر أفقه منه». . وقال عمر بن عبد العزيز «لو كان عبيد الله حياً ما صدرت إلا عن رأيه» (تهذيب التهذيب ج ٧) وروى الحصرى فى زهر الاداب قال «قدمت امرأة من هذيل المدينة وكانت جميلة ومعها ابن لها صغير وهى أيّم (لازوج لها) فخطبها الناس وأكثروا فقال فيها عبيد الله وذكر الفقهاء السبعة:

أحبك حباً لا يحبك مثله
قريب ولا فى العالمين بعيد
أحبك حباً لو علمتِ ببعضه
لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أم العلاء متيمى
شهيدى ابو بكر فذاك شهيد
ويعلم وجدى (القاسم بن محمد)
«وعروة ما ألقى بكم «وسعيد»
ويعلم ما أخفى «سليمان» كله
«وخارجة» يبدى لنا ويعيد
متى تسالى عما أقول فتخبرى
فللحب عندى طارف وتليد

فقال سعيد بن المسيب: قد أمنت أن تسالنا، ولو سألْتنا ما شهدنا لك بزور.

وقيل لعبيد الله: أتقول الشعر على شرفك؟ فقال: لابد للمصدور أنْ ينفث.

وهو القائل:

تغلغل حبُّ عثمة فى فؤادى
فباديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور

ومـن الشعراء الفقهاء: عروة بن اذينة، وهو شاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ومعدود فى الفقهاء والمحدثين. . قال ابن قتيبة فى «المعارف» و«الشعر والشعراء» كان عروة بن اذينة ثقة ثبتاً يروى عنه مالك بن انس الفقه، وتوفى حوالى ١٣٠هـ.

وقفت عليه امرأة فقالت: أنت الذى يقال فيك الرجل الصالح وانت تقول:

إذا وجـدت أوار الحـب فى كبـدى
عمـدت نحـو سقـاء القـوم أبـترد
هذا بردت ببرد المـاء ظاهـره
فمـن لنـار على الأحشـاء تتقـد

لا والله، ما قال هذا رجل صالح قط.

وهو القائل:

قالـت وأبثثتهـا وجـدى فبحت لها
قد كنت عنـدى تحبّ السـتر فاستتر
ألسـت تبصـر من حولى؟ فقلت لها
غطّى هواك ومـا ألقى على بصـرى

ومن رقيق شعره:

إن الـتـى زعـمـتْ فؤادك ملهـا
جُعـلت هواك كما جعـلتَ هوى لها
فبـك الـذى زعـمتْ بها وكـلاكـما
يبـدى لصـاحبـه الصبـابـة كلهـا
ويـبـيـت بين جوانـحـى حبّ لها
لو كان تحت فراشـهـا لأقـلهـا
بيضـاء باكـرهـا النعيم فصـاغهـا
بلبـاقـة فأدقـهـا وأجـلهـا
منعـتْ تحيتـهـا فقلتُ لصـاحبـى
ما كان أكـثـرهـا لنـا وأقـلهـا
فدنـا فقـال لعـلهـا معـذورة
من أجـل رقبـتـهـا فقلت: لعلهـا

ومـن الفقهاء الشعراء الامام الشافعى. قال المبرد: (كان الشافعى من أشعر الناس وأعلمهم بالقرآت).

وقـال الاصمعى: (صححت أشعار البدويين على شابٍ من قريش يقال له: محمد بن ادريس. وكانوا يرون الاحتجاج بكلامه لفصاحته) (تهذيب **التهذيب** ج٩/ ٣٠).

ومن شعره قوله:

علىّ ثيـاب لو يُبـاع جميـعُـهـا
بفـلس لكـان الـفلس منهـن أكثـرا
وفيـهـن نفس لو تُقـاس ببعـضهـا
نفـوس الـورى كانت أجـلّ واكبرا
ومـا ضرّ نصـل السيف إخلاق غمده
إذا كان عضبـاً أيـن وجـهـتـه برى

ومـن الفقهاء الشعراء المجيدين، سوار بن عبد الله القاضى من اهل القرن الثالث، وله شعر جيد منه قوله:

سلبـتِ عظـامـى لحمَـهـا فتركْـتِـهـا
عوارى فى أجـلادهـا تتـكـسـر
خذى بيدي ثم اكشفى الثوبَ فانظرى
بلى جسـدى لكـنـني أتـسـتر
وليس الـذى يجرى من العين ماؤها
ولـكـنهـا روح تذوب فتـقـطـر

. . وبعد: فانه لا يتسع المجال لعرض نماذج من كل شاعـر فقيه أو فقيه شاعر ممن كان عالى الطبقة فى شعره وفقهه ممن غذوا ملكاتهم بالأقوال الفصيحة من القرآن والحديث، ينهلون من أدبهما ويستنبطون ما فيهما من الاحكام. . وهكذا تكون الملكات كما ربيتها وتجود بما غذيتها. . فمن كان محفوظه من شعر ابى تمام والمتنبى والشريف الرضى وكلام ابن المقفع والجاحظ تكون ملكته فى البلاغة أعلى ممن يحفظ شعر صفى الدين الحلى والشاب الظريف وغيرهما من الشعراء المتأخرين فى العصرين المملوكى والتركى. . ومن اخذ الفقه عن القرآن والحديث وكلام الصحابة سيكون اسلوبه فى الادب أرقى وأعلى ممن يكتفى بقراءة فقه المتاخرين ومتونهم.

الشعر

كان سقراط يشرح لقضاته ما جعله غير محبوب عند الناس وعندما جاء ذكر الشعراء والحوار الذى دار بينهم وبينه قال: إنى يا سادتى أرانى مضطراً إلى أن أقص عليكم الحقيقة. لقد تناولت الأشعار التى ألفها أصحابها بعناية فائقة وسألت كلا منهم عما عناه بشعره فلم يكن منهم من استطاع الإجابة على سؤالى هذا.

ولقد جمعنى وإياهم مجلس ضم كثيرا من المعجبين بهم وبأشعارهم فلم يكن بين الحاضرين رجل الا وهو أقدر على التحدث عن تلك الأشعار من الشعراء أنفسهم.

وفى هذا الحديث نرى أن سقراط قد كشف عن أمر ذى أهمية كبرى لأنه كان فيما نعلم أول من فرق بين نقد الأدب وبين تأليفه ثم قال: لقد أدركت حينئذ أن الشعراء لا يكتبون الشعر لأنهم حكماء بل لأن لديهم طبيعة أو همة قادرة على أن تبعث فيهم حماسة أو كما نقول نحن اليوم «إلهاماً».

ومعنى كلام سقراط أن الشعراء يلهمون ما يقولون، وقد اعتنق هذا المذهب بعد سقراط أفلاطون فهو يقرر فى مواضع كثيرة أن هذا الكلام الجيد الذى يجرى على ألسنة الشعراء ليس من صنعهم وليس لديهم دخل فيه، وإنما هو إلهام يلهمونه. فلما جاء أرسطو أعلن أن هذا الشعر الجيد إنما هو جيد لأسباب يمكن الوصول إليها ومعرفة قوانينها. ووضع هذه القوانين لكى يهتدى بها الشعراء فى إنتاجهم.

ولما كانت الملحمة والشعر المسرحى أرقى أنواع الشعر عند أرسطو كانت القوانين التى وصل إليها أرسطو تتعلق بهذين اللونين من الشعر.

دكتور/ طه عبد الرحيم عبد البر
الأستاذ بقسم اللغة العربية
الكلية المتوسطة/ المدينة المنورة

بين الإلهام والصنعة

أفلاطون وأرسطو إذن يمثلان نظرتين مختلفتين فى الانتاج الشعرى فبينما يرى أفلاطون الشعر الهاماً يرى أرسطو الشعر صناعة لها قواعدها وقوانينها. وقد كان أحد هذين المذهبين يسود دراسة النقد عند الغرب. فحينا يسود مذهب افلاطون ويرى النقاد الشعراء ملهمين. حتى ساد المذهب الكلاسيكى. رأينا مبادىء أرسطو تسود ويعتنق الناس مذهبه في صناعة الشعر وسيادة شعر المسرح. ثم كان المذهب الرومانتيكى الذى رأى أن الشعر الغنائى أرفع ألوان الشعر، رأينا مذهب أفلاطون يعود مرة أخرى إلى الظهور وينظر النقاد إلى الشعر على أنه إلهام وإلى الشاعر على أنه ملهم قد وهب ما لم يوهب غيره من الناس. وفى العصور الحديثة إتصل بفكرة الالهام مذهب «فرويد» الذى رأى أن الشعر كالأحلام وسيلة من الوسائل التى تعبر عن الرغبات المكبوتة فى اللاشعور، وهذه المنطقة اللاشعورية تحاول تحقيق هذه الرغبات بإحدى وسيلتين:

١ - **الأحلام** التى يتخيل فيها المرء في منامه أنه وصل الى تحقيق هذه الرغبات بطريقة أو بأخرى.

٢ - **الشعر:** ويرى أن الشاعر يحقق بشعره كثيرا من هذه الرغبات المكبوتة فى اللاشعور ذلك بأن الانسان فى الشعر وفى الانتاج يرمز فيه إلى رغباته، وأن هذه الرغبات قد تحققت. وعندئذ يرضى نفسه ويطمئن قلبه. ولنضرب لذلك مثلا: شاب أخفق فى حبه، فإن هذا الإخفاق في الحب ورغبة الشاب في: ان تحقيق أحلامه فى الحب لا تموت. وإنما تسكن عالم اللاشعور ويكون لها أثرها فى إنتاجه.

فقد يخرج مسرحية يحقق فيها أمله بصورة من الصور كأن يصور بطل الرواية بطلا ناجحا فى حياته وأنه ما كان ينبغى لوالد حبيبته أن يحول بينه وبينها . أو ينتقم فى المسرحية ممن كان سبب إخفاقه فى حبه . أو يرمز فى مسرحية إلى أعدائه برموز ينتقم منها . أو يحقق أمله فيها كأن يرمز لزوج حبيبته بوحش قضى عليه ولحبيبته بغزال يأوى إلى كنفه . وهو بذلك يحقق بطريقة غير شعورية أملاً كمن فى اللاشعور وهو الانتقام من زوج حبيبته ما دام هو فى حقيقة الأمر لم يستطع الانتقام منه .

وكثيراً ما يكون الشعر متنفساً عما يملأ النفس من الإحساسات والانفعالات ويكون هذا التنفيس مخففاً لما يشعر به الانسان من ثقل عواطفه وشعوره .

فالشاعر الذى أصيب بفقد ولده يلجأ إلى الشعر واجداً فيه ما يخفف من هذه الآلام . كما يشعر الانسان بالراحة عندما يحدث صديقه بما يؤلمه .

هذا وينبغى أن نفرق بين الأحلام وبين التعبير الشعرى ، فإننا عندما نعبر بالشعر نتسامى بعواطفنا وإحساساتنا ونسلط عليها الشعور فنهذبها ونركبها كما نحب . أما الأحلام فخالصة للاشعور. ومن أجل ذلك لا تكون مهذبة ولا متسامية كالشعر.

وفى عصرنا الحاضر يرى النقاد أن الانتاج الشعرى مزيج من الالهام والصنعة . فهم يرون الالهام فى التجربة الشعرية التى تملأ النفس وتستولى على القلب إلى درجة أنها تدفع الانسان إلى القول والانتاج .

يرون الالهام فى هذا الشعور القوى الذى يستولى على المرء ليدفعه إلى التعبير عنه . يرون الالهام فى هذا الخاطر الذى ينبثق فى النفس ويستولى عليها ثم يرون بعد ذلك أن الشاعر يسلط على هذا الخاطر والاحساس تفكيره ليتبين هذا الخاطر فى وضوح . وليدرك عناصره ويرى زواياه ويتبين الخطوات التى ينبغى أن تتبع فى عرضه عرضاً سليماً مؤثراً .

هذه نظرة الغرب إلى الانتاج الشعرى . أما نظرة العرب فإننا نجد لهم نظرتين متجاورتين تعيشان جنباً إلى جنب . تلك هى نظرتهم فى الجاهلية إلى أن للشعراء شياطين يلقون القول على ألسنتهم ، ومعنى ذلك أنهم ينظرون إلى الشعر على أنه إلهام . والنظرة الثانية التى تجاور تلك النظرة هى أنهم كانوا يرون أن فى الشاعر قدرة على تجويد شعره وإتقانه وتهذيبه ويرون أن فى إستطاعتهم العودة إلى شعرهم بالتهذيب والتثقيف حتى يصل إلى مستوى رفيع . نرى

● الشعراء لا يكتبون الشعر لأنـ
أو همة قادرة على أن تـ
● كثيراً ما يكون الشعر متنفساً عـ
● الشعر عمل يشترك فيـ

ذلك مثلا فى أخبار زهير بن أبى سلمى فإنه كان ينظم القصيدة كما يقولون فى بضعة أشهر ولكنه لا يعرضها على الجمهور بل يحتفظ بها ليهذبها ويقومها ويحذف منها ويثبت ثم يعرضها على طائفة من أصحابه الذين يثق بهم ويحسن فهمهم ويستمر فى هذا العرض حينا من الزمن حتى اذا اطمأن إلى أن إنتاجه قد بلغ ما يستطيع من الجودة عرضه على الناس. وكان كثير من الشعراء يعملون كما يعمل زهير مما يدل على إيمانهم بالجانب الذاتى والمجهود الفردى الى جانب إيمانهم بالالهام.

وعلى هذا نجد جمهور الناقدين إذا استثنينا قلة ترى أن الشعر الجيد هو الذى يصدر عن الالهام وحده. كما رأى ذلك «ابن قتيبة» فقد كان يرى أن الشعر المرتجل هو الشعر المطبوع الذى لا يعود إليه صاحبه بتهذيب ولا تقويم.

ولكن جمهرة نقاد العرب على أن الشعر عمل يشترك فيه الالهام والصنعة معاً.

... بل لأن لديهم طبيعة ... حماسة.

... النفس من الاحساسات والانفعالات.

... لهام والصنعة معًا.

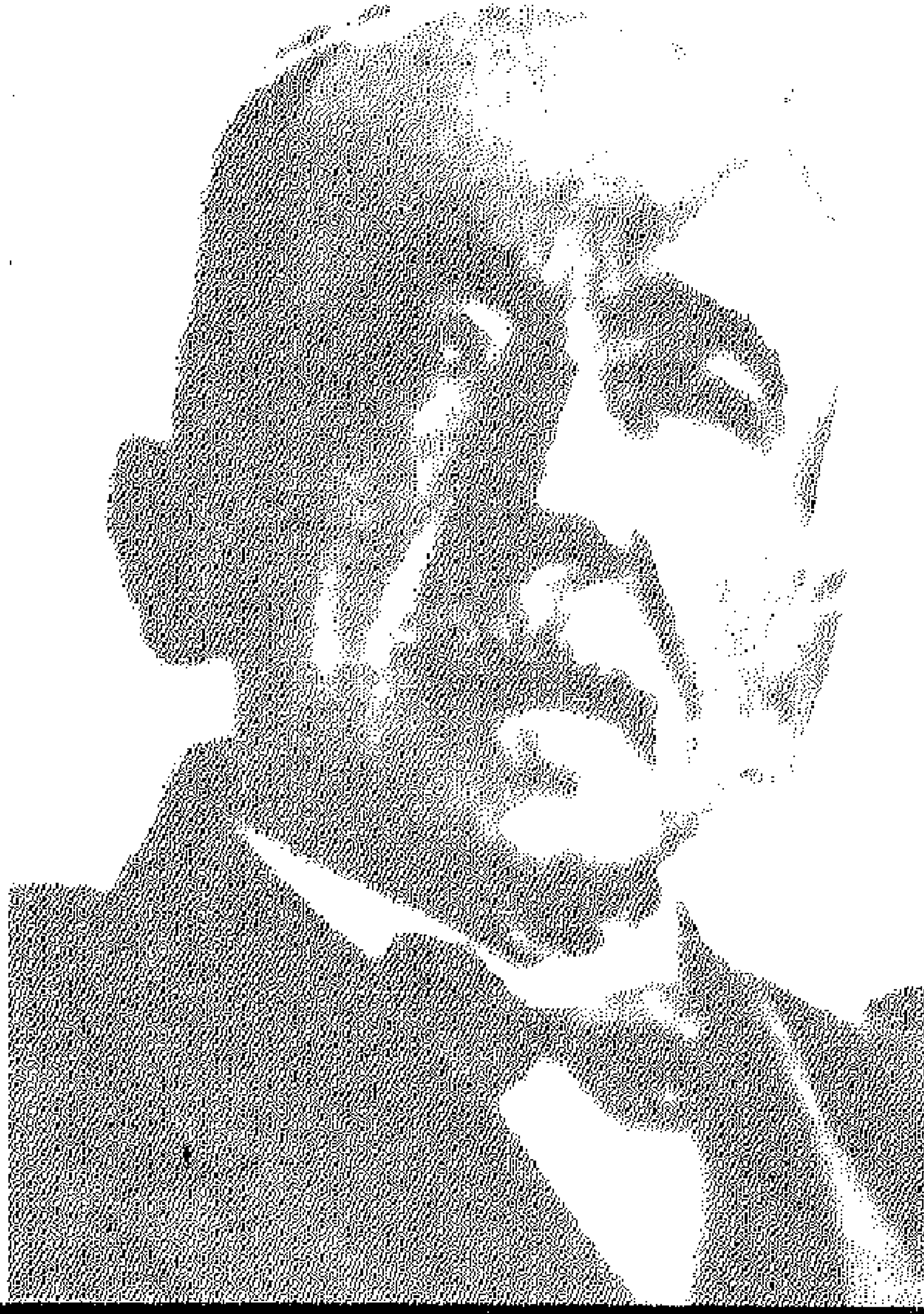
وقد عبر عن ذلك القاضى الجرجانى فى كتابه «الوساطة بين المتنبى وخصومه» إذ قال: «الشعر علم يشترك فيه الطبع والذكاء والرواية والتجربة» ومعنى أنه طبع أنه إلهام يوهب. ولكن هذا الالهام لا يقف وحده بل لا بد له من ذكاء يسلط على هذا الالهام لادراك هذا الذى ألهمه الشاعر. ومعرفة جوانبه المتعددة. وعناصره المختلفة. لترتيب هذه العناصر ترتيباً جيداً والفحص عن كل ما يتصل بالخاطر من قرب أو بعد. وهذا الذكاء لا بد أن تمده ثقافة واسعة عبر عنها الجرجانى «بالرواية» لأن هذه الثقافة هى التى توضح جنبات الخاطر وتشرح نواحى ما يحس به الأديب وتلقى عليه قسطاً كبيراً من النور.

وهذه الهبة التى عبر عنها بالطبع لا يمكن أن تعيش إلا فى ظلال تدريب على الانتاج وبدون هذا التدريب يذبل الطبع ويموت.

ومن أجل ذلك نرى أن الانتاج الأدبى كان النقاد ينظرون إليه على أنه «إلهام وصنعة معاً» وهو ما يتفق مع نظرة النقاد فى عصرنا الحاضر. إذ نرى أن الانتاج الأدبى يحتاج الى الهبة والالهام فى أصله. وأن إنبثاق الفكرة الأولى إلهام. ثم يسلط الفكر على هذا الالهام ليبلغ فى الانتاج غاية الكمال.

وهذه القوانين التى وصل إليها النقاد كالمشعل يضىء للمنتج الطريق إلى الانتاج الجيد ما دامت عنده الهبة الأصيلة والطبع الصحيح.

مناسبة عام ذكراه



إنصافٌ لشَ

مــدخل

من حق الشعـراء على النقاد والمشتغلين بالشعر ودراسته وتحليله أن ينصفوهم وأن يبرزوا آثارهم الشعرية الخالدة، وأن يظهـروا آراء الشعـراء نحو نتاجهم الشعرى الذى هو ذوب أرواحهم، وعصارة نفسوهم وصدى أحاسيسهم وخلاصة معاناتهم.

والمروءة الإنسانية والنخوة العربية تجعلنا نعطى كل ذى حق حقـه، وتلح علينـا أن ننصف شوقيـاً أمـير شعـراء العصـر الحـديث. والشـوقيـات التى تترجم عن شعوره نحو الحياة والأحيـاء، وتفصـح عن الـوجـدان الجـاعى للأمـة العربية والإسلامية، وتعبر عن التاريخ المجيد للعروبة والإسلام.

وإنصاف شوقى والشوقيات يقتضينا أن نهتف إلى المسئولين عن نشـر الـتراث العـربى فى العصـر الحديث بارجاع مقدمة شوقى التى كتبها بقلمه ودبجتها براعة فى صدر الشوقيات. وأن يظل

بقلم الدكتور/ محمد أحمد سلامة

الاستاذ المشارك في الادب والنقد
بالكلية المتوسطة بالمدينة المنورة

وقي وللشوقيات

اسم «الشوقيات» علامة على شعر شوقي، لأنه الاسم الذى اختاره الشاعر شوقى لشعره بإشارة من الأمير «شكيب أرسلان» حين التقى به فى باريس.. والبعد عن هذه التسمية «الشوقيات» ربما ينسى الأجيال القادمة من أدباء الشبان شعر شوقى.. وتظن أن «ديوان شوقى» مثلا لشاعر آخر، أو دراسة لشعره، فلا يلتفتون إليه.

وشوقى نفسه يصرح بهذا فى مقدمته لشعره فيقول:

«جمعتنى باريز فى أيام الصبا بالأمير «شكيب أرسلان» وأنا يومئذ فى طلب العلم، والأمير - حفظه الله - فى التماس الشفاء؛ فانعقدت بيننا الإلفة بلا كلفة، وكنت فى أول عهدى بنظم القصائد الكبرى، وكان الأمير يقرأ ما يرد إليه منشورا فى صحف مصر، فتمنى أن تكون لى يوما مجموعة، ثم تمنى علىّ إذا ظهرت أن أسميها الشوقيات، ثم انقضت تلك المدة، فكأنها حلم فى الكرى أو خلسة المختلس، أو هى كما قلت:

صحبت شكيبا برهة لم يفز بها
سواى على أن الصحاب كثير
حرصت عليها آنة بعد آنة
كما ضَنّ بالماس الكريم خبير
فلما تساقينا الوداد وتمّ لى
وُداد على كل الوداد أمير

تفــرق جسمى فى البــلاد وجسمــه
ولم يتــفــرق خاطــر وضـــمــير

هذا أصـل التسميـة سبقت به إشارة لا تخالف، ودفعت إليـه طاعـة واجبة وأنا بين هاتـين هدف للقيـل والقال، يظن بى نسبة الأثر الضئيل إلى الاسم القليل.

قيمة هذه المقدمة

وقيمـة هذه المقـدمة تظهر حين تتأملها فنـراهـا مرآة صادقـة تعكس تصـور شوقى للشعــر العــربى.. وتعكس حرصـه على الأصـالـة العـربيـة، والنهج الشعرى الذى ورثنـاه عن أسلافنا.. وتعكس تأثره بنماذج من الشعـراء القـدمـاء فى المشـرق من لون امرىء القيس ثم أبى فراس والمتنبى.. وفى مصر عند البهاء زهير صاحب الشعر السيار المعـبر عن الحيـاة ووجـدان الأحياء.. وفى الأندلس حيث ابن خفاجة وصاف الطبيعة، وابن زيدون الذى عارضه شوقى بنونيته المشهورة.

كما أن المقدمة تظهر محاولات شوقى فى التجـديـد وفى كتـابة المسرحية، وفى دعوته لانتاج أدب للأطفال شأن الأمم الأخرى.

الشوقيات

نشـر شوقى الجـزء الأول من الشوقيات بمقــدمـــه شوقى التى تتصـدر هذا الجـزء ١٩٠٠م.. وفى سنـة ١٩١١م أعـاد شوقى طبـع الجـزء الأول من الشـوقيات وتتصدره مقدمته أيضا.. وفى سنة ١٩٢٦م قرر شوقى أن يكون للشوقيات تقسيم وتبويب جديد، فأصدر الجزء الأول فى هذه السنة ولم تتصدره مقـدمتـه بل صدر بمقـدمـة الـدكتور محمد حسـين هيكـل وكـانت هذه هى البداية فى نسيان مقدمة شوقى أو إهمالها.. ويتناول هذا الجـزء قصــائــد فى السيــاســة والتـاريـخ والاجتماع.. ويتناول الجزء الثانى قصائد فى الوصف والنسيب وقصائد أخرى متنوعة.. والجـزء الثـالث يتناول شعر الرثاء.. والجزء الـرابع طبع بعد وفاته بمقدمة لمحمد سعيد العـريـان، وفيـه ما فى الأجـزاء السابقة مع إضـافـة قصائد «الخصوصيات» التى تتصل بمناسبات خاصة بشوقى وأسرته، وفيه كذلك الحكـايـات التى تدور على ألسنـة الطيـور والحيـوانـات وبعض شعـره الذى أنتجه من أجل الأطفال.

ثم نشر الديوان منذ عامين تقريبا بعنوان «ديوان شوقى» وتصدرته مقدمة للدكتور أحمد الحوفى رحمه الله.

مقدمة شوقى لشعره..

بعد حمد الله والثناء عليه ـ سبحانه ـ بما هو أهله تكلم شوقى عن عظماء الشعراء وأمراء البيـان، وأبـان منزلة الشعر فى النفوس وأنه حبب إليها تجله وتقدره حق قدره.. ثم مثل لذلــك بشعـر امـرىء القيس وذكـر بعض أغـراضـه الشعـريـة من الوصف والضحك والبكـاء والغـزل.. وأوضح أن المنظومة من شعـره تعد أثرا فى البيان مستقلا وبنيانا قائما برأسه.. وأخذ مثالاً من أبى فراس صاحب الفخـر والغـزل والحكمـة البـاهـرة والأمثال السائرة.. وأشار إلى قصيدته.

أراك عصى الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهى عليك ولا أمر

ووصفها بأنها عقد توحّد سلكه وتشابهت جواهره ودق نظامه تعاونت فيه ملكة العربى وسليقة الشاعر على الحكاية، فإذا فرغت من قراءتها فكأنك قد قرأت أحسن رواية، وكونها أشبه شيء بالشعر فى شعور الأنفس هو سر بقائها متلوة إلى الأبد.

● ثم ذكر أبا العلاء المعرى الذى كان يصوغ الحقائق فى شعره ويعى تجارب الحياة فى منظومه ويشرح حالات النفس.. وتكلم عن أبى العتاهية والإمام الشافعى وأبان أن شعرهما حكمة بالغة وموعظة مؤثرة وقرر أن حكم الشافعى تعددت جوانبها حتى شملت الطب.. وعلق على بيتين للشافعى قائلا: لم يخرج علم الطب عما فيهما من معان، وهما:

ثلاث هن مهلكة الأنام
وداعية الصحيح إلى السقام
دوام مدامة ودوام وطء
وإدخال الطعام على الطعام

ثم عقب على هؤلاء جميعا بقوله:

«ولو انفسح لهؤلاء وأمثالهم المجال من الزمان والمكان، وشهدوا عصر البخار كما نشاهده، وكابدوا الدهر فى الهرم كما نكابده لامتلأت الصدور من محفوظ أشعارهم ولضاقت المطابع على تنافسها عن نشر آثارهم».

خلاصة هذا الذى ذكره شوقى:

أ - إن الشعراء يختلفون فى ميولهم واتجاهاتهم وأغراضهم الشعرية، فشاعر يجيد الوصف، وشاعر يجيد الفخر، وغيره ينطق بالحكمة

الشعراء يختلفون فى ميولهم واتجاهاتهم وأغراضهم الشعرية.. ويأتى النتاج حسب طبيعة الحياة والبيئة.
عاب شوقى شعراء الصنعة والتكلف وعاب الذين انغمسوا فى بحار التشبيه حتى تشابهت عليهم اللجج

والفلسفة، وآخر يجيد الموعظة والعبرة وهكذا.

ب - وكان هذا النتاج الشعرى لشعرائنا القدامى بحسب طبيعة حياتهم وبيئاتهم المختلفة، وما شاهدوه فيها من تجارب وما امتزجوا به من عادات وعلوم.. ولو أتيح لهم أن يشهدوا تقدم الزمن بالناس، وعصر البخار والمخترعات التى رأيناها لجادت قرائحهم بما هو أعظم وأحسن.

ج - إن نفوس الشعراء تختلف، وأحاسيسهم تتغير نحو الظواهر الطبيعية، فحين تعرض السحابة لأحدهم أو يرى بارقة أمل فى غيث يتمنى أن يعم خيرها الناس وتعرض لآخر فيرجو الخير لنفسه فقط، وإذا نزلت به ضائقة لا يؤمل الخير لأحد من الناس، وهذا واضح فى قول أبى العلاء:

فلا نزلت علىّ ولا بأرضى
سحائب ليس تنتظم البلادا

وفى قول أبى فراس:

معللتى بالوصل والموت دونه
إذا مت ظمآنا فلا نزل القطر

فالأول يتصف بالإيثار وحب الخير للناس يرق لنفوسهم، ويعطف على بنى جنسه والثانى يتصف بالأثرة والأنانية ويفضل ذاته على ذوات غيره.

● ويُسَوِّغ شوقى رأيه بأن هناك جماعة من الناطقين بالعربية يحتقرون الشعر العربى وأن هناك جماعة يضمرون له العداوة لأنهم يجهلونه فهم أعداء ما جهلوا، ويرون أن الشعر الغربى (الأوربى) فى الثريا، وأن بينه وبين شعر العرب بُعْدَما بين المشرق والمغرب ناسين أن العرب أمة خلت ودولة تولت.. ويجعل المسئولية على الخلف الذين ورثوا أسلافهم وفرطوا فى ميراثهم وأتلفوا ما أخذوه عنهم.

شوقى وشعر التكلف والصنعة :

عاب شوقى الذين لم يدخلوا الشعر من أبوابه المشروعة وحصروا أنفسهم فى مضيق اللفظ والصناعة، والذين آثروا ظلمات التكلف والتعقيد على نور الإبانة والسهولة، وعاب الذين وقفوا عند ما قاله القدماء، وفضلوا القول المأثور: **(القديم على قدمه)**، فوصفوا النوق على غير ما عهدها العربى عليه، وأتوا المنازل من غير أبوابها، ودخلوا البيداء على سراب.. وعاب الفريق الذى انغمس فى بحار التشبيه حتى تشابهت عليهم اللجج ثم خرجوا منها بالبلل.. وعاب فريقا سادسا زعم أن أحسن الشعر ما كان فى واد والحقيقة فى واد، وأنه كلما كان بعيدا عن الواقع منحرفا عن المحسوس مجانبا للمحتمل. كان أدنى فى اعتقادهم إلى الخيال وأجمع للجلال والجمال، حتى نشأ عن ذلك الإغراق الثقيل على النفوس والغلو البغيض إلى العقول.

● ثم وصم هؤلاء جميعا بأنهم اتخذوا الشعر حرفة وتعاطوه تجارة، إذا شاء الملوك ربحت وإذا شاءوا خسرت.. وبعضهم هجا الشعراء والشعر وقالوا: إنه محسوب على الشعراء يفيض من أرزاقهم وينحت من قلوبهم ويعرضهم لإراقة ماء الوجوه، وقد قالوا حقا ونطقوا صدقا.. ثم عقب بقوله: إن هذا لجزاء قوم يتوقعون أرزاقهم من ملوك كرام يخلقهم الله لرواج حرفتهم فإذا لم يخلقوا كسدت الحرفة وأخطأت الأرزاق.

● واستثنى شوقى أمثال العباس بن الأحنف الذى أرسل الشعر مثلا فى الهوى ورسائل، واتخذه رسلا فى الغرام ووسائل.. وابن خفاجه شاعر الطبيعة ومجنون ليلاها، وواصف بدائعها وحلاها.. والبهاء زهير سيد من ضحك فى القول وبكى، وأفصح من عتب على الأحبة واشتكى.. حسبك أنه لو

الشاعر من وقف بين الثريا والثرى
يقلب إحدى عينيه فى الذر ويجعل
أخرى فى الذرى

الكون ملك يقف الشعراء ببابه، يأخذون
عنه ويستلهمونه ويتعلمون منه
فهو كتاب مفتوح، يجد فيه الشعراء
ما لا تعيه صدور العلماء.

اجتمع ألف شاعر يعززهم ألف ناثر على أن يحلوا شعر البهاء أو يأتوا بنثر في سهولته لانصرفوا عنه وهو كما هو، ولا عجب فالبهاء زهير كان من الشعراء الظرفاء، وكان شعره رياضا نبت فيها ريش شوقي وتأثر بسهولته حتى نرى شعر كل منهما سهلا سيارا يتخطى حدود الزمان والمكان ويشيع على كل لسان.

● وأعظم من استثناهم المتنبي مع علمه أنه المداح الهجاء، ولأن معجزه لا يزال يرفع الشعر ويعليه، ويعزى الناس به فيجدده ويحييه.. وحسبك أن المشتغلين بالقريض عموما والمطبوعين منهم خصوصا لا يتطلعون إلى غباره، ولا يجدون الهدى إلا على مناره، ويتمنى أحدهم لو أتيح له ممدوح كممدوحه ليمدحه مثل مديحه، أو لو وقع له كافور مثل كافوره ليهجوه مثل هجائه.. فمثل أبي الطيب في تشبه الشعراء كمثل قائد مشهود الأيام معروف بالحزم والاقدام، قد أشربته قلوب الجند وملئت نفوسهم ثقة منه.. فلو قذف بهم في مهاوي الهلاك وهم يعلمون لما جبنوا ولا أحجموا.. هذا مع اعترافه بأن المتنبي صاحب اللواء والسماء التي ما طاولتها في البنيان سماء، ولو سلم من الغرور وسلمت الناس منه لأجله شوقي واعلاه.

الطبيعة في رأى شوقي :

يهتم شوقي بالطبيعة ويقدرها قدرها ويجعلها زادا للشعراء وروضة يقطفون من أزاهيرها ويرتشفون من رحيقها فيقول:

«إلا أن هناك ملكا كبيرا ما خلقوا (أي الشعراء) إلا ليتغنوا بمدحه ويتفننوا بوصفه ذاهبين فيه كل مذهب آخذين منه بأكمل نصيب، وهذا الملك هو الكون، فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى يقلب إحدى عينيه في الذر ويجعل أخرى في الذرا، يأسر الطير ويطلقه ويكلم الجماد وينطقه، ويقف على النبات وقفة الطل، ويمر بالصحراء مرور الوبل، فهناك ينفسح له مجال التخيل ويتسع له مكان القول، ويستفيد من جهة علما لا تحويه الكتب ولا تعيه صدور العلماء، ومن جهة أخرى يجد من الشعر مسليا في الهم ومنجيا من الغم، شاغلا إذا أمل الفراغ ومؤنسا إذا تملكت الوحشة، ومن جهة ثالثة لا يلبث أن يفتح الله عليه، فإذا الخاطر أسرع والقول أسهل والقلم أجرى والمادة أغزر، بحيث لا تمضي السنون حتى تتداول الأيدي مؤلفاته وإذا مات أكبر الناس من بعده مخلفاته».

● ويعجب شوقي ويأسى للغبن الذي يلحق الشعر والأمة العربية.. وذلك بأن يحيا المتنبي مثلا حياته العالية التي بلغ فيها إلى أقصى الشباب ثم يموت عن نحو مائتي صفحة من الشعر تسعة أعشارها لمدوحيه، والعشر الباقي وهو الحكمة والوصف للناس، وللمتنبي من شعر الحكمة:

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
وعناهم من أمره ما عنانا

وكان يقدم بالوصف لمدائحه من مثل قوله في مقدمة قصيدة مدح يصف شعب بوان:

مغاني الشعب طيبا في المغاني
بمنزلة الربيع من الزمان
طبت فرساننا والخيل حتى
خشيت وإن كرمن من الحران

فســرت وقـد حجبن الشمس عنى
وجئــن من الـضيــاء بها كفــانـى
وألـقـى الـشــرق منهــا فى ثيــابى
دنــانــيرا تفــر من الــبـنــان
لها ثمــر تشــير إلـيــك منــه
بأشــربــة وقــفــن بلا أوان

شاعر الخديو :

ويدافع شوقى عن نفسه حين نقد شعر المدح عند المتنبى مع أن شوقى نفسه قد أكثر من المـدح، وكان جل شعره فى باديء الأمر مدائح فى أصحـاب الحل والعقد وبخاصة الخديو عباس حلمى الثانى والسلطان التركى باعتباره ممثلا للخلاقة الإسلامية التى كانت أمـلا يجيش فى النفوس ويتراءى للعقول. . فيقول شوقى:

«وهنا يسأل سائل: وما بالك تنهى عن خلق وتأتى مثله؟

فأجيب: إنى قرعت أبواب الشعر وأنا لا أعلم من حقيقتـه ما أعلمه اليوم، ولا أجد أمـامى غير دواوين للموتى لا مظهر للشعر فيهـا. . وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القـدمـاء. . والقوم فى مصر لا يعرفون من الشعـر إلا ما كان مدحا فى مقام عال، ولا يرون غير شاعـر الخـديو صاحب المقام الأسمى فى البلاد. فمازلت أتمنى هذه المنزلة وأسمـو إليها على درج الإخلاص فى حب صناعتى وإتقانها بقدر الإمكان، وصونها عن الابتذال حتى وفقت بفضل الله إليها.

ثم طلبت العلم فى أوربة فوجدت فيها نور الســبيــل من أول يوم، وعلمت أنى مسئول عن تلك الهبة التى لا تحد ولا تنفد، وإذ كنت أعتقد أن الأوهام إذا تمكنت من أمة كانت لباغى إبادتها كالأفعوان لا يطاق لقاؤه ويؤخذ من خلف بأطراف البنان. . جعلت أبعث بقصـائـد المديح من أوربة مملوءة من جديـد المعـانى، وحـديث الأسـاليب بقدر الإمكـان إلى أن رفعت إلى الخديو السابق قصيدتى التى مطلعها:

خدعـوهــا بقــولهـم حسنــاء
والـغــوانـى يغــرّهــنّ الـثنــاء

والتى غزلهــا فى أول هذا الـديـوان. . وكـانت المـدائـح الخـديـوية تنشر يومئذ فى الجريدة الرسمية، وكان يحررها الشيخ عبد الكريم سلمان، فدفعت القصيدة إليه وطُلب منه أن يسقط الغزل وينشر المدح، فودّ الشيخ لو نشـر الغزل وأسقط المديح. . ثم كانت النتيجة أن القصيدة يومها لم تنشر، فلما بلغنى الخـبر لم يزدنى إلا علما بأن احــتراسى من المفاجأة بالشعر الجديد دفعة واحدة إنما كان فى محاله وأن الزلل مُعى إذا أنا استعجلت.

● فشوقى ـ كما يفهم من كلامه ـ كان ينظر إلى التجـديـد ويعرفه ويطمح إليه ويجربه، لكن نزعته الكلاسيكية ـ غالبا ـ وأشخاص مدائحــه التى ينظــر إليهم بعيـون التجلة والاحــترام، وانتظــار القــراء وخصــوصــا الممدوحين ومن حولهم للقصائد التى عرفت به وعرف بها كل أولئك كان يحد من تجديده أو يجعله يستأنى ويتمهل ولا يتعجل.



لقد آن لنا أن نسعى لتشكيل واقامة « رابطات » متنوعة متعددة وان نطلقها من عقالها لتصدح بالفعل .. وتشدو بالأثر .. وتؤكد بالواقع .

ولقد آن أوان منحها الحماية والرعاية والتشجيع المعهود لتكون صنوا عزيزاً تشارك أخواتها اثراءهم وعطاءهم الجماهيري

« المنهل »

رابطة الكتاب الأردنيين

بقلم الأستاذ/ سالم النحاس

منذ انشاء المملكة الاردنية الهاشمية في عام ١٩٤٦، اقتصرت الحركة الثقافية ـ في الاردن ـ على الجهود الفردية، لم تتخذ لها سمة العمل الذي يضم الجماعة، التي يؤلفها نادٍ او اتحاد او رابطة، يجمع الكتاب، والادباء المبدعين في مكان واحد.

وفي عام ١٩٧٤ أثمرت محاولات الادباء والكتاب، لانشاء تجمع يضمهم في ما اسمه الآن (رابطة الكتاب الاردنيين) وقد بدأت بستة عشر اديباً في هيئتها التأسيسية. بينهم الاستاذ الجليل الفاضل (روكس بن زائد العزيزى) و(عبد الرحيم عمر) و(جمال أبو

حمدان) و(خليل الواحرى) و(امينة العدوان) وبعض من اساتذة الجامعة، والسياسيين، مثل معالي الاستاذ (سليمان عرار) - رئيس المجلس الوطني الاستشارى اليوم - وازداد عدد الاعضاء فيما بعد حتى وصل الآن (٢٧٠) عضواً عاملاً، منتجين في جميع مجالات الابداع الادبى، والدراسات والابحاث الجادة، الترجمة الادبية.

وعلى الرغم من الفترة القصيرة التي مرت على تأليف هذه الرابطة، فقد استطاعت أن تقود - بجدارة - الحركة الثقافية في البلاد، لتدعم الرأي الصائب القائل **بأن الناس هم الذين يصنعون الثقافة حينما يعملون من خلال مؤسساتهم الجماهيرية.**

● النشاطات الثقافية

تعمل الرابطة ضمن لجانها المتخصصة في عدة اتجاهات.

أولها: الانفتاح على المجتمع، والانتقال الى اماكن تواجه فيها التجمعات الشعبية في الاندية والروابط الاخرى في المدن، والمدن الصغيرة (البلدان).

والاتجاه الثاني: هو تكثيف الندوات والمحاضرات والامسيات الادبية، في مقر الرابطة، فتقام كل يوم أحد ندوة أو أمسية لاعضاء الرابطة نفسها، وتقام كل يوم أربعاء، ندوة الأربعاء التي يستضاف لها رجال الفكر والادب والسياسة، والاقتصاد والاجتماع من داخل البلاد أو خارجها. وقد حققت هذه الندوات - بسبب ثباتها منذ سبعة اعوام - سمعة عالية المستوى اذ اصبح مقر الرابطة المكان المتاح لاي شخص يريد أن يتعرف على خارطة الوضع الثقافي بالبلاد.

وقد أضيفت في عام **١٩٨٣** ندوة خصصت **للقصة** القصيرة كل يوم سبت، وهي ندوة يدرس بها القاصون والنقاد بمنتهى الجدية، اتجاهات القصة الجديدة، خصوصا لدى الشباب الناشئين لانهم هم الدماء الجديدة للحركة الادبية الابداعية في مستقبل الثقافة العربية في الاردن.

والاتجاه الثالث: يتمثل في اقامة مهرجان ادبي سنوي تستغل فيه جميع الطاقات، على مدار اسبوع كامل لاعطاء صورة واضحة عن ثقافة وطنية نظيفة.

والاتجاه الرابع: هو البدء بتنسيق النشاطات بين الروابط الثقافية الاخرى من: **(المسرحيين، الموسيقيين، وجمعية المكتبات، واسرة القلم، والفنانين التشكيليين)**. حيث تعقد اتفاقات ثنائية تهدف الى دعم الحركة الثقافية الناشطة وتثبيتها، ونشر انجازاتها، لتصل إلى كل الناس.

النشر..

وتولي الرابطة موضوع النشر اهتماما متزايداً بالرغم من غياب مجلة متخصصة

للرابطة، فانها تصدر ملفات دورية على شكل كتاب تنعكس فيها شتى الاتجاهات الثقافية السائدة في الرابطة.

اما نشر الكتب، فان للرابطة برنامج نشر سنوي تحدده الموارد المالية المتواضعة المتاحة في الوقت نفسه، فقد أصدرت الرابطة حتى الآن نحو ثمانين كتاباً، في مختلف المجالات الابداعية مع كتابات تضم افضل المحاضرات والدراسات من المتخصصين، ضيوف الرابطة.

وتتعاون الرابطة مع اتحاد الكتاب العرب، في برامج النشر، ومع بعض دور النشر في لبنان قبل الغزو الاسرائيلي.

العلاقات الخارجية

للرابطة علاقات متينة بالاتحادات العربية والدولية المشابهة، إلى عضويتها في المكتب الدائم للاتحاد العام للادباء والكتاب العرب، فانها عضو في المجلس التنفيذي لاتحاد الادباء الافروآسيوى. وللرابطة اتصالات وثقي بجميع الاتحادات العالمية.

وقد حققت الرابطة بنشاطها المتزايد ودأبها ـ على الساحة المحلية ـ علاقات حميمة بادباء العالم وسمعة تفخر بها، وهي تعمل جاهدة للاستزادة من ذلك. فمن النادر مثلاً أن يعقد مجتمع او مؤتمر أدبى في مكان بالشرق الاوسط وآسيا وافريقيا واوربا من غير ان يكون للرابطة فيه تمثيل مناسب.

العمل التطوعي

ان كل هذا النشاط، وجميع تلك الانجازات محلياً، وعربياً، ودولياً، تكتسب قيمة عالية تستحق التقدير اذا عرفنا ان الرابطة تؤدي كل تلك الاعمال تطوعاً من اعضاء هيئتها الادارية الاحد عشر ولجانها المتخصصة المساعدة الاثنى عشرة التي ترعى جميع اصناف الادب الابداعى، وهي تضم النخبة الممتازة من الهيئة العامة فليس في الرابطة ـ إلى الآن ـ شخص واحد متفرغ للعمل، بسبب الصعوبات المالية. فالنجاحات التي تحققها الرابطة هي وحدها الحافز الذي يدفع اعضاءها لمزيد من العمل المثمر.

اننا لا نستطيع في مثل هذه العجالة أن نفي الرابطة حقها. لكن زيارة واحدة لمقر الرابطة التي تبدو خلية نحل عاملة وسط مجتمع متفتح، تعطي انطباعاً أن الناس وحدهم هم فعلاً القادرون على صنع الثقافة وتطويرها حتى تحقق دورها الفعال المشارك في تغيير المجتمع ونقله إلى الوضع الافضل.

«سالم النحاس»

«الاستاذ سالم النحاس»

- ***ولد في (مادبا) سنة ١٩٤٠م***

مؤلفاته المطبوعة

١ـ اوراق عاقر (رواية) بيروت ١٩٦٨ ـ دار الاتحاد
٢ـ وانت يا مادبا (قصص) بيروت ١٩٧٩
٣ـ الانتخابات (مسرحية) بيروت ١٩٨٢
٤ـ تلك الاعوام (قصص) بيروت ١٩٨٢

وهو ايضا:

- ***عضو مؤسس في رابطة الكتاب الاردنيين***
- ***عضو في الهيئة الادارية للرابطة لمرات متعددة***
- ***حاز جائزة العرارية الاردنية ١٩٧٧***
- ***نال جائزة عرار الادبية ١٩٨٢***

الأديب القدوة
و
العظيم القدوة

بقلم

الأستاذ / وديع صوالحة

ان ما يهمنا من الادباء والكتاب والعظماء وكل الذين ساهموا فى تقدم البشرية هو أقوالهم وأفعالهم الايجابية وأسلوبهم المتميز فى الحياة. ويهمنا أن نقرأ لهذا الكاتب أو ذاك الخصائص الأدبية والقلبية والنفسية الواضحة فى اسلوبه وخلقه، فى وقاره وغضبه، أو فكاهته ومرحه. فى روعة فنه وفى فيض خاطره الناطق المعبر عن ذات نفسه. . هذا الفيض الخاطر البناء الذى يصحح أعمال الناس فى الحياة يصحح النفوس الغافلة والعقول الضعيفة ويكشف لنا الحياة على حقيقتها حلوها ومرها لنقف على حقيقتنا نحو الذين نريد دائما أن نفهم وأن نصحح من اخطائنا. . لأن الانسان غير معصوم من الخطأ دائما وابدا وما زال يكرر اخطاءه فى كثير من الحالات. . فى الحياة وفى الحروب وفى السيطرة هنا وهناك فى شهواته وطباعه وأعماله التى لا ترضى البشر ولا تعطى للحياة معناها وحقها.

ان نابليون لم ينجب سوى إبنا واحدا وكان يسمى بالنسر الصغير، وقد اغتالته السياسة فى ربيع عمره. . ولكن ماذا يهمنا من شأنه. . وهل كنا بحاجة الى نابليون آخر يعيد تاريخ أبيه في الحروب وحصد حياة شباب أوروبا في مدة ربع قرن. . ولكن الذي يهمنا هو اعماله فقط فى الحرية والعدالة والمساواة ولا غير.

وماذا يعنينا ايضا اذا تزوج سقراط او لم يتزوج. . وفيما اذا خلف بنتا او ابنا مادام هذا الابن او غيره لم يحقق للانسانية اي خبر يذكر. . ان الذي يعنينا ويهمنا مثلا هو اقواله وحكمه وفلسفته التي جاء بها وليس فى سرد الحوادث التافهة فى حياته وما اكثر الحوادث التافهة فى حياة كل انسان مهما كان.

يعجبنى المصلح والكاتب الذى يهدى الضمائر الانسانية لتصبح قاعدة لتصحيح الاخطاء المتحكمة والمتأصلة فى النفوس. . هذا الرجل الذى يقف على خشبة مسرح الحياة بثبات وعزم يشير الى هذا وذاك يصحح من اخطائهم فى اخلاقهم فى شعورهم فى مثلهم فى مقوماتهم ومسالكهم.

وما اكثر الالام البشرية التى تنتظر المداواة والشفاء العاجل وما اكثر الاخلاق المعوجة التى تحتاج الى استقامه. . ان كل ما فى هذه الدنيا من متناقضات ومنازعات وشرور ما هو الا اغراء شيطان واعمال مارد جبار سواء هنا او هناك، والعاقل الكامل من يدرك ويتعظ ويتعقل ثم يصحح. . هناك حقائق تقول لن تكون رساما لمجرد ان عندك فرشاة والوانا. ولن تكون موسيقيا لان عندك عودا وقيثارا، ولن تستطيع ان تكون شاعراً او اديبا او مصلحا او كاتباً بمجرد انك تحمل قلما. . ولكن العبرة ان تكون قد اسديت عطاء نصيحة الفكر والقلم فى اصلاح حياة المجتمع وتقدم الفكر الانسانى. . تعجبنى نصيحة القلم فى كيفية انقاص آلام البشرية ومحو العنف الانسانى فى اجرامه واستهتاره. . ان عظمة الكاتب او اى انسان آخر هى فى طيبته فى فرض سماحته فى شوقه وحبه للافضل. . والاجمل من ذلك هو عظمته فى رجولته وفى فحولته وفى تصحيحه لاخطائه، فى التعبير الواقعى الصادق الذى يفرض صورة حياته التي يرسمها على لوحة الحياة بفرشاته وقلمه.

المشتار المختار

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه
فليس خليقا أن يقال له شعر

المشرف
محمود عارف

ديوان المنهل

العدد الحادى عشر - رجب ١٤٠٤هـ



قصائد العدد

سحـــائب الشـك الطـافيـة . . ريـاح الإلحـاد الهائجة، فرقت الدرب وشعَّبت السُبل.

لكنَّ أمـة أضاءت مسالك نفسها بنور المحجة البيضـاء وتوقد نجمها لها الغلبة والنصر . . والدين ينصره أهله . . مَنْ انعقد لهم لواء البشارات . . وعلا السعْد ركابهم . . والنصر له عدَّته وعتاده.

وهـل الفكر الاَّ قيِّما . . يضيء الشعاب ويلوح كشمس بين البقاع وهناك نصغي لصوت الغريب . . ولا أشدّ ولا أقسى على النفس من غربة الانسان عن ذاته . . عن أهله . . (وكل أشيائى لا أراها - دارى ومضجعى والاسم خلفى).

يرى بارقة أمل . . ولكن سرعان ما يمحى كأنه السراب . . قد يستقيم الدرب ثم تأتى طائرة ترغمه للَّف . . ألا ردَّ الله الغربة . .

وهنـا صوت يُشـدّ إلى أخيه . . يرسلها مدوِّية (دعـاة السـلام أفيقـوا . . فصـرح السـلام تردى حطـام) . . ويلفتنـا بقـوة (جـرائم تأنف منهـا الوحوش . . وينفر منها أخس اللئام).

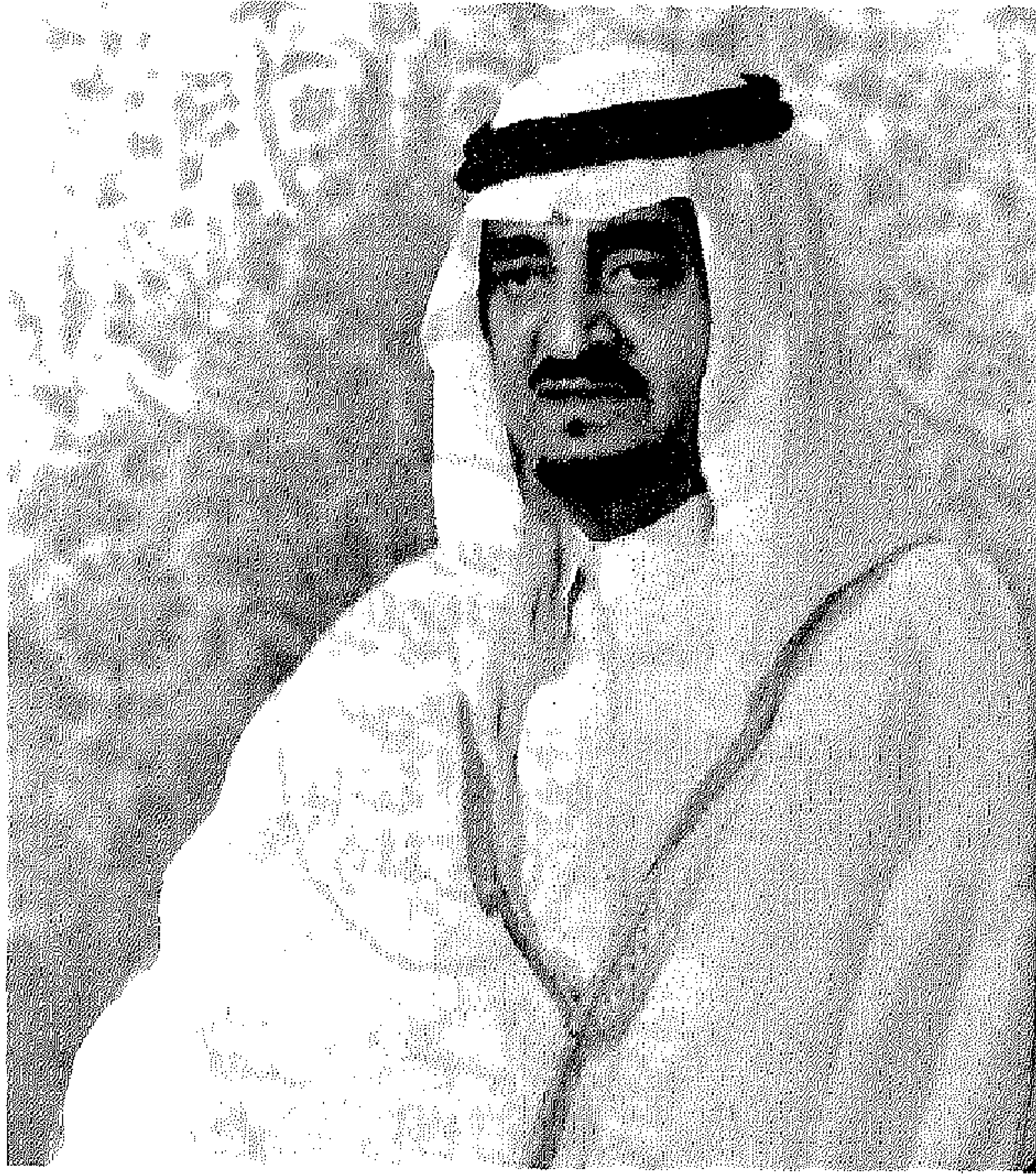
وهنا نشاهد ذلك المحلق فى الأفق بكل الإباء . . كاسراً القيود متحدياً الخطوب . . منبلج الثغر شموخاً على الونى والنّواح . . فما ثمَّ جراح تفل حدَّ الطَّماح.

أنت يا فهدُ للسناء سناء

للشاعر الأستاذ
عبد الكريم التواتي
من علماء
جامعة القرويين
(المغرب)

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز عاهل المملكة العربية السعودية تحية تقدير وإكبار لجهوده العظيمة والخالدة التي ما انفك يبذلها في سبيل دعم القضايا الإسلامية وإرساء دعائم الوحدة العربية.

أنت يا فهدُ للسناء سناء … البشاراتُ والسعودُ لواء
والتحياتُ الطيباتُ تهادتْـ … ـها البرايا لعرشكم والدعاء
وبكم فهدُ ألسُنُ العُرْب تَشْدو … عَلِمَ الله والورى شهداء
وبكم تفخر الحنيفة يا فَهْـ … ـدُ، وتهفو الجزيرةُ الشماء
إيه، يا مَهْبطَ الرسالةِ، يا مَوْ … لِدَ (طه) برحابك استشفاء
وبنوك الأباة شم أجاويـ … ـدُ أياديهم سمحةٌ بيضاء
هم غطاريف، ما أُمَيْلَحَ سيما … هم بَهَالِيْلُ، هجَّدٌ، أتقياء
آثر الله سوحَهُمْ، فاصطفاهم … وحباهم من آثرته السماء
قد حباهم (محمداً) فإذا ابـ … ـناؤهم غرٌّ، للدنى أولياء
وإذا العُرْب والجزيرةُ آيا … ت من الله بينات وِضَاء
تنشر النور والهداية والعدْ … ل، فتعنو الجهالة الجُهلاء
وتدك الأصنامَ، والشرك تجتـ … ـثه فتهوى أبراجه القَعْسَاء
وتبيد الأوثان للنبأ الـ … ـحق وتعلو الحنيفةُ السمحاء
إيه، أبناء يعرب قُدْتُم الكوْ … ن فعمَّ الهدى وعمَّ الرخاء
وتعهدتمْ رُشْدَه فاستقرتْ … بنيه الحياةُ فهي رخاء
صين عقلا، وصين ديناً ودنيا … فالمغاني سحائبٌ وَطْفَاء



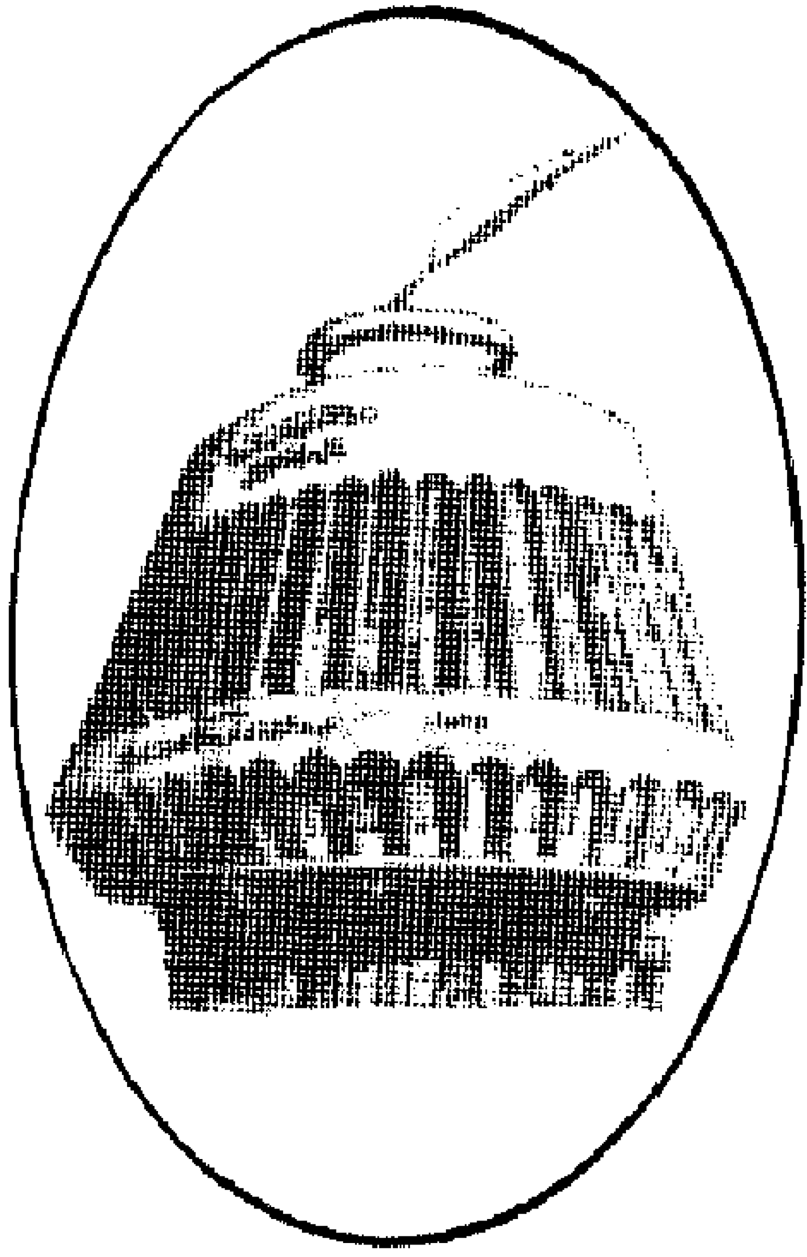
ولئن أثَّلَتْ أصولكم المجْ ـد فانتم على البُنَى أوْصِياء
فخطى الخير والمشاريع تتْرَى عزمات، والمنجزات سواء
وأرى (فهداً) للحنيفة حصناً ولدنيا الاسلام، نِعْمَ الوُقَاء
لم يُقَيِّضْه ربُّ مكةَ للاسْـ ـلام عفواً لكنَّ ذاك انتقاء
شعَّ فى البيت يقطة فإذا اليَقْـ ـظة بعثُ ليَعْرب واهتداء
واستقامتْ بها أفاض وأولى سنن الله واستقام القضاء
واستتب السلام، واستشعر النـ ـاس هناء الحياةِ فهى هناء
وجَلَّت مكةُ الحرامُ مطافاً يتملى روضاته الصلحاء
صنتموها، فذا المقامِ أمانٌ والحجيجُ ازدهتْ به البْطحَاء
وأهلَّتْ بها الفيوضاتُ تَتْرى روَّقَتْها استقامةٌ غرَّاء
وتتالت على الورى بركات من هداكم وعمت النَّعْمَاء
ونواديكم يا أُهَيْلَ سُعُوْد نفحاتٌ حفت بها الأولياء
ما تحملتم شان مكةَ حتى رَبَت الأرضُ ، وازدهاها النَّماء
وبكم أخضلت رباها، فصحرا ها ورود ، وقيظها أنداء
والسهولُ الظِماء غصَّتْ زلالا فهَى روضٌ مُخْضَلَّةٌ غَيْدَاء
والفيافى حدائق، نَبْتُها رفْـ ـف وجناتُ جَنْيها مِعْطاء

قد سقاها (آل السعود) سحابا   غدقاً فارتوت ، فهن رواء
وبفيضٍ من العدالة سمح   روقوها ، فطاب فيها الثواء
فالبرايا بمشرق الارض والمغـ   ـرب يا فهد مِدْحةٌ وثناء
إيه، يا (فهد) يا ابن عبد العزيـ   ـز بكم الشعر ينْتَشِي والحِدَاء
همةٌ دونها الزمانُ اعتداداً   وإباء مجالُه الجوزاء
صهرتْهُ الأرْحامُ عزماً فأوْرَى   وغذته الأحلام فهو مضاء
شدتم للحياة ما بهر الكوْ   ن ، وللدين ما ارتضى الأنبياء
فاستطابت أبهاءكم غرر المجـ   ـد حفيات واستباها الإباء
وبكم هامت الْمفَاخِر إكبا   راً وعزَّت ، وهامت الْعَلْيَاء
فتغنت بمجدكم ألسُن الدهـ   ـر فِصاحاً ، وغنَّت الشعراء
فهي يا فهدُ تنْشُدُ الكوْ   ن الأكم ، وكل لذكرها أصداء
أنت يا فهد للجزيرة للعرْ   ب لدنيا الاسلام ، نعم الفداء
وتعهدْتَ أن ستُفْدَى (فلسطـ   ـين) وتُفْدى (غزلانها) الحسناء
ويباد الألى استباحوا حماها   وسينفى من (قدسها) الأدنياء
حقق الله سعيكم، وتولا   كم بألطافه ، وتم الرجاء
هذه فهد صادقات التهاني   حبرتها القلوب والأحناء
صاغها المغربُ الأبيُّ أكاليـ   ـلَ وفاء ، لا يعتريه انْكفَاء
وتحياتُ أمةٍ تَعْشَقُ النبـ   ـلَ وتأبى أن يُستَباح الحِمَاء
أمة تنتمي ليَعْرُبَ مُذْ كا   نتْ وللعرب شعبها فدَّاء
وأنا - فهد - صوتُ شعب (المُثنَّى)   من به الأرض تحْتَفِي والسماء
مَلِكُ المغربِ المُفَدَّى بأروا   ح بنيه، ونعمت الأبناء
و(الحجاز الحبيب) و(المغرب الاقـ   ـصى) أشقاء آصرتهم دماء
وهما في السناء صنوان آخى   بين عرشيهما الوفا والصفاء
إيه - يا فهد - يا (مُثَنَّى) أغيثا   (فلسطينا) وأنتما الشفعاء
عترة العار من (يهود) عتوا فيـ   ـها، وما فيها لليهود انتماء
أنقذاها، وأنقذا المسجد الأقـ   ـصى، فقد ديس فيهما الأبرياء
السماوات والعروبة تدعوكم   ودين الإسلام والشهداء
والإله العظيم يكلأ مسعا   كم وترعى عرشيكما الآلاء

إلى المنهل

عشْتِ يا مُنتدى الْيَراع يا ضياء فوق اليفاع
يا سنى مشرقاً يلُوح كشمس بين البقاع
عشتِ منهلَ النُّهى أنتِ للفكر كالشِّراع
لك باع وأىّ باع
أنتِ محبوبة على القُربِ منَّا أو السَّماع
أنتِ فى الحقِّ والهدى والى المجد خير ساعى
دائماً تجْهرين بالرأى حرَّاً دُون اندفاع
دائماً تحْملين للْعقْل أسباب الاقتناع
دونَ ربح تبغين أو مكسب، دون ما انتفاع
لكِ فى المكْرُمات تاريخُ صِدْقٍ بلا نزاع
(منهلى) العذْب الكوْثرِ ى، أحيِّيك من شُعاع
قَبَسٌ قدْ أضاءِ كُلَّ النواحى، دون انقطاع
يجْمع الفكْر حوله والأمانى خير اجتماع
تسعة فوقها أربعون عاماً إلى ارتفاع
(منهْلُ) الخيْرِ والصحافة حُيِّيت من صناع
لمُهماتك العُلَى سِرْتَ فى الناس باطِّلاع

الغراء



للشاعر الدكتور: محمد عبد المنعم خفاجي

أنتَ أصبحت معلماً بيننا في هذا الصراع
صرْت دُنيا فمِن الحِجَى صِرْت للحق خير راع
أنت يا (منهل) الحمى أنتِ فيه رأى الشجاع
قاد (عبد القدوس) ركبك للمجد باطلاع
قاد حرا جحافل الرأى من غير ما خداع
مِنْ سوى ما تزلُّفٍ أو رياء، لا ، أو قناع
هو أكرم به ، وبالمنهل المُصفّى المُطاع
لم يُعرّض جيل الغد الحُرِّ واليوم للضياع
قد مشى يبنى ثم يبنى ويبنى بلا امتناع
كلما كال غيره حِفْنَة كال ألف صاع
كلما قاس غيره أصبعُاً قاس بالذِّراع
كلما سار غيرُه خُطوة سار ألف باع
(منهل) الرأى عشت للحقّ والنصر والمساعى
أنت يا (منهل) النُّهى لك في العصر ألف داعى
حاجة الفكر تقتضيك طويلاً كلّ الدواعى
عشت يا (منهل) المُنى عشْت فينا بلا انقطاع

جاء

فى حلكة هذا الليل ليل امتنا العربية البهيم، وقد تكالبت عليها الصليبية الجديدة لتأخير صحوتها وعرقلة انطلاقتها نحو الغد الزاهر الباهر الذى ستتبوأ فيه مقعد القيادة والريادة إن شاء الله تنفتح كُوّات فى نهاية النفق المظلم لتومض منها أشعة تعيد الأمل الى القلوب والتفاؤل إلى النفوس.. هذه الاشعة هى ما نسمعه عن اهتداء بعض رجال الفكر العالميين الى الاسلام، بعد دراسة عميقة للأديان الأخرى سواء السماوية منها أو الأرضية، وبعد تقليب وجوههم فى السماء بحثا عن وجهة ترضاها عقولهم النيرة وقلوبهم الحائرة.

أوحت هذه الظاهرة الصحية التى تؤكد صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان الى الشاعر بهذه القصيدة يهديها إلى أولى الألباب من كل جنس ودين.

جاء دور الاسلام

لم يزل نَجْمُ سَعْدِها يتوقّدْ
أمةٌ آمنتْ بدين محمدْ
أمّةٌ شاءتِ الخُلود مصيرا
كلّ يوم شبابُها يتجددْ
لم يزل غُصْنُها ندياً رطيبا
وصباها غضّ الإهاب مورَّد
يا رسولاً علمتنا كيف نحيا
بين كل الأنام أهنا وأسعد
نور إيماننا يضيء لنا السُبْـ
ـل إذا ما تشعَّب الدربُ واسْوَدّ
وإذا ما سحائبُ الشك حامتْ
فوقنا والضعيفُ منّا تَردّد
ورياح الإلحاد هبّت ثلوجاً
ودمُ البعضِ فى العروقِ تجمّد
وصغارُ العقولِ أضْحَوْا ضحايا الـ
جدل الضحل والشباب تشرّد
ذابَ ثلجُ الإلحاد من دفء إيما
نى، وغيم الشكوك عنى تبدّد

للأستاذ / احمد عبد السلام البقالى
« المغرب »

دور الإسلام

فشل الشرق والغرب

جاء دورُ الإسلام. . إذ فشِل الشرْ-
ق، وزاغ الغـرب الأنـانى وارتـدّ
كفـلوا للبطـون شبـعـاً وريّـاً
وأذاقوا الأرواح جوعـاً مؤبّـدْ
سلبـوا حريـاتهـم، وأحـالـو-
هم نِعالاً زُرْقاً تُقَامُ وتُـقْـعَـدْ
وبنوا حَوْلَهُـم زرائبَ حتى
لا يفـروا من بُؤْسِهم حين يَشْتَـدْ
غسلوا منهم الدماغ كما يُمْ-
حي شريط التسجيل أو يتعقد
حجبـوا عنْهُمُ الحقيقـةَ حتى
لا يماروا فى إفكهـم حين يُسْـرَدْ
فغـدوا أسطـوانـةً طُبِـعَتْ مِنْ-
ـهـا الملايين كل يوم تُرَدَّد
عمـرهـم ليلة بدون نهار
يترجّـونه. . ويـومٌ بلا غد

★★★



أى عقل

إن عقـلاً ينفى وجـودك. . يار-
بى، لعقل من جامد الصخر أبْلَدْ
إنَّ عيناً لم يُغْشِها نورُك البا-
هر عينٌ عمياء عن كل مَشْـهَـدْ
إنَّ قلبـاً لم يَهْده نورُ إيما-
نك قلبُ ضلَّ المحجَّـةَ وانْسَـدْ

★★★

انكسر القيد

جاء دور الإسلام، وانتفض المسـ-
ـلم وانـشـقَّ قَيْدُهُ وتمـرد

قَيّـدُه الجـهـلُ، والتخلف والفقـ
ـر، وكـل الأمـراض حين تُعَدَّدْ
ورأى بارقـاً من الأمـل المشـ
ـرق يرنـو له على أُفُـقِ الْـغَـدْ
فَصَبَتْ روحُـهُ إليـه.. فمد الـ
ـعـينَ والقلبَ والعـزيمةَ واليدْ

★★★

عبرة كبرى

مولـد المـصطـفى لنـا عِبْرة كبـ
ـرى وعـهـدٌ منّـا له يتـجـدد
مولـد المصطفى لنـا سجدة شـ
ـكر آلاءه علينـا ونَـحْـمـدْ

★★★

نحن لولاك

نحـن لولاك يا محمـد ما كـ
ـنـا شعوبـاً فى العزّ ترْفُلُ والْمَجْد
نحـن لولاك يا محمـد ما كـ
ـنـا فحـولاً كريمة الأب والجد
نحـن لولاك لم نكـن أمـة عظـ
ـمى لتـاريخنـا يقـام ويقعـد
رَضِعَ الغـرب من حضارتنا الأو
لى، ومن شمسهـا المنـيرةِ أوْقَـدْ

★★★

أنت علمتنا

أنـت علمتنـا التشبث بالـرو
ح وإرهـافهـا لتسمـو وتَصْعَـدْ
أنـت علمتنـا مفـاضلة الأمـ
ـلاك طُهْـراً، وروحُهـا لم يجَسَّدْ
وجـعلت العـلوم فرضـا علينـا
ذكـراً أم أنثى، من المهـد للّحْد

وجمعـت القلوب من بعـد ما كا
نت شتاتـا، وصُنْتَ شمـلًا مبدد
معجـزاتٌ فى الجـاهلية، والـد
نيـا ظلامٌ، والعقـلُ وحْشٌ مُقيّد
أنـت حررتـه، وأفـعـمتـه نـو
راً، وفجَّـرتـه كما انفجـر السد
أنت أهـديتـه الضمير.. ومن دو
ن ضمـيركم عاث قبـلُ وأفسـد
أنـت ألهمتـه العـدالـةَ فى الحـ
ـكم.. وصدقَ اللسانِ ساعة يَشْهَد
أنـت آنسـتـه وأنَّـسـتـه من
بعـد خوف فاعـتـز بالله واعـتـد
فسـرى فى كيانه القبلى الـ
ـخير والحب، مثل نَبْعٍ مُبَرَّد

★★★

لنعد للنبع

هكـذا خاتمِ الرسـالات أحْيـا
أمـةً كان موتهـا قد تأكـد
فلنعـد للنبـع الأصيـل لنـروى
غرس آمـالنـا على شاطىء الغد
ولنَسِـرْ فى طريقِ وحـدتنـا الكبـ
ـرى، يداً فى يد، برأى مُوَحَّـد
بدأ العـد معلنـا ساعـة الصفـ
ـر، وهذا الصاروخ أرغى وأرعد
وانـتهى جزر هذه الأمـة العظـ
ـمى ورن النـداء وابتـدأ المد
لم تزل قمـة يتـوجهـا المجـد
أمـة آمـنـت بديـن محمـد

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ

صدق الله العظيم

جنازة السلام

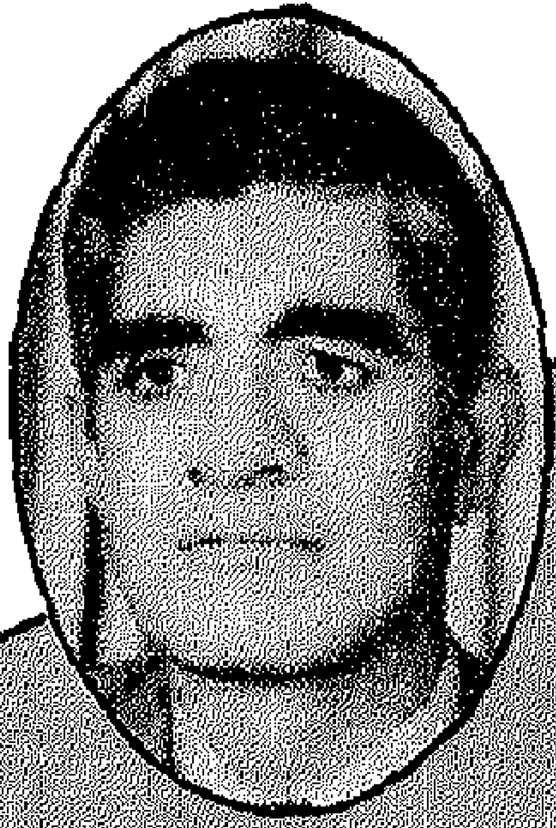
بقلم: الشاعر محمد عبد الرحمن
"القاهرة"

دعاةَ السلام حُماةَ الوئام
تعالَوْا نُشَيِّعُ نعش السلام
ونُلْحِدُهُ فى ظلام القبور
ونرمى على قبره بالرِّغام
رفعتمْ لواء السلام فقلنا
لواء عظيمٌ يسر الأنام
وفى الحال أسقطتموه فكنتم
كأمٍّ سقتْ طفلها بالْحِمَام
وما كان ظنّ الخلائق يوماً
بأن تفعل الأم فعل السهام
دققتم طبولَ الحروبِ لتحيوا
بأهلِ فلسطين موت الضرام
وترمون من فرّ منهم بتيهٍ
ليشقى ويحيا حياة السقام
ولو خيّروه حياة وموتاً
لقال رضيتُ بموتٍ زؤام
فموتٌ بعزَّةِ نفسٍ أحَبُّ
من العيشِ تحت شديدِ العرام
وكم من دفين ببطن الرّغام
أعزّ من الحى فوق الرّغام
دعاة السلام أفيقوا مليًّا
فصرح السلام تردّى حُطام
فأى سلام رأتْ أرضُ قدس
وأى سلامٍ رأتْهُ الشامَ
مدافع تلفظ ناراً حميماً
يكاد صداها يميت الأنام
وكم من قنابل تحْصُدُ حصداً
فتشوى اللحومَ وتذرى العظام
جرائم تأنفُ منها الوحوش
وينْفِرُ منها أخسّ اللئام
وتحصد مَنْ ينادى بسلم
ويطلب عيش الصفا والوئام
دعاةَ السلام كفاكم خداعاً
وغشاً وسفك دماء، حرام
عليكم بوقف دمارِ الحروب
ولا تخدعونا بزور الكلام
فإنّا وُلدْنا بنار الحروب
ونُصْلى لظاها طوال الدوام
ونعرف أنّ الحياةَ جحيمٌ
وأنّ السلام عليه السلام

الغريب

بريشة الشاعر

د. كمال إسماعيل

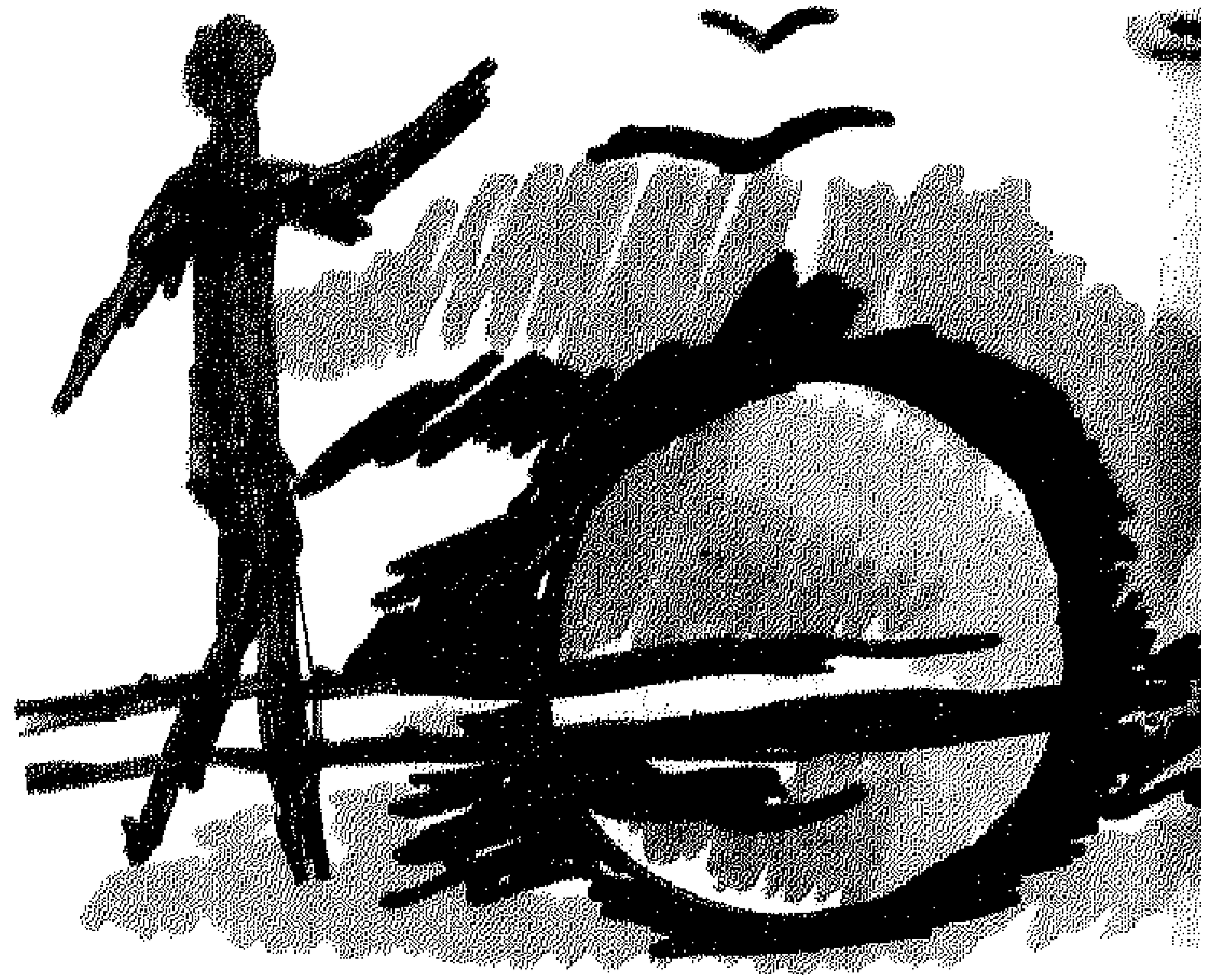


الدكتور / كمال إسماعيل فى سطور
- ماجستير فى دراسة الشعر المسرحى العربى المعاصر
- دكتوراه فى اتجاهات النقد المعاصر من جامعة الإسكندرية
- صدرت له الأعمال الشعرية والكتب الآتية:

١ - ديوان: للغروب لا.
٢ - ديوان: ربيع بولس.
٣ - مسرحية شعرية باسم تقتب فى حوائط المباكى.
٤ - كتاب: الشعر المسرحى فى الأدب المصرى المعاصر.
٥ - نشرت له العديد من القصائد فى كبريات المجلات
٦ - حاليا: هو المسئول عن فحص النتاج الأدبى بالهيئة المصرية للكتاب ... بالقاهرة.

أنـا الغـريبُ والـوُجُـودُ خلفى
يَرْسُـفُ فى الـقُيُـوُد أىَّ رَسْف
أرْصُـفُ من هرائـه سيـاقـاً
يرفض أن أُخـضـعـه للرصـف
ان الـديـارَ كلهّـا سواء
بعض أضـالـع ببعـضـه طيف
معى الـوُجـود قد يبيت فيهـا
يقطـرُ من دمـاه أو يصـفّـى
وجـاوز الـقـرارَ، إنَّ منه
ما يُشبـه الـزفـير، ما قد يكفى
قد يلجُ الخـفـاء مثـل قلبـى
يغـير بى بين عُروقِ غُلْفِ
يمـر من بابٍ إلـى سواه
إلـى صمامٍ فيـه ماقـدْ يُخْفـى
تجـىء نبـضـة بالـرأس
وتخسف الأُخـرى بغـير خَسْفِ
تكـاد تُوحـى لى بأن أخـلى
سبـيـلهـا إلى صراط الحـذف
أعـيـا بأن يثـار أى شـىء
تكشطنى الألفـاظ عند الـوصفِ
أخـافُ من سيرى ومـنٍ جِرَاكـى
ومـن تسـانُـدِىْ به، والـوقْـفِ
يا محنـة الـوُجُـودِ فى اكـتراثـى
لما بقـلبـى، محنتـى بالـكشـف
وإنَّ فى ألـغـازِه انـغـلاقـا
لعـالمى، وضَعْفِـه من ضَعْفى

★★★



أيتـهـا التينـَةُ أنتِ مثلى
بلا مضيف، لك وجـهُ الضيف
ودون بستانٍ ولا سياج
خوفك فى الأغصان مثل خوفى
مَنْفِيَّةٌ مثلى بلا ذنُوب
ولا إساءات، ولا من يَنْفى
تُسْمِعُك الرياحُ شرَّ لحنٍ
حين تهاج الريحُ، حين تَسْفى
تجعلُ منك قطةً وقطا
بين مُواءين، وبين رجَفِ
فما نية العراك دون ترس
ودُون مهماز، ودون سَيْفِ
كأنما الوجه يصير دُفّاً
ومخلبٌ يُطلُ وجه الدُف
وتينك المحبوبُ صار نعلاً
أمام عينيك لكُل خُفٍّ
كأنه عقد دُموع حُمر
هوى بأصداغك عند الذرف
مثل فطيم لم ينلْهُ شيء
من لبن الأم ولا من عطف

ولا الطيور حاملته حتى
منقارها لم يندمج فى حرف
ان الطُّيور دُونها جناح
ودون منقار، ودُون إلفِ
كأنها علاقةٌ تراءت
ببرزخ فى جنباتِ كَهْفِ
والتوتة التى عرفتُ حيناً
قيثارها على ذراع الصيف
زايلها الغلمان من شهور
من نصف عام، وعشوا من نصف
وزال من يجيء من أعلاها
ويقصف الغُصون أعتى قصف
وأرجىء التهليل من أدناها
مُكتهلاً مؤنِساً فى عُنف
إن يكن المَوتُ غيابَ شيء
عن نوعه، فقد لقيتُ حَتْفى
أحرِّكُ الريحَ سرتْ رخاء
ولا أرى صياغةً لأنفى
فى مهجعى الصغير هل أرانى
أصيب ديناراً ببعض كفى
أصيده غصْباً ، بكل وجهى
وأعتريه ألف ألف ألف
وآلةُ السَّكْنَى معى جراب
وكل ما أحبسُ تحت سَقْفِى
وكل أشيائى لا أراها
دارى ومضجعى ، والاسم خلفى
وبعض بنيان لقد حوانى
وموطنى الواقف بى فى صَفِّى
قد يستقيم الدربُ ثم تأتى
طائرةٌ ترغمه للَّفِّ

المهيض .. المحلق

لشاعر العروبة محمد حسن فقي

يا مَهيضَ الجَنَاحِ . كيفَ تساميْتَ الى النَّجْمِ .. يا مَهيضَ الجَناحِ ؟
كنتَ كالصَّقرِ فى الذُّرى الشُّمِّ ما ترْهَبُ منها كالطَّيْرِ عَصْفَ الرِّياحِ
وتَصَدَّى الزمانُ للصَّقرِ فى الجوِّ .. بِسُمْرِ القنا .. وبِيضِ الصِّفاحِ
فَتَهاوى لكنَّه رابِطُ الجأْشِ .. عَيُوفٌ .. مُضَرَّجٌ بالجِراحِ
يَتَحَدَّى الخُطوبَ مُنْبلجَ الثَّغْرِ . شَمُوخاً على الونى والنُّواح ..
لم يُزعْزِعْهُ ما اعْتراه . فلم يَرْضَخْ .. ولم يَبْقَ جاثِماً فى البِطَاحِ
بل تَصَدَّى لِما اعتْراهُ .. فما ثَمَّ جراحٌ تَفُلُّ حَدَّ الطِّماحِ
صَمَدَتْ روحُهُ الجراحَ .. وما أكْرَمَ لَفْحَ الضِّرامِ فى الأرْواحِ
ثم أسْرى لِلْجوِّ صَفَّاً وقَبْضاً .. وتهادى بينْ الطِّباقِ الفِساحِ

قال روحٌ لآخرٍ .. هل ترى أيُّها الشَّقيقْ؟
إنَّ هذا هو العُجابُ .. مِنَ الباشِقِ العريقْ
ما حَسِبْناه ناجِياً . قطُّ من جُرْحِه العميقْ
يا له مِنْ مُناضِلٍ .. صابرٍ وسَّعَ المضيقْ
غَشِيَ الموْجُ هامَهُ .. كيف لم يُصْبِحِ الغَريقْ؟
واحْتَواه اللَّظى فَنُحْنا . إلْتِياعاً على الحريقْ
كلُّ هذه الخطوبِ لم . تَثْنِ من عَزْمِه الوثيقْ
واسْتَوى فى طريقِه . يُذْهِلُ الشَّدْوَ والنَّعيقْ
لو سِواه لَما اسْتطاعَ مُضِيَّاً على الطريقْ
ليس نَدْري .. أبالجديدِ . يُباهى .. أم العَتيقْ؟

فقال له إنِّى فَخُورٌ بمَنْ رَقى ... من الدَّرْكِ .. من بعد التَّرَدِّى الى النَّجْمِ
بِمَنْ ضَمَّدَ الجُرْحَ المُميتَ فَرَدَّهُ ... إلى الجُرْحِ لا يَخْشى من الموْتِ والسُّقْمِ
اذا انْبَجَسَتْ منه الدماءُ زكيَّةً ... تَنَشَّقَها مُسْتَبْسِلاً غيرَ مُهْتَمِّ

وكيف. ولم يَبْرَحْ أَسِيرَ طِماحِهِ
لما صَرَفَتْهُ النائباتُ عن العلا
أَلَسْتَ ترى يا صاحِبى نَفْسَ نَظْرَتى
هو العبقريُّ المستعزُّ. فَخَصْمُه
فماذا ترى؟ قال. العدالةَ إنَّها..
وما لِلْخصُومِ الُلدِّ إلاّ زرايةٌ

واهدافِهِ العُلْيا.. إلى القِمَم الشُّمِّ؟
ولكنَّها زادَتْهُ عزْماً على عزْم.
إليه.. وإلاّ أنتَ لا تَرْتَضى حُكْمى؟
حَشُودٌ. وهل تَرْجو العدالةَ من خَصْم؟
أنالَتْهُ فى الحرْب.. التفوُّقَ.. والسِّلْمِ
عليهم بهذا الحِقْدِ يَنْضَحُ بالإِثْمِ

ياجَرِىءَ الخَطْو.. واسِعَهُ
أنتَ فى الاجواء سيِّدُها
ليس لَهْواً ما تُمارِسُهُ
إنَّهُ الجدُّ الذى عَجَزَتْ
انَّه المجدُ الذى صَنَعَتْ
يا يَقيناً ما تُطاوِلُه
لا تُبالى بالأُلى جَنَحُوا
أنت طَوْدٌ لا يُحاوِلُهُ
قُلْ لأَيَّامٍ زَهَتْ شَرَفاً

سِرْ. ولا تَحْفَلْ بأقْزامِ
وعلى هذا الثَّرى.. السَّامى
إنَّه أصداءُ إلهامِ
عَنْ مداه عُرْجُ أقْلامِ
كَفُّه. لاكَفُّ أَصْنامِ
فى الورى. أَضْغاثُ أحلامِ
بالهوى للكيْد والذَّام..
مَعْشَرٌ منهم كأنْعامِ
بِكَ. مَرْحَى لكِ أيَّامى

ياضميراً يُجِلُّهُ الحِسُّ والفِكْرُ
لَيْت هذا الأنام يَجْنَحُ للخيْرِ
لَيْت هذى الحقودَ. والحَسَدَ الجانى
ما أرانى إلاَّ الشقىَّ بما ألقاه منهم
وأرانى أنا الشقىَّ اذا حِدْتُ عن الـ
إنَّ نَفْساً تُشيحُ عن مَرْبَعِ الحُبِّ
أىُّ دُنْيا هذى التى تُنْكِرُ الحُبَّ
يا نَجِيِّى دعَ الهوى يغْمُرُ النَّفْسَ
أنا لولا الهوى. ولولا دَواعِيه

لأنْتَ الضميرُ يعْلُو الغَماما
فَيَشْفيهِ. ليت هذا الأناما
يعُودانِ رَحْمَةً وسلاما
تَبَطُّراً واجْتِراما
ـدَّرب وامْتَشَقْتُ الحُساما
لَنَفْسٌ تُقَطِّعُ الأرحاما
ولا تَنْصِبُ الجمال إماما؟
ويَرْوى من النَّمير الأواما
لأَثَرْتُ ـ يانَجِيِّى الحِماما

ياضميرى أنا الغنىُّ بِنُعْماكَ
ما على الارضِ من تَمامٍ
رُبَّما حَقَّقَ التَّدانِىَ للمرْءِ

أنا المُجْتَوِى العُلا والحُطاما
ولكنَّ السعيدَ الذى يُدانى التَّماما
ضَميرٌ يُحَقِّقُ الأحلاما



التاريخ

بقلم الاستاذ الرائد محمد احمد العقيلي
«مؤرخ الجنوب»

١- التاريخ لغة
٢ - التاريخ اصطلاحًا
٣- التاريخ علميا «أو علم التاريخ»
٤ - التاريخ عالميًا.
٥ - بداية التاريخ لدى الأمم
٦ - التاريخ العربي قبل الإسلام
٧- التاريخ في الإسلام.

■ حسبى أن يكـون فى هذا الاستعـراض بعض الفـائدة جاء فى كتاب مختار الصحاح للجوهرى فى مادة أرخا ما يأتى :

١ـ أرخ التاريخ : تعريف الوقت بيوم كذا، أرخ - ورخ.

٢ـ جاء فى لسـان العـرب أرخ التـاريـخ : تعريف الوقت، والتواريخ مثله أرخ الكتاب. من يوم كذا، والواو فيه لغة ، قال ابن البرزج : (أرخت الكتاب فهو مؤرخ).

■ قال الليث الأرخ بالفتح والكسر، والأرخ بالفتح :

« مقدمة »

لهذه « جانان » تفرد بأعلامها ورواتها وشداتها .. تعودنا منها أطياف العبير وشذى الأثيل وعودتنا بانتاجها الوفير مع الخل الأثير .. ولهذا أحد روادها « من رابطة محبي المنهل » يصدح بالفكر ويشدو بالبيان ويعرف مادة التاريخ ويجلوه .

« المنهل »

(البقر) وخص بعضهم الفتى منها والجمع أراخ واراخ ، والأنثى أرخة وارخة والارخ الانثى التى لم ينز عليها الثيران ، قال ابن مقبل :

أو نعجة من أراخ الرمل أخذلها
عن الفها واضح الخدين مكحول

وقال الشاعر :

يمشين هونا
مشية الاراخ

قال مصعب بن عبد الله بن الزبير الارخ ولد البقر الصغير، وأنشد الباهلى لرجل مدنى كان بالبصرة :

ليت لى فى الخميس خمسين عينا
كلها حول مسجد الأشياخ
مسجد لا تزال تهوي اليه
أم ارخ، قناعها متراخى

■ وقيل إن التاريخ مأخود منه كأنه شىء حدث كما يحدث الولد، وقيل التاريخ مأخود منه لأنه حديث.

الأزهرى : أنشد محمد بن سلام لامية بن أبى الصلت :

وما يبقى على الحدثان غفر
بشاهقة له أم رؤوم
تبيت الليل جائية عليه
كما يخرمس الارخ الأطوم

■ قال الغفر ولد الوعل، والارخ ولد البقر، ويخرمس : يسكت، والأطوم الضام بين شفتيه، الارخ ولد البقر - وأرخ الى المكان يأرخ أروخا حن اليه وقد قيل إن الارخ من البقر مشتق من ذلك لحنينه الى مكانه ومأواه (باختصار).

■ وجاء فى دائرة المعارف الاسلامية أن أصل كلمة تاريخ هو الأصل السامى العام لكلمة ورخ التى يلوح شبحها فى كلمتى ياريخ العبرية التى معناها القمر، ويريخ التى معناها الشهر، على هذا القياس يكون معنى كلمة التاريخ هو التوقيت أى تحديد الشهر ثم اتسع نطاق هذا اللفظ فشمل من جهة معنى تحديد حادث ما وبمعنى التأريخ، أى رواية هذا الحادث.

وسيأتى فى آخر هذا البحث فى الفقرة التى بعنوان (التأريخ فى الاسلام) انه معرب من الكلمة الفارسية ماه رووز.

التاريخ اصطلاحا

يقول البيروني في كتابه الآثار الباقية ص ١٣ تحت عنوان القول على ماهية التاريخ واختلاف الأمم فيها.

■ والتاريخ هو مادة معلومات تعد من لدن أول سنة ماضية كان فيها مبعث نبي بآيات وبراهين أو قيام ملك مسلط عظيم الشأن أو هلاك أمة بطوفان عام مخرب أو زلزال أو خسف أو وباء مهلك أو قحط مستأصل أو انتقال دولة أو تبدل ملة، أو حادثة عظيمة من الآيات السماوية . . . الخ.

■ وجاء في دائرة معارف وجدي: علم التاريخ يعرف الانسان مكانه من سلسلة الانسانية ومكانة أمته من الهيئة الانسانية، وفوق ذلك، هو محل العبرة ومثار العظات ومصدر العلم والسنن الالهية في تكوين الأمم واسعادها واهباطها وعلم هذا شأنه جدير بأن يكون في مقدمة العلوم اعتبارا وفي صدرها اكبارا.

المعروف تأريخيا أن دراسة التاريخ دراسة واعية تثري خبراتنا الانسانية وتنمي تجاربنا العلمية والعملية وتجعلنا نعايش أمماً ونخالط شعوباً ونزامل حضارات ماضية ومدنيات بائدة وويلات قاستها الانسانية وامتحنت بها الأمم وارتقت تارة وتدنت أخرى.

هذه بعض آراء عن التعريف بالتاريخ كاصطلاح علمي على مسماه.

■ ويقول صاحب تاريخ العالم «الحياة تجري كما يجري النهر وتفيض بالحوادث والعبر وهي في جريانها ترسب في الوجود طبقات من التجارب والمعارف بعضها فوق بعض وكل طبقة تعتمد على الأخرى وتبلور خير ما فيها وتحسنه وبذلك تفيد الطبقة المستحدثة من الطبقات المتقادمة على ما تجري به سنن التطور ودفعة التقدم وبقدر ما يتوفر للطبقة المستحدثة من معارف وتجارب الطبقات القديمة، تكون سرعة النماء والتقدم».

علم التاريخ

ان كلمة التاريخ كمصطلح على علم هو بطبيعة الحال خلاف علم التاريخ فقد أوردنا عن كلمة التاريخ ما يأتي:

١- *كلمة التاريخ لغويا.*
٢- *كلمة التاريخ اصطلاحا.*

والآن نأتي إلى علم التاريخ:

ان علم التاريخ علم كما وصفته دائرة المعارف الاسلامية، ينطبق باعتباره مصطلحا من مصطلحات الثقافة العلمية على تدوين الحوادث الحولية كما ينطبق على تراجم الرجال وسيرهم لاعلى تاريخ شامل للثقافة العقلية وعلى هذا يتلخص تصوره عند العرب والفرس في أربع مراحل:

١- **من البداية إلى القرن الثالث الهجري.**
٢- **من القرن الثالث الهجري الى القرن السادس.**
٣- **من القرن السادس الى القرن العاشر.**
٤- **من القرن العاشر الى القرن الثالث عشر.**

التاريخ عالميا

● نورد لمحة موجزة سريعة في التاريخ عالميا فنرى أنه منذ خلق الله الانسان ووعى هذا الانسان في دوره البدائي من أول التجمعات البشرية في شبه القرى خط السطور الأولى مجموعة من الأساطير والخرافات يصوغها في مفاهيمه البسيطة وتصوراته المحدودة مما يعتقده من القوى الغيبية ويجسدها في الانصاب والأحجار التي يعبدها من دون الله وما لها كما يعتقد من القوى والتحكم بزعمه.

● ثم جاء دور الوثنية المنظمة بأساطيرها الخرافية فصاغ الانسان في حدود رؤياه للاشياء ومداركه المحدودة شبه التاريخ شعرا جاشت به عواطفه معبرا عن تصوراته ورؤاه في شعر يطفح بالمبالغات والتهويل كما ورد ذلك في القصائد الهندية الموغلة في القدم وما

علم التاريخ يعرف الإنسان مكانه من سلسلة الانسانية ومكانة أمته منها.

التاريخ هو محل العبرة، ومثار العظات ومصدر العلم والسنن الالهية في تكوين الأمم واسعادها واهباطها.



تلاها من الملاحم الاشوريه والأساطير الأولى اليونانية.

وفى ابتداء عصر الملوك كان التأريخ الذى أصبح شأنه مذكوراً بالنسبة الى ما سبق وخلده الملوك والفاتحون فى مصر وبابل وأشور وحتى متمثلا فيما نفشوه على المعابد والهياكل والمسلات فى تسطير امجادهم ومآثرهم وفتوحاتهم.

● وجاء دور اليونان التالى بعد أن قطع أمدا فى مشوار حضارته الهيلينية وسجل تاريخه القديم متمثلاً فيما قام به (قادموس) الذى يقال إنه أول مؤرخيهم وذلك فى حوالى ٤٥٠ قبل الميلاد.

● وجاء بعده غيره من مؤرخين لم يعثر الا على القليل من آثارهم واقتفاهم بعد ذلك الرجل الذى أطلق عليه أبو التاريخ وهو المؤرخ (هومير) الذى وسّع دائرة التاريخ الذى كان محصوراً فى البلدة التى قد حصلت فيها الحوادث أو المعبد التابع لها إلى أجواء اليونان وما عرف من البلاد التى حوله، وتقديرا لمجهوده الفذ كرم من مواطنيه بقراءة مؤلفه فى ميدان الالعاب الأولومبية اعترافا بعمله الخالد، ثم جاء (بوليب) فجعله فلماً خاصاً فتلقى مجهوده اليونان بعد تحضرهم ونهضتهم بالتقدير.

ثم أن الرومان قاموا بدورهم الحضارى وفتوحاتهم التى كونت بها امبراطوريتهم المترامية الاطراف وأصبح لهم دورهم العالمى المعروف وبرز فيهم مؤرخهم الشهير (تيتليف).

●● وسار التاريخ من بعد ذلك يسير بخطى واسعة وان كانت دون ما وصل اليه بعد عصر النهضة والذى أصبح بعدها التأريخ علماً موسوعياً عالمياً يشمل هذا الكوكب الأرضى فأقبل المؤرخون على كتب الأقدمين وبالأخص فيما بعد القرن الثامن عشر عصر التحليل والتدقيق والنقد البناء والبحث عن الحقيقة المجردة وقسم التاريخ الانسانى إلى أربعة أقسام:

١ ـ *عصر ما قبل التاريخ.*
٢ ـ *من أول قيام الحضارات القديمة الى سنة ٤٩٥ بعد الميلاد.*
٣ ـ *من ٤٩٥ ـ ١٤٩٣م وهو تاريخ فتح الأتراك القسطنطينية ويسمى بتاريخ القرون الوسطى.*
٤ ـ *التاريخ العصرى وهو من سنة ١٤٩٣م الى هذا التاريخ.*

بداية التاريخ لدى الأمم

كانت الأمم تأرخ بالكوارث والحوادث الطبيعية الجارفة، كأن يقال ولد فلان عند حدوث الزلزال، أو انفجار البركان المسمى كذا وسنة القحط الماحق، وهكذا ولازال فى البوادى يقولون بمثل هذا، وفى كتاب تاريخ العقيق اليمانى فى وفيات وحوادث المخلاف السليمانى أشباه لذلك فيقول سنة (أم العظام) ويفسرها بقوله سنة المجاعة التى أفنت الناس وبلغ الحال بأن سحق الناس العظام وهى سنة ٩٧٣هـ وفى سنة ١٠٣٦ وقع قحط وهلك مالا يحصى وأرخ بها الناس فقالوا سنة سَحْبة.

والأمم عندما تتحضر تعمل لتاريخها بداية تكون نقطة الانطلاق ويكون انتشار وشيوع تلك البداية التاريخية بحسب أهمية دورها فكان قبل الأنبياء عليهم السلام يكون وقوع حدث هام، وأمر عظيم بالنسبة لتلك الأمة أولا، ولدورها التاريخى أو الحربى أو الحضارى بالنسبة لمن انسحب عليهم أهمية ذلك الدور أو الحرب أو الفتح مثل:

١ ـ *فتوحات أشور، أو عهد (حمورابى).*
٢ ـ *أسر الفراعنة وحروبهم وفتوحاتهم.*
٣ ـ *موت الاسكندر المقدونى.*
لغة الرسالات السماوية تتمثل فى:
٤ ـ *رسالة موسى عليه السلام بالنسبة الى التأريخ اليهودى.*
٥ ـ *ميلاد المسيح عليه السلام.*
٦ ـ *هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.*

وهذا على سبيل المثال والاختصار لا الحصر والاستيعاب.

التاريخ العربى قبل الاسلام

لم يصل الينا من الحضارات العربية البائدة الا ما قصه الله علينا فى القرآن الكريم من أخبارهم التى فيها عظة وعبرة.

أما تاريخهم المفصل وحضاراتهم وثقافتهم وحروبهم وآثارهم الحضارية أو الثقافية فلم تصل الينا، وقد يكون رهن طبقات الثرى حتى يهىء الله لعلماء الآثار فى المستقبل اكتشافها.

واليمن الشقيق ودوره الحضارى المعروف من آثارهم الخالدة المتمثلة فيما هو ظاهرمن بقايا السد وآثار القصور أو فيما اكتشف من النقوش والنقود والتماثيل والحلى، الا أن كل ذلك لا يعطينا تاريخا بمعنى كلمة التأريخ، مرتبا على السنين والوقائع والأحداث مثل تاريخ الفراعنة أو اليونان أو الرومان أو تاريخنا الاسلامى الهجرى، فمثلا: لا يعرف الباحث متى ابتدأ الدور الحضارى فى دولة (معين) على وجه التحديد من تاريخ يمنى عام. وكلما عرف من تاريخ ملوكهم فى دول قتبان وويسان ومعين وسبأ لم يبن على وجه التحقيق، حتى أن المكتشفين والباحثين لم يتفقوا على ترتيب أسماء ملوك تلك الدول أو تاريخهم على وجه التحقيق.

أما بالنسبة الى عرب وسط الجزيرة وشمالها وشرقها الشمالى فيما قبل الهجرة ١٥٠٠ سنة تقريبا فمعرفة ما يتخلله من الفتن والحروب القبلية واعتماده على الوقائع كقتل كليب وحرب داحس والغبراء وأيام حرب الفجار وعام الفيل مبنى على الرواية لا التاريخ الزمنى المرتب المكتوب.

● الأمم عندما تتحضر تعمل لتاريخها بداية تكون نقطة الانطلاق ويكون انتشار وشيوع تلك البداية التاريخية بحسب أهمية دورها.

التاريخ الاسلامى

بعث الله محمداً بن عبد الله النبى الأمى بالهدى ودين الحق فدعا الناس فى مكة عشر سنوات ولم يستجب الا القليل فأذن الله له بالهجرة التى أراد الله أن تكون المظهر الساطع والمنطلق الوضاء لدين الاسلام فأسلم الأوس والخزرج وتوافد المسلمون من المهاجرين واتسعت دائرة الأسلام فى المدينة ولم يحدد بداية تاريخه، وكان المسلمون فى المدينة على عهد رسول الله إلى أن انتقل إلى الرفيق الاعلى يسمون كل سنة من السنوات العشر التى عاشها فى المدينة كما يلى:

١ ـ السنة الأولى سنة الأذان.
٢ ـ السنة الثانية سنة الأمر بالقتال
٣ ـ السنة الثالثة سنة التمحيص.
٤ ـ السنة الرابعة سنة الترفئة.
٥ ـ السنة الخامسة سنة الزلزال.
٦ ـ السنة السادسة سنة الاستئناس.
٧ ـ السنة السابعة سنة الاستغلاب.
٨ ـ السنة الثامنة سنة الاستواء.
٩ ـ السنة التاسعة سنة البراءة.
١٠ ـ السنة العاشرة سنة الوداع.

وأخال أن بعد موته صلى الله عليه وسلم وما بعدها كان يقال السنة الأولى من وفاة رسول الله وكذا السنة الثانية والثالثة وهكذا. الى عام سبعة عشر من الهجرة من خلافة عمر الذى بدأ التاريخ الهجرى. ويستحسن هنا أن نرجع لما جاء فى كتاب الآثار الباقية للبيرونى: «وانما خص هذا الوقت بذلك ـ يقصد الهجرة ـ دون المولد والبعث والوفاة لأن عمر بن الخطاب على رواية ميمون بن مهران لما رفع اليه صك محله فى شعبان فقال عمر: أى شعبان الذى نحن فيه أو الذى آت ثم جمع صحابة رسول الله ﴿ﷺ﴾ فاستشارهم فيما دهمهم من الحيرة من أمر الأوقات وقالوا يجب أن نتعرف للحيلة فى ذلك من رسوم الفرس فاستحضروا الهرمزان واستعلموه ذلك. فقال إن لنا حسابا نسميه (ماه روز) حساب الشهور والأيام فعربوا (ماه روز) فقالوا مؤرخ، وجعلوا مصدره التأريخ وشرح لهم الهرمزان كيفية إستعمالهم ذلك وما عليه الروم من مثله، فقال عمر لأصحاب رسول الله ضعوا للناس تأريخا يتعاملون عليه، فقال: بعضهم اكتبوا على تاريخ الروم فانهم يكتبون على تأريخ الاسكندر فقيل انه يطول فقال الآخرون اكتبوا على تاريخ الفرس فقيل ان الفرس كلما قام ملك منهم طرح التأريخ ممن قبله فاختلفوا فى ذلك فروى الشعبى أن أبا موسى الأشعرى كتب الى عمر بن الخطاب انه تأتينا منك كتب ليس لها تاريخ وقد كان عمر دوَّن الدواوين ووضع الأخرجة والقوانين واحتاج الى تأريخ ولم يحب التأريخات القديمة فجمع عليه عند ذلك واستشار فكان أظهر الأوقات وأبعدها من الشبه والآفات وقت الهجرة وموافاة المدينة وكانت يوم الاثنين لثمان خلون من ربيع الأول وأول السنة يوم الخميس فعمل عليها وأرخ منها ما احتاج اليه وذلك فى سنة سبع عشرة للهجرة.

- ٢ -

الفكر

صفحات من التاريخ المحبط بنا

● من البديهيات المسلمة أن الفكر والأدب يرتبطان ارتباطا وثيقا بالاوضاع السياسية والاجتماعية . . والدينية . . اما رفضا أو ايجابا . . مصورا للحياة التى يعيشان فى ظلها بالصورة التى يراها المفكر أو الاديب . . فان كان من المنتفعين بتلك الاوضاع فهو سيعايشها ويمجدها شعرا ونثرا . . وان كان من الرافضين المقهورين فسوف يعايشها قدحا وتجريحا . . ولذلك فقد ملئت كتب الادب والتاريخ بالمقالات والرسائل والقصائد الشعرية على مر العصور ما عدا فترة الحكم القرمطى فان تاريخهم يكاد يكون خاليا من أى أثر يتحدث عنهم أو معايشا لهم تحت سقف اجتماعى وظرف سياسى وكلما وجد لهم فهو شذرات قليلة خلفها دعاتهم وزعماؤهم . . وسجلتها كتب التاريخ كجزء من تاريخهم . . بعكس الفاطميين فى مصر . . والاسماعيلين فى الهند وفارس . . فقد أغنوا المكتبة العربية والاسلامية من كتب التراث الخالد . . فى الدين والأدب والفلسفة والعلوم . . والسياسة .

القرمطى

يتلوها بقلمه الرصين الاستاذ عبد الله أحمد الشباط

أما قرامطة الاحساء . . أو البحرين . . فليس لهم أى اثر . . ولم يعتمد على أى كتاب من كتبهم التى يتحدثون فيها عن مبادئهم السياسية والاجتماعية . . وعقائدهم الدينية ولم يعثر على أى أثر يعطى وجهة نظر محدده فى أمر من الأمور . . أو تفسيراً مقنعا لكثير من تصرفاتهم . . كانقلابهم ضد الفاطميين وتحالفهم مع العباسيين . . أو قلع الحجر الأسود وقتل الحجاج فى الحرم .

ونتيجة لعدم الاهتمام بالاقناع . . أو شرح وجهات النظر المختلفة . . فان تلك الأمور تمر على الباحثين . . والمؤرخين فيسجلونها فى مثالب القرامطة . . ويضعونها فى مرتبة الكبائر . . اللهم ان كان المؤرخ اسماعيليا فانه سيتعاطف ويذكر

تلك الاحداث بشيء من الحياد. . ونحن هنا لا نملك سوى ترديد ما كتبه المؤرخون القدامى دون زيادة. . ودون أن نستطيع اعطاء حكم قاطع ومحدد. . الا على ضوء ظواهر الأفعال والأقوال.

رسائل اخوان الصفا:

تعتبر رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا دستورا علميا فلسفيا للاسماعيليه ومن حمل دعوتها. . وبما أن القرامطة قاموا على هذا الاساس. . فان رسائل اخوان الصفا تعتبر تعبيرا حقيقيا عن أفكارهم وفلسفاتهم. . فمن هم اخوان الصفا؟

●● يجيب على هذا التساؤل المستشرق بندلى جوزى بقوله: «اخوان الصفا جمعية أو حلقة علمية سرية لم يشأ أصحابها أن يعرفهم الناس. . أو أن يتعرفوا على محل اقامتهم خوفا من بطش الحكام. . ولهذا نرى أكثر كتبة العرب المتقدمين ممن بحثوا أحوال هذه الجماعة يعطون تفسيرات اجتهادية على الظن والتخمين».

«والواقع ان جمعية اخوان الصفا - اخويه قرمطية - تأسست فى - البصرة لنشر المبادىء الاسماعيلية والعمل على تطبيقها بطرق هى غاية فى اللطف.»

●● ويذهب الاستاذ محمود الاعظمى أن ميمون القداح قد احاط ابنه عبد الله بن ميمون بثلاثة من المفكرين. . ممن لهم باع فى العلوم الدينية والفلسفية. . والنجوم والحساب. ومن المتضلعين فى اللغة والأدب. ولهم معرفة بالفلسفات اليونانية والهندية والفارسية وعمق فى معرفة الديانات المتقدمة. . اشتركوا أولا فى مشاركته الاسم فكل منهم اسمه عبد الله. . وهم عبد الله بن المبارك. . عبد الله بن حمدان. . عبد الله بن سعيد. . ورابعهم عبد الله بن ميمون القداح. . واشتركوا ثانيا فى وضع هذه الرسائل كمنهاج لطالبى المعرفة من الدعاة ولتثبيت أسس تلك الدعوة عن طريق الفكر.

●● ويذهب بعض المؤرخين. ان اخوان الصفا هم صفوة الفكر القرمطى فى دور التستر. . وكان هؤلاء الصفوة موزعين على البلاد الاسلامية خوفا من الحكام. . فلا يجتمعون الا فى النادر لذلك كانت هذه الرسائل بينهم بمثابة التوجيهات يتلقاها بعضهم من البعض الآخر فاذا حصلت عنده استنسخها وبعثها الى الدعاة الآخرين حتى اجتمعت تلك الرسائل فاتخذوها دستورا.

●● ومؤرخ آخر هو المسعودى: يقرر أن مقر جماعة اخوان الصفا هو مقر الحكومة القرمطية اينما وجدت. . وان هذه الجماعة ما هم الا مستشارون للامام المستور.

●● ويرى غولد رينهر: أن هذه الرسائل لم تكن خاصة للقرامطة. . فان كثيرا من الحركات الدينية التى نشأت فيها بعد كالصوفية. . والبكطاشية. . والمولوية. . والبابية. . والبهائية ليست الا فروع من القرمطية متأثرة بتلك الرسائل.

● ونجد كلمة (يا أخى) فى تلك الرسائل تتكرر عندما يخاطب الكاتب القارىء. . ولعل تلك الكلمة هى التى جعلت حمدان بن الاشعث يطلق على عشاء المحبة (عشاء الاخية) فيها بعد والمؤلم ان تجد هذه الرسائل الاهتمام من المفكرين الغربيين - والمستشرقين - أكثر مما تجده لدى العرب المسلمين - الذين يتوجب عليهم شرحها وتفسيرها ومناقشتها والرد على ما فيها مما يتعارض مع العقيدة الاسلامية ان كان فيها شيء من ذلك. وها هو فون برايمر أحد المشتغلين بالفلسفة يتخدها - الرسائل - مرجعا. ويتحدث عنها باعجاب: اننا أمام أمر واقع وهو نشر عصبة دينية ذات ميول فلسفية ومبادىء اسماعيلية. . وكانت البصره أهم مراكز تجمعها وغايتها. . ان يعمل الناس على خلاص نفوسهم بالتعاون.

والعلم المطهر ولا نعرف فى الشرق الاسلامى عصابة أخرى كانت تعول على قوة العلم والفلسفة فى سبيل تحقيق السعادة الانسانية وتحقيق الاخاء الانسانى.

● فاذا صح هذا الرأى تستطيع أن تقارن هذه الافكار الواردة فى ثنايا رسائل اخوان الصفا بالمبادىء العلمية.. ذات الصيغة العلمانية.



● وأقرب شبه لرسائل اخوان الصفا هى رسائل كيرلولى فى الانجيل ان لم يكن هؤلاء قد ترسموا خطاها وأخذوا عنها مبادئهم العامة.. وخطوطها الرئيسية وتناولوها بالشرح والتأويل.. وقد طبعت أول مرة فى بومباى بالهند ثم طبع قسم منها بالقاهرة.. ثم طبعت كاملة فى ١٢ مجلدا ببيروت.

أما قرامطة الأحساء فقد برز منهم فى الاهتمام بالشعر والأدب:

أبو طاهر سليمان بن أبى سعيد الجنابى:

وقد وردت له عدة رسائل نختار منها هذه الرسالة إلى الخليفة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين». من أبى الحسين الجنابى الداعى الى تقوى الله القائم بأمر الله الآخذ بثأر رسول الله. الى قائد الأرجاس المسمى بولد العباس..

أما بعد.. عرفك الله شد الأمور وجنبك التمسك بحبل الغرور.. فانه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك.. وذكرك ما وصفته من نظم كلامك وتمت به فخامة اعظامك من التعلق بالاباطيل والاصغاء الى فحش الاقاويل (من الذين يصدون عن السبل فبشرهم بعذاب أليم) على حين زوال دولتك ونفاد منتهى طلبتك وتمكن أولياء الله من رقبتك وهجومهم على معاقل أوطانك صفرا.. وسبيهم حُرَمَك قسرا وقتل جموعك صبرا (أولئك حزب الله) وجند الله هم الغالبون.

هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر كالاسد الغضنفر فى سرابيل الظفر.. فتقل سيف الغضب مستغنيا عن نصر العرب.. لا تأخذه فى الله لومة لائم (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) قد اكتنفته الغرة من حواليه.. وسارت الهيبة بين يديه وضربت الدولة عليه سرادقها. وألقت عليه قناع بوائقها.. وانقشعت طخياء الظلام ودجنة الضلالة.. وغاضت بحار الجهالة ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ تالله غرتك نفسك وأطمعتك فيما لست نائله وسولت لك ما لست واصله.. فكتبت لى بما أجمعت عليه أذهان كتابك ذكرتني بالعيوب الشنيعة وقذفتنى بالمثالب السمجة (تالله لتسألن عما كنتم تعملون).

هذه فقرات من بعض رسائله وهى تعطى فكرة عن طريقته فى التعبير عن آرائه.. لكنها أفكار غير مرتبة المواضيع وحسبما جاء فى فقرات الخطاب جاء الجواب.

أما شعره فقد نسبت اليه أشعار منها:

يا ساكن السليل المنيف تعززا
بقلاعه وكهوفه وحصونه
ما العز الا للعزيز بنفسه
وبخيله وبرجله وسيوفه
وبقية بيضاء ضربت على
شرف الخلال لجاره وضيوفه
قرم اذا اشتد الوغى أردى العدى
وشفى النفوس بضربه ورخوفه
لم يجعل الشرف التليد لنفسه
حتى أفاد تليده بطريفه

وقال فى رسالة يتهكم فيها بمؤنس الخادم:

قولوا لمؤنسكم بالراح كن انسا
واستتبع الراح سرناى ومزمارا
وقد تمثلت عن شوق تقاذفنى
بيتا من الشعر للماضين قد سارا
نزوركم لا نؤاخذكم بجفوتكم
ان الكريم اذا لم يستزر زارا
ولا نكون كأنتم فى تخلفكم
من عالج الشوق لم يستبعد الدارا

الحسن الأعصم:

هو أغزرهم شعرا وأكثرهم ذكرا فى كتب الادب.. يمتاز شعره بالسلاسة وقوة التعبير وان كانت مواضيعه لا تخرج عن الحديث عن نفسه.

فنراه يبعث بقصيدة الى جعفر بن فلاح والى دمشق يشرح له ما قد يحل به:

الكتب معذرة والرسل مخبرة
والحق متبع والخير محمود
والحرب ساكنة والخيل صافنة
والسهم مبتذل والظل ممدود
فان أنبتم فمقبول انابتكم
وان أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المنايا أو يرون فنا
دمشق والباب ممدود ومردود
انى امرؤ ليس من شانى ولا أربى
طبل يرن ولا ناى ولا عود
ولا أبيت على خمر ومجمرة
وذات دل لها غنج وتأويد
ولا أبيت بطين البطن من شبع
وجار بيتى خميص البطن مجهود
ولا تسامت بى الدنيا الى طمع
يوما ولا غرنى فيها المواعيد

ومن شعره الجيد قوله:

له مقلة صحت ولكن جفونها
بها مرض يسبى القلوب ويتلف
وخد كروض الورد يجنى بأعين
وقد عز حتى انه ليس يقطف
وعطفة صدغ لو تعلم عطفها
لكان على عشاقه يتعطف

وقال عن نفسه عندما أحس بدنو أجله:

ولو أنى ملكت زمام أمرى
لما قصرت فى طلب النجاح
ولكنى ملكت فصار حالى
كحال البدن فى يوم الأضاحى
بعدن الى الردى فيمتن كرها
ولو يسطعن طرن مع الرياح

وعندما عاد من غزو مصر قال هذه القصيدة:

أغركم منى رجوعى الى هجر
فعما قليل سوف يأتيكم الخبر
اذا طلع المريخ من أرض بابل
وقاربه النجمان فالحذر الحذر
ألست أنا المذكور فى الكتب كلها
ألست أنا المنعوت فى سورة الزمر

اتخذ القرامطة وغيرهم الدعوات المذهبية وسيلة لممارسة تدبير المؤامرات ضد الإسلام والمسلمين.

وعندما احتل الشام ـ ودخل الرمله سنة ٣٥٠ لم ينس الشعر والأدب. . وقد نقل لنا الحسين بن عثمان الخرفي الفارقي التميمي قال:

«كنت بالرملة عندما ورد علينا أبو على الحسن القرمطي وعليه ثياب قصيرة. . فاستدناني منه وقربني الى خدمته. . فكنت ليلة عنده اذ حضر الفراشون بالشموع فقال لابي نصران كشاجم وكان كاتبه. . ما يحضرك يا أبا نصر في صفة هذه الشموع؟ فقال: انما نحضر في مجلس السيد لنسمع كلامه ونستفيد من أدبه. . فأنشد:

ومجدولة مثل صدر الفتاة
تعرَّت وباطنها مكتس
لها مقلة هى روح لها
وتاج على هيئة البرنس
اذا غازلتها الصبا حركت
لسانا من الذهب الأملس
يتيح فى وقت فتون جواها
صباءا يجلى وحى الحندس
نحن من النور فى أسعد
وهى من النار فى أنحس

■ وكان لا بد من رجعية عنيفة تزلزل أركان العقيدة وتهدها من الأسس كما ورد فى احدى الرسائل المنسوبة الى بابك الحزمى والموجهة الى مازيار: (لو اتبعتنى لاستطعنا أن نقضى على الاسلام ونرجع الى ديننا الفارسى القديم).

■ هذا هو الهدف. . الذى اتخذت الدعوة لآل البيت ـ ثم الدعوة الاسماعيلية غطاءا له وسترا لتستتر وراءه الهوة العميقة التى أعدت للاسلام والمسلمين. .

وأصبحت الدعوات المذهبية هى الوسيلة لممارسة تدبير المؤامرات. . ورسم الخطط لكسب المزيد من الأنصار.

■ صحيح أن الدولة العباسية قد استطاعت أن تقضى على بعض تلك الحركات. . وتقبض على بعض رؤسائها وحكامها وتحكمهم. . لكن ذلك استنفد كثيرا من المال والرجال. . والوقت. . حيث استمرت فى حرب. . هى أشبه بحرب العصابات. . مالا يقل عن عشرين عاما تركت بصماتها مطبوعة فى الضمير الاسلامى. . كما تركت جراحاتها تنزف الى وقتنا الحاضر.

■ ولقد ساعد أولئك الخارجين على القانون. . عامل مهم. . سجله المؤرخون بنغمة لا تزال تقطر أسى. . وهو تقريب الخلفاء للعناصر الفارسية. . والرومية. . وتسليمها مقاليد الامور فى الدولة. . فرأى الأعجام أنهم قادرون على القيام بأى عمل يتلاءم مع رغباتهم ويحقق مصالحهم. . ولو أدى ذلك الى خلع الخليفة وتغييره بآخر. . وقتله فى بعض الاحيان. . وكانوا يرددون حقيقة ثبتت فى أذهانهم كقولهم: من أعان ظالما سلطه الله عليه. .

■■ أما العرب الذين نذروا أنفسهم لخدمة الاسلام منذ مطلع الرسالة. . وجندوا أنفسهم لخدمة الدولة وفى مقدمتهم محمد بن البعيث والى اذربيجان السابق ـ وحاتم ابن هرثمة زعيم القبائل العربية بفارس. . فقد رأوا أنفسهم قد ضاعوا فى زحمة الاحداث. . وان كيانهم مهدد بالذوبان بين تلك الثغرات الشعوبية والدعوات المحمومة للقضاء على اللسان العربى. . والآداب العربية. . والأخلاق العربية. . تحت سمع وبصر الخلفاء العباسيين. . فلم يكن لهم بد من محاولة اثبات وجودهم بالانتقام والتآمر. . والتحالف مع الاعداء كما أشار الى ذلك اليعقوبى: (إن عمال الخليفة الكبار فى أرمينيا واذربيجان هم الذين شجعوا بابك الحزمى على

الخروج عن طاعة السلطان وحرضوه على العصيان واعدين إياه بالعون والمساعدة). فساعدوا بذلك على بروز تلك الدعوة الشعوبية الانفصالية الدخيلة على الاسلام.

ليست النهاية

في الفصول السابقة قدمت لك فكره موجزه عن القرامطة وفرقهم المتعدده.. وأنا أعترف أن ما قدمته ليس سوى تسجيل لفترة حرجة من تاريخ الاسلام والمسلمين حيث عششت تلك الدعوات في جسم الامة الاسلامية بفعل الانحلال الخلقى والتفكك السياسى والطمع الاجنبى. والحقد الذى ظل كامنا في النفوس لمدة قرون تحت ضغط الانتشار العظيم للاسلام.. والقوة الروحية والمادية لدولة الاسلام التى فرضت هيبتها على مشارق الارض ومغاربها وكانت غايتها وديدنها الارتفاع بالانسان وتطهير روحه وجسمه ووضعه في المكان الذى كرمه الله به.. غير أن الاوضاع التى سادت العالم الاسلامى ـ فضيعت القيم ـ جعلت من أمة الاسلام نهبا للطامعين ومرتعا للدعاة والمتآمرين.. بعد أن فقد الانسان حريته وكرامته.. فوجد الحاقدون فرصتهم مواتية لضرب الاسلام وتمزيق دوله.. فانتشرت تلك الدعوات وما صحبها من بدع وخرافات.. وأصبحت دول وكيانات استطاعت الصمود فترات ليست بالقصيرة لكنها في النهاية اندحرت وذابت بعد أن أغرقت العالم الاسلامى في متاهات من الحيرة والتمزق التى تحولت الى أسلحة فتاكة بأيدى المعتدين والمحتلين.. لقد غرسوا في كل جزء من العالم الاسلامى حزمة من الشوك.. حتى قضوا على الدولة العباسية وفرقوا أوصالها.. ثم أسقطوا الدولة الأموية في الاندلس واحتلوا بلادها.. ثم شنوها حربا لا هوادة فيها.. في فلسطين.. وأفغانستان.. وفي أفريقيا.. وفي لبنان.. حربا بالسلام.. وحربا بالمال وحربا بالعلم.

ثم اتجهوا الى المسلمين في عقر دارهم. بدبابات التشكيك.. والخلاعة.. ونبذ القيم ليعود الاسلام غريبا كما بدأ.. مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم.

■■ ولقد أعتمدت يا قارئى العزيز في كل ما كتبته على بعض المراجع.. التى تتحدث عن هذه الدولة.. وكأنها من عالم آخر مكتفية باشارات قليلة لا تسمن ولا تغني ولا تعطى أى تصور.. بل ان كثيرا من كتب التاريخ القديم تروى ذكر القرامطة بالشتم دون أن تعطى تبريرا ينير طريق القارىء الباحث عن الحقيقة.. اما ان كان الكاتب ممن ينتحلون نحلتهم ويدين بمذهبهم فيذكرهم بالاكبار والتمجيد دون أن يعطى مبررا لذلك.

وعندما كتبت عن القرامطة ليس حبا في تسجيل تاريخ هؤلاء الذين لم نلمس من أمجادهم أو آثارهم أى أثر محمود يشهد لهم.. بل لأسجل حقبة من تاريخ بلادى لا يعرف عنها القارىء العربى خلال قرنين من الزمن شيئا ـ ولعل القارىء يتصور أن هذه الفترة قد ضاعت في زحمة التاريخ.

لقد رجعت فيما يختص بالعقيدة والمذاهب الاسلامية الى ما كتبه الشهر ستانى وابى منصور البغدادى.

وقد اعتمدت اعتمادا كليا في تسلسل الاحداث زمنيا على كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير.. أما عن الحياة الاجتماعية.. والاقتصادية فان المراجع العربية لا تعطى الا القليل من الاشارات.. لذلك رأيت أن واجبى الرجوع الى كتاب ـ سفر نامه.. للرحالة الفارسى الاسماعيلى ناصرى خسرو.. وما كتبه المستشرق الالمانى دى. خويه.. والمستشرق الروسى بندلى جوزى.. فنقلت عنها المنصوص بتصرف.

قضية للمناقشة

الرابطة

الرأي الآخر

يناقش بطلان نظرية داروين

للأستاذ فيصل الملياني

■ بطلان نظرية داروين ومواقف العلماء والمفكرين من الانسان والقرد.. هل انحدرا من سلالة واحدة حقا؟

● من النظريات التى حاولت أن تضفى على نفسها صفة العلم، وهى أبعد ما تكون عن العلم، وقد ذاع صيتها فى القرن الهجرى الماضى، وأثارت ضجة كبرى فى الاوساط العلمية والفكرية والثقافية، واستعملت كسلاح للتشكيك فى قيم الدين وتعاليم السماء نظرية «داروين» المشهورة بنظرية «النشوء والارتقاء» للباحث «داروين» الانجليزى اليهودى الاصل، الذى عاش ما بين عام (١٨٠٩-١٨٨٢م) وملخص نظريته: ان جميع الكائنات الحية، ترجع الى أصل واحد مشترك أسماه خلية الحياة الاساسية الاولى، التى تطورت عبر حقب مديدة من الزمن، وارتقت بفعل عوامل مادية بحتة، واتخذت أشكالا مختلفة، الى أن استوى منها الانسان والحيوان والنبات على الصورة التى نعرفها اليوم عن مختلف أشكال الكائنات الحية المعاصرة لنا، وتأسيسا على ذلك - حسب النظرية - فان الانسان والقرد قد انحدرا من سلالة واحدة.

لقد نشر داروين أبحاثه فى كتاب «أصل الانواع» ١٩٨٤، مدعيا أن أبحاثه قد قامت على الملاحظة العلمية.

وقد تلقت هذه النظرية انتقادات عديدة، وردودا شتى، من طرف العلماء والمفكرين فى العالم وانقسموا بشأنها الى اتجاهات كثيرة. فمنهم من أيدها وهلل لها، ومنهم من عارضها معارضة شديدة، وهناك من تحفظ عليها، أو حاول التوفيق بينها وبين الدين.

والذى أنبه اليه فى البداية اننى لا أريد التعرض لأصول النظرية، فذلك له مراجعه ومصادره التى يمكن الرجوع اليها بسهولة، وانما أريد ان اتناول بالبحث نقطتين أساسيتين هما: (إثبات بطلان نظرية داروين ومواقف العلماء والمفكرين منها).

● العلم يبطل نظرية داروين:

ان العلم القائم على الملاحظة التجريبية والذى حاولت النظرية ان تتكىء عليه وتتمسح بمسوحه، هو الذى أثبت بالدليل القاطع بطلان نظرية داروين وفسادها وقد كشف زيفها، وذلك للاسباب الاتية:

ان ما أسماه داروين بتطور الكائنات الحية من نوع الى آخر، كتطور وتحول البقرة الى حصان، أو كتطور القرد الى انسان عملية خيالية غير واقعية، لم تحصل لا بالتجربة ولا فى الحياة العامة، ولم يلاحظ ذلك على الاطلاق عبر تاريخ البشرية الطويل الى يومنا هذا، وبالتالى فلا يمكن اعتبار النظرية علمية، وفى ذلك قال الاستاذ وحيد الدين خان «هذه النظرية هل لاحظها أحدهم، أو جربها فى عمله؟ والجواب لا، فذلك ضرب من المستحيل، ان مزعومة الارتقاء معقدة، وهى تتعلق بماض بعيد جدا، حتى انه لا سؤال عن تجربتها أو ملاحظتها.

واستحالة ملاحظة نظرية داروين، وخروجها عن دائرة التجربة والاخضاع للاختبار وبالتالى خروجها عن نطاق العلم التجريبى ـ رغم ان انصارها يحاولون اقحامها على العلم التجريبى ـ هى التى جعلت العلامة «جاسمين كونانت» الرئيس السابق لجامعة هارفارد يقول: «**ان كثيرا من تلك النظريات المتعلقة بأصل الحياة ومنشئها، ليست نظريات علمية على الاطلاق، بل مجرد أفكار تأملية لا يمكن اخضاعها للاختبار**».

● النظرية واكتشاف اختلاف وحدات الوراثة

اعتمدت نظرية داروين على الحفريات لكن الاكتشافات العلمية الحديثة المتطورة والاجهزة العلمية الدقيقة ـ والتى لم تكن متوفرة فى عصر داروين ـ قد كشفت عكس ما ذهب اليه داروين، فقد قام الدكتور «ليكى» مدير المتحف الوطنى فى كينيا، بابحاث فى هذا المجال دامت حوالى ٨٢ سنة وانتهت عام ١٩٤٦ وقد اكتشف خلالها نموذجين من الجماجم وقيس عمرها بأجهزة الاشعاع الذرى، فبلغ عمرها مليونين وستمائة ألف سنة، وحجم مخها ضعف حجم مخ القرد، واستنتج من ذلك ان الانسان الحديث أقرب انتماء لهذه السلالة منه للقرد.

ان الاكتشاف العلمى الذى هدم نظرية داروين من أساسها، هو اكتشاف اختلاف وحدات الوراثة، التى أثبتت استحالة تطور الكائن الحى وتحوله من نوع الى آخر:

«**هناك عوامل وراثة كامنة فى خلية كل نوع، تحتفظ له بخصائص نوعه، وتحتم ان يظل فى دائرة النوع الذى نشأ منه، ولا يخرج قط من نوعه، ولا يتطور الى نوع جديد، فالقط أصله قط وسيظل قطا على توالى القرون، والكلب كذلك، والثور والحصان والقرد، والانسان، وكل ما يمكن ان يقع ـ حسب نظريات الوراثة ـ هو الارتقاء فى حدود النوع نفسه، دون الانتقال الى نوع آخر**».

وهذا هو الاكتشاف العلمى الطبيعى، الذى أعدم نظرية داروين وأقبرها وقضى عليها، وهو ما أشار اليه الفيلسوف «**برتراند راسل**» حين قال فى كتابه «**النظرة العلمية**»: «**لقد أخطأ داروين فى قوانين الوراثة حتى غيرتها قوانين مندل تغييرا كليا**».

بل وتبلغ نظرية داروين قمة التفاهة والسخافة حين أعلن عن موقفه من نظريته حيث قال: «**موقفى حول هذا الموضوع ـ أى أصل الانسان ـ هو موقف اللا أدرى، ولا أستطيع ان ألقى بصيصا على مصل هذه المشاكل العميقة**».

الآن وقد تأكد لنا بالدليل العلمى القاطع فساد وزيف هذه النظرية، فكيف كانت مواقف العلماء والمفكرين منها؟

● مواقف علماء الغرب من نظرية داروين

انقسم علماء الغرب ومفكروه بشأن نظرية داروين الى فريقين:

الفـريق الاول: قبـل النظريـة، رغم ثبـوت بطلانها، لا لشيء الا لانهم ملاحـدة لا يؤمنـون بالخالق عز وجل، فلم يجدوا ما يفسرون به علة ظهور اول انسـان على الارض، وهو آدم عليه السلام، فدافعوا عن النظرية وناصروها. ومن أولئك العلماء (ر. س) الـذى قال: «**ان نظـريـة داروين وسيلة منطقية لتفسير مظاهر الخلق وليست بملاحظة واقعية**».

والقـول نفسه نجده عند «**ارثركيث**» الذى قال عن النظرية: «**الارتقاء غير ثابت ولا يمكن اثباته، ونحن نؤمن بهذه النظـريـة لان البديل الوحيد هو الايمان. بالخلق المباشر. وهو أمر لا يمكن حتى مجرد التفكير فيه**».

وواضـح من النص، ان ارثركيث لا يريد مجرد التفكير فى الخلق المباشر حتى لو كان هو الحق لانه ملحد لا يؤمن بالخالق المباشر المبدع، الذى يقول للشيء كن فيكون.

فالنظـريـة عند هذا الفريق من علماء الغرب. يـديـولـوجية لتفسير خلق الانسان الاول، وليست حقيقة علمية.

اما الفريق الثانى: من علماء الغرب ـ فقد رفض النظرية، حينما اكتشف بطلانها وأدرك زيفها، ومن هؤلاء العلماء: العلامة «والاس» الذى أعلن «**انه من المستحيل ان يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقة التطور والارتقاء حيث ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الانسان**»

بل ان هنـاك من علماء الغـرب من سخـر من النظرية، وتهكم عليها لما استيقن من فسادها، ومنهم العلامة: الدكتور الفسيولوجى «إيلى دوسيون» الذى قال عن النظـريـة «**الـداروينيـة لا تقـوم الا على حكـايات مخترعة لا تعلو قيمتها العلمية على قيمة حكايات المرضعات**».

● مواقف علماء العرب والاسلام من النظرية

انقسم علماء العـرب والاسلام فى مواقفهم من النظرية منذ ظهورها الى الآن الى ثلاثة أقسام:

الفـريق الاول: تصدى للنظرية وعارضها ورفضها جملة وتفصيلا، مستلهما فى ذلك روح القرآن ومتفطنا الى خلفيـات النظـريـة وأهـدافهـا الخبيثـة، وهى التشكيـك فى الدين واشاعة الحياة الحيوانية، وتبرير الثورة على الاخلاق والقيم الانسانية الرفيعة، ومن أولئـك العلماء: جمال الـدين الافغانى الذى هاجم النظرية بشدة واعتبرها مما ينافى الدين، وألف فى ذلك كتـابـه «**الـرد على الـدهريين**» كما عارض النظرية وهـاجمهـا عمالقـة الفكـر الأسـلامى الحديث ودعاة الاســلام المخلصــون، نذكـر على سبيــل المثـال الاستاذين سيد قطب رحمه الله ومحمد قطب والأستاذ انور الجندى وكثير غيرهم.

الفـريق الثـانى: من كتـاب العـرب قبل النظرية، وروج لها ومن هؤلاء «**سـلامـة موسى**» الذى كتب مقـدمـة الطبعـة الاولى من كتـاب «**التطـور واصل الانواع**» وقال فى تلك المقدمة: «**نظرية التطور من النظـريــات الكـبرى التى تسيطـر على الثقـافـة الاوروبيـة وتصيـغ عقلية المفكرين فى جميع أنحاء العــالم الآن، وهى قائمـة فى الاصـل على درس التاريخ الطبيعى والحيوان والنباتات**».

امـا الفريق الثالث: قد حاول التوفيق بين النظرية والاسلام، اعتقادا منه انه يوفق بين الدين والعلم ـ رغم أنه لا يوجد أصلا فى القرآن الكريم ولا فى السنة المطهرة ما يشير الى ان الانسان قد تطور من حيوان سبقـه الى الوجود ـ ومن هذا الفريق نجد الشيخ: «**محمـد رضـا آل العلامة التقى الاصفهانى**» حيث اعتـبر ان النظـريـة ليست مما ينافى الدين، وكذلك الدكتور صابر طعيمة الذى حاول ان يوافق بين نظرية داروين والاسلام فى كتابه (**الاسلام والتقدم الاجتماعى**).

نموذج

لتفوق الفكر العربي في الطب والصيدلة

في العهد الذى كانت الاندلس خاضعة لسلطان مراكش تكونت ـ كما يقول لوكلير (ج ٢ ص ٢٤٠) جماعة من الاطباء التفت حول ملوك المرابطين والموحدين وسار معظمهم فى ركاب هؤلاء الملوك الى المغرب حيث قضوا بقية حياتهم فى العلاج وتدريس الطب ـ فأفاد المغرب كثيرا من نكبة الاندلس.

وقد أكد الدكتور (رينو) أن المغرب لم يقم على وجه العموم بدور يذكر فى العصر الذى كان الطب وبقية العلوم يتألق نورها فى سوريا والعراق ومصر وحتى فى اسبانيا المجاورة ولكن منذ أواخر القرن الحادى عشر وخاصة الثانى عشر ابرز عصور اسبانيا المسلمة امتزج تاريخ الاندلس بتاريخ المغرب تحت راية المرابطين والموحدين ثم يقول رينو:

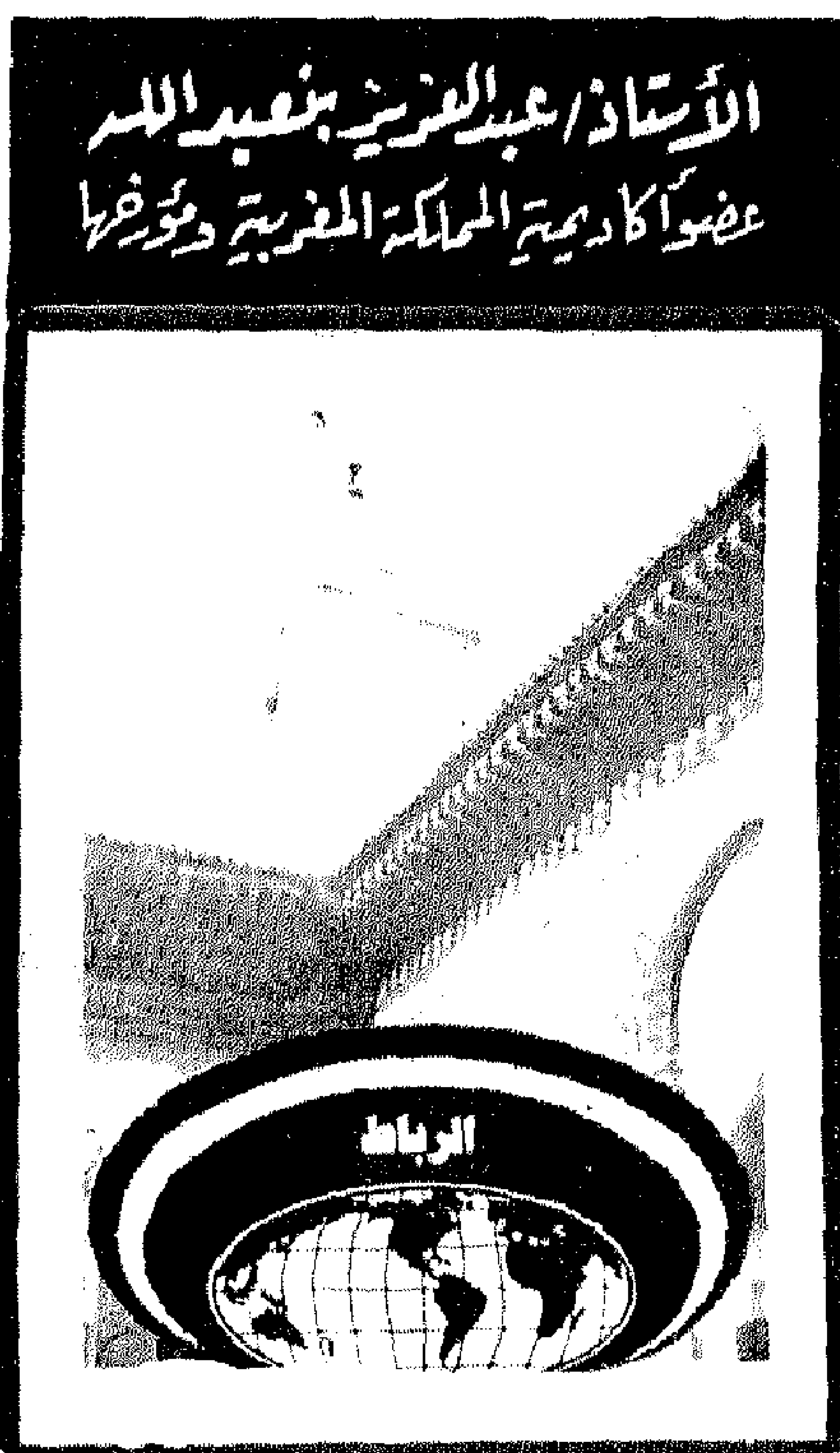
«فكيف اذن يمكن أن نفصل بين دراسة الطب بالمغرب ودراسة حياة العلماء الذين أنجبتهم الاندلس أو الذين تكونوا فى مدارسها ثم ساروا فى أعقاب ملوك المغرب من اشبيلية أو قرطبة الى فاس أو مراكش او اغمات.. فللمغرب الحق اذن أن يتبنى ابن باجة وابن طفيل وابن رشد.. الخ» (الطب القديم بالمغرب نشرة معهد الدروس العليا عدد ١ ص ٧٢).

ويظهر أن ابا العلاء زهر بن زهر هو أول طبيب اندلسى ورد على المغرب بعد استيلاء المرابطين على الاندلس، وقد كان طبيبا خاصا ليوسف بن تاشفين بعد ان كان طبيب المعتمد بن عباد باشبيلية.. وقد ذكر المراكشى فى المعجب ان المعتمد استدعى ابا العلاء لمعالجة الرميكية عندما كان أسيرا بأغمات.

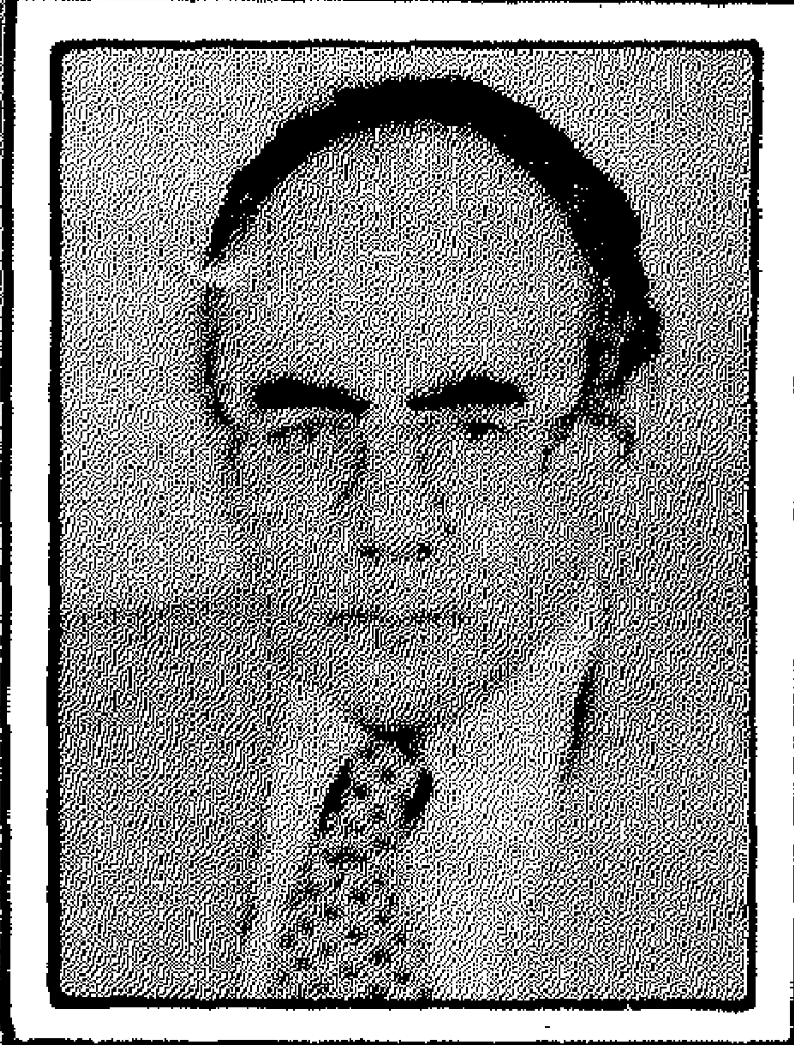
ووالد ابى العلاء هو ابو مروان عبد الملك بن ابى بكر محمد بن مروان بن زهر الذى تولى رياسة الطب ببغداد ثم بمصر ثم بالقيروان (النفح ج١ ص ٤٤٥).

وكانت له اراء شاذة فى الطب منها منعه من الحمام اعتقادا منه بأنه يعفن الاجسام ويفسد تركيب الأمزجة (عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن ابى اصيبعة (٢ ص٦٤-٦٦).

وقد تمخضت تجارب أبى العلاء فى المغرب



يجلو لنا الكاتب في هذا المقال ما أحرزه علماء المسلمين من تفوق في مجال العلوم والطب والصيدلة.. وما حققوه في ذلك يعد سبقاً علمياً أثرى به اللاحقون من العلماء والمخترعين أبحاثهم واكتشافاتهم.. ولا تزال بعض أسماء علمائنا القدامى تتردد في الأوساط العلمية ويذكر لهم الفضل.



عن تأليفه لكتاب التذكرة (**الذي ترجمه وطبعه كولان عام ١٩١١ بباريس**) وهو مجموعة من الملاحظات سجلها لولده ابن زهير لتعريفه بالادواء الغالبة فى مراكش والادوية المناسبة.

وبعدما توفى أبو العلاء امر على بن يوسف بجمع ملاحظات طبية أخرى كان أبو العلاء سجلها فى أوراق وهى «**المجريات**» التى جمعت بمراكش عام ٥٢٦هـ والتى يوجد مخطوط منها فى الاسكوريال (رقم ٨٤٤).

وقد ترجم (**جان دوكابو**) التذكرة من العبرانية الى اللاتينية (نسخة فى مكتبة كلية الطب بباريس) ثم توالت التراجم عام ١٢٨٠م والمطبوعات (عشر مرات بين ١٤٩٠ و١٥٥٤).

وتوجد الآن نسخة فى مكتبة مدرسة اللغات الشرقية بباريس يرجع تاريخ طبعها الى ١٥٣١ وهى تحتوى أيضا على (كليات ابن رشد).

وهنالك رسالة فى (**أمراض الكلى**) كتبها ابو العلاء لعلى بن يوسف ولا توجد سوى ترجمتها باللاتينية المنشورة عام ١٤٩٧م كما يوجد مخطوط له حول (الخواص) بمكتبة باريس ومنه استقى ابن البيطار خواص لحوم الحيوانات.

ولابى العلاء مقالة فى شرح رسالة يعقوب بن اسحق الكندى حول (تركيب الادوية). وتوجد نسخة من (جامع اسرار الطب) لابى العلاء فى المكتبة الوطنة بالرباط وهى تحتوى على ١٨٥ ورقة.

ولده هو ابو مروان عبد الملك بن زهر خدم المرابطين مثل ابيه وألف كتاب الاقتصاد لابراهيم بن يوسف أخى على (يوجد منه مخطوط بباريس رقم ٢٩٥٩) وكذلك نسخة فى الاسكوريال حسب قول رينو محررة بالعربية ومكتوبة بحروف عبرانية وفرغ من الكتاب عام ٥١٥هـ وهو ـ كما يقول المؤلف ـ عبارة عن تذكرة لمن سبق له أن قرأ كتبا أخرى فى الطب فالمؤلف لا يتكلم مع العموم ولكن مع طبيب مثله وقد أوضح بكيفية عملية الفرق بين الجذام والبهق ومسألة العدوى بل أفرد لذلك رسالة لم تصلنا ويذكرون ان ابن زهر هذا اعظم من ابن سينا ولا يَعْدُله سوى الرازى فى الشرق.

وقد تحدث ابن زهر فى هذا الكتاب عن أطباء عصره فذكر انهم يختلفون فى الاعتناء بالمرضى وأن الناس يجهلون الطب لان الطبيب الذى يستشيره مريض من المرضى يبادر فيصف له دواء من الادوية دون تمحيص للحالة فى جميع خواصها.. ثم ذكر أنه استدعى يوما من الايام لدى أمير مرابطى فوجد جماعة من الأطباء شبابا وشيوخا لم يسبق له أن تذاكر معهم ولكنه تأثر بتجربتهم فجرت المذاكرة حول الداء الذى يشكو منه الامير. فبادر الاطباء

الحاضرون ووصف كل منهم دواء فلم يوفق فى نظر ابن زهر سوى واحد منهم، ومع ذلك لم يستكنه سبب الداء ومما امتاز به وخالف فيه اطباء عصره الأقدمين أنه كان يستعمل الفصد للشيوخ من سبعين سنة فأقل وللاطفال كذلك حيث فصد ابنه من ثلاث سنوات فأدهش معاصريه وكان والده (ابو العلاء) يوصى ببطيخ فلسطين أى (الدلاح) فى عرف المغاربة فى (أمراض الكبد) ويعالج بجس (النبض) والنظر الى (قوارير البول).

وقد قرأ ابو الحكم ابن غلندو الاشبيلى الشاعر على ابى مروان بن زهر عام ٥٣٥هـ كتاب الاقتصاد فى سجن مراكش حيث مكث ابن زهر نحو العشر سنين.

والمنصور هو الذى استقدمه للمرة الثانية الى مراكش عام ٥٨٠هـ حيث مات فى السنة التالية.

وقد سبق لعبد المؤمن ان اختصه لنفسه وعول عليه فى الطب. وله ألف (الترياق السبعينى) وانبت كرمة عنب كان يسقيها من ماء مسهل لكراهية عبد المؤمن لشرب المسهلات فصار يعطيه من ثمارها.. وقد ألف له كذلك كتاب الاغذية (ابن ابى أصيبعة ج٢ ص٦٦).

وكتاب (التيسير) قد كتبه ابو مروان بن زهر بطلب من ابن رشد كتذييل لكتابه (الكليات) وقد ذكر ابن زهر فى آخر كتابه ان الشخص الذى كلف بمراقبته فى التأليف لم يرقه الكتاب لانه يخالف التعليمات الصادرة اليه ولان فهمه يعسر على من ليس عنده مسكة من الطب لذلك ألحق ابن زهر الجامع بآخر الكتاب. فهل عبد المؤمن هو الذى امره بتصنيفه؟ ويظهر من تحليل (لوكلير) لكليات ابن رشد المترجمة الى اللاتينية ان ابن رشد ينقل عن تيسير ابن زهر.

وقد أكد ابن عبد الملك فى الذيل والتكملة ان ابن رشد كان يفضل ابن زهر على غيره من اهل عصره.

وتعرض ابن سعيد فى الرسالة التى ذيل بها رسالة

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

* أستاذ الحضارة والفن والفلسفة والعلوم الإسلامية بكلية الآداب / جامعة القرويين
* له الكثير من المؤلفات بالعربية والفرنسية والانجليزية فى العديد من ألوان المعرفة
* شارك فى العديد من المؤتمرات التى عقدتها جامعة الدول العربية وغيرها من المؤسسات الأخرى.
* له عضوية فى بعض الموسوعات ودوائر المعارف والدوريات العربية والأجنبية، والجمعيات العالمية والمجامع اللغوية.

ابن حزم فى فضل علماء الاندلس لعبد الملك بن ابى العلاء بن زهر فذكر ان كتاب التيسير مشهور بأيدى الناس بالمغرب وقد سار أيضا فى المشرق لنبله (النفح ج ٢- ص ٧٧٨).

وتوجد بالمكتبة الوطنية بباريس مجموعة (تحت عدد ٢٩٦٠) تحتوى على كتابى (الاغذية والتيسير) لابن زهر والتذكرة لابى العلاء ورسالة فى الادوية.

وقد نهج ابن زهر فى كتاب التيسير اسلوبا جديدا فى الحكمة القياسية مستخدما التمحيص العقلى للوصول الى احسن النتائج فهو طبيب التجربة والتمحيص العلمى وليس من صناع اليد كما يقول فى (التيسير).. اما فى الميدان العملى فقد لاحظ ابن زهر أنه يأنف من إجراء العمليات الجراحية الكبرى بنفسه لان رؤية الجروح تثير فى نفسه ضعفا يوشك أن يسفر عن اغماء.. ولكنه لا يكره (تحضير الادوية) غير مستعمل الخمر فى تركيبها على سنن والده ابى العلاء حتى ولو اوصى بذلك (جالينوس) على خلاف الرازى.

وتحدث عن الاعمال اليدوية فى الطب فلاحظ أنها موكولة لاعوان الطبيب مثل الفصد والكى وفتح الشرايين، اما مهمة الطبيب فهي تقرير نظام الاكل عند المريض ووصف الادوية له فهو لا يتناول شيئا بيده ولا يركب دواء.. وحكى ان والده لم يباشر شيئا من هذا القبيل بيده طوال حياته وحتى لو اراد ذلك لما وفق لعدم الاستيناس. وتحدث عبد الملك عن نفسه فذكر أنه كان هو نفسه ولوعا بالمباشرة اليدوية فى (الصيدلة) وتجربة الادوية والتوصل الى قيمها وتركيباتها.

ولعل ابا مروان توصل بفضل قياساته الطبية وتجربته الشخصية الى الكشف عن امراض جديدة لم تدرس قبله فقد اهتم بالامراض الرئوية واجريت له عملية القصبة المؤدية الى الرئة وتمكن هو بعد ذلك من تشريح القصبة فى مرض الذبحة فعولج المريض.

وقد اختص ابن زهر فى أمراض (الجهاز الهضمى) واستعمل انبوبة مجوفة من القصدير لتغذية المصابين بعسر البلع واستعمل الحقن المغذية واكتشف طفيلية الجرب وسماها (صؤابة الجرب) كما بسط طرق العلاج القديمة وأوضح ان الطبيعة - اذا اعتبرناها قوة داخلية تدبر شأن الجهاز البشرى - تكفى وحدها فى الغالب لعلاج الادواء (حضارة العرب جوستاف لوبون ص ٥٣٠ من الطبعة الفرنسية).

وكان: ابو مروان اذا عالج مريضا نسي نفسه واستهلك فى مريضه وهذا هو سر عبقريته.. فاذا عرضت عليه حالة شائكة حاول ان يعيشها واستمد من ذكرياته وتجاربه ومنطقه ولهذا كان نسيج وحده..



وانكب اطباء القرون الوسطى على دراسة كتابه التيسير الذى ترجم اولا عن العبرانية من طرف شخص مجهول (مخطوط بمكتبة ليد) ثم الى الايطالية عام ١٢٦٠م.

وقد تحدث ابن زهر فى كتاب التيسير عن (يمين ابقراط) الذى كان يطالب بها جميع من يدرس مصنفاته ويقتضى منهم الزام تلاميذهم بها. وقد ذكر ابن زهر أن والده ابا العلاء تلقى اليمين منه عندما كان لا يزال طفلا لدى ابتدائه دراسة الطب.. وحكى أن أحد الثوار طلب منه سما فأبى ان يعرض نفسه للخطر ثم سقط هذا الثائر مريضا وبدلا من أن يقضى الطبيب عليه عالجه باخلاص طبقا لمبادىء ابقراط.

وقد وهم كودار فزعم فى كتابه حول تاريخ المغرب (ص٤٥٢) ان ابا مروان ابن زهر يهودى ثم أكد ان ابن زهر استعاض بالمنهج التجريبى والطريقة العقلية عن التقليد فى ممارسة فن الطب وكانت له عبقرية فذة تطورت بفضلها شعب ثلاث حاول توحيدها وهى الصيدلة والجراحة والطب العام.

والحفيد ابو بكر بن ابى مروان كان طبيبا شاعرا متين الدين خدم الدولتين اللمتونية والموحدية (عبد المؤمن ويوسف ويعقوب والناصر) توفى عام ٥٩٦هـ بمراكش.. ألف (الترياق الخمسينى) ليعقوب المنصور ودس اليه ابن يوجان وزير المنصور السم هو وابنة اخته وكانت هى وأمها عالمتين بالطب لا سيما فى أمراض النساء وتدخلان الى نساء المنصور (ابن ابى أصيبعة ص ٦٧) وكان ابو بكر يحفظ صحيح البخارى بأسانيده (الانيس المطرب ج٢ ص ١٨٠) ولم يكن فى زمانه اعلم منه باللغة وكان يحفظ شعر ذى الرمة وهو ثلث لغة العرب (المطرب لابن دحية).

وولده عبد الله بن الحفيد خدم الناصر بن المنصور وكان عالما بأسرار الصناعة وتوفى مسموما فى رباط الفتح عام ٦٠٢هـ ودفن بها وهو ابن ٢٥ سنة (ابن ابى اصيبعة ص ٧٤).

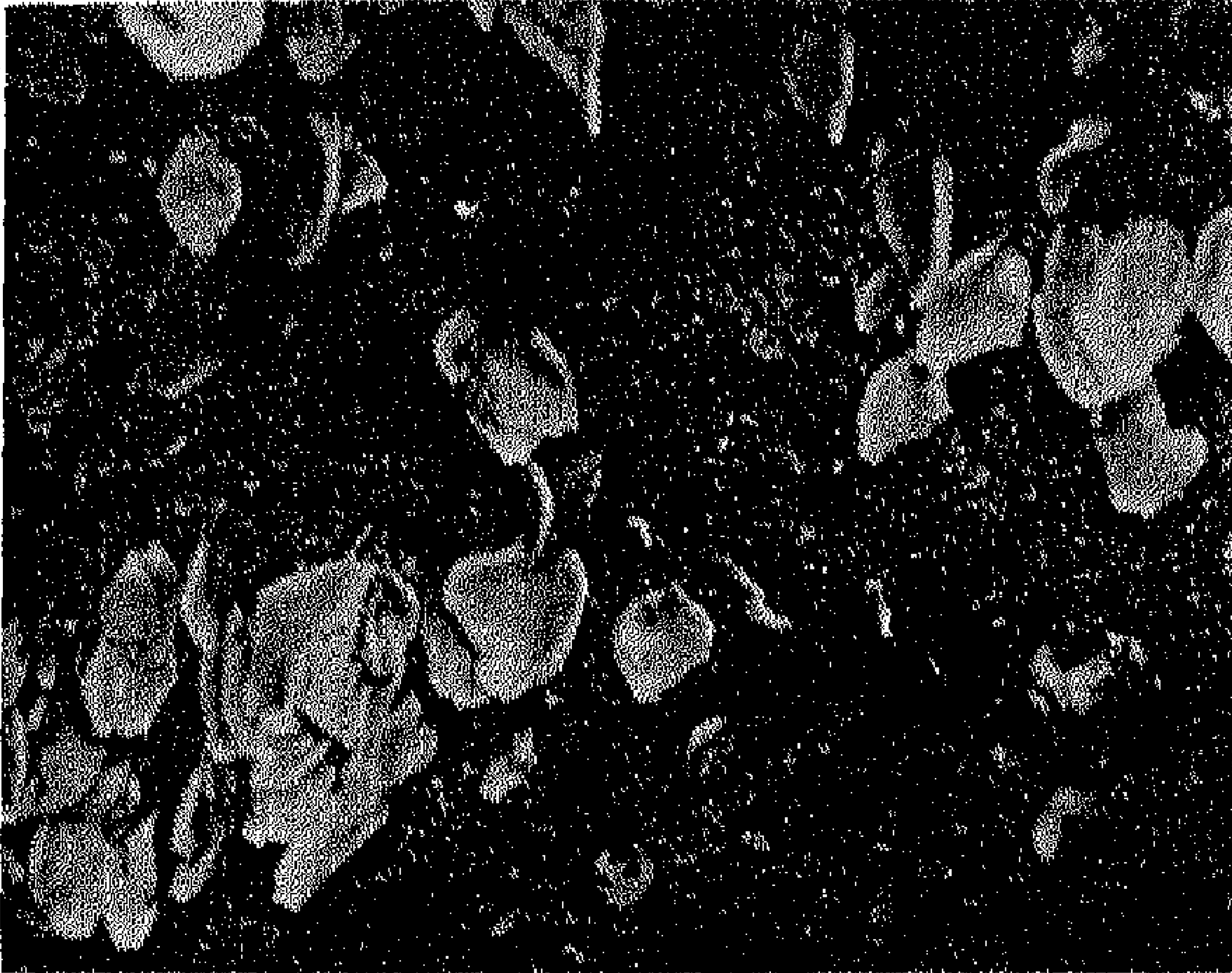
● يبذل العلماء الآن جهوداً متصلة مضنية لمحاصرة مرض السرطان والقضاء عليه . .

ونقدم اليوم تحقيقاً علمياً يسجل أهم المحاولات المثابرة والتجارب الحديثة التى يقوم بها العلماء لمقاومة هذا المرض المدمر وعلاج المصابين به .

● ويقول المحرر العلمى لمجلة «سورفيور» (surveyor) الامريكية فى بحث علمى شائق حول هذا الموضوع - يقول : ان العلماء استطاعوا - حديثاً - الوصول إلى مصادرهم المنشودة لينهلوا منها «مواداً» تستغل فى إعداد وتحضير عقاقير لا تقدّر بثمن ، للعلاج من هذا المرض الفتّاك العنيد . . **فإلى أى حد تبشر أبحاث هؤلاء العلماء ودراساتهم بالاقتراب الوشيك من الفصل الأخير، من تلك المأساة الدامية المفجعة؟ .**

● أما مصادر العلماء فى محاولاتهم هذه - وهى ما يكشف عنها تحقيقنا العلمى هنا - فهى : البحر وكائناته الفريدة التى تنطوى على خفايا وخبايا كثيرة ، كما تطوى فى الأعماق تحت المياه كل عجيب وغريب .

العالم عصب الحياة على لبناته تنمو الحياة وتشيد صروحها . . ولقد سخر الله سبحانه وتعالى الكون وما فيه لنا واستعمرنا الأرض لنعمرها . . وهنا أو ذاك سبيله الملاحظة والاستقراء والتجربة وصولاً إلى ما يفيد وينمى - والمنهل كعادته فى المشاركات العلمية يقدم لقرائه الكرام ما يضيف جديداً .

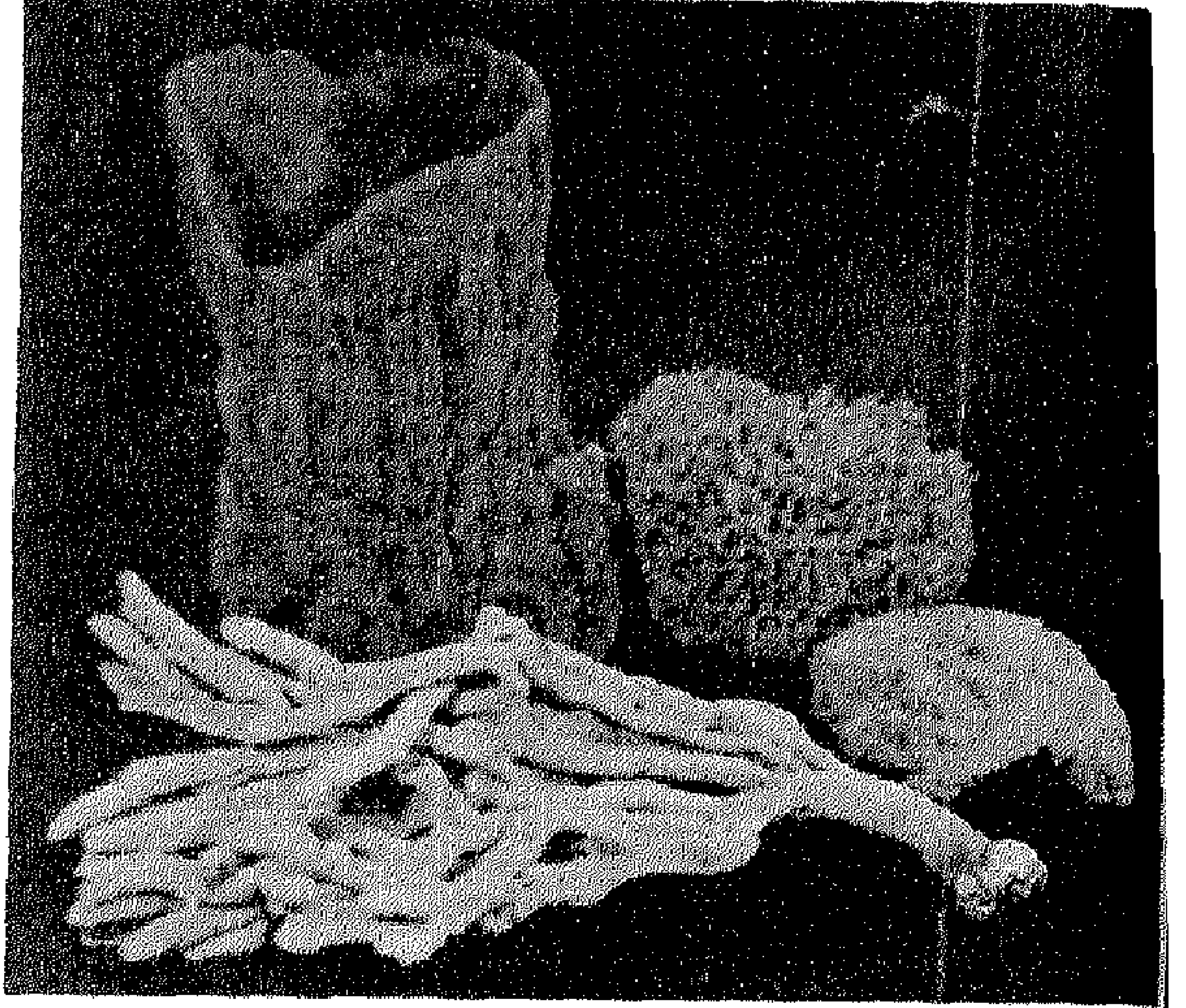


الأسفنج الجيرى ذو الاكياس يكشف احدى الصخور على شاطىء «ديفون» بانجلترا .

السرطان

البحر مصدر للحضارات القديمة والحديثة

حقا إن البحر زاخر بكنوز ثمينة ومنافع كثيرة، فهو نبع وافر الثراء، يعتمد عليه الطب فى استخلاص العقاقير من بعض كائناته لعلاج الأمراض. وهو المصدر القديم للحضارات الأولى المبكرة.. فقد اتخذت الصين، منذ أكثر من ٣٠٠٠ سنة، السمكَ رمزاً للصحة، بل استخدم الصينيون أنواعاً عديدة من حشائش البحر فى علاج أمراض الحنجرة وتضخم الغدة الدرقية. كما استغل اليونانيون القدامى بعض الأعشاب البحرية فى إعداد العقاقير لعلاج كل الأمراض، بدءاً من أمراض الكبد الى مرض النقرس. وكان الرومان يعالجون أوجاع الأسنان بمزيج مكوّن من الخل ومن مسحوق أشواك نوع من الأسماك. وكانت تلك المحاولات المبكرة ـ التى تستحضر العقاقير من نباتات وحيوانات البحر ـ تصيب وتخطىء. ولكن من المؤكد، أن عنصر «اليود» فى الأعشاب البحرية كان يعينهم على علاج أورام الغدة الدرقية.. ولكن تلك المحاولات، فى أغلب الأمر، لم تفلح كثيراً فى شفاء المرضى..



هياكل لأنواع مختلفة من الاسفنج



الأسفنج المتكافل ينمو فوق صدفة سرطان البحر

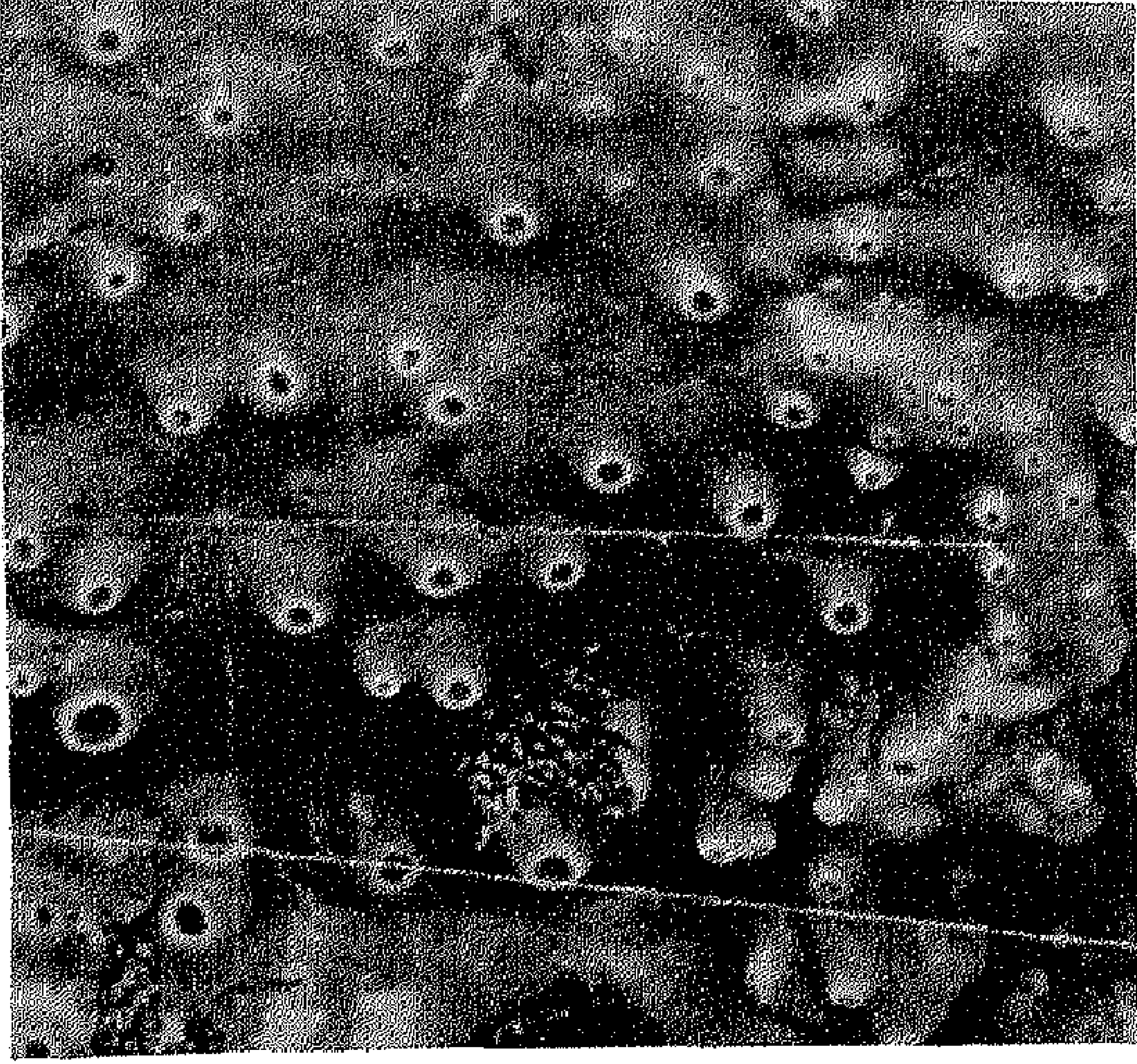
والبحر

بقلم/ حسنى محمد بدوى
«الأسكندرية»

● ويُعد استخلاص عقاقير جديدة من أشكال أخرى بحرية، علماً جديداً فتياً. وهو ـ مع هذا ـ كان فى ذلك الزمان القديم ما يزال فى مراحل نشأته. . فالبحر مصدر ثرى بأنواع وأصناف مختلفة من الحيوانات والأسماك ذات السم الزعاف. ويعرف الباحثون لهذا السم تأثيرات فعّالة فى تحضير العقاقير القوية لذلك، تتجه الجماعات الطبية نحو المحيطات للبحث عن كل جديد مؤثر من المضادات الحيوية لمقاومة مرض السرطان.

● إن الدكتور «ادوار ميلر» ـ مدير الأبحاث الاكلينيكية للأورام فى مؤسسة «**هوفمان لاروش**» لصناعة العقاقير ـ قد لفت الأنظار الى دواء جديد فعال، وإن كان تحضيره يكلف كثيراً ويستغرق وقتاً طويلاً. . وكان اكتشاف مادته البيولوجية الواعدة سهلاً ميسوراً. لكن هذه المادة ـ بعد استخلاصها وعزلها، لابد أن تخضع للتركيبات الكيميائية التى تؤلف بين العناصر، ثم تجرى التجارب العديدة، على الفئران مثلا، لاختبار استجابات الميكروبات والأورام والفيروسات. . وفى نفس الوقت، ينبغى تحديد كميات ونسب المركبّ لتحضير الجرعات الفعّالة الملائمة التى تحقق للدواء الأغراض المأمولة من استعماله. دون إحداث تأثيرات جانبية مؤذية. . وأخيراً، يجب أن يُجرى اختبار الدواء على الانسان. كل ذلك، يستلزم الكثير من الجهود والتجارب والوقت والاعتمادات المالية.

● ولكن الدكتور ميلر، يقول فى هذا الصدد:



اسفنج «فتات الخبز» يشق طريقه خلال احدى الصخور المعلقة.

«ان الدواء الجديد المرتقب، يمكن أن يتم انتاجه خلال عشر سنوات أو أقل. .».

ولا ريب أن عالم الأحياء المائية يرتبط مبدئياً بضرورة الكشف عن الأشياء الغامضة فى الطبيعة المعقدة وعن القوانين التى تحكم كائنات البحر. لذلك، نجده يحصر جلّ اهتمامه فى الكائن الحي الغريب النادر الوجود، الذى ينطوى على عناصر جديدة تساعد فى البحث والتحضير.

● فان أبحاث واستقصاءات علماء الأحياء المائية للاسفنج ودورته الطويلة الغريبة، قد اكسبتهم معلومات قيّمة. . ومن المتوقع أن يكون ذلك كله دافعاً للمضى قدماً فى سبيل تحضير دواء «السيتارابين» (Cytarabine)، أو ما اصطلح على تسميته (آرا ـ س) (Ara-c)، وهو الدواء الذى يساعد على تقلص أو تدمير الأورام السرطانية.

عالم الاسفنج الغريب:

فى غمار الأصوات المتنافرة والحركة الدائمة للحياة تحت المحيطات، نجد الاسفنج هو

كائنات البحر كنوز يعتمد عليها العلم في استخلاص العقاقير الطبية
الاسفنج كائن صامت غير متحرك .. يبقى حيث يولد وهو كتلة من الخلايا البدائية جداً.
الاسفنج يعد مصدراً عظيماً لاستخلاص المواد النافعة في علاج السرطان

الكائن «الصامت» على الدوام، وهوالكائن «غير المتحرك» . . هو الشاهد«الأعمى» للصراعات والمعارك التى تدور بين المفترس والفريسة . . على حين، يقف هذا المخلوق العجيب فى «الساحة المائية» فى قيعان المحيطات، ساكناً بلا دور . . فهل هو حقاً، بلا دور؟ .

● انه كائن غريب، يبقى حيث يولد . . يظل مستقراً فى مكانه ثابتاً، دون أن يتحرك حركة ذاتية . . والاسفنج كتلة من الخلايا البدائية جداً. وجوده فى الطبيعة موغل فى القدم. إن أعضاءه داخل تجاويف كيانه، لا يتيسر الكشف عنها أو ملاحظتها . . ويبدو الأسفنج كائناً نباتيا أكثر منه حيوانيا. والمخلوقات المائية الأخرى مثل «المرجان»، تعيش حياتها ثابتة فى أماكنها، وتأخذ فى مراحل تطورها أشكالاً زهورية متباينة، لكنها تعرف كيف تستغل أماكنها كمكمن أو خبيئة لها . . أما الاسفنج، فلا حيلة له . . وهو يمتص كل غذائه من تيارات المياه التى تترشح من خلال جدران أجسامه. ويتلقى الاسفنج من تلك التيارات البكتريا والكائنات الصغيرة جداً «المجهرية» التى تتخذ من قنوات الاسفنج أعشاشاً لها، وهى غير مؤذية. والاسفنج على أية حال، يتمتع بمناعة فريدة ضد أى مرض. ومن أسراره الغامضة أن أحداً لا يعرف على وجه التحديد، كم من السنوات يعيش، فهو كائن لا عمر له.

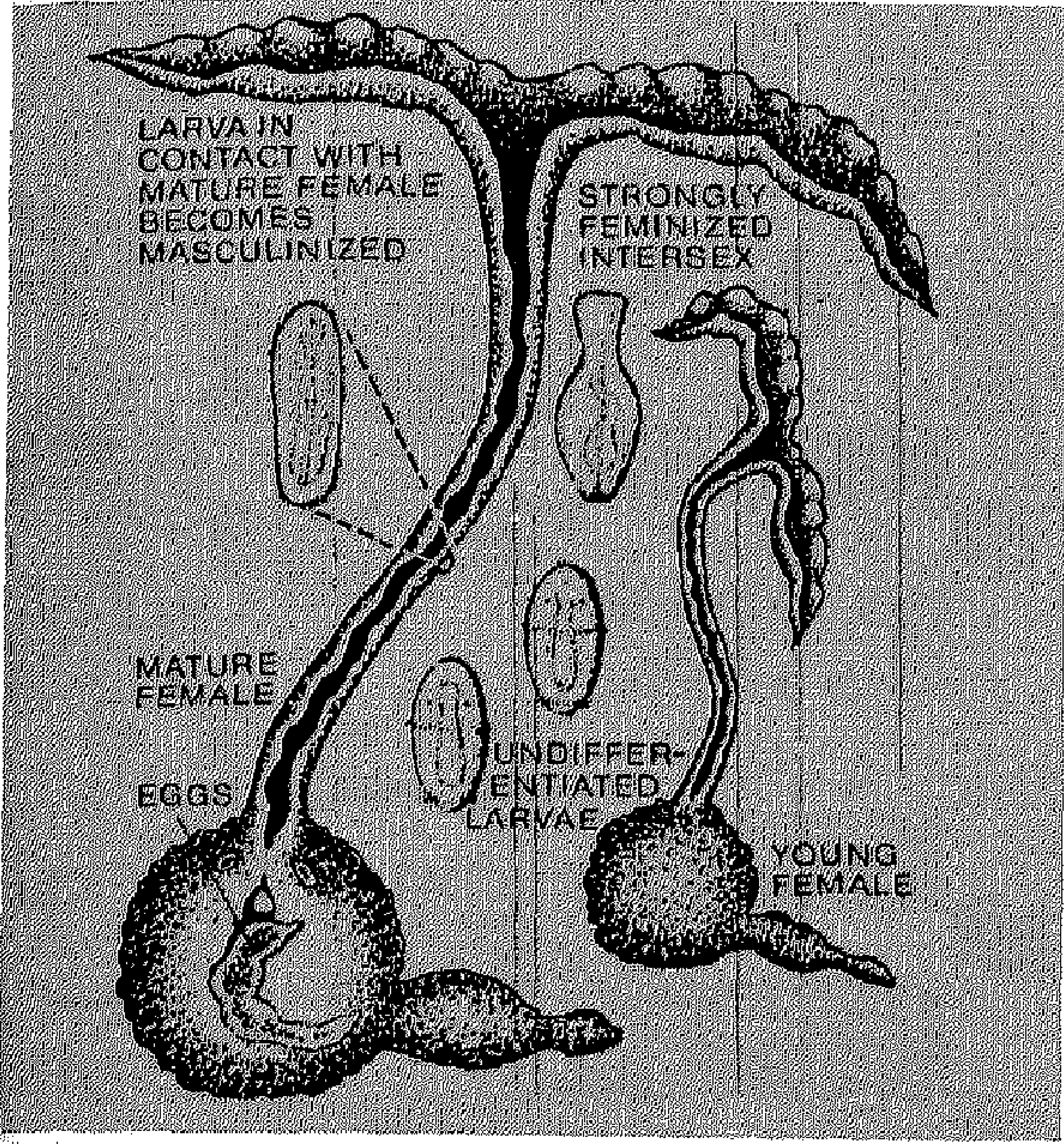
● وقد أخذت عينات من الاسفنج، وحُفظت فى وسط مائى ثابت، تحت الملاحظة لمدة ثلاثين عاماً، فلوحظ انه لم يبدُ عليها أى تغيير . . ويعد الاسفنج من زخارف البحر، فهو ينمو ويزدهر ويتشكل ويتنوع فى أكثر من ٥٠٠٠ نوع، كما انه يتكاثر بأشكال مختلفة وألوان متباينة فى كل مكان من أعماق محيطات العالم. والكائنات البحرية الأخرى تسبح برشاقة وانطلاق وحيوية، أما الاسفنج فقد يبدو كئيب الهيئة، وهو بالنسبة اليها، يعتبر الأعجوبة الرائعة . . أعجوبة التفوق البيولوجى فى عالم البحار الذى يدور فيه صراع الحيوانات البحرية واقتتالها والمنتصر منها فى معركة المصير والبقاء هو الأكثر تمتعاً بكفاءة قتالية عالية. ومع ذلك، فان الاسفنج أطول منها عمراً، فهو يبقى ويستمر بالرغم من كل أخطار بيئته، وهو الذى تعوزه وسائل الدفاع الصريحة المعروفة لدى الكائنات البحرية . . واذن، فقد حطم الاسفنج، ذلك المخلوق «الصامت الأعمى» القاعدة التى تقول بالبقاء للأقوى . . فما هو السرّ العجيب الذى يكمن فى قدرته الكيميائية

الحيوية؟. إن هذه القدرة التى يتمتع بها الاسفنج تدرأ عنه أخطار الحيوانات المفترسة، وتحصنه ضد كل الأمراض.. وهذا هو الموضوع الرائع الذى يثير فضول العلماء.

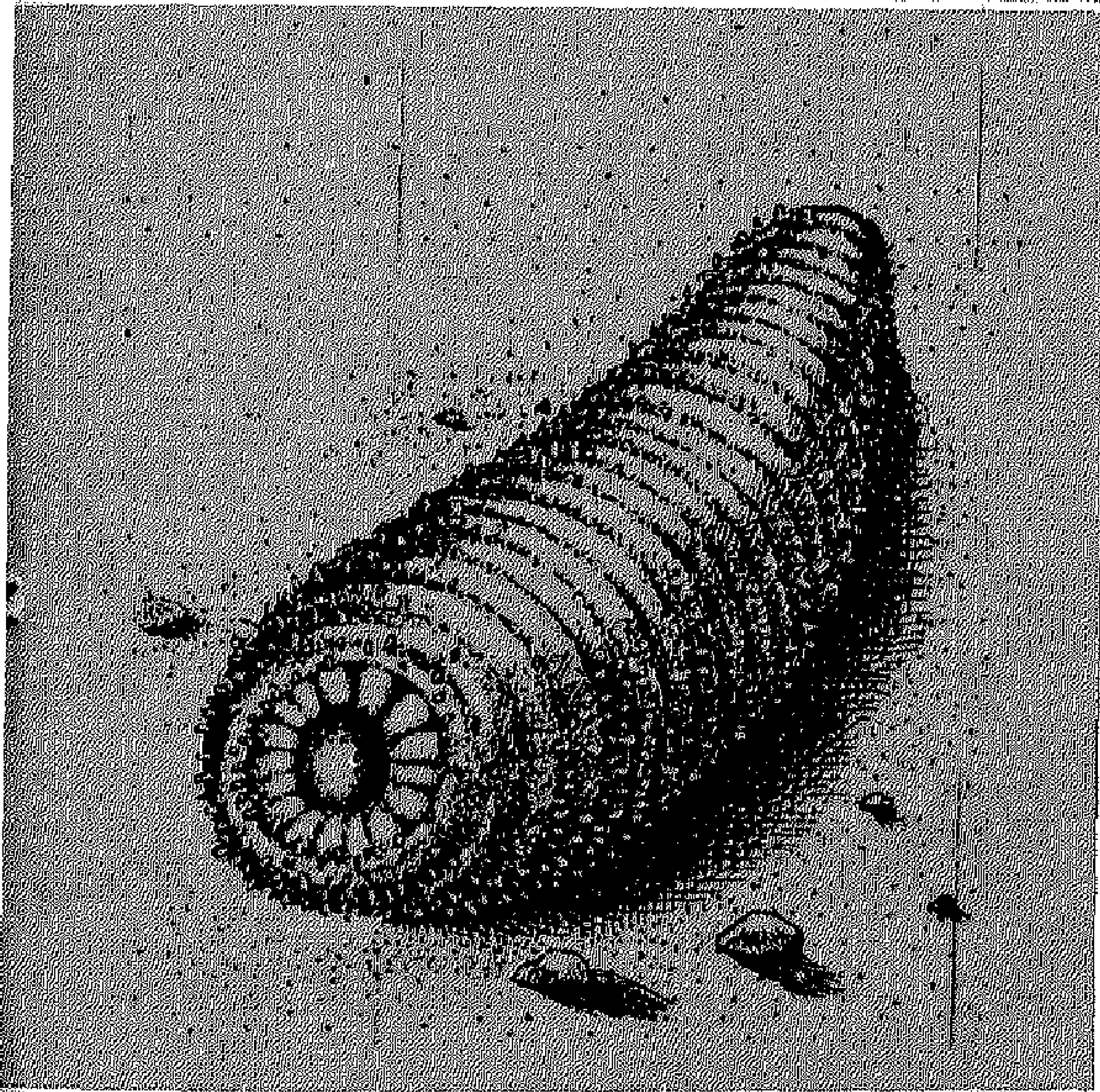
الاسفنج وعلاج سرطان الدم:

من هؤلاء العلماء الدكتور «وارنر برجمان» الأستاذ بجامعة «بيل» الذى حددت أبحاثه نقطة الانطلاق فى سبيل وضع المركّب أو «التوليفة» التى ذكرناها آنفاً (آرا - س)، وبينما كان هذا العالم وتلاميذه يعالجون فى معملهم كتلةً من الاسفنج الاستوائى بمحلول عضوى بغرض تحديد محتواه الخصب، فقد لاحظوا أن مادةً بللّوريه بيضاء قد تكونت داخل الدورق. وهنا، استولت عليهم الحيرة بازاء مظهر هذه المادة، فى مرحلة لم يكن من المتوقع حدوث أى تبلور، ومع ذلك استمروا مستغرقين فى أبحاثهم وتحاليلهم. وأول ما صادفوه من عقبات، وجود بعض الجسيمات التى كانت مجهولة لهم من قبل، وهى جسيمات نوع من المركب تسمى «أحماض النواة» تمثل النسيج الأساسى لمركبات (RNA)،(DNA) والتى تحمل الشفرات الحاكمة لقانون النمو والتجديد للخلايا الحيوانية. وليست هذه المركّبات الغريبة التى عمل «برجمان» على فصلها أو عزلها، هى التى وجدت من قبل فى البيئة الطبيعية.

حقا، انها مركّبات غريبة جعلت «برجمان» ومساعديه غير قادرين على تفسير وجودها. وحتى اليوم، وبعد مضى ٢٤ سنة



دودة بحرية:
تتحول الاناث منها إلى ذكور، والذكور إلى إناث فى حالة حدوث الاتصال والتلامس. وهى أثناء ذلك، تفرز مادة هرمونية يمكن أن يستخلص منها دواء لعلاج مرض السرطان.



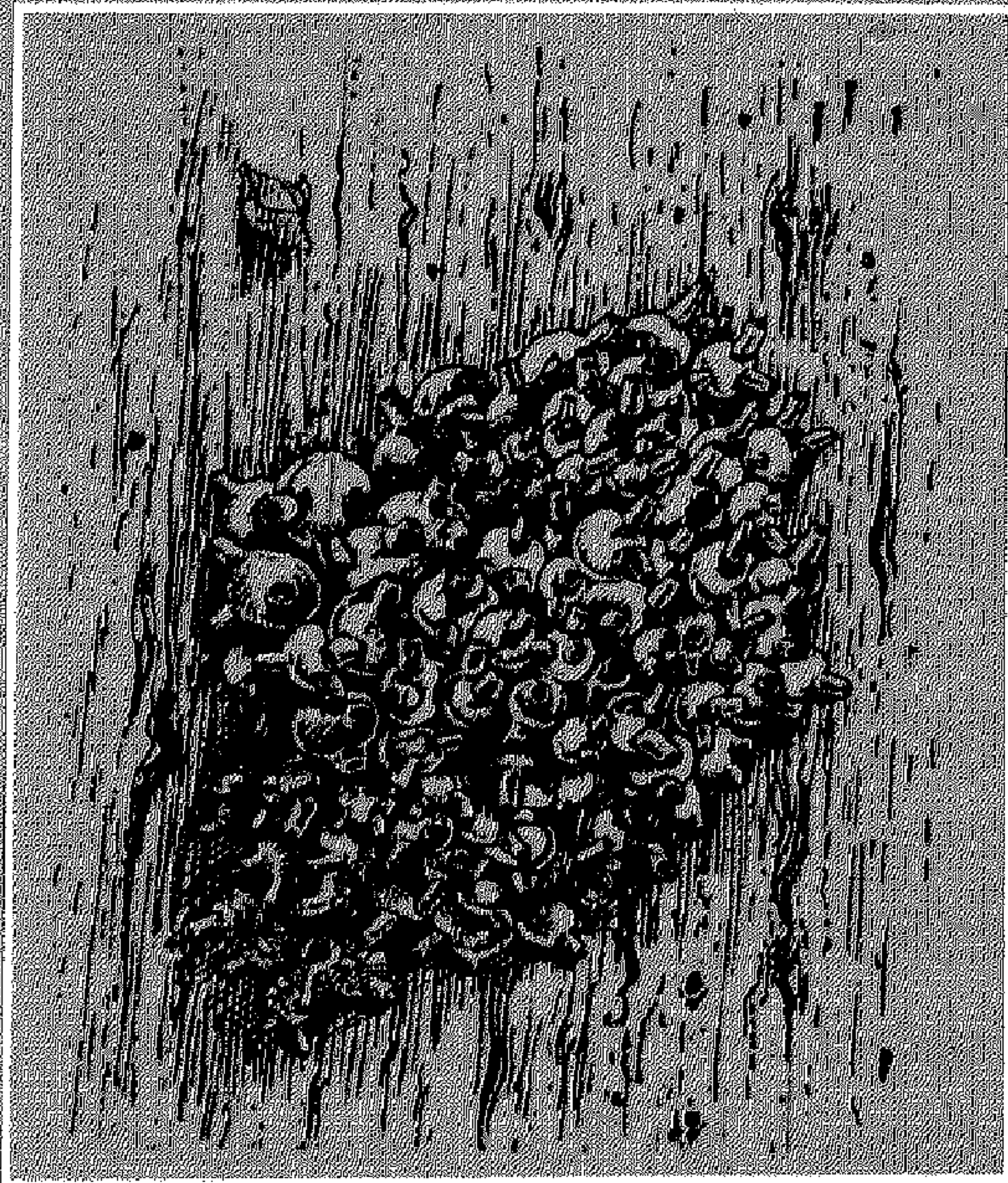
قثاء البحر:
وقد أجرى عليه الدكتور دروس. ف. بيجربللى تجاربه التى فتحت أبوابا جديدة فى حقل أبحاث العقاقير المستخلصة من الكائنات البحرية.

من اكتشـــافهم لها، نجـد انـه ما يزال غير معروف للعلماء :

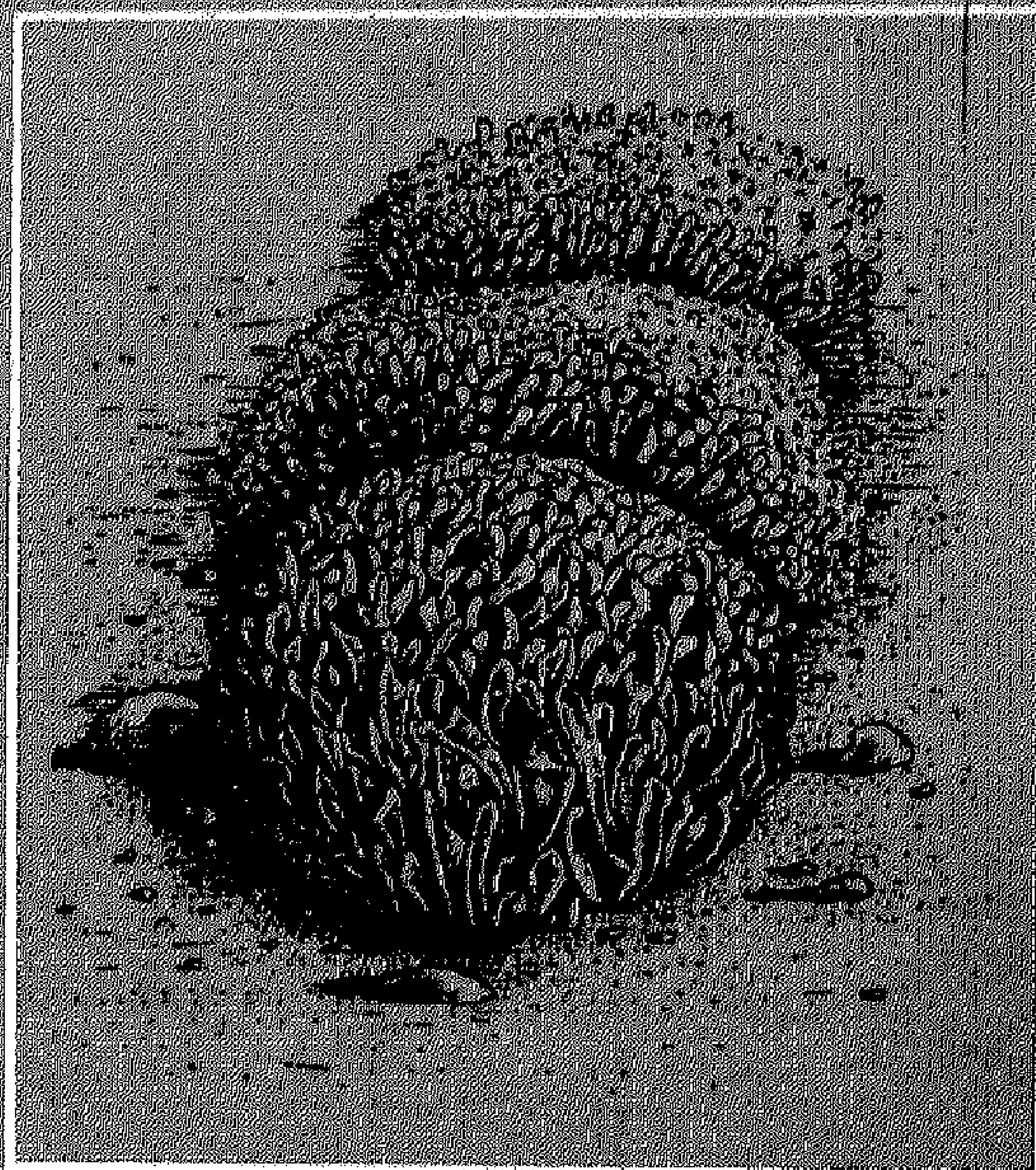
كيف ولماذا تكونت هذه الأحماض بفعل الإسفنج

ومع ذلك ، فقد فتح هذا الاكتشاف باباً واعـداً لأبحـاث مرض السـرطـان . ويـرى «برجمان» أن هذه الأحماض يمكن أن تتكيّف مع التكاثر الخلوى تكيفًا مانعاً لنمو الأورام السرطانية واستفحالها . . وبعد مضى تسعة أعوام من اكتشاف «برجمان»، إهتدى علماء آخـرون الى مركبٌ آخر غير بعيد الصلة أو الانتـماء للمـركب السـابق، وهـو حامض «نووى» له تأثير ملحوظ فى ذلك المجال. وقد تمَّ إثبـات فعـاليته لأول مرة عام ١٩٦١ فى علاج عدد من الفئران المصابة بمرض سرطان الـدم «اللوكيميـا» (Leukemia) ، وقد تمَّ اعتماد الدواء الجديد بعد مضى أكثر من ثمانية أعـوام من اختيـاره معملياً، واصطلح على تسميتـه «آرا ـ س» (Ara-c) ، «وهو نفس اسـم المـركب السـابق». وانقـذ هذا الدواء الجديد حياة بعض المصابين بهذا المرض. وهو يعتبر الركيزة الأساسية للأبحاث التى يُتوقع أن تتمخض عن انتاج دواء آخر أكثر فعالية .

● ومن ناحيـة أخـرى، فان الـدكتور **«هيد هيكـوكـوبـاياشى»** والدكتور **«توراواآشيدا»** الأستـاذ بمؤسسـة «آسـاهى» للصنـاعـات الكيميـائيـة اليـابـانيـة، قد استطـاعا إنتاج مركبات جديدة من مشتقات أحماض النواة، وثبت أثنـاء اختباراتها الأولية على الفئران، انها ذات فعالية تساوى أربعة أضعاف فعالية



أعناب البحر:
أو لجاج البحر، التى تتعلق بالصخور، وتشبه عنقود العنب. تفرز مادة قد تفيد فى منع جسم الانسان من رفض زرع الأعضاء.



الاسفنج أو اللفن الحمراء:
التى استخلص منه مادة (الاسيتوارن) وهى أحد المضادات الحيوية.

الـدواء «آرا - س»، وذلك فى مقاومة مرض سرطان الدم.

● من الواضح إذن، بعد ابحاث «برجمان» والأبحـاث الأخـرى اللاحقة، أن الأسفنج يُعد مصدراً عظيماً لاستخلاص المواد النافعة فى العـلاج. وقد أُختبر جميع أنواع الأسفنج بغـرض استغـلال مواد كثيرة مستخلصة منه وممتزجة بعناصر كيميائية قوية التأثير، يمكن تصنيـع مضادات حيوية منها.. فقد اتضح أثنـاء ملاحظـة عمليـة التمثيـل الغذائى فى الاسفنـج، أن نوعـاً من البكتريا فى الوسط المـائى يحمي نفسه بافراز مواد معينة تقضى على الجراثيم التى تغزو بيئته. ويمكن زرع الأسفنـج بعيداً عن هذه الكائنات الصغيرة جداً «المجهرية» التى تعشش فى الاسفنج. ومن هنا، يصل العلماء الى الغرض العام، وهـو الحصـول على المادة الفعّالة التى يقوم الاسفنج بتكوينها وانتاجها.

●● قثاء البحر ونجوم المحيط

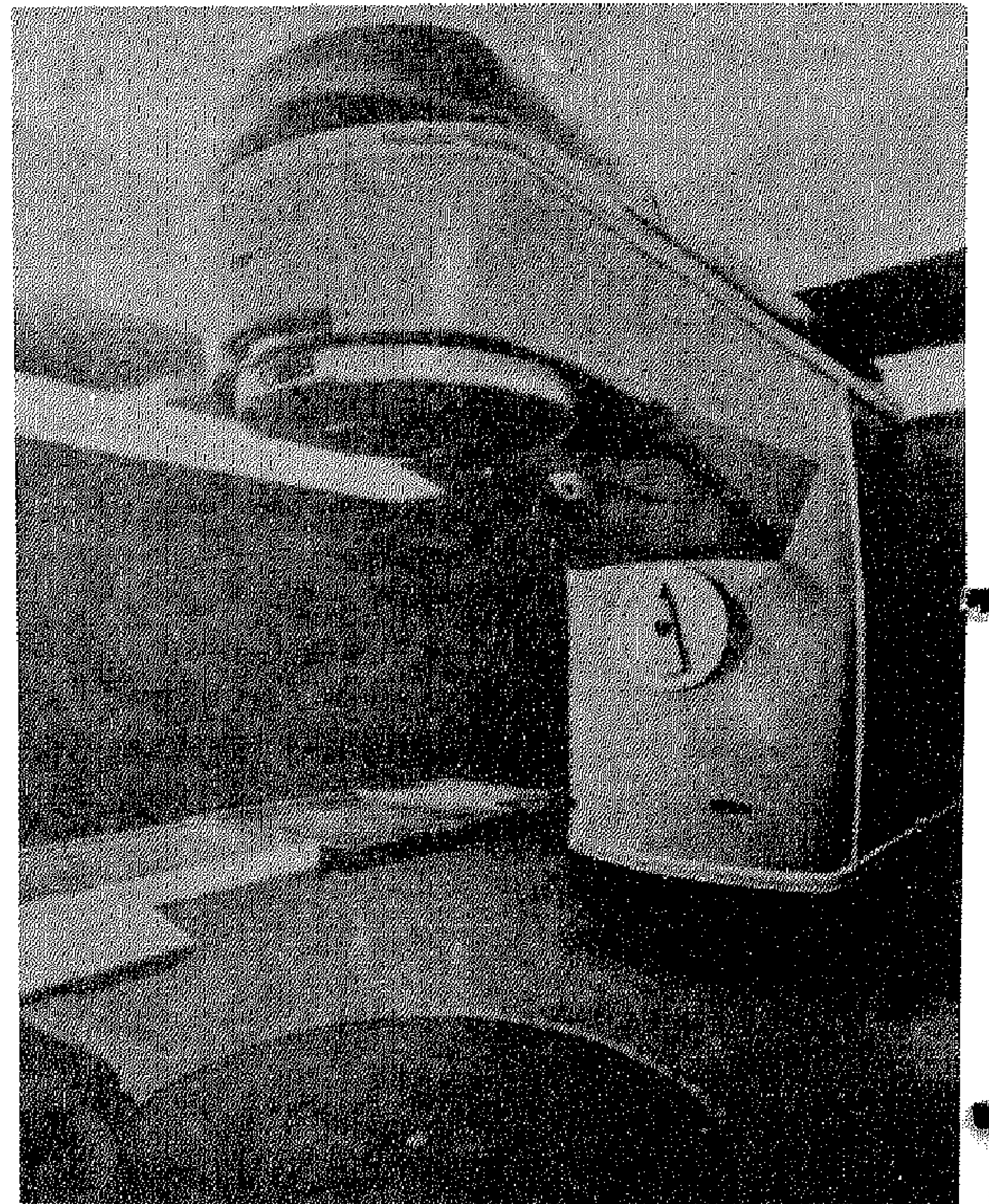
وقد تبنت هذه الأبحـاث، هيئة علمية عالميـة هى معــامــل «أوسبــورن» للعلوم البحـريـة، التى ينتسب اليهـا معـرض «نيـويـورك» للاحياء المائية. ويعمل فى هذه المعـامـل العـالم الـكبـير «روس. ف. نيجريللى» الذى وضع حجر الأساس لحقل الأبحـاث الحـديثة لعلم الصيدلة البحرية، والـذى واجـه أعظم التحـديـات باجـراء التجـارب على «قثـاء البحر»، هذا الحيوان الجلدى الذى يمتلك قدرة ذاتية غريبة على تجديـد أو تعـويض أو استبـدال أعضـائـه الـداخليـة النامية، كما يوجد أيضا كثير من الحيـوانـات البحـرية المشابهة، فمثلاً، أحد أنـواع «نجـوم المحيـط»، عنـدما تقطع منه ذراع، سرعـان ما تنمـو - نمواً ذاتياً - ذراع أخرى كاملة بديلة، عوضاً عن الذراع المقطوعة.

وقثـاء البحـر: عندما يهدده عدو، يُخرج أحشاءه كلها ليسدّ بها الطريق على مهاجمه، ثم يتقهقر منسحباً الى مكان آخر جديد حيث يقـوم بتجـديد كل ما قد يقتطعه منه حيوان بحرى مفترس. ولاحظ الدكتور «نيجريللى» أثناء تجاربه، أن الأسماك التى تقترب من قثاء البحـر قد تموت على الفـور، وذلـك عندما يلفـظ هذا الحيـوان الغـريب أمعـاءه فى



الدكتور «جورج د. روجيرى» يفحص نجمة بحرية كما اختبر جميع أنواع الاسفنج تقريبا، التى تنتج موادا كثيرة ذات خواص نافعة للانسان.

مواجهتها. إذ تصيب الأسماك صدمات عصبية مروّعة. وبعض الأسماك يصاب بالاعياء أو الاغماء. . وقد وجّه هذا العالمُ جلَّ اهتمامه، الى كتلة الأمعاء هذه التي تفرز مادة فعّالة، استطاع أن يعزلها ويستخلصها. وأطلق على هذه المادة الكيمائية اسم: «**هولوثيورين**» (Holothurine). وقام «نيجريللى» بتجربتها، فتوصل الى نتائج باهرة. إذ ثبت انها تؤثر على العضلات، فتحدث بها تقلصاً وانكماشاً. . فهذه المادة: دواء ذو خاصية نافعة فى الأبحاث الفسيولوجية، وذو تأثير كابح لعملية التمثيل الغذائى. ومن ثم، اهتدى «نيجريللى» بهذا الدليل الى أن لهذا الدواء سيطرة على نمو الخلايا السرطانية. فهو يعد أعظم وأخطر اكتشاف يطرح على طريق مستقبل الأبحاث السرطانية. وقد حقن «نيجريللى» عدداً من الفئران بدواء «الهولوثيورين»، فوجد أنه يقلل من حجم أورامها السرطانية، بل أطال فى أعمارها مزيداً من الأيام.



جهاز الاشعة فوق العميقة

إن هذا البحث الرائد، قد دفع بالباحثين فى معامل «اسبورن» ـ تحت إشراف مديرها الدكتور «جورج د. روجيرى» ـ الى تحليل مواد شبيهة توجد فى كائنات جلدية بالمحيطين، الأطلنطى والباسيفكى. والى الآن، لم تكشف محاولاتهم عن وجود المواد التى تفيد فى انتاج عقاقير أخرى جديدة.

● ولكن العلماء فى اليابان، استطاعوا استخلاص مواد فعّالة من أنواع أخرى من «قثاء البحر» ذات تأثير ايجابى ضد العدوى المرضية الناشئة عن الفطريات.

●● دودة البحر ذات الجنسين:

وتحقق أيضا الدكتور «روجيرى» من مادة يمكن أن تصير فى يوم ما، دواء علاجياً ضد أمراض السرطان، وتسمى «بونلينين» (Bonellinine)، هى نوع من الهرمونات التناسلية، تفرزها دودة بحرية غريبة ـ وقد أختبر هذا الافراز على بويضات «قنفذ البحر»، ثم على الخلايا السرطانية. . وقد وجد أنه لا يمكن التمييز بين الذكور والاناث، من هذا النوع من الديدان البحرى، أثناء عمليات تناسله. بل، إن بعض الذكور منه، يسقط الى قاع البحر ويأخذ فى النمو حتى يصبح إناثاً. . ويبلغ طول الواحدة نحو قدم تقريبا. . وما تزال أبحاث «روجيرى» مستمرة.

● ويقول الدكتور «مارتن ف. ستيمين» - عالم الكيمياء العضوية والمدير المساعد بمؤسسة «اسبورن» - أن البحر سيبرهن مزيداً من البرهان، على فائدته العظيمة فى هذا المجال بما قدمه لنا من «عينات» وفيرة متنوعة. ولكن علينا أن نحسن استغلالها فلا نترك الصيادين التجاريين ينهبون هذه الكائنات الفريدة حتى تنقرض.

أعناب البحر:

أما الدكتور «الفريدج . وينهيمر» فى جامعة (أوكلاهاما) فما يزال يعمل منذ أربع سنوات من أجل وضع مركّب فريد يستخلصه من كائن بحرى يمكن أن نطلق عليه تجاوزاً اسم «أعناب البحر» وقد اختبره على عدد من الفئران المريضة بسرطان الدم «اللوكيميا» فثبت له أن مفعول هذا المركّب قد أطال أعمار الفئران التى كانت ستموت حتماً خلال عشرة أيام، لو لم تحقن بدوائه الجديد.

● والخطوة القادمة هى تجربته على المرضى من بنى البشر..

● والدكتور «م . ميكائيل سيجل» **الأستاذ بجامعة «ميامى»** هو أول من لاحظ فى هذا الدواء، خصائصه الفعّالة، فاستجلب من «أعناب البحر» عينات كثيرة الى معمله وعكف على فحصها وتحليلها. وتشبه هذه الأعناب البحرية، القواقع الصغيرة وتتعلق بالصخور.

الفصل الأخير:

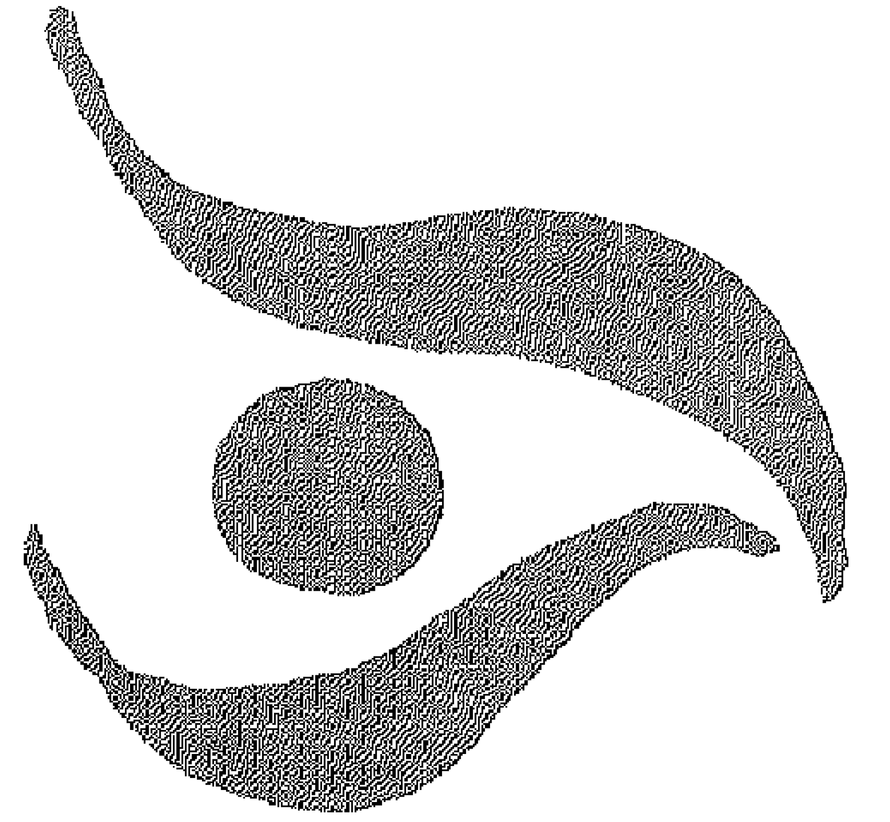
وصفوة القول هنا، انه توجد مئات من المواد المختلفة المستخلصة من البحر، وكلها كميات مخزونة تنتظر التحليل التفصيلى الدقيق. وبالرغم من كل الصعوبات التى يواجهها العلماء والفنيون أثناء الاختبارات، وطول المدة التى يستلزمها النجاح فى البحث، فان العلماء الذين يتابعون دراساتهم وتجاربهم، لا يداخلهم الشك فى أن قدراتهم وكفاءاتهم، ستمكنهم من السيطرة على الخبايا البيولوجية والكيميائية لهذه المعضلة، والكشف عن خفايا أبعادها، ومن ثم، الفوز فى النهاية بالنتائج الباهرة، لصالح الانسان فى معركة ضارية مع عدو شرس، هو مرض السرطان.

● **ويقول الدكتور «روجيرى»: «إن النتائج التى تمَّ الوصول اليها حتى الآن، عظيمة وواضحة تماماً، على الرغم من العدد القليل المحدود من المؤسسات العلمية ومن الباحثين الذين أخذوا على عاتقهم مسئولية أبحاث الأحياء المائية الطبية هذه.. فأنت عندما تأخذ فى إعتبارك أيضا أن ما تمَّ تحليله، لا يعدو ١٪ (واحد فى المائة)، من الكائنات البحرية التى تمتلك إمكانية الشفاء على هذا المرض الوبيل، بالعقاقير المشتقة بطريقة ما، من كائنات عالم البحار».**

● ومن هنا، نقول إن هذا المرض أشبه بمارد عدوانى جبار، عاش عصوراً طويلة يسفك الدماء.. لكنه دخل، أخيراً، طور الشيخوخة، وتساقطت أنيابه الجارحة ووهنت عريكته الجامحة، وهو «الآن» الى المنّية دنى.

●● **حقاً، إن هذه الدراما الدامية، قد تعددت فصولها الطويلة، مشحونة بالفواجع والآلام.. لكن العلم أوشك على الاقتراب من الفصل الأخير.**

قصة العدد ١



عطاء الحياة وطفل الأنابيب

علينا أن ننقل الثقافة الغربية لحاضرتنا بقدر وميزات ...
و
علينا أن نستفيد منها لإثراء ملكاتنا .
و
علينا أن نطرح شوائبها ونزهق من معينها المتفق مع حضارتنا ومثلنا ومقوماتنا ...

بقلم : غي كروسي
•
عربها بتصرف
هادي الغازي
"المغرب"

اتصلت هاتفيا صباح يوم اثنين بأمى لأخبرها بأننى لن التحق باحدى المؤسسات العليا للادارة فى الدولة وأن كاترين طردتنى. لقد فشلت فى مباراة الدخول للمدرسة الوطنية للادارة. وبمجرد الاعلان عن النتائج حرمتنى كاترين من القيام بواجباتى الزوجية ومن مهامى العائلية. لا، إنها لم تفارقنى شيئا فشيئا لعدم وجود منفعة، بل إنها طردتنى فى الحين.

لقد كانت دائما جد معجبة بالهيآت العليا. وجئت لأحط من قيمة ما كانت تعتقده مقدسا. ستتمسك بوعدها. وقد كانت دائما تحتفظ بعواطفها في الوقت المطلوب. امرأة شابة عصرية..

لقد فهمت من صوت أمي غير المنقطع، أنني هدمت جزءا من حياتها: «كفى تبجحا المطلوب منك الآن أن تستدرك ما فات.. من هم في مثل سنك يجب أن يهزوا العالم».

لماذا فكرت في العيادة الخاصة للدكتورة «آني ديلاج» وفي عطاء الحياة لزوجين بدون أمل؟ ربما لأمحو ذنب الفشل. ثم سأجند للمنفعة العامة حسب قانون ١٩٠١.

● كانت مصحة الدكتورة آني ديلاج مقيمة بفندق قديم خاص..

في الساعة ١١ صباحا بالضبط، دخلت مكتبا جميلا تفوح منه رائحة صابون مارسيليا والنفتالين. كانت الدكتورة آني مستندة بجانب النافذة، ومرتدية بدلة محتشمة دقيقة ومنتعلة حذاء أصفر غريبا من وبر المهر. إنها امرأة جميلة وشيء ما قصيرة وبدينة.

لم تكن ترغب خلال الزيارة الأولى في معرفة مكنونات ذاتي.. ولم تنتهك وجداني ولكنها طوقت شخصيتي وأحاطت بها وكانت تسجل مميزاتي البدنية في مفكرة ثم اختارت آباء المستقبل:

«إن الولد سيشبهك، ولكن يجب أن يشبه أيضا الأب الذي سنختاره له. أتفهم لماذا نحن في حاجة لتنسيق عطائك بسيماء الأب المقبل؟».

فحصت بؤبؤ عيني ثم صدري بعناية دقيقة، واستدعتني للجلوس وضربت فوق رضفة ركبتي اليسرى.. كانت الاستجابة ارتكاسية.. ونقرت الرضفة اليمنى. كانت النشوة بين يدي الدكتورة آني ديلاج اكثر رقة لدرجة استسلمت معها. وكان بإمكان نفثه أن تدمرها «مدهش» إنها تبدو حلوة كفتاة شابة.

«وأنت؟»

قريبا سأبلغ ثلاثاً وخمسين سنة.. لم أنجز شيئا.. ولم أقم بأي شيء.. لم أصبح لا شاعرا ولا بطلا لفرنسا في الملاكمة.. وأيضا لم ألتحق بإحدى المؤسسات العليا للدولة.. لم تكن هناك جرأة ولا إرادة ولا اندفاع.. إن صخب العالم وضراوة الناس لم يحركا فيَّ ساكنا بسبب أني لم أكن أشعر بحاجة للبوح بمشاريعي المستقبلية.. وما دمت لا أضر ولا أنفع كنت حائرا مترددا مفقودا وسط كائنات من طبيعة أخرى.. أهو إحساس عابر؟.. وفي كل مكان يتلاشى أثر مروري بسرعة.. ولا يثير كتماني الانتباه.. إن هذه الحياة البئيسة لا تحزنني بل على العكس أنا موجود كما لو كنت حققت كل أحلامي.

«طيب، طيب، طيب»

ثم، ذهب كل شيء بسرعة. كان صوتها ناعما أمرت وعيناها منخفضتان، بأخذ عينة من الدم وضعت ممرضة الرباط الضاغط (le garrot) كان من اللازم الاطمئنان على أنني لا أحمل الحقن المضاد



وقـدمت ضمانات كل الرجال المتزوجين الذين مروا بهذه التجربة وأعجبت بالآباء الذين استقبلتهم.

ان العزاب يعالجون من طرف الدكتور (نو) Nau انحنتْ على بطنى وسألتنى فيما إذا كنت أشعر بحساسية لآلام الانسانية؟ ولكنها لم تنتظر جوابى:

«نعم.. سيكون لآباء الغد أطفال فى صورتهم سيجهلون دائـما هويتـك كما ستجهلون ما سيقـع لعطـائكم.. ليس هنـاك مرض وراثى؟ أظن أن قرارك ناضج جيدا».

والآن، ترغب فى الـدخول لصلب الموضوع، لمعرفة كل ما أمكن حول حالتى العقلية. قلت مسبقا إن لى باباً صغيراً يفتح فى بعض الأحيان داخل ذاتي ويجعلنى دائما حزينا بعض الشىء.

وبـدون تصنع بدأت تلقى علىَّ أسئلة صريحة ومباشرة.. راجية منى الاجابة بكل عفوية وحسب طبيعتى.

هل سبق لى أن تألمت بسبب الفشل؟ كان يبدو لها ان حياتى كانت في صراع مع مثالى.

قلت: نعم.

ـ نعم ماذا؟

رددت: نعم

ـ هل كانت أمك تتمتع بجاذبية؟

نقرت بخفة على قلمها ليسيل المداد.

نعم أولا، هل فكرت جيدا؟

ـ لا.

ـ لا ماذا؟

ـ لا.

ـ هل بامكـاني استخلاص أنك لم تكن تهتم بها أبدا؟.

كان ركن الشـارع يظهـر من النـافذة، وقعتْ حادثة فى ملتقى الطرق.. تجمع الناس.. وقبل أن أجيب كنت أريد انتظار أن يتفرق الجمع.

بدأت الجموع تتفرق في مفترق الطرق.

«لماذا كنت تعرف عن ملذات الحياة في محاولة لاسعاد عائلتك؟ وهل حاولت الاختفاء لما حققت الهدف؟.

■ أضيئت الحجرة بنور قوى بسبب الشمس التى كانت طالعة فوق الأشجار.

«ألم يكن لك أبدا أحساس بحب أولئك الذين كونتهم بنفسك، فقط ما دام أنهم عمليا، يشبهونك؟».

كنت أرى من النافذة الى ما هو أبعد.. أبعد من المدينة من حيث لا ينفك الرذاذ يمطر.

«ألم تكن أبدا تتحمل هموم وأخطاء الأشخاص الـذين تحبهم، على أمـل أن هذا سيـواسيهم وأن افتداءك سيخلصهم؟».

ما زالت تحكى لى آلاف الأشياء، صريحة بعض الشىء.. عن الطبيعة البشرية وحبكة معقدة..

فهمت من بعـد أن الأمـر كان يتعلق باستـمارة روتينية عادية، ذلك أنها شطبت على سطور بكاملها لا تعنينى في شىء وأشارت الى كلمة، من غير يقين.

«لاتوجد ظواهر طفيلية»

شكرا لله. قاطعتها، «ليست الانسانية لوحة عيادة».

● ابتسمت بلطف وهكـذا لم أعـان أبـدا من آلام الـوحـدة العقليـة.. ولا من انتكـاس اجتماعى.. ولكنهـا اعـترفت بانهـا اكتشفت بصعوبة «تصورى الموجه» والاتجاه الحقيقى لسيرتى. وعلى كل حال لم أكن افتقـد الحيوية.. خُلقتُ لأعيش فى المجموعة وسيكون عطائى سلبيا.. واستدعتنى بكل حدة.

«الاربعاء المقبل فى الساعة الثالثة بعد الزوال..

«لسنا ضد عطاء زوج لزوج يمكن ان تمارس الجماع المتصل ولا الجماع المتقطع».

■ يوم الاربعـاء، فى السـاعـة الثـالثـة بعد الزوال بالضبـط، وبمجـرد وصـولى الى البهـو، تظاهرت بالعظمـة الكـبرى وبـالنظـرة الـدائمـة للرجـل المستعجـل.. قادنى مسـاعـد إلى قاعة الاستحمام واستـدعانى لآخذ حماما.. وكان يفركنى بقفاز من

المناسب للأوكسجين البندر إيجابي الشيء الذي أدى إلى ظاهرة انخساف كما يوجد بكثرة في الطبيعة البشرية . . كانت تبدو مرتاحة لعلامات سلوكي . . الوبر ثم انصرف بلباقة ذلك أن عاملة بالمخبر كانت تشير اليَّ بالدخول الى قاعة الاستشارة .

● كانت الدكتوره إنسانية عصرية حقيقية مخلوقة الحساسية الانسانية قادرة على الايحاءات السامية وذات طاقات وجدانية وروحية . . لم تسمح لي كل سنوات الدراسة للوصول الى هذه الحقائق الأساسية . . كانت تعرف أيضا كيف تكون رائعة دون أن ترهق الزائر ، .

أوضحت في المرة الأولى أنني لم أكن موضوعا مختارا ، ولكني لم أكن أحمل أفكارا مقلقة :

«ليس هناك نقص جنسي ، ولا ظاهرة ثانوية . . فقط نشاط لا بأس به للعمليات التناسلية» .

■ كانت تظن ، بدون شك أنها تساعدني وذلك بوضع يدها البيضاء الجميلة على كتفي . .

وفي آخر لحظة أدرت رأسي نحو النافذة متأملا الممر من حيث أتيت .

■ لم أكن حزينا وبعد لحظة راحة داعبتني لانعاش طبيعتي البشرية واستهوتني كلية كلماتها الجميلة حول الحياة .

« ثلاث عينات ضرورية . . الاثنتان الأوائل للتحليلات والثالثة لبذرة الحياة» .

● في أي شيء كانت تفكر الدكتورة بينما مجموعة من المخبريين كانت تجزيء الحيوانات المنوية المتحركة ، على أمل أن تتوصل الى ٢٠ مليوناً في الملم متنقلة الى سرعة قصوى ؟ كانت سابحة في حلم عابر وأحيانا ترميني بنظرة مسلية .

« التحليلات جيدة . هل تريد أن تتابع » .

خشيت من أن تنصرف عن العملية لأقل تردد يصدر مني .

« إلى اللحظة الطيبة ، سنجرى محاولة لمعرفة كيفية مقاومة الحيوانات المنوية الحية للتجميد ، هذه شذرة دليل» .

■ فسرت لي بهدوء أنها لا تريد تضليلي في طريق خاطئة ولكن عمليا فان أربع عينات كانت ضرورية . . لم تكن تعلن أبدا عن اللون بسبب أن الكثير من الناس سيأخذهم الخوف وينصرفون لعدم وجود الأمل وروح المبادرة . . كانت على صواب . . لم يكن أي شيء يدل في هذه المرحلة من التحليل ان عطائي يقاوم التجميد .

● كانت عاملات المخبر يثرثرن إحداهن تزوجت حديثا بطريقة دينية كانت تبدو سعيدة . . هدأت بعض الوقت وقالت الدكتورة بفرحة :

« كل شيء على ما يرام أكثر من سبعة ملايين في الشذرة» .

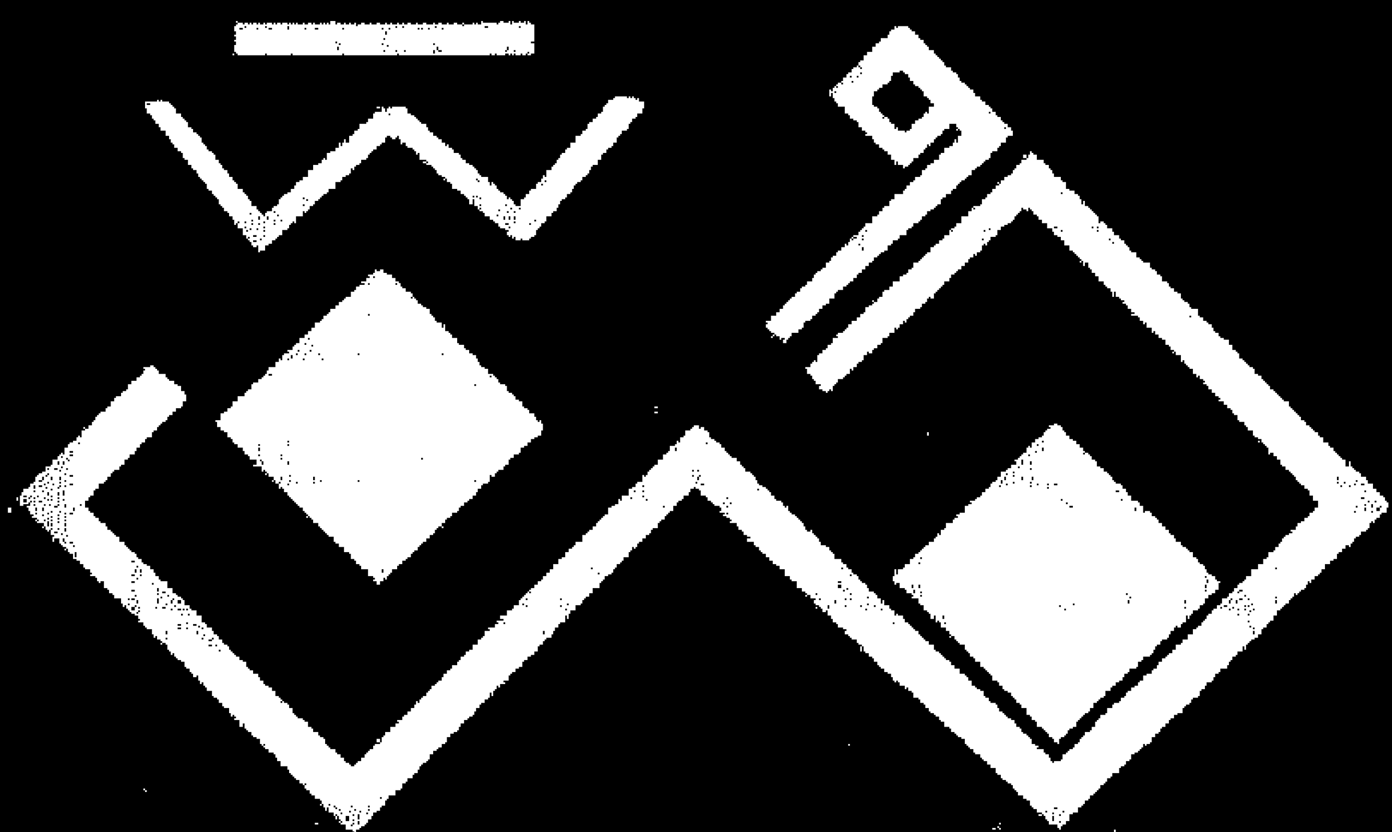
■ وقلت مع نفسي «حسن بالنسبة للانجاب» ولكني كنت أخشى أن أعود بخفي حنين بسبب خجلي ، وكنت أتحدث بطريقة متلعثمة . كنت أتخيل المرأة التي ستأتي للبحث عن نطفة الحياة . لم أعرفها أبدا .

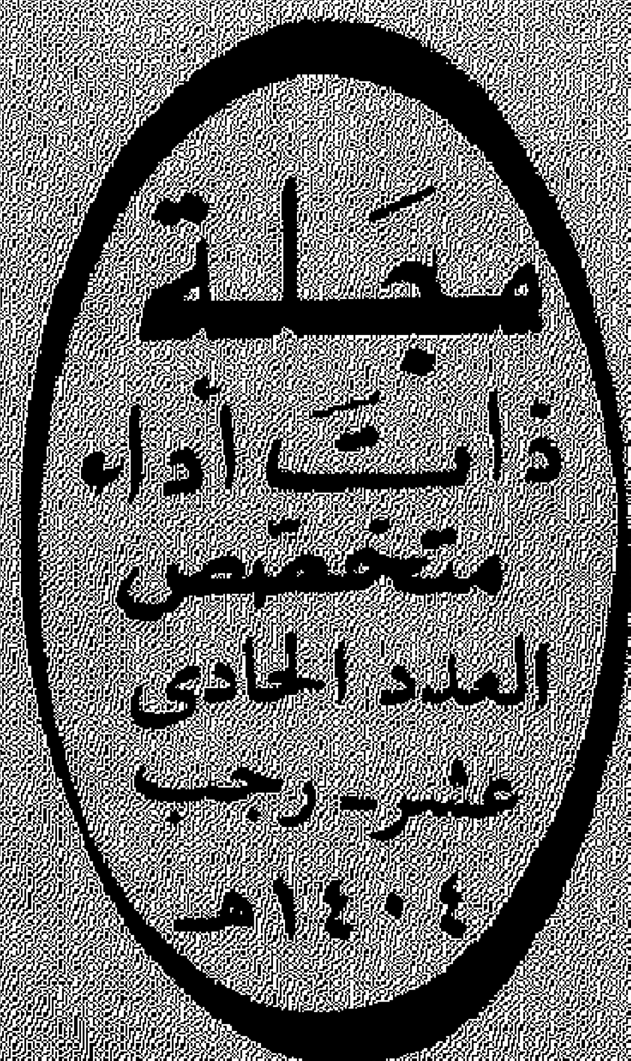
● كنت أقضم قطعا من الخبز والسلمون (سمك سليمان) المبخر وأشرب عصير ليمون . ثم أخذت طريقي الى الممر . . كان الجو في الخارج لطيفا . ولكن شعرت بحزن صغير يخيفني . . كنت ما زلت في ذلك الوقت تحت سيطرة عطاء الحياة . . وكنت موضوع اهتمام كبير محاطا بعناية . . ينبغي الحرص على ألا يحدث أي نقص أو ضياع . . وحتى أهيىء المستقبل قررت خلق حدث طالما انتظرته . . وهكذا وبفضل قانون ١٩٠١ أودعت باسمي القانون الأساسي لجمعية خيرية عمومية ووعدت نفسي أن أقوم بأكثر ما يمكن من الوعي بتنمية مجال العزلة المجهول والثقيل حيث كنت أعيش فيه حتى الوقت الحاضر بانفعال .

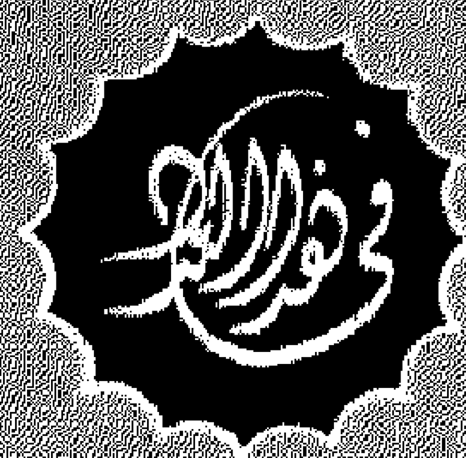
■ وفي المساء كتبت عدة رسائل كلها أمل . . واحدة كانت للدكتورة آني ديلاج . . والثانية لرئيس الجمهورية . . والثالثة لأمي .



النساء .. شقائق الرجال







الاشراف

د. ابتسام صادق	الرياض
حياة عبد الحميد عنبر	جدة

شمو

العدد

افتتاحية

آدم هنا يقوّم حواء.. وربما يأتى بجديد عنها.. يذكر مالها ويسجل ما عليها.. وينصفها من نفسه يؤكد دورها فى الحياة وحبها إليه

انها الأخت.. والأم.. والزوجه.. انها حواء منهل الحنان وينبوع المحبة.. انها العين الساهرة.. أمًا كانت او زوجة.. تحبس نفسها بين أربعة جدران تعد الطعام.. وتغسل الثياب.. تعنى بنظافه البيت وترتيبه ورعاية الصغار.. وربما كانت موظفه.. تقوم بالعمل خارج المنزل مثلها فى ذلك مثل الرجل.. تعود بعده لبيتها وتمارس عملها كأى ربة بيت ناجحة..

لا أحد ينكر ما يتمتع به الرجل من قدرة بدنية وخشونه مما تفتقر اليه المرأه.. وان كانت القوّه والخشونه مدعاة فخر الرجل لأنها مقومات رجوله.. فعليه الا ينسى أن الرقه والنعومه.. هما ايضاً من مقومات الانوثة..

لقد كانت المرأة قديما فى نظر الرجل نوعا من انواع المتاع مجرّدة من الحقوق مكبلة بالواجبات..

ثم جاء الاسلام وكرّم المرأه.. وانصفها.. وجعل لها من الحقوق مثل الذى عليها من الواجبات.. وأباح لها العمل.. ضمن الحدود التي تحفظ لها كرامتها ويظل شرفها مصونا.. وانطلقت المرأة تساهم فى بناء المجتمع ولا تقل شأنا عن الرجل..

لئن كان الرجل غالبا هو الذى يعمل.. ويكسب لينفق على البيت.. ويؤمن للاسرة احتياجاتها.. فليس له ان يمنّ على أهل بيته بذلك.. وعليه أن يتذكر اثناء عمله.. انه قد ترك فى البيت انسانة فذّة.. أخذت على عاتقها تربية الابناء.. وغرس الفضيلة فى نفوسهم ليشبوا على التقوى ويسهموا فى بناء الأوطان.. عليه الا ينسى كذلك ان اكثر من ٥٠٪ من العادات التى اكتسبها الابناء انما الفضل فيها يرجع للأم.. التى سهرت على ترويضهم لاستيعاب ما يدور حولهم.. ومن باب التواضع والفضيله أن نقرّ انه ما بإمكان أحد منا معشر الرجال ان يملأ فراغ المرأة على ابسط

القول بأن النساء شقائق الرجال

يوسف أبو عواد

الاحتمالات. عندها لضقنا ذرعاً بهؤلاء الصغار.. ولنفدت معهم كل الحيل.. دون جدوى.. ولرأيت الأغلبية لا ترى طائلاً من اشعال البوتاغاز لأنها لن تحسن طهو بيضة واحدة ولازدحمت المطاعم بالكثيرين وقد لاح على محياهم علامات العجز.. وضحالة الخبرة.. وماذا كان سيعمل فى الغسيل المكدّس بجانب الغسالة؟. ومع أنها آلة تقوم بالمجهود لوحدها.. الا أنه يعتذر آسفا ويرتاد المصبغة يتوسل الى صاحبها ان يسرع فى الانجاز.. اذ لم يبق عنده من غيار نظيف غير الذى يستر جسده..

● *هذا عندما تكون المرأة ربة بيت فقط.. ثم ماذا عن تلك الفئة المزدوجة العمل؟.. أليس من النساء الطبيبة ـ والمدرسة ـ والمحامية؟.*

■ *أليس منهن من تجيد السباحة.. والفروسية.. وحازت على البطولة؟.*

■ *أليس من النساء من وصلت الى مناصب حكومية مرموقة؟. بل ومنهن حتى من رافقت الرجل فى رحلاته الى الفضاء.*

أفبعد كل هذا نستهين بحواء.. لقد اثبتت المرأة فى هذا العالم انها بإمكانها ان تقوم بما يقوم به الرجل من اعمال.. وظلت الاعمال النسائية مقصوره على النساء.. وتلك الفئه من الرجال الذين جربوا حظهم فى ملىء فراغ حواء ظلوا مقلدين لها.. وفى الدرجة الثانية..

وربما اكون آخر من حرّر هذه الأسطر فى انصاف المرأة.. ولكن هذه هى الحقيقة ونحن كمسلمين علينا أن ننظر إلى حواء إن كانت اختا او عمة او خاله.. او جدّه.. بما أمرنا به الدين الاسلامى الحنيف من صلة الأرحام..

وان كانت زوجه علينا أن نعاشرها بالمعروف ونعطيها من حقها ما يتوجب علينا..

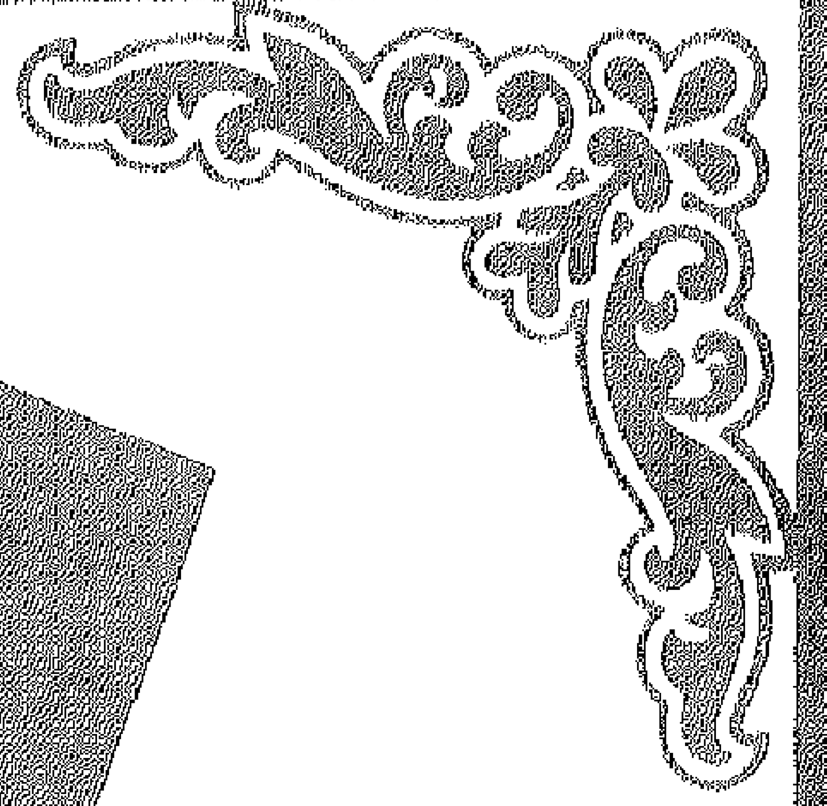
وان كانت أماً.. فيكفيها حجة ما قاله نبينا محمد عليه الصلاة والسلام..

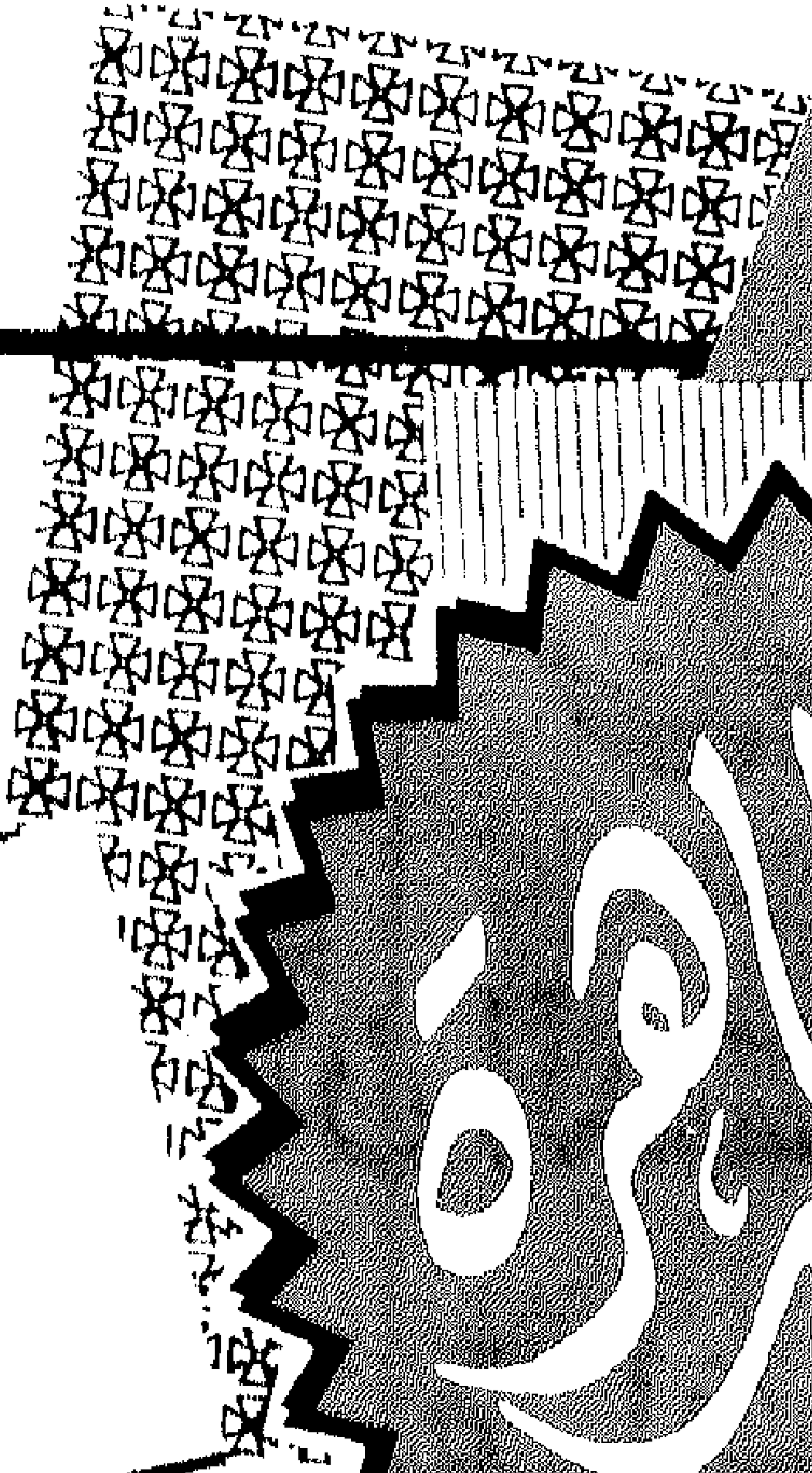
«الجنة تحت أقدام الأمهات»

وكلمة أخيره:

اذا استهنت فى يوم من الأيام بشىء ما تذكر قول الشاعر:

لا تحقرنّ صغيرا فى مخاصمة
إن البعوضة تدمي مقلة الأسد





دراسة ادبية

همـوم المـرأة ال

● *من يتابع الحركة الفكرية والأدبية للمرأة العربية.. سيرى ان للمرأة العربية همومها التى انعكست فى حروفها وكلماتها.. وحتى فى صحتها.. وهو اكبر وأشد همٍّ يعتصرها ككيان من الداخل وكوجود فى المجتمع.*

● وبالنسبة لهموم المرأة العربية.. نجد ان الأديبات قد اختلفن الى حد ما فى التفاصيل.. وايضا فى اسلوب التناول الفنى ولكن اتفقن فى انهن يدرن داخل دائرة واحدة.. وهى دائرة الرجل والمجتمع والعرف والتقاليد.. فالمرأة العربية ـ فى منظورهم ـ تعانى من سيادة الرجل، والضغوط الاجتماعية من عرف وتقاليد تضيق عليها الخناق.. وتجعلها مخلوقاً بلا كيان.. او إراده.. تحيا بارادة مسلوبه القوة والتأثير.. تحيا بارادة لا تعرف الا معنى الخضوع لأعراف وتقاليد قديمة بالية بعيدة عن روح الدين.. ولكنه ميراث المجتمعات الغابرة.. التى حفرت الكثير فى عقل ووجدان المجتمع.. وترسبت فى نفسه واوجدت انسان (الرجل) العصر الحديث يعانى الكثير من الازدواجية والقسوة

من أحاديث صحفية لقاءات للأديبات العربيات

بقلم / أمجاد محمود رضا

الانتهـازيـة . . وهى المفـاهيم التى بلورتها الأديبات العـربيات فى شكل قصص واشعار ومسرحيات . . وذلك على اختلاف المجتمعات اللاتى ينتمين إليها . . مما يعطى بالتالى العمومية لهذه المفـاهيم فى معظم - إن لم يكن فى كل - المجتمعات العربية .

● ولقد عبر الرجـل عن مفهوم السيادة ، وقسوة المجتمع على المرأة وذلك كما هو الحال - وعلى سبيل المثال - فى روايتى «دعـاء الكـروان» لطه حسين ، والحرام للدكتور يوسف إدريس ، والاولى الهدف منها ابراز ان عوائق التغير الاجتماعى ليس سببها الدين ، وإنما الفكـر البدائى والعلاقات الاجتماعية البدائيه وهو يمثل الحرام فى نظره . .

اما د . يوسف ادريس فى الحرام . . لا يرى الحرام شيئاً مطلقاً بل ما يرتكبه المجتمع هو الحرام .

● وتطـور مفهـوم السيـاده لدى الـرجـل . . واصبحت مسألـة السيـادة لا تعـانى منها المرأة الشـرقيـة . . وإنما يعانى منها الانسان بعامة . . رجلًا وامرأة على حد سواء . . ذلك يتضح من خلال مسرحية الفرافير للدكتور يوسف ادريس فى حوار احـدى الشخصيات مع الأخرى التى تقـول . . «مسـألـة العبـد والسيـد مسألـة وجوديه . . » كما يتضح فى حوار الزوجة لزوجها حيث تقول له . . «انت حاتغير الكون . . هى الدنيا كده لازم يبقى فيها العبد والسيد .

ويتطور مفهوم السياده ليشمل معنى اكبر من علاقـة الـرجل والمرأة او الانسان بعامة . . الى شىء اخر . . وهى العلاقة الحضارية بين الشرق والغرب التى تتضح فى رواية الطيب صالح . . «مـوسم الهجـرة الى الشـمال» وتـوضح احدى

عربية فى أدبها

الدراسات.. ان الطيب صالح قد تناول مسألة العبودية فى إطار حضارة ما بين الشرق والغرب.. وهى الحضارة الأدنى.. والحضارة الأعلى.. وهى علاقة تبعيه (ثقافيه) تجمعهما..

■ ومن هنا يتضح لنا مفهوم السيادة الواسع لدى ما يكتبه الرجل.. لنعود من هذه الرحلة.. الى رحلة أخرى.. وهى رحلة فى مفهوم السيادة لدى آدب المرأة - ان صح هذا القول - ولما كانت الحركة الفكرية والأدبية النشطة للمرأة العربية لم تتعد سنوات.. فانه من الطبيعى أن يدور مفهوم السياده لديها وفيما تكتبه.. عن الرجل والمجتمع والعرف والتقاليد.. وهى اذا كانت تعكس مفهوم السيادة فى ادبها.. فهى تعكسه فى تلك الدائرة.. وأيضا فى إطار تطور المجتمع واحتكاكه بالعالم الخارجى.. وما يترتب على ذلك من اصطدام الانسان (الرجل.. بشكل مركز) برواسبه الاجتماعية القديمه بما هو جديد «العالم الخارجى» فهى بذلك تعكس مفهوم السيادة الواسع فى ادبها.. ولكن بشكل ضيق من حيث التناول..

ونبدأ لقاءنا بالقاصة العراقية ديزى الأمير

تقول ديزى الأمير.. انا أفهم المرأة اكثر من الرجل.. المرأة لها هموم صغيره لا تحسها إلا المرأة.. أو لنقل انها تحسها اكثر مما يحسها الرجل وفى رأيى ان هموم المرأة.. هموم عالمية بدليل ان الأمم المتحده تتبنى قضايا المرأة وتعقد المؤتمرات العالمية التى تجمع الشرقية والغربية ولو انتهت مشاكل وهموم المرأة الغربية.. لكانت غير موجودة فى هذه المؤتمرات.. ومن ثم فان هموم المرأة الشرقية والغربية مشتركة وخاصة ان المرأة عاطفية.. وإذا ما انجرفت المرأة وراء عاطفتها.. تسحق شخصيتها وحقوقها..

● الإسلام أعطى المرأة حقها،

● بُعْدُ المرأة عن واقع دينها لاخفاق لهم.

● الدعوات والشعارات عن ما هى إلا بوادر شر تح

● المرأة شريك الرجل فى تكوينه الطبيعى ومؤهل ويجمعهما الحب الخالص

وإذا طُمِسَتْ هذه العاطفة لقالوا عنها انها مسترجلة.. ومن ثم فان المرأة الشرقية والغربية عليها أن توازن بين العاطفة والعقل.. حتى تثبت وجودها.. وتحقق شخصيتها بذاتها.. وليس بعطاء الآخرين أو مساعدتهم.. فالمهم أن لا تعتمد على احد وخاصة الرجل.. فلقد تعودت المرأة أن تكون ظلًا للرجل.. والصعوبة تكمن فى ان هذا السند (الحائط) لن يبق للأبد.

واما عن الرجل فتقول:

اننى لا ادين الرجل دوما.. واما عن عاطفته فتقول انها الاقوى بالنسبه له عن المرأة.. ويتضمن عاطفه الغيرة والنفاق وحب الظهور على حساب الطرف الآخر.. والمرأة ما زالت (شهرزاد) ولو على حساب كرامتها.. والمرأة الأمية تفوق فى تأثيرها على الرجل لان الأمية أبرع فى تحقيق هذه المفاهيم للرجل.. اما المثقفه فتترفع عن السيطرة عليه..

■■ واما عن حقوق (ما تطالب به) المرأة.. فانَّ

المرأة مسؤولية تغيير نظرة المجتمع لها . .

●● وتقول الكاتبة اقبال بركه . . إن المرأة العربية تعيش فى مجتمعها بلا كيان . . وتُفرَض عليها أدوار تحكمهـا عادات عقيمه دون القيم الاصلية (اى البعيدة عن روح الشريعة) . . وعلى الرغم من التقدم التكنولوجى الذى حدث فى العالم . . وعلى الرغم من ان الكرة الأرضية اصبحت صغيرة إلا أنه ما زال المطلوب منها . . ان تعيش بعقلية جامدة .

●● وفى روايات اقبال بركة . . نجد ان مفهوم السيادة والازدواجية والانتهازية واضحة . . فالرجل (الأب) هو السيد فى احدى الروايات . . الذى يؤمن بتعليم ابنته وسفرها للخارج للدراسة فى الوقت الذى لا يستشيرها عندما يتقدم عريس لها . . بل ويفسخ الخطوبة ايضا دون اذن منها . . لانه اختلف مع العريس . . اما المرأة (الأم) فهى مغلوبة على أمرها . . والابنة (المرأة) رافضة لذلك إلا انها مرتبطة عاطفيا بالأب . . أما الابن (الرجل) لا يعرف لنفسه طريقاً واضحاً محدداً . . ويتعلق فى احد الشخصيات الرجالية فى الرواية فكرة الانتصار على المرأة وليست فكرة الحب لها .

● وتوضح اقبال بركه هذه الأزدواجية إكثر فى رواية (ليلى والمجهول) حيث توضح ازدواجية الرجل . . الذى يحب امرأة ويتزوج بأخرى . . فى الوقت الذى يطالب فيه من يحبها بان تستمر

(ديزى الأمير) فى قصصها تدعو المرأة . . فتقول : إنّ المرأة فى مجتمعنا العربى تطورت وأعطيت لها . . أو حصلت بنفسها على حقوقها . . فتحققت لها الايجابيات ، أما عن هدفها من خلال خيوط قصصها . . فهو تبصير المرأة والرجل . . فالرجل على ألا يتسم بالعدوانية مع المرأة . . وان لا تكون المرأة بهذا الاستسلام . . وتقول : انا دائما أحث المرأة على دفع السلبية الاجتماعية بان أصورها . . جبانة . . متخاذلة . . خنوعة . .

■ أما اقبال بركة القاصة المصرية . .

●● فهى تتفق مع ديزى الأمير فى مقولتها عن شهرزاد السلطان وان كانت تعتبر قضيتها . . مع المرأة نفسها . . لانها المسؤولة عن اى وضع . . فالرجل اذا ما وجد المرأة جارية سيتحول الى سلطان (زمانه) واذا كانت قوية . . سيكون فخوراً بها . . واذا كانت انسانة سيكون انسانا معها . . ومن ثم فهى تحمل

أما سلمى شلاش الكاتبة السورية :

فتقول . . انا ضد السلبية . . وضد ان تأخذ المرأة الأمور على علاتها . . لابد أن يكون للمرأة رأى ووجهة نظر . . هذا هو ما نريده للمرأة . .

■ وتقول ان الرجل . . بالفعل صاحب القرار وصاحب المركز وصاحب كل شىء (مفهوم السيادة)

وتضيف متسائلة.. هل من حق المرأة المطحونة أن تقف أمام هذا الرجل المتجبر؟؟

■ ان المرأة مستعبدة حتى اليوم فى اواخر القرن العشرين والماضى مليىء بالظلم.. والجيل الجديد يبحث عن ازادته، لكن هل جيلنا وجيل امهاتنا مثل هذا الجيل؟.. بالطبع لا ومن ثم فانى أدعو المرأة فى كل كتاباتى أن تعمل (وتستقل مادياً) لانها على المدى الطويل ستشعر بقيمة هذا العمل.. فانا لا أريدها -ان تبقى ظلاً للرجل.. ولا أن تبقى كاحدى التحف المنزلية المركونة.. وان تبحث عن نفسها داخلها.. وكل إمرأة حققت ذاتها.. فرضت إرادتها على عالم الرجل.. لا لشىء إلا لانها جديرة بهذا المكان.

■■ *وتتبين من رؤية سلمى شلاش مفهوم السيادة.. وايضا قدرة الرجل باعتباره صاحب القرار وصاحب كل شىء.. أى المهيمن المسيطر.. وهو الأمر الذى يتفق فيه الشاعر صلاح عبد الصبور.*

صلاح عبد الصبور

يقول ان الرجل فى الواقع هو المسيطر على الحياة.. وإن المرأة كمبدعة تنمو فى ظل مقاومة الرجل.. لإنها لم تستطع ان تحصل على استقلالها المادى والنفسى والروحى كنتيجة للظروف المحيطة بها (وهى بعيدة عن روح الشريعة) وهذا ما تؤكده جيلان حمزه الاذاعية والأدبية ايضاً.

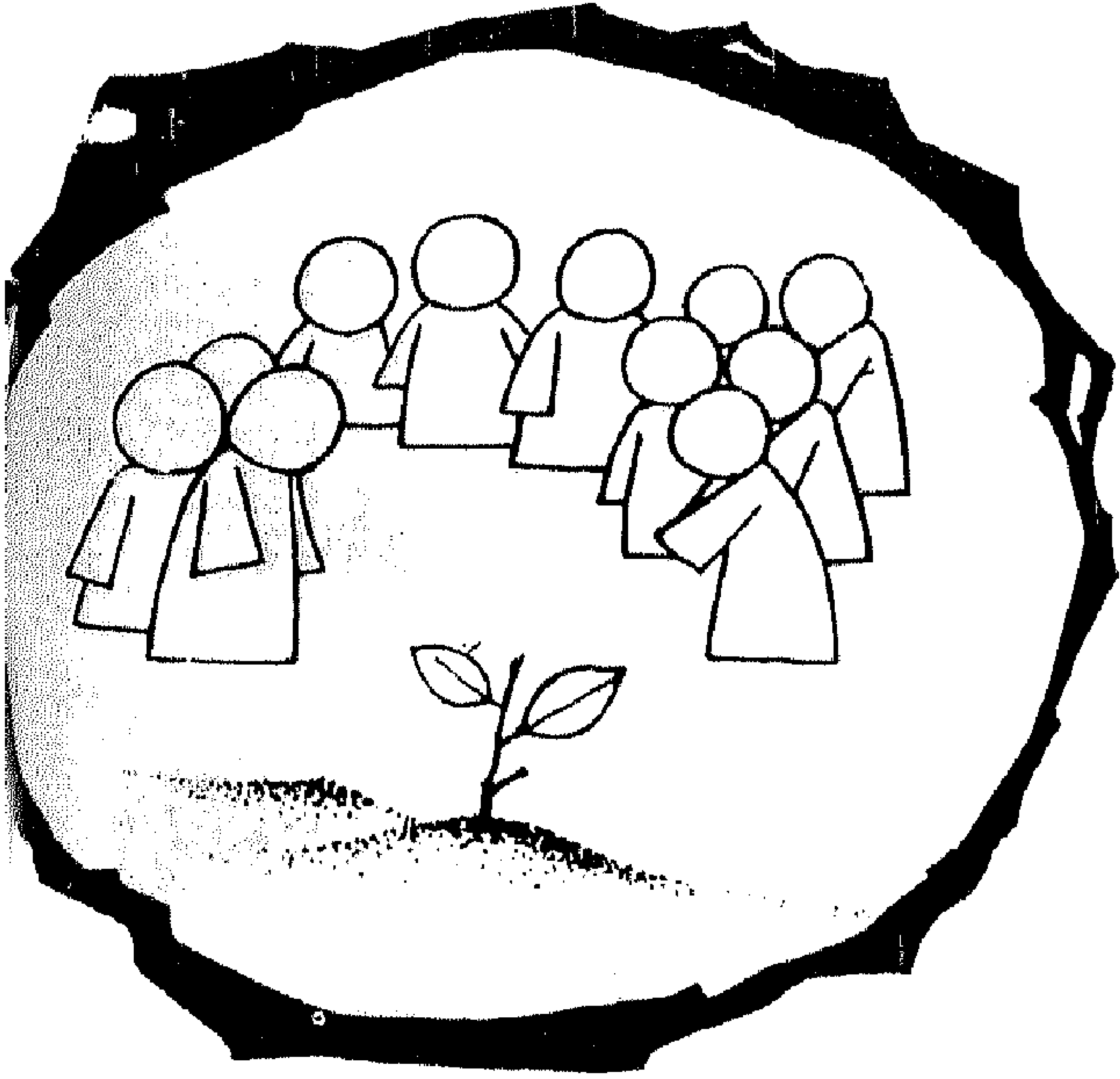
جيلان حمزة

حيث تقول.. ان المرأة (الأديبة) تكتب من وراء اكثر من حاجز.

وتتحدث أيضا زينب صادق الكاتبة المصرية عن الرجل والمرأة.

زينب صادق

■ وتوضح الكاتبة زينب صادق مفهوم السيادة والازدواجية فى عملها القصصى.. فى قصة «ثلاثة وجوه لرجل» وهى تحكى عن رجل متزوج.. يحب أخرى.. ويدخل فى علاقة مع ثالثة.. وعندما تكتشف الزوجة الخيانة تطلب الطلاق.. ولكنه يرفض.. مما يعكس ذلك «مفهوم السيادة».



أما الاديبة سعاد زهير فتقول:

■■ اننا كنا نكتب فى الفترة السابقة بصوت الطرف الذى لا زال مغلوباً على أمره.. وما زال جريحاً ومهملاً ولكن بتطور المجتمع الذى بدأ يعترف بالمرأة.. حدث نوع من التوازن فى العلاقة بين الرجل والمرأة.. وان كان توازنا غير كامل.. أنعكس بدوره على أعمال المرأة الكاتبة.. ومن ثم فان المرأة الكاتبة فى الفترات الأولى كانت تكتب بشىء من التحامل والمبالغة.. ولكن اليوم بدأت تكتب عنه كشريك ورفيق.

■■ فالمجتمع يملك أن يجعل المرأة إنسانة موتورة

حاقدة وخصماً للرجل . . أو يجعلها صديقاً وشريكاً للرجل . . وذلك حسب نوع التوازن فى العلاقة بينهما . . ـ «مفهوم السيادة بالنسبة للمجتمع» ـ وذلك لان الأدب لا ينفصل عن المجتمع . . فهو يعكس صورة العلاقات القائمة بين افراده فى فترة ما . .

■■ وفى اعترافات إمرأة مسترجلة توضح الأديبة سعاد زهير مفهوم السيادة فى طفولة المرأة وحتى النضج . . ففى طفولتها . . تعانى من سيادة (الرجل فى صورة الأب) . . وسيادة الأخ . . وهى فتاة قروية ويقرر الاب ذات يوم ان تتزوج بنت الخمسة عشر عاما من ابن خالتها الافندى وترحل معه الى المدينة . . وتبدو السيادة «فى صورة الزوج» الذى يدخل فى علاقات نسائية متعددة . . وهى ساهرة مسهدة تنتظره دائما وخائفة . . وتلد هذه الزوجة ابنتين مما يجعل ذلك ـ فى نظر الكاتبة ـ اضافة جديدة لمزيد من انحناء الزوجة (المرأة) لزوجها ويزيد الانجاب من البنات . . وفجأة يأتيها الولد . . لينقذ ضعفها . . ويغمرها بالشجاعة فى مواجهة الزوج «السيد» للرجوع عن مغامراته النسائية . . ونزواته . . ولكن الزوج يرجعها إلى مكانها الحقيقى ببعض الكلمات الحاسمة من جانبه والتى تتسم بالتهديد لكيانها . . موضحا لها . . انها يجب ان تحمد حظها . . لإنه سيبقيها من اجل الاولاد فقط.

■ *وانتهت القصة . . التى تتضح وتسمع من خلال صوت المرأة يصرخ ضد الرجل «السيد» . وتقول الكاتبه بصدد هذا الشأن . . ان الرجل يتعامل مع المرأة من منطلق السياده . . لان المجتمع يرضعه هذه القيمة .*

■ *وبدأت الكاتبه سعاد زهير اعتراف امرأة مسترجلة بكلمات قائلة فيها . . . «كانت قصة أمى هى قصة آلاف الأمهات اللاتى لم يعرفن الطمأنينه ابداً . . زوجات بلا غد لان الغد دائما رهين بكلمة الرجل.*

■■ *ونأتى هنا للكاتبة المصرية سكينة فؤاد . وذلك فى حديث لها . .*

سكينة فؤاد :

●● *التى يتفق رأيها مع ما ذهبت إليه الكاتبه سعاد زهير فى اعترافات امرأة مسترجله . . بان المرأة بلا غد . . حيث قالت او عبرت عن هذا المضمون . . بلفظ الضمانات الانسانية للمرأة . . التى تزوجت وكبر أولادها واذابت كيانها طوال حياتها فى كيان زوجها وأولادها لتجد نفسها فى النهاية ان زوجها قد هجرها لأخرى . . أو لنجاح آخر . . ورغم أنها كيان له عقل وروح وجسد . . فحصادها . . يساوى صفراً . . فى آخر العمر.*

■■ *وتقول السيده سكينة فؤاد . . فى بداية حديثها . . لا للتبعية «مفهوم السياده» . . فالمرأة لا بد أن تكون لها شخصيتها الكاملة كشريكة فى هذه الحياة مع الرجل . . أما عن النجاح فى الحياة . . فهولا يقتضى التبعية . . أى بان تكون المرأة شريكة تابعة للرجل . . وفى رأيها . . انه يقدر ما يكون الرجل واثقاً فى قدراته وفكره . . بقدر ما هو فى حاجه الى الشريك الكامل الذى لا يخفى امامة أى فشل . . فالشركاء على قدر بعضهم . . العاجز يحتاج الى العاجز . . والكامل يحتاج الى الكامل فالضعيف فى حاجة الى المرأة الضعيفه . . حتى ترضى فيه نزعه سيادة ليست حقيقية .*

وتقول إنها فى قضيتها وهى (علاقة المرأة بالرجل) تبحث عن التكامل . . وليس التفاضل أى أيهما الافضل . . وذلك لانه لا يمكن للرجل أن يكون الأفضل وكذلك المرأة . . لان دور كل

منها مختلف.. ومن ثم فان الخطأ دائما واقع..
من اصرار البعض على البحث عن الأفضل..
فى حين اننا لو نظرنا الى الدين الإسلامى وللعلاقة بين الرجل والمرأة فى إطار الدين..
نجده يصفها بانها علاقه مودة ورحمه.. وهذه صفة لا يمكن أن تقوم بين شريكين احدهما ضعيف والآخر قوى.. وانما تقوم بين شريكين كاملين على قدر بعضهما البعض.

■■ وهى ترى ان الحل يكمن فى يد المرأة وذلك بان تقوم المرأة الشرقية نفسها بتذويب الموروثات الفكرية الخاطئة للرجل الشرقى.. وذلك بتربيتها للرجل.. اليست هى أول من تضع اللبنات الاولى فى شخصية الرجل.. وهو طفل.. ومن ثم فانها تربيه على المنح والعطاء.. خاصة وان الرجل ينشأ فى فتره طويلة على ان المرأة تمنح وتعطى.. «جارية» وهو يأخذ فقط..
وهو المفهوم الذى تتفق فيه كل من اقبال بركه..
وديزى الأمير وهو ان ترفض المرأة اسلوب الجارية مع شهريار.

■■ وتنادى أيضا الكاتبة سكينة فؤاد أن تكون هناك عودة للرجل الشرقى.. للشريعة الاسلامية حتى يقيم للعلاقة الانسانية بينه وبين المرأة.. الاكبار والتقدير والاحترام.. حتى لا تكون المرأة أمامه كشئ يمكن العبث به.

■■ أما عن المرأة فى قصص الكاتبة سكينة فؤاد فهى كائن قوى.. ممتلئة بالارادة والقوة.. قادرة على تغيير العالم رغم التحديات.. وليس من الضرورى أن يتحقق النجاح فيما تريده.. ولكن يكفيها انها خاضت المحاولة وتمتعت بسعادة أن يكون الانسان ما يريد.. لا كما يريده الآخرون.. فالمرأة بمثل هذه الصفات وحدها قادره على أن تمنح السعاده للرجل وللعالم كله.

نوال السعداوى:

● ولقاؤنا بالكاتبة المصرية د. نوال السعداوى.. يتم من خلال صفحات كتابها «الانثى هى الأصل» الذى يعتبر بحثاً علمياً للوصول الى حقيقة المرأة.. والذى نتبين منه مفهوم السيادة ايضا.. الذى يتضح من مقولتها فى مقدمة كتابها هذا.. حيث تقول:

● إن موضوع المرأة بالذات وفى مجتمعاتنا العربية.. يشعر الباحث فيه أو الباحثة انه يسير فى أرض مليئة بالألغام.. وانه فى كل خطوه من خطواته يصطدم بالأسلاك الكهربائية العارية.. والمقدسات الحساسة فى المجتمع.. ولا يمكن لأى باحث أن يُجرى بحثاً علميا أو طبيا أو نفسياً فى أى شيىء يتعلق بالمرأة إلا وبرزت امامه الافكار والتقاليد الدينية التى هى فى الاغلب ليست من صميم الدين ولا فى جوهره.. وكم يستخدم بعض الناس الدين سلاحاً مشهراً فى وجه اى باحث أو باحثه عن الحقيقة.. ولكنى اشعر بقوة أمام هؤلاء الناس.. فالدين الحق لا يفرق بين إنسان وانسان ولا بين رجل وامرأة ولا أبيض وأسود.. الخ. الدين الحق ضد الكراهية ومع الحب الصادق النابع من النفس.. وليس الحب المفروض لسبب اقتصادى أو اجتماعى «مفهوم السيادة».

● وتقول د. نوال السعداوى.. ان تخلف المرأة وتكبيلها لا يؤخر النساء فحسب.. ولكنه ينعكس على الرجال والاطفال.. وبالتالى يؤدى الى تخلف المجتمع.. ولقد أثبت العلم ان اى قيود على الانسان «رجلاً أو امرأة» سواء اكانت هذه القيود فكرية أو نفسية او جسدية فانها بالتالى تتعارض مع صحته الجسدية والنفسية.. ومن ثم ينشأ الجميع فى مناخ غير صحى يزيد من التخلف.

● وتقول ان الهدف من حرية المرأة.. هو اطلاق امكاناتها الفكرية من اجل اثراء المجتمع فكرياً..

إثراء حياة وشخصية النساء بالعمل المنتج والمشاركة في تطوير المجتمع . . فهى قضية حرية فكرية للنساء من اجل العمل الخلاق . . في ظل مساواة كاملة للجنسين . . وان الاديان لا يمكن أن تكون او تتعارض مع العدالة والمساواة . . ولا أن تتعارض مع الصحة النفسية والجسدية . . ومن ثم فان صحة الرجل والمرأة تكون عن طريق الدين . . وهو ايضا ما يتفق مع دعوة الكاتبة سكينة فؤاد.

●● وتختتم مقولتها . . بانه ليس هناك دليل علمى في البيولوجيا او الفسيولوجيا أو التشريح يثبت ان المرأة اقل من الرجل عقلاً او جسداً أو نفساً . . ان الوضع الأدنى للمرأة فُرض عليها من المجتمع لأسباب اقتصادية واجتماعية لصالح الرجل . . ومن أجل بقاء واستمرار الأسرة الأبوية التى يملك فيها الأب الزوجة والأطفال كما يملك قطعة الأرض . . «مفهوم السيادة»

فتحية العسال

● اما الكاتبة المسرحية فتحية عسال المصرية . . تقول:

ان قضية المرأة لا أراها بعيدة عن قضايا المجتمع . . فهى جزء حيوى فيه كل مشاكلها ـ قبل أى شيىء ـ هى نتاج لمشاكله . . ولذلك فانا حينما أنادى بخوض مشكلة التغيير لا اقول بخوضها ضد الرجل ـ بل ضد أنفسنا لان التخلف موجود في داخلنا . . والكاتبه فتحية العسال تستخدم اسلوب الحث (التحريض) لتقوم المرأة بدورها . . وذلك من خلال تقديم نماذج سلبية للمرأة على خشبة المسرح . . كما هو واضح في مسرحيتها «نساء بلا اقنعة» التى تعقب عليها بان التغيير «بالنسبة للمرأة لن يأتى في لحظة . . ولكنه في حاجة الى مئات السنين . . ».

أما الكاتبة مى زيادة :

فقد قالت قديما وذلك من خلال مؤلفها (غاية الحياة) . . انه اذا احبت المرأة ذاتها حباً رشيداً . . كانت لنفسها أباً وأماً واختاً وصديقه مرشده . . وانمت ملكاتها بالعمل . . وضمنت ماديا استقلالها لان الأهل الذين تتكل عليهم قد يموتون . . وللاخوه والاخوات عائلاتهم وسبيلهم في الحياة . . والأصدقاء قد يتغيرون وينسون ، والثروه الطائلة قد تنقلب هباء ، أما هى فلا تخون ذاتها . . ولا تنسى ذاتها . . ولا تفقد ذاتها . . والثروة كل الثروه في الاباء والاستقلال الفردى وتعاطى عمل ما بجد واهتمام وبراعة . . والاعجوبه ان هذا العمل الذى نباشره هربا من الملل ورغبة في قتل الوقت . . لا يلبث أن يصبح ذا شأن كبير ويُعين لنا غاية عظيمة مشيراً الى وسيلة الحصول عليها . .

اذن فلتكن مجموعة أعمالنا غاية جليلة نقوم بها بعزم وجهاد وقد اختفت من عيوننا خيالات الخضوع والمسكنه وحلت محلها نظرة من هى لم تعد عبدة المجتمع ، ولا عبدة الحاجه ، ولا عبدة الرجل ولا عبده قلبها . . وهو اعظم جائر مستبد . . (مفهوم السيادة) . .

بل نظره من اصبحت سيدة نفسها . . تُطيع مختاره ، وتعمل مختاره بهدوء من فاز أو قُدِّر له أن يفوز في الحياة . . فتكشف عند كل خطوه جمالا جديداً وتفرح كل يوم كأنها خلقت خلقا جديداً .

● *وفى النهاية نقول ان تحرر المرأة المشروع في يدها اكثر منه في يد الرجل ، وان العمل ألزم الأشياء لها . . وهو ما تتفق عليه الاديبات العربيات جميعاً . . ولكن هل تعلم المرأة الشرقية ذلك؟؟ .*

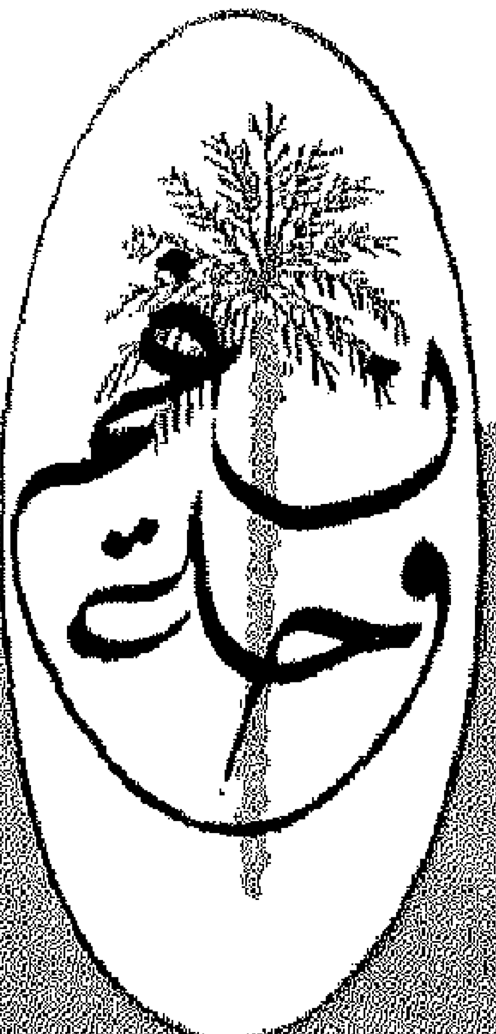
من وحي الغربة

من قلم: فريدة الخليلي
«الأردن»



● رسالة . . . الى أهلي . . .
لماذا نسيت أهلي . . . ؟
ما بالي هجرت ديارهم . . . . . .
أضعت طرقاتهم . . . .
وهربت من صداهم . . . .
نسيت بيوتهم . . . .
وبعدت . . . بعدتُ عنهم . . .
●● أهلي . . . .
خفت من ماضيهم . . . .
خفت من ذكراهم . . . .
وأصبح الخوف عندي جرساً يدق في
وادي النسيان .
لا . . . لا . . . ليس هذا هو
النسيان . . . . . .
ففي أعماقي رهبة . . .
ورجفة . . . .
وعودة الى الماضي . . . . . .
● الى أهلي . . . .
أأهلي . . . يغيبون في يقظتي . . .
ويجيئون في أحلامي . . . .
أطوف بمدينة أهلي . . . .
أسير حافية القدمين على تراب
الازقة . . . .
بعيداً
بعيداً وراء الافق الجميل لأودع
النهار . . . . .
نهار أهلي الذي يعيشونه في كل
لحظة . . .
وتنام الشمس كما أهلي ينامون
. . . . . .
وتغيب عني مثل غيابهم .
لكنها تعود . . . .

تعود الي . .
وأهلي . .
أهلي لماذا . . .
يا شمس . . .
لا يعودون ؟؟؟



الشتاء

من ريشة : د. ابتسام صادق
وكيلة قسم اللغة الإنجليزية / جامعة الملك سعود
«الرياض»

جاء الشتاء
وفيه قد بكت السماء
ولم تنم والحبُّ مهمل والدموع بلا انتهاء
والكون مثقل من جمود الحسِّ ينتظرُ العطاء
والدمع حاك القطر ثوباً صار للأرض رداء
مترقباً شمساً وصبحاً فيه يحلمُ باللقاء .
لمساته ذهبيةُ أبلت من الدهر الإباء
للأرض أكفانٌ وهذا الخلَّ أمسى فى الخفاء
متدثراً يوم ارتداء الأرض للشمس الكساء
ولتوِّه للأرض أدرك إذ بها كدرُ الهباء
والكون يسبح فى فيافى الماضى يلتمس العزاء
وتذكر الأرض الكئيبة حولها بحر العناء
تبكى وتعشق ذا الخليل - وذا الخليلُ بلا رجاء
فتيقن الصَّبُّ الحزين - الحب مهزلة الشقاء
وبدا يردِّدُ قائلًا فى الكون قد ذهب الوفاء
ذهب البهىُّ الخِلُّ لن تُرجعه أنَّات الرِّثاء
ومضى الفؤادُ وفى الفؤاد جديد حُبٍّ وانتقاء
لكنه هل يرتجى دفء العروق مع الخواء
هل؟ هل ستحيا عواطفٌ . . سَمِّ العواطف ما تشاء
ستعيش ميتاً بارداً ياكونُ ردَّدتِ السماء .



الخريج العربي مثل الآلة التي لا تجد مكاناً خارج تخصصها.

ما يترجم للطفل لا يتلاءم مع بيئته وتقاليده.

على طريق المجمع اللغوى السعودى مؤرخ الجزيرة العربية الأستاذ السيد امين مدنى يطرح مناقشة موضوع.. والدكتورة فاطمة الحبابى تجيب.

بدأ طرح موضوع تعريب المصطلحات العلمية الغربية الى العربية منذ فترة غير قصيرة وبشكل خاص كانت جامعة دمشق قد بدأت هذه التجربة منذ سنوات فى كليات الطب والعلوم والهندسة، واعتبرت نموذجا لتدريس التخصصات باللغة العربية.

من جهة أخرى كانت هناك تجربة مماثلة بدأتها جامعة محمد الخامس بالمغرب كما تقول د. فاطمة الحبابى التى شاركت باجتماعات لجنة الترجمة والتعريب المنبثقة عن لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية والتى عقدت اجتماعاتها فى الكويت.

وقد كان مستهل حديثنا حول العلاقة بين الحضارة الاسلامية أو تاريخ العلوم وبين الترجمة وهاتين المادتين اللتين تقوم د. الحبابى بتدريسهما بكلية الهندسة بجامعة محمد الخامس. ردت محدثتى قائلة: **اننا واهل الطلبة نسعى لاخراج بعض المصطلحات العلمية العربية القديمة من النصوص واستغلالها فى ترجمة النصوص التقنية الحديثة. فقد ارتأت الكلية منذ تأسيسها ان تدرس مادة اللغة العربية والحضارة الاسلامية كعنصر اساسى فى تكوين ثقافة الطالب المتخرج وفى ربط تاريخ امته التى ينتمى اليها المجتمع المغربى بشكل عام. ذلك اننا نقصد ان يتخرج الطالب متخصصا ومثقفا فى آن واحد فالتخصص البحت ليس اكثر من آلة لا تجد لها مكانا خارج اختصاصها فى المجتمع. بينما يجب ان يتمكن هذا الخريج من الاندماج فى الحضارة بمفهومها الاعم لا بمفهومها التقنى، اذ انه لا يجب ان نسلخ عن حضارتنا التى ننتمى اليها ونتميز بها عن بقية الامم الأخرى، ومن هنا يكون وجه العلاقة بين تاريخ الحضارة الاسلامية ومادة الترجمة. وانوه الى ان هذه التجربة فى المغرب كانت من خلال كليتنا فقط التى استطاعت ان تثبت اللغة العربية فيها.**

تعريب اللغة المحكية

هنا يثور التساؤل حول مدى قدرة هذا الخريج على التوفيق بين ما يتعلمه فى الجامعة وبين ترديده او ترديد مجتمعه لمصطلحات غير معربة، اى اننا بحاجة لتعريب اللغة المحكية بالدرجة الاولى؟.

من اهداف التعريب لدينا ان تعرب هذه المصطلحات فى الحياة اليومية ايضا والا سيكون هناك تناقض بين الكلية والبيت والشارع. وتلافيا لذلك

أصبح من الضروري ان تعرب الحياة اليومية في السوق التجارية، المنزل، الاعلام، وفي كل ما يمس الحياة المعاصرة.

ليست حاجزا

يرى المعارضون لفكرة تعريب المصطلحات العلمية ان الخريج ستعترضه صعوبة في الاطلاع على الكتب العلمية الاجنبية او استكمال الدراسات العليا في أي بلد غربي لاختلاف اللغة.

قد يجد الطالب صعوبة في متابعة دراسته العليا بلغة اجنبية نظرا لعدم اتقانه لها. لكن يرد على ذلك بان الطالب بالعزيمة الكبرى لمتابعة دراساته العليا لن يقف امامه حاجز دراسة المصطلحات الاجنبية، فهناك كثيرون لا يتقنون اللغة الروسية مثلا او التشيكية ويتوجهون لدراسة هذه اللغة، اذن حاجز اللغة في سني البحث العالي يبقى شكلياً، ولا يجب ان يخيف طلبتنا لان المسألة تتركز في العزيمة وقوة الارادة.

الكاتبة في سطور

- أستاذة بجامعة محمد الخامس.
- نالت رسالة الماجستير بكلية دار العلوم بالقاهرة حول لغة أبي العلاء المعري في رسالة الغفران.
- دبلوم حول مشروع لانجاز فهرست موحد للكتب العربية الموجودة في كبريات المكتبات العربية.
- مهتمة بدراسة اللغة وعلم التوثيق ودراسة النصوص السابقة الحديثة
- رئيسة تحرير مجلة «دراسات فلسفية وأدبية»

لم تصل للمستوى المطلوب

من منطلق اهتمامك بالترجمة كيف تقيمين حركة الترجمة في الدول العربية بشكل عام؟.

- بالطبع لقد تدارسنا هذا الموضوع في اجتماعات اللجنة التي اوضحت النقص في كثير مما صدر من الترجمات التي تتولاها دور النشر التجارية فحيناً تقسم ترجمة الكتاب هجينا وتتنوع اساليب فصوله حتى بالنسبة للمصطلحات غير ان هناك اختلافا في ترجمتها بين فصل واخر.

ولي تعليق على ما يترجم من ادب للاطفال حيث لا يوجد أي انتقاء للنصوص الملائمة، وغالبية القصص المترجمة لا تلائم بيئه وفكر الطفل العربي من حيث الموضوع. ومن حيث الاساليب فكثيرا ما تأتي معقدة بالنسبة للطفل وبصورة اجمالية اعتقد ان الترجمة في الوطن العربي لم تصل بعد الى المستوى المطلوب حيث لم تسد بعض الثغرات في ميدان الآداب نفسها وبالاحرى فيما يتعلق بميدان العلوم على تنوع الاختصاصات من زراعة وطب وفيزياء وصيدلة .. الخ.

ان ركب الترجمة في ميدان العلوم لم يتحرك بعد، والجهود المبذولة في هذا المجال مشتتة وغالبا ما تأتي من بادرة شخصية وقلما تتولى مؤسسات حكومية الاشراف المباشر والفعلي على قيام حركة ترجمة في قطر من الاقطار الا ما ندر ونستثني من ذلك وزارة الثقافة بسوريا وبعض الجهود التي بدأ يبذلها مجمع اللغة العربية في الاردن، وجهود اخرى قليلة في قسم العربي باليونسكو والامل كبير في ان تسير وحدة الترجمة التي عرفت النور فقط منذ سنتين تحت اشراف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. كما تعلق بعض الامال على اكاديمية المملكة المغربية التي خطت نهجا في ترجمة عيون المؤلفات المعاصرة وأشير هنا الى ان هناك استفادة من كل تراث الترجمة العربية المعتمد عليه بالمغرب.

في الحلقة السابقة عرضت الكاتبة مفهوم الحب ومضمونه عند «فرويد» كما تحدثت عن الأسباب والدوافع النفسية والاجتماعية المؤدية إليه والداعية إلى تأصيله وتعميقه .. ووصلاً لما سبق تأخذنا الكاتبة الفاضلة إلى مفهوم الحب وماهيته عند «ابن حزم» الأندلسي من خلال كتابه «طوق الحمامة» مع بعض المقارنة والموازنة لفلسفة الحب عند غيره «د هند»

ابن حزم صاحب طوق الحمامة العالم الفقيه الذى لا يؤمن بالحب من أول نظرة

هذا هو أروع كتاب درس الحب فى العصر الوسيط فى الشرق والغرب فى العالمين الإسلامى والمسيحى، تتبع أطواره وحلل عناصره وجمع بين الفكرة المفلسفة والواقع التاريخى وواجه أدق قضاياه فى وضوح وصراحة.

■ هذا هو طوق الحمامة وصاحبه هو أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم فقيه قرطبة وعالمها ووزيرها وابن وزيرها (٩٩٤-١٠٦٤م).

■ هذا الإمام الفيلسوف الذى وصفه العلماء بأنه كان له المنتهى فى الذكاء وحدة الذهن وسعة العلم بالكتاب والسنة والمذاهب والملل والنحل والآداب، والمنطق والشعر مع الصدق والديانة والحشمة والسؤدد والثروة وكثرة الكتب.

وقد يتعجب القارىء من هذه النقلة الواسعة بين دراسات الفقه والحديث وعلم الكلام والعقائد.. وبين دراسات الحب التى اشتهر بها ابن حزم وكأن الرجل أدرك بظهر الغيب ما يمكن أن يدور فى ذهن قارئه فيقول: «بحسب المرء المسلم أن يعف عن محارم الله عز وجل التى يأتيها باختياره ويحاسب عليها يوم القيامة وأما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لا يؤمر به ولا ينهى عنه إذ القلوب بيد مقلبها، ولا يلزمه غير المعرفة والنظر فى فرق ما بين الخطأ والصواب، وأن يعتقد الصحيح باليقين، وأما المحبة فخلقه وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه المكتسبة».

■ وابن حزم فى كتابه هذا رجل مجدد غير تقليدى، فهو قلما يأتى بأخبار وروايات حملتها إليه الكتب القديمة.. «دعنى من أخبار الأعراب والمتقدمين فسبيلهم غير سبيلنا وقد كثرت الأخبار عنهم». وإنما هو يقدم فى كتابه صورة واقعية لحياة الطبقة المثقفة والراقية فى المجتمع القرطبى فى القرن الحادى عشر الميلادى من خلال شخصيات ذكرها بأسمائها وألقابها

فلسفة الحب

عند فروم و(ابن حزم) وأوفيد

بقلم: سلوى العناني

من الخلفاء والوزراء والقادة والفقهاء والأدباء وغيرهم ممن كانت الروح المثالية هى منهجهم فى حياتهم العاطفية . .

ويتضح منهج ابن حزم العلمى فى هذا التقسيم المنطقى الذى جاء عليه كتابه والذى ذكره فى المقدمة حيث قال: «**قسمت رسالتى إلى ثلاثين باباً منها فى أصول الحب عشرة . . ومنها فى أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر بابا . . ومنها فى الآفات الداخلة فى الحب ستة أبواب ثم باب فى قبح المعصية وباب فى فضل التعفف**» .

■ والحب عند هذا الفقيه العالم «**أوله هزل وآخره جد دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف فلا تدرك حقيقتها إلّا بالمعاناة وليس بمنكر فى الديانة ولا بمحظور فى الشريعة إذ القلوب بيد الله عز وجل**» .

وتتضح ثقافة ابن حزم الإسلامية وغير الإسلامية من خلال كتابه الذى حفل بالشواهد والأمثلة من هذه الثقافات المتعددة . .

■ فهو عندما يعرف الحب يقول: «**هو اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة فى هذه الخليقة من أصل عنصرها الرفيع**» وهذا تفسير رومانى قديم . . ثم يقول بعدها: «**وسر التمازج والتباين فى المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال والشكل دأبا يستدعى شكله . . والتنافر فى الأضداد والموافقة فى الأنداد . . والله عز وجل يقول: ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها﴾**» .

وللحب عند ابن حزم أشكال وضروب وأفضلها عنده المحبة فى الله . . إما لاجتهاد فى العمل . . وإما لاتفاق فى المذاهب . . وإما لفضل علم يمنحه الإنسان . . ومحبة الطمع فى جاه المحبوب . . ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره . . ومحبة بلوغ اللذة . . ومحبة العشق الذى لا علة لها الا اتصال النفوس . . وهو يؤكد على أن كل هذه الأشكال من الحب تنتهى بانتهاء الغرض منها الا محبة العشق الصحيح فهى لا تنتهى الا بالفناء والموت . .

■ والمتحابان عند ابن حزم لا بد وأن يكون بينهما تشابه

واتفاق فى الصفات الطبيعية ويؤكد قوله بحديث رسول الله «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

■ وابن حزم لا يرى بعد التوافق شروطا أخرى لتبادل الحب مثل الجمال أو التشابه فى المزاج «لو كان علة الحب حسن الصورة الجسدية لوجب الا يستحسن الأنقص من الصورة ونحن نجد كثيرا ممن يؤثر الأدنى.. ولو كان للموافقة فى الأخلاق لما أحب المرء من لا يساعده ولا يوافقه فعلمنا أنه شيء فى ذات النفس».

يبدأ ابن حزم كتابه بأفكار فلسفية مختلفة عن علامات الحب تعد رائدة فى هذا المجال خاصة لو نظرنا إليها بعيون عشرة قرون مضت حققت فيها الدراسات النفسية والفلسفية إنجازات كبيرة وظهرت فيها نظرات ومدارس نفسية أكدت كلها صحة ما جاء به ابن حزم وريادته لها..

■ وليس بغريب على رجل عالم مثقف كابن حزم أن يتعمق هكذا فى أغوار النفس البشرية ويكشف عن هذه الدقائق الصغيرة وقد سبقته إليها الدراسات القرآنية والحديث النبوى فهو نتيجة حتمية بالإضافة إلى قراءته فى الآداب والأفكار العربية القديمة والتى تنعكس آثارها كذلك فى كتابته..

كتب ابن حزم كتابه (طوق الحمامة فى الالفة والألاف) وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره لكن أفكاره كانت من النضج بحيث إنها لم تختلف ولم تتغير عن أفكاره عندما بلغ السبعين وكتب كتابه الثانى فى نفس الموضوع وهو «الأخلاق والسير فى مداواة النفوس».

■ تعكس هذه النتيجة حقيقة هامة وهى أن الرجل كان ثابت الرأى غير متقلب المزاج وهى ميزة موضوعية تعطى آراءه وزناً علمياً كبيراً.

■ ويحفل كتاب ابن حزم بالأمثلة الشعرية التى صاغها المؤلف مؤكدا ومفسرا للنصوص النثرية..

ولكن جاءت سطور النثر فى كتابه أكثر شاعرية من أبياته.. ذلك أن تمكنه من ناصية اللغة ومعجمه الثرى الرقيق الألفاظ وبلاغته الراقية جعلت عبارته سهلة تكسوها شاعرية تلقائية فى حين جاءت أبياته الشعرية بعد ذلك لتأكيد هذا المعنى أو تفسيره فكانت أقرب إلى الشعر التعليمى منها إلى الشعر العاطفى.

وعن علامات الحب يتحدث ابن حزم ويبين أن العين هى «المعربة عن بواطن النفس» وهو يرى أن النظر هو أول مداخل القلب.. إلّا أنه يتعجب من كل من يدعى أنه يحب من نظرة واحدة ولا يكاد يصدقه «ولا أجعل حبه إلا ضربا من الشهوة.. وما لصق بأحشائه حب قط الّا مع الزمن الطويل» ويؤكد هذه المعانى مرة أخرى حينما يقول: «من أحب من نظرة واحدة وأسرع العلاقة من لمحة خاطرة فهو دليل على قلة الصبر ومخبر بسرعة السلو وشاهد الظرافة والملل.. وهكذا فى جميع الأشياء أسرعها نموا أسرعها فناءً، وأبطؤها حدوثاً أبطؤها نفاذاً»..

«ابن حزم الأندلسي»

■ ورغم تأكيد ابن حزم المتكرر على دور الإرادة الشخصية للفرد فى اختبار من يحب واختيار الطريق للوصول إليه، إلّا أنه يرى فى العشق (قضاءً وقدراً) «ان للحب حكماً على النفوس ماضياً وسلطاناً قاضياً وأمراً لا يخالف وحدًّا لا يعصى وملكاً لا يتعدى وطاعة لا تصرف ونفاذاً لا يرد».

■ كما يرى أن (الحب أعمى) فهو يعمى ويصم ويغير طبيعة الفرد، فإذا بالعاقل أهوج يستحسن القبيح ويصبح الهوى هو مذهبه وطريقه.

هذه بعض وريقات قليلة من دوحة ابن حزم الظليلة (طوق الحمامة) فى الالفة والألاف. وهو وإن لم يكن أول من تحدث فى هذا الموضوع من العرب إلّا أنه كان أكثر هؤلاء دقة ومنهجية فى أفكاره وترابطاً فى أحداثه وعمقاً فى تحليله ورقة فى أسلوبه وبلاغة فى لغته.. وتبقى فى النهاية قضية فرعية جديرة بالمناقشة وهى: هل ابن حزم الأندلسى مفكر أسبانى أم عربى؟.. فهو أسبانى بحكم المولد والنشأة والوجدان وعربى إسلامى بحكم الثقافة واللغة والتراث الفكرى وتختلف فى ذلك الآراء ونعرض منها لاثنين:

الأول: *للمؤرخ الأسبانى (سانتشت البرنس) يقول فيه إن ابن حزم كان أسبانيا فى أخفى أعماق روحه.. ومن العدل أن نضع اسمه بين قمم الفكر الأسبانى على امتداد كل العصور لأن حجم وتعقد ونفاذ انتاجه الأدبى والفلسفى والفقهى والعقائدى يعطى له هذا الحق.*

والثانى: *يرد فيه بعض الباحثين على هذا الرأى فيقول: كان ابن حزم دون أدنى شك عربيا خالصاً، ومسلماً تقياً فى فكره وعقيدته وسلوكه ولغته على الرغم من أصوله الأسبانية البعيدة.*

■■ *ورغم كل خلاف يظل طوق الحمامة وصاحبه علامة بارزة فى الفكر الانسانى بدليل أنه ترجم إلى معظم اللغات العالمية وأثر فى كثير من الكتاب والمفكرين الذين أتوا بعده.*



■ ويتحدث ابن حزم دائماً عن معانى الحب وأعراضه وظواهره وشتى آفاته من وجهة نظر المحب لا المحبوب.. وهو يلزم المحب بهذه العاطفة ويعفى المحبوب من كثير من التزاماتها بما فى ذلك الوفاء الذى يوجبه على المحبوب لأن المحب مخير بين القبول والرفض.

■ وتتضح العقلية السيكلوجية لابن حزم عندما يربط العاطفة بالزمان وتعدد التجارب، فهو يرى أن العاطفة البطيئة التى تولدها المعاشرة والتعامل هى أبقى من هذا العشق السريع الذى يراه أقرب الى الشهوة كما أنه يرفض فكرة التعلق بشخصين فى وقت واحد ويراها رغبة حسية أكثر منها حاجة وجدانية راقية.

متابعات ثقافية



فرنسي يصدر كتاباً عن نجران :

اصدر باحث فرنسى يدعى تشيكوف كتاباً تحت عنوان (نجران) ويتناول هذا الكتاب العادات والتقاليد العربية الأصيلة بين قبائل نجران والتى تعرف عليها المؤلف خلال سبع سنوات عاشها فى المملكة - كما يتطرق الى النهضة العمرانية الهائلة التى شهدتها المنطقة متتبعاً لها خلال هذه السنوات السبع مستعينا بالوصف والصورة.

هذه بلادنا ..

كتيب (الجواء) لمؤلفه : صالح بن سليمان الوشمى

(هذه بلادنا) : السلسلة التى تصدرها الرئاسة العامة لرعاية الشباب صدر منها العدد الثالث عن (الجواء) تاريخه . . تراثها . . موقعها . . حياتها الاجتماعية والانسانية وهذه السلسلة تهدف الى التعريف والتعرف على التراث العلمى والفكرى والحضارى لمناطق المملكة.

دار القبلة

● كتاب (ما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذايا والبلايا).

لمؤلفه الاستاذ أبو تراب الظاهرى، هو باكورة انتاج (دار القبلة للثقافة الاسلامية) وحوى الكتاب فى جزئه الأول ما تعرض له الرسول ﴿ﷺ﴾ على أيدى المشركين والمنافقين واليهود والنصارى من مصائب وبلايا مبيناً مدى الصبر الذى تمتع به لنشر الدعوة الاسلامية.



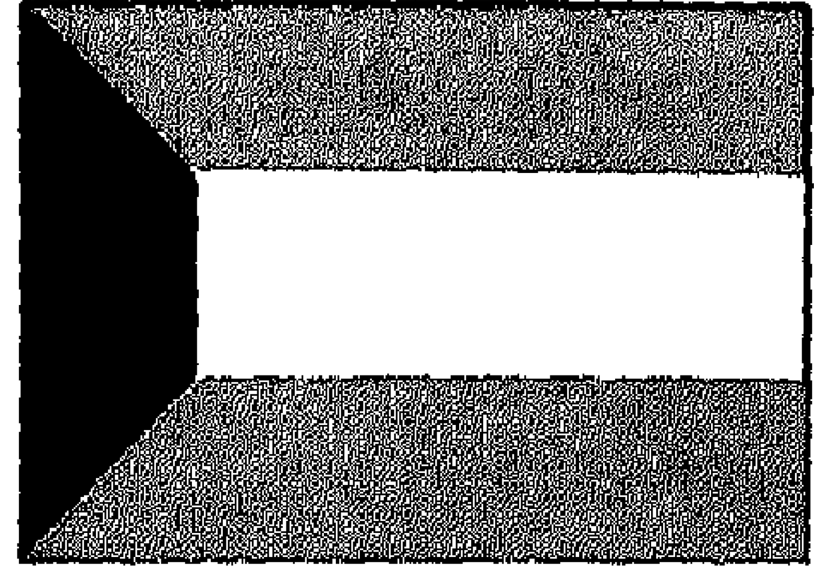
دار الرفاعى

● صدر عن دار الرفاعى للطباعة والنشر ثلاثة كتب من مجموعة السلاسل التى تصدرها الدار سلسلة (شعر وشعراء) صدر منها (مكتى قبلتى) ويضم قصائد عن مكة المكرمة لمجموعة من مشاهير الشعراء السعوديين منهم: أحمد قنديل، حسين عرب، محمد حسن عواد، حسن القرشى، محمود عارف، على زين العابدين وغيرهم من الشعراء.

● سلسلة (دفاترى) صدر منها جول كتيب بعنوان (الرسول كأنك تراه) اعتمد فيه مؤلفه الاستاذ عبد العزيز الرفاعى على حديث (ام معبد) الذى وصفت فيه الرسول ﴿ﷺ﴾ شارحاً له وموضحاً ومستخرجاً ما فيه من مضامين ومعانى.

● دنيا القصص - اصدرت الدار الكتاب الثانى منها بعنوان (سقيفة الصفا) لمؤلفه الاستاذ حمزه محمد بوقرى عليه رحمة الله. وهى عبارة عن رواية شيقة ينقلنا خلالها

ـى والمستقبل المشرق . .

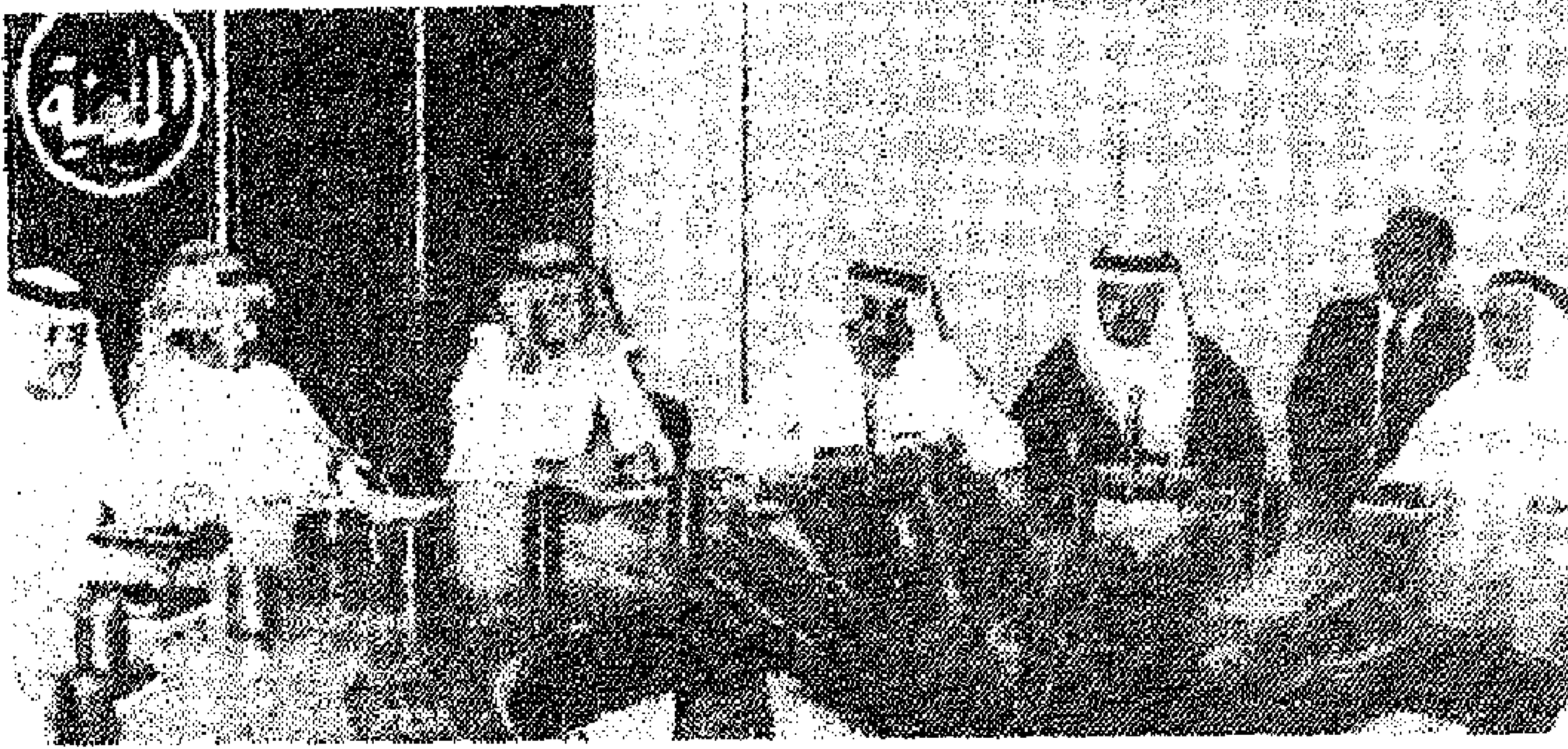

الكويت

العيـد الـوطنـي ضرورة حتميـة لتقييم انجـازات العلم والتكنولوجيا . . بهذه المناسبة نتطرق إلى نظرة استشرافية لما يمكن ان ننجزه من تقدم وطني .

وفي (الكويت) البلد العربي الشقيق كان الاحتفال بالعيد الوطني بافتتـاح عدة مراكـز للأبحاث العلمية تتمثل في ترجمة ذخيرة العلوم الأسـاسيـة إلى أبحـاث تطبيقيـة وهي استخـدام معطيـات العلم كمـدخـلات للارتقـاء بالعملية الانتاجية . . وبهذه المناسبة أيضا تم افتتـاح مرفق حيـوي لتحقيق الأمن الـدوائي وهـو افتتـاح إدارة المستودعات الطبية المركزية الجديدة بمنطقة صبحان . . ويشكل هذا المشروع الانتقال من مرحلة الاستيراد إلى مرحلة الانتاج المحلي وذلك فيما يتعلق بتكنولـوجيا أجهزة التكييف المركزية . . فمرحباً بأعيادنا الوطنية لدعم انتاجنا المحلي .

دار الرفاعي

الكاتب باقتدار وبراعة عبر سنين خلت لنـقـف على الصـورة الاجتماعية في مكة المكرمة . محدثا عن العادات والتقاليد والموروثات الـتي كانـت سائـدة حينئـذ . . والتطورات التي طرأت على البيئة .



أول ندوة عن التليفزيون تنظمها «المدينة»

عقـد بقـاعـة الاجتماعـات بمؤسسة المدينة للصحافة أول ندوة عن التلفـزيـون السعودي نظمتها جريـدة المـدينـة وحضرهـا وكيل وزارة الاعـلام المساعد للتلفزيون الأستاذ محمد حيدر مشيخ .

وقد افتتح الندوة الأستاذ غالب حمزة أبو الفرج بكلمة رحب فيها بالمشاركين في الندوة وأشار فيها الى دور ورسـالـة وسـائل الاعلام في خدمـة الاهـداف الكـريـمة التي تعمل حكومة المملكة على تحقيقها في كافـة مجالات الحيـاة ومـرافق الخـدمـات وصـولا بالمجتمـع الى المستوى المأمول في التقدم والازدهار .

كما تحدث الأستاذ محمد حيدر مشيخ عن دور التلفزيون كجهاز اعـلامي له اهميتـه لأنـه اصبح الضيف الذي يدخل كل بيت ولذا كان الاهتمام ببرامج التلفـزيـون وتنـويعهـا في اطار رسالة التعليم والتـوعيـة والتثقيف والـترويـح والـتربية التي تطلع بها وسـائـل الاعـلام المتعـددة وداخـل حدود التعاليم الاسلامية السمحاء .

دليل فريد للمصحف الشريف بالأرقام والأبجدية

استطاع مواطن عراقى ان يصنع دليلا فريدا لآيات المصحف الشريف بالارقام والابجدية ضمن معجم سجله بمجمع البحوث الاسلامية فى الازهر الشريف.

ونقل عن السيد عبد العزيز سعيد هاشم الذى اوجد الابتكار قوله: انه وضع لكل حرف رقما خاصا يمكن بواسطته من التعرف على آية معينة دون الرجوع الى المصحف الشريف. واشار الى انه عند التعود على هذه الطريقة الجديدة يمكن استخراج الآيات القرآنية بسهولة وبأسرع وقت.

المكتب الإعلامي السعودي

Bureau de l'Information de l'Arabie Saoudite

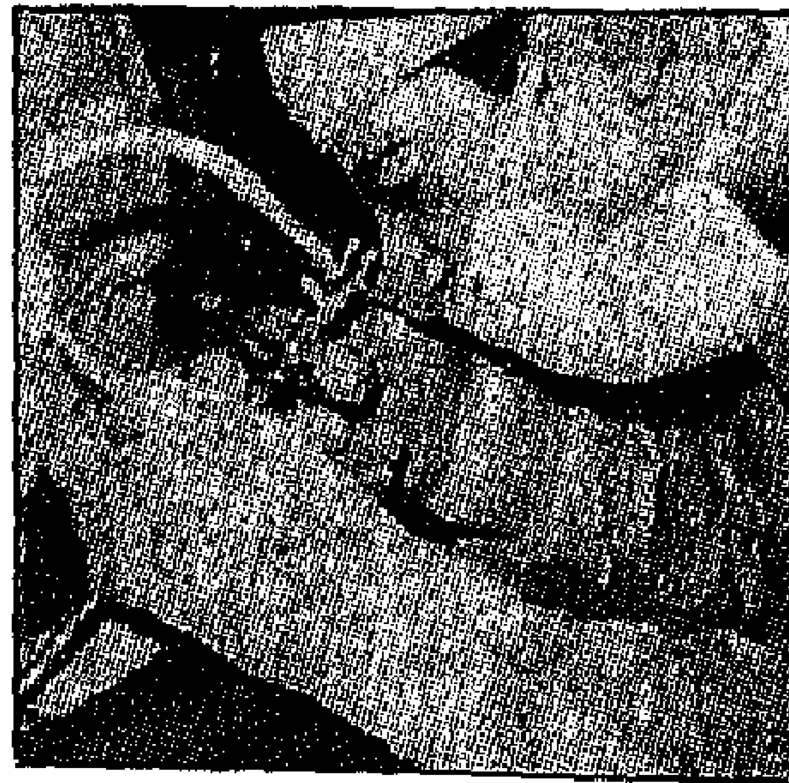
■ منذ افتتاح المكتب الإعلامى السعودى بتونس بريادة الاستاذ عبد الكريم محمد حمدى وصحبه الأفاضل.. قبل عام وهو يعج بالنشاط ويموج بالحركة وأصبح واسطة العقد بين الاعلام السعودى المتحرك للخير والبناء والإعلام التونسي الشقيق.. وحتماً فإن من الخير كله أن تكتشف وزارة الإعلام والجهات المختصه من أمثال هذه المكاتب فى الدول العربية وغيرها وأن تحسب لها نشاطها وتبرمج لها أعمالها حتى تؤتى أكلها مرات ومرات بما يفيد ويثرى.. وما مكتبنا الحديث هذا إلا أحد اشراقات الخير إلى هذا الفعل المتميز والى ذلك الأداء المكين.

استخراج حصوات فى الكلى بالمنظار فى مستشفى الملك خالد الجامعى

تم فى قسم جراحة المسالك البولية بمستشفى الملك خالد الجامعى عملية استخراج حصوات فى الكلى بالمنظار عن طريق الجلد وتعتبر اول عملية من نوعها تجرى فى المملكة ويعتبر القسم اول مركز يجرى فيه مثل هذا النوع من العمليات خارج اوروبا وامريكا.

فقد قام الطبيب السعودى الدكتور صلاح راشد الفقيه استاذ مساعد جراحة المسالك البولية باجراء هذه العملية.

وتتلخص العملية بادخال انبوبة صغيرة الى الكلية عن طريق



الجلد يتم بعدها توسيع مدخل الانبوبة ثم يدخل المنظار الى الكلية وتستخرج الحصوة اما كاملة او بعد تفتيتها بالموجات فوق الصوتية.

وقد افاد الدكتور صلاح الفقيه بان هذه العملية تعتبر من احدث ما استعمل فى علاج حصوات الكلية ومع ان هذه العملية كانت تستعمل بصورة متفرقة الا انها ادخلت الاستعمال الفعلى فى السنين الماضية وعلى حد علمى فان مستشفى الملك خالد الجامعى يعتبر من اول المراكز خارج بعض المراكز فى اوروبا وامريكا التى يجرى فيها استعمال هذه الطريقة المتطورة.

ومما يجدر الاشارة اليه ان هناك دواعى خاصة لاجراء هذه العملية وانها ليست بديلا تاما عن العمليات الجراحية التقليدية فى مثل هذه الحالات.

جهاز جديد للكشف عن تخلخل العظام

تخلخل العظام او ترققها مرض مؤلم يتأتى عن خسارة المادة العظمية شيئا فشيئا مما يشوه المريض ويقعده عن الحركة وهذا المرض اكثر ما يصيب النسوة فى اواسط العمر او اواخره مما يسبب لهن كسرا مفاجئا فى العمود الفقرى او الاطراف.

وفى الأونة الاخيرة اتقن فريق من الاطباء والعلماء فى غلاسكو باسكتلندا وسيلة لتشخيص هذا المرض فى وقت مبكر. وقد اطلقوا على الجهاز المبتكر اسم (اوسكار).. وهذا الجهاز هو عبارة عن كشاف دقيق جدا يتحكم به كومبيوتر متعدد الاتجاهات. ويستعمل الجهاز يود ١٢٥ المشع مرقابا ومضيا يتعاونان على اخراج صور مقطعية واضحة جدا للعظم.

ولتكوين فكرة عن كفاءة هذا الجهاز، نقول ان كومبيوتراته تأخذ حوالى ٨٠٠٠ قياس وتحللها على الفور لتعطى صورة واضحة عن التركيب الداخلى للعظم بكل التفاصيل وبدقة لا يمكن الحصول عليها لو شق العظم عمدا بعملية جراحية.

وتتم عملية الكشف فى دقائق معدودة دون ان تسبب اى ازعاج للمريض الذى يوضع فى كرسى طبى متحرك بينما يمرر جهاز اوسكار فوق عموده الفقرى او اطرافه.



جائزة مكة للعلوم والآداب

حباً ووفاءاً للبلد الحرام، واكراماً للعلم والعلماء خصَّص الأستاذ حسنى جميل اكرام مبلغ (خمسة وعشرين ألف ريال) تدفع سنوياً جائزة لأحسن عمل بحثى أو إبداعى (عن مكة المكرمة) وتسمى (جائزة مكة المكرمة للعلوم والآداب) وتصرف الجائزة سنوياً ابتداءاً من هذا العام ١٤٠٤هـ.

ويشترك فى التمتع بحق الترشيح لهذه الجائزه كل من يكون له عمل بحثى فكرى أو إبداعى له صله بمكة المكرمة من المسلمين رجلاً او امرأة، سعودياً كان أم غير سعودي. وتعطى الجائزة بمعرفة لجنة تشكل من جامعة أم القرى ونادى مكة الادبى.

العراق فى التاريخ

عن المجمع العلمي العراقي صدر مجلد ضخم بعنوان « العراق في التاريخ »

وهو من تأليف نخبة من أساتذة الجامعات العراقية والباحثين

يتضمن الكتاب تاريخ العراق منذ العصر الحجري وحتى اليوم .

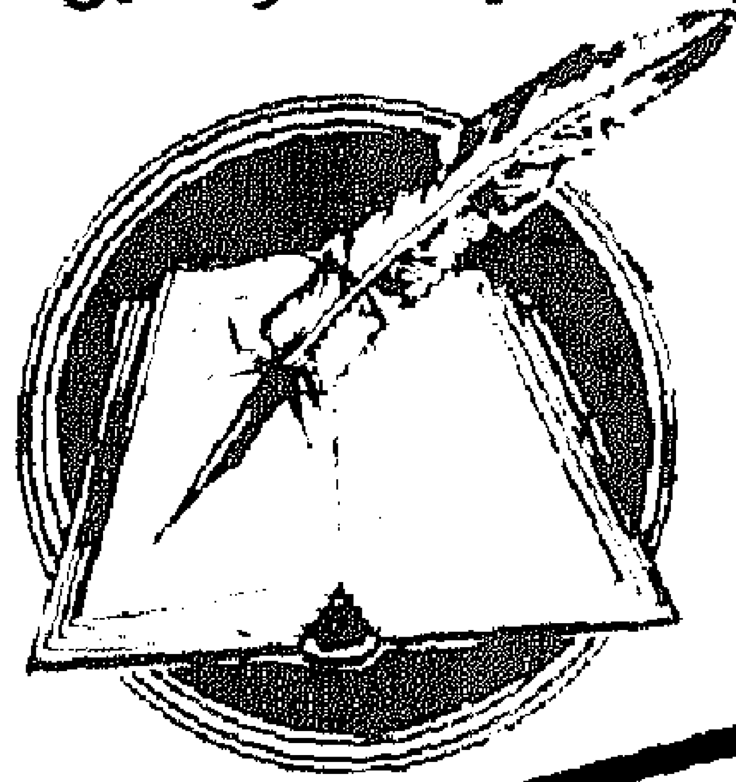
كما يتناول دور بلاد مابين النهرين في حضارة العرب والإسلام والعالم .

أول متحف للكتابة العربية :

يجرى الإعداد - حاليا - فى مصر لإقامة أول متحف للكتابة العربية وأدواتها . . وسيضم المتحف مراحل تطور الخط العربى والذى تمتد أصوله إلى ما قبل الإسلام . . كما سيضم إثنى عشر شكلا من الخط العربى منها الخطوط اللحيانية والصفوية والمسند، بالإضافة إلى الخطوط التى اندثرت مثل السريانية والآرامية والفارسية .

وستعرض صور خطية قديمة للقرآن الكريم وصور خطية لأول كتابة عربية على ورق البرد والنسيج والحجر .

وسيضم المتحف أول اختراع للكتابة وهو قلم الأبنوس الذى اخترعه الخليفة المعز لدين الله الفاطمى .

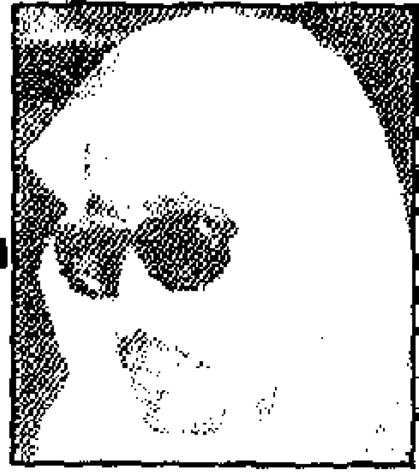


معرض لفنانات المنطقة الشرقية

تقيم الجمعية النسائية الخيرية بالدمام فى السابع عشر من شهر رجب القادم معرضا للفنون التشكيلية لفنانات المنطقة الشرقية .

وذكرت مديرة مكتب الاشراف النسائى بالمنطقة الشرقية ان المعرض الذى سيقام بمقر جمعية الثقافة والفنون بالدمام ويستمر لمدة اسبوع .





● فى محاضرة لمعالى وزير التعليم العالى بالمدينة المنورة ذكر بانه يوجد فى جامعات المملكة حاليا (٦٠) كلية بها اربعمائة تخصص وان عدد اعضاء هيئة التدريس فى الجامعات يبلغ تسعة الاف استاذ واستاذ مشارك واستاذ مساعد يمثل السعوديون منهم نسبة ٤٠ بالمائة .

● جاء فى احصائية اصدرها مركز المعلومات الإحصائية والتوثيق التربوى بوزارة المعارف أن عدد المدارس التابعة للوزارة خلال العام الدراسى الحالى بلغ ٦٠٨٩ مدرسة لمختلف مراحل التعليم بالمملكة وبلغ مجموع الطلاب الدارسين بها ٩١٤ الفا و٧٦ طالبا ومجموع المعلمين ٦٣ الفا و٤٠٦ معلمين والاداريين ٣١٤٦ اداريا . وبلغ عدد معاهد التعليم الخاص ٢٦ معهدا عدد طلابها ٢٣٧١ طالبا يقوم بتدريسهم ٨٨١ مدرسا وعدد الاداريين بها ٢٥٧ اداريا .

مليون طالب و٦٣ ألف معلم و٣١٤٦ إداريا فى مدارس المملكة -

صدور أول عدد من مجلة « فنون » التونسية »

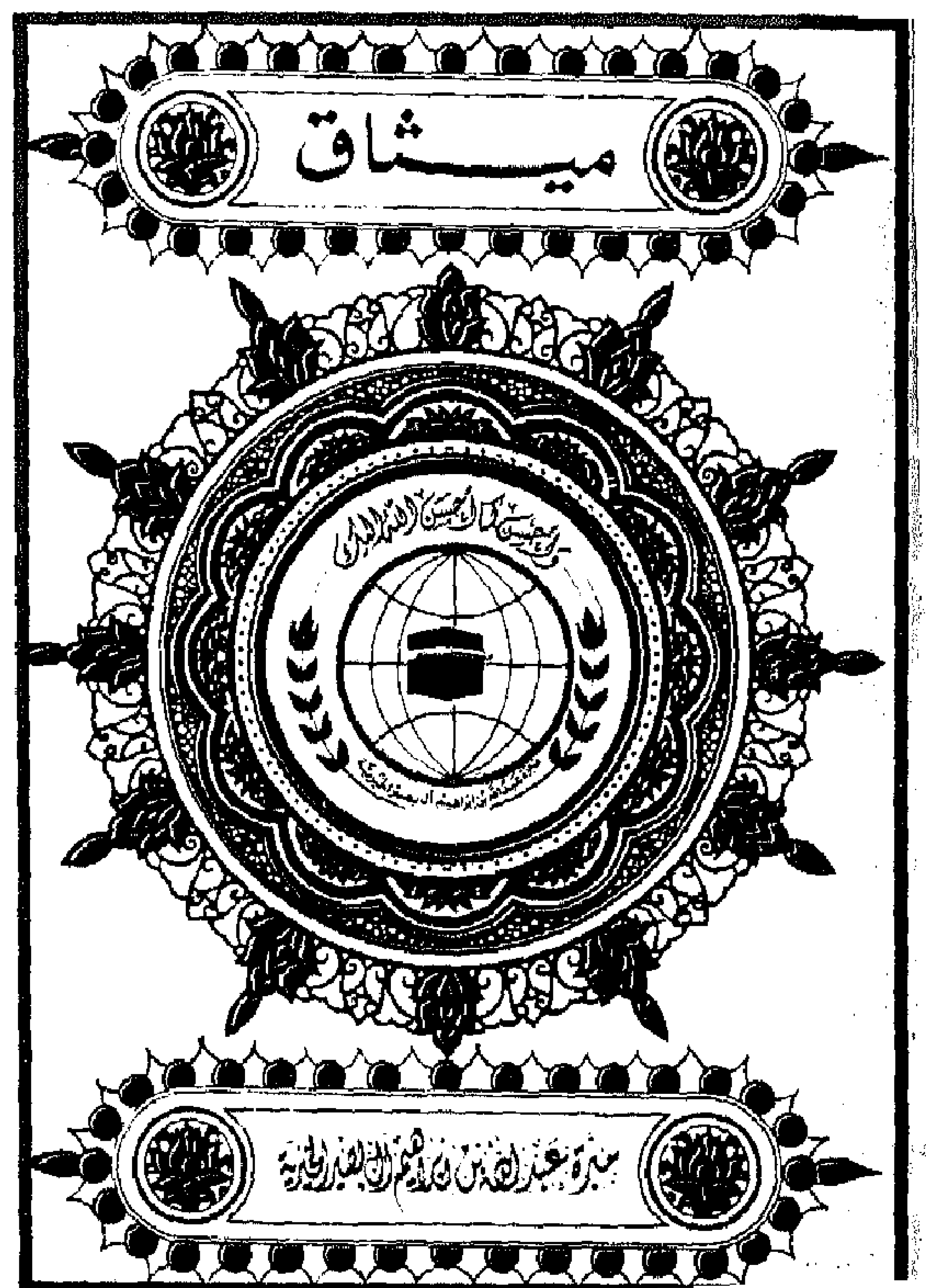
فى تونس: صدر العدد الأول من مجلة (فنون) وهى مجلة تعنى بكل مجالات الفنون وتشرف وزارة الثقافة التونسية عليها ويرأس تحريرها الاستاذ عز الدين المدنى . . وهى حسب اتجاهها منبر مفتوح للاقلام العربية وغير العربية لمعالجة قضايا الفنون بشتى فروعها، كما تساهم فى مجال البحث والابداع الفنى . . شعارها حرية الرأى وتعدده وغايتها الشمولية مع عمق التحليل ورصانة البحث .

جميلٌ وعزيز أن ترى هذه الخيريات الشخصية الفردية تترى على أديم هذه الأرض الطيبة المعطاءة الوفية .. والأجمل والأعز أن يقوم "فرد" بما ينوء به كاهل مجموعات لا ترى ولا تسمع !.. ومبرة عبد الله بن ابراهيم آل بصير الخيرية لعلها رائدة المعطيات ليس في نبلها ومستنبطاتها واقتحاماتها فحسب بل في امتثالها لأمر الله عز وجل والصدع به "وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن الله بما تعملون بصير"

"إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً"

وهذه صفحات مسلسلة من دستورها المتين ونظامها وأبعادها ومراميها المحكمة نفخر بإظهارها كما وردت عظة وعبرة ومنهاجاً لأولي الألباب





في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم

إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور

سعادة الشيخ عبدالله بن ابراهيم آل بصير

الرياض ص.ب ٨٧٢٢

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد .

تلقينا خطابكم المؤرخ في ١٥-٤-١٤٠٠هـ ومشفوعاته المتضمنة طلب الموافقة على تسجيل مبرة خيرية باسمكم .

نفيدكم أننا اطلعنا على النظام الأساسي المقدم إلينا للمبرة بكل عناية واهتمام ولا يسعنا إلا أن نشكر فيكم هذه الروح الطيبة ونقدر لكم هذه الرغبة الصادقة لخدمة أبناء هذا البلد من خلال المشاركة الفعالة والبذل السخي في المجال الخيري .

وحيث أن ذلك هو ما نسعى إليه من توجيه جهود قادري أمثالكم في هذا البلد ممن يرغبون بالمساهمة في الأعمال الخيرية وبذل الجهد والمال في خدمة الآخرين فإنه ليس لدينا ما يحول دون قيامكم بتحقيق هذه الرغبة .

مع تمنياتنا لكم بالتوفيق والنجاح في تحقيق ما تصبون إليه .

ولكم تحياتنا ...

وكيل الوزارة للشؤون الاجتماعية

فهد بن سلطان بن عبدالعزيز

مبرة

عبدالله بن ابراهيم البصير الخيرية

تأسست عام

١٣٩٨هـ

١٩٧٨م

الأسباب والدوافع لقيام مبرة عبدالله بن ابراهيم البصير الخيرية

جدير برجال المال والثروة في بلادنا أن يشكروا نعمة الله عليهم بالإسهام في أعمال البر والخير وإنشاء المؤسسات الدائمة التي ترعى ذلك وتتابعه حتى يتحقق التعاون المثمر البناء في سبيل التكافل الاجتماعي الذي يجعل الأمة

كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو
تداعى له سائر الجسد
بالسهر والحمى .

لذلك فإن ممارسة الخدمة
الاجتماعية من الأغنياء
والموسرين كانت ولا تزال
ذات فعالية قوية في
نهضات الأمم وسلامة بنائها،

ودعم حضارتها .

لذلك كله حرصت على أن
تقوم هذه المبرة في
حياتي وأن أسهم شخصيا
في بنائها

وأن أنعم برؤيتها شجرة وارفة
مباركة ظليلة ، تجني
ثمارها الطيبة بإذن الله



الباب الثاني

أهداف المبرة

المادة الخامسة

تهدف هذه المبرة فيما تهدف
إليه بصورة أساسية إلى رفع راية
الإسلام وخدمة الدعوة الإسلامية
وتكريم العلماء وتشجيع البحث العلمي
والأخذ بيد طلاب العلم ، وخدمة

بني الإنسان ، وذلك من خلال الميادين
والمجالات الآتية :

١ ـ صرف مجموعة من الجوائز
المالية للمبرزين من رجال الدعوة
الإسلامية والأدباء والعلماء
والمتفوقين من الطلاب والطالبات
في مختلف المراحل والتخصصات
وفق اللائحة رقم ١

مبرة
عبدالله بن إبراهيم البصيري الخيرية
تأسست عام
١٣٩٨هـ
١٩٧٨م

٢ـ تشجيع مؤسسات تحفيظ القرآن
الكريم والمؤسسات التي تعنى
بعلومه وعلوم السنة
المطهرة، ومعاهد تنشئة
الدعاة المسلمين والهيئات
والمؤسسات الإسلامية
الأخرى داخل المملكة وخارجها.
٣ـ تشجيع البحوث الإسلامية

التي تخدم أهداف هذه المبرة.
٤ـ تشجيع المدارس والكليات
والمعاهد والجامعات التي
تعنى بتعليم اللغة العربية.
٥ـ العمل على طباعة ونشر
الكتب الإسلامية باللغة
العربية واللغات الأخرى.
٦ـ تشجيع البرامج التي تخدم القضايا

الإسلامية عن طريق الإذاعة
أو التلفزيون أو غيرهما من
وسائل الإعلام الأخرى.
٧ـ المساعدة في بناء المساجد
والمراكز الإسلامية وإقامة
المكتبات التي تعنى بالتراث
الإسلامي في كل مكان.
٨ـ تمكين بعض أولاد المسلمين

الصالحين النابغين من
متابعة دراساتهم الجامعية
والعليا عن طريق منح تخصص
لهذه الغاية.
٩ـ تشجيع البحث العلمي النافع
لبني الإنسان في مختلف الميادين.
١٠ـ مساعدة الفقراء والأيتام
والأرامل، والمبادرة إلى

إسعاف من تصيبه شدة أو جائحة بسبب من الأسباب، أو بتليه الله بكارثة من الكوارث التي يبتلي بها عباده.

11- المساهمة، وفي حدود الإمكان، في كافة وجوه البر والخير الأخرى.

الباب السادس

الشعار

المدة غير محدودة

المادة الرابعة عشرة تتخذ هذه المبرة شعارًا لها تزين به أوراقها ومطبوعاتها وجوائزها وهداياها وغيرها، ويرمز إلى الأهداف الخيرة التي تسعى المبرة إلى



تحقيقها، وتعمل على دعمها أو مساعدتها أو تشجيعها والمنطلقات والأسس التي تصدر عنها المبرة في ذلك.

المادة الخامسة عشرة مدة هذه المبرة غير محدودة، وهي غير قابلة للحل وتبقى قائمة تحتفظ بشخصيتها وتزاول نشاطها الخير بإذن الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وعلى جميع الجهات المعنية بها مساعدتها في تنفيذ غاياتها السامية خدمة لدين الله ورعاية للعلم النافع ورحمة ببني الإنسان.

وفقنا الله جميعًا لما يحبه ويرضاه.

مبرة
عبدالله بن إبراهيم الصبيح الخيرية
تأسست عام
١٣٩٨هـ
١٩٧٨م

ملحق رقم ١

أولاً ـ تعطى الجوائز المالية التشجيعية
السنوية للفائزين بألف جائزة قيمتها
٥ خمسة ملايين ريال بالتخصيص
منها ٣ ثلاث جوائز لرجال الدعوة
الإسلامية والأدباء والعلماء
وباقي الجوائز للطلاب وطالبات العلم

ثانياً ـ توزع الجوائز الثلاث المشار إليها في الفقرة السابقة
كالتالي :

١ ـ الجائزة الأولى : لرجال الدعوة
الإسلامية المبرزين في الميادين
التالية : الخطابة ـ التدريس
الديني ـ الوعظ والإرشاد ـ
المحاضرة ـ التأليف . وتمنح
الجائزة لمستحقها بالتنسيق بين المبرة
والرئاسة العامة لإدارات البحوث
العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
بالمملكة .

٢ ـ الجائزة الثانية : للأدباء والشعراء
المبرزين الذين يكون لهم إنتاج أدبي
وشعري متميز له تأثيره الإيجابي
في خدمة قضايا الأمة الإسلامية
وتراثها ولغتها العربية . وتمنح
الجائزة لمستحقها بالتنسيق بين المبرة
والمجلس الأعلى لرعاية الآداب
والفنون والعلوم الاجتماعية بالمملكة .

٣ ـ الجائزة الثالثة : للعلماء المتخصصين
في المجالات التالية : الطب ـ
الهندسة ـ الصيدلة ـ الفيزياء ـ
الكيمياء . يكون لهم بحوث ذات
أثر في تطوير العلوم التي تعود بالفائدة
على المجتمع الإسلامي والإنساني .

٣- كليات جامعة البترول والمعادن
في المرحلتين الجامعية والعليا.
٤- كلية الملك عبد العزيز الحربية
ومدارس الحرس الوطني
٥- كلية الملك فيصل الجوية.
٦- كلية قوى الأمن الداخلي.

خامسا: مخططات عاجلة:

١- بدء الإنفاق بمبلغ ٥ خمسة ملايين
ريال سنويا على الجوائز المالية
التشجيعية اعتبارا من السنة التي
تحقق فيها المسابقة من الريع والأرباح
ما يصل إلى عشرين مليون ريال في العام
٢- تحديد عدد الجوائز المالية بـ «١٠٠٠»
ألف جائزة ليس نهائيا وهو قابل



للتعديل على ضوء المصلحة التي يراها
المؤسسون لما يجد من مقادير الجوائز
لكل على حدة.
٣- الجامعات والكليات والمؤسسات
والهيئات العلمية والجهات التي
مر ذكرها في الفقرة (ثالثا ورابعا)
من هذا المشروع ليست على سبيل
الحصر، ويمكن للمؤسسين أن يضيفوا

النهائية هيئة أو مؤسسة أو جهة
داخل المملكة وخارجها ترى في تشجيع
طلابها أو دارسيها أو منسوبيها
ما يحقق أهداف هذه المسابقة.
هذا وأسأل الله تعالى
أن يكلل أعمالنا بالنجاح وأن يجعلها
خالصة لوجهه إنه سميع مجيب.



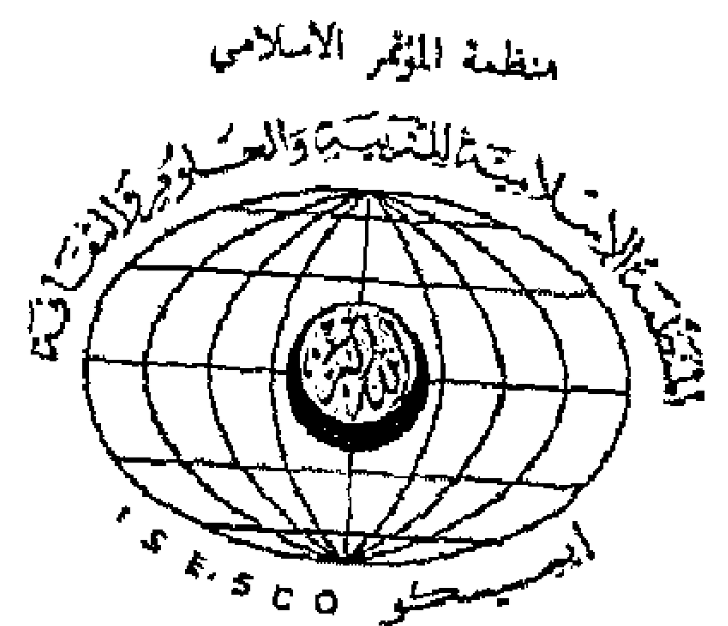
أمانة مدينة جدة
مكتب الأمين



سعادة أخي الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري المحترم
مجلة المنهل - الشرفية - جدة
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
يسعدني أن أرفق مقالتي بعنوان (الفن بين التصريح والتلميح) للعدد الخاص عن الفن من مجلتكم القديمه الجديده الشابه بكم .
مع خالص تمنياتي بالتوفيق دائما وخالص تحياتي
أخوكم
م/ محمد سعيد فارسي

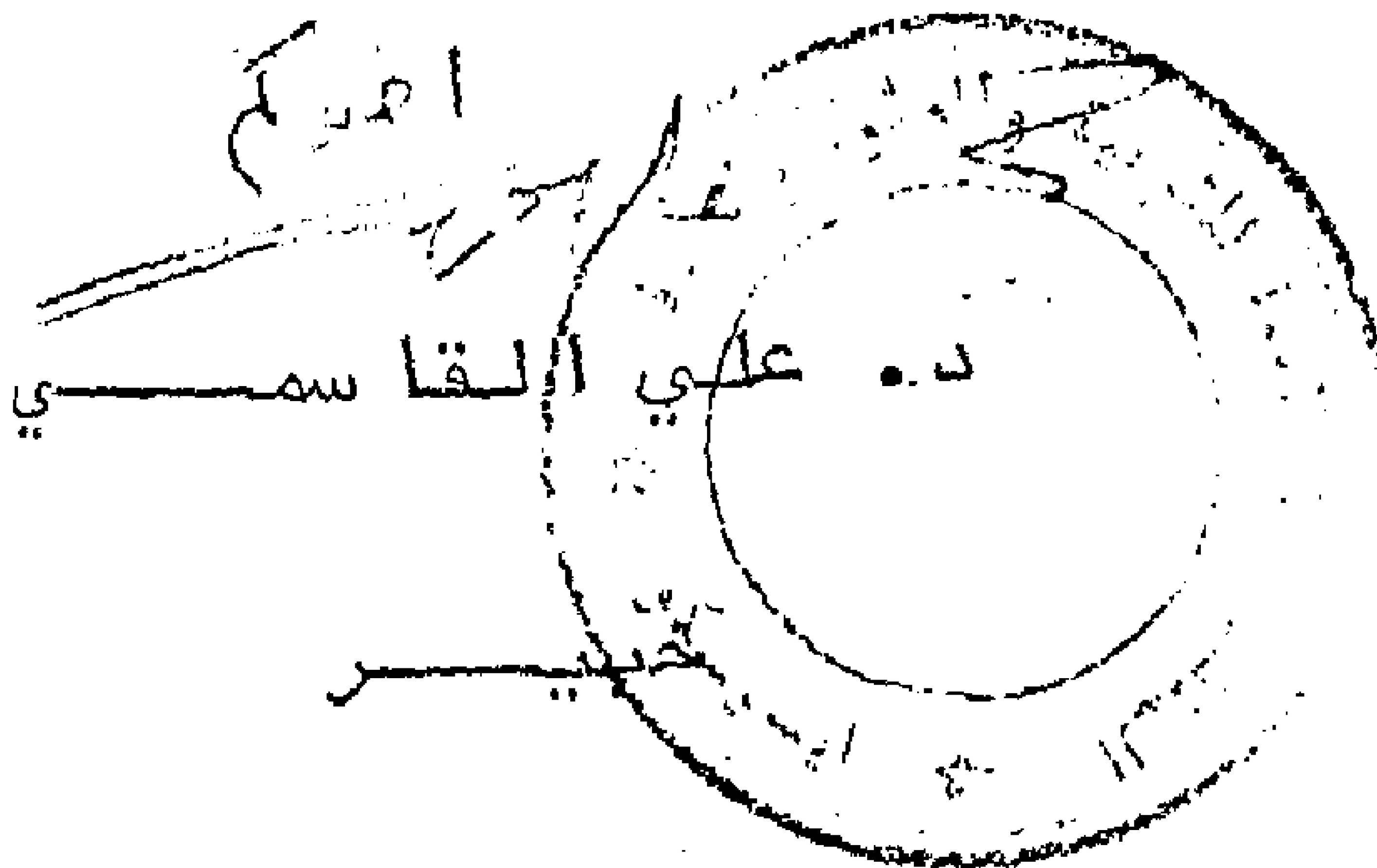
مشاركات الأشبات في عدد الفن الذي سيصدر في الشهر القادم

برقيات ورسائل للمحرر

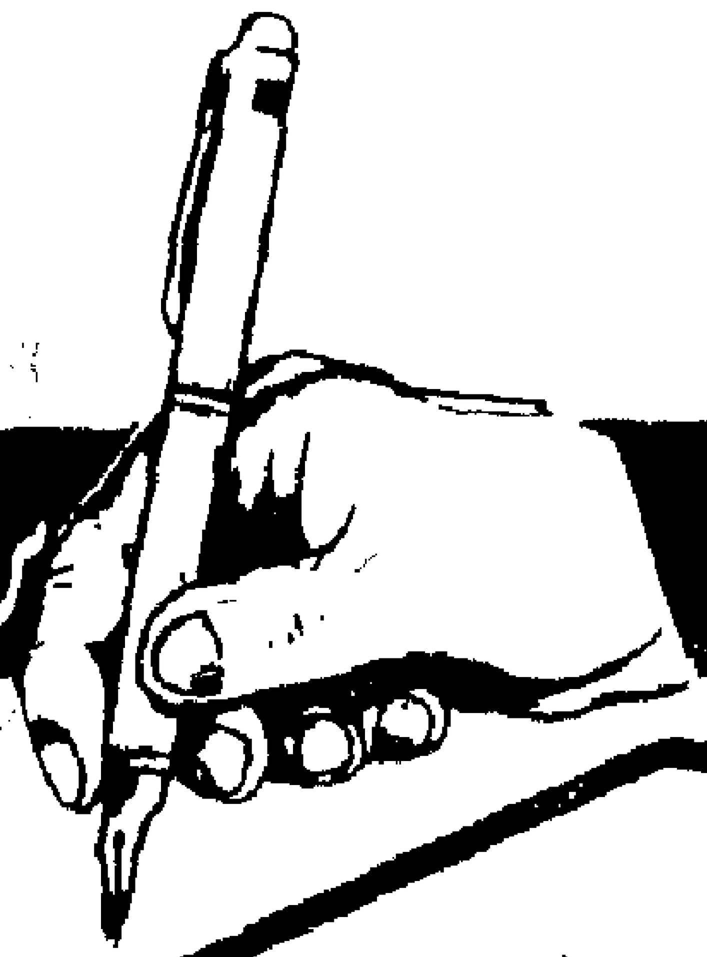


السيد نبيه بن عبد القدوس الأنصاري المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،
أود أن أشكركم على تفضلكم بإرسال العدد ٤٦ جمادى الأولى ١٤٠٤هـ من مجلتكم الغراء «المنهل» إلى المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، ولقد ألفيتها كالعادة زاخرة بالآراء النيرة الهادفة إلى خدمة الثقافة الإسلامية .
وإن إرسالكم المنتظم لمجلتكم الغراء لدليل على حرصكم على توطيد عرى التعاون بين مؤسستينا .
وتفضلوا بقبول فائق التحية وصادق التقدير .



د. علي القاسمي



برقيات ورسائل للمحرر

تعقيب وتصحيح

الى الاستاذ   عبد الانصاري نفع الله ورعاه

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فقد اطلعت على
رسالتكم المهندس المثقف المطلع الاستاذ فتحي عبد الجبار علي
الذي قرأ المقال الأول من بحثي " موسى والتوحيد "
ولاحظ انني قلت فيه : " ان موسى من اصل عبراني "
" فهو من اصل عبراني من نسل داود " عليه السلام .
ولاحظ الاستاذ المهندس ان " موسى بن عمران بن
فاهث بن لاوي بن يعقوب " الذي جاء من بعده داود
الذي بارز جالوت وقضى عليه الخ .
ويقول المهندس الفاضل في رسالته الكريمة : ان تلك
المعلومات موجودة في كتاب " الرسالات الكبرى " للأديبة
سنية قراءة صفحة ٢٠٢ " .

وماجاء في رسالتكم ، وماجاء في بحثي من ان
موسى من نسل داود سبق قلم ، وليس بغير .
والدليل : جاء في كتابنا " الديانات والعقائد في
مختلف العصور " المكون من اربعة اجزاء (راجع صفحة
٩٩ من الجزء الثاني) مانصه :
" موسى بن عمران فاهث بن لاوي بن يعقوب بن ابراهيم
الكرام اولي العزم " الخ
وفي الوسع مراجعة هذا الجزء بمكتبة " المنهل "
الغراء ليتأكد ان ماجاء في بحثي من الغلط لم يكن الا
سبق قلم . وشكرا للاستاذ المهندس وتحية للمخلص

احمد عبد الغفور عطار



● موسى والتوحيد فى رأى فرويد

سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل الموقر

لقد جاء فى المجلد رقم ٤٦ الصادر فى جمادى الأولى لعام ١٤٠٤ هـ من مجلتكم الغراء موضوع للأستاذ الكبير أحمد عبد الغفور عطار (موسى والتوحيد) ما نصه «إن موسى من أصل عبرانى. فهو عبرانى من نسل داود» عليه السلام.

ولكن موسى بن عمران بن فاهث بن لاوى بن يعقوب وجاء من بعده داود الذى بارز جالوت وقضى عليه وكان داود وقتها صبيا ونصبه طالوت بعدها ملكا «وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكه . . ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين».

وتلك المعلومة موجودة فى كتاب الرسالات الكبرى للأديبة سنية قراعة . بالصفحة رقم ٢٠٣ .

عليه أرجو من سعادتكم التكرم بتوضيح الحقيقة حتى لا يلتبس علينا الأمر.

وفقكم الله وشاكرا ومقدرا لسعادتكم سلفا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

سبق السيف العذل

مدريد ١٠ - ٢ - ١٩٨٤

الأخ الكريم الاستاذ نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري المحترم

تحياتي الأخوية

استلمت بالأمس رسالتك الأخوية المؤرخة ٢٥/٤/١٤٠٤هـ، شاكراً لك تهنئتك لي بالعام الجديد، متمنياً لك وللمنهل عاماً جديداً حافلاً بالمسرة والإبداع.

وقبل وصول رسالتك الميمونة، كنت قد أرسلت إليك قبل ما يزيد عن الشهر، رسالة بالبريد المضمون الجوي، التمست منك فيها إعفائي من مهمة الكتابة لسببين: أولهما: مرضي وثانيهما: انشغالي وانصرافي عن الكتابة الآنية في الفترة الأخيرة.

كما رجوتك رفع اسمي من المجلة، لأنني لا أريد أن أعدك وأعد القراء بشيء لن أستطيع تلبيته أو تحقيقه.

هذا هو رجائي الأول والأخير، مع الاحتفاظ بعهود المودة والإخاء.

ولكم خالص الشكر والتقدير والاحترام

[illegible]

من عبدالله ... ص.ب ١٢٣٥٧٤

الكويت. كيفان

الى حضرة مدير التحرير

المجلة المنهل الأعزاء

السلام عليكم ورحمة الله و...

تحية طيبة مباركة وبعد

نحب أن نقرأ مجلتكم "المنهل" بل كيف نحصل على تلك المجلة هنا، وهنا مجلات كثيرة في لغة مختلفة، بل لا نعجز أن نقرأ مجلة العربية ولا نعرف أخبار العالم المسلمين والواقعات المسلمة نعيش في العربية. لأن ... المليبارية.

نحب أن نقرأ أخبار في المجلة المنهل. ولذا ارجوا منكم التفصيلات عن المجلة المنهل كيف نأخذ تلك المجلة هنالك. ننتظر هنا الى تلك الوقت.

لقد سبق السيف العذل . . وما أعلمناه لجمهرة قرائنا ونثبتناه فى صدر مجلتنا كان عن سابق وعد ملتزم وعهد متقد . . وتناولناه مباشرة ومشافهة وايدتموه كتابة ومدادا، وطرحناه هزجا وافتخارا . . ومع كل ذلك وضمنه فاننا نتمنى لسيادتكم مزيدا من النشاط الصحى والانتقاء الذهنى الذى انتم احد شداته . . وكم هو سرورنا عظيما لو حققتم بعض تلك الوعود الاخوية لاتصال مشاركتكم فى منهلكم بين كل حين وآخر لاحق. تأكيدا للود وتوثيقا للوفاء الفياض بكم ايا كان عذركم واعتذاركم . ولا ننسى ان لقرائنا ومحبينا فى ذلك رأى يحتفظون به بالطبع.

المنهـل

سعادة المحترم رئيس تحرير مجلة «المنهل» الغراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فجزاكم الله خيرا لما تقومون به من أعمال طيبة نافعة ثرية من أجل دفع عجلة الإعلام الإسلامي وتطويره. وإنني على يقين من أن هذا الإعلام «الفذ» سيملأ الدنيا ويصل إلى الجميع ويبطل محاولات أولئك الذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، بما يقدمونه من مطبوعات «جوفاء» خاوية لا تزيد المسلم إلا نفورا. أحيطكم علما بأنني ما زلت أواصل تعليمي بنجاح وإني لشغوف جدا بمطالعة الكتب وخاصة ما كان منها اسلاميا. فأرجو أن تتكرموا بتزويدي ببعضها

وفي الختام لا يسعني إلا أن أجدد فخري واعتزازي بمجلتنا الحبيبة «المنهل» بما تقدمه لنا من وجبة علمية لذيذة والجرعة الروحية المفيدة فنحن في زمن السرعة.. كما يقولون ـ ولا وقت لدى الشباب للبحث والقراءة في الكتب المطولة والمراجع النادرة.. ففي «المنهل» ما يروي ظمأهم إلى المعرفة.

أهنيء كل القائمين على العمل في «المنهل» على الخطوات المباركة في ميدان الثقافة والأدب العربيين والإسلاميين.

اخوكم في الله
محسن الغذيفي
«تونس»

عامر العقاد
مؤلف وناقد
وعضو اتحاد الكتاب المصريين

٢ جمادى الآخر ١٤٠٤ هـ
١٩٨٤/٣/٦ م

الأخ الصديق الحبيب ابن الحبيب نبيه عبد القدوس الأنصاري
حفظه الله ورعاه

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد. تلقيت كريم كتابكم المؤرخ ١٤٠٤/٥/١٧ هـ والمرقم برقم ١٩٢٨ والذي حمل الي نبأ العزم على ...

ABDULLA - T.
THOTTAYI (HOUSE)
KANTHAPURAM
P.O. UNNIKULAM.
Pin: 673 574.
CALICUT.
KERALA.
S. INDIA.

مجلتكم «المنهل» منكم وإليكم وقد أرسلت لكم طريقة الاشتراك فيها وبعض المعلومات عنها

برقيات ورسائل للمحرر

قضية أدبية "نثرية"

أدب الرسائل

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
خمسون عاماً في خدمة الثقافة والمعرفة

سيادة الاستاذ الفاضل الدكتور / شكري فيصل المحترم
الجامعة الاسلامية ـ المدينة المنورة

بعد التحية ..

يسرني أن اقدم تحية لكم وترحيبا بكم بهذه الاعداد من مجلتكم المنهل التي يسعدها أن تتلقى كريم انتاجكم وعطائكم الخصب في مجال الدراسات الادبية.

وكما ترون من صفحاتها فانها مع حرصها على اسهامات المتخصصين ترى أن تفتح صدرها أيضا للناشئة. وهنا موضوع نود أن نعرف رأيكم فيه .. بعث الينا شاب سوري اسمه عبد الله بن محمد الدرويش بمقال جيد عن "الا خافشة. في التاريخ النحوي" نشرناه في عدد صفر ١٤٠٤ هـ .. وطلبنا منه شيئا عن حياته ونتاجه فأرسل الينا الرسالة المرفق صورتها وفيها يذكر معرفتكم به وتشجيعكم له .. وضمنها مقالا آخر عن "سن التحمل" وفيه أيضا عمق وجهد.

وقد وجدنا أنه ـ على حداثته ـ يذكر عددا كبيرا من المخطوطات التي حققها ونشر بعضها وينتظر البعض الاخر النشر .. وتقديرنا أن هذا الشاب اما مبرز وجاد ومتميز فالمجلة عندئذ تحتضنه وتشجعه .. واما مبالغ او مدع ومن ثم نغض الطرف عنه.

رجاؤنا أن تتفضلوا بمراجعة هذا الامر وموافاتنا ـ تفضلا ـ برأيكم فيه بما يساعدنا على اتخاذ قرار نحوه ..

مع قبول أطيب الشكر والتقدير لسيادتكم،،،

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها
[توقيع]
نبيه بن عبد القدوس الانصاري

سعادة رئيس تحرير مجلة المنهل.

وبعد فقد أسعدني أن اتلقى خطابكم ذا الرقم ١٥١١ والتاريخ ١٤٠٤/٢/٢٧) في البريد الذي تسلمته مؤخراً إثر عودتي من جدة في زيارة عارضة.

واسمحوا لي بادىء ذي بدء أن اشكر لكم ثقتكم وهذه المبادرة الطيبة منكم وان اشكر لكم بركم بالمرحوم الوالد ومتابعتكم لرسالته متمنيا لكم في ذلك أبعد حدود التوفيق.. فقد تعودنا في أسرنا الإسلامية أن ينقطع ما بين الاب والابن وأن يبدأ كل عمله من الصفر على حين عودتنا بعض المجلات الاخرى أن يتابع فيها الخلف السلف وأن يكمل ما بدأه وأن ينميه.. وفي سيرة الهلال والمقتطف ومجلات أخرى وأسر في لبنان مثل أسرة البستاني شاهد على ذلك

فاذا أنتم أقبلتم على تراث الوالد ـ أجزى الله ثوابه ـ تتابعونه وتشيدون مع صرحه صرحاً فذلك آية النجابة والوفاء.. ولا أستطيع على حبي لكم وتقديري إياكم أن أعدكم بشيء رغم الذي يساورني من حرص.. فأنا موزع الوقت بين أعمال كثيرة ويستبد بي عملي في الاشراف على رسائل الطلاب في قسم الادب والنقد وتصحيح كل شيء فيها من الاملاء الى القواعد ودع عنك المنهج والمادة.

أما السيد عبد الله الدرويش فسيكون مديناً لكم بالكثير.. وموقفكم منه موقف نبيل لأنه قائم على الاحترام والتشجيع.. وتلك صفات إنسانية وهي محك الاصالة النفسية.. فأنتم لم تضربوا به عرض الحائط ولم تطمئنوا الاطمئنان كله فحملكم ذلك على الكتابة إليّ.

انكم بذلك تنهضون بواجب كبير واجب الصحافة نحو الأشخاص الواعدين والمؤملين والحق أن الشاب لفت نظري خلال وجودي في دمشق وتردده عليّ يحمل إليّ بعض ما يكتب عنه أو يبحث فيه.

ولم استطع نشر ما كتبه في مجلة المجمع حين كنت اشرف عليها أيام تقلدي لأمانة السر.. فأرسلت مقاله الى مجلة التراث التي يصدرها اتحاد الكتاب العرب على نحو ما ذكر لكم في رسالته..

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
خمسون عاماً في خدمة الثقافة والمعرفة

سيادة الاستاذ - المحامي الاديب ، احسان الكيالي
سوريا - حلب المحترم

يسعدنا أن نبدأ التخاطب معكم في موضوع "المنهل" المجلة السعودية "الام" فحسب
المملكة العربية السعودية والتي صدرت منذ خمسين عاما وتعتز بأدبها وعلمها وثقافتها
واستقطاباتها الفكرية "أم" المجلات السعودية ، ومصدر مراجع البيان لهذه الامة الناهضة
بدينها القويم ورسالتها المحمدية السمحة وتراثها الخالد . . واني أود بهذا أن أضيف
واتما لمعلوماتكم عن منهلكم فأبعث لكم بعضا من نماذج أعدادها لتحتويها مكتبتكم العامرة
بكم بعد الاطلاع . . ولقد سعد المنهل بنشر انتاجكم المميز وصلا للثقافة وتعريفا للفكر . .
وتعريفا بالاوطان عن طريق واجهتهم الثقافية والعلمية والتقنية . . والذي نرجوه أن يكون
فاتحة خير وحب ورسالة تبهي وتخصص للمنهل تأتي عن طريقكم وكل شهر اذا اقتضى الحال
. . وان تكونوا - فضلا - مراسل خير لدى اصدقائكم بناة العلم والأدب والثقافة من سوريا
الشهباء لكي يوافوا "المنهل" بجيد نتاجهم وكريم ابداعهم الذي لم يسبق نشره حتى
نوصل معا الرسالة في الجارة الشقيقة - منها واليها - . . وارجو أن يتحقق ذلك من
طريق تخير نتاج متسم لرسالتكم الحقة ستقطب هذا النمط وتحظى بدعوته المباركة لكم .
ومن هذه الا وتسامات اللطاف - أخي الاستاذ - موضوع الشاب السوري الدمشقي اليافع
اليافع عبد الله محمد الدرويش والذي وصلنا منه موضوع جيد عن "الاخافشة" ونشر فصلا
. . ثم اعقبه بترجمة لحياته ضمن رسالته لكا - واضاف مع الرسالة موضوعا جيدا بعنوان "هل
يمنع صغر السن من اداء العلم وتحصله ؟"
ولقد لفت نظرنا في هذا الشاب امران احدهما - حداثة سنه حيث ولد عام ١٩٦٤ م
ويدرس بكلية الهندسة الميكانيكية .
والثاني : ارتباط ذلك أو تعارضه من حيث المنهج مع جيد عطائه وتعدد اطلاعاته وعمق
تحقيقاته فيما دونه . . من هنا تأتنا يعني بأن هذا الشاب أهو نابغا أو ناقلا . . فاذا كان
نابغة فانه يسعد "المنهل" أن يحتضنه [illegible] مع شداة الكلمة وصناع
الحرف في المملكة . . حتى ولو انتهى الامر [illegible] بسوريا . . اما اذا
كان ناقلا فان مثلكم وانتم في اهاب القانون [illegible] بحقيقة أمره
واني معكم ارى انه في كلا الحالتين [illegible] لوضع الرجل
المناسب في المكان المناسب . وبالضرورة والتقييم [illegible] السبق في ابراز
خامة من خاماتنا الفكرية . . او تحجيم دور الشباب في هذا [illegible] .
ومع هذا يسعدني ان ترفعوا في توافق [illegible] ميزان الفكر والادب والعلم في سوريا
وتحلوه بيانا منكم ومن اصدقائكم الافاضل المعززين لمصدر منهلكم كشباب نوراني من الشهباء .
ادام الله توفيقاتكم . .

صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها
[signature]
نبيه بن عبد القدوس الانصاري

والحق أني خلال وجودي في المجمع حرصت على أن أجمع حول المجمع عدداً من الخريجين الذين اطمأننت اليهم وقدمت كتبهم التي حققوها للطبع وقاسيت من ذلك من بعض المجمعيين (الذين لا يعملون ويسوؤهم ان يعمل الناس) على حدّ تعبير استاذنا د. طه . . ولأقل انهم كانوا حسني النية وكانوا حراصاً على سمعة المجمع . . ومع ذلك فقد كان في الذي كتبه عبد الله بعض اللين الذي يحسه القارىء ولذلك لم أقف معه الموقف الصلد الذي يتعارض مع آراء الزملاء . . وآثرت أن أعاونه في البداية على شق الطريق . . ولعلكم أدركتم - لا شك - مشكلته الكبرى فهو في دراسته علميّ الاتجاه اولا ثم هو في محاولاته التراثيه لا يستند الى خلفية قوية ولم يتابع على استاذ ولم يظفر بتوجيه أحد . . عكف كما يقول على المخطوطات والتزم بقراءة ست ساعات يوميا . . وهو بهذا يستدرك ضعف البناء، وقد تقوده هذه المثابرة الى تعويض النقص المبدئي وبناء الخلفية التراثية . . ولكن سيظل - كما تدلني تجربتي مع عشرات من تلاميذي - يعاني بعض الضعف في الأصول ولو قدر له منذ البداية اساتذة يتابع معهم ويقرأ عليهم ويظفر بتوجيههم لكان أقرب الى النضج.

اخلص من ذلك الى أنه شاب دؤوب قوي الاعتماد على النفس لا يدعي ولا يبالغ ولا يزور ولا ينتحل ويتابع رغم دراسته الجامعية العلمية عمله في التراث ونسأل الله له التوفيق وأتمنى أن تتابعوا تشجيعه ولكن نرجو ألا يقوده ذلك الى شيء من غرور . حمانا الله جميعاً من الغرور

وأملي أن يكون من تشجيعكم له مكافأته على بعض ما ينشر عندكم . . اني لا أعرف تقاليدكم في ذلك ولكني متأكد من أن في خطتكم مثل هذه المكافآت . . وخاصة حين عرفتم أنه يدرس وانه احد اثني عشر أخاً . . ولا بأس أن تردوا اليه بعض المقالات اذا وجدتم في بعضها بعض الضعف . . حتى يكون توجيهكم له كاملا .

فمثلا في هذه المقالة الأخيرة غياب كامل لتوثيق النصوص ونسبتها الى كتبها التي أخذ عنها . . لقد اكتفى بذكر المراجع ولكن كيف توزعت على الاخبار ومن أي الصفحات أخذ وعلى أي الطبعات اعتمد . . كل ذلك كان يجب أن ينص عليه في حواشي المقال . . أما ذكر المراجع بالجملة فلا يلتئم مع ما نأخذ به أنفسنا وطلابنا من اسناد كل خبر او نص الى صاحبه وكتابه وطبعته وصفحته .

كذلك يستحسن أن يضيف هنا تراجم لبعض هؤلاء الناس في حدود التعريف البسيط الذي لا يتجاوز السطر او السطرين . . قد يثقل ذلك المقال فيطيله وقد تكونون في حاجة الى الاختصار ولكن لابد من إعفاء المقالات العلمية من شرط الاختصار هذا الذي تؤثره المجلات . . ثم ان المقال لا ينتهي إلى



خلاصة مركزة وهو ما أوثره الآن لكثرة علينا أن نقرأه . . لا استطيع ان أبدى أى رأى فيما نشره عندكم عن الاخاشة فى عدد محرم لأن هذا العدد ليس بين الاعداد التى تكرمتم بها.

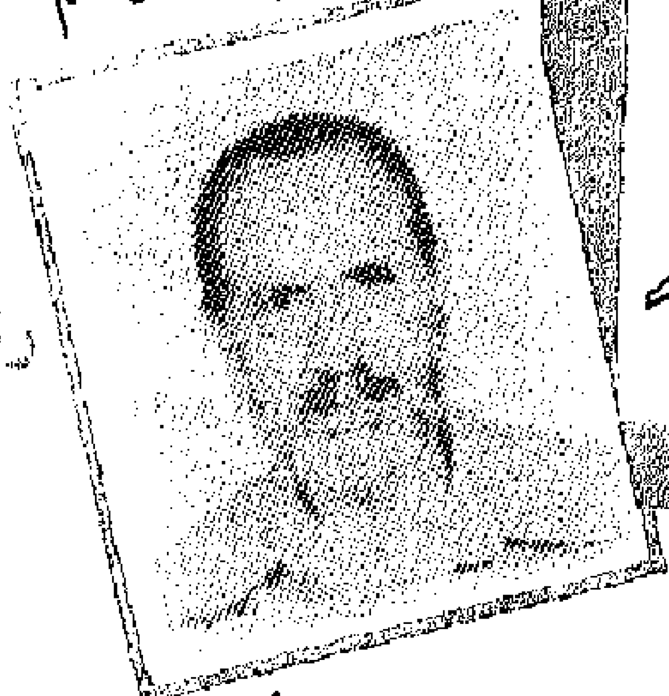
تسمحون لى أن أفيد من هذه المناسبة لأذكر المرحوم والدكم بكل تقدير واحترام وطلب الثواب له من الله العليم العلام.

فقد جئت المملكة فى عام ١٩٥٤م على رأس وفد من طلاب الجامعة فى زيارة علمية ولقيت المرحوم والدكم . . ولكن الأيام لم تسمح لى بمتابعة ذلك.

اكرر لكم اخلص التحية والتقدير مقرونـاً الى اطيب التمنيات بالنجاح والتوفيق . . ويسعدنى ان اكتب فى كل ما تودون الاستفسار عنه من شؤون مختلفات.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د. شكري فيصل
رئيس شعبة الأدب والنقد
قسم الدراسات العليا
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



إحسان الكيالي

عضو اتحاد المحامين العرب
(دمشق)

اثناء زيارتى اول امس لنقابة المحامين بدمشق ، استلمت هديتكم القيمة المتضمنة بعض اعداد مجلة " المنهل " الغراء العريقة فى خدمة الثقافتين الاسلامية والعربية .

أن مجلة " المنهل " هى من المجلات الثقافية والفكرية الرائدة فى الوطن العربى والمجلة الام فى الجزيرة العربية ولقد سعدت جدا بهديتكم هذه ، والتى تضمنت ايضا الكتاب القيم " الصيام وتفاسير الاحكام " من تأليف والدكم الجليل المرحوم الاستاذ عبد القدوس الانصارى احد رواد الحركة الثقافية والادبية فى العالمين الاسلامى والعربى ، طيب الله ثراه .

وما اسعدنى اكثر ، وبعد تصفحى لاعداد المجلة وما تضمنته من مقالات وابحاث قيمة مع اناقة بالطباعة والتبويب ، انكم وفقتم لحمل هذه الراية ومتابعة مسيرة الراحل الكريم فى حمل مشعله الثقافى فى الاراضى المقدسة ، رغم ان الكثير من المجلات الفكرية فى الوطن العربى لم تستطع ان تتابع هذه المسيرة لاسباب عديدة . . .

ومن غريب الصدف ان هنالك ما يجمعنا على غير معرفة ، اذ ان كلانا نشأ فى بيئة الصحافة الادبية والثقافية ، فكما ان المرحوم والدكم كان من رواد النهضة الصحافية الادبية فى الجزيرة العربية ، فان المرحوم والدى الاديب سامى الكيالى كان كذلك ، اذ انه انشأ مجلة " الحديث " فى عام ١٩٢٧ فى حلب ، والتى ظلت تصدر فيها حتى عام ١٩٥٩ ، وكانت تعتبر من ارقى المجلات العربية فى الوطن العربى ، كما ان للمرحوم مؤلفات كثيرة بلغ عدد المطبوع منها / ٢٢ / كتابا .

اشكركم على نشر جزء من بحث " الضمانات الفردية فى الشريعة الاسلامية " الذى كنت قد تقدمت به الى ندوة " الدفاع الاجتماعى والسياسة الجنائية من خلال التشريع الاسلامى " الذى عقدته " المنظمة العربية للدفاع الاجتماعى " فى الرباط عام ١٩٨١ وهو بحث مؤلف من اكثر من ثمانين صفحة ، وكنت اتمنى ان الخصه لكم بشكل يعطى صورة موجزة وكاملة من هذا الموضوع الهام ، وآمل ان استطيع فى المستقبل القريب ، وبعد عودتى من الكويت ان اقدم لكم بعض المقالات لنشرها فى مجلتكم الزاهرة ، ان وجدتموها مفيدة مع رسمى الآلى ونبذة عن حياتى كما سأتصل ببعض الادباء والشعراء والمفكرين فى حلب وبعض المدن السورية الاخرى لاحثهم على نشر نتاجهم على صفحات " المنهل " الغراء .

اما موضوع الشاب عبد الله محمد الدرويش ، فلقد اثار اهتمامى ودهشتى وهو كما تفضلتم اما ان يكون نابغا او ناقلا ، ومن المحتمل ان يكون جامعا للصفتين معا . وسأحاول أن اتحرى ذلك على قدر الامكان .

واخيرا لا يسعنى الا ان اكرر شكرى على هديتكم القيمة ، وعلى مبادرتكم الخيرة التى آمل أن تنمو وتتوثق ليس على صفحات " المنهل " فقط بل فى جميع المجالات الفكرية والثقافية الخيرة . والله يوفقكم ويحفظكم .

٣٠ جمادى الاولى ١٤٠٢ = ٢١ / شباط ١٩٨٤   المحامي

احسان الكيالي

أستاذنا

اشكر واقدر لكم ذلك الوقت الثمين الذى اوجزتم فيه تعريفنا بأديبنا الشاب والذى أطنبتم عنه بما يفيد ويثرى . . وانى اذ استسمحكم فى نشر هذه الرسالة الاخوانية الموجهة والمرسلة والتى توضح فى جلاء معاناة الرجال الافذاذ من امثالكم ودأبهم على الاظهار والتقويم فى استاذية تشهد بها ساحات العلم والفكر والأدب ردحا من الزمن قد يطول . . فانى اعتبرها اضافة جديدة لادب الرسائل والذى بتنا ـ وللأسف ـ نتشوق الى طرحه فى ساحاتنا العربية والاسلامية والاخذ به وامتلاك ناصيته حتى يعم مراسلاتنا الشخصية والاسرية والرسمية ما اتصل منها وما انفصل وليستقم التعبير والمعنى . . أستقامة تتوافق مع لغتنا الخالدة.

● أما عن إمكانية إعادة موضوع «رجلنا الشاب» هذا اليه لاضافة وتعديل ما أومأتم إليه سيادتكم . فقد تم ذلك بالفعل وأرسل له مع نسخة هذا العدد ليقرأه ويستفيد من تصويباتكم واضافاتكم التى استفدنا نحن منها فعلا .

● والشيىء بالشيىء يذكر . . ولهذا فلا يسعنا امام اهتمام الاستاذ المحامى الاديب احسان الكيالى ـ وهو من هو علماً وادبا وبيتاً ـ وتبنيه لهذه القضية الادبية المحضة ، وافضاله من خلالها بالثناء على منهله .. لا يسعنا الا ان نقدر ونكبر له هذه الصداقة الانسانية والادبية الموثقة بوثائق الحب والخير . . والمنطلقة بمتعلقاتها وابعادها ومراميها لسوريا الشقيقة الشهباء سواء تمثلت فى شبابها النابه أو شيبها الغر الميامين والذين هم اصلاً حملة مشاعل الفكر واهازيج البيان.

«ومن لا يشكر الناس . . لا يشكر الله»

نبيه الأنصاري

قضية أدبية

«شعرية»

رئيس تحرير مجلة المنهل الغراء

كواحدٍ من الملايين الذين يستمتعون كل شهر عربي بالوجبات الثقافية والأدبية الدسمة التي تقدمها المنهل الغراء لقرائها في شتى أرجاء الوطن العربي وأيضاً كواحد من الذين تشرفوا بموافقتكم على نشر ما رسله اليكم من انتاج ثقافي وأدبي بالمنهل.

أرجو أن تسمحوا لي بإبداء ملاحظة تتعلق بما أقرأه على صفحات المنهل تحت عنوان «الشعر المنثور» فأنا كغيورٍ على المنهل وغيور على تراثنا وأدبنا العربي أرى أنه من حقي بل من الواجب عليّ أن أُبدي وجهة نظري المتواضعة في عدم الإتفاق معكم على نعتِ ما يخرج من نطاق الشعر ـ بالشعر. أنا معكم بضرورة نشر كل عمل أدبي رفيع المستوى شعراً كان أو نثراً لكنني أرى أيضاً ضرورة تسمية الأعمال الأدبية بأسمائها الصحيحة فالمتعارف عليه أن الشعر هو الكلام الأدبي الموسيقي بمعنى أن للشعر موسيقى معينة وأوزاناً معروفة سواء كنا بصدد شعر عمودي أو بصدد شعر حديث أو حر كما يحلو للبعض أن يسميه فالشعر الحر تطور شكلي للشعر العربي العمودي. وهذا التطور الشكلي ـ وإن كان البعض لا يراه تطوراً بل ويرفضه ـ لم يبتدعه أقطابه من فراغ بل ان رواد الشعر الحر يعتبرون أساساً من مبدعي الشعر العمودي البارزين قبل أن يمارسوا شعرهم الحر. وهم لم يبتدعوا للشعر الحر أوزاناً موسيقية جديدة وخاصة لا تربطها باوزان الشعر العمودي صلة.. وإنما أخذوا تفعيلات الشعر الحر الموسيقية من تفعيلات الشعر العمودي التي تكون بحور الشعر الستة عشر المعروفة.. غاية الأمر أنهم لم يلتزموا بتفعيلات البحر كاملاً أو مجزوءاً. وانما إعتمدوا على تفعيلة واحدة تتكرر بغير التزام ولا تقيد بعدد معين في كل سطر من سطور قصيدة الشعر الحر. فالشاعر لا يكون هنا بصدد بيت وإنما سطر ـ وقد يتكون السطر الشعري من كلمة واحدة تنطوي على تفعيلة واحدة من تفعيلات أي بحر وقد يتكون السطر من كلمات عديدة تحتوي اكثر من تفعيلة بلا قيد عددي صارم.

هذا بالاضافة إلى ما هو متعارف عليه من أن الشاعر في الشعر الحر لا يتقيد بوحدة القافية ولا يتقيد حتى «بالدوبيت» فقد يأتي بالقوافي أو لا يأتي بها. هذا أمر متروك له.

من ثم فإن الشعر الحر لا يخلو من ضوابط ولا يتجرد من الموسيقى بل هو ملتزم رغم حريته بموسيقى ليست مبتدعه في جوهرها وإنما مأخوذه من موسيقى الشعر العربي الخاصة به منذ أن عرف العرب الشعر والتي اكتشفها ـ ولم يبتدعها ـ الخليل بن أحمد الفراهيدي. المتوفى سنة ١١٤ هـ. والذي لا شك فيه أن حركة الشعر الحديث «الحر» قد عاشت ولم يُقض عليها بل وازدهرت وأصبحت تطوراً شعرياً معترفاً به وكل ذلك لسبب أساسي وهو أنها لم تجرد الشعر من الموسيقى التي تميزه عن النثر الأدبي فأصبح معيار التفرقة بين هذا الشعر وبين النثر الأدبي في أرقى صوره متمثلاً في الوزن الخاص والموسيقى المبنية على التفعيلة.. وإذا كنا حينئذ نستطيع تحديد مفهوم الشعر الحر أو الحديث وتمييزه وفق معايير واضحة وقاطعة عن النثر الأدبي.. فهل يمكننا تحديد وتمييز ما يسمى «بالشعر المنثور»؟

السؤال هنا ما هو الشعر المنثور؟ وما صفاته؟ وما هو معيار التمييز بينه وبين النثر الأدبي المتمثل في خاطرة أو مقال؟ هل من معيار للتمييز..؟ وهل يمكن القول أن كتابة كلمتين أو ثلاث كلمات في كل سطر ثم وضع فواصل ونقاط وزخرفة هو معيار للتمييز.؟ بلا شك لا يمكن تصور ذلك.. حيث انه

بالامكان كتابة أي مقال أو خبر بجريدة على هذا النحو . وهل يمكن القول أيضاً ان ثمة تقفية ترد عبارات ما يسمى «بالشعر المنثور» وهي ذاتها معيار التمييز . بينه وبين النثر؟ . . واضح أنه أمر لا يمك قبوله . . لأننا حينئذ نكون بصدد كلام مسجوع ولا نكون بصدد شعر . وإلا فما هو الفارق بين ال المسجوع - القديم جداً - وبين ما يسمى «بالشعر المنثور» إذن فقضية «ما يسمى بالشعر المنثور» قض خاسرة . . بل اننا لا نكون بصدد قضية . .

- اخي . . أنا لا أجد غضاضة في نشر أعمال أدبية منثورة مسجوعة أو غير مسجوعة بمجلة أحبها . . واحترمها طالما أنها بلغت شأوا عالياً من الرفعة والقيمة الأدبية . . بل وأحيانا أعجب بخاطرة نثرية عن قصيدة شعرية فالعبرة بمستوى الابداع وليست بشكل معين أو لون أدبي مفضل واعترف مبدياً وجهة نظري بصدق أن ما أقرأه في المنهل تحت عنوان «الشعر المنثور» يبلغ في الغالب مستوى عالياً من الجودة كنثر أدبي . . لكن مالا أوافقكم عليه هو تسميته وهو نثر بالشعر وإن كان منثوراً . وأرجو ألا تقولوا بأنني أهوّل الأمور وأن المسألة لا تستدعي كل هذه الإثارة . . فالأمر - كما أراه - خطير إذ ليس كل من ينادي بالشعر المنثور حسن النيه . . فهناك من لا يخشون على تراثنا الشعري والإسلامي بل وهناك أيضاً من يريدون وضع الحواجز بين الأجيال الشابة والمقبلة وبين تراثنا الثقافي والأدبي العربي الأصيل آملين - وذلك بعيد عنهم - ان يندثر هذا التراث وأن يعيش رجال المستقبل بغير جذور ضاربة في عمق التربة الثقافية العربية الأصيلة .

من ثم كانت كلماتي من أجل ألا تنساق المنهل التي أجلّها - وهي مجلة عربية أصيلة تساهم بجهد كبير ملموس في إثراء الحياة الثقافية والأدبية في شتى أنحاء وطننا الحبيب - وبحسن نية نحو ما يساعد على تحقيق هدف كارهي الأدب العربي الأصيل والحاقدين على مجده وإبداعاته .

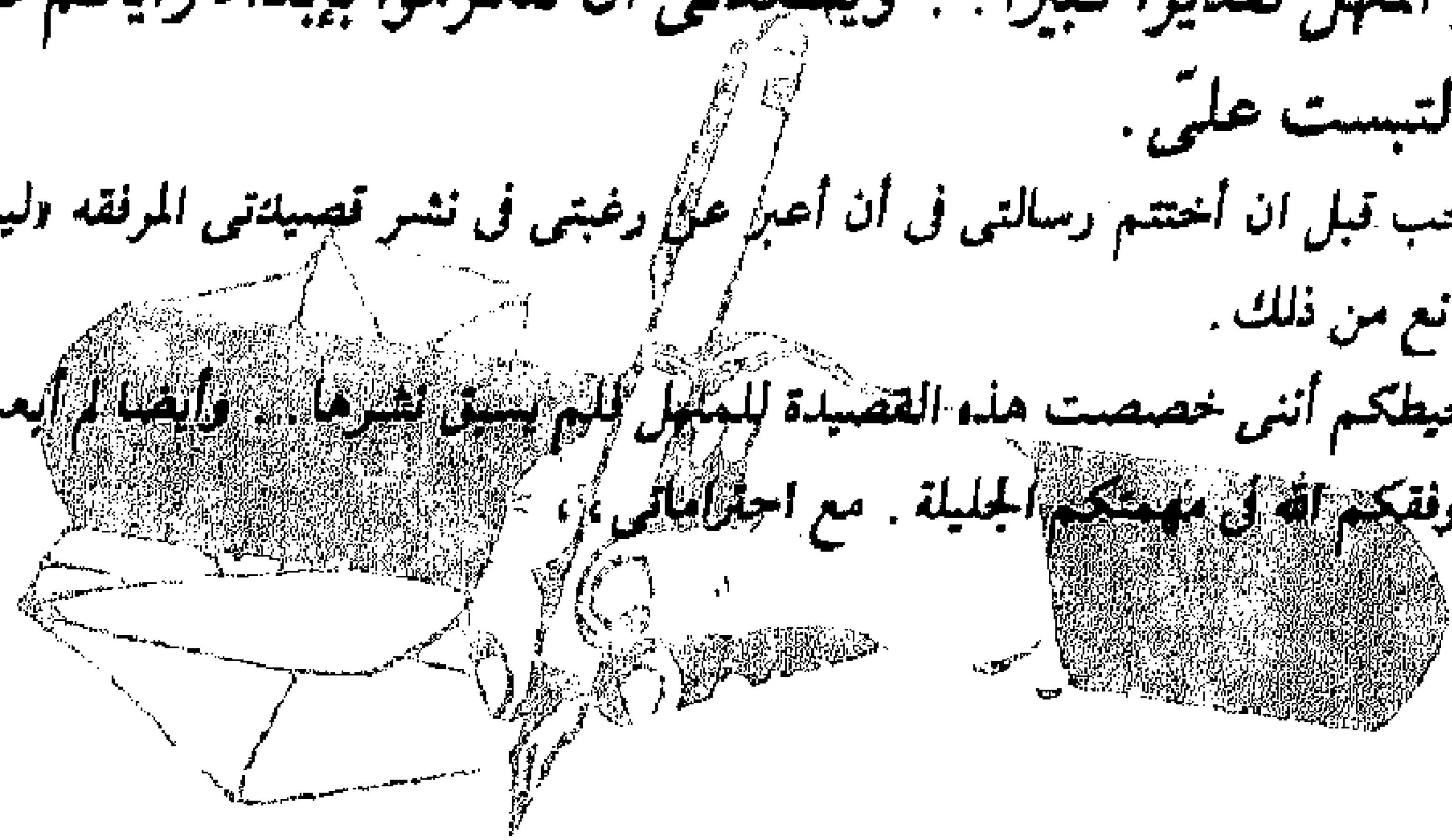
أرجو ألا تكونوا قد فسرتم كلامي على عكس ما أقصده فأنا أحترم كل قلم يكتب في المنهل وأقدركم وأقدر المنهل تقديراً كبيراً . . ويسعدني ان تتكرموا بإبداء رأيكم فيما كتبت فقد تصححون لي بعض الأمور التي التبست عليّ .

وأحب قبل ان أختتم رسالتي في أن أعبر عن رغبتي في نشر قصيدتي المرفقه «ليس من تشكو يجور» بالمنهل الساطعة . هذا إن لم يكن هناك مانع من ذلك .

وأحيطكم أنني خصصت هذه القصيدة للمنهل فلم يسبق نشرها . . وأيضا لم أبعث بها الى جهات أخرى .

وفقكم الله في مهمتكم الجليلة . مع احترامي . .

أحمد محمود مبارك



الشعر - فيما نعلمه - تجربة مختزنة ، وعاطفة جياشة ، وخيال خصب مجنح ، وكلمات هي الوعاء البللوري الشفاف الذي ينقل ملامح التجربة ومرامي الروح ووشوشات النفس التي تركض في معاناتها . . وكل ذلك يخرج في (زفّة) من موسيقى الكلمة ، وموسيقى الوزن ، ورنين القافية ، أو ما يعرف بالموسيقى الداخلية والخارجية للقصيدة .

وهذا التناغم (البسيمفوني) بين أنغام تلك الأوتار في مجموعها يكسب القصيدة مذاقها ولونها . . ويفرض لها ذاتيتها وتفردها . .

وعلى أي شكل كان التجديد أو التحوير في نظام الشعر العمودي (في أوزانه وقوافيه ونظمه) يكون شعرا ما دام قد احتفظ بموسيقاه ورنينه ووقعه .

ومنهلكم إذ يقدر فيكم هذا الوفاء الكريم الحادب على مسيرتها وطابعها ، يحترم إبداء رأيكم وتسجيل وجهة نظركم . . وهو في هذا - حقا - معكم . . ولكنه انفراج موقوت موزون مدروس يتجه - كعادته - للرأي والرأي الاخر . . وينفتح باصالته على فكر الزمان والمكان وبحسن قصد ديدنه توليد المعرفة وشحن العاطفة وصقل الموهبة .

«المنهل»

◉ عدد الفن هديتنا لبعضنا
في رحابه نلتقي آملين أن ينال الإعجاب
و يقدم الجديد
نحو غاية التخصص و المرجعية



◉ مفهوم الفن ومضمونه العريض
الممتد إمتداد الحياة

إبداع الكلمة ... فيض المشاعر
نبض الريشة .

عطاء خاص ومتميز لكبار كتّاب
الداخل والخارج .
ولأول مرة يطالعك في صحافة متخصصة
وفي سفر متين يضمه أكثر من ثلاثمائة صفحة

والغلاف يشكله الفنان : د. عبد الحليم رضوي

دعائم الثقة..

عملاؤنا متعددو الاهتمامات والنوعيات.. وأنشطتنا تعددت وتنوعت لتلبي احتياجات عملائنا في الداخل والخارج.. نحن نملك أكبر شبكة من المراسلين الخارجيين وأكبر شبكة فروع داخلية في ذات الوقت.. بالإضافة إلى عدد من الفروع ومكاتب التمثيل الخاصة بنا في البلدان الأخرى.. لندع الأرقام تتحدث عن نفسها فليس مهماً في رأينا أن تتعامل معنا على أساس أننا من أكبر بنوك الشرق الأوسط التجارية فحسب، ولكن ما نقدمه من خدمات ودية ومتساوية لكافة العملاء يميزنا عن غيرنا وطوال ثلاثين عاماً كانت سياستنا وما زالت الوصول إلى أماكن المستقبل قبل الآخرين.. ولذلك يشعر العملاء بأنهم شركاء لنا بما نحققه من تطور ونجاح معهم وركيزتنا في ذلك ثقة العميل فينا.. التي نعتز بها دوماً..

البنك الأهلي التجاري

THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

FIRST SAUDI BANK — البنك السعودي الأول

المنهل

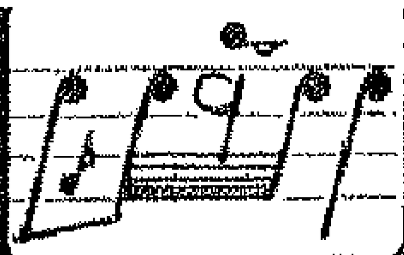
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

ة ٥٠ ـ المجلد ٤٦

شعبان ـ رمضان ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

عدد ممتاز



بسم الله الرحمن الرحيم

المنهل ALMANHAL

A. Monthly Magazine For Literature, Science and Culture.

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

أسسها : عبدالقدوس الانصاري سنة ١٣٥٥هـ

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبدالقدوس الأنصاري

مستشار التحرير

د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري



أشرف على هذا العدد
مدير الادارة والتحرير
• زهير الأنصاري
• السماني كمال الدين
المخرج الفني
فريد أبو سعدة

وكلاء التوزيع في الخارج

الأردن
وكالة التوزيع الأردنية
تليفون : ٣٠١٩١

المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع
« سوشبريس »
تليفون : 24.57.45

تونس
الشركة التونسية للصحافة
تليفون : 242.499

السودان
دار التوزيع المركزي
تليفون : ٧٣٥٣٤

قطر
دار الثقافة للطباعة والصحافة والنشر
تليفون : ٤١٤١٨٢

مصر
وكالة الأهرام للتوزيع

معلومات ادارية

المجلة : ٢ شارع رأس تنورة
عرفات سابقاً الشرفية
برقيا : المنهل - صرب ٢٩٢٥
جدة ٢١٤٦١

• الاعلانات .
تخاطب بشأنها الإدارة
تليفون ٦٤٣٢١٢٤/٦٤٤٧٧٩٤

• قيمة الاشتراك السنوي الرسمي
في المملكة العربية السعودية ١٥٠ ريالاً
وللأفراد ١٢٠ ريالاً سعودياً
أو ما يعادلها .. ويوجهها الإدارة

• سعر النسخة
- السعودية ٨ ريالات
- المغرب ٥ دراهم
- تونس ٣٠٠ مليم
- مصر ٥٠ قرشاً
- قطر ٧ ريالات
- السودان ٨٠ قرشاً
- الأردن ٤٠٠ فلس

خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة

ممادل

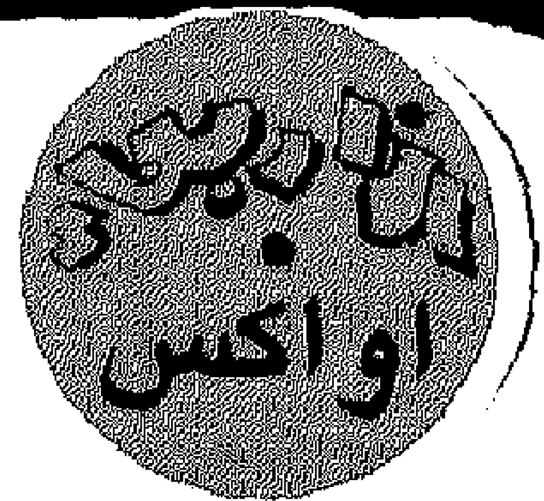
الفن له هزيجه ودلالته .. وله بعده وأصالته .. وإذا كان الفن روحه الإحساس ورواءه البذل فإننا أخذنا في إعداد وتكوين موسوعته في هذا المنعطف .. وبتنا - مع أسرتنا - تتداخل أحاسيسنا وتتعالق تطلعاتنا وتنصهر آمالنا كلها تقصد " روحا " على جادة العطاء .. وعلى طريقة التماثل والتكامل .. فكان هذا العدد جديدا في أصوله وجذوره .. واضحة مسالكه نيرة دروبه .. قصدنا أن يكون مرجعًا لهذا الجوهر المتلون الأخاذ . فكان لبنة على طريق صرح الأداء المتميز وأصبح أولية ليشهد سفره الذي بين يديك بعدم أسبقية غيره له .

بل وأحسبه موضع فخر واعتزاز للمشارك .. وموضع احترام وتقدير للمرابط .. سواء كان رئيس تحرير أو محررًا أو مخرجًا أو خطاطًا أو طابعًا جميعهم انصهروا في بوتقة العطاء الذي يفوح عطرًا ويتضوع شذى

وأنت قارئنا ما دمت مرجعنا ونهاياتنا فأهلًا بك - دومًا - مع منهلك في مطلع كل شهر .. ولقاء حميمًا متجددًا نترقب فيه مولد كل جديد .

والليالي من الزمان حبالى :. مثقلات يلدن كل جديد

المنهال



■ اشعر بل واحس ان بعض الصفحات الفنية اصبحت زى ام العروس .. فاضية ومشغولة .. ليست لديها ماتذكره اللهم سوى متابعة اخبار الفنانين .. سفرهم وحضورهم .. اما المواد الدسمة جداً جدا فقد اهملت تماما ..

تفتح الصفحة والتي تسمى فنية فلا ترى سوى الصور والعناوين البارزة والمواد الخاوية !! ولا اقصد بهذا صفحة معينة .. بل بالعكس فان غالبية هذه الصفحات الفنية تجد فيها اللمسات الفنية وجهود الابناء المحررين فيها واضحة المعالم وياعالم !!



كلمة حول الثقافة



الثقافة ، هي مجموع التراث الاجتماعي الذي يجده الانسان مُنذ مولده يدُور من حَوله فيلتزم به

هي جميع العادات والتقاليد والأعراف والأفكار والعقائد التي يكتسبها الانسان كعضو في المجتمع الذي يعيش فيه ..

إنها هوية الشعوب والرمز الدال عليها واللحن المميز لها تبرز من خلال الآداب والفنون .. وهي تختلف باختلاف الزمان والمكان .

إن دور الثقافة في الشعوب أن تمنح المشتغلين بها حرية التعبير عن وجدانهم لتأكيد القيم في مجتمعهم والحفاظ على التراث والاعلان عن أصالته، وكلما كان التراث قويا كلما رفع الانسان للحرص عليه ومن هنا حرص المسلمون على تراثهم .

إننا نزهو بثقافتنا الإسلامية تلك الثقافة التي تدعو إلى العمل والإنتاج والتمتع والانطلاق وتحقيق الذات والبحث والتدبر، بحث كل شيء ومعرفة كل شيء. ثقافة شاملة تصلح للناس جميعًا. لاتعرف العنصرية ولاتعتنق العصبية وهاهو «جوته» يقول: إذاكان هذا هو الإسلام، أفلا نكون مسلمين؟

ولجلال هذا الدور للثقافة أصبحت الثقافة موضع اهتمام المسؤولين حتى جاء اليوم الذي ودع فيه الأدباء والفنانون المعاناة والآلام. وإن حكومة المملكة العربية السعودية جد حريصة على تهيئة كل الأسباب التي تمكن الثقافة من أن تعبر عن نفسها وأن تنطلق من عقالها إيمانًا منها بقدرها فما الآداب والفنون إلا الواجهة المضيئة التي يقرأ الإنسان عليها ثقافة الشعب.

وإنني ليحضرني هنا قول عن الثقافة:

إنها النور الذي يضيء حياتنا وهذه شهادة صدق للثقافة..

إننا نلمس هذا في العدد الذي بين يدينا.. ونلمسه في إعداد «المنهل» وفي مسيرته الجديدة وفي أسلوبه الهادئ الجاد

وإنها لخطوة نريد لها المزيد في دراسات مقبلة عن الأدب السعودي والفن السعودي..

وفق الله الجميع لما فيه خير البلاد.. وهيأ للبلاد ما تصبو إليه.. وعلى الله فليتوكل المتوكلون

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبد العزيز

الثقافة الكلمة المضيئة

بقلم الأستاذ/محمد أحمد الشدي
رئيس مجلس ادارة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

الفنون والاداب على مختلف الوانها وتفرعاتها هى اساس حضارة الامم ومؤشر رقيها ودليل اصالتها. هذا هو منطق الواقع وحكم التاريخ البعيد والقريب.

هناك امم فوق الحصر سادت وارتفع شأنها واحرزت اعظم درجات القوة والنفوذ ولكنها باتت وامحت من ذاكرة الأجيال والأيام لأنها لم تترك أثراً حضاريا (فنيا او ادبيا) ينم عن مرورها فى اروقة التاريخ وهناك امم قليلة سادت وبادت ايضا - ولكن حضارتها الفنية والادبية والفكرية لا تزال حتى اليوم المنهل العذب الذى ترتوى منه الامم اللاحقة.. تقتبس منه.. وتعجب به وتفيد من نماذجه الراقية الاصيله.

لا أحد يستطيع ان يتجاهل الحضارة العربية والاغريقية والرومانية القديمة ذلك لان سر بقاء هذه الحضارات فى الاذهان يتمثل فى الآثار القيمة التى تركها للعالم فى فن البناء وفن الشعر وفن المسرح والرسم.. وهى آثار تدل على رهاف الحس والذوق والابداع.

الحضارة لا تعنى القوه العسكرية او المادية مطلقا ولكنها تعنى الجمال والحب والكلمة المضيئة وهذا هو سر خلود حضارة اليونان والرومان والحضارة القديمة فى الذاكرة والتاريخ وسقوط حضارة المغول والبرابره والحضارة الاسبارطية قبل ذلك.

ولعلى لا أبالغ حين ما أقول ان الفنانين والشعراء والادباء الكبار هم اعظم واشهر من القادة والفاتحين الكبار واعتقد ان (هوميروس) و (موزار)و(دافنشى)و(المتنبى) و(بيكاسو) و(شكسبير). سيظلون فى صفحات التاريخ وعلى السنة اجيال العالم اعظم واكثر شهرة من (الاسكندر) و(قيصر). (هنيبال) و (نابليون)



واذا كنا فى هذا القرن العشرين نرى تقهقراً جارفاً وشديداً للفن والادب امام الحضارة المادية الطاغية فذلك لأن الاذواق والاحاسيس قد تبدلت واصابها الجفاف والكراهيه .

وهى كبوه لا اعتقد انها سوف تستمر فسرعان ما يعود الإنسان إلى طبعه وذوقه وانسانيته وحبه للجمال والاصاله والذوق الرفيع .

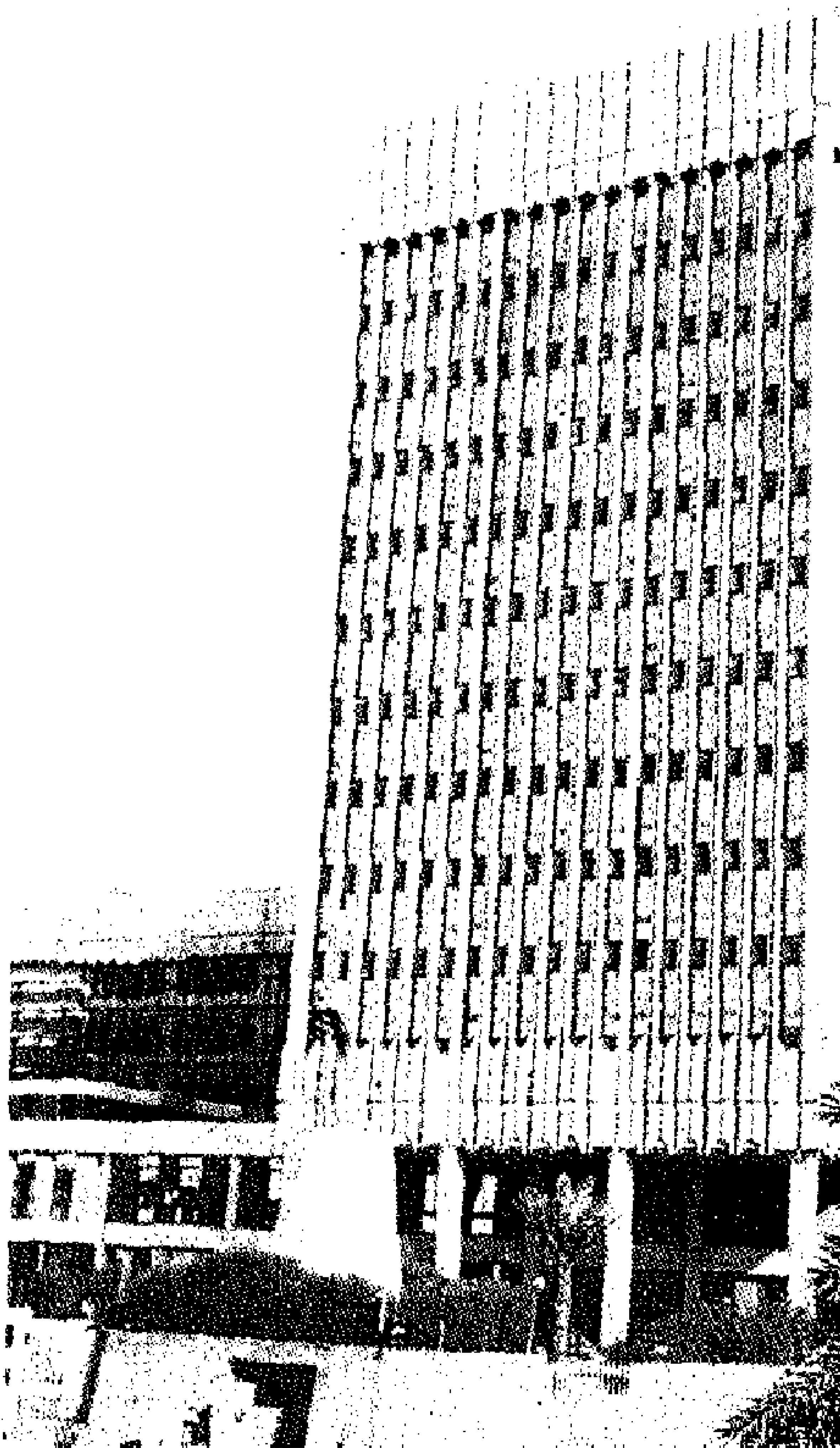
الحضارة الحقيقية هى حضارة الاخلاق . . حضارة الادب ـ وحضارة الفن لانها هى الحضارة الحية الخالدة التى يحفل بها التاريخ .

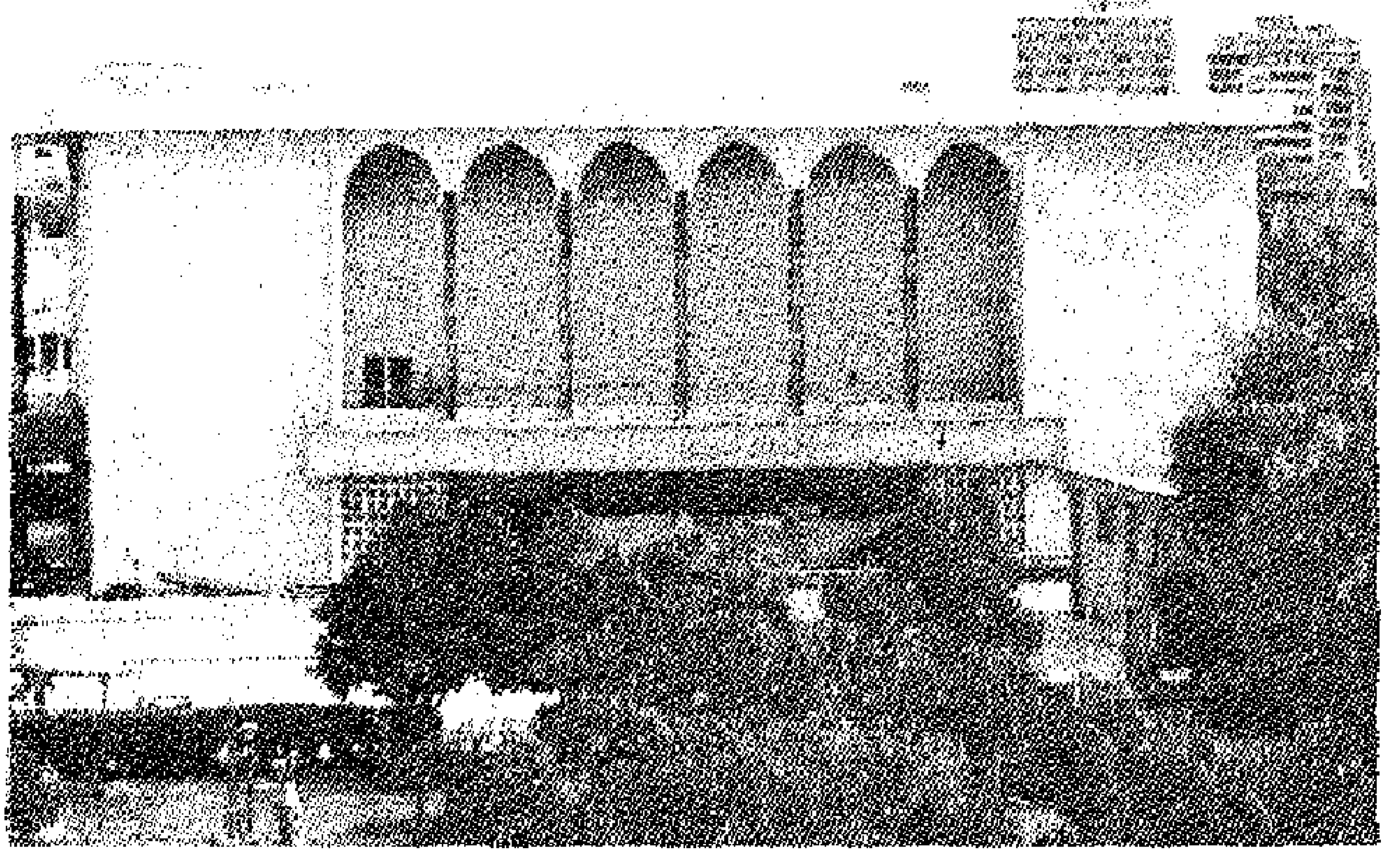
نحن فى المملكة . . فى هذا البلد القيادى ذى المكانه المرموقه والامكانيات الكبيره نشرع الابواب واسعة لحضارة عربية اسلامية وحضارة فنية وثقافيه بارشادات جلالة الملك وسمو ولى العهد الامين . . ونؤمن بأن هذه الجهود الخيره المشكورة سوف تساهم فى انعاش الادب والفن والثقافة من واقع اهتمامها وحرصها على ابراز المواهب وتكريم النوابغ المبدعين .

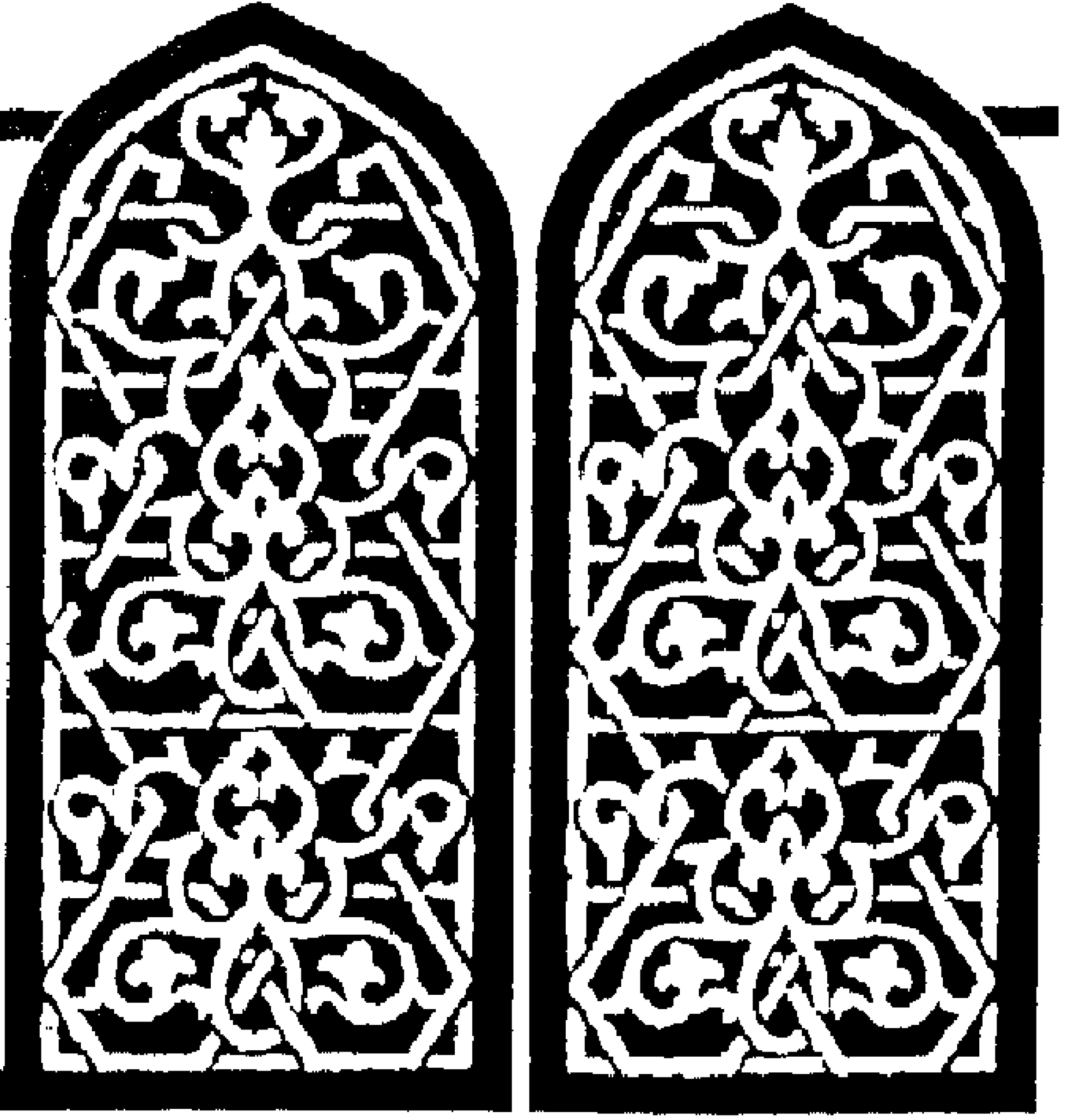
ان المملكة من اغنى الدول فى التراث وجوانب الفن كالشعر والأمثال والقصص واناشيد الحرب . . وامتنا من اغنى الامم بالشعراء والادباء والفنانين . . فنحن ولله الحمد نمثل حاضراً زاهراً يصلنا بماضٍ ادبى وفنى عريق وأصيل .

ونحمد الله على ان مملكتنا غنية بالمواهب فى كل فن من الفنون ، فالاصوات الادبية والفنية السعودية اصبحت شائعة ومعروفة فى كل مكان ، ولوحات ومعارض الفنانين اصبحت تعرض فى عواصم الدول المتحضره والامل فى المستقبل كبير إن شاء الله .

ومجلة المنهل وهى تقدم هذا العدد الثقافى الفنى هدية للقراء لنرجو أن يكون ما فيه عبارة عن شاهد على الجهود المتواضعة فى هذا الميدان ودليل على سلامة خطواتها فى مجال دفع الحركة الفنية الى آفاق أرحب . . نسأل الله التوفيق والسداد . .







الفن وموقف

إسلاميات

الإيمان والكفر، الخير والشر، الطاعة والمعصية، الكرم والشح الجنة والنار .. متضادات تقفز أمام الأعين لوحات بيانية من خلال الكلم الطيب ..

«المنهل»

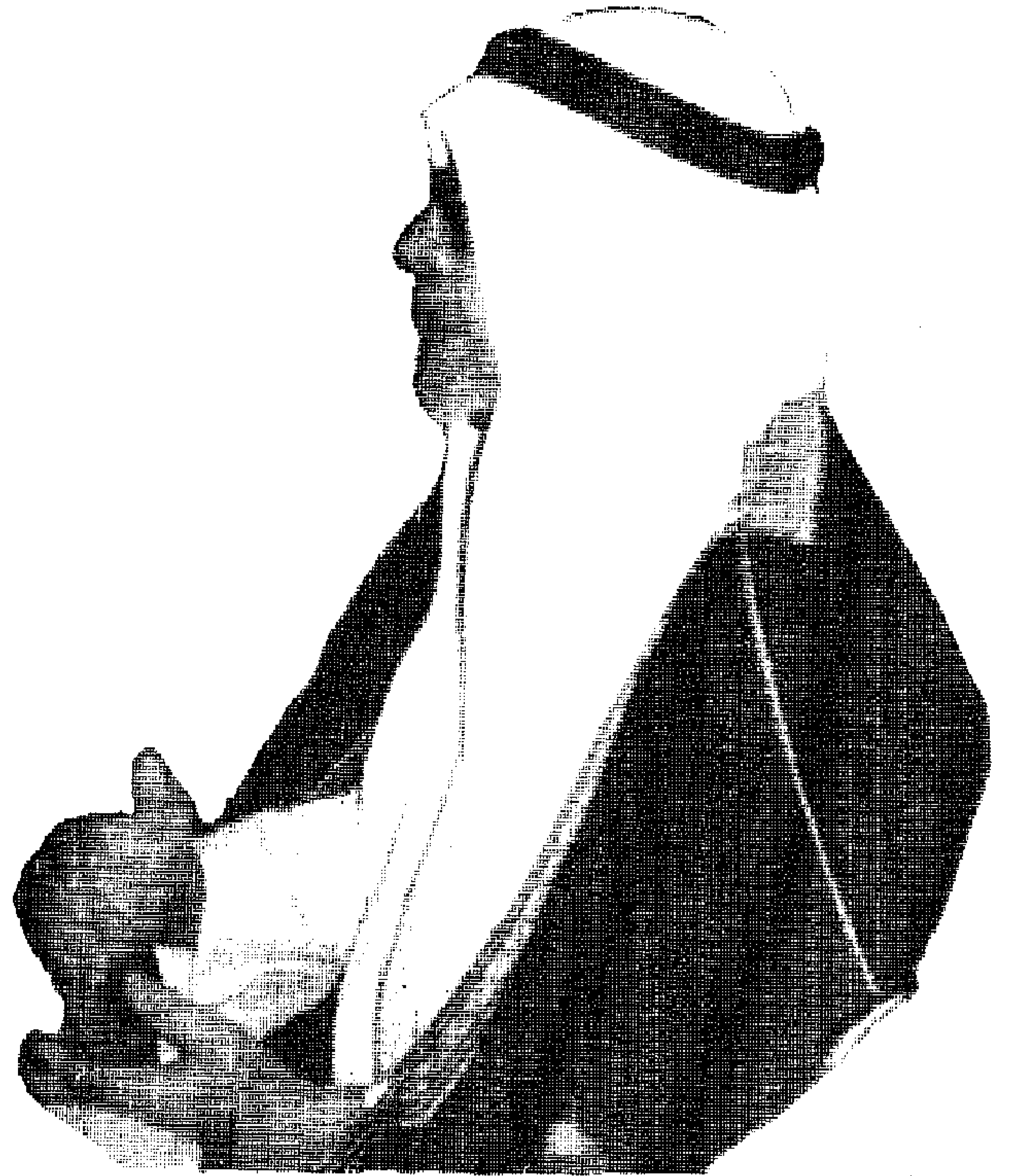
هذا هو الموضوع الذى طلب منى أخى العزيز الأستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى صاحب مجلة (المنهل) أن اتحدث حوله. وارجو الله ان اكون عند حسن ظنه، فيجد قراء المنهل الأحباء حاجتهم او مطلبهم فى ما اكتبه بإيجاز عن موقف الاسلام من (الفن).

أولا - نتساءل: ما هو الفن.. أى ما هو مفهومه المعروف لدى الكتاب والقراء؟

الفن: هو تصوير الجمال أو التعبير عنه بمقالة بليغة أو قصة رائعة، أو قصيدة ناغمة او بلوحة أخاذة او لحن موسيقى مطرب.. إذن فالفن وسيلة أو أداة، وليس غاية فى ذاته وفى الحديث النبوى الصحيح: (إن الله جميل يحب الجمال..) والمتأمل فى آيات القرآن الكريم واحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام يجد (الفن) العالى فى التصوير والتعبير عن القضايا والأفكار التى يعرضها الاسلام عبر هذين المصدرين الكريمين.

فالاسلام - فى قرآنه وحديث رسوله - لا يعرض الحقائق والفضائل بأسلوب «آمن» أو «لاتكفر» أو «اعمل صالحاً» أو «لاتعمل سيئاً» و «قل أو لاتقل».

ولكن الاسلام يعرض حقائق العقيدة وروائع الشريعة ومكارم الأخلاق فى صور مجسمة وقصص ذات عبرة وحوار بين مؤيد ومعارض وذكريات عن السابقين.. بحروف وكلمات وجمل منفحة مرنمة كأنها الشعر وليست شعرا أو كأنها الموسيقى، وليست موسيقى.



فن الإسلام منه

بقلم الكاتب الإسلامى الكبير
أحمد محمد جمال

إن الاسلام كما يحرص على تقديم المعاني والمضامين عن العقيدة والشريعة والاخلاق - في كتابه وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ يحرص أيضاً على ان يكون أسلوب عرضها لافتاً للأنظار وكافتاً للأفكار ومؤثرا في القلوب.. وهذا هو (الفن) أداة الجمال ريشته ولوحته وموسيقاه.

وحسبنا بعض الأمثلة من القرآن الكريم وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام فهذه صورة (النفاق) وعاقبته في قول الله عز وجل:

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدى القوم الكافرين﴾

فهو لا يكتفي بمجرد الوعظ والإرشاد بالاخلاص في الصدقة وعدم اتباعها بالمن والأذى - ولكنه يردف هذه الدعوة الخيرة بصورة مصير المنافقين فيما يعملون بصفة عامة، كمثل صفوان عليه تراب نزلت عليه قطرات من المطر فأزالت التراب وكذلك الأذى والرياء والمن يبطل الصدقات ويذهب بأجرها.

ويضرب مثلاً مقابلاً للذين ينفقون أموالهم ابتغاء رضوان الله وتثبيتاً من انفسهم.. ﴿كمثل جنة بربوة أصابها وابل.. فآتت اكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل. والله بما تعملون بصير﴾(١) فهنا صورة البركة والمضاعفة في الأجر وهناك صورة المحق والسحق والخسران.

وما أروع تشبيه القرآن لأعمال الكفار الخائبة الخاسرة - لانها تفتقد الايمان - بسراب «بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً» حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.. ووجد الله عنده فوفاه وحسابه والله سريع الحساب» .(٢)

ومثله قوله عز وجل عن الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها - ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة أجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾(٣)

وهناك قصص الانبياء مع اقوامهم.. مما لا يتسع المجال لسرده وما جرى بينهم من حوار وإصرار من رافضي دعوة الاسلام التي هي دعوة الرسل جميعاً - وكيف كان تصوير القرآن رائعا لمصائرهم.. فمنهم من اخذته الصيحة ومنهم من أرسل عليه حاصب

الأستاذ / أحمد محمد جمال
- من مواليد مكة المكرمة.
- عضو مجلس الشورى.
- أستاذ الثقافة الاسلامية بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة.
- له مؤلفات عديدة ذات أثر وتأثير
- له اسهامات ايجابية فعالة في نشر الدعوة الاسلامية.
- له مشاركات في كثير من الندوات والمؤتمرات الاسلامية.

ومنهم من خسفت به الأرض ومنهم من أغرق.

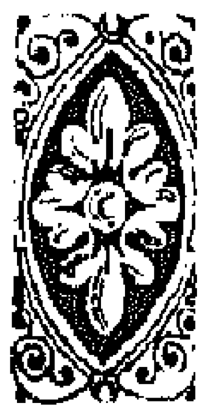
وفى مجال الحديث عن جمال الكون نجد القرآن يقول: (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح، وجعلناها رجوماً للشياطين) هكذا يحرص القرآن على لفت أنظارنا إلى الجمال فى السماء لننظر ونفكر ونتدبر..

وكذلك يلفت أنظارنا الى الارض وما عليها من جبال وما يجرى فيها من أنهار وما يتعاقب عليها من ليل ونهار وشمس وقمر.. وكلها مشاهد وصور رائعة وجميلة وأخاذة..

كذلك يقدم القرآن الكريم مواقف الناس يوم القيامة وما يكون فيها من حوار بين المستكبرين والضعفاء والتابعين والمتبوعين والرسل وأقوامهم.. ومشاهد الندم والأسف والحسرة فى صفوف الكفار والفساق ومناظر الحمد والنعمة والمسرة فى صفوف المؤمنين الصالحين.

وفى الحديث النبوى نجد (فنّ) التصوير والتعبير رائعاً مطرباً من ذلك قوله ﴿ﷺ﴾: (مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجّه ريحها طيب وطعمها طيب ـ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الثمرة لا ريح لها وطعمها طيب ـ ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ـ ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر)(٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الدنيا حلوة خضرة.. وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ـ فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء)(٥).

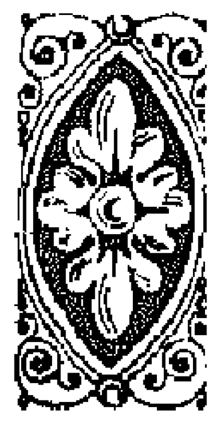


فالفن البليغ فى هذا التوجيه النبوى هو الاعتراف بان الدنيا حلوة وخضرة وفاتنة للالباب، وآخذة للأبصار.. ولكن على المؤمن أن يحذر الضلال عن سبيل الهدى وأن يتحرى الحلال ويتجافى الحرام ـ وكذلك النساء ضرورة لابد منها ولا غنى عنها لعمارة الكون بالزواج والتناسل لا بالمصادقة واللهو.

وقوله صلى الله عليه وسلم: (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيجتمع اليه الناس فيقولون: مالك يا فلان ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه)(٦)

إنها صورة المنافق الذى يخدع من حوله فى الدنيا.. فيقول ما لا يفعل ولكنه مفضوح بين أعينهم يوم القيامة.

وما أروع توجيه الرسول عليه الصلاة والسلام فى اختيار الاصدقاء والخلان ـ يقول ﴿ﷺ﴾ (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ـ فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما ان تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك وإما ان تجد منه ريحاً منتنة)(٧)



وبعد.. فالامثلة والنماذج عن (الفن) فى أسلوب القرآن والحديث النبوى تملأ الكتب الطوال العراض. وإنما هذه قطرات من بحر زاخر.

ولا شك ان الاسلام إختار لبلاغه ـ قرآناً وسنة ـ أروع اساليب الفن وطرقه والفاظه وجمله.. لانه دين الجمال فى كل مجالاته: العقيدة والشريعة والأخلاق. والله تبارك وتعالى منزل هذا الدين وباعث رسوله عليه الصلاة والسلام (جميل يحب الجمال).

ويخطىء كثير من الكتاب والدعاة والخطباء الذين يتحدثون عن (الاسلام) بغير هذا الاسلوب الفنى، الاسلوب الجمالى. وهم بذلك ينفرون ولا يبشرون ويعسرون ولا ييسرون والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا)(٨).

المراجع: (١) تراجع سورة البقرة من ٢٦٤-٢٦٦

(٢) تراجع سورة النور / ٣٩ وما بعدها.

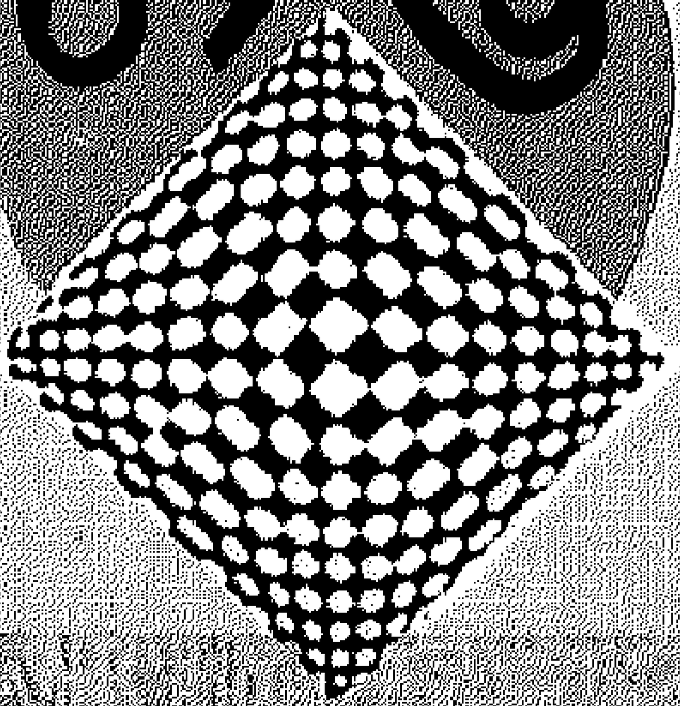
(٣) سورة ابراهيم / ٢٤-٢٦.

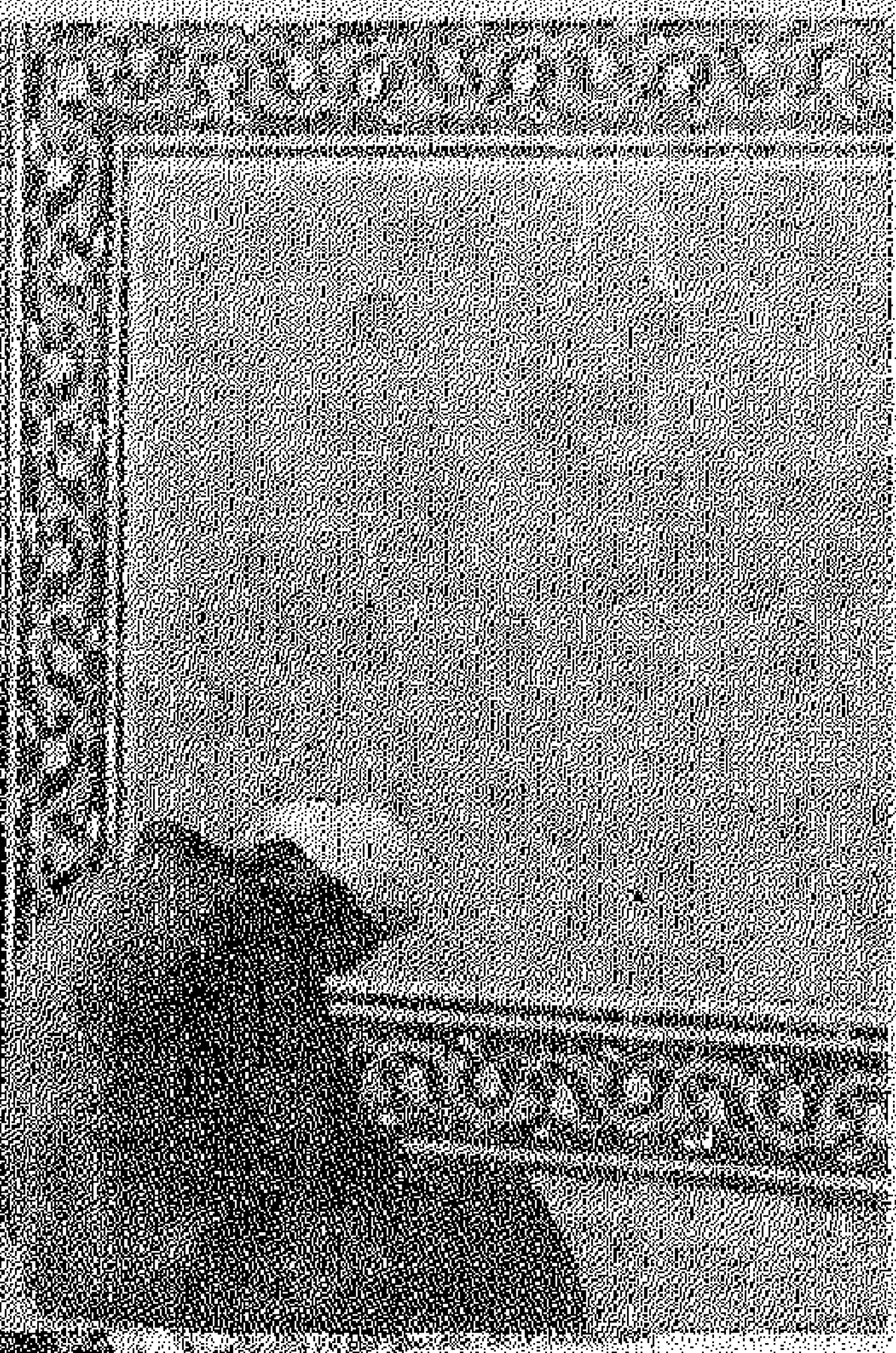
(٤) متفق عليه.

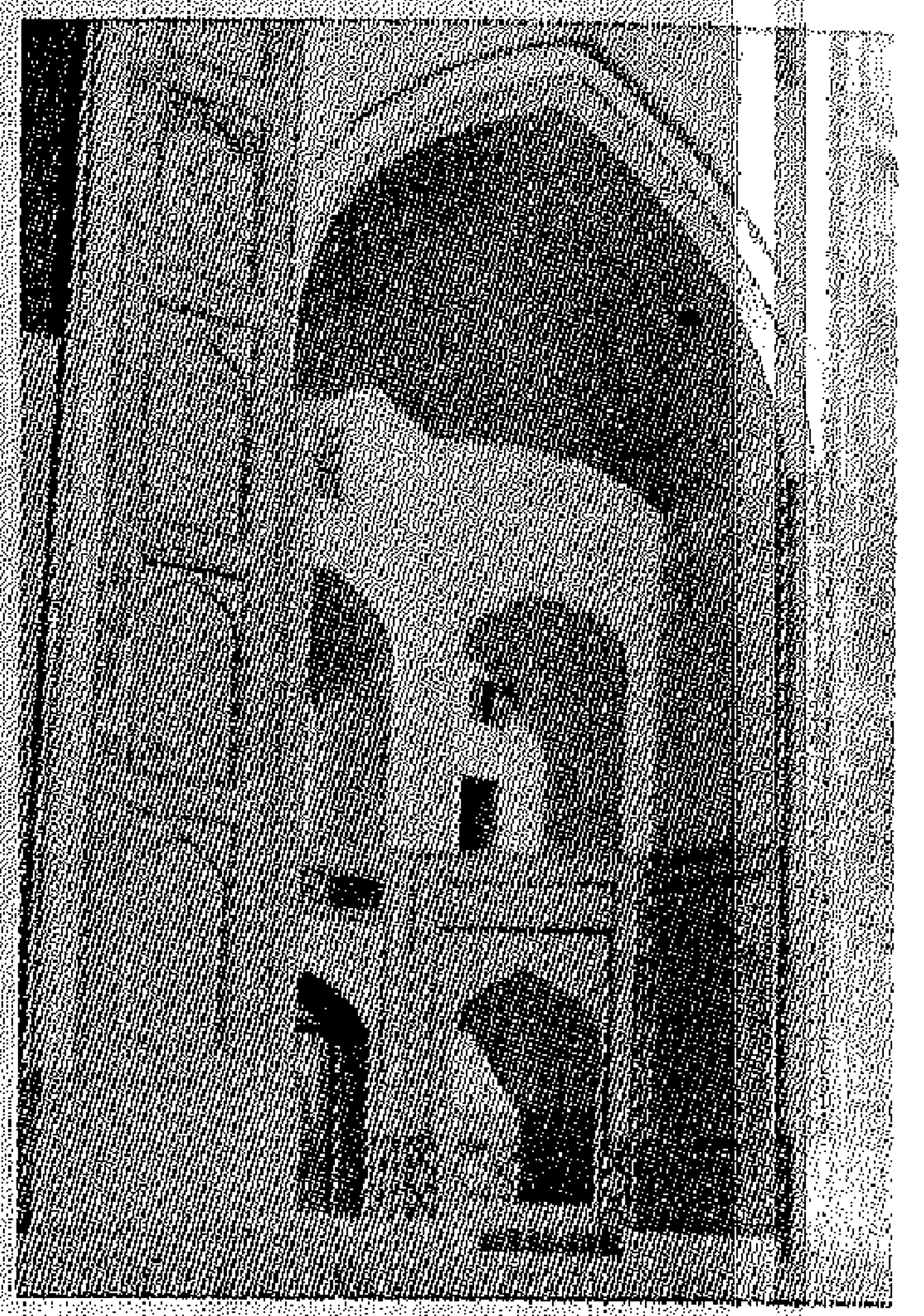
(٥)، (٦) رواهما مسلم.

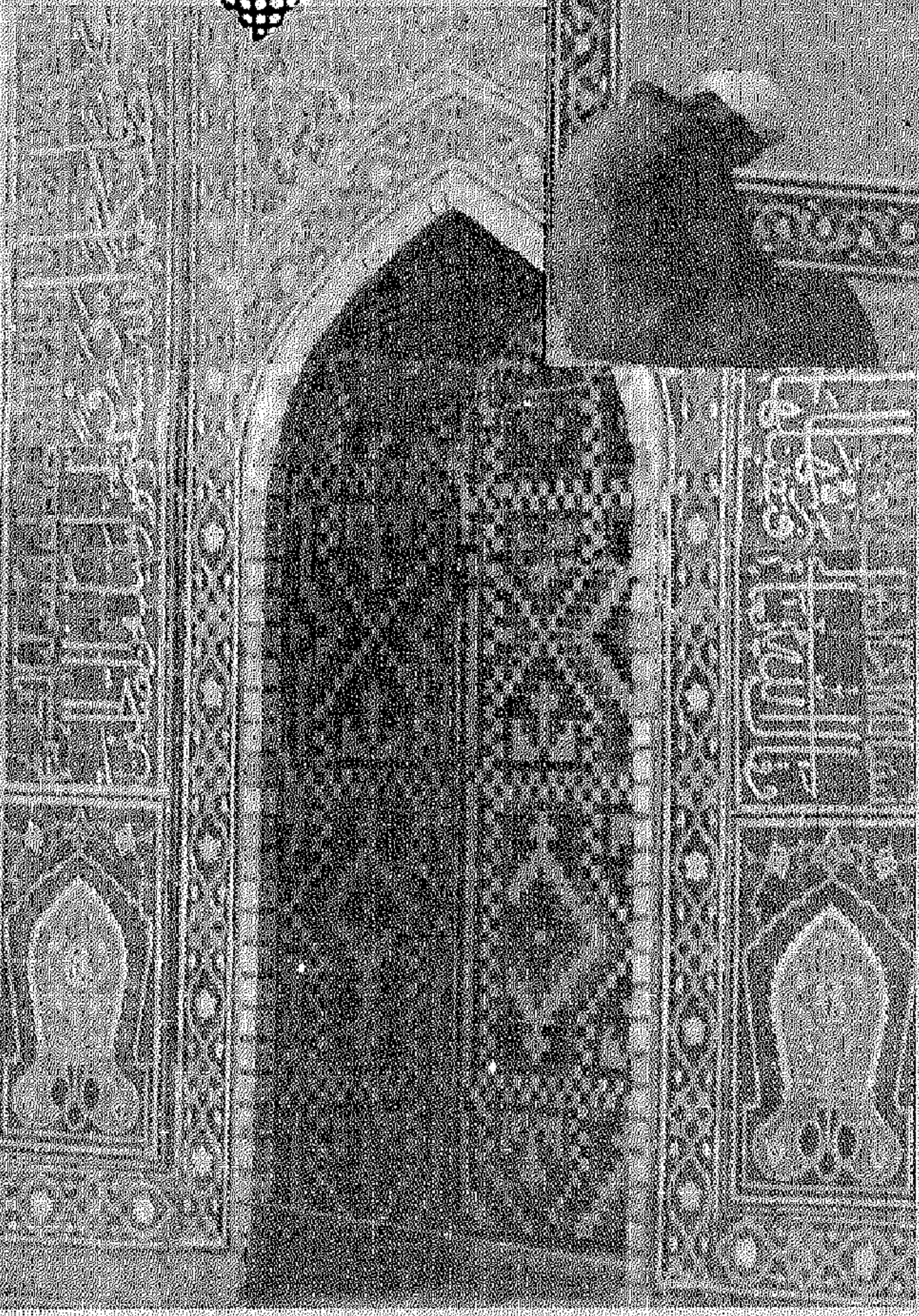
(٧) رواه الشيخان.

(٨) رواه الشيخان واحمد والنسائى.









بفضل انتشار المسلمين في أنحاء العالم دعاة بدعوة الحق فقد دخل الاسلام كثرة كاثرة من غير العرب في عديد من الدول الأوروبية شرقية وغربية.

وترك المسلمون هناك آثاراً باقية خالدة مع الزمن.. وعلى سبيل المثال نجد في هذه الصور: مدرسة ومسجد «القاليين» وقد بنيا في القرن الثاني عشر الميلادي وأعيد بناؤهما في القرن السادس عشر في «بخاري» بخارستان.

☞ وترى في الصورة المجاورة أحد المسلمين من سمرقند احلمولايات الاتحاد السوفيتي يتعبد داخل مسجد سمرقند، وفي صورة أخرى نشاهد المدخل الخارجي لمسجد شاه زنده.. وكل ذلك يعكس لنا فن العمارة الاسلامية للمسجد الذي نقله المسلمون الى كل بلد فتحوها او ارتحلوا إليها.. وهي آثار باقية تحدث عن مجدهم.

الفن

عرف العرب فنوناشتى مثل فن القول وفن الموسيقى وفن النحت والرسم والتصوير، وبرعوا فى فن القول الذى استخدموه فى حياتهم فى مختلف الأغراض.

اتخذوا فن القول فى الحماسة والفخر والحرب والحب والمدح والهجاء وفى الغزل والنسيب وشكوى الزمان.

فلما ظهر الإسلام كان فن القول قد بلغ اعلى الذرى، وهو نفسه قد حمله فن القول إلى العالم. وكانت أولى آيات الوحى اللاتى تلقاهن محمد من ربه إيذانا بالنبوة آيات هن فى أعلى مرتبة من فن القول الرائع ذى البيان الجميل المحكم.

هذه الآيات هى: ﴿ *اقرأ باسْم ربِّك الذى خَلَق خلقَ الانسانَ من عَلَق اقرأ وربُّك الأكرمُ الذى علَّمَ بالقلم علَّم الإنسان ما لم يعلمْ* ﴾.

والقرآن الكريم نفسه أرقى ما فى الوجود من فن القول الذى لا يدانيه فن قول بشر سواء أكان نبيا رسولا أم كان أديباً بليغا أم عبقريا أطاعت له كل فنون القول؟.

وفى تلك الآيات الكريمات ذكر لفنون من الأدب وأبرز أدوات الفنون والآداب والعلوم: القلم والكتاب، وجاء ذكر القلم صريحا، والقراءة تكون فى المكتوب سواء أكان فيه فن أو علم أو فلسفة.

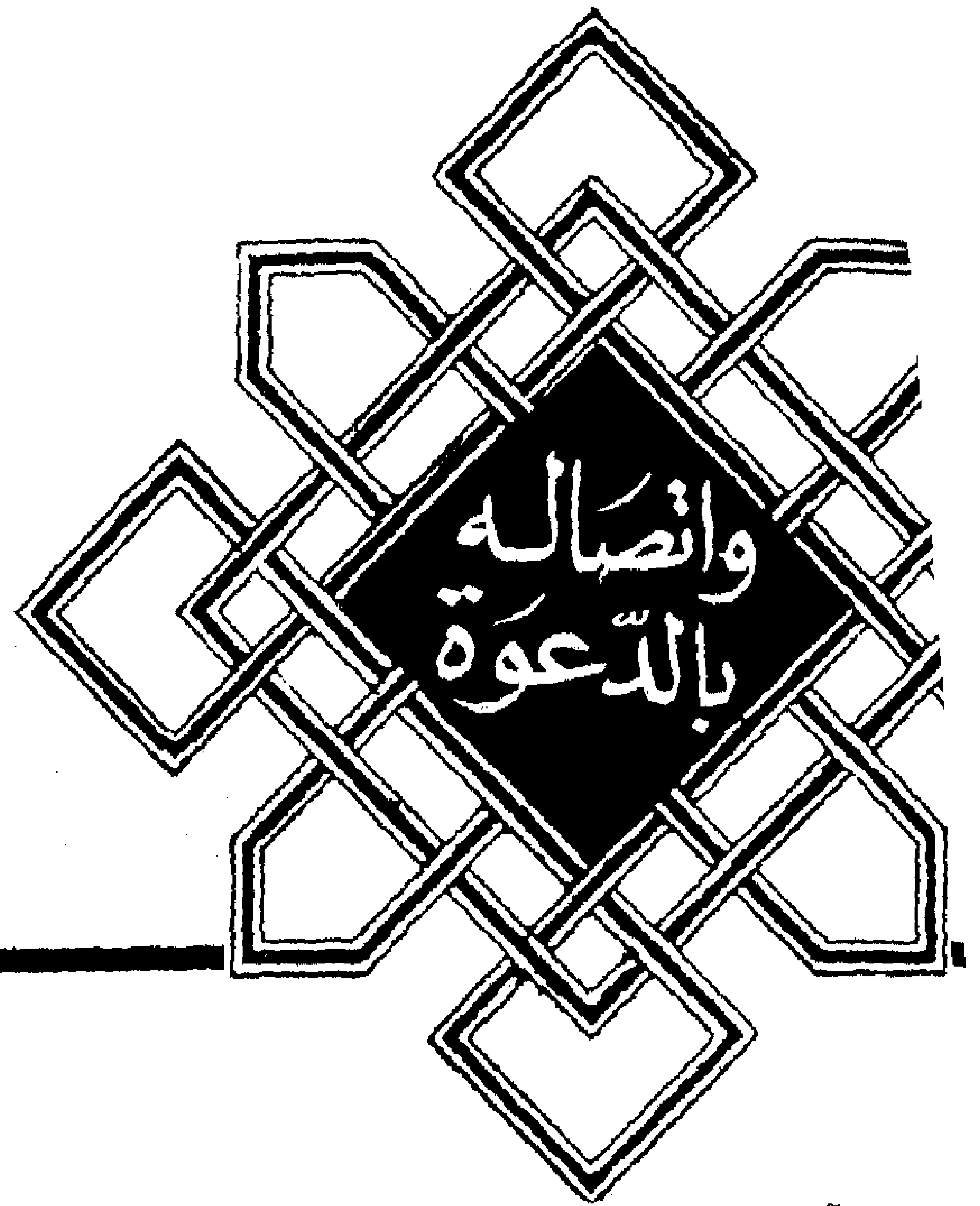
والقلم أداة فنون القول جميعها لأن يدونها فتبقى ميراثا حيا تتناقله القرون قرنا إثر قرن.

والقلم اداة الرسم والتصوير والنحت، وقراءة الكتاب أو إبلاغ الدعوة يقتضى الصوت. والغناء والموسيقى صوت.

ومعروف أن الأدب تعبير بالكلمة المكتوبة والمسموعة، والموسيقى والغناء تعبير بالصوت، والرسم والتصوير والنحت تعبير بالقلم ريشة وإزميلا.



أحمد عبد الغفور عطار
الكاتب الإسلامي الكبير



والقرآن الكريم حوى من فنون القول أو الأدب الآية البليغة والقصة بأفانينها من سرد وحوار، وهو - أى القرآن نمط فريد فى العربية لا يوصف بأنه شعر لأنه ليس بشعر، ولا يوصف بانه نثر، لأنه ليس نثرا، لأنه فن من القول فذ وفريد، هو «قرآن» وحسب، وكلمة «قرآن» تميز له عن كلام الناطقين بالعربية الذى لا يعدو أن يكون شعرا أو نثرا والقرآن ليس باحدهما بتة، ومادام كذلك فلفظ «القرآن» اللفظ الذى يميزه عن الشعر والنثر لأن كلام الله فوقهما ويغايرهما.

وعلى هذا يكون الكلام العربى قرآنا ونثرا وشعرا، القرآن كلام الله وحده، والشعر والنثر كلام البشر.

فالدعوة الإسلامية التى يمثلها القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فن، لأنه معبر به عنها، فن حمله كل ما عرف فى العربية من فنون منها: فن القصص، وفن الحوار، وفن المثل، وفن الحكمة، وفن الكلام السائر، وفن الصورة البديعة والمشهد الرائع.

ورضى الله سبحانه وتعالى لنفسه أن يصف نفسه بقوله:

﴿ هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾.. آل عمران: ٦

ويقول جل جلاله: **﴿ يا أيُّها الإنسان ما غرَّكَ بربكَ الكريم الذى خلقكَ فسوَّاكَ فعَدَلَكَ فى أيِّ صورة ما شاء ركَّبك﴾.. الانفطار: ٦-٨.**

فالإبداع العظيم من بديع السماوات والأرض الذى نشهده فى خلق الإنسان خلقا حسنا لا نقص فيه ولا فضول، بل هو خلق تام لا يمكن لأى أحد أن يقترح أى اقتراح بإضافة شيىء أو حزف شيىء أو تعديل، لأن ذلك مستحيل، وصدق الله عز وجل إذ قال قولا حقا مؤيدا منه سبحانه وتعالى بثلاثة أيمان دراكا: **﴿والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾.. سورة التين: ١-٤.**

نعم يقسم الله - وقسمه الحق كله - بأنه خلق الإنسان فى أحسن تقويم، أى تاما فى أجمل صورة.

نعم، إن الله بديع السماوات والأرض أبدع أيما إبداع فى صورة الإنسان وأحسنها إحسانا رائعا.

﴿الله الذى خلق لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ غافر: ٦٤

و ﴿خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾ التغابن: ٤

وارتضى الله تبارك وتعالى أن يسمى نفسه «المصور» ويجعله من أسمائه الحسنى فى قوله تعالى: **﴿هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ الحشر: ٢٤**

والله سبحانه وتعالى فى الإسلام رب العالمين وخالق كل شيىء مما علمناه جملة ومما لم نعلمه، خلق من العدم فأبدع الخلق أيما إبداع تفرد به وحده لأنه هو الخالق البارىء المصور وحده لا شريك له، وهو الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم.

وارتضت رحمته أن يرسل خير رسله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس جميعاً منذ أرسل وجعله خاتم رسله فلا نبى بعده ولا رسول سواه إلى يوم يبعثون، وزوده بخير كتبه: القرآن معجزة صالحة لكل زمن وكل مجتمع فيه الهدى والرشد لا يغيره زمن ولا يستغنى عنه عصر ومجتمع.

إنه المعجزة الخالدة تتجدد كل يوم، ولم يجعلها الله مثل معجزات من سبقوا محدودة بزمان ومكان أنشأتها الحاجة وانتهت بانتهائها ولهذا لم تتكرر معجزات من مضوا من الرسل الكرام بل اختص كل رسول بمعجزة انتهت بانتهاء الحاجة اليها، ومعجزة كل زمن مرتبطة به، فإذا انتهى الوقت المعلوم انتهت بانتهائه.

ولما اختار الله عبده محمدا للرسالة العظمى الخالدة من يوم إعلانه ﴿ﷺ﴾ الدعوة إلى أن يطوى الله السماوات والأرض زوده بمعجزة تبقى أبد الدهر، الرسول يموت، لأن كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام، ومادام الله الباقى الذى لا يفنى والحى الذى لا يموت اختار لرسول الإنسانية معجزة خالدة لا تنتهى بانتهاء الإنسانية ويستحيل فناؤها لأن الله لا يفنى وكذلك كلامه الحق المبين، لأن صفات الله باقية غير فانية وكلام الله جل جلاله مثل ذاته وصفاته فى البقاء السرمدى والديمومة التى لا نهاية لها.

والقرآن كلام الله، وهو على الإطلاق والتعميم ـ أرقى كلام اجتمعت له كل صفات الكمال فى البلاغة التى يعجز الخلق جميعا أن يأتوا بشيىء من مثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

فالقرآن بلغ فى فن القول الذروة التى تغرُّوبها، فهو نفسه فن معجز نتذوقه ونسعد به دون أن يساور أحدنا التفكير فى ان يأتى بشيىء من مثله، فما فكر الانسان قط ولا يمكن أن يفكر أبد الدهر فى خلق شمس كالشمس التى نرى، وكذلك لا يفكر ان يأتى بشيىء من ذلك الفن الإلهى المعجز الفريد.

فرسالة الله التى هى دينه الحق حملها فن الله المعجز المتجلى فى كلامه الحق الذى كرَّم البشرية بأن جعله للناس قرآنا يتلى.

ودعوة الله هى دعوة رسوله الأكرم محمد ﴿ﷺ﴾ التى حملها فن الله المعجز فن القول الرائع الجميل المتفرد بالروعة والجمال والجلال والإعجاز.

واستخدم رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام فن القول فى تبليغ دعوة الله إلى الناس جميعا، ونشب الصراع رهيبا بين الرسول الكريم واتباعه وبين كفار قريش وتلقاء استخدام الرسول ﴿ﷺ﴾ وأصحابه فن القول فى الدعوة ونشرها والذود عنها استخدم أعداؤهم الأسلوب نفسه فثارت حرب الدعاية والاعلام بين الفريقين.

وكان شاعر الإسلام الأكبر حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله ﴿ﷺ﴾ وكان شعره رضى الله عنه سلاح الدعوة الأشد على أعداء الإسلام من الحسام. وروت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان يضع لحسان المنبر بمسجده الشريف يقوم عليه قائما يهجو الذين كانوا يهجون النبى ﴿ﷺ﴾ فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ «إن روح

القدس مع حسان مادام ينافح عن رسول الله

وقال محمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «هاجهم باحسان وجبريل معك» وقال عليه الصلاة والسلام يدعو «اللهم أيده بروح القدس».

وكان هناك شعراء الدعوة الإسلامية يردون حملات أعدائها وينشرون محاسنها ويعلون ذكرها ومفاخرها

واستخدم فن القول فى نشر الدعوة وتأييدها والذود عنها استخداماً جليلا كان له الفضل ـ بعد الله ـ فى انتشار الدعوة.

واستخدم الفنانون المسلمون كل فنونهم فى إظهار الدعوة ونشرها وحملها إلى الناس فاتخذ المهندسون المعماريون فنون هندستهم الرائعة فى بناء المساجد وفى زخرفتها وبناء الأربطه بأشكال هندسية آية فى الجمال والروعة، وما تزال المساجد التى بناها المسلمون فى الأندلس (أسبانيا) آية تبهر ألباب مشاهديها.

ومن اعظم آيات الاسلام وآيات الفن الأسلامى المآذن العالية ترى ليلا ونهارا فتدل على موقعها، وكما يرفع المسلم فى «التحيات» إصبعه السبابة إلى السماء وهو يقول: «أشهد الا إلّه إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمدا عبده ورسوله» رفع المهندسون الفنانون المآذن عالية فى السماء لينطلق من ذراها توحيد الله وتمجيده والشهادة:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.
أشهد ألا إلّه إلا الله، أشهد ألا إلّه إلا الله.
واشهد أن محمدا رسول الله، وأشهد أن محمدا رسول الله.
حيَّ على الصلاة، حى على الصلاة.
حى على الفلاح، حى على الفلاح.
الله أكبر، الله أكبر
لا إلّه إلا الله

فإذا رفع المسلم سبابه مشيرا الى أعلى وهو فى صلاته يقول: «أشهد ألا إلّه الا الله وحده لا شريك له، واشهد ان محمدا عبده ورسوله، قالت الأرض للسماء بمنارتها العالية: اله أكبر، الله أكبر.. الخ تعلن للملأ أجمع شهادتها على لسان المؤذن ابن ترابها ذلك النشيد العظيم.

ولقد أبدع الفنانون المسلمون من المهندسين فى بناء بيوت الله إبداعا يوحى بكل معانى الدعوة ومقاصدها ابتداء ببيت الله الحرام بمكة المكرمة وبحرم رسول الله ﴿ﷺ﴾ بالمدينة المنورة ـ حرسهما الله وزادهما شرفا وتعظيما ـ إذ يوحى كل مسجد على الأرض بوحدانية الله التى تتجدد الشهادة بها من الأرض ليل نهار دون انقطاع.

وقد كانت المساجد بمآذنها العالية من أسباب انتشار دين الله، فقد استجاب كثير من الكفرة والمشركين والملاحدة لداعى السماء فى سجوٍ الليل، وأسلموا لرب السماء وجوههم وقلوبهم، وآمنوا بالله وحده لا شريك له.

واستخدم الفنانون المسلمون فنونهم المختلفة فعبروا بالصوت سواء أكان لحنا شجيا أم نغما رضيا أم كان رسما أم صورة أم قصة ورواية أم مسرحية عن الدعوة التى حملتها فنونهم الى الخافقين فتقبلها من ولدوا على الوثنية والكفر ودخلوا فى دين الله أفواجا، وبلغ من إخلاصهم له أنهم صاروا يبشرون به وينشرونه فى العالم ويذودون عنه.

وموجز القول فيما نذهب إليه أن الدعوة الإسلامية التى يمثلها كتاب الله وسنة رسوله ﴿ﷺ﴾ فن اصيل، وهو أعظم الفنون طرا، ذلك هو فن القول.

وصدق الله اذ قال فى محكم كتابه: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ الرحمان: ١-٤

وحسب الإنسان ندية وفخرا أن يعلمه البيان ذروة فن القول، ويؤثره بإرسال القرآن الكريم: فن المعجز العظيم يحمله ويستضيىء به هو نفسه ويجعله نورا وهدى لغيره ليهتدى بنو الانسان بنور الله الوهاج كتابه الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه من الحق صدر وإلى الحق يعود.



عرف العلماء «البيان» بانه إحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك، وهو عندهم: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة والذى نتكلم عنه هو النوع الأول، فالكلام الذى يظهر به تميز الشيء من غيره هو بيان، فإذا لم يكن كذلك فليس ببيان، ثم ليس كل بيان يفهم به المراد حسناً. بل لا يطلق اسم البيان على ما شان من الكلام، لأن الله عز وجل قد مدح البيان وامتن به على الناطقين في جملة أياديه الجسام فقال تعالى ﴿خلق الانسان علّمه البيان﴾ وأعلى مراتب حسن البيان ما جمع أسباب الحسن في العبارة كتعديل التنظيم حتى يسهل على اللسان ويتقبله السمع ويحلو وقعه فى النفس ثم يأتى مقدار الحاجة ويحل فيها حقه من الرتبة بين الاسماء والصفات فى التأليف ودلالة الاشتقاق، وتضمين المعانى، وليس لهذه الدلالات نهاية يوقف عندها، فلهذا صح التحدى فيها بالمعارضة لتظهر معجزة القرآن، وهو كله فى نهاية حسن البيان الذى قام عليه معياره.

على أن معجزة القرآن أمر خارق، ووجوه إعجازه لا يحيط بها الاحصاء، فمنها ما يتعلق ببديعه وتأليف نظمه، ومنها ما يتعلق بفصيحه وبليغ خطابه، ومنها ما يتعلق بأسلوبه وحسن ترتيبه، ومنها ما يتعلق بشمول أحكامه وهيمنة تشريعه، ومنها ما يتعلق بإخباره عن الغيوب والضمائر، الى غير ذلك مما لا يدخل تحت العد.

قال ابن القيم فى البدائع:

ولذلك وجوه متعددة أحدها: إقدامه صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر، (فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم) وإسجاله على الخلائق اسجالا عاماً إلى يوم القيامة أنهم لن يفعلوا ذلك أبداً، فهذا لا يقدم عليه ولا يخبر به الآ عن علم لا يخالجه شك، مستندا الى وحى من الله تعالى، والآ فعلم البشر وقدرته يضعفان عن ذلك فهذان وجهان. والثالث: النظر الى نفس ما تحدى به وما اشتمل عليه من الأمور التى تعجز قوى البشر عن الإتيان بمثله الذى فصاحته ونظمه وبلاغته فرد من أفراد إعجازه، وهذا الوجه يكون معجزة لمن سمعه وتأمله وفهمه، وبالوجهين الأولين يكون معجزة لكل من بلغه خبره ولولم يفهمه ولم يتأمله.

فتأملوا هذا الموضع من إعجاز القرآن تعرفوا فيه قصوراً كثيراً من المتكلمين وتقصيرهم فى بيان إعجازه، وأنهم لم يوفوا عشر معشار حقه حتى قصروا الإعجاز على صرف الدواعى عن معارضته مع القدرة عليها، وبعضهم قصر الإعجاز على مجرد فصاحته وبلاغته، وبعضهم على مخالفة أسلوب نظمه لأساليب نظم الكلام وبعضهم على ما اشتمل عليه من الإخبار بالغيوب الى غير ذلك من الأقوال القاصرة التى لا تشفى ولا تجدى. وإعجازه فوق كل ذلك ووراء كل ذلك.

وفى هذه العجالة نستعرض بعض الصور البلاغية المشرقة من الآيات القرآنية الكريمة نستجلى فيها جمال التعبير وبعض وجوه الإعجاز وأسرار البلاغة وأساليب البديع فى هذا الكتاب الخالد، أما الاستقصاء فهيهات هيهات، ان ذلك



الصور البلاغية في القرآن



بقلم الأستاذ العلامة
أبو تراب الظاهري

تقطعت دونه الآجال، لأن غوامض التنزيل العظيم لا تتناهى وكنه بحره لا يدرك، وانما رمنا إيراد أمثلة لإقامة الدليل على حسن النظام فى القرآن وبديع البيان فى كتاب الله العزيز.

وأول ما أردنا أن نذكر هنا هو قوله تعالى ﴿والصبح اذا تَنَفَّس﴾ فهل سمع سامع أبلغ من ذلك فى الاستعارة؟ كلّا، انها استعارة متناهية فى البلاغة، فان ظهور الأنوار فى المشرق من أشعة الشمس قليلاً قليلاً بينه وبين إخراج التنفس شابهة شديدة.

●● والاستعارة كما قرر ابن أبى الأصبع فى كتاب تحرير التحبير هى تسمية المرجوح الخفى باسم الراجح الجلى للمبالغة فى التشبيه، أو هى ذكر الشىء باسم غيره وإثبات لغيره للمبالغة فى التشبيه فاذا عرفت هذا ظهر لك جمال التعبير القرآنى فى قوله: ﴿والصبح اذا تنفس﴾ فانه استعار التنفس للصبح تشبيهاً لانتشار نوره رويداً رويداً بالنفس الذى يخرج من الكائن الحى ثم ينتشر. ألا ما أبلغه من تعبير جمع الى عذوبة اللفظ جمال المعنى.

ومعنى الآيه: ﴿والصبح اذا تنفس﴾ أنه اذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له.

●● وتأمل قوله تعالى: ﴿رب إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً﴾ كيف استعار الاشتعال للشيب تشبيها لبياضه بضوء النار الموقدة.

وقد تقرر لدى علماء البيان انه لابد فى الاستعارة من اعتبار ثلاثة أصول هى: المستعار.. والمستعار منه.. والمستعار له..

فالمستعار فى هذه الآية الاشتعال، والمستعار منه النار، والمستعار له الشيب، والجامع بين المستعار منه والمستعار له مشابهة ضوء النار لبياض الشيب، وفائدة ذلك وحكمته وصف ما هو أخفى بالشبيه لما هو أظهر.

ولم يقل: واشتعل شيب الرأس، بل قال: «واشتعل الرأس شيبا» على قلب الوجه لأن فى هذا مبالغة تفيد عموم الشيب لجميع الرأس. ولو قال: اشتعل شيب الرأس لم يفد ذلك العموم.

مثال ذلك: انك لو قلت: اشتعلت النار فى البيت لدل هذا القول على اشتعال النار فى جانب واحد من البيت دون بقية الجوانب، أما اذا قلت: اشتعل البيت ناراً فقد أفاد هذا القول: أن النار قد شملت جميع نواحى البيت.

وعلى هذا ظهر لك ان الاستعارة على نوعين:

احدهما: يجىء الكلام فيه على وجهه فلا يفيد سوى إظهار الخفى فقط.

وثانيهما: يأتى فيه الكلام على قلبه فيفيد المعنيين معاً.

فقوله تعالى: ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ أفاد عموم الشيب وأفاد ايضاً بريقه كالنار وهكذا بلاغة القرآن العظيم.

وتأمل قوله تعالى: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجده شيئا﴾

واذا عرفت أن التشبيه البليغ هو إخراج الأغمض الى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف ظهر لك أن فى هذه الآية بيان إخراج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه، وقد اجتمعا فى بطلان التوهم مع شدة الحاجة، ولو قيل: كسراب يحسبه الرائى ماء لكان بليغاً ولكن الأبلغ منه لفظ القرآن، لأن الظمآن أشد حرصاً على الماء، وأكثر تعلقا به، وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن التشبيه. فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ، وصحة الدلالة.

والإيجاز عند علماء البلاغة اختصار بعض ألفاظ المعانى ليأتى الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم، ولا عدول عن لفظ المعنى الذى وضع له، وأكثر قصص القرآن من هذا القبيل كقصة موسى عليه السلام فى سورة (طه) فان معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامة غير محذوفة، وهى مستوعبة فى تلك الألفاظ.

ومن إيجاز الكتاب العزيز قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ قال فى تحرير التحبير: فانه عز وجل أمر فى أول الآية بكل معروف ونهى بعد ذلك عن كل منكر ووعظ فى آخرها أبلغ موعظة وذكر ألطف تذكير بألفاظ اتفق فيها ضروب من المحاسن مع كونها ألفاظ الحقيقة، وهى صحة الأقسام لأنها استوعبت جميع أقسام أجناس المعروف والمنكر، والطباقين اللفظى والمعنوى، وحسن النسق والتسهيم. وحسن البيان، والإيجاز، وائتلاف لفظ الكلام مع معناه، والمساواة، وصحة المقابلة، وتمكين الفاصلة.

فأما، استيعاب الأقسام فلأنه سبحانه أمر بالعدل، وهو معاملة المكلف نفسه وغيره بالإنصاف ثم أمر بعد العدل بالإحسان، وهو اسم عام يدخل تحته التفضل بعد العدل، وقدم ذكر العدل لأن العدل واجب، وتلاه بالإحسان لأن الإحسان مندوب ليقع وضع الكلام على أحسن ترتيب، وخص ذا القربى بالذكر بعد دخوله فى عموم من أمره بمعاملته بالعدل والإحسان لبيان فضل ذى القربى، وفضل الثواب عليه، ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى بصيغة تعريف الجنس ليستغرق كل ما يجب أن ينهى عنه كما استغرق كل ما يؤمر به.

والمطابقة اللفظية فى قوله: «يأمر» «ينهى» والمعنوية فى قوله ﴿بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى﴾ وقوله ﴿الفحشاء والمنكر والبغى﴾ فان الثلاثة الأخر أضداد الثلاثة الأول، لأن الأول من الفعل الحسن، والآخر من الفعل القبيح، فطابق بين الحسنُ والقبح مطابقة معنوية.

وحسن التنسيق فى ترتيب عطف بعض الجمل

على بعض كما ينبغى حيث قدم العدل وعطف عليه الإحسان الذى هو جنس عام وخص منه نوعاً خاصاً وهو إيتاء ذى القربى وعطفه عليه، ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه النهى ثانيا، ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات فى العطف بحيث لم يتأخر فى الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم فيه ما يجب تأخيره.

وأما التسهيم فهو أن صدر الآية يدل على عجزها.

وأما حسن البيان فلأن لفظ الآية لا يتوقف فى فهم معناه أحد إذ سلم من التعقيد فى نظمه، فقد دل على معناه دلالة واضحة بأقرب الطرق واستوى فى فهمه الذكى والبليد والقريب من هذه الصناعة والبعيد.

وأما الإيجاز فهو دلالة الألفاظ القليلة الحقيقية على المعانى الكثيرة من غير اشارة ولا إرداف ولا حذف.

وأما ائتلاف لفظ الكلام مع معناه فلأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها.

وأما المساواة فلأن ألفاظ الكلام قوالب لمعانيه لا تزيد عليها ولا تقصر عنها.

وأما صحة المقابلة فلأن النهى قابل الأمر والمنهيات قابلت المأمورات مع مراعاة الترتيب.

وأما تمكن الفاصلة فلأن تقطع الآية مستقر فى مكانه مطمئن فى موضعه ومعناه متعلق بما قبله الى أول الكلام، لأنه لا تحسن الموعظة الاّ بعد الأمر والنهى، فان الوعد والوعيد لا يقعان الاّ بعد امتثال الأمر أو مخالفته، والتذكرة بعد الموعظة.

ومن إيجاز الكتاب العزيز ايضاً قوله تعالى: ﴿ولكم فى القصاص حياة﴾ لأنه قد أجمع النقاد على أن أبلغ كلام قيل فى هذا المعنى قول القائل: «القتل أنفى للقتل» واذا نظرت بين هذا الكلام وبين لفظ القرآن وجدت هذا الكلام ليس فيه من ضروب البديع سوى الإيجاز مع كونه لم يخل من عيب، ووجدت لفظ القرآن قد جمع الإيجاز والإيضاح والإشارة والكتابة والطباق وحسن البيان والإبداع وسلم من العيب الذى جاء فى ذلك الكلام.

فأما الإيجاز فلأن اللفظ المماثل من لفظ القرآن للأول هو قوله تعالى «**القصاص حياة**» وهو عشرة حروف والأول أربعة عشر حرفاً.

وأما الإيضاح فان لفظة القصاص اوضحت المعنى المراد، إذ هو قتل مقيد لا قتل مطلق.

وأما الإشارة ففى قوله سبحانه «حياة» فان هذه اللفظة أشارت الى أن القتل الذى اوجبه العدل يكف القتل الذى يأتى به العدوان، وفى ذلك حياة الأحياء

وأما الكناية فى قوله تعالى: «القصاص» فانه كفى بهذه اللفظة عن الموت المستحق الذى يوجبه العدل.

وأما الطباق ففى قوله: «القصاص حياة» لأن القصاص الموت فكأنه سبحانه قال: الموت حياة وهذا طباق معنوى.

وأما حسن البيان فكون المخاطب فهم المراد من هذا النظم من غير توقف.

وأما الإبداع فلأن فى كل لفظة من هذا الكلام عدة من المحاسن.

وأما السلامة من العيوب بالنسبة فلأن الكلام خلا عن التكرار الذى وقع فى الكلام الأول.

قال ابن أبى الأصبع:

فان قيل لا يعد التكرار الذى وقع فى الكلام الأول «القتل أنفى للقتل» عيباً لاختلاف المعنى، قلت: لكن اللفظ اذا اختلف معناه واتحدت صيغته اتحاداً لا يعد تحسيناً وكان الكلام به معيباً فهذا عيب لفظ الكلام الأول الذى سلم منه لفظ القرآن.

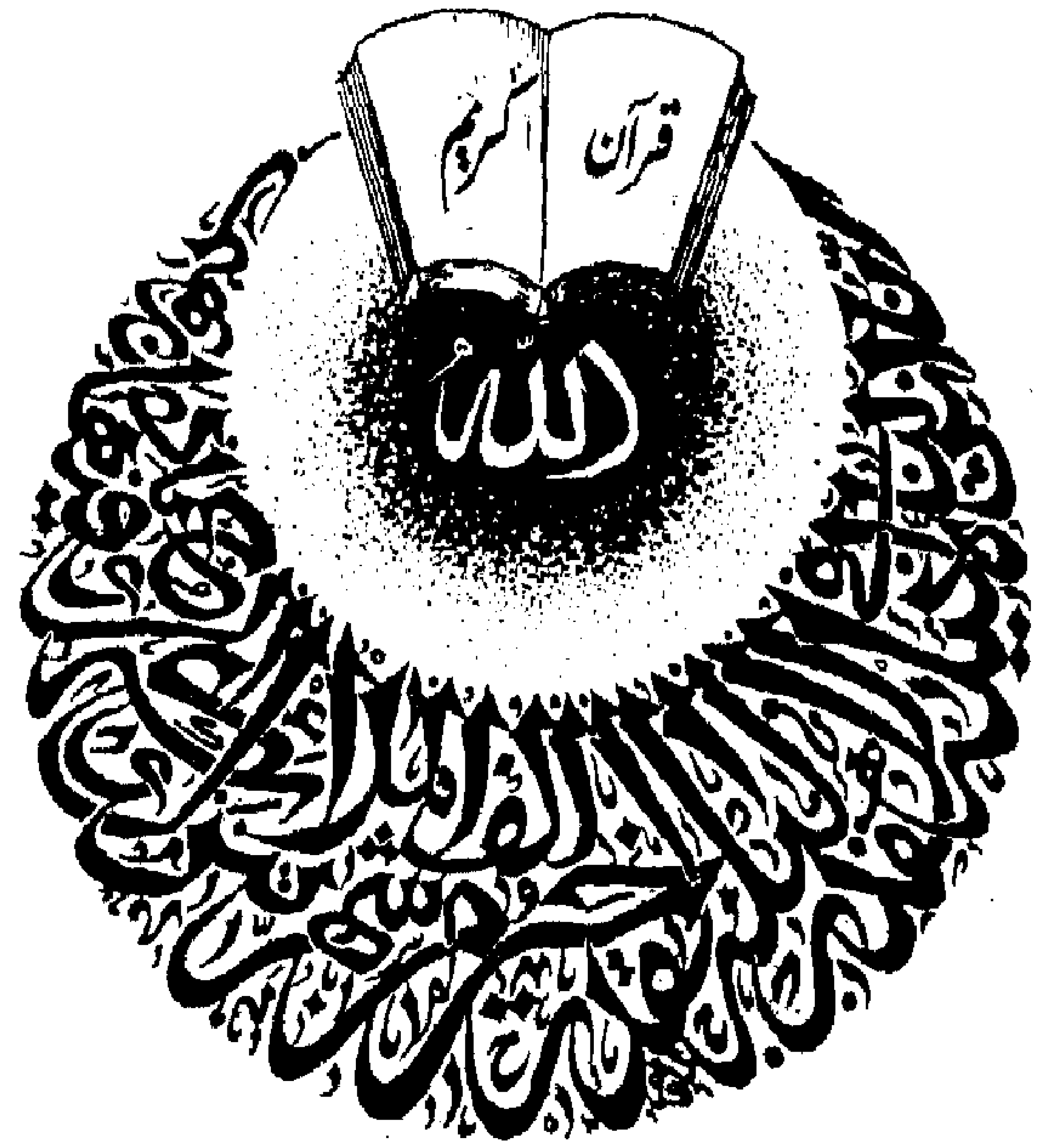
وأما عيب المعنى فى الكلام الأول فلأن القائل سمى الخاص باسم العامة فان مطلق القتل صالح للقصاص ولغيره كما أنه صالح للعدوان ولغيره، وهذه العبارة موجبة للبس المضاد لحسن البيان الذى هو خارج مخرج العدوان ولفظ

القرآن مخلص للعدل .

وتأمل قوله تعالى : ﴿وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنّا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين﴾ .

فانه سبحانه وتعالى أتى فى هذه الآية الكريمة بأمرين ونهيين وخبرين متضمنين بشارتين فى أسهل نظم وأحسن لفظ ، وأوجز عبارة ، ولم يخرج الكلام عن الحقيقة فى شىء من ذلك .

● قال : والإيجاز على ضربين ، ضرب بسيط وضرب مختصر ، ويكون البسيط مختصراً بالنسبة لغيره ، فالبسيط كقصة يوسف عليه السلام من قوله ﴿ نحن نقصّ عليك أحسن القصص﴾ الى آحرها ، والمختصر



مثل قوله : ﴿هذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقا ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى﴾ اختصر القصة كلها فى هذه الآية ، لأنه ذكر أصول الأسباب المستلزمة جميع المسببات التى هى جملة القصة ، فان قوله ﴿هذا تأويل رؤياى من قبل﴾ اقتصر على ذكر رؤياه التى كانت سبب حسد إخوته حين فعلوا به ما فعلوا ، وذكر خروجه من السجن الذى كان سبباً فى الملك الذى كان سبباً فى اجتماعه بأبيه واخوته ، فكأنه قد اقتص جميع القصة مختصرة لمن يشارك فى علمها . . فالأولى لعلم تفاصيلها . . والثانية لعلم جملها ، وهذا أحسن إيجاز وقع فى الكلام .

ومن باب ائتلاف اللفظ مع المعنى ـ وهو أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ـ قوله تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند ربه كمثل آدم خلقه من تراب﴾ فعدل سبحانه عن الطين الذى أخبر فى كثير من مواضع القرآن أنه خلق آدم منه الى ذكر مجرد التراب لأنه أدنى العنصرين ، وأكثفهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى فى المسيح الألوهية بما يصغر أمر خلقه عند من أدعى ذلك ، فلهذا كان الإتيان بلفظة التراب أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود .

● *ولما أراد سبحانه الامتنان على نبى اسرائيل بعيسى عليه السلام أخبرهم عنه بأنه يخلق لهم من الطين كهيئة الطير تعظيماً لأمر ما يخلقه باذنه إذ كان المعنى المطلوب الاعتداد عليهم بخلقه ليعظموا قدر النعمة به ، كما قال «انى خالق بشراً من طين» .*

ومن نظائر هذا القسم من الائتلاف قوله تعالى : ﴿قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾ فانه سبحانه وتعالى أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة لأخواتها فان (والله) و(بالله) أكثر استعمالاً وأعرف عند الكافة من (بالله) لما كان الفعل الذى جاور القسم أغرب الصيغ التى فى بابه ، فان (كان) وأخواتها أكثر استعمالاً من (تفتأ) وأعرف عند الكافة ولذلك أتى بعدهما بأغرب ألفاظ الهلاك بالنسبة وهى لفظة «حرضاً» ولما أراد غير ذلك قال فى غير هذا الموضع : ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ لما كانت جميع الألفاظ مستعملة .

ومن هذا الباب ملاءمته الألفاظ فى نظم الكلام على مقتضى المعنى لا من مجرد جملة اللفظ ، فان الائتلاف من جهة ما ذكرنا من ملاءمته الغريب للغريب والمستعمل للمستعمل لا من جهة المعنى ، بل ذلك من جهة اللفظ

وأما الذى من جهة المعنى فكقوله تعالى: ﴿ ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار﴾ فانه سبحانه وتعالى لما نهى عن الركون للظالمين وهو الميل اليهم والاعتماد عليهم وكان ذلك دون مشاركتهم فى الظلم، أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم وهو مسُّ النار دون الإحراق والاصطلاء وإن كان المسُّ قد يطلق ويراد به الاستئصال بالعذاب، ولما كان المسُّ أول ألم يباشره الممسوس جاز أن يطلق عليه استصحاب تلك الحال وهو فى هذه الآية الكريمة على حقيقه.

وذكر قدامة بن جعفر فى كتاب النقد باب صحة الأقسام، وهو عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئا كقوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم البرق خوفاً وطمعاً﴾ فانه ليس فى رؤية البرق الاّ الخوف من الصواعق والطمع فى الأمطار ولا ثالث لهذين القسمين.

● ***قال فى تحرير التحبير:*** ومن لطيف ما وقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع، إذ كانت الصواعق تقع مرة أول برقة، ولا يحصل المطر الاّ بعد توافر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة وتنتجع فلا تخطىء الغيث والكلأ.. فلما كان الأمر المخوف من البرق يقع من أول برقة أتى ذكر الخوف فى الآية الكريمة مقدماً أولاً، ولما كان الأمر المطمع انما يقع من البرق ناسخاً للخوف لمجىء الفرج بعد الشدة والميسرة بعد الأمر المخوف، أتى ذكر الطمع فى الآية الكريمة ثانياً، وليكون الطمع بعد الحزن رحمة من الله سبحانه وتعالى بخلقه، وبشرى بحسن العاقبة لعباده.

● ***وفى اللمعة لابن رشيق:*** لما كان قوله تعالى «خوفاً وطمعاً» كان مفسرا رؤية البرق وهو قريب.

ومثال صحة الأقسام من الكتاب العزيز ايضاً قوله: ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ فلم يترك قسماً من أقسام الهيئات حتى أتى به، ومثل هذه الآية قوله: ﴿وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً﴾.

● لكن وقعت بين ترتيب الآيتين مغايرة أوجبتها البلاغة فتضمن الكلام بها الائتلاف، وذلك ان الذكر يجب فيه تقديم القيام لأن المرادبه الصلاة - والله أعلم - والقيام واجب فيها للمستطيع والقعود بعده عند العجز عن القيام، والاضطجاع عند العجز عن القعود، والضر يجب فيه تقديم الاضطجاع، واذا زال بعض الضر قعد المضطجع، واذا زال كل الضر قام القاعدفدعا لتتم الصحة وتكمل القوة ويحصل التصرف.

● ***قال ابن ابى الأصبع:*** فان قلت: هذا التأويل لا يتم الاّ اذا كانت الواو هى العاطفة، فلم عدل عنها، وبها يحصل فى الكلام حسن النسق، وائتلاف الألفاظ مع المعانى الى (أو) التى يسقط معها ذلك؟

قلت: تأثير الضر على أقسام: فإن من الضر ما يصرع المضرور عند وروده ومنه ما يقعده ومنه ما يأتى وصاحبه قائم ولا يبلغ به شيئاً من هذه الحالات والدعاء عند أول مس، الضر فان الضر والجزع عند الصدمة الأولى فوجب العدول عن الواو (لأو) لتوخى الصدق فى الخبر والكلام على ذلك موصوف بالائتلاف وبحسن النسق والخبر بذلك التأويل الأول عن شخص واحد وبالتأويل الثانى عن أشخاص فغلبت الكثرة فوجب الإتيان (بأو) وابتدئى بالشخص الذى يصرعه لأن ضرة أشد، فهو أكثر تضرعاً فوجب تقديم ذكره لأن تقديمه الأهم، واذا تقدم ذكر المضطجع أوجب حسن الترتيب أن يليه ذكر القاعد وأن يلى ذكر القاعد ذكر القائم، فحصل حسن الترتيب وائتلاف الألفاظ بمعانيها، وترجح مجىء (أو) على مجىء الواو ولما تدل عليه من تعدد المضطرين دون الواو.

ومن معجز القرآن فى باب صحة المقابلات قوله تعالى ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ فانظر الى مجىء الليل والنهار فى صدر الكلام ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب، ثم عبر عن الحركة بلفظ الإرداف فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المقابلة، وعدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحةٍ ولمفسدةٍ وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة،

وهى تشير الى الإعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس، واضاءة الظرف الذى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدى المتحرك الى بلوغ المأرب وتبقى أسباب المهالك.

والآية سيقت للاعتِداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه وتابعه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التى هى تعطى آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عُدِّدت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنا الى ألفاظ كثيرة.

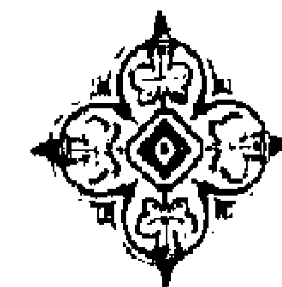
فحصل فى الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن، ألا تراه سبحانه وتعالى جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان حيث قال: ﴿**لتسكنوا ولتبتغوا**﴾ بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات المقابلة، والتعليل، والإشارة، والإرداف، وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان، وحسن النسق، فلذلك جاء الكلام متلائماً آخذة اعناق بعضه بأعناق بعض.

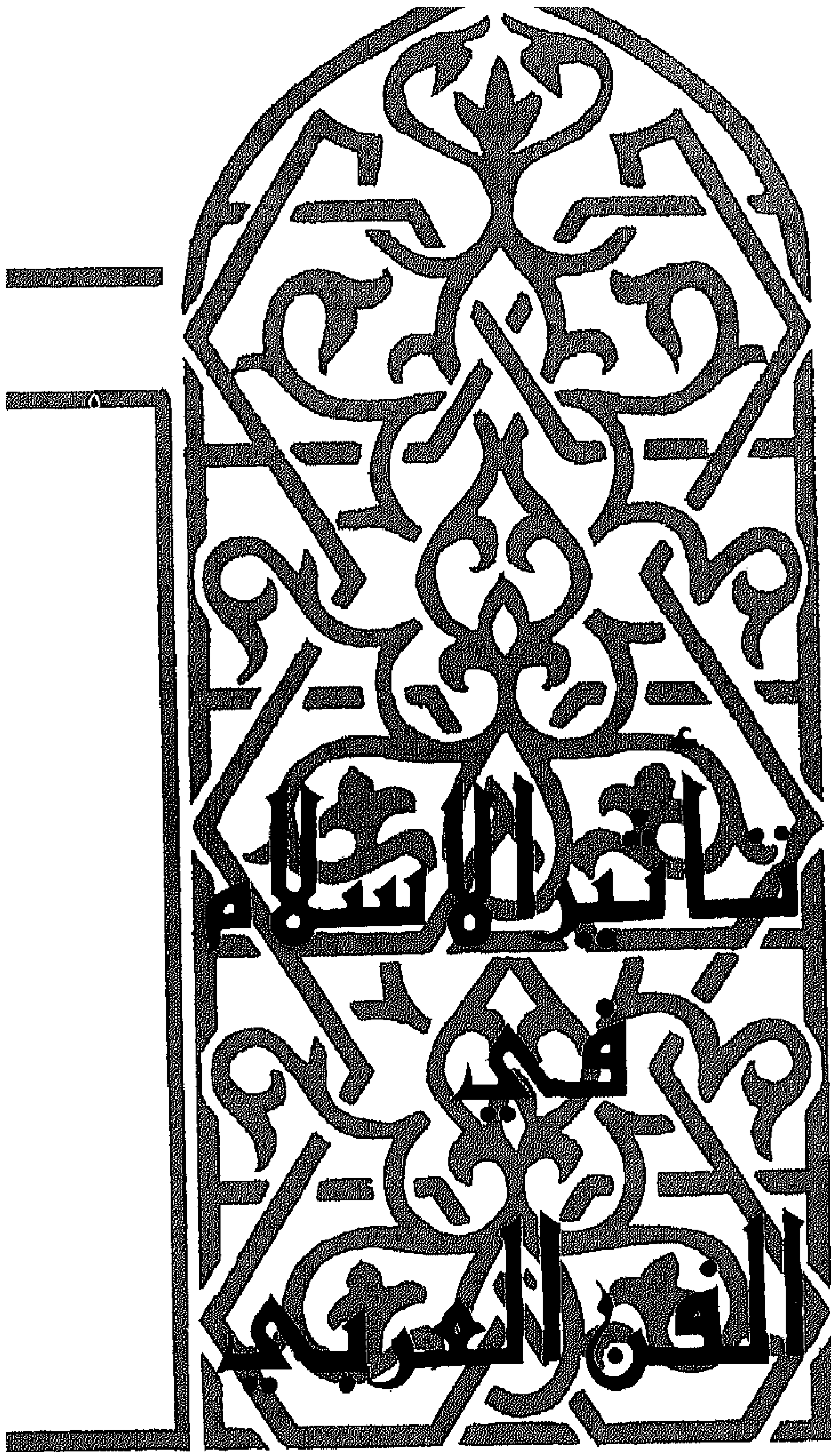
● ثم أخبر الصادق أن جميع ما عدده من النعم بلفظه الخاص، وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الإرداف بعض رحمته، حيث قال بحرف التبعيض «ومن رحمته» وكل هذا فى بعض آية غيرتها احدى عشرة كلمة فتأمل هذا الإعجاز والحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة المتظاهرة.

قال أبو تراب:

هذا ما تيسر لى فى هذه العجالة، واستخراج فنون البديع من القرآن باب واسع يحتاج داخله الى التضلع من كتب ائمة البلاغة ثم تطبيق مضامينها على الآيات لتظهر له أسرار بيانها وجواهرها التى لا يحيط بها البشر.

«وبالله التوفيق»



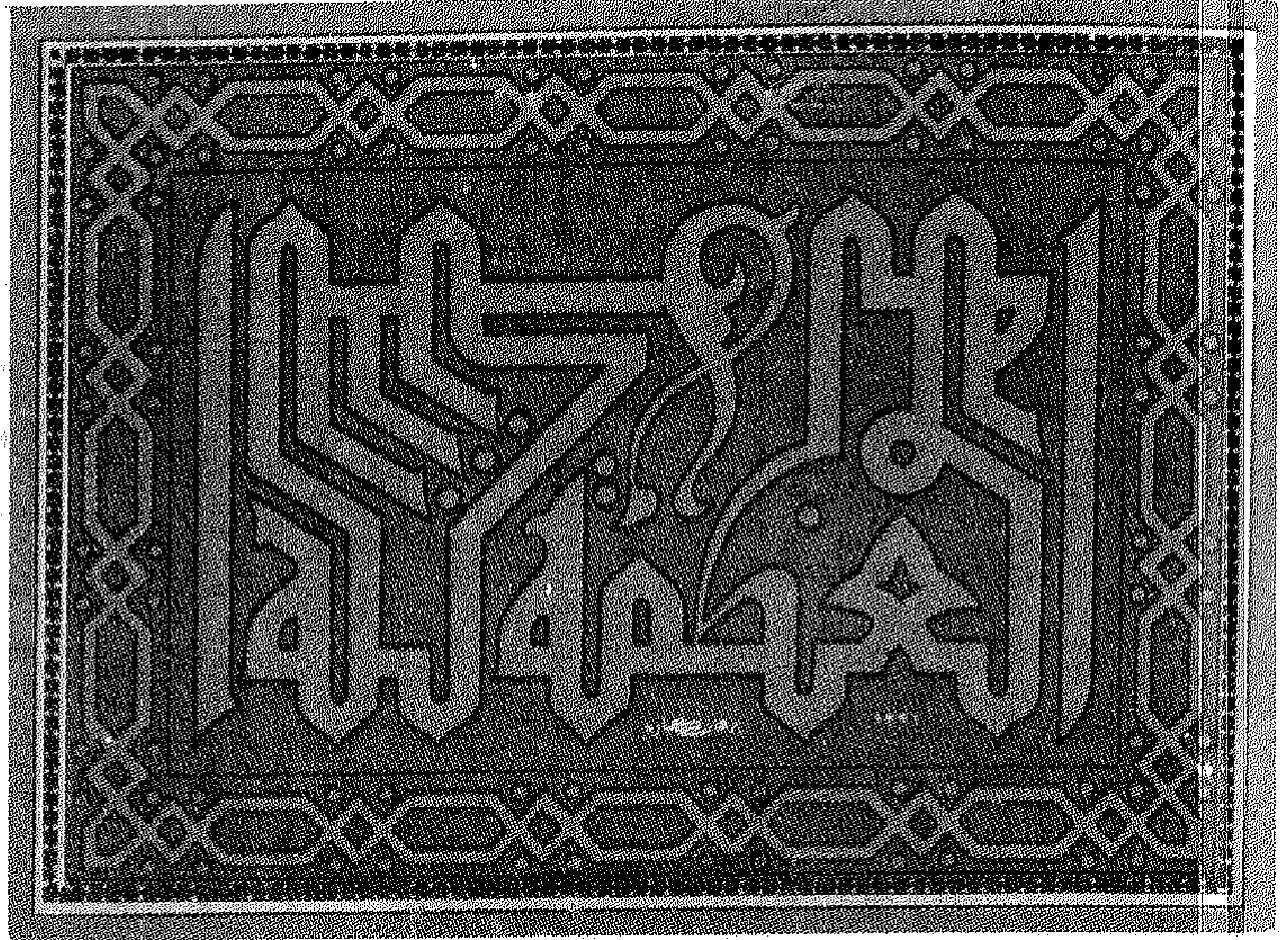


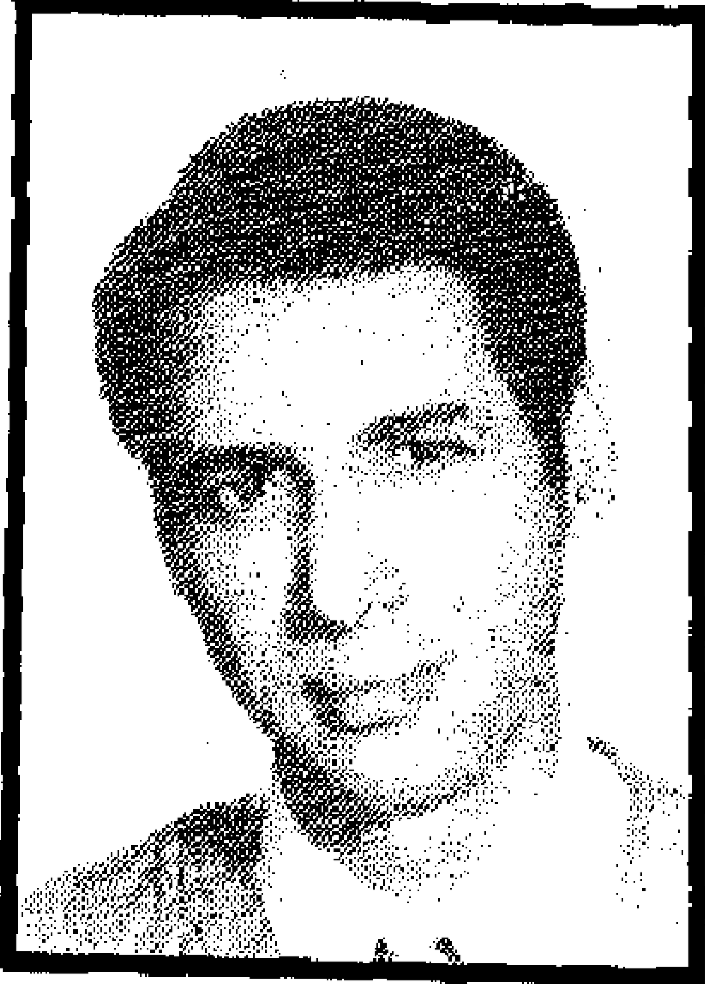
تأثير الإسلام في الفن العربي

هناك خطأ تاريخى شائع يتضمنه القول بأن العرب قوم قليلوا الحظ من الفن. ولعله لم يكن من الغريب أن يقع المستشرقون الأوربيون فى هذا الخطأ قبل غيرهم. ولكن الغريب حقا أن كثيرا من العرب أنفسهم قد شاركوا بالوقوع فيه حين راحوا يرددونه مروجين بقصد أو بدون قصد.

ولكن نظرة عميقة نحاول أن نتوخاها هنا ترينا أن شعوب أوربا ذاتها ما كانت لتعرف الفن لولا تتلمذها على أيدى العرب، وهى الحقيقة التى اعترف بها كثير من الدارسين الأوربيين ممن توخوا فى دراساتهم الحقيقة العلمية وحدها خالصة من شوائب التعصب والعنصرية الأمر الذى يثبت لنا أن عكس ذلك الخطأ هو الحقيقة المؤكدة.. فقد اهتدت العرب الى الفن قبل غيرها من شعوب الحضارات

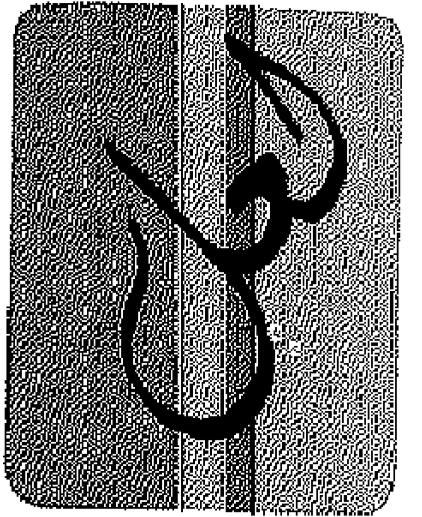
بقلم/ سليمان الحكيم



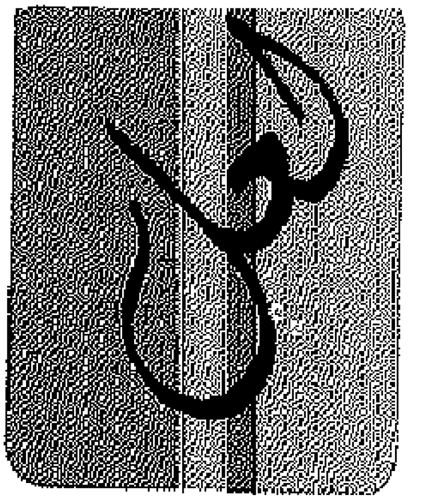


عضو اتحاد الصحفيين العرب
« القاهرة »

الأخرى.. فكان الفن هو الوجه الذى لا يزال مضيئا لتلك الحضارة الشامخة..



هذا الخطأ يرجع إلى بدايات القرن الماضى حين بدأت أوربا تُولى اهتماما أكثر نحو بلاد العرب بهدف احتلالها والسيطرة على مقدراتها الإقتصادية. فعرفت على نطاق واسع ظاهرة الاستشراق والمستشرقين الذين كانوا طليعة جيوش الاحتلال بمعناه العسكرى والاقتصادى فى وقت كانت مبررات ظاهرة أخرى مثل ظاهرة «التبشير» التى كانت مقدمة لاحتلال بلدان أخرى تبدو فيه سخيفة وغير منطقية فى منطقة كانت مهبط الدين ومصدره الأول.



ما يهمنا من هؤلاء المستشرقين الآن هو ما قاله «آرنست رينان» فى الكتاب الذى أصدره عن تاريخ اللغات السامية.. فذهب إلى القول بأن العقلية الآرية «التى تنتمى لها شعوب أوربا» هى عقلية علمية فلسفية.. بينما كانت العقلية السامية «التى ينتمى لها العرب» عقلية دينية من الطراز الأول اتجهت الى شئون الدين فكان التوحيد هو أعظم ما توصلت إليه تلك العقلية، غير أنه كان ـ على حد زعمه ـ على حساب نواح أخرى فى التفكير الإنسانى.

سليمان الحكيم فى سطور
- درس الصحافة والأدب فى كلية الآداب جامعة القاهرة.
- درس النقد الفنى بأكاديمية الفنون بمصر
- عمل سكرتيرا لتحرير مجلة الثقافة ثم دار المعارف بمصر.
- نشر له العديد من الدراسات الفنية والأدبية بالمجلات المصرية والعربية
- عضو اتحاد الصحفيين العرب واتحاد الصحفيين الدولى

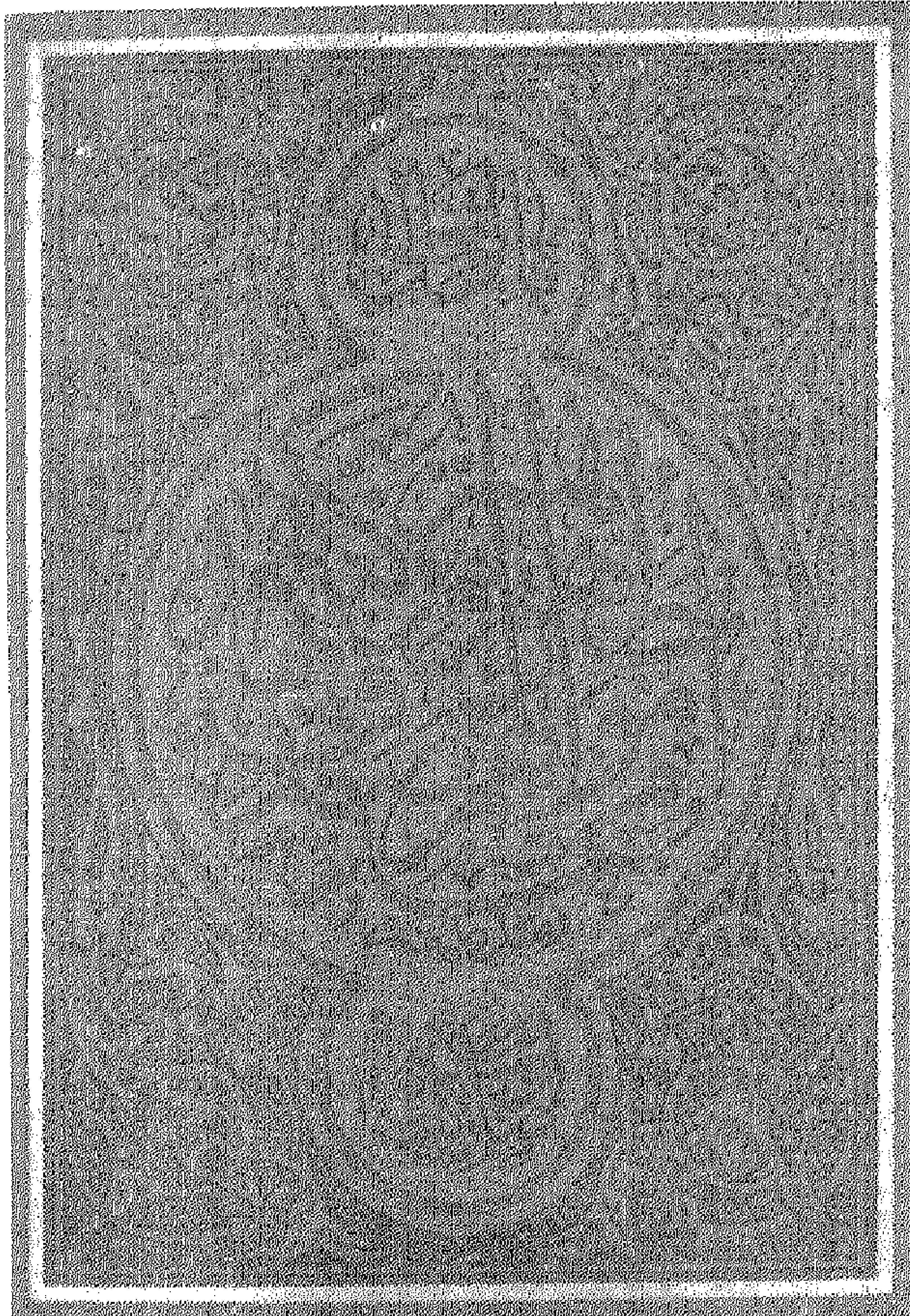
وحين تحدث «رينان» عن نتاج العقلية السامية فى الأدب زعم بأنه نتاج غير متنوع، فلم تعرف العرب من فنون الأدب غير الشعر الغنائى وحده مضافا إليه بعض الإبداعات الهامشية فى إطار الأمثال والحكم والأقوال المأثورة.

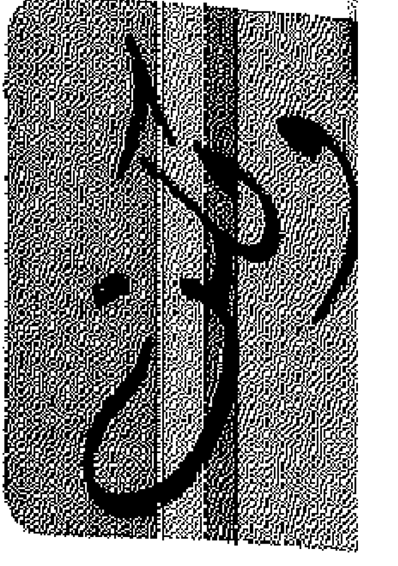
وقد أرجع «رينان» هذه الأحادية فى الإبداع العربى إلى ضعف المُخيِّلة وقلة التأمل والإبداع التى تتميز بها العقلية السامية، وواضح من الكلام السابق «لرينان» أنه قد اعتمد فى تفريقه بين العقليتين الآرية والسامية على مجرد «التمييز العنصرى» وليس على الأسلوب العلمى خاصة فى مجال «الانثروبولوجيا» التى أثبتت دراساتها سقوط التمييز القائم على أساس عِرْقِى أو عنصرى أمام حقيقة علمية مفادها أن العقلية لم تكن مجرد حالة أكثر من كونها ظاهرة.

والحقيقة أنه لو لم يكن «رينان» قد وقع فى مطب العنصرية لتوخى العلمية وحدها فى نظرته، وأدرك أن العقلية الدينية التى يتسم بها العرب - على حد قوله - هى الأساس الأول للعلوم والفلسفة التى تتميز بها العقلية الآرية التى انحاز لها «رينان» فى دراسته.. فنظرة بسيطة إلى تاريخ العلوم والفلسفة ترينا أنها قد نشأت فى أحضان الدين وتربت فى حظيرته قبل أن تشب عن الطوق وتصبح فرعا من فروع المعرفة قائماً بذاته فى عصر متأخر من عصور الحضارة الإنسانية خاصة فيما عرف بعصر النهضة الأوربية الذى لم يبدأ إلا منذ خمسة قرون فقط، وعلى أيدى العرب أنفسهم باعتراف الجميع بما فيهم الأوربيون الذين ينتمى لهم «رينان».

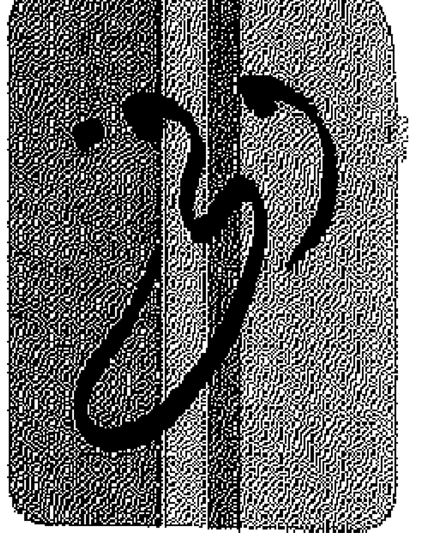
وأيا كان حظ السند للخطأ الذى وقع فيه «رينان» والذى يتضمنه القول بأحادية العقلية العربية وضعف مخيلتها الأمر الذى صرف تلك العقلية إلى لون واحد من ألوان الفن وهو فن القول دون بقية الفنون الأخرى من الصحة.. فإن واقع الأمر قد جاء متناقضا معه خاصة منذ دخول التاريخ العربى الاسلامى فى عصر الدولة الأموية.. فضلا عن أن هذا الخطأ قد جاء مبنيا على نظرة أحادية الجانب إلى الفن الذى لم يكن فى يوم من الأيام خاصا بالانسان أو الحيوان وحده، بل تعداه الى «التجريد» وهو ما برع فيه الفنان العربى منذ دخوله عصر الاسلام قبل أربعة عشر قرنا من الزمان.

إذن فقد انتهت المدرسة الأوربية الحديثة فى الفن الى نقطة البداية عند الفنان العربى المسلم.





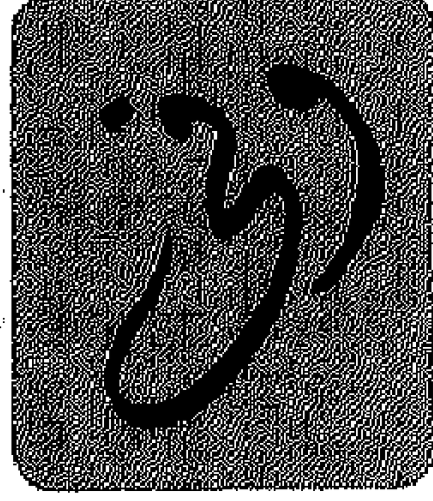
بعض الفنانين العرب لم يستمروا على عهدهم رافضين للتجسيد كتعبير فنى، فرأينا بعضهم يزين سقف قاعة الملوك فى قصر الحمراء بالأندلس بصور ملونة تمثل فرسان العرب وقد امتطوا جيادهم العربية الأصيلة مسددين رماحهم إلى صدور الأعداء على مرأى من بعض الحسان العربيات اللآئى وقفن وسط الأشجار والأزهار . . وقد أنكر بعض المتعصبين من الأوربيين على الفنان العربى هذه اللوحة البديعة، ولكن واحداً مثل «**دى جاينجو**» تصدى بالدليل الدامغ لهؤلاء المنكرين مؤكداً أن يداً غير عربية لا تستطيع أن تقوم بمثل ما قامت به من إبداع فى سقف قاعة الملوك، وهو ما جاء «**مايكل انجلو**» فنان عصر النهضة ليرسم على غراره فى سقف كنيسة «سستين» الشهيرة .



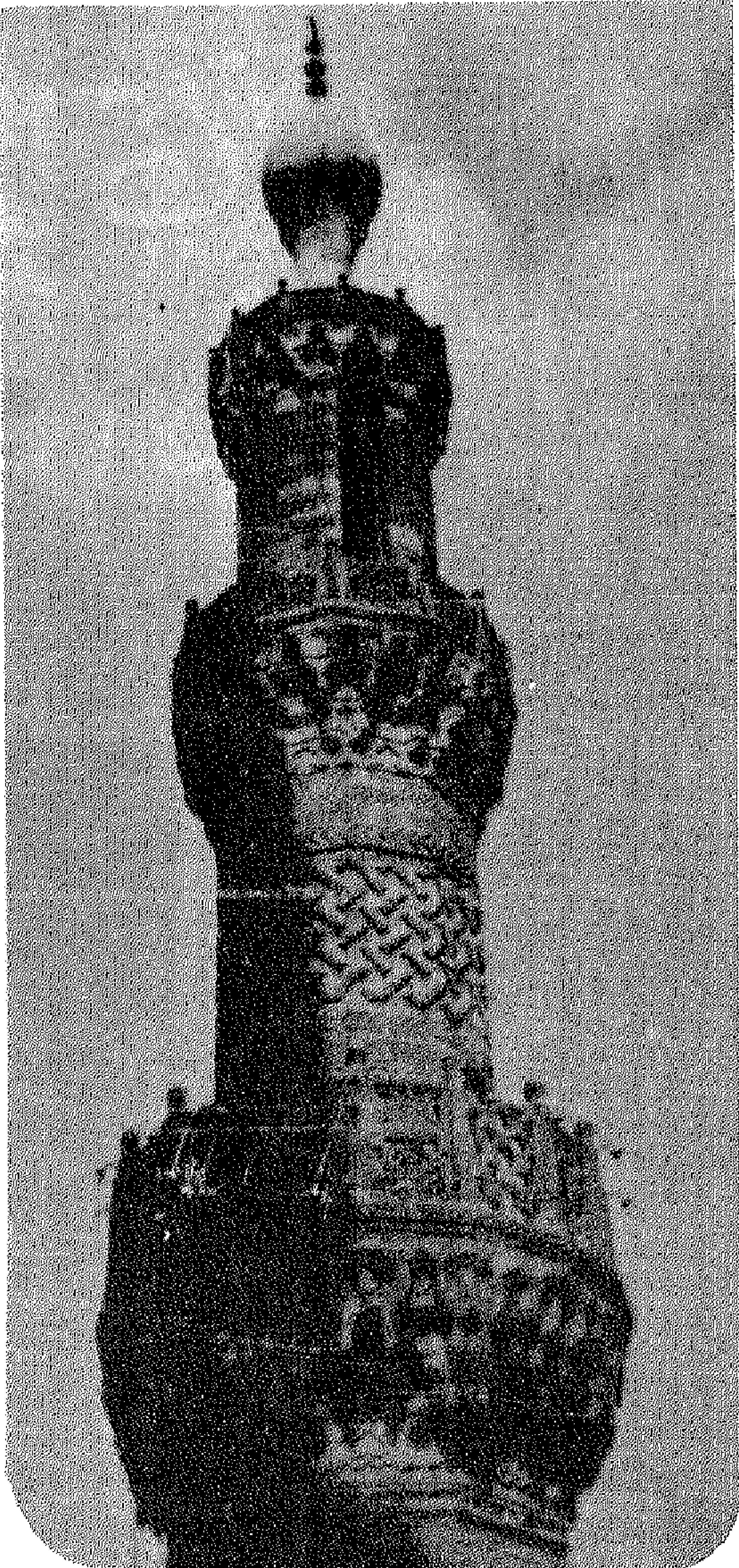
متحف اللوفر بباريس هناك العديد من الأعمال الفنية التى تشهد على براعة الفنان العربى . ولعل أبرز تلك الأعمال هذه العلبة الخشبية التى عثر عليها فى قرطبة العربية والتى يدل تاريخها على أنها صنعت فى عام ٩٦٨م ونرى على جدرانها حَفْرًا يمثل فتيات عربيات يقمن بالعزف والغناء على آلة العود .

كذلك فقد رأينا النافورات العربية التى كانت تملأ ساحات القصور وبها تماثيل مرمرية لأسود فتحت أفواهها خارجاً منها الماء ليصب فى صحن النافورة . وهو ما أخذته أوربا عن العرب ولا تزال ميادينها الكبيرة تشهد به .

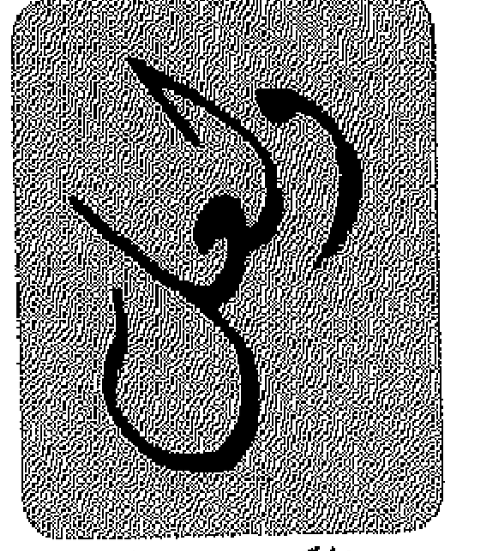
وعلى أية حال فقد أفاد ذلك الفنان العربى حين صرف نشاطه الفنى الى البحث عن وسائل جديدة للتعبير فأبدع وسائله التى جاءت جزءا من شخصيته العربية مما ضمن له عنصر الاستقلال والتَّفَرّدُ تمييزا له عن أية شخصية فنية أخرى . . فهو حتى فى رسمه الانسان والحيوان كان أميل إلى التجريد والاتجاه نحو الكليات دون الوقوف عند التفاصيل والجزئيات الظاهرة، وهو ما يجعله يتسم بالعمق الذى يتوخاه أحدث فنانى أوربا فى أعمالهم الآن . . وهو ليس العمق الذى كان يبحث عنه الفنان الأوربى فى «**البعد الثالث**» ولكنه العمق الوجدانى الذى قلّماَ نجده عند غير الفنان العربى المسلم .



رأينا أن انصراف الفنان المسلم عن تجسيد الانسان أو الحيوان كان نتيجة لما توصل إليه عن طريق الدين من قناعات جديدة آمن بها وتمثلها فى وجدانه الفنى . . فقد اقتنع الفنان المسلم بأن الله لم يخصه وحده بنعمة

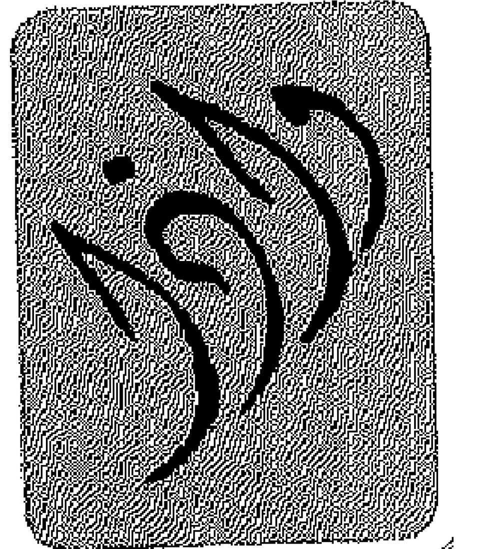


الخلق، فقد خلق الله السموات والأرض وما هو الا جزء ضئيل فيها.. وقد سخر الله له بقية المخلوقات الأخرى من حيوان ونبات ليكتمل له العيش بها فلا حياة له إلا فى وسطها.. وهو غير مستقل عن الكون ولكنه مستقل به والكائنات لا تعيش إلا للانسان وهو لا يعيش الا بها وبدونها لا يستطيع أن يكون انسانا..



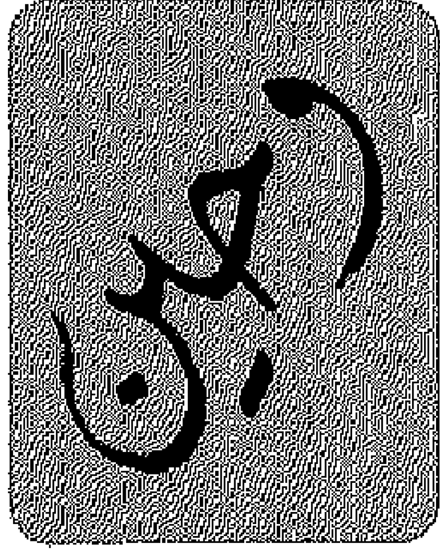
هذا وحده ما يفسر لنا اتجاه الفنان العربى المسلم إلى تغطية صوره الآدمية بشبكة من الزخارف تحيله الى مجرد «وحدة» زخرفية وسط الإطار الذى يمثل الكون كله، فهو مجرد وحدة من وحدات الكون العديدة التى أبدعها خلق الله جميعا.. لقد تعلم أن الانسان هو سيد الكون أى أنه لن يكون سيدا الا فى الكون وفى مكان البؤرة منه لهذا حرص الفنان العربى المسلم على أن يبرز وحدات الكون الأخرى التى تعطيه معنى السيادة والتميز ويكون سيدا فى وسطها.

كما أن هذا أيضا يفسر لنا اهتمام الفنان العربى بزخرفة سطوحه وفراغاته فى كل ما قام به من أعمال فنية على اختلافها وتنوعها بحيث لم يترك فراغا بغير زخرفة وهو انعكاس لقناعاته الجديدة بأن الكون لم يخلق هباء وهو ليس خلوا كما كان يسود الاعتقاد بذلك بل هو ملىء بمخلوقات الله.



كان «رينان» قد اتهم العقلية العربية بضعف الخيال نتيجة لكونها عقلية دينية - على حد زعمه - فان تلك العقلية العربية قد بلغت من قوة الخيال ما جعلها تبتكر - وفى اطار الدين - أساليب جديدة يعتبرها الدارسون الأوربيون من قبيل الفتوحات فى مجال الفن.. ومن تلك الأساليب الفنية الجديدة استخدام الكتابة والخط لأول مرة كعنصر من عناصر الزخرفة، فقد جاءت الكتابة الزخرفية لأول مرة وسيلة من وسائل تسجيل الحمد لله والشكر له على الأعمال الفنية التى يتم انجازها.. وقد كتبت الآيات القرآنية على جدران المساجد بخطوط زخرفية رائعة لا يقدر عليها غير فنان عربى.. وأصبحنا نعرف لأول مرة «**المسجد المصحف**» أو «**المصحف المسجد**» حيث كتب الفنان المسلم كل سور المصحف على جدران المسجد التى لم تعد مجرد جدران صامتة بل أصبح كل حجر فيها صفحة من صفحات المصحف الكريم.

وقد استمر الفن العربى فى تطويع الخط لرسم صور جمالية حتى توصل الى الخط الكوفى الذى يمتاز بزواياه القائمة وخطوطه المستقيمة، وحين أضاف اليه الفنان العربى زخارفه النباتية أصبح يعرف بالخط الكوفى المزهر أو المورق.. كذلك تحول الفنان العربى من استخدام الخط النسخ فى الكتابة الى استخدامه منذ القرن الثانى عشر الميلادى فى زخرفة التحف وبلاطات القيشانى والنسيج.



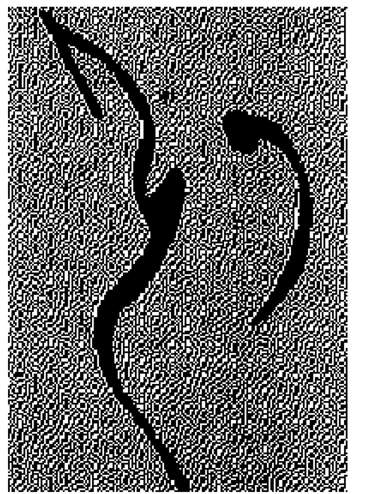
نظر الفنان العربى إلى الكون وجد نظاما هندسيا بديعا هو جوهر هذا البناء العظيم، وكانت تلك «الهندسية» البديعة التى جاء عليها النظام الكونى هى إحدى الدلائل على وحدة الخالق وعظمته.. وكان لابد من مرور فترة من الزمان لكى يتمثل فيها الفنان العربى هذه الهندسية الكونية فى وجدانه الفنى لتنعكس منذ العصر الأموى فى أعماله الفنية فجاءت الدوائر المتماسكة والأشكال السداسية والثمانية الهندسية والمربعات والمثلثات انعكاسا للهندسة الرائعة التى رآها الفنان العربى فى الكون المحيط به دليلا على عظمة الخالق ووحدانيته. والفنان المسلم بهذا يكون قد سبق فنان مذهب «الكوبست» أو التكعيبية فى الفن الأوربى الحديث الذى لا يرى فى الكون غير وحدات هندسية تختص

بالحقيقة دون غيرها من الموجودات الأخرى . . فالوحدة الهندسية هى جوهر الموجودات فى نظر فنانى التكعيبية فى أوربا الحديثة وهو ما توصل اليه الفنان المسلم منذ مئات السنين حين صرفه الإسلام عن التجسيد إلى التجريد . . كذلك فقد كان فن «الأرابيسك» الذى يتضمن فى إسمه كلمة العرب (آراب) فنا عربيا خالصا يتكون من خطوط منحنية أو مستديرة أو ملتفة يتصل بعضها ببعض فتكون

البسيطة من جص وخشب وصلصال ليحيلها إلى أعمال فنية غاية فى الروعة والجمال ، وكأنه حاول أن يستعيض عن رخص الخامة وبساطتها بروعة التشكيل وفخامته فجاءت الفخامة فى أعماله للتشكيل وحده دون الخامات المستخدمة فيه . . حتى فى الوقت الذى كان فيه خلفاء الدولة الاسلامية قادرين على استخدام الذهب والفضة والأحجار الكريمة فى تزيين قبلة المسجد استعاضوا عنها



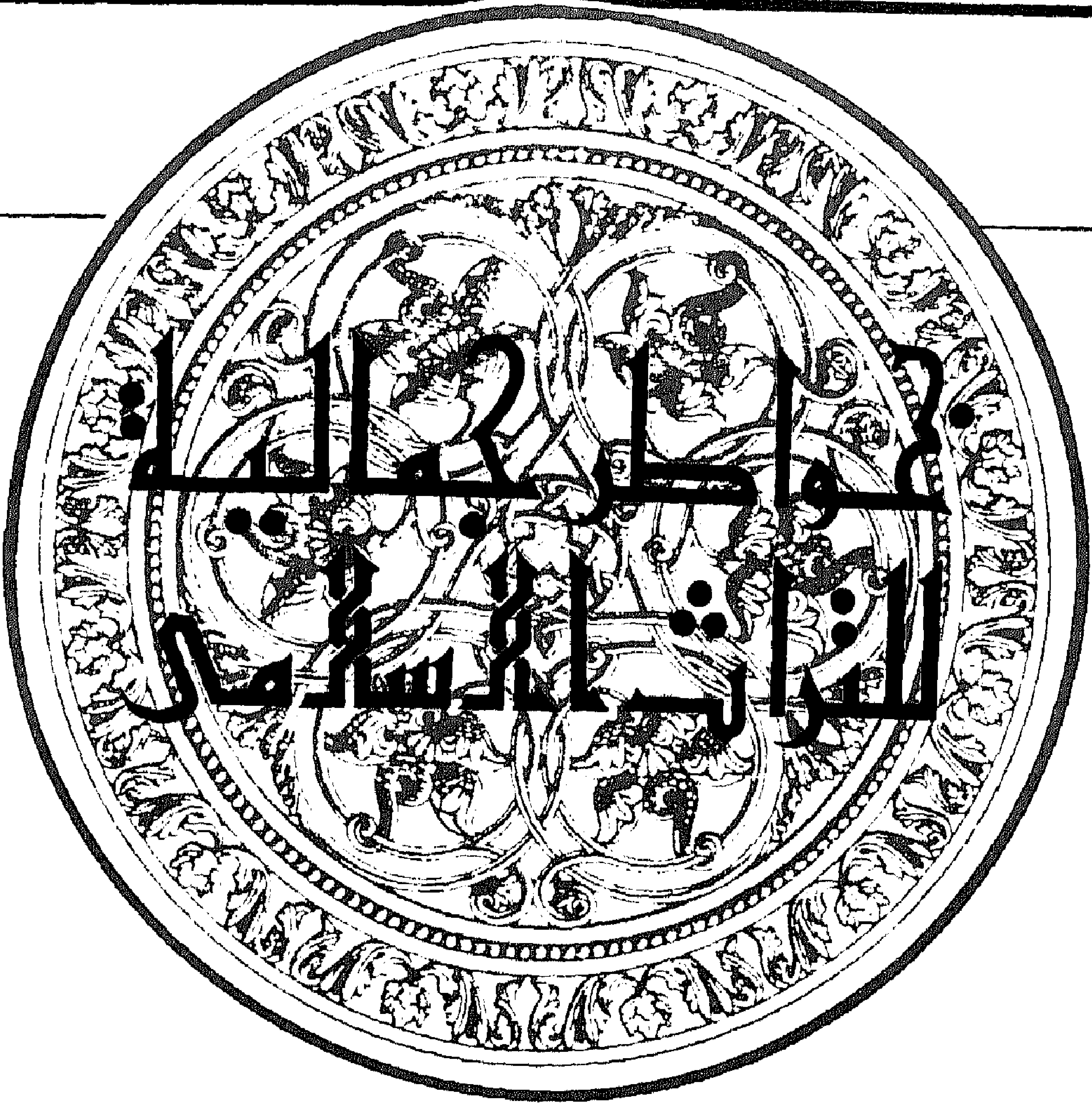
أشكالا حدودها منحنية وقد يكوِّن بينها فروع وزهور . . وقد شاع استخدام هذا النوع من الزخرف ابتداء من القرن التاسع الميلادى من العمارة والتحف ووصل الى قمته فى القرنين الثانى والثالث عشر.



تكن تلك الجوانب وحدها التى شهدت تأثير الإسلام فى الفن العربى ، فقد كان لدعوة الإسلام إلى التقشف والبعد عن مظاهر الترف أكبر الأثر فى الفن الاسلامى ، فاتجه الفنان المسلم الى الخامات

بالزخارف والنقوش الرائعة التى جعلت من المحراب والقبلة عملا فنيا رائعا ينسجم مع روعة الاسلام وبساطته وبعده عن الترف .

لم يكن الإسلام إذن حجر عثرة فى سبيل تقدم الفنون العربية كما قال البعض ، ولم تكن المخيلة العربية ضعيفة كما قال «رينان» بل كانت من القوة بحيث أنها سبقت مخيلة الأوربيين بأكثر من ثلاثة عشر قرنا من الزمان .



عواطف جمالية للتراث الإسلامي

كان من العسير إلى زمن غير بعيد الحديث بصورة واضحة عن الجمالية الإسلامية كمفهوم محدد المحتوى، فالتراث الفكرى الإسلامى فى عمومه - إذا استثنينا بعض النصوص الفلسفية والأدبية المتفرقة - لم يطور خطابا جماليا شاملا ومتواصلا يمكن وصفه بالنظرية، ثم إن دراسة الحاجة الجمالية ومبرراتها التاريخية والروحية عند الشعوب الإسلامية لم تظهر عند الدارسين الغربيين التقليديين إلا فى شكل مباحث جانبية أو تكميلية لدراسة الجماليات الغربية وحتى عندما بدأ الاستشراق فى الاهتمام مباشرة بالإبداعات الفنية والإسلامية كموضوع قائم بذاته فإن اغلب مؤرخى الفن الإسلامى من الأوروبيين أظهروا قصورا واضحا عن فهم المنطق الجمالى الخاص للتراث الإسلامى واكتفوا على هامش أعمال الجرد والاحصاء للموروث الفنى بطرح جملة من الآراء العامة والمفاهيم السطحية عن مبررات الإبداع عند المسلمين، فكثيرا ما نجد عندهم مثلا عبارة كراهية الفراغ أو النفور من الفراغ وهو النزوع فى آثار الفن الإسلامى الى شغل المساحات على نطاق واسع بالعناصر الزخرفية وهذا المبدأ الجمالى ليس فى الواقع . إلا مفهوما وصفيا يتصل بالاسلوب ولا يعدو أن يكون أكثر من ملحوظة بصرية لا تفيدنا بشيء عند مشروعية ذلك الأسلوب على المستوى الفلسفى الجمالى . وعبارة النفور من الفراغ تفصح فى الحقيقة ذلك الميل اللا شعورى

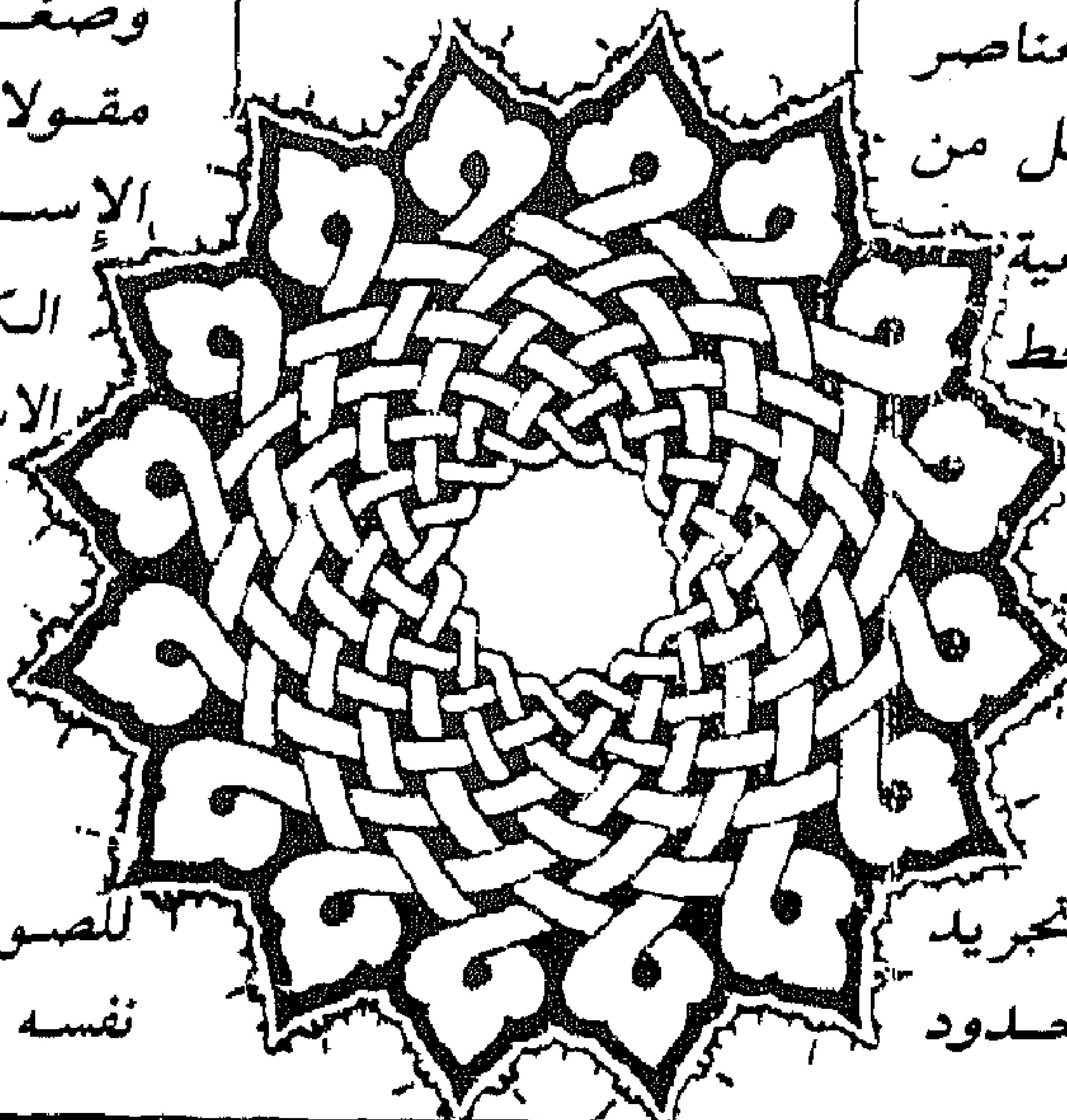
بقلم الأستاذ
علي اللواني
المغرب

عند أولئك المؤرخين الى مقارنة أو قياس الظاهرات الفنية الاسلامية على النموذج الغربى فيكون مفهوم كراهية الفراغ فى الواقع إشارة إلى مفهوم غربى نقيض أى إلى موقف الجمالية الغربية القابل الفضاءات الفارغة الخالية من الزخرفة .

ومثل ذلك يقال فى الاستعمال التعسفى لمعنى التجريد فى الحديث عن أساليب الزخرفة الاسلامية وخاصة بخصوص الرقش العربى بوحداته النباتية والهندسية ولا يخفى فقدان لفظ تجريد لأى معنى بالنسبة إلى الحضارة العربية الإسلامية ، فنماذج التوريق النباتى والتطفير الهندسى هى تكوينات معروفة العناصر ومستمدة فى الأصل من التجربة الادراكية الواقعية وكذلك تكوينات الخط العربى الحاملة لآيات قرآنية حقيقة الكتاب الذى يمثل فى ذهن المجموعة الإسلامية الواقع الأسمى بذاته .

والحقيقة ان كلمة تجريد مشحونة الى أبعد الحدود بمعان غريبة عن البيئة الإسلامية فهى تفترض وجود تقابل أو تضاد بين تمثيل أو نقل وصفى للعالم المرئى الى العمل الفنى من ناحية ، وبين وجود موضوعى مستقل للأشكال المبتدعة خارج أى ارتباط بذلك العالم . ومعنى التجريد يكرس ردة فعل ضد نظرية المحاكاة بمختلف صيغها ومدلولاتها الأدبية والفنية فى الغرب ، وقد بلغ التضاد ذروته فى بداية القرن العشرين مع الرسام كانديسكى وأصحابه عندما وضعوا موضع الشك مشروعية الارتباط بعالم الواقع المرئى .

وفى مثل هذا السياق المتأثر بالقاموس الفنى الغربى تنقسم الفنون الإسلامية الى كبرى وصغرى ودينية ودنيوية وهى مقولات غريبة عن الذهنية الإسلامية . كما يسارع الكثيرون من مؤرخى الفن الاسلامى بكل سهولة وبناء على تفسير سطحى أو مغرض أو استنادا إلى حادثة عابرة إلى اعتبار الحضارة الاسلامية للصور «معدية» أو «محطة» للصور قياسا على التاريخ الغربى نفسه الذى شهد حركات معادية



للصور كالتى حدثت فى القرن الثامن فى الامبراطورية البيزنطية على يد القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح . . أو تلك التى تزعمها الراهب الفلورنسى فى عصر النهضة الاوروبى . . وقد يكون من الأنسب أن نعتبر عن الوضع الهامشى للتصوير فى الحضارة الإسلامية باستعمال مفهوم اللاايقونية بدل انيكونازم مثلما نصح بذلك تيترس بوركهارت .

هذه ملاحظات عابرة حول المفاهيم المستعملة خاصة عند الجيل القديم من مؤرخى الفن الإسلامى فى الغرب للحديث عن إبداعات الحضارة الإسلامية وهى كما قلنا تطرح على هامش عملية الجرد والتصنيف والإحصاء للتراث العينى للفن الإسلامى . . وقد حالت النظرة الغربية للعالم المتركزة حول ذاتها دون تفطن الاختصاصيين الأوروبيين لفترة طويلة إلى إمكانية وجود نظرة جمالية شمولية تفسر التراث المذكور فى ضوء الضرورات الروحية والتاريخية لشعوب الإسلام . . وقد أدى كل ذلك على مستوى المنهج إلى دراسة الاثار الفنية دراسة وصفية أسلوبية وترتيبها على أساس جغرافى , فتجد فنا مصريا وفنا سوريا وفنا فارسيا وفنا تركيا وفنا بربريا ، فكأنما الفن الإسلامى ليس أكثر من الحصيلة المادية لهذه الفنون دون خط جمالى ناظم وموحد لها جميعا . .

وفى خلال السنوات الأخيرة تغيرت شيئا ما نظرة الاستشراق إلى الفن الإسلامى وحقق العاملون فى هذا الميدان بعض التقدم على طريق فهم أفضل لمعطيات الأبداع الجمالى للإسلام وذلك من أجل تحديد علاقة خصوصية بين المنجزات الفنية والحياة الروحية للمسلمين ، وأصبح من بين المشكلات المطروحة :

● *التساؤل عما إذا كان للنظرة الإسلامية للعالم تأثير خاص ومتفرد على الإبداع عند المسلمين؟ وما هى الوسائل الأسلوبية والتقنية التى استعملها المسلمون للتكيف مع شروط تلك النظرة؟ وبعبارة أخرى بدأت مع هذا السؤال محاولات أولية لدراسة الجمالية الإسلامية بصورة أكثر عمقا .*

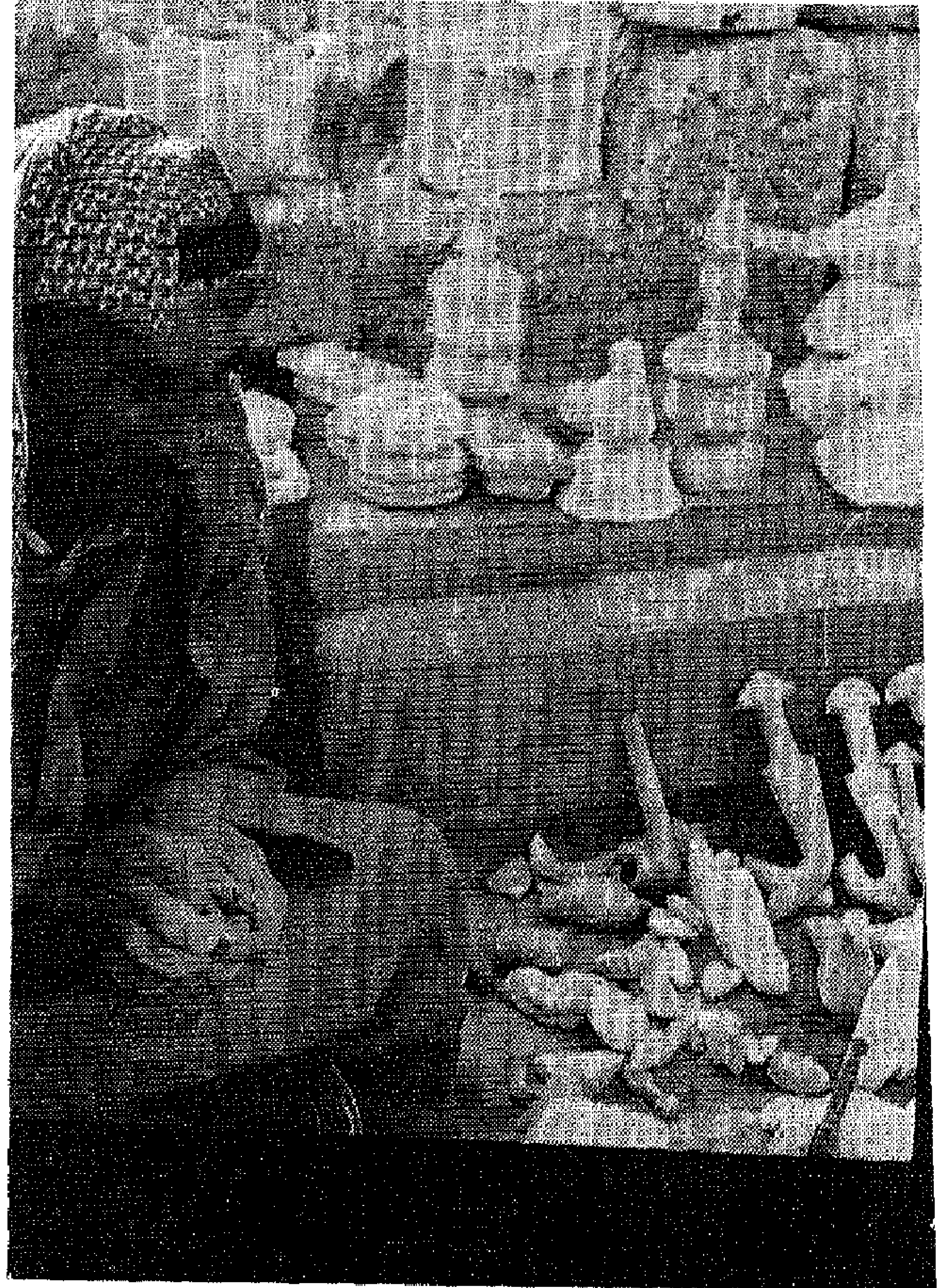
ويمكن أن نذكر هنا أعمال تيتوس بوركهارت وخاصة كتابه الفن الإسلامى لغته ومعناه الصادر سنة ١٩٧٦م . . ومن ناحية أخرى رسالة الاستاذ اليكسندر بابادوبولو - حول جمالية الرسم الإسلامى - منشورات جامعة ليل سنة ١٩٧٢م .

«ويؤكد الأول (تيتوس بوركهارت) على وحدة الفن الإسلامى وغلبة الطابع القدسى عليه وارتباط كل الاشكال والمنشآت والمعالم الفنية الإسلامية بمعان روحية تتصل بالإرث الباطنى للإسلام ، كالعلاقة بين شكل الكعبة والجهات الأربع الرامزة لأركان العالم وكذلك علاقة القباب بصورة السماء ، والربط بين الطواف فى الحج ودوران السماء حول محورها القطبى الخ» .

ونلاحظ هنا التركيز على التفسير الباطنى إذ أن بوركهارت من كبار المختصين فى الفكر الصوفى الإسلامى .

أما اليكسندر بابا بولو فقد قدم نظرية حول الرسم فى الاسلام خلاصتها أن الأحاديث النبوية الشريفة المُحَرِّمَة - او الناهية عن تصوير الكائنات الحية لم تؤد إلى تخلف التصوير التشبيهى الفن العبورى سقوطه فى الهامشية كما يظن عادة ، بل على العكس اذ كان لها فضل فى تطوير فن التصوير الإسلامى على نحو متفرد لا يتعارض معها وذلك عن طريق اعتماد الفنان على وسائل تقنية وأسلوبية تبتعد بالعمل الفنى عن النقل الواقعى للمرئيات ، ومن هذه الوسائل التقنية والأسلوبية مثلا تجنب خداع النظر والمنظور وعدم استعمال الظلال

والأضواء (القولية) وافتعال عناصر مستحيلة أو وهمية وكذلك استعمال الظلال بطريقة غير معقولة واقعيا كتصوير حصان بلون وردى أو أزرق، ويجمع الكاتب تلك الوسائل جميعا تحت ما يسميه ب مبدأ الاستحالة الذى يسمح للمصور المسلم أن يثبت صدق نيته فى أنه لا يرمى إلى التشبه بالله تعالى ومحاكاة مخلوقاته الحية. . ويرى أن هذه الجمالية لا تكتفى سلبيا بملاءمة الفقه الاسلامى بالأغراض عن النقل الواقعى للعالم بل هى تتجاوز ذلك لتعبر بصورة إيجابية عن الروح الإسلامية. . ورغم تأكيد الاستاذ بابادوبولو بقوة على ضرورة الرجوع إلى المنظومة العقائدية والروحية لفهم الفن الاسلامى، إلا أن آراءه فى الواقع مرتبطة بجملة من المواقف الاستشراقية معروفة وخاصة الإلحاح على الطابع التلفيقى للمفاهيم الجمالية الإسلامية.



ونفى مسألة منجزاتها الهامة وإرجاعها إلى أصول يونانية من متنوع التراث الفنى الاسلامى. . وهو يعرض ظاهرة نمت وتطورت وسط التحريم والزجر مما اضطرها إلى خلق وسائل وحيل لتتلاءم مع المتطلبات الدينية فتصبح جمالية المنمنمات الإسلامية مظهرا للتخلص من محاكاة الطبيعة لإرضاء التحريم. . وهيئة المحراب وزخرفته حيلة ترمز إلى النبوة مثلما كان من الرقش العربى عند دارسين آخرين هروبا إلى التجريد تحت ضغط النهى عن التصوير. . والواضح أن هذه النظرة تكاد تجعل الفن الإسلامى إسلاميا بصورة سلبية اى بالاضطرار وتنقص من تأثره الإيجابى الأصيل بالفنون.

والواقع

ان دراسة الفنون الاسلامية وتوضيح التصورات الجمالية التى تسند اليها تستدعى اعادة النظر فى مناهج الدراسة والمفاهيم المعتمدة ومناقشة الأراء السائدة عند أهل الاختصاص من الغربيين والمسلمين على حد سواء. كما تستوجب الأخذ فى الاعتبار الانجازات الهامة التى قدمها الدارسون الغربيون فى معالجة التراث الاسلامى وتطوير العناصر الإيجابية المستندة الى نظرة علمية نزيهة. ومحاولة تجديد المصطلحات المستعملة وربطها بالواقع التاريخى للحضارة الاسلامية. . وقد برزت فعلا بعض الاهتمامات لمناقشة الآراء السائدة من خلال البحث النظرى أو التجارب العلمية قصد طرح مشكلات الفن الاسلامى فى ضوء المعطيات التاريخية الروحية والمادية للحضارة الاسلامية تجاذبتها آراء الفنانين هنا وهناك.

ومن المهم أيضا التركيز على دراسة العلاقة النوعية والدقيقة بين المنجزات الفنية والتراث الروحى والفكرى وخاصة

تأثير علم الكونيات فى الذهنية الاسلامية وانعكاس ذلك التأثير على الابداعات الفنية . . وقد بحث بعض الأوروبيين فى هذه العلاقة ولكنهم فعلوا ذلك من خلال الأطلاع على دراسات غربية عن التراث الروحى الاسلامى لم تنفذ فى رأينا الى أعماق هذا التراث إن لم نقل إنها أساءت اليه .

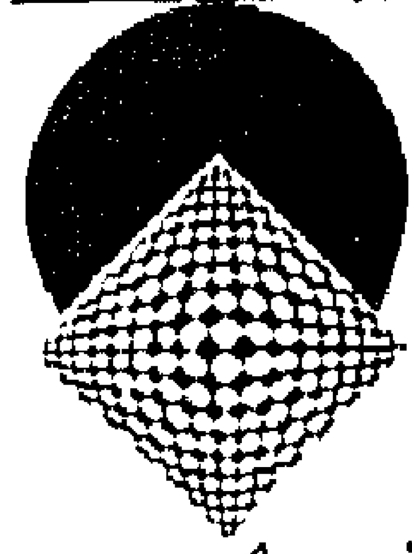
رغبة منا فى إثراء النقاش حول المشكلات الاساسية للفن الاسلامى نطرح فيما يلى بعض الأراء التى نعتبرها من الأسس الممكنة لفهم خصوصية الفن الاسلامى وارتباطه بالنظرة الاسلامية الى الحياة وذلك فى إطار الإسهام فى إرساء نظرية للجمالية الاسلامية ، ولأن البحث فى أسس هذه الجمالية لا يزال فى بدايته فإن تلك الآراء لا تطمح الى ان تكون نهائية أو قطعية وإنما نقدمها كمنطلق للنقاش وتعميق التساؤلات حول الموضوع .

وحدة الفن الاسلامى :

إن أول ما يشدَ الانتباه فى فن الإسلام وحدته الأساسية من حيث التصور العام لعالم الاشكال والمساحات والأحجام أى للمكونات المادية لذلك الفن ، فحيثما نتجه نعجب لتعدد الأشكال والتقنيات والخامات المستعملة ، ولكننا نشعر لأول وهلة بالوحدة الجمالية المسيطرة على كل إنجازات الذهنية الاسلامية . . وهذا الأحساس العميق بالوحدة هو خاصية الفن الإسلامى الأولى والبرهان الساطع على قدرته التأليفية التى هضمت كل عناصر التراث الفنى البشرى السابق لظهور الإسلام : لقد ورثت الحضارة الاسلامية فعلا أنماطا فنية بيزنطيا وساسانية وبربرية وتركية وغيرها .

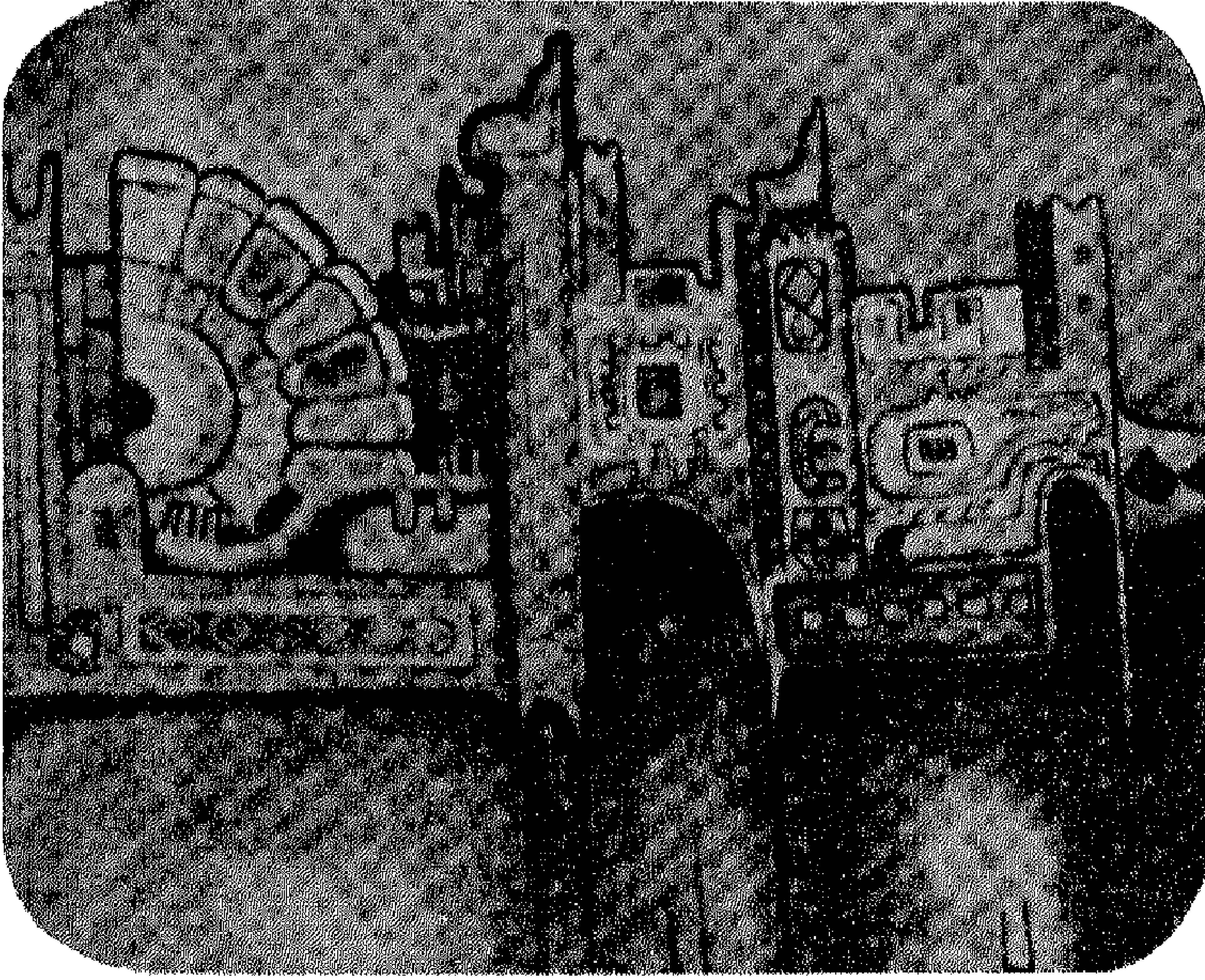
وقد يكون لبعض المساجد شبه بالكنائس الشرقية القديمة ، وقد تكون قبة الصخرة فى بيت المقدس متأثرة بالمارتيريوم السورى القديم أو تكون لبعض الأقواس الإسلامية علاقة بشكل حنية نطاق كسرى ، ولكن ذلك لا يغير من أصالة الفن الاسلامى شيئا إذ لا يمكن أن تنشأ الفنون من لا شىء ولكن المهم أن كل تلك العناصر قد تحورت على نحو انتخاتى لتندرج ضمن صياغة خاصة الوجود . وحيث إن الاسلام قد انتشر على رقعة هائلة الامتداد ، فقد كان طبيعيا ان يحمل طابع التعدد والتنوع والكثرة والواضح أنه لم يسع إلى طمس شخصية الشعوب التى انضوت تحت لوائه ، والعكس هو الصحيح إذ فتح لها طريق الإبداع والعطاء وميز حضورها فى التاريخ . ومن المؤكد أن هذا الطابع الكونى الموحد والمتنوع فى روافده هو الذى أغفله أو تجاهله المستشرقون وهاجمه دعاة المدارس القومية إلى درجة أن بعضهم يدعى أن عبارة فن إسلامى مفهوم غير علمى .

وفى الحقيقة فإن معنى وحدة الفن الاسلامى يفوت عليهم فرصة تصفية تركة الإسلام الحضارية لغة أيديولوجية وتحت غطاء العلمية والعلمانية . وقد ابرزت رؤية الإسلام الخاصة الى الوجود عبر التنوع ورغم الاختلافات المذهبية الاسلامية إبداعات اصيلة متقاربة فى تعبيراتها الخارجية وفى أنماطها الأساسية .



الضوء يجيء من الأيام الخالية الى شرفات الحاضر. . يرتسم شموعا وشموسا يتجول برقا يخلب أو يسحر. . ويشكل لغة المستقبل. . من عريق السنين. . من أصول الحكاية فوق الثرى الطيب. . الصعب. . يشتق لون البحار عرائسه ثم نسمو الى أفق لا يُحَدُّ. .

تكوين من التراث للفنان السعودى «أحمد الأعرج»



مفهوم القداسة فى الفن :

تعود وحدة الفن الاسلامى إلى أن المسلمين على اختلاف خصوصيتهم القومية وتعدد مذاهبهم يجتمعون حول فكرة التوحيد المطلق لله عز وجل والاعتراف له وحده بالربوبية، ومثلما تتطور الحياة المادية والروحية للمسلمين فى تناغم مستمر مع روح الوحى فإن الفن يقوم بدور الشهادة المستمرة على وحدانية الله ويقع بصفته نشاطا ماديا من ضمن العلاقة التى تربط الانسان بالخالق، وبذلك يمكن القول إن فنون الشعوب الاسلامية تغلب عليها صفة القداسة دون أن يربطها بالعقيدة نظام طقوسى معين على نحو ما نرى فى الفن البودى أو المسيحى مثلا. ويترك غياب برنامج طقوسى مفروض مسبقا للفنون الاسلامية إطاراً واسعا للتعبير عن تلك الشهادة لله فى صيغة موحدة لا تعرف التناقض بين فن دينى وآخر دنيوى. إن مجال تلك الفنون هو العالم ورسالتها ان تطبع بابداعاتها كل الأشياء المرئية. فهى إذن تنتظم بصفتها مظهرا من مظاهر حياة المسلمين المادية والروحية حول خالق واحد وتجد فيه مفتاح معانيها العميقة ولذلك نجد أن الجمالية موحدة فى مظهرها العام تطبع العمائر الدينية والمدنية وفنون الكتاب والمنتوجات الحرفية، كما توحى به أيضا وحدات الرقش النباتية والطبقات النجمية الهندسية الدائرة حول مراكزها. . وفى هذا الإطار تشمل الحركة الدائرية كل الموجودات والأكوان ويمتد الحيز الروحى إلى مالا نهاية له، وينتج عن ذلك فى مستوى العالم المحسوس شمول الحيز الروحى للأرض كلها وهكذا فان أصالة الفنون الاسلامية لا تتمثل فقط فى ظاهر بنيتها المادية ولكن بالأخص فى الكيفية

التى تندمج وفقها فى إطار الحيز الروحى العام الذى تحدده الحركة الكونية التى ذكرناها. ولنتساءل كيف يتحقق ذلك الاندماج؟.

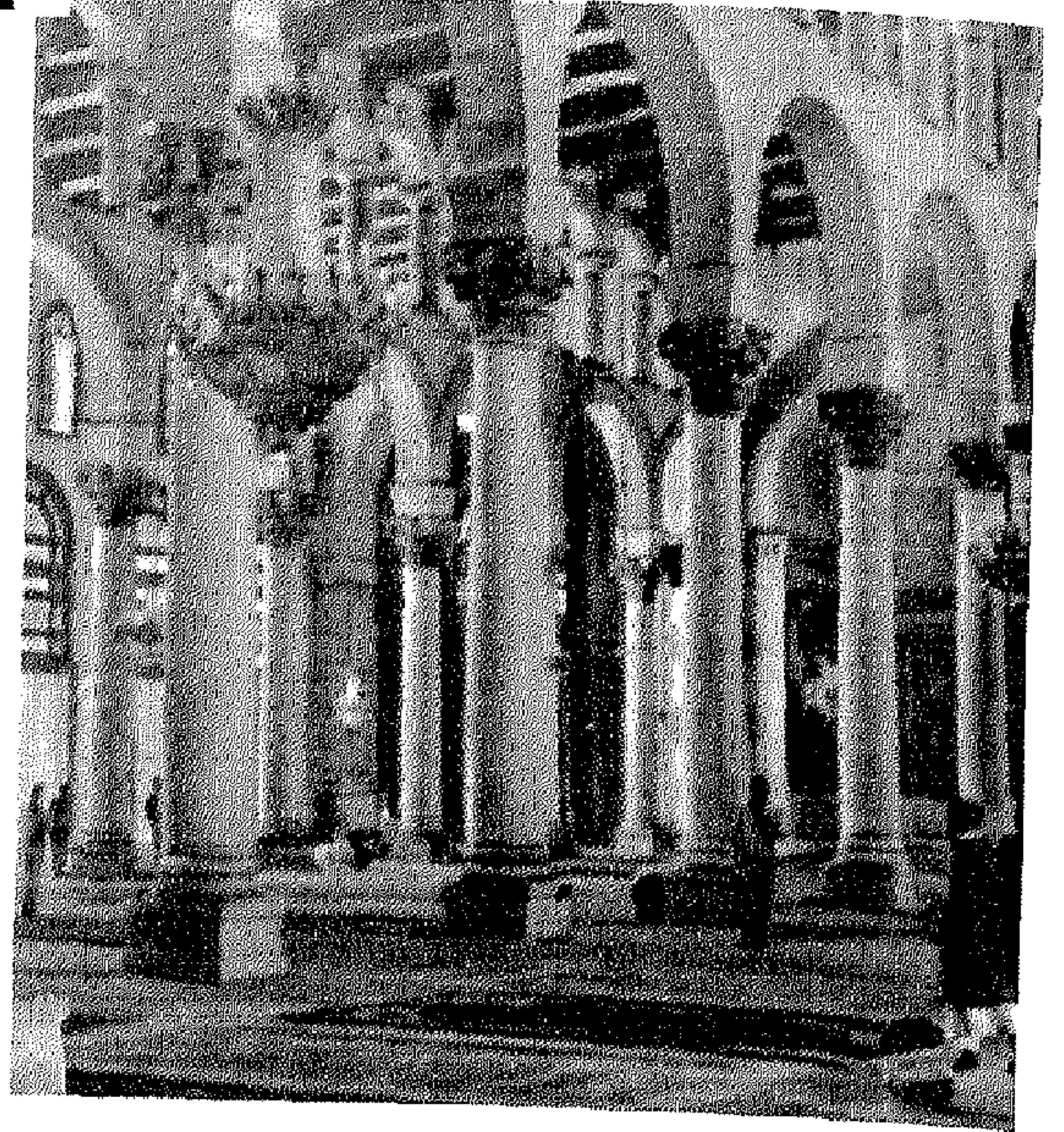
تخطيط المدن والعمارة:

يبدو من الصعب فهم طبيعة نماذج الحيز الاسلامى خارج علاقات التضامن بين تلك النماذج فى إطار المدينة تحليل معطيات الحيز فى ذاته الاسلامية، فإذا كان من الجائز وبصورة مستقلة داخل بازيليكا رومانية مثلا بالاستناد فقط الى مفاهيم التناظر والتوازن أو التضاغط بين الكتل والأحجام فإن ذلك لا يكفى للتعريف بخصوصية الحيز فى العمائر الاسلامية التى تمتد فراغاتها الداخلية بصورة عضوية وتستمر دون انقطاع فى الحيز الخارجى من خلال تكامل فى الوظائف لا يمكن فهمه خارج إطار المدينة ككل. وهكذا يتأثر فضاء البيت بفضاء الحى السكنى الذى يتكامل بدوره مع فضاء الأسواق وتنتهى حسب نظام مسبق بحيث تصبح الفضاءات جميعها الى المسجد الوحدة الحقيقة للحيز هى المدينة وليس العمائر المكونة لها.. وينظم المدينة فى مجموعها المسجد فى موضع القلب ومن منطق شديد التمركز يجعل حوله أسواق الحرف النبيلة مثل صناعات الحرير والعطارة ويدفع الى الأطراف بالصناعات الخشنة أو الملوثة ويقصى الأحياء السكنية الى المواضع الهادئة البعيدة عن المعابر الرئيسية. ويعارض هذا النظام العمرانى الدقيق ما يدعيه بعض الدراسين الغربيين من أن المدينة الاسلامية عشوائية البنية معدمة التخطيط انطلاقا من ملاحظات سطحية حول غياب التناظر والتواء الأزقة وتراص البناءات.

هنه العمائر فى النسيج المتلاصق المتواصل للمدينة مجسدة تضامن الأمة، وتتجه أحجامها وأبعادها إلى تفضيل القياس الإنسانى والابتعاد فى اغلب الاحيان عن التعالى والشموخ تحقيقا لمعنى المساواة كما تفرضه العقيدة والإخلاق الإسلامية، ومن نتائج التلاصق والتواصل أن حيز المدينة يصبح حيز تماس لا يكون للمنظور أو قواعد التبادل والتناظر فى تنظيمه أى دور، وهكذا تبدو العمائر مندمجة فى النسيج العمرانى وفاقدة لذلك بعدها البصرى الذى يوفره المنظور مما يفسر ندوة ما يسمى بالفن المدنى الذى يعنى بالعمائر فى علاقاتها مع الفضاءات الفارغة كالميادين مثلا.

المسجد:

المسجد هو القلب النابض للمدينة الاسلامية وله فى حياتها وظيفة إيقاعية فعلية تتجسد فى النداءات الخمسة للصلاة، ومن خلال تلك الوظيفة يرتبط المؤمنون بلا نهائية فى الحيز الروحى الشامل للعالم المحسوس.. واذا كانت المساجد تعتبر بيوتا لله إلا أنها، أولا، مواضع للبشر يجتمعون فيها للصلاة والذكر ولا يتحقق داخلها تجسيد خاص ومكثف على نحو ما يعتقده المسيحيون من حضور سوقى للمسيح عند إقامة القداس داخل الكنيسة.. ويعبر المسجد - اولا عن القيم الدينية المتمثلة بصلاة الجماعة ويبدو حيزه مطبوعا بالأفقية الدالة على المعنى الاجتماعى والتى يفرضها وقوف المؤمنين صفوفا طويلة متتالية وراء الأمام. وهذه الأفقية تميز المسجد عن الكنيسة التى يمتد حيزها نحو العمق من الباب الى المذبح. وبها يشد الانتباه.. أن حيز المسجد يتمطط مثل الفضاءات الاسلامية الأخرى خارج الجدران ويستمر فى حيز المدينة. ونحن



نلاحظ أن صفوف المصلين فى أيام الجمع والاعياد الكبرى تمتد عندما يضيق بها المسجد الى الخارج وفى ذلـك دليل على الطبيعة اللا نهائية للحيز الروحى الذى يتسع ليشمل الأرض بأكملها.

المـــادة:

كان ماسيتيـون أول من حاول تفسير الأشكال الفنيـة الاسـلاميـة بالـرجـوع الى المذهب الذري الأشعرى الذى يؤدى - فى رأيه - الى نفى الأشكال المفتـوحـة وغـير الثابتة على تحول العالم إزاء ثبوت الكون ودوامه.. بينها يرى أ. بابادوبولو ان مذهب الذرة مسؤول عن كل ما هو غير عقلانى وغير منتظم فى التراث الفنى وذلك فى مقابل الاشكال المكتملة والمتوازنة التى تعود إلى الإرث اليونانى.

ومـع موافقتنـا لماسينيـون على رأيـه، نرى أن النظـريـه الكـونية الإشعرية يمتد تأثيرها الى أبعد وأعمق مما اشـار اليـه فهى تعطينـا تفسـيرا منـاسبا لشمـوليـة الفن الزخرفى الاسلامى وكذلك لوضع التصوير على الأقل بالنسبة الى المذاهب السنية كما سنرى ذلك.

وشكل فن الرقش العربى المظهر الأكثر شيوعا للفن الاسلامى، وهو منظومة من الاشكـال والخطـوط والتقنيـات المتنوعة يمكن إرجـاعهـا إلى وحـدات تشكيلية اساسية كالأزهار والنخيلات والاشرطة والأشكال الهندسية المعروفة، وتخضع بنية الحيز فيه الى التكوينات المكررة والتناظر والحركية الخ.. ونجد فن الرقش العربى مستعملا على نطـاق واسع فى بلاد الاسلام قاطبة فى العمارة وفن الكتاب وزخرفة الأوانى والأسلحة وغيرها.

وقد أشار الكثيرون الى أن فن الرقش العـربى التجريدى كما يقولون - كان نوعا من رد الفعل على الفهد عن تصوير الأحياء، وهـذا الـرأى لا يكفى وحده لتفسير نشأة الزخرفة الاسلامية فالنهى يتجه الى تصوير الأحياء بينما الفن الزخرفى يعتمد عموما الأشكال الهندسية والعناصر النبـاتية المحورة عن الطبيعة ثم الزخرفى مثل ملء المسـاحات.. إن المكونات الاساسية للحيز وكثافة الـزخـارف والتحـويـر وتـركيب العنـاصـر النباتية والهندسية نجدها فى الحشوات الحصية بسامراء وقد كانت تتسـاكن فى القصـور مع التصـاويـر وحتى التماثيل مما يشير الى أن الفن الزخرفى لم ينشأ كرد فعل على التصوير ولكنه تطور على هامشه مؤسسا اتجاها خاصا وباحثا عن حيز تشكيلى جديد.

والواضح أن تكوينات الزخرف الاسلامى وحى بمعـان متنوعة تتصل بموقف المسلمين عامة وأهل المذهب الذرى خاصة من أن الحياة الدنيا دار فانية لا يستحق الـتركيز عليها أو التأمل فيها، فالتكرار والتكثيف الزخرفى يسببان حالة تشبع بصرى تفضى بدورها الى استحالة قراءة الاشكال والى ما نسميه جماليـة الغياب النافية للحامل المادى، فيكون لفن الزخرف بانتشاره الواسع على الأشياء وظيفة تغييب وإخفـاء للمادة حتى لا يتسبب حضورها الذاتى فى إلهـاء النفس عن التأمـل فى الله. وفى الوقت نفسه يكتسب الفن الـزخـرفى حيزا جماليا مستقلا توحى ذراته المرتعشة بايقاع الذكر والتسبيح كأنما تبتهل من خلاله المادة الكسرة المجزأة الى العلى القدير، يقول تعـالى: ﴿تسبح له السماوات السبع والأرض ومن

فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا﴾.

ونلاحظ هنا ارتباط معنى الزخرف الاسلامى بالكونيات الاسلامية التقليدية المعنية بإبراز العلاقة بين المركز والأطراف أى بين الله كجوهر والعالم كآية من آيات الله.. إن النفس المرتعش للزخارف يلامس المادة ليدمجها فى حركة الذكر والتسبيح المتصاعدة عبر الجمادات والنبات والانسان والنفس والروح فى حركة متعالية حتى سقف الكون، حسب عبارة العلامة جلال الدين الرومى.

الأشاعرة والصور:

إن التحريم عند الأشاعرة بصورة عامة لا ينطبق على الصورة المقدسة الايقونة فقط وإنما أيضا يولد نفورا يكاد يكون عاما من الصورة التى تنقل الأحياء وحتى الجمادات رغم أن احاديث النهى الشريفة لا ترفض تصوير الجماد. ويمكن تفسير ذلك النفور بأن الصورة مهما كانت هى انعكاس لعالم المادة ومجال للتركيز عليها والتأمل فيها وذلك ما يتعارض مع ما أشرنا إليه من ضرورة تغييب المادة والتفرغ الى التامل فى الله عز وجل.

كان بعض من عاشوا فى العراق فى القرنين الثالث والرابع للهجرة مثل النجوى أبى على الفارسى والفقيه الحفنى أحمد الرازى الجصاص صاحب أحكام القرآن يتجهون الى تفسير معتدل للنهى حيث يرون أن التحريم يتجه فقط الى الصور التى تجسد الآله، (مما مكن التصوير من الازدهار بعض الوقت فى العراق ثم بعد ذلك فى تركيا، فان ذلك يبقى ظاهرة محلية غير مستمرة وليس لها تأثير كبير على الموقف السنى الأشعرى فى مجموعه.. وهنا نذكر موقف الحنابلة والمالكية وخاصة الموقف المتشدد للشافعية على لسان الإمام النورى الذى يمكن تفسيره بردة فعل عنيفة ضد ميل الإسماعيليين الفاطميين.

الشيعة والباطنية والصورة:

استعرضنا بعض مواقف الإشاعرة من الصورة فما هو موقف غيرهم من المسلمين؟ بعد سقوط بغداد (١٢٥٨م)، بدأ نجم التصوير فى الأفول من المنطقة العربية وخاصة فى العراق وسوريا ولجأ الى البلاد الإيرانية ليبدأ حياة جديدة ثرية ويعود ازدهاره فى رأينا الى عاملين:

أولهما: سيطرة العنصر التركى والمغولى وولعه بالتصوير.

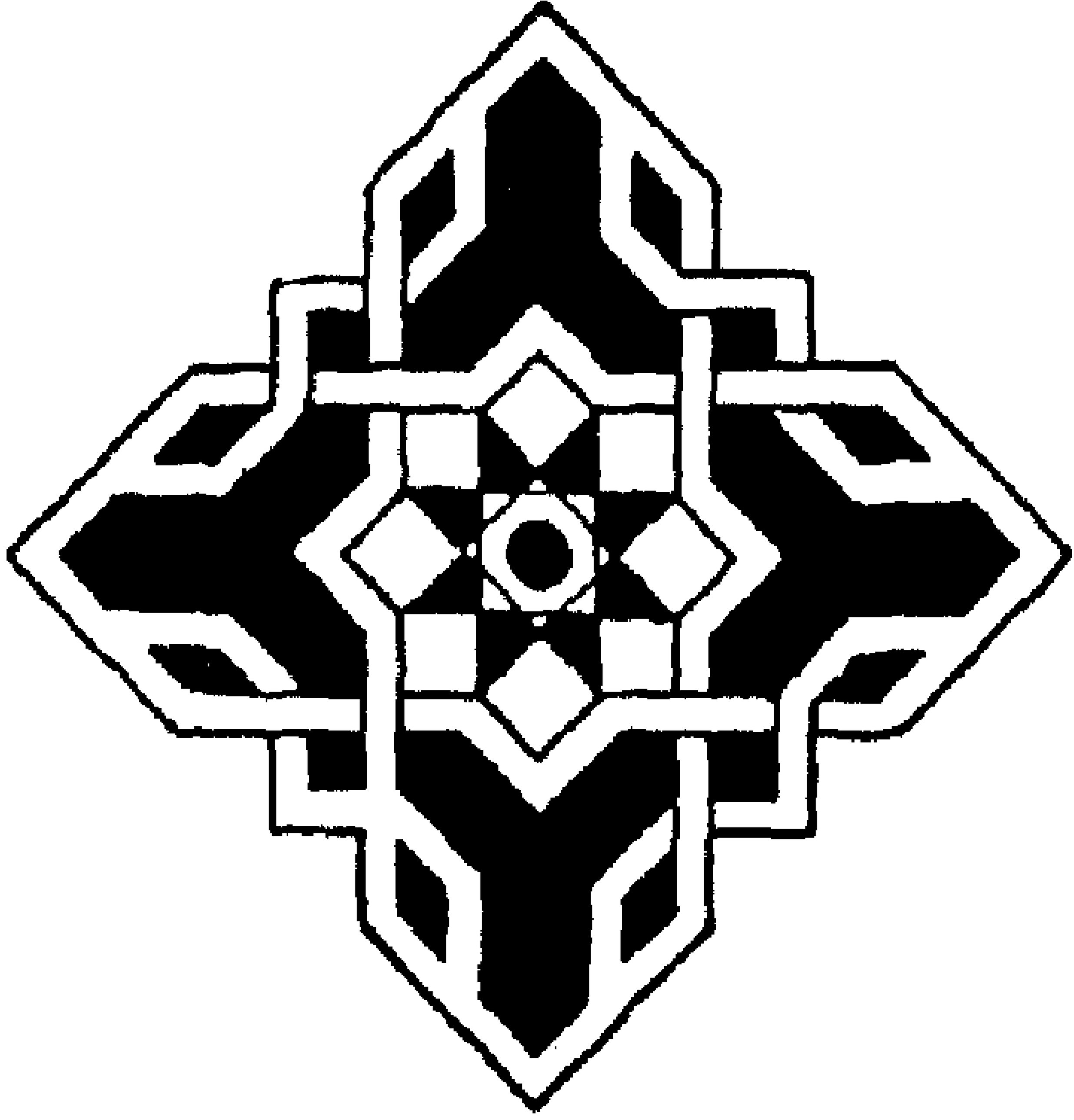
والثانى: حيوية المذاهب الباطنية والغنوصية وتواتر الآراء حول التجسيد والفيض والوحى المستمر عن طريق الإمامة فى التراث الشعبى بالإضافة الى الذكرى المتجددة الاليمة لاستشهاد الحسين رضى الله عنه وما يحف بها من مظاهر التشخيص والاحتفال.. وقد أدى ذلك إلى نجاح الصورة فى إيران وما حولها حيث ارتبطت بالحياة الروحية والفكرية للمسلمين وخاصة بالتصوف فنجد أشعار سعدى شيرازى والجامى وجلال الدين الرومى مزوقة بالتصاوير، كما تظهر صور النبى ﴿ﷺ﴾ فى بعض الكتب المغولية والإيرانية.

النظام الخاص للصورة فى الإسلام

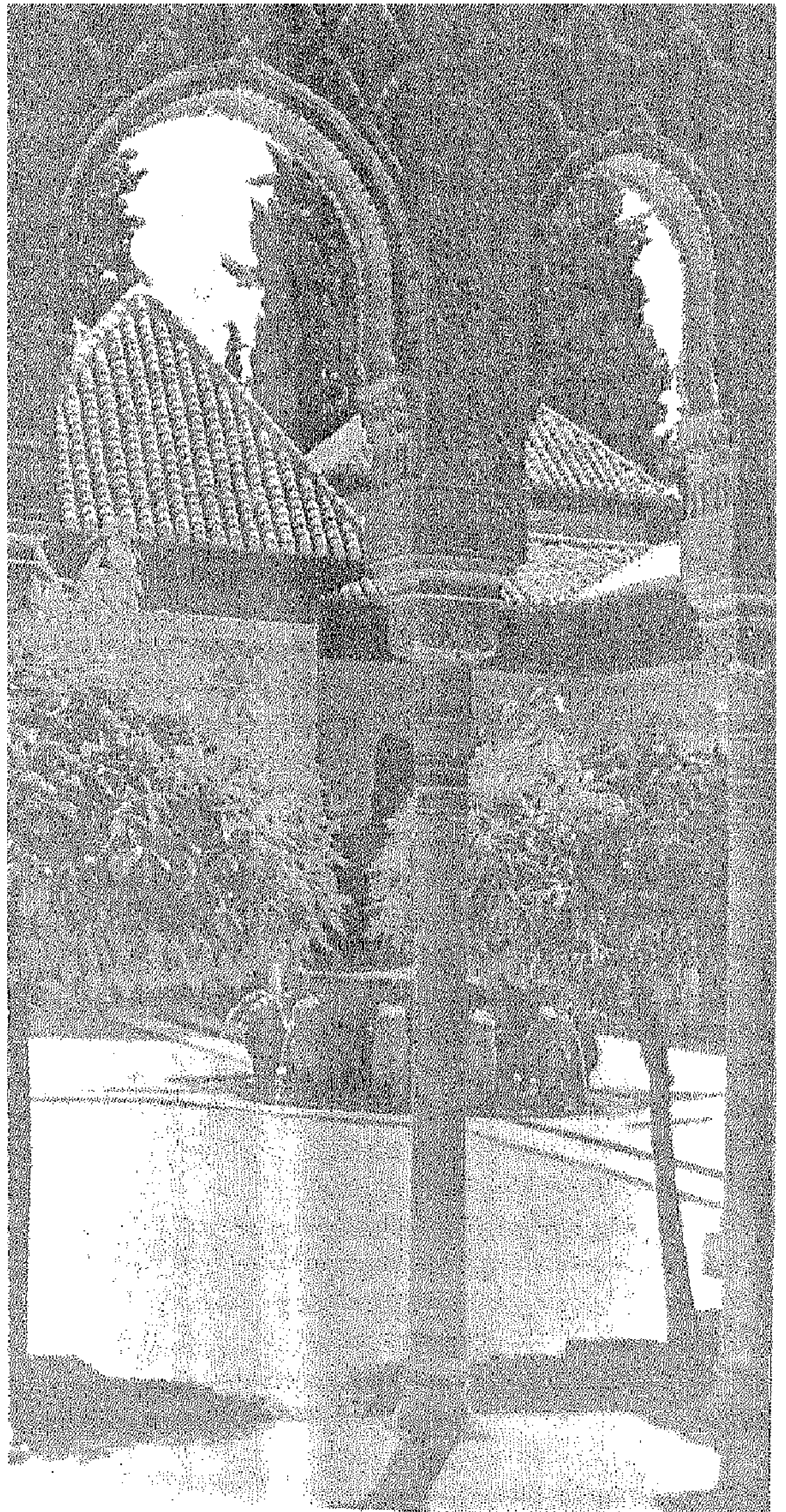
ولكن رغم ممارسة المسلمين للتصوير فإن الصورة تبقى عندهم رمزية فى أغلب الأحيان، فهى كالاحجية ولها علاقة بالكيمياء الروحية والسلوك الصوفى وتتأثر بالكونيات الاسلامية التى يتصورها كأيقونة يمكن التأمل فيها.

● ومن المواضيع الكلاسيكية التى تعبر عن ارتباط الصورة بالكونيات، قصة معراج الرسول الكريم التى وصفها عدد من الشعراء والمصورين. كما نلمس تأثير مذاهب الفلسفة الصوفية مثل نظرية الانسان الكامل فى الحيز الجمالى للصورة الاسلامية.

نجحت الصورة إذن فى الارتباط بالحياة الروحية للمسلمين فى سياق تاريخى وجغرافى محدود، ولكنها



لم تتجـه مثلما كان الشأن فى الغـرب المسيحى إلى الارتبـاط الواقعى بالعالم المرئى حيث وصلت تحت تأثير نظريـة المحاكـاة إلى التماثل التام مع الحيز المنظـورى الـذى حاولت نقله بدقة كبيرة فى عصر النهضـة وما بعده . . وقد بقيت الصورة الاسلامية بصـورة إراديـة فى أجـواء الرمز لأن مفهوم الخالق المطلق يمنع كل اقتراب مشبوه من الواقع المحسوس او من الشكـل القـائم بذاته . . هذا بالإضافة إلى سيطرة مبدأ المحاكاة كما ذكرنا وهو يطبع الابداعات



الجمالية والأدبية للغرب عامة . . أما فى الإسلام فإن المـوقف الـزوجى بالاضـافة إلى الطاقة التصويرية الكبيرة للغة العربية وتأثيرها فى مجموع الحياة الثقافية يجعـل من الصورة فى الإسلام محدودة الوظيفة وهو أمر طبيعى يمكن تفسيره تاريخيا وليس نقصا أو عيبا تؤاخذ عليه الحضارة الإسلامية آنذاك .

خــاتمة :

أما بالنسبة للمسلمين فإن ارتقاء الخط العربى المجسـد لكـلام الله الى أعلى قمم التعبير والتنوع ممجدا القول الربانى ناشرا آياته فوق كل شىء دفع الفن الاسلامى إلى أقصى امكانات الابداع .

وختاما وعنـدمـا نقف أمـام قصر الحمـراء بغرناطة فاننا نقف أمام قمة هذا الفن وقد اعتبر بعض مؤرخى الفن فى الغرب أن ثراء هذا المعلم الكبير دليل على التصنع الأسلوبى وأنـه يمثل مرحلة تميع للفن الاندلسى المغربى أى شبـه «باروك» شرقى وقد اسقطوا هنا كالعادة على الحمراء مقاييسهم الغربية بينما يشهد القصر بصورة دراميـة على موقـف أسـاسـى من مواقف الفن الإسـلامى : فقصر الحمراء يمثل الانفجار النهائى للثراء الإسلامى الفنى الساطع . . تراه وكأنه تحلل بفقد جرمه . . وتماسك بهاجس خواطره .

دينامِيكيَّةُ الفَنِّ و مَوضوعيَّةُ الإبداع



من قلم
أحمد جبر

● رُبَّ ناظرٍ لهذا الموضوع من حالق ، فيقول : " إن هذا الموضوع يتحدث عن موضوعين مُنفصلين " ، لأن دينامِيكيَّةَ الفنّ - من وجهة نظره - غير موضوعيّة الإبداع ، ولا تدلُّ عليها . ولو أنعمَ النظرَ (مليّاً) ، لأدرك أنهما يُشكّلان مَعنيين منفصلين لموضوعٍ واحدٍ .. وأنهما جسدان بروحٍ واحدة .. أو ثوبان لذات الجسم ، وهو أقرب تشبيهٍ لنوع العلاقة بينهما .

● فالدينامية - والأصح عربيًا أن يُقال دينامية - مُشتقة من [dĭnămĭk] Dynamic وهو الدينامي أو الديناميكي صَاحب العلاقة بالقوة أو الطاقة الطبيعية[1].

والموضوعية تعتمد السلوك المنهجيّ الصحيح في مُعالجتها للأمور، والتي منها الفن.

● ولما كانت الديناميكيةُ في أحد معانيها تعني الحركة والمرونة (Flexibility) وهو المعنى المقصود للكلمة. ونقطة الإلتقاء تكمن في أن القوة أو الطاقة الطبيعيّة والنشاط لها سبب هو السيطرة على النفس من خلال (**السُّلطان الآسِر لَها**).

● والإبداع بوصفه عبقرية متفوقة، له هذا السلطان أو النفوذ - لا سيما إن كان موضوعيًا - أي منهجيًا ومنطقيًا، مما يجعله يملك أسباب الرضى والقبول لدى النفس البشرية، وكذلك التفاعل معها تفاعلاً يُثري الحياة بفيض الصفاء والجمال والإنسجام والسرور.

● وهنا يكمن السؤال: هل تعتبر ديناميكية الفن سببًا في الإبداع.؟ وكيف لا تكون الطاقة الطبيعية المنسابة انسيابًا عفويًا سببًا من أسباب الإبداع وباعثًا من بواعثه..؟!!

● والطاقة الطبيعية هنا لا تعني شيئًا غير الطاقة المنبثقة من ذات الفن

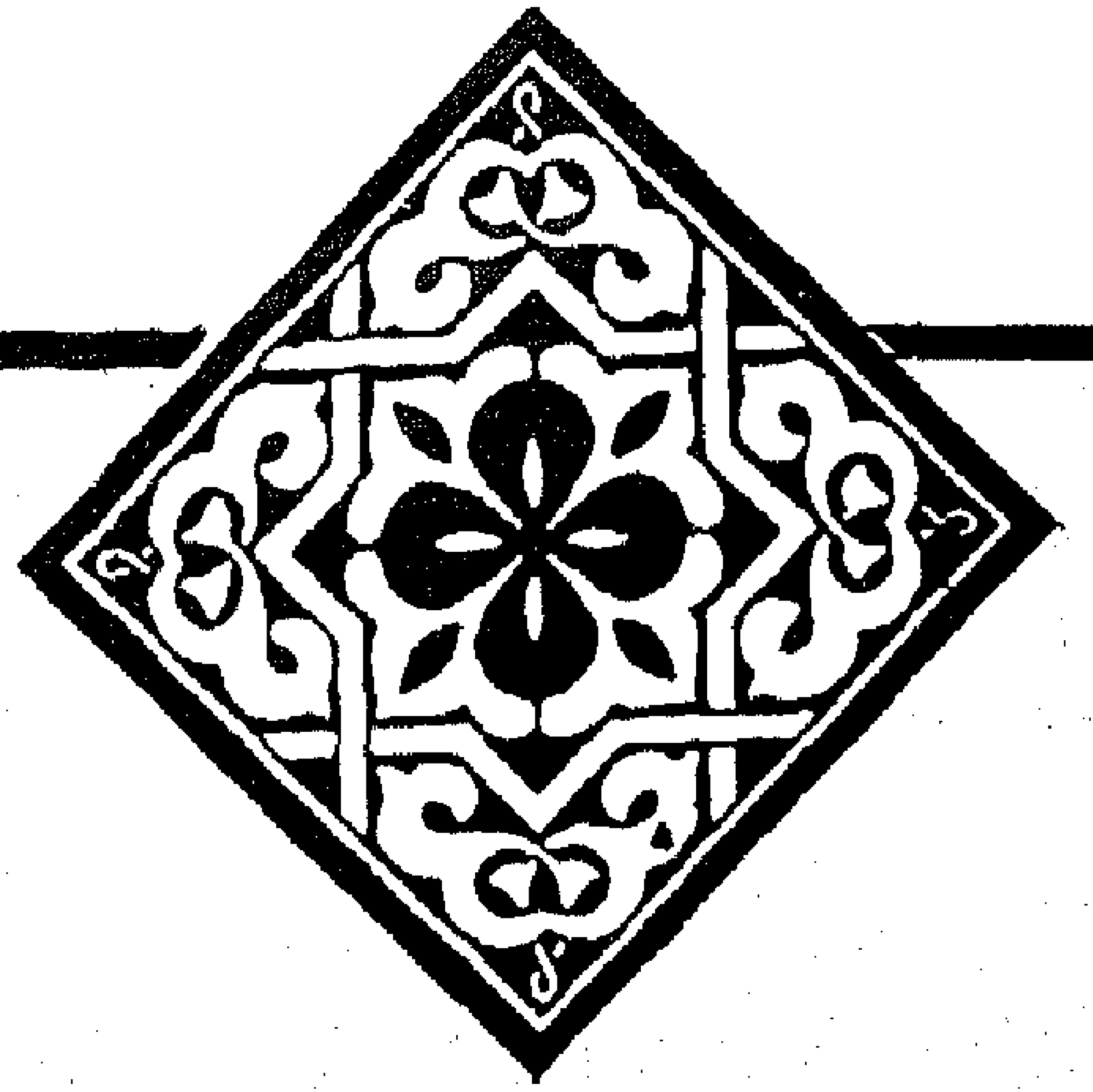
(1) قاموس المورد. تأليف منير البعلبكي. صادر عن دار العلم للملايين. ط 1971م.
ومن معانيها ٢-"أ" المتميز بفاعلية مستمرة أو تغير مستمر "ب" فعّال، ومنها الصفة (Adj.) Dynamical. ذات المرجع.

، المُشْبِهة في تشكيله وتكوينه .. بمعنى أنها (الإلهام الفطري) الذي يسير في نُسُغِ الفن وشرايينه .

● أما الإبداع (Innovation) فليس المعنى المقصود منه في هذا البحث هو المعنى القاموسي ، أي : الإبتداع ، والإبتكار ، والتجديد فحسب ، وإلا لكان المعنى ناقصًا (أصمًا) ، بل هو السِّمَةُ التي تُحَلِّي بالفن وتجعل تقليده صعبًا من جهة ، والهالة البديعة (الإشراقة الوضيئة) أو المنزلة الرفيعة التي يتمتع بها الفن لدى الناس ، وتمنحه المكانة المرموقة بين سائر العلوم والمعارف .. ولعل الزخرفة العربية الإسلامية والخط العربي أصدق دليل على ذلك .. إذ لا يكاد يخلو منهما مسجدٌ أو محرابٌ أو دارُ عبادة .

● لهذا كان من المعقول جدًا أن يُصبحَ الفنُ شريانَ الحياةِ وعصبَها الذي به تسير وتتحرك . وربما كان روحها السامية التي لاغنى للناس عنها ، ولامندوحة من الإستغراق فيها ، وربما الانطلاق العفوي من خلالها ، والعودة إليها حين تضمحلُّ أمامهم الحياةُ أو تضيق .

● فأية روعة كهذه الروعة .؟! وأي التصاق بالحياة لهذا الإلتصاق ..؟! وأي تماس أدنى من هذا التماس الذي يشبه ظل الأشياء ..؟! ولكنه ظل جميل يعطي الصورة رونقها ، ويأسر صاحبها ، ويملك عليه لبه بما يُضفي عليها من جمالٍ وحُسْنٍ فتانٍ ، وبهاءٍ أخاذٍ ، وضياءٍ ونور .



● منذ أمدٍ قصيٍّ والفنُّ يجذبني إلى دنياه بصورة لا أستطيع منها فكاكًا . . ومَن منّا مَن لا يجذبه تفكيره إلى هذه الدوحة الرحبة المسماة . . دنيا الفن .

● فإن كان (الكَلِفُ المفتون) بالفن وليدًا قيل عنه أنه "أخذ مجده" ، وإن كان شابًا قيل "ترنّم وازدهى" ، وإن كان شيخًا طاعنًا في السن قيل "تصابى أو تشبب" .

● المهم أن سلطان الفن طاغٍ على الجميع - صغارًا وكبارًا - ومهيمنٌ على الجميع ، شيبًا وشبابًا ، ذكورًا وإناثًا . فالكل في دولة الفن سواء ، والكل فيه متيم مفتون . ورغم اختلاف سلطان الفن عن سلطان العاشقين "ابن الفارض" صاحب القصيدة التي مطلعها:

أدِرْ ذكرَ مَن أهوى ولو بملامِ

● فإن أحاديثَ الحبيبِ مُدامي

إلا أن سلطان الفن مستمد أيضًا من (هواه) في النفس ، وتغلغله في أعماقها ، وذلك لسبب بسيط للغاية هو أن النفس هي منبعه ومستقره ومأواه .

● من هنا نجمت أهمية الحديث عن ديناميكية الفن المتسمة بالحساسية والدقة والشفافية ، وكان الحديث رقيقًا وشفافًا شفافية العذوبة التي تطبع الفن بطابعها ، وتسمه بميسمها ، وتضفي عليه ظلها وتأثيرها اللذين تخضع لهما النفس البشرية بدورها - فيما بعد - وتستسلم لسحرهما بصورة تدعو إلى الدهشة والاستغراب . . إذ كيف يخرج الفن من أعماق النفس ويلجها بمثل هذه البساطة والسرعة . . ؟! والجواب أن الفن لا يعترف بالحدود . . لذلك فهو يخرق الحجب التي من المتوقع أن تبعده عنها ، ويحنو عليها بحنان ومحبة لا تستطيع رفضها

● أليس في ذلك مرونة وعبقرية وتفوق؟ أجل.

• • •

وكيف لا تكون علاقة الفن بالنفس الإنسانية بهذا المستوى؟ وهو الذي:

١. ينطلق من معاناة الانسان وعذاباته وإحساساته المرهفة التي تحارب كل أخطاء الإنسان بلا هوادة. والمعاناة هي الوليد الصادق للنفس صدق أحاسيسها المرهفة.

٢. إن ثورته على الأخطاء، ونقده لها - بأسلوب أو بآخر - يجعلانه حرباً ضروساً على التمييز والتعصب والتفريق بين الناس والمجتمعات مهما كانت أوجه الإختلاف مسلكاً، لوناً، عقيدةً، حجماً، بنيةً، اجتهاداً وحدوداً.

٣. إقترانه بالجمال والعبقرية المتفوقة والابداع، ومحاكاته لمظاهر الحسن والروعة، واحتضانه لصفاتها في ذاته، يجعله مشوقاً مسلياً، معززاً بذلك مكانته بعدم استغناء الإنسان عنه عند التعب والضيق، والشعور بالملل والسأم والتنكر للحياة الإجتماعية والساعات الكئيبة لديه.

٤. وأخيراً، كونه لغة عالمية مستساغة للجميع. يفهمها كل البشر ويتفاعلون معها تفاعلاً ينسجم مع سحر الفن وجمال وروعته.

• • •

● لهذا كان للفن سلطانه وتأثيره على النفوس، قلوباً وعقولاً وعواطف جياشة، لا سيما وأنه ينساب خلالها انسياباً عذباً برقة وسهولة ويسر، ولا يصطدم مع رغباتها، بل يصاحب هذه الرغبات، ويعبق في ثناياها بلسماً وعطراً ورقة. ومن لي بكاره واحد للفن على ظهر الأرض..! رسماً ونحتاً وخطاً جميلاً وزخرفةً ونقشاً وحفراً وتصويراً وتمثيلاً

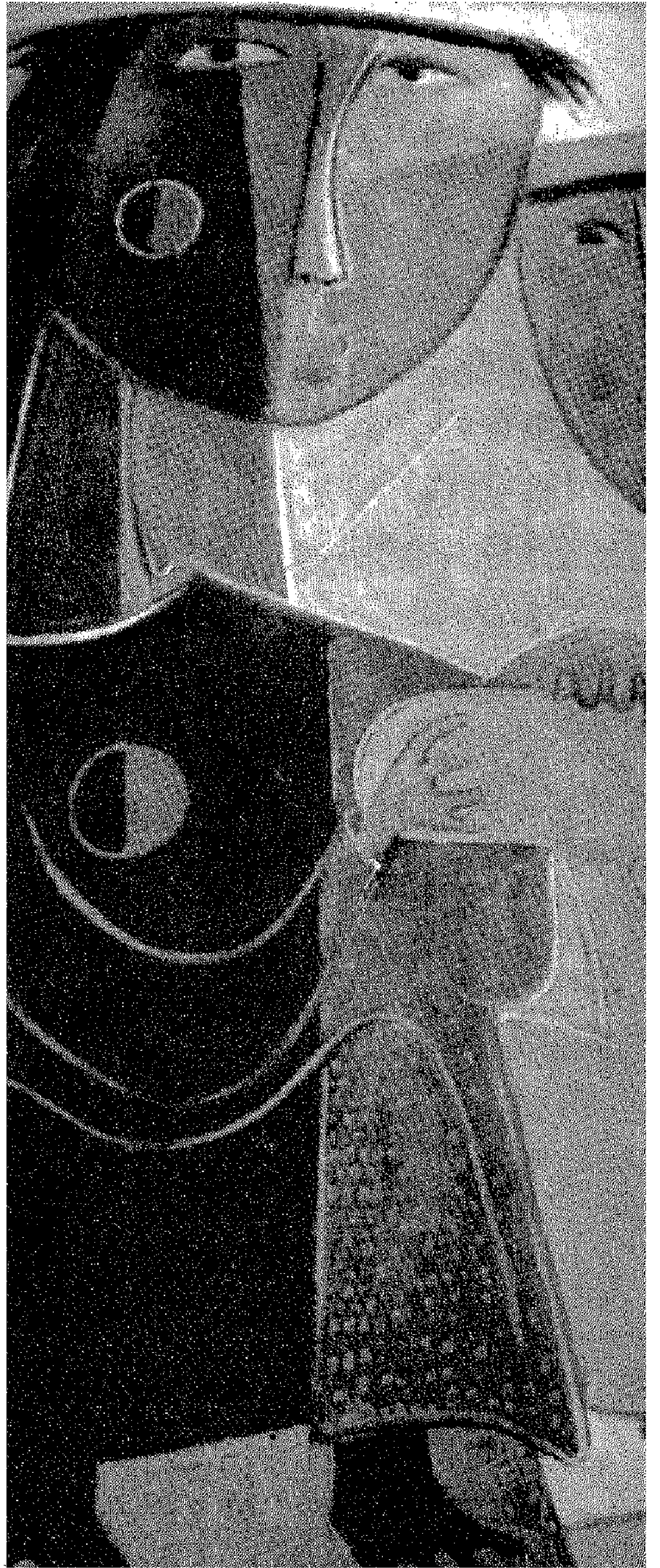
وموسيقى ورقصاً وغناءً! و... و... الخ..!

● بل كل الناس له راغبون، عاشقون محبّون، مؤثرون ومتأثرون بهذا «السّحر الزّلال».



● وكم نظلم الفنّ ونغمطه حقّه حين ندّعي بأن الإنسان ميدانه الوحيد، فيكون قد غاب عنا أن مخلوقات الله الأخرى (ذوات فنّ) وأنها تجد فيه متعة تكاد توازي متعة الإنسان به، وأبرز مثل على ذلك اشتراك العديد من الحيوانات - لاسيما القرود - في حلبات السّيرك في جميع أنحاء العالم في الوقت الراهن.. وكذلك فإنّ المخلوقات الأخرى تشكّل موضوعاتٍ حيويةً في ميدان الفن، وتعطي أنماطاً جماليةً تطربُ الإنسانَ وتشجيه.

● ولولا هذه الميزات لكانت العصافير بلا زقزقة جميلة، والبلابل بلا تغريد، والهزار بلا صداح، والسنونو بلا تناغم ألحانه، والحمام بلا



هديل .. و... و .. الخ . ولكانت الطبيعة خرساء صامتة صمتاً مطبقاً ، ولما أبدى مخلوق فنه ليغازل به (قرينة) على الإطلاق ، ولما حاول مخلوق الدخول إلى نفس آخر بفن من الفنون .

● ولولا ديناميكية الفن التي تجعله يستحوذ على الإحساس لما كانت هناك حاجة لأن يطرب الإنسان على صوت طائر ، أو يرسم صورة لريشه الجميل ، أو يهش لألوان الربيع الزاهية الناجمة عن فتنته الرائعة في التزين بأبهى الحلل في تناسق بديع .. ولو كانت الثمرة وحدها هدف الوجود ، لكانت الشجرة مجرد عسالج وأماليد وأغصان وجذور وسيقان وثمار فقط ، ولا داعي للأوراق الحلوة ذات الألوان الزاهية ، وما تحضنه من براعم تبعث الجمال المشعّ في جنباتها .

• • •

● ولو كانت الحياة خرساء خالية من روح الفن ، لسارت الشياه في البرية دونما حاجة إلى مزمار الراعي (شبابته) ، ولقطّت الإبل الهجان طريقها المستعر دونما حداء الحادي ، ورقصت الأفعى دونما عزف أو ايقاع ، وسار الشلال بلا خرير . وكان يكفي الإنسان لتهتز أعطافه طرباً الصمت بدلاً من الصوت العذب ، ويكفيه أن تغرق روحه بالصمت ، والصمت وحده ..!



● ترى هل تكون الحياة بغير فن حياةً ذات قيمة جديرة بأن تُعاش وتُحيا . ؟!!

● إنني أرى الحياة بلا فن خواءً ، مثلها في ذلك مثل الكتاب بلا ورقٍ أو كتابةٍ أبداً .. أو ربما مثل المحكمة بلا متَّهمين أو قضاةٍ أو حرسٍ أو شهود .

● لهذا ، نرى ومن منطلق أن الفن يدخل في صنع الطعام ، وفي عمل الملابس

، وفي التعامل بين الناس، وفي مخاطبتهم لبعضهم البعض، وفي شؤون الحياة كافةً ما يجعل الفن خليقًا بأن يكون لؤلؤةً من لآلئ الحياة، وجوهرةً من جواهرها الثمينة .. مما يوجب رعايتها وتمثلها روحًا، والعناية بها، وكذلك العيش معها وبها، لتحلو الحياة، ويرق صوتها، وتخف حدتها، ويلذ طعمها، وتصبح سهلة الهضم، ولها معنى جميل، ومحتوى طيب، ومذاق شهي، لا سيما وأن الفن يتغلغل في عروقها تغلغل الحياة ذاتها في عروق الكائن الحي.

● ومن هنا نبعت أهمية الفن للحياة، وبرز سلطانه المؤكد في كل ثناياها .. (طرقها ومناحيها)، وامتد حتى غدا جذيلها المحك ومحركها الدائب الذي جمع في أعطافه بين الديناميكية (القوية) بمعناها المرن، وجعل للتفوق (الإبداع) مسارًا بيّنًا، ينطلق من خلاله في عالم الفن.

• • •

● فهل أرق من هذه الصورة البديعة ..؟! وهل أجمل من هذا اللقاء في رحاب الفن بطواعية وصدق وعطاء بلا حدود، بعدما سما بالنفس البشرية، وارتقى بها إلى عوالم جديدة على شرفات الخلود، وفي ذرى الصفاء والكمال ..؟!

● فيالله ما أروع الفن، وأحلى صورته عندما يكون صنوًا للأدب النظيف، وله رسالةٌ ساميةٌ كرسالته.

● ترى هل ينجح الفنانون في الوصول إلى مثل تلك النتيجة المشرفة ..؟

نأمل ذلك، وندعو اله بصدق.

الإحساس

بقلم
راضي حكيم



الإنسان عن غيره من المخلوقات بالوعى بصفة عامة، والوعى الجمالى بصفة خاصة، كما يتميز بقدرته على الإحساس بالجمال والإنفعال به ومن ثم تذوقه.. فضلا عن كونه يحمل بين ضلوعه قلبا يتشوق إلى الجمال ويتلمسه فى كل ما حوله، سواء فيما أبدعه الخالق جل وعلا أو فيما أبدعه الفنان الذى يملك القدرة على إبداع هذا الجمال.. من خلال ما يتعامل معه من وسائط أو خامات.

وقدرة الإنسان على تذوق الجمال والأحساس به إنما يكون من خلال الممارسة والاحتكاك بالأعمال الفنية تلك الأعمال التى تتميز بطبيعتها الجمالية.

فالوعى الجمالى لدى الإنسان من شأنه أن يتفتح من خلال هذه الممارسة وينشط بواسطة هذا الاحتكاك.

وإذا كان الإنسان فى كثير من الأحيان لا يملك القدرة على وصف الجمال أو التعبير عنه فإن فى وسعه أن يحس هذا الجمال ويدركه ولعل الفنانين هم أقدر الناس لمثل هذا النوع من الإدراك، فضلا عن ذلك قدرتهم على التعبير عن الجمال من خلال صور الفن المعبرة والتى تتميز بجمالياتها ومن ثم بقدرتها على التعبير.

ما هو الجمال؟

لقد اختلفت الآراء وتباينت الأفكار بين الفلاسفة والفنانين أنفسهم فى محاولة تعريفهم للجمال.. وبطبيعة الحال فليس من الممكن إيجاد تعريف جامع مانع على حد تعبير المناطقة.. وبدءاً من أفلاطون وحتى عصرنا الحديث نجد أن هناك عديدا من الآراء التى طرحت فى محاولة لتفسير ماهية الجمال.. وليس من سبيل لتقديم إجابة واحدة لتعريف الجمال أو تحديده.. أيكون الجمال فى الشكل أم فى الموضوع؟ أو فى صيغة أخرى ما علاقة الشكل بالمضمون فى الأدب والفن؟ وهل يكون الجمال ذاتى أم موضوعى؟ وما الفرق بين الجمال فى الفن وفى الطبيعة؟.. وتوالت الأسئلة يأخذ بعضها برقاب بعض إلى الحد الذى جعل بعض الفلاسفة يرون أن فى القبح جمالا فنيا مع أن هذه العبارة تبدو وكأنها تحمل تناقضاً من نوع ما.

علم الجمال أو فلسفة الفن:

إزاء هذه التساؤلات وغيرها كثير، كان لابد أن يظهر علمٌ جديد يختص بمعالجة تلك القضايا

مرتبطة بالفن والمتعلقة بخصائصه، ومن ثم كان علم الجمال. . وأصبحت مهمته الأساسية دراسة المشكلات التى تثيرها الأعمال الفنية عند تذوقها وإدراكها ثم نقدها.

وإذا ما حاولنا أن نبحث عن بداية لهذا العلم فإننا يمكن أن نجدها فى الفكر اليونانى: عندما تساءل سقراط: ماذا عسى ان يكون الجمال؟. . فأجاب تلميذه (هبياس) بأن راح يُعدد له بعض الأشياء الجميلة. بيد أن سقراط أكد له أنه لم يكن بصدد السؤال عن جزئيات يمكن أن نلتمس الجمال فيها. . وإنما كان كعادته فى البحث عن الماهيات، يبحث عن ماهية الجمال وتعريف ما هو الجميل فى ذاته.

على أن هناك حقيقة هامة لابد من النظر إليها بعين الإعتبار وهى ان علم الجمال لا يضع القواعد أو الشروط لإبداع عمل فنى ممتاز، فليست هذه مهمته، وإنما تبدو مهمته بعد أن يبدع الفنان مثل هذا العمل، فتصبح مهمة عالم الجمال أن يدرس العمل الفنى محاولا أن يسبر غوره ليتعرف على مقوماته وسماته فيفهمه ويدركه، ومن ثم يساعد غيره على فهمه وإدراكه وتذوقه.

ولقد قطع هذا العلم الآن شوطا بعيدا حتى أصبح أحد العلوم المتميزة فى عصرنا الحديث. . ويُعد بومجارتن مؤسس هذا العلم وهو يطلق عليه وعى الحساسية. . ولعل بول فاليرى يتفق معه فى تعريف علم الجمال بأنه الحساسية. . وكل تفكير فلسفى فى الفن يدخل ضمن نطاق هذا العلم.

من شك فى أن الفن يختلف عن الفلسفة إلا أن من شأن الفن أن يثير كثيرا من القضايا الفلسفية. . وفلسفة الفن إنما تعنى بتلك التساؤلات التى تثيرها الأعمال الفنية.

ويصبح الغرض من فلسفة الفن على نحو ما يقول باركر: هو الكشف عن الخصائص النوعية للفن الجميل وتحديد العلاقة بين الفن والمظاهر الحضارية الأخرى كالعلم والصناعة والأخلاق والفلسفة والدين.

بالجمال

جمـــاليات :

وإذا كنا نفكر فى الجمال والجماليات فإن هذا يعنى بطبيعة الحال نظرة خاصة إلى الفن والجمال ومكانة كل منهما فى الحياة.

والنظرة الجمالية للفن تكاد تعزل الفن عن الحياة باعتبار أن للفن حياته الخاصة فالفن ليس محاكاة للطبيعة ولا تقليدا لها وإلا أصبح شيئا زائدا عن الحياة وليس من حاجة إليه.

والنظرة الجمالية للفن تأخذ بالمبدأ المعروف : الفن من أجل الفن دون أن تربط بين الفن والمعايير الأخلاقيه أو الدينية أو الفلسفية، ذلك لأن مثل هذه المعايير ليست بذات قيمة عند النظر إلى الأعمال الفنية باعتبارها ظواهر جمالية.

والنظرة الجمالية للفن تعطى أهمية واضحة للشكل وتعتبره الأساس الذى يميز بين فن وآخر أو بين فن وغيره من الفنون.

الجمال فى الفن :

ليس بوسعنا أن ننكر ما نراه فى الطبيعة من جمال بل ونحس به ونتذوقه ومع ذلك فإن الجمال فى الفن يختلف اختلافا بينا عن الجمال فى الطبيعة.. فالفن يختلف عن الطبيعة فهو ليس محاكاة لها ولا تقليدا.. وقد يتعلم الفنان من الطبيعة أشياء كثيرة، بل أن الطبيعة ذاتها لتعد من العناصر التى يستخدمها الفنان فى إبداعه، لأنها تقدم للفنان صوراً وأشكالاً وألواناً وتجارباً وخبراتاً.. مع هذا كله فإن الفنان يضفى شيئا من عنده، هو ما يجعله يبدع فنا ليس فى وسع الطبيعة ذاتها أن تبلغه.

فالفن هو القدرة على توليد الجمال والجمال فى الفن يتميز بنوعيته واستقلاله واكتفائه بذاته لأن له حياته الخاصة.

واذا كان الفن يختلف عن الطبيعة فإنه يختلف أيضا عن الحياة.. كما أن الفن لا يمكن أن يمثل الحياة كما تقول الفيلسوفة الأمريكية المعاصرة **سوزان لانجر**: أن الفن لا يمكن أن يكون ممثلا للحياة لأنه حتى فى التراجيديا نجد أن الخطأ الذى يقع فيه البطل لا يقدم لأغراض أخلاقيه وإنما لأغراض بنائيه فالنقص الذى يظهره البطل ليس سوى عنصراً فنياً.

الجمال: الشكل أم المضمون :

هناك مشكلة تكاد تكون قديمة قدم الفن نفسه ألا وهى مشكلة الشكل والمضمون فى الفن.. فأين يكون الجمال أهو فى الشكل أم فى المضمون أم فيهما معا؟.

والواقع فإن هذه المشكلة تكاد تكون مفتعلة لأن العمل الفنى ليس شكلا وحده ولا مضمونا وحده وإنما هو الإثنان معا فى تفاعلهما وتناوشهما.

وليس من شك فى أن الشكل يؤثر فى المضمون والعكس صحيح. لهذا فليس من سبيل إلى فصل الشكل عن المضمون وإلا انهدم العمل الفنى ولم يعد له وجود.. فهل فى وسعنا أن نرى شكلا بغير مضمون أو نعرف مضمونا إلا من خلال الشكل.

وعلى هذا فإن الفلاسفة الشكليين يعولون أهمية على الشكل الفنى باعتباره الأساس والجوهر فى الفن ذلك لأن المضامين قد تكون متشابهة فى أكثر من عمل فنى.. إلا أن ما يميز عمل عن آخر إنما هو الشكل.

ولعل فن الموسيقى يُعد فنا شكليا خالصا، فليست الموسيقى سوى أصوات فى حركات، ولهذا فإن كل الفنون تصبو إلى أن تشابه الموسيقى لتصبح مثلها.

الجمال : ذاتى أم موضوعى؟.

وهناك مشكلة أخرى تثار بين الفلاسفة حول الجمال: إن بعض الفلاسفة ينظرون الى الجمال على اعتبار أنه ذاتى مرتبط بذات الإنسان ومن ثم فإن المقاييس الخاصة بالجمال تختلف تبعا لذلك من فرد لآخر. ويصبح الإحساس الجمالى تجربة ترتبط أساسا بمن يحس أو يتذوق. وتتدخل فيها عوامل شتى ليس من سبيل إلى ذكرها الآن.

ومن ناحية أخرى: فإن البعض الآخر فى الجانب

المضاد يرون أن الجمال ليس ذاتيا وإنما ينبغى أن يكون موضوعيا بمعنى انفصاله عن الاحساس الذاتى.

وبين هؤلاء وأولئك يقف فريقا من الفلاسفة يمثلون اتجاها وسطا إذ يجمعون فى تفسيرهم للجمال بين جانب ذاتى وآخر موضوعى.

الجمال والتعبير:

ويعد التعبير فى غاية الأهمية بالنسبة للفن لأن الفن ينبغى أن يكون معبرا.. بل إن بعض الفلاسفة يربطون بين الفن والتعبير أو بين التعبير والجمال. ومن بين هؤلاء (كروتيشة) الذى يرى أن التعبير المناسب إذا كان مناسبا كان جميلا كذلك لأن الجمال فى نظر هذا الفيلسوف ليس إلا القيمة المحددة للتعبير وبالتالى للصورة.

فليس التعبير والجمال مفهومين اثنين فما هما إلا مفهوماً واحداً يمكن أن ندعوه بأحد اللفظين على السواء.

وتعبر عن ذلك أيضا الفيلسوفة الأمريكية المعاصرة (**سوزان لانجر**) حين ترى أن الفن يعبر عن الوجدان البشرى.. وهى تميز بين نوعين من التعبير، التعبير بالمعنى السيكولوجى أى التعبير عن النفس.. والتعبير بالمعنى المنطقى، ومعناه التعبير بتمثيل الفكرة وصياغتها والأثر الذى عن طريقه يتم تمثيل الفكرة وصياغتها هو الرمز. ففى الفن الجيد يكون التعبير حقيقيا.. وفى الفن الردىء يكون التعبير زائفا.

وهى ترى ان الأعمال الفنية جميعا أعمال معبرة وعلى هذا لا يمكن المقارنة أو المفاضلة بينها.. ومع أنه يمكن التمييز بين الفن الجيد والفن الردىء إلا أنه لا يوجد مبدأ للاختيار بين الأعمال الفنية الناجحة ذلك لأن جميعها أعمال معبرة عن الوجدان البشرى.

والجمال فى نظرها هو الصورة المعبرة وعلى هذا ليس مطابقا لما هو عادى.. وينبع الجمال من الاتساق أو الانسجام طبقا للمبدأ المعروف الوحدة فى التنوع.

القيم الجمالية:

إذا كان الفلاسفة قد اتفقوا على أن القيم ثلاثة: الحق والخير والجمال.. فإن معنى هذا أن الجمال قيمة.. ومع ذلك فهو يحوى فى باطنه قيما جمالية هذه القيم تتمثل فى الفن ونجدها فيه.. بعض هذه القيم حسية ترتبط بادراك الألوان أو الأشكال أو الأصوات فى فنون كالرسم والتصوير والموسيقى.. أو قيم شكلية يدركها المتذوق من خلال إدراكه للعلاقات التى يجدها بين الأشكال أيا ما كان نوع هذه العلاقات سواء أكانت علاقات هوية أو مماثلة أو حتى تضاد.

كما ان هناك قيما ارتباطيه لفظية أو تصويرية، أدبية أو رمزية، وهذه القيم ترتبط بالموضوعات التى تعبر عنها.

العرب وعلوم الجمال:

قد لا نجد عند المفكرين والنقاد العرب نظرية جمالية متكاملة ومع ذلك لايمكن أن ننكر بأن بعض هؤلاء المفكرين أو النقاد لهم نظرات جمالية يمكن التعويل عليها.

والجمال عند العرب كما يقول الدكتور «عز الدين اسماعيل» يرجع إلى الشكل أكثر مما يرجع إلى المحتوى ومن ثم كثر عندهم النقد القائم على الأساس الجمالى الصرف الأساس الذى يهتم بجمال الصوره الأولى.. وفى بحثهم عن الجمال الموضوعى قد كشفوا عن الأساسين المشتركين فى كل الفنون: الإيقاع والعلاقات.

لقد عرف العربى الجمال وأدركه وعبر عن ذلك فى قصائد شعر تدل على قدرته على تذوق الجمال والتعبير عنه.

ومن المؤكد أن العربى كثيرا ما كان يقول الشعر من أجل الإمتاع أو ينظر إلى الفن نظرة جمالية، كما أن بعض النقاد القدامى لهم نظرات جمالية ثاقبه حين النظر إلى الفن ونقده ولقد برز من هؤلاء العديد من النقاد مثل «ابن سلام.. الآمدى.. الجرجانى.. ابن رشيق.. ابن طباطبا» وغيرهم، ولسنا بصدد ايضاح نظراتهم الجمالية لأن ذلك يحتاج إلى دراسات أخرى قد تتاح لنا مستقبلا.

ضرورة الأدب

حياة تلك التى تكون بلا أدب..
بلا فن؟.
وأى أدب أو فن هذا الذى لا يزدهر بالحياة؟.
فالحياة إن خلت منها ـ من الأدب والفن ـ فهى الموات..
والأدب أو الفن: حياة المبدع.. وحياة الناس..
واذا انطفأت الشمسُ واحترق الهواء ونضب الماء.. ماتت الأزهار والكائنات والأرض جميعا..
والصدق فى الأدب أو الفن هو: الدفء والحرارة والنور..

واكتشاف المبدع لجوانب من حياتنا وتعبيره عنها فى أثر من آثاره الأدبية أو الفنية، هما: النسيم النقى أو العاصفة التى تحرك ولا تدمر. لكنها تنبه عقول الجموع ووجدانهم لينتقلوا من أرض يباب الى حيث الخصوبة والإثمار، ومن زمن التخلف الى عصر الازدهار..

وتأثير الأدب والفن الصادق الحى هو: ينبوع الضائعين فى الفيافى.. هو المنهل الثرى الذى لا ينضب معينه.. يؤاخى بين القلوب فيثمر روح التضامن الانسانى على أرض طيبة حيث يتعايش أهلها بنور الحب ودفء التعاطف.. وهذا حلم.

والمبدع يحلم حلمه الممكن الرائع وينخرط فى صميم واقع تجربته.. هو انسان وفنان.. يعيش هموم مجتمعه ومحن عصره بكل الحب والعذاب.. هو يقدم للناس عطاءه ورؤاه فيخصب الحياة وينير الجوانب المظلمة على الدرب لتسلك مواكب الناس المسالك الآمنة:

المؤكد أن المبدع ـ الأديب والفنان ـ ليس مصلحاً اجتماعياً أو مفكراً سياسياً أو واعظاً أو معالجاً نفسيا ـ لكن أثره الأدبى أو الفنى قد يكشف عن ضمير مجتمعه أو روح عصره الذى يطوى كل أو بعض الاتجاهات المختلفة والتيارات المتباينة بين جوانحه من خلال «التجربة الفنية» التى يعبر عنها تعبيراً مشخصاً صادقا موحياً برؤيته الفنية الذاتية متنزهاً عن كل تعميم، متصوّناً من أى تجريد تاركاً لعقول الناس ووجدانهم حرية التفاعل والحركة فى ذلك «العالم الجديد» الذى هو أثره الأدبى أو الفنى..

الأدب والفن: ضرورة جمالية للناس، ضرورة النور والدفء والماء والنسيم.. والعاصفة و«الجمال» ليس ترفاً يمكن الاستغناء عنه..
للعقول «غذاء» هو: نور جمالى ضرورى..

والفن للحياة الإنسانية



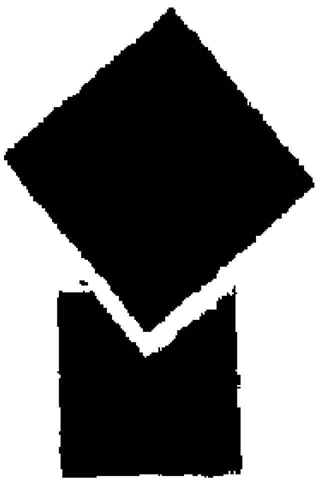
، وللقلوب «شراب» هو: رحيق ودفء.. جمال ضروري.

العقل: يتنفس بالنور.. بالأدب والفن.. والعلم..

والوجدان: يحيا بنسيم النغم وبدفء الألوان وبرحيق الكلمات.. والكلمات ليست مجرد كلمات..

الكلمات: ليست طيوراً ميتة محنطة على أوراق أشجار عارية من الأغصان والثمار.. الكلمات ليست طلاسم وتعاويذ وبخوراً محروقاً.. الكلمات ليست آهات تطنّ الدماغ.. الكلمات ليست أقراصا كيميائية تستحلبها الألسنة لعلاج الصداع.. الكلمات ليست لقيمات تلوكها الأفواه لتسد الجوع.. وليست هي الكلمات التي تُقرأ بالعين فحسب.

بل هي: كلمات «النور والدفء» كلمات «النغم والنسمة».. كلمات «القوة الخيِّرة المشرقة».. كلمات «العاصفة: عاصفة الربيع المثمرة» غير المدمرة.. تلك التي تنبه الحواس للبناء وتوقظ الروح وتستنهض الهمم.. هي الكلمات التي تشق لها ذلك المجرى الدافق الدافىء القوى عبرالعين الى العقل والقلب، فتحرك كياننا صوب «ساحة الفعل النبيل» وتشكل «السلوك الانساني الرفيع» وتهيء «المواقف» المؤثرة في حركة التاريخ.. لأن مثل هذه الكلمات انما تصدر عن الصدق والثقة في جدوى «العقل الانساني الايجابي».



اننا نظرنا الى حياتنا.. والى أسلوب حياتنا، ألا يحق لنا أن نتساءل: هل يسود هذه الحياة «مناخ عام» نقي منير دافىء، يتفاعل فيه الناسُ مع العطاء الإبداعي الأدبي والفني الصادق الكاشف المحرك تحريك تلك العاطفة المثمرة غير

المدمرة؟ - أم أن كل عطاء جمالي على ذلك المستوى النادر الفريد، إنما هو صوتٌ صارخ في البسريَّة؟.

لو كان المناخ الثقافي العام خالياً من الشوائب.. ولو كان الذوق العام نقياً خالصاً من أي مرض أو تشويه أو تخلف أو إحباط عام.. فإن إنساننا على درب الحاضر يسير سيراً سليماً نحو حياة أفضل وأرقى في المستقبل. أم انه عاجز محبط؟.. يعيش في كهف واد قصي على حين يبدع المبدعون في واد آخر؟ أتراه حقاً «**نصف إنسان**».. «**النصف السفلي**» الأقرب الى الأرض؟. أهو ذلك الذي يعيش حياة حسية.. يعيش بمعدته وأمعائه، ويتناسل بلذاته ويتحرك بأهوائه؟ أترى حياته ليست سوى حياة اللهو والفراغ بلا قلب انساني ولا عقل بشر - وإن وجدت داخل صدره مضخة مليئة بالدم، وإن ملأ دماغه مخ يفتقر الى أرقى وظائفه وأسمى قدراته؟.

وإن وجد هنا قلائل ممن لهم عقول مشرقة ووجدانيات رهيفة ليتجاوبوا ويتفاعلوا مع الآثار الأدبية والفنية الفريدة التي يبدعها الأدباء والفنانون، فان هؤلاء هم الغرباء عن مجتمعهم.. هم صفوة المثقفين.. واذن، فلا يكتب الكتّاب في مثل هذه المجتمعات دراساتهم ومقالاتهم إلا لتلك القلة المثقفه. وان الأدباء هنالك إنما يبدعون قصصهم ورواياتهم لبعضهم البعض.. وان الشعراء ينظمون قصائدهم للشعراء.. وان الفنانين يقدمون آثارهم الفنية للفنانين أو للنقاد إن وجدوا.. وهكذا تضيق الحلقات المفرغة وتتداخل المحاور الضيقة.. وهم جميعا يرتعون في واد.. على حين نجد جموع الناس ومواكب المغمورين تتخبط في واد آخر.. بل نجد الناس في تلك المجتمعات ضائعين في أسواق السلع الاستهلاكية.. ولا يدركون قيمة «الزمن» فيتركون حبال أوقاتهم على الغارب، فلا «**يعقلونها**» إذ تستلب الملاعب والملاهي والمطاعم والثرثرات والمجادلات العقيمة أغلب أوقاتهم.. وتستنفد طاقاتهم وتمتص جهودهم وتهدر آدميتهم.

وانظر - مثلا - الى «التليفزيون» كيف يسرق العيون، فيعلّم العقل كيف يتراخى، ويروض القلب على الترهل والجفاء، ويعود الجسم على الكسل والاستلقاء على المقاعد والأسرة.

لا ندعو الى مخاصمة مطلقة مع «التليفزيون» ولكن العاقل الراشد من لا يعطي له كلَّ أو جلَّ وقته إذ هو لا شك: يدرك قيمة الزمن ومأساة إهدار الوقت.. إنه يختار بوعيه الناضج من «برامج» التليفزيون ما هو مفيد ونافع حقاً.. والتليفزيون بذلك لا يشكل خطراً على الانسان ولا هو ينافس الأدب..

وقد يزعم البعض أن «**التليفزيون والسينما والفيديو**» تغني الانسان عن «**الكتاب**» لكننا نقول إن لكل من الطرفين دوره وأدواته وقدراته. واننا لنعتقد أن «**الكلمة**» الصادقة الجادة الموحية المقروءة في كتاب أقدر على النفاذ الى العقل والقلب بتأثير أكثر فعالية وايجابية من «**الصورة التليفزيونية**» لدى المتذوق الحصيف، لأن هذه الكلمة تقع في وجدان المتلقي المتذوق الرهيف وقع «**الهمس الداخلي**» فهي كلمة مهموسة موحية مؤثرة محركة يتفاعل معها العقل والخيال والوجدان، وتثير تساؤلات وترقق المشاعر وتوطد روح التضامن الانساني في قلب هذا الانسان



الـذى يستقبل الأثر الأدبى والفنى الصادق باحترام بتقـدير وتمحيص ومشاركة فى اكتشاف ذلك «**العالم الجديد**» الذى يقدمه الأديب أو الفنان . .

يقـدم «التليفزيون» (صورا) من الفن الرفيع فى شكل درامى مؤثر كاشف فيقـول لنا قائل : ألا تتساوى هنا «قيمة الصورة» مع «قيمة الكلمة» فى الكتـاب؟ . . أليست هذه الصــورة فنـاً وتلك «الكلمة» أدبا؟ قد يكون ذلك . . لكن الأمر فيما أرى لا يبلغ حد المساواة بينهما لأن ما تثيره الكلمة وما ترتفع اليه من مستوى التفاعل فى عالم «القراءة» وسحرها ، لا تستطيع الصورة التليفزيونية الفنية أن تبلغه ، ولا يمكنهـا أن تثمـر فى العقـل والخيـال والوجدان ثمار «الكلمـة» المهمـوسـة المنغـومـة الموحية ، من حيث الـدرجـة والكيف والقيمـة والمتعة الخلاقة . . إذ أن «القارىء» المتذوق للشعر أو القصة أو الرواية . . انما يشـارك المؤلف لونـاً من ألـوان المعاناة الإبداعية . . ومعاناة القارىء لا تخلو من «متعة خاصة رفيعة» أو «متعة يشوبها عذاب خاص فريد» . . كما لا تخلو من «ابداع آخر جديد» هو «إبداع القارىء» الذى يعانى اكتشاف «العالم الفنى» المتضمن فى قصة أو رواية أو قصيدة . . وهو إذ يفعل هذا انما يجوس فى عالم غريب



عليـه فيعتمد فى ذلك على مخيلته فى المقام الأول ، وعلى قدراته وذوقه ووعيه وتجاربه ، ملتحماً بأبعاد هذا العالم وشخوصه وصراعاته . . فهذا النوع الخاص من القـراء ينفعـل ويتفـاعـل ويتأمـل ويتفكـر ويشارك ويتعـاطف . . ويرفض وينكر أثناء سبره لأغوار هذا العـالم القصصى أو الـروائى أو الشعرى . . خلال تذوقه ـ موضوعيا ـ لمعطيات الابداع ، وتفاعله ـ ذاتياً ـ مع المـواقف والمنعطفات واللمسات . . وقد يصل الى مرحلة تسمـح له أن يصـدر حكـماً على الأثر الأدبى أوله . . أو قد يصدر أحكاماً تجمع بين القبول والرفض معاً . . كأن يستحسس قوة البناء الروائى أو تماسـك الـوحـدة الفنية ـ ومع ذلك قد ينكر بعض الأفكـار أو الاتجـاهـات «العـامة» التى يستخلصها بتفسير العمل الروائى ـ أى بانتقاله من «الخاص» الى «العام» ولا مجال للحديث ههنا عن «تذوق» النقاد المتخصصين .

الحياة الانسانية الراقية الكريمة هى التى تتمثـل فيهـا الآداب والفنـون والعلوم وتزدهر بها . . فيسودها «مناخ عام» نقى منـير دافىء حى ، يكثر فيه المبـدعـون الصـادقون الأحرار ، وتتكاثر «قاعدته» القارئة يوماً بعد يوم . . يتزايد ويتضاعف قراء الأدب ومتـذوقو الفنون مع ترقى الذوق العام دوماً . . بل تتعـدد وتتنـوع الاتجاهات والمدارس الأدبية والفنية خلال حركات إبداعية ونقدية مستمرة العطاء .

أما أن ينظم الشاعر قصائده فلا يجد من يقرأها بجدية إلا الشعراء . .

وأما أن يكتب القاص أو الروائى قصته أو روايته فلا يجد من يقـرأهـا بمعـانـاة إلا القصـاصـون والروائيون . . فتلك معضلة المرض العضال وعزلة سكان الأودية المصابين بالانفصام .

والأدب والفن : ضرورة جماليـة . . ضرورة للحياة الانسانية . .

الأدب والفن : حياة المبدع ، وحياة الناس .

الفنان العبقرى و

الفنان الـذى يفقـدُ حَاسَّـةَ الفنِ العبْقرى لَا شيىَء . .
زِدْ: لا شَيىَء، لا شَيْىء أبداً لأنَّ حَاسَّـةَ الـفنِ العبقـرى هى كلُّ شيىء فنيٍّ . . هىَ الظمـأ الـلاَّهِبُ لِعَبِّ مَفاتِنِ الجمالِ بالسمع والبصر. وبكلِّ أشْواقِ النَّفسِ . وبكلِّ ملاعِبِ الرِّيشةِ وبكل مَجالى البراعةِ . .

وحـاسَّـةُ الفنِّ المتفوِّق هى البصيرةُ الكشَّافةُ لأبْعـاد الجـمالِ : وَهُـو فى أبْهجِ زِينـاتِه وأسْطع هَالاتِه . وأسْحر لمحاتِه، وأمتع نشواته . .

وحـاسَّـةُ الفنِ المتفـوق هى هِبـةُ الله تعالى للإنسانِ الفنَّانِ ليكونَ نَسْمةً عطرة باردةً ـ يُخفّفُ حريقَ الحياة وقَسْوتَها، وفداحة همومها وبلاياها، وأهتِفْ بها حالماً نشـوانَ : وقُـلْ . . ما أنداكِ يا حاسَّة الفنِّ العبقرى فى نفسِ الفنانِ الموهوب. أنت أبـداً تحْلمـين بمفـاتِنِ الجـمال، وتتلَمَّسينَ مواكِبَـهُ، وتطـوفـينَ حولَـهُ، وتَنْعمِـينَ به نشْوى بأرْطابه وصفو رحيقه وتَظَلّينَ يَقْظى وظَمأى.

للهِ أنتِ يا حَاسَّة الفنِ العبقرى ما أحْفلَ ينَـابيعَكِ، وأغزرَ أمطاركِ وأخْصبَ أنهاركِ وأعْذبَ مواردَكِ وأحْلى أغانيك . . وكلُّ ذلك فتونٌ وإشراقٌ وجَاذبيةٌ وظَرْفٌ ورَوْعةُ سِحْرٍ فى البسماتِ واللفتاتِ وامتشاقٌ فارعٌ قُطوفُه فَوقَ فوق . . ولماذا لَا؟ . . وهو قَبْسَةٌ تكوينيّةٌ تَفيضُ بأسْـرارِ جَمالِ الله فى الأكوانِ فيضاناً أخّاذاً زاهِياً بمدهشاتِ الإبداعِ المُعجِبِ المحّيرِ.

ولوْلا إبْداعُ التكوين المُعْجِب المُحيِّر فى كلِّ ما يُرىَ ويُحَسُّ ويرَوع منْ الوانِ الجمالِ لمَا كان ثمة فنٌّ وفنَّانون عباقِرة . .

والفنُّ الأخَّـاذُ المتَفـوّق، تجِدُهُ فى ألْـوَاحِـهِ ودواوينِه رُخَاء وعَاصِفاً . .

فالفن الرخاء : نسماتُهُ نديَّة ، ونَغَماتُه شَجيَّةٌ وأطيـارُه مُغـرِّدَةٌ وأوْتـارُهُ مترنمـةٌ وعَصَـافِيرُهُ مُزَقْـزِقة وأنْهارُهُ دفَّاقَةٌ وشُطآنُهُ أضْواء أمواجٍ متلاحِقةٍ من الزّمردِ والماسِ . .

والـفـنُّ العـاصـفُ : زَوَابِعـهُ مُدمِـرةٌ . وصواعِقُهُ مُحْرِقةٌ وبَراكينُه ثائرةٌ ونيرانُهُ شاعِلةٌ وبِدايَتُه ونهايته حَمَمٌ وآن . .

حاسة فنه

بقلم الأستاذ المبدع
هاشم دفتر دار

ونظرة الفنّانِ الى الجمالِ الرَّخاء والعـاصِفِ هى فنُّ الفنِّ وَسحـرُ السِّحْـرِ، فَحُلْمُ الحلمِ، وإلْهـامُ الإلْهـامِ وجمـالُ الجمـالِ.. وإنـك تُطـالِعُها فى قَصَائدِ الشُّعَراء وألواحِ الرسامِين، ابتِسـامَـة فجْرٍ ومطلع شَمس ومَغْربِهَا، وجَلاَلَ حكْمـةٍ وعُمْقَ علمْ. وتكاثفَ غابةٍ، وانْصبَابَ شلاَّل وضَفَّةَ نَهْر وعسجد أصيل يُغطّى بُحيْراتٍ مُتْرعـة، وَوروداً مُفـتـرَّة على أفنـانِها.. وترانيم سَاقيةٍ فى سحرٍ وتغْرِيد أطيْارٍ فى فجْرٍ..

والفنُّ العبْقـرى هو الـذى يتخطّى الأجْيـال ويَصْبغُهـا بصبْغتِـه ويلوّنهـا بألوانِه ويومُها مُحلقةً صاعدةً سرمّداً.

والفنُّ العبقـرى المتفوقُ يكون وقعُه فى أُذنٍ وأذنٍ، وفى عينٍ وعَينْ.

يكونُ فى أذنٍ مُرْهفاً حَسَّاسًا شَجيًا مُغرِّداً رفافاً كسرب من الحَمامِ يَموجُ فى عَوالم الأضواء الوهَّاجة.

ويكونُ فى أُذنٍ غليظاً نكداً أصم، مثل قطيعٍ من الأبقار العجاف ترعىَ بمَحْل.

ووقعُه فى عَينْ تكونُ ظامِئة الى مناهِل الجمالِ وتكونُ لهفا بها تأجج بالأشواق ونيل الأمانى.

ووقعـهُ فى عين تكونُ محرومة من النور كليلة لَيْلاء لا فجرَ لها..

وقل بكفايةٍ. إن الفنَّانَ هو الفنانُ بكـل ملكـاتِـه ومُبْتكـراتِه وبدائِعِه وعَطاياه فى أىِّ عَصْر وُجد، وفى أىِّ بلدٍ كان وما اكثر أهله أيّها حلَّ فنه وذاع وشاع لأنَّ الفن العالى يَسودُ ويقودُ ويُنْشى ويسحر ويأخذُ ويُعْطى ويكثرُ حوله العشاقِ

ولأنَّ الفن العالى لا يَبْلى ولاَ يَضْمحِلُ ولا يُحْجِمُ ولا يَنْهزِمُ مَقْدامٌ مِقْدام.

ومكانتهُ فى كلِّ عَصْر، ومِصْرٍ تزِيدُ ولا تَنْقصُ



زِنَــةَ هَبــاءٍ وسِيَّــان : إن كانت فى الاجيــال المتحضرة وَسِواها . لأن الجمالَ هو الجمال وهواةُ الفنونِ الجميلة هم عشاقُ الجمال وَرُواتُه وروادُهُ والبـاحثـون عنـه والكـاشفوه بمراقبهم الدقيقة المسْتوْعبة ، مادامَ الجمالُ متألقاً فى أبْعادِ مَطالِعه وَرَاء الحجبَ .

والخلاصة

أنَّ الجمالَ إبْداعٌ تكْوينىٌ رائـع جداً ومَـاصَـاغَتْـهُ يدُ القـدرة الإلِهية الا ليكون مَطْلَع تهاويل فَتّانه تروعُ مِنْ أوّل نظـرة ، وفيهـا اكـبرُ إمتحـان وتـوجيه للمتأملين الأحياء . . إمَّا إلى السَّعادة وإمَّا الى الشقَاء .

آمن بالله ان كل ما أبدعتْه القدرة مِنْ مفاتِنِ الجمال ، فى الانسانِ وفى مَعالِم الوُجود . وما زَيّنتْ به مَعاطفَ الرُبى مِنْ غمائم ، وَمَا نَفَحتْهُ مِنْ فُنونِ والهةٍ ظمأى إلَّا لتكون غمائمَ هتَّانة بحقائقِ الإيمان الصحيح ، وأماناً من مَظَالِمِ الإلحادِ ولهيب نَزَواتِه واشتعَال جَمراتِه .

ولاَبدَّ من مَرْحَلتين جَوَّابتين عَميقتين ، لِكُل فنـانٍ عبقرى الفن قادرٍ أنْ يمنَح عَطاء الإيمانِ السكب المنجي . .

المـرحلة الأولى : أن يكـونَ تولعُـهُ بالجـمال ومُدْهشاته وجَوَاذبه وأطْيَافِه مقترناً بإيمان العلِم أنه ما ازدهى على عرشِه إلاّ بيدِ الله جل وعز .

المـرحلة الثـانية : إنزاله من عرشِه باليَراعةِ والـرّيشةِ بكل مَفَاتِنِه الى أنْفُس الْجماهير . على جَنـاحى اللوحات الصارخة والدواوين الشادية ليزْدَادوا إيماناً على ايمانهم .

وهكـذا كما نَجِدُ الفنَ فى نَفْس الفنَان ولهاً ولذةً وحساً وحركةً وسحراً وإلهاَماً وإيمانا وحَكمةً كذلك نجِدُهُ فى أنفسِ الجماهير عَيْناً بعين .

وكلُّ هذا هو الذى يكسبُ الفَنَان العبقرىَ الجماهيرَ المؤيدةَ له والمشيرة إليه بالأصابع والهاتفة بامجادِه والمـترنمـة الشادية باسمه فى عُليا منائِر العصور والاجيال .

● **ومهما** يكنْ فاقتدارُ الفَنَّان يتَجلّى فى نِتاج فَنِّهِ فإن استطـاعَ أنْ ينقـلَ أحـاسيس نفسه الملتهبة بأشواق الجمال ومفاتنه إلى نفوس الواردين إلى الـواحِ رَسْمِـه وقصائد شعره فإنهُ حينئذ يكون بحَقٍّ الفنـانَ العبقرىَّ الخالد . وهذا هو امتياز الفنان العبقرى الخالد .

● **وإذا** كنتَ تُحِسُّ بوَحشةِ اليباب وسكينةِ المقابر المهجـورة . . وصَـلاَدَةِ الجـلامِـد وسوافِى رِمال الصحراء التى تُعْمِى الأبْصارَ وأنتَ تطالع الفنَّ الرخيصَ فى الألواح الغالية الأطر التى هى كل الفن الذى يزينُ جُدُرانه ، فاعلم أن لا فن تطالعه هنا .

● **وإذا** كنت تسمع نقيق الضفـادع تدمدم فى صممِ قصيدة الشاعر، فاعلم ان الفن الشعرِى بعيداً بعيداً فى إرم ذات العماد أو فى مدينة عَبْقر او فى خيـام عكـاظ . . وقصيـدة الشـاعر فى وادى بغيض ترعى الضَّالَ والسلم ، أو فى مَجْرَى سيل العـرم يَقـذفُ بها طغيانه فى بحر العدم . أو فى أعاصير الربع الخالى لكى تستقر تحت رماله .

● **ومهما** يكنْ فالجماهيرُ فى كلّ بلاد الدنيا تَهْوى الفنون الجميلةَ العبقرية التي تسمو بها الى أمْجاد الإيمانِ والفضيلة وتمقت الفُنونَ التى تنحط بها إلى المَقتِ والإسفـافِ والـرّذيلة والإلحاد فاحْذر هذه وخذْ بتلكْ .

وما أكرم الفنان وما أخلده
مادام يهدى إلى النور
وصدق من قال : أريد كثيرا من النور .



التجربة الشعرية وبناؤها الفنى

بقلم الأستاذ
د. طه عبد الرحيم عبد البر

☼☼☼

أستاذ الأدب والنقد المشارك
الكلية المتوسطة / المدينة المنورة

الأدب أحد مظاهر الفن المتعددة. وهو فن يؤدى الأشياء إلى الناس كما أنه يعبر عن هذه الأشياء «ووسيلته فى التعبير هى اللغة فهو فن فى صورة لغوية جميلة»(١).

فإذا نظرنا إلى الأدب على أنه وسيلة للتعبير عما يجول فى صدر الأديب من فكرة أو عاطفة فإن هذا يرينا العنصر الذاتى.

وإذا نظرنا الى الأدب على أنه وسيلة لتأدية شىء الى القارىء فإن هذا يرينا الناحية الموضوعية للأدب.

والأدب أيا كان نوعه لابد أن يكون صلة. ولكن ما هو الشىء الذى يوصله الأديب الى الناس؟.

إن العالم يريد بكتابته أن يخبرنا بأمور ونظريات.. أما الشاعر فإنه لا يريد أن ينقل لنا سوى تجربته التى عرضت له من فكر أو حادث أو إحساس. «وهو يعبر فى تجربته عما فى نفسه. سواء كان تعبيرا عن حالة من حالات نفسه هو. أم عن موقف إنسانى عام تمثله»(٢)..

ويمثل النوع الأول قصيدة: العودة لابراهيم ناجى والتى يقول فيها:

هذه الكعبة كنا طائفيها
والمصلين صباحا ومساء
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنا غرباء؟
رفرف القلب بجنبى كالذبيح
وأنا أهتف يا قلب اتئد
فيجيب الدمع والماضى الجريح
لم عدنا ليت أنا لم نعد
لم عدنا أو لم نطو الغرام
وفرغنا من حنين وألم
ورضينا بسكون وسلام
وانتهينا لفراغ كالعدم[٣]

فالشاعر يطيل التأمل فى عالمه العاطفى الخاص حين عاد إلى دار أحبابه مدفوعا بحنينه فوجدها مهجورة. وألفى نفسه غريبا عنها بعد أن كانت كعبته بالأمس.

ويمثل النوع الثانى قصيدة لحافظ ابراهيم بعنوان: صوت مصر وفيها يقول:

إن فى الغرب أعينا راصدات
كحلتها الأطماع فيكم بسهد
فاتقوها بجنة من وئام
غيرث العرا وسعى وكد
نحن نجتاز موقفا تعثر الآراء
فيه وعثرة الرأى تردى
فقفوا فيه وقفة الحزم وارموا
جانبيه بعزمة المستعد[٤]



فالشاعر هنا تجاوز حدود ذاتيته الخاصة الى آفاق عامة، وهو يوقع لحن المجد ودعاء اليقظة بنغم شعرى مؤثر.

والأثر الذى يريد الشاعر أن يتركه فى نفوسنا هو أن نحس بالتجربة ونشعر بها وأن نجد فيها متعة، فلا يكفى أن يعطى القارىء الشىء الذى أثار تلك التجربة أو الظروف التى حدثت فيها، بل يجب أن يدلى الشاعر الى القارىء بالتجربة نفسها كاملة غير منقوصة.

فالشاعر الذى يشاهد منظرا من مناظر الطبيعة لا يعطى القارىء تجربته اذا اكتفى بذكر المنظر الذى رآه أو اكتفى بذكر الأحساس الذى شعر به، بل يجب أن يؤدى تجربته تامة الأجزاء لما شاهده وما أحسه معا مرتبطين ارتباطا وثيقا. ذلك لأن التجربة الشعرية إفضاء بذات النفس بالحقيقة كما هى فى خواطر الشاعر وتفكيره فى إخلاص يشبه إخلاص الصوفى لعقيدته ويتطلب هذا تركيز قواه وانتباهه فى تجربته..



هذا

وقد حاول كثيرون أن يشرحوا نوع المادة التى تصلح للأدب والتى لا تصلح له . . والحقيقة أن كل شىء صالح لأن يكون مادة لفن الأدب على شرط أن يتناوله الشاعر كتجربة يحسها . . ولا شىء يصلح أن يكون مادة للأدب ما لم يتناول على هذه الطريقة ويتوقف ايصاله على مقدرة الشاعر أن يجعل من الألفاظ أداة موصلة .

والشاعر

قد تكون تجربته خيالية صرفه وقد تكون واقعية فى جميع أجزائها فقد يقص لنا مثلا حلما رآه أو يصور لنا عشقا أصابه، وأيا كان لون التجربة فلا بد أن تصبح صورة ماثلة لديه ينتشلها من وسط تيار الحياة المتدفق وتبقى حية فى مخيلته، فإذا أراد أن يوصل هذه التجربة فلابد أن يبعث فى نفس القارىء صورة مماثلة لما فى نفسه بواسطة الألفاظ التى تحرك خيال القراء بل وتسيطر على مشاعرهم بحيث تصبح تجاربهم تقليدا لتجاربه بقدر الإمكان . . ولكى ينجح الشاعر فى هذا يجب أن يجعل ألفاظه محاكية لتجاربه، أى أن يجعل منها رمزا لتلك التجارب فيجمع بين مقدرته على التعبير عما فى نفسه بذلك الرمز وبين مقدرة ذلك الرمز نفسه على نقل تجاربه إلى القراء، فما يغنى الشاعر أن تكون عبارته مؤدية لتجاربه فى نظره ما دامت لا تصور تلك التجارب عند القراء .

ومن

الواضح أن الشعراء الكبار لم يستطيعوا أن ينقلوا إلينا أعظم التجارب وأسماها إلا لأنهم رزقوا أكبر مقدرة على التعبير اللغوى .

وأساس التجربة الشعرية الصدق الفنى بمعنى أن يكون الشاعر صادق الشعور والانفعال بتجربته وأن يعبر عما يجده فعلا فى نفسه ويؤمن به، فيكون شعره تعبيرا عن ذاته لا يزيف شعوره ولا يقلد غيره .

واذا انعدم الصدق الفنى بالمعنى السابق فى الشعر فقد قيمته الأدبية كشعر المناسبات الذى يدفع اليه الشاعر لاعن إحساس صادق ولكن لمجرد إظهار البراعة فى القول أو مجاراة لشعور الآخرين . . وكشعر الشعراء المقلدين والمنافقين الذين ينطقون بما لا يؤمنون به تملقا أو رياءاً أو خوفا أو مداراة فيفقد شعرهم حرارة الإيمان التى تمنحه حيوية الأداء وقوة التأثير.

وليس

من الضرورى فى صدق التجربة الشعرية أن يكون الشاعر قد عاناها بنفسه، بل يكفى أن يتمثلها ويقوى شعوره بها وأن يتوافر له من الحس المرهف والمقدرة الفنية ما يمكنه من تصويرها تصويرا حيا مؤثرا . . وذلك كما فى قصيدة هاشم الرفاعى فى معركة «بور سعيد» التى صور فيها بطولة الشهيد السورى(جول جمال) حين هاجم بارجة فرنسية

وحطمها «بطور بيد» من زورقه السريع والتى يقول فيها :

كان الخريف يظلل أحلام الروابى النائمة
والبحر يدرك أن أحداثا ستجرى حاسمة
وتحرك الأسطول يزهو بالحشود الآثمة
وتصفق الآمال فى صدر الجموع القادمة
الفتح والنصر المبين وأمنيات حالمة
وغرورها المجنون يحدوها سترجع سالمة
للرقص عند «السين» والتاميز كانت واهمة
فالشط ما وجدوه مصطافا جميلا كان جمرا
وتراجع الليل الذى نسجوه يوما عاد فجرا
والتاج لم يخلد كما صنعوه بل صغناه نسرا
والشعب لم يركع كما عهدوه بل وجدوه حرا
فليرسلوا بجنودهم وعتادهم جوا وبحرا
إنى هنا فى شاطىء البارود قد أعددت قبرا
لن يأخذوا مصرا فإنىقد صنعت اليوم مصرا»

فالشاعر لم يشهد المعركة ولم يعان هذه التجربة بنفسه ولكنه تخيلها وتمثلها واستغرق فيها بشعوره وفكره وخياله إلى المدى الذى جعله يقف موقف البطل ويعانى التجربة بكل وجدانه، فأتيح له أن يصور ملامح شخصيته وينقل إلينا عالمه النفسى ويعبر عن خواطره وهو يقتحم الخطر بمغامرته الجريئة لتحطيم البارجة الفرنسية الضخمة.

وهكذا يتضح لنا أن الصدق فى التجربة الشعرية يتحقق حين يكون الشاعر مخلصا لتجربته أمينا فى التعبير عنها.. والشاعر الممتاز هو الذى تتضح تجربته فى نفسه ويقف بفكره على أجزائها ويرتبها ترتيبا سليما قبل أن يكتبها.. ومهما تكن التجربة عاطفية فإنها لا تبعد عن الفكر الذى يصحبها وينظمها ويساعد على تأمل الشاعر فيها.

وليس معنى وجدانية التجربة الشعرية أن الشعر مجرد عن الفكر.. فالشاعر حين يصور تجربته ويعبر عن ذاته، يعبر فى الوقت نفسه عن موقفه تجاه الحادث الذى أثر فيه أو المشهد الذى انفعل به، وهو بذلك يقدم لنا آراءه وأفكاره حتى ولو لم يقصد الى ذلك عمدا.

وبقدر ما يتاح للشاعر من خصب الفكر وعمق النظرة يتجاوز شعره حدود مكانه وزمانه، فيؤثر فيمن لا تربطهم به رابطة الإقليم أو العصر.. لكن الأفكار لا تساق فى الشعر سوقا تقريريا بل تأتى عبر وجدان الشاعر. فالشعر غذاء العقل والروح معا، والشاعر الحق هو الذى يفكر بوجدانه ويشعر بعقله، أى يمزج الفكر بالعاطفة حتى يتحقق لشعره الخلود ويتم له الترابط الفكرى والشعورى، فإذا زادت العاطفة غلب عليه الانسياب العاطفى، وإذا زاد الفكر أصيب بالجفاف وتحول إلى نظم لا روح فيه.. ومن هذا اللون بعض الحكم التى ترد لبعض الشعراء غير ممتزجة بشىء من تجاربهم النفسية كقول أبى العتاهية من أرجوزته المعروفة بذات الأمثال:

ما انتفع المرء بمثل عقله
وخير ذخر المرء حسن فعله
إصحب ذوى الفضل وأهل الدين
فالمرء منسوب إلى القرين
لا تذهبن فى الأمور فرطا
لا تسألن إن سألت شططا



وهكـذا فقـدت التجـربة روح الشعر وحرارته وخـرجت من نطاقه . . ولكن الحكمة إذا امتزجت بتجربة الشاعر الذاتية ظلت فى نطاق الشعر كما فى قصيدة البارودى «فى سرنديب» والتى يقول فيها :

صبرت على كره لما قد أصـابـنـى
ومـن لم يجد منـدوحـة فهـو صابـر
ومـا الحلم عنـد الخطب والمرء عاجـز
بمسـتـحـسـن كالحـلم والمـرء قـادر
ومــن لم يذق حلو الـزمـان ومـره
فما هو إلا طائش اللـب نافـر

فالبارودى وقع على وتر الحكمة دون أن ينفصل عن عالمه النفسى الذى يموج بهمومه وأشجانه موزعا بين يأس ورجاء فلم تعد فكرا محضا . . والإدراك الوجدانى للأفكار عن طريق الشعر يصل الحقائق بالعواطف الإنسانية العامة التى يشترك فيها الإنسان فى كل زمان ومكان .

فإذا أحس شاعـر كنـاجى بالأسى العميق عنـد عودته الى ديار أحبابه وصور هذا الأسى فى قصيدته التى سبق أن أشرنا إليها فى صدر هذا البحث فإن القارىء المتذوق يشاركه انفعاله وإن لم يمر فى حياته بمثل هذه التجربة لأن جوهر الأحساس بألم الحرمان غير محدود بهذا الموقف . .

وبهذا يتضح لنا أن أشد التجارب الشعرية تأثـيرا تلك التى تجمـع إلى صدقهـا الوجدانى عمق الفكر وخصبه . . لأنها حينئـذ تحلق فى آفـاق رحبـة فسيحـة وتسمو الى مستوى إنسانى عام . .

المراجـــع

(١) Richards: Principles of literary criticism P.64 London 1964.

(٢) Goodman: The Structure of literature P.76

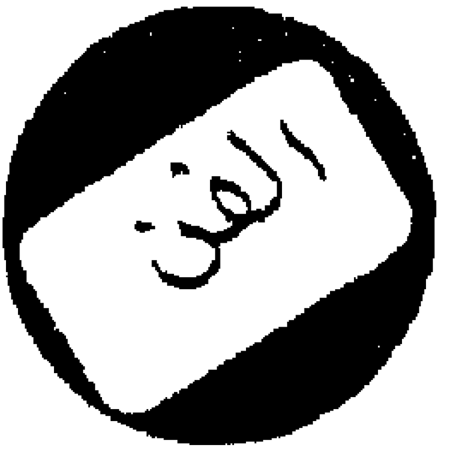
(٣) ديوان ابراهيم ناجى «وراء الغمام» ص٥٣ بيروت دار العودة لبنان .

(٤) حافظ ابراهيم : الديوان . المطبعة الأميرية . القاهرة ط٢ ١٩٥٦

(٥) محمد كامل حته : هاشم الرفاعى الشاعر الشهير ص٥٥ دار المعارف بمصر ١٩٦١

فن فى

بقلم الأستاذ المحقق
روكس بن زائد العزيزي
عضو مجمع اللغة العربية بالأردن



هو المعرفة العملية . . والمثل هو القول المحكى، السائر، الذى يقصد به تشبيه حال الذى حكى عنه، بحال الذى قيل من أجله. ويقسم المثل - اصلاً - الى قسمين:

١ ـ المثل الحقيقى.
٢ ـ والمثل الفرضى.

فالمثل الحقيقى، وضع بناءاً على حادثة، وقعت فعلا، ولخصت قصتها تلخيصاً حصيفاً، لغرض، أو لأغراض منها:-

أ ـ *تعليم فن الحكمة*.
ب ـ *الموعظة*.
ج ـ *فن الفطنة*.
د ـ *أو فن التهذيب*.
هـ ـ *أو اتخاذ العبرة والدروس العملية*.

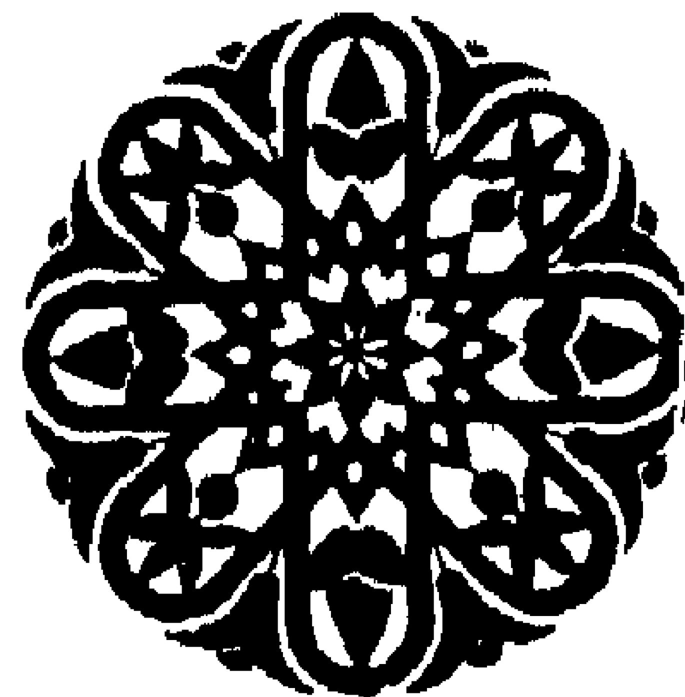


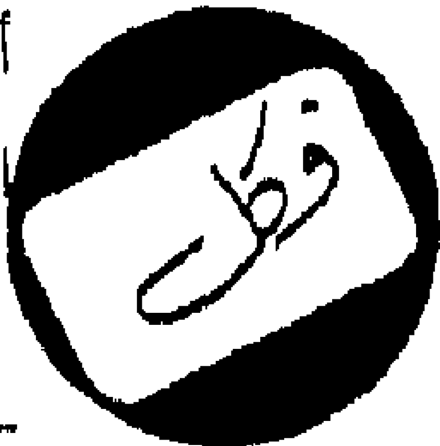
الفرضى لا يقل أهمية ولا قيمة عن المثل الحقيقى ولعله ـ فى بعض الأحيان ـ يبذ المثل الحقيقى لما فيه من ابتكار عبقرى وخيال مجنح لأنه يبنى على قصة خيالية يستخلص منها المثل الفرضى لأغراض منها:

أ ـ *التخلص من موقف حرج*.
ب ـ *أو التعريض بطاغية مستبد*.
ج ـ ***أو التلميح إلى اوضاع سيئة يعانى منها ضارب المثل. لا يستطيع أن يصرح بنقدها نقداً مباشراً فيعمد الى التعريض والتلميح من بعيد.***

وهناك نوع من الأمثال، وهو المثل التشبيهى الذى يشبه حالة بحالة، مستخدماً احد فنون التشبيه صورة له:

١ ـ *التشبيه المرسل*.
٢ ـ *التشبيه المؤكد*.
٣ ـ *التشبيه المجمل*.
٤ ـ *التشبيه المفصل*.
٥ ـ *التشبيه البليغ*.
٦ ـ *وتشبيه التمثيل*.
٧ ـ *والتشبية الضمنى*.





أنواع التشبيه يمكن استخدامها فى سو
الأمثال.

وليس هنالك من شعب أو أمة خل
حياتها من الأمثال بانواعها لقيمة الأمثال

ولكى نعرف للأمثال قيمتها، الحقيقة يجب علينا أ
نعلم أن الأديان السمائية اولت الامثال قيمة عظمى منها
هو للموعظة ومنها ما هو للتهذيب ومنها ما هو لتعلي
الحكمة، ومنها ما هو للترغيب والترهيب، الأمر الذى يدل
على قيمة الأمثال فى الحياة، ولولا الامر كذلك ما اهتمت
بها الأديان السمائية والكتب المنزلة كل هذا الاهتمام وحسب
أن نقرأ كتاب (الامثال فى القرآن الكريم، للعلامة الأشه
(ابن قيم الجوزية) لندرك ما للأمثال من قيمة، عند الله
والناس ولله در من قال:

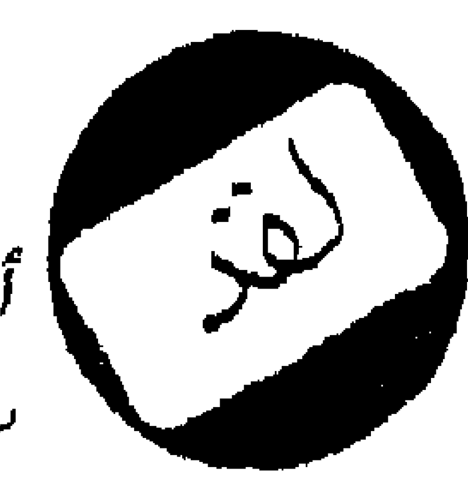
«نحمد من علمنا الامثالا»
نسوقها فى قوله تعالى

الى غير هذه الفنون ، من الفنون العملية في الحياة .



ما تقـدم نرى أن الأمثال هي الوسيلة العظمى في دراسة المجتمع الإنساني وتصوير حياته بلا أقل تزييف، وهي دعامة لدراسة تطور المجتمعات الأنسانية .

وعندي ـ إن كان لي عند، كما يقول (الجاحظ) ان الامثال الشعبية لا تقل قيمة في اتخاذها او اعتبارها عنصراً مهما جداً في دراسة عقلية الشعب وفن الحكمة الفطرية، وفن البلاغة في هذا الإيجاز الحصيف المرتب، وقديماً كان فن الإيجاز من صدور او تعريفات البلاغة فقيل: البلاغة في الإيجاز والإيجاز المقنع هو البلاغة.



عرضنا في هذه اللمحة الموجزه لاعتبار فن الأمثال مدرسة تعليم :

أ ـ فن الحكمة .

ب ـ وفن الموعظة .

ج ـ وفن الفطنة .

د ـ وفن التهذيب .



أن نبين السبب في تعدد الروايات في المثل الواحد، فالذى نراه ان سريان المثل بين الأقوام وتناقله شفهياً عرضه لتلك الروايات المختلفة وهذا الاختلاف نفسه هو عندنا برهان أو شهادة على قيمة المثل. . حتى الأمثال الشعبية كثرت فيها الروايات المختلفة والغرض واحد ومنشأ فقهها واحد، وقد رأينا من ذلك صعوبات كثيرة ونحن نجمع ونحقق:

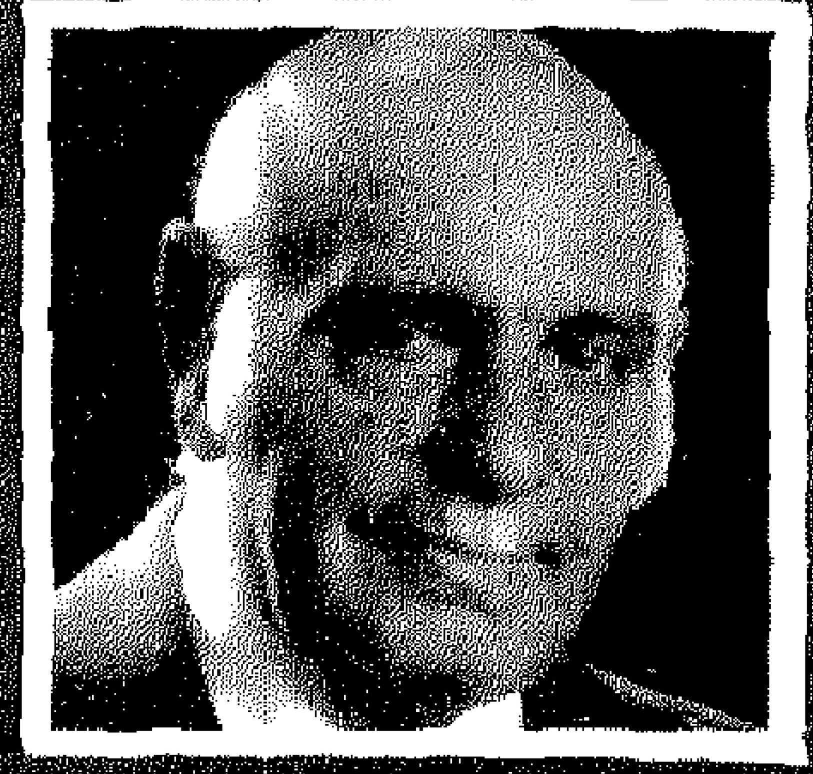
أ ـ مادة كتابنا قاموس العادات واللهجات والأوابد الأردنية بأجزائة الثلاثة.

ب ـ ومادة كتابنا (معلمة للتراث الأردني) باجزائه الخمسة.



أنه لا سبيل الى تقصى كل الاختلافات في رواية المثل الواحد فاثبتنا ما صح عندنا انه الأصوب.

بقيت في النفس أمنية. . وهي لو أتيح لامثالنا العربية أن تدرس وتصنف تصنيفاً تاريخياً لتتم الفائدة العظمى منها



الحكمة الأمثال

طاهـرة طاهـر من نبـوة
زاهـرة كجنـة من ربـوة»



خير ما نقدم انموذجاً على قيمة الأمثال بعد الكتب المنزلة :

أ ـ كتاب كليلة ودمنة في الامثال الفرضية .

ب ـ ومجمع الأمثال للميداني في الأمثال الحقيقية .

ومما تقدم ، ندرك عبقرية الفن في الأمثال، على اعتبارها مدرسة لهذه الفنون :

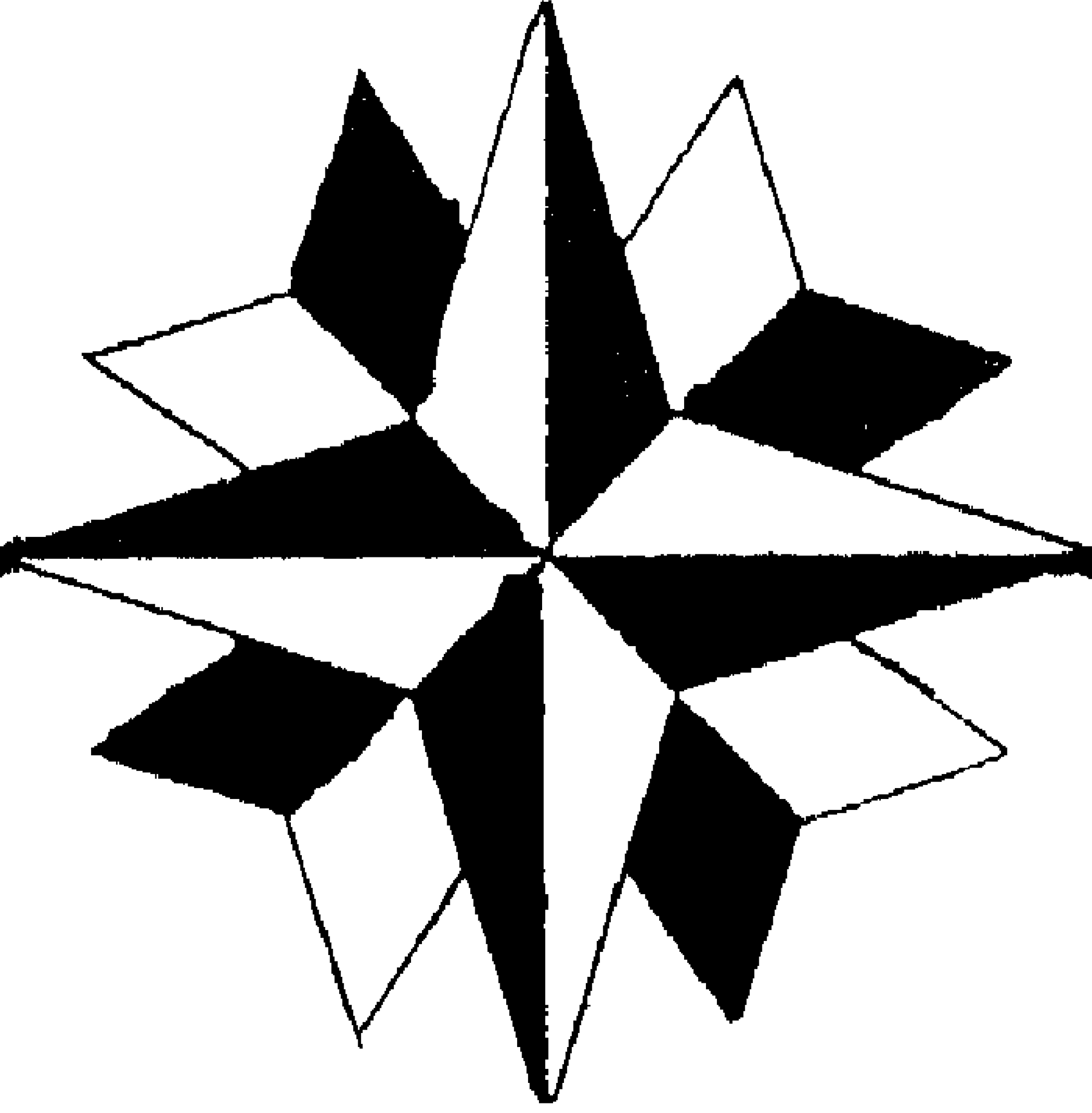
أ ـ فن الحكمة .

ب ـ فن الموعظة الحسنة .

ج ـ فن التهذيب والتأديب .

د ـ فن العبرة .

الصور في شعرنا



الفن مثله مثل العلم يستمد نموه من الاهتمامات التى تحلق حوله، ممثلة فى ايجابيات التلقى له، وهى اهتمامات تندرج فى مدارج الجمال الذى هو قوام كل فن أو قوام الحياة الفنية عامة.

إن العمل الفنى أثر تابع لعملية يدفع اليها هيكل جمالى دفعاً مباشراً.. نجار الموبيليا.. جامع التحف.. مدير المتحف.. كاتب تاريخ.. دهان جدار.. نقاش.. رسام.. لا يستطيع أحد منهم أن يستقطب اهتماماً إيجابياً إن لم يكن عمله مميزاً بإطار فنى له استقلاله الجمالى وفيه دلالة على ان العمل سبقه استمتاع على نحو أو آخر بمزية الجمال.

اننى مثلاً أكتب هذا الموضوع بعد أن استجابت صور الفكرة لى إثر تأمل كان فيه استمتاع ولذة فكرية، ولكن الفنان الرسام والفنان الموسيقى والفنان المغنى والفنان الشاعر، يصبح هذا التأمل عندهم حالة إندماجية مع الجمال الماثل أمامهم وهى حالة لا يستطيع الكاتب المفكر معايشته، كما أن الفنان لا يستطيع أن يعايش الاستمتاع التحليلى المعقد الذى يعايشه المفكر، لا يعنى قولى ان الفنان فاقد القدرة على معايشة الاستمتاع التحليلى المعقد وإنما يعنى ان معايشته لهذا النوع من الاستمتاع سيفقد فنه الكثير من الرؤية الجمالية التى تعطيها المعايشة الاندماجية للجمال.

وأقرب مثل لهذا شاعرنا العربى (أبو العلاء المعرى) فإن شعره فى (سقط الزند) غير شعره فى (لزومياته).

فهو يعايش الجمال معايشة اندماجية فى قوله:

ولقد ذكرتك يا أمامة بعدما
نزل الدليل إلى التراب يسوفُه
والعيس تعلن بالحنين إليكمُ
ولُغامها كالبِرسِ طار نديفُه
فنسيتُ ما كلّفتِنيه وطالما
كلفتنى ما ضرّنى تكليفُه
وهواك عندى كالغناء لأنه
حَسَنٌ لدىّ ثقيلُه وخفيفُه

الفنية
المعاصر

بقلم الأديب الباحث
محمد عبدالله مليباري



فى هذا القـول عايش المعرى التأمل الجمالى الأندماجى بعيداً عن التحليل المنطقى أو الفلسفى فكان فيه استجابة لاهتمامات المتلقى التى تلتمس الجمال فى أى أثر فنى .

أما قوله :

أهـاتـفـة الأيـك خلىّ الأنـام
ولا تَشْلُبيـه ولا تمدحـى
وإن كنـت شاديـة فاصمـتى
وان كنـت باكيـة فاصدحـى
كَدَحْنا لِفانيـة حُلْوَةٍ
فكيـف نلومـك أن تكـدحى

كان التحليل الفلسفى والكدح فى الدنيا الفانية يطغى على التأمل الوجدانى الاندماجى مع الجمال فتوارت عن الأثر المتعة الوجدانية .

إن نسج المصالح الجمالية مع المصالح الادراكية والفكرية ينزع من الأثر الحساسية الجمالية والمتعة والتجربة المشتركة للناس العاديين مع الفنان.



والناس العاديون هؤلاء هم المتلقون فلوعيهم وادراكهم واستجاباتهم أثره فى تكوين الفنان ومكوناته الفنية .

لقد اعتدنا أن نقول لم لا يردد الناس فى مجالسهم بيتاً من الشعر لمحمد حسن فقى أو طاهر زمخشرى أو محمد حسن عواد أو حسن عبد الله قرشى أو غازى القصيبى كما يرددون بعض أبيات امرىء القيس وعنترة وأبى تمام والبحترى وابن زيدون وشوقى والشامى وغيرهم من الشعراء القدامى وشعراء النهضة العربية .

اعتدنا أن نقول ذلك ثم اعتدنا أن نرد على قولنا بان شعر شعرائنا لم يصل بعد الى مستوى شعر اولئك ، لذلك لم تجد المجالس ما ترده من شعرهم .

والواقع الدراسى ينفى هذا الزعم ، فقد دلتنى الدراسة التحليلية ان السبب الرئيسى لترديد بعض ابيات الشعراء القدامى جاءت نتيجة تداولها بين المتلقين فى مهدها يوم قيلت وانتقالها رواية واستشهاداً وساعد على ذلك الاستعداد الفطرى عند العرب على التلقى والرواية فالاستشهاد.

ثم جاء الإسلام فنمى هذا الاستعداد لاسيا أثناء الحركة العلمية الكبرى التى عايشتها الحضارة الاسلامية وتبلورت فيها العلوم الشرعية واللغوية كالفقه والتفسير والنحو والبلاغة .

إن التفسير كان له النصيب الأوفر فى إشاعة روح

الترويد للشعر بين المسلمين، فقد عمقت استشهاداته بالشعر العربي في كثير من قضايا التفسير أصالة الترويد للشواهد الشعرية في احساس الفرد العربي المسلم.

وكذلك علوم العربية من نحو وصرف وبلاغة وعروض اعطت للشعر وجوداً في اوساط متلقيها (العلوم) بالشواهد التي كان العلماء يستشهدون بها في تقريب وجهات النظر العلمية الى المفهوم.

هذا بالنسبة لشعر شعراء العصور المتقدمة للإسلام وشعراء العصور الأولى بل القرون الأولى للدولة الأسلامية.

أما بالنسبة لشعر شوقي وحافظ والشابي وأضرابهم فقد كان للانبعاثة العربية تأثيرها في نقل شعر هؤلاء الى ألسنة المرددين والمتلقين له لان العصر الذي عايشه هذا الشعر كان عصر انبعاثة أذكت في النفس العربية مشاعر التمازج الذاتي بين كل الطبقات، فكان ترديد الشعر الذي يحقق هذا التمازج في اي قضية من قضايا الانبعاثة العربية تجسيدا تعبيرياً لهذا التمازج.

قم للمعلم وفّه التبجيلا
كاد المعلم ان يكون رسولاً

بيت نردده دائماً لانه جاء في وقت انبعاثه التعليم على يد المعلم العربي.

والأم مدرسة اذا اعددتها
اعددت شعباً طيب الأعراق

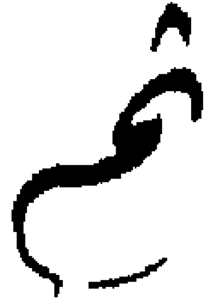
بيت آخر نردده دائما لانه تردد كثيراً في اوساط متلقيه الذين كانوا يتطلعون الى نهضة نسوية.

وابيات من شعر الشابي تعيش في الأوساط والمجالس لانها جاءت عن طريق متلقيها الثائرين في وقت أحس فيه الوجدان العربي بالثورة لترسيخ ذاته التي طمرتها الحركات الأستعمارية.

اذا الشعب يوماً اراد الحياة
فلا بد ان يستجيب القدر
ولابد لليل ان ينجلي
ولابد للقيد ان ينكسر

ومنها:

فلا الأفق يحضن ميت الطيور
ولا النحل يلثم ميت الزهر



ثم جاءت مدرسة ابوللو، فكان لشعرها وجود لانها ثارت على التقليد. وكان لشعر نزار القباني والبياتي واضرابهما وجود نوعي بين بعض الأوساط لانهم عرفوا كيف يتمازجون بفنهم مع نوع من المتلقين له، وجاءوا بأنماط تحقق الاندماج الفني مع الوجدان المتلقي لشعرهم.

إذن فان ترديد بيت أو أبيات من شعر شاعر ليس له علاقة كبيرة بجودة الشعر أو تفاهته، وإنما هو ناتج عن مدى المشاركة الوجدانية للمتلقي فقول شاعرنا القديم:

ربابة ربّةُ البيت
تصبُّ الخلَّ في الزّيتِ
لها عشرُ دَجاجات
وديك حَسَنُ الصوتِ

وجد من متلقيه ترديداً لتفاعله مع الوجدان الساخر لا لتأثيره الحسي في النفس أو لروعة مضامينه، والتأثير الحسي نابع من توقع الحس سواء حصل ما توقعه او لم يحصل، وهو توقع لا شعوري ينجذب خلف تتابع المقاطع الفنية فيهرع الحس لتلقي ذلك التتابع وهو من أهم خصائص الشعر بعد الموسيقى او الجرس.

مثلا لا يتردد في مجالسنا مقطع او بيت من قول السياب في قصيدته خذيه.

وكان دروبي خيوط اشتياق
ووجد وحب

الى منزل فى العراق
تضىء نوافذه ليل قلبى
الى زوجة كان فيها هنائى
وكانت سمائـى
كواكبها ترسم الدرب دربى

رغم أن القول استوفى كل مقومات الشعر من جرس وتوقع لتتابع وتشكيل للألفاظ تشكيلا شعرياً ولكن الذهن لا يستطيع الاحتفاظ الاّ بالصور التي فيه، اما الاحتفاظ بالقصيدة او بمقطع منها شكلاً وقالباً ولفظاً فهو امر تقتضيه معاناة كما يقتضيها اى نص نثرى.

فالشعر إذن تشكيل للألفاظ واستخراج قوة مدخرة فيها بوضعها داخل اطار الموسيقى والتوقع المتتابع.. لا تستطيع الألفاظ أن تعطيك شعراً، ولا الموسيقى أن تعطيك شعراً ولا التوقع فيما أمامك من معانٍ يعطيك شعراً بل لابد ان يتمازج ذلك كله فى القول حتى تأخذ شعراً.

لقد حاول (ابن قتيبة) ذات مرة نثر أبيات من الشعر ليضع أمامه واقعاً جديداً يدلنا على البون الشاسع بين الشعر والنثر هذه الأبيات هى:

ولما قضينا من مِنى كل حاجة
ومسّح بالأركان من هو ماسح
وشُدّت على حُدب المَهارى رحالنا
ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا باطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطِىّ الأباطح

نثر هذه الأبيات قائلا: (ولما قضينا ايام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر من غدا الرائح، ابتدأنا فى الحديث وسارت المطى فى الأبطح [انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة: ٩-١٣].

وخرج من تلك التجربة بحقيقة تقول: إنه ضرب من الكلام حسن لفظه وحلا، معنى هذا انه نفى عنه صفة الشعر، وهو حق، فالمعنى فى هذا النثر والألفاظ والتوقع كله واحد، فما الذى نقصه، نقصه الموسيقى والتطابق الوجدانى فى الاستمتاع فنيا، والاندماج مع الجمال الذى تضفيه الموسيقى على هذا الكلام نفسه فى الشعر.

وفى ذلك يقول إليوت: (إن الشاعر يصل الى حدود الوعى، ثم يتجاوزها الى عالم لا تستطيع الكلمات المنثورة ان تبلغه، وانما تبلغه الكلمات المنظومة فهذا العالم الذى يتعدى حدود الوعى له معنى ولكن معناه يبلغه الشعر وحده بكلماته ذوات الموسيقى الشعرية).

الكلمات صماء. ولكنها عندما تنتقل الى العالم خارج حدود الوعى تتحرك بنبض وهذا النبض نسميه شعراً.. هو ينقل لك معانى يعجز النثر أن يأتى بها حتى بنفس تلك الكلمات المستخدمة فى الشعر ولنفس المضمون.

ظن بعضهم أن موسيقى الشعر غير الإيقاع وقالوا عنها انها تعتمد على الوزن الخليلى، التفعيلات والبحور الشعرية، وهو ظن صنعه عندهم ما يسمونه «الإيقاع» وهو الحركة الداخلية التى ترسم الخلجات الشاعرية والواقع ان الإيقاع نفسه عامل من عوامل تكوين الموسيقى الشعرية وهو بمفرده لا يعطى الخلجات الجرس لأنه من الموسيقى الشعرية، بمعنى أن الموسيقى الشعرية هى ما تكونت من الخلجات الشعرية ونبض اللقطة الممتزجة بوحدة حركات التفعيلات وبحور الشعر.

وسنرى فيما سأنقل من شعر بعض شعرائنا السعوديين مدى تكاملها فنيا و«تِلْعَابيته» اى إشارته الجزئية للحياة الحقيقية كتركيبة فنية الى جانب الشاعرية التى تمسك بالعواطف عند درجة حرارة تصل الى ما يقرب من نقطة الذوبان.

وسأنقل مقاطع - من شعر- من سأنقل شعره متتابعة ثم اشير الى الفنية وموطنها فيما انقله أجمالاً او انفراداً.

يقول شاعرنا «محمد حسن فقى» فى قصيدة عن رمضان نشرها المرحوم الشيخ عبد القدوس الانصارى فى كتابه «الصيام. . وتفاسير الأحكام»:

رمضان هذى مكة وبطاحها
تشدو بذكرى طيبة وقباء
فتصيخ للتطريب منه وتنتشى
نجد بغير تواجد وبكاء
بل بالسيوف تجيش فى اغمادها
شوقاً تعيد به فخار حراء

ويقول شاعرنا «حسين عرب» فى قصيدة عن رمضان أيضا نشرت فى نفس الكتاب الآنف ذكره:

بشرى العوالم أنت يا رمضان
هتفت بك الأرجاء والأكوان
والشعر والأفكار وهى عتية
ينتابها لجلالك الأذعان
لك فى السماء كواكب وضاءة
ولك النفوس المؤمنات مكان

ويقول حسين سرحان فى ديوانه «الطائر الغريب»:

يا فاتنى فى الحالتين
على اليفوعة والشباب
واليوم أقمر عارضى
والشعر من فودى شاب
فى ست عشرة حجة
سوداً كخافية الغراب
شرقت أو غربت واعتـ
«م»ـض ابتعاد باقتراب
منى السلام فان رددت
«م»ت أو استهنت فلا عتاب



ويقول ابراهيم فلالى فى ديوانه «طيور الأبابيل»:

يا من تنمر للوجود كأنه
رب الوجود وليس يدركه البشر
أتظن جلدك وهو أبيض ناصع
صنعته آلهة الضياء من القمر
اما الذين تنوعت ألوانهم
فمن التراب وصنع آلهة أخر

اتــرك تهاويــل الـضــلال ولا تكن
في معبــد الطغيــان طاغــوتــاً أشــر

ويقول طاهر زمخشري في ديوانه «حقيبة الذكريات»:

ففـي الطـيــات رفــاف طـروب
ينــاغــم رجـعــه الـشــادي الهـزار
ويـسـكـب ذوب انـفــاسي نشيــداً
له في كل خافــقــة قرار
وفي الــعــمــر المـديــد له ظلال
ومــلء الــفــيء آمــال كـبــار
بها أمــشــى على كبـد الـليــالي
ولا يثــنــى الخطى مني الـعـثــار

صور شعـرية ناضجة مكتملة فيها ابتكار، والابتكار هو مقياس الفنان في اي فن، وان لم يكن هناك ابتكار فليس هناك فن او فنان.

إن القالب الأدائي لهذه الصور قالب تقليدي والقالب التقليدي في شعرنا العربي هو القالب الذي صمد امام تحديات الثورات التجديدية عبر العصور.

ان كل التحديات التي واجهت القالب التقليدي لم يستطـع ان يعين ذاتاً مغايرة تماماً عنه، فالتشطير والتشجير، والتخميس والضرب على تفعيلة واحدة تقليـداً للشعـر الأسباني في الأنـدلس كانت فيـه تشكيلات فنية جديدة ولكنها كلها لم تستطع ان تخرج عن دائرة القالب التقليدي والتمرد على قيوده الفنية من بحور وتفعيلات وروى وقافية.

والقالب الفني الجديد الذي مارسته الحاسة الشعـريـة المعاصـرة بالخروج عن بعض القيـود التقليـدية لم يستطع الاستغناء عن التفعيلة وبعض الأضرب، ومكونات المقاطع.

إذن التمسـك بالقـالب القـديم لا يعتبر جموداً تقليدياً، وانما هو اصالة فنية وتلك التي نجدها فيما قدمناه هنا من مقطوعات شعرية.

ولعل هذا التمسك لم يقضِ على إرادة الابتكار عنـد الشعـراء الـذين قدمتهم هنا، فإرادة الابتكار عندهم متمكنة.

● فالشاعر محمد حسن فقي استطاع في بيتين ان يشير الى امجـاد مكة وطيبة وقباء ونجد، امجادها التاريخية وامجادها العصرية بمعنى غير مباشر، وانما يحس به القارىء كالرائحة الذكية التي ينفح بها الزهر.

● وحسين عرب يهيىء الذهن من اول بيت في شعره لتوقع ثورة روحية، وحسين سرحان يعتبر ابيضاض الشعـر على فوديـة وعـارضيـة إقـماراً، وهويرى في المشيب لا مبـالاة بضجيج الحياة، فالرد والاستهانة سيـان، وابراهيم فلالي رحمه الله يقاوم العنصرية، عنصـريـة الجنس الأبيض، ضد الملونـين في صور تلمسك قسوة البيض وتنمرهم وطغيانهم.

والمشى على كبد الليالي الذي لا يثنى خطاه اي عثار صورة مبتكرة يطالعنا بها شاعرنا بابا طاهر «طاهر زمخشري».

ابتكار وتجديد في المعاني، واكتمال لكل مقومات الفن، ذلك ما يطالعنا به مرورنا العابر بالشعر الذي نقلناه.

حقيقـة واحدة هي ان غياب الحاسة الفنية لدى المتلقي في بلادنا للشعر او اي فن آخـر، هو واقـع مؤلم يعيشه الفن في بلادنـا، فعلينا أن نربي تلك الحاسة بل علينا بناؤها بناءاً متكاملاً في نفوس المتلقين حينئذ فقط يجد الفن مجاله الطبيعي للظهور.

فن الملاحم

ونصيب العرب والمسلمين منه

عرفت شعوب الأرض فى التاريخ القديم فن الملاحم أو كما يترجمه الغربيون: Epic Poetry (1) (اى شعر الملاحم) وعرّفه النقاد بأنه الشعر الذى يقص أنباء المعارك والبطولة والأبطال على نحو ساذج خال من التعقيدات العقلية (2) والفنية.

وقد كان فن الملاحم مشتهراً ومزدهراً فى فجر التاريخ القديم، وحظى فن الملاحم عند اليونان خاصة بازدهار خاص فاق فى شهرته ما عرفته الأمة اليونانية من بقية الفنون الشعرية ونقصد بها الشعر التمثيلى والغنائى. وكان من حظ الشعوب اليونانية أن حظيت بعدة شعراء كانوا مجهولى الهوية والاسم فأنشدوا تاريخ اليونان فى ملحمتين شهيرتين هما: الالياذة والأوديسة The Iltad and The Odyssey

وهما من أوائل فن الملاحم بل هما قمة فن الملاحم كذلك.

ولقد ثبت عند الباحثين أن هاتين الملحمتين لم يبتكرهما شاعر بعينه بل ساهم فى إنشاء اجزائهما عدد غير قليل من الشعراء الشعبيين، وسنحت الفرصة بعدهم لشاعر شك الباحثون المتأخرون فى وجوده التاريخى ألا وهو: «هوميروس» فضم هومر أو هوميروس الأجزاء المنظومة المنشودة قبله بعضها إلى بعض ويظن أنه أضاف إليها من فنه الشعرى وأنشد ما تبقى من أناشيد الملحمتين. وبقيت حلقات تلك الملحمتين متداولة بين الناس ينشدوها حتى قيض لتلك الملحمتين من يدونها فى القرن الخامس قبل الميلاد، ثم نسبتا إلى آخر من ساهم فى بنائها ألا وهو: هوميروس المشكوك فى وجوده التاريخى (3)

بقلم الدكتور
محمود بن حسن زيني
✲✲✲
أستاذ الأدب العربي
بجامعة أم القرى
قسم الدراسات العليا



وتحكى ملحمتا الالياذة والأوديسة اليونانيتين جزءاً من القصة الكاملة للحروب الطاحنة التى تأججت نيرانها وحمى وطيسها بين الشعب الاغريقى وسكان مملكة طروادة فى آسيا الصغرى وأكلت تلك الحروب الأخضر واليابس وأفنت من الشعوب والأفراد ما لا يحصى عدده، إذا استمرت فيما يقال: أكثر من قرن من الزمان بدءاً من القرن الحادى عشر إلى القرن العاشر قبل الميلاد.

ولقد أشعل نيران تلك الفتنة بين الشعبين حادث غزو سطور تمثل فى قيام أمير من أمراء مملكة طروادة باختطاف هيلانة زوج منلوس ملك اسبارطة وذلك فى رحلة بحرية قام بها إلى اليونان. وكان باريس ابن بريام بفعله هذا كارثة على قومه وعلى بلده وأتى من الإثم ماجرّ إلى قتل ذويه وبنى جلدته وأفضى عمله الآخرق باختطاف هيلين أو هيلانة ابنة زيوس الغزل زير النساء، إلى سقوط طروادة (ايليوس) فى أيدى اليونانيين(٤)

وشبيه بهذا النزق الإغريقى ما كان يفعله المتهورون فى التاريخ الجاهلى قبل الاسلام. فلطالما أشعلوا نيران الفتنة وأججوها بين القبائل وحمى وطيس تلك الحروب الضروس التى ربما دامت نصف قرن كأيام بعاث وغيرها من الأيام الكثيرة فى تاريخ العرب القديم والسبب فى ذلك كله سطور وغزو أو نهب وسلب لناقة أو فرس أو اعتداء على شخص أو فتاة، ولكن تلك الحروب على الرغم مما خلفته من شعر كثير لم تكن سببا كافياً فى نظر النقاد لتمكين العرب أو تأهيلهم لأن يكونوا من أصحاب الملاحم . . .

أما الحروب اليونانية فقد خلفت ملحمتين عظيمتين هما الالياذة والاوديسة المنظومتان فى آلاف مؤلفة من الأبيات الشعرية الامر الذى جعل مستشرقاً فرنسياً متعصباً وهو ارنست رينان Ernest Renan فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى يعتقد فى قرارة نفسه بأنه لو مرّ على عهده ألف عام انقرضت جميع التأهيت التى بين يديه ولم يبق له إلا كتاب واحد هو ديوان هوميروس(٥) لكفاه.

بيد أنه على أية حال قد اختلف الباحثون الغربيون قبل غيرهم وانقسموا على أنفسهم إزاء هاتين الملحمتين إلى فريقين لا ثالث لهما فريق يشك فى حقيقة الالياذة والأوديسة ونسب أناشيدها وينكر وجود شاعرها هوميروس وفريق آخر يثبت وجودها ووجود أناشيدها وشاعرها هومر(٦)

وكان نصيب الرومانيين من فن الملاحم أقل بكثير من نصيب اليونانيين. واقتفى فرجيل شاعر روما فى سبيل انشاء الملحمة الرومانية، أكثر

اليونانيين فى ملحمتيهم الشهيرتين، هذا ولم يكن لفرجيل من القدرة والبراعة والقدرة ما يؤهله لأن يكون كشعراء اليونان فى انشاء الملحمة يضاف إلى ذلك كله أن الباحثين لم يجمعوا على علو شأن الملحمة الرومانية وأنهم على النقيض من ذلك يؤثرون عمل اليونانيين على عمل الرومانيين فى هذا المجال .

وقصة الانيادة AENEID أنها لم تكن قصة حروب ضروس دامت قرنا من الزمان أو أقل أو أكثر وإنما هى قصة شخصية لجدهم الأكبر البطل أنياس أو أنيوس Aeneas (٧) وقيامه بتأسيس مدينة روما للإيطاليين ووصف معاركه الخاصه ومغامراته وهى قصة شابها الخيال ولعب دوراً كبيراً فى نسجها وصياغتها وأفكارها وقد كان البطل الرئيسى فيها هو انياس الذى سميت باسمه الانياده لفرجيل.

وإذا ما تركنا الرومانيين واتجهنا إلى غيرهم ووجدنا الهندوس من الشعوب القديمة التى كان لها نصيب من الملاحم فى موروثها الشعرى. واشتهرت الهند بملحمتين شهيرتين كانت الأولى باسم Ramayana (الرامايانا) وهى باللغة السنسكريتية للشاعر الهندى كالميكى ويعود تاريخها من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد، وقد بلغ عدد أبياتها الشعرية ثمانية وأربعين ألف بيت(٨)

وهى قصة اسطورية خرافية تدور أحداثها مع بنى الانسان من جهة ومع بنى الجان من جهة أخرى.. ويبدو أن بطلها الرئيسى (راما) وهو الابن المدلل للملك (أوده) قد ساء خلقه وتنكر للنعم والجاه والمال الذى اغدقه عليه أبوه فشق عصا الطاعة على والده ووقع فى غرام غريب مع أم أخيه «بهراتا» فقال له أبوه الصاع صاعين وغضب عليه ونفاه من البلاد.

وبعد عودة (راما) من المنفى فى غابات «دانداكا» عاد إلى البلاد ليتولى الحكم فيها.. وهنا تبدأ القصة فى استكمال العناصر الباقية منها ويغرب مؤلفها فالميكى فى الخيال فيصور أن زوجة (راما) قد وقعت فى غرام ملك الجان فى جزيرة «سيلان» ويختطفها هذا الملك على غرارما رأينا من صنيع باريس من بريام مع هيلين أو هيلانة فى ملحمة الاغريق السالفة الذكر. ويهب حينئذ زوج «سيتا» لنجدتها وتخليصها من براثن عدوه الجنى، ويعاونه فى ذلك جيش عرمرم من عالم الحيوان وينصره كذلك ملك القرود وتنتهى بعد ذلك أحداث هذه القصة الدرامية بالانتصار على ملك الجان وعودة زوجه راما وتعيين أخيه ملكا على الجان خلفاً للملك المغلوب على أمره.

وكان للهند الملحمة السنسكريتية الثانية وهى القصيدة الشهيرة باسم «المهابهاراتا» Mahabharata وكان عدد أبياتها مائة ألف بيت، ويحتمل أن تكون قد ألفت فى القرن الثالث قبل الميلاد(٩) وكان موضوعها يتصل بتصوير جشع بنى الانسان واختلافهم على أنفسهم وطمعهم فى الاستيلاء على السلطة والملك وهم أبناء عمومة بطريق أو بآخر ولو أدى ذلك إلى فنائهم جميعاً وهو ما حدث تماماً لهم فى هذه القصة .

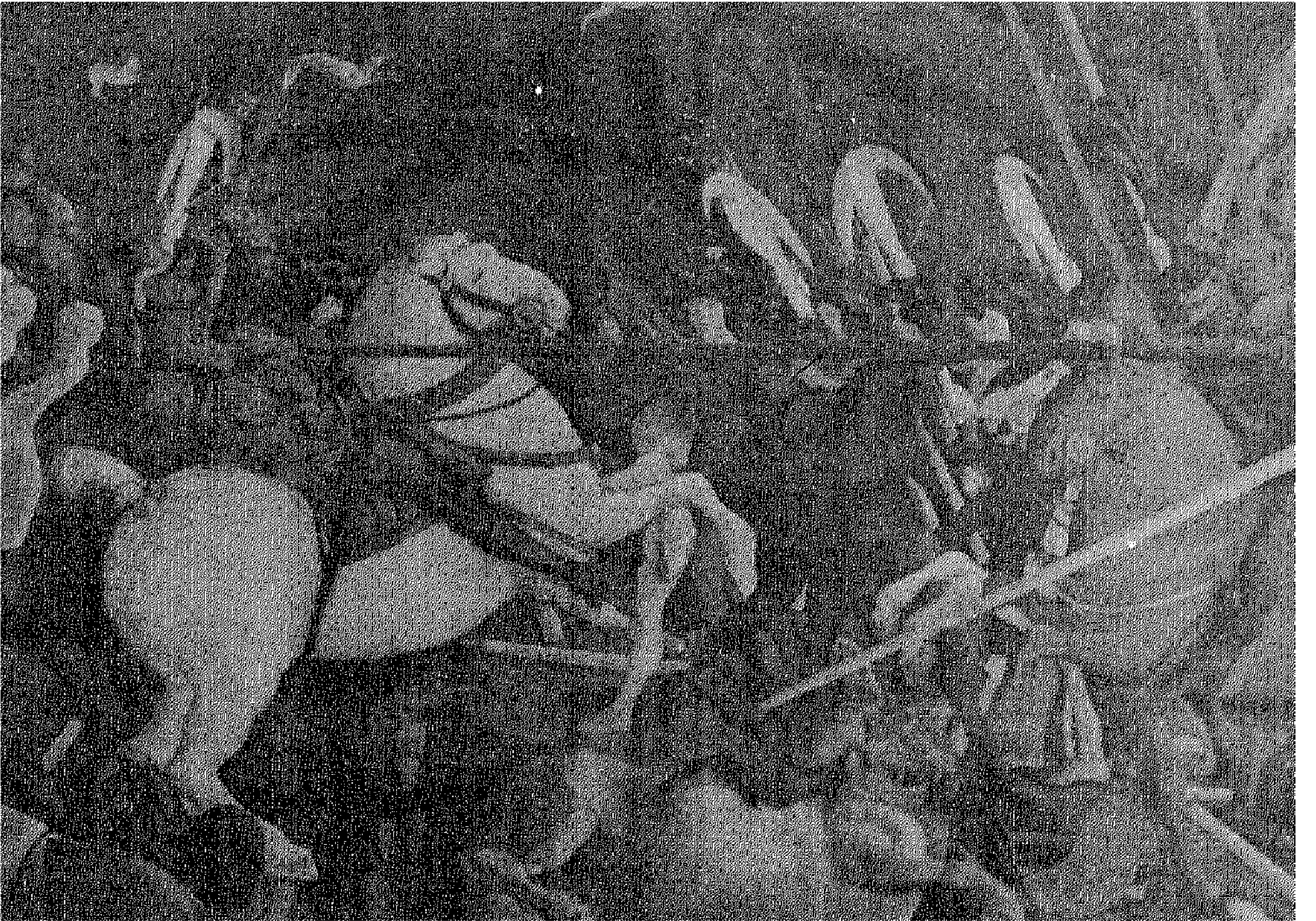
واذا ما تركنا الهنود القدامى الذين كانوا قريبى

العهد من اليونانيين فى انشاء ملحمتيهم إلى الشعب المجاور لهم وهم الفرس ألفيناهم يسطرون تاريخهم فى ملحمة أجمع النقاد المحدثون على أنها طبقت الآفاق فى شهرتها ألا وهى ملحمة الشاه نامه.

وبقيت هذه الملحمة يرددها العامة حتى قيض لها فى القرن الرابع الهجرى ألا وهو الشاعر أبو القاسم الفردوسى فنظمها شعرا وأنشد تاريخ الفرس وأخبارهم وحوادثهم لفترات دامت أكثر من أربعة آلاف عام حتى نهاية حكم الساسانيين. وهى بهذا تكون أشمل ملحمة شرقية أو هى موسوعة ضخمة قد جمعت بين دفتيها تاريخ الأكاسرة الفرس وملوكهم.

والشاه نامه فى نظر مترجمها الدقيق إلى العربية من البلهلوية وهو الاستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام - رحمه الله - ليست كبقية القصص السالفة لها تدور على بطل واحد أو أسرة واحدة أو حرب واحدة، بل هى تاريخ أمة من أقدم ما وعت أساطيرها حتى الفتح الاسلامى(١٠) ويبالغ نولدكه فى تمجيدها ويقول عنها: «انها ملحمة لانظير لها عند أمة أخرى».

ولقد بالغ فى مديحه من قبل نولدكه الالمانى ابن الأثير صاحب المثل السائر واغرب فى وصف الشاه نامه الأمر الذى جعله يفضل العجم على العرب فى هذا الأمر، وان «شاعرهم يذكر كتاباً مصنفاً هو الشاه نامه - من أوله إلى آخره شعراً، وهو شرح قصص وأحوال ويكون مع



ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه. وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس (١١)

وليسجل مترجم الشاه نامه فيما اعتمد فيه على تيودور نولدكه الألمانى وعلى غيره من المصادر الأجنبية والايرانية والعربية فيقول: «فى الشاهنامة قسم تاريخى هو تاريخ الساسانين، وبعض قصة دارا واسكندرالمقدونى، وفيها قسم خرافى ليس فيه من أثارة مما عرفه التاريخ فى آثار الفرس وكتب اليونان إلّا جدساً وتخميناً»(١٢) وهند هى حقيقة الشاه نامه على كبرها وعظم شأنها.

أما مترجم الشاه نامة فى أوائل القرن السابع للهجرة النبوية وهو قوام الدين البندارى فيؤكد فى مقدمة كتاب الشاه نامة أنه قدم «برسم الخدمة لخزانة ادابه - ويقصد أبا الفتح عيسى بن الملك العادل ابى بكر بن أيوب.. الكتاب المرسوم بشاه نامه الذى عنى بنظمه الأمير الحكيم أبو القاسم منصور بن الحسن الفردوسى الطوسى، مطرزاً دبياجته بذكر السلطان السعيد أبى القاسم محمود بن سبكتكين ذاكراً فيه ملوك الفرس وتواريخ أيامهم وشارحاً فيه مقاماتهم المأثورة ووقائعهم المشهورة مع وصف سيرهم الحميدة وخلالهم السديدة فى إفاضة العدل والاحسان.

ولكن الشاه نامه مهما أوتيت من شهرة ومنزلة فإنها ربما نفخت الفرس بنفخة شعوبية(١٣) ضد العرب المسلمين الذين فتحوا بلادهم وانقذوهم من براثن الجهل والفسق والعبودية والضلال.

هذا وقد أكد الدكتور زكى المحاسنى رحمه الله فى كتابه «شعر الحرب فى أدب العرب» أن الفردوسى لم يستطع أن يبرىء الشاه نامة من النعرة الفارسية التى كانت شعور كل شعبه(١٤) معززاً بذلك مذهب الشعوبيين الذين لا يرون من فضل للعرب وهاج أحقاده الموروثة فتح المسلمين لبلاده فرمى العرب بسهم من سهام الشاهنامة فقال بلسان رستم: وقد بلغ الأمر بالعربى من شرب لبن الابل وأكل الضباب حتى طمع إلى تاج الكيانيين).

وسنواصل البحث فى قضية الملاحم بحول الله وقدرته فى العدد القادم.

المراجع

(١) انظر: Aliteriay Histiry of the Arobs: R.A.Nicholson.P.325

(٢) فن الشعر: د. محمد مندور ص ٨

(٣) المرجع نفسه ص ٨

(٤) قصة الالياذة (وهى الترجمة العربية الدقيقة بقلم الاستاذ درينة خشبة ص ١٠، ٢٦

(٥) الالياذة: ترجمة البستانى - المقدمة ص ١٢

(٦) انظر: Odyssey of Homer:
ترجمة: Alexander Pope
وتقديم القسيس: Theodore Alois Buckley

(٧) انظر: Virgil's Aeneld
ترجمة: John Dryden, New York, 1890. P.9.

(٨) انظر: Hutchinson's New 20 th Century Encyclipeadia. P.890

(٩) انظر: Hutchinson's New 20 th Century Encyclopeadio. P. 694

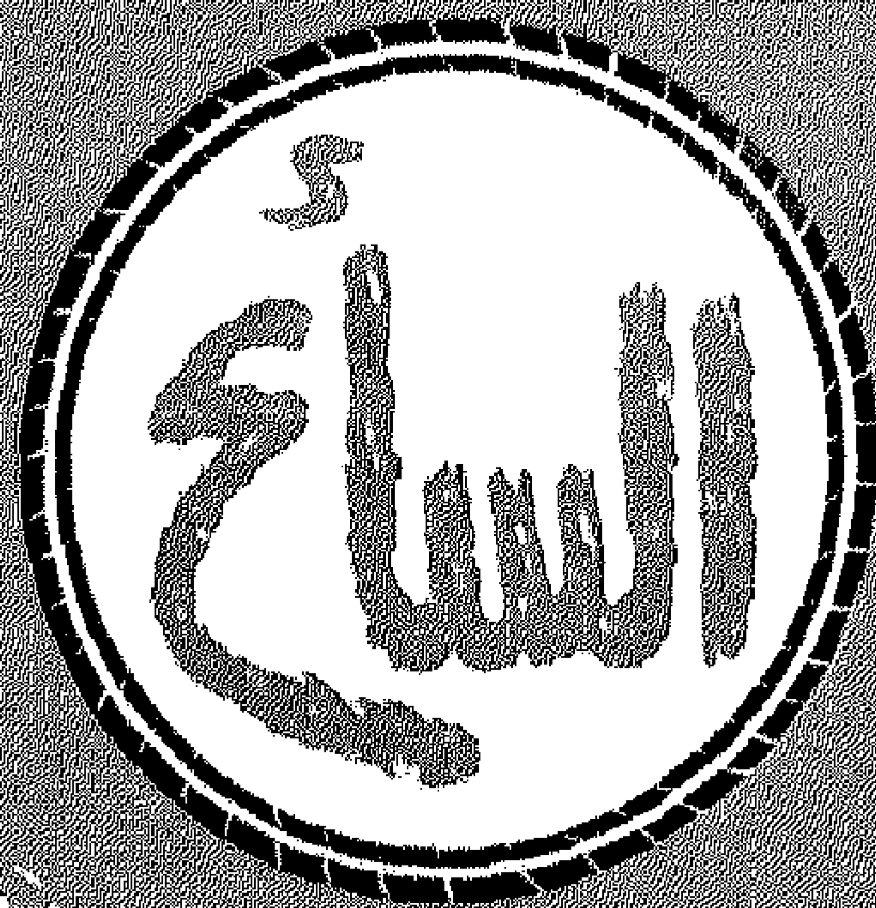
(١٠) كتاب الشاه نامة: ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام (المدخل ص ٢٣ دار الكتب ١٣٤٩هـ

(١١) المرجع نفسه ص ١٢٥ المدخل

(١٢) الشاه نامه: المدخل ص ٢٧

(١٣) فن الشعر الملحمى: أحمد أبو حاقة - بيروت ١٩٦٠م. ص٥٨

(١٤) شعر الحرب فى أدب العرب - د. زكى المحاسنى - القاهرة ١٩٦١م. ص٢٠



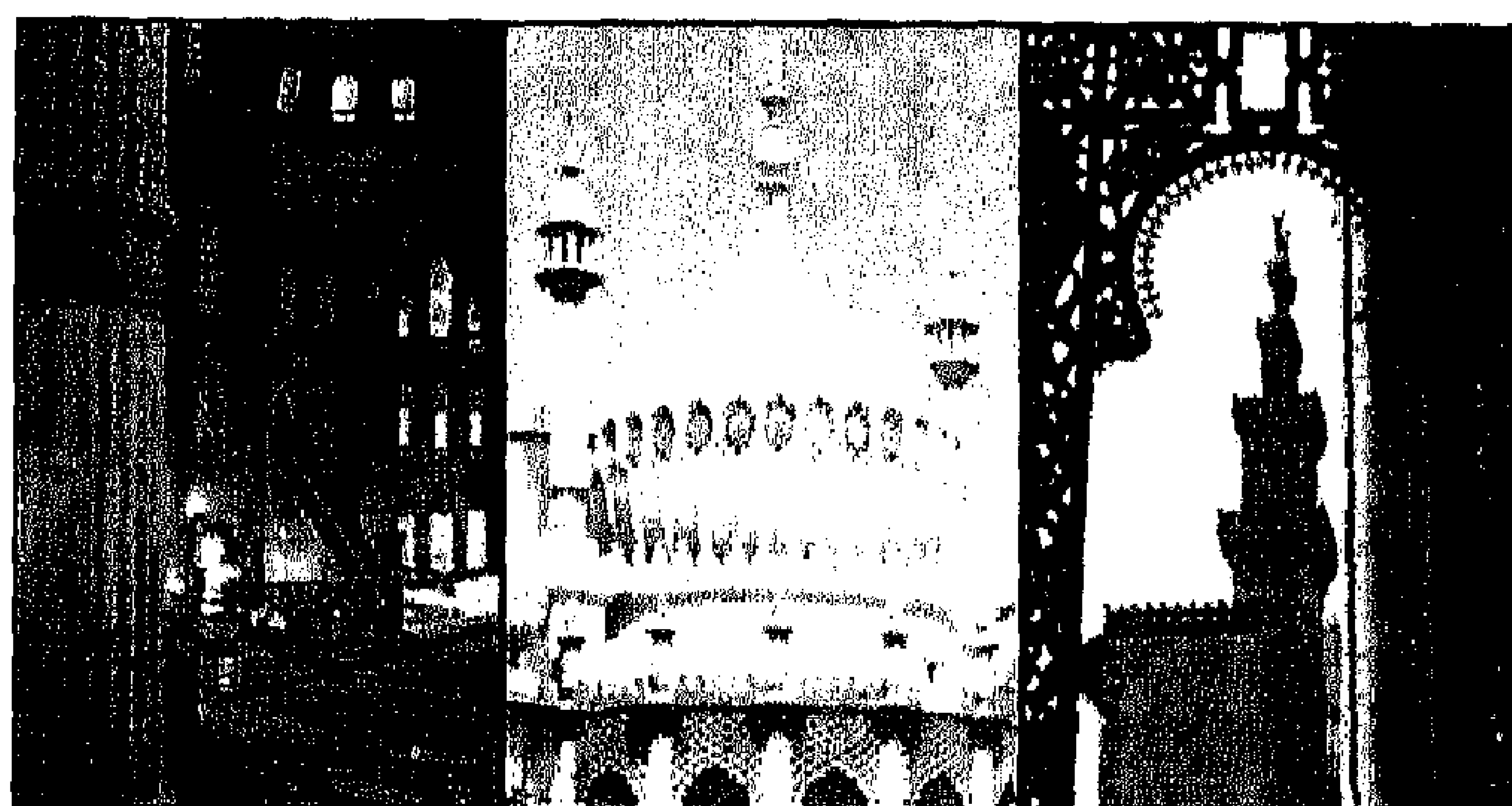
السنة الأولى

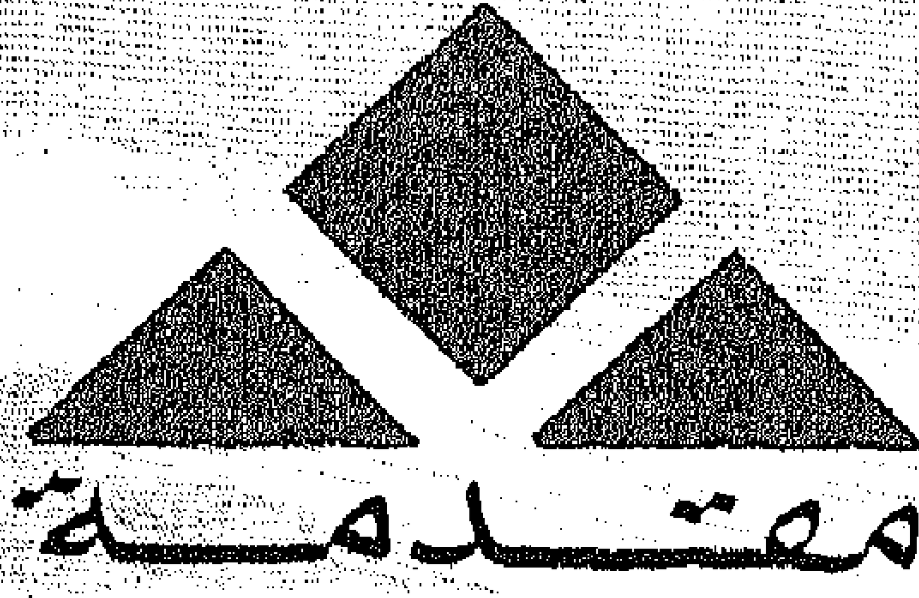
العدد الثامن شعبان - رمضان ١٤٠٤هـ



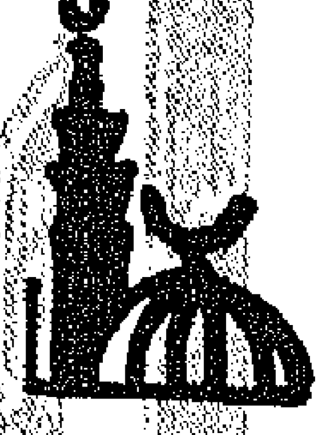
تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد







مقدمة



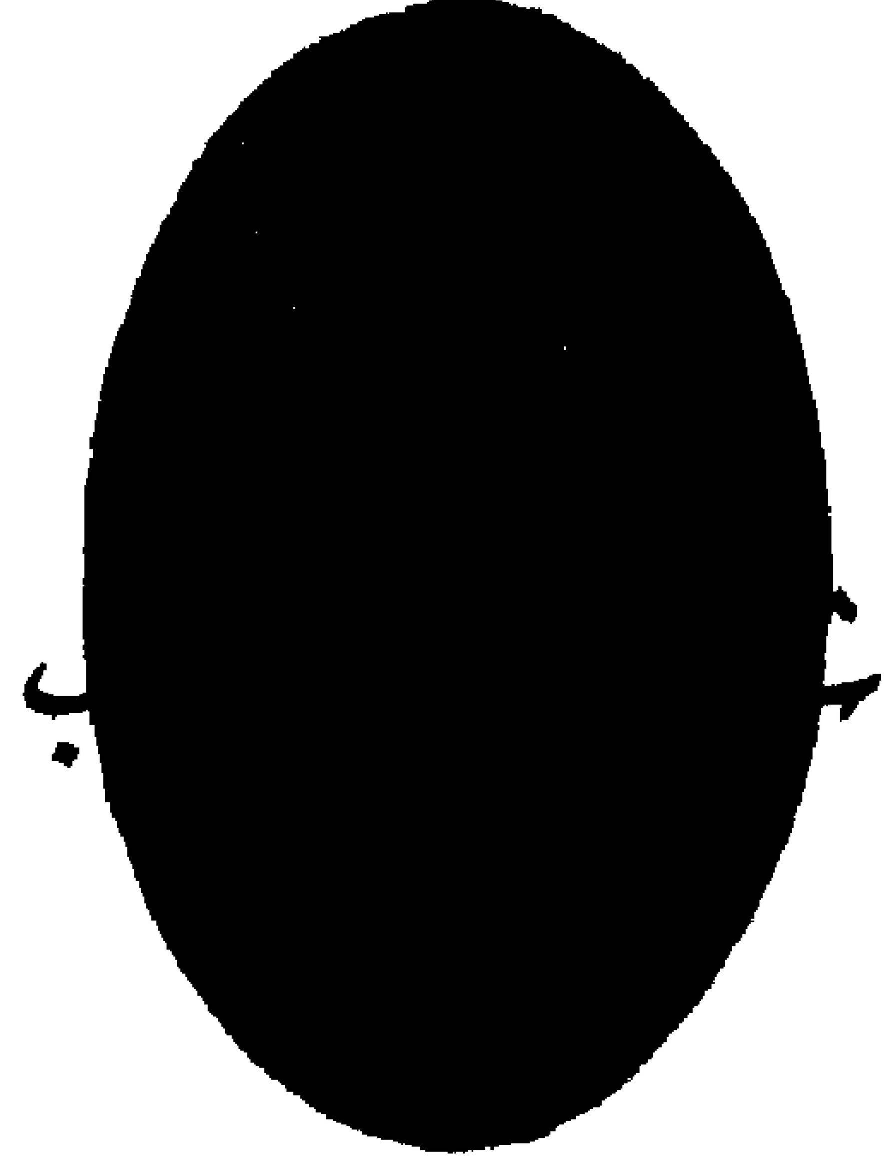
في رحلاتنا السابقة حملنا «عصا الترحال» من بلد لآخر، ومن المدن إلى القرى، جُبْنا الشوارع ودخلنا الأزقة وتحدثنا مع الشادر والسادر. تسبقنا «أُنوفُنا» لنشهق عبق التاريخ، وتزفر «أعيننا» افاق المساحات، ويرنو خيالنا إلى الغد المأمول. هنا نعجب وهناك نتأمل ومرة نُدهش.. وأخرى نحدق حتى «الجحظ».. واحيانا نذهل بحضارة القوم حتى كدنا ان ننسى أنفسنا..

★ ورحلتنا هذه مهمتها مزدوجة وعطاؤها وافر غدق وروحانيتها متأصلة فواحة.. نخطو فيها بحول الله إلى بيوت الله وإن بيوت الله في الأرض المساجد أحب بقاع الأرض عند الحق والخلق، حيث الطمأنينة والطهر والنقاء والفضيلة.. حيث الشعاع النوري الواصل بين السماء والأرض.

ومن هنا جاءت العناية الفنية والتفوق بالمساجد في غير مبالغة.. وفي محاولة لصياغة المضمون وتمثل الروح السارى قدر المستطاع ولقد خلد الأقدمون من فن العمارة الاسلامية والمسجد ما ظلت إبداعاته شاخصة شاهدة لهم.. وأتبعهم اللاحقون بما زاد الثراء الفني عندهم ثراءا والبراعة براعة..

★ في هذا العدد وفي رحاب «المسجد والعمارة» حيث المتعة الروحية والمعنوية والفنية نتجول بين القديم والجديد.. من المسجد الجامع في قرطبة إلى القيروان فالمسجد الاموى فمسجد ابن طولون.. ومن المركز الاسلامي في امريكا الى جنيف وغيرها.. فاهلا بك في سياحة نفسية درسية نضعها بين «عينك» ونسكنها في «فؤادك» لتكون بتمثلك الصادق فيها وفي بطونها وردهاتها وفسحاتها وسواريها احد شواهد الأمال المنتصبة يوم لا ينفع مال ولا بنون.

«السائح»



من تاريخ العمارة الإسلامية

تأثير الفن الرافدي على الفنون الإسلامية

بهذه النبذة المختصرة عن الأصول التاريخية للفنون العربية نريد التوصل اليها من خلال حديثنا عن الهيكل العام للفن فى المراقد المقدسة كامتداد لتلك الفنون. ففى حضارة وادى الرافدين يلاحظ بروز مظاهر الوحدة الفنية بين العرب واسلافهم وخاصة فى فن العمارة. فالمنزل الرافدى عبارة عن مكان منعزل يبدو من الخارج عديم الزخرفة مغلقا لا محل للنوافذ فيه. اما من الداخل فيحوى صحنا مكشوفا تطل عليه الغرف ذات الارض المرتفعة. ثم هناك الزيقورات الأشورية (انظر الشكلين ٢، ٣) التى تطورت فيما بعد الى ما يعرف اليوم باسم المآذن والتى منها ما يشبه الزيقورات تماما كما فى مئذنة الملوية (شكل ٤) ومئذنة جامع احمد بن طولون بالقاهرة (شكل ٥). ويعلل الدكتور عفيف بهنسى هذه الظاهرة بانها نزعة تصاعدية عند العرب. أما الاقواس والقباب فلقد كانت تعبيرا عن الكرة الكونية أو (الكهف الكونى) كما يقول شبنجلر والذى يوحى دائما بالخفة وبالانطلاق نحو السماء ويبدو ذلك واضحا عند مقارنته بطراز العمارة الاغريقى. وثمة ظاهرة روحية أخرى وهى ظاهرة الرقش العربى فمنذ عهد صارغون الاموري جنح الفن المعمارى الى الزخرفة وابتعد عن تصوير الاشخاص والذى حرم فى الاسلام نظرا لانه يمثل تركيبا وثنيا. ففى قصر شاروكين الضخم فى خورسباد نشاهد على جدران الغرف الكبيرة تزيينات متوازية ذات صيغ متكررة وبينها جداول من الرسوم الزخرفية التى تحمل صور كائنات مجنحة مقدسة وقد وضعت بشكل تعبيرى متقابل. ان هذه الرسوم لتبين مدى القرابة بين الرقش العربى المتأخر وبين الرسم الآشورى القديم.

ويعتقد الدكتور بهنسى: «ان اللون الذهبى الذى غلب على الالوان السامية لونٌ مجردٌ لا مادى خارق للطبيعة وهو لون الشمس عند الاوائل.. وهو كالشمس القوية يسلب الاشياء حدودها وظلها ويبعث على الحلم والدخول فى أعماق الغيبيات.

واللون الثانى هو اللون الأزرق، لون السماء، لون البعد والعمق.. ولم يستعمل الاغريق والرومان هذا اللون لاعتماد حضارتهم على المادة الكامنة فى اللون الاحمر».

ومن انطباق نظرة «التصاعدية» عند العرب وأسلافهم لابد ان نذكر هنا الى جانب برج بابل الشهير، منارة الاسكندرية التى تعتبر من عجائب الدنيا السبع القديمة (شكل٦) وكذلك الاهرام فى وادى النيل (شكل٧) والمسلات القديمة (شكل٨) فلربما كانت لهذه الشواهق علاقة قريبة أو بعيدة بالمآذن والقباب المعروفة فى مساجد المسلمين.

تاريخ المساجد الاسلامية

يعتبر المسلمون المساجد بيوت الله: يبنونها لكى تكون محلات للعبادة يذكرون فيها الله ذكرا يعبرون فيه عن شكرهم له وطاعتهم. وايمانهم فالمساجد اماكن مقدسة لا يمكن الدخول اليها الا بالطهارة الكاملة. قال تعالى فى سورة النور ﴿ فى بيوتٍ أذِنَ الله أن تُرفَع ويُذكرَ فيها اسمُهُ. يُسَبحُ لهُ فِيهَا بالغُدُو والأَصَالِ • رجالٌ لا تُلهِيهِم تِجَرَةٌ ولا بَيعٌ عَن ذِكر الله﴾ ومما نستطيع ذكره هنا ان المسجد هو المكان النظيف المخصص للصلاة وعلى هذا فأكثر الناس ممن لهم حجج فى الدين يؤكدون على ان المسجد لا يشترط فيه هيئة معينة ولا فن معمارى خاص أما ما ظهر على المساجد فيما كان ومما هو حاضر فلا اكثر من تعظيم وتكريم للاماكن تلك على أساس انها جزء من عقيدة الانسان. وثمة من يقول انها عبارة عن تكوينات مؤثرة الغرض منها تعظيم الشعائر والتأثير النفسى على الفرد ليخضع للفلسفة التى تحويها المعنى العام لوجود ذلك الفن. ومن الامثلة على عدم اهتمام المسلمين بالفن المعمارى للمساجد ان الرسول ﴿ﷺ﴾ فى بداية الدعوة الاسلامية اتخذ قطعة من الارض وفصلها بخندق يصونها من ولوج الناس اليها دون طهارة وكذلك لمنع دخول الحيوانات. والحالة ذاتها بالنسبة الى مسجد الكوفة الأول اذ لم تكن له جدران يقول الدكتور حسين مؤنس: وهذه المساجد البسيطة ترمز ببساطتها الى جانب هام من جوانب العقيدة الاسلامية، فان عقيدة الاسلام سهلة واضحة لا تعقيد ولا تكلف فيها، والذين يعجبون بوضوح الاسلام وبعده عن التكلف يعجبون بهذه المساجد المبسطة، لانها مجرد اماكن ظاهرة مصونة مما يشوب طهارتها يقف المؤمن فيها بين يدى ربه.

مسجد الرسول

يعتبر مسجد الرسول ﴿ﷺ﴾ فى المدينة المنورة والذى شرع فى بنائه فى الشهور الاولى من استقراره فيها أول المساجد فى الاسلام وقد كانت الفكرة الاولى من انشائه كونه بيتا للمسلمين، للاجتماع والتداول واللقاء وتبادل الآراء واتخاذ القرارات هذا الى جانب العبادات والوقوف بين يدى الله ولعل شبيها له بالفكرة ما يعرف اليوم باسم «المقرات» للاحزاب والفئات السياسية.. وقد بنى المسجد الأول على شكل صحن فى ركنه حجرات وأصبح المركز السياسى الخطير فى بداية الدعوة الاسلامية..

وقد جعل الرسول﴿ﷺ﴾ من أول الامر للمسجد قبلة أى اتجاها محددا يجعل المصلون جميعا وجوههم قبالته وكانت القبلة الأولى باتجاه بيت المقدس. ويعتقد الدكتور مؤنس ان جدار القبلة هذا وطوله ٣١,٥م - هو أول ما بنى، فقد حفروا له أساسا عمقه متراً ونصف وبنوه بالحجارة المنضدة أى المصقولة اما بقية الجدران فكانت من اللبن أى الطين غير المحروق وقد قامت هى الاخرى على أساس حجرى وكان ارتفاع الجدران كما يقول المؤرخون «بسطه» اى طول رجل مبسوط القامة وهو تعبير معناه متران تقريبا.. وفى نصوص أخرى نجد ان ارتفاع الجدران كان ٣,٥م وهذا القول الثانى ينطبق على ارتفاع المسجد بعد ان وسعه الرسول﴿ﷺ﴾ وزاد فيه.. وفى ناحية القبلة جعل الرسول عريشا او ظلة تقوم

على جذوع لها وظيفة الاعمدة ثم سقفوها بعوارض من خشب جذوع النخل أيضا وطرحوا عليها السعف والجريد وذلك بوضع جذوع النخل ثلاثة صفوف موازية لجدار القبلة فى كل صف تسعة جذوع بين كل نخلة ونخلة ٣ امتار تقريبا . . وفى صدر المجلس أيضا حددوا موضع المحراب وعلموه بعلامة مميزة، والى جانب المحراب بنوا جزءا مرتفعا ليقف عليه الرسول ﴿ﷺ﴾ اذا خطب وهذه هى بداية وجود المنابر . . وفتحت فى جدران هذا المجلس ثلاثة ابواب: واحد فى الجدار الشرقى والباب الثانى يقابله، اما الباب الثالث فكان فى وسط نفس ذلك الجدار الغربى .

ومعنى هذا أن مسجد الرسول﴿ﷺ﴾ يتكون من العناصر الاتية :

١ـ ساحة واسعة مكشوفة تعرف بالصحن فى مصطلح المساجد .

٢ـ جزء مغطى من الساحة يقع فى ناحية القبلة وهو ما نسميه عادة بيت الصلاة .

٣ـ قبلة محددة يجعل المصلون جميعا وجوههم ناحيتها عند الصلاة . كانت القبلة أولا نحو الشمال أى نحو بيت المقدس بالنسبة للمدينة . . ثم حولت القبلة الى الجنوب أى نحو الجدار الجنوبى المتجه نحو مكة المكرمة .

٤ـ موضع محدد فى جدار القبلة يقف تجاهه الإمام وهو المحراب .

٥ـ شيء مرتفع يمين المحراب ليقف عليه الخطيب وهو المنبر .

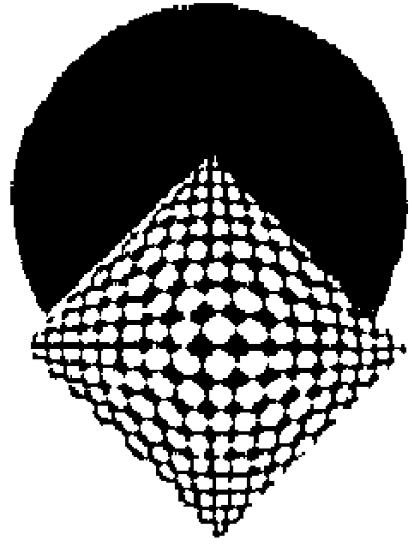
ويعتقد الدكتور مؤنس ان هذه العناصر الخمسة هى الاجزاء الرئيسية التى لا يمكن أن يخلو منها مسجد وان ما عدا ذلك زيادات وعناصر اكمال أتت فيما بعد وهى لا تدخل فى صلب المساجد . . فالمئذنة مثلا ليس من الضرورى وجودها فى كل مسجد . . ففى أيام الرسول﴿ﷺ﴾ كانوا يؤذنون من أعلى بيت مجاور وهو بيت السيدة حفصة أم المؤمنين . . والميضأة كذلك عنصر أضافى لان المفروض ان المسلم يذهب الى المسجد متوضئا . . ويرى صاحب الرأى المذكور ان وجودها أضر بالمساجد بصورة عامة حيث أنها من العقبات التى حالت دون المحافظة على نظافة المساجد كما ينبغى . أما المقاصير حيث تتخذ فى صدر المجلس ليصلى فيها أهل السلطان . . وكذلك القباب التى تعتبر هى الاخرى من الاجزاء الغير أساسية فى المساجد .

اما تطور عمارات المسجد فمن الاخبار الواردة انه فى خلافة عمر بن الخطاب ضاق بالمصلين فوسعه ثم بناه عثمان بالحجارة وسقفه بالساج . . وفى ولاية الوليد الاموى أمر عامله عمر بن عبد العزيز بهدم المسجد وبنائه وتوسيعه وان يتخذ له المآذن .

مساجد تاريخية أخرى :

وعلى غرار مسجد الرسول﴿ﷺ﴾ قامت مساجد كثيرة أخرى فى بداية العصر الاسلامى كما فى **مسجد البصرة** حيث انشىء سنة ١٤هـ على يد عقبة بن غزوان الذى أقام سوره من القصب ثم بناه أبو موسى الاشعرى باللبن ثم بناه زياد بن أمية بالحجارة . . **ومسجد الكوفة** انشىء سنة ١٥هـ على يد سعد بن أبى وقاص ولم يكن له جدار أول الامر ثم عمل له جدار من قصب ثم بنى باللبن ثم بالحجارة . . اما **مسجد الفسطاط** فبناه عمرو بن العاص سنة ٢١هـ وتاريخ هذا المسجد طويل فقد وسع وهدم وبنى مرارا عديدة والمسجد الحالى لا يمت فى عمارته الى المسجد الاول بصلة فهو حديث البناء . . **ومسجد القيروان** الذى بناه عقبة بن نافع سنة ٥٠هـ وقد مر أيضا بادوار شتى ولكن هيأته الحالية تعتبر أصيلة فهى ترجع الى أيام ابراهيم بن أحمد تاسع أمراء بنى الاغلب سنة ٢٦١هـ . . والمسجد الآخر هو **المسجد الأقصى** فى القدس وبناؤه يرجع الى أيام عمر بن الخطاب وقد أعاد بناءه بالحجر عبد الملك أبن مروان سنة ٦٥هـ، أما الذى أعطاه صورته التاريخية التى ظل محافظا

عليها رغم التجديد فهو الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ ويذكر الدكتور حسين مؤنس ان الوليد يعتبر من أعاظم البنائين فى تاريخ الاسلام . كما يذكر: ان هذه المساجد الخمسة الى جانب مسجد الرسول ﴿ﷺ﴾ آباء مساجد المسلمين كلها . . وهناك مسجدان آخران يخصهما بالذكر هما المسجد الذى بناه الحجاج بن يوسف سنة ٨٤هـ فى واسط . . والمسجد الأموى فى دمشق وقد بناه الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦هـ . . وبعد ذلك تأتى الوف المساجد التى بناها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها وخلال تاريخهم الطويل . . ويلاحظ هنا ان جميع المساجد قد مرت بادوار ثلاثة هى البناء البسيط الاول والذى يكون من القصب الذى ينبت طبيعيا فى الارض العربية ثم حل محله اللبن ثم الآجر أو الحجر، وهذه المراحل تعتبر طبيعية لدى كل كيان حيث ان التطور سنة وخاصة بالنسبة الى المساجد التى تعتبر المظهر السياسى والكيان النابض للفكرة الاسلامية فلابد والحالة هذه ان يكون واجهة يتوضح منها التطور الذى تمر به الامة والفتوحات الواسعة التى قام بها المسلمون فى أرجاء واسعة من الكرة الارضية فليس من المعقول ان الدولة الواسعة الارجاء والتى وصلت حدودها الى الصين يجتمع رجالها بمساجد بنيت من القصب وجذوع النخيل . . صحيح ان الاسلام كقيمة روحية لا يهتم بمظهر الشىء ولا بفخامته بقدر ما يهتم بطهارته وحرمة قدسيته إلا ان هذا لا يبرر بأى حال، وكواجهة سياسية، الحالة البسيطة التى كانت عليها المساجد فى العصر الاسلامى الاول فعمد المعماريون الى الابقاء على بساطة الأمكنة مع اظهارها بالمظهر اللائق فكان ان بنيت بالآجر مما يحافظ على كيانها وكتب عليها الآيات القرآنية ونقشت بالزخرفة الاسلامية المعروفة . . على ان الاهم من هذا الاتجاه فيما بعد الى تقيدها بعض الشىء فظهرت القباب والمآذن والاعمدة والابواب والشبابيك والسقوف المنقوشة وعلقت فيها التحف والثريات وأضيئت بالانوار الساطعة . . كما عنى عناية خاصة بزخرفة هذه الانوار وجعلها أيضا تحفة نادرة تضاف الى الهيئة المعمارية الفريدة .



مسجد التكية السليمانية فى دمشق

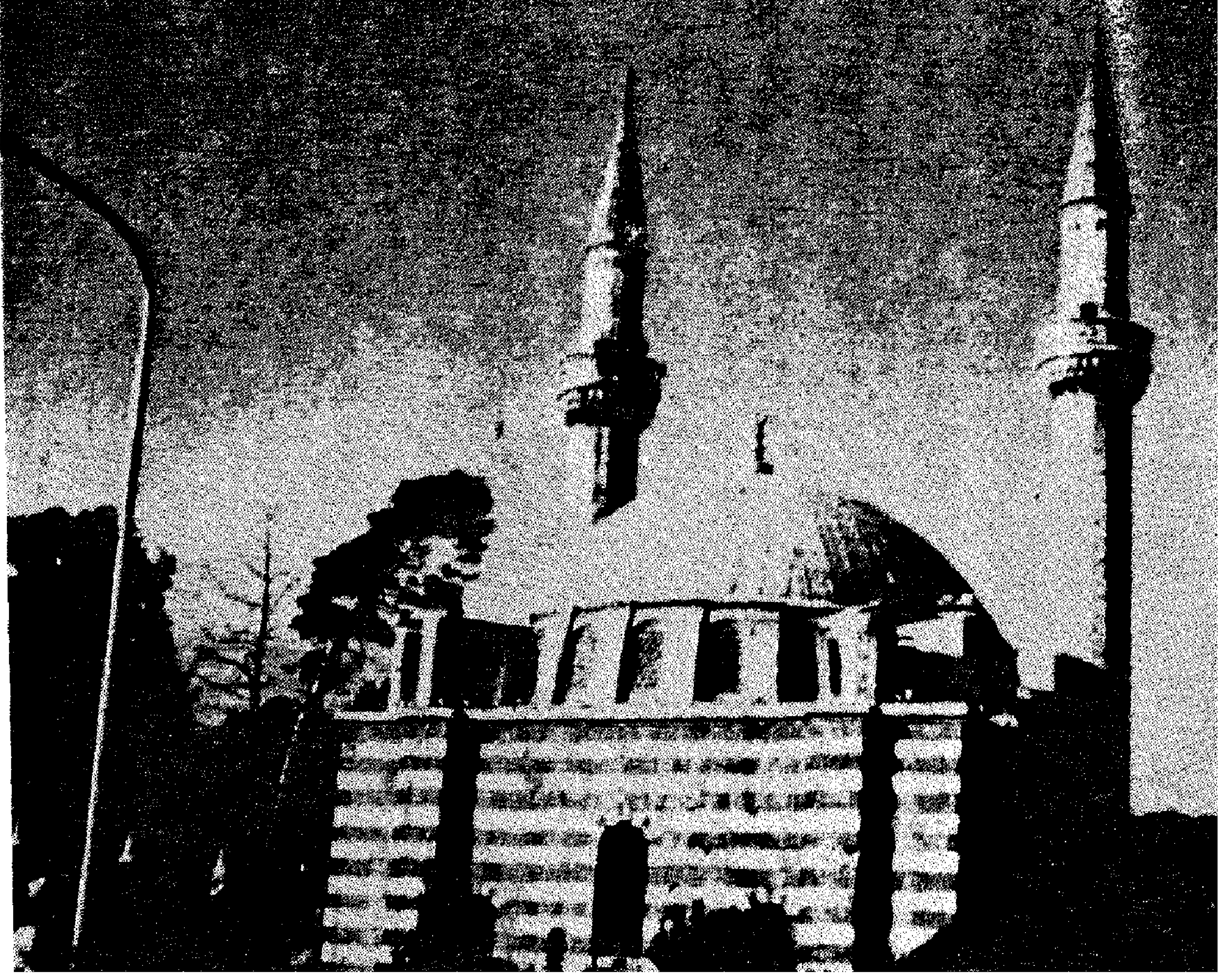
جانب امامى من مسجد التكية السليمانية فى مدينة دمشق . . والتكية فى العرف والمثل تقابل فى مفهوم الاصطلاح الحديث بدار الرعاية الاجتماعية . . وقد عرفنا استعداداتها وربما تعامل معها البعض وبشكل بارز منذ الحكم العثمانى ولكل امة دولة ورجال .

الشواهد الحضارية على الفن العربي والإسلامي

هناك شواهد حضارية عديدة تركتها سواعد أجدادنا وأنامل فنانيهم فى المعمار كجزء متنوع يوضح مقدرة معمارية فائقة عند العرب وأسلافهم ويكشف عن اهتمامهم بها :

١ - بنيت أغلب المساجد الجامعة بناءاً متينا وسور أغلبها بأسوار خارجية عالية وجدران داخلية قوية ذات ابراج نصف اسطوانية فأصبحت وكأنها قلاع حربية متينة .

٢ - فى وسط جامع ابن طولون بمصر قبة مذهبة مشبكة من جميع جوانبها تقوم على عشرة أعمدة من



الرخام. وتحت القبة قصعة من رخام فى وسطها نافورة بالمياه.

٣ ـ تحلية قواعد المنائر والقباب بالزخارف الجبسية الجميلة.

٤ ـ لا يزال محراب جامع قرطبة من آيات الفن الإسلامى.

٥ ـ وفى هذا الجامع أيضا غابة عجيبة من الاعمدة الرخامية المختلفة الالوان. لم يبق اليوم منها الا ١٢٩٣ عمودا.

٦ ـ العريف المعمارى «احمد بن باسه» يعتبر من كبار المهندسين المعماريين. قام بكثير من الاعمال منها بناء مئذنة اشبيلية المشهورة باسم (الخير الدا) التى تعتبر آية من آيات الفن المعمارى الاندلسي. تقوم على أرض مربعة قدرها ٩٦/١٨٤ متراً مربعاً، وهذا يعنى أنها تقوم على أضخم ساحة تقوم عليها مئذنة.. حوائطها من الطوب المطلى بالجبس سمكه ٢,٥٠م الى ارتفاع ٧٠م.. وهذه المساحة مقسمة الى أدوار تزينها شرفات صغيرة ونوافذ فى غاية الدقة والجمال.. ولا يوجد فى هذه المئذنة درج بل يصعدون اليها عن طريق منحدر لطيف يدور حلزونيا.. هذا وكان يرتفع جزء آخر ارتفاعه ١٢م يحمل ثلاث كرات مغطاة بالذهب وقد أزيل هذا الجزء من قبل الأسبان لتعمل منه أجراسا للكنيسة.

٧ ـ تحلية محاريب الجوامع بالزجاج السميك الملون كما فى جامع سامراء.

٨ ـ لما بنى المتوكل جامعه بناه خارج المنازل لا يتصل به شىء من القطائع والاسواق، وجعل الطرق اليه من ثلاثة صفوف واسعة عظيمة لئلا يضيق عليه الدخول الى المسجد اذا حضره أيام الجمع فى جيوشه وبخيوله ورجاله.

٩ ـ تحلية صحون المساجد بالشبابيك الزخرفية العمياء.

١٠ـ وضع المنابر العديدة كما فى جامع السلطان فى بغداد.

١١ـ فى صحن الجامع بسامراء نافورة كبيرة.

١٢ـ لقد وسع المسلمون المساجد وجعلوها كبيرة حتى قيل عن جامع قرطبة انه يتسع لاكثر من ٥٠ الفا من المصلين. وأثرت هذه السعة فى سعة الشوارع التى تسير فيها المواكب للصلاة. وكذلك نجد فى سامراء القديمة حتى اليوم شوارع تفضى الى الجوامع منها الشارع الاعظم وعرضه ١٠٠م.

١٣ـ تحلية المصليات بالزخارف المختلفة.

١٤ـ زينت المحارب فى انحاء مختلفة من العالم الإسلامى بالقاشانى المزخرف العجيب الذى نقل اليها من بغداد.

مميزات الفن العربي

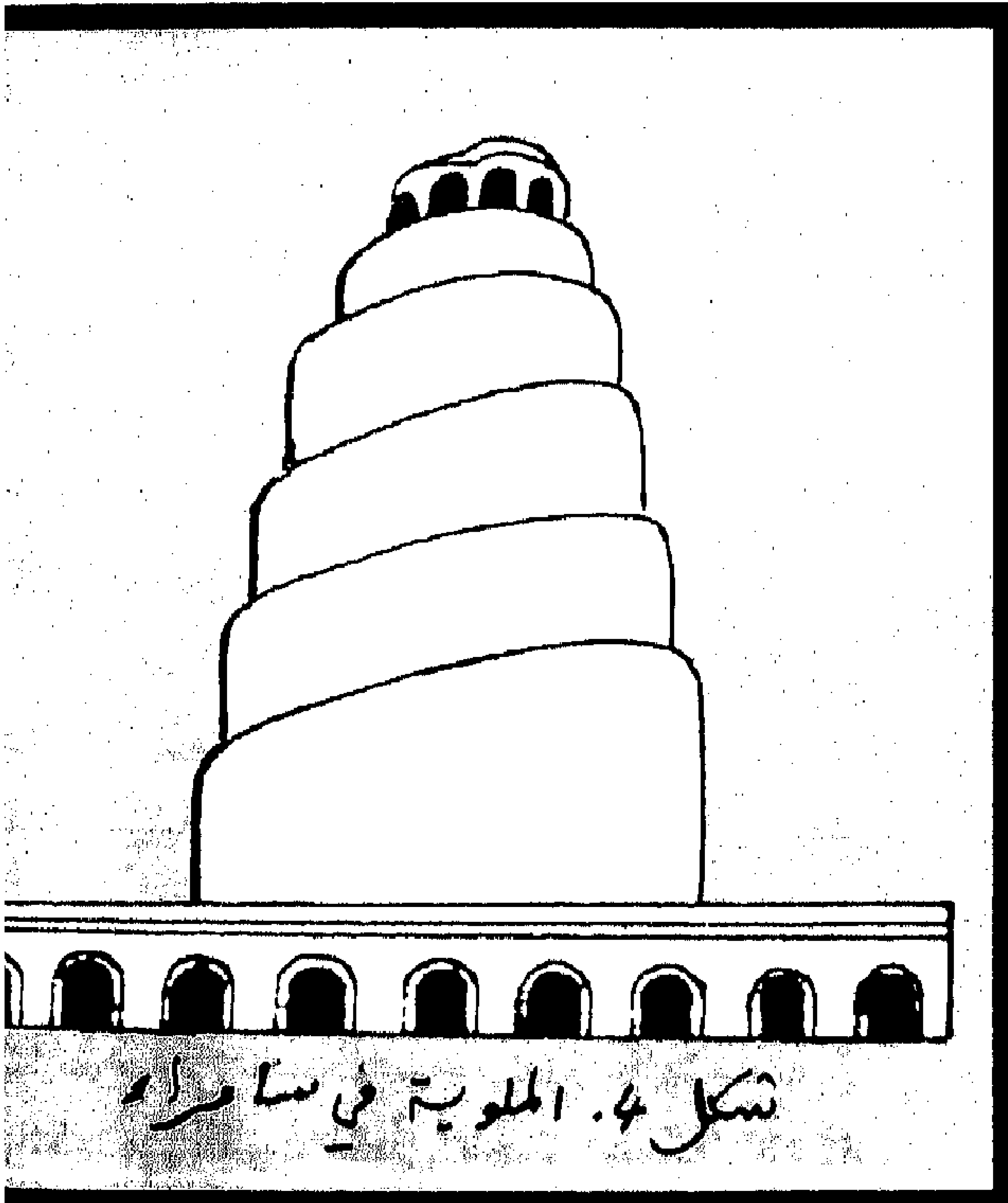
«الريازة» هى فن العمارة والطرز الفنية المختلفة فى المبانى العربية والإسلامية والفنون الزخرفية التى استعملت فى تزيين العمائر العربية بالفسيفساء والآجر المنقوش والاحجار المزخرفة فى رسوم هندسية أو نباتية وزخارف كتابية. وتتمثل الريازة العربية فى المساجد والقصور والمدارس.

ان للعرب ذوقاً فنياً راقياً ساعدهم على ان يبتكروا فنا خاصا بهم حتى ان الفنون التى اقتبسوها طبعوها بالطابع العربى المبتكر كما تشهد على ذلك قصور العرب فى اليمن وبيوت الرقيم المنحوتة فى جبال البتراء وأعمدة تدمر وآثار الحضر. ولما جاء الاسلام كان أول ما أوحى الى العرب فى فن العمارة نظام المساجد باعتبار أن المسجد أصبح جزءا مهما من عملية نشر الدين الإسلامى وتوضيحه، وقد ساعد الحج والتبادل التجارى على انتشار طراز المساجد العربية وتطورها فى البلاد الاسلامية كافة. وبعد العصر الراشدى نبغ العرب فى انشاء القصور المختلفة والمدارس المستقلة عن الجوامع كما انشأوا دورا للقرآن والحديث والمارستانات والربط والمشاهد والجامعات وأصبح للفن العربى مميزات خاصة، نذكر منها:

١ ـ المقرنصات وهى الدلايات التى تشبه خلايا النمل.. والمقرنصات فى المبانى العربية يتدلى بعضها فوق بعض من السقوف أو واجهات العمائر أو الطيقان أو أسفل أحواض المآذن.. ويرجح ان فن المقرنصات نشأ فى العراق ورافق العرب أنى ذهبوا وأصبح طابعا يميز عمائرهم من الهند الى الاندلس.

٢ ـ القباب: وهى من مزايا الريازة العربية أيضا ذاعت فى العمائر الإسلامية، وهى إما بيضية الشكل أو بصليته، وكانت سطوحها تزين بالقاشانى الأخضر مع تطعيمه بألوان أخرى ولذلك أطلق على أكثر القبب المشهورة المبنية على هذا الطراز اسم (الخضراء) كخضراء معاويه فى دمشق وخضراء المنصور فى بغداد المدورة.

٣ ـ شرفات الأبنية التى تشبه أسنان المشط وربما كان أصلها عراقيا أيضا، ولازال هذا النوع من الفن المعمارى معروفا الى هذا اليوم فى بعض المدن العراقية.



شكل ٤. الملوية في سامراء

٤ ـ كانت الأقـواس مستعملة فى المبانى العـربيـة كالقـوس المـدبب والمستدير والذى على هيئة حدوة الحصان (شكل٩) وكذلك المزدوجة والمفصصة (شكل١٠).

٥ ـ المآذن فى المساجد والمراقد: وهى حلزونية الشكل فى العـراق ومضلعـة فى الشـام والمغـرب العـربى والاندلس (شكل١١) ومستديرة فى البلاد الاخرى.

٦ ـ كانت الشبابيك تتخذ من الحجر أو الجص المخرم بهيئة زخرفية معينة وكان يركب فيها زجاج ذو الوان مختلفة.

٧ ـ اما الـزخارف العربية فهى اشكال هندسية أو نباتية أو كتابية وكانت تتخذ على العمائر الإسلامية فى الجص والجبس أو فى الحجر أو الآجر أو الخشب أو المعدن.. وكان الحفر البارز يستعمل فى بعض البلاد الإسلامية كالعراق والهند.

الطرز الإسلامية فى العمارة

الطرز: جمع طراز مثل كتب وكتاب. ويراد بها الهيئـة التكـوينيـة العـامـة والصور المبتكرة للشكل المعمارى بما فى ذلك العناصر الأساسية والعناصر الثانوية.

شكل ١١. مئذنة مغربية

شكل ٢٩. منارة الحدباء فى الموصل

وفى الحقيقة ليس هناك طراز ثابت أو مقسم يمكن الاعتماد على عناصره الاساسية على فرض انها لا تتغير تغيرا كبيرا من مكان لآخر أو من وقت لغيره ولكن الشيء الثابت الذى يمكن الالتفات اليه هو الطرز المحلية ولعل هذا هو الذى جعلنا نعتبر العمارة التاريخية على أنها جزء من التراث الشعبى.. والتعليل لذلك هو ان الفنان المعمارى فنان مجهول كل ما قام به يقرب من المجهود الفردى بأخذه الطابع الفنى الذى تنتجه القريحة الفردية.. ولهذا جاءت الطرز المتشابهة أسلوبا مختلفة أختلافا جوهريا فى الكثير من أقسامها.

فنشأت بذلك الطرز المحلية التى تأثرت بما قبلها أو بما جاورها من حضارة معمارية وتبعا لثقافة الصانع المعمارى وسعة اطلاعه.. من هذا يمكن تقسيم الفنون المعمارية فى المساجد والمراقد الى الطرز الآتية:

الطراز الأموي

أو الطراز الشامى: وهو طراز نشأ فى العصر الأموى وازدهر ببناء الجامع الأموى فى دمشق وأهم صفاته وجود المآذن المربعة ذات الجواسق المعمدة.. اما قبابه فترتكز على قاعدة مربعة أيضا. وتكثر فى أروقته المناظر الطبيعية من الفسيفساء.

الطراز المصري

وقد مر بدورين اولهما الطراز الفاطمى (شكل ١٢) وثانيهما الطراز المملوكى (شكل١٣) وأهم ما يمتاز به هذا الطراز هى القباب ذات الاقواس المدببة والمنائر الضخمة المزدوجة أحيانا. وقد سار فى طريقه من جامع عمرو الى أن وصل الى جامع محمد على فى القلعة.. من المساجد المبنية على هذا الطراز: جامع الازهر فى مصر.. وجامع الرسول ﷺ فى المدينة المنورة.. وجامع أم الطبول فى بغداد.

الطراز العراقي

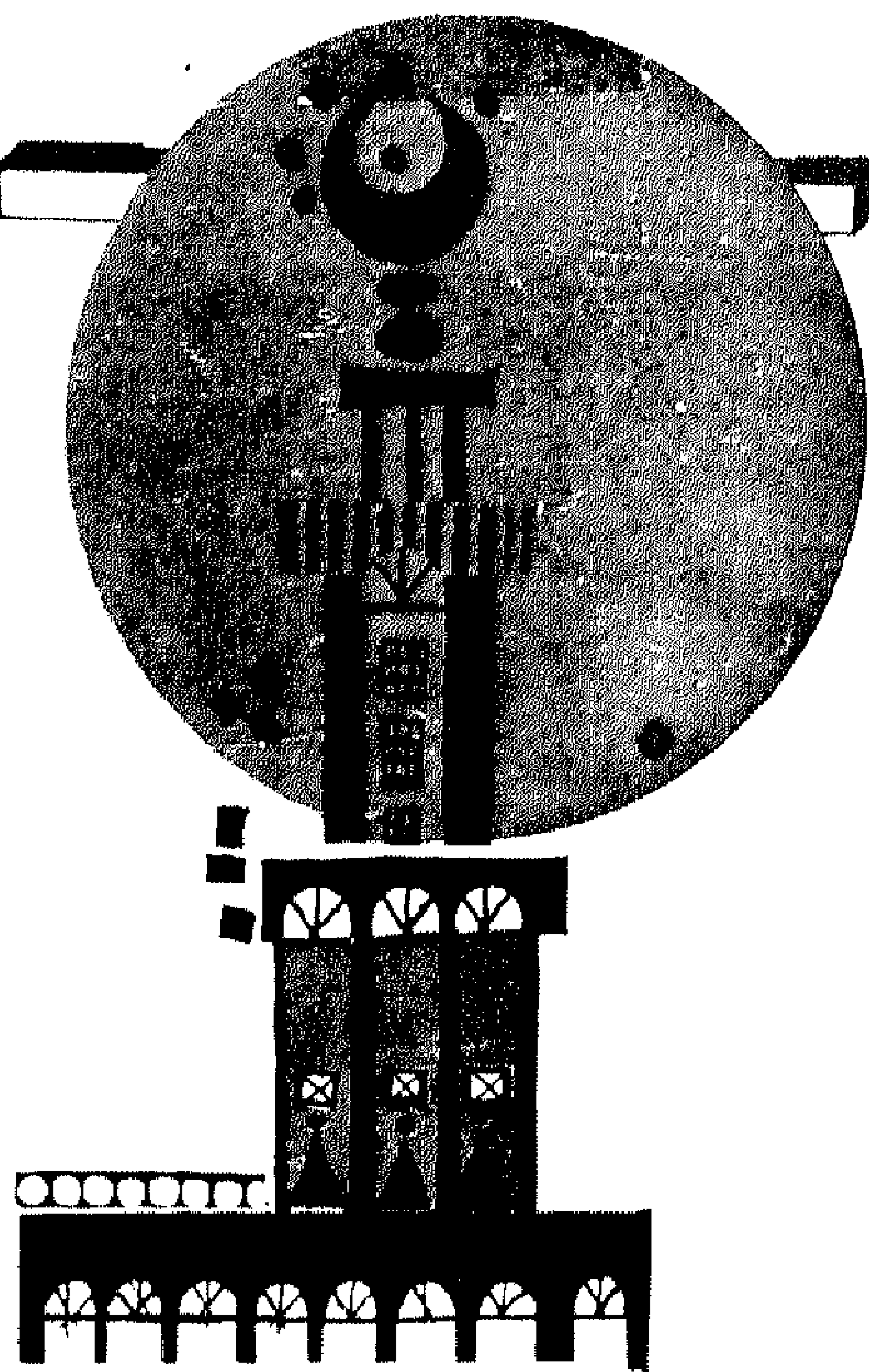
أو الطراز العباسى: وهو طراز مر بمراحل شتى خلال تاريخه الطويل ويمتاز بعمارته الحلزونية مثل جامع سامراء ومسجد أبى دلف.. وذهب المعماريون فى القول الى أنه امتداد للزيقورات الآشورية. (لاحظ الاشكال ٢، ٣، ٤).

الطراز الصفوي :

أو الطراز الايرانى: وقد توسع هذا الطراز فى استخدام القباب فى المساجد والمراقد وعمارته رائعة خاصة وأنها مزخرفة بالقاشانى بألوانه ودقة الرقش فيه وقد انتشر هذا الطراز فى العراق منذ الاحتلال الصفوى، لذلك فان المراقد الضخمة العمارة مبنية على هذا الطراز كما فى مرقدى الإمامين الحسين (شكل ١٤) وأخيه العباس (شكل١٥) ومرقد الامام الكاظم وقبة الامام المهدى (شكل١٧) والحضرة

الطراز السلجوقي :

نشأ هذا الطراز فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى أيام حكم الدولة السلجوقية ومعظم آثاره فى تركيا وبالاخص مدينة قونية.. وأهم ما يمتاز به قبابه المخروطية العالية والتى فيها طاقات كثيرة للنور ومآذنه العالية مزينة بخطوط قاشانية زرقاء.. والملاحظ هنا ان معظم عمارة الطراز السلجوقى تجمع بين مدرسة وضريح منشئها وتحلى من الداخل بالفسيفساء الخزفية وغالبا ما توجد ميضأة وسط الصحن تقوم تحت جوسق ذى قبة (شكل١٩).. ومن أهم العمائر المبنية على هذا الطراز مدرسة (صيرجالى) ومدرسة (انجى) فى قونية. والمسجد الجامع فى حلب.



الطراز الهندي :

أو الطراز المغولى : طراز معمارى نشأ فى الهند أيام الحكم المغولى فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى ومنه أغلب مساجد الهند وأضرحتها . . مثل جامع قطب مناء فى دلهى (شكل ٢٠) وضريح التاج محل فى اجرا (شكل ٢١) ما يمتاز به اهتمامهم الشديد فى الزخرفة والرخامية ومآذنه القائمة من الارض دون اتصالها ببناء .

الطراز التركي

أو الطراز العثمانى : نشأ هذا الطراز فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى وما بعده أيام الحكم العثمانى . . اكثر عمائره فى الاستانة وبروسة وأدرنة . . يلاحظ فيها كثرة القباب ما بين صغيرة وكبيرة كاملة ونصفية تروع النفس بمآذنها الضاربة فى الجو كأنها «صواريخ» نذكر من العمائر المبنية على هذا الطراز جامع السليمانية فى أدرنة ومسجد السلطان بايزيد فى الاستانة . (لاحظ الشكلين ٢٢ ، ٢٣) .

الطراز المغربي :

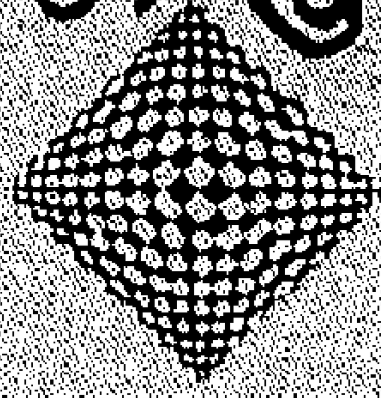
طراز نشأ فى المغرب العربى حيث ولد فى جامع عقبة بن نافع وتطور بعدها تطورا رائعا كما نرى ذلك فى مساجد المرابطين والموحدين والسعديين والعلويين فى بلاد المغرب الاقصى . . وأهم ميزاته انه تجميع بين الفنون البيزنطية والعربية والايرانية . . مآذنه هرمية مقطوعة أو مستديرة للآذان وحراسة الثغور وتربية الحمام الزاجل . . ومن صفاتها أيضا كونها عبارة عن أبراج ضخمة مربعة الاضلاع يجعلونها بناءاً مستقلا بنفسه عند الجدار الخلفى المواجه للقبلة من المسجد . نذكر منها الى جانب جامع عقبة بن نافع جامع الزيتونة فى تونس (لاحظ الشكلين ١١ ، ٢٤) .

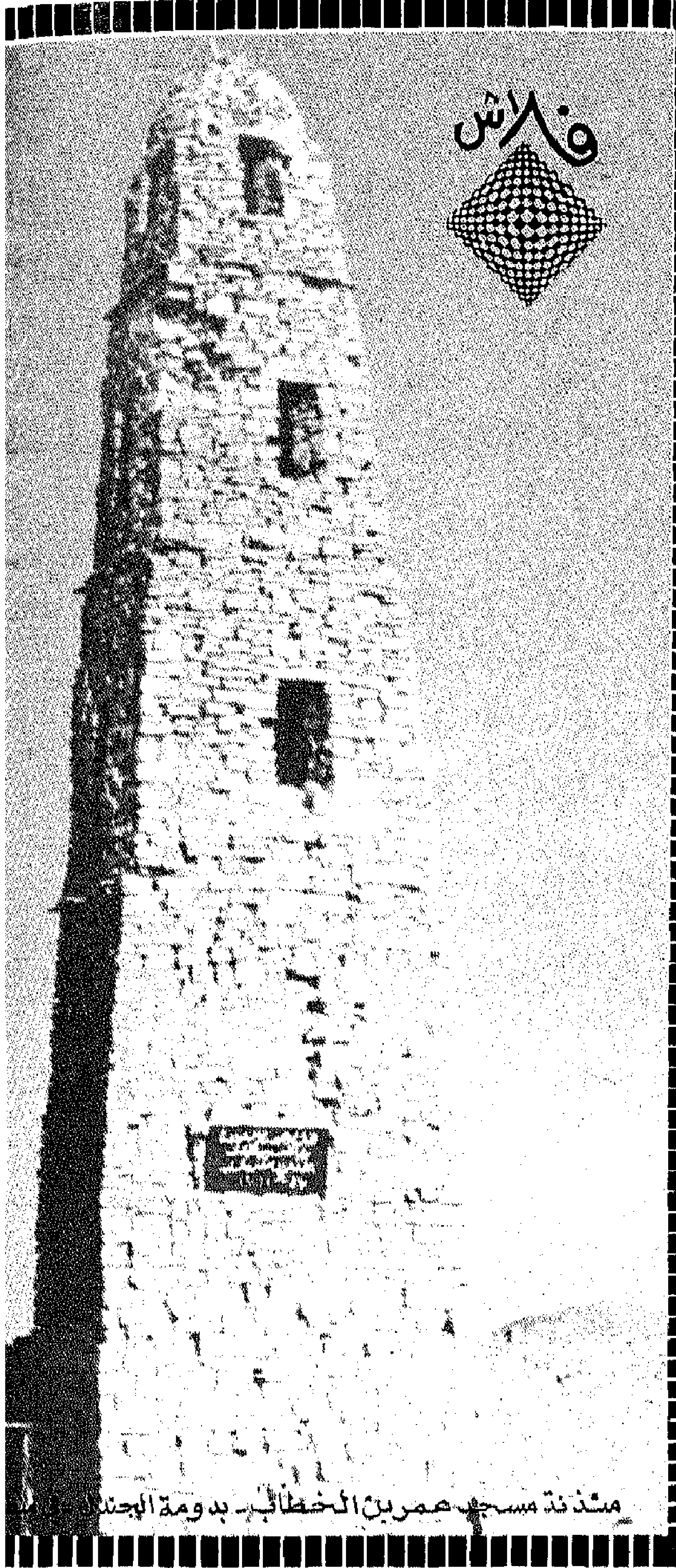
الطراز الأندلسي :

يعتبر الطراز الاندلسى مدرسة معمارية فنية قائمة بحد ذاتها وذلك لكثرة خصائص فنونها وتوسعها والفترات التى مرت بها وتعداد فروعها . مثل الأندلسية المدجنة : وهو فن معمارى اسلامى مطبق على بناء نصرانى ومعدل بحسبه . . والمدجنون هم المسلمون الذين بقوا بجهات الاندلس بعد خروجها من ايدى العرب .

وقد قاموا ببناء كنائس الأوربيين ومدارسهم وأديرتهم وقصورهم وفق أصول الفن المعمارى الإسلامى وبتعديلات يقتضيها الفارق الدينى . . وذهب الفن المدجن الى أمريكا مع كريستوفيروس كولومبوس وجاء الى المغرب مع مهاجرى الاندلس الذين أجلاهم فيليب الثالث ملك أسبانيا عام ١٦١٣م .

من الطراز الموحدى المربع الأضلاع أو المسدس أو المثمن . ومنه الأموى والمراكشى والجزائرى والتونسى والصقلى . . ومما تجدر الاشارة اليه هنا وجود التشابه الكبير بين الطرازين المغربى والاندلسى واعتبارهما مدرسة فنية واحدة لكونهما تطورا واحدا فى أزمان متقاربة ومضطربة حينا وهادئة حينا آخر .





مئذنة مسجد عمر بن الخطاب ـ بدومة الجندل

الطراز الملاوي :

طراز منتشر فيما يلي الهند شرقا حتى جزائر اندونيسيا وجنوبي الفيليبين . . ولم نقف على خصائص هذا الفن لعدم وجود المصادر الباحثة أو المستطلعة .

الطراز التركستاني :

طراز معماري إسلامي رائع انتشر في بخاري وسمرقند وطشقند وما إليها . . قبابه ترتكز على أجزاء اسطوانية عالية (لاحظ الشكلين ٢٥، ٢٦) ومآذنه أسطوانية فخمة لها قواعد مربعة وليس لها نهايات معينة كما في مآذن الطرز الاخرى (لاحظ الشكل ٢٧) ربما كانت مئذنة سنجار الأثرية في العراق (شكل٢٨) ومنارة الحدباء في الموصل (شكل٢٩) على شاكلة هذا الطراز .

الطراز الأتابكي :

طراز يعود الى الدوله الأتابكية التي حكمت الشام والجزيرة والعراق من ١١٢٧ الى ١٢٣٢م نذكر من هذا الطراز مشهد الامام يحيى وعون الدين في الموصل .

أنواع المآذن العربية :

لا يمكن لأي باحث أن يستطيع تصنيف المآذن العربية على وجه التحديد الفني لميزات كل طراز ولكننا نستطيع تصنيفها من ناحية الهيئة العامة صارفين النظر عن طرزها المصنع آنفة الذكر .

١ ـ المئذنة الحلزونية : وأشهر نماذجها ملوية سامراء وجامع أبي دلف ومئذنة مسجد أحمد بن طولون في القاهرة . (لاحظ الشكلين ٤، ٥) .

٢ ـ المئذنة المربعة : ومنها مئذنة الجامع الأموي ومآذن الجوامع في شمال افريقية والاندلس (لاحظ الشكل ١١) .

٣ ـ المآذن الاسطوانية (المستديرة) : ومن أمثلتها جامع السلطان أحمد في استانبول . . ومئذنة مسجد الشاه باصفهان . . ومآذن الجامع الازهر في القاهرة . . وكثير من المآذن في العراق (لاحظ الشكل ٣٠) .

الفنون الزخرفية:

تعتبر الاساليب الاموية اول مدرسة ذات مزايا معينة فى الفنون الزخرفية العربية.. وهذه الاساليب عبارة عن تفريعات نباتية ومناظر صيد وصور لحيوانات مع زخارف فسيفسائية تمثل رسوم أشجار الفاكهة إضافة الى ما يبدو على هذه الزخارف من بعض التأثيرات الاجنبية.

استمرت الاساليب المذكورة - فى النحت خاصة - متبعة خلال النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ابان الحكم العباسى. إلا أن هؤلاء استقدموا خيرة الصناع والفنانين من مختلف أنحاء العالم الإسلامى مما أدى الى التقاء أساليب فنية متباينة وتأثيرات خارجية طبعت فيها بعد بطابع الفن الإسلامى.. وقد بقى لنا من زخارف سامراء التى كانت عاصمة الخلافة العباسية لفترة من الزمن زخارف جصية ذات طابع خاص يمكن تقسيمها الى ثلاثة طرز:

الطراز الأول: أهم عناصره ورقة العنب الخماسية وعناقيدها المحاطة بثلاثة فصوص اضافة الى ورقة عنب ثلاثية. وعناصر كأسية وكيزان صنوبر ومراوح نخيلية (شكل ٣١) وهذه الزخارف قريبة الى الطبيعة. وهى تشبه الزخارف التى كانت موجودة قبل الإسلام وخاصة فى الحيرة.

الطراز الثاني: قل فيه تجسيم العناصر الزخرفية وحورت عن الطبيعة ليس كما عرفناه فى الطراز الأول. كما عمد الفنان الى التبسيط فى العناصر والاختصار فى الوقت.

الطراز الثالث: ونظرا لكثرة المساحات التى يراد زخرفتها فقد اتجه الفنان الى تبسيط العناصر الزخرفية وتوسيعها لتملأ أكبر مساحة ممكنة. وأهم العناصر الزخرفية فيه الأوراق النباتية والمراوح النخيلية.

أما الحفر على الرخام فقد وفق فيه الفنان المسلم الى حد كبير. ومن أفضل الامثلة على ذلك ما وجد فى قبة الصخرة والجامع الاموى من عصر بنى أمية حيث زينت هذه العمائر بالعناصر النباتية المحفورة.. ومن الامثلة العباسية فى الحفر على الرخام: محراب جامع الخاصكى فى بغداد (شكل ٣٢)، ويرجح انه كان قبل ذلك فى جامع المنصور ببغداد.. أما فى **العصر الأموى** فقد اعتبر عصر انتقال من الزخارف الحجرية والجصية الى الزخارف الاسلامية الطابع اذ كانت فى البداية متأثرة بالاساليب الاجنبية.. أما زخارف سامراء الجصية فتمثل الطراز الرئيسى فى **العصر العباسى** وقد انتشر أسلوبها فى العالم الاسلامى لاسيما فى مصر الطولونية وايران (شكل٣١).. وفى **العصر الفاطمى** خلف لنا الفاطميون أمثلة كثيرة منها لوح رخامى عثر عليه فى مدينة المهدية وكذلك زخارف الجامع الأزهر وجامع الحاكم ومحراب الجيوشى.. وفى **العصر الأيوبى** كانت الزخرفة فيه امتدادا لزخارف العصر الفاطمى مثل المسجد الكبير فى القلعة وضريح الإمام الشافعى فى مصر.. وفى **العصر المملوكى** استخدمت الزخارف الجصية والحجرية مثل جامع الظاهر بيبرس وضريح قلاوون.. وفى الاندلس جاءتنا أمثلة بديعة منها تيجان الاعمدة وأمثلة رخامية أخرى كالألواح الموجودة على جانبى المحراب الذى شيده الحاكم فى المسجد الجامع بقرطبة اضافة الى بعض المنحوتات الجصية فى هذا الجامع.. وفى العصر السلجوقى امتازت الزخارف باستعمال رسوم المخلوقات الحية كما فى قونيه وديار بكر.

الحفر على الخشب والعاج والعظام:

اهتم المسلمون بالحفر على الخشب والعاج والعظام، وقد اتبعوا فى بداية العصر الإسلامى ما كان سائدا قبل الاسلام فى هذا الميدان.. أما فى

العصر العباسى فلم تتطور هذه الصناعة كثيرا عن الاسلوب العربى المذكور - يتضح ذلك فى منبر جامع القيروان (حفر على الخشب) - وفى الحشوة الخشبية المستطيلة الشكل من عصر هارون الرشيد والتى عثر عليها فى تكريت.

وفى العصر الفاطمى زاد الاهتمام بالحفر على الخشب، وقد وصلتنا تحف كثيرة فى غاية الدقة والاتقان قوام زخارفها رسوم حيوانية وتفريعات نباتية.. وفى العصرين الايوبى والمملوكى استمرت الاساليب الفاطمية يبدو ذلك واضحا فى تابوت الامام الشافعى - وزاد الاتقان فى العصر المملوكى كما فى مصراع باب متحف الفن الاسلامى بالقاهرة.. أما فى ايران فقد عرفت هذه الصناعة فى العصر السلجوقى والمغولى والتيمورى وقد احتوت على عناصر زخرفية دقيقة ومتقنة الصنع.

أما الحفر على العاج والعظام فقد عثر فى مدن مصر القديمة ومنها الفسطاط على قطع اتبع فى زخرفتها التقليد القبطى.. أما تحف العصر الفاطمى فتشبه الى حد ما أساليب الحفر على الخشب كما كان سائدا فى مصر. واستمرت الاساليب نفسها فى العصرين الايوبى والمملوكى.. اما فى الاندلس فقد عرفت صناعة الحفر على العاج واهتم بها الامراء والحكام وقد جاءت غالبية التحف مؤرخة.

الفسيفساء

اهتم المسلمون بصناعة الفسيفساء وأبدعوا فيها لتزيين العمائر.. والفسيفساء مشتقة من اللغة اليونانية والمقصود بها الموضوعات الزخرفية المؤلفة بجمع اجزاء صغيرة ومتعددة الألوان من الزجاج والحجر وتثبيتها بعضها الى بعض فوق الجص أو الاسمنت. ومن هذا تتكون موضوعات زخرفية ورسوم متعددة هندسية أو رسوم كائنات حية أو نباتية.

واستعمل الفنان المسلم المكعبات الزخرفية الصغيرة الملونة شفافة وغير شفافة وجمع معها فى بعض الاحيان المكعبات الحجرية والصدفية واستعمل المكعبات ذات اللون الذهبى أو الفضى ولكنه جعلها مائلة قليلا لتعكس الضوء.. من أبدع ما وصل الينا من أمثلة الزخرفة بالفسيفساء فى قبة الصخرة والمسجد الأموى فى دمشق. وأهم موضوعات فسيفساء قبة الصخرة فروع نباتية متصلة وحلزونية تخرج من آنية ويقع بين كل فرعين موضوع زخرفى يشبه الشمعدان وفوقه زخرفة بشكل مجنح. اضافة الى هذا فيها عناصر زخرفية نباتية كالاشجار والنخيل ورسوم الفاكهة ولا سيما العنب والرمان وباقات الزهور ورسوم أخرى مختلفة وكتابة بالخط الكوفى البسيط بالفسيفساء المذهبة على أرضية زرقاء.. أما فسيفساء الجامع الاموى فقوام بعضها رسم نهر على ضفتيه رسوم أشجار تطل على منظر طبيعى فيه رسوم عمائر بين أشجار وغابات وملعب للخيل ورسوم قصور.

المزايا الفنية للزخرفة العربية :

تمتاز الزخرفة العربية كقيمة فنية بما يلى:

١ - النتوء والبروز وخاصة فى النحت الذى أبدع فيه العرب فى العصر الأندلسى وما بعده.

٢ - قوة الالوان والأصباغ، وللعرب ذوق خاص باختيارها ومزجها مع الاعتناء بالخطوط الفاصلة بين المساحات اللونية.

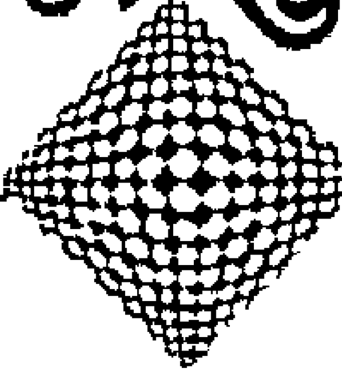
٣ - تغطية المساحات الخالية، وذلك بتأزيز الحيطان ونقش السقوف بالرسوم والالوان غير المتناهية.

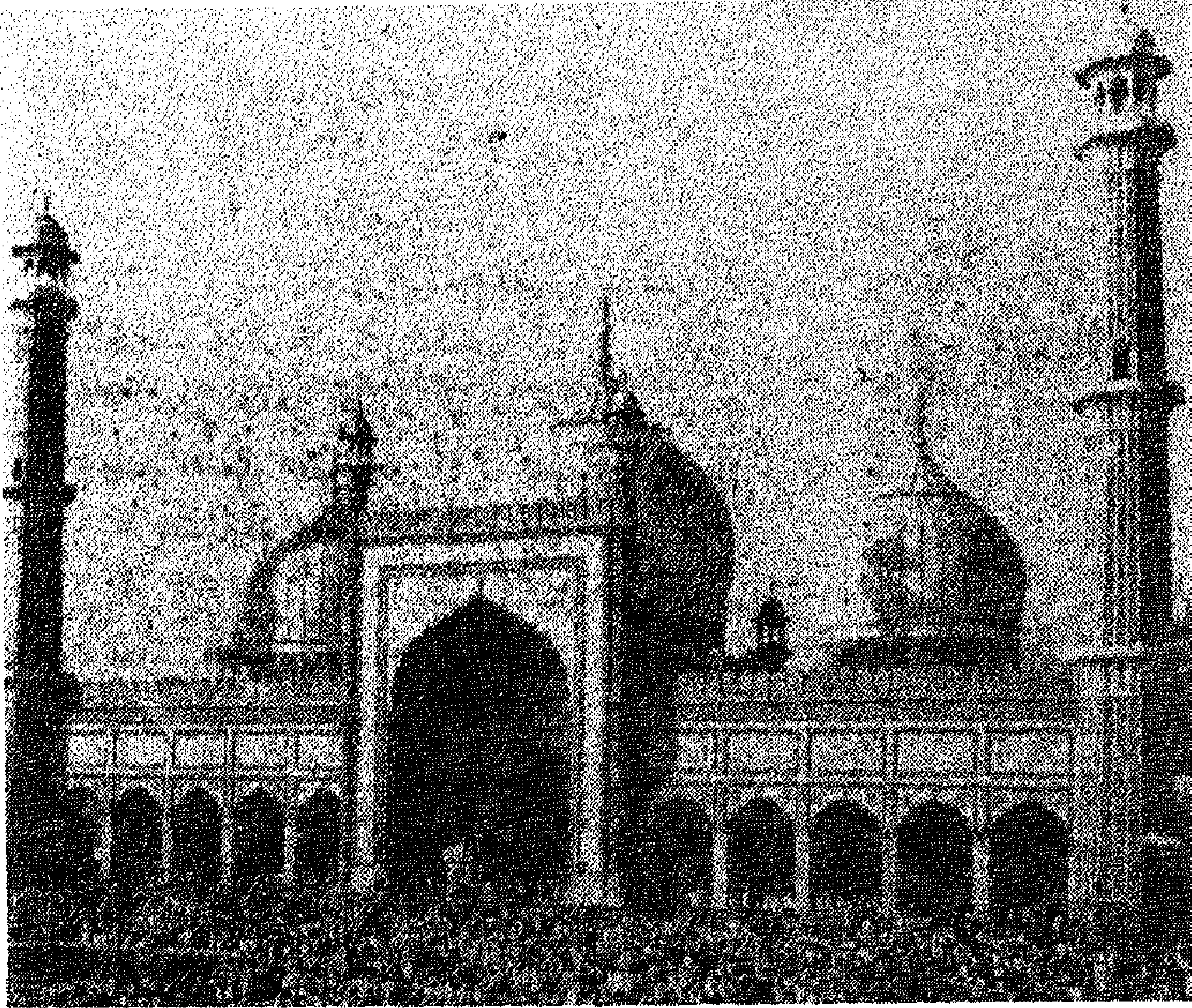
٤ - استعمل للنقش القاشانى والبلاط المرخم الذى استخدموه بالنقش والتزيين.

٥ ـ استعملت الحجارة الملونة وقطع الزجاج والعاج والصدف فى التكفيت.
٦ ـ أصبحت الزخارف الآجرية وكأنها حقول واسعة من الوشى والتزويق.
٧ ـ استعملت للزخرفة مواد متنوعة مثل الزخارف المطعمة بالمرمر (المدرسة النورية) والزخارف الجبسية والجصية (سامراء القديمة).

وحدة الفن العربي

ومما يلاحظ فى الفن العربى تلك الوحدة المعمارية والزخرفية والتى تكاد تشمل جميع جوانبه رغم تفريقنا العام للانماط الهندسية كالفاطمى والموحدى والصفوى... الخ فانها مجتمعة تؤلف التكوين العام للأثر المعمارى ولنأخذ مثلا على ذلك جامع الزيتونة بتونس.





الاسلام فى الهند

تعتبر الهند ثالث اكبر دولة فى عدد المسلمين فى العالم وتأتى بعد اندونيسيا وبنجلاديش اذ يبلغ عدد المسلمين فيها ٨٥ مليون مسلم

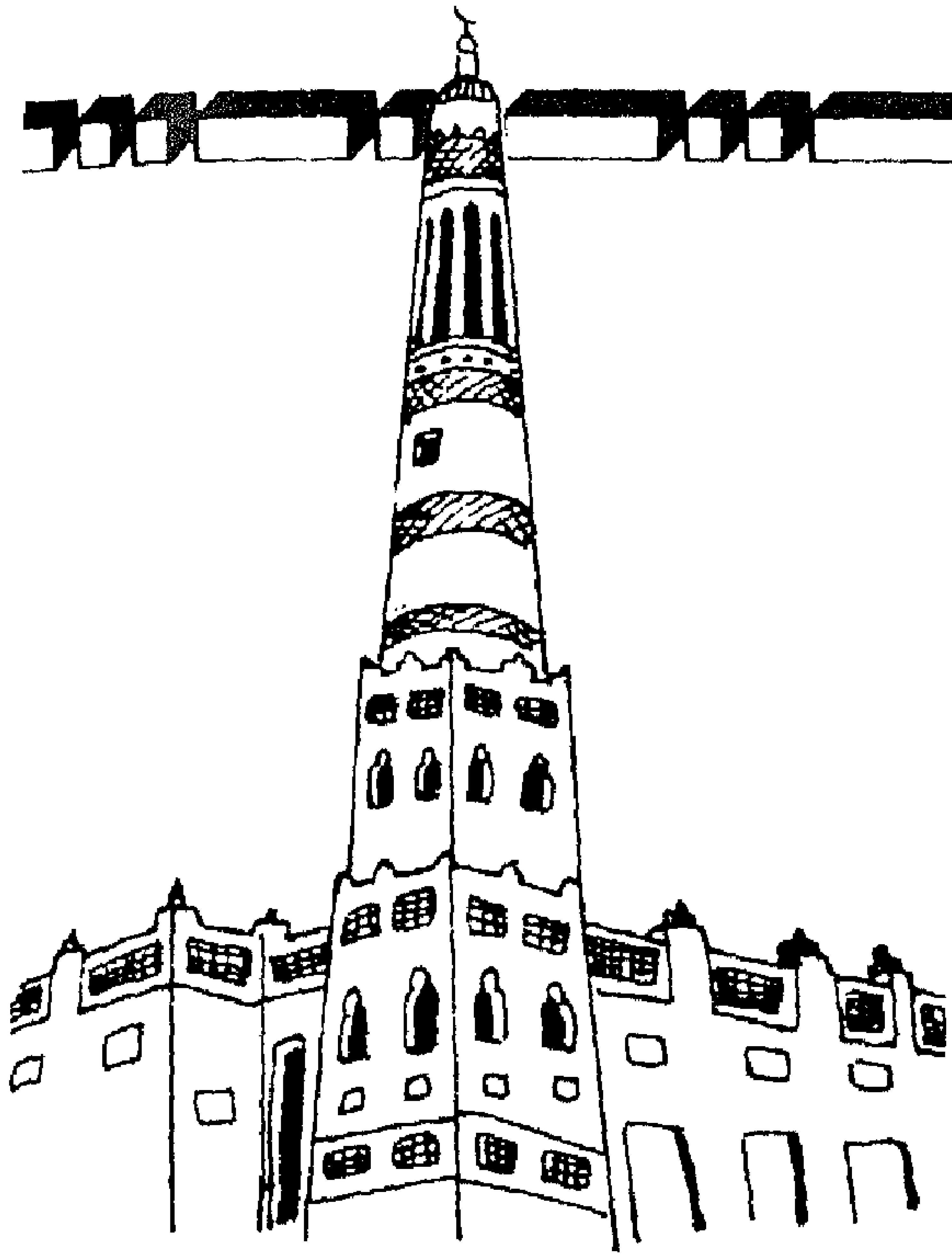
فمن خلال توزيع الزخارف والفنون المعمارية فى هذا الأثر العربى الخالد نجد أنواع الفنون فيه فالفن الفاطمى فى المجنبة الجنوبية وتيجان الاعمدة والفن الصنهاجى فى الزخرفة على الاعمدة والتيجان والكتابة عليها بالكوفى المزهر، والفن الموحدى فى الكوفى المربع المدخل الشمالى لبيت الصلاة والصحن والمكتبة، والفن الاندلسى فى زخارف المحراب والاقسام السفلى من القبة، اما الفن التركى فنجده فى أبواب دار الإمام وأقواس الصحن.. كما ان هناك الزخرفة العربية التى تمثل صورا متعددة مستقلة عن بعضها فى اللوحة الواحدة أو المنظر الواحد وتشبه الى حد كبير ما نجده فى الشعر العربى من تعدد الموضوعات فى القصيدة الواحدة.

تأثير المساجد فى الفنون :

إن نظرة متفحصة إلى المساجد الإسلامية فى العصور المتأخرة والمتقدمة تؤكد لنا اهتمام العرب الواضح بالفن الزخرفى وابتعادهم عن التصوير باعتباره محرما.. ولما كانت للمساجد أهميتها الدينية والحضارية عند العرب أصبح من الطبيعى الاهتمام الشديد بتزيينه وزخرفته وإظهاره بالمظهر اللائق خاصة فى البلاد التى يفتحها العرب. وعلى هذا الأساس يمكن القول ان المساجد أصبحت مجالا جيدا للعمل الفنى. أو بعبارة أوضح نستطيع القول بأن المساجد بما فيها من ابداعات فنية راقية اثرت تأثيرا كبيرا على الحركة الفنية عند العرب. حتى أن العرب اشتهروا عند الأقوام الأخرى بمتانة أسلوبهم الفنى وصدق عملهم ومحافظتهم الشديدة على الخطوط الفنية كجزء لا يتجزأ من العمل الفنى.. أما اتقان صناعة البناء فقد بلغ العرب ما بلغوا حتى قيل ان المعماريين فى العالم وقفوا مشدوهين أمام الكثير من الظواهر المعمارية العربية والاسلامية. فالمآذن التركية الشاهقة لم تكن مبنية سوى بالآجر والجص ومحلاة بالزخارف القاشانية البديعة ومع "هذا فقد بقيت محافظة على هيكلها مئات السنين ولم يظهر خلل فيها. فما دلالة ذلك سوى اتقان نقطة الارتكاز على حد تعبير المعماريين.. وقد ذهب آخرون الى أن فكرة ناطحات السحاب الموجودة فى بعض بلدان العالم الحاضر ما هى إلا تجسيد «لنقطة الارتكاز» هذه المأخوذة عن الهندسة المعمارية العربية.

الفنان المجهول :

إن الفنان العربى فنان مجهول لم يذكر اسمه بوجه عام إلا قليلا فيما بناه أو زخرفه فى المساجد أو المآذن أو المحاريب أو المدارس أو نقشه على النحاس أو ذهبه فى المصاحف أو زرق به العمارات المختلفة.. إن هذا الفنان قد برع فى توزيع الزخرف المتنوعة توزيعا



شكل 37 مئذنة مسجد حضرموت

متساويا وبصورة حسنة الترتيب والتأليف بحيث تتجلى فيها روعة ودقة متناهية وتأثير له سحر خاص.

التصوير فى العمارة :

عبد العرب قبل الاسلام التصاوير والتماثيل وألهوها. فلما جاء الاسلام كان أول ما استنكر وجودها وأعتبرها من المحرمات لانها تمثل تركيبا وثنيا.. وشىء طبيعى أن يتأثر فن العمارة بهذا التحريم خاصة فى المساجد الاسلامية والمراقد المقدسة.. ومما تجدر الاشارة اليه أن الفن الرافدى كان خاليا من رسوم الأشخاص إلا نادرا وخاصة فى العصر الامورى. ويبدو فى هذا اتصال تاريخى بين التحريمين لا على الاساس الدينى فقط بل ربما على الاساس النفسى والاجتماعى ولا زالت هذه الدعوة قائمة الى اليوم عند بعض العامة وعند طوائف معينة عند المسلمين. وبعضهم يقول ان الذى يرسم صورة شخص يكلف يوم القيامة بنفخ الروح فيها «وهو ليس بنافخ». وعلى كل حال استعملت رسوم المناظر الطبيعية وخاصة بالفسيفساء كما هو واضح فى الجدران الداخلية لقبة الصخرة.. واستعملت رسوم

الازهـار والقـواريـر الزهرية ولكن بشكل منتظم مما يكـون وحـدات زخـرفية رائعة كما فى أغلب المراقد المقـدسة فى العراق. . وربما كان ابتعاد الزخرفة فى هذه المراقد عن التصوير لا بسبب الحذر الدينى - ولا نقول التحريم - فقط بل من أجل رسوم الاشخاص خاصـة انهـا لا يمكن ان تؤدى مهمتهـا فى التأثـير الـدينى: وثـانيا: لأنها لايمكن أن تكون أجمل من الزخارف. وثالثا: لان الطراز الصفوى الذى تأثرت به عمارتنـا المقدسة كان خاليا من رسوم الأشخاص لسبب مجهول لدينا.

ومن الطـريف هنـا والغريب أيضا أن نذكر أنه وجـدت تصـاويـر بشـريـة وحيوانية فى محراب أحد الجـوامـع فى منطقـة سنجـار وهو محفوظ فى متحف القصر العباسى ببغداد.

عصور الأضرحة فى العمارة الاسلامية :

لم يكن معروفا عند العرب والمسلمين بناء أضرحة المـوتى ولمـا قوى مركـز الاسـلام الدينى والسياسى وجـدوا من المنـاسب تكـريم بعض الـزعماء بتأشير قبورهم ومن ثم بناء عمارة لها. كما ان البعض منهم يدفنـون فى المساجد نفسها لقرابة الفكرة الروحية. ومع الزمن وجدوا أن القبر - اسما - يطغى على الغاية الدينية للمسجد. ويلوح لى أن الفكرة الأولى من بناء الاضرحة عند المسلمين كان فى بناء المساجد لها. وفى هذا الجزء من البحث يجد القارىء عصور ازدهار عمارة الاضرحة فى تاريخ الاسلام مع دراسة موجزة للهيئة العامة لها مع ملاحظة تأثير الزمان والمكان عليها.

ففى العصـر السلجوقى كثر بناء الاضرحة على هيئة ابراج اسطوانية أو ذات اضلاع أو أوجه عدة أو على شكـل عمائـر ذات قبـاب وأقـدم هذه الأبراج ضريـح جنبـذ قابـوس (٢٨) (٣٩٧هـ) فى اقليم جرجان وتصميمه نجمى يضيق قليلا جدا فى أعلاه وينتهى بقمـة مخروطيـة الشكـل. . كما عرفت هذه الابراج فى العراق وبلاد الجزيرة كما نرى فى ضريح الإمـام يحيى بالموصل (٦٣٧هـ). . أما قبة السيدة زمـرد خاتون فى الكرخ ببغداد فقوامها قاعدة مثمنة فوقها قبة على هيئة مخروط ناقص ويرجع تاريخها الى القرن السادس الهجرى.

● امـا فى العصـر المغـولى فقد ظل بناء الاضرحة المشيـدة على شكـل ابراج شائعا كما هو فى العصر السلجوقى ويظهر ذلك جليا فى الضريح المشيد فى مدينة مراغه والذى ينسب لاحدى بنات هولاكو. . وازدادت العناية ببناء الاضرحة فى العصر الصفوى فتعـددت أشكـالهـا وانتشر فى غربى ايران نوع من الاضـرحـة قوامـه بنـاء مثمن الشكل. . ومن أبرز الامثلة ضريـح وجامع الشيخ صفى الدين باردبيل (القرن العاشر الهجرى).

● وقـد تأثـرت العـمائـر الهنـدسية الى حد كبـير بالأساليب الايرانية وامتازت بالفخامة. . أما فى بناء الاضـرحة فقد تأثرت بطرز الأضرحة ذات القباب بايـران ولكن إمتازت معظمها بشكل مربع القاعدة يضيق قليلا كلما ارتفع وله سور منحدر ذو أبراج فى أركـانـه ومن أمثلة ذلـك مدفن تغلق شاه من سنـة ٧٢٥هـ. . ومن الأمثلة الـذائعة الصيت فى العمارة الهندية مقبرة تاج محل التى تعتبر آية من آيات الفن الإسلامى: انشأ هذه المقبرة الامبراطور شاه جهان فى أكرا لزوجته ممتاز محل سنة ١٠٣٩هـ ويقع الضريح فى حديقة كبيرة على نهر (جمنة) وعليه كسوة من المرمر يتباين لونها عن لون العمائر المجاورة له والتى هى من الحجـر الرملى الاحمر، وتبدو فيه التأثيرات الايرانية وخـاصة فى واجهة الضريح، أما شكل القبة وأمالة الاركـان وهيئـة الابراج الاربعة والتفاصيل المعمارية والزخرفية داخل العمارة فعليها كلها الطابع الهندى. . ان فى هذا الضريح دقة فى النسب المعمارية وجمالا فى العناصر وفخامة فى المظهر (لاحظ الشكل ٢١).

أثر الفن المعماري العربي في الفنون المعمارية العالمية :

كثير من الكنائس والقصور التى بنيت فى أوربة فى عصور مختلفة احتفظت بكثير من الظواهر المعمارية العربية البحتة كما فى قصر هتسبورغ التاريخى بالقرب من درسدن بالمانيا الديموقراطية ففيه نلاحظ بوضوح القباب العربية وكذلك الأبراج وطريقة توزيع الأبواب والشبابيك . . فالاوربيون ما زالوا يذكرون ان المقرنصات تأثرت بها المبانى الاوربية وبخاصة فى اسبانيا وايطاليا وان الشرفات الزخرفية انتقلت الى ايطاليا وأصبحت من ظواهر العمارة القوطية (٢٩). والعقود المسننة (شكل١٠) والمتعددة الأقواس (شكل٣٣) موجودة على اختلاف أنواعها فى أوربا . . وأثرت المآذن الإسلامية فى أبراج النواقيس فى ايطاليا فى عصر النهضة : يقول أحد علماء أوروبا بريجز أن اسم آرابسك يدل على اننا مدينون بهذه الزخارف للعرب : ويقول أيضا ان الصليبيين تعلموا من العرب شيئا من فن التحصين وعمل الاستحكامات. والى العرب يمكن أن ننسب اختراع القوس المدبب (شكل٣٤) والذى على هيئة حدوة الحصان (شكل٩) والزخارف الحجرية التى تملأ الشبابيك فى العمارة القوطية ومنها ذات التركيبات الزجاجية . . ومن المحتمل أن تكون الزخارف هذه مأخوذة عما كان فى المساجد الأولى من شبابيك مخرمة حجرية أو جصية . . وكذلك الحال بالنسبة لاستخدام الأعمدة المندمجة فى أركان الدعائم حيث يمكن اعتبارها من الاختراعات العربية التى يرجع تاريخها الى القرنين الثامن والتاسع الميلادى . . وكذلك المحفورة بزخرفة المبانى القوطية المتأخرة وقد وجد مثلها فى جامع ابن طولون بمصر (٣٠) أما الكتابات الكوفية فقد توغلت فى فرنسا عندما احتل العرب أقاليمها الجنوبية . . وحتى فى انكلترا توجد أمثلة نادرة من الزخارف يظن أنها تأثرت بالزخارف العربية . . والغرب مدين للعرب بطريقة الزخرفة بالفروع النباتية البارزة بروزا قليلا كما أنه مدين لهم باستعمال الزخارف الهندسية أيضا . (الشكل٣٥).

حاضر الفنون المعمارية في البلاد الإسلامية

لابد لنا وقد تكلمنا عن تاريخ المساجد الإسلامية أن نتكلم عن حاضر هذه الفنون ولو بصورة موجزة . . إن بعض البلاد العربية والإسلامية حافظت على فنونها المعمارية المتمثلة بطرزها الثابتة وخاصة تلك التى أثرت فى الفن أو التى كانت مدرسة معمارية . . ففى ايران والعراق كان الطراز الصفوى. وفى المغرب الطراز المغربى الاندلسى والمدجن. وفى مصر الطراز الفاطمى. وفى سوريا الطراز الاموى. وفى تركيا الطراز العثمانى. وفى طشقند الطراز التركستانى . وفى الهند الطراز المغولى . . ولكن هناك بعض الدول الإسلامية لم تتأثر بهذه الطرز إما بسبب بعدها عن مواطن الحضارة المعمارية أو لتأخر شعوبها نتيجة لواقع سىء، وربما كانت عمارتها أقدم من الفنون المعمارية السالفة الذكر، فظلت عمارتها خاصة المقدسة منها محافظة على اسلوبها الاصيل النابع من الفطرة والحاجة بذلك نشأت طرز معمارية غريبة أحيانا وتدل على خلق وابداع مرة أخرى، نذكر منها مئذنة جامع شنقيط بموريتانيا (شكل٣٧). ومئذنة مسجد الرضوان فى الحديبية قرب مكة (شكل٣٨). ومئذنة مسجد مدينة الأبيض بالسودان (شكل٣٩). ومئذنة قصر الرباط فى سوسة والتى تعتبر من أقدم المنائر فى الإسلام (شكل٤٠). ومئذنة جامع الزواوى فى مسقط بعمان والتى يقال أن اصلها يمانى قديم رغم ما فيها من لمحات الفن المعمارى المغربى وهى تقف على أركان أربعة (جوسق) لا يفصل بينها بناء، كما أنها ليست شاهقة الارتفاع (شكل٤١). . ومن غرائب الامور المعمارية اصرار أتباع الطائفة

الاسماعيلية على طلاء قبة ضريح الشيخ اسماعيل الولى باللون الفضى لتظهر ليلا ونهارا، والقبة تقع فى مدينة الأبيض بالسودان (شكل٤٢).

ومما هو غنى عن التعريف أن الفنون المعمارية الاسلامية تداخلت فيما بينها فانتجت طرزا مشتركة ولكن لها ميزات خاصة كما ان البعض منها تأثرت بطرز معينة رغم وجود طراز معمارى محلى، ويلوح لى أن سبب ذلك تفاوت الوقت بين بناء الأثر وظهور الطراز. مثلا جامع ابن طولون عراقى الطراز رغم انتشار الطراز الفاطمى بمصر ذلك لأن الطراز العراقى كان قبل الطراز الفاطمى بوقت كبير.

كما وقد يتأثر طراز بآخر كما فى مسجد نصر فى شارع كرنيش النيل الذى شيد على الطراز الفاطمى المتأثر بالطراز المغربى (شكل٤٣).

فيما يلى تعريفات ببعض المصطلحات المعمارية العامة:

الآجر المزلج: القاشانى بلغة الفصحى.

الارابسك: الأنماط الزخرفية الزهرية.

البراطيل مداخل العمائر المسقوفة.

البلاطة: المساحة المحصورة بين صفين من الاعمدة.

البنية: اصطلاح عامى غير شائع ويعنى العمارة المقدسة.

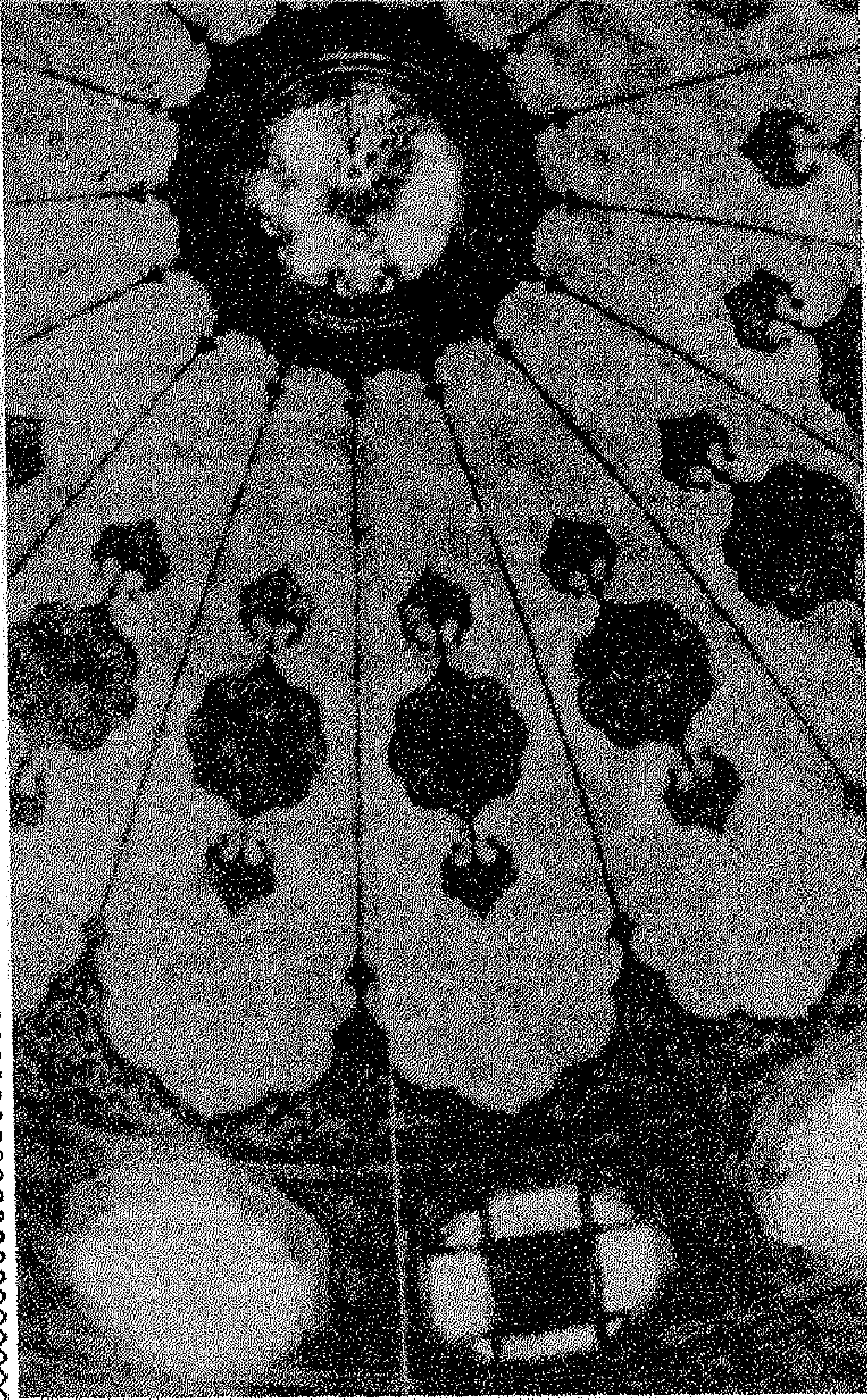
التربة: القبر يعنون بها التراب الذى يضم الجسد. ثم صار اصطلاحا.

التكايا: من «التقية» على لسان الاتراك وهى نفس (الربط).

تيجان الأعمدة: القسم الأعلى من أعمدة العمائر ويكون على هيئة التاج وفيه زخارف، وهو إما من الخشب أو الآجر أو الرخام. وقد استعملنا الصيغة المذكورة بالجمع لكثرة استعمالها.

الجوسق: قبة صغيرة ترتكز على قناطر معمدة.

الحائر: الصحن واحيانا بها يحوى من قباب ومآذن.



على مدار التاريخ الفنى للعمارة كانت الاخشاب تمثل احد ابرز التكوينات البديعية البارزة.. وكما عنى فن العمارة بالمشارب والاقواس وكل فنون الطابع التشكيلى الاسلامى كان لابد ان تبرز الاعمال الخشبية المنقوشة والمضغوطة والمصنعة لتضفى على تلك الروعة بيانيات دقيقة حثيثة نجدها فى الروشن والشرفة والاسقف والمداخل والشبابيك.. وما اكثر ما تميزت به واحتضنته فى المساجد والمدارس ودور العبادة.. وفى الآثار التاريخية القديمة القائمة فعلا.. وكم فتنا وفتن الغير بها واخذناها ـ معاً ـ اسلوبا مميزاً لفنون العمارة المعاصرة.

الحسينيات: جمع حسينية وهي المباني أو المساجد التي يجرى فيها العزاء الحسيني.

الحل والشد: طريقة معمارية قديمة يعتقد انها عراقية الاصل. وفيها يكون الآجر بصفوف منتظمة منها في منارة سوق الغزل إثنا عشر سافا.

الحوض: جزء عريض من المنائر على هيئة حوض عادة يكون شكله العام قمعيا فيه مقرنصات. ويسمى الحوض احيانا «شرفة».

الخانقاهات: (الخوانق) المدارس بلغة الفرس ويعنون بها الربط.

الدلايات: زخرفة معمارية مجسمة على هيئة خلايا النحل.

الربط: مثل الدور يتبرع بها المحسنون لإيواء الايتام وأبناء السبيل والمعدمين وتعليمهم العلوم الدينية.

الرصف الشيطاني: طريقة قديمة في بناء السوق يرتكز فيها الآجر واحدة على الاخرى.

الرقش: راجع آرابسك.

الرمانة: حلية ذهبية أو فضية أو نحاسية مطلية بالذهب، توضع على المآذن والقباب، وهي عبارة عن كرات في رأسها هلال أو شمس أو كف.

الروضة: الضريح.

الريازة: فن العمارة.

الزخرفة الرصفية: وفيها يتم رصف قطع ملونة من القشاني مثلا أو مع قطع من الآجر وبطريقة معمارية معينة عندما تكتمل دورة فوق دورة تتكون الوحدة الزخرفية. لاحظ الشكلين ٤٦، ٤٧.

الزليج الاغلبي: القاشاني بلغة المغرب العربي.

الزوايا: آخر تطور معماري للربط ويقول المؤرخون انه اصطلاح مغربي يطلق على الربط.

الساف: الآجر أو القاشاني المصفوف بدورة كاملة، أو بصف واحد.

شاهد القبر: المكان الذى يوجد فيه القبر مؤشرا بعلامة كأن تكون صخرة أو بناء من الآجر. ومثل هذه الشواهد تكون لها دلالة اذا وضعت عند قبور الأولياء والأئمة.

الشبابيك الزخرفية العمياء: الشبابيك الغير نافذة من الجدران (شكل١).

الشرفة: راجع الحوض.

الشمسيات أو القمريات: نوافذ من الجص المنقوش بتخطيط وتشجير وتوريق مع تطعيمه من الزجاج الملون ترسل على أرضية المحراب في المساجد وملابن القبور في الاضرحة شكلا هندسيا ملونا كأنه طنفسة بديعة أو روضة غناء.

الصندوق الخاتمي: الصندوق المقفل الذى يوضع على قبور الأئمة. وعلى هذا الصندوق يوضع الشباك.

الصومعة: المئذنة عند المغاربة والاندلسيين.

العريف: المهندس المعماري. وقد وصل الينا من أسمائهم العريف أحمد بن باسة الذى يعتبر من أكابر المهندسين المعماريين في الأندلس. قام بكثير من الأعمال منها: بناء مئذنة اشبيلية المشهورة «الخير الدا»

العقال: اصطلاح معماري عراقي. وهو بناء من الآجر يشبه الحبل.

القوطي: طراز معماري نشأ في فرنسا وانتشر في أوربا الغربية في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وفيه لا تستند القبة أو السقوف على أية أعمدة. يعتقد انها متأثرة بطراز العمارة الأندلسية.

المجنبات: راجع براطيل.

المحراب: كرة في الحائط تعلوها نصف قبة وهو محل تكبير الإمام وسجوده وركوعه فاهتمام المصلين وتركيز ذهنهم في أثناء الصلاة مركز على المحراب وإمامه.

المقرنصات: راجع الدلايات.

الملبن: الشباك.

المسجد الجامع في قرطبة

عبد الجبار محمود السامرائي



تم بنـاء هذا المسجـد خلال قرنين ونصف قرن على وجه التقريب، فقد بدىء فى انشائه على يد (عبد الرحمن بن معـاويـة) الملقب بالـداخـل، أو (صقر قريش) واستغرق انشاء الجزء الأول منه سبع سنـوات، ثم توالت عليه اعمال الزيادة والتجميل والتوسيع إلى اوائل القرن الخامس الهجرى (القرن الحادى عشر الميلادى). وأهم ما يعطى هذا الجامع الفـريـد مكـانـة فى تاريخ الفن المعمارى، ان كل الاضـافـات والتعديلات واعمال الزينة، سارت فى تجاه واحـد، وعلى وتيرة واحـدة وقد اشتركت فى انشائه اجيال كثيرة متعاقبة من اهل الهندسة والمعمار والفن فى الانـدلس، كلهـا سارت على نهج واحد لتعطينا آخر الأمر عملا فنيا رائعا واحدا حتى لقد قيل فيه: سيد المساجد.

تخطيط الجامع :

اتبع عبد الرحمن الداخل فى بنائه لجامع قرطبة فى سنـة ١٦٨هـ النظـام التخطيطى للمسجد الأقصى الذى اعاد الخليفة الوليد ابن عبد الملك بن مروان بناءه فى سنة ٨٧هـ (٧٠٦م) وكان يتألف من عشر بلاطـات تتجـه عقـودها عموديا على جدار القبلة وكانت مقاييسه: (٧٥) مترا فى العرض، و(٦٥) مترا فى الطول، اى فى عمق بيت الصلاة، يضاف الى ذلك صحن فسيح تعد مساحته مساحة بيت الصلاة تقريبا. وكان المسجد مكونا من (١٢) اسكوبا - اى أروقـة - موازيـة لجدار المحـراب، وتسع بلاطات عمودية على جدار القبلة وكانت البلاطة الوسطى، أوسع من الباقيات، وتسمى بـ (الرواق الأوسط) وتؤدى الى المحراب.

● وفى سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م، اضاف (هشام الرضى) ابن عبد الرحمن الداخل وخليفته، اسكوبا لبيت الصلاة من ناحية الصحن.

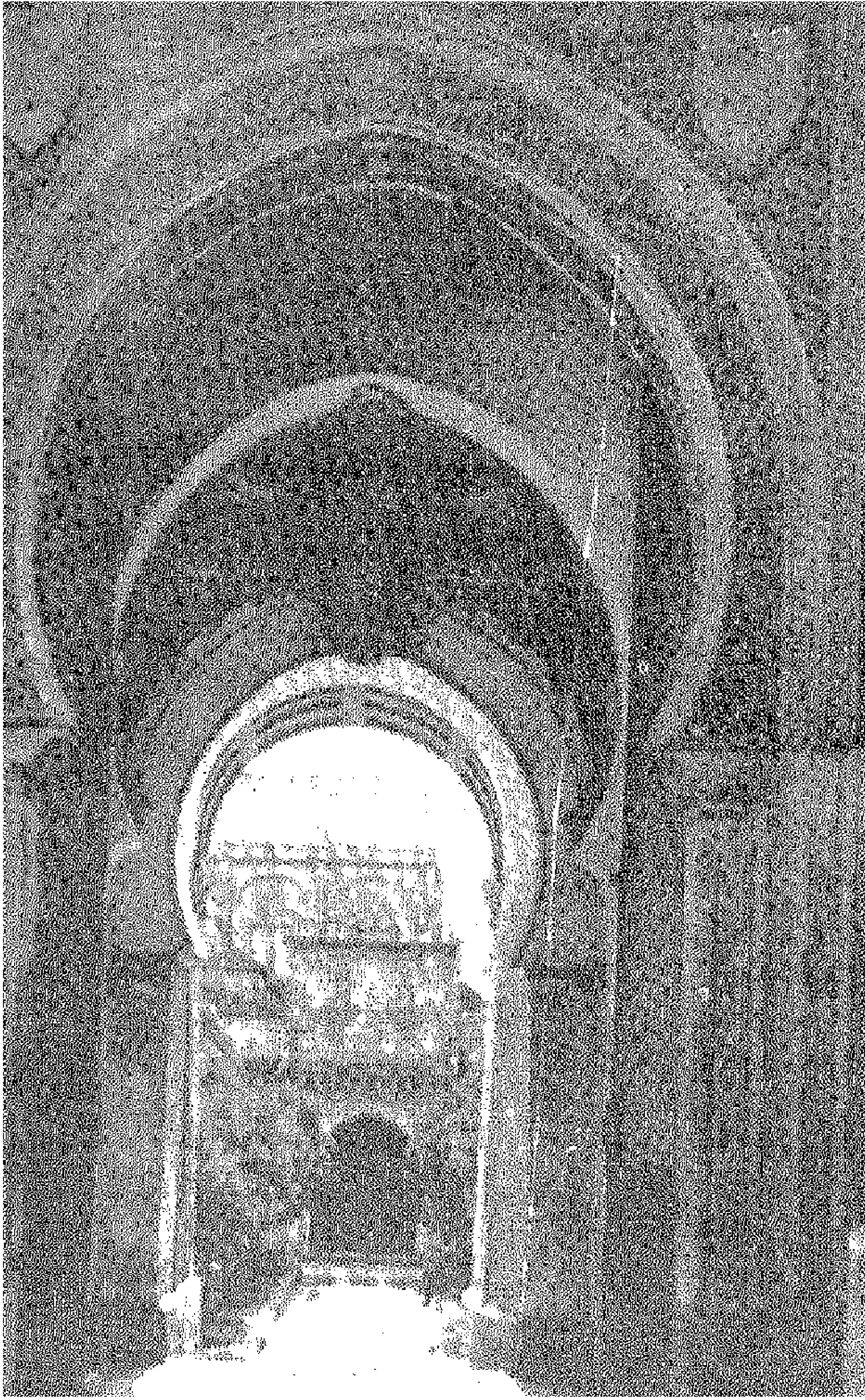
● وقد اهتم عبد الرحمن الاوسط - رابع امراء بنى أمية الاندلسيين، بالمسجد اهتماما كبيرا، فزاد فيه سنة ٢٦٨هـ/ ٨٣٣م زيادة صغيرة، ثم تبين بعد ذلك ان عدد المصلين زاد زيادة كبيرة بسبب اتساع قرطبة، ولهذا فقد بدأ فى سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م فى زيادة عمق بيت الصلاة باضافة ثمانية اساكيب فى اتجاه القبلة (اى نحو الجنوب فى اتجاه نهر الوادى الكبير) ونقل جدار القبلة الى موضع الجدار الجديد وصنع للمسجد محرابا جميلا فأصبحت مقاييس المسجد ١٣٠×٧٥ مترا بما فى ذلك الصحن.

● غير ان زيادة الحكم المستنصر، تتميز دون غيرها من الزيادات التى استوسع بها الجامع باشتمالها على اربع قباب، توزعت على البلاط الاوسط من الزيادة الحكمية والاسكوب الموازى لجدار القبلة، ونظمت على النحو التالى:

● قبة على مدخل الزيادة وتعرف بالقبة المخرمة الكبرى، وقبة بأعلى الاسطوان الذى يتقدم المحراب مباشرة، وهى القبة المعروفة بقبة المحراب، ثم قبتان تكتنفانها بأعلى الاسطوانين المجاورى شرقا وغربا.

● وبذلك نجح مهندسو زيادة الحكم فى إحداث تأثير جمالى من التناسق والانسجام فى بلاط المحراب، مقلدين فى ذلك نظام قبتى المحراب والبهو بجامعى القيروان والزيتونة بتونس، وقد يكون من بين مهندسى الحكم من كان تونسيا. وقد كان لجامع الزيتونة بتونس قبتان: إحداهما امام المحراب فوق تقاطع بلاطة المحراب واسكوبه، والثانية على مدخل البلاط الاوسط من جهة البهو، وقد اقيمت قبة المحراب فى سنة ٢٥٠هـ على نفس نظام قبة المحراب بجامع القيروان التى بناها (زيادة الله) سنة ٢٢١هـ. أما قبة البهو فأقيمت فى سنة ٣٨١هـ.

● ولا شك ان بناة زيادة الحكم المستنصر فى جامع قرطبة، طبقوا هذا النظام المعمارى الفريد فى الزيادة



المدخل الرئيسي لمسجد قرطبة الجامع - المؤدي الى الصحن

المذكورة، واقاموا بلاطا للمحراب يتوسط بلاطات الزيادة الحكمية وما يشبه اسكوب المحراب بحذاء جدار القبلة اكثر اتساعا من بقية الاساكيب، وذلك عن طريق اقامة قبتين مجاورتين لقبة المحراب، ثم شيدوا قبة رابعة عند مدخل الزيادة.

● وقد اصبح هذا النظام الذى طبقه مهندسو الحكم فى زيادته بجامع قرطبة نموذجا احتذته مساجد المغرب والاندلس، واصبحت زيادة الحكم تؤلف طابع المساجد الذى يطلق عليه (الطابع الاندلسى).

بل ان بناة جامع تلمسان (الذى اسس سنة ٥٣٠هـ فى عهد على بن يوسف بن تاشفين) قلدوا تخطيط جامع قرطبة النهائى بعد زيادتى الحكم والمنصور

تقليـ.ا تاما فبيت الصلاة فى جامع تلمسان يشتمل على (١٣) بلاطا عموديا على جدار القبلة والاوسط منها اكثر اتساعا من البلاطات الاخرى.

● ويتميز هذا البلاط بوجود قبتين: إحداهما امام المحراب والأخرى فوق منتصف البلاط الاوسط على نحو ما نراه فى وضع القبة المخرمة الكبرى بجامع قرطبة المعروفة بقبة مصلى فيلافثيوسا بالنسبة للجامع كله، ويتمثل هذا التقليد ايضا فى صف العقود القائمة على دعائم ضخمة تقطع البلاطات الطولية عرضا، وتقسم بيت الصلاة فى جامع تلمسان الى قسمين كل منهما يشتمل على ثلاثة اساكيب.

● ويشبه هذا الصف من الدعائم والعقود الحاجزة صفوف العقود التى تفصل بين بيت الصلاة القديم، وبين زيادة الحكم المستنصر الى حد كبير.

● كذلك اثر نظام القباب القائمة على البلاد الاوسط واسكوب المحراب فى زيادة الحكم بجامع قرطبة على مساجد الموحدين الجامعة، فان بيت الصلاة بجامع اشبيلية، انعكاس واضح لجامع قرطبة بعد زيادة المنصور بن ابى عامر.

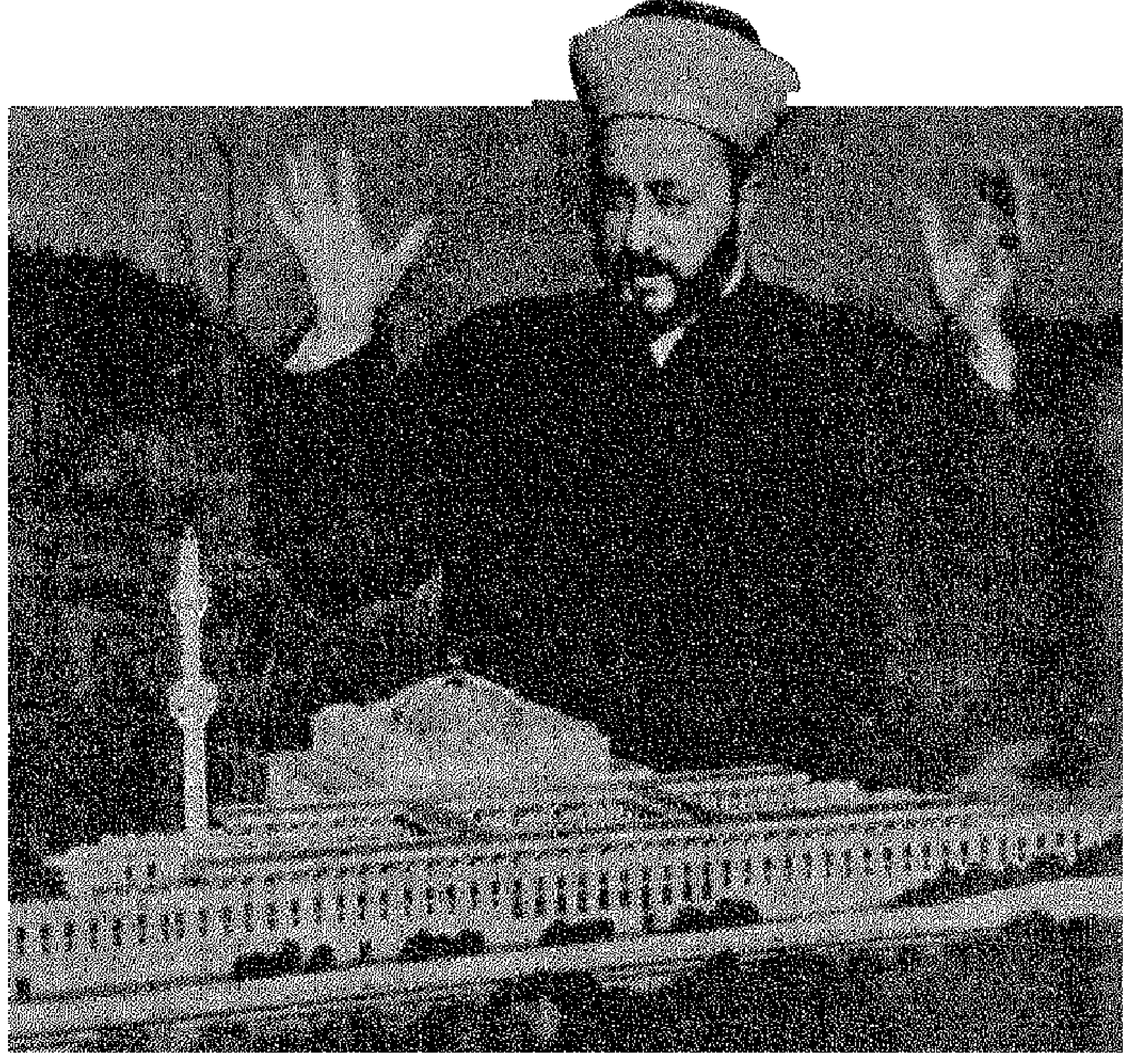
● واصبح جامع قرطبة بعد زيادة الحكم المستنصر يؤلف شكلا مستطيلا طوله ١٧٣,٦٥ مترا وعرضه ٧٦ مترا، ولكن بزيادة المنصور بن ابى عامر اصبحت مساحة الجامع كله (٢٢٢٥٠) مترا مربعا.

● وقد تحرى المنصور ان تكون الزيادة متفقة فى الهيئة والروح العام مع بقية بنيان المسجد.

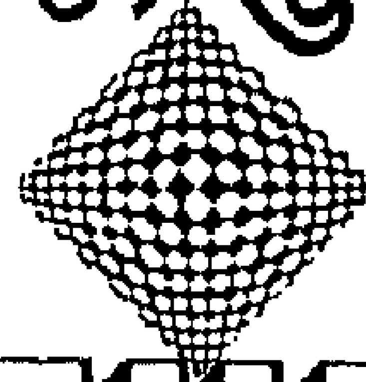
الله اكبر في قلب روما

سيتحقق الحلم الجميل الذى ظل يداعب خيال ١٥٠ ألف مسلم، يعيشون الآن فى إيطاليا.. فى ضاحية (باريسولى) الجميلة فى روما. انتهت أعمال البناء فى المركز الإسلامى الكبير بعد سبع سنوات من العمل.. اشتركت ٢٧ دولة عربية وإسلامية فى تمويل بناء هذا المركز الكبير، دفعت هذه الدول ١٠ مليارات ليرة إيطالية.. بالإضافة إلى ٦٠٠ مليون ليرة دفعتها هذه الدول لتمهيد الطرق المؤدية إلى المركز.. والتى تحيط به من كل جانب.

أطلق على المركز الاسلامى الكبير اسم: (قلعة الإسلام). ويضم مسجداً ضخماً، ترتفع قبته ٢٩ متراً.. أى ما يعادل ارتفاع مبنى من ١٠ طوابق إلى جانب، قاعات للمؤتمرات، ومتحفاً ضخماً ومكتبة عامرة تشغل طابقين كاملين.

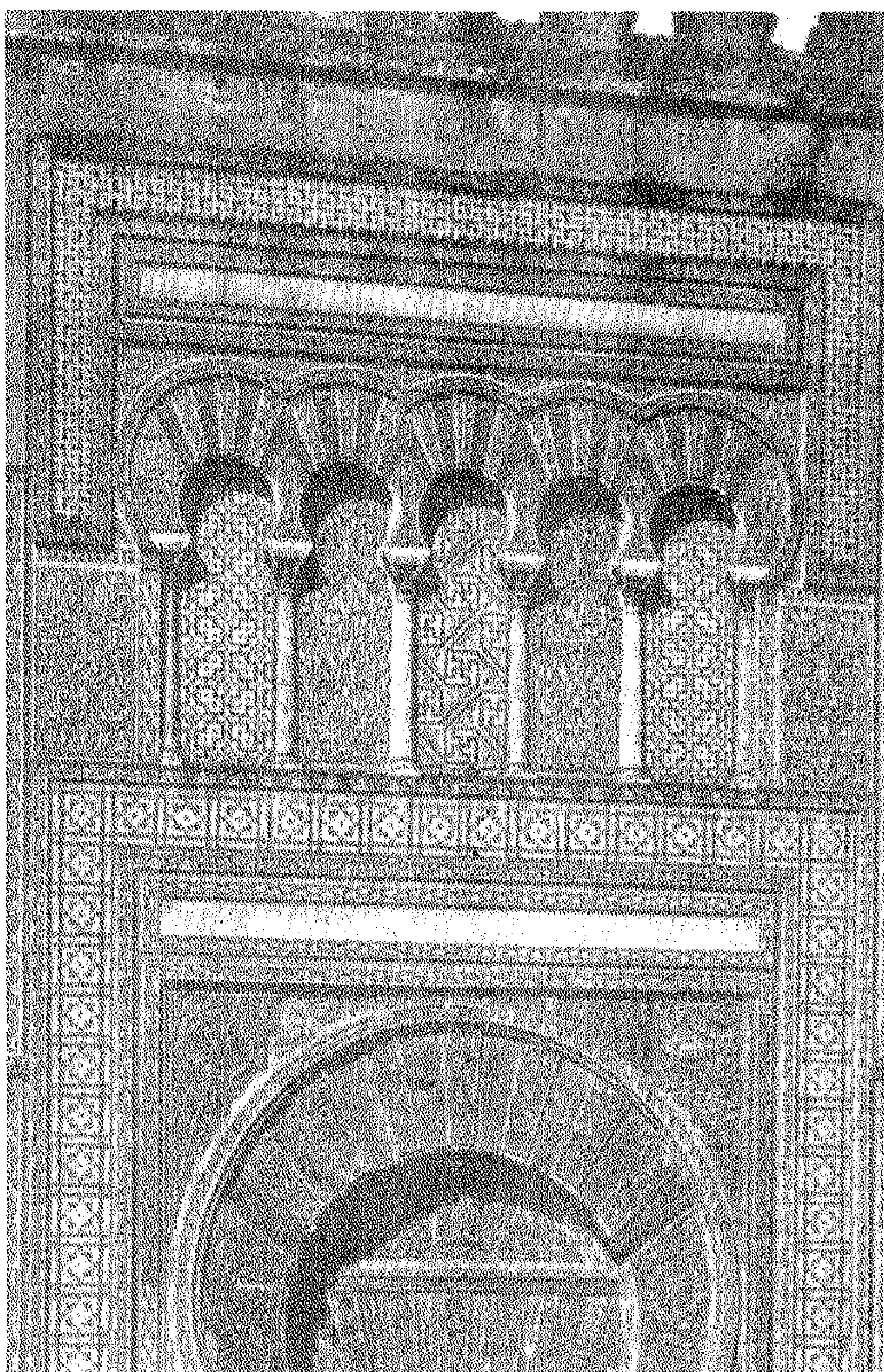


فلاش



● ومع ان هذه الزيـ تمتاز بالاصالة التى تمتاز بها اجزاء المسجد الثلاثة الاخرى، الا انها اعطته عمقا وسعة زاد فيهما على كل مسجد معروف فى بلاد الاسلام. فبها اصبح عدد اروقة المسجد الذاهبة الى جدار القبلة (١٩) رواقا، واصبح عدد اساكيبه - اى اروقته الموازية لجدار القبلة - (٣٥) اسكوبا.. وهذا اضخم بيت للصلاة بنى فى الاسلام وقد ظل هذا الاثر باقيا الى اليوم شاهدا على ما بلغته امة العرب من أوج فى فن الهندسة والمعمار.

● ولما كانت ارض الجامع من جهة القبلة تنحدر نحو النهر، فقد اصبح من الضرورى رفع مستوى سطح المسجد عن طريق منصة مرتفعة من البناء تقوم عليها جدران الجامع الخارجية فى زيادتى الحكم والمنصور، وبناء سلالم من الخارج للوصول الى الأبواب الشارعة الى بيت الصلاة.



● ويقع بين جدار المحراب والجدار الخارجى للجامع فراغ تشغله عشر غرف صغيرة تعتبر امتدادا للبلاطات العمودية على جدار القبلة فى زيادة الحكم، الغرف الخمس الواقعة الى يمين المحراب هى المشرع الى الساباط الذى انشأه الحكم بأعلى الطريق الموصل الى باب القنطرة، وكان هذا الساباط يقوم على عقد ضخم يعلو الطريق المذكور، وقد هدمه الاسقف (مار دونيس) فى السنوات الاولى من القرن السابع عشر الميلادى، وذلك عند شروعه فى اصلاح القصر.

● وقد وصف الادريسى المشرع الى الساباط بقوله: (وعن يمين المحراب والمنبر باب يفضى الى القصر بين حائطى الجامع فى ساباط متصل، وفى هذا الساباط ثمانية ابواب تنغلق من جهة القصر، واربعة تنغلق من جهة الجامع، ويعلو غرف المشرع الى الساباط قبوات نصف اسطوانية وفى الجدار القبلى لكل من هذه الغرف الخمس تنفتح نافذة مشبكة بالرخام.

● ويصف «اميروسيو دى موراليس» هذا الساباط قبل ان يهدم بأنه كان يبدو كالقلعة، ثم يذكر عدد ابواب غرفه، فيذكر انه كان يشتمل على ثمانية ابواب «الابواب الاولى القريبة من القصر كانت تغلق بالعكس، اثنان نحو الشرق واثنان نحو الغرب، وعلى هذا الاساس كان هناك بوابان اخران محجوزان لفتح الابواب». ويذكر ايضا ان مصاريع هذه الابواب كانت مكسوة بصفائح من البرونز والحديد.

● اما الغرف الخمس الاخرى الواقعة على يسار المحراب، فكانت مخصصة لحفظ العدد والطسوت والحسك الخاص بوقيد الشموع فى كل ليلة ٢٧ من شهر رمضان، كما كان يحفظ فيها «مصحف يرفعه رجلان لثقله، فيه اربع اوراق من مصحف عثمان بن

عفـان (رضى الله عنـه) وهو المصحف الذى خطه بيمينه، وفيه نقط من دمه، وهذا المصحف يخرج فى صبيحة كل يوم جمعة، ويتولى اخراجه رجلان من قومـة المسجـد، وامـامهم رجـل ثالث بشمعـة، وللمصحف غشاء بديع الصنعة منقوش بأغرب ما يكون من النقش وادقة واعجبه، وله بموضع المصلى كرسي يوضـع عليـه، ويتـولى الإمام قراءة نصف حزب منه ثم يرد الى موضعه.

● وتتصـل هذه الغـرف جميعا فيما بينها عن طريق ابـواب، ولكـل غرفـة نافذتان، واحدة تطل على خارج الجامع والثانية نحو بيت الصلاة.

الأبواب :

كان جامع قرطبة الذى اقامه عبد الرحمن الداخل يشتمـل على خمسـة أبواب: ثلاثة منها تنفتح على الـصحن. الأول فى كل من الأسـوار، الشـمالى والشرقى والغربى والإثنان الآخران فى بيت الصلاة، أحدهما فى الشرق وثانيهما فى الغرب.

● ثم اضاف (هشام) للجامع بابين للسقيفة الجوفية الملحقة ببيت الصلاة من طرفيها الشرقى والغربى. وفتـح عبد الرحمن الاوسط فى زيادته الثانية بابين: أحدهما فى الجدار الشرقى والآخر فى الجدار الغربى من جهة القبلة.

● اما الناصر، فقد فتح بابين يشرعان الى الصحرة، بعـد ان قام بتـوسعتـه، احدهما فى الجدار الشرقى والآخـر فى الجـدار الغـربى. ثم فتح (الحكم) فى زيادته ثمانية أبواب، أربعة لكل من جانبيه الشرقى والغربى، وواحد فى الجدار القبلى مما يلى المحراب غربـا، يشـرع الى الساباط، وأصبح مجموع عدد أبواب الجامع بعد زيادة الحكم فيه عشرين بابا.

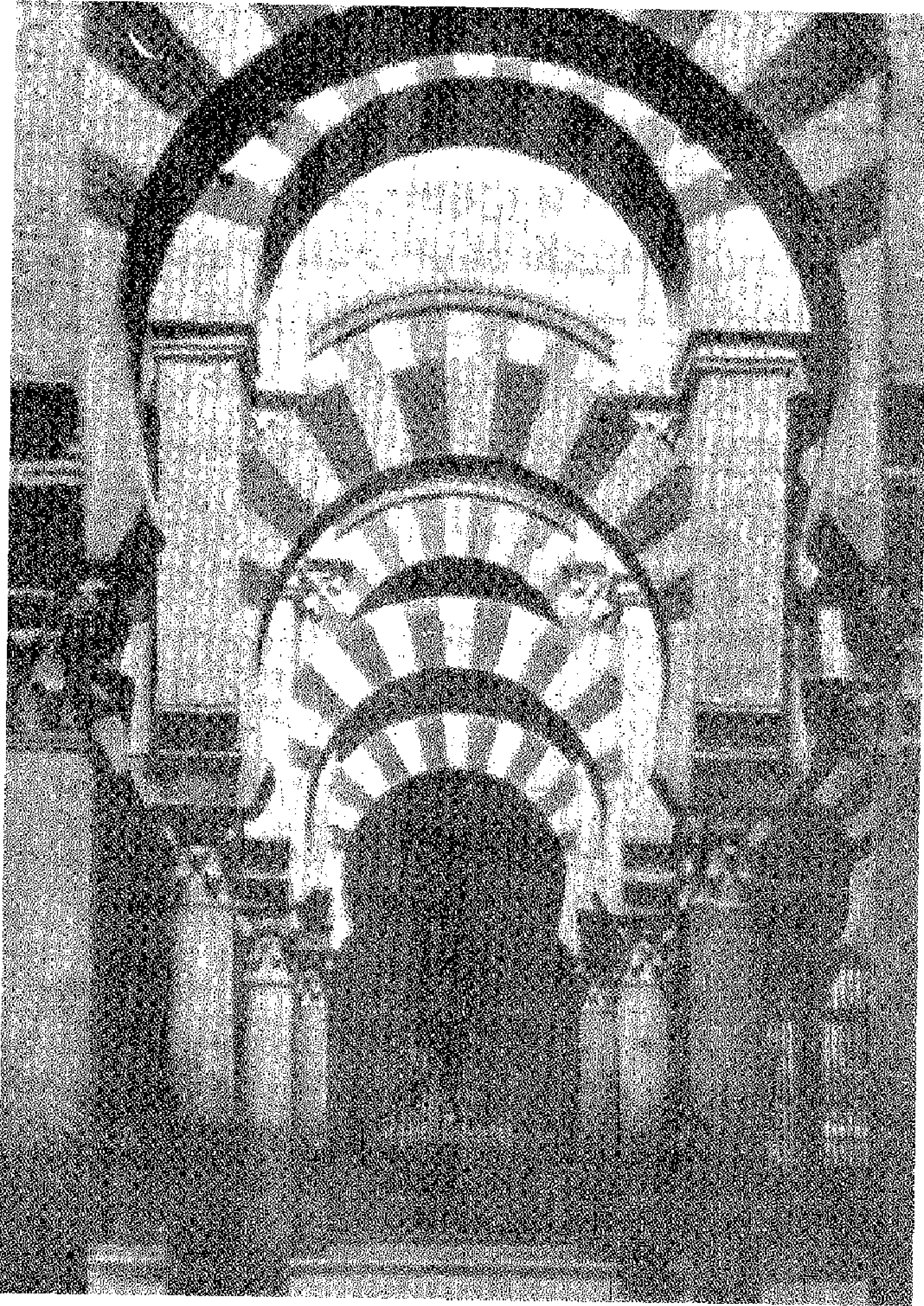
● ولما أجرى المنصور زيادته الكبرى فى الجامع هدم الجدار الشرقى وأضاف لبيت الصلاة ثمانى بلاطات بطـول الجـامع، ثم فتح فى الجدار الشرقى الجديد عددا من الأبواب يماثل عدد أبواب الواجهة الغربية، ثم فتـح بابـا فى الجدار الشمالى، فأصبح المجموع الكلى لابواب الجمع (٢١) بابا.

● والى هذا العدد يمكن اضافة ثمانية ابواب، كانت تنفتح فى السـاباط، وبابا للمخزن الواقع الى يسار المحـراب، ثم البـاب المتخلف من جدار الـزيـادة الحكمية الشرقى مما يلى جدار القبلة، وأخيرا ثلاثة ابواب بالمقصورة.

● وتعتبر هذه الابواب من الروائع التى يمتاز بها هذا المسجـد لانها اول مثل قائم فى الاندلس يدل على الاهتمام بمداخل المساجد.

النوافذ والمتكآت :

يصف الادريسى نوافذ الجامع بقوله: انه (فيها استدارة بالجامع من اعلاه لتمدد الضوء ودخوله الى



السقف وفيها متكآت رخام، طول كل متكأ منها قدر قامة فى سعة اربعة اشبار فى غلظ اربعة اصابع، وكلها صنع مسدسة ومثمنة مخرمة منفوذة لا يشبه بعضها بعضا).

● اما ابن غالب فيذكر اعداد النوافذ بقوله: (عدد الواح الرخام المنصوبة فى الحيطان لدخول الضياء عليها اربعة وخمسين لوحا، وفى الجهة الشرقية منها خمسة عشر لوحا، وفى الجهة الغربية مثلها، وفى القبلة منها ثمانية عشر لوحا، وفى الساباط الذى يدخل منه ساكن القصر الى الجامع ستة الواح) ولكنه لم يذكر شيئا عن المتكآت المنصوبة بعنق القباب الأربعة.

● وتتميز هذه المتكآت - وبعضها من الرخام والبعض الآخر - بزخارفها الهندسية، وقوامها الدوائر والمربعات والنجوم مثمنة الرؤوس ويلاحظ ان متكآت القباب اقل حجما من متكآت الجدران.

● ويعتقد الاستاذ (كلاوس) ان متكآت الرخام فى الواجهة الشرقية من الزيادة الحكمية. كانت تشبه نظائرها فى الواجهة الغربية.

● كما يذكر ايضا، ان عدد المتكآت الحالية ثلاثون، منها واحدة انقسمت الى قسمين، ولكنها تعتبر واحدة ومنها إحدى عشرة حديثة، وتسع عشرة اصلية، وكل هذه المتكآت من الرخام الأبيض.

العقود :

إن العقد نصف الدائرى والعقد المتجاوز لنصف الدائرة يسيطران وحدهما على جميع عقود المسجد الجامع بقرطبة بما فيها زيادة الحكم المستنصر، فنشاهدها فى العقود السفلى والعليا، وفى عقود الابواب الخارجية، والطاقات التى تعلوها، وفى واجهة المحراب، وعلى المئذنة وحول الصحن.

● اما العقود المتجاوزة فتختلف فى نسبها باختلاف الزمان الذى اقيمت فيه، ونلاحظ ان تكوين العقد المتجاوز فى بيت الصلاة القديم يسجل استمرارا للتقاليد الاسبانية القوطية. ويعتقد ان عقد باب (سان استيبان) هو اول عقد اسلامى التكوين، اذ تحرر فى تخطيطه من التقاليد القوطية، ويمثل مرحلة انتقال بين العقود المتجاوزة الخلافية.

● وعلى الرغم من اصله العباسى الواضح، فان العقد المفصص فى جامع قرطبة عقد حجرى يقوم بوظيفة معمارية تحتمل الضغط العلوى دون ان يفقد مظهره الجمالى، ومعنى ذلك ان العقود المفصصة فى قرطبة تطورت تطورا كبيرا بالنسبة للعقود الشرقية، وفاقت هذه العقود من حيث التنوع والمظهر الجمالى.

● ويشتمل جامع قرطبة على نوعين من العقود المفصصة :



- مسجد الخميس الذى أمر ببنائه الخليفة عمر بن عبد العزيز فى البحرين فى القرن الحادى عشر الميلادى.

١ـ العقد متعدد الفصوص نصف الدائرى: ويتمثل فى مدخل البلاط الاوسط من زيادة الحكم المستنصر، ونعنى به العقد المؤدى الى مصلى فيلافثيوسا، وهو عقد منفوخ فى تكوينه ثم جزئت حلقته الى (٢١) فصا بارزا. ويلتحم هذا العقد متعدد الفصوص من أعلى بعقد منفوخ على شكل (حدوة الفرس) مطوقا إياه بحيث تبدو الفصوص وكأنها قصت على ارضية العقد المنفوخ المبطن لها. كذلك نشهد هذا النوع الاول من العقود فى احد ابواب الواجهة الغربية لبيت الصلاة.

٢ـ العقد متعدد الفصوص المنكسر: وقد انتشر فى زيادتى الحكم المستنصر والمنصور، وشاع استخدام العقد خماسى الفصوص، فى حين ندر استخدام العقد ثلاثى الفصوص، بحيث اقتصر على القسم الأعلى من واجهة المحراب وفى داخل جوفه المحراب نفسه.

الدعامات:

ولكى يخفف البناء من ثقل العقود على الأعمدة، عمد الى بناء الدعامات من الآجر، وجعل العقد مكونا من ثمانية كتل تتناوب بشكل اربعة صفوف من الآجر الاحمر مع اربعة من الحجر الابيض، ثم اضاف الى ذلك ارجل العقد الذى يرتكز على التاج، فأصبح يقسم العقد الى سبعة عشر قسما، تتناوب فيه صفوف الآجر وكتل الحجارة، مخففة الضغط على الاعمدة، مما نتج عنه مظهر زخرفى ملون واقتصاد فى النفقات والبناء.

● كما وضع البناء الدعامات فوق الاعمدة، لكى تحمل العقد الثانى، وجعل عرضها بنفس عرض العقد الاول، ووضع تحتها مسند، ومساند هذا المسجد هى مساند ملفوفة بشكل عصى مرتبة الواحدة فوق الأخرى تتدرج بالنزول الى الأسفل. وقد اتبع هذا النظام فى كل الزيادات.

● ان زيادة (عبد الرحمن الاوسط) فى البلاطتين الجانبيتين والتى كانت موضع نقاش بين علماء الآثار، وكذلك وضع الدعامات فوق الاعمدة يدل على جرأة البناء حيث جعل السقف والاعمدة والدعامات تشبه جسرا معلقا بالاضافة الى ان ارتكاز السقف على دعامات تقوم فوق اعمدة رشيقة صغيرة يعتبر ابتكارا جريئا نفذ بطريقة معمارية زخرفية بالغة الذكاء.

الركائز الخارجية

يبدو جامع قرطبة من الخارج مستطيل الشكل تتسم واجهاته الخارجية بوحدة المظهر فارتفاعها متوسط ولكن لا يحط من قيمة نسبها التى تميل الى تأكيد الأفقية الغالبة على الجامع او امتداده طولا أى عنصر معمارى آخر، باستثناء المئذنة. يقطع هذه الواجهات على مسافات غير منتظمة فى جميع الأحوال ركائز قوية ضخمة، اقرب ما تكون الى الابراج، يمكن ان نعتبرها صدى لتقاليد شرقية قديمة ولا نلمح فيها أى صدى لتقاليد غربية.

إن الركائز الخارجية تكسب جامع قرطبة، مظهر القلاع لبروزها الكبير وضخامة بنيانها ويغلب على الظن ان نظام تدعيم الجدران الخارجية بالركائز انتقل الى جامع قرطبة من المغرب ومن قرطبة انتشر فى مساجد الاندلس والمغرب فى عصرى المرابطين والموحدين.

السقف

كانت سقف مسجد قرطبة مسطحة وهى بشكل الواح خشبية عرضية مصفوفة مثبتة بالجص تسميها المصادر التاريخية (سماوات) تمسكها عوارض خشبية طويلة تسمى (جوائز) تكسو هذه اللوحات زخارف هندسية متنوعة هى بالرغم من كثرة عددها لا تشبه الواحدة الأخرى، وهى من الخشب الطرطوشى ويحيط بالألواح أطار خشبى مزين بكتابات من آيات

القرآن الكريم.
● لقد غطيت هذه السقف من الخارج بهياكل مسنمة هرمية الشكل تمتد على امتداد البلاطات تاركة بينها قنوات مقعرة تجرى فيها مياه الامطار.
● ان ما بقى من هذه السقف بشكل الواح خشبية وقد اندثرت معظم سقوف المسجد الاصلية ونزعت فى العصور المسيحية وجعلت بشكل قبوات مبنية. وقد عثر على بعض من هذه السقف وأعيد تركيبها فوق جزء من سقف البلاطة الوسطى (بلاطة المحراب).

الصحن :

وهو فناء كبير فريد من نوعه قد زرع باشجار البرتقال وما زال اسمه صحن البرتقال «فناء النارنج Patio delos narnias لان الفقهاء كانوا يحرمون غرس الاشجار فى صحون المساجد ولكن فقهاء الاندلس اباحوا ذلك، حيث افتى الفقيه (عبد الله بن صعصعة بن سلام الشامى) المتوفى سنة ١٩٢هـ/ ٧٧٤م وكان صاحب الصلاة فى المسجد وما زال شجر البرتقال فى صحنه حيث اعيد غرسه وتنظيمه واضيفت له بضع نخلات ونافورة (فوارة) يجرى فيها الماء.
● وفى الجوانب كانت سقائف للنساء وكان لها مداخل مستقلة تفضى الى خارج الجامع وقد اعيد بناؤها فى اوائل القرن السادس عشر على نفس نظامها القديم فاحتفظت بذلك على نفس عقودها المكونة من مجموعات كل مجموعة مكونة من ثلاثة عقود قائمة على اعمدة بين دعامات مزودة بكتل امامية للتقوية والاعمدة كلها عربية تحمل تيجانها اسم النقاش (عمرو). وتذكر المصادر التاريخية، انه كان للمسجد ميضأة عظيمة تتوسط فنائه، امر ببنائها الامير هشام بن عبد الرحمن سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م وساق اليها الماء من الجبل بقنوات من الرصاص، اضاف لها الحاجب المنصور بن ابى عامر صهريجا (خزانا) عظيما تحتها يتكون من تسعة أقبية تقوم على اربعة اعمدة واثنى عشر عقدا وما زالت آثار هذا الصهريج باقية الى يومنا هذا.

السور الخارجى :

كان السور الخارجى وما زال يحيط بمسجد قرطبة بشكل جدار ضخم ارتفاعه عشرة امتار مبنى بكتل الحجارة المهندمة المسندة بدعامات ضخمة تبلغ المسافة ما بين الواحدة والاخرى ما يقرب من العشرة امتار وتبرز هذه الدعامات عن سمت الجدار بصورة متساوية متناسقة.
● اما على جدار القبلة ـ الذى ترتكز عليه العقود من الداخل ـ فقد بنيت الدعامات لكى تسند البلاطات وجدار القبلة، وقد اعيد بناء هذه الدعامات فى العصر المسيحى.

القبـــــاب :

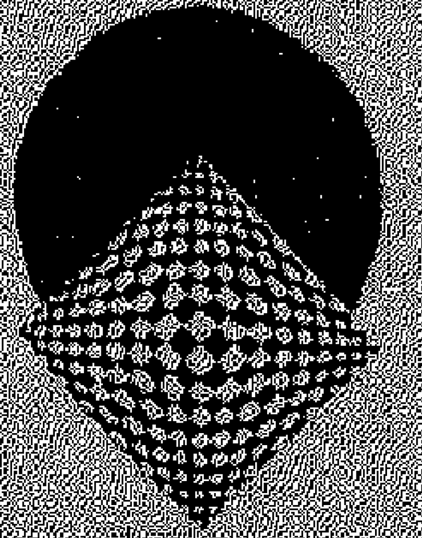
يرجع انشاء القباب فى هذا المسجد الى عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله وهذه القباب اربع:
١ـ قبة المحراب: وقد تم بناؤها سنة ٣٥٤هـ وتحف بها قبتان جانبيتان، وقبة المحراب اقيمت فوق حنية المحراب المثمنة بشكل محارة يسميها (الحميرى) [خصة]. والاصل فى [الخصة] هى حوض كروى مفصص يصفها (ابن غالب) بانها (بيضاء منقورة بالحديد على صفة المحارة، قد احكمت وانزلت فى موضعها باتقان.
ـ تتكون من ثمانية اضلع ترتقى على ثمانية عقود متداخلة قائمة على اعمدة صغيرة اصبحت قاعدة مثمنة تفرعت منها عقود اخرى.
٢ـ والقبتان اللتان على جانبى المسجد قد اتبع فيهما اسلوب تخطيطى واحد وهما قائمتان على مقرنصات زخرفية يتكون تصميمها من فكرة تجزئة الفضاء الى هيكل من مربعات ومستطيلات متداخلة مكونة مضلعا نجمى الشكل.
٣ـ اما القبة الرابعة وهى القبة التى تتصدر المحراب

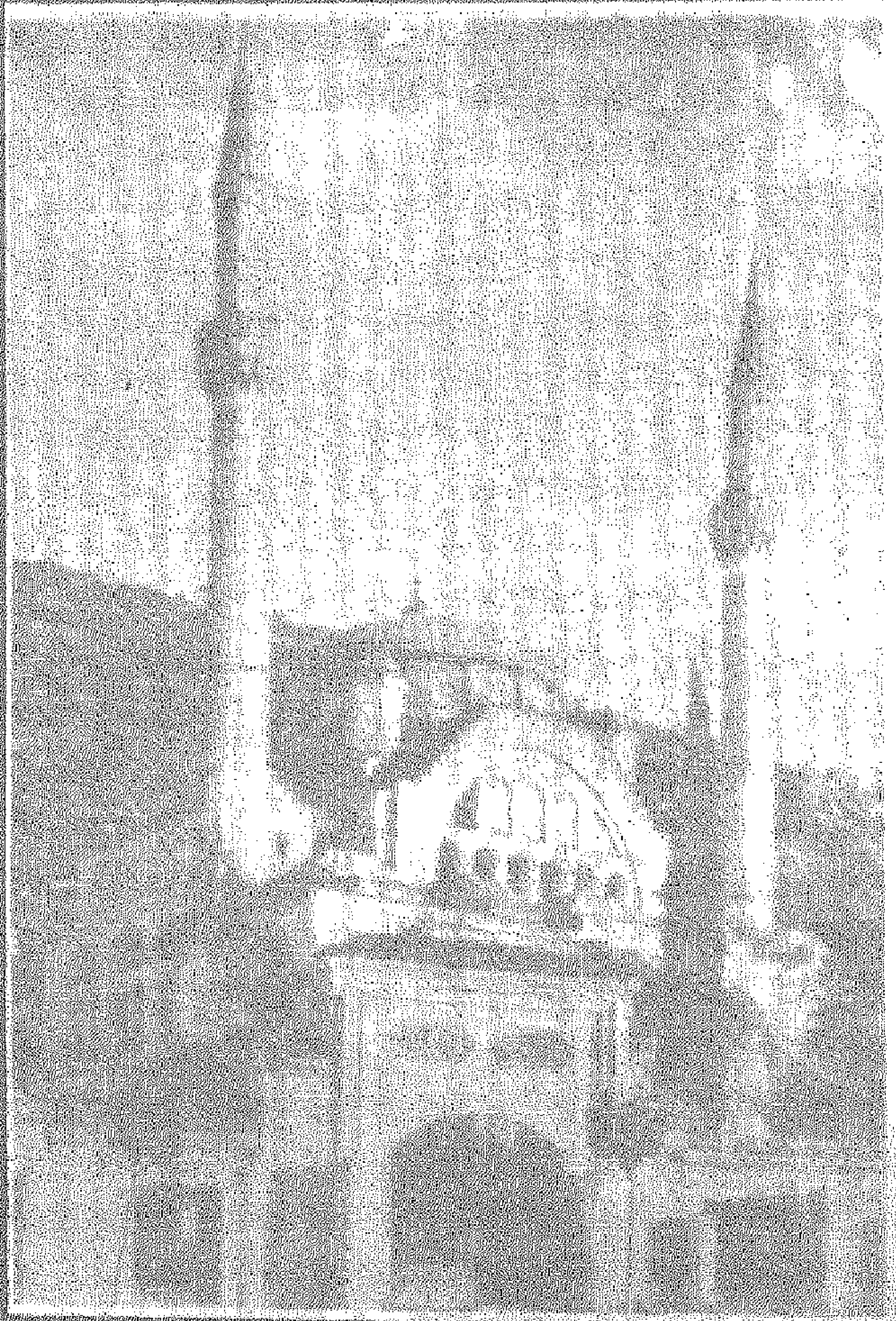
فهى قبة مضلعة ايضا قائمة على قاعدة مثمنة، يدور حولها شرط من الكتابة الكوفية واضلاع القبة مقرنصة لم تترك فارغا، بل ملئت بزخارف الفسيفساء (المفصص) الملون المذهب.

٤ـ وهناك قبة تشبه قبة باب البهو بجامع الزيتونة بتونس، وقبة جامع القيروان وضعها الخليفة الحكم المستنصر بالله على مدخل زيادته بالجامع تجاه قبة المحراب سنة ٣٥٤ للهجرة.

المحراب

ان محراب مسجد قرطبة الحالى هو فى موضع واتجاه محراب المسجد العتيق الذى تأسس سنة ٩٢هـ/ ٧١١م (بناه الخليفة الحكم المستنصر بالله عام ٣٣٥هـ ووضع المنبر القديم الى جانبه) وحرص الحكم على هذا المحراب الموضوع فى تجاه منحرف.



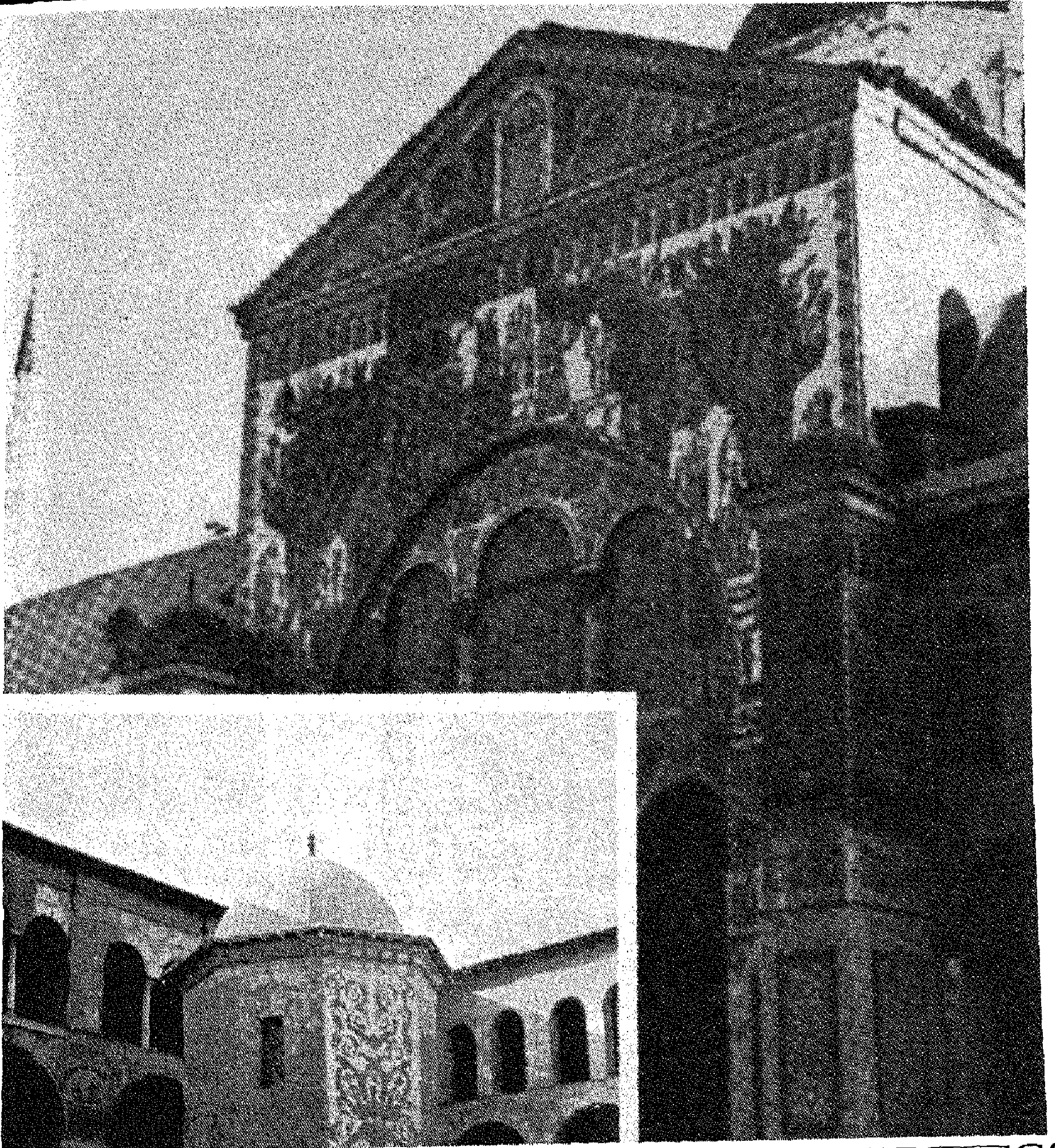


مسجد المرادية فى مانيسا.

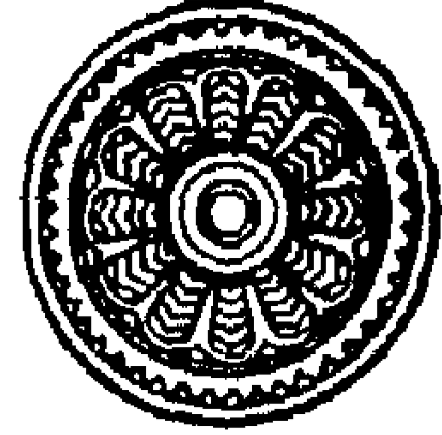
تم إنشاء هذا المسجد المبارك من قبل السلطان مراد الثالث سنة ٩٩١هـ (١٥٨٣م) بناه المعماري سنان الشهير. ويتكون هذا المجمع من المسجد والمدرسة ومحل (الطعام) ومكتبة كبيرة.

وتعلو وسطه قبة عظيمة وفى أطرافها الأربعة قبيبات صغيرة. وتقع الصفة (محل الجماعة الأخيرة) فى القسم الشمالى للمسجد وتغطيه خمس قباب صغيرة. وله مئذنتان رفيعتان. إحداهما فى الجهة الشرقية والأخرى فى الجهة الغربية للمسجد مزخرفتان بأبدع أنواع الزخرفة الحجرية. كما أن محراب المسجد مزخرف بالفسيفساء النادرة الجميلة حتى أصبح الوحيد من بين المحاريب الأخرى المبنية فى تلك السنوات من حيث الروعة والبهاء ودقة النحت واستعمال الألوان الجميلة فى التزيين.

الجامع الأموي



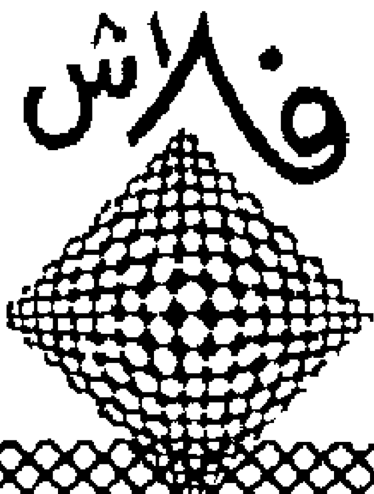
في دمشق



بنى الجامع الأموى فى عهد الوليد بن عبد الملك، وله ثلاث مآذن، ويضم صحن المسجد ويشاهد فى وسطه قبة الخزنة وهى بناء مضلع يقوم على ثمانية عمد مزخرفة بالفسيفساء الذهبية، وهنالك البلاطة الوسطى. . وينقسم حرم المسجد الى قسمين متساويين تقريبا. ويبلغ طول الحرم مائة وستة وثلاثين مترا وعرضه سبعة وثلاثين مترا. . وسقفه مزين بالفسيفساء الرائقة. وفى طرفه مقام النبى يحى عليه السلام.

وهذا المسجد يعد من العمارة الإسلامية المتميزة فى العصر الأموى ويعكس اهتمامهم المتزايد بالفن المعمارى وتطويره. . هذا علاوة على ما يتمتع به من مكانة علمية وفكرية أدى دوره تجاهها. وتلك طبيعة المساجد الإسلامية فى عمومها إذ تهدف الى أن تكون مركزا علمياً واشعاعاً حضاريا. . يفده الطلاب ويتخرج فيه العلماء.

فلاش





مسجد « مالانج » بأندونيسية ..

يقارب عدد المسلمين فى اندونيسيا مائة مليون مسلم، يتكلمون بلغة الملايو، ثم اللغة العربية، وينتشرون فى معظم الجزر المتفرقة، واكبرها مساحة (جزر كاليمانتان، ثم سومطرة، وجاوه، ومادورا). .

ولقد بزغ نور الاسلام فى تلك الجزر الخضراء، ووصل الى ما تصل اليه جيوش الفاتحين، وان دخول «مائة مليون نسمة» فى الاسلام فى تلك البلاد البعيدة «على الرغم من الاستعمار الاوروبى الطويل، وحربه العنيفة للمسلمين» لم يمنع هؤلاء المسلمين من بناء المساجد الكبيرة، لاداء الشعائر على الوجه الأكمل، وهذا دليل على عظمة الاسلام، وسهولة اهتداء الفطرة السليمة اليه.

الجامع الكبير في القيروان

«القيروان» المدينة ذات التاريخ العريق.. خلَّدت نفسها وسجلت مجدها.. وترامت به الركبان.. مدينة من أشهر مدن تونس يرجع تاريخ تأسيسها الى عام ٥٠هـ/ ٦٧٠م - تقع على بعد مائة وستة وخمسين كيلومتراً من العاصمة. ذاعت شهرتها العلمية والأدبية والثقافية وملأت آفاق العالم العربى والإسلامى.. وفد إليها طلاب العلم والمعرفة من العديد من الاقطار والدول.

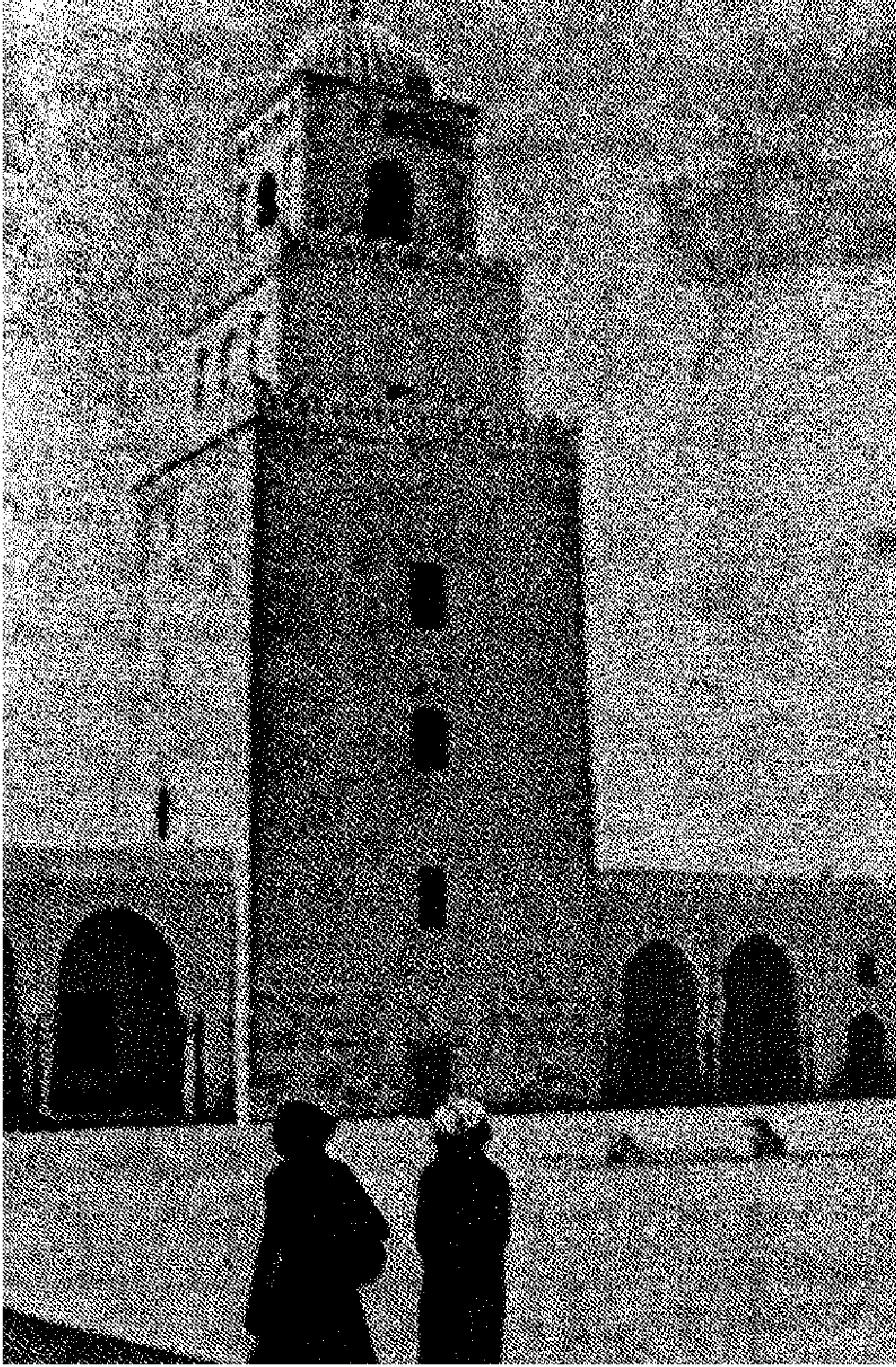
● ويقترن ذكر القيروان بذكر أسماء أعلام كبار فى تاريخ المنطقة.. ومنها وإليها وعبرها تمر قوافل التجار والحجاج والرحالين.

● فى مدينة القيروان أسس القائد العربى المسلم «عقبة بن نافع» المسجد «الجامع الكبير» وأقام فيها دار الإمارة.. ولعل اختيار عقبة رضى الله عنه لمدينة القيروان يرجع لعدة أسباب منها: أسباب عسكرية واستراتيجية تتلاءم مع نوعية القوة العسكرية للفاتحين وتوفر مواد البناء فيها حيث توجد فى غابات القيروان غابات كثيفة من اشجار الزيتون وغيرها.. ثم لأسباب طبيعية كخصوبة الأراضى حولها وسهولة موارد المياه فيها.

● ومدينة القيروان تتميز بفن معمارى وهندسى خاص فرض نفسه حتى على البناءات الحديثة.. إنه الفن المعمارى العربى الإسلامى الذى يتلاءم مع طبيعة المناخ والبيئة ويقتبس من الفن المشرقى والأندلسى على حد سواء.

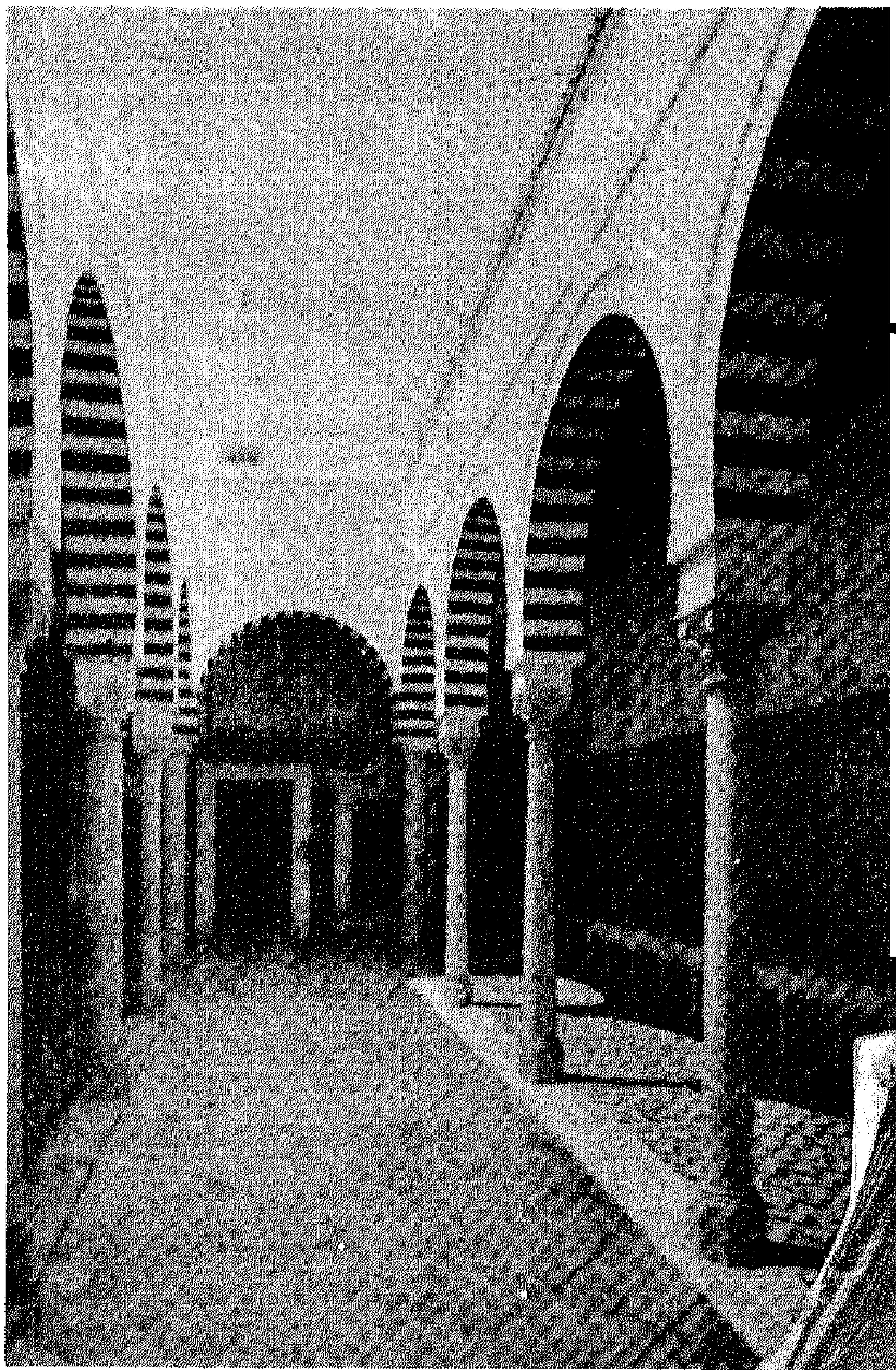
● ولقد ظلَّ (الجامع الكبير) مصدراً للإشعاع الفكرى والعلمى فى شمال أفريقيه يدرس العلوم الفقهية والفلسفية والعربية.. ولقد كان له اثره الفعال والمشهود فى نشر المذهب المالكى على مساحة واسعة فى افريقيا حيث كان يرتاده الطلاب والباحثون من مختلف الأرجاء.

● وتولى التدريس فيه علماء وفقهاء كبار هم فضلهم وأثرهم التربوى والعلمى والتوجيهى نذكر منهم: ابن زيد القيروانى والقابسى والمؤرخ ابن الرقيق. والفلكى بن أبى الرجال صاحب كتاب (البارع فى احكام النجوم). والشاعر الناقد ابن رشيق القيروانى. والقاضى سحنون وغيرهم.



جامع عقبة ابن نافع والصقية من اهم الاثار كاولين

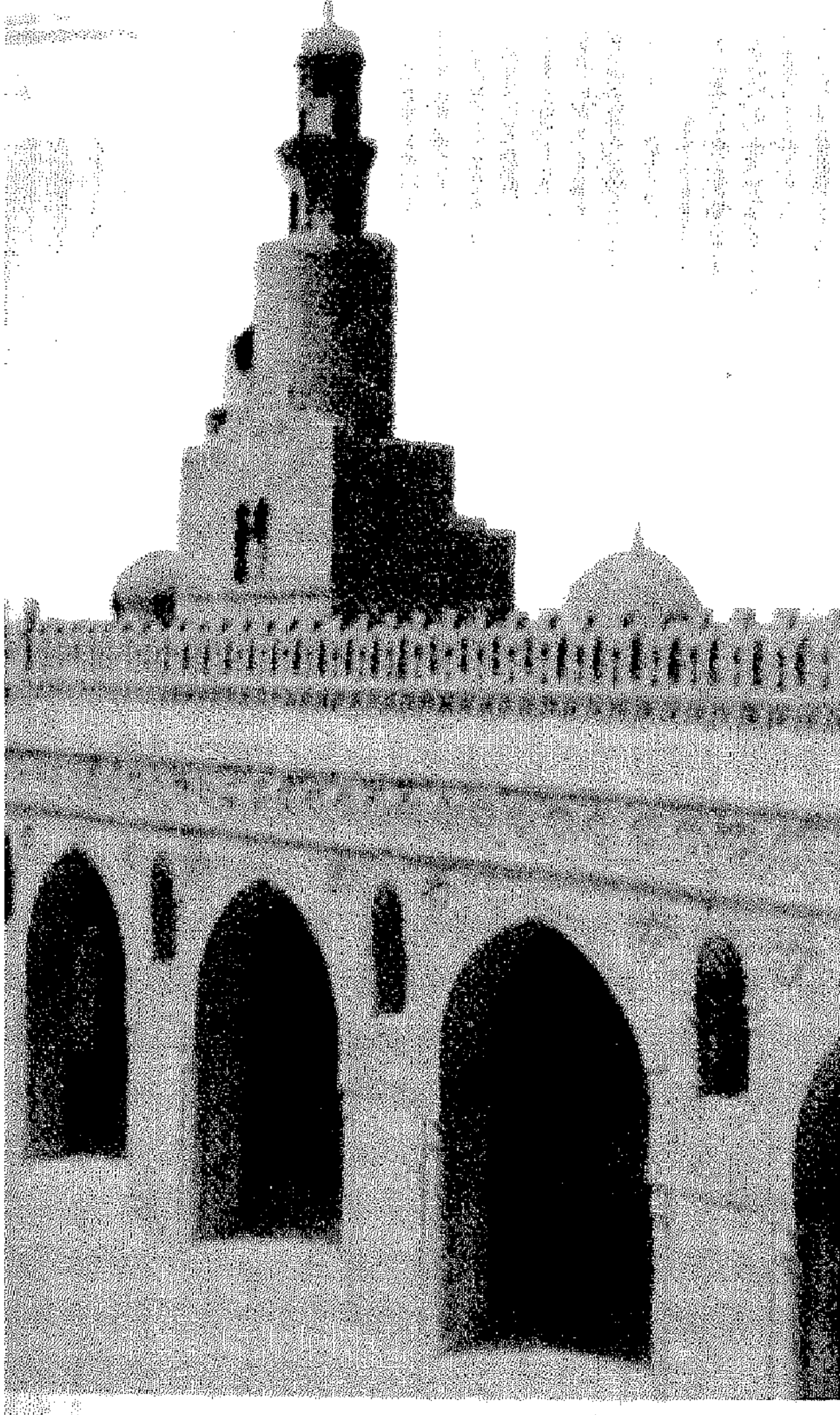
● وقد ترك هؤلاء العلماء الكثير من الكتب والمخطوطات فى شتى نواحى المعرفة الإنسانية التى كانت سائدة فى عصرهم. ومكتبة (الجامع الكبير) كانت تضم بين رفوفها مختلف المؤلفات المشرقية والمغربية والأندلسية.



منظر داخلي لاحد جوامع مدينة القيروان.



مسجد أحمد بن طولون



ضاقت الفسطاط بساكنيها فأسس أحمد بن طولون مدينة (القطائع) سنة ٢٥٦هـ وأقام فى وسطها مسجداً جامعاً تمت عمارته سنة ٢٦٥هـ وتبلغ مساحته مع الزيادة (أى الفضاء الذى يحيط به من جميع الجهات فيما عدا جهة القبلة) ستة أفدنة . وتعتبر مدينة القطائع أول مدينة ملوكية أنشئت فى وادى النيل فى العهد الإسلامى .

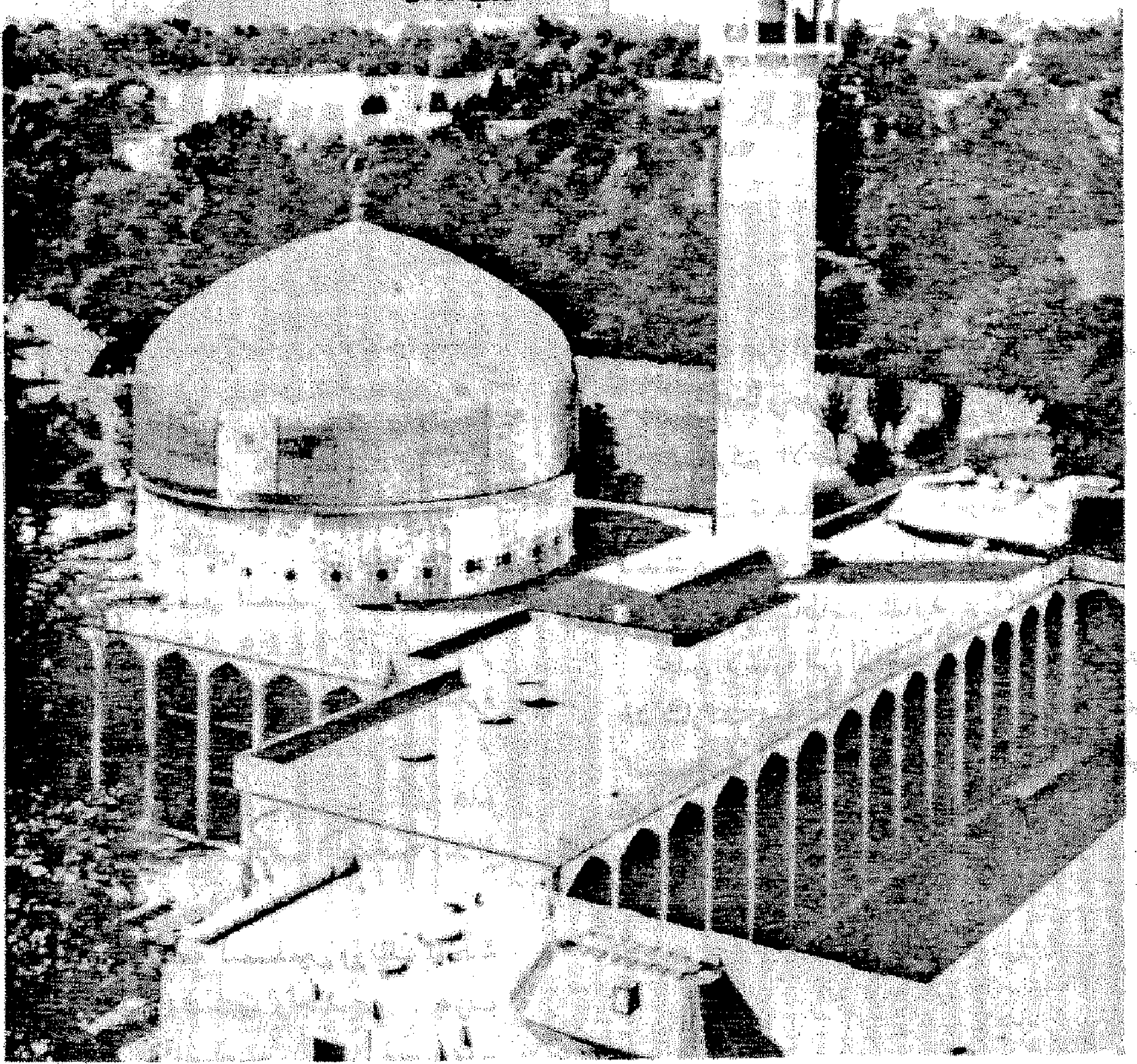
● يتكون الجامع من شكل مربع تقريباً يبلغ طول ضلعه ١٦٢٫٥×١٦١٫٥ مترا . . ويتوسطه صحن مكشوف مربع أيضا يبلغ طول ضلعه ٩٢٫٥×٩١٫٨٠مترا ويحيط بالجامع من الخارج من جميع الجهات عدا جهة القبلة أروقة غير مسقوفة تعرف بالزيادة . . ويحتوى المسجد على إثنين واربعين باباً منها واحد وعشرون باباً بالمسجد الأصلى يقابلها مثلها فى الزيادات .

● ويعتبر جامع ابن طولون من الجوامع المعلقة إذ يصعد الى أبوابه الداخلية بدرجات دائرية ويحيط بالصحن رواقان فى كل من جهاته الثلاث الشماليه والجنوبية والغربية .

● وتتكون الأروقة من دعائم مبنية من الآجر وفى أركان كل دعامة بنيت أعمدة متصلة نقشت تيجانها باشكال نباتية محورة باسلوب (الآرابيسك) وتحمل الدعائم عقوداً غطيت بطبقة جصية غنية بزخارفها الجميلة المتنوعة . . ويتكون رواق القبلة من خمسة أروقة . . ويعلو العقود افريز زخرفى من الجص يعلوه ازار خشبى يحيط بأروقة الجامع جميعها مكتوب فيه بالخط الكوفى البسيط البارز سورتا البقرة وآل عمران .

● ويحيط بجدران المسجد الأربعة من أعلى مائة وتسعة وعشرون شباكا من الجص المفرع باشكال هندسية ونباتية محورة غاية فى الدقة والإبداع .

● ويوجد بإيوان القبلة خمسة محاريب غير مجوفة غير المحراب الرئيسى الذى يتوسط جدار القبلة فهو مجوف . . والمحراب الرئيسى من عمل السلطان لاجين وقد زخرف بفصوص من الفسيفساء الذهبية والزجاجية المتعددة الألوان وكتب فيها بالخط



■ مسجد رجنت بارك فى لندن
احدث مبنى على الطراز الاسلامى يحتل قلب لندن

النسخى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أما طاقية المحراب فقد صنعت من الخشب المزخرف بنقوش زيتية.

● ويعتبر جامع ابن طولون أقدم مسجد فى العالم يحتوى على لوحة تذكارية من البازلت الأسود حفر عليها بالخط الكوفى البارز تاريخ إنشائه.. وفى وسط الصحن توجد قبة كبيرة هى ثالث قبة أقيمت فيه أنشأها المنصور لاجين سنة ٦٩٦هـ.. وتقوم القبة على مربع يرتكز على أربعة عقود.. وفى اركان المربع توجد سبعة صفوف من المقرنصات يعلوها رقبة تأتى فوقها القبة ويحيط برقبة القبة شريط من الكتابة بالخط الثلث المملوكى كتبت عليه الآيه الكريمة ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا﴾.. الخ.

● وتقع المئذنة فى الزيادة الغربية وتعتبر الوحيدة فى مصر ذات السلم الخارجى.. وهى مكونة من أربع طبقات.. ويقع السبيل والكتاب الذى أنشىء فى القرن السابع الهجرى فى الزيادة الجنوبية للمسجد.

المركز الاسلامي بمدينة توليدو

نظمت الجالية الاسلامية فى (توليدو) نفسها وتوحدت، وشكلت فيما بينها جمعية إسلامية ترعى شؤونها وافتتحوا بفضل الله أول مسجد لهم فى (توليدو) فى مايو ١٩٥٥ . . وكان بداية الهالة المشعة فى الطريق . . والنور الهادى.

ازدياد عدد المسلمين المستمر وانتشارهم فى مساحات أكبر شكل وولد الرغبة فى تأسيس مركز إسلامى متعدد الأغراض والأهداف يحقق الفكرة ويوصل الغاية . . وشرعوا فى بناء المركز ، وافتتح فى اكتوبر ١٩٨٣م. وكانت تكلفة هذه المرحلة من المؤسسة الإسلامية الضخمة (ثلاثة ملايين دولار أمريكى).

هذا المركز نقطة تجمع للمسلمين فى تلك المنطقة على مختلف ألوانهم وألسنتهم وأجناسهم . . يقرب ويحبِّ ويآخي بين المسلمين، يرعى مصالحهم ويسعى إلى حلِّ مشاكلهم، ويوجد بينهم . . يمثل حلقة الاتصال بين المسلمين وبين الحكومة الأمريكية على مستواها المحلى والإقليمى والمركزى.

يقوم المركز بنشر الدعوة الإسلامية . . ويساعد المسلمين الجدد على فهم الإسلام وتعمق مبادئه.

للمركز مكتبة كبيرة عامرة بالعديد من الكتب والمراجع الأساسية وفى المجال الاعلامى يصدر المركز نشرات شهرية ودورية تعالج بعض الموضوعات الاجتماعية والدينية وغيرها ويبث برامج إذاعية وتلفزيونية فى بعض المناسبات الإسلامية . . كما يقوم المركز بمراقبة ما ينشر فى اجهزة الاعلام الامريكية عن الإسلام والمسلمين ويرد على ما يرد فيها من خطأ وخطل ويبين ما يدس فيها من سموم.

وللمركز الإسلامى خطه طموحة فى إنشاء مؤسسات تابعة له منها: مدرسة إسلامية، دار للمسنين والعجزة، دار للضيافة، مركز رياضى، قاعة كبرى للنشاطات الثقافية، . . الخ.

تجدر الإشارة الى أن العديد من الدول الإسلامية قد شاركت بسخاء فى إقامة هذا المركز منها: السعودية، ليبيا، قطر، الكويت، سلطنة عمان،

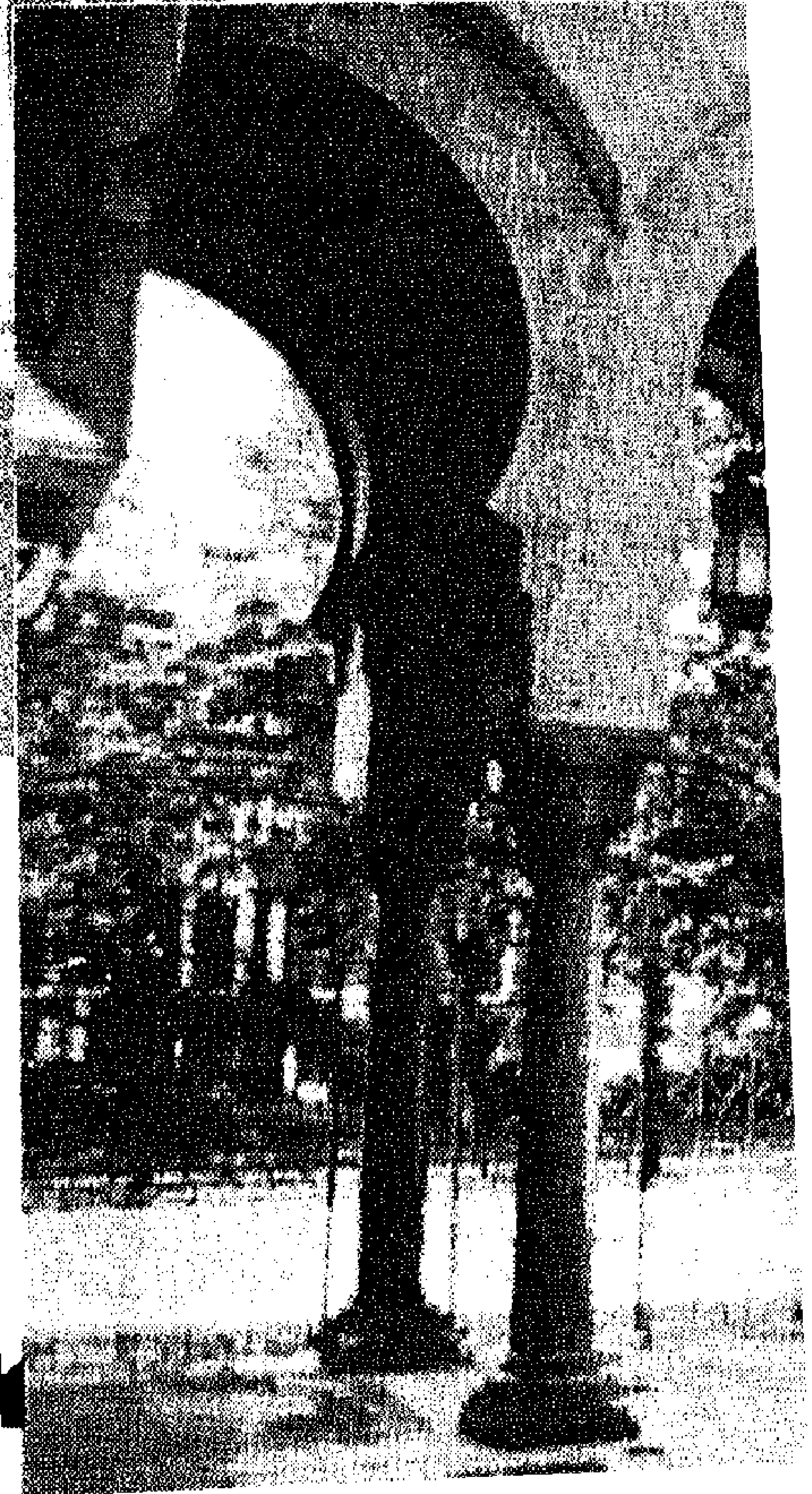


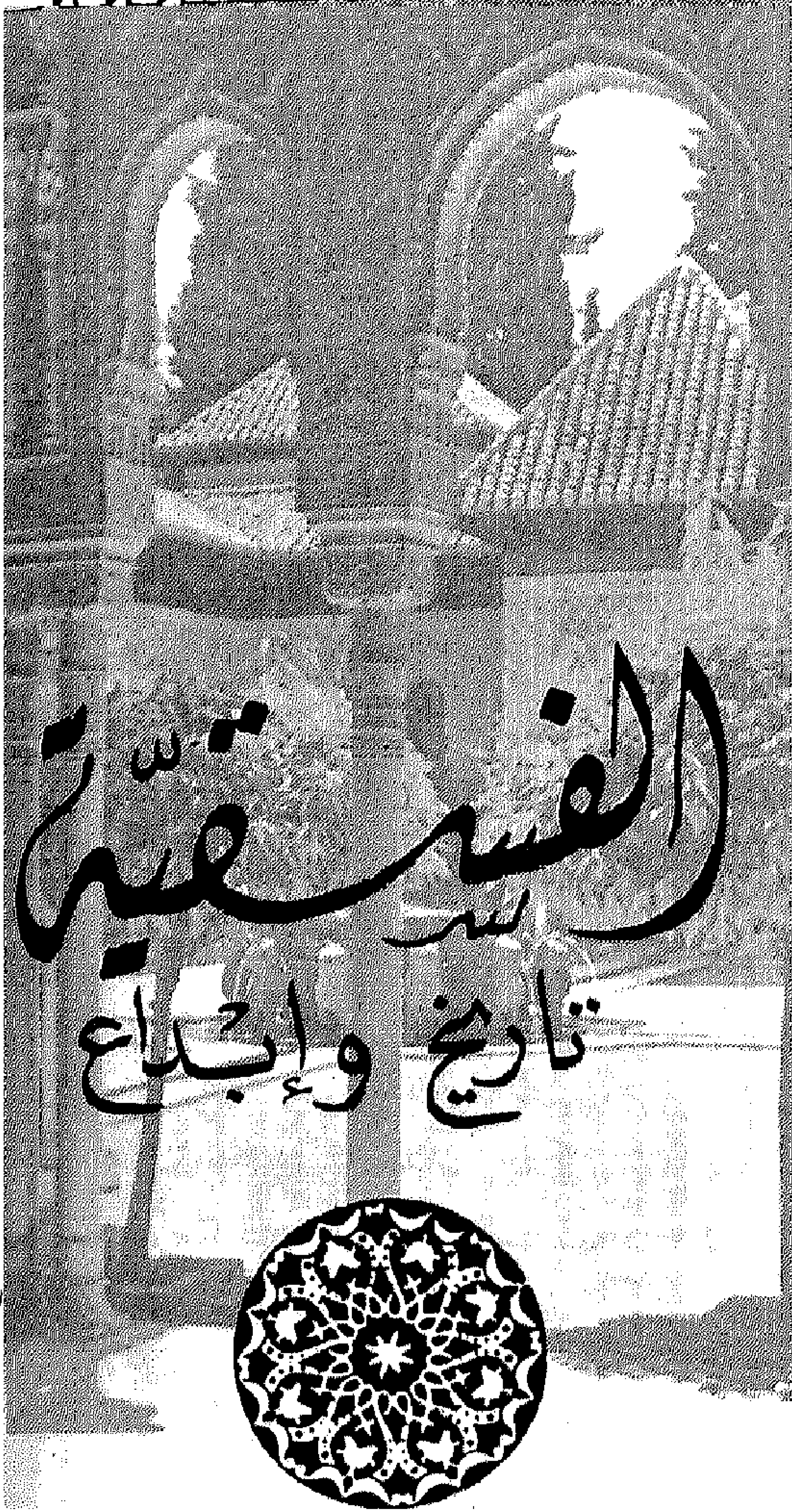
البحرين، الإمارات العربية، ومصر.

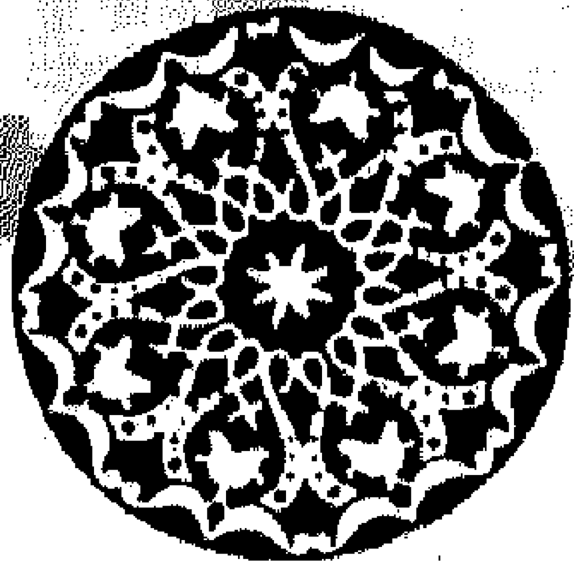
هذا إضافة الى تبرعات كثير من المحسنين وأصحاب الفضل من المسلمين فى أنحاء العالم العربى والأوربى.

و «الخير فىّ وفى أمتى إلى يوم القيامة».

صدق رسول الله







● توجد مسميات عدة أطلقت على «الفسقية» واختلفت هذه المسميات شيوعاً من بلد إسلامى لآخر، ومن عصر الى آخر. فمن مسمياتها: النافورة، البركة، الصحن، الحوض، البحرة، والشدروان.

● ورغم تعدد تلك المسميات فقد ظل إسم «الفسقية» أعمها وأكثرها شيوعا.. وتطلق على البناء الذى يتوسط الفناء أو الصحن الداخلى للمبنى ويصل إليه الماء من مصدر أعد لهذا الغرض.

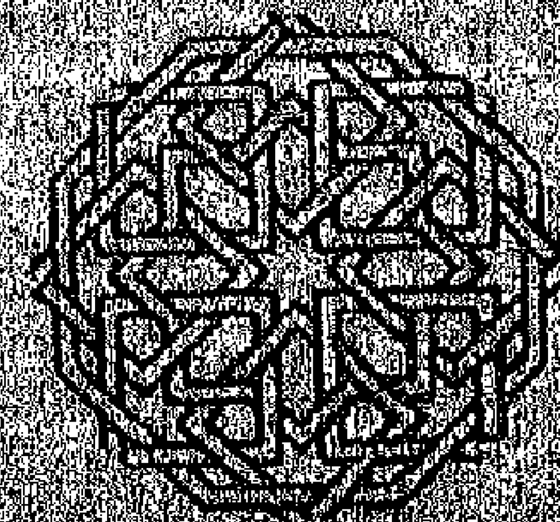
● والفسقية تؤدى مجموعة من الوظائف منها: تلطيف درجة الحرارة، وهذا ما يتمشى مع طبيعة الجو الحار فى أغلب الدول الإسلامية اضافة الى الراحة النفسية التى يجلبها منظر الماء.. وفى العمارة المدنية تشكل الفسقية مصدراً جماليا ترويحياً بصفة أساسية ولذا فقد أنشىء حولها أحواض الزروع والزهور فى ربط منسق بين الماء واللون

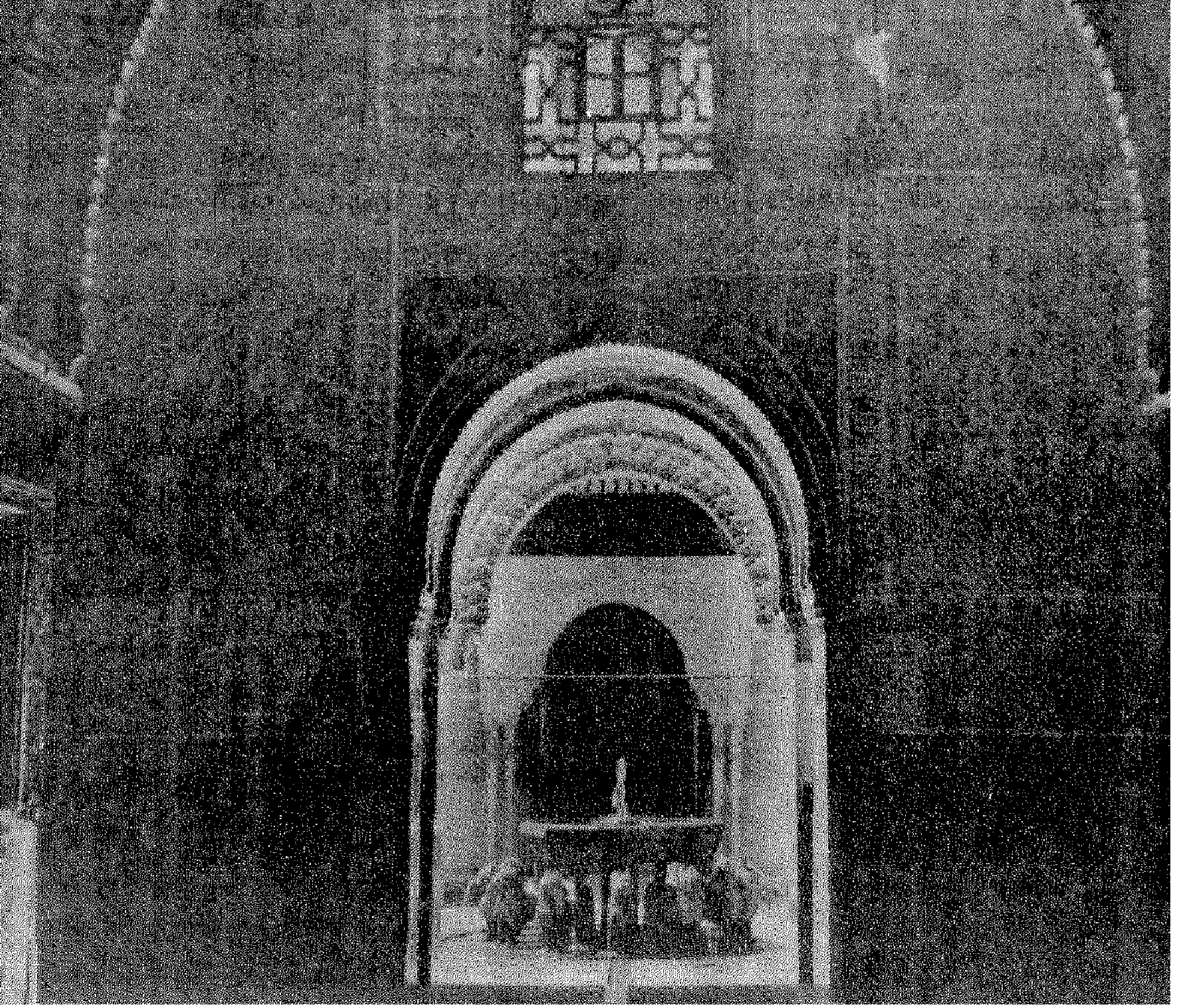
مسـجد جنيـف

● نقلة إلى عصرنا الحاضر لنتعرف على ما استجد من نماذج حية فى عمارة المسجد اليوم لا لعقد مقارنة ولكن لإضافة معلومة أو تجديدها.

● ولما كان المسلمون قد انتشروا فى أرجاء المعمورة فقد لزم ذلك أن يؤسسوا المساجد والمراكز العلمية لأداء الشعائر الدينية والاستزادة من العلم والمعرفة ومن ضمن العديد من المساجد والمراكز التى بنيت وانتشرت فى العالم الأوربى نقف عند (مسجد جنيف).

● هذا المسجد أقامه وأسسه الشهيد الراحل جلالة الملك فيصل عليه رحمة الله ثم أكمل جلالة الملك خالد عليه رحمة الله - المشوار فأقام مركزاً ثقافياً هناك. والمسجد عبارة عن بناء مثمن الأضلاع أجريت فى داخله أعمال زخرفيه طبقا لمواصفات العمارة الإسلامية على يد ثلاثين من الصناع المغرب الذين قاموا بنحت الخزف وتزيين القباب والسقوف بنقوش عربية من الجبس. أما المحراب فقد كسى بخشب الاكاجو وخشب الأرز المحفورين، ويتبع المسجد مدرسة تتألف من سبعة صفوف خصصت لتعليم اللغة العربية والقرآن، وهناك بناء للمكتبة ومختبر اللغات، ثم ساحة مع ردهة عبارة عن مبنى مرتبط بعضه ببعض يضم المصالح الإدارية والمقهى والمتحف وقاعات الوضوء، وتقوم فى الوسط فسقية (نافورة).





الأخضر وفى صورة خلابة ورائعة مما يريح العين ويبهج النفس ويسرها.

● أما فى المنشآت الدينية فقد تركزت مهمتها الأساسية فى استخدامها مكانا للوضوء اضافة لما لها من مهمة جمالية فى وسط صحن المسجد.

● وتنوعت أشكال وأحجام ومواضع الفسقية فى المنشآت الدينية.. ويعكس التخطيط والتصميم المعمارى للفسقية بالمنشآت الدينيه ـ والتى أنشئت بغرض الوضوء ـ مدى الحرص الشديد من جانب المعمارى المسلم على تحقيق الغرض منها بصورة صحيحة وسليمة ومريحة فى نفس الوقت. وعمل المعمارى على التحكم فى حجمها وموقعها وفى طريقة تغطيتها وغالباً ما تكون على هيئة قبة تحملها سلسلة من الأعمدة تأخذ شكلاً دائريا تعمل فوقها سلسلة من العقود ترتكز عليها قاعدة القبة.

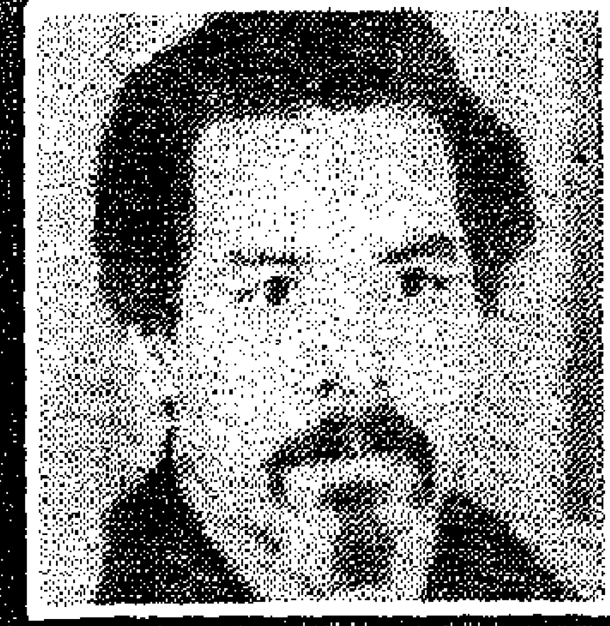
● وتنوعت مواد البناء التى بنيت بها القباب فبعضها من الخشب، وبعضها من الآجر والبعض الآخر من الحجر، وتتناسب القبة مع الفسقية التى تغطيها من جهة ومع مساحة الصحن أو الفناء الذى توجد به الفسقية من جهة أخرى، وارتفاعها يتناسب مع ارتفاع الواجهات المطلة على الصحن فى تناسب دقيق يشهد بجمالية النسب المشهود لها فى العمارة الإسلامية.

● وارتبط انتشار الفسقية كوحدة معمارية بارزة فى العمارة الإسلامية بداية بالفناء الداخلى الذى انتشر هو الآخر كعنصر أساسى فى تخطيطات المبانى ويتصل الفناء الداخلى عادة بالهواء من أعلاه والضرورة هى التى أوجدت هذا الفناء إذ استخدم كحل علمى وعملى فى تلطيف الجو وتخفيف درجة الحرارة وكعنصر اتصال وحركة. مما يتلاءم مع المكونات الطبيعية للجو فى المناطق الحارة.

الأسس الجماليّة للفنون الإسلاميّة

فى البحث عن نظرية

ربما *لم تتصل جوانب البحث الجمالى* الإسلامى عند السابقين لتكوّن نظرية اسلامية خاصة فى الجمال.. فهمه وتذوقه.. ولكن هذا لا يعنى بحال من الأحوال أنهم أهملوا البحث الجمالى، كما أنه لا يسوغ إهمال الأمر من جانبنا فى الوقت الحاضر وترك المستشرقين والمتمتعين بالتذوق الفنى الغربى - ناقدين ومبدعين - يُنَظِّرون لحياتنا الفنية المعاصرة وينسجون عناصر الجمال فيها معزولة عن تراثنا الأصيل. ومن هنا كانت فكرة هذا.. البحث عن نظرية جمالية.. نظرية لها من الماضى عمقه وأصالته وهدفه.. ومن الحاضر غاياته وتطلعاته وانتماءاته.. صحيح أن فكرة الجمال عالمية.. والجمال فى حد ذاته مطلق.. مجرد عن المنفعة وعن اللذة الحسية.. ولكن جزءا كبيرا من نظرتنا إليه وتذوقنا له تطبعه الثقافة التى نشأنا فى مدارجها وتربينا عليها، ومن هنا تكون الخطورة فى إهمال درسه إذ يرتبط - عن طريق هذه الثقافة - بالدين، حيث يشكل الدين أهم عنصر من عناصرها، كما لاحظ ذلك ت. س. اليوت فى مقالته التى ترجمها د. شكرى عياد إلى العربية بعنوان: (**ملاحظات نحو تعريف الثقافة**). بل إن الذين حاولوا استخلاص نظرية للفنون الاسلامية - مثل «ريتشارد اتنجهاوسن» R. Ettinghausen فى مقالته عن (خصائص الفن الاسلامى)- لم يستطيعوا عزل هذه النظرية عن مبادىء أربعة ترجع إلى الدين وهى: «الخوف من اليوم الآخر» و«كون محمد بشرا» و«الخضوع لله القادر على كل شىء» و«الأهمية الرئيسية للقرآن الكريم». وبالرغم من صدق هذه المبادىء وثباتها فى صلة العقيدة الإسلامية بالنتاج



دكتور/ محمد حمدون
أستاذ مساعد الأدب
العربي - كلية البنات
جدة

الحضاري الإسلامي أدباً وفناً وعمارة إلا أن «اتنجهاوسن» كان يحاول الوصول من ورائها الى القول بأن الظواهر الجديدة في الفنون الإسلامية عامة تعبر عن «تدهور جديد طارىء» يستقبله هو في غبطة ورضاً لأنه يعزل حاضر الفن الاسلامي عن ماضيه ويربطه بالفنون الغربية. وقد رد عليه الأستاذ الدكتور اسماعيل الفاروقي في بحث قيم، سنشير اليه فيما يأتي.

المهم *في الأمر أن البحث الجمالي لم* يهمله علماء الإسلام، فدرسوا الصوتيات ليس فقط من حيث الدقة وسلامة الأداء ـ علم اللغة ـ بل أيضا من حيث التناسق وجمال الأداء ـ علم التجويد. كما درسوا الموسيقى ـ الفارابي ـ، والبلاغة، وأصول الخط العربي، وهو أحد الفنون المرئية، وأنتجوا الشعر وزخرفوا الدور بالنقوش وامتدت الزخرفة لتشمل موضوعات الحياة اليومية من ألبسة وآنية وسجاد. وفي كل هذا النتاج المتنوع كانت لهم نظرة جمالية ترتبط بالثقافة ـ وبالتالي بالدين ـ مما لا يدع مجالا للشك عندنا في أن عناصر هذه النظرية الجمالية الاسلامية موجودة. وكل ما تحتاجه هو البحث عن الذخائر التي أنتجها علماء الإسلام في مجالات الفنون المختلفة وربطها ببعضها البعض، من وجهة نظر تفْهم هذه الثقافة الإسلامية وتؤمن بدورها وعطائها الانساني.

ولا ندعي لهذه الدراسة الحالية الا أنها تفتح بابا للرأي والنظر بعرض نقطتين رئيسيتين في هذا المجال هما:

- *أثر الإسلام في تذوق الجمال في الأدب والفن.*
- *العطاء الاسلامي في الجماليات.*

أ ـ الإسلام وتذوق الجمال

التحديدات الفكرية لهذه النقطة ضرورية ليس فقط لبيان محتواها وغاياتها بل لإزالة ما قد يتوهم من لبس في بعض مصطلحاتها. وتقوم هذه التحديدات على بيان المقصود من مقاطع ثلاثة هي:

١ ـ *أثر الاسلام.*
٢ ـ *تذوق الجمال.*
٣ ـ *الأدب والفن.*

ونتناول هذه واحدة واحدة.

أولا: أثر الاسلام

عند إطلاق كلمة «الإسلام» في أي موضوع لابد وأن ينصرف الذهن إلى ثلاثة معان تستقر جميعها في وجداننا في آن واحد.

الأول: المعنى اللغوي المجرد عن الإطار التاريخي. ونقصد به الأولية العقائدية المترتبة على معنى الفعل «أسلم» (يُسْلِم ـ إسْلَاماً): «إسلام الذات لله والخضوع له سبحانه والانقياد لشريعته الخالدة في أي زمان أو مكان». وذلك هو المعنى الذي يؤخذ من قوله

تعالى: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا﴾ [النساء: ١٢٥] وقوله: ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما﴾ [آل عمران: ٦٧] فالإسلام هنا قد تحدد معناه فى إطار تسليم الذات لبارئها والانصياع لأوامره ونواهيه دون دخول فى أية تفصيلات شعائرية أو سلوكية تترتب على هذا الانقياد، ودون ارتباط بالعلائق التاريخية المرتبطة بشريعة محمد ﴿ﷺ﴾ لدرجة أن ابراهيم عليه السلام **(ووجوده سابق لمحمد بحوالى ٢٥ قرنا أو يزيد)** وكذلك غيره من الأنبياء يعدون «مسلمين» بهذا المعنى.

هذه العلائق التاريخية والتفصيلات المترتبة عليها بشأن ما أوحى الى محمد ﴿ﷺ﴾ هى مناط المعنى الثانى للفظة «الإسلام» وهى تمثل المعنى الاصطلاحى للكلمة وفيه يتحد مفهوم الإسلام مع مفهوم الدين كما حدده الله سبحانه شريعة واضحة كاملة فى قوله: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ [المائدة: ٣] وقوله جل شأنه: ﴿**إن الدين عند الله الاسلام**﴾ [آل عمران: ١٩] وهو نفس المعنى الذى تركنا عليه محمد صلى الله عليه وسلم إذ تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها.

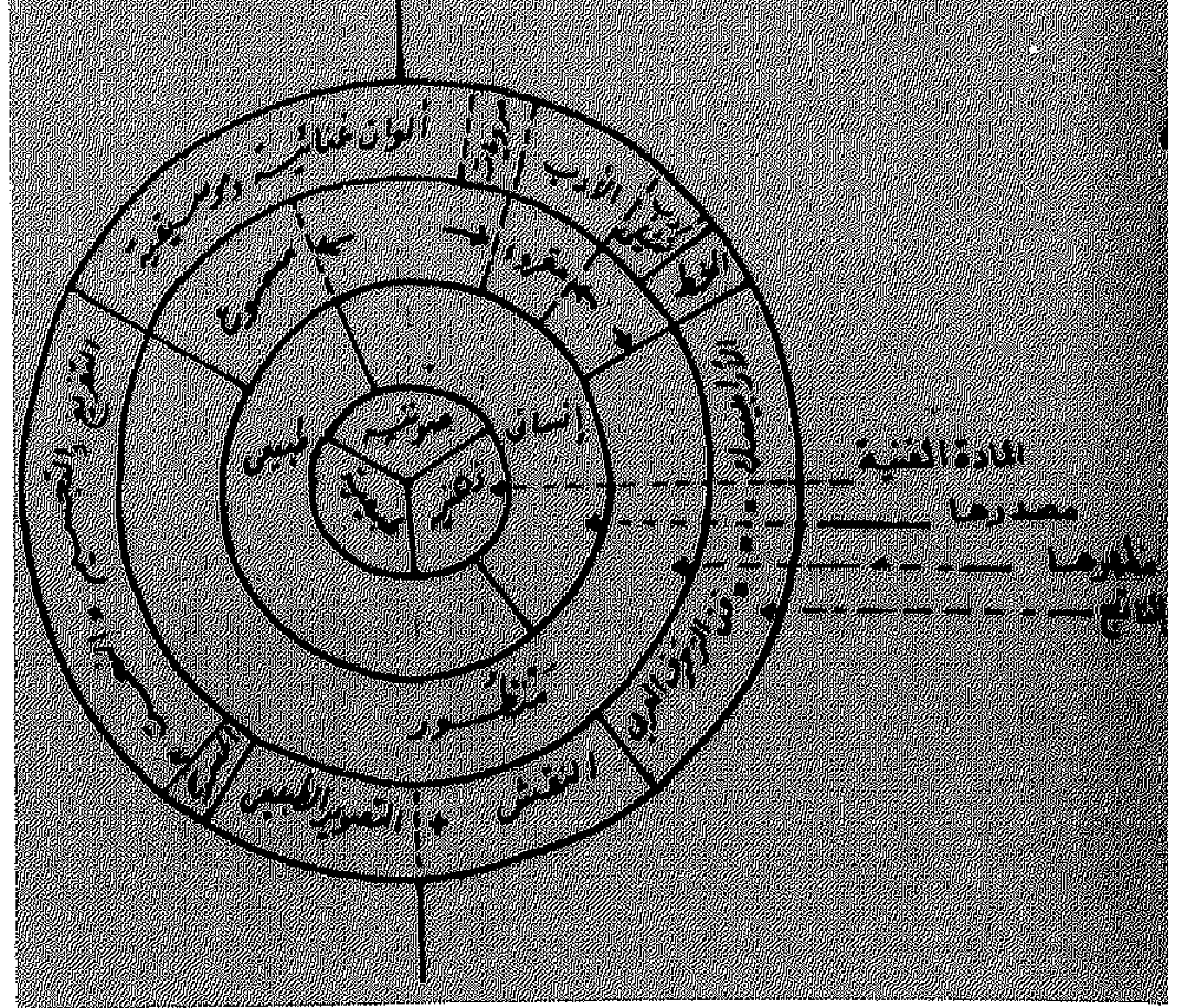
فالإسلام *بهذا المعنى الاصطلاحى له* مظاهر تعبير شعائرية وسلوكية هى التى تضمنها حديث: «**شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا**» فى بيان ما هو الاسلام.

أما *المعنى الثالث لكلمة الإسلام* فلا يقف عند حد اللغة أو حد الاصطلاح وإنما يمتد ـ بالأحرى ـ الى المعنى التاريخى العام. وفيه ينصرف الذهن إلى حصيلة أربعة عشر قرنا من تراث الإسلام وحضارته. فمفهوم الإسلام بهذا المعنى عام يشمل كل المكونات العقائدية والفكرية والتشريعية والأدبية والفنية والمعمارية التى أنتجها المسلمون خلال هذه القرون الطويلة. إن الإسلام بهذا المفهوم الشامل هو كتلة الحضارة التى ننتمى إليها وتنتمى إلينا بكل مقوماتها المادية والروحية.

المادة الفنية / طريقة عرضها	صوتية	ذهنية	طبيعية
مسموعة	• الحكايات المروية • الأغنيات	-	• الموسيقى
مقروءة	• الأدب	-	-
منظورة	• الخط أصلا صوتى = لغة	• الأرابيسك لتنفيذ وتصوير رمزى	• نحت ومجسمات

وليس *غرضنا هنا أن نتعرض ـ بأى* حال ـ لما يتميز به أى من هذه التعريفات أو المعانى، وإنما أردت أن أؤكد أنه مهما كان المعنى الذى ينصرف إليه ذهن كل منا الآن، فإن البحث عن أثر الإسلام فى تذوق الجمال أو فى غير ذلك من الموضوعات يجب أن ينصرف دائما إلى المعنى الاصطلاحى. إذ أن المعنى اللغوى ـ الأولى ـ غير محدد فى الزمان أو المكان، بينما يشمل المعنى التاريخى العام أشياء هى نفسها نتيجه ومحصلة للمعنى الاصطلاحى.

والمعروف *أن أثر الشىء هو ما نتج* عنه، أو بقى منه أو جاء بعده ـ كما يذهب صاحب أساس البلاغة. (١) وهذا الأثر يكون دليلا على المؤثر ويظهر على هيئة إيجابية أو سلبية، أى بأن يدفع إلى بعض الخصائص أو يمنع من بعضها على نحو ما سنرى خاصة فى التأثير الإسلامى على الفنون. ولا شك أن التأثير



الإســـلامى ـ بالمعنى الاصطـلاحى ـ على عمليـة الابداع الفنى (بالايجاد والعدم معاً) كان له أثره على تذوق الجمال وفهمه.

ثانياً : تذوق الجمال

● ما اختلف النقاد فى شىء قدر اختلافهم فى مفهوم «الذوق» و«الجمال»، ومن ثم «تذوق الجمال». ومع ذلك نريد أن نضع حدا فكريا ولغويا موجزا لما نقصده هنا: فما الجمال؟.. وكيف نتذوقه؟..

● من أبرز تعريفات الجمال التى سادت عصر النهضة الأوربية:

● عند ليوناردو دافينشي ومايكل انجلو، مثلا ـ أنه:

«**الفكـرة الـذهبية المثالية الناتجة عن الانسجام والتوافق**».

● وتطـور هذا التعـريف ليصبح عند أبرز مُنَظِّرى الجمال فى الغرب، كانْت: «**الجمال هو الأمر الرائع بلا نفع أو مصلحة**».

● وقد سادت منذ ذلك الحين فكرة فصل النفع أو المصلحة عن الجمال فى ذاته.

● على أن هذه التعريفات عادت ـ وبفضل تطورات أبحاث الجمال عند كانت نفسه إلى الفصل بين نوعين من الجمال: الجمال فى الطبيعة.. والجمال الفنى. أما جمال الطبيعة فهو ـ كما يرى الناقد الفرنسى «دِيدْرُو» مثـلا ـ «**النظـام والانتظـام والـوحدة**»: أو كما يرى «لـوكاتشى»، إنه: «**الراحة واللطف**». وأما الجمال الفنى فهـو إبـراز وعكس قيم الأشياء التى تثير فينا الإحساس بجمالها، سواء أكان جمالها ذاتيا قائما بها ـ وجد من يتأمله ويصوره أم لا، كجمال الزهور ـ أم كان مدركا نسبيا، أى يحتاج إلى تأمل وترتيب كلوحة تقوم على مجموعة من نباتات الصحراء أو عبارة كتبها فنان بخط جميل.

وعلى هذا تكـون أولى النتـائـج العملية لهذه الدراسات هى التفرقة بين جمال الأشياء فى طبيعتها الـذى هو عبـارة عن «**توفر صفة الجمال لها**» وجمالها الفنى الذى هو عبارة عن «**توفر العرض الجميل لها**».

سارت الأبحـاث الجـماليـة أو الاستاطيقية الغـربيـة لفترة طويلة فى محور هذا الصراع النظرى المؤدى الى فصل الجمال الطبيعى عن الجمال الفنى واعتبار أن الفن (أى فن) ليس تمثيلا لشىء جميل وإنما هو تمثيل جميل لشىء ما.. وهى القضية التى اندفع الـرومـانتيكيـون ـ على أعقابها ـ ليؤكدوا أن تمثيل الأشياء القبيحة أيضا فن. وهذا ما عقب به المفكر الفرنسى «شَارل لَالُو» على رأى كانت فى أن الفن تمثيل جميل لشىء ما «حتى ولو كان قبيحا». ومثله أيضاً ما ذهب إليه «بودْلير» فى «زهور الشر».

● *ولئن كان نقدنا العربى لم ينح هذا المنحى فى دراسة الجمال، لما يتسم به من فلسفة نظرية من ناحية، ولتقليله من أهمية المضمون الأخلاقى للجمال من ناحية أخرى، فقد كان لنقادنا وقفات تطبيقية مع الجمال ولمحات عنده تعددت فيها نوافذه واختلفت مجالاته فصار عندهم ممثلا فى «الحق» و«الخير» و«المعرفة»، وتحدثوا عن صوره فى السـماء والأرض والإنسـان والطبيعـة والكـون.. فى الطفل.. فى الشيخوخة.. فى المرأة.. فى البطولة.. فى كل شىء.. «فى الخـالق ومـا خلق»: حتى وصلوا إلى نتيجة هى أن الله جميل يحب الجمال.. وربما آلت أبحاث الجـمال عنـدهم إلى فصله وتجريده عن المنفعة أو المتعة الحسية ـ كما رأينا ـ ولكنهم أكدوا على مضمونه الأخلاقى ووظيفته الإنسانية. فهذا عمرو بن معد يكرب يقول:*

ليس الجمال بمئزر
فاعلم وإن رُدّيت بُردا
إن الجمال معادنٌ
ومناقب أورثن مجدا

ورأوه فى الأخلاق والأفعال الإنسانية فدعوا إلى اكتسابه. كما رأوا أنه فى استطاعتهم أن يبثوه فى كل ما حولهم. ومع كونه فى تصورهم - وإلى حد كبير - قدر من الزينة إلا أن له فى النفس وقع السحر الحلال يخرجها من كآبتها وعنائها وكدها إلى حالة من الانشراح والبهجة.. ويبعث فيها «السكينة» التى هى أقصى حالات الراحة النفسية. طبقا لقوله تعالى: ﴿هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين﴾ [الفتح: ٤]

وهكذا *لا ندعى إذا قلنا إن البحث الجمالى الإسلامى ارتبط بالبحث عن السكينة.. وانصرفت أبحاث الجمال أول ما انصرفت إلى كتاب الله سعيا للوصول إلى معرفة سر جماله وقوة تأثيره - أو كما عرفناها: انصرفوا الى البحث فى الاعجاز القرآنى كأول منطلق لفهم الجمال وأثره وتذوقه.. وقادتهم دراستهم إلى نظرة متكاملة تقوم على «علاقات التناسق والانسجام» والتى عبر عنها عبد القاهر الجرجانى فى دراسته للإعجاز بـ«النظم» أى تتالى جزئيات الصورة الفنية على هيئة منسجمة متناسقة.*

على ان ملاحظاتهم الجمالية بدأت تخرج عن إطار الصورة الفنية القولية لتبحث فى الصور السمعية أو المرئية.. وبدلا من البحث النظرى فى التفرقة بين الجمال الطبيعى والجمال الفنى على نحو ما نرى فى الدراسات الغربية، نحوا منحى تطبيقيا للتفرقة بين الجمال وغيره من الصفات التى قد تختلط به كالحسن والحلاوة والملاحة وما إليها سواء فيما يتعلق بما يطلق عليه الجمال الطبيعى (فى المرأة) أو بما يطلق عليه الجمال الفنى (فى الشعر) - مثلا -

والذى يبدو انهم تصوروا الحسن صفة عامة تنطوى على نوعين هما: «الملاحة» و«الجمال».. أما الملاحة - وصنوها «الحلاوة» - فهى أقرب إلى الأمور المعنويه الخفية منها الى الحسية.. بعكس الجمال الذى يعتبر ضربا من الزينة فهو أقرب إلى الأمور الحسية(٣). على أن أبا هلال العسكرى يذهب إلى ما يخالف ذلك فيما يتصل بالجمال، فلا يراه نوعا من الحسن وإن وافق على أنه متصل بالنواحى الحسية، إذ يقول: «الجمال هو ما يشتهر ويرتفع به الإنسان من الأفعال والأخلاق ومن كثرة المال والجسم، وليس هو من الحسن فى شىء، ألا ترى أنه يقال لك فى هذا الأمر جمال ولا يقال لك فيه حسن..»(٤).

يختلف الجمال عن الحسن وغيره من الصفات. وسواء اختلف أو اتفق

وإذن فإنه يقوم عندهم دائما على *التناسق والانسجام* كصفتين أساسيتين بَدَأتا تنْسحبان على كل ألوان التعبير الفنى فى الإسلام ابتداء من فن قراءة القرآن الكريم والانصات له وقد صار فنا له قواعده وشروطه (انظر مثلا أحكام النون الساكنة والتنوين، والغنة والإدغام، والمد بأنواعه، مما حفلت به كتب الترتيل والتجويد) وحتى فن النقش والزخرفة بما استقر عليه من أصول وقواعد.. والمؤكد أن هذا التناسق والانسجام كأبرز مظهر للتعبير الجمالى - بشموليته لكل ألوان التعبير الفنى - جعل النظرة الجمالية الإسلامية مرهونة بفاعلية ذهنية تبلغ بنا عالم (المطلق والمجرد) على حد تعبير الدكتور زكى نجيب محمود - «وليست مقصورة على النشوة الناتجة عن الانطباع المباشر على الحواس»(٥) أى أننا نستطيع أن نقول إن النظرة الجمالية الإسلامية رغم أنها تبدأ من النظر فى جزئيات ووحدات صوتية أو تعبيرية مختلفة سعيا إلى تحقيق تواؤم وانسجام بين هذه الجزئيات إلا أنها تؤدى بالضرورة إلى التجرد عن الجزئيات ذاتها وما تحدثه من تأثير على الحواس.. وهذا التجرد عن العلاقة بين الجزئيات والحواس هو الذى يقودنا إلى حالة مثالية من الوجود الإنسانى هى حالة السكينة.

لقد وردت كلمة «الجمال» فى القرآن الكريم مرة واحدة وفسرت بمعنى الزينة(٦) وذلك فى الآيات الكريمة: ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون. وتحم

أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم﴾ [النحل: ٥ـ٧] والمتأمل لهذه الآيات يجد أن الجمال فعلا غير المنفعة وغير اللذة الحسية؛ فالمنفعة هنا أربعة:

١ ـ *الدفء: وقد فسروه بالملابس التى تؤخذ من أصوافها وأوبارها وأشعارها.*

٢ ـ *المنافع، وقد فسروها بنسلها وما نشربه من ألبانها.*

٣ ـ *الأكل، من لحومها وشحومها.*

٤ ـ *العون على الاتصال من بلد إلى بلد لم نكن بالغيه إلا بشق الأنفس.*

وقد لوحظ أن «الجمال» وقع بين المنافع الثلاثة الأولى والمنفعة الرابعة وفى هذا دلالتان: الأولى أنه ليس سابقا للمنفعة ولا تاليا لها.. وإنما يصاحبها.. والثانية أنه يتفق معها فى الغاية والحكمة التى من أجلها سخر الرءوف الرحيم هذه الأنعام لعباده، وإلا لفصل عنها.

ولم *نشأ أن نفصل معنى الجمال عن* الزخرف أو الزينة رغم أن بعض المستشرقين حاولوا أن يشككوا فى قيمة الفنون القائمة على الزخرف، وبالتالى فى الجماليات الإسلامية (لهذا السبب ولأسباب أخرى على نحو ما سنرى فى القسم التالى من هذه الدراسة).

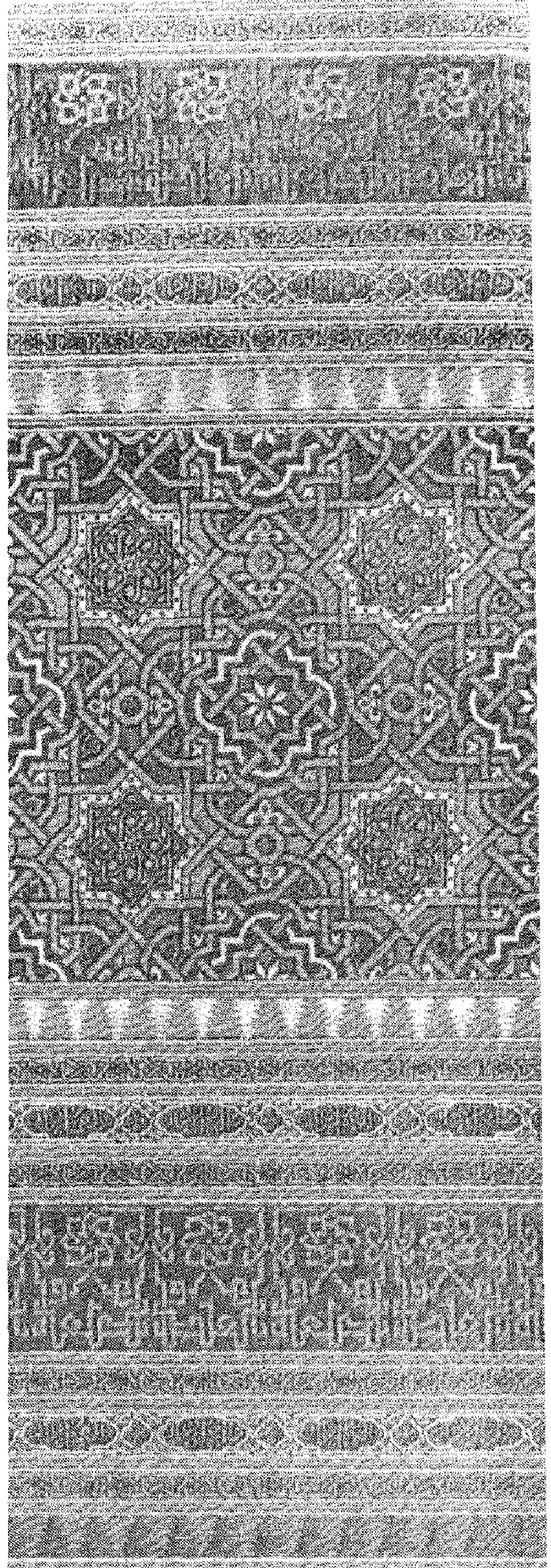
أولاً *لأن الزينة هى المرادف للجمال فى الآية التالية الخاصة بمجموعة من هذه الحيوانات التى سخرها الله للإنسان حين قال تعالى: ﴿والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ [النحل: ٨].*

فها هنا المنفعة تقابلها الزينة.. فاذا كان القرآن الكريم قد جعل الجمال Beauty صنو الزينة Ornament فإن لنا ـ بل علينا ـ أن لا نفصل بينهما ونحن ندرس الجمال الفنى Aesthetics.

ثانياً *لأن تحليل العطاء الجمالى الإسلامى فى الفنون المختلفة يجب أن يقوم على أهم عناصر هذا العطاء.. ولا شك أن «الزينة» أو «الزخرف» هى المظهر الأول لهذه الجماليات.. وليذهب المشككون إلى حيث شاءوا.*

ولكن كيف ندرك هذا الجمال أو نتذوقه؟

لقد ربط نقادنا العرب بين «الذوق» و«الطبع» فقالوا مثلا: «فلان حسن الذّوق للشعر (أى تذوقه) إذا كان مطبوعاً عليه»(٧) ولكن علاقة الذوق بالطبع تحتاج إلى



مزيد من الإيضاح.

يرى لبعض أن «الذوق احساس ذاتى» ويرى آخرون أنه: «قوة مكتسبة» ومع هذا وذاك فالذوق ينبع لدى الإنسان من محصلات ظروف اجتماعية وفكرية.. و«تصقله التجارب المتكررة» حتى يتيسر لمن يتمتع به فهم الحق والخير وبذا يصير كل منهما جميلا.

معنى هذا أن ذوق الفرد - من ناحية - «ذاتى» أى غير محدد بمعطيات ثابتة تجعل منه قانونا صارما ومصدرا ثابتا للحكم الجمالى.. ولكنه من ناحية أخرى قوة مكتسبة، تحتوى بدرجة كبيرة على لحظات ذهنية وفكرية وعلى أنظمة قياسية وسوية طبيعية.

وقد ذهب ابن خلدون - على سبيل المثال - إلى اعتبار الذوق «ملكة» ولكنه يشرح لنا معنى الملكة وعلاقتها بالطبع فيقول: «ان الملكات اذا استقرت ورسخت فى محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل». وهو يؤكد أن هذا المظهر لا يعنى اتحاد الملكة والطبع. ولذا يحذرنا أن نخلط بينهما فالملكة غير الطبع وهى تحدث نتيجة خبرة وممارسة وعلينا أن ندرك أن الممارسة المقصودة هنا هى ممارسة التراكيب والخواص الفنية، لا القوانين.. «فالقوانين لا توجد الملكة»(٨)

ورأى ابن خلدون هذا - على قيمته الكبيرة - لا ينفى بالطبع - إن لم يؤكد - ما قررناه من ازدواجية فى طبيعة التذوق تقوم على ناحيتين: ذاتية ومكتسبة. فالذاتية هى التى ترجع إلى طبيعة الفرد وفطرته، والمكتسبة هى التى يقويها المران والممارسة.

ومؤكد أننا لا نخرج عن الصواب إذا رأينا أن الاسلام يؤثر على تذوق المسلم للجمال من هاتين الناحيتين.. فالإسلام بالنسبة للمسلم قوة ذاتية ذات سيطرة وهيمنة وشمول هى أقرب إلى الطبيعة والفطرة منها إلى الوعى والخبرة، حتى لنجد فى حديث الرسول ﴿ﷺ﴾ «كل مولود يولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه» كما يعرضها علينا القرآن الكريم مسلمة لا عوج فيها: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا، فطرة الله التى فطر الناس عليها﴾ [الروم: ٣٠]. إن هذه الفطرة وثيقة الصلة بالأحاسيس التى تعكس عند المتذوق حكما جماليا.. وهى - فضلا عن المعطيات الثقافية والاجتماعية المبنية على الرأى أو القياس - موجودة بالفعل وبالقوة.(٩)

ومن ناحية أخرى فلا شك أن المسلم يكتسب من معايشته للإسلام وتعاليمه ومعطياته الفنية والحضارية ما يلعب دورا كبيرا فى تكوين ذوقه كمنتج أو كمتلق للفنون.. بالإضافة إلى أن تعاليم الإسلام قد تنهى عن شىء أو تأمر بشىء فيصبح الأمر والنهى جزءا من مكونات الحكم الجمالى عنده.

وإذن فتذوق الجمال وإدراكه من وجهة النظر الإسلامية يقوم على الأمرين معاً: الإحساس الذاتى القائم على الفطرة الذاتية للإنسان والقوة المكتسبة المتولدة عن معايشة الاسلام ديناً وأمةً وحضارة.

ثالثا: الأدب والفن

هنا سؤالان مطروحان:

أولهما: لم جمعنا بين الأدب والفن فى هذا الصدد؟.

والثانى: هل يسمح الاسلام بالفن.. أى فن؟.

ولنبدأ بالسؤال الثانى لأهميته وسهولته معاً.

يتسع مفهوم الفن اليوم ليشمل جوانب وأنواع لا يقبلها الاسلام كما لا يقبلها الذوق السليم والفطرة النقية أياًكان صاحبها زماناً ومكاناً. وفى نفس الوقت يقوم الفن النقى برسالة إنسانية ودور اجتماعى هام قد يلتقيان - من بعض الوجوه - مع أهداف الإسلام وغاياته.. هناك إذن فن يقبله الإسلام وآخر يرفضه الاسلام.. غير أنه يجب أن ننبه إلى أن مناط القبول والرفض لأى لون من ألوان الفن لا يقف عند حد - ولا يتوقف على - الدور الاجتماعى والغاية.. بل هناك أيضا معايير أخرى أهم: هى معايير الأمر والنهى الشرعيين.

لنأخذ على ذلك مثالا من المجسمات أو «فن النحت» فبالرغم من أن القرآن الكريم لم يتعرض له، وبالرغم مما قد يقال من أن له دورا أو غاية اجتماعية أو جمالية إلا أنه قد ورد فى السنة ما يفيد المنع لقول ابن عباس رضى الله عنه، عن النبى ﴿ﷺ﴾ قال: «من صوَّر صورة فى الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ».. وأبلغ من هذا فى المنع حديث: «إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يصورون هذه الصور»، وحديث: «كل مصور فى النار، تجعل له بكل صورة صورها نفسا فتعذبه فى جهنم»(١٠).

وقد حاول البعض أن يشرحوا هذه الأحاديث فى إطار ما ورد من أحاديث أخرى قد يفهم منها جواز اقتناء أو اباحة بعض الصور دون البعض.. أو فى إطار أن المنع فى المجسمات فقط.. أو فى إطار الحاجة والضرورة فيجيزون التصوير الفوتوغرافى للهويات مثلا.. أو فى إطار زوال المانع وهو قرب عهد الأوائل بالوثنية، المرتبطة بالتصوير مع زوال هذا المانع فى عصرنا.. وحسب القرآن الكريم: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾ [غافر: ٦٤ والتغابن: ٣]. فإن التصوير هنا فيه معنى الخلق أو التشكيل للمادة فى أبعاد ثلاثة.

وهكذا حتى لقد صار للعلماء المسلمين آراء تختلف حول ما يجوز وما لا يجوز بغض النظر عن موقف الفنان المسلم وطرقه فى الأداء والتعبير الفنى سواء فى القديم أو الحديث. فها هو ذا الإمام النووى مثلا يمنع كل صورة تعطى ظلا.. على حين يروى القرطبى صاحب أحكام القرآن أن فئة من المفسرين انتهت بأن اعتبرت الفن والتصوير شرعيين، اعتمادا على ما ورد فى القرآن الكريم بشأن «تماثيل» و«محاريب» و«جفان» سليمان عليه السلام.. وبالطبع فإن قوله «بأن فئة اعتبرت» لا يعنى موافقته لهم، وإلا لَعَبَّر بطريقة أخرى.

وليس غرضنا على الاطلاق أن نتعمق أبعاد هذه القضية الدينية الهامة. بل نترك الرأى الأول والأخير للمتخصصين العارفين بكل أبعاد الكتاب والسنة. ليقرروا الحد الفاصل بين ما يباح ومالا يباح شرعا فى الأمثلة المختلفة.

وإنما غرضنا أن نقول: نعم هناك فنون يقرها الإسلام وأنتجها المسلمون وأعانت على مسيرة الحضارة والفكر الإسلامى.. وتلك هى الفنون التى نعرضها مع الأدب جنبا الى جنب.. بل فى الحقيقة نرى الأدب جزءاً منها ويمكن دراسة أثر الإسلام فى تربية الذوق الجمالى فيها جميعا لما بينها من صلات وتلاحم.

هذا نفسه يجيب على السؤال الأول أيضا. إذ أننا نقصد إلى القول بأن الذوق الجمالى واحد فى الفنون جميعا بما فيها الأدب سواء فى عملية الإبداع أو التلقى للفن، وقد يكون مجديا فى فهمها جميعا أن نرى ما بينها من صلات وروابط، ولعل هذا هو أول خطوات البحث عن نظرية جمالية اسلامية متكاملة.

● والجدول المعروض أمامنا يشير إلى هذا التلاحم.. (انظر الشكل رقم١ من الصور الملحقة بالبحث). ومنه نستنتج أن المادة الفنية قد تكون صوتية أو ذهنية أو طبيعية، كما أنها قد تظهر بطريقة مسموعة أو مقروءة أو منظورة، فتكون الأنواع الفنية (من الوجهة النظرية) تسعة ـ ولكنها عمليا ستة فقط، حيث لا ترد المادة الذهنية مسموعة أو مقروءة، كما لا ترد المادة الطبيعية مقروءة.

ننتقل الآن إلى النقطة الثانية الرئيسية فى هذه الدراسة، والتى تتضح فيها مظاهر أثر الاسلام فى الذوق الجمالى، وهى:

ب- العطاء الإسلامي في الجماليات

يمكن تلخيص هذا العطاء فى نقاط ثلاثة هى:

١ـ *قيام الاحساس الجمالى على الحركة الذهنية.*

٢ـ *نفى الطبيعة والمادة.*

٣ـ *غائية الفنون.*

أن تتناول كلا من هذه الجوانب

وقبل باختصار نشير إلى أن العلاقة بين المادة وصورتها فى الفنون ـ حسب الجدول الذى أوضحناه ـ قادت وتقود إلى ألوان فنية متعددة كما توضح ذلك دائرة علاقات الفنون (شكل٢، الصور الملحقة). وهى علاقات تتداخل فى كثير من الأحيان خاصة فيما يتصل بمنتوجات المادة الصوتية حيث تقع فى دوائر الفنون المقروءة والمسموعة والمنظورة على حد سواء.

ولو تصورنا خطأً وهميا يفصل بين نصفى الدائرة فسوف نلاحظ بداهة أن الفنون الناتجة موزعة على

هذين النصفين: الأيمن والأيسر.. أو المباح والمحظور.. أو - وهذا أفضل - المثبوت والمنفى ومعنى هذا أن التفاعل بين الفنان المسلم والمادة الفنية فى إطار التأثير الإسلامى قد أدى إلى عملية فصل (شعورى ولا شعورى معاً) بين ما ينسجم مع التصور الاسلامى العام ومالا ينسجم، وقد تحقق هذا عمليا - وبصورة مؤكدة - فى نتاجه الفنى باستثناء ما شذ عن القاعدة طبعا.

وربما طالت وقفتنا عما تسمح به ظروف هذه الدراسة ان نحن تتبعنا العلاقة بين الاسلام وهذه المنتوجات الفنية واحدة واحدة ولذا نكتفى بمعالجة النقاط الثلاثة المذكورة.

الأولى: الحركة الذهنية والاحساس الجمالى

● الفنون الجميلة جميلة بما تثيره فينا من أحاسيس تؤدى إلى الراحة واللطف والنظام والانتظام والانسجام والتوافق، والتى لخصنا أثرها جميعا فى كلمة واحدة: «السكينة». وقولنا «ما تثيره فينا» يشير إشارة خفية إلى مصطلح «الحركة» الذى كثيرا ما يستخدمه نقاد الفنون كوسيلة من وسائل فهمنا للفنون وتجاوبنا معها.. وهذه الحركة داخلية Momentum وليست مكانية Motion وكأننا فى هذه الحركة ننتقل رويدا وبواسطة ما نقرأ أو نسمع أو نشاهد من حالتنا الراهنة إلى حالة أخرى هى «السكينة» أو إليها «أقرب».

● ويجمع الذين خبروا الفنون الاسلامية على أنها جميعا تقود إلى نوع متماثل من الحركة.. يبدأ فيها المرء بالتقاء بعض حواسه (طبقا لنوع الفن) بوحدة فنية تركيبية تتآلف - فى الغالب - مع وحدات أخر فى أى اتجاه ممكن، وفى كل اتجاه ممكن، مثل الحركة من مركز الدائرة إلى قطرها.

● وهذه الحركة ليست حركة عاطفية أى أننا لا نكون فى حالة غضب أو سرور أو حزن أثناء هذا الالتقاء وإنما هى حركة ذهنية تقودنا الى عالم المطلق والمجرد كما ذكرنا.

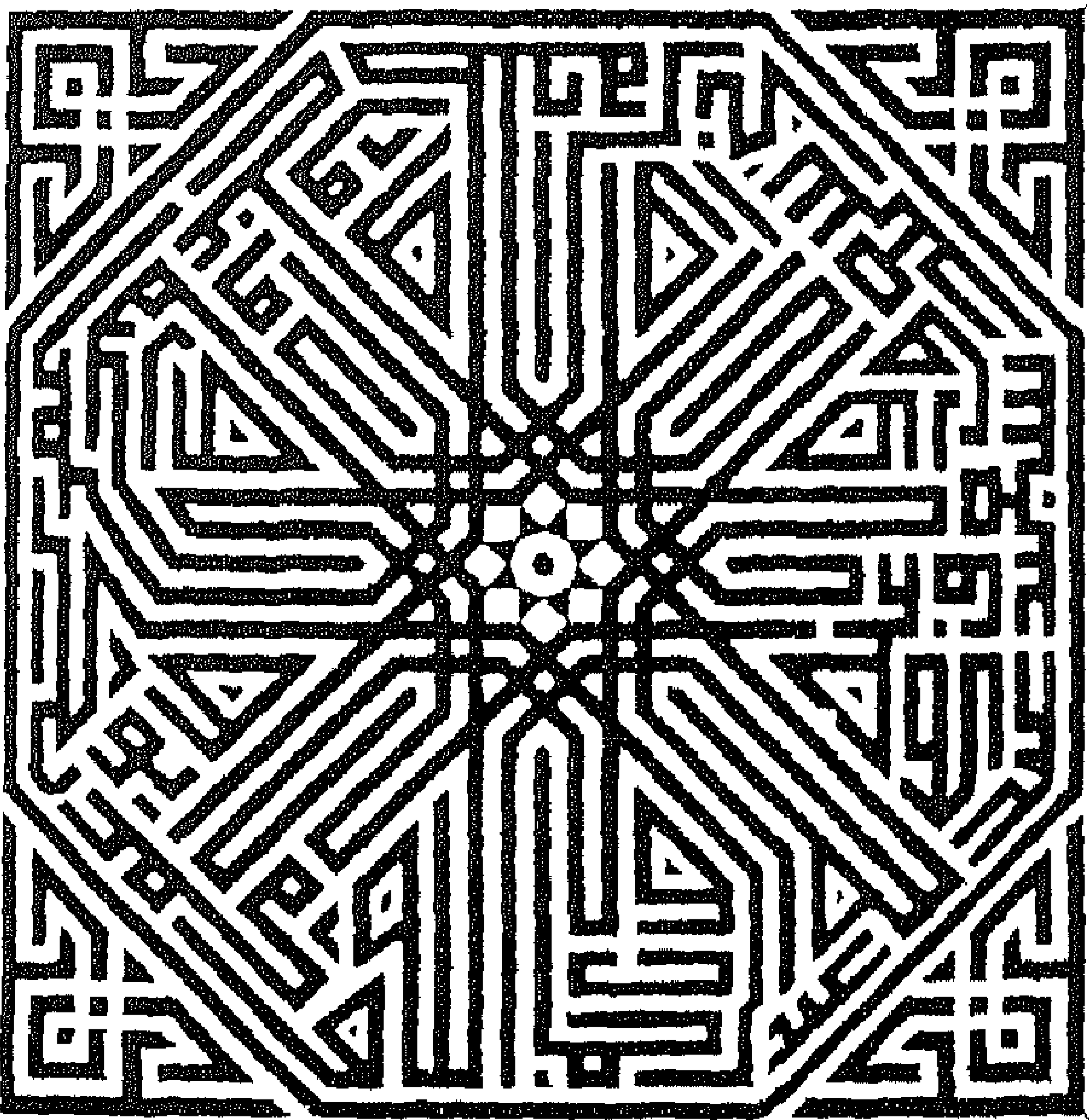
● *وسنحاول فيما يلى اكتشاف هذه الحركة فى نماذج معدودة من تلك المنتوجات الفنية العديدة.*

أولا: فلنستمع إلى قول أبى تمام الطائى:

أخافُ إلهى ثم أرجو نوالَه
ولكن خوفى قاهر لرجائيا
ولولا رَجائِى واتِّكالى على الذى
تَوحَّدَ لى بالصنع كهلًا وناشِئيا
لما ساغ لى عذبٌ من الماء باردٌ
ولا طاب لى عيش ولا زلت باكيا».

ثانيا: ولنشاهد هذه القطعة من الأرابيسك الخطى (شكل رقم ٣من الصور الملحقة) وفيها نقرأ مفردات مرتبة هكذا: الله ومحمد وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير.. الخ. وهى قطعة سيراميكية تنتمى إلى القرن السابع عشر الميلادى.

● إن هذا الشعر الذى سمعناه دينى بمحتواه.. وكذلك اللوحة الخطية دينية بمحتواها.. والناحية الدينية انما هى ثمرة تأثر الشاعر والفنان (الخطاط) بالدين.. بالإسلام.. ولكن هذه «الاسلامية» التى تكمن فى مضمون العملين - مع أهميتها - ليست هى الأثر الدينى المشترك المقصود بين الفنّين والممثل فى الحركة الذهنية التى نتحدث عنها. هذه الحركة الذهنية عبارة عن الانتقال من الوحدات الصغيرة إلى وحدات أكبر فى الشكل الفنى: من التفعيلة إلى الشطرة الى البيت الى القصيدة فى الشعر. ومن الحرف إلى الكلمة الى العبارة فى الخط.



والمعروف على ساحة الفن الاسلامى أن هذه الحركة قد تنتهى بانتهاء الفراغ المتاح.. وهوالحال الغالب على أشكال الفنون الزخرفية المرئية.. وقد تنتهى بانتهاء موضوع معين خاصة بالنسبة للخطاط الذى يحدد الفراغ والعبارة مُسَبَّقًا، ثم ينفذ فى اطار العلاقة بينهما.. ولا شك أن الخطاط يحقق أصول فنه بناء على معايير موضوعية جعلت من الكلمة المكتوبة - وخلال جيلين فقط بعد ظهور الإسلام وانتشاره - فنا مرئيا سائدا فى كل المجتمعات الاسلامية ومميزا لها حتى نجد الوزير أبا محمد علىَّ بن مقلة يعقد مقارنة بين تركيب الخط وتأليف الشعر ليحدد الوظائف والقيم الجمالية لكل منهما، ويضع للخط العربى خمسة معايير تؤدى إلى جماله ورونقه، وهى:

١ - *التوفية: أخذ الكلمة حقها فى العبارة بما يحقق التوازن والانسجام بين الكلمات، فلا تتلألأ كلمة على حساب أخرى.*

٢ - *الإتمام: اعطاء الحرف ما يلائمه من فراغ وقوة ووضوح.*

٣ - *الإكمال: خروج كل حرف فى شكله الملائم المحدَّد لهويته وغرضه التعبيرى.*

٤ - *الإشباع: إعطاء كل حرف ما يتطلب ليبدو جميلا فى عين الرائى.*

٥ - *الإرسال: أن ينبثق السطر حُرَّ الحركة، لا يعوقه تردد أو خلخلة.. ومن ثم يكون قادرا على خلق قوة دافعة ذات سرعة عالية*(١٢)..

إن أهم العناصر الجمالية فى هذا التقنين للخط، وهو لا شك أحد الظواهر المميزة فى الثقافة الاسلامية، تتلخص فى التوازن والانسجام، وانبثاق العبارة المنقوشة خطا حرة لا يعوقها تردد أو خلخلة.

وهذه *الخصائص تلتقى مع أهم خصائص* فن الأرابيسك أو فن الزخرف العربى، بل نجد الحروف والكلمات فى كثير من الأحيان جزءا متمما للنقوش الزخرفية لدرجة أننا لا نتعرف عليها أحيانا ككلمات (انظر الخط العلوى والمكرر فيما قبل السفلى فى الشكل رقم٤ من الصور)(١٣)، أو ان تعرفنا عليها يصبح المحتوى الفكرى للعبارة أقل أهمية فى انفعالنا بها من تشكيلها الجمالى فى اللوحة أو النقش.

ليس معنى هذا أن العبارة أو النقش الزخرفى خلو من المحتوى الفكرى، إذ يصبح هذا المحتوى مرتبطاً بالحركة الذهنية التى تقودنا الى خارج الشكل كما أنه بالتأكيد ناتج عنها.

ولننظر إلى هذا الشكل (شكل رقم٥ من الصور الملحقة) **وهو عبارة عن مجموعات زخرفية لحوائط سيراميكية من القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.. وفيه تتضح العناصر الأساسية لهذا الفن، والتى تتلخص فيما يلى:**

١ - *النسقية: وهى عبارة عن هندسية.. سيمترية، أو توازن فى علاقات الجزئيات والوحدات المكوِّنة للشكل فتعطى للحركة (البصرية ثم الذهنية) صورة منتظمة يسهل تخيلها إذا ما امتد الشكل عبر الفراغ.*

٢ - *الرياضية: وهى تعنى أن علاقات الأشكال تقوم على التساوى أو التضاد أو التوازى.. الخ وينتج عن هذا أن توزيع الألوان والوحدات الأصغر فالأصغر فى الشكل العام يأخذ نمطاً رياضيا لا يختل إلى مالا نهاية.*

٣ - *التكرار: وهو النتيجة العملية لاجتماع النسقية والرياضية فى شكل ما، اذ يترتب على اجتماعهما ليس فقط تكرار الوحدات الجزئية بل وتكرار صورة الفراغ الناتج عن تجاور هذه الوحدات، وتكرار الحركة الناشئة عن تماثل الوحدات والفراغات صعودا وهبوطا يمنة ويسرة وفى كل ميل وانعطاف ممكن للحركة.. والتكرار ليس مدعاة للملل كما ادعى بعض نقاد هذا الفن من أمثال إ. هارتزفيلد (E.Hertzfeld) الذى بدأ نقده لهذا الفن من غياب الأشكال والنماذج الطبيعية، وهو ما يعد، فى نظره، رفعاً للزينة وتكرارا لوحدات زخرفية على حساب الأشكال الفنية الكبيرة*(١٤) *نعم: ان التكرار قد يكون مملا وذلك حين تكون دلالاته مسبقة وصوره رتيبة ممجوجة.. ولكنه قد يكون على العكس مدعاة للتشوق والتوقع حين تتحد النغمات مع اختلاف الظلال الفنية.. ولهذا عد التكرار من أهم مباحث*

البلاغة العربية، وراح البلغاء يبحثون أسرار الجمال فيما وقع فى القرآن الكريم من تكرار(١٥).

٤ـ الأسلوبية: ومعناها، وغايتها.. يتضحان حين نسأل: هل ابتعد الفنان المسلم تماما عن تمثل عناصر الطبيعة فى الفنون المرئية؟. الاجابة لا. ولكنه حين أدخل هذه العناصر الطبيعية الى جانب الأشكال الذهنية الهندسية من مثلثات ومربعات ومخمسات ومسدسات ومثمنات ودوائر وخطوط متشابكة ومتقاطعة جرَّد تلك الأشكال عن طبيعتها وحولها إلى رموز ودلالات هندسية رياضية تصبح فيها الزهرة أو الحيوان دلالة ذهنية فقط، تمثل جزءا من الحركة الذهنية العامة للشكل، وهو ما يسمى بالأَسْلَبَة (Stylization) (انظر الشكل ٦ من الصور الملحقة).

● النسقية والرياضية والتكرار والأسلوبية: هى فى الواقع سمات الفن المرئى الاسلامى.. وفيها تتأكد الحركة الذهنية وينتفى تمثل الطبيعة.. بل اننا لا نبالغ اذا قلنا انها أيضا سمات فنية فى الشعر حيث نستطيع قراءته فى شكل أرابسيكى منظور يقوم على نفس خصائص الفن المرئى ـ فإذا تصورنا «فَعُولُن» وحدة، و «مَفَاعِيلُنْ» وحدة أخرى، واجتماعهما معا وحدة وتكرارهما بعد اجتماعهما وحدة وهكذا.. فإن الشعر يصير من حيث الشكل كالأرابسيك (انظر الشكل ٧ من الصور الملحقة).

علام يدل كل هذا؟

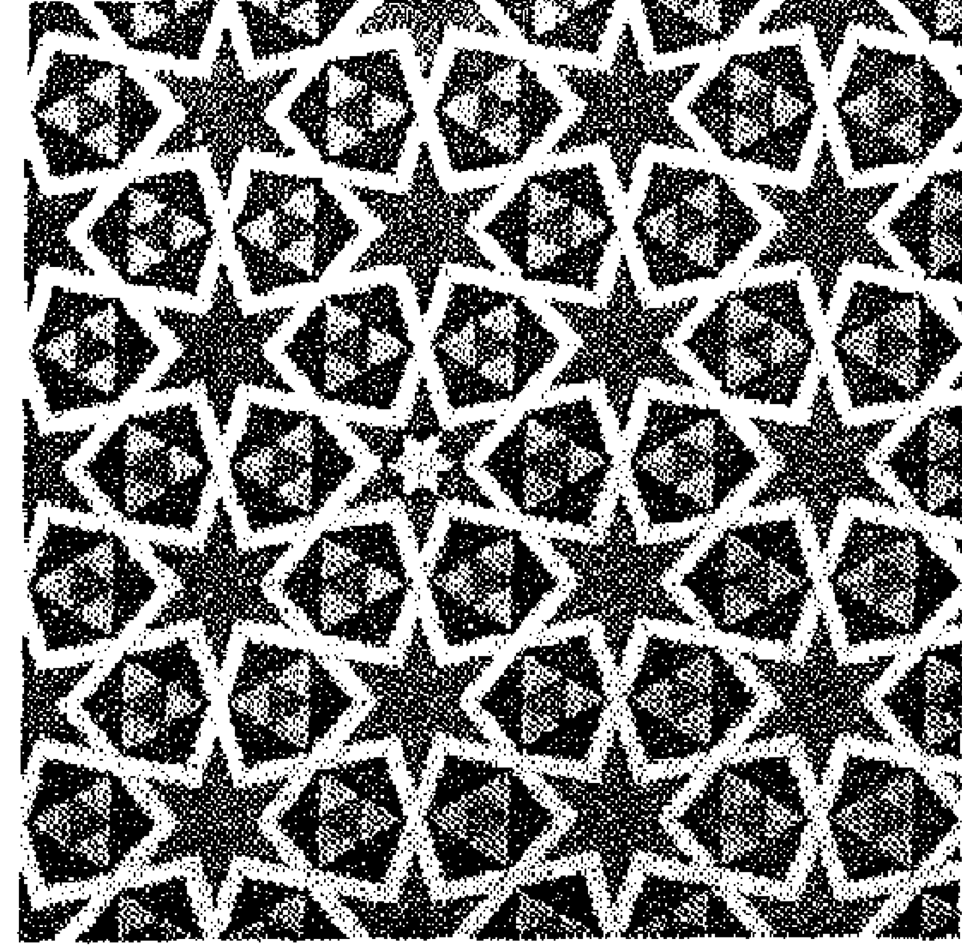
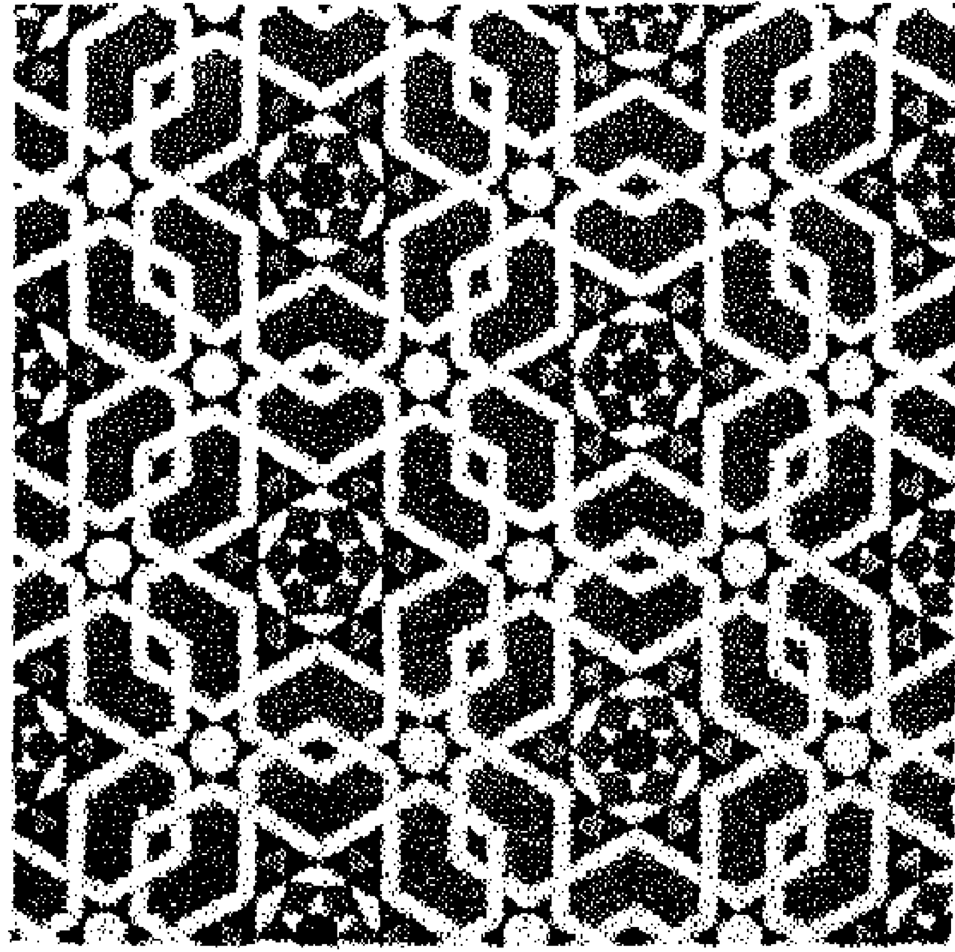
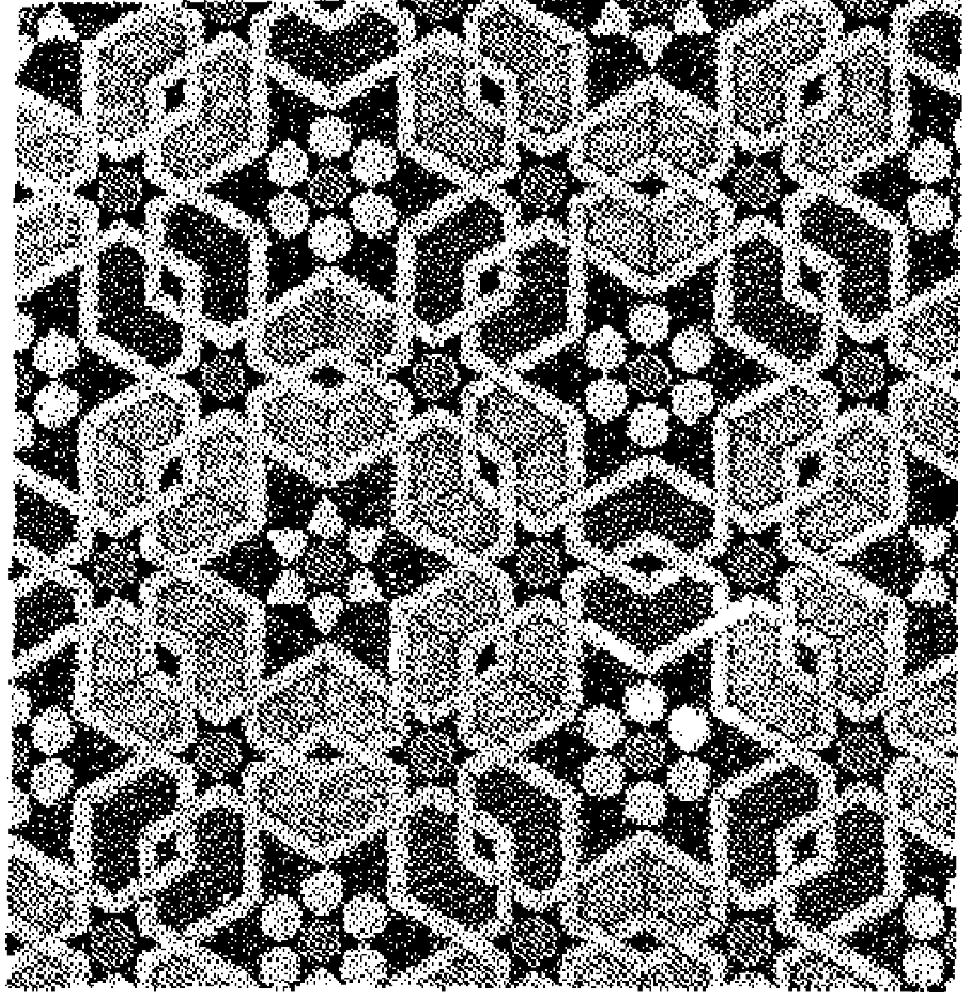
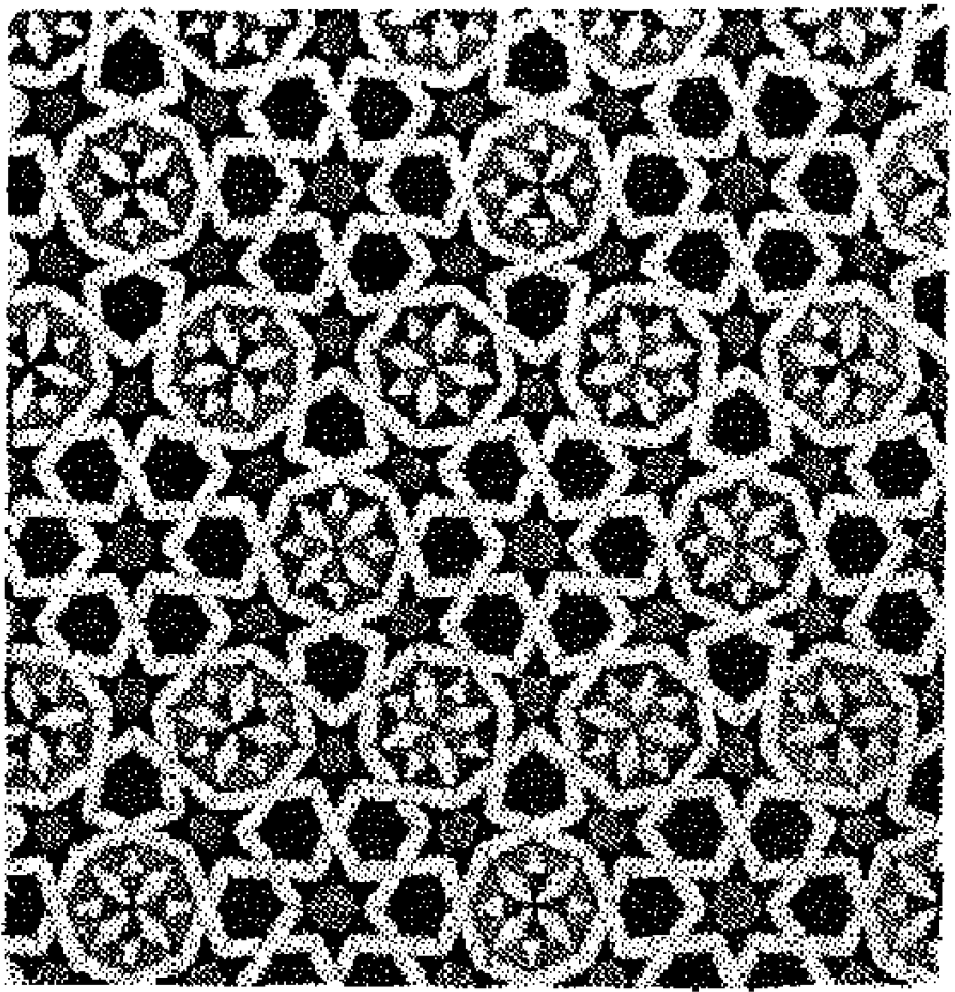
يدل على أن الفنان المسلم فى جانب ما أعطى من فنون انما قصد أن لا يقف عند المادة والوحدة المشكلة منها.. إن المادة والوحدة والفراغات والوحدات الأكبر. انما هى جميعا البيئة الفنية التى يتحرك فيها الذهن ـ لا العاطفة ـ إلى مصدر الطمأنينة والسكينة.. وهى حركة فى كل اتجاه وكل مكان.. ومؤدى ذلك أن الفن الإسلامى فى جانب العطاء الايجابى وعن طريق الحركة الذهنية إنما يريد أن يؤكد جانبا هاما هو الفصل بين المدركات المحدودة بالأشكال وفيها.. والمدرك اللانهائى الذى ليس كمثله شىء وهو الجمال المطلق.. غاية الفنان.. بل غاية كل مسلم.. إنه يريد أن يفرق لا شعوريا ـ وبصرامة ـ بين المخلوق والخالق.. وسيتضح هذا الجانب اكثر حين نعالج جانب العطاء الإسلامى الجمالى على مستوى النفى.. نفى المادة والطبيعة.

النقطة الثانية: نفى الطبيعة والمادة:

إن حصيلة هذه الوقفة مع العطاء الإسلامى فى الفنون تؤكد أن الفنان المسلم قد نفى الطبيعة والمادة فيما أنتج سواء من الفنون المقروءة أو المنظورة أو المسموعة.. فبينما تمتلىء الحضارة الإسلامية بروائع التراث الفنى والأدبى نجد أن المسرح «يضيء بعدم وجوده» وأن العالم العربى الإسلامى كان «يتجاهل تماما التعبير المسرحى» ليس لأنه يجهل تقاليد المسرح ـ كما ظن البعض ـ ولكن عمدا وتمشياً مع فكرة أساسية مسيطرة على نتاجه الفنى والأدبى، وفى ظل هذه الفكرة غابت ـ أو قل: أضاءت بغيابها ـ أشكال التعبير الفنى المتصلة بالطبيعة والمادة.

نعم لقد عرف العرب المسلمون الفكر اليونانى، بل وكان لهم الفضل فى ترجمته ونقله إلى أوربا فى العصور الوسطى ومع ذلك لم يترجموا عن أسخيلوس أو سوفوكيس أو يوربيدس.. إضافة إلى ذلك لقد استبدلوا «الزمر الدرامية» «بالأنواع الشعرية» مما يؤكد فى نفوسنا أن التفكير الإسلامى قد تجاهل ـ أو لم يرغب أن يتوقف أمام ـ مفهوم التمسرح(١٦)

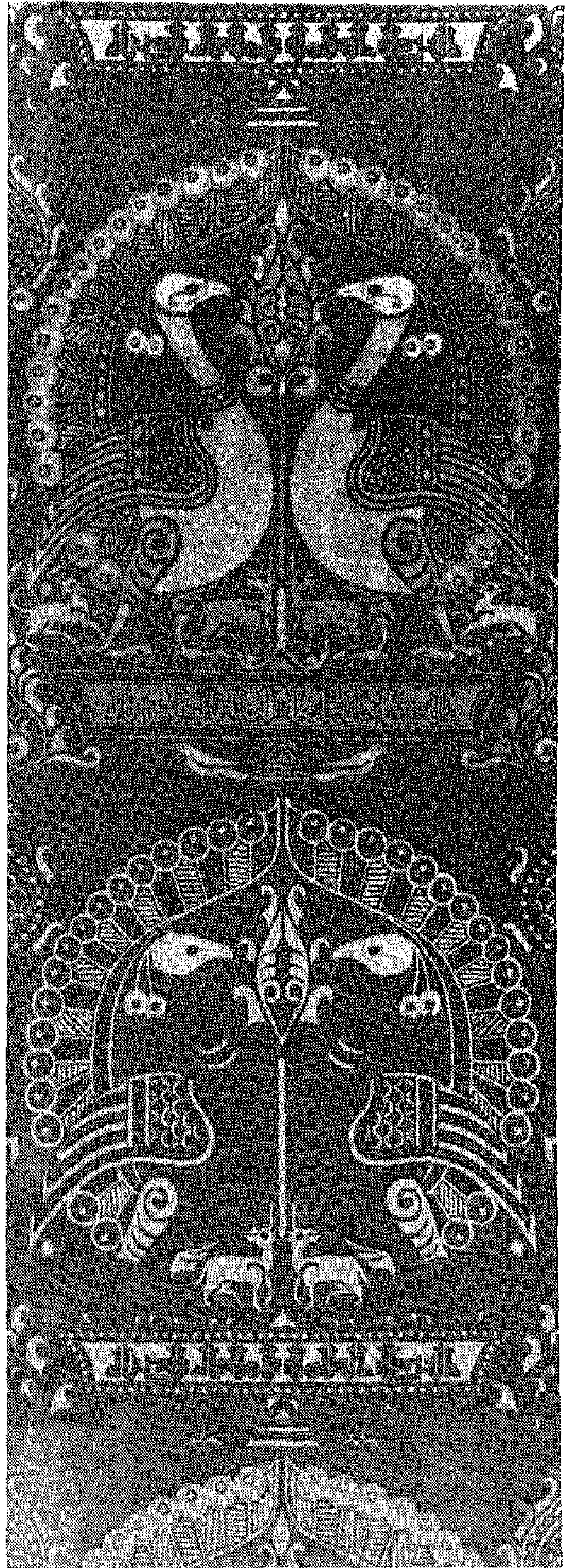
أكثر من ذلك لقد عرف العرب الأوائل خلال جاهليتهم وقبل أن يمن الله عليهم بنعمة الإسلام، عرفوا فنَّ النحت ووقفوا منه موقفين.. **الأول**: ما يتصل بالفطرة والطبيعة النقية، وفيه توجهت جهود النحاتين لا إلى صنع التماثيل بل إلى نحت الكهوف مأوى للإنسان، فهو نحت يفرِّغ المادة لمنفعة الإنسان

ـ كما نجد فى مدائن صالح مثلا ـ لا نحت يجسمها ملء للفراغ وسعيا وراء الوثن. . **والثانى**: فهو ذلك الموقف الوثنى الذى جسّد المادة أصناماً تعبد من دون الله، مثله فى ذلك مثل الإغريقى الذى اتخذ من التماثيل مادة للتعبير عن الألوهية بشكل من الأشكال. . نفت العبقرية الإسلامية والإبداع الفنى الإسلامى ذلك كله. . فبالإضافة إلى ما ورد من أحاديث منع التصوير. . لم يكن ـ ولن يكون ـ منطقياً إذن أن يلجأ الفنان المسلم إلى تجسيد الأشكال الطبيعية (**إنسانية أو غيرها**) مادام قد ثبت عنده أن هذا التجسيد من جانب مُجَسِّديه محاولة للتعبير عن الذات العُلْوية. بينما يرى هو أن هذه الذات منزهة عن الحوادث لا تتمثل فيها ولا تشبهها، هى ذات الخالق سبحانه وتعالى التى لا تختلط بحال بما خلق فهو «**ليس كمثله شىء**» ـ «**شىء**» بالتنكير. . للتعميم. وكان له ـ حتى فى النماذج الطبيعيه الإنسانية والحيوانية القليلة التى صورها ـ أسلوبية خاصة تخرج النماذج عن طبيعتها لتنفى هذه الطبيعة على نحو ما رأينا. ولقد امتد هذا النفى ـ أعنى نفى تجسيد الأشكال الطبيعية، (**إنسانية وغيرها**) بطريقة الأسلوبية Stylization ـ إلى نفى «**التجسيد المعنوى**» للشخصيات والنماذج الإنسانية فى القصص والحكايات المعتمدة على تصوير الشخصيات وصراعاتها فى الأدب العربى الإسلامى، مما أملي غياب المسرح أو ساعد على غيابه فاكتمل بذلك نفى الطبيعة مادة وروحاً كغاية أساسية فى التعبير الجمالى.

كان هذا إلى عهد قريب. . ثم بدأ الاحتكاك بالغرب. . فى فترة تميزت بالضعف والانهيار فوقف الدارسون والفنانون من هذا الأمر على مواقف ثلاثة:

أولها هجوميون. . ويتمثلون فى كثير من المستشرقين ومن سار على نهجهم ممن يجعلون الفنون الغربية معياراً يستمدون منه القيم ويصدرون على أساسه الأحكام. .



لقد بلغ الأمر ببعض هؤلاء(١٧) أن يتصوروا أن الفنون الإسلامية أساساً «فنون زخرفية» . . ومشكلة هذا التصور أنه «غربى» يفصل بين الزخرف القائم على تنميق الأشكال والمحتوى الجمالى القائم على المضمون. إنه يرى أن غياب الشخصيات الإنسانية والطبيعية بشكلها الطبيعى - أى بدون الأسلبة الفنية الإسلامية - يجعل هذا الفن الإسلامى بلا مضمون. وفى ذلك يقول ت.و. أرنولد مثلاً: «**إنه - أى الفنان المسلم - لم يخطر بذهنه على الإطلاق أن يبذل نفس الآلام والجهد - يعنى المبذولين فى فن الزخرفة - ليبرز ملامح الشخوص الإنسانية ويجعلها معبرة عن موقفها الانفعالى والوجدانى من خلال المشهد التى تشكل جزءاً منه. وكقاعدة عامة فإن مثل هؤلاء الشخوص (وقد قلنا إنهم نادراً ما وجدوا) ينظرون إلى ما حولهم بوجوه لا أثر فيها للتفاعل مع ما يجرى حولهم أو الاهتمام به، سواء أكانوا ملوكا أم سوقة، جنوداً أم فلاحين. فالمحاربون فى المعركة يتلقون الطعنات والجروح القاتلة وكأنهم لا يهتمون بها. . فها هنا رأس جندى تكاد تطير عن أكتافه على إثر ضربة قوية من خصمه ومع ذلك لا تختلف نظرته إطلاقاً عما لو لم تكن هذه الضربة قد وقعت وهناك فارس تدمى جراحه بغزارة حيث لا يثير منظر دمه المتدفق فى عاطفة الرسام أكثر مما يثيره لون سروال قرمزى. .**».

ويعلق الدكتور اسماعيل الفاروقى على هذا النص بقوله:

«**هذا خطاب رائع. . لكنه يغُصّ بسوء الفهم والتحامل والازدراء، مما يجعله لا يليق بأى عالم عرف للموضوعية أى معنى. فالتصوير فى الإسلام يجب أن يقيَّم فى ظل الروح العام للفن الإسلامى**»(١٨)

إن الموقف المجوسى يعمد إلى تشويه

وهكذا صورة الإسلام بأى شكل من الأشكال ومن ثم فهو يزن الأمر الواحد بمعيارين مختلفين، أو معايير مختلفة أحياناً ليصل إلى



غايتـه من التشـويـه وطمس الحقيقـة. . فمرة: «تحريم التصوير» فى رأيهم منافٍ للطبيعة البشرية، ولذلك «فشل» التحـريـم «وخالفه» بعض المسلمين. . ثم عادوا يقولون «تأثر المسلمـون بقضيـة تحريم تصوير الشخصيات. . فتـدرت المحـاولات الإسـلامية فى الأدب والفن لإبراز تعبـيرات عاطفيـة على وجـوه الأشخاص». . ثم عادوا يزعمون أنه لا أساس لهذا التحريم فى الإسلام وإنما جاء «بـالتأكيد» ـ حسب زعمهم ـ «نتيجة تأثير اليهود الذين دخلوا فى الإسلام».

هذه الأراء المتضـاربة كلها لكاتب واحد هو ت. و. أرنـولـد. (١٩) وبغض النظـر عما فيها من تناقض يكشف بعضـه بعضـاً نسأل: متى كانت مخالفة الأوامر الشرعية دليلاً على فشلها؟ . . ثم هل من الضرورى بالمرة ـ فى كل الثقـافـات والحضارات ـ تمثل الشخصيات الإنسانية فى الآداب والفنون a la Franka (أى على الطريقة الغربية)؟.

مرة أخرى: إنها ثورة الغضب. . وهجوم المعتدى.

ثانيها اعتذاريون أو دفاعيون.

إن المـوقف الثـانى تجاه غيـاب الطبيعـة فى الآداب والفنـون الإسـلاميـة يتسم «بـالاعتذارية» Apologitic والـدفـاعيـة Definsive . ولعـل أسـوأ ما فى هذه «الاعتذارية» أو «الدفاعية» خضوعها واستسلامها للقيم الفنية الغربية دون إدراك لذاتية النواحى الذوقية والجمالية وارتباطها بالمفهوم التاريخى العام للثقافة الإسلامية. . فإذا ما جاء فى هجوم الفئة الأولى أن تاريخ الإسلام الفنى قد خلا من تصـوير الشخصيات، انبرى هؤلاء الدفاعيون للرد فأجـهـدوا أنـفـسـهم سعيـاً وراء بعض الصـور «الإيضاحية» التى وردت فى المقامات أو غيرها من كتب الأدب لإثبات العكس. . وإذا ما كان الهجوم: أن الصور الطبيعية (إنسان ـ حيوان ـ شجر) فى الفنون التى أنتجها المسلمـون مع ندرتهـا تتسم بالأسلوبيـة ولـذا خلت من العاطفة، رفض الاعتذاريون الاتهام وحاولوا بكل جهد إقنـاع الخصوم بأن تصوير الشخوص عند المسلمين عبّر أيضاً عن العواطف. . أما إذا كان الاتهام بأن النهى عن

التجسيم وتصوير الشخصيات والطبيعيات والانفعاليات بصفة عامة قد أدى أيضاً الى قصور فى تصوير الشخصيات والنماذج الأدبية حتى غاب المسرح - ومثل هذا الاتهام ردده أكثر من مستشرق.. ولننظر على سبيل المثال رأى جوستاف فون جرونيباوم(٢٠) فيه، ومن قبله ماسينيون(٢١) - إذا كان الاتهام هكذا، انبرى له من يؤكد وجود المسرح فى تراثنا ابتداء من «خيال الظل» والقره كُوُز» وانتهاء بالمسرح الشيعى إذا صح أن هناك مثل هذا المسرح(٢٢)

ولست أدرى فى الواقع أشكرا نزجى لهؤلاء الدفاعيين م لوماً؟ فما أحسبهم فى أكثر الحالات - الا غيارى على ذواتهم وتراثهم وحضارتهم، لكن الشىء الذى فاتهم حقاً هو أن التساؤلات التى أثارها المهاجمون ليست مشروعة منذ البداية.

ثالثها ذلك هو الموقف الذى يقول «نعم»:

نعم: (١) ليس فى التراث الفنى الإسلامى تصوير للأشخاص وعناصر الطبيعية الحية.

(٢) ما وجد من تصوير يوهم هذا فهو حقاً مجرد عن العاطفة.. بل أكثر من ذلك، مجرد عن طبيعيته، عن طريق «الأسلبة» الفنية.

(٣) لم يوجد مسرح، أو اتجاه نحو التمسرح، إلا فى العصر الحديث.

ولكن *من قال إن غياب التعبير الفنى* فى صورة معينة يمس قدرة الفنان المسلم على الإبداع، الحقيقة أن العطاء الإسلامى الجمالى إنما يبدأ من هذا المنطلق.. منطلق الغياب أو النفى، نفى الطبيعة والمادة. ومن ثم نفى أى مظهر فنى يكون من شأنه تأليه الطبيعة.. تأليه الحادث أو المخلوق أو الفانى.. ولنسأل عن عمل فى قمة ما وصل إليه إثبات الطبيعة والمادة فى فنونا التصوير والتجسيم فى الثقافة الغربية: قد يقال ببساطة «موناليزا» كصورة وفينوس كمجسم.. فماذا فيهما؟ إصرار من جانب الفنان أن يمنح الخلود للفانى.. أليس كذلك؟ «فى وجه موناليزا تعبير يتحدى الزمن ويتخطى حواجز اللغات والوجود» هكذا يقال.. وفى جمال فينوس «الحجر» «خلاصة تطلعات واشراقات النفس البشرية نحو الجمال الخالد»..

اذا *كان ذلك كذلك - وهو كذلك فى* تقدير الفنون الغربية - فلا شك أن الفنان المسلم ما عرف ولا يستطيع أن يعرف مثل هذا الفن.. - لأنه حتى ولو لم ترد الأحاديث القائلة بمنع التصوير - يؤمن بأن الخلود والبقاء والقداسة إنما هى صفات لمستوى واحد فى الوجود: ذلك هو المستوى الإلهى: ﴿كل شىء هالك إلا وجهه﴾. [القصص: ٨٨]

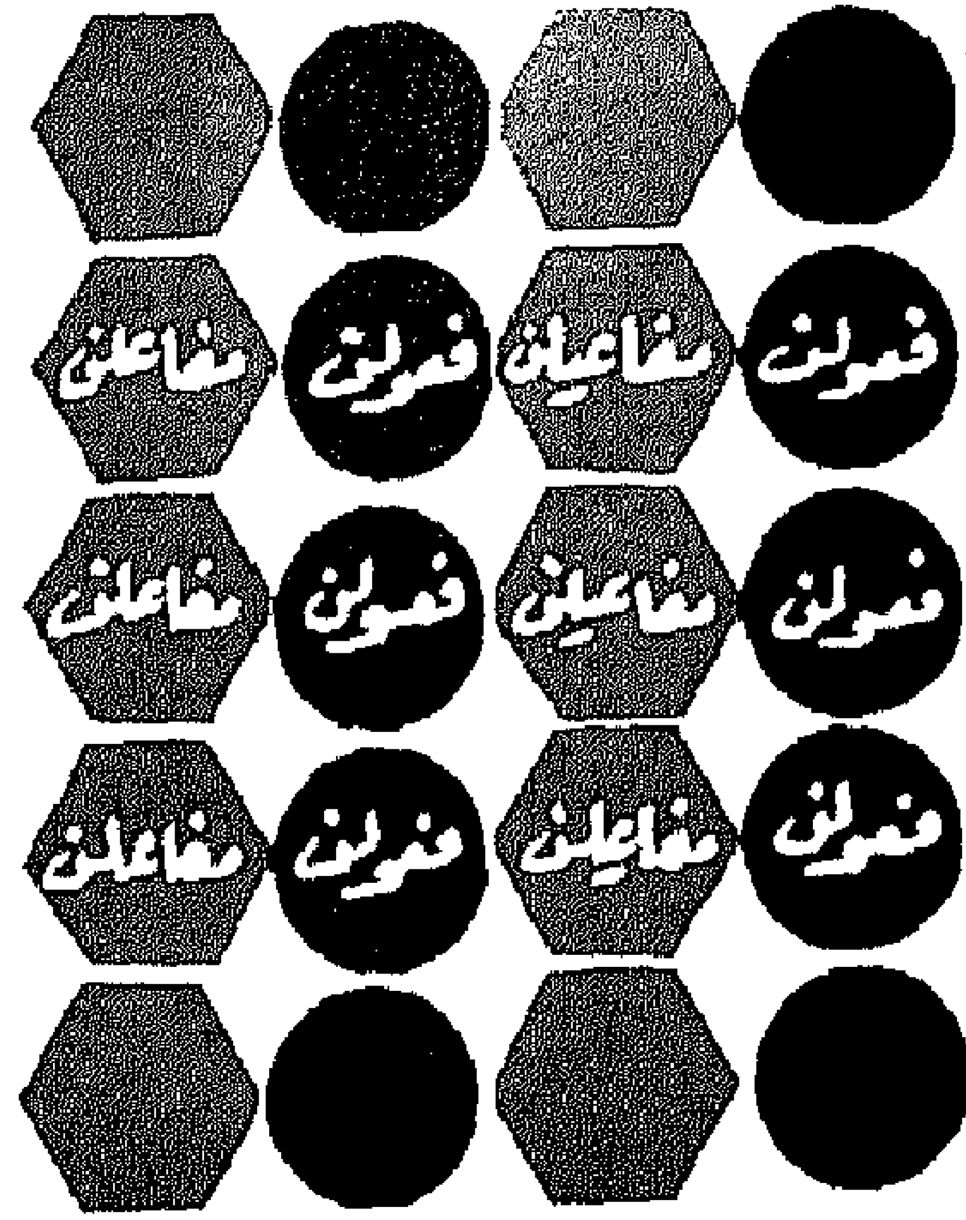
هنا نأتى الى النقطة الأخيرة فى العطاء الاسلامى فى الجماليات وهى:

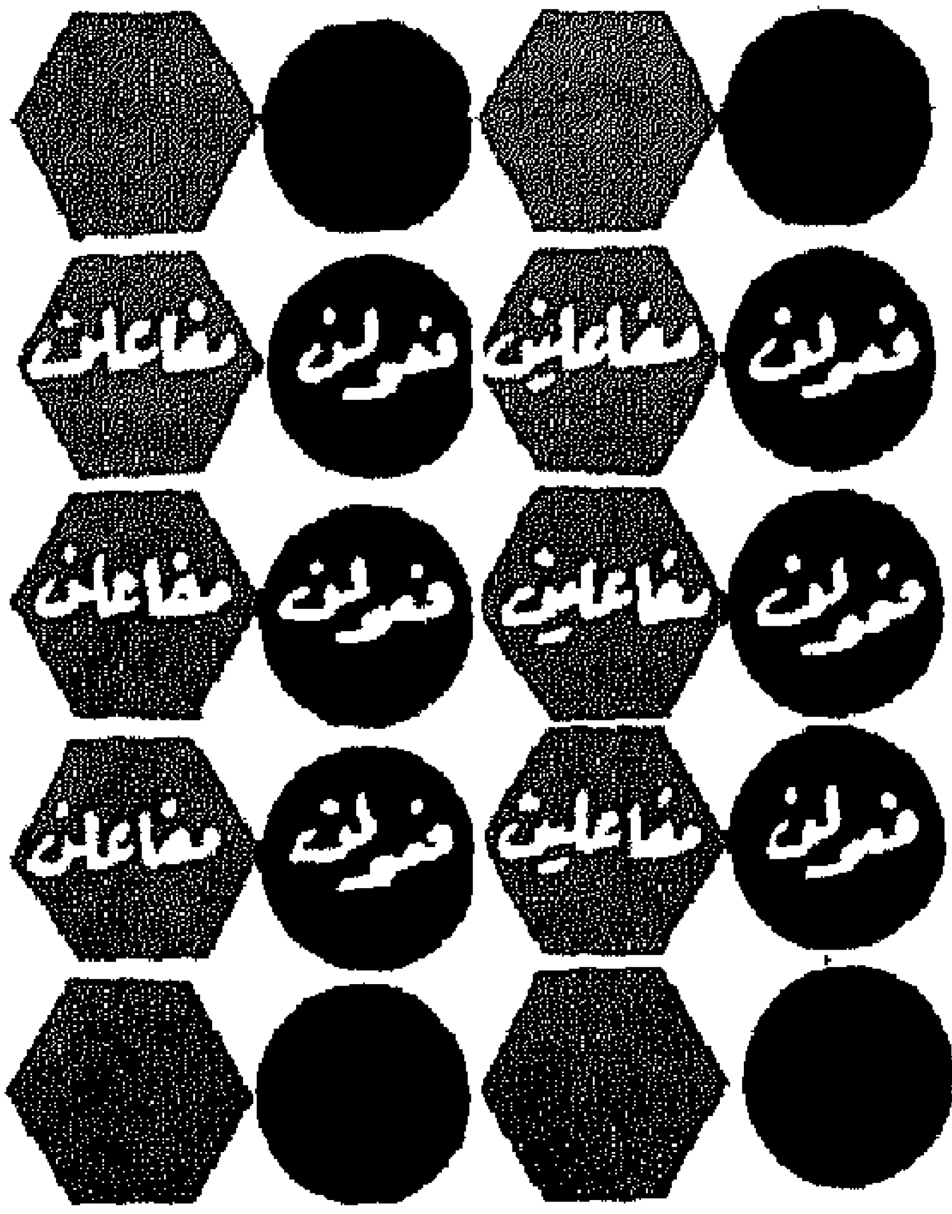
غائية الفن الإسلامى

من كل ما سبق تتضح لنا غاية الفن الإسلامى.. وأعنى بها اهتمام الفن والفنان عن طريق الشعور واللاشعور أن يفصل بين مستويين.. أحدهما محدود.. مادى.. طبيعى.. والآخر غير محدود.. لا نهائى.. قدسى.. وأن وظيفة الفن أن يحافظ على هذا الفصل إن لم يستطع أن يبرزه..

إن أى محاولة لفهم هذه الوظيفة انما يجب أن تنبع من منطلقات إسلامية تتخذ النتاج الفنى الاسلامى المتمشى مع الاسلام نصا وروحا كنموذج تستمد منه القيمة الجمالية.. إذ لا يمكن أن نصنع هذه القيمة فى روما وتطبق فى الرياض.. فى باريس وتطبق فى القاهرة.. فى نيويورك وتطبق فى طهران..

وفى إطار المنطلقات الاسلامية وحدها يمكن أن يقال: إن تعليق الجمال على الحركة الذهنية المؤدية الى اللانهائى.. إلى المطلق والمجرد.. والتى تنفى الطبيعة والمادة (وليس معنى هذا أنها تنفى الفنون المرئية) كل هذا إنما هو أثر الاسلام الذى آمل أن اكون أسهمت فى جلائه بنصيب وفتحت الباب لآخرين ليلجوا فيه معى بحذر..





غايتنا وقصدنا جميعا أن نحقق لأنفسنا قدرا من المعاصرة لا يتنافى مع الأصالة .

المراجع والتعليقات

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة (ط دار الكتب ١٩٧٢ ج١ ، ص٤).

(٢) د. كمال عبيد، فلسفة الأدب والفن، الدار العربية، ليبيا ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٨م، ص٥ وأيضا د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي، دار النهضة، مصر، ١٩٦٤، ص ص ٢٩٩-٣٠٦

(٣) ذكر صاحب الأغاني ما يروى عن ملاحة السيدة سكينة بنت الحسين وجمال عائشة بنت طلحة، ويعلق د. عبد الكريم اليافي على هذه القصة بأنها تدلنا على نوعين من الحسن: الملاحة والجمال (انظر كتابه الحائز على جائزة الدولة . . دراسات فنية في الأدب العربي . ط١ دمشق ١٣٨٢م/ ١٩٦٣م، ص٣٢-٣٥)

(٤) العسكري، أبو هلال: الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص٢٥٧ .

(٥) د. زكي نجيب محمود . . تجديد الفكر العربي، دار الشروق، بيروت، ١٩٧١م

(٦) انظر مثلا مختصر تفسير ابن كثير، اختصارات وتحقيق محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم بيروت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م، ج٢، ص٣٢٣

(٧) الزمخشري، السابق، ج١، ص٥-٣

(٨) مقدمة ابن خلدون، ط٥ دار العلم، بيروت، ١٩٨٤، ص٥٦٢

(٩) في بعض القصص ذات الطابع الرمزي مثل «حي بن يقظان» لابن طفيل، يصل الكاتب الى الحكم بأن الانسان قادر لما ركب فيه من طبيعة خيرة على اكتشاف الحق والخير والعدل والجمال التي هي روح الشرائع وجوهرها . وموضع الفطرة الانسانية وتركيبها أساسا على الخير ﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾ [التين: ٥] - لا ينقضه ما يقال من أن علم النفس الجنائي قد يكشف أن بعض الأشخاص مركب في طبيعتهم الشر. ذلك لأن تردي الانسان في الشر يرجع لما يحيط به من مؤثرات، على حين تعتبر أمثلة علم النفس الجنائي - إن صحت - شاذة، لا يقوم عليها حكم على الطبيعة الانسانية برمتها .

(١٠)

(١١) ديوان ابي تمام، المطبعة الأدبية بيروت، ١٨٨٩ ص٤٣٢ .

(١٢) ناجي زين الدين، أطلس الخط العربي، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٦٨، ص٣٣٥ .

(١٣) هذا الشكل عبارة عن نقوش زخرفية على منسوجات إسلامية من القرن الرابع عشر الميلادي في مجموعة بنفلز (بلجيكا)

(١٤) للدكتور اسماعيل الفاروقي دراسة بالانجليزية حول: (Islam and Art ظهرت أولا في Islam and Modern Age, May 1970 وهي حلقات ثلاثة قمت بترجمتها وترجم د. حسن أبو عيد ود. همام سعيد هوامشها ونشرت في مجلة المسلم المعاصر الأعداد ٢٣، ٢٤، ٢٥ (يوليو ٨٠ الى مارس ٨١) انظر العدد ٢٣ ص ص ١٦١-١٦٣ لموجز آراء هارتز فيلد والرد عليه .

(١٥) من ابرز أمثلة ذلك تكرار آية ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ في سورة الرحمن، وآية ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ في سورة المرسلات، وأسلوب التكرار في هذه السور يختلف في عدده وطريقة ونوعه .

(١٦) محمد عزيزة، الإسلام والمسرح، ترجمة د. رفيق الصبان، كتاب الهلال القاهرة: ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م. ص ص٨-١٠

(١٧) انظر مثلا:

M.S. Dimamd, A Hondbook of Muhammadan Dicorative Arts, N.Y., 1930.

وأيضا:

T.W. Arnold, Painting in Islam, a Study of the Place of Pectiriac Art in Muslim Culture. Oxxford, 1928.

(١٨) الفاروقي، السالف الذكر، ص ص١٦٦-١٦٧ .

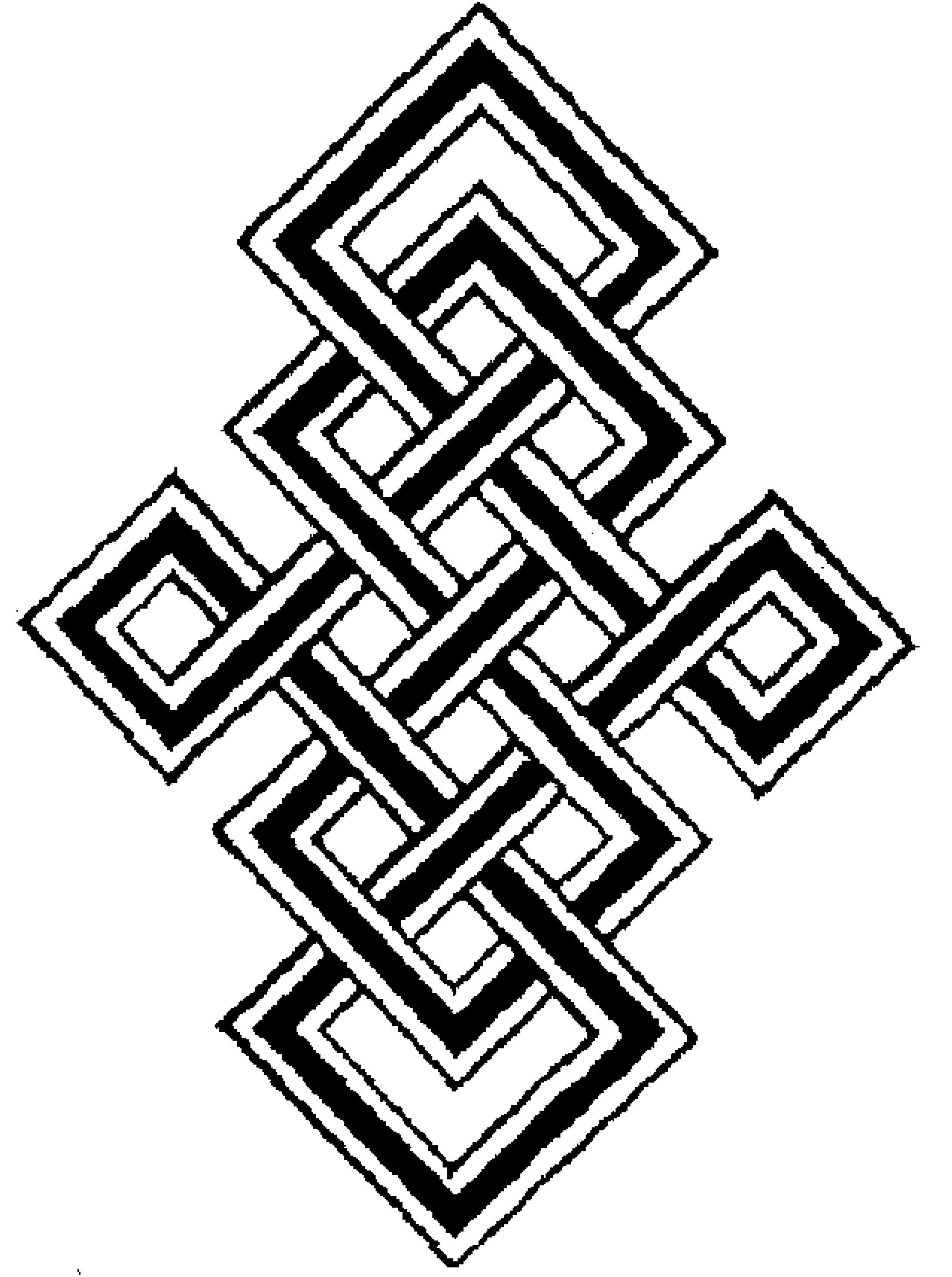
(١٩) المرجع السابق، ص١٦٥ .

(٢٠) له دراسات عديدة في هذا المجال منها: «الأيديولوجية الاسلامية ونظرية الجمال العربية» التي رد عليها الفاروقي في مقاليه السالفة الذكر. ومنها «روح الإسلام كما تظهر في أدبه» ومنها «الأساس الجمالي للأدب العربي» وغيرها وكلها متاحة بالانجليزية .

(٢١) له على سبيل المثال «طرق التعبير الفني لدى شعوب الاسلام» .

(٢٢) يعد كتاب «الاسلام والمسرح» لمحمد عزيزة، السالف الذكر من أبرز الامثلة على ذلك، في رأينا .

المدارس كما دونه



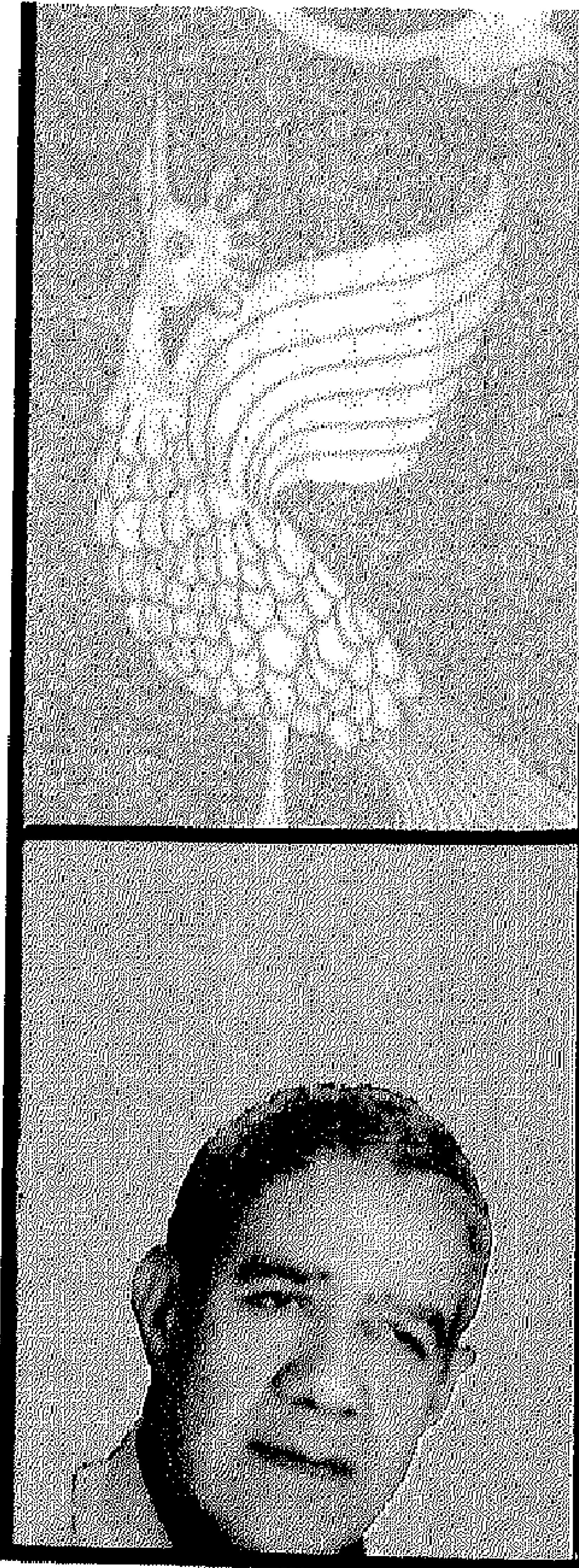
بقلم الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية - جامعة المنصورة

ليست هناك حدود فاصلة بين المذاهب الفنية بحيث تمنع هذه الحدود أن توجد بعض السمات الفنية لمدرسة ما فى مدرسة أخرى لأن الفن يصور العواطف الانسانية، وهى هى منذ برأ الله الانسان، فاذا عبر فنان قديم عن مشاعره، واستلهم أحاسيسه الوجدانية فيما عبر به فقد تتكرر هذه المشاعر عند فنان أحدث منه وجودا ويعبر عن التجربة الذاتية كما عبر عنها سابقه. ويكون الرجلان معا من التشابه بحيث يجوز أن ينضما إلى مدرسة واحدة بل إن الفنان الواحد قد تمر عليه فترة زمنية معينة ينتمى فيها إلى مدرسة بذاتها ثم تتجدد اتجاهاته بحيث ينتقل إلى مدرسة أخرى فى فترة زمنية لاحقة، فليس الانتماء إلى مدرسة ما مما يلزم أن تكون هذه المدرسة ذات حقبة زمنية أدت دورها ثم خلفها من المدارس ما عفى على اتجاهها وتجاهل هذه الحقيقة يرمى ببعض النقاد إلى أنماط من التعسف والتأويل لا مبرر لها، واذا كنا نزور المعرض المعاصر فنجد ضروبا مختلفة من الرسوم والصور تنتمى إلى مدارس مختلفة بل نجد لدى الفنان الواحد ما يصور عدة اتجاهات فى تناوله الفنى لموضوعاته فكيف نقرر أن الحواجز تنهض برسوخ بين المدارس الفنية حتى لا يجوز أن تتشابه؟. إن محل ما يمكن أن نقوله فى هذا المجال هو أن المذهب الفنى يمثل التيار العام الذى ينتسب إليه انتاج ما فى عصر معين بحيث لا يمنع الواقع أن يكون فى هذا الانتاج ذاته ما يتبعد عنه فى سماته المقررة منتميا إلى تيار آخر تقدم به الزمن أو تأخر بحيث اتضحت وجوه الشبه بين القريب والبعيد..

الفنية
التاريخ

ولنا أن نستشهد فى مضمار الشعر العربى بالعصر الأموى مثلاً فقد التقى فيه التيار «الكلاسيكى» يمثله الفرزدق وجرير والأخطل كما التقى فيه التيار «الرومانتيكى» يمثله جميل بثينه وكثير عزة وقيس بن الملوح وأضرابهم من العُذريين، ولكن ذلك كله لا يمنع النقاد أن ينظروا إلى الطابع العام فيحكموا على العصر حكما نسبيا ينظر إلى المجموع لا إلى الجميع، ومن هنا جاز الحديث النقدى عن تعدد المذاهب وتوضيح اتجاهاتها والأفاضة فى تحليل السمات البارزة لكل اتجاه.

واذا كان التقيد بالزمن منحى يتجه إليه المتحدثون فى التأريخ لهذه المذاهب وتحديد سماتها الكاشفة فسنلم بهذه المذاهب وفق تدرجها الزمنى لنرى كيف تطور الاتجاه الفنى - فى أكثره لا فى جميعه - من عصر إلى عصر، وكيف ارتحلت نزعة فنية لتحل مكانها نزعة فنية أخرى فى عصر تابع..



المذهب الكلاسيكى

إذا تعلق الفنان بآثار سابقيه فجعلها نمطاً يحتذى ومثالا يصطفى، وأخذ يصوغ إبداعه على غرار ما يحب دون أن يستجيب إلى هواتف ذاتية تملى عليه اتجاها طريفا فهو كلاسيكى مقلد.

وإذا رأيت الفنان يسلط اهتمامه على الحياة الواقعة بماديتها الجامدة التى تحيط باحساسه دون أن يشرئب الى أفق علوى يُنسيه الحاضر بل يغرق غرقا تاما فى حاجات اليوم والغد غافلا عن همسات الروح وتنبئات الغيب غير مهتم بقيم المعنويات وما لها من أشواق تدفعه إلى تصور وهمى وتصوير خيالى، فهو فنان كلاسيكى..

إذا رأيت الفنان يعنى بمشاعر العلية من القوم. ويصف مظاهر المدنية بعيدا عن لوحات الطبيعة فى الريف. متقيدا بأوضاع مرسومة فى الغير لا يرى له محيدا عنها غافلا عن كل جديد يطالعه لا يرى السابقين قد عالجوه فنا، اذا رأيت ذلك الفنان النمطى المحتذى فهو كلاسيكى متبع.

وإذا وجدت الفنان يبعد عن البساطة ويميل إلى الضخامة بناءاً وتركيباً ثم يعشق أساليب الزخارف والمحسنات بحيث يهتم بالظاهر المشاهد بعيدا عن الجوهر اللباب

وبحيث تستطيع أن تجد له عشرات النظراء ممن يحذون حذوه دون ميل إلى السهولة والعفوية واستلهام الفطرة فى أول ندائها فهو فنان كلاسيكى.

● فالكلاسيكية إذن ارتداد إلى القديم بما يجمع من خير وشر، وتقديس للقدماء باعتبار أنهم أوتوا أكثر ممن أوتى سواهم اذ بلغوا الحد الأقصى فى الإبداع، فقوالبهم الفنية هى التى يجب أن تستمر ومنازعهم النفسية هى التى يجب أن تسود، وانما مدت الكلاسيكية رواقها الفسيح على الفن اذ جاء روادها عقب عصور لم تكن المثل الأعلى فى التقدم، فحين بدأ عصر النهضة الفنية فى ايطاليا وكانت حركة احياء العلوم والفنون أبرز حركات هذا التوثب الناهض ارتدت هذه الحركة الى آداب اليونان وآداب الرومان لتتخذ منها أبلغ مثال تحتذيه.. وهنا ظهرت الأسماء اللامعة لتؤدى دور البعث الفنى بعيدة عن عصرها مشرئبة الى عصر الأقدمين، ظهرت أسماء دانتى وبترارك وبوكاشيو وهم قادة النهضة الفنية فى ايطاليا التى ما لبثت أن امتدت الى أوربا جميعها.. «فدانتى» هو الناقد الأول لأفكار العصور الوسطى وما كان بها من ظلم واضطهاد وتغطرس، وهو الذى قذف بأكثر رجال عصره ومن احتذوه من السابقين الى جحيمه متناولا آراءهم ومعتقداتهم بالزراية والتسفيه.. و «تبرارك» معدود من أوائل رجال النهضة التى ارتدت الى قديم اليونانية واللاتينية تفحص عنه لتباركه وتحتذيه.. لقد كان «تبرارك» ذا ولوع بكل ما يتعلق بالرومان شعرا ونحتا وتصويرا وآثارا وتاريخا فجاهر بنبذ فنون العصور الوسطى ورماها بالهمجية والتبرير وأعلن أن المثل الأعلى للثقافة هو الأدب القديم، ومن ثم جعله كثير من النقاد الكلاسيكى الأول، أما قصص «بوكاشيو» فقد نزعت منزع الأساطير اليونانية من ناحية وتأثرت بالأدب الشرقى من ناحية ثانية اذ كانت قصص ألف ليلة وليلة الشرقية بعض عناصرها البارزة، ولكن دعوته الحارة الى القديم قد أكدت مكان الكلاسيكية لديه، واذا كانت القصص أكثر أنصارا من غيرها، فان أثر «بوكاشيو» الفنى قد فاق أثر «تبرارك» وظل هذا الأثر ماثلا فى كثير من القصص الواقعى والخيالى معا لأن قوة بوكاشيو كانت من التأثير بحيث تخطت عصور الكلاسيكية الى ماتلاها، بل ان أثره لا يزال فى بعض ما نقرأ اليوم من روائع لكبار الفنانين..

● يقول الدكتور أحمد أمين: (قدمت الكلاسيكية أدب اليونان والرومان ونزهته عن النقص والخطأ وبعبارة أخرى جعلت مقياس كل أدب مقدار مطابقته للأدب القديم، فكلما كان أكبر تقليدا له وحذوا لمثاله وانتهاجا لسننه كان أجمل وأكمل وأجود وكان أجدر بالتقدير والعناية ومن خير النصوص التى تبين لنا هذا رسالة بعض الكتاب الانجليز الى الشاعر [بوب] التى يقول فيها «ان أكبر الشعراء المحدثين فى كل اللغات هم أولئك الذين قلدوا القدماء الى أكبر حد ممكن من التقليد»، فمقياس الشاعر أو الأديب هو مقدار قربه من «هومير» و«فرجيل» و«هوراس» وسائر كتاب اليونان والرومان)(١)


عباس محمود العقاد

كانت ايطاليا قد رعت بذرة

واذا الكلاسيكية فان نموها الحقيقى كان فى فرنسا لأن امتداد غصنها تم على أيدى أعلام الفكر الفرنسى من نقاد وأدباء، فكتب (بوالو) مؤلفه (فن الشعر) ليعقد لهذا المذهب معتمدا على روح العصر الذى أوجد من الشعراء والمسرحين من تولى جانب التطبيق العملى لما قعده (بوالو) من أحكام.

● ولم تلبث هذه النزعة أن تجاوزت فرنسا الى ألمانيا، وأوجدت فلسفة عقلية تجعل المنطق الدقيق أساسا للتفكير السليم، ومن هنا كان العقل هو السمة الأولى للأدب الكلاسيكى لأن أربابه يتقيدون بخطوات التفكير العقلى المستوى بمقدماته ونتائجه ولذلك أصبح العقل أساسا لكل حكم فنى بحيث يضؤل بجانبه جانب الوجدان، واذا كان التفكير العقلى يرهق العامة فلن يضير الكلاسيكيين فى شىء لأن الأدب والفن لديهم وقف على الخاصة من أرباب الأذهان الوضيئة والثقافات الارستقراطية الدقيقة فليس الفن لديهم ملهاة للعامة يستروحون منه نسيم اللذة الأدبية بل هو نمط عال يحتاج الى درجات متوالية تكون سلما للأوج الشاهق. فالشاعر والرسام والنحات والمصور والقصاص لا يجب أن يهووا بإنتاجهم الى رجل الشارع بل عليهم أن يحافظوا على المستوى الفكرى الذى يعتمد على فلسفة أرسطو وحكمة اليونان، ويرى فى الجزالة والرصانة وقوة البناء أهدافا ذاتية تحقق المستوى المنشود..

فى الجانب الغربى.. أما لدينا

هذا نحن رجال الأدب العربى بالمشرق فان النظرة الدقيقة الى الفن بعامة والأدب شعرا ونثرا بخاصة تدل على أن «الكلاسيكية» بمفهومها السابق لم تنقطع عن الأدب فى عصر من العصور، فالأدب الجاهلى كلاسيكى فى أغلبه وان هبت عليه نسمة رومانتيكية خفيفة نجدها فى شعر «المرقش الأكبر» و«المنخل اليشكرى» و«عنترة العبسى» من ذوى الصبابة الوالهة.. وفى العصر الاسلامى نجد تيار الكلاسيكية متمثلا فى «الأخطل» و«الحطيئة» و«جرير» و«الفرزدق» ومن لا نحصى من رجال الصياغة المتينة، وبجواره تيار «الرومانتيكية» ممثلا فى غزل «عمر بن أبى ربيعة» و«العرجى» و«جميل» و«كثير» و«قيس» وابن الطثرية.. فاذا انتقلنا الى العصر العباسى رأينا مدرسة القديم تعتصم بالكلاسيكية ويتزعمها «مروان بن أبى حفصة» و«دعبل» و«العتابى» والى جوارها نفر من ذوى التهاون يعبرون عن عواطفهم فى أسلوب سهل لين «كأبى فراس» والحسين بن الضحاك «مطيع بن اياس».. بل إنى أذكر «أبا فراس» بالذات لأقول إن قارئه الناقد يحار فى أمره فهو فى مدائحه الرصينة للخلفاء والأمراء «كلاسيكى» مغرق يترسم القديم ترسما يجعله من أساطينه، وهو فى غزله ومجونه «رومانتيكى» يعبر عن ذوقه الخاص ويترك الجزالة إلى سلاسة تكاد تتدفق ماءاً.. وهكذا يتجاور التياران فلا ينفرد أحدهما فى زمن، حتى جاءت عصور الضعف وراج العبث اللفظى وسقط المفهوم الحقيقى للفن الأدبى سقوطاً لم ينقذه منه غير «البارودى» حين اعتمد على الكلاسيكية برجوعه إلى القدماء من فحول الشعر العربى متوخيا جزالة القول وبلاغة العبارة فقامت مدرسة البعث بقيادته لترجع بالشعر إلى عهود القوة وليكون القدماء من الشعراء أساتذة المعاصرين منهم.. وحذا شوقى حذو البارودى حتى فى مسرحياته اذ كان مقلداً لكبار الكلاسيكيين من شعراء فرنسا.. ومع ظهور تيارات أخرى بعد شوقى وفى حياته فان الأدب الكلاسيكى لم يتخلف فى حقبة من حقب هذا العصر، فالى جانب المجددين نرى المحتذين، وهو احتذاء لا يدل

على الاستسلام العاجز بل يدل على قدرة الإبداع وقـوة التصـوير، وفي يقيننا أن الكلاسيكية ستجد أنصارها في كل عصر لسبب واضح هو أن التراث مورد أول من موارد الثقافة لدى الناشئين وهو في أكثره كلاسيكي عريق . .

المذهب الرومانسي

كان لابد للعاطفة أن تعلن عن وجودها الصارخ في أسلوب سهل لين لأن صوت العقل الذي سيطرت به الكلاسيكية زمنا غير قصير قد دفع الناس الى جمود منطقي لاتتخلله هبات المشاعر الدافئة، فالتزام أدب واع متيقظ يرضي الطبقة الارستقراطية وحدها ويسير بالفنـان خطـوات مرسـومة لا مجال للتحلل منها قد أورث الفن تحجرا كما أن كبت المشاعر الذاتية أدى إلى انفجار أخذت بواعثه الأولى تتكون في انجلترا ثم امتـدت إلى فرنسـا حيث وجـد أدبـاء وشعـراء يستلهمـون خواطرهم الذاتية وحدها ويمضون مع العاطفة إلى حد بعيد، وقد رزق هؤلاء المتطلعون إلى صياغة جديدة رفاهية في الحس وعمقاً في الشعور فأخـذوا يرصـدون تيـارات أحاسيسهم ليصوروا كل خالجة ويعبروا عن كل نأمة . . لم تعد آداب الاغريق واليونان مطمح هؤلاء انما صارت أحاسيسهم الجائشة منبـع الشعر ومراد التسجيل، لم يصبح شعر الحب معنى عاما يرسم الخطوات البارزة ولكنه أصبح تجربة ذاتيـة خاصـة يعيشها الفنان مكتوياً بنارها مهجوراً وسعيـداً بجنتهـا واصـلاً موصولا حتى اذا اكتشف سراديب نفسـه واستمـع إلى همسـات نجواه تدفق شعـره عذباً سلسلاً يحلل معنى النظرة ويرسم ضوة البسمة ويزن حرارة الآهة ويمسح قطرة الدمعة، وقد بعثه هذا التغلغل العاطفي إلى تقدير المرأة والارتقاء بها الى أرفـع مستـوى، فهي المـلاك الحـالم والطير الصـادح والنبـع الصافي الرقراق وهي التي ترى في بسمة الفجر وتستمع في حفيق الروح ويأتلق بها البدر في المساء وتشرق بها الشمس في الضحى . . ومن هنا كان الشاعر الرومانسي عاشقا للطبيعة لأنها تصور لها معاني غامضة في نفسه، وكثيرا ما تنتفض حية أمامه تحس وتشعر وتحب وتبغض، فالزهرة عاشقة معشوقة والنهر عليل جريح والشجر مرتقب آمل والطير يرسل رسـائـل الشوق والنسمات تحمل ما يبعث الطير من الأهـازيـج . . هذا العشق الـواله قد ساق الأديب الرومانسي إلى الطبيعة في حنان وشوق ولهفة فأصبح مولعاً بتصوير كل مظهر فاتن من مظاهرها، في مروج الحقل وفي شطوط النهر وفي نجوم السماء وفي هبات النسيم تلامس الدمع فتميل بالأغصان . . أصبحت الطبيعـة ملجأ وحمى للشـاعـر الرومانسي يتخذها صديقـه الأول ويجعلهـا إطـارا بهيجا لأحاسيسه . . وكـذلـك القصـاص الـروائي لا يكاد يتحدث عن موقف من مواقف حياته إلا اذا أحاطت به الطبيعة فكـانت مسـرح الموقف، وقد هجر الشعراء المدينة واتجهوا الى الريف اذ رأوا من بساطته وسهولة الحياة به ما حبب اليهم الخلود إلى ظله الوارف ممعنين في خيـال لذيذ باعد بينهم وبين الواقع، فهم الفنانون الحالمون، وقد أحسن الدكتور أحمد أمين حين لخص خصائص الرومانتيكية في أمور خمسة هي :(٢)

١ـ تحطيم القـواعـد والقـوانـين والتحـديـات التي وضعتهـا «الكـلاسيكيـة» وضيقت بها على الأدب وكتمت أنفـاس الأدبـاء، وعـدم الاحتكام الا الى الذوق الشاعري وإلى العاطفة والوحي والإلهام الذاتي.

٢ـ ترك المدينة إلى الريف والطبيعة، والترنم بجمالها البسيط، الذي لا تحده ولا تشوبه المغالاة والتزويق.

٣ـ العنـايـة بالنفس الإنسـانيـة وتحليـل ما بها من العواطف وألوان الشعور.

٤ـ التحـرر من العـالم المادي الواقع والتسامي الى العوالم المثالية المتخيلة.

٥ـ نُشْدان البساطة في كل شيء البساطة في التعبير والبساطة في التفكير والبساطة في التذوق وطرح التكلف والتلطف المقـوت المتصنع وترك النفس


الدكتور أحمد أمين

على سجيتهـا واتباع الفطـرة والطبـع الخـالص الصادق.

● وعيب «الرومانسيين» الماثل، أنهم ثاروا على القيم الخلقية المحافظة بحيث أتاحوا للفنان أن ينطلق مستجيبا لعواطفه وحدها، وهنا مظنة الخطر، لأن العاطفة ذات جموح شارد ولابد لها من ضوابط خلقية تجعل الفنان ملتزماً بها ليكون أدبه مهوى النفوس الراقية.. ولهذا التحلل النافر من القيم والمثل وجد من الرومانسيين جماعة من «البوهيميين» دعوا إلى الاسفاف الهابط وأخذوا الحياة من مأخذها الشائن، وهم قلة بجانب كثرة رأت فى العاطفة ترفعا إلا أن صدى هذه القلة كافة ذودوى صاخب بحيث جذب إليه نفوساً تستصعب السمو وتستسهل الانحدار.

وقد ازدهـرت مؤلفـات «الـرومـانسيين» من أمثـال «فيـكتـور هوجـو» و«لامـرتـين» و«الفـريدى موسيه» ازدواجا كبيرا فى الشرق العربى حين ترجمت إلى لغـة العـرب، بل إن روايـة رفـائيـل «لـلامـرتين» قد طبعت فى ترجمتها العربية أكثر من أربعين طبعة.. و«لامرتين» عاشق كبير من عشاق الطبيعـة لم يترك مشهـداً من مشاهدها فى الصباح والظهيرة والأصيل والمساء والليل والفجر إلا رسمه بأصابعه الزاهيـة وألـوانه الرائعة.. فى الخريف والشتـاء والصيف والـربيـع وفى آفاق السماء وعلى شطـوط البحار وكانت تأملاته الذاتية مصدر وحى خصب لقرائه لأن عواطفه الجياشة وجدت من قلمه شاديـا ساحـرا يوقـع أعـذب النغمات.. وقصائده العـاطفيـة قد ترجمهـا أكثـر من عشرين شاعرا من شعـراء العـرب لأن قصـة حبـه الثـائـر فى روايتيه (غرازيلا) و(روفائيل) وجدت تعاطفا كبيرا مع جمهرة القراء.. و«بلامرتين» وأضرابه صارت «الرومانسية» ذات تأثير كبير فى الشعر العربى المعاصر لحقبة طويلة امتـدت أكثـر من نصف قرن.. والشاعر العربى الـرومـانسى الأول فى أدبنـا المعـاصـر هو «خليل مطران» لأنه جعل الحب تجربة ذاتية خالصة اذ عبر عنـه فى قصـائد ذاتية وفى مطولات قصصية بلغت درجة عالية من الشفافية والصفاء، وعنه وبه تأثر كل من لم يقـرؤا الأدب الأوربى فى مصادره الأولى.. فشاعر «ممتاز» «كأبى القاسم الشابى» لا يعرف لغة غير اللغـة العـربيـة ولكن تأثـير مطران فيه واضح صريـح، وكذلك شعراء المهجر الذين اكتووا بنار الغربة فى أمريكا قد تدفقوا حنيناً رومانسيا وأمدوا الفن الأدبى بروافـد صافيـة تنبـع من الـرومانسية الحـالمة.. أما مدرسة الديوان التى تزعمها شكرى والعقـاد والمـازنى فهى ذات أصول واشجة بالأدب «الرومانسى» فأدب عبد الرحمن شكرى أدب تأملى وجدانى. وكذلك شعر «المازنى» وقد كان «العقاد» كذلـك فى دواوينـه الأربعة الأولى ولكنه جنح إلى تأمـل فلسفى ثقـل به شعـره وكف عن الطـيران والرفيف وما جاء بعد مطران وشعراء المهجر وشعراء مدرسة الديوان يعتبر محاكاة واستلهاما لهؤلاء الرواد، ولا ننكر أن أمثال «ابراهيم ناجى» و«أبى شادى» و«على طه» قد تأثـروا تأثـرا مبـاشـرا بقـراءتها فى مصـادرها الأولى.. ولكن هذا الأثر لم يكن ليبلغ مداه دون قراءة التجارب الذاتية التى سبق بها الرواد ومـازال للرومـانسيـة أنصار يعشقونها مهما زاحمتها الاتجاهـات الجديدة لأن الحب الرومانسى متأصل عميق لا تقتلعه أشد العواصف اذ كان راسخ الجذور:.

المـذهب الـواقعي

التعبير عن الواقع موجود في كل عصر بل ان الفنان الأول الذى شاء له القدر أن يرسم أو يصور أو ينحت أو يشعر بدأ بالواقع الذى يحسه ويستشعره، ولكن الاصطلاح قد قصر الواقعية على اتجاه جديد عرف بعد الرومانسية لأن اغراق الرومانسيين فى أحلامهم وجنوحهم إلى الخيال بعيدا عن أرض الحقيقة قد أورث سأما فى جمهورهم بتكرار ما تداولوه من شطحات، فأخذ الناس يتشوقون الى مجافاة هذه الأحلام النازحة ليقربوا من دنيا الناس، وقام النقاد يدعون الى مذهب يعترف بالحياة الواقعة، يصور ما يعج بها من أحداث وما يمثل على مسرحها من نعيم وبؤس وما تموج به أهوال السياسة من تيارات بحيث يرى القارىء صدى حياته الواقعية ملموسا فيما يقرأ، وقد حببت الواقعية الى الناس أن سلوك كثير من الرومانسيين لم يكن مرضياً لمن يرون الحياة ميدانا للعمل والكسب والنضال ليظفروا بنصيب إنسانى كريم، بل كان سلوكا انطوائيا عازفا يغرق فى الوهم ويجرى وراء السراب، فجاءت الواقعية لتقرر أن المظاهر المادية هى الصخرة الصلبة التى يقف عليها الأحياء وعلى أرضها الممتدة الفسيحة يتعاملون ويتصارعون خاضعين للظروف الاجتماعية التى لا مفر منها لأن الانسان وليد عصره وبيئته ولا محيص له من الاندماج بهذه البيئة ليكون عضوا عاملا، وعلى الفنان أن يلحظ البيئة بعين يقظة متفرسة وأن يصورها تصويرا يجد فيه القارئون خلجات نفوسهم وواقع معاشهم، وهو حين يرسم صورة المجتمع لابد أن يكون واقعيا لا يلجأ إلى تجميل مفرط أو تقبيح مسف لأن كل مبالغة تلحق الصورة الأدبية تنأى بها عن واقع الحياة فلا تكون ممثلة للمجتمع ومن هنا نشأ الأدب الملتزم الذى يجبر الفنان على أن يكون ذا وظيفة اجتماعية، فهو لا يكتب ليلهو أو يعبث ولكنه قائد يوجه وعالم يرشد وأستاذ يهدى، ولابد لهذا المرشد الموجه الهادى أن يسعد الناس بتصوير واقعهم الحاضر، والقصة هى خير الفنون لتصوير المجتمع لأن اختيار الأشخاص والمواقف وتفاعل الأحداث يقدم مجتمعاً حقيقيا، وقد ذهب دعاة الواقعية الى أنها ليست فى صميمها «تصويرا فوتغرافيا» ينقل عن الأصل كما هو دون انتخاب واختيار، اذ أن الفنان لو اقتصر على الأصل ما أمتع قارئه فى شىء وما استطاع أن يؤثر فيه اذ الأصل موجود مشاهد أمامه يراه فى روحاته وغدواته وانما تكون مهمة الفنان الواقعى أن يعمد الى شريحة حية من شرائح الحياة فيسلط عليها الضوء ويضيف إليه ما تشع به من النور ويختصر منها ما قد يلغى بعض القتام. وهنا يقدم للناس عملاً حياً متكاملا يرون فيه الواقع مفسراً محللاً مصوراً فيتأثرون به ويجدون من المتعة ما يدفعهم الى معاودة الاستماع به، ومن هنا خلدت اللوحات الرائعة التى صورت المجتمع تصوير الفنان ذى اللمسات الناطقة والإيحاء البليغ.

يقول الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه الأدب المقارن: (٣)

«والواقعيون بعامة لا يحبون المبالغة فى الأسلوب لأنه وسيلة لا غاية، والأهمية كلها للمنطق وللطريقة التى تسود ترتيب الأحداث والتعبير عنها، وجمهور الواقعيين هم العمال وكانت طبقة العمال لعهدهم قد وجدت اجتماعيا وتتطلب من يعبر عن آمالها وآلامها وآفاقها فى القصص والمسرحيات، فاذا عالج أصحاب هذا المذهب ـ الواقعى ـ موضوعات تاريخية فى قصصهم ومسرحياتهم قاموا باحياء دقيق للعصر بعاداته وملابساته وميول أخلاقه وعاداته على أن يتصل الموضوع التاريخى بقصته أو مسألته من قضايا العصر ومسائله.

واذا

كانت الواقعية تلزم بالحقائق وتتقيد بالمنطق فقد وجب عليها أن تصور الخير والشر والجمال والقبح والحق والباطل، ملتزمة بالدلائل المعبرة عنها جميعا فى واقع الحياة، ولكن التعبير عن القبح قد صادف بعض الأغراض لأن تصوير الدمامة قد يلقى من

البشاعة والتقزز في النفس ما يهبط بعمل الفنان بل ما يوحي بالانصراف عنه لأن الذي يقرأ ويشاهد انما يحرص على ارضاء نفسه وراحتها قبل أن تجتار ما يوقعها في النفور والضجر والاشمئزاز، ولكن (المثال) الفرنسي الكبير (رودان) قد رسم من التماثيل ما يصور أدمى مظاهر البؤس وأقسى مشاهد الدمامة، وأصر على أنه بذلك يؤدي واجب الفنان في تصوير ما تقع عليه عينه من مشاهد سارة أو بغيضة. وقال في تبرير موقفه *«إذا كان قد تبادر الى أذهان السوقة أن ما يرونه قبيحا في الحياة لا يليق أن يكون موضوعا للفنان، فانهم بذلك يقعون في خطأ عظيم، لأن ما يسمى عادة بالقبيح في الطبيعة يمكن أن يكون لدى الفن عامراً بالجمال ونحن نسمى قبيحا كل ماكان مشوها أو مريضا، فالأحدب قبيح والأعرج قبيح، والرجل الفاجر قبيح السلوك وكذلك اللص والمجرم، ولكن الفنان يبرز ذلك ليضيف من جمال تصويره الواقعي ما يجعلنا نعجب بالقبيح فنا لا سلوكا»*.

والحق أن الهجاء فن من فنون الأدب في كل عصر



سارتر

وهو يعرض إلى مقابح شنيعة فيجليها تجلية تجعلنا ننفر من الاتيان بها يشين وهنا تكون رسالة الفن هي التحذير من القبائح، وهو بذلك فن ملتزم يحرص على علو الحياة، أما الهجاء الذي يعتمد على الشتائم والسباب فليس فنا ولكنه انحدار سافل يهوى بقائله أو مبدعه ولا ينقص لدى العقلاء فتيلا من قيمة المهجو إذا كان في واقع نفسه شريف الخصال، ولن نجد في الأدب العربي أشد ذيوعاً في مضمار الهجاء من هجاء «المتنبي» «لكافور» ومع الحاح الشاعر الكبير في هذا الهجاء ومعاودته في تكرار بالغ فانه لم ينقص من قدر «كافور» في شيء فلا زال كافور في منطق التاريخ هو الرجل العصامي الذي حكم وملك وكافح بمقدرته الشخصية وكان كما قال أبو الطيب في مديح له:

يصرف الأمر من مصر إلى عدن
الى العراق وأرض الشام والنوب

● **واذن فتصوير الدمامة لا ينافي الواقعية إذا صدر عن وعي متيقظ وحس نبيل على أن الواقعيين لا يقلون عن الرومانسيين في اهتمامهم بالصورة الفنية. ولكن الفرق بين أولئك وهؤلاء أن الصورة لدى الرومانسيين خيالية في أكثرها والصورة لدى الواقعيين حقيقة تلتزم بالموضوعية ويلتزم الفنان الحيدة في إبداعها فلا يضيف إليها ما تفقد به مضمونها الفعلي، والواقعيون لا يحرمون الإضافة المجملة للصورة ولكنهم يشترطون أن تكون هذه الاضافة مما يساعد على توضيح الحقيقة وتجليتها في أجمل معرض فهي كالنور يصب على المرآة الناصعة ليزيدها إشراقا يدل على الأصل ولا يشوهه في شيء، وبعض الواقعيين يكتفون بالتصوير المباشر الذي يعتمد على الانتخاب الجيد والاختيار اللامح، ولكنهم أقل شأناً ممن يضيفون إلى الصورة ما يوضح مرماها الاجتماعي بحيث تغنى عن كل تعليق، ومازال للواقعية أنصارها المعجبون لأنها أداة فعالة من أدوات الاصلاح الاجتماعي، والاصلاح متطلب في كل زمان ومكان.**

المذهب الرمزي

الرمزية فى مضمونها الواضح معنى وجد لدى الانسان قبل أن يعرف فنا من الفنون، فكل واحد لا يبدى للناس خلجاته وأفكاره جميعها صريحة كاشفة دون ستر، بل يحتاج إلى أن يسير الى بعضها تلويحا من بعيد ليكون فى هذا التلويح منعٌ للحرج اذا واجه الأمر بسفور واضح، لأن التلويح قد يتضمن من التمحل والثورية ما به يستريح المرء من المؤاخذة الصريحة التى لا لبس فيها ولا إبهام. . وقديماً قامت الشعائر الدينية على رموز توحى بالمدلول دون أن تسفر عنه. . وقديماً وجد فى الآداب المختلفة شعر وقصص وأحاديث وأمثال على ألسنة الحيوانات والجمادات. . وطبيعى أن الحيوان والجماد كليهما لا ينطقان بالمثل أو يوضحان مغزى الحكمة ولكن صانع هذه القصص الفرضية يرمز بها إلى أشياء يريد أن يظهرها ويخاف عاقبة الإظهار فيلجأ إلى قصص الحيوان والطيور، وأقرب مثل نشير اليه الآن هو كتاب (كليلة ودمنة) وقد عرف فى الأداب الهندية والفارسية والعربية ثم ترجم عن العربية إلى لغات شتى فى العالم الأوربى، وهو من صميم الأدب الرمزى الذى ينطق بشىء ويريد شيئا آخر، وكان له شراحه ومفسروه بل كان له من حاكوه واصطفوا القصص الرمزى تأثرا به فى القديم والحديث. .

الرمزية المذهبية الراهنة فقد

أمّا اشتهرت فى الغرب عقب ظهور الرومانتيكية وكان من أسباب ظهورها أن الفن الرومانسى واضح يعطى مدلوله لأول وهلة من مباشرته وفى مدلول هذا الفن ما قد يعد التصريح به موضع مؤاخذة، فظهرت الرمزية لتخفف من وضوح الرومانسية وعمدت الى الايحاء فى ما تريد، ولم تكن الرمزية ذات مشرب واحد فهى على اعتمادها على الايحاء والاشارة فى جميع ألوانها تنوعت الى رمزية جزئية حين كان الفنان يقتصر على مدلول جزئى فى قصيدته المختلفة التعبير أو لوحته المتنوعة المشاهد، وإلى رمزية كلية حين كان الفنان يعمد إلى صورة كلية تامة ليعبر بها عن معنى كامل يريد أن يظهره من خلال الصورة الكلية، ولن يكون الفن الرمزى الا معنى ذاتيا خاصا بصاحبه لأن الذى يعتنق هذا الضرب من المذاهب انسان له أبعاده الشاسعة وأغواره العميقة، وهو بعد حريص على ألا يكشف هذه الأبعاد فى مساحتها الشاسعة ولا هذه الأغوار فى عمقها الغائر فيلجأ إلى الرمز وهو واثق كل الثقة أن كل ما يعنيه لا يتضح بل ينتقل إلى المسقى بعضه دون بعضه، وللرمزيين تبرير فى هذا الغموض إذ يقولون أن أدوات التعبير من تصوير وشعر ونحت ورسم لا تسمح للفنان بكشف جميع الانفعالات كما هى ولكنه يجتهد فى تقريب مدلولها لأن أغوار النفس البعيدة أعمق من أن تكشف ساطعة دون حجاب، وهذا قول لا يسلم فى أكثره لأن الرمزى يتعمد الإغراب وفى استطاعته أن يكشف بعضاً اذا أراد الوضوح، فالقول بأن أدوات التعبير قاصرة لا تستطيع مردود بأننا مع قصورها المُسَلَّم بها جدلاً نرى الرمزيين يزيدونها خفاءاً لأن لهم فى الخفاء مأربا ذاتياً لا ينكر.

وأظهر ما نجده لدى الرومانسيين هو ابتكاراتهم الجديدة فى التصوير لأنهم يعتمدون على ما يسمى بتراسل الحواس، ومعناه أن الحواس تتبادل مدلولاتها فتصف حواس السمع مثلا بخصائص حواس البصر وحواس الشم بخصائص الفروق، لنضيف الى الحاسة الواحدة بهذا الوصف الجديد معنى غير ما اعترف عليه فتكون الحاسة بمثابة حاستين بوصفها الجديد، وقد وجد هذا التراسل عند أصحاب الرومانسية فى بعض فنونهم العاطفية ولكنه اتخذ مبدأً عاما لدى الرمزيين، ولعلهم يباعدون بين مدلولات الأشياء مباعدة متعمدة فيكون وسيلة إيحاء لا وسيلة تصريح كما هو عند الرومانسيين.

ويستشهد الدكتور محمد غنيمى هلال فى حديثه عن تراسل الحواس لدى الرمزيين حين يعطون

المسموعات ألوانا والمشمومات أنغاما والمرئيات عطورا لتوليد أحساسات جديدة لا تستطيع اللغة الصريحة التعبير عنها. . يستشهد لذلك يقول بودلير *«الطبيعة معبد ذو عمد حية، وتنطق هذه العمد أحيانا ولكنها لا تفصح ويجوس المرء منها فى غابات من رموز تلحظه بنظرات أليفة، وتتجاوب الروائح والألوان والأصوات كأنها أحداء مختلطة طويلة تتردد من بعيد لتؤلف وحدة عميقة المعنى مظلمة الأرجاء رحيبة كالليل وكالضوء» وبتراسل الحواس يتحول العالم الخارجى الى مفهومات فكرية ومن هنا ظهرت هذه الأوصاف «السكون، المقمر، الضوء الباكى، القمر الشرس، الشمس المرة المذاق(ه)*. .

وقد عرف الأدب العربى الرمز الجزئى فى كثير من صوره لأن الاستعارات والكنايات هى فى الواقع رموز تدل على معان غير التى تتقيد بها الدلالة الوضعية كما عرف هذا الأدب الرمز الكلى فيما عرف من القصص الخاصة بغير الانسان، وفى العصر الحاضر كان جبران خليل جبران أول من عمد إلى الرمزية فى صوره وأخيلته نثرا وشعرا، فكتاب (حديقة النبى) لجبران أدبى رمزى خالص. . وقصيدة «البلاد البعيدة» وقصيدة «المواكب» لا تفهمان إلا اذا اعتبرنا أدباً رمزياً مثل قوله:

هل اتخذت الغاب مثلى
منزلا دون القصور
هل تحممت بعطر
وتنشقت بنور
وشربت الفجر خمرا
فى كؤوس من أثير

ولإيليا أبو ماضى قصائد رمزية ولكنها لا تنحو منحى جبران لأنها تتعمد جانبا كبيرا من الوضوح حين تتحدث عن قصة على لسان نبات أو حيوان أو جماد، ثم تترك للقارىء أن يدرك المراد باعتبار القصة مشبها به لمشبه محذوف كما فى قصائد «**التينة الحمقاء**» و«**الحجر الصغير**» و«**الصلصال**». .

لذلك كانت رمزية ايليا أبى ماضى مقبولة طريقة أما رمزية جبران ومن تبعه كبشر فارس وأديب مظهر وسعيد عقل فذات ضباب أسود لا تفضى إلى شىء، ومن هنا صادفت الرمزية هربا من كبار الناقدين لأن الفن لا يؤدى رسالته حين يصبح طلاسما وألغازا، واذا احتج ذووه بأنهم يريدون أن يجعلوه نوعا ارستقراطيا لا ينزل إلى الأذهان الكليلة فنحن نراه أحاجى يختلف الكبار فى تفسيرها بل أن قائلها نفسه يعجز عن تفسيرها إذا طلب منه هذا التفسير، واذا كان الفن ذا تأثير حى فان الأدب الرمزى يفقد هذا التأثير بافعاله البعيد فيبتعد عن مفهوم الفن الأصيل. .

يقول(ه) الأستاذ عباس محمود العقاد بيعض التصرف «لقد راجت الرمزية فى الكتابة والشعر كما راجت فى النحت والتصوير، وشوهدت صور «لبعض الناس لا يعرفها أصحابها ولا يتفق اثنان من المصورين أنفسهم على عرفان ملامحها أو تفسير الغرض منها، وسئل واحد من هؤلاء المصورين عما يعنيه بهذا الخلط الذريع فقال بلهجة هؤلاء المحزقين التى هى مزيج من لغة الدجالين والببغاوات ان الكتاب الانجليزى الذى يقع لمن لا يفهم الانجليزية يكون فى نظره مشوشا خليطا، وهذا دجل اذ لا مشابهة بين غير الانجليزى والانجليزى فى قراءة الكتاب الا أن يدرس الانجليزية فينفذ الدارس الى مدلول الكتاب دون عناء ولن توجد أداة معقولة تفهم بها ما يريده هؤلاء الأدعياء على وجه صريح». .

وأجمل ما نقوله فى المذهب الرمزى أنه يؤدى دوره إذا أفصح عن مدلوله لقارئه الذكى أما اذا استوى الذكى والغبى أمام طلاسمه فقد فشل فى أداء رسالته ووجب البحث عن سواه. .

المذهب الوجودي

الوجودية سلوك إنسانى قبل أن تكون مذهباً فنياً، بل إن مذهبها الفنى قد جاء نتيجة لما توحيه من التزام الفرد بسلوك حر ينبع من ذاته دون أن يكون لأجنبى سيطرة عليه، ووجود الانسان فى الحياة هو الوجود الحقيقى دون سواه لأن الانسان يملك حرية التصرف

ويملك القبـول والـرفض وله محض الاختيار فى أن يشرق أو يغرب وأن يسمو ويسف، فاذا كان الصخر موجـوداً ومعـدودا من الكـائنـات فوجوده عدمى لا يسمى بالوجود الحقيقى لأن الصخر لا يملك حرية الإرادة ولا يعـرف كيف ينتقل من مكان الى آخر، بخلاف الانسان الذى يسيطر على اتجاهاته ويتقلب شرقـا وغـربـا كيف شاء هذا الاختيار يفرض على الـوجـودى أن يأنف من كل ضغـط خارجى وأن يستجيب الى هواتف نفســه وحــدهـا، فاذا كان الوجودى فنانا فعليه أن يعبر عن فنه بحسب ايحائه الـداخلى ووفق فرديته الذاتية دون أن يستمع الى صوت خارجى ودون أن يكون لتقاليد المجتمع ضغط عليه، فالتزامه التزام بحريته الشخصية ذاهبا معها كل وجهة سواء ارتضيت الخير أو الشر، فليس للخير والشـر لدى الـوجـودى اعتباراً جماعياً تسنه التقاليد وترعاه القوانين ولكنه انسجام مع النفس الداخلية اذا عشقت شيئا فعليها أن تتبعه بصرف النظر عن رأى المجتمـع فيما تعشق ذماً كان أو مدحاً. . والوجودى باتساعه فى مفهوم الحرية لا ينسى أن الانسان ليس ممتعاً بها تمتعا مطلقا فهو مقيد بظروف مولده وصحته وواقعـه المعاشى، ولا حرية له فى اختيار الأسرة أو الـوطن أو الفـرار من الفقـر والمرض، ولكن هذه الحوائل جميعها يجب ألا تقف فى سبيل الوجودى بل عليه أن يحدد موقفه منها مجاهدا كل المجاهدة فى سبيل الظفـر براحتـه النفسية حين يستطيع التغلب عليها ليحفـظ لنفســه حريـة الشخصيـة، فاذا لم يستطع فحسبـه أن جاهـد وكـافح فى سبيل رأيه الخاص، وسيجاهد أمثاله من الوجوديين جهاده حتى يستطيعوا ازاحة الحوائل، والفن الذى ينبع من إبداعهم عليه أن يصور هذا الجهاد وأن يدعو إلى عزة الفرد وكرامته وارتفـاعـه عن التقاليد حتى يتهيأ مجتمع يصبح فيه الوجودى سيِّداً لموقفه ومنفذا لرغباته الخاصة دون أى اعتبـار، والشكل فى الفن الوجودى لا قيمة له لأن رهن المضمـون يشكله ويكيفه حيثما أراد، ولا قيمة لأى شكل ما خلا من مضمون تهيف بالحرية الفردية ويبحث عن استقلال الوجودى عما سواه.

يقـول الأستـاذ «عبـاس محمـود العقاد» عن مثالب الوجودية: (٦)

ويظهـر السخف والمـرض ـ لدى الوجوديين ـ حين يقولون أن الفرد هو الوجود الحقيقى ويرتبون على ذلك أنه لا معنى اذن للقول بالطبيعة البشرية والقول بالأخلاق التى تفرضهـا هذه الطبيعة أو بالأقدار التى رسمت لها طريقها قبل أن تبرز إلى عالم الوجود، فكل فرد فهو عالم قائم بذاتـه يضـع لنفســه أخلاقه وآدابه وعقائده وآراءه فيختار الاباحة ان شاء ويختار النسك والزهد ان شاء وهو المسؤول عما يصيبــه من جراء إباحتـه أو جراء نسكـه وزهده، اذ كان الاختيار فى تاريخ الكائن الإنسانى هو محور الحياة وليس له أن يفقد اختياره لأن الطبيعة البشرية تلزمه بهذا السلوك أو تحرم عليه ذلك السلوك، فما الطبيعة البشرية بمعزل عن وجود الفرد الا تصورا من تصورات الأذهان. .

ويتابع الأستاذ العقاد حديثه عن الوجودية حتى ينتهى الى قوله:

هذا المذهب من الوجودية هو فى الغالب مذهب «جان بول سارتـر» وأصحابه من المتفلسفين فى الحى اللاتينى والعاصمة الفرنسية وأكثر ما تتمثل هذه الآراء فى رواياته المسـرحيـة وأخـلاق أبطاله وبطلاته المعروضين فى تلك الـروايـات، ومنهم من يستبيـح الاجـرام أو الشـذوذ أو التبذل أو الخيانة، ولا ترى فى معاملة المؤلف لهم جميعا فرقا بين الأمين والخائن أو بين الوقور والماجن أو بين الذى سلم من مغامراته أو الذى ذهب فريسة لتلك المغامرات، وليس قصارى هذه التأويلات والتخريجات أنها مريضة تنم على الهـزيمـة والانحلال ولكنها قبل ذلك خطأ فى العقل والمنطق وخطأ فى القياس والاستدلال.

وهـذا القول يسقط الوجودية كما يقررها جان بول سارتر لأنه يترك للشرير والخائن والمجرم والقاتل أن يفعل ما يريد لأن حريته تدفعه الى ذلك فهو يصدق التعبير عنها بسلوكـه، واذا انتقده المجتمع أو حاكمه القانون فليس عليه حرج اذا استشعر السخط على مجتمع يحد من وجوده وعلى قانون يقف حائلا دون حريته والقول بالفردية وفق

هذا المضمون شر لا يفضى إلى أى خير، لأن لكل انسان أهواءه التى تخالف جانب الصواب، والرجل السوى المسؤول يرى أن هذه الأهواء مرض من الأمراض التى يجب أن يتحاماها الانسان حتى يعود صحيحا ولكن الوجودى من أتباع «سارتر» يرى أن هذه الأمراض ليست أمراضا الا لأن المجتمع عدها كذلك، فاذا اقترفها وأساء إلى المجتمع فقد أحسن فى الوقت نفسه الى ذاته لأنه أشبع رغبتها واحتفظ لها بوجودها الحر ومن حسن الحظ أن الوجوديين فى غير باريس لا ينهجون نهج سارتر بل يقدرون حريتهم تقديرا لا يمنع من تقدير حرية الآخرين لتنتظم أسباب البقاء على وجه صحيح . .

والوجوديون يقولون ان الديمقراطية قد ضاءلت من حرية الفرد وأن الشيوعية قد محتها محوا تاما ولسنا بصدد مناقشة هذا الرأى ولكن نسأل عن نصيب الحرية لدى الديمقراطيين فنجدها تتمثل فى الرغبات الصحيحة التى تجمع عليها الأكثرية والأكثرية المثقفة المتنورة لا تجد من يستطيع تضليلها، فاذا نادت برغبات تقيد من حرية الفرد فانها لا تقيد غير الشاذ من السلوك حتى يستقيم المنهج . . ومن الانتصاف للانسانية أن يقف كل انسان عند حده لأن الحرية التى ينشدها الوجودى لنفسه قد تصطدم بحرية أخرى ينشدها وجودى آخر، واذن فلا بد أن يتقابل أصحاب المذهب الواحد فاذا كان أصحاب هذا المذهب قلة وبينهم هذا التناحر فلابد من الانصياع الى رأى الأكثرية ذات الضبط والاتزان .

والدفاع عن الفرد موجود فى كل زمان فليس للوجودى الفرنسى أن يدعى أنه يريد أن يحفظ كرامة الفرد، وما الأحكام القانونية فى جميع الشرائع التى تنادى بالقصاص وترى أن السن بالسن والعين بالعين الا دفاعٌ عن الفرد، ونقيض ذلك ما توحى به الوجودية من اندفاع الوجودى الى تحقيق رغبته وان عارضت رغبة سواه بحيث يصبح التصادم أمرا لا مفر منه، ولو اقتصر الوجوديون على المناداة بالكرامة الشخصية فى ضوء الحرية العامة للجامعة لكان اتجاههم عاقلا ولكنهم يزعمون أنهم ينادون بالحرية الشخصية؟ والسؤال الملزم لهم أن نسألهم هل هذه الحرية لانسان معين؟ دون نظر لحرية زميله المتعارضة؟ ولن يستطيعوا الاجابة عن هذا السؤال برد صحيح . .

خاتمة

هذا تلخيص لسمات المذاهب الفنية التى اشتهرت لدى الدارسين، وحين نوجز هذه السمات نؤكد حقيقتين هما:

أولا: أن الفنان لا يتعمد مذهبا معينا حين يفيض بانتاجه اذ هو يجود بابداعه وفق موهبته التى نمت لديه بالمرانة والاطلاع، فاذا استوى فنانا ذا تأثير جاء النقاد وأدرجوا موهبته الفنية تحت مذهب خاص وليس يعنيه فى شىء أن يكون من أنصار هذا المذهب بل ان كثيرا من الفنانين يجمعون بين عدة مذاهب تلوح سماتها فيما يبدعون ويؤسفهم أن يحصرهم النقاد فى ظل نموذج معين ليس عنه من محيد . .

ثانيا: أن هذه المذاهب فى الشرق العربى لم تجد تطبيقها الملائم الدقيق على رجال الفن لأن المبدعين أنفسهم قد عارضوا ما يفرضه النقاد عليهم من أحكام، ولم نجد من المبدعين من حاول أن يشتغل بالقضايا النقدية غير الفنان توفيق الحكيم فيما كتبه فى بعض مقدمات قصصه وقد وجد من المعارضة لاتجاهه النقدى ما جعل كلامه يمثل وجهة نظره فحسب لا أنه قاعدة مسلمة تقابل بالاذعان .

ولعلنا فى مجال آخر نستطيع أن نبسط ما أوجزناه فى هذا البحث حيث اضطررنا الى الاختصار رعاية للمقام .

المراجع

(١) النقد الأدبى: ج٢ ص٢٩٨ للدكتور أحمد أمين .

(٢) النقد الأدبى: لأحمد أمين - ج ٢ ص٣٠٧

(٣) الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمى هلال: ص ٣٨٠

(٤) الأدب المقارن للدكتور محمد غنيمى هلال: ص ٣٨٥

(٥) يسألونك للأستاذ العقاد: ص١١٧

(٦) بين الكتب والناس للأستاذ عباس محمود العقاد: ص ١٥





حقا *انها لرحلة ممتعة جدا حينما يسبح الانسان عكس تيار الزمن ليأخذ من تلك الرحلة الخيالية العبر والدروس والفوائد. وحينما تكون الرحلة عبر الزمن فى القرن التاسع عشر تكون رحلة مفيدة حقا لأن ذلك القرن هو الذى مهد لنا الطريق ووضع لنا ما يجب علينا ان نضيفه فى زماننا الحالى.*

فالمدارس الفنية التى اشتهرت فى بداية القرن التاسع عشر واعتنقها الكثير من الفنانين التشكيليين بجدية واصالة تكشف لنا كيف ان التطورات فى ذلك القرن كانت متسلسلة وطبيعية فى تطورها فها هى المدرسة النيوكلاسيكية بعودتها إلى التعاليم الكلاسيكية العريقة التى تحترم قوة الرسم ولا تفرق فى ذلك بين التفاصيل التى تبدو فى مناطق النور أو تلك التى تغرق فى دكنة الظلال تعتبر أولى المدارس التى بدأ بها فننا التشكيلى رحلته فى التطور فرائد هذه المدرسة الفنان لويس دافيد أسس المدرسة على احترام الرسم وقوة التعبير عن المعالم التشريحية بمنتهى الدقة والاتقان ولكن برغم صرامة هذه التعاليم والجدية فى تطبيقها ألا أن هذا كله لم يمنع من التجديد والاضافة وجاءت شخصية جان اوجست دومنيك آنجر بمواهبه الموسيقية كعازف كمان شهير لتجدد على هذه المدرسة وتخفف من حدة الخطوط فانعكست موهبته الموسيقية على معالجته الخطية فجاءت خطوطه الخارجية التى تحدد الاشكال غايه فى الليونة ولها إيقاعات منغمة مناسبة فكأنما الخط عنده قد تشبع بالموسيقى وهذا تجديد لا يستهان به فى زمان دافيد الرائد وحركة

الفنون في العالم المتحضر

بقلم الدكتور/ عبد الحليم رضوى
رئيس الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون
بجده

فنيـة لها وزنها ولعله مهد بذلك للمدرسة الرومانتيكية التى آمنت بأن الانسان برغم وقوفه على الارض الصلبة الا انه يستطيع بفكره الوثاب وبخياله الرحب أن يحلق فى عنان السماء.

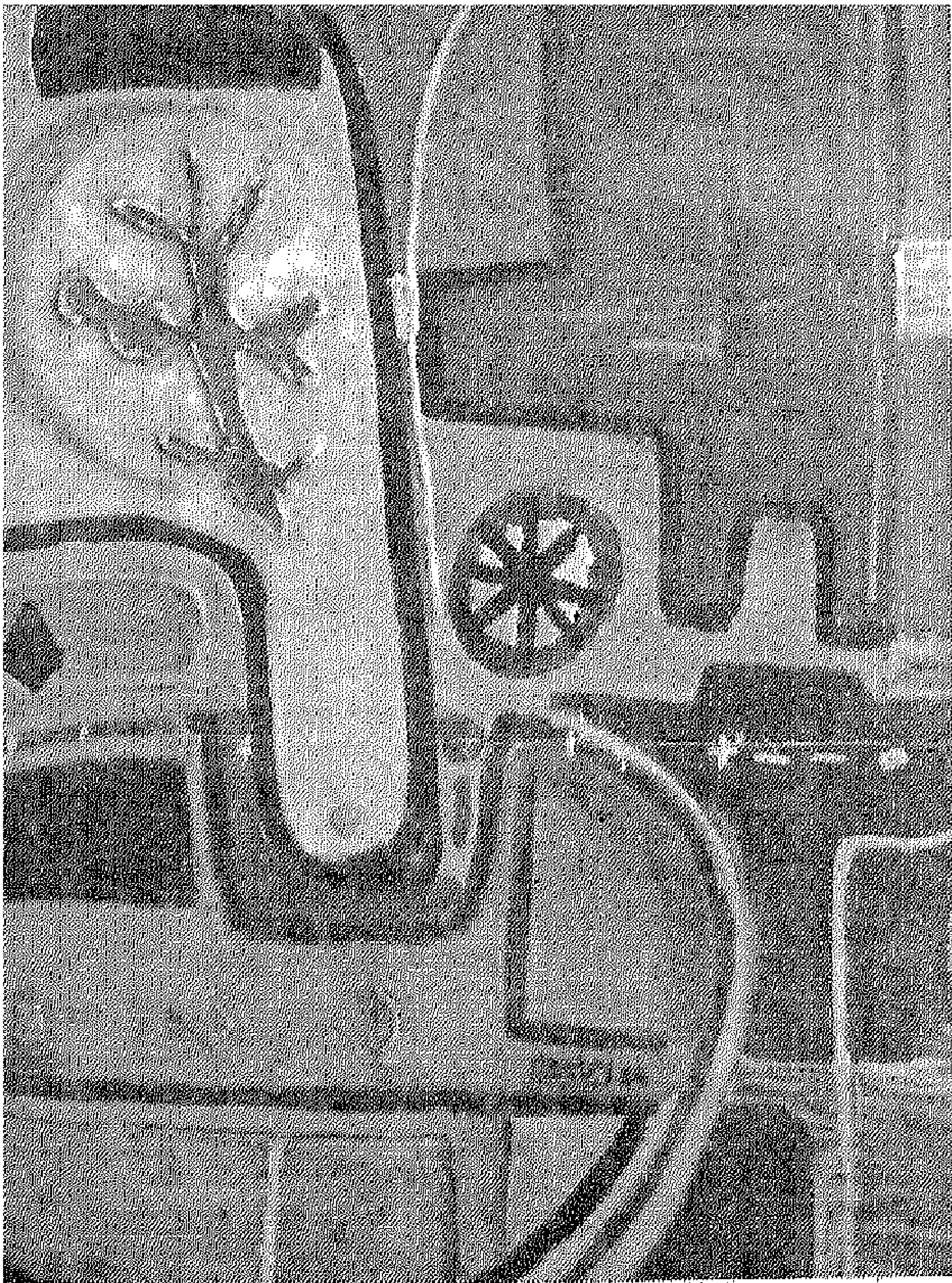
ولعل هذا يفسر لنا السر الذى جعل الفنان الشهير «اوجين ديلاكروا» يختار رسم الخيول فى حركاتها الوثابة وانطلاقاتها الجامحة بملاحقة دافقة من اللمسات المشحونة بالحيوية والقوة.

وهنا تكمن الاضافة فبعدما كانت المدرسة الدافيدية تحترم المحاكاة دون اظهار لأثر اللمسة على السطح وايضا كان آنجر المجدد يحترم هذه القيمة فى المعالجة جاء ديلاكروا المجدد يدفع باللمسات على السطح بسرعة وحيوية تلاحق حيوية العناصر المتحركة التى يرسمها بروحه قبل ان يرسمها بيده ويراها ببصيرته قبل ان يراها ببصره فحقق بذلك قيمة جديدة لم تكن موجودة من قبل ألا وهى قيمة الملمس فاللمسات أصبح لها معنى خاص بها وحينها تتجاوز اللمسات فكأنها تتولد من تجاورها شحنات كهرومغناطيسية سلبا وإيجابا تؤثر على الروح قبل أن تعبر من خلال العين.

وبعد هذه المدرسة الرومانتيكية التى اختارت موضوعاتها التى تفيض بالحركة وتشع بالحياة جاءت مدرسة تعتنق نفس المبادىء ولكنها احترمت الخلفية وجعلت منها موضوعا اساسيا فالمنظر الطبيعى كان دائما فى الماضى بمثابة تكملة للموضوع ويكون مجرد خلفية تسهم فى اظهارالشكل ولكن هذه المدرسة الجديدة والتى سميت بمدرسة المنظر الطبيعى أو مدرسة الباربيزون والتى جعلت من غابات الينابيع الزرقاء «فونتن بلو» حقلا لتأكيد هذه الفكرة فجاءت المناظر الطبيعية وحدها عملا فنيا كامل القيم من خطوط وظلال وألوان وملامس وإيقاعات فى تكوين محكم بل وجاء العنصر البشرى مكملا للمنظر بعدما كان هو الاساس والمحور وكم من منظر ابدع الفنان روسو سواء فى مطلع النور او عند مغيب الشمس وكذلك انامل كاميل كورو الذى بلغ جدا من التمكن جعله يرسم هذه المناظر بسهولة تمتنع على كثير من الفنانين.

وبعد ذلك جاءت المدرسة الواقعية التى احترمت موضوعات الحياة اليومية فأصبحت حياة الانسان هى محط انظار فنانى هذه المدرسة فكان الرائد دوميه يسجل الواقع بطريقة مذهلة فيها شيء من المبالغة احيانا لكى ينتقد وضعا معينا أو ظاهرة اجتماعية بذاتها وقد جاءت موضوعاته تهتم بحياة المزارعين فى الحقول أو بالمرافعات فى المحاكم أو بصالات العرض والفنانين فى المراسم مستخدما الألوان الطباشيرية وأقلام الفحم وأقلام الرصاص والحبر الصينى.

وبعد جاء الفنان «جوستاف كوربيه» الذى جدد باستخدام سكين البالت بدلا من الفرشاه فأكسب سطح اللوحة غنى فى الملمس لم يسبقه إليه احد من الفنانين وسجل كثيرا من ملامح الحياة اليومية فلوحة القيلولة التى تمثل رجلا يرتاح من



عناء العمل اليومى تحت ظل شجرة تظهر مقدرته الفذة فى استخدام السكين بديلا عن الفرشاة كذلك يبين مقدرته فى استخدام الفرشاة عندما يرسم نفسه مدخنا للغليون ليؤكد انه ما لجأ إلى السكين هربا من الفرشاة فمهد الطريق لمن بعده لأساليب جديدة فى المعالجة «التكنيك» الفنية ولعله بذلك قد فتح الطريق للمدرسة التأثيرية التى حمل لواءها الفنان الشهير كلود مونيه تلك المدرسة التى أخذت تلاحق النور فى حركاته عبر تطور الزمن فأخذ يرسم المنظر الواحد اكثر من عشرين مرة فى اليوم الواحد واضعا نصب عينيه ان يسجل لحظة معينة بذاتها فكان يلاحق الشمس وآثارها على المنظر الذى يسجله بطريقته الخاصة منذ مطلعها وحتى المغيب فتحقق على يديه مبدأ أن المدرسة الانطباعية (التأثيرية) هى فن تسجيل اللحظة. وكانت هذه المدرسة لذلك لا تعبأ بالتكوين ولا بإحكامه بل كان كل همها ان تسجل النور فى لحظة معينة بمنتهى الصدق.. كذلك كانت هذه المدرسة تعتبر سطح اللوحة بمثابة «بالتة» الالوان، وان العين حينما تبتعد عن اللوحة ستقوم الحاسة التكميلية لدى المشاهد بخلط هذه الألوان وهذا الفكر جاء متأثرا باكتشاف الكاميرا التى جعلت من المحاكاة مجالا سهلا وجعلت الفنان يفتش فى جعبته عن شىء آخر جديد يكون مجالا لأبداعه واظهار عبقريته وهكذا اصبحت الألوان الأساسية الأحمر والأصفر والأزرق هى الألوان التى توضع بحسابات علمية وحسب مجموعة ألوان الطيف على سطح اللوحة لتختلط فى نظر الرائى لتهيىء له الألوان المركبة أمام ناظريه وجاء من الفنانين من جددوا فى هذه النظرية واضافوا لهذه الفكرة أمثال بيسارو ورنوار وتولوز لوتريك فمنهم من جدد فى اختيار الموضوع مثل ادجار ديجا الذى جعل من سباق الخيل ورقص الباليه موضوعا لتسجيل الزمن ومنهم رنوار الذى شغف بتسجيل بهجة الحياة ومنهم مانيه الذى اهتم بالتكوين واحكامه أكثر وتولوز لوتريك الذى أهتم بأن تكون لمساته طولية بينما لجأ بيسارو فى كثير من الاحيان إلى استخدام النقط بينما اهتم بول جوجان بتسجيل الحياة الفطرية وهكذا وهكذا حتى مهدوا لفنون عصرنا الحالى التى تحترم الذاتية وجعلت لكل فنان مدرسته الخاصة التى توضح بصمته الخاصة.

ولكننا *كمسلمين يجب أن نستفيد من هذه المدارس الفنية جميعا بشرط ألا تبعدنا عن اصالتنا وأن نفتش خلالها عن دور فعال يجعلنا نحقق الأصالة والمعاصرة فى نفس الوقت الذى نحقق فيه المحلية والعالمية.. هذه هى الفائدة الحقيقية التى يمكن أن نخرج بها من خلال هذه الرحلة السريعة عبر الزمن.*



توطئة

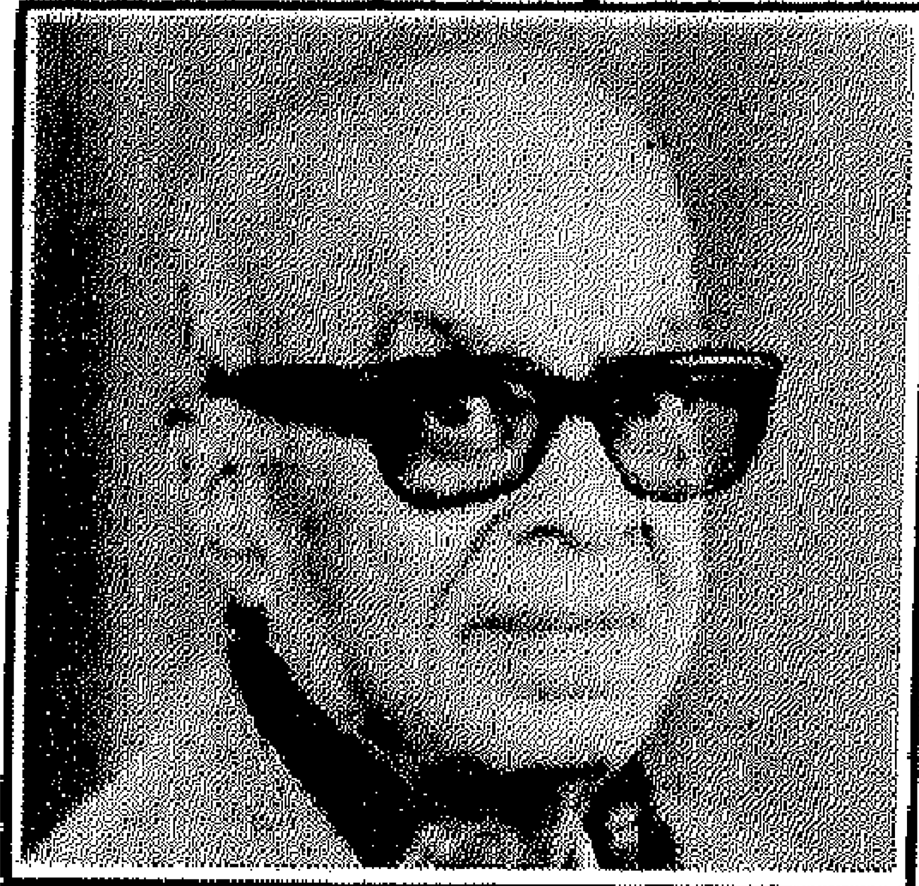
ليلتى هذه عروس من الزَّنج … عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوى الثريا … فهما للوداع مقتنعان
وسهيل كوجنة الحب فى اللـ … ـون وقلب المحب فى الخفقان
يسرع اللمح فى احمرار كما تسرع … فى اللمح مقلة الغضبان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجر … فغطى المشيب بالزعفران

«ابو العلاء المعرى»

كان أبو العلاء المعرى ضريرا، كذلك كان الشاعر الفحل بشار بن برد، ولكنهما كانا يحسان بالألوان ويتفاعلان معها، ذلك لأن العقل هو الذى يرى ويدرك الألوان، أما العامل المؤثر الذى يحدد السرور أو عدم الارتياح فهو عدد الذبذبات التى تصدم بها موجات أو أشعة الضوء شبكية العين، فتلك هى الناحية الفسيولوجية للون.

بقلم الدكتور الباحث
أحمد سعيد الدمرداش
أستاذ ورئيس قسم الفنون
التطبيقية والجميلة
بجامعة حلوان سابقاً

على أن للون أيضا نواحيه السيكلوجية، فإن بعض الناس يحبون أو يكرهون ألوانا لأنهم يربطون بينها وبين ما يحبون وما يكرهون، فهم يحبون اللون الأخضر لأنهم يربطون بينه وبين الربيع، أو يحبون اللون الأزرق لأنه يذكرهم بالسماء الصافية، وانعكاس مياه البحر ونحن نقترب أو نبتعد عنه فى فيافى البيد.



اما العين فوظيفتها لا تزيد على وظيفة آلة التصوير جهاز يستقبل طاقات الموجات الضوئية المختلفة، والصورة التى تنقلها العين لا معنى لها إذا لم يدركها العقل ويحدد كيانها ونوعها، وعمى الألوان ناتج من مرض فى الجهاز البصرى وليس فى خلايا المخ.

وقد يغنى الجهاز البصرى أو ينعدم غير أن الجهاز السحائى للمخ يظل موجودا، ولكن فى حالة أشبه ما تكون بالخمول، وهناك من يصابون بالعمى الكلى غير أن عقولهم مازالت تحلم وتحس بالألوان وبالقيم الجمالية للأشكال، فالكاتبة الأمريكية الشهيرة «هيلين كيلر» عمياء خرساء. وقالت فى تسجيل لها:

«إن الألوان التى تهز العالم الذى أعيش فيه هى زرقة السماء وخضرة الحقول الناضرة التى أحس بها كما أحس ببقية الألوان، والشمس لا تضىء بصرى وكذلك ومضة البرق، والأشجار لا ترى خضرتها الزاهرة فى الربيع، ولكن كل هذه الانفعالات مازالت تعيش معى، ولولاها لأصبح العالم الذى أعيش فيه قاحلا يحيط به الظلام من جميع الجهات».

التعريف بالفن

يقتضينا التعريف الأولى للفن التسليم بمبدأين رئيسيين:

(١) مبدأ الشكل وهو مستمد فى رأيى من العالم العضوى ومن الناحية الموضوعية الشاملة الموجودة فى جميع الأعمال الفنية.

(٢) مبدأ الابداع وهو شىء اختص به العقل البشرى، كما أنه يضطره إلى خلق وابتداع (فضلا عن تذوقه ما يخلق من) الرموز والخيالات الغريبة التى لا تتخذ لنفسها وجودا موضوعيا صحيحا صحة عامة إلا بفضل مبدأ الشكل، والشكل وظيفة يقوم بها «الإدراك»، والإبداع وظيفة يقوم بها «التخيل» وتستنفذ هاتان المنشطتان العقليتان فى تفاعلهما الفلسفى جميع ما للخبرات الجمالية من نواحى نفسانية.

غير أن للفن نواحى، أخرى منها البيولوجى ومنها الاجتماعى، وسنحاول أن نطرق بعضا منها فى سياق التحدث عنها، ذلك لأنى ممن يعتقدون أن الحياة نفسها من حيث أشد مصادرها خفاءاً وجوهرية تعتبر شيئا جماليا، بل وتفرز عناصر الجمال نفسه، ذلك لأنها لا توجد إلا نتيجة لانطوائها على الطاقة فى شكل لا يتصف بالمادية المحضة

بل بالجمال، ذلك هو المبدأ التشكيلي الذي يمكن استبانته في تطور الكون. (١)

انظر إلى بللورة ملح من الأملاح تجد فيها شكلا هندسيا جميلا، بل وسلط عليها قليلا من الإشعاعات السينية تجد أن ذراتها قد سبق لها أن رتبت نفسها ترتيبا رائعا.. بل انظر إلى قلف شجرة قائمة تشاهد انثناء أليافها وارتفاعاتها أو انخفاضاتها في شيء يوحي بالجمال، ثم اقطع مقطعا عرضيا في الساق تجد دوائر هندسية متأرجحة من المركز حتى التماس النهائي في رتابة إشعاعية وترية، وكأنها تعزف لحنا من الحان العمر والخلود.

البصريات وعلم دراسة الألوان عند العرب

لقد سبق لعلماء البصريات العرب أن درسوا كيفية حدوث الألوان والملونات من الوجهة الفيزيقية، ومنهم كمال الدين الفارسي المتوفى عام ١٣٢٠م في كتابه **«تنقيح المناظر لذوى الأبصار والبصائر»** فقال عن تدرج الألوان ما نصه:

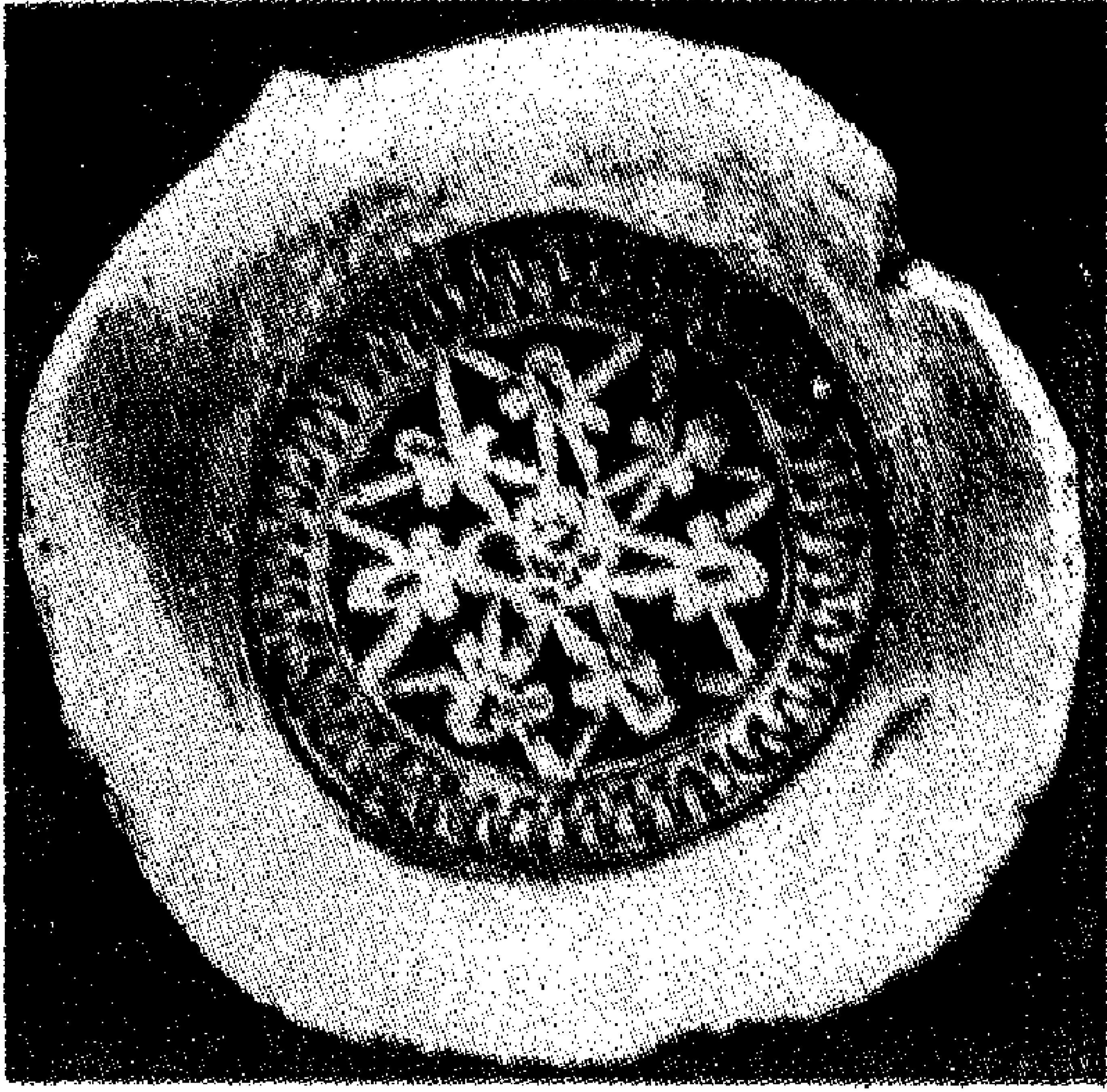
«وأما حدوث الألوان بين البياض والسواد، فلها طرق كثيرة تتدرج في سلوكها المتحرك من البياض إلى السواد.. منها طريق إلى الصفرة يصير أولا بمخالطة الكثافة والنور القليلين تبنيا ثم أترجيا ثم زعفرانيا ثم نارنجيا ثم ناريا، ثم يزداد فيها الميل إلى السواد بحسب ازدياد الأجزاء الكثيفة ونقصان النور حتى يصير أسوداً، ومنها طريق الحمرة يصير أولا ورديا ثم شقايقيا ثم ارجوانيا ثم بنفسجيا.. ومنها طريق في الخضرة يكون فستقيا ثم كراثيا ثم زنجاريا ثم جوزيا ثم باذنجانيا ثم نفطيا.. ومنها طريق في الزرقة يكون اسمانجونيا ثم فيروزجيا ثم لاجورديا ثم نيليا ثم كحليا.. ثم يستطرد في الشفيف والكثافة والنور والظلمة».

لقد تعمدت ذكر هذه التفريعات من صنف اللون ليعرف فنانو اليوم ما كان عليه علماء الفيزيقا العرب من دقة التعبير ودقة اختيار الوصف المناسب.

ثم يشرح كمال الدين الفارسي بعد ذلك كيفية تركيب الملونات كالأخضر «الذى يحصل عليه من تركيب الأصفر بالأسود والأزرق.. وكالزنجارى الذى يحصل من تركيب الأخضر بالأبيض.. وهذه التركيبات التي لا نهاية لها قد يقع بعضها في أجزاء صغار من النبات والحيوانات بحيث يتعجب من كثرتها في جسم من يشاهدها».

نشأة الفنون الإسلامية

لقد كانت وثبة العرب تحت مظلة الإسلام هديرا يهز العروش.. ففي عام ٦٣٣م فتحت سوريا واصبحت بيزنطة تحت رحمة جيوش الإسلام.. ومنذ عام ٦٣٦م كان العرب هم سادة دمشق وحمص وحلب وأنطاكية.. ثم فتحت مصر عام ٦٣٩.. وفي عام ٦٤٢م تحطمت جيوش الفرس في موقعة نهاوند.. ومنذ عام ٧١٢م أصبحوا على مشارف الهند شرقا وفي الغرب فتحوا الأندلس.



كان *الشرق العربي منذ بداية حضارته الموحدة بالإسلام وحتى إبان الحضارات المتفرقة القديمة يعتمد على تراث فني عريق متصل بوسائله وحاجياته تريب مما نسميه اليوم بالفنون التطبيقية، كفن السجاد والنسيج في بلاد العجم، وفنون الأشغال المعدنية والأثاث في سوريا، والفنون الخزفية في الفسطاط في العصر المملوكي.. ولنضرب مثلا:-*

كان فن القلل التى تستخدم فى تبريد مياه النيل فنا نابعا من الحاجة لانعدام وسائل التبريد فى ذلك الوقت، لذلك أبدع الخزافون فى تشكيل شبابيك هذه القلل (الشكل رقم[١]).

ولقد ألف الناس ما حولهم من مظاهر الفن، فلم تكن الصناعة الرفيعة شيئا آخر يدفع إلى تقدير منفصل عن القيمة الاستعمالية للشىء، ولكن اتصال الشرق بالغرب عن طريق التجارة أو الحرب أو الإحتكاك الدبلوماسى كشف عن مظاهر رائعة للفن العربى اقتبسها الفنان والمواطن العادى فى أعماله الفنية أو فى حاجياته من وحى البيئة التى كان يعيش فى إطارها، نلاحظ ذلك بوضوح بعد الفتح العربى للأندلس أو بعد قيام الامبراطورية البيزنطية وإبان الحروب الصليبية.

واشتقت عمارة النهضة الإيطالية من الكلاسيكية الاغريقية والرومانية، فهى كانت خاضعة لنفس القوانين



بالنسبة لاستعمال النحت والصورة، تلك القوانين التى تتمشى مع الناحية الجمالية من حيث توازن القوى بالنسبة لاحكام وأشكال للأعضاء الحاملة والجهد الذى تتعرض له من واقع الاحساس المباشر للانسان الناظر إلى المبنى.

واقتصرت الصورة على البانوهات فيما بين الأكتاف وفى الأسقف المقببة، فكان عمل الفنان التشكيلى مكملا لعمل المعمارى ومضيفا إلى كماله من حيث الناحية الجمالية، ولقد اختلفت العمارة الاسلامية عن العمارة الكلاسيكية ذلك لأنها عمارة جدران، بينما الكلاسيكية، عمارة أعمدة وطبان، فلقد استعملت فيها المقرنصات والمشربيات من فوقها لتحقيق اتصال الأرض بالسماء فى كل مبنى وكل جدار حسب مقاسه وظروفه الخاصة.

ولقد اصبحت العمارة الاسلامية مرادفة لفن التصوير فى الفضاء إذ أمست الخلفية أو بالأحرى المكان الذى يتلقى العمل الفنى أو الزخرفى فى مساحات متباينات، وبذا كان اشتراك المصور والنحات مع المهندس المعمارى أمراً له صفة الحتمية من واقع العقيدة الدينية، وقوامها التوحيد، ومن واقع العرف الاجتماعى السائد فى المجتمعات التقليدية.

فالفنان المسلم لا يطيق رؤية الاحجار الصلدة فى أماكن العبادة عارية كما ينحتها النحات من الجبل، فهى تذكره بالأرض ولا تربطه بالسماء حيث الخلود، ونقيضه فى ذلك الفنان الاغريقى أو الفرعونى لذلك تراه يسعى إلى إذابتها تحت بلاطات من الفسيفساء الملونة فى رتابة هندسية فطرية (الشكل رقم[٢]).

ولما كان النحت والتصوير للأشياء الحية غير مباح فى الاسلام، لذلك عمد الفنانون المسلمون إلى التجريد فى التصوير والنحت، ولجأوا للخط العربى والمنمنمات والزخارف الهندسية البحتة أو الأرابسك ذى المتوريقات فى زخرفة المساجد، كما لجأوا إلى باقى الفنون الزخرفية مثل موزايك الرخام وشبابيك الجص (شكل رقم [٣]) والزجاج الملون والمشربيات والنجارة المعشقة.

لقد كان المطلق عند العربى هو المثل الأعلى، هو الحق هو الجوهر، لذلك سعى عن طريق الفن إلى ادراك الحق شأنه شأن الصوفى الذى كان يسعى عن طريق الاجتهاد إلى الاندماج فى الكلى.

واعتمد المعمارى على أهل الحرف والصنف فى ادخال هذه العناصر الزخرفية فى مبناه الذى يصممه، كما كان المعمارى والمزخرف يعلمان تمام العلم ما يجب عمله وما يدور بخلد كل منهما، حيث كانت التقاليد

المرعية والمعروفة لدى الجميع كاللغة العربية نفسها مع وجود هامش كبير على جانب هذه التقاليد يسمح للمزخرف بالتوقيع واظهار شخصيته الفريدة، وبمعنى آخر كانت هناك الحتمية المحترمة والتلقائية التى تتيح الحرية الفردية، وبذلك اندمج الفنان الفرد فى الجماعة دون أن يفقد شخصيته، كما اندمج المعمارى والفنان فى ظل تقاليد مرعية كانت تحمى مصالح الاثنين كما تحمى القيم الثقافية والجمالية فى العمارة.

الاستشراق فى الفن الإسلامى

من الاستشراق ما كان هدفه دينيا وعلميا على غرار ما قام به سيلفستر الثانى ٩٩٩-١٠٠٣م حيث كان راهبا فرنسيا ثم قصد الاندلس، حتى أصبح من أبرز علماء عصره فى الدراسات العربية والرياضيات والفلك ثم أصبح أول بابا فرنسى فى الفاتيكان، أو على غرار قسطنطين الافريقى المتوفى عام ١٠٨٧م الذى ولد فى قرطاجنة ورحل إلى خراسان وبغداد والشام ومصر والقيراوان والهند وترهب فى دير مونتى كاسينو وترجم كتب الطب والفلك من العربية إلى اللاتينية.

ثم كانت الحروب الصليبية هى المنبع الدفين الذى كان يغدق بعناصر الاستشراق والتى قد اطلعت الغربيين - عن طريق الاتصال بالشرق من جهة والمقارنة بين الاسلام ودينهم من جهة أخرى - على مواطن فى دينهم يحتاج إلى مراجعة أو تعديل، ثم دخلت اوروبا فى عصور النهضة وحدثت تطورات محلية كثيرة أدت إلى تطوير حركة الاستشراق، فقد تميز الاستشراق فى العصور الوسطى غالبا بطابع دينى متعصب حتى بدأ الانفصال بين الدين والسياسة، وتفرق فى كافة المجالات، تفرقاً قدداً.

ثم كان رسوخ العرب فى اسبانيا فى مجال الفن بجانب العلم والثقافة، ذلك لأن الشواهد المتروكة من قبلهم والأبدة حتى اليوم، كجامع قرطبة من القرن الثامن، ومأذنة جامع اشبيليه (الجيرالدا) من القرن الثانى عشر، وقصر الحمراء فى غرناطه من القرن الرابع عشر، وغيرها.. هذه الأوابد هى سجل حافل للنهضة الفنية التى وصلت إليها اسبانيا فى عهد العرب.

فى هذا الجو العربى الذى مازال مخيما حتى اليوم على اسبانيا، وفى مالطا التى بقيت عربية طيلة الحكم العربى والتى تمتاز بآثار وصناعات عربية مازالت قائمة حتى الآن، وأمامنا فن الماجوليكا فى الخزفيات، كلها كانت مصدر اشعاع لعصر النهضة فى ايطاليا مضافا اليها تقاليد الفنون الاسلامية التى نقلها العثمانيون عبر القسطنطينيه، حيث أمست الأزياء العثمانية موضع إعجاب أهل البندقية وفلورنسا لغرابتها وبهائها، فالروب الطويل الشرقى والعمامة العاليه أصبحا مألوفين لديهم للعلاقات المستمرة التى كانت بين الدولة العثمانية وبين ايطاليا.

***ولم** يقتصر تأثير الشرق العربى على ما انتقل إلى اوروبا من مظاهر الفن، بل إن بعض الفنانين حاول الترحال إلى الشرق للتعرف على غرائب الحياة وعلى مظاهر التقاليد التى كان ماركو بولو (من البندقية) قد حكى عنها فى اسفاره نحو الشرق فى مؤلفه «كتاب روائع العلم».*

وليس بمستغرب أن نرى الفنان الأوروبى وهو غافل عن البحث فى تصويره للانسان الشرقى فى مختلف جنسياته، فقد اختلط لديه العربى المسلم بغيره من المسلمين فى تركيا وبلاد العجم، ولعل الاسلام لديه كان اشبه بالقومية التى تضيع فيها حدود الأمة العربية بالامم الأخرى المسلمة، وهذا ما نراه فى صورة «حديث الشرق» لرامبرانت.

والمنحى الثانى هو واقعية الأعمال الفنية التى أنجزها الاوربيون عن الشرق العربى، فلقد نقلت مباشرة وليس عن طريق الوصف أو الذاكرة أو الخيال، فاللوحات الشخصية التى رسمها فنانون



من الباتيونج في ماليزيا

أوربيون لشخصيات عثمانية كثيرة، ذلك لأن الانتصارات الحربية والفتوحات الكبيرة أدت إلى وجود طبقة ارستقراطية مترفة أثرت ورفلت بالنعمة، وكان لابد أن يزين أصحابها قصورهم بلوحات تمثلهم وتشيد بانتصارهم وسلطانهم، ولدينا الكثير من صور والى مصر محمد على واولاده واحفاده، ولكن بنمط أوروبى حديث.

ومنذ بداية القرن التاسع عشر تهافت الفنانون على زيارة شمال افريقيا مدفوعين وراء طبيعة جديدة وحضارة فنية جديدة، فاندمجوا فى القاعدة العريضة من مظاهر الحياة هناك، وبالتالى ألفوا هذه المشاهدة وأمست أساسا لموضوعاتهم ورسومهم.

وهكذا أصبح السفر إلى شمال افريقيا القريب من الأمور التقليدية، كما كانت بالنسبة لزيارة ايطاليا واسبانيا. وأخذ الاستشراق الفنى يتجدد بدون انقطاع، وظهر من هؤلاء الفنانين المستشرقين عدد كبير نذكر منهم بوننجتون وجيركو وديكامب وغيرهم، إلا أن دور هؤلاء لم يصل فى أهميته إلى مستوى دولاكروا رائد المستشرقين وزميله بول كلى.

واختص كل من الفنانين بناحية أخذها عن البلاد العربية، فبينما كان ديكامب يهتم بالتضاد الضوئى كان دولاكروا يبحث عن الألوان النادرة وعن جمال الأوضاع.

وفى عام ١٨٣٠ كان استيلاء فرنسا على الجزائر، ورافق الاحتلال هجرة واسعة قام بها الفنانون وسباق للكشف عن اسرار الطاقة العربية هناك، فكان دولاكروا من أوائل الفنانين الذين زاروا مدن المغرب العربى عام ١٨٣٣م وجمعوا منه انطباعات لا تنفذ بقيت زادهم حتى آخر لحظة فى حياتهم.

ومن بين أعماله السريعة التى انجزها خلال زيارته الشهيرة هذه، صورة ملونة بألوان مائية سعى فيها إلى المحافظة على تلك الألوان المحلية التى تخترقها الشمس حتى يكاد النور الساطع فيها أن يبهر بصر المشاهد، كذلك صور النساء العربيات بملابسهن الزاهية البديعة وبألوان جذابة، ومنها أيضا صور الخيول العربية المطهمة ومناظر صيد الوحوش.

ولنرجع البصر كرتين

فى الوقت الذى كانت السيطرة الثقافية الغربية والعلوم الرياضية والفيزيائية تتزايد على الثقافة فى البلاد العربية، كان الفن فى الغرب يعانى أزمة حادة ظهرت مع ظهور الرومانتية التى كانت فى بداية الاتجاهات الرافضة للأصول الكلاسية، وهى التى كانت قانون الفن منذ عصر النهضة، وحتى الكلاسية المحدثة كان عليها أن تنتصر على الواقعية، وهكذا ظهرت الانطباعية والوحشية

والسريالية والتجريديه لكى تقضى نهائيا على جميع المعالم الجمالية التقليدية، ولكى تنهى عهد المقياس والقاعدة والواقع والأدب فى الفن.

خلّف لنا القرن التاسع عشر قدرا كبيرا من المتناقضات ما بين الاستمتاع بما تحقق من منجزات العلم واتجاهات الفن، وبين النزعات السياسية والدعوة للقوميات العديدة، وكانت الصدمة قوية على مشاعر الناس وأعمق أثرا على مشاعر الفنانين المرهفة فتجمعوا فى زيوريخ وأنشأوا مذهب «الدادية» الذى استمر من عام ١٩١٥ إلى نهاية عام ١٩٢٢م.

كانت هناك إرهاصات لها من قبل وظهرت آثارها فى الأدب والشعر بعد ذلك، ومنذ عام ١٩٢٤ نشر بريتون وثيقته المعروفة باسم «البيان السيريالى» وفيه يقرر ما يلى:

«السيريالية تقوم على أساس الاعتقاد فى حقيقة عليا لبعض الأشكال الترابطية المهملة والتى يمكن وجودها فى الاحلام وفى اللعب غير المكترث للأفكار، وهى تميل الى تحطيم الوسائل الميكانيكية السيكولوجية الاخرى للافكار، وتحل محلها كوسيلة لحل مشاكل الحياة الرئيسية».



بهذا التعريف تفصح السيريالية عن ارتباطها بما كان يكتب منذ بداية هذا القرن العشرين عن العقل الباطن والتحليل النفسى الذى أثاره العالم النفسى «سيجموند فرويد»، وكان برينون قد درس أعمال فرويد واعتبر نفسه تلميذا له.

وهاجر الكثيرون من السيرياليين من باريس إلى نيويورك، وكان الجو الجديد هناك مهيأ للعمل والنشاط، فعمل السيرياليون واستطاعوا أن يحولوا إلى صفهم فنانين جددا من العاملين فى نيويورك، واعطى هذا الدم الجديد للحركة دفعات قويه للأمام.

فكانت الحركة التعبيرية التجريدية فى الفنون ومجالها اتجاهان رئيسيان:

أحدهما كان الاسلوب ذى التفاصيل بالغة الدقة كما تبدو فى اعمال سلفادور دالى..

الثانى فى الاتجاه ثنائى التحول حيث تأخذ الاشياء صور أشياء أخرى، كما يبدو فى أعمال فنانين مثل جوان ميرو، ويف تانجوى.

مع هذه الثورات المتلاحقة كانت الثقة بالفن الغربى تضعف باستمرار، وكان البحث عن الطريف والجديد قد استنفذ أغراضه بعد أن وصل الفن إلى حافة (العدم التعبيرى).. وكانت محاولات الخروج من هذه الأزمة قد وجدت منجاة لها من خلال النزعات التغريبية والاستشراقية التى اتجهت نحو العالم الآخر فيما وراء البحار أو فيما وراء الابيض المتوسط، بحثا عن فنون جديدة وعالم جديد: الانسان والطبيعة والتقاليد فيه تختلف كل الاختلاف عن عالم الفن فى اوروبا.

وهكذا توضح الفن العربى الاسلامى فى أعمال الفنانين الغربيين، كما توضح فى الدراسات الفنية العالية السابقة فى بعثة نابليون تحت ريادة الفنان.. أراجو. وفى قصر السنارى بالسيدة زينب بالقاهرة، وقبل وقت من توضحه فى أذهان العرب أنفسهم وفى

ابداعاتهم قبل وقت من ظهور انتشار الدعوة إلى الأصالة والمعاصرة التى راجت منذ الخمسينيات.

والتقى الجمعان

مدرسة بيكاسو الذى ولد عام ١٨٨٠م حاملا معه «جينات» الأجداد، فهو قريب للعرب والشرق المسلم، نشأ فى مالقا بالقرب من القصبة وهى القلعة الباقية حتى اليوم، ومدرسة الفن الاسلامى فى اسبانيا من جهة أخرى.

وأضحى الفن العربى بالنسبة لبيكاسو الاندلسى شيئا أليفا واضحا وناميا، وبمقارنة بسيطة بين أعمال بيكاسو وبعض الرسوم العربية فى التجريدية، تتضح لنا القرابة المدهشة بين تحريفات بيكاسو وبين تجريدات الفن الاسلامى.

ثم تطور الفن الاسلامى حتى وصل عام ١٩٨٢م إلى مرحلة التصوف، كما ظهر ذلك فى معرض الفنان عمر النجدى الاستاذ بكليه الفنون التطبيقية بجامعة حلوان والمعار لجامعة الرياض.. والصورة رقم(٤) هى من إحدى معروضاته المتصوفية.. واليوم ظهرت اعمال تلميذه الدكتور مصطفى عبد الفتاح المدرس بنفس الكلية فى لوحاته الابتكارية التى تشير إلى المستقبلية، والصورة رقم (٥) هى من ضمن أعماله.

فن المكرمية الشرقى يغزو أمريكا

منذ العصور القديمة عرفت ايران فن التطريز فى النسيج لأثواب أطرافها غير منسوجة فهى ذات اهداب، وفى القاموس الهداب من الثوب: هى الخيوط التى تبقى فى طرفيه دون أن يكمل نسجها، والهداب من النخل: سعفه، والهيدب من السحاب: هو المتدلى الذى يدنو من الأرض، ويرى كأنه خيوط عند انصبابه.

وقد أشار الرحالة الايرانى ناصر خسرو إلى شارع فى أصفهان اسمه شارع الطرازين نسبة إلى التجار الذين كانوا يسكنونه على غرار حى العقادين الذى ازدهر فى مصر أيام الفاطميين ولا يزال موجودا حتى الآن بشارع الأزهر.

كما أن الرحالة البندقى «ماركو بولو» ذكر مهارة السيدات بمدينة كرمان فى تطريز هذا النوع من المنسوجات، وتتحدث المصادر الأدبية والتاريخية عن الأقمشة الايرانية المطرزة من العصر السلجوقى وكذلك الاعلام والخيام فى العصر التيمورى.

ومنذ القرن السادس عشر أصبحت مدينة «جنوا» بايطاليا مركزا لانتاج أنواع من الدانتلا ذات السجف، محاكاة للدواب ذات الذيل الطويل، وهو ما يقال له «الرفل» باللغة العربية الفصحى، وغدت هذه الطرز مستخدمة فى الستائر، تنتهى حروفها بتطريز مختلف عن نوع القماش، ولكنه يحمل أهدابا منعزلة بمسافات متساوية يفصل بينها تطريز آخر اسطوانى الشكل بظلال لونية أخرى تحد من رتابة تلك الاهداب، وكأنه عنقود أو قنديل قد دنى فتدلى.

ويطلق العامة علىَ مثل هذا النوع من التطريز «قرنشات».

وتفردت ايطاليا بانتاج ضروب من الشرائط والدانتلا والقيطان والضفائر المجدولة بخيوط معدنية فضية أو ذهبية، فى وحدات هندسية متماثلة، محاكاة للفن الاسلامى الذى يتميز بخصائص جمالية معينة، فجانب كبير من الفن العربى يتخذ شكل وحدات متكررة، كما نجدها فى الأنماط التى تصمم عليها المشربيات، - مثلا - ومن ثم نشأ اللفظ مكرمية فى تصورى، ودخلت الكلمة فى اللغات الاوروبية تعبيرا ولفظا.

وهذه الوحدات المتكررة أينما وجدتها ترى عينيك قد انتقلت من طرف إلى طرف، دون أن يكون هناك ما يستدعى الوقوف، إلا أن الحافة قد رانت، وعندئذ ينتهى دور البصر ويأتى دور الخيال، لأنه هو الذى سيكمل تسلسل الوحدات الى مالانهاية، والانتقال من لحظة العيان بالبصر إلى لحظة التخيل فى الذهن يحدث فى حركات توافقية بسيطة، والحركة التوافقية البسيطة حركة بندولية لها طنين.

وهذا منشأ الاحساس بالجمال مطلقا.

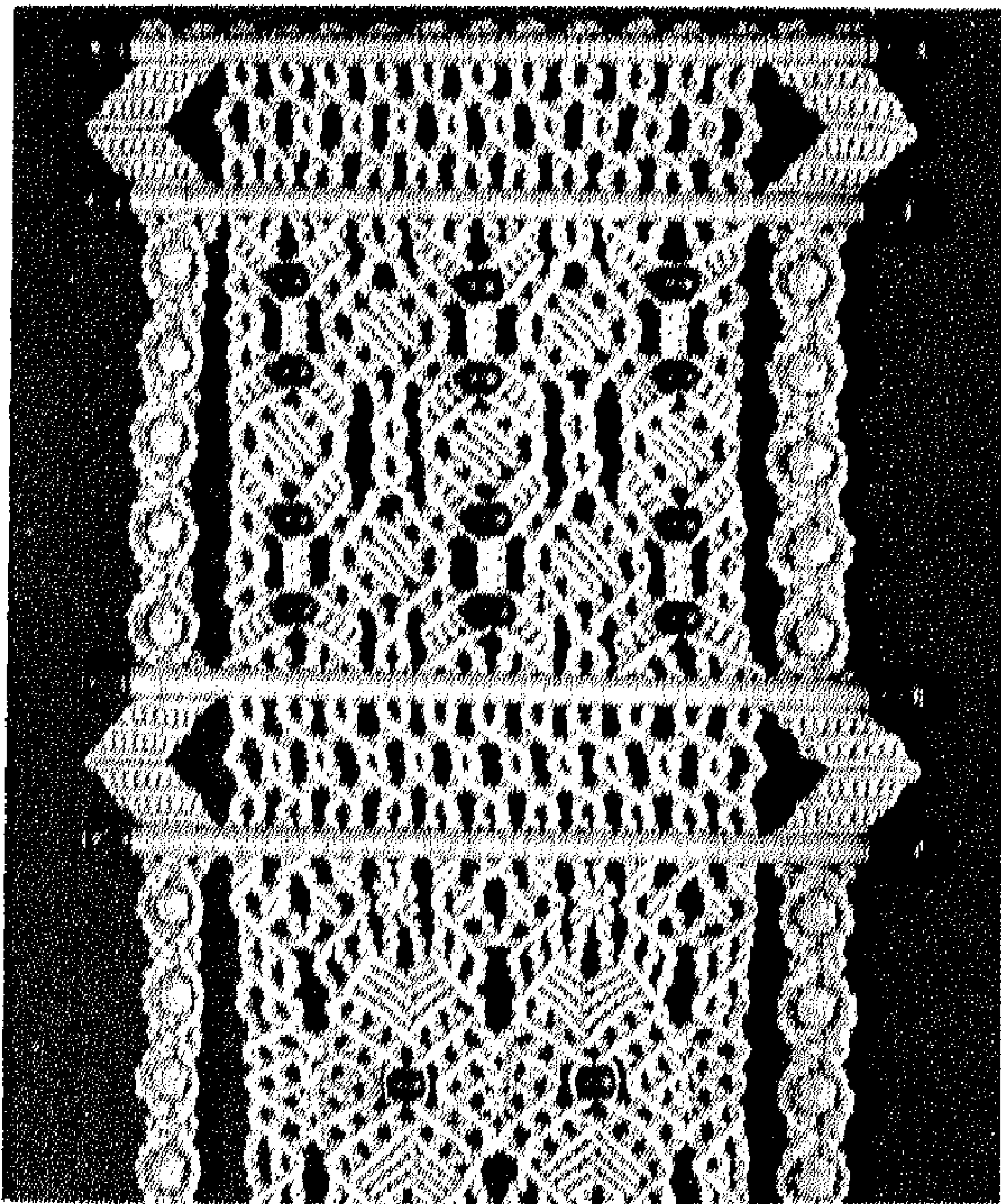
وأكبر الظن أن فن المكرمية بنوعيه هو الرباط الذى نشأ بين الفنان العربى وبين الحصان العربى الأصيل، حيث يتدلى ذيله بسجوف أو يبرز عرفه بأسجاف يهزها النسيم أو الريح، حين يتهادى فى مشيته، أو بشعوره من الهدب فى النبات وهو التزغب الذى يقوم مقام الورق، كما نراه فى شجرة «أم الشعور» التى كانت منتشرة على ضفاف النيل أمام جزيرة الروضة بالقاهرة.

واليوم ينتشر هذا الفن فى أمريكا، شاهدته أثناء زيارتى لمدينة نيويورك فى صيف العام الماضى حيث تكثر المعلقات منه حسب الشكل رقم (٦)، (٧) وهى التى توضع فى الديكور الداخلي لتزين أو تشجب بعض المساحات المتفارقة، أو فى الحبال ذات العقد والمتدلية من الأسقف، وهى تحمل بعض الأصص (القصارى) بما يحتويه من أزهار نباتية بداخلها.



شكل رقم (٤)

تنتشر هذه المكرميات بما تحمل من أزهار يانعة فى الحدائق الخارجية للفيلات أو فى صالات المعيشة بداخلها، والخيوط المستخدمة فى الغزل، هى من ألياف نباتية رخيصة نوعا مثل الجوت والكتان والتيل والقطن والسيسال وغيرها.



شكل رقم (٦)

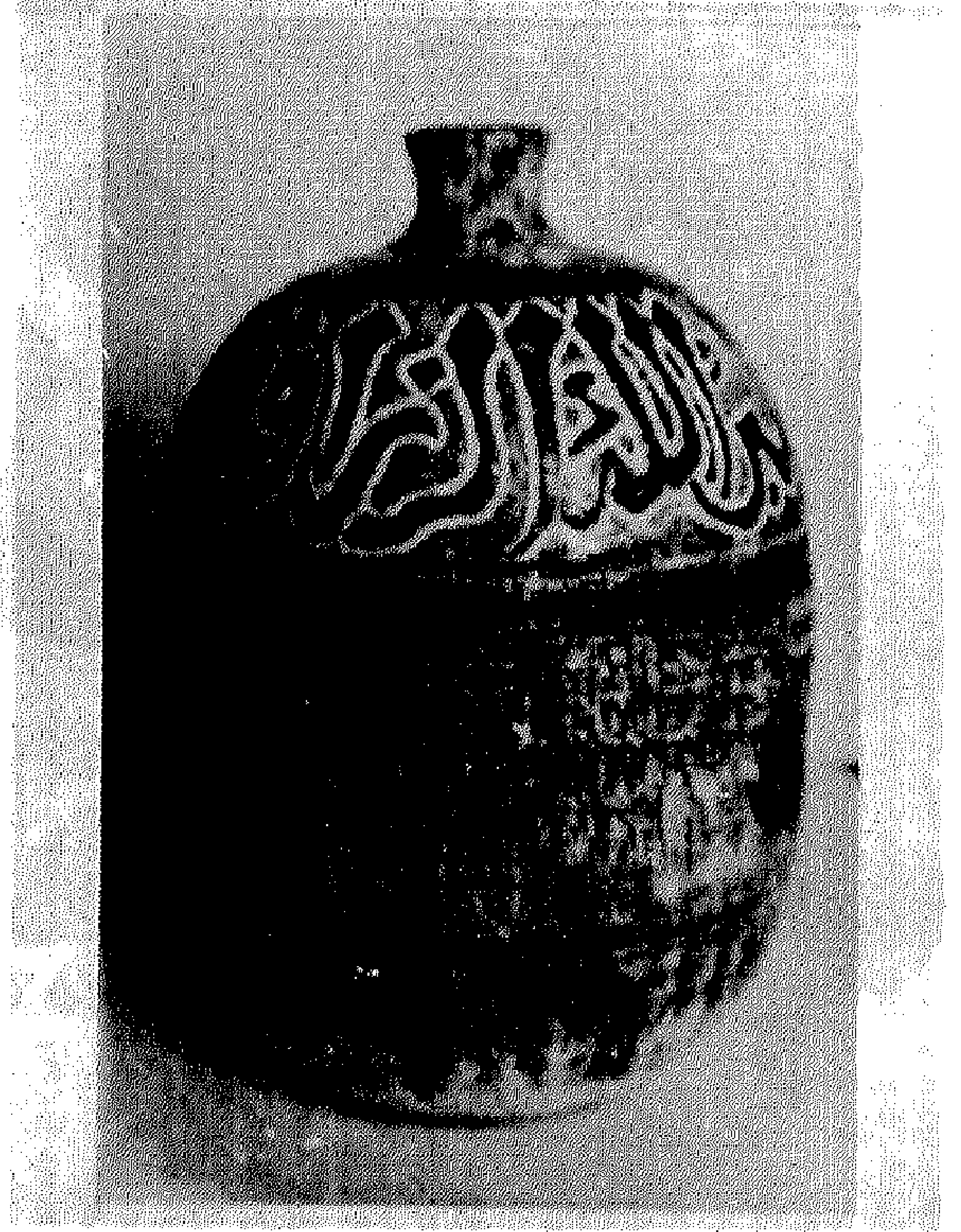
فن الخزف

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وخلقنا الانسان من صلصال كالفخار﴾، والصلصال هو هذه المادة ذات الخاصية المعروفة باللزابة التى نعرفها خطأ بالمرونة، فاللزابة غير المرونة التى يوصف بها المطاط فهى الحالة التى تتميز بها الطينة الصالحة للعمل فى الدولاب لتأخذ شكلا مطلوبا.

والطين عموما يتكون من مجموعة بلورات دقيقة، والكثير منها من الصغر بحيث لا يمكن رؤيته باستخدام أقوى عدسة لأى مجهر عادى، ومتوسط حجم هذه البلورات صغير جدا بحيث، إننا إذا وضعنا البلورة جانب الأخرى من نهايتها، فاننا نحتاج إلى ٥٠٫٠٠٠ بلورة لنحصل على طول بوصة واحدة، ويبلغ سمكها ١٠/١ من طولها وهى كالصفائح الدقيقة فى شكلها الخارجى فهى سداسية إلى حد كبير أو صغير وهى ذات أسطح منبسطة.

وتنزلق صفائح الطينة بعضها فوق بعض بينما يؤدى الماء وظيفة التشحين، وفن الخزف فنٌ قديم قدم الإنسان البدائى فكان يصنع من الطين أوانيه لحفظ حاجياته ومأكولاته، وفى الفسطاط ظهر خزافون فنانون أمثال مسلم وغيره برع منهم فى انتاج أوانى المياه [القلل] كما سبق فى الصورة رقم (١) وتستطيع أن تقرأ فى نقوشها العبارات التالية «من شرب سر» «من صبر قدر»، «عف تعاف».

وفى معرض أقامه الدكتور عمر عبد العزيز المدرس بكلية الفنون التطبيقية مستوحيا التراث الاسلامى كما فى شكل (٨)، (٩) مراعيا فى ذلك الأسس التقنية والفنية والابتكارية التى يقوم عليها التصميم الفنى مثل التنسيق والحركة والاتزان، يغلب عليه فن القطعة الواحدة للاقتناء.. ولكن التكنولوجيا الحديثة اضطرته إلى التحول إلى تحييد الزمن وابتكار فن يغلب عليه الانتاج الفنى الكمى، كما جاء فى الصورة رقم (١٠) التى توضح طقما للشاى لأحد الفنادق الحديثة، وهذا هو الاتجاه الذى يسود الآن فى العالم الثالث «فن يخدم الإنتاج الكمى على نطاق واسع».



شكل رقم (٩)



شكل رقم (٨)

الفن

بين التصــ

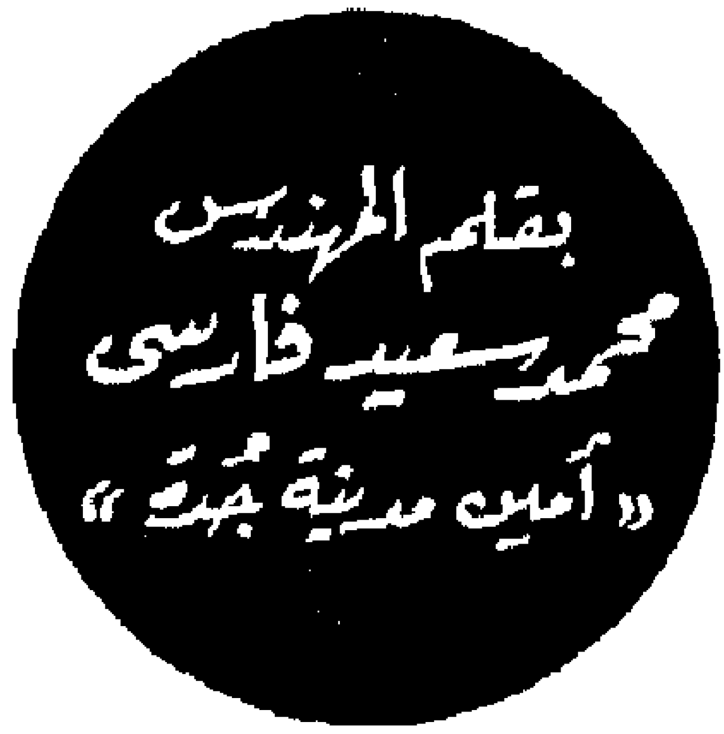


سألنى أخ فاضل عن بعض التشكيلات الجمالية التى تزخر بها الآن مدينة جدة.. وعن الهدف منها.. ومعناها.. وجدواها. وكانت إجابتى عليه مختصرة بما يسمح به الوقت أثناء المقابله.

وفى الحقيقة إن الإجابة الكاملة على السؤال لابد أن تشمل سردا لتاريخ الفن.. نشأته وتطوره.. ودور الثقافة العربية فيه وتأثير النظره الاسلامية عليه.. وهو موضوع (أو موضوعات) تحتاج الى التفرغ ساعات طويلة فى القراءة والمشاهدة. وقبل ذلك تحتاج الى الهواية والحب.

والفن - فى رأيى - هو نتاج لمعاناة الذات فى سبيل التعبير عن النفس وما يجول فيها من عواطف انسانيه هى الخوف والرهبة والحزن والألم والفرح والسعادة والحب والأمل.. وهو أيضا المحاولة الدائمة فى صناعة الأحلام وتحويلها إلى واقع.

ـــريح والتلميح



ولقد بدأ الفن تلقائيا فى حياة الإنسان . . عند لحظة صفاء بعد عناء الخوف والرهبة . . حين كان وحيدا فى كهف لا يسمع سوى نبضات قلبه يكاد يقفز من بين ضلوعه وأنفاس زوجه اللاهثة خلفه تحتمى به من الوحوش الرابضة فى الخارج تزمجر تحاول الوصول إليه والوثوب عليه ولكن تمنعها عنه ألسنة النيران . . حتى بزغ نور الشمس . . فولّت أدبارها . . بعدها أمسك بقطعة من الفحم ليرسم على جدران الكهف صورا لهذه الوحوش . . وأمله أن يقتلها أو أن يصطادها ليسيطر عليها ويقهرها .

تعلم الإنسان معنى الالوان حين نظر إلى السماء وتأمل فيها ليجد أن التربة السوداء تتحول إلى خضرة يانعة بما ينزل عليها من مطر هو الماء والحياة معا . . وتزدهر الخضرة بألوان الزهر هى الوان القوس الزاهى عبر السماء الرمادية الملبدة بالغيوم ورذاذ المطر . فبحث عن الالوان فى الجبال وصبغ بها وجهه وملابسه ورسم بها الزهور والطيور والأشجار .

كان الفن اللغة الأولى للإنسان حين رسم الحروف بيوتا وطيوراً وحيوانات وأفاعى وأشجاراً وأنهاراً . . ويومها بدأ التاريخ بما سجل عن حياته اليومية ليتذكره من يأتى بعده عند مماته وبما سجل من أحوال قومه وأمته فى حروبها وغزواتها . . وبما سجل من أخبار رحلاته وما جلب فيها من الغرائب وبما شاهد خلالها من العجائب .

● والفن كان الأداة . . لحياة الإنسان واستمرارها حين احتاج أن يدافع عن نفسه . . فنحت من الحجر الصوان سكاكين وحرابا وهراوات استخدمها ليقاوم بها ذوات الانياب والمخالب . . وحين نحت من الحجر القاسى

الفأس والمحراث ليزرع الارض ويستقر . . وحين بنى وعمر لنفسه ولاهله كوخا من الشجر والطين.

كان الفن هو الحافز الاول للفكر الإنسانى بعد أن زرع وارتاح واستقر . . ليحصد. فراقب النجوم والقمر تتبدل مواقعها وتتلألأ فى أفلاكها الثابته بالقبه الزرقاء ليتعلم منها الميقات والتوقيت . . تعلم معنى اليوم من دورة الليل والنهار ومن غروب الشمس وشروقها وتعلم من دورة القمر اختلاف الايام فى الشهر الذى يبدأ مع مولد الهلال عقب الغروب فى أول يوم وكيف يكبر حتى يكتمل بدرا فى اليوم الرابع عشر . . ثم اختفاء المحاق فى اليوم الاخير لتبدأ الدورة من جديد.

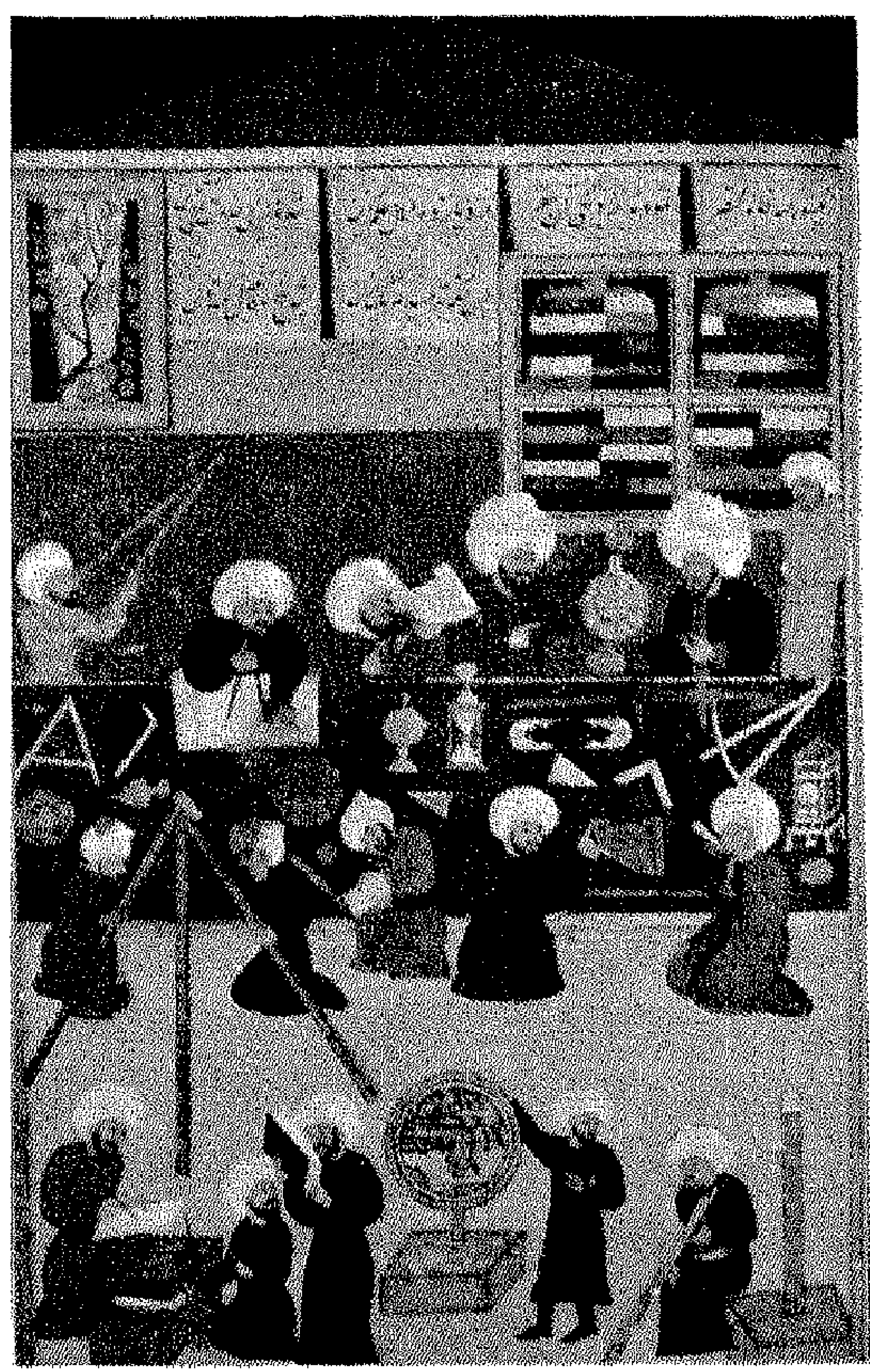
● وتعلم توالى الفصول من حرارة الشمس الحارقه فى الصيف ومن الليالى الباردة فى الشتاء ومن زمهرير الرياح فى الخريف ومن الوان الزهور فى الربيع فى دورة تتكرر كل سنة.

وكان الفن . . بالخيال المصدر الاول للعلم . . حين تأمل فى السماء ليرى النجم فيها نقطة على الصفحة الزرقاء السوداء . . وحين علم أن ما يصل بين نجمين (أو نقطتين) مستقيم وأن ما بين ثلاث نجوم مثلث تختلف زواياه باختلاف مواقع النجوم . . وأن قبة السماء دائرة تحيط به من كل جانب وهو فى مركزها على الارض المستوية وعرف أن الدائرة أو محيطها هو مدى بصره عند حد الافق البعيد . . يتسع كلما ارتقى . .

● بدأ الفن تعبيرا صريحا واضحا عن النفس فى



(١) ● بعدها أمسك بقطعه من الفحم ليرسم على جدران الكهف صورا لهذه الوحوش . . وأمله أن يقتلها أو أن يصطادها ليسيطر عليها ويقهرها.



(٤) ● كان الانسان (العربى) أول من عرف التجربة والقياس والتسجيل ليتحقق من مشاهداته وآرائه . . ثم يصيغها نظريات فى فنون العلم المختلفة بدءا بالرياضيات والفلك والطب والهندسة والعمارة والكيمياء . . ولم تزل حتى اليوم الأسماء (العربية) فى هذه العلوم بصمات ثابته تؤكد أصلها العربى.

لحظات الصفاء بعد العناء واستمر بالمحاكاة وسيلة للحياة ودعما لاستمرارها.. وتطور بالخيال الى خطوط وزوايا ودوائر هى أساس علم الهندسة وأساس تطور الإنسانية..

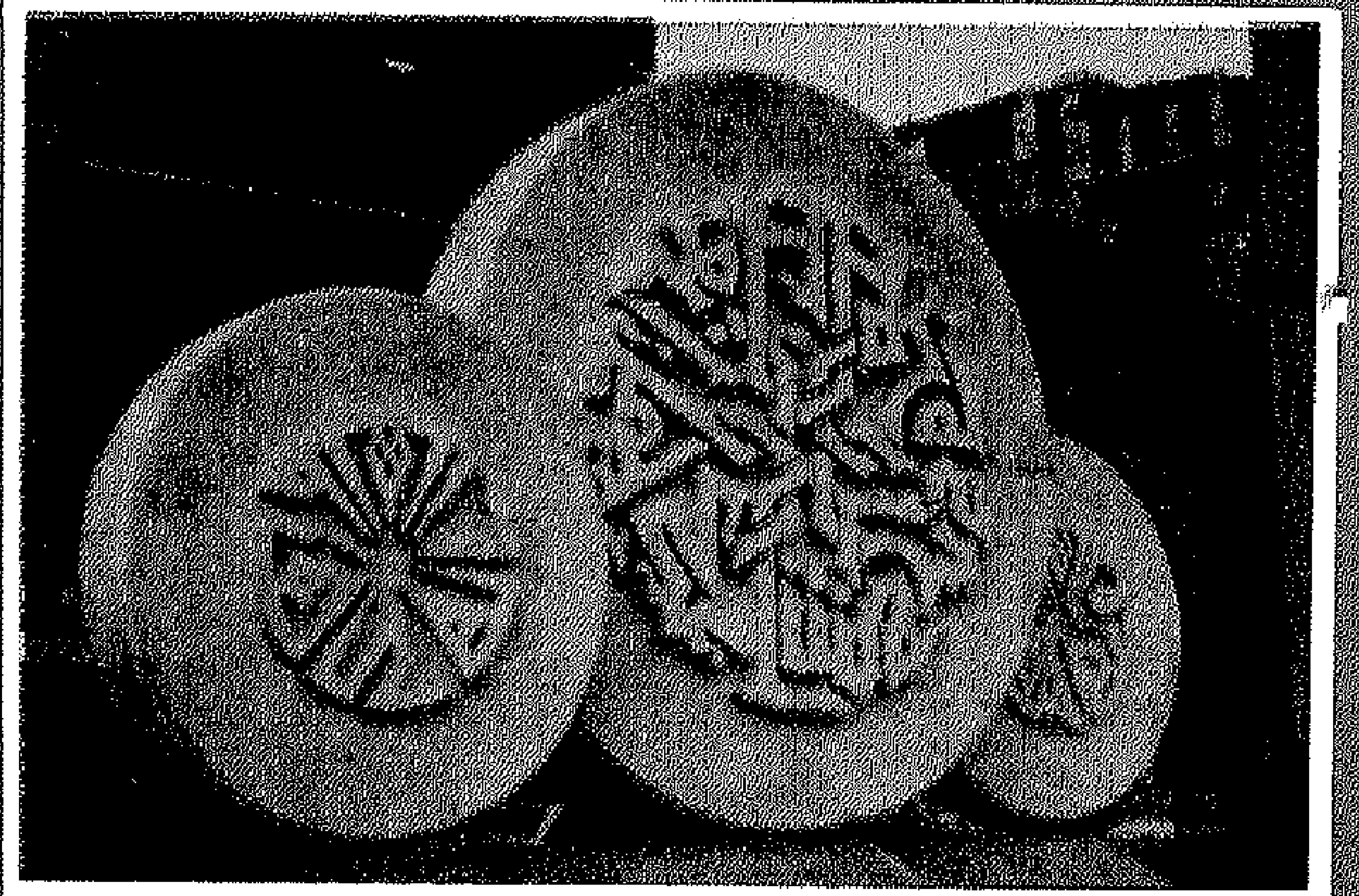


(٥)● وبزخارف الخطوط وأغصان الاشجار زين جدران المساجد.. وبالفسيفساء والرخام الملون والسيراميك المعشق.. هل أرضيات بيوت الله وجدرانها وواجهات مداخلها.. حتى أصبحت علامة مميزة فى تاريخ الفن العالمى تعرف بالفن العربى الاسلامى (أرابيسك).

كان *الانسان (العربى) قبل أن* يكون لهذا الإسم معنى أو دلالة أو تاريخ ساكناً قلب الجزيرة وجنوبها وشمالها وشرقها وغربها هو صانع الحضارة فى اليمن وحوض النهرين والشام وحوض النيل..

● وكان الإنسان (العربى) أول من كتب وأول من رسم وصور ولون وأول من بنى وعمر البيوت والقصور والحصون والمدن وأول من أحصى (بالحصى).. وكتب بالارقام وأوجد بينها العلاقات واخترع لها الحدود.. وأول من اهتدى بالنجم فى البر والبحر وأعطى للنجوم منازل وسماها.

كان *الإنسان (العربى) أول من* عرف التجربه والقياس والتسجيل ليتحقق من مشاهداته وآرائه.. ثم يصيغها نظريات فى فنون العلم المختلفة بدءا بالرياضيات والفلك والطب والهندسة والعمارة والكيمياء.. ولم تزل حتى اليوم الاسماء (العربية) فى هذه العلوم بصمات ثابتة تؤكد أصلها العربى.



(٦)● فى البدء كان الخط العربى.. آيات بينات من القرآن الكريم على لوحات من الرخام الأبيض تزين برحات الشوارع الجديدة فى المدينة الحديثة..

عرف *(العرب) فى مصر والشام* وبابل وسبأ ومعين فلسفة العمارة (أم الفنون) من معانى الزوايا والمثلثات والمربعات والمكعبات فبنوا القصور والحصون والاهرامات والسدود والهياكل والاسوار.

عرف (العرب) معنى الجمال بالإحساس المرهف والقيم العالية فى الشرف والعفة والطهارة والشرعية والجمال فى الاحساس بالقوة وفى النبل والشهامة والفروسية والنجدة والعصبية كما عرفوا الجمال فى كمال خلق الله وبالاسلام والتسليم . . للواحد العظيم .

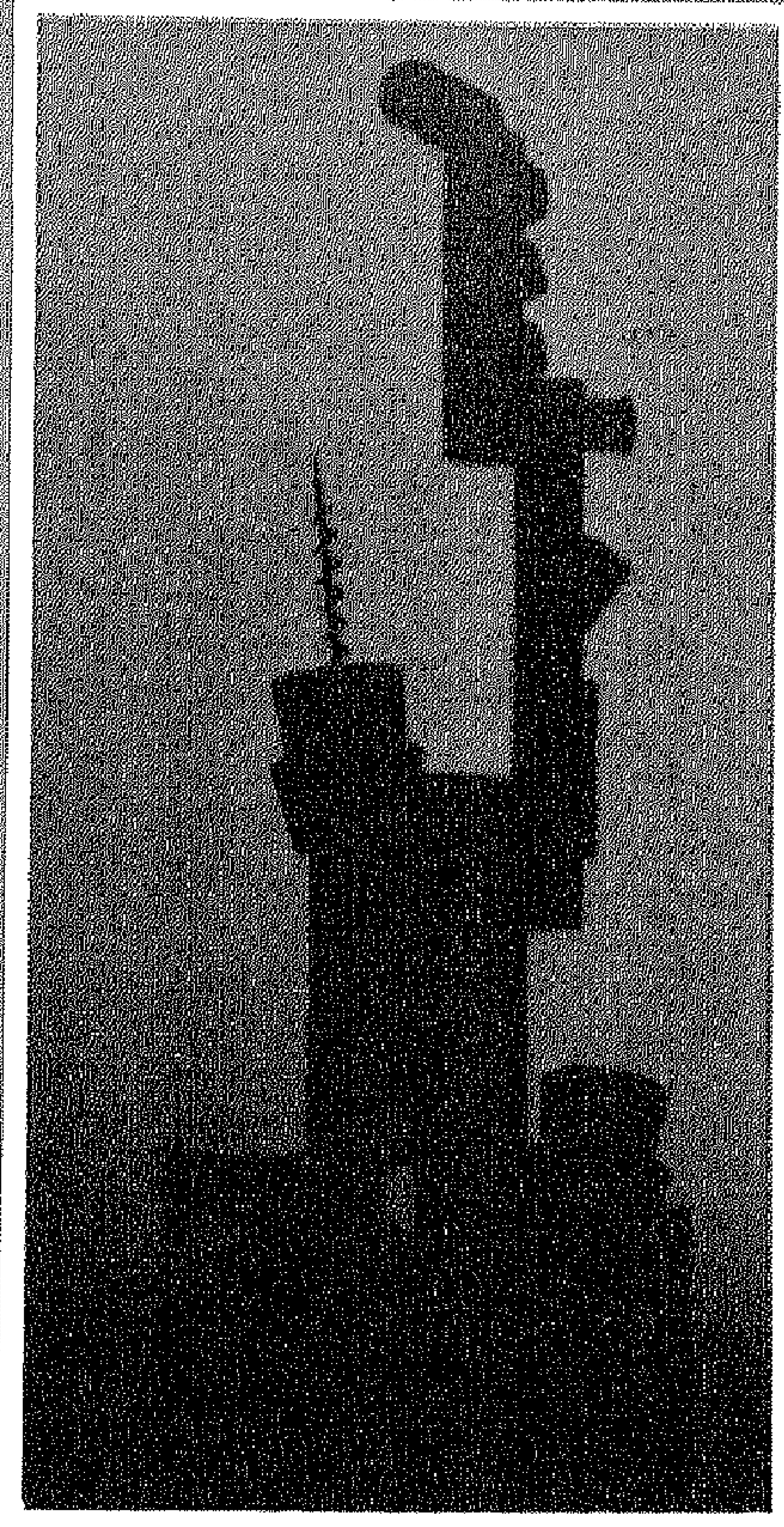
● هكذا أصبح الفن بالإسلام أرقى وأشرف ما ينتج عن النفس بعيدا عن كل ما من شأنه تدنيس الروح . .

أصبح الفنان المسلم يختار موضوعات عطائه فى كلمات الله يصوغها مصاحف منسوخة بخط اليد مدادها صفاء روحه وإيمانه . . وبزخارف الخطوط وأغصان الأشجار زين جدران المساجد . . وبالفسيفساء والرخام الملون والسيراميك المعشق . . جمل أرضيات بيوت الله وجدرانها وواجهات مداخلها . . حتى أصبحت علامة مميزة فى تاريخ الفن العالمى تعرف بالفن العربى الاسلامى (أرابيسك) .

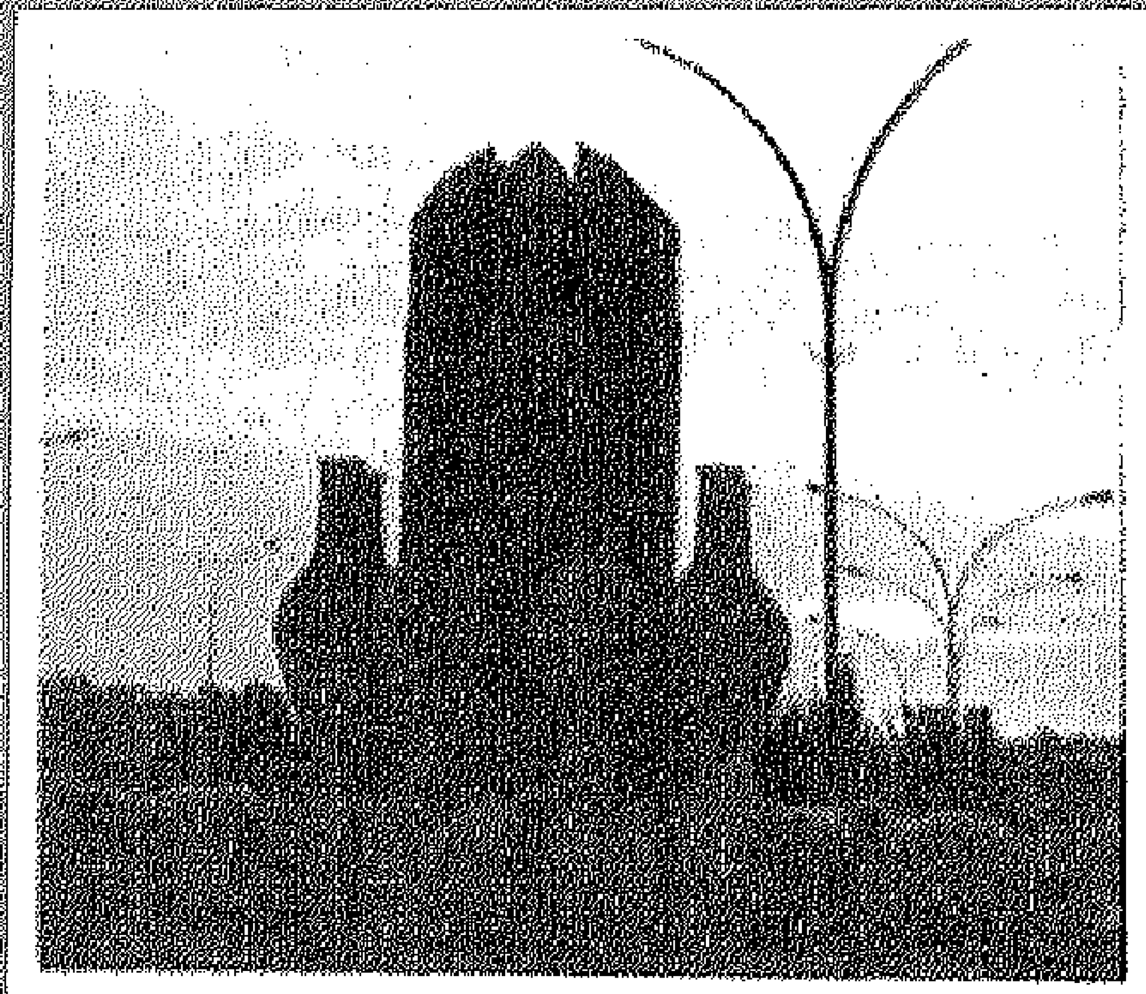
● **هكذا** كان الفن . . وهكذا تطور . . وذلك كان تأثيرنا فيه وتأثرنا به . . ليكون الفن الاسلامى فى النهاية هو الوعاء الحضارى الذى امتزجت فيه علوم ومعارف وفنون الثقافات المتجاورة التى صهرها الاسلام ووحد قلوبها وصفوفها .

● ومن هنا *كانت نظرتنا واختيارنا للتشكيلات الجمالية فى مدينة جدة .*

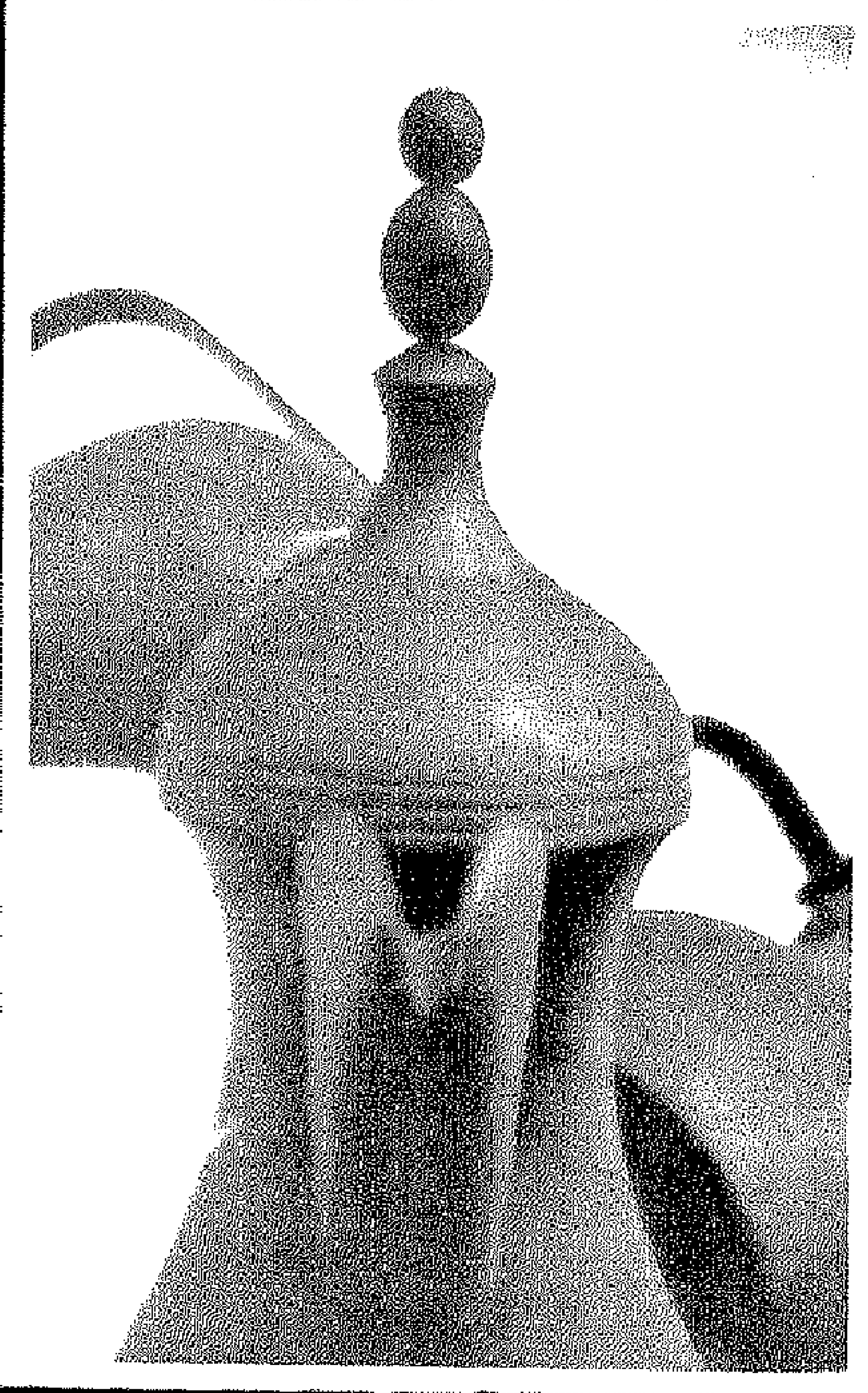
فى *البدء كان الخط العربى . . آيات بينات من القران الكريم على لوحات من الرخام الأبيض تزين برحات الشوارع الجديدة فى*

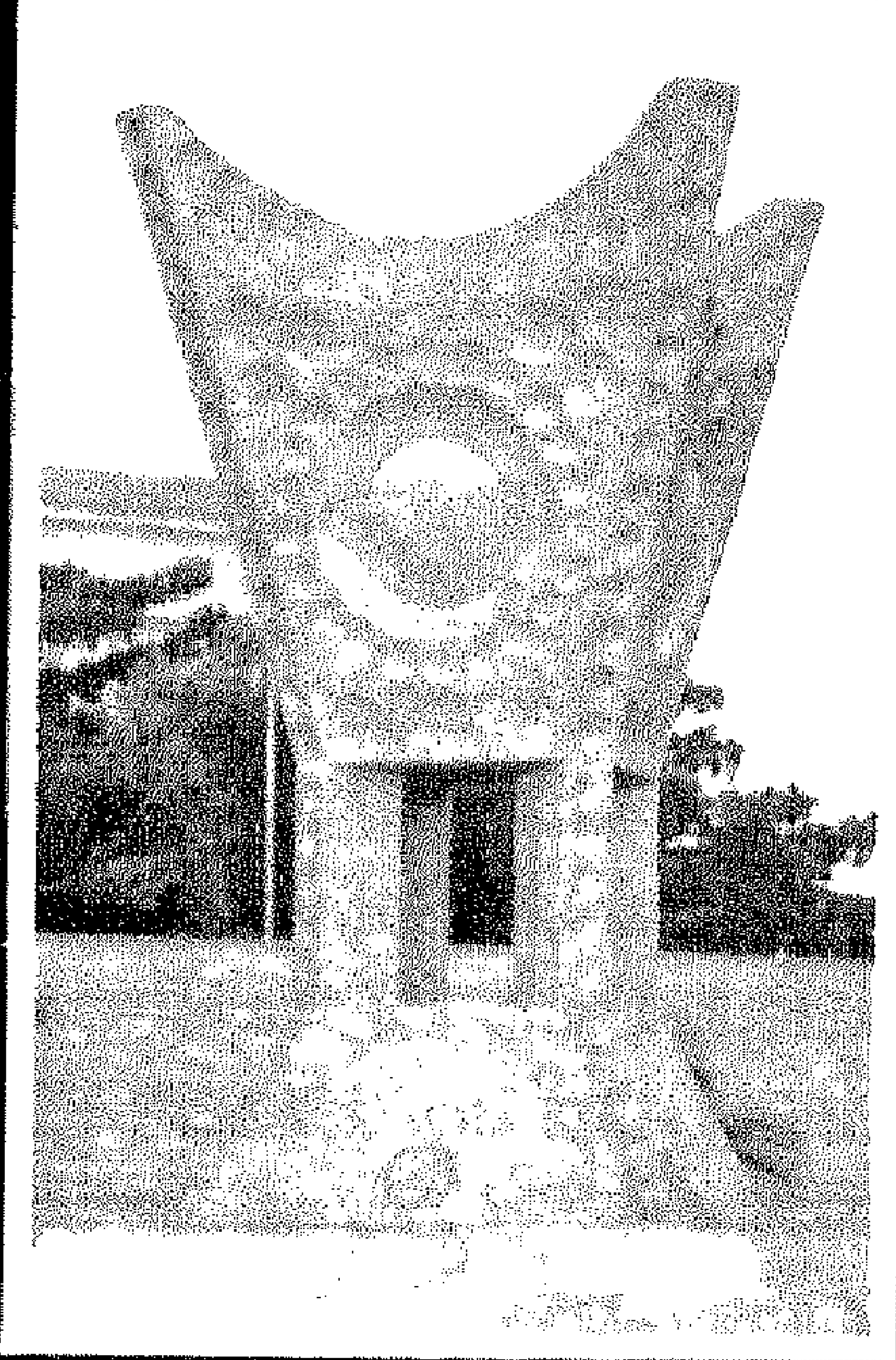


● ثم كانت (الكنداسة) أول محطة لتحلية المياه . . وبها كانت جدة من أوائل المدن التى تعتمد على مياه البحر فى الشرب . . ومن بقاياها صاغ الفنان تشكيلات فيها ثبات البناء على قاعدة عريضة وتتوالى من فوقها أجزاء البناء عالية فى السماء



● والمرحله الثانية كانت استخدام رموز محلية حبيبة إلى النفس فى تشكيلات جمالية للنوافير والميادين والحدائق فكانت شربة الماء وحدة التكوين فى نافورة الشراب . .



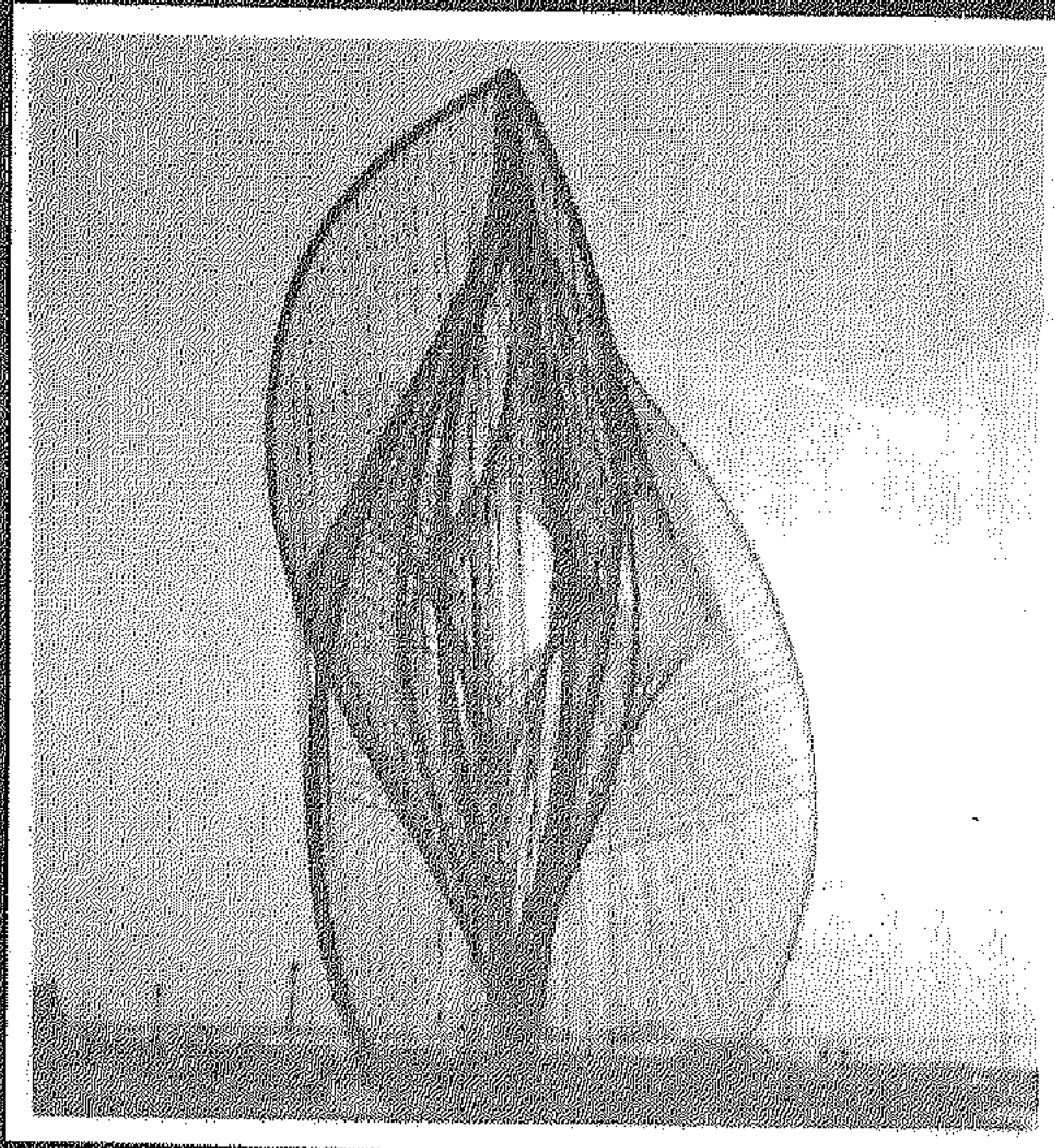


المدينة الحديثة . . وبعدها كانت أشرعة المراكب تلتف حول سارية واحدة . . فيها من القديم الأشرعة . . وفيها من الحديث التشكيل الرمزى . . ثم كانت (الكنداسة) أول محطه لتحلية المياه . . وبها كانت جدة من أوائل المدن التى تعتمد على مياه البحر فى الشرب . . ومن بقاياها صاغ الفنان تشكيلات فيها ثبات البناء على قاعدة عريضه وتتوالى من فوقها أجزاء البناء عالية فى السماء .

والمرحلة الثانية كانت استخدام رموز محلية حبيبه الى النفس فى تشكيلات جمالية للنوافير والميادين والحدائق كانت شربة الماء وحدة التكوين فى نافورة الشراب . . بعدها كانت الدلة والمبخرة رمز الجود والكرم العربى حين يستقبل ضيوفه بطيب العود يعبق جو المجلس من المبخرة . . والدلة تدور بالقهوة العربية رمزا للترحيب والمودة . . وكان الاختيار لهما أمام قصر الضيافة . . وكذلك كان استخدام السنابيك والزوارق والصواريخ والمواسير علامات للمواقع بأسلوب مباشر واضح وصريح ولكن بتشكيل جميل ترتاح له العين ولا تخطئه عندما تعبر بالموقع .

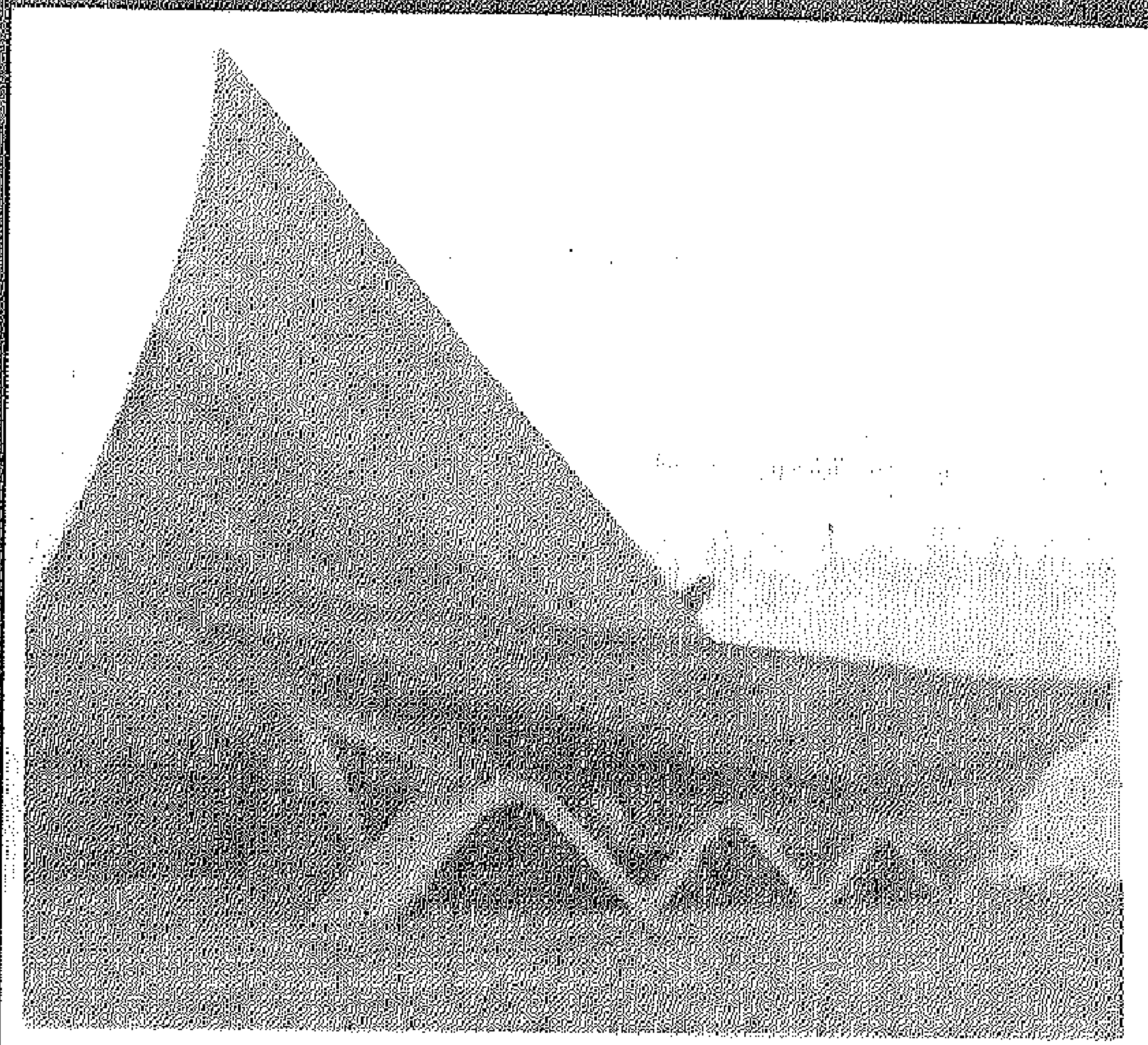
وكانت المرحلة الثالثة . . مزيج من الموضوع والرمز وبذلك ظهرت فى ميادين جدة . . وكورنيشها آيات بينات من القرآن الكريم على قواعد تشكيلات السنابل السبعة النحاسية وتشكيلات الحديد . . والقلم والخط العربى .

وكانت المرحلة الرابعة . . هى المرحلة الرمزية التى تحتاج الى أعمال الفكر والخيال معا لتفهم موضوع التشكيل ومعناه . . ومنها تشكيلات الهلال ودورته والهلال والذرة وأيام الشهر

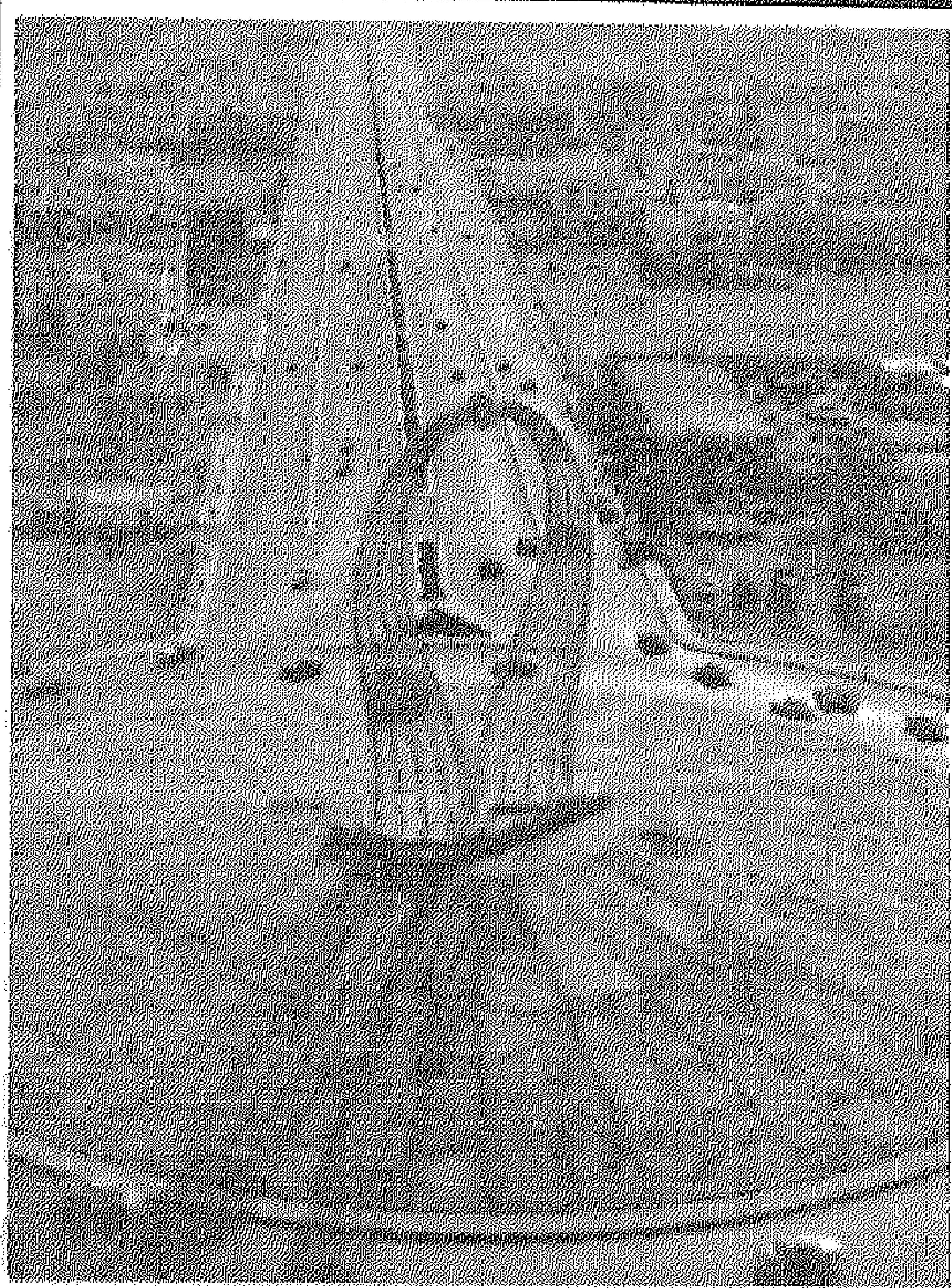


● الفن بين التوضيح والتلميح . قضية الشاعر والأديب والرسام والمعماري . وهي قضية الجمال المستتر بين السطور أو خلف الحجاب في القصة أو الرواية . أو التشكيل الجمالي

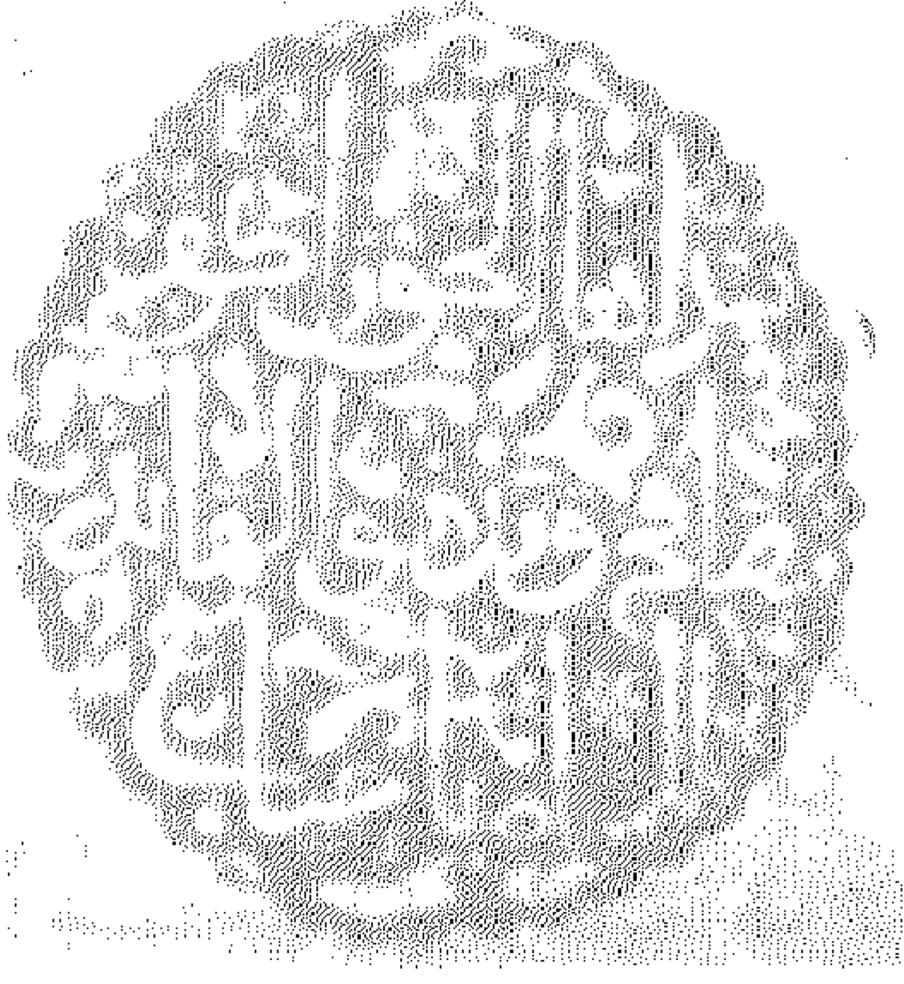
العـربي والنخيل والشمس والعمر والزمن والمزوله والاسطرلاب . . وفي هذا التشكيل ـ مثلا ـ توضيح كيف اهتـدى العـربي بالنجم وبـالهلال . . وكيف تطـورت المعارف الاسلامية فاستخدم الاسطرلاب كوسيلة لخوض البحار واقتحام المجهول بلا خوف لانـه يستطيـع تحديـد موقعـه بواسطـة هذه الدائرة المستوية التي رسمت عليها مواقع النجوم وانحناءات الأفق بزوايـا ثابتـة فلا يضيع من يجيد استخدامها وكان العرب خير من استعملها وسادوا بها البحار الشرقية .

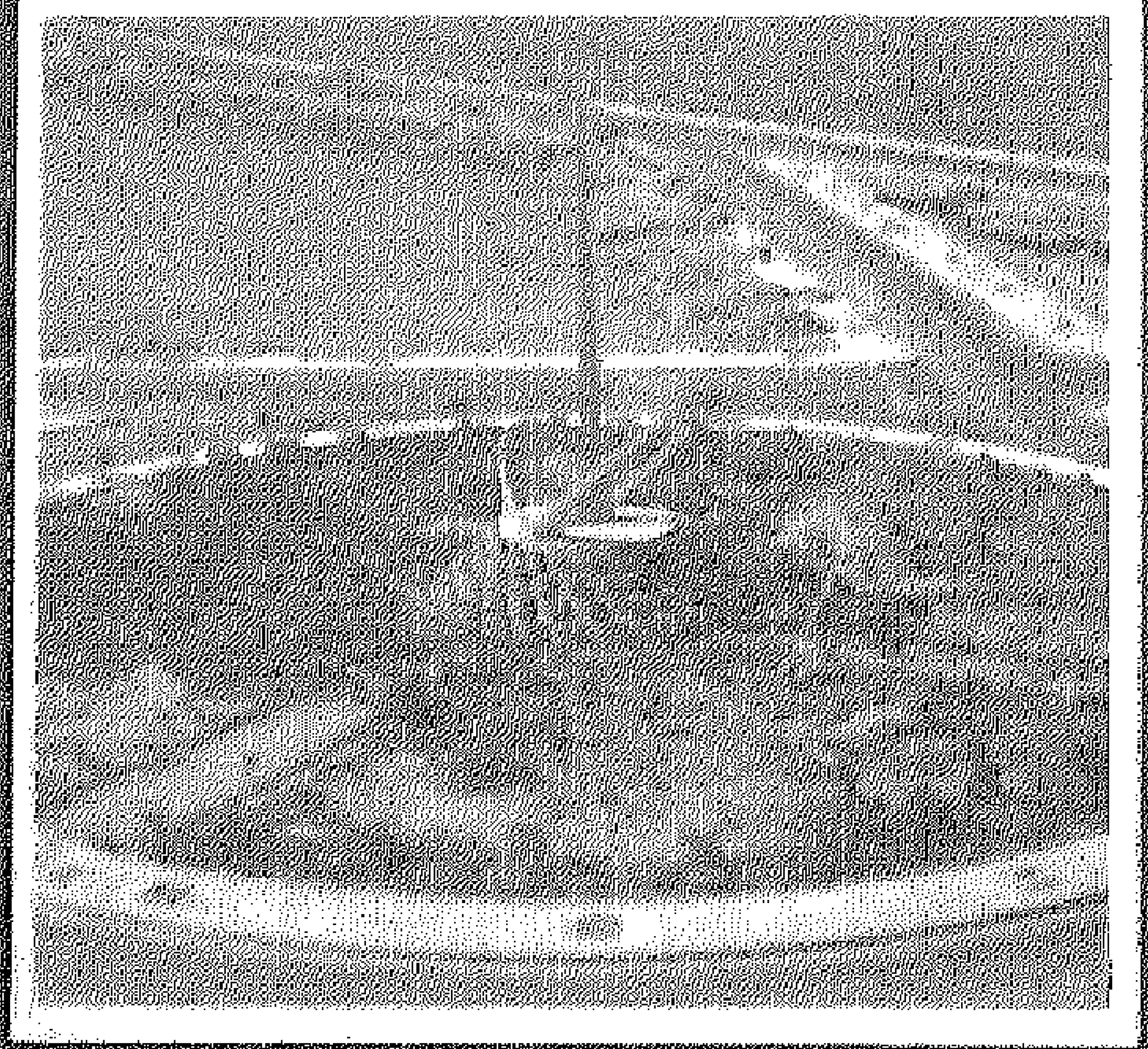


● وبعدها كانت أشرعة المراكب وكذلك كان استخدام السنابك .

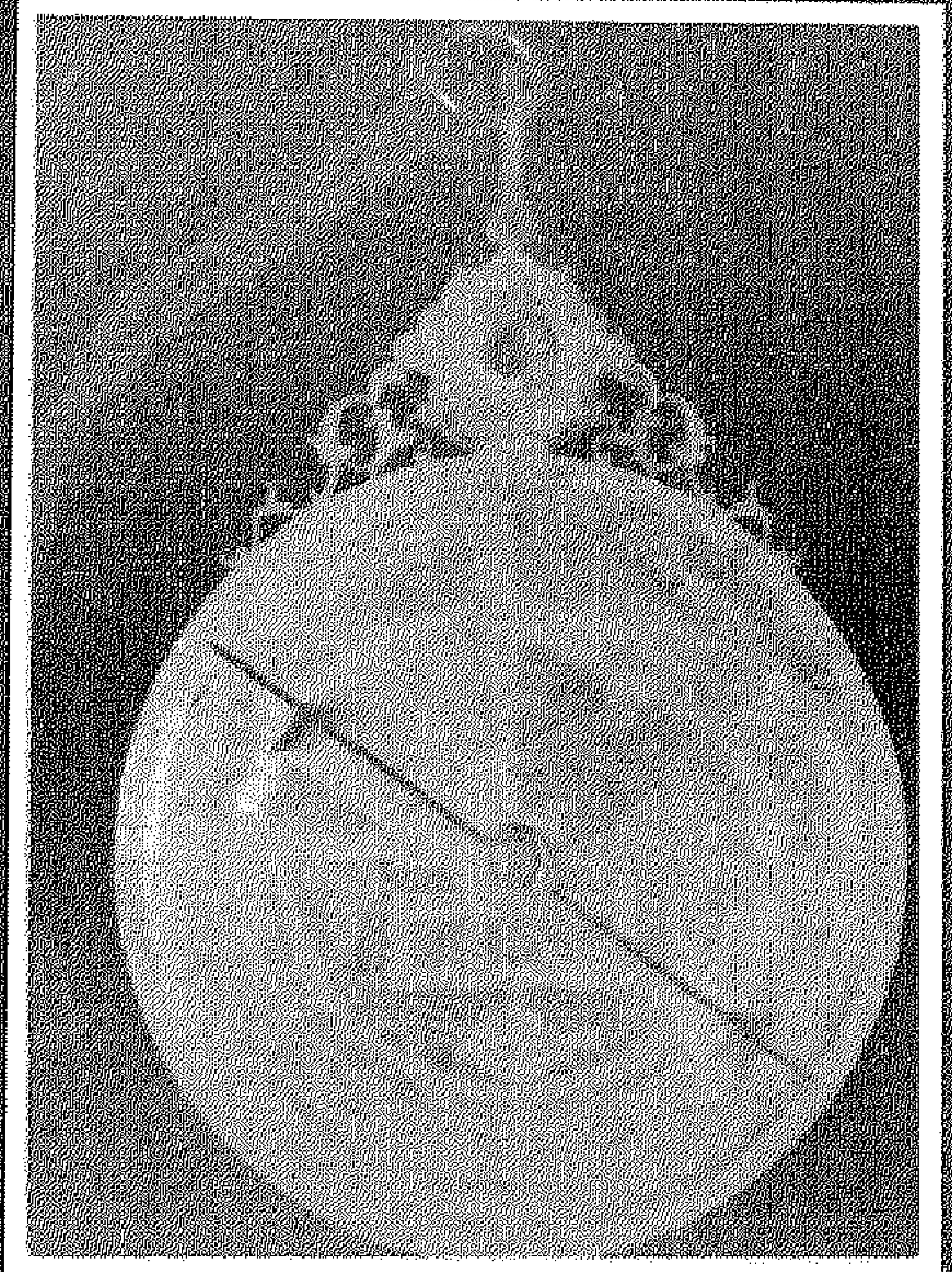


● ونتعلم من دورة القمر اختلاف الأيام في الشهر الذي يبدأ مع مولد الهلال عقب الغروب في أول يوم وكيف يكبر حتى يكتمل بدراً في اليوم الرابع عشر ثم اختفاء المحاق في اليوم الأخير ليبدأ الدورة من جديد .

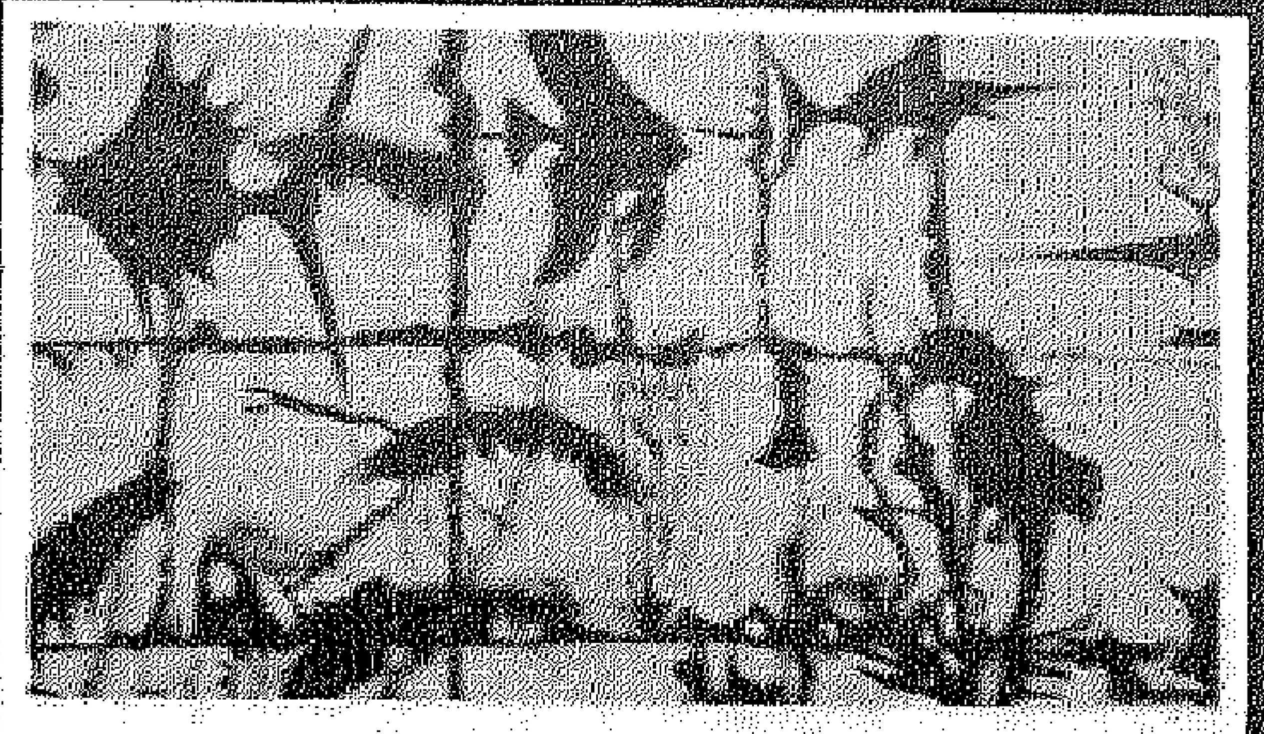




● والمزولــة



● والاسطــرلاب



● مزيج من الموضوع والرمز

وكانت المرحلة الاخيرة هي المرحلة العالمية . . حين تم اختيار أكبر الأسماء العالمية في التشكيل الفني الجميل لتقديم نماذج من أعمالهم في متحف مفتوح للدارسين والهواة . . ولمن أراد أن يطلع على تجارب فريده في الفن . .

ومنها مثلا نماذج أعمال فاساريللي . . وهو فنان فرنسي قضى من عمره أكثر من أربعين سنة يبحث عن العلاقة بين اللون ودرجاته والشكل المستدير أو المربع أو المكعب . . وكيف تستطيع العين تحويل اللون الى شكل رغم أن السطح الملون مستوٍ لا تشكيل فيه .

ومنها أيضا أعمال هنري مور ـ الباحث الدائم عن العلاقه بين الكتلة الملساء والفراغ وهو البحث القديم الجديد دائما والذي بنيت على أساسه الاهرامات وحددت وجودها وأحجامها . . وهي أيضا العلاقة التي استوحى منها نيوتن قوانين السكون والحركة والكتلة وهو البحث الدائم لكل عمارة جديدة يحاول المصمم فيها إيجاد التوازن بين الكتلة والفراغ المحيط بها أو الفراغات داخلها .

الفن بين التوضيح والتلميح . . قضية الشاعر والاديب والرسام والمعماري . .

وهي قضية الجمال المستتر بين السطور أو خلف الحجاب في القصة أو الرواية . . أو التشكيل الجمالي .

المدن جماليات

المقدمـــــة

المـدن لوحـة مزدانة ملموسة مشاهدة تنبىء عن الواقع الحضـارى لأمـة ما . . فاذا قُدِّر وكـانت هذه المدن ضمن مساحة جغرافية لها تاريخها ونبضها وأصالتها وأثرها وتأثيرها فإنه لا محالة أن تتزواج كل هذه المعطيات وتتمازج فى عطاء فريـد له روحـه وفعله وهـزجـه . . ومن هنا كانت المملكة العربية السعودية ولله الحمد . . ومن هنا كانت تلك المساحة الطـاهـرة التى ضمت كل ذلك السخاء وافرزت كل ذلك الشـذى والعبير . . والاصالة فى ارضها وعلى أديمها صنواً لهذه النهضة ورديفاً لها لا محالة . . والتطور رفيق مقيم ثابت رواه الاخـلاص ودافعـه المـواطنـة . . وعمليـة الجـمال واستخـدامـاته ومنحه للناس عامة . وضع مدن المملكة فى اطار هذه الابعاد من الناحية الجمالية على الاقل وبتنا نشاهد المجسـمات الجمالية المتعددة الأشكال والمنسقة يستريح اليها القـاصى والدانى وتبعث فى نفس كل مواطن عذوبة ذات طابع خاص وحلاوة ذات مذاق خاص . .

كيف لا وهى مشتقة من الطبيعة ومجسمة للواقع . .

كيف لا وهى مشتقة من مصادر العقيدة . . منحوتة من تاريخ هذه المساحة الجغرافية . . مجسمة لعادات شعبها وتقاليدهم .

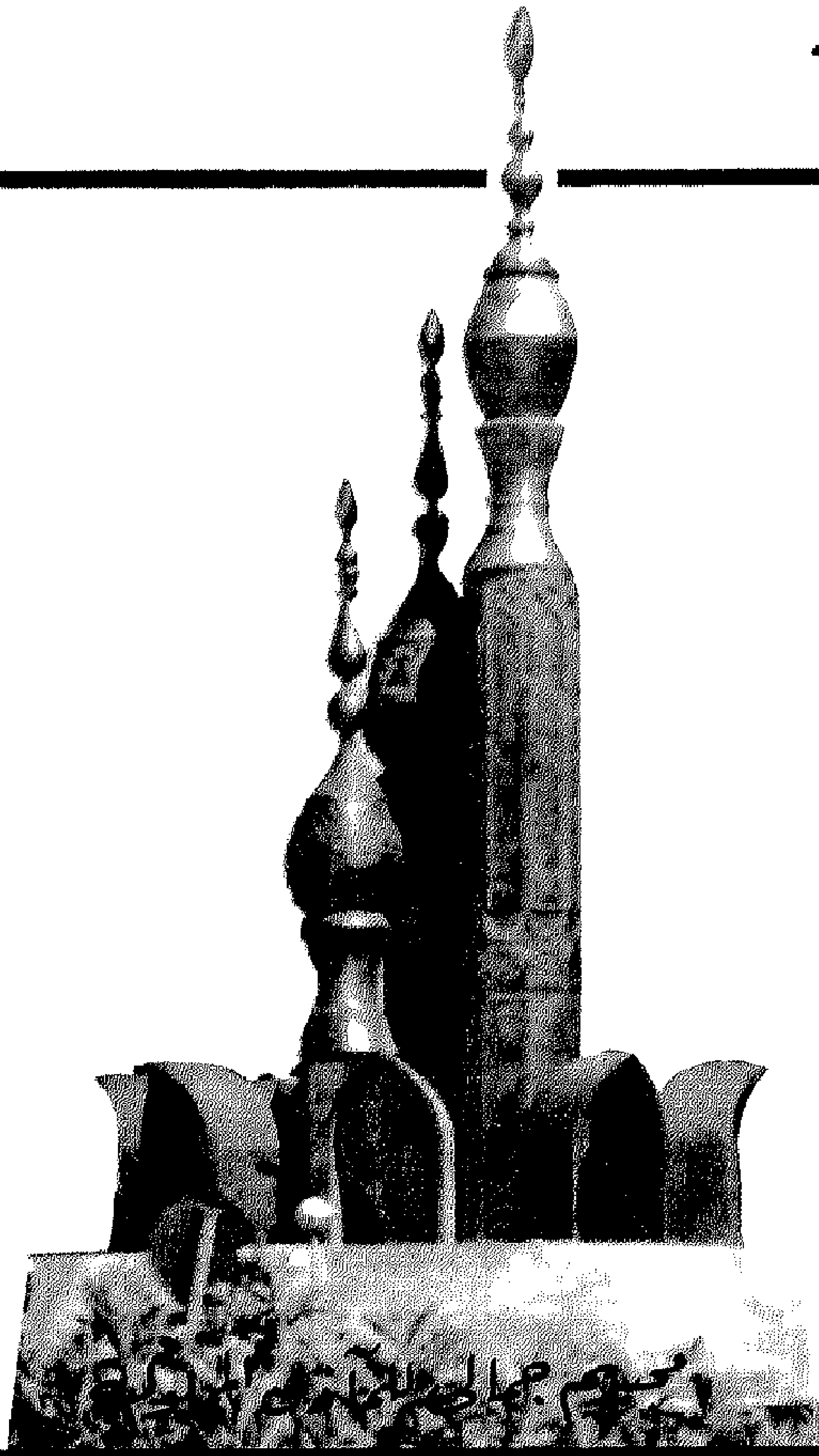
قرآن كريم ـ أحـاديث نبـوية ـ أمثال وحكم ـ مساجد ومنائر ـ دلال ومجامر ـ نثر وشعر ـ أشكال هندسية ومدنية .

وأشباه لها ونظائر لا تعد كلها تتدفق فى جداول لا نهائية بداياتها ونهاياتها هذا الوطن الكبير بمحتواه العريق . . ولعل هذه النـماذج المصورة من جماليات بعض مدننا البارزه تُبرز الدليل وتمهد السبيل .

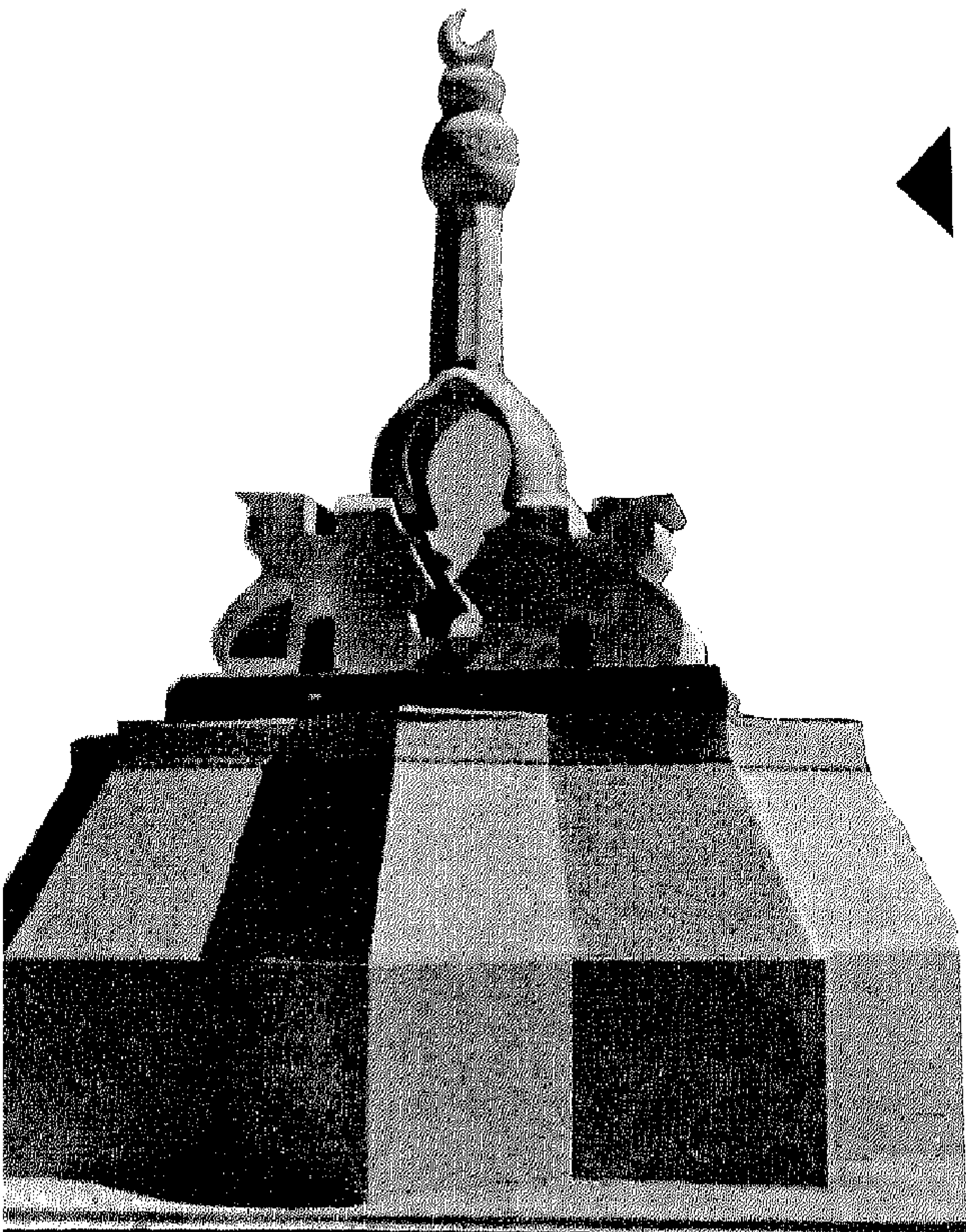
جُـــــدّة

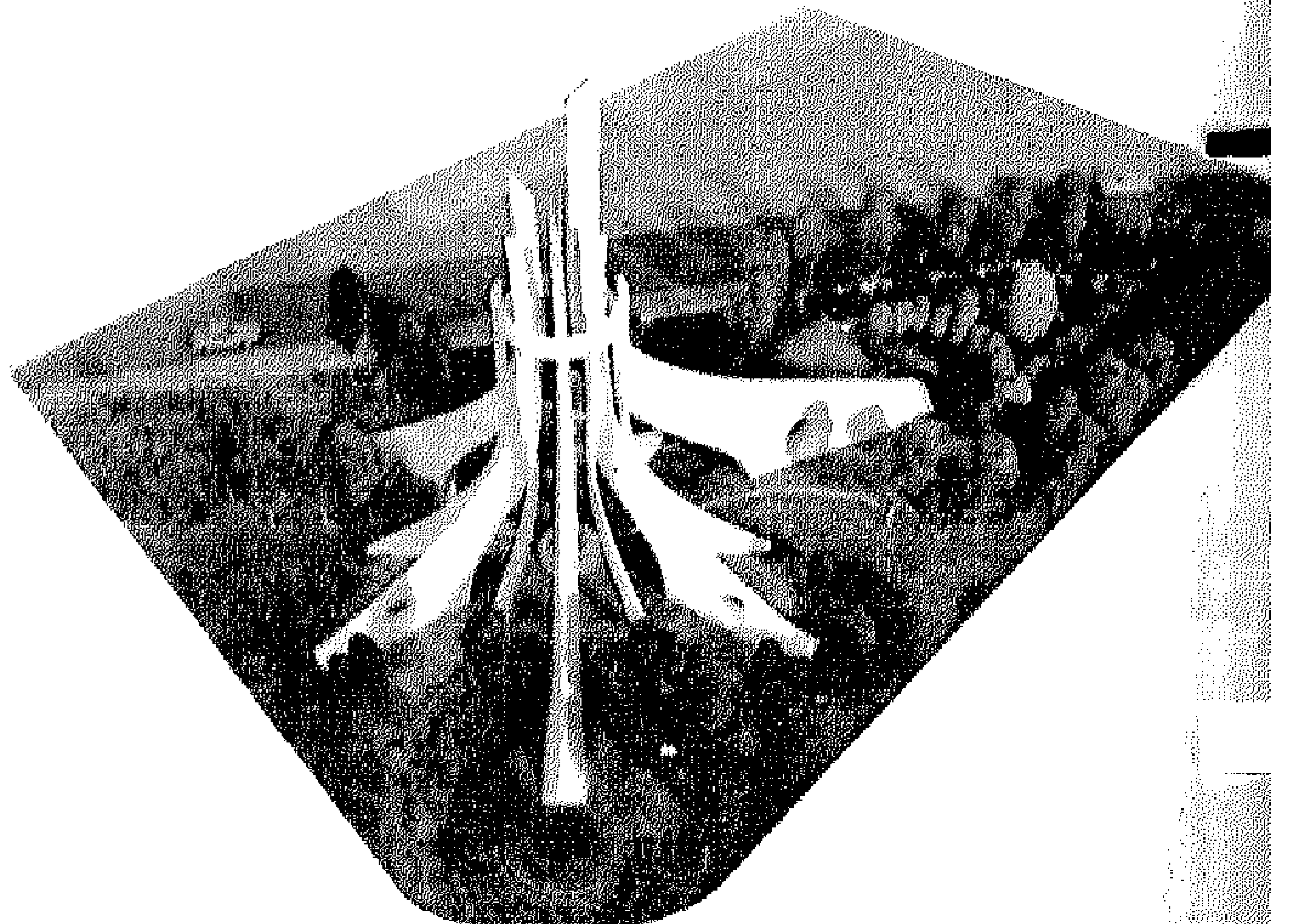
مجسم جمالى للمـــآذن المملوكية

□□ ثــلاث مآذن من النحــاس المنقــوش بالزخــارف الاسلاميــة العريقة التراث .. ترتفــع الآن فى ميدان « البيعة » بجدة لأكثــر من خمســة وعشرين مترا فوق قاعدة رخامية قطرها عشرة امتار تحليهــا مقرنصــات نحاسيــة ، ويبلــغ قطــر المئذنة النحاسية مترين .
المجســم من الطابــع المعمارى المملوكى القديم وهو من تصميــم الفنــان المصرى المعــروف صلاح عبد الكريم وقام بتنفيذه عدد من المهندســين المصريين الذين اختــيروا لذلك ضمن العملية التى نفذتها شركة وطنية .
ويجرى حاليا تشطيب القاعدة الرخامية على نظام « الابلق » المعمول به فى بنــاء طراز الحوائــط والعقــود فى المساجــد الاسلاميــة القديمــة ، وسيتــم دهــان النحــاس بمادة عازلة لحفظ لونهــا وحمايتها من تأثير العوامل الجوية .
بهذا ينضم هذا المجسم الرائــع التكويــن الى مجموعــة المجسمــات النادرة والرائعــة التــى تزين شوارع وميادين جدة لتزيد من جمال العروس التى يضاف اليها فى كل يوم لون من الــوان الجمــال والتحديث .



مجسم جمالى لمسجد يزين شارع الدوادمى العام .



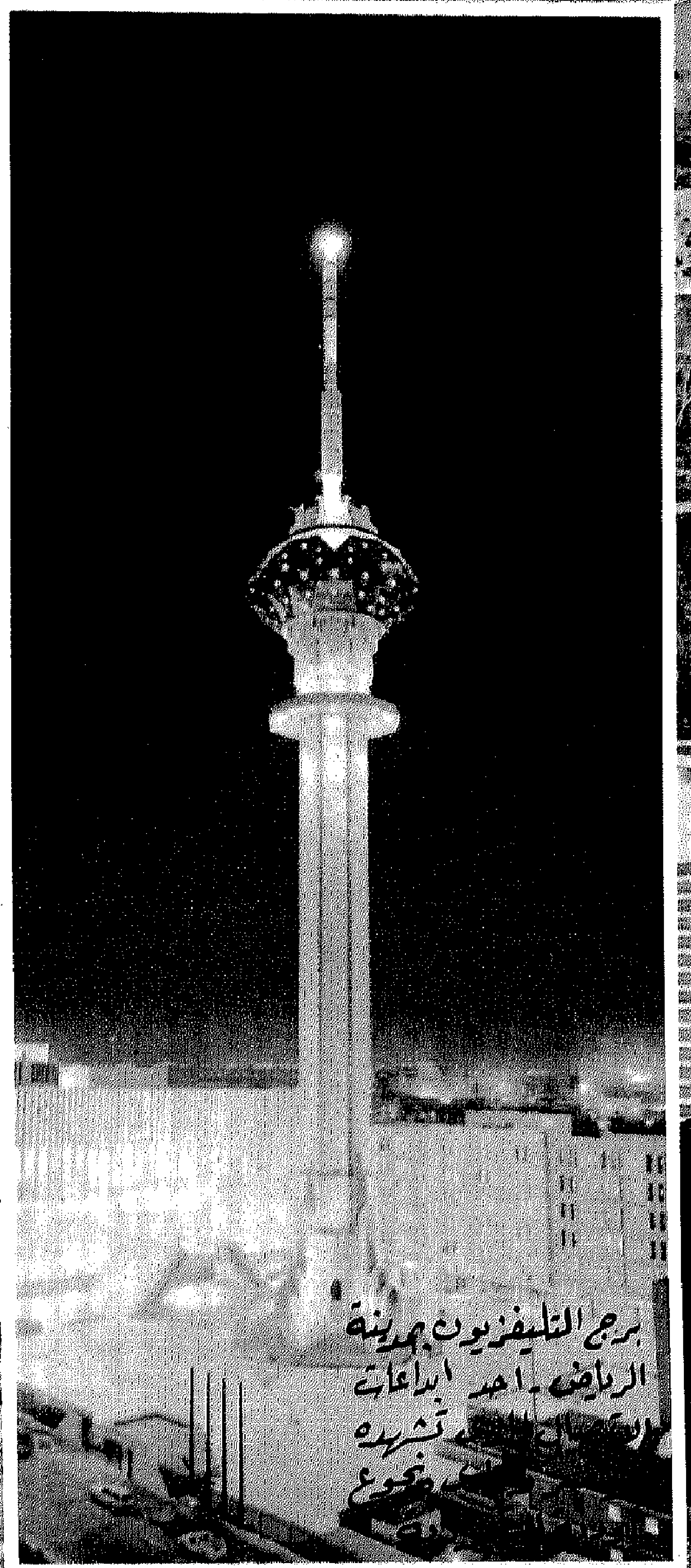


الرياض

● منظر جمالي عام لحديقة «أبو مخروق» بمدينة الرياض (العاصمة)

وفرت امانة مدينة الرياض (العاصمة) الكثير من

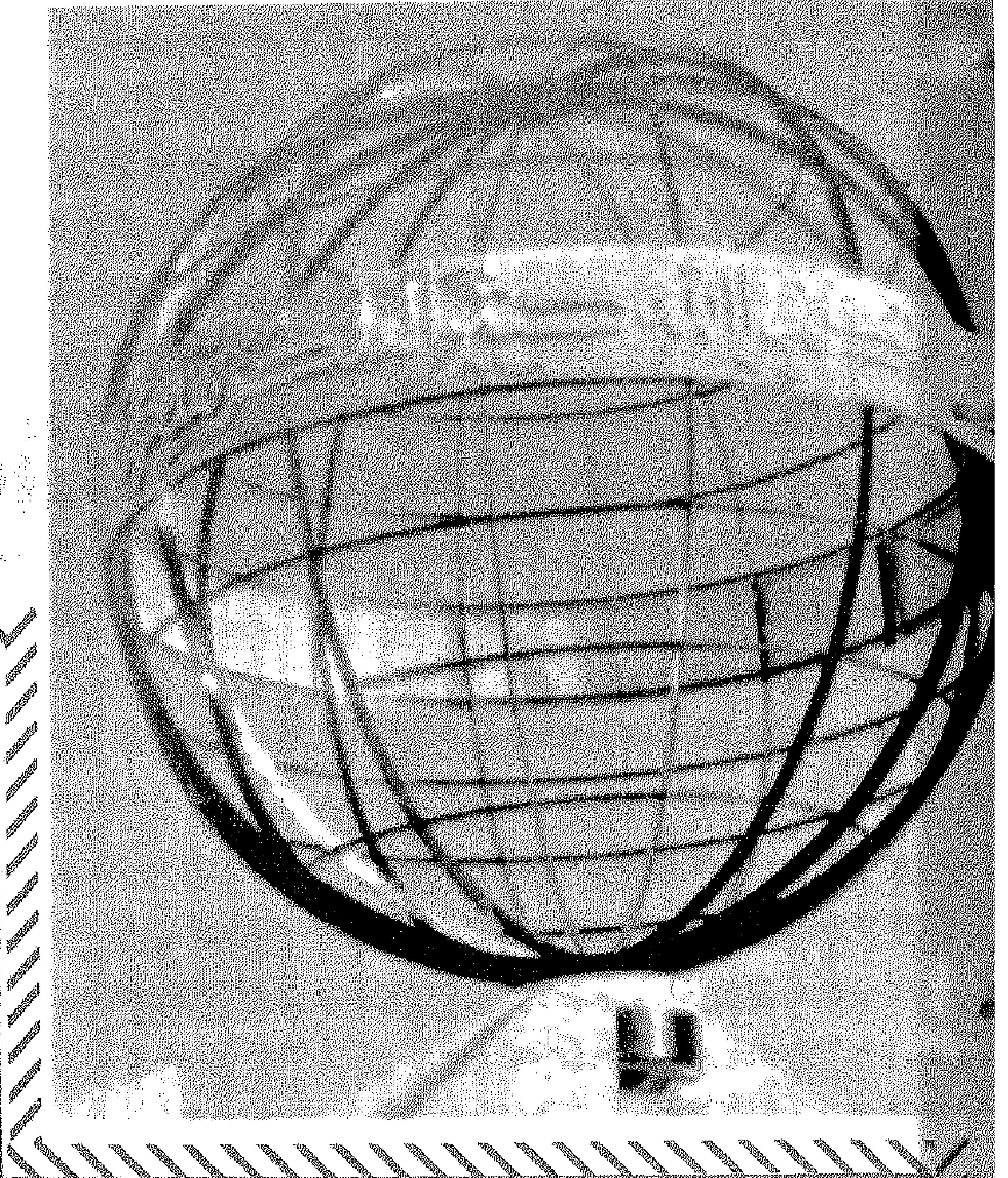
[illegible]

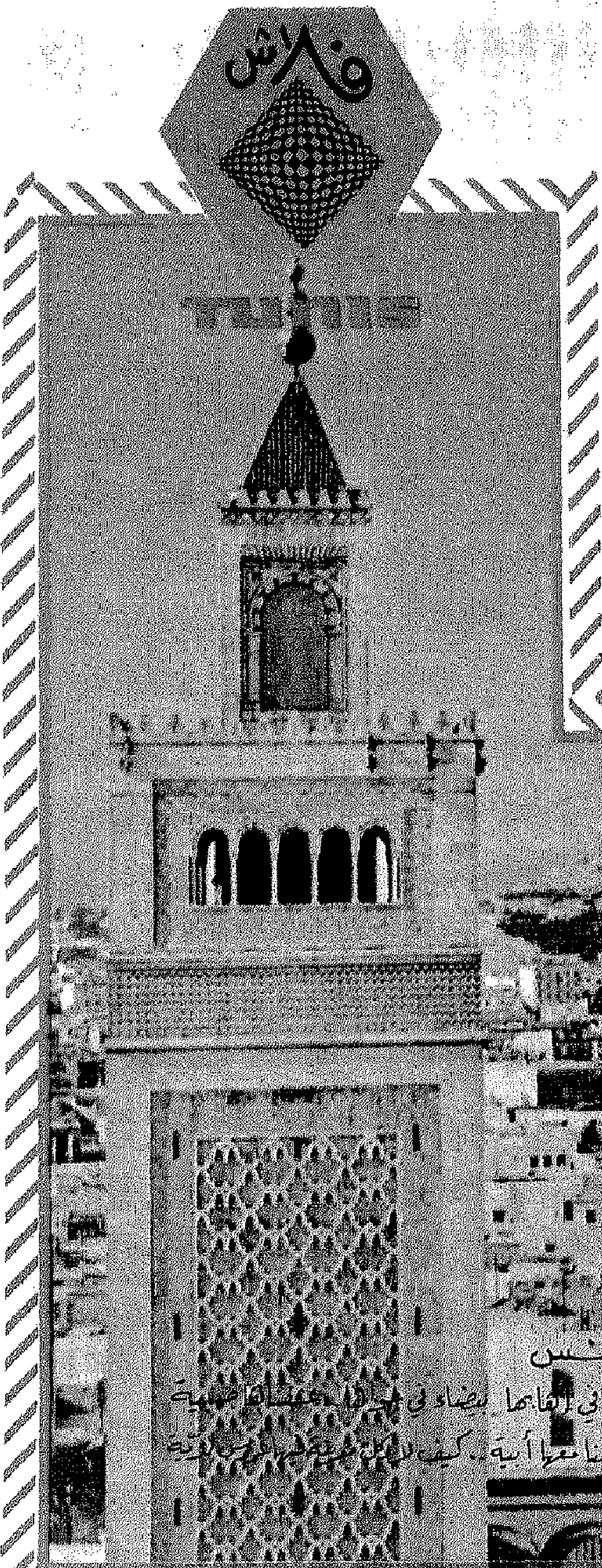


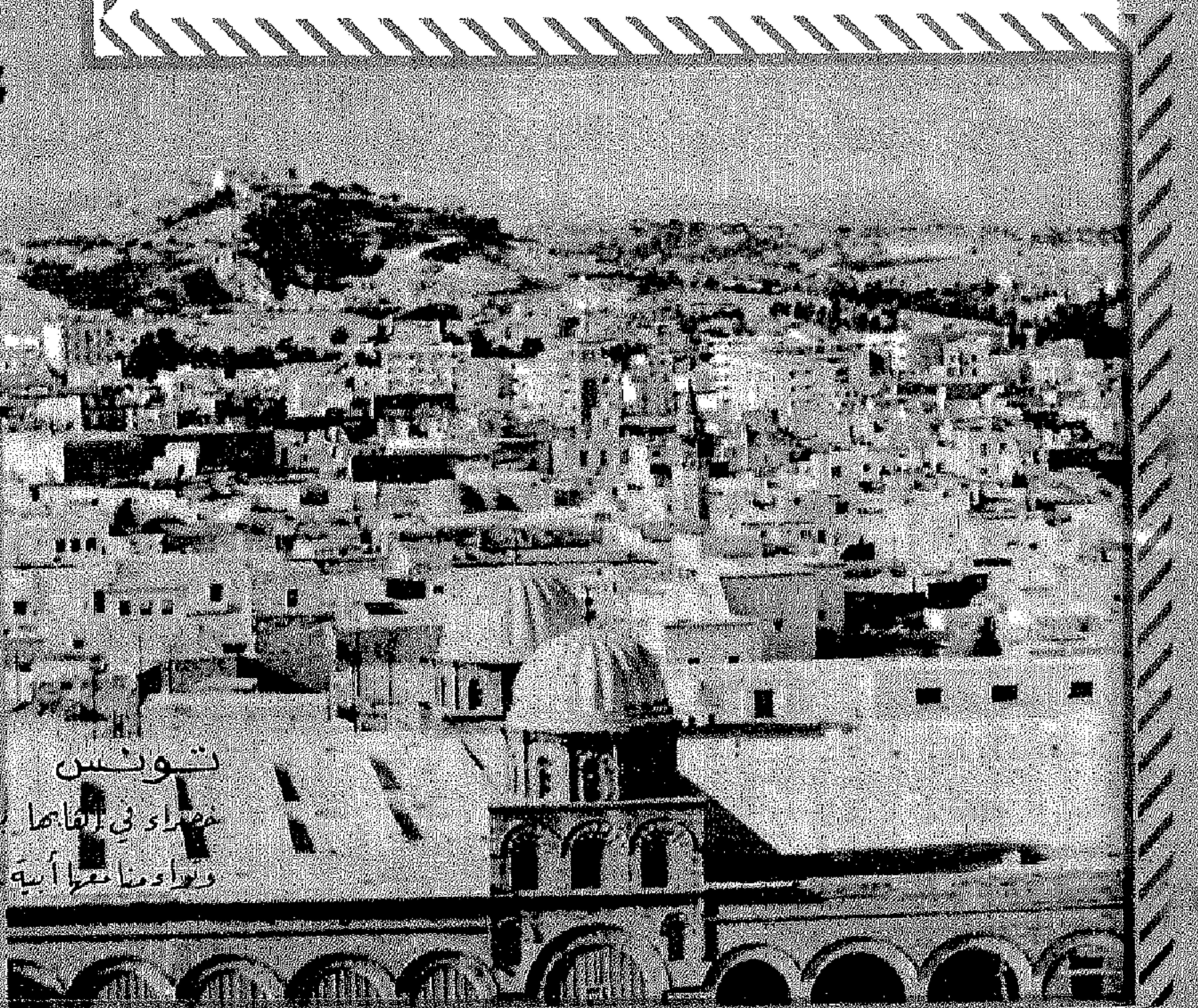
برج التليفزيون بمدينة الرياض، احد ابداعات ... تشهده ...ى جموع

جماليات المدن

فلاش







تونس

خضراء في آفاقها بيضاء في [illegible]

وراء [illegible] كيف لا [illegible]

تبـــــوك

● هذه الـدلال والمباخر هى جزء فريـد من تاريخ عادات منطقتنا . . رمز الكرم . ودلالة الاصـالة تفخر بها تبوك إحدى امهات مدن المملكة العربية السعودية .



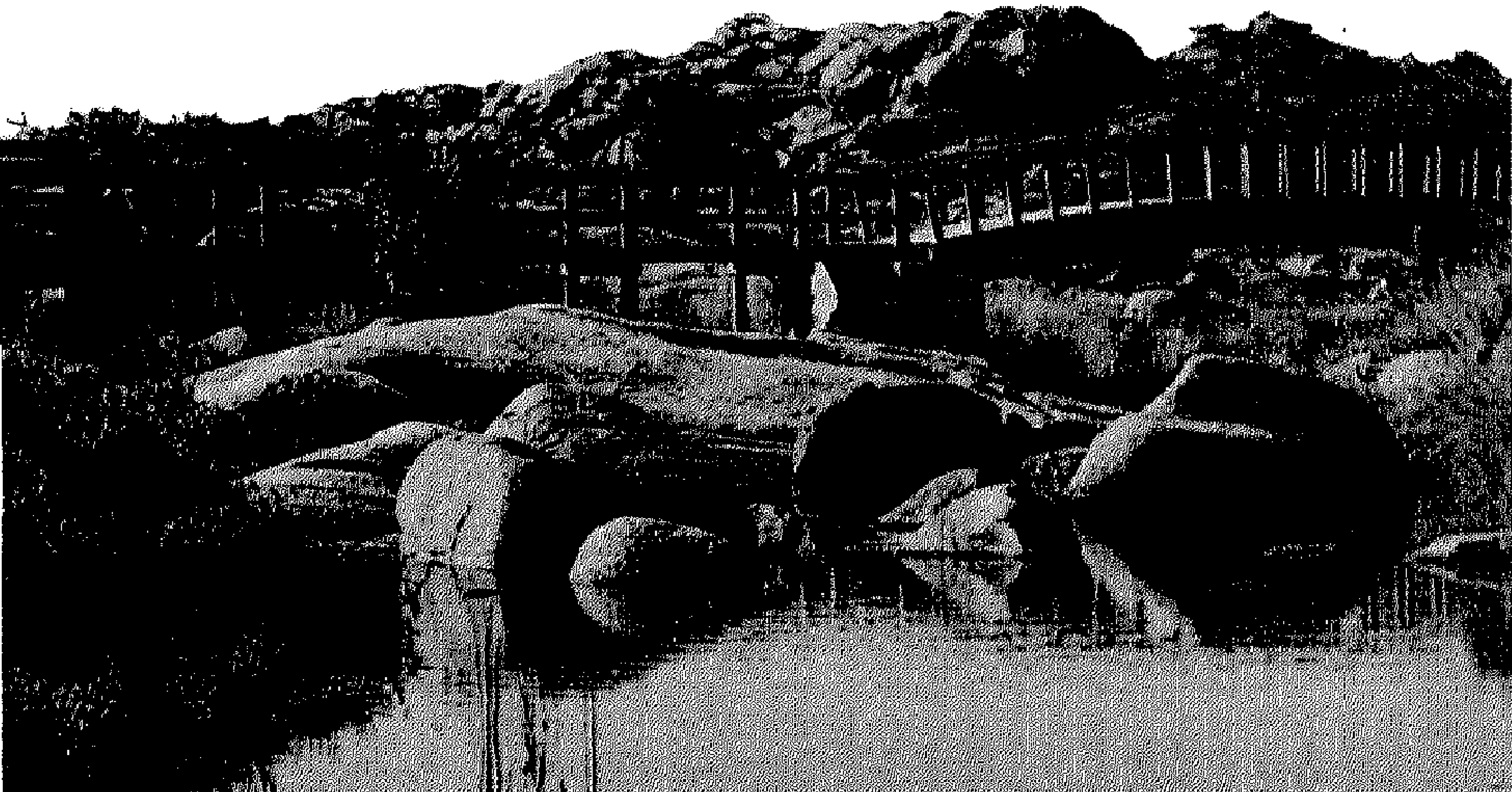
مكة المكرمة



إحدى المجسمات الجمالية الحديثة بمكة المكرمة

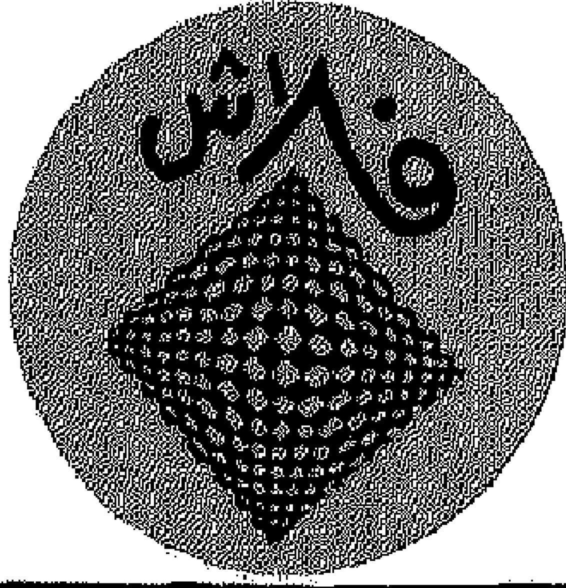
المدن جماليات

عسيـــر



● منظر جمالى من منطقة عسير يمثـل جداول وجسـور منتزه دلفان الذى اعدوا امثاله الكثر ليستقطب المواطنين فى سياحة اخـاذه تآلفت فيهـا الطبيعـة الالهية مع المكونات الانسانية .

بعض من مدن المغرب متاحف حضارية

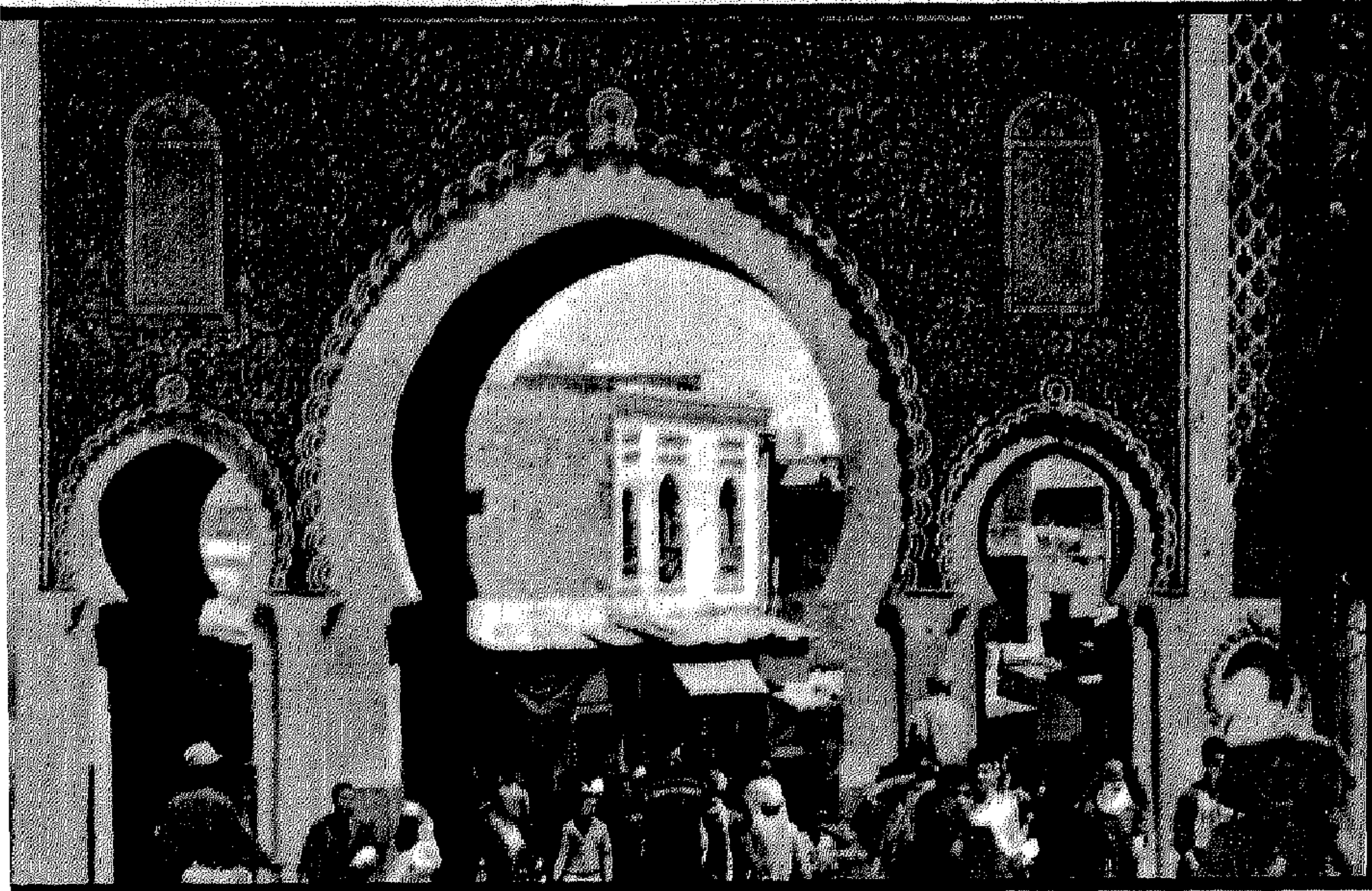


المغـــريب
حنينها أبوية ومدنها عالمية .. قيادتها زعامة وشعبها أصالة تهفو للقلب أقرب وللعين أوضح .

إن فاس تمثل إمتدادا أصيلا بطريقة تكاملية لثقافات وعادات شعب بكامله منذ القدم . . ويمكن أن تعتبر هذه الحالة شبه وحيدة فيما يمكن أن نرى به حاليا مدناً تعود للقرون الوسطى لاتزال حية .

. . ولا شك أن التخطيط المديرى لمدينة فاس الموافق عليه من طرف (اليونسكو) والسلطات المغربية يهدف الى ثلاث نقط رئيسية .

- ترميم آثار المدينة المتداعية .
- رد الاعتبار الثقافى والاقتصادى للمدينة فى هياكلها القديمة والحديثة .
- التطهير المدنى والاجتماعى .



الخبر

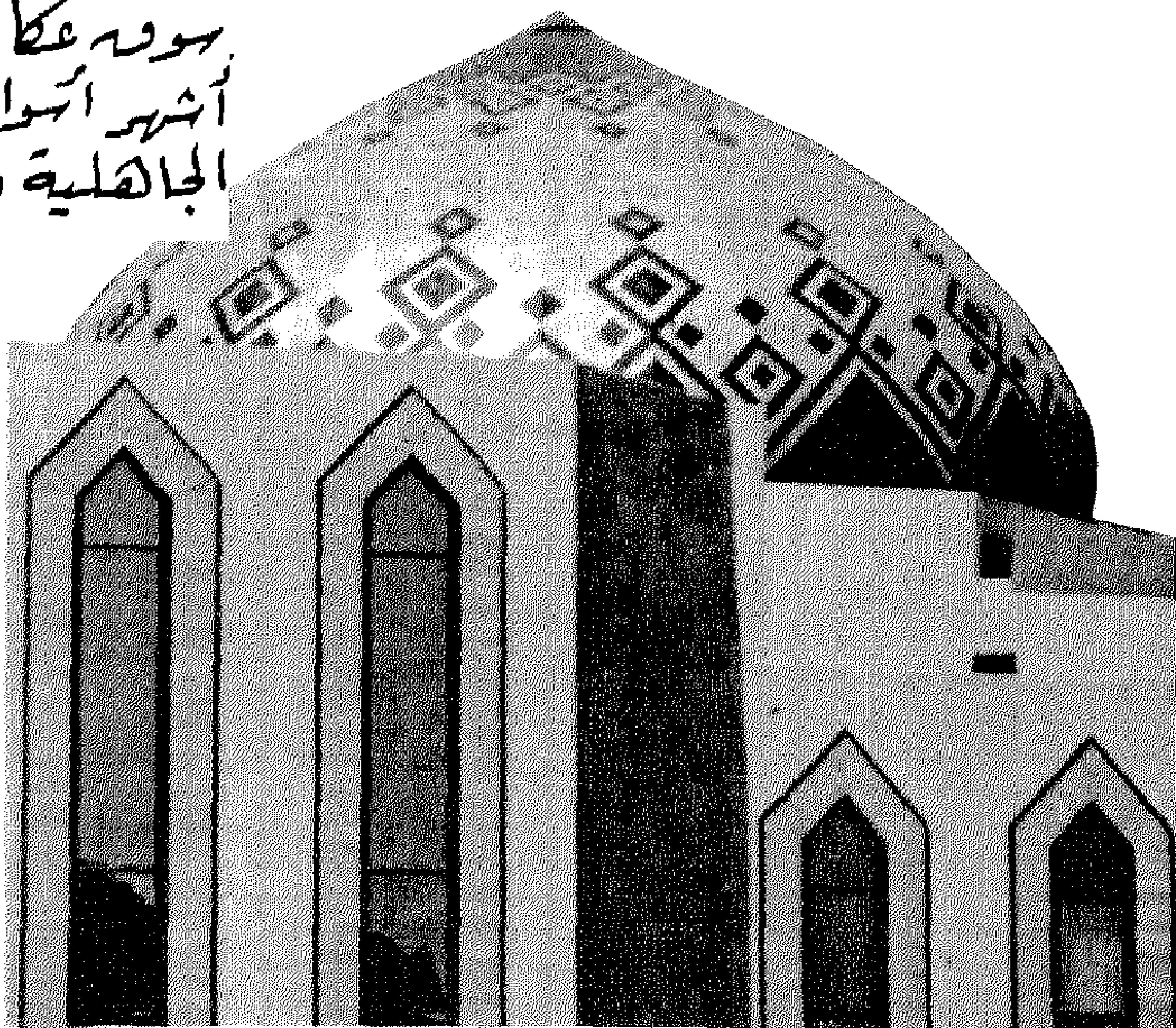
● مجسم يمثل قطعاً من الجبل ينحدر من اعلاه شلال ماء . . وسط حديقة عامة بمدينة الخبر احد روافد الحياة والحركة فى مملكتنا الناهضة .

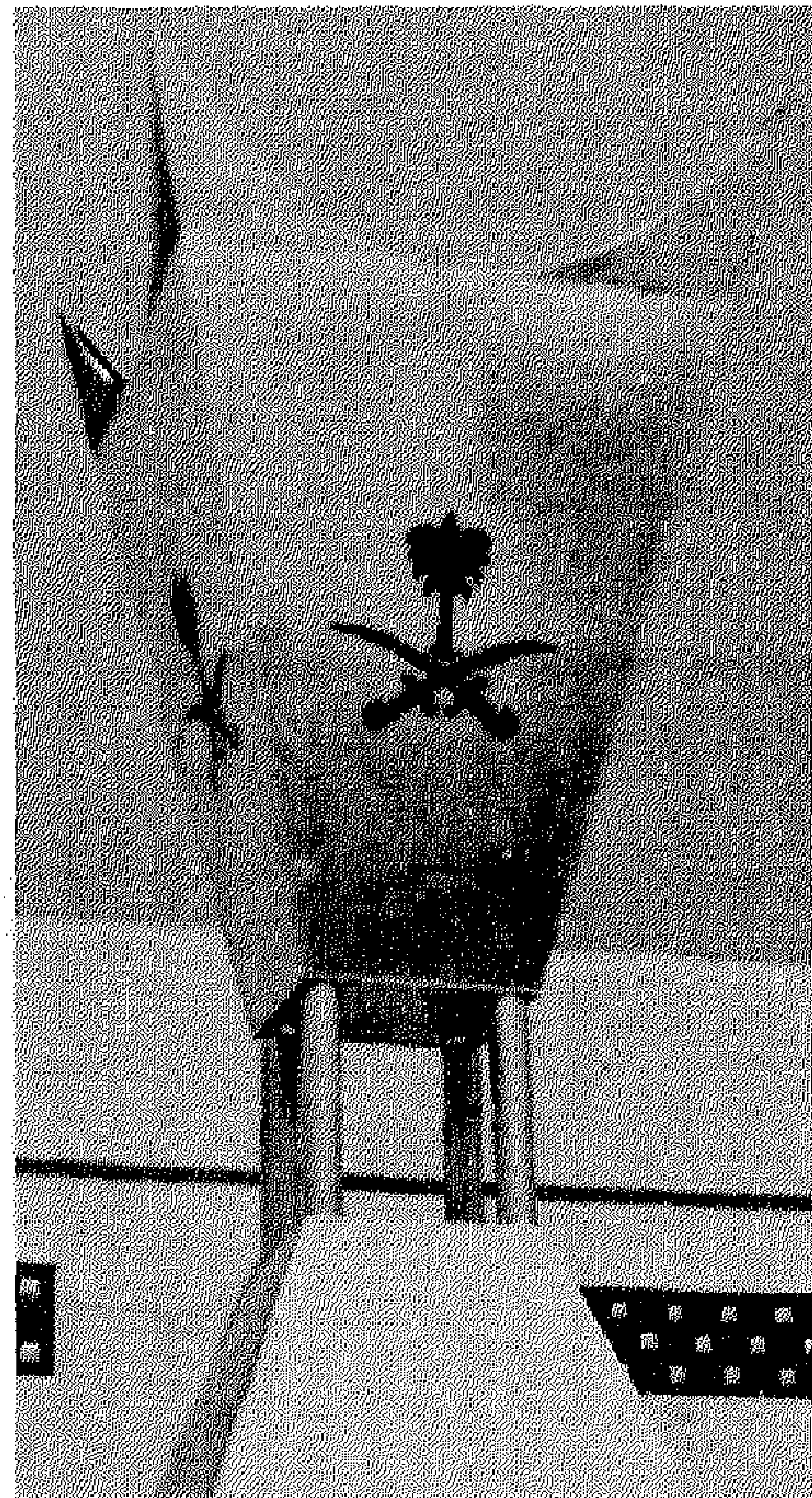
الشكل مستوحى من البيئة العربية القديمة .

حائل

الطائف

سوق عكاظ :
أشهر أسواق العرب في
الجاهلية والإسلام .

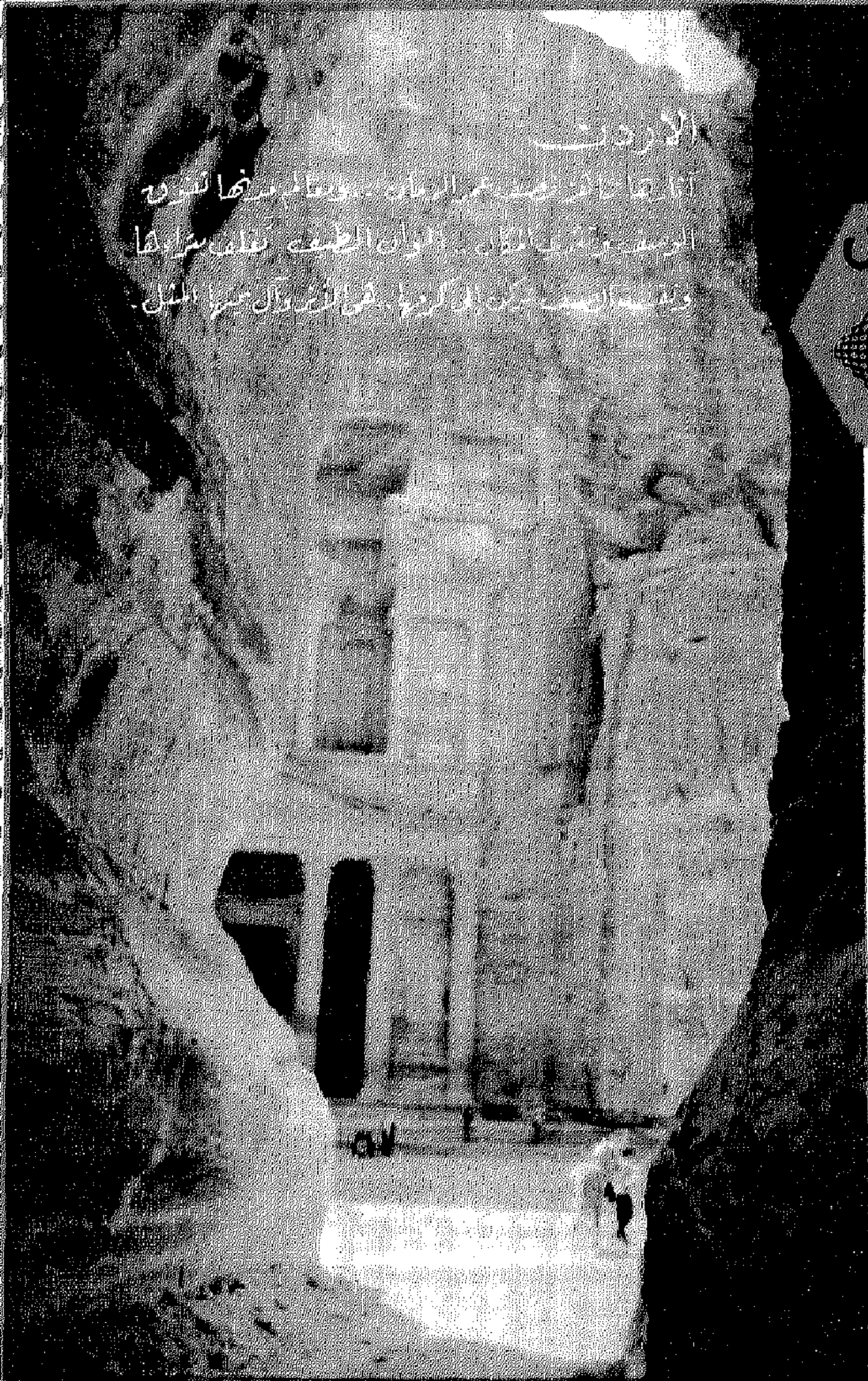


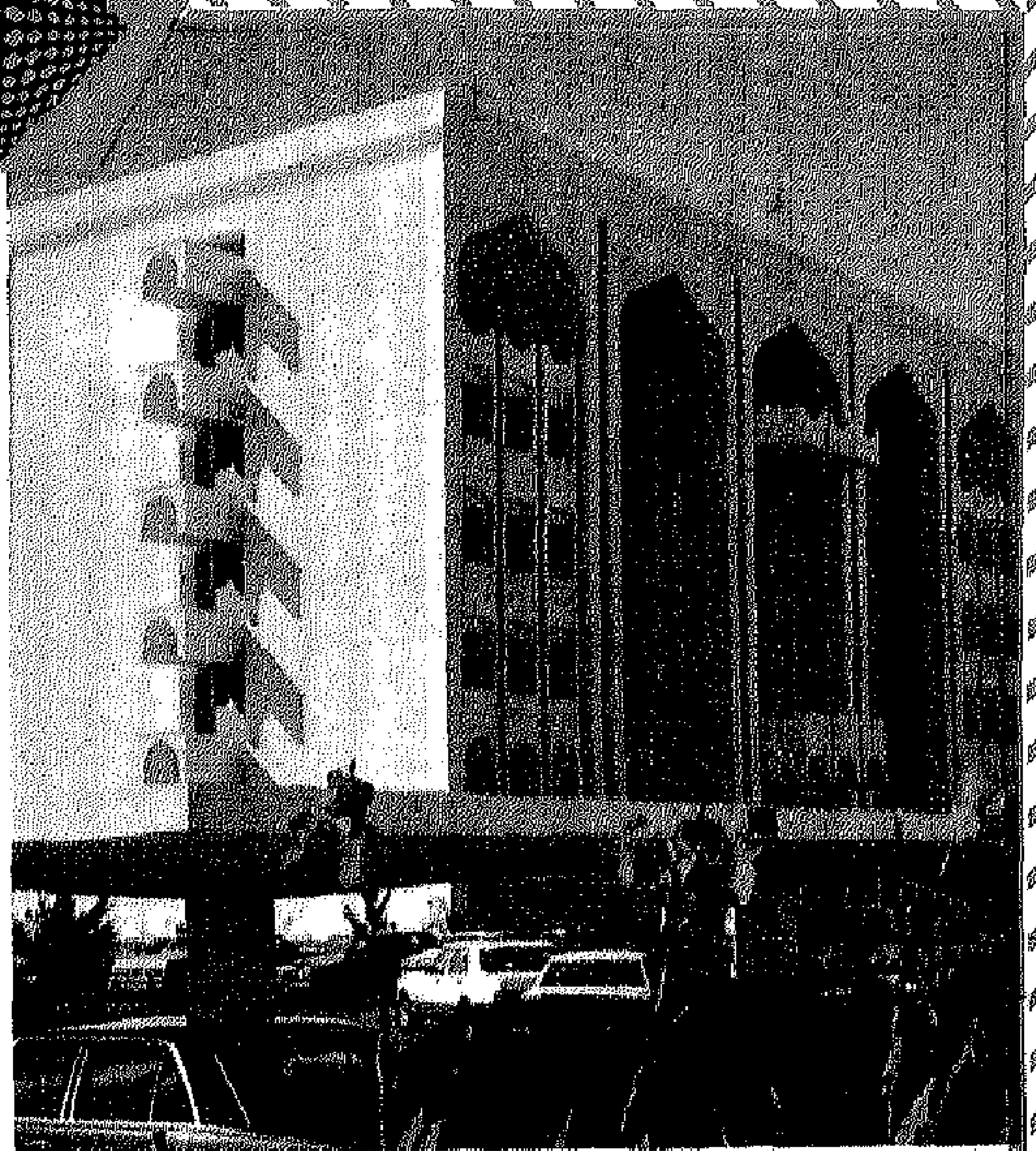


الدوادمي

رمز الأصالة والتراث :
المبخرة تزين شوارع الدوادمي

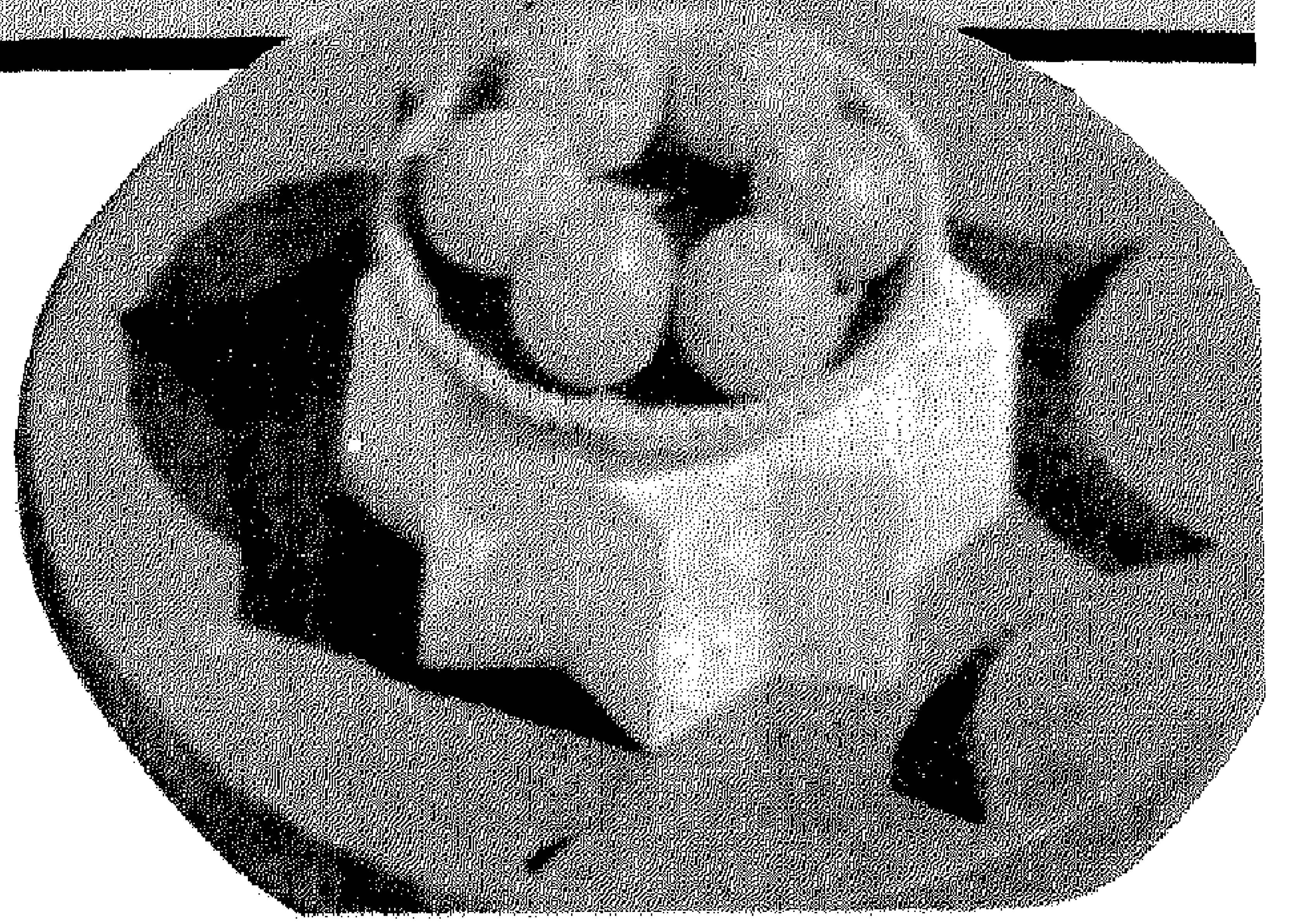
فلاش





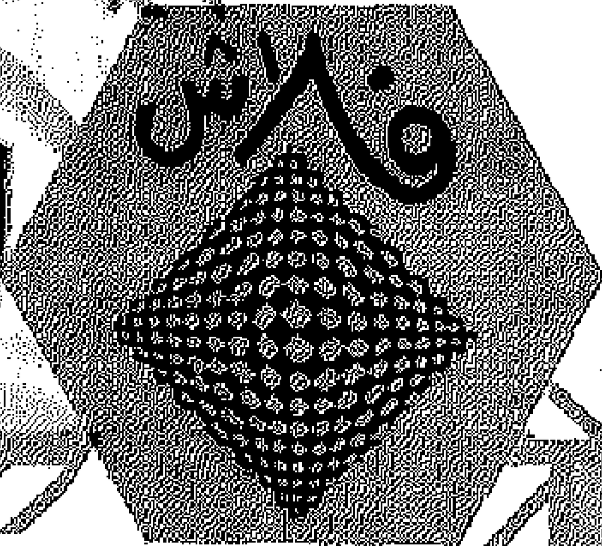
قطر

قطرة من غيث منهمر .. رداه الواقع وشذاه
التجمع .. يضرب به في بطون المستقبل ويؤكده
في متون الحقيقة .. لتصبح آت واشراق مقيم .



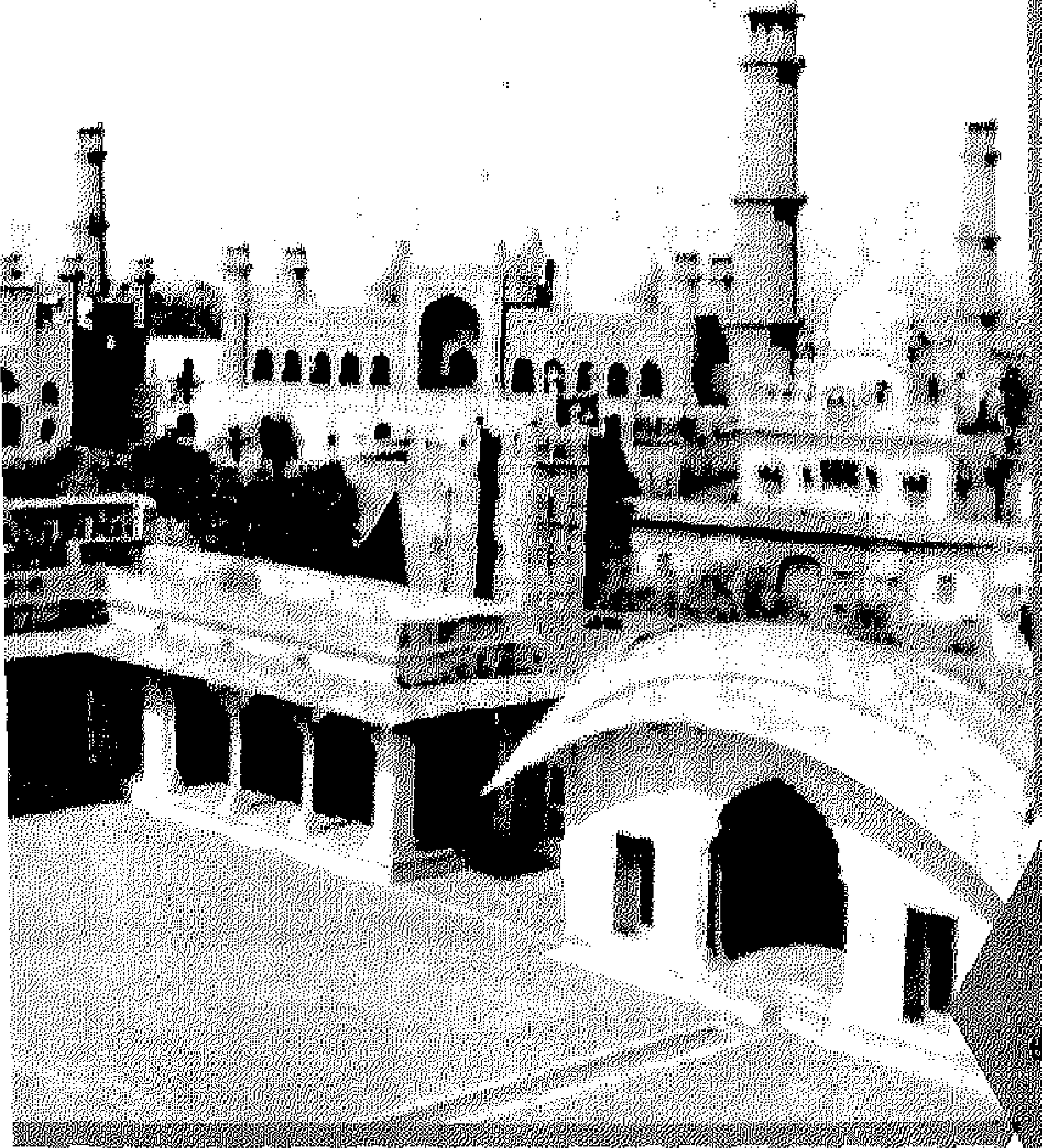
الاحســـــاء

● ضمن اهتمامات بلديات مدننا فى تجميل الميادين انتهى الفنان / أحمد الملفوت من عمل عدة مجسمات لتجميل مدينة الاحساء وقد اخترنا مجسم «الباذنجان» حيث ظهرت فيه روعة الاداء ودقة التنفيذ.



البـاكسـتان

رؤى الماضى ونبض الحاضر ودلالات المستقبل كلها شواهد مضيئة على طريق الإسلام والعقيدة سواء ما التصق منها بالفرد أو امتزج بها في المدن.
نحس فيها نكهة خاصة ونلمس فيها إيماناً صادقاً



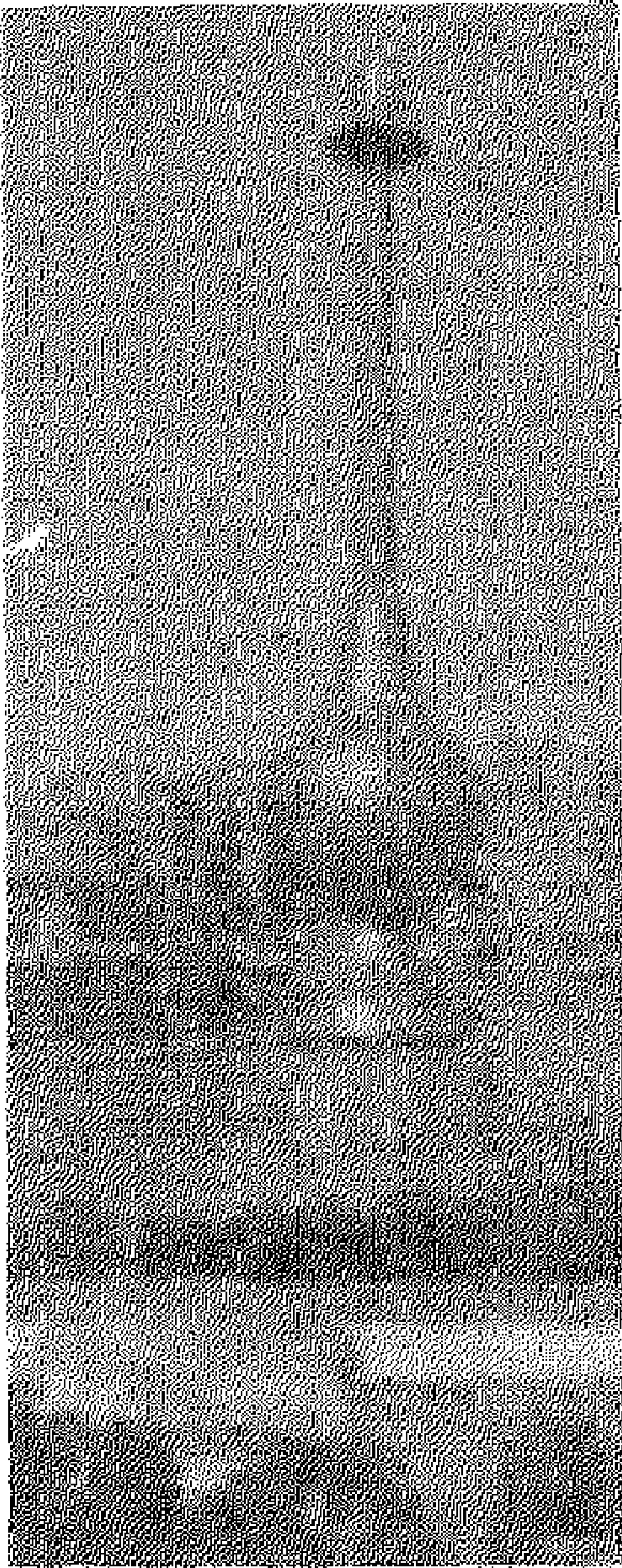
الســـودان

تتلاقى أيدى الشعوب لتصنع الود وتشيع الحب وتؤكد الإخاء رمز ها الود وبعدها السلام.



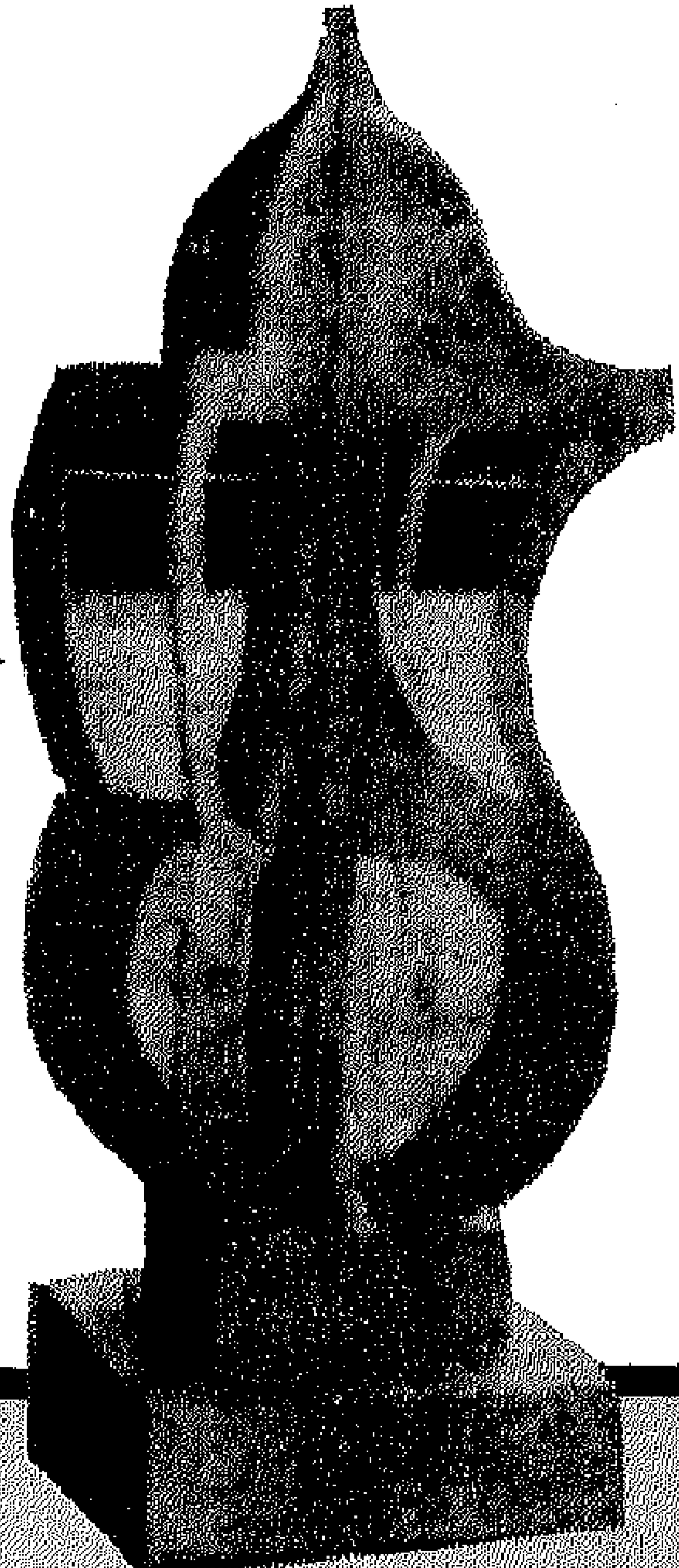
نصب الوحدة يحتل قلب الخرطوم.

بـــريـــدة



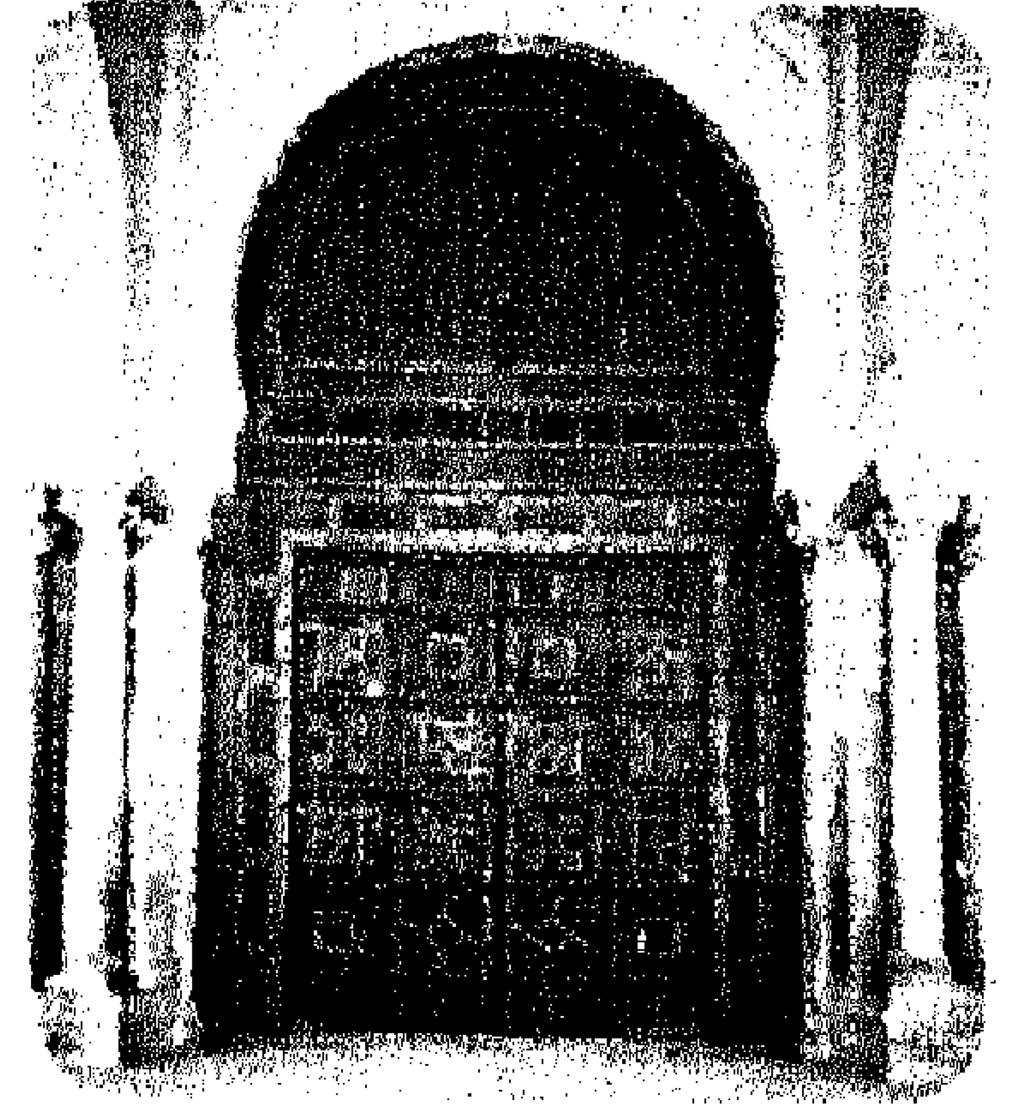
مجسم جمالى من بريدة ذات الماضى التليد والحاضر الوليد.

الحـــوطـــة



● مجسم جمالى يعبر عن مقدرة الشبـاب السعـودى فى الابـداع.. قام بتصميمه وتنفيذه بعض طلاب مدارس الحوطة ليوضع فى أحد ميادين الحوطة الفسيحة.

الفن عنصر



بقلم الأستاذ عبدالله محمد الحقيل
مدير تحرير مجلة الدارة

لست من الذين يجيدون الكتابة فى الفن ويحذقون مناهجه ويعرفون مدارسه ويتابعون شجونه ولكن استجابة لرغبة أخى العزيز/ رئيس التحرير يسعدنى المشاركة فى هذا العدد المخصص عن «الفن» وكأحد المتتبعين لما يكتب عنه ويطمح كغيره من المواطنين فى الرقى والتقدم والازدهار لهذه البلاد فى كافة الميادين ومختلف المجالات العلمية والفكرية والثقافية. . وأن يكون لنا فن متميز ينطلق من واقعنا وتقاليدنا وظروفنا وحياتنا قديما وحديثا ولا ينطلق بعيداً عن تلك المسارات ولا يتوه فى لجج بعيدة عن هدي ديننا وتقاليدنا وتاريخنا العريق بل ويبقى مرآة صافية نقية ولسانا معبراً يعكس بصدق وموضوعية تقاليدنا وتراثنا. . ويعالج الواقع وينطلق من الحقيقة.

ولا أريد أن أقلل من شأن الفن فى هذه المرحلة التى نمر بها فله دوره الحضارى الذى ينبغى أن يعمل من أجله ويكون له بعده وغاياته النبيلة، ودوره فى الحضارة الأنسانية وتنشيط الحياة الثقافية بالأعمال الفنية الرفيعة فى مستواها الفكرى والفنى، وإثراء التعبير الفنى والارتقاء بمستواه مستلهما فى ذلك تراثنا الثقافى والفكرى الغزير قديما وحديثا.

الفن مجموعة أعمال تجسد نوعية ميادين النشاط الانسانى الذى يكون التراث البشرى للأمم على مر العصور ومختلف الأزمان. . ولقد كان ميدان الفن فى السابق مقتصراً على الميادين الضرورية للحياة حتى تبلور وتطور إلى آفاق أوسع شملت شؤون الفكر ومجالات المعرفة. . فأصبح الفن بهذه الصورة غذاءاً للفكر وراحة للعقل ومتعة للنفس وجلاءاً للهم.

وليس أدل على ذلك من أن قصة من القصص أو رواية من الروايات أو قصيدة شعرية أو منظرا بديعا أو لوحة فنية إلى غير ذلك قد تجلي عن النفس من الهم ما تنوء به الجبال. . كما أن الرسم له ملامح فنية جميلة توحى بالمعانى المتنوعة والأفكار الهادفة. . والمشاهد الجمالية المبدعة. .

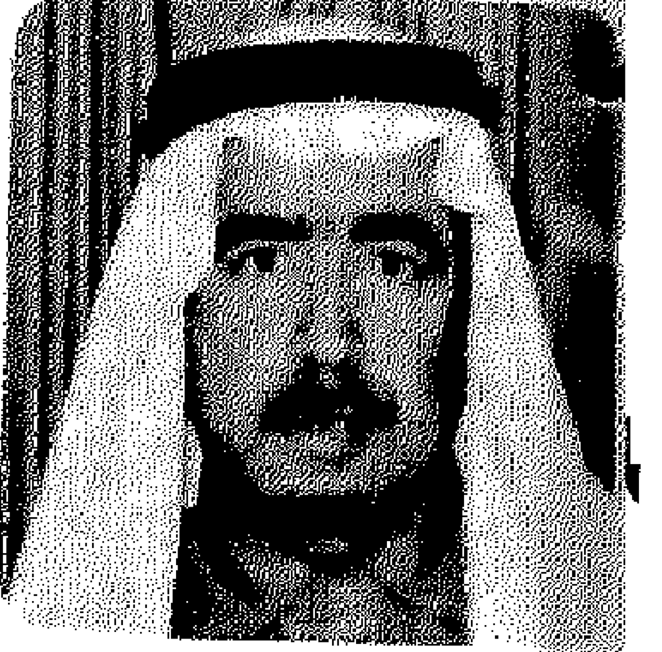
● والفن تاريخ للعادات والتقاليد وطرق العيش وفن العمارة والبناء وغير ذلك من مرافق الحياة. .

من ذلك ما نشاهده خلال جولاتنا وزياراتنا للبلدان حيث نشاهد معالم عمرانية ومتاحف فنية تفيض بكنوز وذخائر تنبىء عن أمجاد وحضارات وإبداع. وفكر. وعلم. ونشاط. .

● لقد شاهدت خلال زيارتى لباريس متحف «اللوفر» وما به من مآثر تعود إلى أعرق العصور وتحدث عن أخبار لم



من عناصر رواية التاريخ



يذكرها التاريخ إلا عبر ما تبقى من هذه المآثر المعروضة ومجموعات من مختلف ما تبقى من حضارات شتى قديمة حتى إنه ليكاد يكون نسخة مصغرة ممن سبقونا من الأجيال من مختلف البلاد والعصور . .

كذلك شاهدت فى المتاحف الأسبانية أصنافا شتى للحضارة العربية الإسلامية تنطق بما وصلت إليه هذه الحضارة من مجد ورقى فى الفن المعمارى والذوق المتطور فى فنون الابداع والزركشة والتجميل مما يدل على حضارة ساحقة وصلت فى زمانها إلى أوج رفيع وقمة عالية يعسر أن يضاهيها فى ذلك العصر سواها من حضارات الأمم الأخرى . .

وخلال زيارتى لتونس شاهدت فى مدينة القيروان روائع الفن المعمارى والمتمثل فى أول مسجد بنى فى أفريقيا . . وهو جامع القائد العربى المسلم «عقبة بن نافع» رحمه الله وما يمثله على قدم تأسيسه من فن معمارى بديع وأصالة عربية إسلامية شامخة باقية إلى الآن .

كما شاهدت فى المتحف البريطانى نماذج من الحضارة العربية الاسلامية تمثلت فى أدوات ومخطوطات ونقوش وغيرها مما يعطى للمشاهد فكرة وانطباعا جيدا عن هذه الحضارة العربية الاسلامية .

● وخلال زيارتى لمكتبة الكونجرس بواشنطن شاهدت ما تحفل به من روائع الحضارات الفنية وما تزخر به من شتى الثقافات واللوحات الفنية والصور والرسوم الجميلة وبها خمس عشرة قاعة للمطالعة على أحدث طراز فنى وتحتوى على مختلف الصور والرسوم لمختلف الحضارات ومنها الحضارة الإسلامية .

● **وهكذا دواليك . . فالفن أصبح فى عصرنا هذا عنصرا من عناصر إثبات التاريخ وتعريف الأجيال به عبر العصور . .**

● **وبلادنا لا تخلو من فنون ومآثر عمرانية تتمثل فى طابع متميز يجب العناية به والحفاظ عليه . .**

● **إن الكثير من المدن العربية الاسلامية حافلة بالتراث الفنى الحضارى العريق والمآثر الفنية المعمارية التى يجب الحفاظ عليها وضمان استمرارية ما تمثله من قيم وعادات وتقاليد . .**

★★ **وجدير بنا أن نستلهم ما تحويه فنوننا وما تمثله من قيم وحضارة تدعم لدى الشباب القيم الاخلاقية والمثل الأسلامية والشعور بالانتماء للوطن وإشباع الحاجات الروحية والمادية والاجتماعية والاخلاقية .**

● *وهكذا فالفن عنصر من عناصر تثبيت الحضارات وترسيخ المفاهيم . . وبلورة المشاعر وتهذيب الأحساس . .*

خصوصية الفن في

الفن *ما الفن؟ لماذا الفن؟ ما الهدف من وجود هذا الذى نطلق عليه تسمية «فن»؟ .*

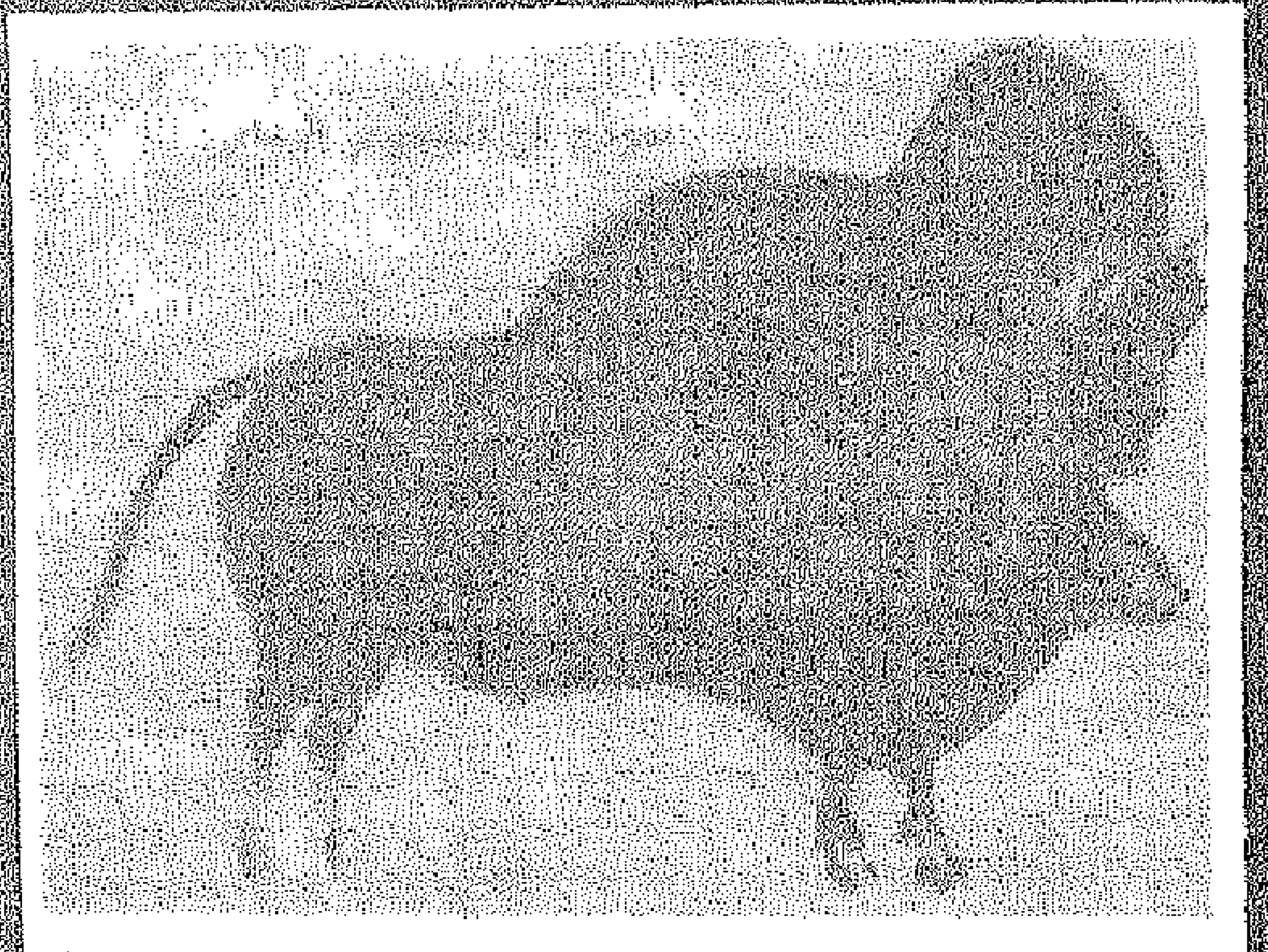
أسئلة بديهية نصادفها كلما حاولنا التفكير فى موضوع الفن، وكلما زاد شعورنا حدة باتجاه هذا النشاط الإنسانى الذى لا نجد له مبررا .

الإنسان من طبيعته فنان لكن لماذا هو كذلك؟ هذا سؤال لا جواب عليه، يمكن أن نقول إنه السؤال الذى يحتاج الى جواب، لأن أى جواب مهما بلغ درجة الحقيقة سيجعل سؤالا من هذا النوع خاضعا لعدة قواعد صارمة قد تفقده قيمته كسؤال فلسفى أكثر منه مجرد سؤال يبحث فى الواقع .

«إن عمر الفن يوشك أن يكون هو عمر الإنسان، فالفن صورة من صور العمل والعمل هو النشاط المميز للجنس البشرى»(١)

نقول هذا ونكتفى، ونحن بذلك نكون قد حولنا الأسئلة المطروحة آنفا إلى موضوعات يمكن مناقشتها فى إطارها الاجتماعى بدل أن





نماذج من التصوير البدائي

◆ بقلم الاستاذ
عبد القادر صالح
"المغرب"

المجتمع البدائي

تبقى محصورة فى إطار السؤال الذى قد يكون الجواب عليه ضربا من ضروب التفلسف الذى لا يفى بالحاجة المرجوة.

البداية الأولى

فى بداية الأمر كان الرمز. . لم يكن الفن كما نفهمه اليوم أو كما صار عندما أصبح الإنسان يعيش فى إطار ما نسميه اليوم بالمجتمع، هذا يعنى أن صورة الفن تجسدت قبل أن تتجسد المفاهيم التى حددت صيغة الائتلاف بين الناس. وبذلك كانت له مساهمته الفعالة فى خلق نوع من الترابط بين البشر.

لم يكن للفن صلة بالفلسفة ولا بخدمة أهداف خارج حدود المنفعة. . حينما وجد الكائن البشرى فى العالم وتأمله وجده على شكل رموز مبهمة وفى المقابل وجد نفسه أمام معادلة صعبة وهى المعادلة التى يتحقق عن طريقها الهدف المنشود وهو الإيفاء بحاجة محدودة زمنيا ومحدودة نفعيا.

كان الرمز، ولكى يحل اللغز لابد من وسيلة، أى لابد من التكيف مع أحوال البحث عن لغة تمكن هذا الكائن من خلق حوار مع الوجود مع الرمز، أى مع الماء والهواء والطبيعة بكل جوانبها «ومن هنا نؤكد دخول الكائن الحى فى علاقة مختلفة مع بيئته من أجل تلبية حاجاته لاستمراره فى الوجود. . وعلى رأس هذه العلاقات تأتى علاقة [التكيف]» (٢)

بمعنى التكيف مع المحيط للإيفاء بالضرورة الحتمية التى لا يمكن للحياة أن تستمر بدونها.

الضرورة **معناها تلبية الحاجيات الأولية للجسم. . هناك الفاكهة وفى المقابل يوجد الجوع ومنه الرغبة فى اقتطاف الفاكهة ولكن كيف تم هذا، بل لماذا هذه العلاقة بين الجوع وبين الفاكهة بالضبط وليس غيرها من الأشياء التى توجد فى الطبيعة؟.**

نحن **حينما نطرح مثل هذه الاشكالات يجب أن نعى أولا أننا نعالج نقاطا ذات أهمية بالنسبة لكائن تلك الحقب من التاريخ. . فإذا كنا اليوم لا نعطى لهذه التساؤلات أهمية فذلك يرجع فقط إلى كوننا أصبحنا أكثر وعيا بهذه الإشكالات ومسبباتها. . أما بالنسبة للكائن البدائى فذلك كان يثير فيه نوعا غريبا من الإعجاب دفعه فى النهاية إلى خلق أسطورة ما نسميها اليوم بالسحر التى أدت مع الوقت إلى نشوء علاقة مثالية بين الكائن الحى والطبيعة. . العلاقة التى لا يمكن أن نفسرها إلا إذا أدخلنا فى حسابنا عدة عوامل أهمها عامل الإحساس بالغربة الشنيعة التى كانت تحس بها الكائنات البدائية. .**

وجدت **الطبيعة ومنها الكائنات بما فيها هذا الذى يطلق عليه الكائن البشرى هذه** أوضاع مسلم بها. لكن كيف تم هذا الوجود؟. . نحن نعرف ان حلقة التطور استمرت بالتدريج

ولكن الذى يجب أن نعيه أن فكرة التساؤل عن ماهية الوجود حدثت بالطفرة ودون سابق وعى بالهدف من طرح مسألة التساؤل هذه، ومع حدوث هذه الفكرة نشأ الوعى ومع نشوء الوعى حدث الاصطدام بين الكائن الحى وذاته قبل أن يتفاقم ليشمل الطبيعة والكون، . . الوعى الذى حدد صفة الوجود دون أن يتمكن ـ ولظروف معينة ـ من تحديد صفة العلة لهذا التواجد، ودون أن يتمكن ولنفس الظروف من تحديد صفة العلاقة التى يجب ربطها مع البيئة والمحيط الضيق. كيف تتم العلاقة وفى النفس حسرة من اصطدام الرغبة بالنفى، بل برغبة سلبية من طرف مقابل ليس لديه أى فكرة عن معنى العلاقة فى صميمها؟ كيف تنشأ؟ ومع من؟ ولماذا؟ وهل من الضرورى أن تكون هناك علاقة حتى تستمر الحياة؟ تساؤلات كثيرة كانت تطرأ على كائن تلك الحقب السحيقة من التاريخ، ومع حدوث الاصطدام يتم التراجع عن تطبيق الفكرة حيث يزيد فى النفس إحساس عميق بالغربة داخل عالم تتحكم فيه قوى مجهولة ويسير وفق مناهج غاية فى التعقيد. .

كان «أوغست كونت» أن الفكر البشرى مر بثلاث مراحل، مرحلة لاهوتية ومرحلة ميتافيزيقية وأخرى وضعية علمية وما يهمنا ضمن هذه الدراسة المرحلة اللاهوتية. . أى المرحلة الأولى التى بدأ فيها الكائن البشرى فى وضع قانون العلاقة السببية بينه وبين العالم الخارجي.

ولكى تنشأ هناك علاقة بالفعل لابد من وضع تقييم تخضع بموجبه ذاتية الكائن البشرى للظروف الموضوعية حتى يتمكن مع الوقت وبفضل استمرارية التجربة ونضجها من بناء صرح الأنا «المستقلة» لمجابهة الاحتمالات الواردة.

اللغـــة

إن اللغة تصنع الناس أكثر مما يصنع الناس اللغة كما يقال. . ونشوء اللغة من الناحية الفيزيوتاريخية يعتبر بمثابة الميلاد الأول للعقل، للوعى الذى صنف من جانبه ماهية الكائن البشرى وأعطاه بعدا تمكن بفضله من تجاوز مرحلة الحيوانية والدخول فى مرحلة تحولت فيها الوظيفة من مجرد وظيفة عفوية الى أخرى تسير وفق ما تملى به الغاية. . ما هى اللغة؟. . وكيف نشأت؟. . وهل للأسماء والكلمات توافق بينها وبين الأشياء التى تمثلها؟. .

وجدت بما هى كذلك عبارة عن رموز معينة، والرمز هنا جاء نتيجة حاجة دفعت الإنسان الى خلق عالم من الأوصاف والاشارات تقوم بدور تقريب الأشياء المعنية وإحضارها معنويا. واللغة مهما كان جاها تعتبر فنّا وصفيّا يعمل على وصف الأشياء وبالتالى فنّا رمزيّا. . لكن هذا لا يعنى أن حدود الفن تبقى محصورة فى إطار اللغة كوسيلة من وسائل التجاوب والتعبير فالانسان البدائى عمل أكثر من هذه الحدود، والآثار التى حفظها لنا التاريخ تشهد على هذا العمل لدرجة تجلعنا نؤكد وبكل اقتناع بأن عمر الفن يوشك بالفعل أن يكون هو عمر الانسان. .

الانسان *أن تكون اللغة كفن له خواصه، كان الفن بالمعنى السائد الذى نعرفه اليوم، الفن كأسلوب التعامل بالشعور والإحساسات، الفن الذى يأتى متأخراً ليكمل ما لم تستطع إمكانيات العمل المباشر تحقيقه. . كان الرقص. . كان النحت يتمثل فى صقل الأحجار لأغراض الصيد والحروب. . كانت الشعوذة كظاهرة تمثيلية «مسرحية» فى صيغها الأولى. . ومن ثم كان الرسم. .*

الضرورة الحوافز والأهداف التى أدت إلى خلق هذه الصور وهذه الأنواع المتنوعة من الفنون نجد أن نشوءها كان مغمورا فى القدم، أو

نقول إن لوجودها علاقة وثيقة بأهداف مرسومة وفق ما تملى به الحاجة . . وفى كلا الحالتين يكون للفن ضرورة ملحة فى حياة الإنسان لدرجة يصعب معها الفصل بين الميلاد الأول للفن وبين ميلاد الوعى «العقل» الذى هو الانسان بعينه .

ظاهرة التشكيل فى حياة الإنسان البدائى :

لقد قررنا ـ وهذا فهمنا ـ أن نعتبر الفن البدائى فنّا ساذجا ، قد يجوز ولأسباب متفاوتة اعتباره فنّا ناضجاً بالمقارنة مع ما أنتجه الفنان البدائى ، ومع ما كان لهذا الفن من توغل فى حياة الناس ومراعاة جانب الربط بين المعنى الجمالى وبين الحاجة الملحة الى الاستفادة من الفن لأغراض نفعية . . لكن بالرغم من هذه السمات الفاضلة التى تميزه بأن يكون فنّا ناضجاً آثرنا أن نعتبره فنّا ساذجاً . . وحكمنا فى ذلك يخضع إلى عدة شروط أهمها مسألة الوعى الزمنى وعلاقته بالظروف الموضوعية التى تطرح من جانبها عدة إشكالات منها الطموح كنظرة شمولية تجمع بين مستجدات الحاضر ومتطلبات الغد المجهول . الفنان البدائى كان يرسم على جدران الكهوف معناه انه كان يرسم لتحقيق غرض يتطلبه ظرف زمنى محدود جدا ومن ثم فرسمه هذا كان خاضعا لشرط الاستفادة المباشرة ، كما كان الصيد من جهته خاضعا لشرط التغذية حتى يستفيد الجسم . . هنا تكمن السذاجة .

الفن ابداع .. والابداع درجة متطورة من التفكير المتحرر الذى يتعايش فيه الوعى الحاضر مع النظرة البعيدة الأمد .



هــذه مجرد محاولـة بسيطـة أردناها أن تكون أرضيـة نبنى عليهـا موقفنا من الفن، إذن فلنحاول تقبلها ولنجرب بذلك هل كان الفنان البدائى قادرا على المزج بين هذين المبدأين اللذين لا يمكن للفن «النـاضج» ان يقوم بدونهما وهما الوعى الحاضر مع النظرة البعيدة الأمد.

الرسم على جدران الكهوف

حينما نقول الفن البدائى تتبادر إلى ذهننا أول الأمـر رسـومات الكهوف، تلك الرسومات التى لا تزال تحفظ لنا وبكل صدق موهبة الفنان البدائى، ولا تزال إلى الآن الشاهد الأمين على مقدرة ذلك الفنان على التعبـير عما كان يخالجـه فى لحظات كانت فيها الضرورة المنفعية طاغية على كل كيانه.

ماذا تمثل هذه الرسوم؟ قد نكتفى بالقول وانطلاقا مما تحدده لنا موضوعات تلك الرسوم إنها تمثل عمليات متنوعة من عمليات الصيد بأساليبه البدائية.

الفن ***ضـرورة ملحـــة فى حيـــاة الشعــوب.. لنحــاول تجاوز هذه الحقيقـــة إلى حقيقــة أخـرى تتعلق بماهيـة الفن البـدائى ومـدى قدرته على الربط بين عنصرى الوعى الحاضر وقضية المستقبـل أى بين حالتـين متلاحقتين من حياة الإنسان.. ولنقف عند قضية مهمة ستمكننـا لا محالة من الخروج من ورطة البحث عن حقيقـــة الفن البـدائى وهى قضية الغرض من إعطاء الأولوية والأعمية لموضوعات الصيد قبل الديانة والعلاقات الاجتماعية والجنس و... الخ.***

نحن نعـرف أن هذه الموضـوعـات نفسهـا جديرة بالطرح مثل ما يجدر بموضوع الصيـد، لكن لماذا كان الصيـد وحـده؟ قد يجيب البعض أن طرح موضوع الصيد فى الرسم البدائى جاء نتيجة ضرورة ملحة وهى ضرورة التغذية، لكن هذا لا يعنى أن جل معاناة الإنسان البدائى كانت محصـورة فى التغـذيـة، بل كانت هناك حروب بين العشـائـر كما كانت مسألـة الشمس والقمـر والليل والنهـار والآلهـة ونـوعيـة هذه الآلهة تطـرح من جانبهـا اشكـالية العلاقة التى يجدر حسمها لصالح





قاء هذا الكائن واستمراره.. كما كانت وما أكثر ما كانت معاناة الإنسان البدائى.. الضيف الذى لا يعرف لوجوده إلاّ أنه موجود.. ولا يعرف من رفيق فى الكون إلا ردات فعله القاسية.. القساوة تكمن فى التجربة والتجربة وليدة المعرفة الأولى التى يسبقها رد فعل عدوانى يعلمنا أن النار تحرق والأسد يفترس والعدو يميت... الخ.

لنعد الى السؤال لماذا كان الصيد وحده؟ وقبل أن نبادر من جهتنا إلى الاجابة على هذا السؤال يجب أن نعلم بادىء الأمر اننا إزاء موضوع يرتبط بخاصية ليس لها مثيل فى التاريخ وهى خاصية الزمن الذى يلح من طرفه على أن يعطى للوعى قدره من الأهمية.

الوعى: هل كان الفنان البدائى واعيا بمحتوى فنه؟ بل بالضرورة التى كانت تدفعه لأن يرسم موضوعات بعينها؟.

بإمكاننا القول نعم إنه كان واعيا بذلك وبإمكاننا فى الوقت نفسه أن نقول العكس، أى أنه لم يكن واعيا بذلك إلاّ بقدر ما تهيئه له إمكاناته المحدودة وظروف معرفته المحدودة كذلك.

إذا تأملنا الجواب الأول وحاولنا تغييره سيكولوجيا نجد أنه كان واعيا بمحتوى فنه وبالضرورة من إعطاء الأولوية والأهمية لموضوعات الصيد دون غيرها.: فالصيد بما هو كذلك حرفة يتحقق عن طريقها جلب القوت كضرورة لا ضرورة بعدها.. وعملية الصيد فى صورها الأولى تختلف كلياً عمّا هى عليه حاضراً فإذا كان الصيد اليوم يتم بوسائل تكنولوجية متطورة تجعل الصياد فى مأمن وتجعله فى مواجهة غير مباشرة بينه وبين الفريسة فالعكس هو الصحيح بالنسبة لصياد المراحل الأولى من التاريخ بحيث انعدام وسائل الصيد وتخلفها كان يضطر الصياد الى مواجهة مباشرة مع الحيوانات المرغوب اصطيادها، وهذه المواجهة كانت دائما تحسم لصالح الأقوى فيزيولوجيا من الانسان..

هنا يكمن السر. الجوهر كون الخوف والسلبية والضعف من العوامل التى كانت تدفع الفنان البدائى إلى رسم صور الحيوانات بل إلى طرح موضوعات تتعلق فى محتواها بعملية جلب القوت بينما يتم تشكيلها باسلوب يعمل من جانبه على تقوية الذات العضوية عن طريق الذات المعنوية التى هى النفس، هذا من جهة أما من الجهة الثانية المتعلقة بالجواب الثانى السابق طرحه فهذا يضطرنا إلى طرح عدة تساؤلات بصيغة شمولية حتى نوسع من دائرة البحث وحتى تكون تبريراتنا مقنعة قدر الإمكان.

ما هو الفن؟ الفن ترجمة للفكر الذى ما هو إلا حس للواقع الاجتماعى بصيغته الذاتية والموضوعية.

السؤال بسيط وخفيف، لكن الجواب هنا دفعنا إلى استعمال ثلاثة اصطلاحات غاية فى الخطورة، وهى الترجمة، الفكر، والواقع الاجتماعى.. أو أحسن أن نقول الفكر، الترجمة، والواقع الاجتماعى والعكس كذلك صحيح أى الواقع الإجتماعى، الترجمة، الفكر... هذه هى الاصطلاحات التى كان علينا أن ندخلها فى جوابنا وهى بذلك تمثل ثلاثة مستويات من المعرفة وهى:

[١] الواقع الاجتماعى: بمعنى مجموع المعايشة الحياتية التى نحرق فيها طاقاتنا فى سبيل التوفيق بين مصالح الأنا والأنت، أى بين ما نرغبه من غيرنا لذاتنا وبين ما يرغبه الغير منا لذاته.

[٢] الترجمة: بمعنى وسيلة من وسائل الاتصال يتم عن طريقها التعريف بمكنون ما نطمح إليه ولعب دور الوسيط بين الفكر والواقع.

[٣] الفكـر : بمعنى التجربـة التى تتحـول إلىٰ مجموعة مفاهيم ومعلومات تكون منبثقة من علاقات الفـرد بوسطه الاجتماعى ومن علاقاته وانفعال هذه العلاقات بمجموع البنيات التى تتكون من الواقع الاجتماعى العام . . وهذه كلها تخلق فى النهاية حالة معينة من الوعى أو المعرفة نسميها «الفكر» . .

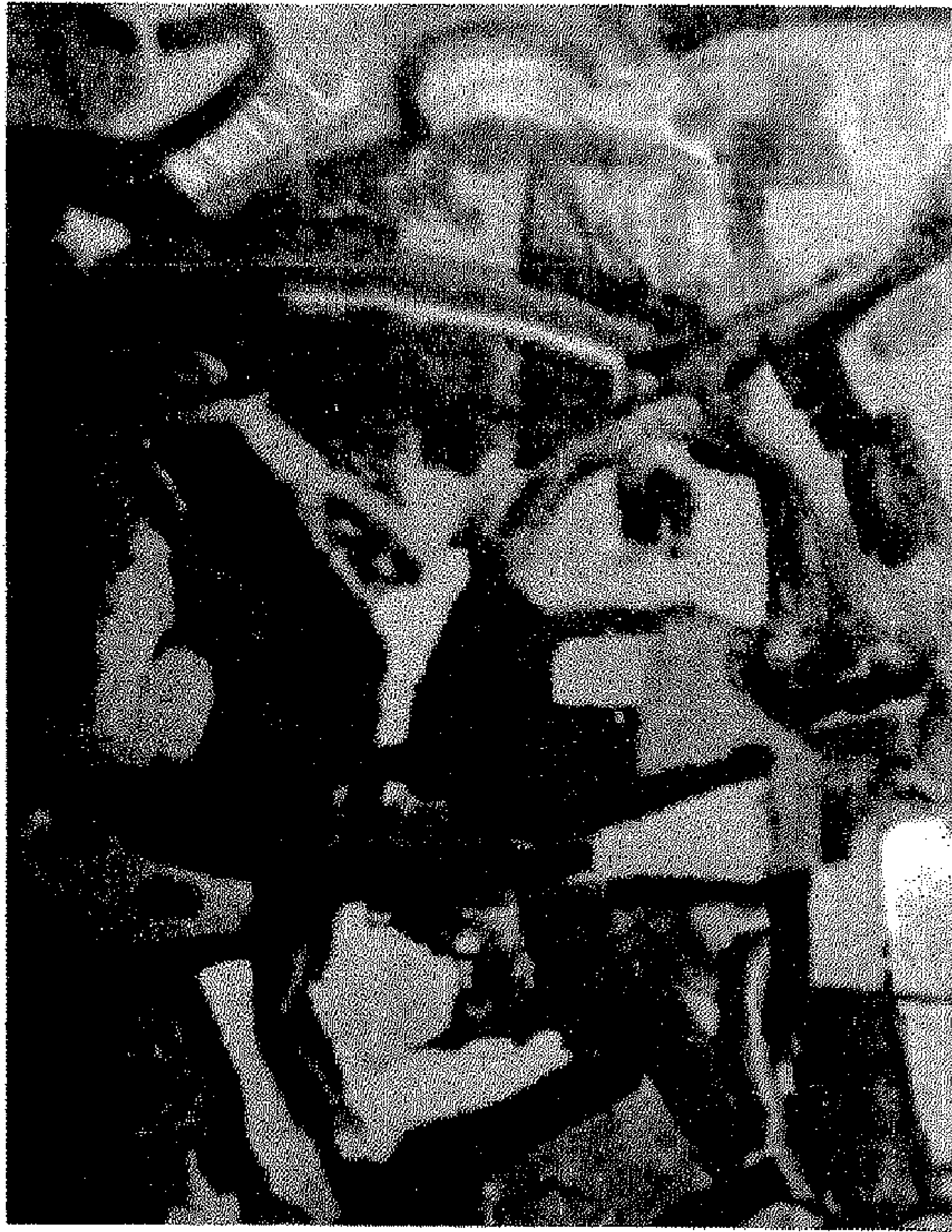
وازن الفن هو هكذا : ترجمة للفكر الذى ما هو إلا نتاج للواقع الاجتماعى بصيغتيه الذاتية والموضوعية . . نقول هذا دون أن نغفل عامل الصورة التى تتم بها هذه الترجمة والتى قد تختلف من فن إلى فن ومن فنـان إلى فنان حسب إختـلاف الأمزجة والتجربة وحسب اختلاف وتفاوت المعاناة وتنوعها .

بعـد طرح السؤال الأول وللوصول إلى صيغة كاملة يجدر بنا تقديم الطرح الثانى حول وظيفة الفن الاجتـماعيـة (إن الجـواب على سؤال «ماهو الفن» يفترض بالتالى توضيح مسألة «ماذا يفعل الفن» وما هى المهام التى يحلها موضوعياً فى الحياة الاجتماعية وكيف يقوم بحلها)(٣)

ويؤكد *المنظّـرون والنقـاد والفنـانون أنفسهم ، وأيضا «هواة» الفن على الفن أن يؤدى إلى اللذة الجمالية والإمتاع والتسلية ، وأنه إذن مدعو لتعليم الإنسـان أن يكون «كتابا مدرسياً عن الحيـاة» وأنه قادر على توحيد هذين الوظيفتين أى أن «يعلم وأن يسلى» وأنه ملزم بإبعـاد النـاس عن مسـاوىء الحياة وتـوجيـه أرواحهـم نحـو الله ، وأنـه مهيأ لمعرفة قوانين الوجود الواقعى الإنسانى ، وأن هدفـه الأسمى «خلق نمـوذج الحياة المثـاليـة» الأكـثـر كمالا من الحيـاة الـواقعيـة ، . . وأن عليـه أن يكون إدانة للحيـاة القـذرة والممسوخة و«حكما على الحيـاة» قاسيـا وغـير رحيم . . أن يكون*







وسيلة للصلة بين الناس و«لغة» خاصة . . »(٤)

هكذا هى وظيفة الفن وهذا ما يفعله الفن أو عليه أن يفعله . . يبقى أن نتساءل ـ ونحن دائما إزاء موضوع الفن البدائى ـ هل كان الفنان البدائى واعيا لهذا كله؟ .

الحق أن الفن البدائى مختلف تماماً عن الفن المعاصر لأن ظروف الإنسان والعشيرة فى الزمن الأول لم تكن كما هى عليه اليوم وبالتالى فالحياة البدائية لم تكن كالحياة المعاصرة، أى أنها لم تكن مليئة بكل هذه القيم التى تخلق من جهتها وظائف يشترط على أشكال النشاط العملى والمعرفى إحداث تغيير تتطور به صفة الحياة. والمجتمع والتاريخ بالصيغة التى تتسم بها الحياة المعاصرة.

ومع هذا وذاك يبقى الجواب على ما سبق أن طرحناه آنفا من أسئلة حول ماهية الفن ومدى وعى الفنان البدائى بمحتواه ضعيفا إن لم يكن منعدما. وهذا رأى لم نتفق عليه ولا على عكسه نظرا لافتقارنا إلى البرهان الجى الذى يؤكد الرأى الصحيح. إنما الذى يجب أن نتفق عليه كون الفن البدائى كان بالفعل ظاهرة معرفية عامة استطاع أن يعكس واقع الإنسان البدائى وبذلك حق للفن أن يكون طليعة ذلك النشاط الإنسانى منذ أول العصور.

المراجع

(١)و(٢) من كتاب : (أرنست فيشر).

(٣) و(٤) من كتاب : وظيفة الفن الاجتماعية [م. س. كاخان].

الغناء العربي من الجاهلية

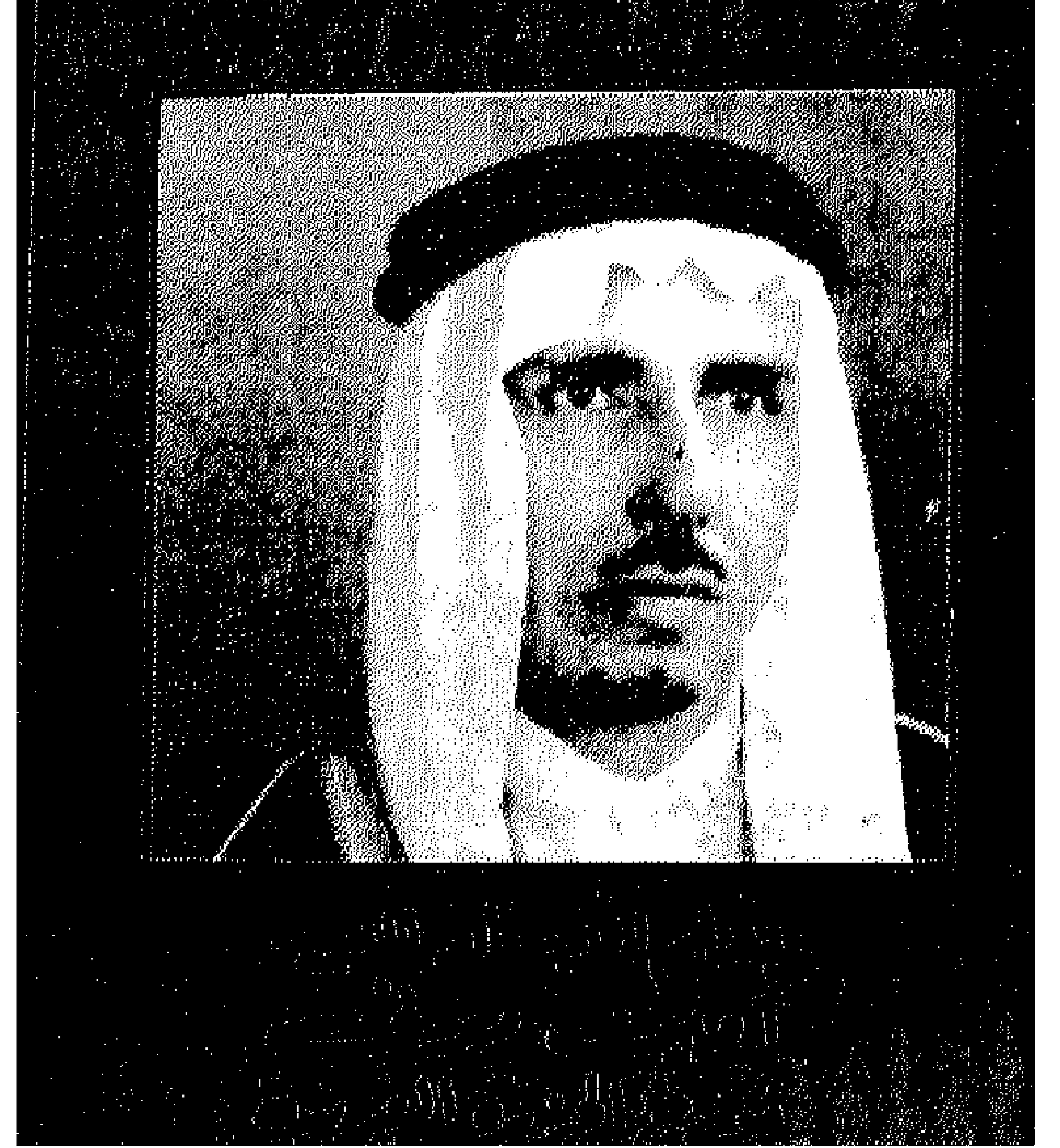
نعدد المعارف وتلونها..
والاهتمام بالتاريخ وحفظه
.. الحرص على تراث الأمة..
كلها من مميزات العلماء
الاثبات وصفات الأدباء
الأقحاح.

الكتابة فى الفنون عند العرب تقتضى عدم خلط الفنون العربية الجاهلية بالفنون العربية الإسلامية، فالفن العربى بعد الإسلام امتزج بفنون الأمم التى أظلتها راية الإسلام فى شرق البلاد الإسلامية وغربها، فالفنون العربية الإسلامية لا يحصيها غير سفر كامل يوضع خصيصاً لها. كما فعل [غو ستان لوبون] فوضع كتابه «حضارة العرب»

ومثلما فعل [جرجى زيدان] فوضع موسوعته «التمدن الإسلامى» وبهذين السفرين وغيرهما أصبح الحديث عن الحضارة الإسلامية وفنونها عامة - فى رأيى - مكرراً معاداً ما لم تدع مناسبة خاصة تستدعى التحقيق فى فن خاص.

أما الفن العربى فى العصر الجاهلى فهو موضوع يحتاج الى بحث، فالعرب الجاهليون فى مؤلفات المؤرخين القدامى أمة متوحشة تعيش فى بلادها مثلما تعيش الوحوش فى غاباتها. . فكثرة المؤرخين من القدامى لم يعنها مما ورد فى القرآن الكريم عن (عاد) و(ثمود) وغيرهما. غير ما ورد عن كفرهم وتكذيبهم الأنبياء وما عوقبوا به من عذاب. أمّا ما هى الآيات التى كانت عاد تشيدها على كل ربع؟ . وما بلغه فن النحت عند الثموديين؟ . فهذه الجوانب لم يعن بها غير قلة من الباحثين فى التاريخ العربى القديم مثل: «جرجى زيدان وجواد على».

فمما لا شك فيه - ان للعرب قبل الإسلام دولاً وحضارات ذات فنون لا فى حدود شبه الجزيرة العربية التى حصرها بعض القدامى فى اطار

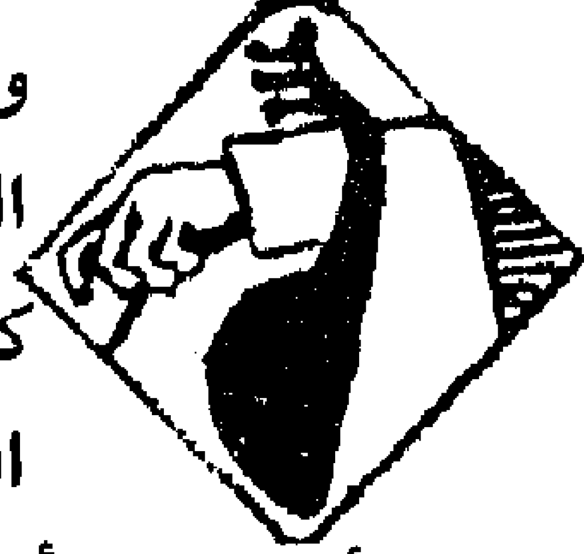


إلى اليوم

ضيق . . بل فى الاقطار الاصيلة فى عروبتها مثل : الهلال الخصيب ومصر العمليقية العربية .

فكثيرة بحوث المستشرقين والذين تابعوها من المؤرخين العرب والذين سبقت بحوثهم الى النتائج التى وصل اليها تحقيق المعاصرين فى الوقت الحاضر - كثيرة تلك البحوث - التى تؤكد : أن للعرب آثاراً فنية ظهرت فى سيناء والاسكندرية وما وراء سيناء والاسكندرية فى افريقية ، وفى دمشق وفلسطين والاردن وتُدُمرَّ وفى بلاد الرافدين فى آسه - فهذا جرجي زيدان وجواد علي فى كتابيهما «العرب قبل الإسلام» يؤكدان : أن العرب هم أساتذة المصريين فى فن النحت ويشيدان بآثار الساميين العرب فى بلاد ما بين النهرين - ويكبران فن الحدائق المعلقة .

وفى مقدمة الفنون العربية الجاهلية التى برع فيها العرب من عهد [عاد] فن الغناء - ففى قصة وفد عاد التى أوردها إبن جرير الطبرى - على ما يساور بعض الباحثين من شكوك فيها - تدلنا على قدم فن الغناء فى مكة .

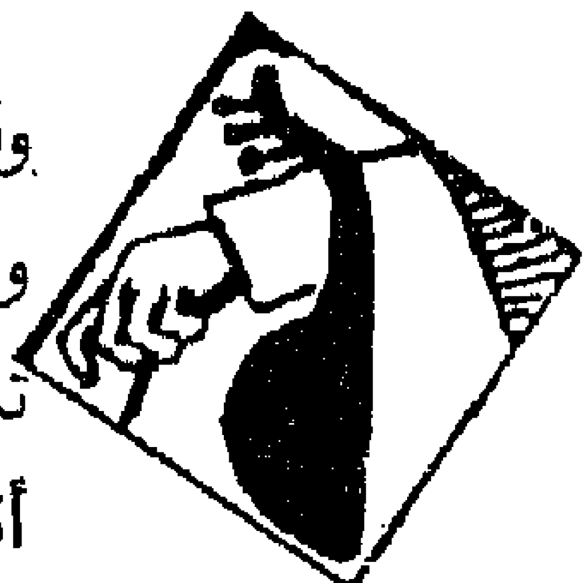


ومثلما اعترف المؤرخون جميعهم بقدم الشعر العربى وروعة الشعر العربى - كذلك اعترفت كثرتهم بقدم الغناء العربى وروعته ، فـ (ابو الفرج الأصفهانى) أثبت فى أغانيه : قول (أبى النضير) وهو مغنٍ فى زمن البرامكة (إن الغناء على تقطيع العروض) . وأثبت قول (ابراهيم الموصلى) استاذ الغناء فى العصر العباسى الذهبى (إن فن العروض محدث وإن فن الغناء قديم) .

فمما لاشك فيه أن للغناء فى العصور الجاهلية تاريخاً عريقاً ، وأنه فى عهد قريش كانت بمكة دور غناء تشبه مسارح العصر الحاضر يرودها عِلْيَة القوم من القرشيين يطربون من صوت الشاديات الحسان من القيان ، ومما تحدث عنه المؤرخون القدامى قيان (ابن جدعان) ومجالس طرب إبن جدعان فى مكة التى اختلفت آراء الباحثين المعاصرين فيها ومازالت موضوع بحث .

والقينة فى معاجم اللغة - كل صانعة - ومثلها : القين ، والقين والقينة أطلقها الجاهليون على العبيد والإماء ، ثم ألصق لقب القينة بالمغنية وكذلك : الكرينة والمُسْمِعة والداجنة والمدجِنة والصدوح وجرادة والصنَّاجة وفى شعر الأعشى :

ومسمعتان وصناجة
تقلب بالكف أوتارها



ولقد عرفت المدينة مجالس الطرب ولياليه من العصر الجاهلى ، ومن صور تلك المجالس الحفل الغنائى الذى أقامه المدنيون للنابغة ، فلقد عاب

المدنيون على النابغة الاقواء فى شعره، ومنعتهم رقة طباعهم أن يصارحوه بعيبه فأقاموا حفلاً غنائياً واوعزوا لبعض المغنيات أن تغنى فى شعر النابغة.

أمن آل ميَّة رائح او مغتدٍ
عجلان ذا زاد وغير مزوّدِ
زعم البوارح: أن رحلتنا غداً
وبذاك خبرّنا الغرابُ الاسودُ

فبالاغنية تنبه النابغة الى ما عيب شعره.



ولقد جاء فى الشعر الجاهلى والإسلامى أبيات تشير الى شغف العربى بالغناء وعنايته بمجالسه للترويح عن النفس بسماع شدو القيان، فالقلوب تحتاج الى راحة: روحوا القلوب ساعة وساعة، ويقول أبو الدرداء: «إنى لاجم فؤادى باللهو الجائز لانشط للحق» ومما ينسب لعلى بن أبى طالب (أجموا هذه القلوب فانها تمل كما تمل الأبدان).

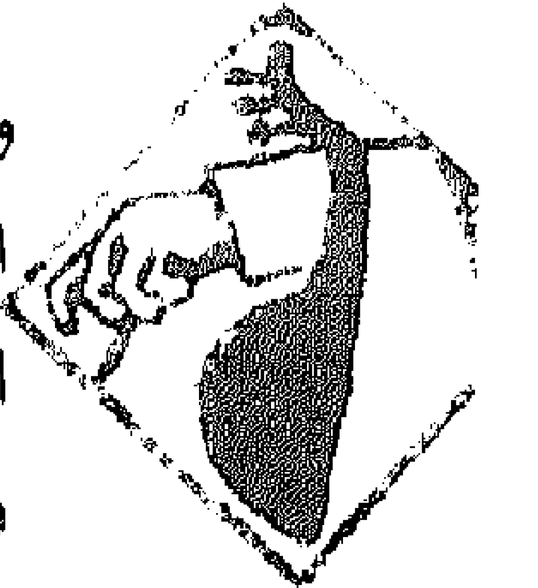
فمما جاء فى الشعر الجاهلى قول امرىء القيس:

وان أمسى مكروباً فيارب قينة
منعَّمة أعملتها بكران
لها مزهرٌ يعلو الخميس بصوته
أجشَّ اذا ما حركته اليدان

وقول المعقَّر بن أوس:

فباتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة
لنا مسمعاتٌ بالدفوفِ وسامرُ

وما أكثر ما جاء فى الشعر الإسلامى عن الغناء ومجالس الطرب.



وفى الغناء وطبقات المغنين - وضع ابو الفرج الاصفهانى موسوعته (الاغانى) التى صارت على ما اكتشفه المحققون فيها مرجعاً ادبياً وتاريخياً لا يستغنى عنه الأدباء والمؤرخون.

وموضوع موسوعة ابى الفرج: المئة صوت التى أمر الخليفة العباسى (هارون الرشيد) كبار المغنين أن يختاروها له. وما اختير للرشيد هو مئة صوت من مئات انتشرت فى عصر ازدهرت فيه الحضارة العربية الإسلامية وفاح أريجها.

وليست مكة والمدينة ودمشق وبغداد هى الحواضر التى اختص أهلها بالغناء ومجالسه. فالغناء بقيانه انتشر فى حواضر شبه الجزيرة من أقصى اليمن الى أقصى الشام ولم تك الأحياء العربية فى بطون الوديان وعلى سفوح الجبال بمعزل عن الغناء ففى تأريخ الأدب العربى أثبت جامعوه: شعراً لـ (تأبط شراً) جاء فيه:

ولست بعيداً عن مدام وقينة
ولا بصفا صلدٍ عن الخير معزل
ولكننى أروى من الخمر هامتى
وانضو الملا بالشاحب المتشلشل

وفى الأغانى قصص كثيرة تُعزى إلى العصر الجاهلى تصور الاغانى ومجالسها التى يرتاح فيها العربى ويسرى عن نفسه همومها، منها ما روى لابى الفرج عن (عمرو بن الاطنابه) الخزرجى الذى قيل: إنه لقب بملك الحجاز وقيل عنه: إنه عندما علم بمقتل صديقه [خالد بن جعفر] احضر قيانه واخذ يسرى عن نفسه اثر النبأ الذى احزنه بسماع قيانه اللائى اشتهرن بعنايتهن بمظاهرهن وجمالهن.

عللانى وعللا صاحبيا
واسقيانى من المروَّق ريَّا
إن فينا القيان يعزفن بالد
ف لفتياننا وعيشاً رخيَّا

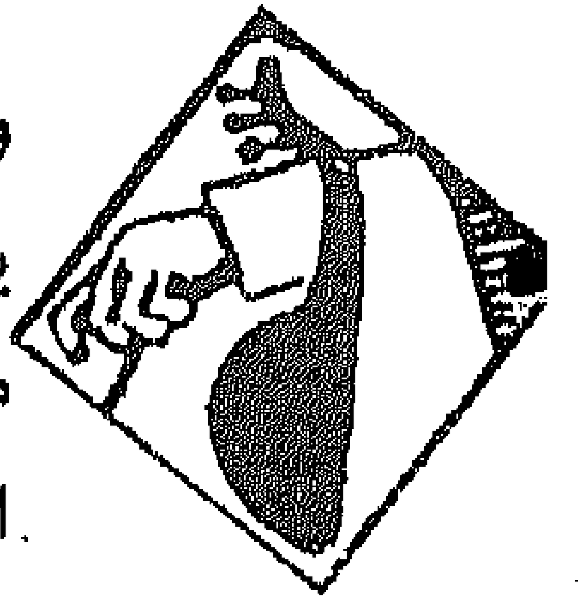
ويصف لنا شاعر المدينة الأول [حسان بن ثابت] مجالس اللهو والطرب:

رب لهو شهدته امّ عمرو
بين بيض نواعم فى الرياط

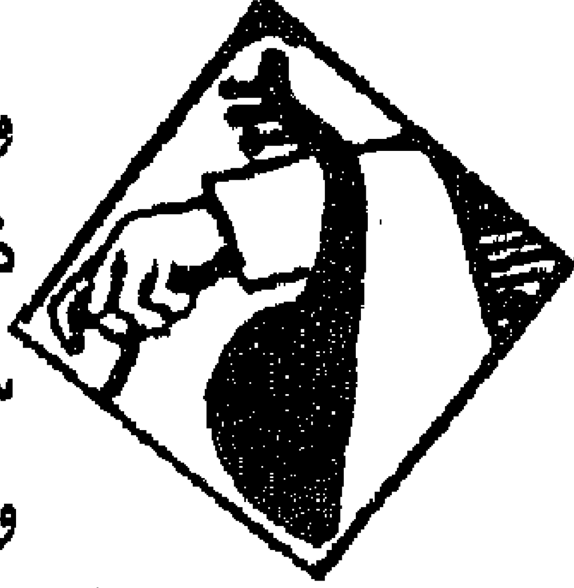


مع ندامى بيض الوجوه كرام
نُبِّهوا بعد خفقة الأشراطِ

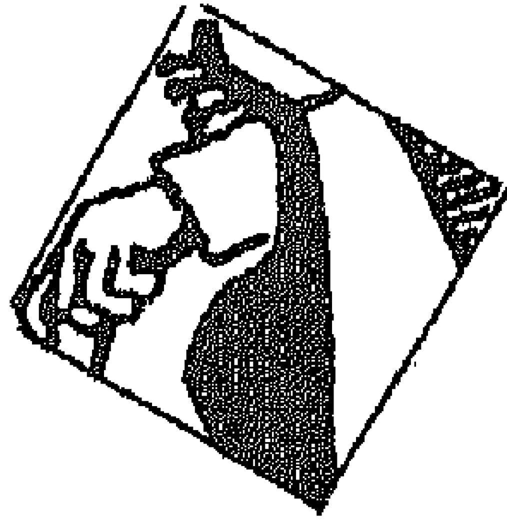
ظل حولى قيانه عازفات
مثل أدمٍ كوانس وعواطِ



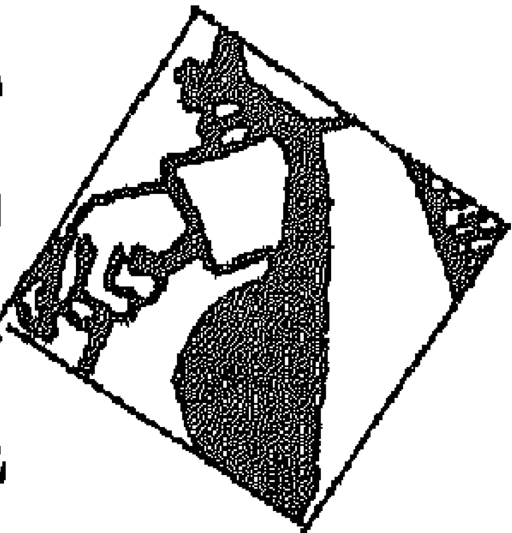
ومثلما نجد اليوم: اللحن العربى يمتزج باللحن الغربى وتخلط ـ موسيقاه بالموسيقا الغربية ـ نجد أصول الغناء العربى القديم: النصب والسناد والهزج تمتزج بها الحان فارس ونغم الروم وغيرها مما دخل على الصوت العربى مع المغنيات اللائى يأتين مع تجار العرب من بلاد فارس ومملكة القياصرة. ويقال إن (النضر بن الحارث) عرف العود وتعلم العزف عليه من الفرس، فترأس العود الدفوف والربابة والمزمر. وعندما ترجم ابو الفرج الاصفهانى (ابن سريج) المغنى قال عنه: إنه أول من ضرب بالعود على الغناء العربى ولعل الاصفهانى يقصد بالعود: العود الخشبى، فلقد سبق العود الخشبى ـ العود الجلدى ـ أو لعل العزف على العود كان باللحن الفارسى الى أن جاء ابن سريج فضرب بالعود على الغناء العربى.



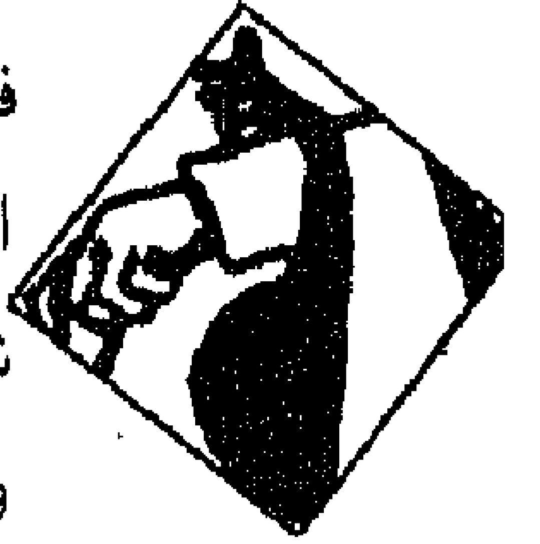
ولقد نبغ فى الغناء والتلحين مغنيات ذكر صاحب الأغانى عشرات منهن: سيرين وزريب وخوله وسلمى ورائقة، وعنهن وصل الفن الى سيدة الاغناء الأولى (عزة الميلاء) التى أمَّ دارها لسماع غنائها شيوخ المدينة المنورة فى القرن الأول من الهجرة.



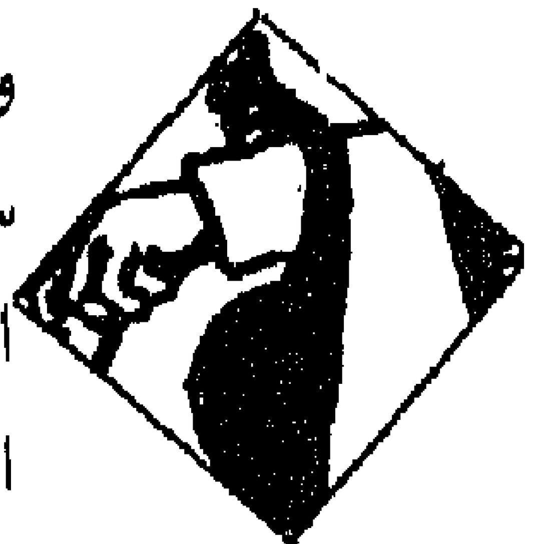
فمدرسة الغناء كما يتخيل المتعمقون فى فن الغناء والذين ينقبون عن تاريخه قديمة تصل جذورها الى العصر الجاهلى، وأسماء الالحان تنوعت فهى فى زمن العباسيين غيرها فى القرون الوسطى حيث سمى كل لحن باسم مازال يحمله الى اليوم. فنحن اليوم نعرف الألحان بهذه الأسماء: سيكة ودوكة وحجازى... الخ.



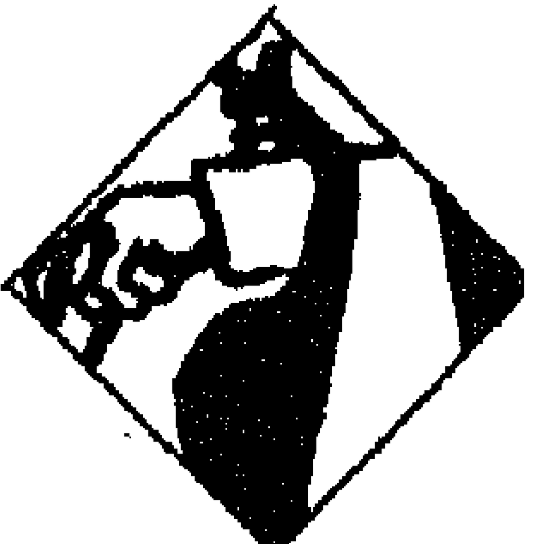
ومن المعروف: أن فن الغناء العربى فى العصر التركى خمل وقل شأنه مع ما خمل من الفنون العربية التى قل شأنها. فلم يصل فنّ الغناء إلى بعض ما كان عليه فى العصر العباسى فلقد بات الغناء هواية ذوى المواهب الغنائية ـ لا يفيد صاحبه كثيراً ولا قليلا من المال أو الجاه فحال المغنى الفريد مثل حال الشاعر الملهم متعتهما فى دنياهما: التلحين والنظم، هذا ينشد شعره وذاك يشدو بالحانه فى أركان متواضعة.



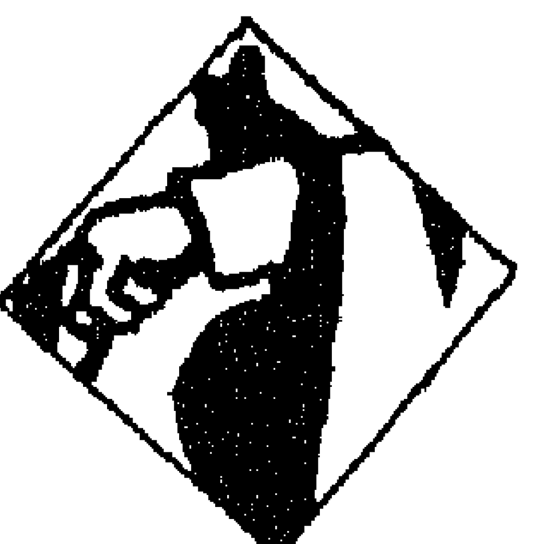
فمن القمة التى وصل اليها المغنى فى العصر العباسى بدعم من الخلفاء شمل السادة والموالى على السواء وبذاك الدعم برز الملحنون وأقعدوا فى صدور المجالس وأغدق عليهم دعم المجتمع وحكامه: المال والوجاهة، مثلما برز الشعراء وتصدروا المجالس وأغرقت حياتهم وامتلأت بالعطايا والتكريم.



وعلى رأس النابغين فى فن الغناء من سادة المجتمع العباسى: ابراهيم المهدى العباسى أخو الخليفة هارون الرشيد وعم الخليفة المأمون، وابراهيم الموصلى الوجيه الفارسى المنحدر من أسرة فارسيه كريمة، وعبد الله بن فضالة الاسدى، وعلى رأس الموالى - وهم كثيرون - معبد وسريج وابن عائشة.



ومن القصص التى يرويها أبو الفرج والتى تصور لنا أجواء الطرب فى قصور الخلفاء: (اجتمع ابراهيم الموصلى وزلزل وبرصوما - بين يدى الرشيد، فضرب زلزل وزمر برصوما وغنى ابراهيم، فبلغ الطرب من هارون الرشيد أن وقف على رجليه) نشوة مما سمع - فلا غرو. إن الكريم طروب.



ومن القصص التى يرويها أبو الفرج: (دخل ابراهيم الموصلى على هارون الرشيد - وهو فى مجلس غناء يروح عن نفسه - يغنيه ابراهيم المهدى وتعزف ثلاثون عازفة على العود خمس عشرة عن اليمين وخمس عشرة عن اليسار. فوقف الموصلى فى منتصف المجلس مرهفاً أذنه ثم قال يوجد خلل فى عود العازفة السادسة من ناحية اليمين فى الوتر الثالث، فانكر ابراهيم المهدى ذلك ولكن الموصلى اثبت الخلل

أصل الغناء وأنواعه وأول من غنى فى الإسلام

ذكر شهاب الدين عمر بن أحمد ابو الفتح الاشيهى المحلى فى كتابه «المستطرف فى كل فن مستظرف» قال: أبو المنذر هشام: الغناء على ثلاثة أوجه، النصب والسناء والهزج.

● فأما النصب: فغناء الفتيان والركبان.

● وأما السناد: فالثقيل الترجيح الكثير النغمات.

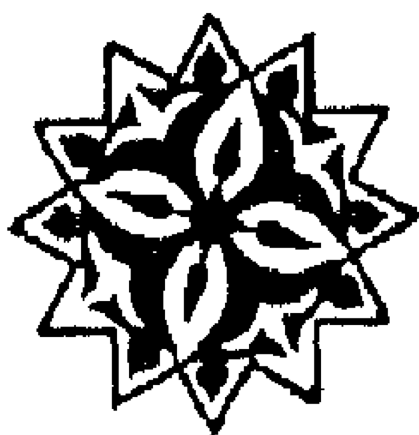
■ اما الهزج: فالخفيف كله وهو الذى يستفز القلوب ويهيج الحليم.

وقيل كان أصل الغناء ومعدنه فى امهات القرى فاشياً ظاهراً وهى المدينة والطائف وخيبر وفدك ووادى القرى واليمامه وهذه القرى مجامع أسواق العرب، ويقال ان أول من صنع العود (لامك بن قاين بن آدم) ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية، وقيل ايضاً ان أول من غنى فى العرب قينتان للنعمان، وقيل ان أول من غنى فى الاسلام الغناء الرقيق (طويس).

باخذ العود من العازفة وقدمه لابراهيم المهدى ليتأكد من صحة قوله، فعجب الرشيد وزاد تقديره.

وإنه ليسرنا اليوم هذه النهضة المباركة التى عمت المملكة العربية السعودية وشملت الفنون ومن بينها فن الغناء الذى نال من الدعم ما اتاح لبعض الموهوبين والدارسين المبدعين البروز - مثل: طارق عبد الحكيم وفوزى محسون وطلال مداح ومحمد عبده. ومن الأساتذة فى فن الغناء المخضرمين: حسن جاوه ومحمد على سندى ويبذل اليوم الفنان محمود جميل: جهداً لا بأس به لاحياء التراث الغنائى بانواعه الحجازى والفرعى والمواويل وآلدانات، فبرنامجه التلفزيونى - وتر وسمر قوبل بتقدير الصحافة واهتمام المشاهدين، وانه لجدير بوزارة الاعلام: أن تتبناه وتدعمه بما يجعله مدرسة للفن الأصيل. وبهذه المناسبة: إن الكثيرين يتمنون على وزارة الاعلام ان تعنى بفن التمثيل الشعبى وتدعم جهد الممثل الثرى لطفى زينى - فما لنا نحن وحياة الصعيد المصرى، فلقد سئمنا كلمات: يابوى، وآباى ولع وغيرها. من كثرة الأفلام التى تعرض فى تلفزيوننا.

ولقد كان بودى أن اتوسع فى موضوع الغناء وفنه قديما وحديثا. ولكن الابن نبيه استعجلنى بقوله: [واتطلع لاستجابتكم العاجلة لتغطية فترة الاخراج والطباعة التى لا تقل بحال عن شهر كامل سابق لتاريخ الإصدار].





للأستاذ
عبد العزيز بن عبد الجليل
مدير معهد الموسيقى بمكناس



التبادل الفني بين وبين الانماط المو

مدخل



تشكل قابلية التبادل بين الأنماط الفنية المختلفة ظاهرة صحية، وللتبادل وجهان : التأثر والتأثير.

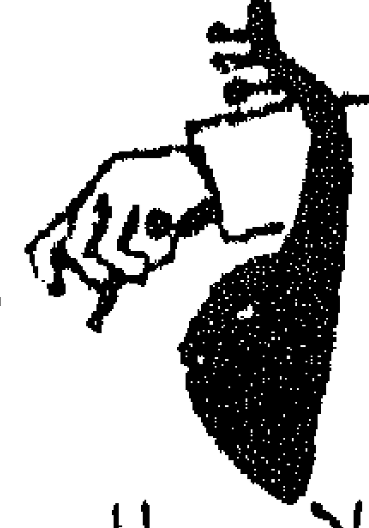
فأما التأثر فهو عنوان الاستمرارية ودليل الانفتاح على الآخر وبرهان قابلية التعامل مع الغير. وأما التأثير فهو يؤكد الحضور المستمر ومواكبة وجوه التطور ومسايرة التغيرات التى تعانى منها الفنون.



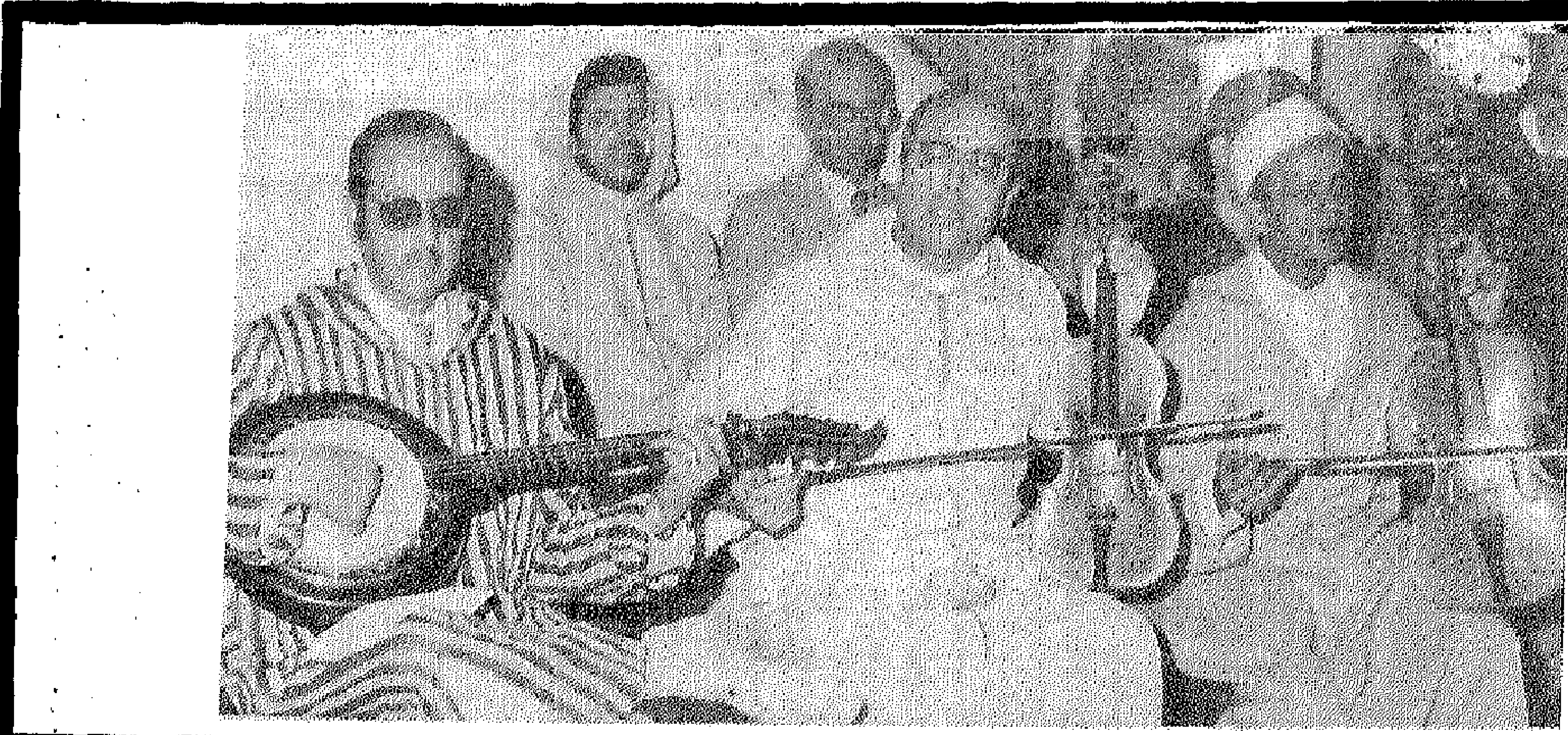
ولقد ظلت الموسيقى الأندلسية طوال مراحل وجودها متفتحة على المعطيات الفنية لكثير من الأنماط الموسيقية بدءاً بالموسيقى العربية فى أصولها الأولى ثم بأنماط نغمية من الموسيقى «الفيثاغورية» ثم بأشكال إيقاعية ونغمية من الموسيقى المغربية والافريقية. ومع هذا التفتح استطاعت الموسيقى الأندلسية أن تحافظ على مقوماتها الأصلية ولم تفرط فيما يحفظ لها طابعها، بل إنها استطاعت أن تؤثر فى غيرها من أنماط الموسيقى بشكل واضح وملموس ما تزال ملامحه قائمة حتى اليوم.



إن الموسيقى الاندلسية وإن كانت تتاجا لحضارة العرب فى الشق الغربى من الوطن العربى فإنها حملت معها عبر العصور خصائص ومميزات ظلت تطبع تركيب ألحانها ونظام تأليفها بطابع خاص هو وليد عملية امتزاج الموسيقى العربية والمغربية بالموسيقى الأسبانية القديمة.



ولقد بذلت الموسيقى العربية لأوربا بسخاء منذ أن استتب الامر للعرب فى الأندلس وجزيرتى صقلية وكريت، كما أفاضت على ما حولها من خصائصها وطبائعها وملامحها مما لا نزال نلمس أثره فى موسيقى هذه البقاع، ولكن ذلك لم يحل دون أن تأخذ من غيرها ما يطعمها



الموسيقى الاندلسية سيقية الاخرى

ويزيدها ثراءاً وجمالا . . وإنه لمن الطبيعي أن يفضي التعامل والتعايش بين أنماط الفن الموسيقى إلى حصول التبادل بينها مهما تباينت معطياتها . . ولقد كان من أمثلة هذا التعامل ما عرفته الجزيرة العربية بعد فتح بلاد فارس والروم من ألوان موسيقية جديدة استحدثها الموسيقيون العرب والموالى معا فى ظل الحكم الاسلامى .



وهكذا يستمع الغريض الى غناء الرهبان فى دير لهم فيستحسنه ويصوغ على منواله لحنا جديدا(١) . . ويستحسن أهل مكة غناء العجم وقد أقبلوا على الكعبة يعيدون بناءها فينطلق من بينهم ابن سريج بعوده الفارسى ويضرب بألحانهم على الشعر العربى(٢)وهكذا أيضا يأخذ ابن محرز ما حسن من نغم الفرس والروم فيمزج بعضها ببعض ويؤلف منها أغانى جديدة

ولئن كنا نقبل بمبدأ التبادل الذى حصل فى الشرق العربى على أثر الفتوحات العربية الممتدة فى فارس والهند شرقا وفى تركيا شمالا فما يمنعنا أن نقبل بنفس المبدأ فى أرض الأندلس التى سكنها العرب وعاشوا بين قومها ثمانية قرون؟



ونحن اليوم تستهوينا صيحات الفلامنكو. فإذا تساءلنا عن السبب وجدنا الجواب عند الشاعر الإسبانى فريديركو كارسيا لوركا عندما يقول: إن ميزات وخصائص الفلامنكو ذاتها نجدها فى بعض الأغانى الاندلسية . وهى أغانٍ مازالت تحتفظ بشبه كبير بالموسيقى التى تعرف الآن بالمغرب والجزائر وتونس بهذا الاسم المؤثر فى قلب كل غرناطى عريق ، ألا وهو موسيقى عرب غرناطة .



على أننا إذا كنا نقبل بمبدأ التعامل فلسنا نوافق - إلا بقدر

محدود ـ صاحب الرأى الذى يقول: «إن الموسيقى النظرية والتطبيقية التى أدخلها زرياب وابن فرناس إلى الأندلس كانت فارسية عربية وبتوالى الاعوام أخذت أصول الموسيقى اليونانية والفيثاغورية تحل محلها»(٣) فلقد حافظت الموسيقى الأندلسية بالرغم من استيطانها الجزيرة الايبرية على طابعها العربى الأصيل وظلت خاضعة للذوق الشرقى، كما ظلت غير بعيدة عن طبيعة الأسلوب اللحنى الذى يسود فى التأليف العربى.. وهى بعد ذلك لم تنحبس ـ بفضل ما تحتضنه من طبوع ومقامات متعددة ـ فى بوتقة الاسلوب الغربى الذى لا يخرج عن مقامين اثنين هما الكبير والصغير أو «الماجور والمينور».



وإن مما يزيد فى ترجيح مبدأ التعامل بين الموسيقى العربية وبين الأنماط الموسيقية التى كانت متداولة فى الجزيرة الايبرية قبل الفتح الأسلامى ما ذكره أحمد التيفاشى المتوفى سنة ٦٥١هـ فى كتابه «متعة الاسماع فى علم السماع» نقلا عن بعض أئمة الفن حيث قال: «إن أهل الاندلس فى القديم كان غناؤهم إما بطريقة النصارى وإما بطريقة حداة العرب. ولم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه.. إلى أن نشأ ابن باجة الامام الاعظم واعتكف مدة سنين مع جوار محسنات فهذب الاستهلال والعمل ومزج غناء النصارى بغناء المشرق، واقترح طريقة لا توجد إلا بالأندلس مال إليها طبع أهلها فرفضوا ما سواها»(٤).

تأثر الموسيقى الاندلسية بغيرها

وكما أثرت الموسيقى الأندلسية فى الموسيقى الأوربية عن طريق الأسبان فقد حملت بدورها بعض الخصائص الفنية التى انتقلت اليها من أنماط أخرى كما أسلفنا من قبل.. وهذه أهم وجوه التأثر:

المجال المعجمي

أخذت الموسيقى الأندلسية بالمصطلحات الشرقية سواء منها ذات المفهوم الفارسى أو العربى.. ولابد أن نسجل هنا أنها لم تحفظ لتلك المصطلحات مدلولاتها الأصلية، ولعل خير مثال على هذا أنه اذا كان لفظ العراق يدل حتما على ربع النغمة فى الموسيقى الشرقية فإنه فى الموسيقى الأندلسية يعنى طبوعا خالية من الربع بالمرة سواء فى مقام عراق العرب أو عراق العجم.



وليس لذلك من تأويل إلا أن تكون بعض الألوان والقوالب الموسيقية الشرقية قد تغيرت نتيجة اتصالها بتراث جنوب أسبانيا وإن لم تتغير معها أسماؤها الأصلية.

وتشكل المصطلحات المشرقية ـ بما فيها القديمة والحديثة ـ حوالى ثمانين مصطلحا وهو عدد يقارب ربع المعجم الأندلسى.

مجال التأليف البوليفوني

تتميز الألحان الأندلسية بقابلية اخضاعها للكتابة البوليفونية على نسق التأليف المغربى.. وأحسب المستمع الحاذق قادرا على استيعاب وادراك تلك الارتجالات الحرة التى ينساق معها بعض المنشدين والعازفين فيبدون وكأنهم حادوا عن اللحن الموسوم، فإن هذه الارتجالات التى يمارسها مهرة العازفين وذوو الحناجر القوية فى نغمات صوتية حادة ليست إلا أصداء محاولات قديمة لازدواجية اللحن فى أبسط صوره البوليفونية.

مجال الأداء الآلي

فى هذا المجال يلاحظ لجوء بعض الأجواق فى السنوات الأخيرة إلى استخدام آلات غربية من بينها الساكسو والكلاينت والبيانو وذلك بدعوى تطوير الموسيقى الاندلسية. . وقد خلفت هذه العملية أصداء متباينة فيها المؤيد وفيها المعارض. . فأما دعاة التجديد فيرون أن جوق الموسيقى الأندلسية كان فيما مضى من العهود يحتضن إحدى وثلاثين آلة وقد ضاع ثلثاها(٥) . . وإذن . . فلاضير على الموسيقى الأندلسية أن تطعم من جديد بما يعوض ذلك الخصاص الطارىء.



ويدعم المجددون وجهة نظرهم بكون الآلات الغربية من شأنها أن تحول دون خطر تسرب ربع النغمة إلى الألحان الأندلسية بعدما أصبح هذا الأمر مدعاة لقلق المهتمين بالتراث الأندلسى، ثم انهم بعد ذلك يرون أن الموسيقى الأندلسية قد ابتعادت شبابها وتكيفت مع الذوق السائد فى عصرنا وفرضت نفسها فى أوساط الشباب خاصة وأنها مدينة فى ذلك كله للحيوية التى اكتسبتها بفضل استخدام الآلات الغربية. . وبالمقابل تنطلق الأصوات المعارضة لاستعمال الآلات الغربية من مبدء محافظة الموسيقى الأندلسية على طابعها وطريقة عزفها.

مجال الأداء الصوتي

مما يلفت النظر فى أداء الصنائع لجوء المنشدين - وخاصة فى الصنائع الموسعة والمشغولة - الى اشباع حروف يتبعها حرف مد أو تجزئة الكلمة الواحدة الى مقاطعها بحيث ترجع هذه المقاطع مستقلة ومنفصلة عن أخواتها. . ويمكن ملاحظة ذلك فى تصدرة بسيط رمل الماية «صلوا يا عباد» فإن كلمة «صلوا» وحدها تأتى حافلة بالشغل(٦) الذى يتخلل مقاطعها على نحو يبتعد بأدائها عن الأسلوب العربى بحيث ينشد حرف الصاد المفتوح واللام الممدود ضما، كل منها بمعزل عن الآخر الامر الذى يذكرنا بطريقة إنشاد الصلاة الكنيسية. . ولعل هذا أن يكون من وجوه التأثر بالموسيقى اليونانية. ولعل من وجوه التأثير الغربى فى الأندلسية أيضا تبنيها لتلك

العبارات التى لا تحمل فى أغلبها أى معنى لغوى وهى ما نسميه بالتراتين. وهى امتدادات لحنية غنائية تتجاوز حدود الكلمات فى البيت المنظوم يرددها المنشدون خلال أداء الصنعات المشغولة على مقاطع وصيغ متواضع عليها من قبيل: ياالالان ـ طيرى طان طار لاطى ـ هانانا.



ولعل لها صلة بالترديدات المتداولة فى الأغانى الشعبية الأوربية من نوع «طرالالا» مصداقا لما ذكره البحاثة الكبير محمد الفاسى وكأنما كان القصد من ترجيعها ملء الفراغ الذى يقتضيه طول نفس الألحان، أو هو تعبير عن التحرر من قيد الأشعار الموزونة والتى تتحكم بحورها وتفعيلاتها فى اللحن وتفرض فى العادة نهايته بنهاية كلمات البيت المنظوم ثم تحولت الى تقليد متبع.

مظاهر تأثير الموسيقى الاندلسيّة في الأنماط الموسيقية الأوربيّة

تركت الموسيقى الأندلسية بصماتها بارزة بوضوح على البنية الفنية للموسيقى الغربية فى العصور الوسطى. وفيما يلى أبرز مجالات هذا التأثير:

مجال التأليف الآلي

نقصد بالتأليف الآلى الموسيقى البحتة والعارية عن الكلمات، أو ما يصطلح على نعته بالموسيقى الآلية التى تشترك فى أداء ألحانها الآلات دون غيرها. وتشغل هذه المعزوفات فى الموسيقى الأندلسية حيزا واسعا يحتل المقدمات التى يمهد بها لأداء صنعات(٧) النوبة(٨) كما يحتل مقاطع قد تطول وقد تقصر ضمن الصنعات الداخلية لميازين النوبة(٩) وتطلق على هذه المعزوفات أسماء خاصة هى على التوالى:

- *المشالية والبغية، وكلاهما عاريتان عن الميزان لا يضبط ألحانها زمان معين.*
- *التواشى، وهى معزوفات خفيفة ورشيقة خاضعة للوزن الزمنى تأتى غالبا مع المقدمات وتأتى أحيانا ضمن الصنائع فتسمى بالتواشيات الداخلية.*
- *التغاطى، وهى جمل لحنية قصيرة تأتى ضمن الصنعات، ويطلع بآدائها عادة عازف منفرد من أمهر عازف المجموعة.*
- *الجوابات، وهى الترجيع الآلى لألحان الأبيات المغناة، وتشترك المجموعة عادة فى أدائها.*



هذه صورة عن البنيات الفنية للمعزوفات الآلية التى يقوم عليها بناء الموسيقى الاندلسية. وهى - وأيم الحق - بنيات مكتملة المعالم تدل على المستوى الرائع الذى بلغته الموسيقى الآلية بالأندلس.

فإذا علمنا بعد هذا أن الموسيقى الآلية والمجردة عن الغناء الصوتى لم تظهر فى أوربا مستقلة بذاتها وكيانها إلا بعد النصف الثانى من القرن الخامس عشر أدركنا أن عرب الاندلس كانوا سباقين الى ارتياد عالم التأليف الاركسترالى، ولم نستبعد - بسبب هذا - أن يكونوا قد أثروا فى الاوربيين فى هذا المجال، وأن يكونوا من وراء ظهور السوناتة التى رسمت فيما بعد القالب الفنى للمعزوفات الكلاسيكية فى أوربا على يد الرواد الأوائل.

مجال القالب الفني للعمل الموسيقى

تتضمن النوبة - بعد المقدمات الآلية خمسة أقسام يسمى الواحد منها ميزانا، وهى البسيط والقائم ونصف والبطايحى والدرج والقدام.. ويخضع عرض الميزان فى الموسيقى الأندلسية لنظام خاص يمكن إجماله فيما يلى: فهو يبدأ بعزف توشية تسمى توشية الميزان. ثم تليها مجموعة من الصنائع التى تؤدى على النسق التالى:

١ - *التصدرة والصنعات الموسعة: وهى تقوم على حركة بطيئة جدا ثم متوسطة البطء.*

٢ - *القنطرة: وهى صنعات وسطى انتقالية تتدرج عادة من البطء نحو السرعة.*

٣ - *الانصراف: وهى صنعات تؤدى فى إيقاع حثيث وتتضاعف سرعتها كلما اقترب الجوف من النهاية.*

٤ - *القفل: وهو صنعة واحدة يختم بها الميزان وتعزف سريعة أيضا غير أنها تجنح إلى البطء فى النهاية تمهيدا للانتقال الى الميزان الموالى.*



ويبدو أن تعاقب الصنعات الغنائية على هذا النمط جاء بدوره ليرسم ملامحه على الموسيقى الغربية: ذلك أن الناظر إلى قالب السوناتة المكتوبة للكمان فى القرن السابع عشر على يد روادها الأوائل أمثال كويلى وفيفالدى الايطاليين ولوكلير الفرنسى لا يسعه إلا أن يقف مشدوها أمام الشبه الكبير بين حركات السوناتة وبين صنائع الميزان. فقد كانت السوناتة على ذلك العهد تتركب من أربع حركات هى:

١ - *الافتتاحية: وتؤدى فى إيقاع بطيىء.*

٢ - *أليكرو: وتؤدى سريعة.*

٣ - *أداجيو: وهى أقل سرعة من سابقتها.*

٤ - *أليكرو أو فيفاتشى: وهى حركة سريعة جدا تؤدى بخفة وحيوية.*



ويحملنا هذا على القول بأنه كان للنوبة الأندلسية قالب فنى محدد، وأنها فى عهد ازدهارها بالأندلس طبعت الموسيقى الأوربية عن طريق المدارس الأولى للتأليف الآلى بمؤثرات ظهرت فى بناء السوناتة التى حددت القالب الكلاسيكى للأشكال الموسيقية الغربية.



وعندما يذكر الباحث الانجليزى هانرى فارمر أن النوبة فى صورتها الحالية تحاكى ما يسمى اليوم فى أوربا بدورة الحركات الموسيقية فهو انما يقصد بتلك الحركات الصنائع التى

تتوالى فى الميزان الواحد.



ونعود الى تعريف المتتابعات فى القاموس فنجد أنها «مجموعة من القطع الآلية تعزف على مقام واحد وإن تكن مختلفة فى ايقاعاتها» ونجد أنها كانت «تبتدأ غالبا بافتتاحية حرة يغلب عليها طابع الارتجال ويسوى العازفون خلالها عيدانهم قبل البدء فى الحركات» وهذه صورة قريبة من المشالية الكبرى فى النوبة - ثم لما اكتملت للمتتابعات المميزات الفنية الكلاسيكية على يد الموسيقار الفرنسى لولى فى النصف الثانى من القرن السابع عشر أصبحت تتكون من خمس حركات هى: الافتتاحية والالمانية والجارية والساراباند والجيك وهى حركات تبدأ ارتجالية ثم تدخل فى نسق ايقاعى ينتقل تدريجيا من البطء نحو السرعة.

إن مظاهر الشبه بين أجزاء النوبة الأندلسية وبين قطع المتتابعات الأوربية لتؤكد حقيقة تاريخية لا غبار عليها، وهى أن الأروبيين تأثروا مباشرة أو عن طريق الموسيقيين الاسبان بنظام النوبة العربية حتى أن الدكتور فارمر لم يجد أى حرج فى أن يقول: من الراجح أن الاصطلاح الاوربى (Suite) قد يكون منقولا عن اللفظ العربى (نوبة) اذ أن معنى كل من (Suite) و(نوبة) واحد تماما وليس ثمة أى شك فى نشأة النوبة العربية قبل الألف السنة الماضية، فلا يمكن أن يكون العرب هم الذين نقلوا اصطلاحهم من أوربا.



وفيما يلى بعض وجوه تأثير الموسيقى الأندلسية فى المتتابعات:

- تشبه الافتتاحية الأوربية فى أسلوب أدائها المشالية فى الموسيقى الأندلسية.
- تتوالى المتتابعات الراقصة تماما كما تتوالى صنعات الميزان.
- لا يتغير المقام فى المتتابعات وهو تقليد مأخوذ عن النظام المتبع فى النوبة.
- يتغير الايقاع تدريجيا فى المتتابعات مثلما يتغير فى الميزان الأندلسى.
- تتشابه الأوزان بين الجارية الأوربية وقنطرة البسيط ٣/ ٤ كما تتشابه بين الجيك وانصراف القدام ٦/ ٨.

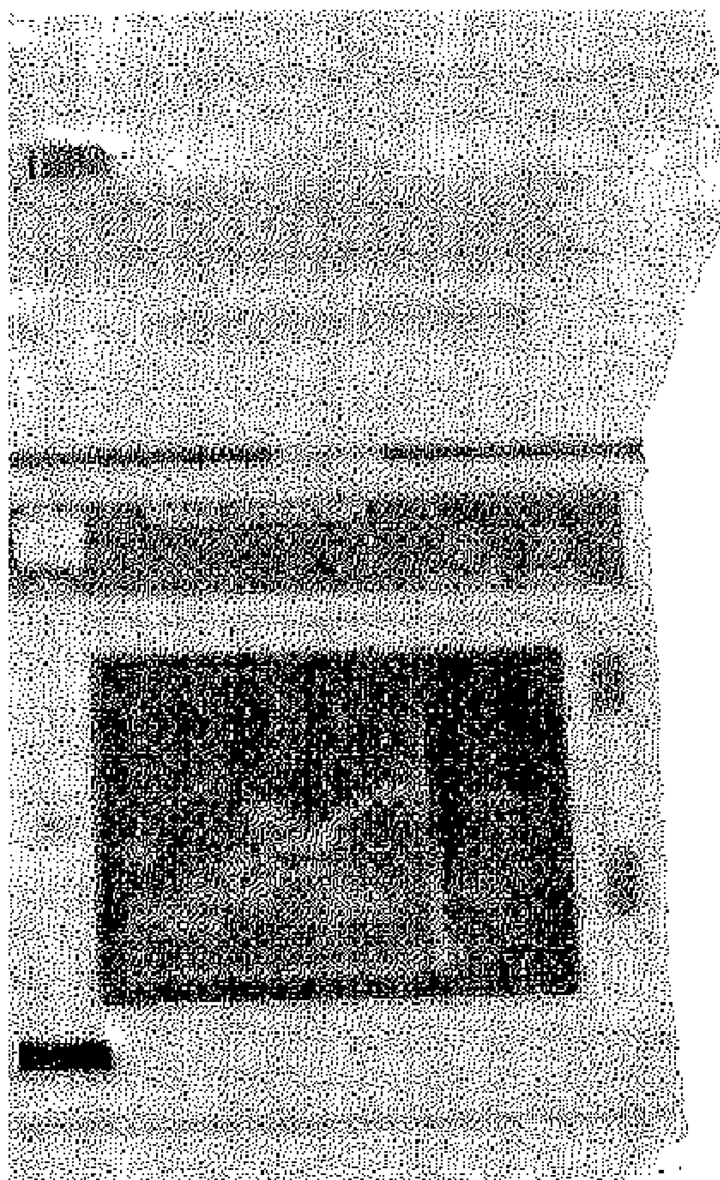
مجال الآلات الموسيقية

تأثرت الموسيقى الأوربية بالموسيقى العربية عموما والأندلسية خصوصا فى مجال الآلات ويبدو ذلك جليا فى دخول آلة العود إلى الاجواق الأسبانية والفرنسية على يد الشعراء المتجولين وخاصة منهم التروفير والتروبادور. وما تزال البحوث الميدانية فى أوربا تكشف حتى اليوم عن نماذج غنائية كانت تنشد فى رفقة العود العربى وهى كشوف يحرص أصحابها

آلة كاتبة للنوت الموسيقية

نجح القس جيدو باسكالين الذى يبلغ من العمر ٨٦ سنة فى التوصل لاختراع آلة كاتبة خاصة بالنوت الموسيقية.. وقام بمساعدته فى تنفيذ هذا الاختراع اثنان من الفنيين.

وكان «القس باسكالين» قد توصل الى هذا الاختراع عام ١٩٢٧م وذهب الى «ايفريا» مقر مصنع «اوليفتى» للآلات الكاتبة للتفاوض مع الشركة الكبيرة لانتاج هذه الآلة ولكن لم يترصل للاتفاق معها



على إظهارها لما تمنحه للموسيقى الأوربية المعاصرة من إمكـانيات جديدة فى التعبير الموسيقى من جهة ونظرا لما توليه الأوساط العلمية فى اسبانيا من عناية بالتراث الأندلسى من جهة أخرى.



وقد كان للرباب العربى دور مهم فى المـوسيقى الأوربيـة فلقـد أخـذه الاوربيون عن العرب ثم طوروه الى آلة الكمان التى انتقلت الى عرب غرنـاطة فى عهودها المتأخرة، ثم انتقلت مع الموسيكـوس المدجنين الى الرباط.. ولعل ذلك ما يفسر ورود ذكر هذه الآلة فى كتاب «السيقا ومغانى الموسيقى» لابراهيم التادلى الرباطى أوائل القرن الرابع عشر - والرباط يومئذ مركز حى للمـوسيقى الغـرنـاطية - كما يفسر اغفال ذكرها فى كتاب «الانيس المطرب» لمحمد بن الطيب العلمى الذى نعلم أنه اهتم بتأريخ المدرسة الفاسية فى القرن



الحـادى عشـر خاصـة وتتلمـذ على الفنـان محمـد البوعصامى أستاذها يومئذ.

المـراجع والفـهـارس

(١) الاغانى ج ٢ ص ٣٥٤ - بيروت

(٢) الاغانى ج ١ ص ٢٣١

(٣) الانسان العربى والحضارة - أنور الرفاعى - دار الفكر ص ٣٧٩

(٤) ورقات الحضارة العربية - حسن حسنى عبد الوهاب

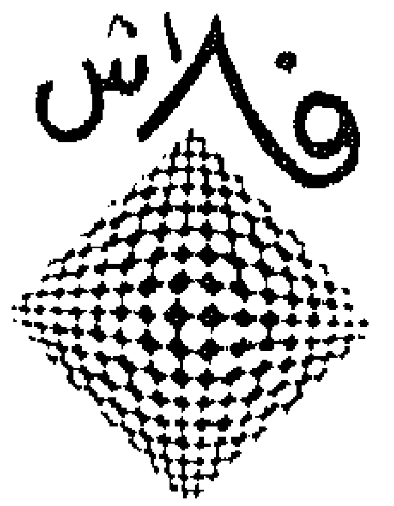
(٥) الموسيقى والشباب - عبد الله الجرارى

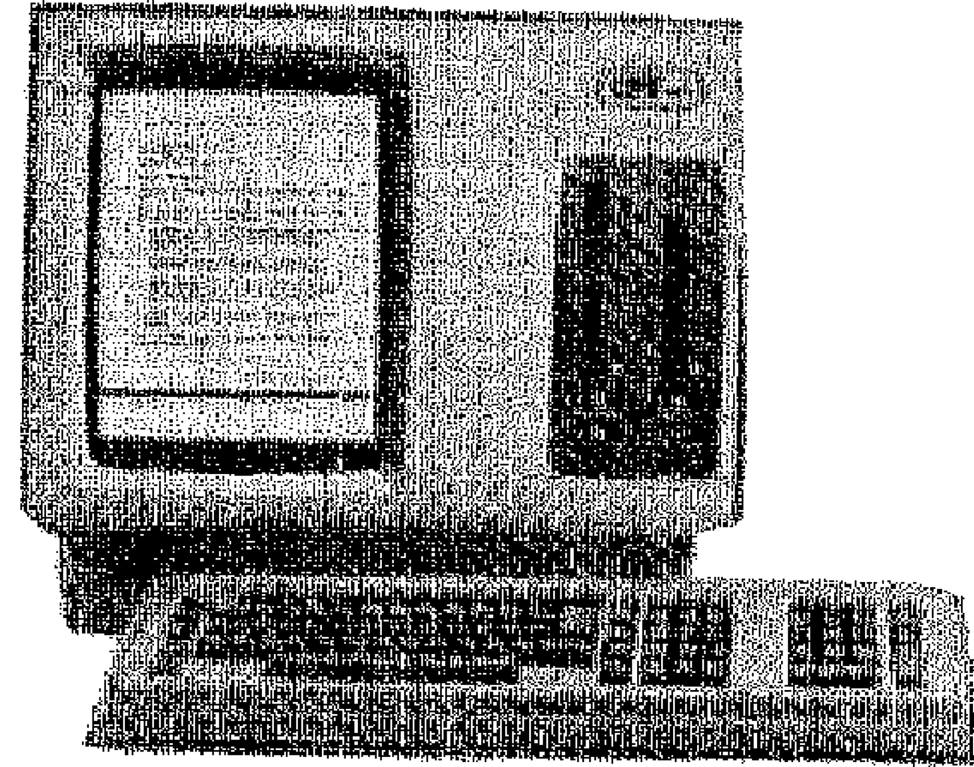
(٦) الشغـل - اقتحـام ألفـاظ لامدلول لها ضمن الكلمات المغناة أو مقاطعها بهدف اشباع اللحن مثل: آنانا - طيريطان - ياللان..

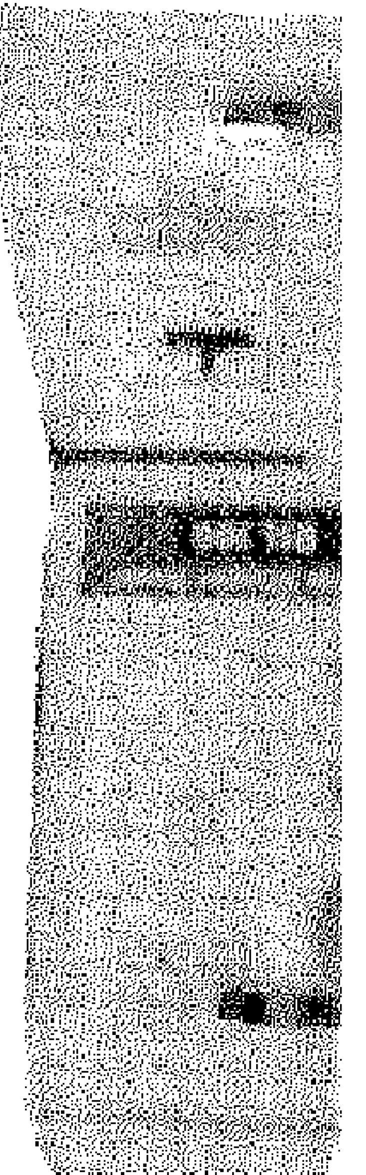
(٧) الصنعات: يراد بها القطع الغنائية التى يتوالى إنشادها فى ميزان النوبه.

(٨) النوبة: يراد بها مجموعة من المعزوفات الآلية والصنعات الغنائية التى تقوم على مقام موسيقى واحد.

(٩) الميـزان: هو أحـد الاجـزاء الخمسـة التى تتكون منها النوبة. ويتضمن الميزان مقدمات آلية ثم مجموعة من الصنعات الغنائية.







ومنذ اربع سنوات أقنعه بعض الاصدقاء ان يستأنف مشـروعـه بمساعدة بعض الفنيـين.. ونجـح «ألقس باسكـالين» فى تصميم هذه الآلة وستطرح قريبا فى الاسواق.

الفن ومعاصرته

بقلم / طارق عبد الحكيم

مدير إدارة الفنون الشعبية
بالرئاسة العامة لرعاية الشباب

وتر الصوت الحادي .. وتر النغم الشادي
ووتر الكلمة الساري بينها كلها أنغام تسمعنا أناشيد
الحياة .. وسيمفونية الأحياء .. ومن هذا التعدد
والائتلاف اقتبسنا التسمية .. (أنماط وترية)

عندما يتحدث المرء عن الفن ومعاصرته تتراقص أمامه مجموعة معالم كلها آية فى الاصالة وكلها ما تزال بحاجة الى المزيد من الاستكشاف والاكتشاف وكل منها دليل بارز على الشخصية الفنية العربية التى استطاعت أن تعيش عبر الاحقاب والدهور دون أن يسطو عليها أى تأثير خارجى للنيل منها او التأثير فيها وهكذا . فقد فقدنا كثيراً من هذا التراث لعدم إمكانية تسجيله فلم يبلغنا منه تقريباً غير ما ورثناه من الآباء والاجداد .

عرف العرب قديماً بمحبتهم للفن وهناك نصوص كثيره متفرقه فى كتب التاريخ والأدب تشهد بانهم كانوا يعتنون بالفنون من المهد الى اللحد . إذ كانوا يرقصون اطفالهم بالغناء من المهد كما كانوا يبكون موتاهم بالنواح فى اللحد وقد اشتهروا بحدائهم للابل فى مسيرهم وترحالهم كما أشتهروا باغانيهم فى الحروب واسفارهم الحماسيه والوطنيه فى الدروب وهكذا أخذت حركة الفن تتوقف قليلا ثم لم تلبث الامور ان تهدأ حتى تقوم باسترداد ما فاتها وهى تحاول أن تتفوق فيه تفوقاً عظيماً .

كانت الحجاز بمدينتيها مكة والمدينة ، ومازالت حتى يومنا هذا ، بلاداً على جانب كبير من المكانة التجارية والفنية ، ومسرحاً للأدب والثقافة . فقد كان يقام فى مكة إبان حكم قريش لها ، سوق عكاظ ، كما كانت تزخر بمراكز اجتماعات شعبية للبقاع المجاورة نخص منها مراكز الفنون القومية ، وكذلك امتازت بالمنافسه بين منشدى القصائد من شتى أقطار الجزيرة مما أدى إلى ظهور المعلقات ذات القيمة الفنية ، وإلى جانب هذا كله كان هناك الموسيقيون الحجازيون الذين نالوا حظوة كبيرة لدى الآخرين .

ومن جملة آلات الطرب الشائعه فى ذلك الزمن:

المفرق - المزهر - القصابة - المزمار - الدف - وفخرت الحجاز بأنها صنعت الموسيقى وهذا مؤلف العقد الفريد يقول:

[وانما كان الغناء ومعدنه فى أمهات القرى من بلاد العرب ظاهراً فاشياً وهى: المدينة - الطائف - وخيبر - ووادى القرى و. . . و. . . وهذه القرى مجامع اسواق العرب ونظراً للعلاقه الوثقى بين الشعر والموسيقى فمما لاشك فيه أن الصفه الأخيره كانت تلقى التقاءاً مادياً لما يلقاه الشعر من التفاوت قال إبن رشيق كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر اتت القبائل فتهنئها بذلك ووضعت الأطعمه واجتمع الناس يلعبون بالمزاهر كما يصنع فى الاعراس وتتاثر الرجال والولدان لانه حماية لأعراضهم وقرب من احسابهم وتخليداً لمآثرهم وإشادة لذكراهم].

وكانت نساء القبائل تساهم فى موسيقى اعياد العشيره او القبيلة بملاهيهن وتلك عادة بقيت حتى جاء سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ بالدعوة الاسلامية فأقر منها ما يقره الدين. . وفى موقعة أحد سنة ٦٢٥م كان نساء مشركى قريش ومعهن وعلى رأسهن هند بنت عتبه ينشدن اغانى الحرب ويندبن قتلى بدر وهن على دفوفهن يغّنين ويعز.ن على ملاهيهن ويغنين غناء الحرب حتى نشوب المعركه والتقاء الجمعين. . ومعنى ذلك ان عوامل كثيره تضافرت على ان تصبح لغة الاغانى لغة قريبة من حديث الناس، فيها لين وفيها عذوبه ورقه وفيها الشفافيه، لا عن الفكر الذى تؤديه بل عن القلوب نفسها التى تعبر عنها، فقد رفع الحجاب بين اللغة والقلوب التى تؤدى عنها من جهه، كما رفع الحجاب بين هذه اللغة والقلوب التى تخاطبها فهى لغه من محيطهم محيط احاديثهم الشفوية ومحيط احداثهم ووقائعهم اليوميه. . ومن هنا كنا نجد متعة لا تقدر فى قراءة الأغانى اذ تعبر عن كل ما فى نفس صاحبها تعبيراً صافياً. . واذا انتقلنا الى موسيقى هذه الاغانى لاحظنا فيها أيضا ما لاحظناه من لغه فهى موسيقى شفافه لا تحجب شيئاً مما وراءها بل انها تأتى لتكمل التعبير مع المعانى التى تحملها. . وهى موسيقى شعراء متحضرين قد اترف ذوقهم واترف شعورهم لذلك لا نحس فيها بشذوذ فى نغمة ولا نجد شيئاً فى نبرة. . وأصبح المثل الأعلى عند هؤلاء الفنانين والشعراء أن تكون أوزانهم سهلة خفيفة حتى تتلاءم وهذا الغناء الجديد وما يطوى فيه من الحان. . وكان الناس يستهويهم الغناء الخفيف، وقلما اعجبوا بالغناء التام، واشتهر منهم ابن سريج وابن مسجح وابن محرز ومعبد وحالك. . وعلى هذا النحو كان اصحاب الاغانى يجددون فى اوزانهم تحت تأثير النظرية الجديدة للغناء وقد رأوا ان يختاروا اوزانا اكثر بساطه واكثر ألفة فعمدوا الى الاوزان السهلة الخفيفة ولم يكتفوا بذلك بل تجروا فى مد حركاتها وتقصيرها عن طريق الزحافات والعلل ولم يكتفوا بذلك أيضاً بل ذهبوا يجزؤن فيها ويعدلون حتى تحمل كل ما يريد المغنون لها من ايقاعات وانغام والحان.

ولا يفوتنا هنا ان نذكر أن الفن فى خلال تلك الفتره كان عنصراً هاماً فى جميع الحفلات فما خلت حفله من الغناء بل ان الفقراء من الناس ترغمهم التقاليد التى سادت فى ذلك العصر الى دعوة احد الفنانين على الاقل.

ولا ننشد من هذا مجرد تسجيل تاريخ الموسيقى والغناء العربى وإنما ننشد من ذلك أهدافاً أبعد من ذلك. . فانا نريد ان نسجل هنا ان الفن قاد الأمة من نصر الى نصر ووجه المواطنين وجهات مشرفة نحو مستقبل احسن. . وكثيراً ما كان الفن متنفساً للمظلومين ومجالاً خصيبا للدعوة الى الكفاح والجهاد فانبعث من وراء الفن انتفاضات مشرفه وانتظم فى ترديدها نضال مقدس. . ونريد أن نسجل وأن نستعرض تاريخ فننا قروناً كاملة وتطورات شتى فى وطننا العربى ومدى تأثير الفن على الوطن فيها ليلمس الجميع أن الفن له صلة وثيقة باحداث الوطن وأنه يجب أن ننظر اليه والى المشتغلين به نظرة رعاية واهتمام.

هل الفن وسيلة للإبداع العلمي ؟

أحسب أنه ـ اذا اردنا الدقة ـ لا يمكن القول ان الفن «وسيلة» للابداع العلمي ولكنه من غير ادنى شك عامل مساعد لا تنكر اهميته، لاسيما عندما كان العلم يخطو خطواته الاولى فى اواخر القرن الماضى، وقبل ان ينطلق انطلاقته المذهلة التى نعيشها ونعايشها اليوم . .

ولعل السبب فى التفاوت بين الأسلوب الفنى والأسلوب العلمى فى تحقيق التقدم التكنولوجى ان الفن ينطلق بلا قيود ودون ان يقيم اى وزن للاعتبارات المنطقية والمقاييس العلمية، بينما العلم محكوم حكما صارما بالقوانين الطبيعية والفيزيائية والكيميائية واخيرا الاليكترونية . .

فالفنان يستطيع ان يحلق بخياله كما يشاء وان يصل خلال بضعة اسطر تكتب فى ثوان معدودات الى نتائج لا يستطيع العلم ان يصل اليها إلا فى سنوات طويلة من البحث والدراسة والتجربة . .

وهنا جاز لنا ان نقرر ان الفن قد فتح آفاقا واسعة لاحدود لها امام العلماء كى يفكروا ويحاولوا ويبدعوا، بحيث أتت فترة من التاريخ كان الفن فيها متقدما فى طموحاته عن العلم فكانت مهمة العلماء ان يقتفوا آثار الفنانين وان يبذلوا جهدهم لتحويل الكلام المكتوب الى حقائق علمية ملموسة ومدروسة . .

وفى تصورى ان الفنان الذى ابدع كتاب «الف ليلة» فردا كان ام اكثر لم يتردد لحظة واحدة فى ان يصوغ حكاياته العجيبة بخيالاتها المجنحة التى استهوت ملايين القراء على مر الأزمان دون ان يفكر فى مدى مطابقة تلك الخيالات للواقع العلمى وما إذا كانت ممكنة التحقيق أم لا . .

نأخذ مثالا على ذلك «البساط الطائر» الذى اورده الفنان كحقيقة واقعة بنى عليها كثيرا من احداث قصته . .

لقد كان ابتكار «البساط الطائر» من الناحية الفنية ضرورة اقتضاها سياق الاحداث القصصية فى الف ليلة لاعطائها القالب الفنى المطلوب ولايجاد حلول لتطور تلك الاحداث، ومن المؤكد ان المؤلف لم يخطر بباله ان يتحقق هذا الامر على شكل «طائرة» تضطلع فى الواقع الحضارى الراهن بدور اساسى فى اوقات السلام والحرب .

إن اى عالم حتى فى وقتنا هذا لا يجرؤ على ان يقول أنه بات فى الامكان تحقيق ذلك الابتكار الفنى المتمثل فى البساط الطائر رغم كل ما وصل اليه العلم من تقدم لان هناك مئات من الدراسات والحسابات التى يجب اجراؤها لـ «تصميم» هذا الاختراع : الطول والعرض والابعاد، المحرك ووحدات التحكم واجهزتها، التوازن فى حالات الاقلاع والهبوط، الوقود وكميته ونوعيته وحجمه وموقعه فى «البساط»



وسائل الاتصال اللاسلكى على اختلاف انواعها، السرعة فى حالات الانطلاق والتحليق والهبوط ، الحمولة والركاب و«القائد» و«الملاح» والمعاون والمضيف أو المضيفة.. واماكن الجلوس والخدمات التى تقدم للركاب، العوامل الجوية المختلفة من رياح وغيوم وامطار وصواعق وغيرها..

فوراء كل فقرة من هذه الامور دراسات واسعة سوف تسفر - فى نهاية الامر - عن ان هذا المشروع غير ممكن التنفيذ كما رسمه مبتكره الاصلى - اى الفنان - وأن الطائرات الحالية بانواعها التى لا تكاد تحصى فيها الكفاية والبركة..

ويقينا ان المؤلف الفنان لم يتوقف على الاطلاق امام تلك الحسابات فأطلق بساطه الطائر فى الهواء وهو يطيع تعليمات الشاطر حسن او ست الحسن او بدر البدور باجراء جميع عمليات «القيادة» التى تحتاج الى تكنولوجيا وخبرة..

أى ان الفنان بشعوره العميق فى انه حر يكتب ما يشاء يرود آفاق الخيال غير مقيد بشيء.. اما العالم فانه لا يخطو خطوة واحدة فى نفس المجال من غير ان يجرى حساباته المعقدة الكثيرة التى لا تكاد تنتهى.

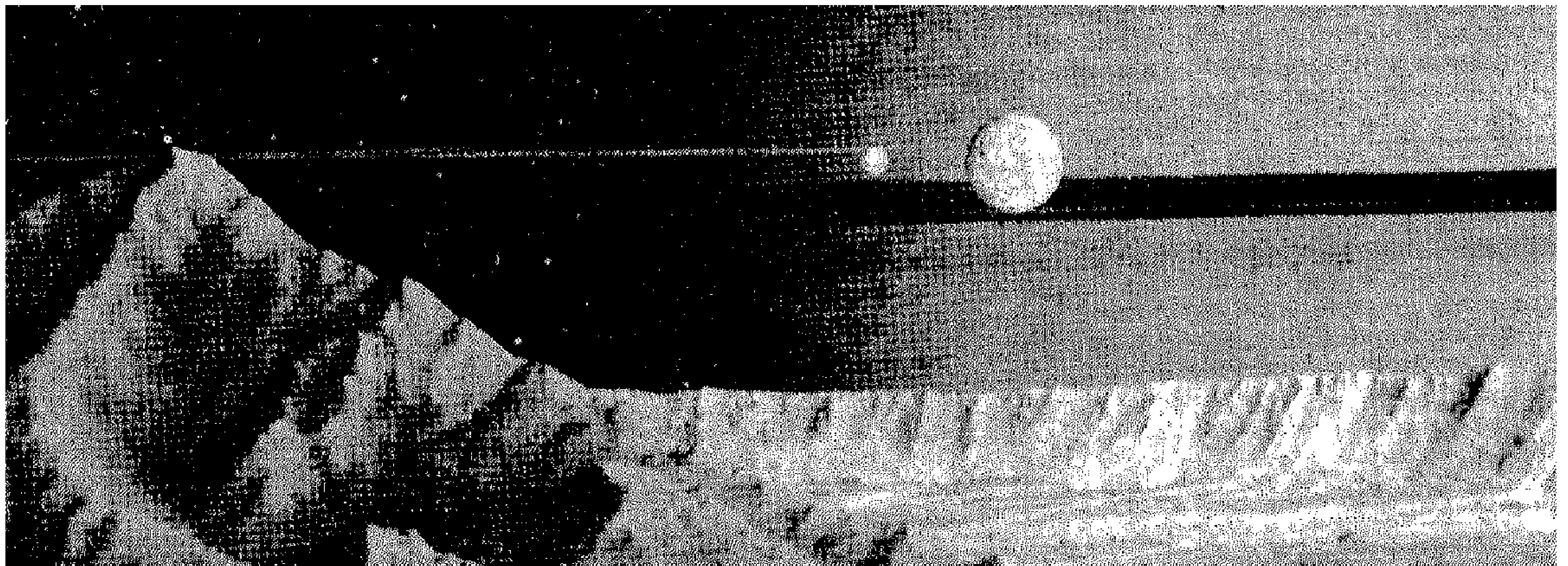
هنا كانت فكرة ركوب الهواء للانتقال من مكان لآخر فكرة «تكنولوجية» رائدة ولكن بثوب فنى جامح.. ومن يدرى؟.. لعل الذين حاولوا اختراع الطائرة هم ممن تناهت اليهم قصة البساط الطائر فأصبح فيما بعد يدعى «الطائرة»..

ومن الطريف، ان شركات الطيران فى أيامنا هذه مازالت متأثرة برومانسية فكرة البساط الطائر، أو البساط السحرى، فكثير منها يستخدم اسم ذلك البساط فى الدعاية لنفسه..

نفس ***القول ينطبق على «مغارة على بابا» التى كان بابها ينشق امام من يقول «إفتح يا سمسم».. فاليوم استطاعت التكنولوجيا ان تحقق هذا الانجاز فامكن - عبر الاجهزة الاليكترونية - فتح الباب بنفس طريقة باب على بابا باستخدام عبارة معينة او مقطوعة موسيقية ذات ذبذبات صوتية معينة ولكن السبق كان - ولاشك - الى ذلك المؤلف الفنان الذى ابتكر الفكرة ونفذها على القرطاس دون ان يجرى اية حسابات اليكترونية..***

فدور الفنان على ما يبدو هو دور الريادة فى «الفكرة» ودور العلم هو دور التطبيق العملى..

ولو انتقلنا الى عصور قريبة لوجدنا أن العلم



لوحة للرسام كيم بور... تمثل الكرة الأرضية على وشك الاصطدام مع كوكب آخر.

قد حقق معظم «الاحلام الفنية» التى وردت فى تراث عدد من الفنانين، الذين اتخذوا العلم مرتكزا لقصص أحدثت ضجة لدى صدورها وما زالت تعتبر فى مقدمة النتاج الفنى الاكثر رواجا فى العالم، ومنها استمدت السينما ومجلات الأطفال مواد غزيرة افادت منها اعظم فائدة.

فلقد قدم لنا المؤلف الفنان «ابن طفيل» منهاجا علميا متكاملا فى الاستقراء والبحث اللذين يدخلان فى مجال الطب والفلسفة عبر قصته الفذة «**حى بن يقظان**» التى عرض فيها قصة طفل عاش تحت رعاية غزالة حانية كانت ترضعه وحين ماتت الغزالة بدأ ابن يقظان فى اكتشاف ما حوله بالعقل والمنطق والاستقراء والمشاهدة منذ ان تبين له بالفطرة ان سبب موت الغزالة هو توقف قلبها عن الخفقان، فأدرك ان القلب هو العضو الاساسى فى جسم الانسان، ثم مضى يرود ما حوله متفحصا متسائلا ليصل الى نفس ما وصل اليه العلماء عن الحقائق الاولية فى الحياة..

إن «حى بن يقظان» هى شطحة فنية لم تتقيد بالمقاييس العلمية ولكنها اعطت نموذجا لم يكن الطريق الذى قطعه «العلم» بعد ذلك بعيدا عنه.

وهناك تجماع من المنصفين على أن «**دانييل ديفو**» مؤلف قصة (روبنسون كروزو) الشهيرة انما استوحى فكرة قصته من الفنان العربى «ابن طفيل» الذى ابدع (حى بن يقظان)..

فالفن - بتحرره من كل القيود التى تشل التفكير أو تعطله - قد اطلق للافكار العجيبة العنان لتصبح هذه الافكار - بعد زمن طويل او قصير - حقائق تكنولوجية لاشك فيها..

اكثر من تأثر بهم العلماء - باعترافهم - وحاولوا تحقيق افكارهم الغريبة الى حقائق هم: <u>ليوناردو دافنتشى، وجول فيرن، و. هـ. ج. ويلز</u>..

فليوناردو دافنتشى كان **عالما وفنانا ورساما وله** عشرات من الاختراعات التى [illegible] **كثير منها حقائق** عادية والتى رسمها على الورق و[illegible] **الحسابات** والدراسات النظرية بلغة خاصة (اى شيفرة)ابتكرها لنفسه.

وطبعى *أن تلك الحسابات والدراسات تبدو لنا الآن شيئا تافها ولكن الرسوم التى ارفق بها دراساته قد فتحت امام العلماء آفاقا واسعة المهبت هممهم لتحويل ما يمكن تحويله من تلك الخيالات الفنية الى حقائق ومنها: الطائرة والمدفع ومظلة الهبوط (الباراشوت) والدراجة والانسان الطائر، وكثير من الافكار الاخرى التى سبق بها دافنتشى العلماء بسنوات طويلة منطلقا من حسه الفنى وموهبته فى الابتكار والمعطيات الضئيلة من المعلومات العلمية التى كانت متيسرة إذ ذاك..*

ولقد سار كل من الكاتبين جول فيرن (الفرنسى) و هـ. ج. ويلز (الانجليزى) كلا على حدة فى خط واحد يزاوج ما بين الفكرة الفنية المشوقة والغريبة والنواحى العلمية التطبيقية البحتة..

الافكار العلمية - ذات المنطلق الفنى - حشد الكاتبان - كلاهما - قصصهما التى هزت العالم عند صدورها بكثير من الاختراعات والوسائل التى اصبح معظمها الآن حقائق واقعة، فاستخدم جول فيرن المنطاد والطائرة والغواصة وتخيل إمكان القيام بجولة حول العالم فى ثمانين يوما باستخدام وسائل بعضها موجود وبعضها من ابتكار خياله.

وغاص جول فيرن بافكاره فى اعماق البحار ليطرح الموضوع الذى يبحثه العلماء الآن وهو امكان الاستفادة من ثروات البحر فى امداد الانسان بالغذاء والمواد الاولية بل والمح الى الوقود الذرى ايضا، فى قصته الشهيرة «عشرون الف فرسخ تحت البحر»..

وحلق هـ. ج. ويلز فى اعالى الفضاء ليرود القمر على اسس علمية فى قصته «مغامرة فى القمر» **وقدم آلات وابتكارات فى قصص اخرى لم يتحقق بعضها حتى الآن..**

اعترف كثير من العلماء الرواد فى المجالات التى طرقها دافنتشى وفيرن وويلز ان تلك الافكار - العجيبة فى حينها - قد الهمتهم ان يتجهوا فى بحوثهم

الى تلك الافكار فتحقق بعضها بالفعل وبقى الآخر تحت الدراسة والبحث . .

ولم يقصر خيال الفنان عن الوصول الى الكواكب البعيدة وخاصة كوكب المريخ الذى ظل منذ زمن بعيد يجتذب انتباه الناس وفضولهم، ربما بسبب ما انتج الفنانون كتابا ورسامين وسينمائيين عنه . .

وفى الأربعينات اجتذبت سلسلة من الافلام الخيالية تحت عنوان «فلاش جوردون» ملايين المشاهدين فى انحاء العالم الذين تابعوا رحلة «الدكتور زاركوف» وابن صديقه «فلاش جوردون» الى الكواكب البعيدة ومغامراتهما المشوقة مع المخلوقات التى وجدوها هناك من مقاتلين مسلحين بمسدسات وبنادق تعمل بالأشعة، ومن مخلوقات بدائية وأخرى ذات اجنحة تحلق بها فى الهواء . .

وحين ننظر - الآن - الى تلك الافكار التى راجت فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن نرى انها مقبولة من الناحية العلمية وان الانسان قد توصل الى معادلات ونظريات سليمة حملته - بالفعل - الى القمر ودارت بسفنه الفضائية فى الطبقات البعيدة من الفضاء فى مدار المريخ والزهرة . . واتجهت باحدى تلك السفن الى خارج نطاق مجرتنا . .

لقد كان الفن - قبلا - هو السباق الى طرح الافكار العلمية الجريئة بقالب فنى متحرر من القيود التكنولوجية واستغرق العلماء زمنا غير قصير حتى استطاعوا ان يحولوا بعض تلك الافكار الى حقائق مرئية وملموسة مع اعترافهم بأن تلك الافكار الخيالية - اذ ذاك - هى التى قادت خطاهم على طريق ذلك الانجاز . .

فحتى منتصف هذا القرن - تقريبا - كان الفن بدون ادنى شك أكرر: عاملا مساعدا وجه انتباه العلماء الى آفاق غير محدودة من الانجاز رسمها الفنانون بافكارهم . .

أما بعد ذلك فقد سبق العلم الفن فى انجازاته وبات الفن تابعا للعلم يستلهم منه الافكار بعد ان كان عكس هذه الحالة قائما من قبل .

فالمستوى الذى بلغه العلم فى المجال الفضائى والارضى . . والانجازات التى حققها . . والوثبة الاليكترونية المدهشة التى قلبت حال التكنولوجيا العصرية رأسا على عقب . . والكومبيوتر ذو الدور المتزايد فى الحياة البشرية المعاصرة كل ذلك قد جعل الفن تابعا للعلم بعد ان كان الفن ملهما للعلم .

الآن يجهد المؤلفون والفنانون والسينمائيون للحاق بالمستوى الذى حققه العلم عبر افلامهم الخيالية الحافلة بالاختراعات التى لم تعد تدهش أحدا، كأفلام حرب الكواكب، وغزاة من الفضاء، وثندر بيرد، كما أعيد انتاج «فلاش جوردون» برؤية جديدة تتناسب مع ما وصل اليه العلم من تقدم . .

اخيـــــرا . .

يمكن القول ان السباق ما بين الفن والعلم قد مر بثلاث مراحل اساسية . .

الأولى: هى سبق الفن للعلم وإلهامه اياه أفكارا قفزت بالتكنولوجيا خطوات واسعة . .

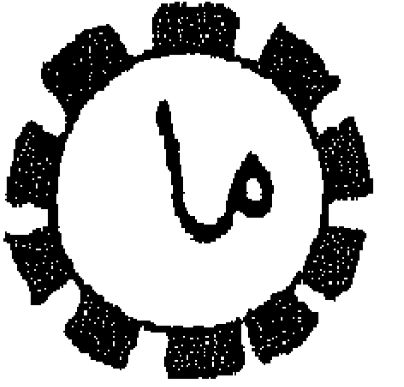
والثانية: هى تعادل الفن والعلم فى السباق وسيرهما جنبا الى جنب خلال فترة الاكتشافات الاساسية التى حققها العلم . .

والثالثة: وهى التى نعيشها الآن سبق العلم للفن، وتحول الثانى الى تابع للاول يستلهم منه افكاره . .

وانا اعتقد ان الفوز قد تحقق نهائيا للعلم حتى هذه الايام وبات الفن رديفا وتابعا بعد ان كان قائدا فاننى - بالمقابل - غير متشائم فيما يخص العلاقة بين الطرفين . . فالنقطة التى تسجل دائما لصالح الفن هى انطلاقه الجامح فى آفاق الخيال بغير حدود، بينما كان العلم ومازال وسوف يظل طبعا أسير الارقام والمعادلات والحسابات والنظريات التطبيقية . .

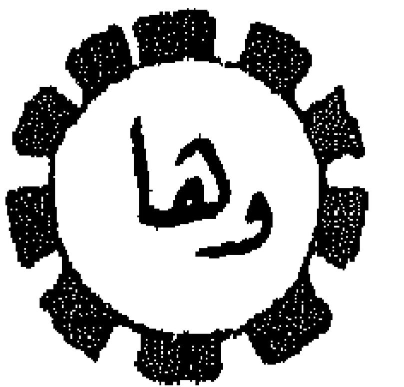
والفائدة فى جميع الأحوال هى فى صالح البشرية وحضارتها وفى صالح الفن والعلم معا . .

الفن والعلم فى
والتصنيع



عرف الانسان شيئا مس حياته من الجذور واستحكم فى تغييرها وتطويرها مثل التكنولوجيا.

كانت طرق عمل بدائية استخدمها الانسان البدائى لتحويل ما اعتلج فى فكره وخاطره المحدودين من رغبات الى حقائق ملموسة تتلاءم وتلك الرغبات.. كانت تتعلق باشياء بسيطة ولكنها مهمة لحياته مثل الكيفية التى يشحذ بها الحجارة لتكون سلاحا للدفاع عن نفسه وللقتل وصيد الحيوان وقطع الاشجار ونحو ذلك ثم تحولت الى صناعة القسي والنبال وبناء البيوت والاكواخ.



هى اليوم ومع تطور رغائب الانسان الحديث قد تحولت إلى أداة تتحول عن طريقها الرغبات والاحلام الى مركبات تصل إلى القمر والمريخ وتجوب الفضاء وتستخدم الاشعة فى تدمير القذائف التى يرسلها شعب معاد فتصيبها فى الفضاء وهى قادمة من الفضاء وهى تدمر ايضا الاهداف القابعة فى اعماق الارض.. فالتقنية والتصنيع يتوسل بهما لتحقيق خير الانسان ويتوسل بهما لتدمير الخير لهذا الانسان.

والتقنية فى بدايتها كانت فنا وموهبه.. لا علما. فمن كان يريد شحذ حجر ليحوله إلى سلاح ماض ما كان فى حاجة إلى دخول معهد ليتعلم كيف يشحذ الحجر ويحوله إلى سلاح.. ذلك ان بساطة المصنوع ما كانت تتطلب إلا شيئا من اللمسة الموهوبه وشيئا من الخبرة البسيطة على شحذ الحجر أو صنع شىء فى مستوى ذلك.

ولكن الامور ازدادت تعقيدا بالازدياد المطّرد للرغبات التى كان يود الانسان ان يحققها.. وكلما حاول استنباط وصنع الوسائل التى تحقق هذه الرغبات فتحولت التقنية من مجرد موهبة وفن بسيط الى علم واسع وعميق يشمل ضمن ما يشمل الموهبة والفن.

التكنولوجيا

الدكتور / بهاء بن حسين عزي



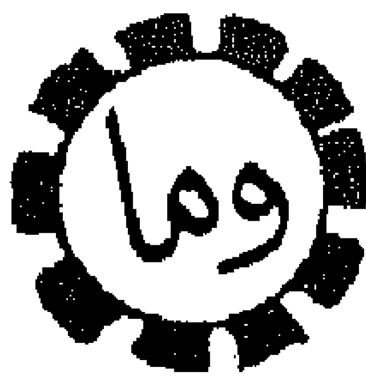
عالم تقني مرموق



من يريد صنع مركبة تحط على القمر وتسير عليه وتحلل التربة وترسل نتائج الأبحاث.. بل إن من يريد أن يصنع دراجة تسير بمحرك بسيط وعجلتين على الأرض، لا يكفيه ان يكون موهوبا وفنانا. إنه يحتاج مع هذا الى سنوات طويلة من التعليم النظرى والبحث العميق.. وليس ذلك فحسب، بل ومن التطبيق العملى لهذا التعليم النظرى وما يتوصل اليه من ابحاث. واصبح التزاوج والارتباط الوثيق بين العلم الذى يتلقى وبين التطبيق العملى لهذا العلم شرطا اساسيا لابد من توفره لامتلاك القدرة التقنية سواء للفرد او لأى شعب من الشعوب.



كان النمو التقنى الحديث بالشكل الذى ألمحنا الى ازدياده قد أدى إلى قيام الثورة الصناعية فى الغرب بشكل خاص.. فقد أدى قيام الثورة الصناعية نفسه إلى المزيد من الاطّراد المستمر فى النمو التقنى إلى أن وصل إلى ما وصل إلّيه فى هذا العصر بحيث اصبحت القدرة التقنية المتطورة لدى الشعوب المستحوذة عليها عصى سحرية.. يمكنهم أن يصنعوا بها ما يشاؤون ويمكنهم أن يستخدموها فيها يشاؤون.. وكم استعبدوا بها وفرته لهم من وسائل، من شعوب، وكم إبتزوا بها من خيرات واستولوا على ارض واهدروا كرامة.



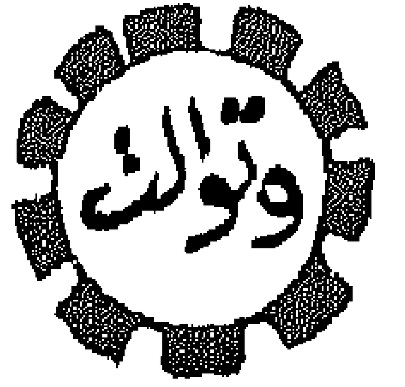
نشاهده اليوم من قوة تقنية وتصنيعية لدى بعض الشعوب كان لعلوم العرب وابحاثهم التى افرزت فى عهودهم الذهبية الشىء الكثير. وازدياد هذه العلوم والمعارف والابحاث أدى إلى تراكم هائل منها أمكنه عند التطبيق له من قبل الشعوب التى تنافست على خيرات الارض أن تحدث ما نسميه بالثورة الصناعية التى ارتكزت على اربعة مجالات من انشطة الانسان.. بدأت فى معدات النسيج، ووسائط النقل، ووسائل الاتصال، والزراعة. وسنعطى فى هذه العجالة لمحة عنها: (١)

النسيج

كانت الاقمشة وكل المنسوجات يتم صنعها بالمنسج اليدوى وفى منازل الحرفيين. ومتر واحد من النسيج العادى كان يتطلب من الوقت ما لايقل عن يوم واحد من عمل العامل. بل ان من بعض المنسوجات ما كان يستغرق صنع المتر الواحد منه اسابيع أو شهورا.

واستمر ذلك بهذا الشكل حتى جاء (جون كى) الانجليزى فى عام ١٧٣٣ فاخترع المكوك الطائر الذى امكن به زيادة سرعة عملية النسيج.

ثم جاء (جيمس هارجريفز) الانجليزى فى عام ١٧٦٥ فاخترع المغزل اللفاف الذى امكن به غزل ثمانية خيوط فى آن واحد . . فساعد ذلك على تلبية الطلب على الخيوط الذى ازداد باختراع المكوك الطائر. ثم جاء (ريتشارد آرك رايت) الانجليزى فاخترع فى عام ١٧٦٩ الدائر المائى وهو اداة استخدمت الماء كمصدر للطاقة لادارة المغازل. وهذا الاختراع نجم عنه أن خرجت المغازل من بيوت الحرفيين لكبرها إلى أماكن تحولت فيها بعد الى مصانع النسيج . ثم جاء (صموئيل كرومبتون) الانجليزى فاخترع ما سمى (بالبغل الغازل)وذلك فى عام ١٧٧٩ وامكن به دمج المغزل مع الدائر المائى ونتج عن ذلك زيادة الغزل وخاصة الخيوط الدقيقة .



عمليات التطوير فى النسيج حتى جاء (الياس هاو) الامريكى عام ١٨٦٤ فاخترع مكنة الخياطة وامكن بذلك من زيادة السرعة فى خياطة المنسوجات وفى الطلب عليها. ولقد اتى من بعد ذلك الكثيرون من المخترعين والمطورين الذين امكن بمساهماتهم قيام النهضة الصناعية فى النسيج التى ارتكزت على الأسس التى قام بها اولئك الرواد الذين اتينا على ذكر بعض اسمائهم .

وسائط النقل

اما وسائط النقل فقد كانت تعتمد على الحيوان سواء كمركوب أو كقوة ساحبة للعربات والمعدات . . وفى البحر كانت السفن التى تعتمد على الاشرعة والمجاديف لتمخر عباب البحر. الى أن جاء (روبرت فيلتون) الأمريكى فى العام ١٨٠٧ فاخترع الفلك البخارى فأمكن هذا من زيادة سرعة النقل على الماء.



اليابسة كانت العربات تعانى شططا حتى جاء (توماس تيلفورد) و(جون ماكادام) البريطانيين فاوجدا طريقة جديدة لرصف الطرق بالحصباء وكان ذلك بين الاعوام ١٨١٠-١٨٣٠ فحدث بذلك تطوير كبير فى رصف الطرق وتمهيدها مما زاد من سرعة النقل عليها . . ثم جاء فى العام ١٨٢٥ (جورج ستيفنسن) الانجليزى فاخترع المحرك البخارى وأدى ذلك إلى ازدياد سرعة النقل على اليابسة . . ثم جاء (كاتليب ديملر) الالمانى فى العام ١٨٨٥ فاخترع المحرك بالغازولين مما جعل اختراع السيارة التى تسير بهذا المحرك أمرا ممكنا .

ولكن وسائط النقل شهدت فى عام ١٩٠٣ قفزة هائلة عندما تمكن (الأخوان رايت) الامريكيين من بدء عصر الطيران .

وسائل الاتصال

كان الاتصال يتم إما بالبريد والمراسيل وإما باستخدام الحمام الزاجل على احسن الاحوال إلى أن أتى (صموئيل مورس) الامريكى فى عام ١٨٤٤ فاخترع التلغراف الذى كانت ترسل به الاشارات المنقولة بالاسلاك. واحدث هذا الاختراع ثورة فى وسائط الاتصال إذ أن الاشارات كانت تنتقل من طرف إلى طرف فى نفس لحظة ارسالها مهما بعدت المسافة . . ثم جاء (الكسندربل) الامريكى وتمكن فى عام ١٨٧٦ من اختراع الهاتف فامكن نقل صوت الانسان عبر الاسلاك إلى مسافات شاسعة واقطار بعيدة . . ومن بعده فى العام ١٨٦٦ جاء (سيروز فيلد) الامريكى فعمل على صنع الكيبل البحرى بين امريكا واوربا فربط بينهما هاتفيا . . ثم حدث تطور اعظم عندما جاء (جغليلمو ماركونى) الايطالى فاخترع فى العام ١٨٩٥ التلغراف اللاسلكى فامكن بذلك من نقل الاشارات دون اسلاك . . ثم جاء (لى دى فورست) الامريكى فى العام ١٩٠٧ فاخترع صمام الراديو فامكن بذلك من نقل الاصوات عبر الاثير وإلى كل انحاء العالم . . وجاء من بعدهم (فلاديمير زوريكين) الامريكى فاخترع التلفزيون فى العام ١٩٢٥ الذى حقق فيه نقل الصورة والصوت معا عبر الأثير.

الزراعة

اما الزراعة وهى من اول ما عرف الانسان من

حرف فاعتمدت على الحيوان في الحرث والسقى وكذلك على الامطار في الرى في الاقطار التى ينزل المطر فيها بكميات كافية.

ولكن الزراعة استفادت فائدة لا تقدر بثمن من التطور الذى حصل في المعدات الميكانيكية. ففى اكثر الدول اليوم تقوم الالات بالحرث والبذر والحصاد وفصل المحصول وتعليبه. كما ان الابحاث العلمية التى أجريت أدت إلى اكتشاف اسلوب لاستغلال الارض لاكثر من مرة في العام ثم اكتشف السماد الكيماوى الذى امكن به تعويض الارض عما تفقده من عناصر بسبب الزراعة المكثفه.

وعندما يزور الانسان مزرعة حديثة فانه لينبهر مما يراه يستعمل فيها من معدات ميكانيكية متقدمة وما تجريه من ابحاث علمية وما تستخدمه من متخصصين في دراسة التربة وانواع البذور والمنتجات والتسويق والتعليب والتبريد وما إلى ذلك.. انها مصنع في حقل ضخم ومعمل ابحاث تستنبت فيه سلالات جديدة من النبات ويجرى تطويرها وتطوير زرعها بشتى الصور والاشكال.

أين العرب ؟

من استعراض الاسماء التى ساهمت في التطوير التقنى والتطوير الصناعى نجد - بكل الاسف - أن العرب الاماجد قد غابوا.. مع انه كانت لهم اليد الطولى في العلوم والابحاث في عصورهم الذهبية التى امتدت مئات من السنين وكأنهم قد اعياهم الاجتهاد فتعبوا وناموا حتى اذا افاقوا وجدوا ان الدنيا غير الدنيا وان الحال غير الحال.

ومشكلة العرب انهم عندما افاقوا ووجدوا انفسهم في نهاية الركب رسخ في عقولهم اعتقاد بان التقنية والتصنيع يحتاجان إلى العلم النظرى والعلم النظرى فقط. فاكثروا من وسائله حتى انك لترى في بعض اقطارهم وفرة من العلماء والمتخرجين في الجامعات والباحثين دون ان يتمكن كل هؤلاء من المساهمة في تطوير التصنيع في بلادهم. ولما عجز بعض هؤلاء عن استغلال طاقاته وقدراته العلمية في مجال التطبيق لانعدامه فانه لم يربداً من الهجرة الى حيث يمكنه استغلال واستثمار هذه الطاقات.. وهكذا رأينا عقولا من خيرة العقول العلمية العربية تهاجر إلى حيث يوجد مجال التطبيق فتساهم في تطوير صناعات شعوب غير شعوبها.. ولمعت اسماء عربية في تلك البيئات ولكن المجد كل المجد لأصحاب تلك البيئات.

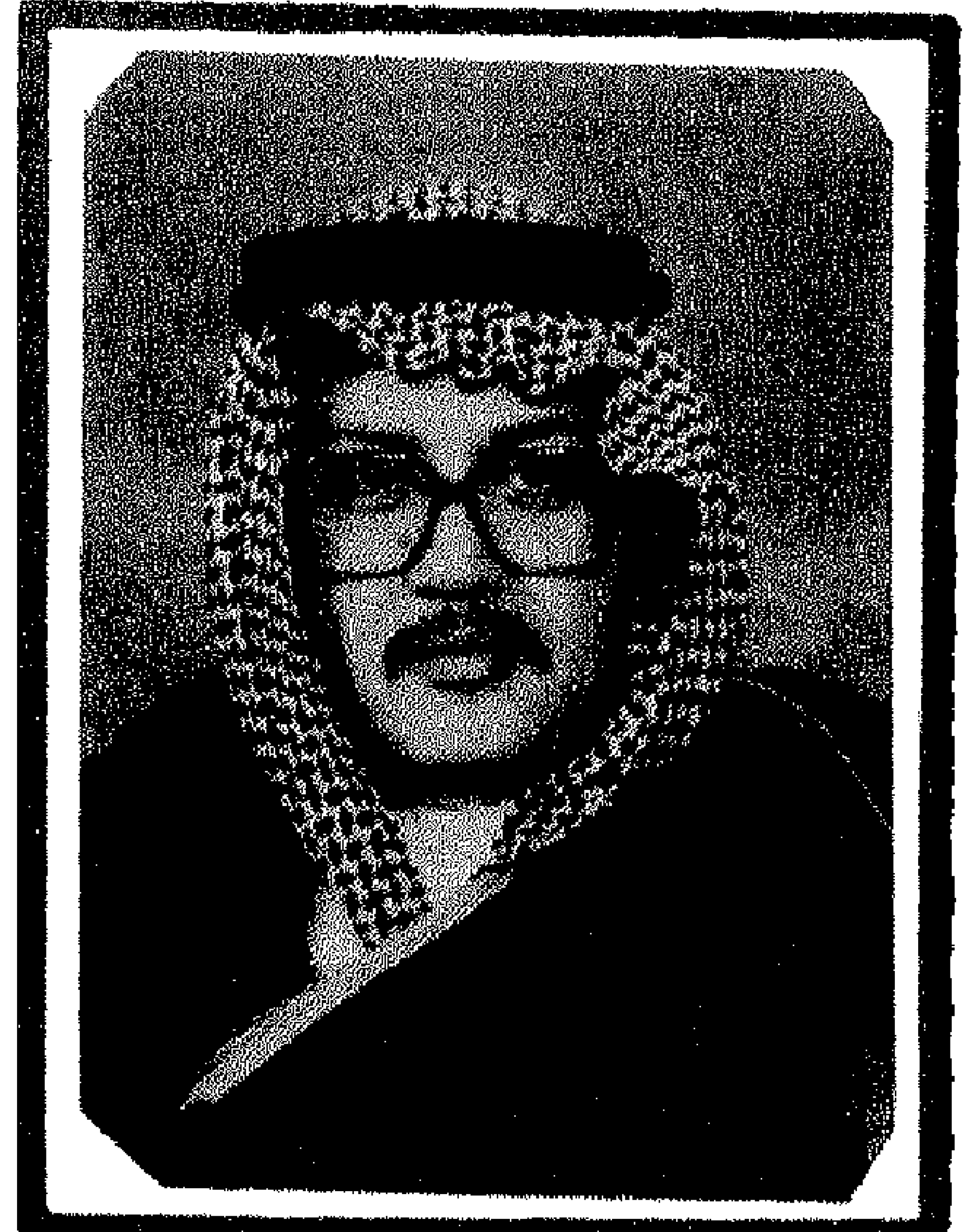
وما فطن العرب - واكثرهم لم يفطن بعد - الى ان العلم النظرى - على اهميته التى لا يجادل فيها احد - لا يجدى وحده في تطوير صناعاتهم ما لم يتمكنوا من خلق المناخ التقنى الذى يمكن العلماء النظريين من ان يستثمروا قدراتهم النظرية فيه ويحولوها إلى تقنية متقدمة وتصنيع فعّال.

ولعل البشائر قد بدأت تأتى عن طريق المساهمات والمحاولات الجادة التى قام بها بعض العرب في تحديد عناصر المشكلة وفي تحديد الطرق الأقصر والاسرع والاجدى والتى يمكن بها خلق هذا المناخ خلقا بشكل يمكّن العرب النظريين من تطوير قدراتهم النظرية الى قدرات تقنية قادرة على الصنع والانتاج والاختراع والابتكار تماما كما يتمكن من ذلك علماء الدول الصناعيه.

● ان المارد العربى لا يحتاج إلاّ أن يضع قدمه الراسخة على أول الطريق الصحيح.. عندما يحدث هذا فسيلحق بركب الامم المتقدمة وسيبزها.. وليس ذلك فحسب، بل انه سيقودها ويهديها باخلاقياته وعقيدته إلى طريق الخير والرشاد.. اليس هو من خير امة اخرجت للناس؟.

الهوامش

(١) المجالات الاربع مذكورة في كتاب «التاريخ الحديث» من منشورات كامبردج - التعليم الذاتى، طبعة ١٩٦٤، الولايات المتحدة، (باللغة الانجليزية).



فنون الاتصال



الإتصال . . لاشك أن تلك الكلمة التي ولدت مع الإنسان منذ بدء الخليقه ، قد عاشت مختلف مراحل التطور العالمي بكل ابعاده ، وواكبت كافة انطلاقات التقدم التقني ، فانطلقت معه عبر تاريخها الطويل حتى حققت ذلك المستوى العظيم في تقنيتها العصريه الحديثه ، وقامت بدورها الفعال والمؤثر في جميع مجالات التطور الإنساني وبناء صرح حضارته الحديثه .

ومن ثم فقد شاع استخدام كلمة الاتصال وانتشرت في كافة المجالات والأنشطه الاقتصاديه والاجتماعيه والثقافيه والإداريه والسياسيه وغيرها من المجالات الأخرى وعلى جميع المستويات والأصعده ، فعلى سبيل المثال نراها تستخدم في المجالات الإداريه وتطلق على بعض الإدارات كالاتصالات الإداريه ، وأصبحنا نسمع عن مسميات لها كثيره تتعدد وتتنوع حسب استخدامها كمسمى قنوات الاتصال الذي يتردد كثيراً في عالم التكنولوجيا أو عالم الدبلوماسيه والتنظيمات الدوليه المعاصره .

وكان انتشار تلك الكلمه واقتحامها كافة المجالات والأنشطه سبباً مباشراً لتعدد التعريفات التي طرحت من حولها ، فبينما يرى بعض العلماء أن الاتصال هو انتقال المعلومات من مكان إلى مكان آخر ، ويعرف المكان الأول بالمرسل أو المصدر ، كما يعرف المكان الثاني بالمستقبل ، وتعتمد طريقة وصل المرسل بالمستقبل على ما بينهما من وسط ويرمز لهذا الوصل بكلمة القناة .



وبينما يرى الباحث جورج لندبرج أن كلمة الاتصال تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز ، والرموز قد تكون حركات أو صور أو لغه أو أي شيء آخر تعمل كمنبه للسلوك ، يرى بعض العلماء أن كلمة الاتصال تعني كافة العمليات التي تؤدي إلى التأثير المتبادل بين الأفراد في أي جماعة من المجتمعات وعلى بعضهم البعض .

وهناك من يقصد بتلك الكلمه الوسائل التكنولوجيه التي تتفاعل بشكل ديناميكي ، ويمكن استخدامها لتنفيذ العمليات التكتيكيه للاتصالات ، وأن كلمة (Communication) مشتقه من الأصل اللاتيني للفعل (Communicare) بمعنى يذيع أو يشيع .

ومبتكرات الاتصالات

بقلم الأستاذ
ربيع صادق دحلان
مدير عام المنطقة الغربية للاتصالات

أياما كان الأمر فإنه مما لا شك فيه أن تعدد مجالات الاتصالات وتشعبها جعل من الصعوبه بمكان حصر كلمة الاتصال داخل اطار محدد لتعريف من تلك التعريفات، لأنه لن يستوعب تلك المجالات المتعدده والمتشعبه، فإذا كانت تنطبق على بعض المؤسسات أو الوسائل الإعلاميه، فإنها تنطبق أيضاً على عمليات نقل الأفكار والمعلومات والاتجاهات، وهى تنطبق كذلك من منظور آخر على خطوط وقنوات ووسائل المواصلات السلكيه واللاسلكيه.

أهداف الاتصال

مما لاشك فيه أنه لايمكن لأحد أن ينكر أهمية الإتصالات لأى مجتمع من المجتمعات سواء كان متقدماً أو نامياً أو بدائياً، لأنها اللبنه الأساسيه والعمود الفقرى له، وبدونها لن تتحقق للمجتمع الذى يفتقر إليها أى بارقه أمل فى النهوض ومواكبة الحياة من حوله.

وإذا كان الإنسان هو محور الحياة فى أى مجتمع من المجتمعات، وأن عطاءه هو الذى يحدد مسار الحركة والحياة نحو تحقيق الآمال والطموحات الكبرى لمجتمعه فلن يكون قادراً على ذلك العطاء ما لم تكن لديه المقدرة الايجابية على التفاعل مع الآخرين بنقل أفكاره ومعلوماته وخبراته ورغباته ومشاعره لهم من خلال قنوات الاتصال المتاحة.



ومن ثم فإن للاتصالات أهدافها العديده التى لا تقف ولا تنتهى عند حد بل تنمو بنمو أجهزة ووسائل وقنوات الاتصالات وتتوازى معها على درب مبتكرات العقل البشرى ونتاج مخترعاته المتواصله، فالاتصالات: تقوم مثلا بتوفير كافة المعلومات عن الظروف المحيطه بالإنسان فى شتى مجالات النشاط الإنسانى وفروعه وتسهم إسهاماً فاعلا فى إثراء الحضارة الإنسانيه بنقل التراث الحضارى من جيل إلى جيل وبناء الجيل الجديد وتأهيله لتولى أدواره فى حياته المستقبليه وترشيد التوجيهات الفكريه والاجتماعية لدى الأفراد وتنميتها نحو الأفضل ووضعها فى أطرها الصحيحة، والاتصالات عامل أساسى من عوامل نجاح البرامج الترفيهية للجماهير فى إطار الأصول الحضاريه والقيم والأعراف والتقاليد السائده فى المجتمع وهى أيضاً التى تطوى المكان وتختصر الزمان وتنقل الانسان وهو فى مكانه إلى كل مكان وأى مكان.

وإذا كانت للاتصالات مثل تلك الأهمية أو تلك الأهداف التى تحققها، فينبغى ألاّ ننسى ان

الاتصالات هى التى مكنت كل الطاقات المبدعه والخلاقه من القيام بدورها الإيجابى فى تحقق التقدم الإنسانى وتطوره فى شتى المجالات الاقتصاديه والثقافيه والاجتماعيه والعلميه والصحيه وكافة المجالات الأخرى التى انطلقت بصورة مذهلة مع أول انطلاقة للاتصالات العصريه ومبتكراتها الحديثة .

فنون الاتصال

لقد تعددت فنون الاتصال واستحوذت دراستها على اهتمام الكثير من العلماء والمتخصصين فى مختلف العلوم والآداب لتأثير تلك الفنون فى كل فرع من فروعها، وظهر العديد من البحوث والدراسات التى تناولت تلك الفنون بتحليلها وتحديد خصائصها وعمل القياسات العلميه لها لبحث كيفية النهوض بها وتحقيق الجدوى منها .



ولم يكن ذلك الاهتمام مقصوراً على الجامعات والمعاهد العلميه فحسب بل إن كثيراً من الهيئات والمنظمات العلميه المتخصصه جعلت من تلك الفنون شغلها الشاغل فعقدت من أجلها الندوات والحلقات الدراسيه والمؤتمرات العالميه .

وتشمل تلك الفنون المطبوعات كالكتب والصحف والمجلات ، والسمعيات كالاذاعة والتسجيلات الصوتية ، والمرئيات كالمعارض واللافتات ، والسمعية البصرية التى تجمع بين الصوت والصورة كالسينما والتلفزيون .

ولكل فن من تلك الفنون مجاله الخاص وتأثيره الذى يتميز به وفقاً للاعتبارات البيئية والمناخية التى يمارس فيها ذلك الفن دوره ولا نقصد هنا بالاعتبارات البيئيه والمناخيه معناها الضيق الذى ينحصر داخل خطوط الطول والعرض ودرجات الحرارة والبرودة، بل معناها الواسع الذى يستوعب كافة القوى والتيارات المؤثرة فى حركة المجتمع وتوجيه مساراته ومسيرته نحو تحقيق أهدافه وطموحات أبنائه .

ولن نتمكن هنا من استعراض كافة فنون الاتصالات بل سنتناول بعضها كالراديو والصحافة والتلفزيون كأمثله لتلك الفنون .

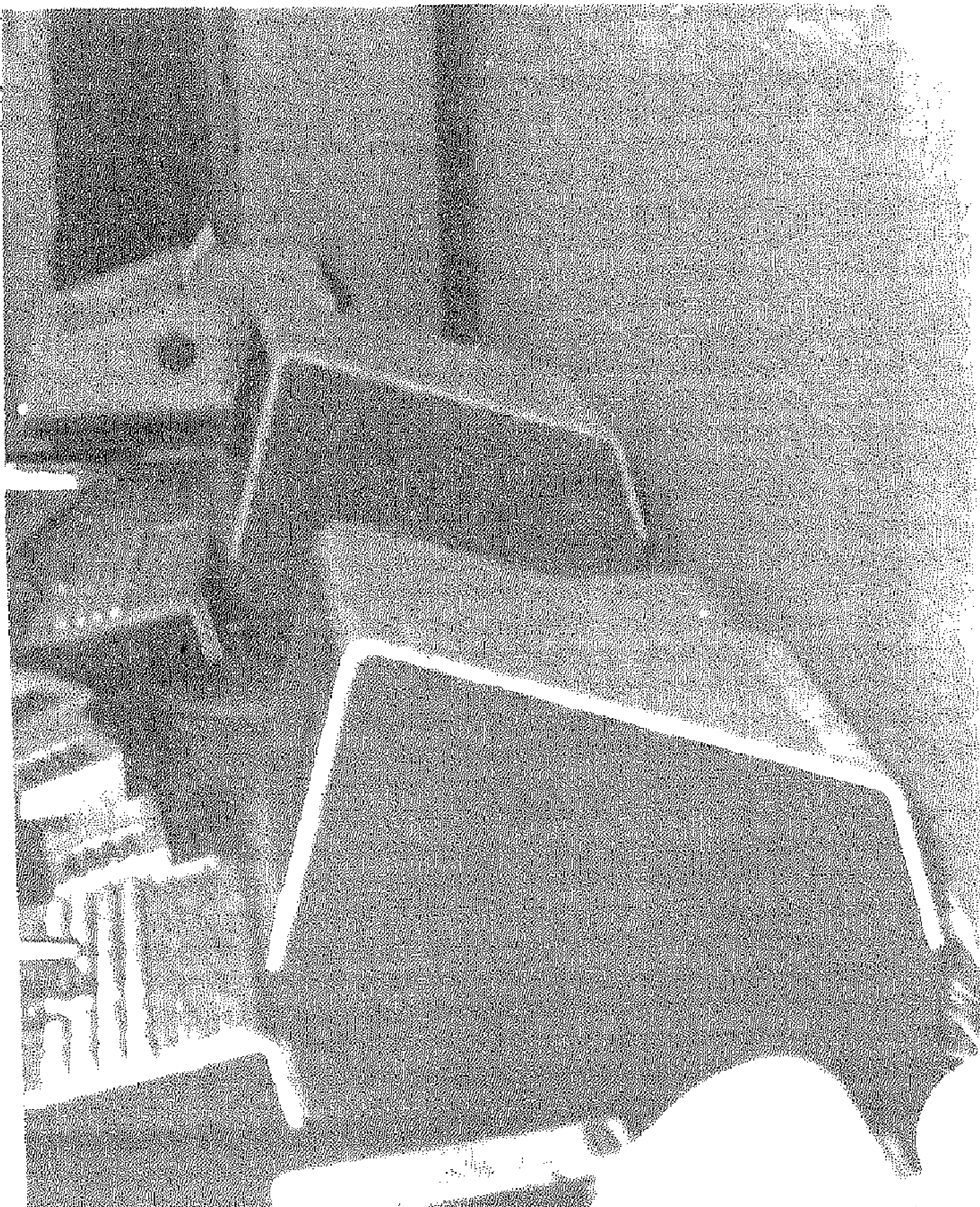
الراديو

لقد مر ذلك الجهاز الذى يتكلم حينما نشاء ويصمت حينما نريد، بالعديد من التجارب والبحوث والتصاميم حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من حجم دقيق وصغير جداً .



وتعود التجارب الأولى للراديو إلى حوالى عام ١٨٩٠م فى محاولة لنقل الصوت عبر الأثير، وفى عام ١٨٩٤م قام ماركونى الذى ارتبط اختراع الراديو باسمه باجراء المزيد من التجارب لارسال اشارات لاسلكيه عن طريق الراديو التلغرافى ، كُلِّلت بالنجاح فى عام ١٨٩٦م .

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول دولة إنبعث منها صوت إذاعى فى عام ١٩٢٠ وتبعتها فرنسا التى أذاعت أول برنامج لها من برج إيفل فى فبراير



عام ١٩٢٢، ثم بريطانيا التى أذاعت أول برامجها من محطة الإذاعة البريطانية فى نوفمبر ١٩٢٢م، ولم يطلّ عام ١٩٢٤ إلاّ وكانت هناك محطة راديو فى كل دولة من الدول المتقدمه.

ودخلت المملكة العربية السعودية عالم البث الإذاعى فى التاسع من ذى الحجة عام ١٣٦٨هـ، إذ انطلق أول صوت من ربوعها فى ذلك اليوم المشهود ناقلا شعائر الحج إلى أرجاء المعمورة.

ومنذ ذلك التاريخ والإذاعة السعودية تعمل وتبث برامجها لتشارك فى خطى التنمية، وبعد أن كان البث الإذاعى محدوداً فى ساعات إرساله فقد زاد الآن على الخمسمائة والستين ساعة اسبوعياً أى بأكثر من ثمانين ساعه خلال الأربع والعشرين ساعه.



ولقد أكدت البحوث والدراسات والاستقصاءات والاستبيانات التى أجريت فى العديد من بلدان العالم احتلال الراديو للمركز الأول بين كافة فنون الاتصالات العالميه وانتشار المحطات الاذاعيه فى سائر أرجاء المعموره، وذلك لقدرته على الوصول الى كافة الجماعات البشريه على اختلاف مستوياتها العقليه والعلميه والفكريه، وعلى اختلاف اعمارها، بقدرات تأثيريه فى المستمع تتفوق على ماعداها من قدرات بفنون الاتصال الأخرى ولكونه لا يحتاج إلى درجات عاليه من التركيز أو التفرغ بالكليه له إذ يمكن الاستماع إليه بينما الإنسان يمارس أعمال أخرى قد يكون لذلك الاستماع دور فى تحسين مردودها الانتاجى.

وهذا فضلا عن سرعته الفائقة فى نقل الأخبار والأحداث العالميه فور وقوعها دون الحاجه إلى أى عمليات أخرى قد تعوق سرعة ذلك النقل كعمليات الطباعة الصحفية أو تكنيكات الأفلام المصوره التلفزيونيه مما يجعل الإنسان فى أى مكان بالكرة الارضية متعايشاً مع كل ما حوله من أحداث فى أى بقعة من بقاعها، وملماً بآخر وأحدث ما وصلت إليه العلوم والتكنولوجيا.



وإذا كان للراديو تلك الأهميه التى جعلته من أهم فنون الاتصال التى تنقل للإنسان - حيث كان - كل ما يرضى ذوقه ويشبع رغباته فكراً وعلماً وتسلية وترفيها فهناك من المفكرين من ينظر إليه كواحد من معوقات الثقافه وإنتشارها كالدكتور طه حسين الذى يرى فيه سبباً من أسباب انصراف الكثير من الناس عن القراءه والإطلاع لسهولة حصولهم على الكثير من المعلومات بواسطة الراديو. ودون الخوض فى مناقشة تفاصيل تلك القضية التى ثار حولها الكثير من الجدل والنقاش يمكن القول انه رغم ذلك فما زال للراديو قوته المؤثره وتأثيره القوى فى عالم وفنون الاتصال.

الصحافة

تعتبر الصحافة فناً آخر من فنون الاتصال وموجها من الموجهات الرئيسية للنشاط الفعلى لأى مجتمع من المجتمعات وعنصراً أساسياً من عناصر تشكيل الرأى العام وتنويره.



ولقد سبق مولد الصحافة فى القرن الخامس عشر الميلادى إرهاصات جعلت مخاضها سهلا يسيراً إذ ظهرت بعض الصحف المخطوطه فى القرن الرابع عشر تلبية لرغبة بعض أفراد الطبقه البورجوازيه التى نشأت فى أوربا فى ذلك الحين . . ثم جاء اختراع جوتنبرج للطباعه ليعطى الصحافه دفعة قوية وينقلها من صحافه مخطوطه بطيئه مقصورة على طبقة معينة إلى صحافة مطبوعة سريعة تطير بالخبر فيتلقفها ويلتف حولها جموع القراء فى كل مكان .



وظلت طباعة الصحف تتم بسبك الحروف يدوياً إلى أن توصل كونج الألمانى فى عام ١٨١٤م إلى اختراع المطابع الميكانيكيه التى يستخدم البخار فى إدارتها فانتشرت فى أوروبا وأقبل عليها أصحاب الصحف والمطابع الصحفيه لسرعتها فى الطباعة والاستفادة من ذلك فى زيادة النسخ المطبوعة . . وفى عام ١٨١٨م تمكن أحد علماء الكيمياء الفرنسيين ويدعى لوريو من التوصل إلى نوع جديد من أحبار الطباعة يمتصه الورق ويجف بسرعة . . وفى عام ١٨٨٥م تم اختراع آلة اللينوتايب التى تصب الحروف وتنضدها فى سطور مسبوكه متماسكة مما كان له أكبر الأثر فى دفع عجلة الصحافة قدماً للامام حتى وصلت إلى ما هى عليه من تقدم وتطور.

وفى المملكة العربية السعودية نجد أن للصحافة السعودية جذوراً عميقه فى أعماق الزمن تمتد إلى الثامن من شوال عام ١٣٢٦هـ عندما صدرت جريدة حجاز كأول جريدة سعودية وكانت تصدر فى أربع صفحات باللغتين العربية والتركية . . وفى محرم ١٣٢٧هـ صدرت بمكة المكرمة جريدة شمس الحقيقه . . وفى ربيع الثانى ١٣٢٧هـ صدرت بمدينة جُدَّة جريدة الاصلاح . . وفى عام ١٣٢٨هـ صدرت بالمدينة المنورة جريدة المدينة المنورة . . وبالمدينة المنورة أيضا صدرت جريدة الحجاز فى ذى الحجه ١٣٣٤هـ .

وهكذا استمر الأمر يتطور فكان أن صدرت جريدة أم القرى فى جمادى الأولى ١٣٤٣هـ كجريدة أسبوعية رسمية ثم تبعتها عدة صحف أخرى كصوت الحجاز التى تغير اسمها إلى البلاد السعودية فيما بعد ، والمدينة المنورة ، واليمامه ، وأخبار الظهران ، والفجر الجديد ، وحراء ، والاضواء ، وعرفات ، والندوه ، والخليج العربى ، والقصيم ، وعكاظ ، والأسبوع التجارى . وكانت مجلة الإصلاح التى صدرت فى صفر عام ١٣٤٧هـ أول مجلة تصدر فى العهد السعودى ، وتبعها فى الصدور عدة مجلات أخرى كالمنهل التى أصدرها الأديب البحاثه المرحوم/ عبد القدوس الانصارى بالمدينةالمنورة فى شهر ذى الحجة ١٣٥٥هـ ثم النداء الإسلامى ، والحج ، والغرفه التجاريه الصناعيه بجده ، وقافلة الزيت والرياض ، والإذاعه والتلفزيون ، ووزارة الزراعه ، والادارة العامة ، وصرخة العرب ، والاشعاع ، وهجر ، والخليج العربى ، ومجلات أخرى كثيره .



وبصدور المرسوم الملكى الكريم رقم ٦٢ وتاريخ ١٣٨٣/٨/٢٤ بالموافقة على نظام المؤسسات الصحفية الأهلية . بدأت المسيرة الصحفيه بالمملكة إنطلاقه جديده نحو صحافة عصرية حديثة بمستوى ما اطلعت به المملكة من مسؤوليات على كافة الاصعده المحليه والعالميه فصدرت جريدة البلاد ، المدينة ، والرياض ، والندوه ، وعكاظ ، والجزيره ، واليوم بالاضافه إلى جريدة عرب نيوز وسعودى جازيت اللتين تصدران باللغة الإنجليزية ، كما صدرت عدة مجلات كمجلة إقرأ والشرق ومجلة اليمامه باللغة العربية ومجلة سعودى بزنس باللغة الانجليزية . . هذا بالاضافة إلى العديد من المجلات الأخرى العلمية والمتخصصه كالدعوة ، والدارة ، والفيصل وغيرها من المجلات الأخرى .

ولعل المتتبع لمولد الصحافه السعوديه يجدها قد سبقت الإذاعة السعودية بأكثر من أربعين عاماً وأنها قد أدت واجبها فى خدمة مسيرتنا الحضارية الناهضة طوال ثمانية وسبعين عاماً من عمرها حتى الآن .

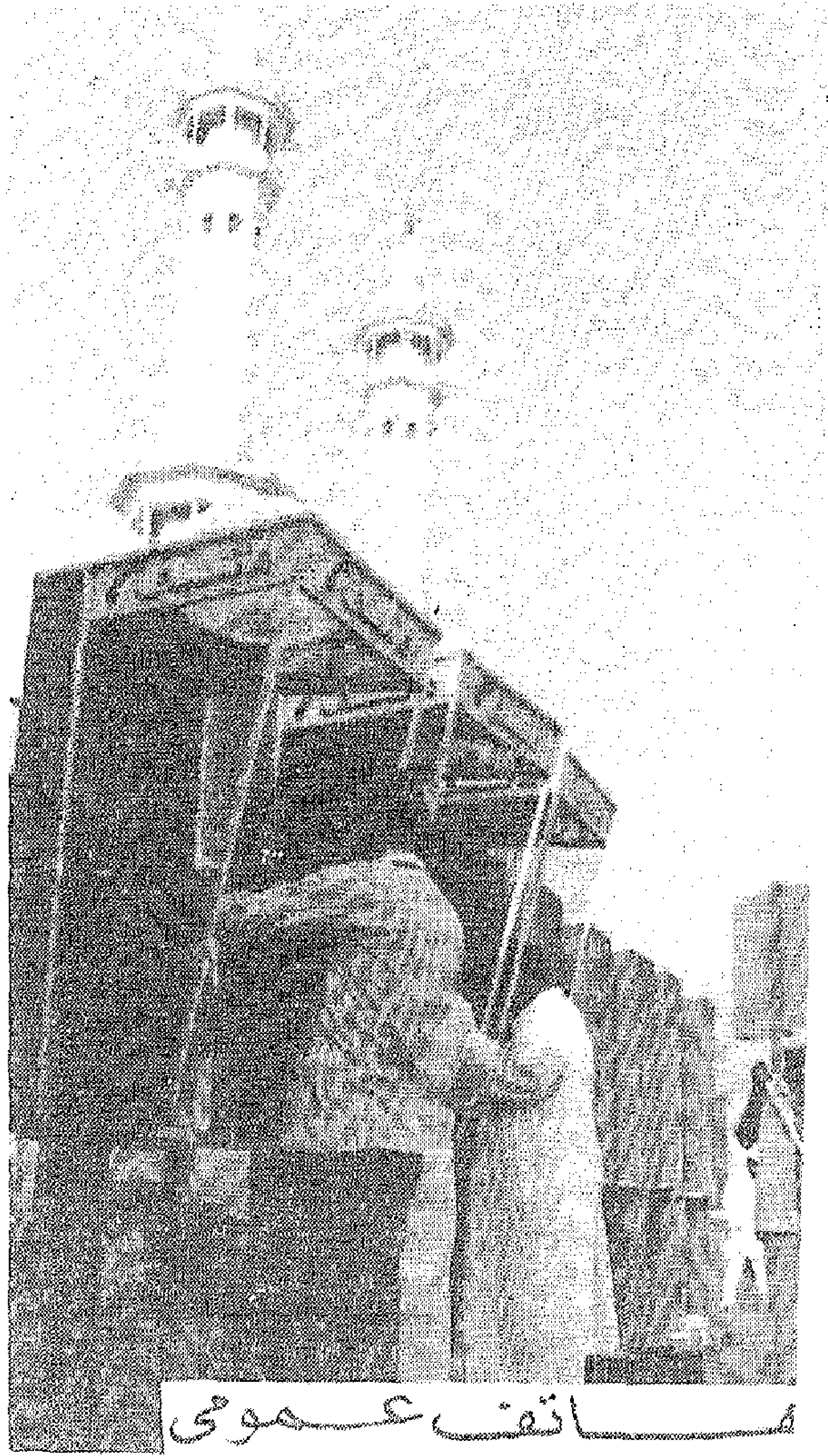
نتاجات العقل البشرى وتوصيلها للجمهور بطريقه تمكنه من فهمها واستيعابها والاستفاده منها. . كما تقوم الصحافه بتوثيق المعارف والمعاملات لدرجة أصبحت معها واحداً من المراجع الوثائقيه الهامه التى ينبغى على كل من يتوخى الموضوعيه والشموليه الرجوع إليها. . كما تقوم الصحافه بدور هام فى إدماج الفرد فى الهيئة الاجتماعية وتشجيعه على المشاركة الإيجابيه فى أدوارها المختلفه كعضو عامل فى الجماعه. . ولم تغفل الصحافة الجانب الترفيهى بتسلية قرائها بمختلف وسائل التسلية الصحفيه كالكلمات المتقاطعة والأخبار الاجتماعيه والفكاهيات والنوادر وغير ذلك من وسائل التسليه الأخرى، كما أن الصحافه تساعد جمهورها بتقديم معلومات كثيره لهم حول تنظيم الايقاع اليومى لحياتهم بما يحقق الاستخدام الأمثل وبما يعود عليهم بالنفع عبر أبواب السينما والمسرح والإعلانات المبوبه، والتسعيرات المختلفه وجداول المواعيد المتعدده كمواعيد إقلاع الطائرات ووصولها.

التليفزيون

بجانب فنون الاتصال التى ذكرناها يأتى التلفزيون كفن جديد مكنته التقنيه الحديثه من التطور بسرعه فاقت كل التصورات والتوقعات، فمنذ تجاربه الأولى فى بدايات القرن العشرين بالولايات المتحدة الأمريكية وديناميكية تطويره لم تتوقف عجلاتها، وكل يوم يطل علينا جهاز جديد يحمل بين قنواته المدهش والمثير من مبتكرات تكنولوجيا الفن التلفزيونى.

وكان عام ١٩٢٣م عاماً حاسماً فى حياة التلفزيون، عندما توصل الدكتور فلاديمير زوريكين إلى اختراع الايكونوسكوب (صمام الصوره فى التلفزيون) وجاء العالم فيلو فرانسورث فأجرى العديد من التجارب لتطوير الكاميرا الألكترونيه، والبول ب. دومنت الذى توصل إلى تطوير صمامات الاستقبال واختراع أول جهاز استقبال تلفزيونى منزلى.

وبعد تجارب كثيره نجح العلماء فى نقل





وإن كان اختراع الطباعة قد مكن الصحافة من الانطلاق بخطى ثابته فإن هناك عوامل أخرى كثيرة ساعدتها على التقدم والانطلاق والانتشار السريع كظهور وسائل المواصلات الحديثه وتطور تقنيتها من السكك الحديدية والبواخر إلى السيارات والطائرات إلى مخترعات الاتصالات العصريه المتقدمه كالأقمار الصناعيه التى تقوم بدورها فى نقل وبث الرسائل الصحفيه إلى مختلف أرجاء العالم.



ومن ثم فان للصحافه وظائف عديده تقوم بها يأتى فى طليعتها الإعلام بآفاقه الرحبه ومجالاته التى لاتحدها حدود كنقل الأخبار وتحليلها والتعليق عليها، وملاحقة كافة

الصـور سلكياً فى عام ١٩٣٥ ، وجاء عام ١٩٣٩ ليتوج جهود العلماء وتجاربهم بظهور التلفـزيـون لأول مره فى سوق نيـويـورك الدوليه ، ولم تتوقف أبحاث العلماء ومحاولاتهم لتطوير التلفزيون فتوصلوا إلى اختراع صمام كاميرا صوره اورتيكون مما عمل على زيادة امكانيات تحويل الصوره إلى طاقه كهربائيه فى الجهاز المرسل.

وفى عام ١٩٢٩م بدأت هيئـة الإذاعـه البريطانيه فى تقديم أول بث تلفزيونى لها ، وفى فرنسـا بدأ البث التلفزيونى المنتظم سنة ١٩٣٥م ويعتبر التلفزيون الفرنسى من أقدم تلفزيونات العالم.



ودخلت المملكة العربية السعودية عصر التلفزيون بمحطتى الرياض وجُدَّة فى اليوم التاسع عشر من شهر ربيع الأول عام ١٣٨٥هـ الموافق السابع عشر من يوليـو ١٩٦٥م . . ومنـذ ذلـك اليـوم والتلفـزيـون السعـودى يمضى بخطى ثابته تدعمها الإمكانيات الهـائله التى وفرتها حكومتنا الرشيده له سواء كانت مادية أو فنية أو بشرية حتى غدا إرساله يغطى كافة قرى ومـدن المملكة الشاسعة المترامية الأطراف من خلال محطاته المنتشره بأنحاء المملكة . . وبعد أن كان البث التلفـزيـونى السعـودى ينطلق من قناة واحده أصبح ينطلق من قناتين تستخدمان أحدث ما وصلت إليـه التكنـولـوجيـا التلفـزيـونيـه العالميه من اجهزة ومعدات وأصبح للتلفزيون السعودى مكانته البارزه على الخريطه التلفزيونية العالميه.

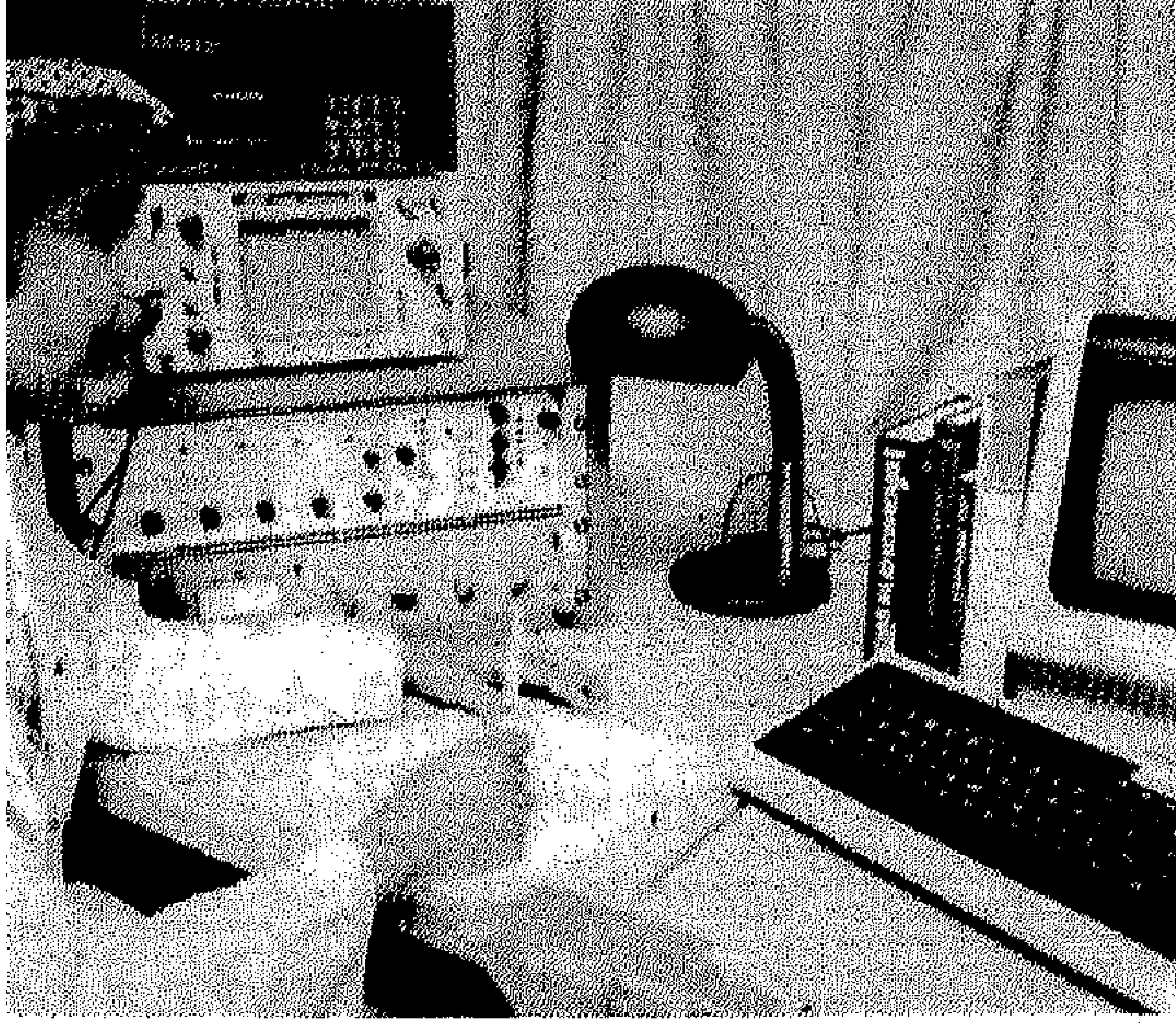
ومنـذ مولـد التلفـزيون وظهوره كفن من فنون الاتصـال تعاظم دوره كأكبر قوة جذب للجماهير فى أنحاء العالم أمام شاشته الصغيره للاستمتاع ببرامجه المميـزه والمتعـدده فى شتى المجـالات الإعـلاميـة والتعليميـة بل والمسليـة أيضاً، ولعل انتشار أجهزة التلفـزيون بذلك الكم الهائل عالميًّا خير دليل على تلك القوه الجاذبه.

وإن كان للتلفزيون دوره على المستوى المحلى فى أى دوله من الدول فلا يمكن إنكار دوره أيضاً على الصعيد الخارجى أى خارج حدود تلك الدوله تبعاً لامتـداد البث وتأثيره وامكانية رؤيته من ناحية ومن خلال تبادل البرامج التلفزيونيه بين الدول من ناحية أخرى.





احدى وسائل الاتصال المتنوعه







ويتميز التلفزيون كوسيله سمعيه وبصريه بجمعه بين الصوت والضوء والحركه، وقدرته على أن يجعل من سحر الصوت وفن تحريك الصوره وتجسيد ألوانها متعه لمتتبع برامجه الذى يرى أحداث العالم أمام عينيه وهو جالس فى مكانه، ويستمتع بالتمثيليات والمسرحيات والأفلام دون أن يكلف نفسه مشقة الذهاب إلى المسرح أو السينما.

ومع نجاح التلفزيون كفن من فنون الاتصال بدأت مواده وبرامجه تأخذ طابعاً مستقلاً مميزاً عما عداها من مواد الفنون الأخرى، فصار للتلفزيون مسلسلاته ومسرحياته وأفلامه التلفزيونيه والمعده خصيصاً له، وصار له برامجه وتحليلاته وغير ذلك من المواد الأخرى التى تفوّق بها على فنون الاتصال الأخرى.

مبتكرات الاتصالات

بعد أن تحدثنا عن فنون الاتصال، وتناولنا بعضها كأمثلة يجدر بنا أن نتناول الاتصالات ومبتكراتها بالقاء بعض الضوء على تلك المبتكرات التى تدين لها فنون الاتصال بالكثير، والتى لولاها لظلت تلك الفنون كما هى دون تقدم وبلا تطور ولبقيت كما هى على بدائيتها الأولى.. فمبتكرات الاتصالات هى التى مكنت فنون الاتصال من التحليق فى آفاقها العاليه ودفعت بها إلى ذلك المستوى الرفيع الذى حققته.



ولقد مرت تلك المبتكرات بمراحل حاسمه تولدت عنها مخترعات واكتشافات كثيره عبر تاريخها الطويل ومنذ الأيام الأولى فى حياة الجنس البشرى حيث ولدّت حاجة الإنسان للاتصالات منذ مولده للتعامل مع المحيطين به والتفاعل مع الجماعة التى ينتمى إليها وغيرها من الجماعات الأخرى رُغم ما عُرف عن الإنسان الأول بأنه إنسان الكهوف.

ولم تكن صرخات الإنسان الأول وايقاعاتها وطبقاتها المتعدده والأصوات الناجمه عن قرع الطبول واشعال النيران وانبعاث الدخان منها بطريقة متقطعة أو مستمرة والتلويح بفروع الأشجار وقطع القماش، لم يكن كل ذلك الا نظاماً متكاملا للاتصالات فى تلك العصور البدائية.

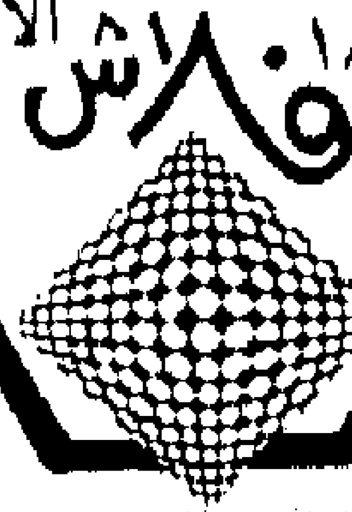
ولما كانت معظم اتصالات القدماء تتم بين أشخاص فكانت اتصالاتهم تتم عبر أصواتهم أو رسومهم او كتاباتهم باستخدام حواس السمع والرؤيه واللمس.

ومن اللغه الهيروغليفيه والبابليه والكتابه بالرسوم والحروف الهجائيه والأرقام على أوراق البردى أو النقش على الحجر فى عصور ما قبل الميلاد إلى الطباعه البنسيطه واختراع آلاتها، واختراع مورس للتلغراف فى عام ١٨٤٤م واختراع أديسون للفونوغراف فى عام ١٨٦٦م وافتتاح الكيبل البحرى عبر الأطلسى عام ١٨٦٨، ثم اختراع كيبل للتليفون عام ١٨٧٦م، وايستهان للتصوير فى عام ١٨٨٩، وماركونى للاسلكى فى عام ١٨٩٥م واختراع التلفزيون فى عام ١٩٢٣م والميكروويف فى عام ١٩٥١م، ثم الأقمار الصناعية فى عام ١٩٥٧م.



ولو رجعنا إلى تاريخ الاتصالات فى الأزمنه القديمه سنجد أمثله تثير الدهشه والغرابه إذ يحكى التاريخ القديم أن عداءاً اغريقياً قطع ستة وثلاثين كيلو متراً ركضاً وعدواً لكى يعلن للشعب الآثينى نبأ الانتصار فى معركة ماراثون على الفرس. وأن خبر مقتل القائد الرومانى فاروس وإبادة جيشه فى العام التاسع بعد الميلاد فى مقاطعة وستفاليا بجرمانيا عرف فى منطقة الاوفرنى بفرنسا بعد وقوع المعركه باثنتى عشرة ساعه بواسطة صرخات متقطعه كانت تنتقل من مركز لآخر.

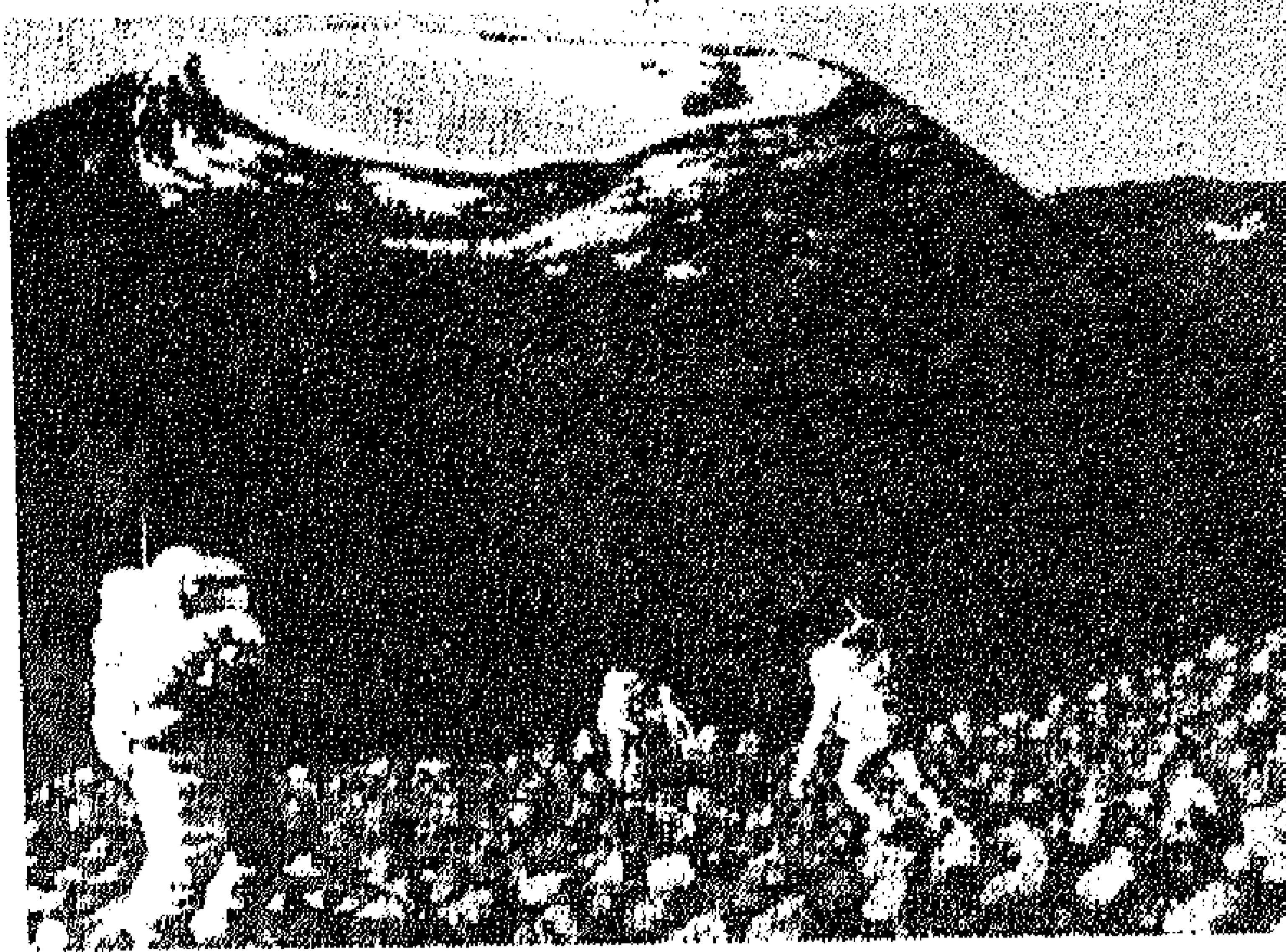
ونعتقد أنه لا وجه للمقارنة بين ما كان وما هو كائن الآن فى عالم الاتصالات بعد أن قفزت الاتصالات تلك

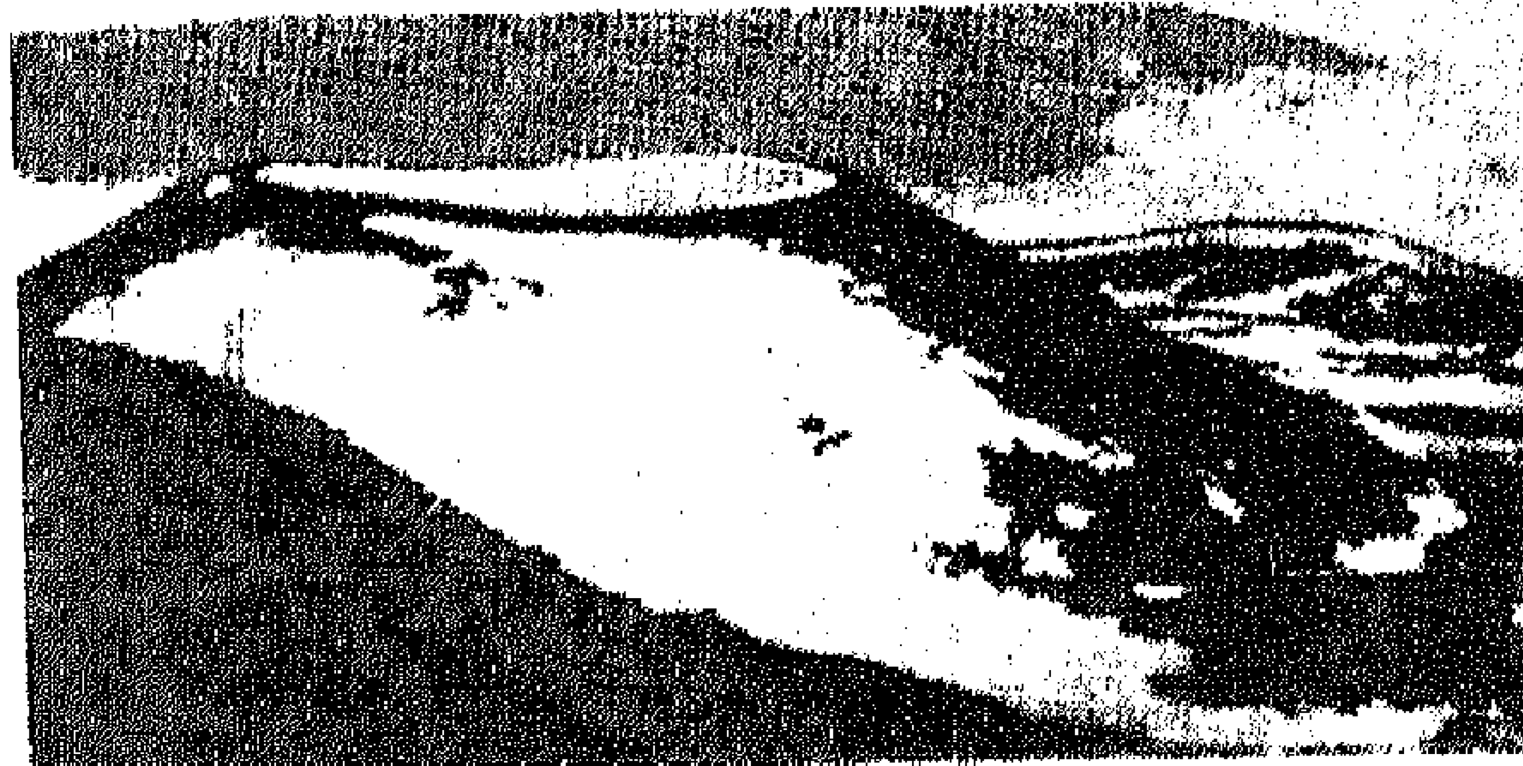


خيال الفضاء

هل يمكن القول بأن العلم والفن توءمان، إذا كانت مهمة العلم الاستقراء والاستنتاج للوصول للحقيقة، فان الفن فى كل جوانبه يستشرف الحياة الأمثل فى سلبه أو إيجابه.

فان كان العلماء قد اخترقوا الفضاء الخارجى بمركباتهم الفضائية فان الفنان العبقرى يرسل فنه وخياله الى هناك ايضا يستقرىء ويستنتج ويسجل.





وقد تطور الفن أو الرسم الفضائى وخاصة فى الولايات المتحدة بافراز لوحات ممتازة للعديد من الرسامين الذين صارت لهم شهرة واسعة امثال «هارتمان» و«بور» و«ديدامس» و«شايكين» وغيرهم ولوحات «هارتمان» تبدو حية للغاية واعطى بذلك اتجاها آخر صارت بفضله اللوحات توضح أشياء يقول العلم انها حصلت فى الماضى أو ستحصل على مستوى الكواكب.

القفزات الهائله من التقدم والتطور، وبعد ما امتلأت به كافة مجالاتها وميادينها من المبتكرات والمخترعات الحديثه التى لعبت دورها فى تطوير فنون الاتصال وتمكينها من تحقيق غاياتها.

وكان لامتداد شبكات الكوابل المحوريه وانتشار دوائر الميكروويف وانطلاق الأقمار الصناعية أثره الكبير فى تحديث تلك الفنون وجعل ذلك العالم المترامى الاطراف قريه واحده صغيره.

والكوابل المحوريه تُعرف بأنها شبكة من الكوابل المدفونه بالأرض بمواصفات خاصه تقوم بنقل الحركة الهاتفية والتلفزيونيه والاذاعية والتلكسية والبرقية بسرعة بالغة عبر قنواتها.



وجاءت كوابل الألياف الزجاجية كآخر صيحه فى شبكات الاتصالات وكواحدة من المنجزات العظيمه للتطوير التقنى المستمر للاتصالات الحديثه.. فبعد أن كانت الاتصالات بمختلف أنواعها كالصوتيه والمرئيه مثلا تتم عبر أسلاك الكوابل المحوريه المصنوعه من النحاس أصبحت تتم الآن خلال شعيرات متناهية الدقه لا يتعدى قطر الواحده منها قطر شعرة الرأس.. وبعد ان كان تنفيذ أو مرور ى عملية واحده من عمليات الاتصالات يحتاج إلى سلكين نحاسيين داخل الكيبل المحورى أصبح تنفيذ و مرور تلك العمليه لا يحتاج إلاّ شعيرة واحده داخل :وابل الألياف الزجاجيه.. وأكثر من ذلك فإن لشعيره الواحده تكفى لأكثر من عملية اتصال أياً كان نوعها كالهاتفيه أو التلفزيونيه مثلا.. ولو افترضنا ن هناك ٤٨٠ عملية اتصال ينبغى تنفيذها عبر لكوابل المحوريه فإنها تحتاج إلى ٩٦٠ سلك من لنحاس، بينما لا تحتاج أكثر من ست شعيرات داخل كوابل الألياف الزجاجيه مما يعنى سعتها الهائله قنوات الاتصال والترشيد والاقتصاد فى كافة لاحتياجات البشريه والماديه والفنيه لعمليات لاتصال.



أما الميكروويف فهو نظام له موجات دقيقه متناهية القصر ذات تردد عال يصل إلى ستة ملايين كيلو ذبذبه فى الثانيه ويقوم بتأمين كافة انواع الاتصالات عبر المسافات الطويله بسعة عاليه بالاضافة إلى ما يوفره من قنوات تلفزيونيه وإذاعيه.

وجاءت الأقمار الصناعيه منذ بدء انطلاقها فى الرابع من أكتوبر عام ١٩٥٧م لتضيف إلى مبتكرات الاتصالات ابتكاراً جديداً أحدث ثورة هائله فى فنون الاتصال وعالم الاتصالات، فبالاضافه إلى ما توفره من قنوات جيدة للاتصالات الهاتفية والتلكسية والبرقية فإنها توفر إمكانيات كبرى للبث الإذاعى والتلفزيونى وتوفير كافة المعلومات التى لا غنى للانسان عنها والتى تلتقطها فنون الاتصال المختلفه وتقوم بدورها ببثها ونشرها فى كافة أنحاء العالم.

وبالاضافه إلى تلك المبتكرات هناك الاختراعات الاخرى التى تمثل أروع انتصارات العقل البشرى كالكمبيوتر الذى غزا حياتنا اليومية وأصبح ضرورة من ضرورات التنمية فى أى بلد من البلدان بما يوفره من معلومات فى كافة مجالات النشاط الإنسانى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها من المجالات الأخرى.. وهناك أيضاً أجهزة الفاكسملى التى تنقل الرسائل والمطبوعات والصور المختلفه بأحجامها وألوانها بسرعة مذهله تجسد صورة رائعه للتقنيه الحديثه.

وفى المملكة العربية السعودية كان لتجربة اتصالاتها الرائدة أعظم الأثر فى تطوير وتحديث الاتصالات السعودية التى كانت منطلقاً لتطوير فنون الاتصال الصحفيه والإذاعية والتلفزيونية بها والتى تمكنت من القيام بأدوارها فى خدمة مسيرة تقدم المملكة وتطورها وتحقيق التنمية الشاملة فى تلك الفتره القياسيه.

فنون الاتصال
المرئي والسمعي



المرئى والسمعى بمعناه العام قديم قدم الانسانية فظروف انسان العصر الاول اجبرته عند التفاهم مع أقرانه أن يراهم ويستمع اليهم مباشرة وشخصيا، وهذا بمفهومه الحديث ما نسميه اليوم بالاتصال المرئى والسمعى. وظلت وسائل الاتصال مباشرة وشخصية إلى مشارف عهد التطور التكنولوجى الهائل فى نهاية القرن الماضى عندما نجح العالم الايطالى ماركونى عام ١٨٩٥ فى بث أول ارسال لاسلكى.. على أن اختراع الراديو كحدث ضخم فى وسائل الاتصالات لم يخرج عن مجال الهواة الذين كانوا يصممون اجهزة للاستقبال والارسال ويتبادلون الاتصالات فيما بينهم.. كان كل ما يهمهم هو كيفية الاتصال بالآخرين واستقبال ما يبثه البعض الأخر من مواد مختلفة.



فشيئا بدأت المحطات التجريبية تظهر بشكل يثير الاهتمام ولكنه لا يجذب القاعدة العريضة من المستمعين المتتبعة لنظام مستقر من البرامج لان الفن الاذاعى لم يكن قد تأصل حتى ذلك الحين.. كما لم يهتم احد بدراسة احصائية عما يجذب المستمع انما كان الاهم هو تحسين الاتصال هندسيا والوصول به إلى ابعد مدى وكان هذا وحده هو مقياس النجاح لدى المتخصصين عن الاتصالات الاذاعيه.



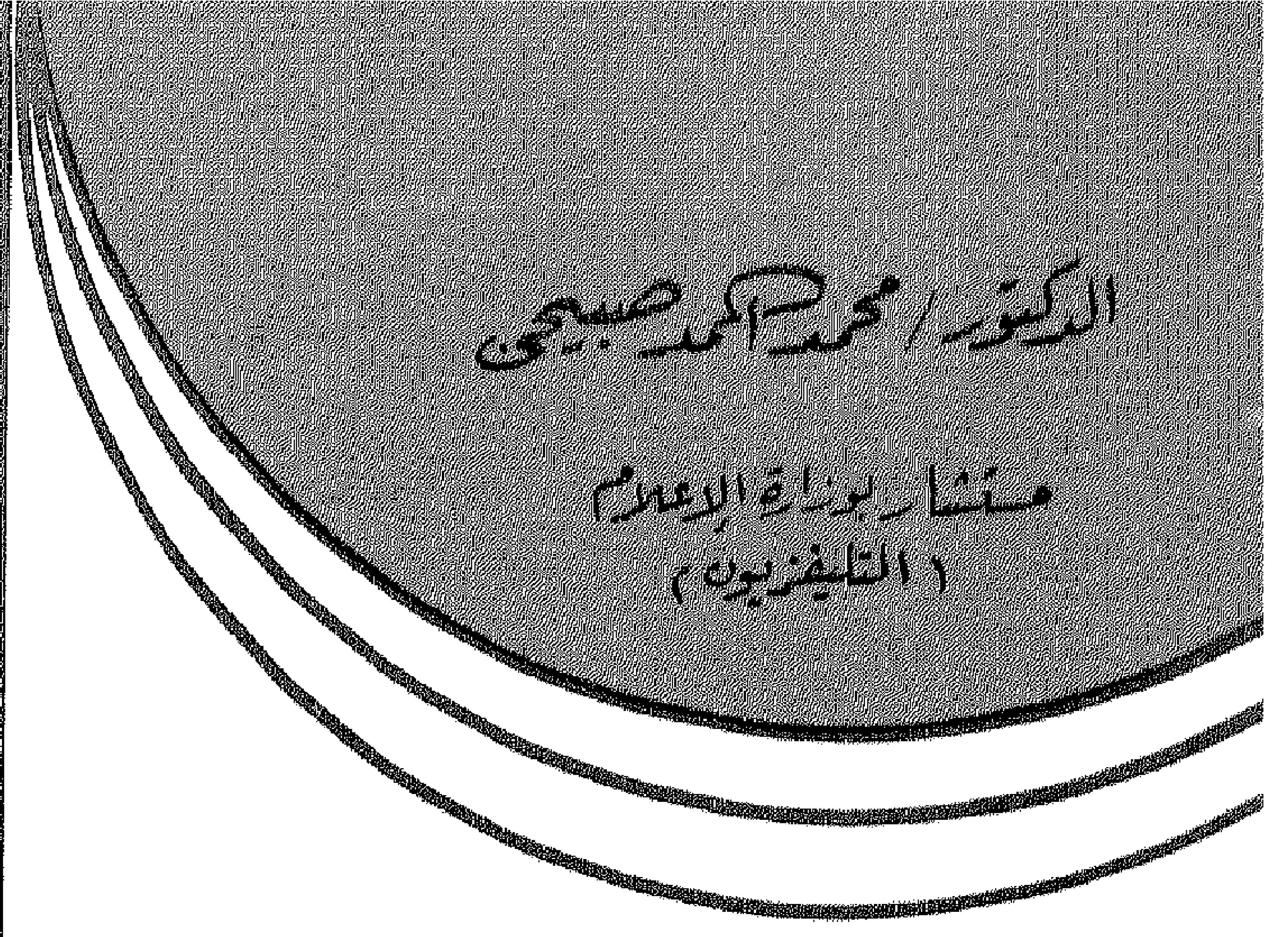
تطور الراديو تطورا هائلا خلال العشرينات من هذا القرن. وبدأت محطات الراديو تهتم بالمسائل العامة التى تشغل فكر المستمع وأخذت تتسابق فى تقديم الجديد والغريب لاشباع رغبات الملايين من المستمعين الذين اقبلوا على الراديو وما حواه من برامج شملت الموسيقى والقصة والتمثيليه والاخبار والطرائف وفجأة ارتفع عدد المحطات فى الولايات المتحدة الامريكية من ثلاثين محطة الى ما يزيد على خمسمائة محطة.

وبلغت ذروة الاهتمام بالراديو عالميا خلال الحرب العالمية الثانية، حيث استطاع أن يشد انتباه ملايين البشر ويجعل آذانهم معلقة به لما ينقله اليهم من اخبار الحرب والبيانات العسكرية والتعليقات السياسيه، فأصبح الراديو أعظم وسائل الاعلام والتحليل والابلاغ.

وبانتهاء الحرب العالمية بدأ الراديو يتفنن فى ايصال رسالته الى المواطنين، وأخذ مكانه الواسع كوسيلة اتصال مؤثره فى جذب المستمع الى أقصى مدى ـ فبدأت أجهزة قياس الرأى بالاذاعات المختلفة فى كل انحاء العالم تتعرف على رغبات المستمعين وتخضع برامجها لهذه الرغبات.



ظهر التلفزيون أخذ هو الآخر يتبع نفس الاسلوب فى تقصى رغبات المشاهدين.. وهكذا حرصت الاذاعة والتلفزيون على استقطاب اكبر عدد من المستمعين

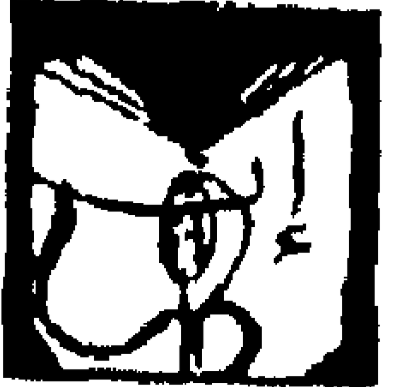




المشاهدين فنجاح أو فشل هذين الجهازين تكشفها قلة و أكثر من يتابعون ما يقدم لهم من مواد بواسطتها.

ولذلك فمن الواجب تقصى كل المعلومات التى تساعد على استطلاع رأى . . المواطنين ومعرفة ما يرغبون من مواد . . ان مثل هذه الاستطلاعات تساعد كثيرا على تكوين فكرة جيدة عن تلك الرغبات لكل انواع المجتمع بمختلف طبقاتهم واعمارهم واجناسهم . . وبالتالى معرفة توقعاتهم وتصوراتهم وما يأملون أن يشاهدوا أو يستمعوا اليه .

وهذه الاستطلاعات ضرورية لتقدم صورة واضحة للمسئولين عن هذين الجهازين قد تمكنهم من الحصول على ردود فعل لما يقدم للمشاهد والمستمع وبالتالى توضع الخطط البرامجيه حسب ما لديهم من معلومات.



الالتقاء المباشر بين هذين الجهازين وجمهورهما عامل هام وفعال لتحقيق النجاح المنشود لها لأن الهدف الأساسى من استطلاع الرأى هو تكوين فكرة جيدة وواضحة عن رغبات وميول وسلوك المشاهد والمستمع ومن ثم العمل على تلبية تلك الرغبات والاحتياجات عن طريق وضع خطة براجيه متوازنة فى محتواها واهدافها.

وما من شك فى أن تأثيرها سيكون جيدا وفعالا اذا ما راعت تلك الخطه بتفهم كامل ووعى سليم نوعية المشاهدين والمستمعين الذين تبث لهم تلك البرامج.

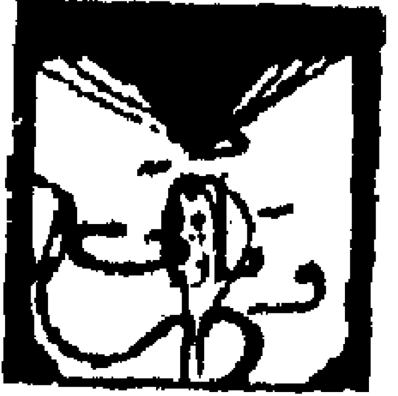
ومن هذا المنطلق بدأت تنشأ البرامج والفنون المنوعة بقواعدها ومقاييسها وتقاليدها . . فظهرت التمثيليه والأغنية والمقطوعه الموسيقيه والحديث الاجتماعى والقصة القصيره اضافة إلى وظائف أخرى تبناها هذان الجهازان غير تلك الوظائف التقليديه والمتعارف عليها.

وأصبح صياغة الخبر الاذاعى فنا قائما بذاته يتميز بالسرعة والايجاز والدقه والموضوعية . . واذا كنا قد تحدثنا عن الفن الاذاعى باعتباره فن الاتصال السمعى فقد جاءت النقلة الوثابة الكبرى مع مجىء التلفزيون باعتباره فن الاتصال المرئى.



التلفزيون تطوره فى أواخر الاربعينات تدعمه وتغذيه نفس العقول الخلاقة والمبدعة التى كانت الاساس ولأن رجال التلفزيون هم أساسا ممن عملوا فى الراديو فقد جعلوا من طرق البث الاذاعية أساسا لعرض برامجهم التلفزيونية إلا انهم طوروا وسائلهم حتى اصبحت فنون التلفزيون قائمة بذاتها ومغايرة تماما للفنون الاذاعية وأدى هذا التغاير إلى تأثير التلفزيون الشديد فى جذب مستمعى الراديو وخاصة فى المدن الكبيرة التى يصلها البث التلفزيونى والتيار الكهربائى . . ويعتبر التلفزيون وسيطا اعلاميا جيدا قادرا على توجيه وتثقيف المواطن بشكل واسع ومتعدد الجوانب اذ يستطيع أن يسهل على المشاهد ويجعل فى

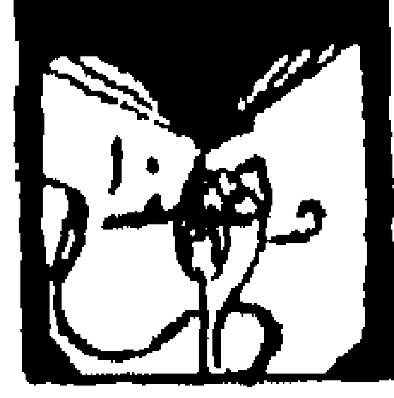
مقدوره ان يرى عن كثب كل ما يدور فى عالم اليوم من احداث على الرغم من بعد مسافتها وقصر مدتها اضافة إلى قدرته على الاستجابة لاحتياجات المواطن بشتى صورها وهذا ما جعل التلفزيون جزءاً هاماً من حياة الانسان يرى من خلاله العالم ويلم باحداثه متى واين شاء.



الأقمار الصناعية وهى نقلة حضارية أخرى فى تكنولوجيا الاتصالات لبث البرامج التلفزيونيه بواسطتها.. ان قمر الاتصالات ما هو الا محطة استقبال وبث تدور فى مدارها حول الأرض ويستقبل القمر اشارات من مواقع محدده فوق الأرض ثم يبثها إلى مواقع محددة أخرى.. وهو بذلك يقدم خدمات اتصال أسرع وأضمن وأكثر تفوقا على الطرق الاخرى للاتصالات.

لقد عشنا اليوم عصر الأقمار الصناعية التى امكنها أن ترينا العالم حيا نابضا بالاحداث وستشهد الاعوام القادمة مزيدا من التطور فى امكانية الاتصال بين الاقمار الصناعية وأجهزة الاستقبال المنزلى مباشرة دون أى تدخل من المحطات الارضية وسيكون لهذا الاتصال المباشر تحولات جذريه على المجتمعات المتباينة وسيكون له آثاره الواضحة على الانظمة الاقتصادية والسياسية والثقافية والفنية وسوف يكون له دور هام فى محو الامية ونشر التعليم بصورة افضل وأوسع

ومن ناحية أخرى فان هذا الاتصال المباشر له أخطار شتى يجب التنبه لها لما للتلفزيون من تأثير قوى يفوق بكثير تأثير الراديو، ومن هذه الاخطار تأثير الدعاية والغزو الثقافى بالاضافة الى المخاطر الاخلاقية التى تحرص كثير من الدول المحافظة على عدم تسربها إلى مواطنيها.



فان تكنولوجيا الاتصالات المرئية والسمعية كلما ازداد نطاقها كلما أفرخت فنونا جديدة لم تكن نسمع عنها من قبل. ترى أى فن جديد سوف تنعم به الاجيال القادمة؟.

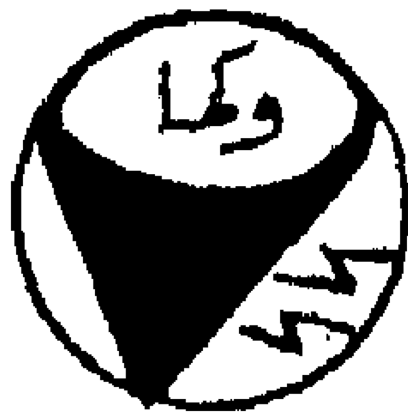
الفن الإذاعى بين التصور والحقيقة وبين الوسيلة والمضمون

للأستاذ
حسين عسكرى
مدير عام الاذاعة بالمنطقة الغربية



سؤال كبير يعج فى ذهن كل اعلامى.. وهو هل التقدم فى الوسيلة صاحبه تقدم فى المضمون؟.

● وللإجابة على هذا السؤال لابد وأن نأخذ فى اعتبارنا عوامل عديدة يصعب حصرها لكن العامل الاكثر تأثيراً فيها هو قدرة اية امة على العطاء الفكرى. لأن الاداة الاعلامية وسيلة مهما تطورت لا يمكن ان تكون فاعلة ومؤثرة فى خلق تحولات حقيقية فى تفكير الأمة ونقلها الى الافضل والأمثل.



يقول خبراء الاعلام إن وسائل الاعلام الموجودة فى المجتمع تؤثر تأثيراً قوياً فى اشكال البنية الاجتماعية والثقافية للأمة حيث ان وسائل الاعلام اداة قوية للضبط الاجتماعى ونشر الوعى فى المجتمع.. ومع تطور الوسيلة خلال السنوات القليلة الماضية كان امراً حتمياً ان يتطور المضمون إن لم يكن بالقدر المساوى فلا اقل من ان يكون قادراً على المواكبة.. غير ان الملاحظ من خلال التجربة المعاشة ان

الوسيلة سبقت المضمون وعلى وجه الخصوص فى البلدان النامية حيث ظل تقدم هذه البلدان محصوراً حتى الآن فى شراء الآلة بالقدر الذى تتيحه لها امكاناتها المادية أو بالمشاركة فى استعمال أجهزة تملكها دول متقدمة كما هى الحال فى مجال استفادة بعض بلدان العالم النامى من الاشتراك فى وسائل الاتصالات الفضائية للاستعمالات الإذاعية والتلفزيونية واغراض الاتصالات الأخرى لكن مازالت المعادلة مضطربة والفروق شاسعة بين اعلام تدعمه قدرات فنية عالية ليغطى المساحة الاكبر على صعيد الاعلام العالمى وبين اعلام يرتكز على استيراد الوسيلة فلا يحصل على ما يريد بل يأخذ ما تتيح له امكاناته المادية والبشرية.

الأقمار الصناعية السابحة فى الفضاء

من المعروف ان اكثر من خمسين قمراً صناعياً تسبح حالياً فى الفضاء وبشكل متواصل فى مدار على ارتفاع اثنين وعشرين الف وثلاثمائة ميل واعداد هذه الأقمار آخذ فى الازدياد بسبب السباق المتلاحق من جانب الدول المتقدمة التى تصنع هذه الاقمار وقد دخلت حلبة السباق دول تملك المال اللازم للحصول على هذه التكنولوجيا المتقدمة فى مجال الاتصالات كما هى حال مجموعة الدول العربية التى تستعد لاطلاق قمر صناعى خاص بها وقد تم فعلاً تجهيز هذا القمر بموجب اتفاق مع منظمة الفضاء الأوروبى والمنظمة العربية للاتصالات الفضائية لاطلاق اول قمر عربى صناعى فى شهر اكتوبر من هذا العام ١٩٨٤م.

ولأن العملية تجارية فى معظم جوانبها إلّا أنها لا تخلو من جانب سياسى يخدم اغراض الدول المالكة لمثل هذه الأقمار إلّا أن وسيلة الاقمار اصبحت الوسيلة الاكثر سرعة فى مجال الاتصالات وبشكل مذهل حيث ان هذه الوسيلة العصرية حولت كما يقول «عالم بلجيكى» العالم الى قرية صغيرة.



إعلان الرئيس الامريكى مؤخراً سحب قوات بلاده من المشاركة مع القوات متعددة الجنسيات فى لبنان نقلته شبكات الاقمار الصناعية الى ثلاثة ارباع الدنيا فى اللحظة التى كان الرئيس ريجان يتحدث فيها من على مكتبه فى البيت الأبيض وقس على ذلك مباريات كرة القدم حينما تجرى مباراة على كأس الأمم الاوروبية يشاهد المباراة فى نفس اللحظة التى تتم فيها على استاد ومبلى بلندن اكثر من خمسمائة مليون مشاهد فى انحاء متفرقة من العالم. وكما حدث بالنسبة لنقل مباريات كأس الخليج العربى التى جرى نقلها حية على الهواء لبلدان الخليج واليمن الشمالى.

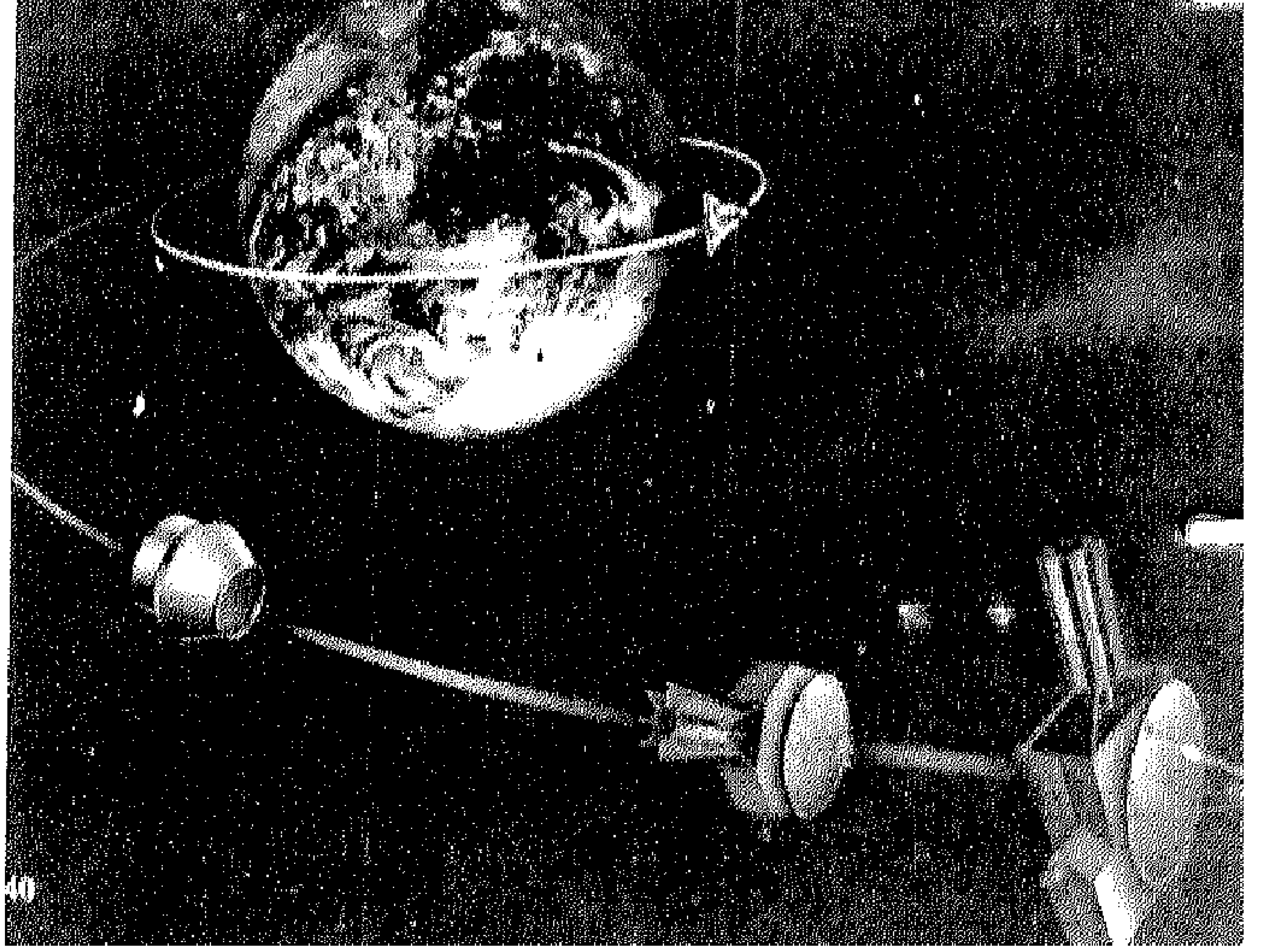


هذا المفهوم الذى لا يخلو من عوامل سياسية تبرز اقامة عوائق امام تقدم علمى حقيقى فى البلدان النامية بفعل العوامل السياسية كما حدث من اعتراض الكونجرس الامريكى على بيع مواد متقدمة للاستفادة منها فى إطلاق الاقمار العربية لكن عوامل المنافسة التى تواجه صناعة الفضاء الامريكية نتيجة للتقدم العلمى فى هذا المجال لدى بلدان اوروبا الغربية.



تقدم يتضح لنا ان الفجوة مازالت عميقة ومتباعدة بين المضمون والوسيلة وهما طرفا المعادلة الإعلامية.

والسؤال الذى يفرض نفسه وسط هذا التباين ويلح على ذهنية رجل الاعلام فى البلدان النامية.. والسؤال ما هو الحل الذى يمكن البلدان النامية من اللحاق بالركب؟ وطبيعى ان الاجابة تبدو سهلة نظريا لكنها غاية فى الصعوبة على الصعيد العملى. ليس من اجل استحالة التحقيق بل من منطلق أن المهمة شاقة والطريق مليئة بالمعوقات التى يتطلب التغلب عليها جهداً صادقاً



وصابراً لأن العملية . . عملية مواجهة يدخل ميدانها الانسان فى البلدان النامية وليس لديه من الاسلحة المؤثرة إلاّ القدر اليسير غير ان هذا لا يعنى الاستسلام والتخوف بل يجب تأكيد ضرورة الحاجة بأن تكون دول العالم النامى فى مستوى التحدى اذا ما ارادت ان يكون لها صوتها المسموع من خلال صفحات الأثير. واول ادواتها فى هذه المعركة ان تتعرف وتدرس وترصد بمتابعة واعية تطورات الطرف الآخر التي تسجل يوماً بعد يوم بل لحظة بعد اخرى تقدماً هائلاً . . وأضرب مثالاً على حجم هذا التقدم من خلال دراسة نشرتها مؤخراً هيئة اليونسكو تقول الدراسة : إن ثمانين فى المئة من الانباء المتداولة يومياً فى العالم تتولى انتاجها ونقلها وكالات عالمية لا يتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة كما ان حوالى تسعين فى المئة من ساحة البث الاذاعى هى الآن تحت سيطرة الدول الصناعية التى لا يتجاوز عدد سكانها عشر سكان المعمورة.

هذا ما يتعلق بالوسيلة وتقدمها . . اما فى مجال المضمون تقول الدراسات الحديثة ان نجاح الاتصال يتوقف على توافر بعض الشروط فى المصدر أو المرسل اهمها المهارات الاتصالية واتجاهاتها نحو الموضوع ونحو المتلقى ونحو نفسه ومستوى معرفته. ثم ان الوضع الاقتصادى والثقافى يلعب الدور الاكثر تأثيراً فى نجاح العملية الاعلامية. لاننا اذا نظرنا الى الرابطة بين الاذاعة وبين الثقافة أو بين الاذاعة والمجتمع وهى عامل حيوى خطير نرى ان الاعلام بوسائله الثلاثة. المسموع والمرئى والمقروء يخدم العملية الثقافية بكل ابعادها إلاّ ان الاذاعة فى هذا المجال تتسم بالسرعة والمباشرة والشمول. وتلعب اللغة فى إظهار المفهوم الدور الأكثر خطورة فى نجاح هذه العملية بكل عناصرها لأن العناية بالناحية اللغوية يظهر المفهوم فى صورته ولغة الفن الاذاعى هى الوسيلة الاقدر على تحليل الفكرة وتعميق مضمونها فى ذهن المستمع . .



تبرز كفاءة المعد والمحرر الذى يصوغ الكلمة بقدرة تنبع من استخدام اقل عدد ممكن من الالفاظ للتعبير عن اكبر عدد ممكن من الأشياء فى وضوح وبساطة وتأثير فاعل. وكما قال العالم «برجون» إن فن الكتابة هو ان ينسى الكاتب ان الكلمات عدته ومعنى ذلك ان كل كلمة يجب ان تعبر عن شىء ما ومعنى ذلك ايضاً ان تستبعد الكلمات الغامضة والعبارات العامة التى لا تؤدى الى معنى.

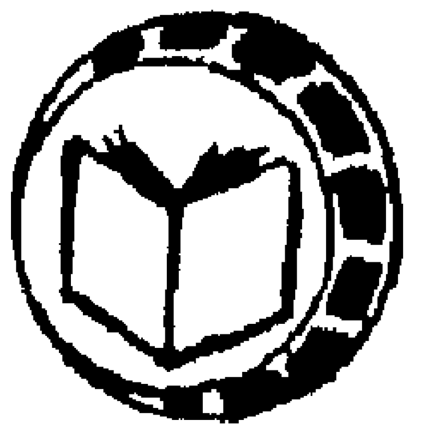


هنا مازالت الدول النامية تفتقر الى العنصر البشرى المدرب والمبدع الذى يستطيع ان يخاطب الأمة من منطلق الادراك الواعى والتقدير السليم . .

ولهذا وحتى تتوفر الطاقة البشرية المدربة التى يمكن لها ان تغطى الاحتياجات الفعلية. تظل عملية الاضطراب بين الوسيلة والمضمون قائمة . . لكن المؤشرات الى تحقيق الافضل تبدو مشجعة لا سيما فى بلد مثل المملكة العربية السعودية حيث قطع الاعلام أشواطاً بارزة فى عملية التوازن بين الوسيلة والمضمون بفعل الطاقات البشرية الواعية والمدربة التى تزداد مساحة تواجدها يوماً بعد يوم.

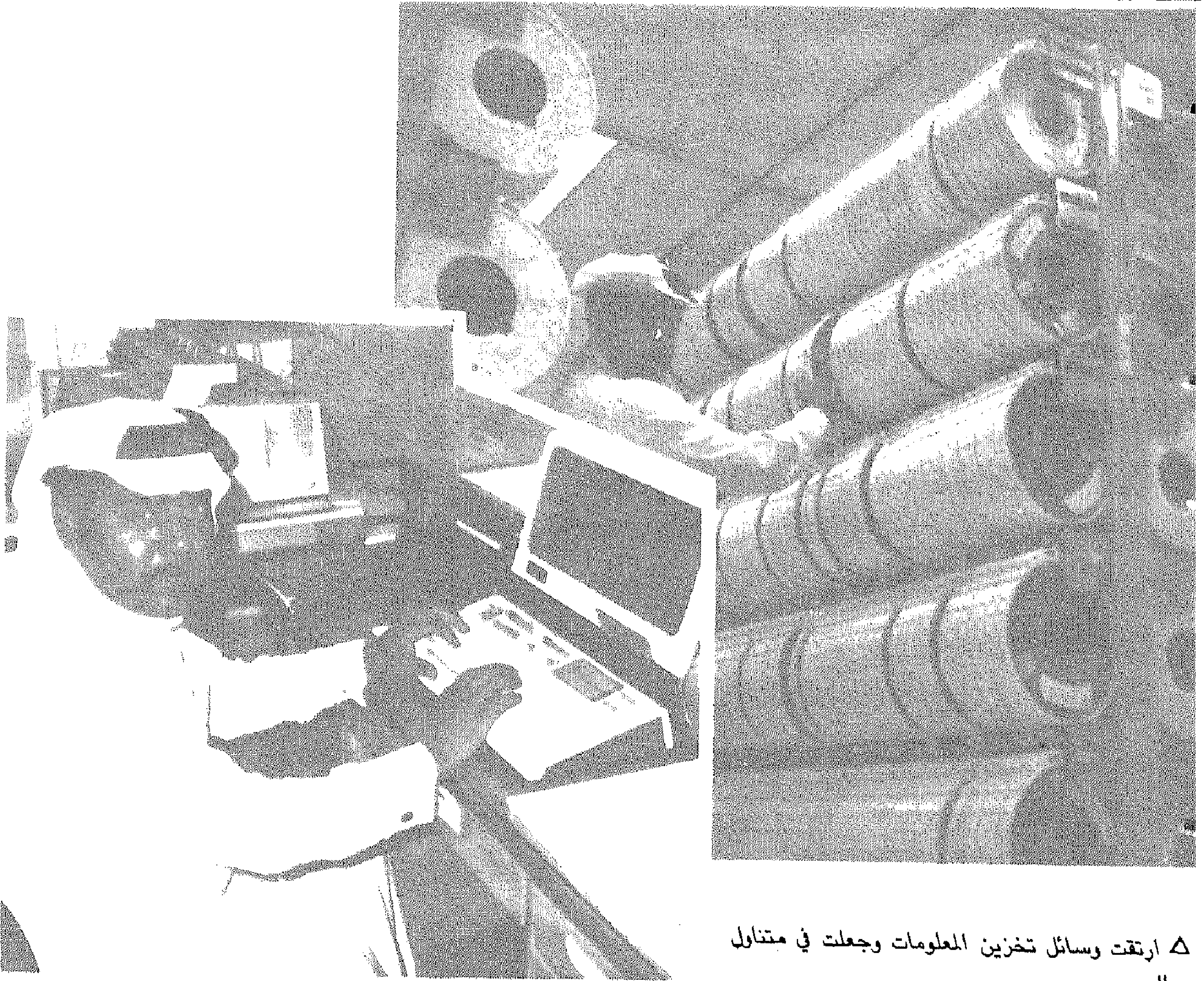
د. عبدالله بن عيسى
رئيس قسم المكتبات والمعلومات
جامعة الملك عبدالعزيز
«جدة»

فنيات حفظ وتوصيل الوثائق والمعلومات بين الحاضر والمستقبل



الوثائق موجودة منذ فجر الحضارة الانسانية المسجلة ولكنها اتخذت اشكالا بدائية على ورق البردى او الطين أو غيرها. . ومع ثورة الطباعة فى القرن الخامس عشر انتشرت المطبوعات باشكالها المختلفة وأصبحت الكتب فى متناول الملايين وانتشرت صحيفة البنس، اى الصحيفة الرخيصة التى تباع لجماهير الناس. . وانتشرت ايضا وسائل اخرى مطبوعة كالدوريات والتقارير والرسالات وبراءات الاختراع وغيرها. لتحمل العلم والفن والأدب إلى كل مكان. .

ومع قدوم القرن العشرين ظهرت ثورة جديدة الكترونية تتصل بحفظ المعلومات وبثها بواسطة وسائل الكترونية، وتعكس هذه الثورة الحقيقية الجديدة مرحلة المجتمع ما بعد الصناعى فى حياة الانسان. وتتمثل هذه الثورة فى التحام وسائل الاتصال عن بعد Telecommunications مع شبكات الحاسبات الالكترونية Computer Network ذات الامكانيات الهائلة فى حفظ المعلومات وتبادلها على مستوى العالم بل وضعت هذه الامكانيات الهائلة الحديثة عالم المعلومات كله تحت يد الفرد الباحث أو العالم المتخصص فيما يسمى



△ ارتقت وسائل تخزين المعلومات وجعلت في متناول اليد .

يسمى بالبحث المباشر على الخط On-Line مستخدما تلك الحاسبات العملاقة فى مراصد المعلومات ومتخذا السبيل إليها من أقصى الأرض إلى أقصاها عن طريق وسائل الاتصال المختلفة كالتليفون والمبرقة والراديو والنهايات Terminals والتلفزيون والأقمار الصناعية .

أولا تكنولوجيا حفظ المعلومات بالحاسبات الآلية :

تستخدم الحاسبات الالكترونية فى تخزين ومعالجة واسترجاع البيانات وذلك حسب قواعد محددة ، وتنقسم البيانات عادة إلى :

(أ) بيانات وصفية : Descrptive Data

وهى البيانات التى يعبر عنها بأشكال أو رسومات هندسية ولايمكن الوصول إلى هذه المعلومات بدون الرجوع إلى المستند الأصلى مثل الرسومات الهندسية والفهارس وصور بصمات الأصابع ، ويستخدم الحاسب هنا لاختزان البيانات التى يمكن بواسطتها استرجاع هذه المستندات سواء كانت تلك المستندات مسجلة على ورق عادى أو على ميكروفيلم . . ولكن يجب الاشارة هنا إلى أن نتائج معالجة البيانات الرقمية قد تكون فى بعض الأحيان رسومات هندسية كما هو الحال فى الانشاءات أو تصميم نماذج الطائرات

(ب) بيانات كمية : Quantitative Data

وهذه يعبر عنها بالأرقام ويعالجها الحاسب

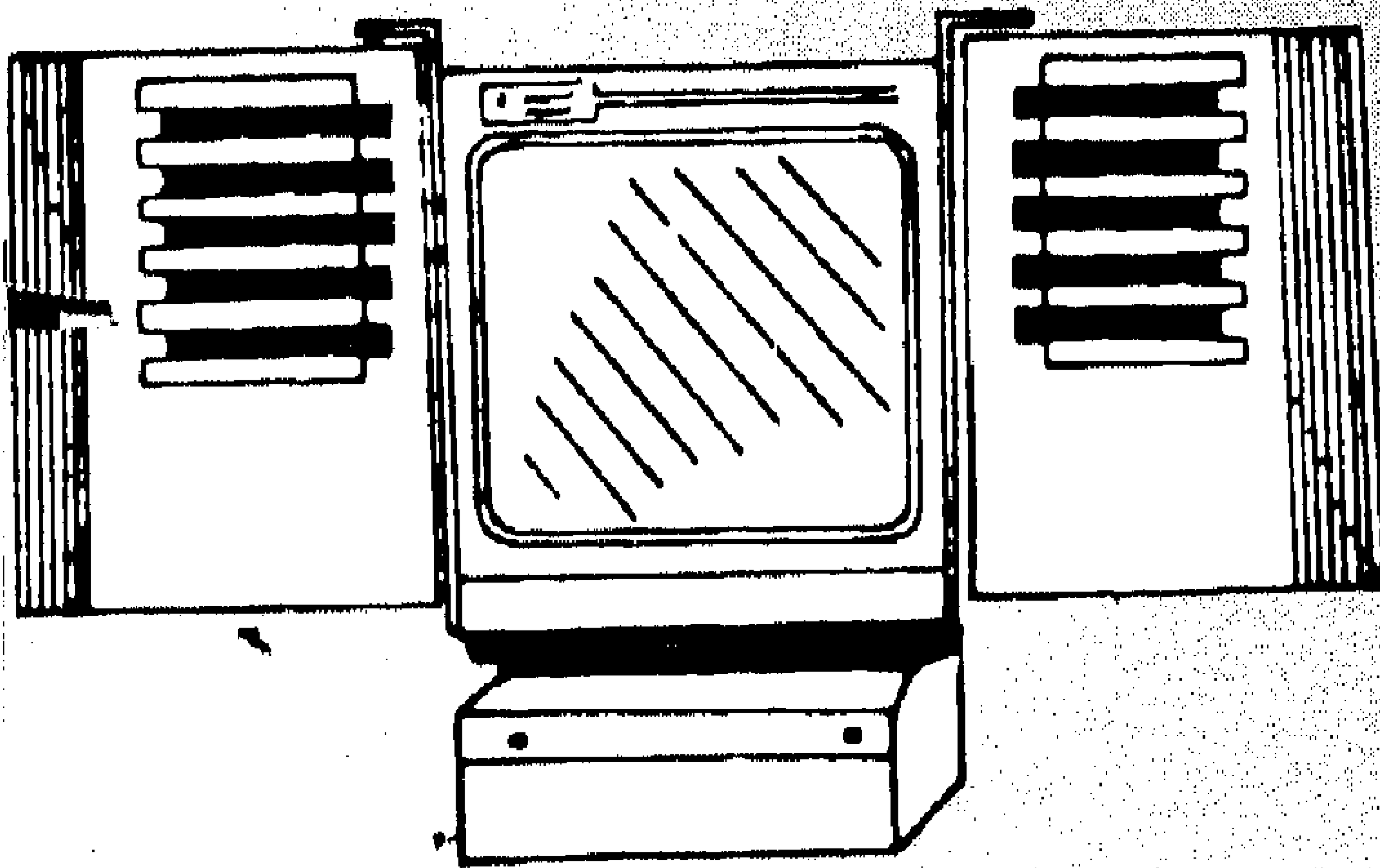
الالكترونى كعمليات رياضية أو حسابية أو استخلاص نتائج هذه المعالجات فى صورة قيم وأرقام ومن أمثلتها بيانات العاملين والمعلومات الادارية عن الموردين والميزانيات والمخازن . . الخ .

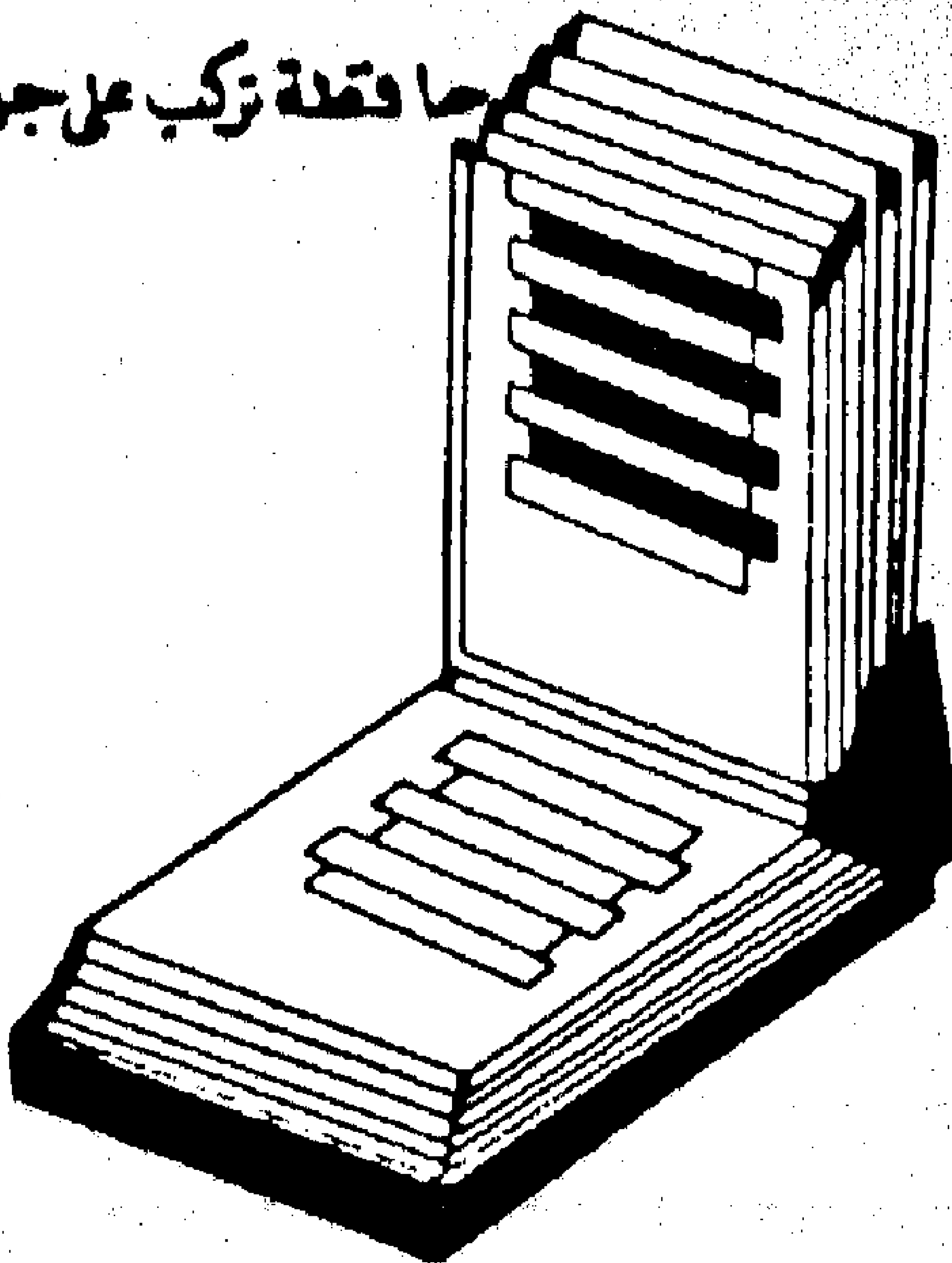
(ج) الاسترجاع المباشر للمعلومات :

لقد أثبت الاسترجاع المباشر للمعلومات على الخط On-line نجاحا مؤكدا، كما أنه اصبح شائع الاستعمال خصوصا مع تطور اجيال الحاسبات الالكترونية وزيادة امكانياتها ورخص استعمالها نسبيا مع تزايد هذا الاستعمال، وكذلك مع امكانيات الوصول إلى مراصد المعلومات عن بعد -Tele Communication باستخدام وسائل الاتصال الحديثة خصوصا الأقمار الصناعية .



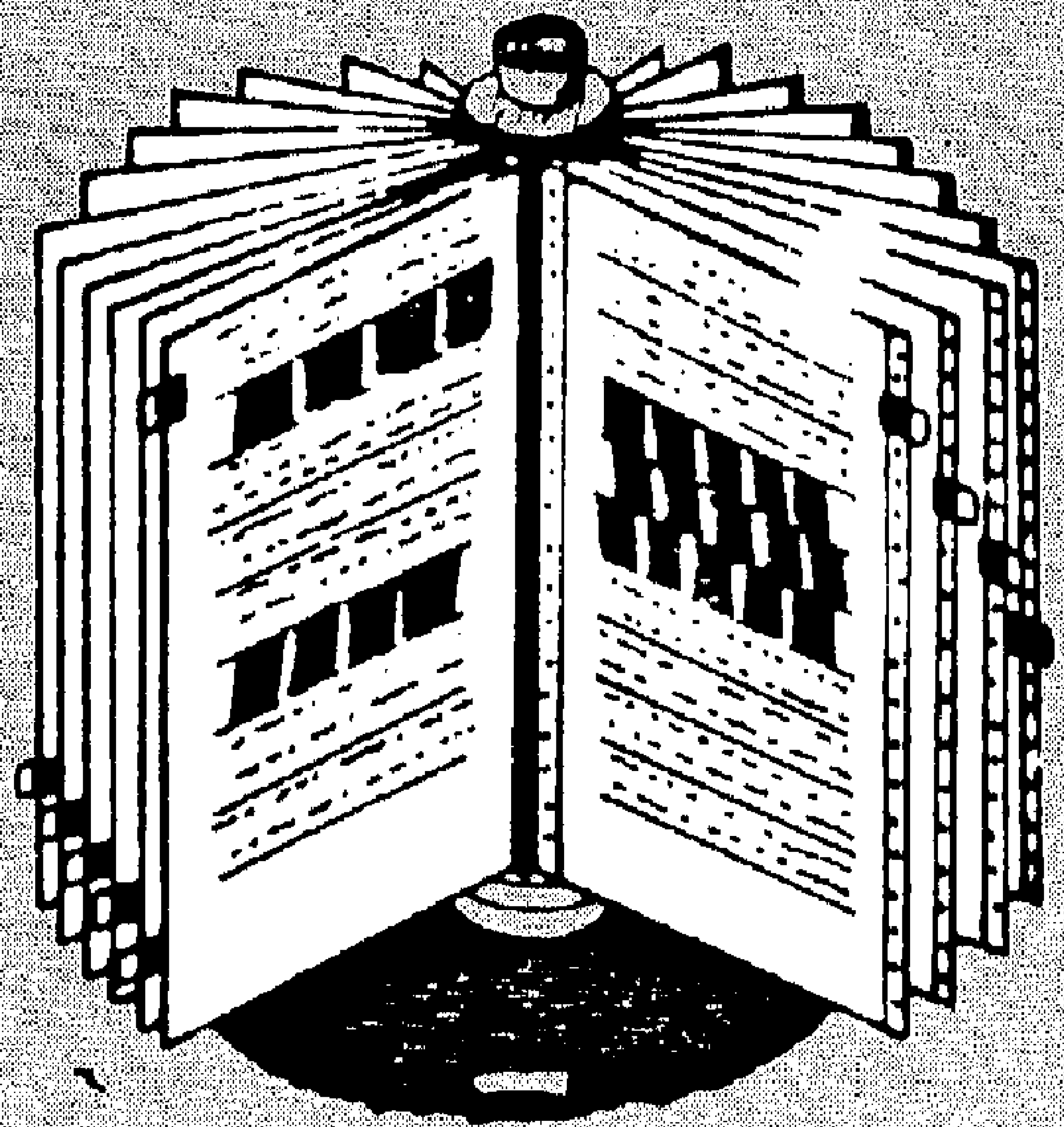
وينبغى الاشارة هنا إلى أن هذه المعلومات تستخدم فى أغراض عديدة حسب نوعيتها ومستواها أو على الأصح مستوى الجمهور الذى توجه إليه هذه المعلومات، فمنها معلومات تستخدم لدعم البحوث العلمية والتطورات الصناعية ومنها المعلومات التى تستخدم فى انتاج السلع والخدمات فضلا عن المعلومات التى تساعدنا على تحسين ورفع مستوى معيشة البشر، ولكن يجب الحذر هنا فالمعلومات مع توفر الحاسبات وشبكاتها على المستوى العالمى ومع توفر وسائل الاتصال عن بعد من القارة إلى القارة نقول إن توفر المعلومات فى حد ذاته لا يؤدى إلى التقدم، بل التقدم يحدث إذا استطاع الجسد العلمى والصناعى والادارى والزراعى والاجتماعى للدولة أن يمتص المعلومات الحديثة المتوفرة ليطور بها الانتاج والخدمات . . أى ان الخطورة هنا تكمن فى ان زيادة توفر المعلومات للجميع سيزيد من مستوى الدول المتقدمة، وسيساعد الدول المتنامية - ولكن بقدر استطاعها - امتصاص هذه المعلومات والإفادة منها فى جسدها العلمى والصناعى والزراعى . . الخ . . ويمكن ان يوضح الشكل رقم (١) تمثيلا مبسطا لإحدى وسائل الاتصال (وهو التليفون) بالحاسب الآلى على الخط المباشر.

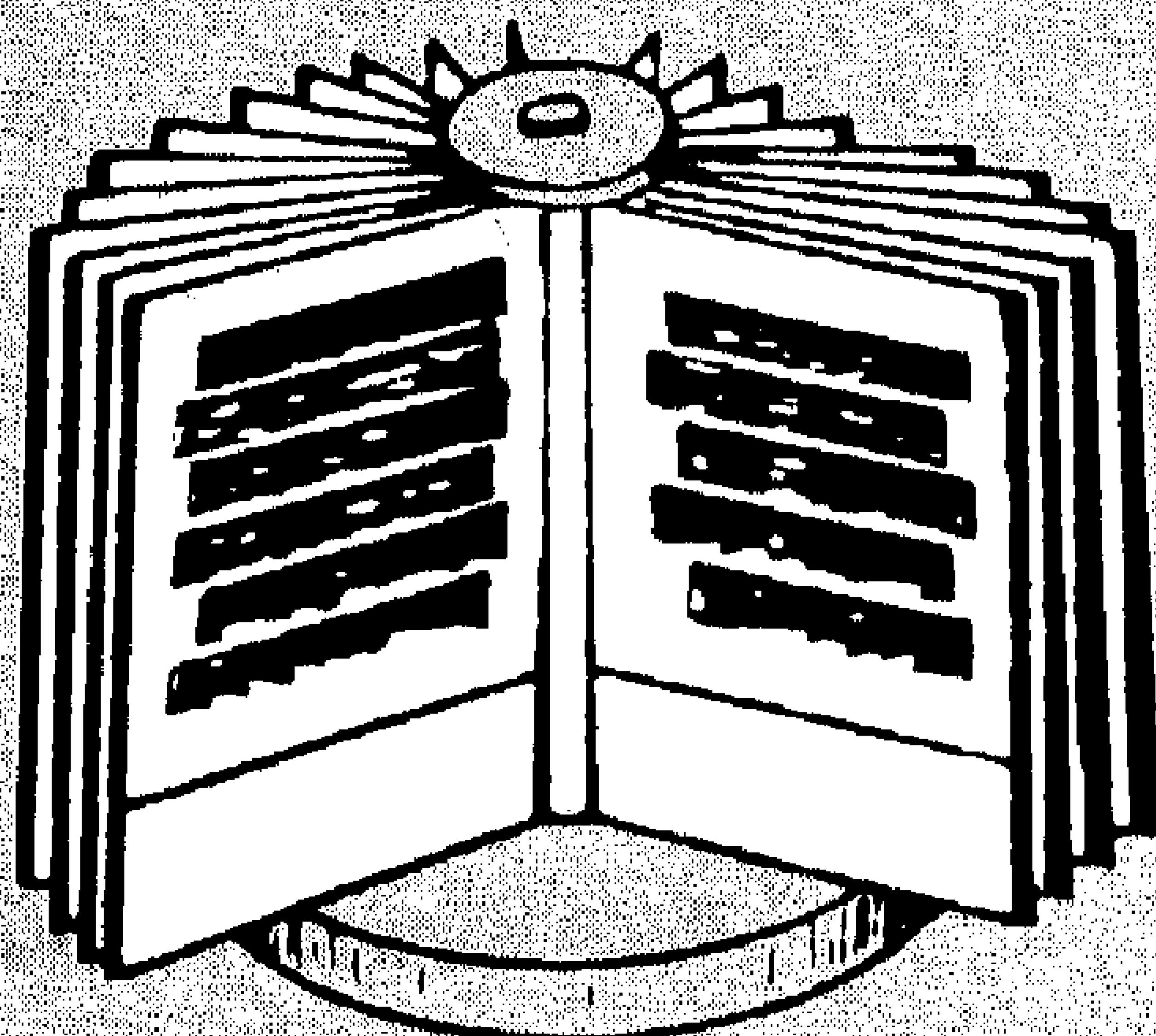




ثانياً تكنولوجيا حفظ الوثائق بالميكروفورم :

الميكروفورم هو شكل مصغر للوثيقة، وهذا الشكل يقرأ فقط بواسطة اجهزة خاصة، وهناك اشكال ملفوفة (ومنها ما هو يعرض ١٦، ٣٥، ٧٥ ملم) وهذه بدورها لها أشكال متعددة كالشكل المفرد والثنائى والمزدوج وتتضح فى الاشكال التالية :





الشكل المفرد :

الشكل المزدوج :

الشكل الثنائى :



والميكروفورم بعرض ٧٥ ملم لا يستعمل إلا نادرا، إذ هو يستخدم فى النقل التصغيرى للخرائط والصور أو يحول بالتجزىء إلى بطاقات مصغرة، وهناك ميل واضح لاستخدام ال ١٦ ملم فى الأغراض الوثائقية. ويستفاد من الميكروفيلم ١٦ ملم فى أغراض كثيرة، ويخزن عادة على بكرة طولها ٣٠م وتسمح بتخزين ما بين ألفين وثلاثة آلاف صورة بحسب نسبة التصغير المستخدمة، ويمكن ايضا جعل البكرات نفسها فى (كاسيت) «لحفظ الشريط فى أمان من الغبار والتلف فضلا عن امكانية الوصول الأتوماتى إلى الصورة المطلوبة المحددة، عند وضع الكاسيت فى جهاز قراءة الميكروفيلم.

ويمكن أن يقطع الفيلم ١٦ ملم إلى أشرطة متعددة وتوضع الشرائط فى جيوب وتتخذ بذلك الشرائط على البطاقة المسطحة شكل بطاقة الميكروفين كما هو الحال فى الرسم التالى :



يقودنا إلى الحديث عن الاشكال المسطحة للميكروفورم وهذه تشمل شريط الفيلم المثبت بالبطاقات المثقبة كما تشمل الميكروفيش والالترافيش (اى الصور المتناهية الصغر) وغيرها من الاشكال.. ولكن اشهرها هو الميكروفيش (١٠٥×١٤٨ملم) الذى أصبح وسيلة نشر اساسية خصوصا بالنسبة لحفظ ونشر التقارير الفنية للشركات ومراكز البحوث كما هو الحال فى مراكز بحوث التربية (ERIC)

وخدمات المعلومات الفنية بامريكا (NTIS) وغيرهما . .

والقياس الخاص بالميكروفيش (١٠٥×١٤٨ملم) هو المعروف عالميا بالقياس (DIN A6) وهو المعتمد من «المنظمة القومية للميكروفيلم (N.M.A.) ولجنة المعلومات العلمية والتقنية (Cosati) فى الولايات المتحدة ومركز الابحاث بفرنسا (CNRS) .

ويصنع «الميكروفيش» على صفحة غير شفافة ويسمى حينئذ «الميكروكارت» وهو يميل للانقراض نظرا لصعوبة قراءته واستخدامه بالمقارنة بالميكروفيش.

وهناك استخدام حديث للميكروفيش (١٠٥×١٤٨ملم) بالمركز الوطنى للبحوث العلمية بفرنسا (CNRS) حيث تقسم البطاقة إلى أقسام ثنائية متلاحقة حسب القسمة الهندسية (١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، ١٦ ، ٣٢ ، ٦٤) وفى القسم ١ ، تحتل البطاقة المصغرة الصورة كاملة ، وفى القسم ٢ منها ، صورتان من قياس واحد ، وهكذا حتى تصل إلى القسم ٦٤ حيث تمثل ٦٤ صورة من القياس نفسه وذلك كالشكل التالى :

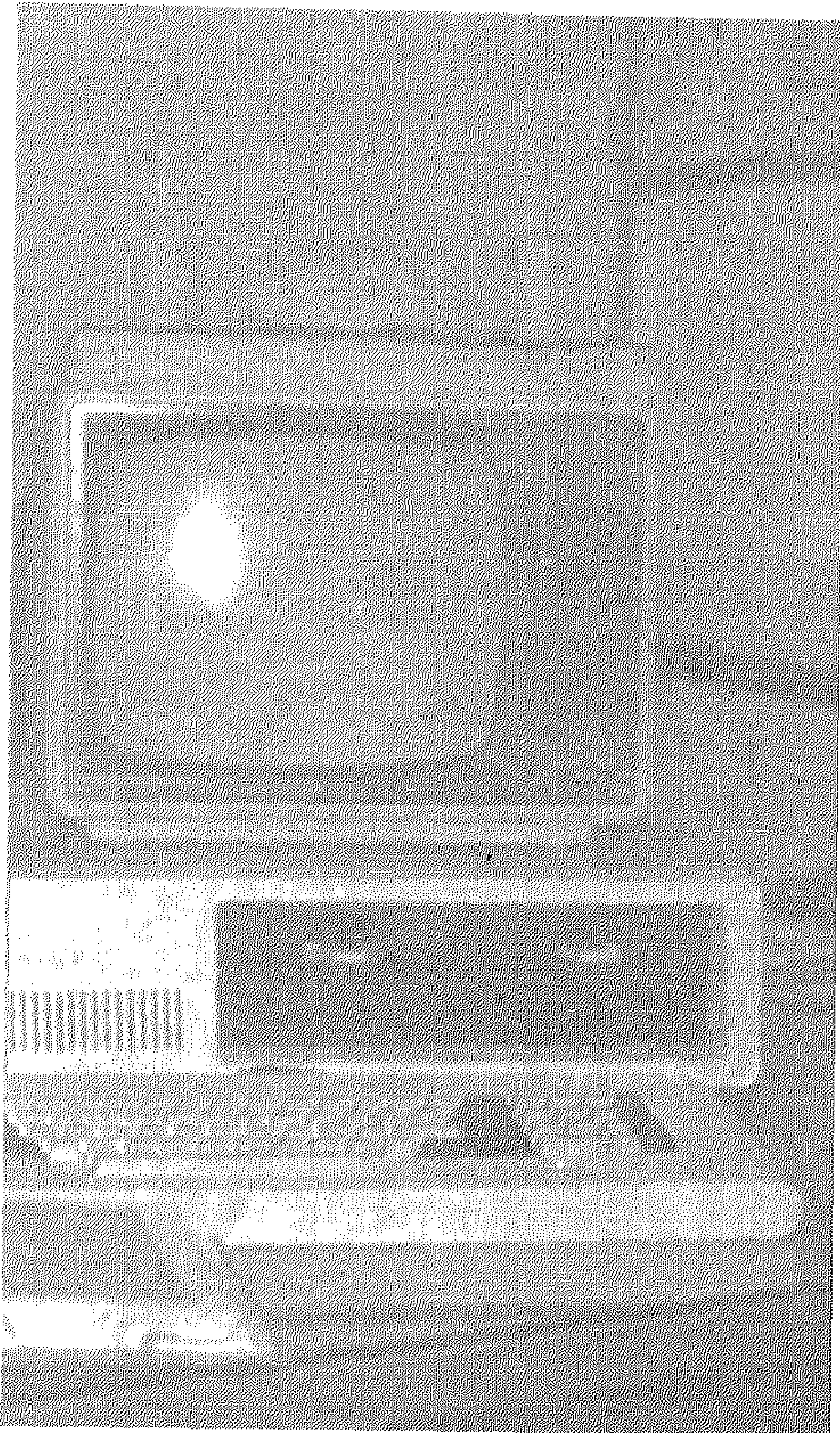
وآلة التصوير المستخدمة تسمح بالتقاط صور على امتداد وتنوع الأقسام وتبعا لمقياس الوثائق الأصلية ، وهناك وسائل عديدة أخرى أكثر تطورا باستخدام الكروم (PC MI) وذلك لاختزان ٣٦٠٠ صورة على بطاقة مصغرة إذ تبلغ نسبة التصغير ١/١٥٠.

وهناك أوعية عديدة لتشغيل الميكروفورم وحفظه ، فمن بينها على سبيل المثال لا الحصر الانواع التالية :

- حوافظ الميكروفيش «للمكتب وللتثبيت على الحائط وللتركيب على جهاز القراءة» . . (الشكل ٢) .
- حامل الميكروفيش الدوار . . (الشكل ٣) .
- حوافظ الميكروفيش الدوارة . . (الشكل ٤) .

الحاسبات الآلية والميكروفورم :

تستخدم الحاسبات فى الوقت الحاضر لاعداد الكشافات خصوصا بالنسبة للدوريات الكبيرة أو



التى تريد اصدار أعداد سريعة للاحاطة الجارية كما هو الحال مع مجلة المستخلصات الكيميائية Chemical Abstracr وما تصدره من العناوين الكيمياوية Chemicel Tilles كما تستخدم الحاسبات ايضا لايجاد واختيار الصورة المصغرة المطلوبة.



وعلى كل حال فقد تطور استخدام الميكروفيلم ليكون كإحدى مدخلات أو مخرجات الحاسبات الالكترونية، فنظرا للتفاوت الكبير بين سرعة وحدات ادخال البيانات ووحدات اخراج النتائج من جهة وبين سرعة معالجة البيانات فى وحدة التشغيل المركزية فقد اتجهت معظم الشركات المنتجة لاجهزة الحاسب الآلى إلى استخدام الميكروفورم كأحد وسائط تسجيل وعرض مخرجات الحاسبات الآلية، وكذلك استخدامه كأحد مدخلات هذه الحاسبات، أى انه بدلا من طبع نتائج الحاسب او مخرجاته على الورق فإن الحاسب يبرمج لتشغيل آلة خاصة تستخدم قلماً حاداً من الاشعاع الالكترونى وذلك لتكوين اشكال الحروف والأرقام وعرضها على فيلم، وهذه العملية سريعة للغاية، إذ يتم انتاج مئات السوالب كل ثانية وهذه الآلات تسمى مخرجات الحاسب الالكترونى على ميكروفيلم (COM).

ثالثا: نظرة إلى المستقبل:

هناك مؤشرات عديدة نحو التحول من الطباعة على الورق إلى الطباعة الالكترونية وبالتالى الحفظ الالكترونى وتوصيل المعلومات عن طريق وسائل الاتصال عن بعد والوسائل الالكترونية.



لقد استخدم الحاسب الآلى والاتصالات عن بعد خلال العشرين عاما الماضية فى تطبيقات عديدة بالنسبة لمعالجة الوثائق والمعلومات، وتوقعات المستقبل عديدة منها المؤتمرات المحسبة وتحرير النصوص وتجهيز الكلمات بصفة عامة، والبريد الالكترونى والمكتب اللاورقى والبنوك التى يتم فيها تحويل وايداع النقود الكترونيا والتعليم بواسطة الحاسب والاتصال عبر الاقمار الصناعية والتليفزيون التفاعلى Interactive Televisivn كما يتمثل فى التليتكست والفيديوداتا، وبحث مراصد البيانات على الخط المباشر.

وإذا كانت التطورات السابقةكلها بما فيها الحاسب والميكروفورم ووسائل الاتصال المختلفة، قد تطورت كانشطة مستقلة فى الماضى، فإن المستقبل سيشهد تحقيق التكامل بين هذه التطورات وأجهزتها لتكوين شبكة الاتصال بل البناء الاتصالى المتكامل للمجتمع الوطنى والعالمى.

ومع ذلك فينبغى أن يعد امناء المكتبات وأخصائيو المعلومات فى كليات المكتبات والمعلومات المختلفة بطريقة جديدة ومناهج جديدة تتفق مع تلك الاحتياجات الضرورية المستقبلية.

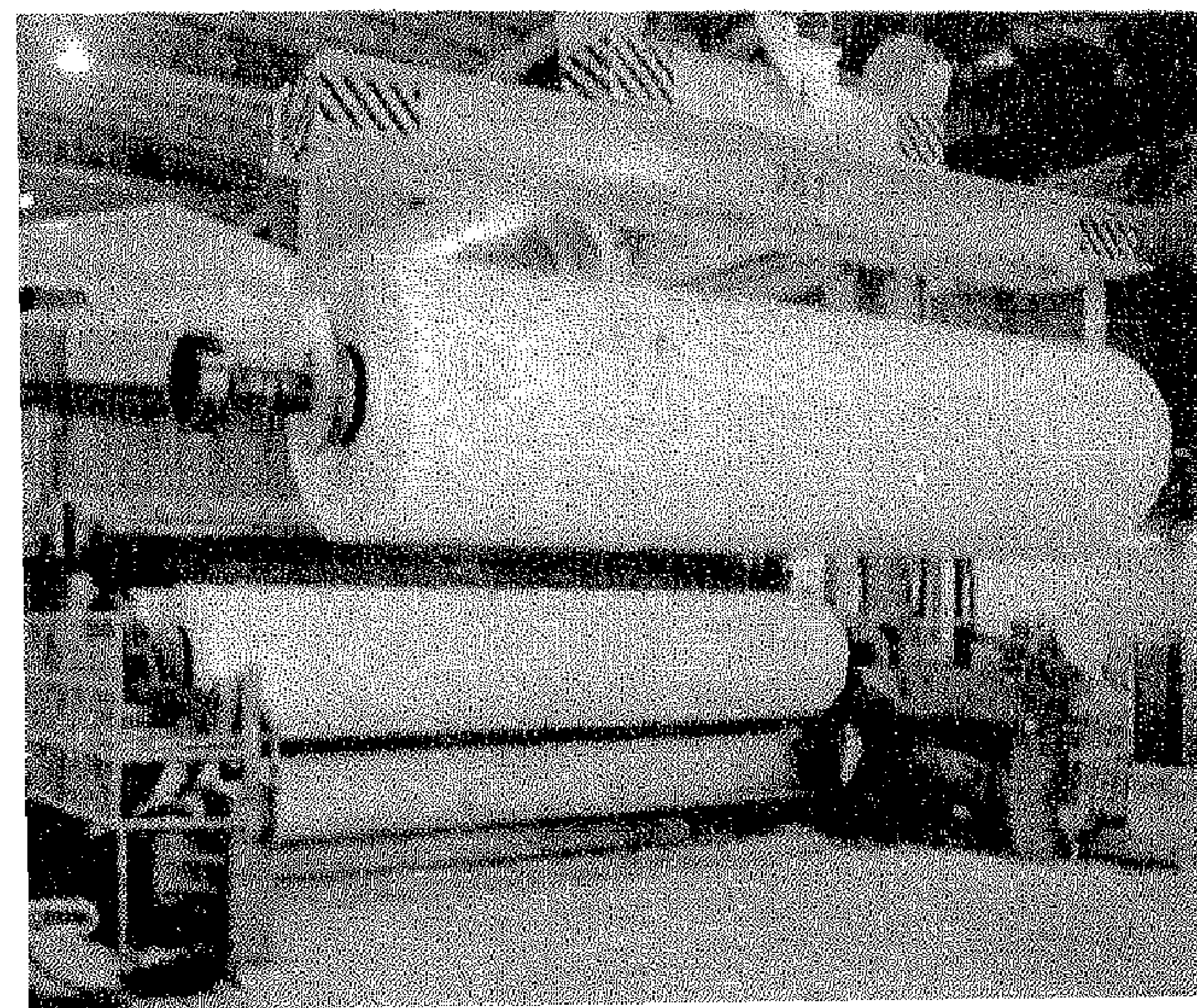
المراجع

- احمد بدر. توفير المعلومات بأجهزة التوثيق بالوطن العربى، القاهرة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٧م ٣٢٠ص (سلسلة المعلومات برقم١).
- شوميه، جاك. أصول التوثيق. تأليف جاك شوميه وترجمه انطوان عبده، بيروت، منشورات عديدات ١٩٧٤، ١٥٨ص.
- منشورات مركز التنظيم والميكروفيلم. مؤسسة الأهرام. القاهرة.

Lancaster, FW. Toweard Paperless Tfoinato Systems, N.Y, Academi Press, 1968,179P.

الفنون ودورها الثقافي



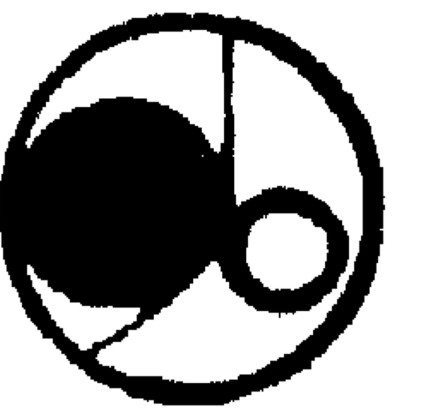


بقلم الأستاذ
عبد الله عمر خياط
الصحفي والكاتب المعروف
صاحب ومؤسس مطابع سحر

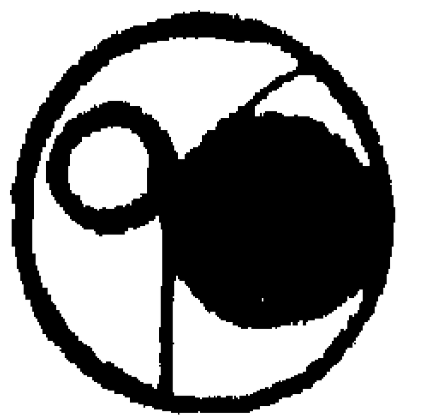




منذ أن خلق الله الأرض ومن عليها والإنسان يحاول الوصول إلى أدوات للتعبير عن مكنونات نفسه ومشاعر فؤاده فهداه تفكيره إلى النحت فالحداء فالرسم فالغناء فالشعر فالموسيقى.. ولعل الشعر كما أعتقد كان من أوائل ما اهتدى إليه الإنسان للتعبير بواسطته عن مشاعره وآماله وطموحه ليسير به الحداة والا فأى شيء كان ينشده الحداة وقد أثبت التاريخ أن من أوائل أدوات التعبير التى استخدمها الإنسان فى مستهل العصور أنغام الحداة.



وأنا لا أريد أن أؤرخ لأى من أدوات التعبير ولهذا فسأتجاوز روايات المؤرخين بشأن الأسبقية لكل من وسائل التعبير. فالمهم عندى وأنا أتحدث عن موضوع الفن الطباعى أن أسجل للتاريخ مراحل هذا الفن وتقدمه فى خدمة الثقافة ونشرها.

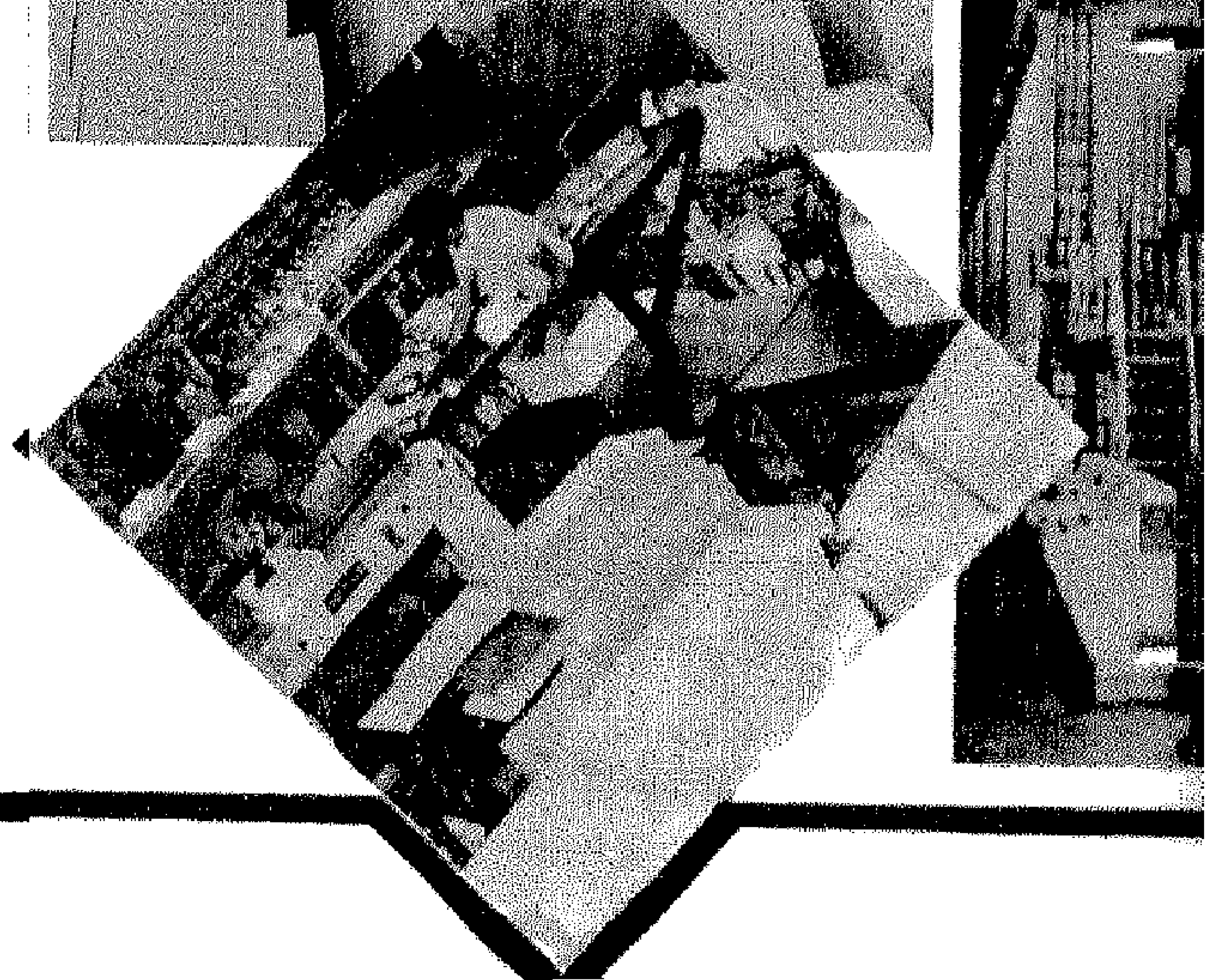


فالإنسان عندما اهتدى إلى الكتابة نثراً وشعراً ليُعبر بهما عن آماله وآلامه أخذ يبحث عن الوسيلة التى يُذيع أو ينشر بها ما تمخضت عنه قريحته من فكر وشعر فكان الرواة هم الوسيلة الأولى ثم تفتّق الذهن البشرى عن وسيلة أخرى ألا وهى النسخ ولكن هذا لم يُرض النفوس الطموحة فكان اختراع الطباعة التى

الطباعة







مرت بمراحل طويلة بدءاً من استعمال النقش على الحجر واستخدام الحرف الخشبى وإنتهاءاً بالأوفست ومعدات الطبع الحديثة التى نفذت عشرات الألوف من النسخ فى ساعة واحدة.

فصناعة الطباعة كما يقول الدكتور على رشوان المستشار الفنى لدار المعارف المصرية فى كتابه «الطباعة بين المواصفات والجودة» من أهم الصناعات المؤثرة فى تكوين المجتمع البشرى الحديث ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، وقد تزايدت مسؤوليتها مع التغيرات الثقافية والعلمية والنمو الإعلامى والإعلانى وستظل هى الناقلة للعلم والثقافة والأخبار من الفرد إلى ملايين البشر ومن مكان معين إلى مسافات بعيدة والطباعة هى الموصل الجيد بين المؤلف والقارىء.وهى أنسب وسيلة حتى الآن لحفظ التراث وصون الأفكار وهمزة الوصل بين الأجيال.

ولكن ما هو تاريخ البداية للطباعة . . ومتى كان ذلك؟

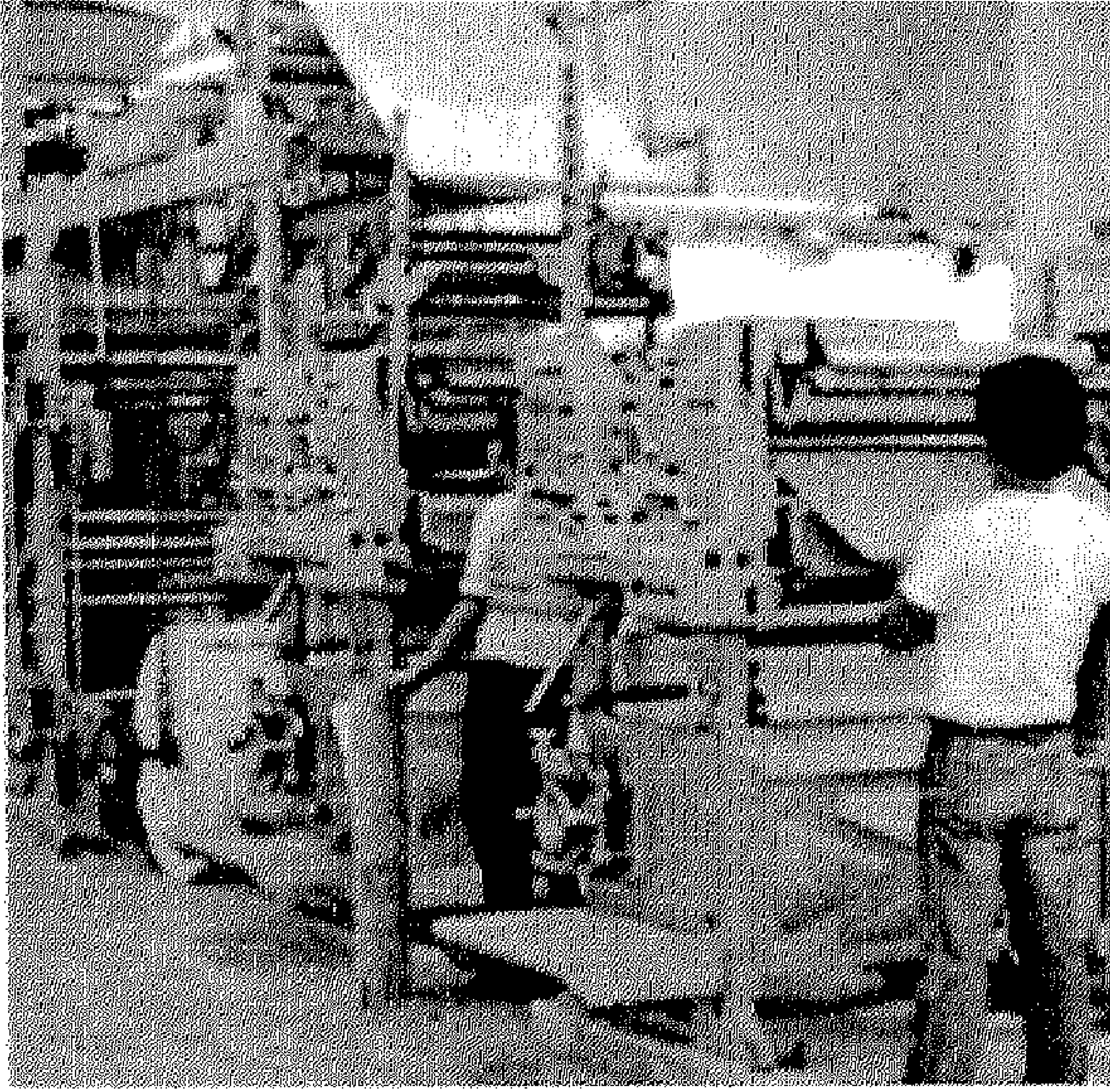
الأستاذ «روبير إسكاربيت» Ropert. Escarpit الذى يعتبر حجة فى هذا المجال يتحدث فى كتاب «صناعة الكتاب بين الأمس واليوم» فيقول:

من المؤكد أن القرن السادس عشر هو موعد تحول الثقافة الشفهية إلى الثقافة المكتوبة فورش النسخ فى وادى نهر الراين قبيل إختراع الطباعة كانت تعطى حوالى ستمائة نسخة للكتاب الواحد بطريق النسخ اليدوى أما فى القرنين التاليين فمتوسط سحب المطبوعات كان يتراوح ما بين ألف ومائتين وألف وخمسمائة نسخة.

والصينيون كما تقول مصادر الكتاب نفسه هم أول من استخدم الطباعة منذ القرن السابع الميلادى واخترعوا الحروف المتحركة المصنوعة من الخشب وذلك قبل «جوتنبرج» بأربعمائة عام.

فجوتنبرج الألمانى هو الذى حاول فى عام ١٤٣٦ صنع حروف متحركة من قطع الرصاص بدلا من الحروف الخشبية التى استخدمها لورنس كوستر

فى هولـنـدا عام ١٤٢٣ . . وفى عام ١٤٥٦ أصـدر جوتنبرج أول كتاب له فى جزءين من الحجم الكبير أى ما يعادل أكثر من ألف ومائتى صفحة . . وبهذا نشأت الطباعة . . وأخذت سبيلها إلى التطور تدريجياً من ألمانيا إلى إيطاليا إلى فرنسا فسائر دول العالم المتحضر.

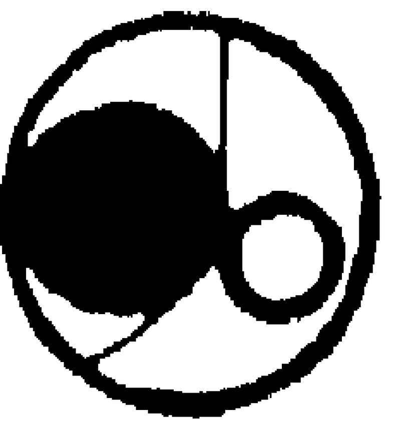




أما فى العالم العربى . . فكما تقول دوائر المعارف:

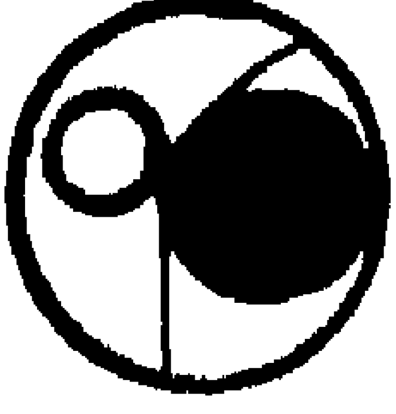
«إن بلاد الشام وبخاصة لبنان منها كانت أول البلاد العربية التى وجدت الطباعة فيها، ففى سنة ١٦١٠م أنشئت أول مطبعة فى لبنان أهداها البابا إلى الرهبان اللبنانيين فى دير قزحيا وفى سنة ١٦٩٨م أنشأ الآباء المارونيون أول مطبعة فى حلب ثم أنشئت مطبعة الشوير فى لبنان بعناية الراهب عبد الله زاخر سنة ١٧٣٢م ثم أنشئت مطبعة القديس جاورجيوس فى لبنان سنة ١٧٥٣م.

ومن الطبيعى أن مطبوعات هذه المطابع لم تكن إلا دينية وفى سنة ١٨٢٠م أنشئت المطبعة الأمريكية فى مالطة ثم نقلت إلى بيروت فى سنة ١٨٣٢م.

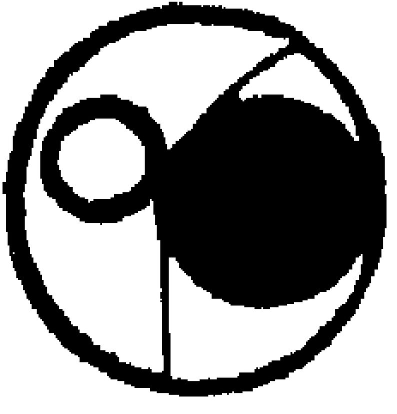


وأول مطبعـة أنشئت فى مصـر هى المطبعـة البولاقيـة التى أنشأها محمد على فى سنة ١٨٢١م وأنشئت مطبعة الإرساليـة اليسـوعيـة فى بيروت سنة ١٨٤٨م وكـانت هذه المطابع الثلاث تطبع الكتب العلميـة والأدبيـة إلى جانب الكتب الـدينيـة ومنذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر أخذت المطابع تنتشر فى لبنان وسوريا ومصر والحجاز والعراق وشمال أفريقيا وبخاصة فى فجر القرن العشرين ولا ريب فى

أن الطباعة قد لعبت دوراً هاما فى تقريب وجهات النظر العربية وفى توحيد الأهداف ونشر التراث العربى القديم التى لجأ إليها المصلحون فى هذه الديار لنشر أفكارهم من نثر وشعر.



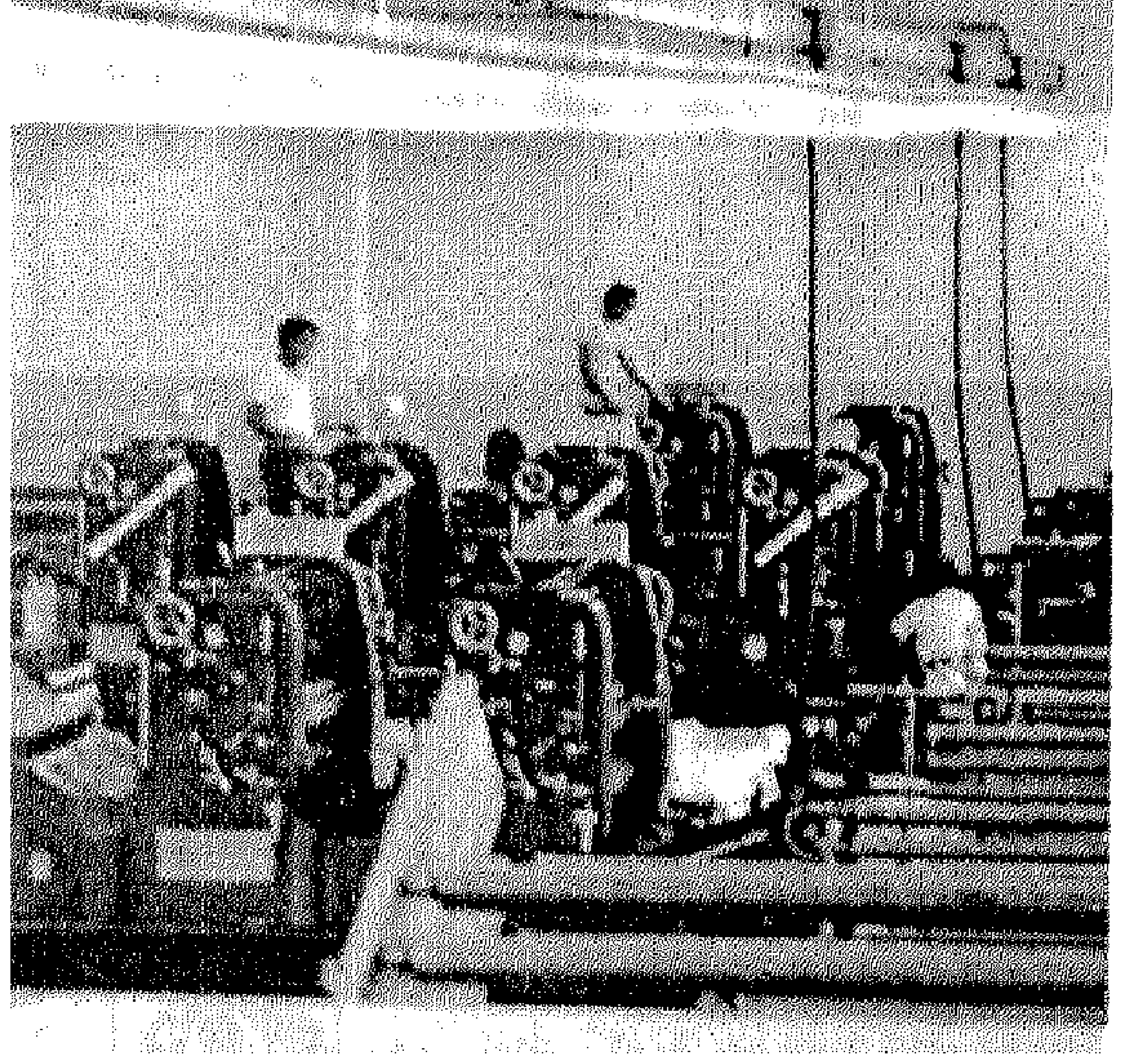
أما عن الطباعة فى بلادنا . . فكما عهدنا كانت بدايتها بانشاء مطابع صغيرة لعل أولها مطبعة الكردى . . ومطبعة أم القرى ومطابع صغيرة كانت تدار وتصف حروفها باليد إلى منتصف السبعينات من هذا القرن ثم أخذت بعد ذلك فى التطور واستخدام المعدات الحديثة حتى وصلت إلى إستخدام الحاسب الآلى «الكمبيوتر» والأوفست وفرز الألوان وقامت فى بلادنا مطابع تضاهى بإمكاناتها أرقى مطابع العالم بمالها من إمكانات وأيد فنية .



ولقد حققت الطباعة الحديثة للثقافة إنتشارا واسعاً ما كان أن يتم لها لولا قيام هذه المعدات التى نفذت عشرات الآلاف من النسخ فى كل ساعة من الكتب والصحف والمجلدات . . وبذلك إنتهى ذلك العصر الذى استخدم فيه التاجر شعراً يروى فى الأسواق للإعلان عن بضاعته وترويجها كذلك الذى يقول:

قل للمليحة فى الخمار الأسود
ماذا فعلت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلاة ثيابه
حتى وقفت له بباب المسجد

الى آخر هذه الابيات المعروفة . . وعسى أن أكون قد حققت رغبة الصديق الأستاذ نبيه الأنصارى بهذه السطور المتواضعة .

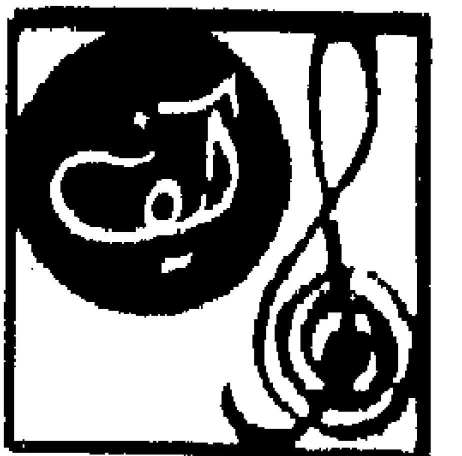




الطباعة في البلاد العربية

خواطر

استعرنا لهذا الفصل تورية خفيفة الظل فأطلقناها «٥ فن» ولكن هيهات إنها خمسة خميسات لا تنتهي لأنها محملة بفيض الخاطر وإحساسات الناهل وإبداعات الماثل إنها نفثات عذبة متعمقة ليس لها بجمالها من عنوان فصلها «٥ فن» إلا النعت ليس إلا.



أكتب فى (الفن) وأنا لا أعرف منه شيئا.. ولا أعلم من أبجديته حرفاً واحداً..؟

لن أعد قرائى أن أكتب شيئا محدداً. أو عن شىء محدد.. ولكن سأكتب خواطرى فيه أو عنه.. سأترك للقلم العنان ليذهب كيف شاء.. وأنّى شاء.. ملتمساً العذر مقدماً إن حاد.. أو خاض فيما لا علم له به.. فعذرى انها مجرد خواطر للقارىء أن يأخذ منها ما يشاء ويدع ما يشاء..



البدهى اننى لا أحصر الفن هنا فى نوع خاص من أنواعه.. وانما أقصد كل ما يستطيع فيه البشر ان يتفننوا ليصلوا إلى أشياء جمالية..

هذا ليس تعريفا عن الفن.. ذلك أن الفن نفسه على ما يبدو لى متمرد لا يريد أن يخضع للتعريف.. لأنه من طبعه لا يطيق القيود ولا الحدود.. وليس معنى هذا أنه لا يخضع للضوابط.. فالضوابط عندى شىء آخر غير القيود والحدود..



ضوابط الفن هى لب الفن ذاته.. وهذه القضية يتفرع عنها ذلك الصراع الذى يقوم فى الساحة بين أنصار الشعر الحديث.. وأنصار الشعر العمودى.. وأولئك الذين يقفون على الأعراف. ولا أريد ان أجرّ الحديث إلى هذه القضية العتيدة. فقد قلت قبل قليل: اننى لا أريد ان أحصر الحديث فى فن واحد.. بينما كلمة (فن) تعنى من الفن أفانين..



يلتصق بالجمال.. ذلك لأننا لو تخيل أول مَنْ عرف طريق الفن من البشر.. لوجدناه التمس شيئا يُجمِّل به نفسه، او داره أو صوته.. أو.. بمعنى آخر التمس شيئا يجمل به حياته تجاه نفسه أو تجاه الآخرين.. ويدخل فى هؤلاء (الآخرين) الرجال والنساء على باب التغليب..

● فلنتصور إنسانا فى غابة يبنى عريشه بين الاشجار.. اتخذه أول الأمر مأوى فلم يتزيد فيه.. ثم طرأ له أن يجعل له منظراً خارجياً جميلا وبابا مقوساً.. بوسائل بدائية حقاً ولكنْ فيها فنّ.. ألا

عن الفن



يكون قد اهتدى الى شيء من فن التشكيل والزخرفة . .

● واستمع الى طائر يغرد . . فقلده . . ثم تزيّد فاضاف الى لحن الطائر لحنا من عنده . . فاذا هو يمسك بالخيوط الأولى لفن الغناء .

ولما أدرك ان بعض وسائل حياته يمكن ان تحدث أصواتا جميلة إذا هو نقر عليها . . اهتدى الى الدف او الى شيء ما في معناه . . فضرب عليه . . وعرف شيئا من الموسيقى . .

ولما التمس شيئا يروّح به عن نفسه في لحظة شوق او عناء أو قلق . . رفع عقيرته فتغنى . . ربما بألفاظ غير موزونة أو غير مقفاة . . ثم أخذ يزنها ويروضها بما يحليها مطابقةً . فجاء بالشعر أو ما يتصل به . .

هذا مجرد تصور . لا يتصل إطلاقاً بما كتبه أساطين الفلاسفة أو المؤرخين أو الباحثين في جذور الفن . .



وإن لم يكن أساساً من ضروريات الحياة الرئيسية فهو لا يقف في مرحلة الخبز والسكن أو المأوى ولا الملبس ولا الغطاء ولا الوطاء . . ولكنه في كل ذلك . . فالخبز دخله الفن ، ليكون أرقى أو أنقى ، او أجمل شكلاً . . أو محلى ، أو مزخرفاً . . ومثل ذلك يقال في المأوى ، والغطاء والفراش والملابس . . الخ .

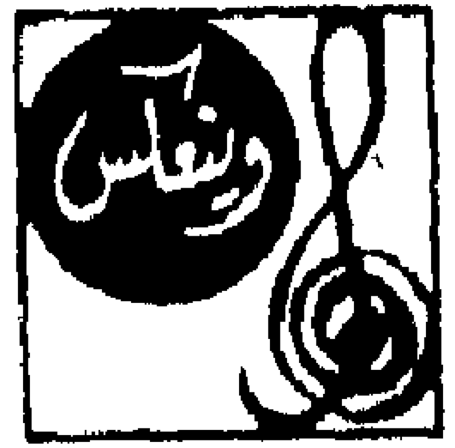
● وقد لازم الفن الإنسان حتى في أيام بأسه وبؤسه . . في الحروب وفي الشدائد والأمراض . . فجاءت آلات الحرب وعليها من الفن شارات وأمارات . . افتن الإنسان في الدروع والسيوف والحراب واللأمات والتروس والخوذات ثم في أسلحة النار . ولا يزال يفتن فيها وعليها . .

● وقد يصح أن يجيء في الفن ما هو جميل وما هو قبيح ولكن الحكم على قبحه لا يأتي من قبل الفن نفسه ولكنه يأتي من قبل ما تواضع عليه الناس من اخلاقيات اجتماعية . فالصور العارية والتماثيل العارية التي تشيع في بعض الأوساط التي تنظر إليها تلك المجتمعات نظرة مشبعة بالاعجاب ـ تجد إشاحة وإعراضاً وتقبيحاً في مجتمعات أخرى لأنها تنظر إليها نظرة اخلاقية . وترى ان الفن ينبغي ان يترفع عن الأثارة . . ويجب أن يكون هادفاً لتربية الحسّ الاخلاقي الى جانب الحسّ الجمالي .



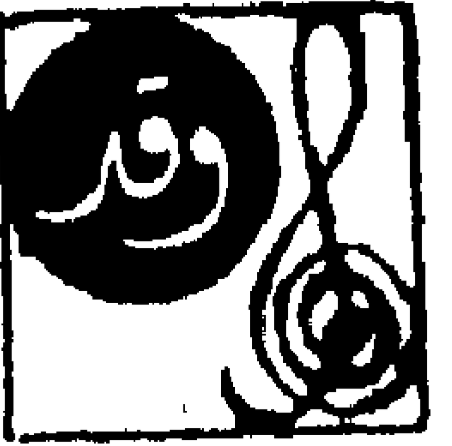
من هذا القبيل الدعوة الى الالتزام بحيث يكون الفن للمجتمع. يخدمه ويخضع لمثله وقيمه ويعمل على الارتفاع به.. وهذا رأي يعترض عليه دعاة الفن للفن، هؤلاء يريدونه مجرداً.

على أن الفن فى العالم لا ينتظر كلمة هؤلاء ولا كلمة اولئك، فهو يسير على هواه.. بيد أننا لا ينبغي ان نغفل ان على من اراد ان يزرع زرعاً يجب ان لا ينسى عامل المناخ. فاذا رضى الناس فى بعض أنحاء آسيا أن يعبدوا العورات، فى تصويرها فان ذلك لا يقبل فى أنحاء العالم الأخرى. فهذا مرفوض ذوقاً وعرفاً فكيف به وهو من الكفر القبيح.. ومع ان الكفر كله قبيح فهو أقبحه وأوقحه.



أثر الفن على الحياة.. بحيث يكون بارزا ملموساً فى حالات.. فالجيش يندفع إلى الامام باصوات الدفوف.. أو الموسيقى.. وتفعل ذلك الابل بالحداء.. وتشرب بعض الدواب بالصفير.. وتطرب بعض الحيوانات لصوت الغناء.. وأخيراً قالوا إن الزرع ينمو على صوت الموسيقى وهو ينتعش.. والبحث ما يزال جارياً..

واستخدم الفن استخدامات حياتية مختلفة. فالشرطة استعانت بالصور الفتوغرافية..بل بالفنان يرسم الصورة خطوطاً من الوصف.. لا نقلا عن الحقيقة.



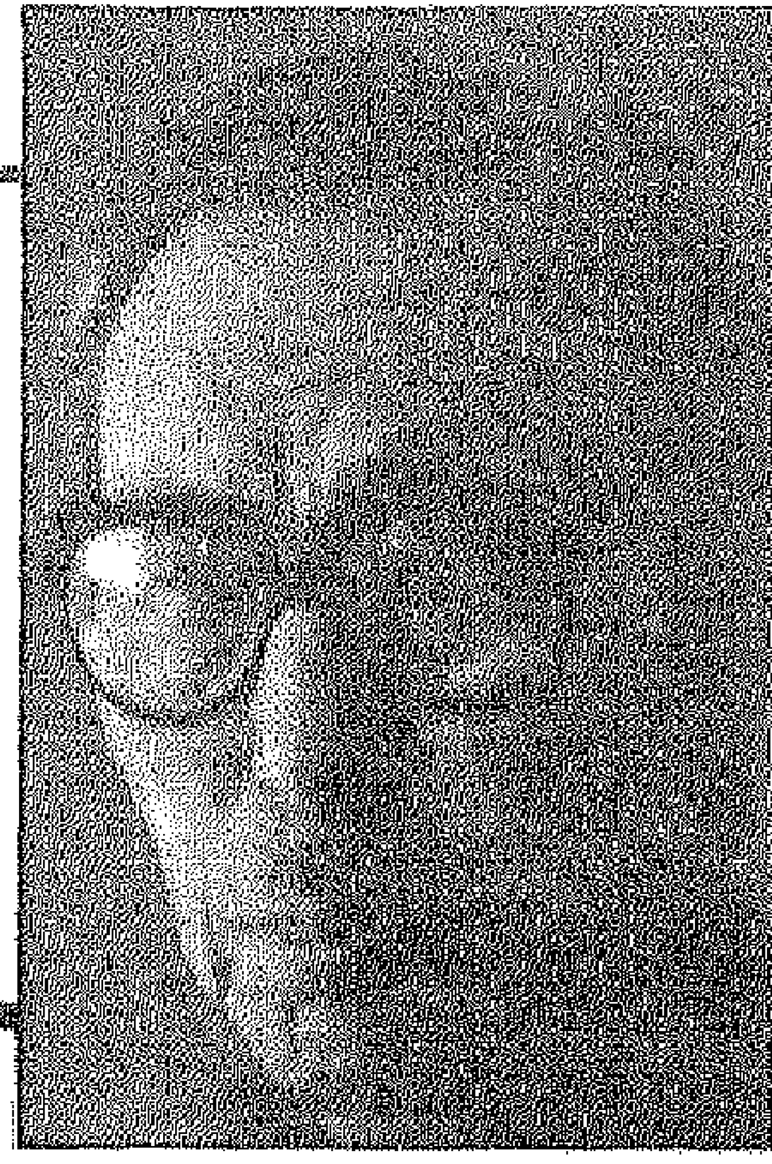
يبدو للوهلة الأولى ان الفن ينحصر فى فنون معينة يتداول الناس ذكرها كالموسيقى والشعر والغناء والرسم، والنحت وما إلى ذلك مما اشتهر عند عامة الناس من أنواع الفنون واشكالها..

ولكن الحقيقة أن الفن أعمق من ذلك كله وأعم.. فهو من اللطف والذوق والدقة بحيث يتسلل الى كل يد صناع.. بل إلى كل حاسة من حواس البشر. فكل حاسة تعطى وتتلقى يسرى اليها الفن ما دامت ذات استعداد لأخذه أو إعطائه.. فالجراح قد يكون ماهراً.. وقد يضيف الى مهارته فناً. فيتلافى ان يترك خلف عملياته آثار تشويه.. أو هو قد يقلل من ظهور هذه الآثار.. فهو بوصفه هذا يضيف الى مهارة علمه مهارة فنه.. والنجار الذى يصنع الباب يصنعه بمهارة واتقان يتجلى فيها قدرته على إجادة عمله. ولكن النجار الفنان يضع فيه لمسات من فنه.. تجعل للباب ملامح فنية جمالية.. ترتاح اليها العين.. ويكون الفنّ فيه أظهر من الاتقان.. ذلك لأن الفن يدل على نفسه والفنان بطبعه يحرص على اظهار آثار تفننه.. وقد لا يتوفر الظهور للجودة.. لأنها ذات أغوار ولا تحرص على الظهور كما يحرص الفن.. من أجل ذلك كان حب الشهرة والظهور شيئا فى دم الفنان لا يقدر أن يقاومه مهما تواضع أو توارى.. فالرسام الذى يرسم لوحة ما.. مهما زعم انه انما يرسمها لنفسه.. فهو لابد ان يطلع عليها شخصاً ما.. لكى يشاركه الاعجاب بها أو ليشهد له أنه قام بعمل جميل..



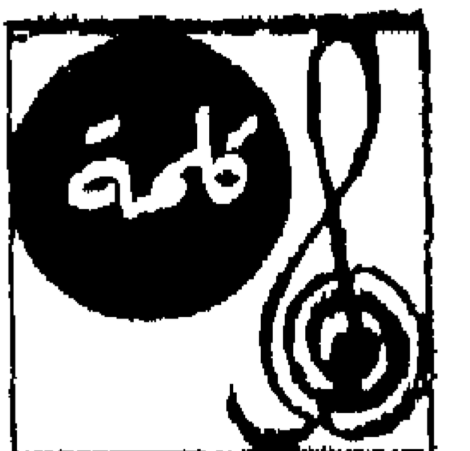
المتذوقة التى تعطى الفن أو التى تتلقاه هى حاسة مضافة للحواس المعروفة، بل هى مما يريد الله جل وعلا من خَلْقِهِ لخَلْقه، وقد ذكر سبحانه انه يزيد فى الخلق ما يشاء فإذا كانت هذه الحاسة هى المعطية فهذا هو الابداع، وهى الحاسة المبدعة.. وهى متذوقة فى الوقت نفسه لأن تذوقها هو معيارها.. أما الحاسة المتلقية، فهى متذوقه فحسب.. وكما تتفاوت درجات الابداع بين فنان وآخر كذلك تتفاوت درجات التذوق من شخص لآخر.. فقد يقرأ قارىء القصيدة من الشعر فيدرك منها جوانب من ابداعها.. ولكن قارئا آخر يدرك جوانب أخرى أكثر واشمل مما ادرك الأول.. ويأتى المتذوق الثالث ليدرك منها ما لم يدركه الأولان فيكون أكثرهما تذوقاً.. ومن هنا تتفاوت درجات نقاء الفن..

وبعد: فإن الكلام عن الفن له فنون وتخريجات قد تطول، وانا فى هذا الباب ـ كما قلت ـ لست بصاحب اختصاص.



استلهامات فنية محضة

بقلم الأستاذ المفكر
عزيز ضياء



(فن) (ART) فى اللغة الانجليزية تنصرف الى الفنون التشكيلية أكثر مما تنصرف الى الفنون الأخرى كالموسيقى والشعر مثلا وحين نلقى نظرة على الصحف والمجلات الانجليزية نجد أن ما ينشر تحت عنوان (ART) يكاد ينحصر فى الفنون التشكيلية، وأخبار معارضها ومزاداتها وآخر ما ظهر من الأعمال الفنية لكبار الفنانين المعاصرين.

وليس هذا هو الواقع فى العالم العربى لان كلمة (فن) عندنا تكاد تكون شاملة للفنون التشكيلية من رسم ونحت وزخرفة، الى جانب الموسيقى والغناء، وحتى فنون الأدب الابداعى كالشعر والقصة والرواية والمسرحية ثم جميع الأعمال التليفزيونية والسينمائية.



فإن صدور عدد خاص من مجلة المنهل الغراء عن الفن أو الفنون عامة يعنى اننا سنجد فى هذا العدد اضواء يلقيها رجال الفكر وعلى الأخص المعنيين

بالفنون منهم على ما توفر وأصبح يتواجد من الفنون فى المملكة العربية السعودية.

وحين يطلب منى الأستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى ان أجرب حظ قلمى فى موضوع عن الفن فانى لا أخفى ما أشعر به من حرج اذا التزمت بمعالجة الواقع المشهود فى نشاط الحركة الفنية فى بلادنا.. ولعل أول ما يواجهنى من هذا الواقع هو ان طفو نشاط الحركة الفنية الى السطح أو الى الساحة تحت الشمس ودون تخفٍ أو تكتّم أو تعتيم كان بمشابة ظاهرة تستلفت الأنظار وتسجل فى نفس الوقت ما يمكن ان يسمى وثبة. ولكن فى فضاء أو فراغ لم يكن أحد يدرى كيف والى أى مدى تنطلق فى هذا الفضاء أو الفراغ.

وأول ما يحسب فى معنى هذه الوثبة هو الفنون التشكيلية التى لم يسبق ان كان لها وجود فى المملكة طوال قرون وهنا لابد ان نقرر حقيقة تاريخية ارجو أن لا ينساها اى مؤرخ للفن فى المستقبل القريب أو البعيد، وهى ان هذه الوثبة مدينة كلياً لمعالى الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ الذى وافق على ابتعاث عدد من الشبان الى ايطاليا لدراسة الفنون التشكيلية.. والأعجب ان تتم هذه الدراسة فى اكاديمية الفنون الجميلة فى روما. وهى ذات الشهرة العالمية الى الحد الذى يجعل المتخرج فخورا بأنه من خريجيها.

● وليس لى ان القى الأضواء على هذه الاكاديمية بالذات وعلى كبار أساتذة الفن الذين يحتضنون طلابهم وطالباتهم ليس من ايطاليا فحسب وأنما من جميع بلدان اوربا وامريكا والشرق الأوسط ايضا وانا اعنى بهذا الأحتضان المعنى الحقيقى للكلمة اذ يتحدث بعض الخريجين عن روح الألفة والعلاقة الحميمة التى كانت تسود علاقة الاستاذ بالطالب ولعل هذا هو السبب فى أن الذين أنهوا الدراسة خلال أربع سنوات يكادون يحنون دائما الى العودة الى اجواء الاكاديمية والى علاقتهم بأولئك الأساتذة الكبار.

ولست اذكر كم كان عدد الذين ابتعثهم معالى الاستاذ/ حسن بن عبد الله آل الشيخ ولكن يمكننى أن اقول إن أول مظاهر الوثبة فى الفن التشكيلى كانت على أيدى اولئك الذين عادوا إلى المملكة بعد ان اتموا دراستهم فكانوا هم الطليعة والنخبة التى وجد معها ما يعرف اليوم بالفنون التشكيلية فى المملكة.

● وهنا قد يحسن أن أستدرك فأذكر فنانا يؤسفنى أنه قد نُسى ولا أجد اثرا لأعماله مع أنه كان من خريجى دار الفنون فى اسطنبول. وقد سبق بأعماله الفنية جميع المحاولات الفردية التى ربما وجدت بين الهواة على قلتهم. وهذا الفنان المنسى هو الاستاذ (محمد راسم) رحمه الله الذى اذكر انه اعتزل نشاطه الفنى بعد يأس عاصف من ان يجد لنشاطه هذا مجالا طوال الفترة التى ربما تجاوزت نصف قرن.

● وبالمناسبة اتمنى ان تحاول جمعية الفنون والثقافة فى جدة البحث عن ورثة هذا الفنان عسى ان تجد عندهم اعماله أو بقية منها وقد سمعت ان له ابنا اسمه (مروان محمد راسم) ويعمل مديرا لفرع شركة سراج زهران فى مكة المكرمة. فعسى ان تجد الجمعية عنده ما يساعد على احياء ذكرى فنان هزمه اليأس

وقد شهدت المملكة معارض عديدة للفنون التشكيلية فى الرياض وفى جدة اشترك فيها فنانون بل وفنانات ايضا ورأينا بين الأعمال التى عرضت محاولات طيبة للتعبير بمختلف أساليب مدارس الفن وعلى الأخص منها المدارس الحديثة كالتكعيبية والانطباعية والسيريالية الخ.. ومع ان الجمهور قد خرج من هذه المعارض بافكار هلامية بالنسبه لاعمال الحداثة فانى لا أشك فى ان بعض هذه الأعمال كانت له القدرة





على توصيل مفاهيم معينة يعبر عنها الفنان بالتناقض بين الألوان وبالصراع الظاهر والخفي بين الخلفية والموضوع الذى يريد الفنان ان يقرر له مفهوما ما. اما الموسيقى والغناء . . ويحسن ان لانفرق بينهما فنقول (الموسيقى) اذ أن التسمية تشملهما فى واقع الحال فى العالم العربى او فى الشرق عموما . . فأن ما نشهده اليوم من انطلاقها بل وقدرتها على ان تشد اهتمام الجماهير فى بلد كمصر بحيث اسمع ان تذاكر مقاعد القاعة التى يغنى فيها محمد عبده أو طلال مداح تباع بأضعاف قيمتها فى السوق السوداء . . ان ذلك يؤكد ان الموسيقى عندنا متجذرة فى مشاعرنا وهى نفس الجذور التى نهضت لها الجذوع (بكسر الجيم فى المفرد) حين التفتت اليها بالرعاية وحسن الاستقبال الاذاعة أولا ثم التلفيزيون . . وقد لا يسعفنا المجال المحدود لمقال كهذا للعودة بالاذهان الى عهود فى تاريخ المدينة المنورة كانت تمد فيها دمشق وبغداد على التوالى باساتذة الموسيقى . . أو كان هؤلاء الاساتذة فى العاصمتين يجدون فى المدينة ما يضيفونه الى علمهم الواسع بالأصوات . والأنغام وفنون الضرب او العزف، التى لم يكونوا يجدون حرجا فى ان يستوعبوا الجديد منها اينما وجد . . وكانت المدينة بعد فارس هى المنهل الذى يرتوون منه ليصدحوا بهذه الفنون فى قصور الخلفاء.

● وحتى اليوم . . كان الغناء هو سيد الموقف فى الموسيقى فى المملكة وجميع ما تعزفه الفرق الموسيقية المصاحبة للأغنية والمغنى يعتمد على اللحن الذى يوضع اصلا للغناء مما يعنى ان الموسيقى المجردة من الكلمات واصوات المغنين لم تستطع ان تجد مجالها الى التذوق ليس فى المملكة فقط وانما فى معظم بلدان العالم العربى وربما كان هذا ميسم وطبيعة الفن منذ اقدم العصور فى هذا الجزء من العالم . . ولذلك فان الطريق بيننا وبين العمل الموسيقى المجرد من الكلمات والأصوات ما يزال طويلا وشاقا . . وما علينا لأكتشاف هذه الحقيقة الا ان نذكر ان موسيقارا كمحمد عبد الوهاب (مثلا) قد اثرى الفن بروائع الحانه التى غناها كبار المطربين والمطربات الى حد يتجاوز محاولة الحصر . . بينما المقطوعات الموسيقية المجردة من الكلمات والأصوات والتى جرت العادة ان تذاع كفواصل قصيرة بين البرامج او بين فقرات البرنامج الواحد ـ وقد وضعها ربما لهذا الغرض بالذات ـ تكاد تعد على اصابع اليد الواحدة . . ولعل المتخصصين من الفنانين عندنا يستطيعون ان يعللوا لذلك وان يقولوا لنا متى يمكن ان تتواجد عندنا الأعمال الموسيقية التى نسمعها فى اعمال اوركسترالية ضخمة مجردة من الكلمات والأصوات .

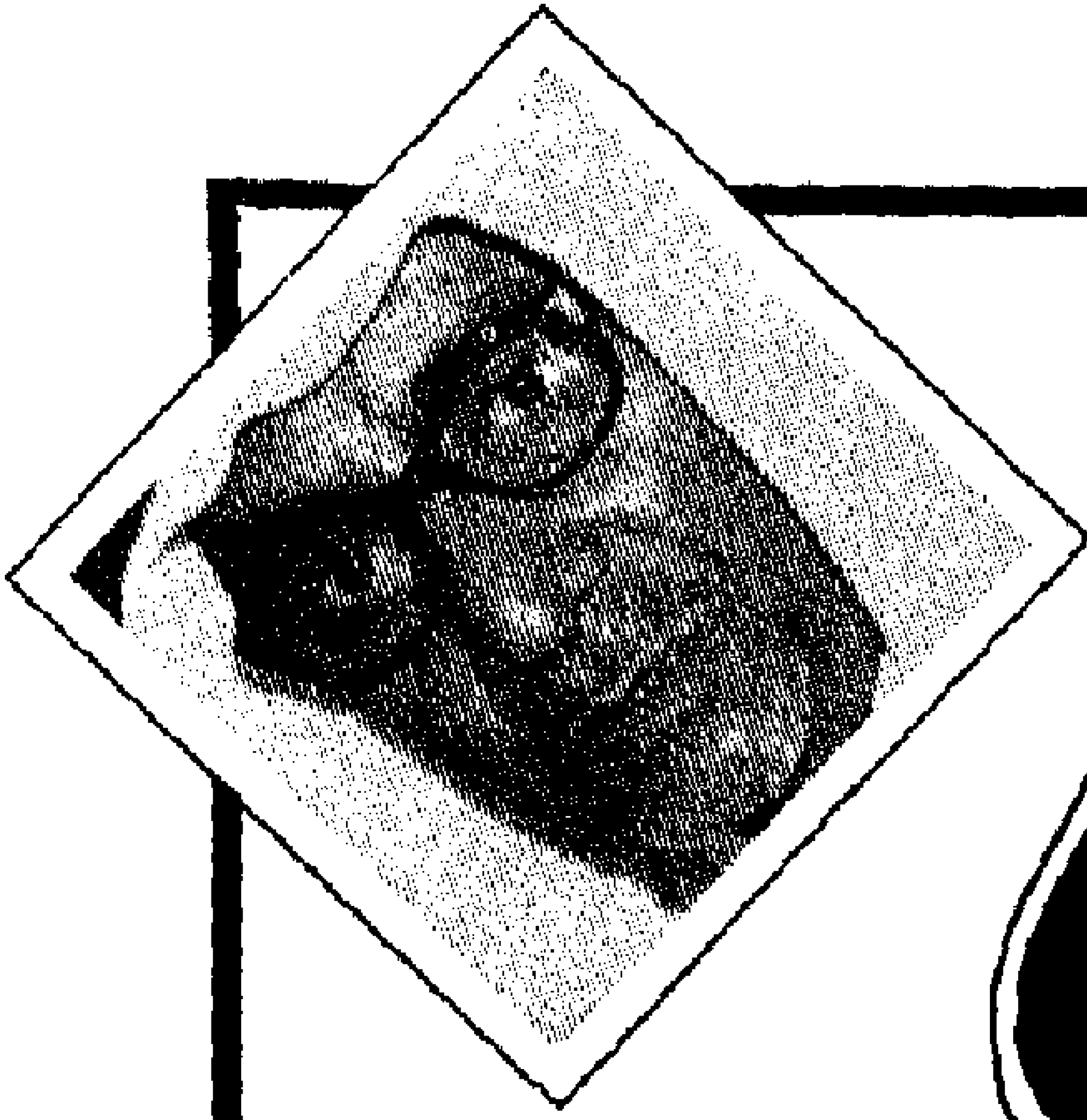


ذلك فلابد ان اقول ان المحاولة موجودة عندنا وان كان الأحساس بها وبالحاجة اليها ما يزال ضعيفا على مستوى الجماهير . . انى اعلم ان للفنان الراحل مطلق مخلد الذيابى معزوفات على الكمان اذكر انه كان ـ رحمه الله ـ يتمزق حسرة على عدم الأحساس بها . . وما يزال عندنا عشاق للموسيقى المجردة يعكفون على وضعها، والأستاذ حامد عمر واحد من هؤلاء العشاق، الذى ربما كان هو ايضا ممن يتمزقون حسرة على اعمال ينفق على تسجيلها مؤمنا بأنها جديرة بالمستمع المتذوق، ولكن المختصين فى الأذاعة وهم على موجة (الدارج والمألوف والمطلوب) نادرا ما عنوا بالأهتمام بهذا اللون من الفن.



دمنا فى مجال تفقد الأعمال الموسيقية المجردة فأنى اتطلع الى ان يتحفنا الأستاذ (سراج عمر) الذى الهم لحن نشيد (بلادى منار الهدى) بأعمال موسيقية مجردة حتى من صوته الجميل، لأن هذه الأعمال ـ فى تقديرى الشخصى ـ هى الموسيقى بمعناها ومفهومها العالمى الواسع .

●● *وبعد فماذا عندنا غير وثبة الفن التشكيلى المدين لمعالى الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ ثم نهوض جذع الموسيقى بمفهومها الدارج . . لاشك ان الكثيرين يحبون ان يقنعوا انفسهم بأن عندنا الأعمال المسرحية، والتمثيل والأعمال التليفزيونية، ولعلى اتمنى ان ارضيهم فأتحدث عن هذه الأنشطة، ولكن من عادتى ان اتحاشى ان اضحك على نفسى أو على الناس . . والطريق الى وثبة مماثلة فى هذه الأنشطة ليس طويلا فقط وانما قد يكون مسدودا والأسباب لا يجهلها القراء الاذكياء*



الأصل خير من الظل

بقلم الأستاذ الكبير

محمد عمر توفيق

تفضل رئيس تحرير هذه المجلة وصاحبها ـ وأسأل الله الرحمة لوالده الذى أسس قواعدها ورفع بناءها شامخاً وسيظل شامخاً إن شاء الله بهمة الابن البار المجد ـ تفضل وسألنى أن أتناول موضوعاً فى إطار (مرئيات ومشاهدات فنية . . أدهشتنى واستوقفتنى) لإثبات ذلك فى عدد خاص متميز سيصدر عن «الفن» من مجلة (المنهل) الغراء . .

وقد وددت أن ألبى سؤال الابن الصديق

وأن اكون عند حسن ظنه فيّ . . وأخذت أفكر طويلاً فى الموضوع . واستعرض شريطاً من الذكريات التى ترتبط بأية مرئيات ومشاهدات فنية استوقفتنى كما جاء فى السؤال . فلم تسعفنى الذاكرة بشيىء معين أستطيع أن أقدمه فى هذه المناسبة . لاسيما وقد ضاق الوقت المحدد لتقديم المطلوب .

وخشيت أن يسوء ظنه بى ففضلت أن أساهم بأسطر تافهة كهذة أستطرد عفوياً منها الى أن الفن لا يقتصر - كما هو معلوم - على لون معين كالتصوير أو النحت أو الرسم . وانما يشمل كل ما تنتجه المواهب التى تستهدف ابراز مشاعرها وانفعالاتها سواء بالكلمة شعراً أو نثراً . أم بالريشة والأصباغ . أم بالصورة المنحوتة . . أم باللحن الموسيقى . . الى آخر ما يتسنى فى دنيا التعبير .

ومن المعلوم أيضاً أن الفن على اختلاف أزيائه انما يتوخى محاكاة الطبيعة . وكلما أجاد واتقن محاكاتها كلما كان أبرع أداء وتأثيراً فى نفوس الهواة .

حتى الفن الرمزى الذى يعطى مدلولات غامضة - لابد وأن يكون مبدأ المحاكاة متمثلاً فيه على نحو ما . خاصة وأن الطبيعة نفسها لا تخلو من الغموض .

والبحث فى الفن وألوانه ومزاياه بحث طويل عميق . وليس هو مقصودى فى هذه العجالة وانما قصدت أن أقول باجمال : «أن الاصل أروع من الظل ومن المحاكاة» .

ان أية صورة لمظهر من طراز قمة «ايفرست» أو شلالات «نياغرا» أو شواطىء المحيط . أو شفق الغروب . أو أشعة الشمس بعد مطلع الفجر . . الى آخر آلاف المظاهر التى تبرز معانى الطبيعة وبراعة الخلق فيها - انها تعطى للنفس ولاعماقها عطاء لا يوازيه أى عطاء فنى تنقله الصورة معلقة أو منحوته وفى أى اطار بديع - الى مزاج المتأمل . خاصة اذا هو تذكر الاصل وعاش فيه لحظة أو اكثر من لحظات التأمل والاستيحاء .

وهذا لا يعنى الغاء مهمة الفن . فهو شيىء لابد منه مادامت الموهبة والاحساس بها فى ذوق الفنان . . ولكنه يعنى مزاج التأمل كقاعدة فى نفسى أفضل بها الاصل على الظل وعلى المحاكاة كما اسلفت . . وربما كان هذا وراء ما أحسسته من فشل فى مواجهة ما سألنى عنه (ابنى) الا على نحو ما جرى به القلم لتفادى عتبه وهو الصديق وابن أستاذنا الصديق . . اسأل الله الرحمة له ولنا .

الفن والمجتمع

بقلم الدكتور
أبوبكر أحمد باقادر
رئيس قسم الاجتماع والدراسات الاسلامية - جامعة الملك عبدالعزيز بجدة



الفنون بصوره أو أخرى المجتمع الذى تترعرع فيه وتكتسب سمات تجعلها معروفه به ومن ثم اطلقت على الفنون المختلفة النعوت التصنيفيه : فن اسلامى واغريقى ورومانى وصينى و . . . وغالبا ما ترتبط هذه الفنون بمراحل تاريخيه محدده، تتغير فيها من مرحله إلى أخرى، نلحظ هذا فى فنون العماره والرسم والموسيقى والروايه والشعر وخلافهم .



الرغم من ذلك فأن الفن الاصيل حتى يصبح خالداً لابد له من مقومات داخلية متميزه، تحفظ له الخلود والبقاء . . لذا فليس كل ما ينتجه الفنانون - وان عكس خصائص ومميزات المجتمع الذى ينتمون اليه - يصبح فنا خالداً، وذلك لأن هنالك التقليعات والموضات التى عادة ما تطفوا على سطح الاحداث الأجتماعية لفترة قصيره - فهى تعكس الحياة الاجتماعية فى حينه - الا أنها لا تسبر اغوار ذلك المجتمع وروحه وما تنتجه من فنون لا تبقى طويلاً فى ذاكرة المجتمع .

نخلص مما سبق ان الفن يعكس روح المجتمع الاصيله فى مرحلة تاريخيه ويجسدها فيكسب لتلك المرحلة بعينها الخلود والبقاء وفى نفس الوقت لا يمكن للفن ان يكسب خلوده واصالته ما لم يكن مجسدا لظروف مجتمعه مصوراً اياها سابرا اغوارها بمعنى ان هنالك ترابط جدلى بين الخلود والاصاله من ناحية وتصوير المجتمع فى مرحلة تاريخيه محدده ما . . فنحن حينما ننظر إلى أى رائعة فنيه نجد انها تمثل حدثاً او ظرفاً تاريخياً معينا مما يجعلها تعكس الحياه الاجتماعية فى مرحلة تاريخيه محدده ولكن الفنان استطاع بنافذ بصيرته ان يسبر اغوار الروح الانسانية ليجسد من خلال قطعته الفنية الاحاسيس والانفعالات الانسانية كلها ويجعل

المتذوق فى كل عصر يتفاعل مع قطعته الفنية .

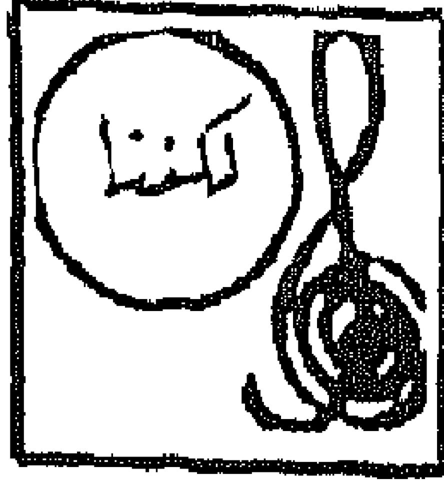


الجاهليين او المتنبى أو البحترى أو ابى تمام مثلاً الخالده تصور بعمق خلجات النفس الانسانية وتسبر اغوارها إلا أنها فى نفس الوقت تعتبر بحق وثائق تاريخيه هامة تصور الفترة التاريخية التى عبر فيها الفنانون عن تلك الاحاسيس ويصدق ما ذكرناه على الفنون العربية الاسلامية الأخرى ما كان منها نثراً أو فناً معمارياً أو موسيقياً أو رسماً . . وبالطبع يمكننا ان نعمم ما ذكرناه على الفنون المختلفة فى العالم . بل ان نظريات تاريخ الفنون ما قامت إلا على هذا .

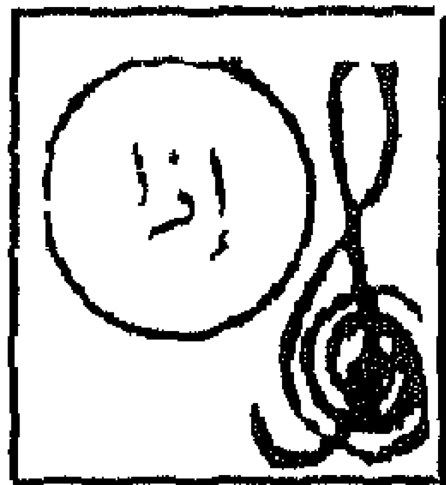
هذه العلاقه الجدلية تقودنا إلى التساؤل عن الفنان من هو؟ . . فهل هو نتاج مجتمعه وظروفه؟ . . ام هو مبدع شاذ؟ . . لا شك أن الفنان شخص موهوب متميز وهذه الموهبه والتميز تجعله ينفرد بعملية الابداع . بمعنى أن الفنان إنسان له مؤهلات خاصة تمكنه من التفوق على الآخرين فى عملية الانتاج الابداعيه سواء بسبب تطور داخلى ام عن طريق اقتباس ثقافى من مجتمع آخر .



هذا الى التأكيد على علاقة جدلية أخرى وهى ان الفنان على الرغم من تمتعه بصفات واستعدادات خاصة فريدة تميزه عن بقية افراد المجتمع الذى يعيش فيه إلا أنه فى نفس الوقت نتاج وحصيلة الظروف الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية السائدة فى مجتمعه . ومن اثر هذه العلاقة الجدليه نجد ان الفنان ـ على رغم من تفرده وتميزه كشخص خاص ـ يصبح رمزا يعكس ويصور بعمق صورة مجتمعه . بمعنى انه وان كان شخصيا قد ينفرد بخصائص تميزه عن غيره فى المجتمع ويبين لنا التاريخ ان الفنانين فى معظم المجتمعات يكونون جماعات خاصة ـ إلا انه عن طريق فنه وروائعه يصور مجتمعه والقيم والاحاسيس والتعابير الانسانية فى مجتمعه بل ويخلدها .



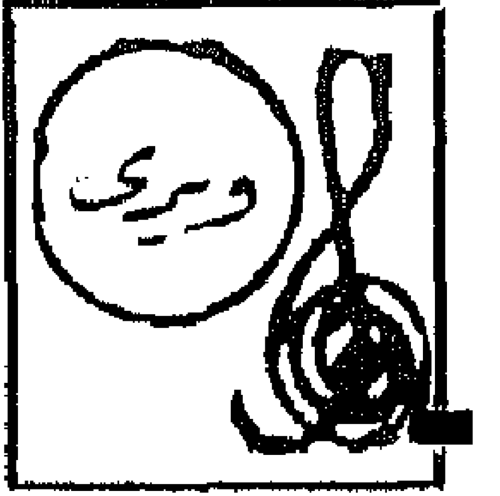
قبل ان ننتقل بالحديث حول تحديد القطعة الفنية ما هى؟ . . لابد لنا من الحديث عن الفن وماهيته من الناحية الاجتماعية . وهنا يبرز السؤال: هل الفن صناعة وتقنية؟ . . ام تجسيد وتعبير عن احساس شخص ابداعى لدى الفنان؟ ونلتقى مره أخرى بعلاقة جدلية ، فالفن بمعناه الخاص ـ الذى نقصده هنا ـ يختلف عما يقوم به الصانع ـ فالصانع التقليدى مثلاً يعتبر فناناً بالمعنى العام وذلك لتقيده بالقواعد والمعايير التقنية المطلوبة للعمل الفنى فى صورته النهائيه إلا ان هذا العمل على الرغم من التزامه بهذه الاصول او القواعد إلا انه يخلو من الابداع بمعناه التميزى التفردى الذى تبرز فيه ذاتية وشخصية الفنان . لكن الفن شىء ابداعى يُعبر فيه الفنان عن الاحاسيس والقيم الانسانية الخالدة كما يعبر عنها المجتمع فى الظروف التاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية التى يعيشها . إلا اننا نحدد ان التعبير الابداعى هذا ليس حراً حرية مطلقة وانما هو مقيد بقوانين عامة تحد من غلوائية الفوضى او الانغماس فى نرجسية فردية عميقة . بمعنى ان الابداعى يتميز بأنه تجسيد لأحاسيس انسانية ولكن ضمن قواعد عامة تضمن للعمل الابداعى تحقيقه على المستوى التقنى غايته اضافة إلى ابداعه وتجديده وعمقه فى تجسيد المعانى الإنسانية العميقة .



كان الفن ـ كما نراه ـ هو صنعه وابداع فى علاقة جدلية فما هو النتاج الفنى : هل هو محصور فى صيغ معينة محددة؟ . . ام انه روح اصيلة تأخذ اشكالاً متعددة مختلفة هى عبارة عن محصله ابداعية؟ . . فعلى الرغم من ان المتعارف عليه ـ فى وقت ما ـ هو تحديد انواع معينه : مسموعة ومرئيه ومقروءة . . لتمثل مجالات الفنون الابداعيه إلا ان بروز وتطور انواع فنية ابداعية جديدة توضح بجلاء بأن الفنون غير محصوره فى صيغ معينه . وتكتسب أى صيغه ابداعيه جديدة قبولها كنتاج فنى جديد قدرتها على تقديم لون فنى جديد يقبل عليه الناس .

لا يمكننا ان نتصور وجود فن من الفنون دون متذوقين له . بمعنى ان العمل الفنى الابداعى الذى لا

يظهر للجمهور لا يدخل فى دائرة ما نقصد من فنون وذلك لأن عملية «الاستهلاك» و«التسويق» للفن تعتبر من اهم العمليات الاجتماعية المتعلقة بنشر الفنون ونمائها.

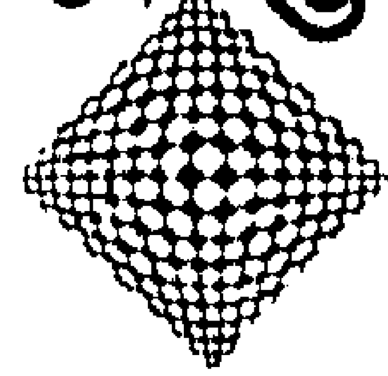


العديد ان فكرة «الاستهلاك الفنى» ترتبط بالفئات الاجتماعيـة المختلفـة. ففئات المجتمع المتعلمـة تستهلك او تستهـوى الاستماع أو مشاهـدة انـواع معينـة من الفنون عادة ما تسمى «بالفنون الراقية» فلا يقرأون من الأدب سوى الفصيح منـه ومن الموسيقى الكلاسيكيه وهكـذا بينما تهوى الجماهير العامة من الفنون ما يعرف «بالفنون الشعبية» وهى عادة انواع من الفنون تكون غير مكتوبة وبسيطة فى تركيبها لا تتطلب من المستهلك تفكيراً عميقـا لفهمها انما هو ينطرب معها ويتفاعل تفاعلاً آنيا تجعله ينـدمـج فى اجـوائهـا وهى فنـون عادة ما تكـون مواضيعهـا افـراح واتـراح الشعب بينما غالبـا ما تدور مواضيع «الفنون الراقية» حول القيم الانسانية الخالدة فى صيغ تتطلب جهداً عقليا ولها تقنية متقدمة تدفع المتذوق الى بذل جهود حتى يتعرف على مرامى وابعاد العمل الفنى.

وتبرز مواضيع الفنون مفهوم «رأس المال الثقـافى» حيث ترتبـط الفنـون الـراقيـة بالمؤسسـات التعليمية الرسمية فهذه الفنون هى المادة العلمية التى يتم تدرسيها ويعتمد عليهـا التفـوق والنجـاح فى الحياة العلميـة والعمليـة، امـا الفنـون الشعبية فأنها خارج حدود المقبول فى المؤسسات التعليمية الرسمية مما يعنى ان مستهلكى الفنون والآداب الراقية لا يواجهون انفصاماً ثقافيا بين ما يدرسون وما يستهلكونه للمتعه مما يجعل هذه الفنون رأس مال ثقافى لهم فى حياتهم العلمية على عكس مستهلكى الفنـون الشعبية الذين عليهم ان يعيـدوا تعلم الفنـون الراقيه بل واستذواقها حتى يتمكنـوا من النجـاح فى المؤسسـات العلميـة الـرسمية. مما يؤكد وجود نوع من السلمية التراتبية للفنون.

المسلة المصرية على ساحة الكونكورد

فلاش



احتلت المسلة المصرية بتنصيبهـا لأكـبر وأوسـع مكـان بالعاصمة الفرنسية المكـانـة بين برج «ايفـل» البنـاء الحديث والمعجزة، وساحة فاندوم، وساحة الباستيل.

●● بدأت قصـة المسلة المصـريـة عام ١٨٢٩م وانتهت بنقلها من مصر - لقيـمتهـا النـادرة - إلى باريس عام ١٨٣٦م.

● تزن المسلة ٢٢٠ طنـاً بارتفاع ٢٢ متراً.

واستــذواقهـا حتى يتمكنـوا من النجـاح فى المؤسسات العلمية الرسمية . مما يؤكد وجود نوع من السلمية التراتبية للفنون .



ما يخص عمليـة تسويق الفنون والآداب فهـو مرتبط برأس المال النقدى التمويلى وهـذا يقسـم المجتمـع إلى من لديهم الامكانات المادية لتمويل ما يرون انه أهلاً للتمويل وبذلك تبرز عملية توجيه الاستهلاك الفنى .

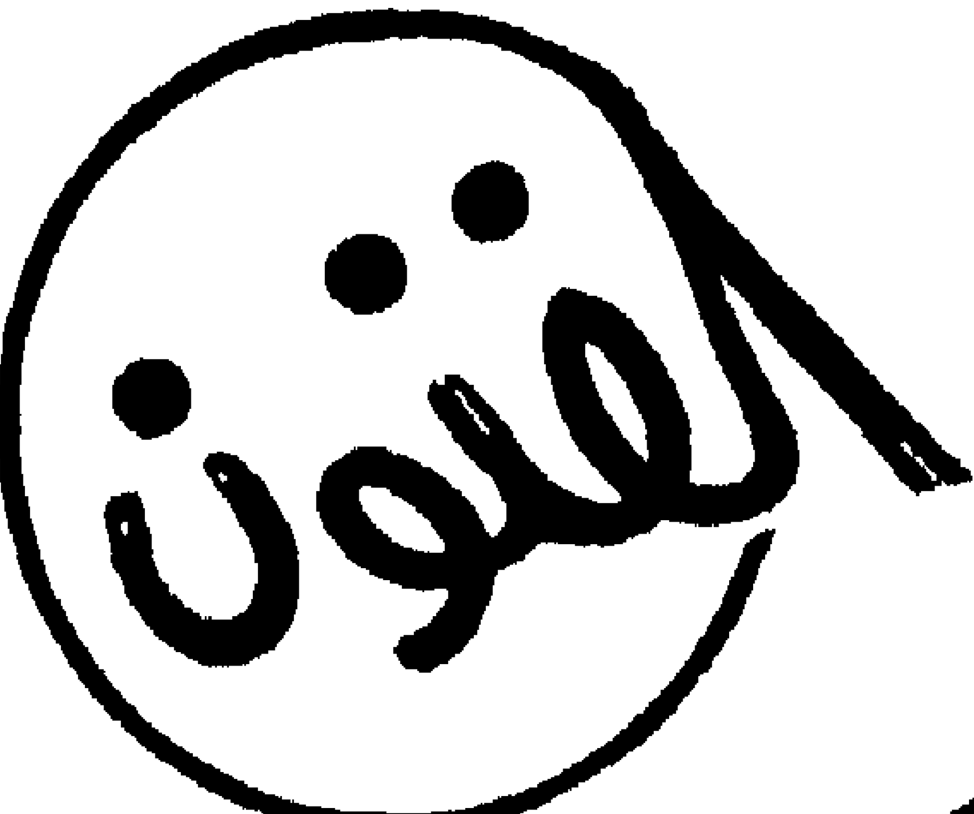
فالفنون الراقية قنواتها التوزيعيه مرتفعه الأجره بحيث تبقى على انحصارها على خاصة الخاصة وبذلك تحافظ على مكـانتهـا الاجتـماعيـة والثقـافيـة . بينما يتم اشباع الـرغبات الاستهلاكية بفنون ترفيهية سطحية تخلوا من المعـانى العميقـه على الجماهير العريضه وذلك حتى لا يشغـل الفـرد ذهنـه او يبذل جهوداً فى التذوق وبذلك تصبح للفنون وظيفه اجتماعيه فى تسلية الجمهور . وبذلك تعاد عملية التقسيم الطبقى للاستهلاك الفنى وما يترتب عليه من تقسيم للمجتمع .



لنـا بعض علماء الاجتماع الفرنسيين هذه الظـاهـره بجـلاء فى بحـوثهـم الميـدانيـة والاحصائية حول من يحضر مثلاً الحفلات العديده للعروض الفنية الراقية كرقصات الباليه أو الجوقات الموسيقيه ومن يزور المتاحف الراقيه او يقـرأ الكتب الجيـدة ووجـدوا ان هنـالك ارتباطاً طبقياً واضح . ولا يعود فى نظرهم ذلك فقط الى ارتفاع قيمة تذاكر تلك العروض وإنما تعود إضافة إلى عملية الاختيار الاستهلاكى الذى درج عليه افراد الطبقات الدنيا .



نرى ان الفنون والآداب تعكس رقى وتطـور المجتمـع وتمثـل الجـوانب المشـرقـه فيـه ، فلقد اهتمت الدول والمؤسســات الـرسميـة فى معظم المجتمعـات إلى الـرفـع من مستـوى الاستهلاك الفنى فى مجتمعاتها وبين مواطنيها كماً وكيفاً وذلك عن طريق دعم وتيسـير وجـود الفنون الراقيه فى متناول الجماهير وترغيبهم فى الاستزاده من الاقبال عليها حتى يتسنى لهم الافتتان بها مما سيؤدى ـ كما اوضحنا ـ إلى الرقى بالمستوى الثقافى العام لها .





زهير الأنصاري
مدير الإدارة والتحرير

الايمان .. العزيمة .. الإصرار



اضلاعه متساوية يشكل مجموعة القوائم الاساسية لأي عمل ناجح يكون - حتماً - موضع رضى واعتزاز. مثلث تحتضن اضلعه العمل المراد انجازه من الفه .. إلى يائه.



يشكل الصدق النفسي والشعوري وهما ركيزتان لهما أهميتهما في كل عمل وفي الأداء الفني بخاصة .. واذا ما تعطل أو غاب شيء من بواكيره تلك يصبح - لا محالة - معوجاً ممسوخاً لا يقوى على السير والبقاء.



تشكل باضطرادها لبنة اولية في كيان البناء الفني .. والاصرار على السبك والابداع فينتقل العمل - تلقائيا - من مرحلة المخاض الى مراحل الولادة الفنية غير المتعسرة او القيصرية .. والعمل الفني في مجمله بعد لخاطرة سريعة أو متأنيه تتفاعل مع تجربة مختزنه فيندمجان ويتعاشقان ويتواصلان فتتم - عندئذ - عملية التمثيل «الكلوروفيلي» النفسي والعاطفي والعقلي لتنسكب - في عناء - في شكل حزمة مشاعر جياشه وخيال مرهف. ولتتدفق - في أناة - في وعاء الكلمة المجنحه أو إناء الخطوط والألوان البراقة .. وما تسليط نسب الضوء ومساحات الالوان ومنسوب الظلال، إلّا جزء مودع من فوائض ذات الفنان. واذا كان المثلث الذي عنيناه هو - اصلا - التركيبه (الكيماوية) للعمل الفني أو أي عمل له أهمية فانها بتمازجها تعد وصفه شاقه وجرعة مضنية اطارها عنصر المفاجأه .. فالاحتمالات والتقييم هنا وارد سواء أكان للجيد منه أو الرديء ويصبح الولوج الى

التحليـل أمـراً لا مفـر منـه . . ولكنهـا حتميتـان تفـرضـان نفسهـا على العمل الفنى باكمله ليستقيم ضعفـه وليقـوم وهنه . . ومن خلال هذه الاطر - بداياتها ونهـايـاتهـا - لابد أن نفرز ابعاد التقنيات الفنيه المتوخاه والتى ديدنها الكمال النسبى والـروعـة والاتقـان المتفـاعل . . وبذلك نضمن الاستمرارية . . وهذا يترتب عليه فتح مجالات جديده من التوسع فى الاداء وتـرقـب جيـد للنتائج المبنية على مقوماته وأسسه . . وتلك هى طبيعة الاشياء عامة ومنتهى كمالها وبؤرة انبعاثاتها الاحساسية والانسانية .

ولننتقل للتحـدث عن الجذور ما دمنا تحدثنا عن الاصـول من وجهة نظرنا - وما دمنا كذلك - ومادام الفن فى تصوره وطبيعته ينطبع فى الذهن - دائما - على انه رسم ونحت وغناء وموسيقى وشعر ومسرح . . الخ . فاننا يمكن - ايضا - بتجاوزية محددة يسيرة ان نوسع دائرته - وهذه طبيعة الاشياء ايضا - فنقول ان الحياة فى مجملها والتعامل معها (فن) بل لعلها تعـد من ارقى انـواع (الفنـون) أليست التجارة . الادارة . الصناعة . الزراعة . الحرف اليدوية فناً؟ . اليس التعـرف على الآخـرين وطـريقـة التعامل معهم . فناً؟ . . أليست الأزياء الحديثة . . فناً؟ الا يكـون كل ذلـك وغـيره طرفاً يسيراً من جزئية الشرائح الاخرى التى نعيش ونحيا على اديمها إجمالا؟ . .

ولعل من ابجـديـات ذلـك الاتقـان وهـذا الفعـل . . ان الله عز وجـل يحب اذا عمل أحدكم عملاً ان يتقنه . . وهل الاتقـان هذا إلّا جزئية من كلية نحن فيهـا وعنهـا؟ . . واذا كان علينا ان نتذكر ففى هذا الاطـار لابد ألا ننسى أنّ الله جميل يحب الجمال . . وأنـه كتب الاحسـان على كل شيىء . . و(الكليه) هذه تنسحب بدورها على حياتنا لتكون زاداً لأخرتنا ﴿يـوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ . . واذا قلبنـا سفر «الفن» وجدنا التلازم - ازلياً - بين شداته ونحاته وبنسب فتكون متفاوته فى عمقهـا وسطحيتها وادراكاتها والمسألة فى عمومها أن «الفن» فى مجمله بكل تصوراته وحقائقه وتخيلاته اذا لامس اى شيىء فى حياتنا اكسبه طعماً مميزاً . . ومزاقاً جيداً . . وتواجداً حياً . . وراحة بال وذوبان إرهاق وعناء .

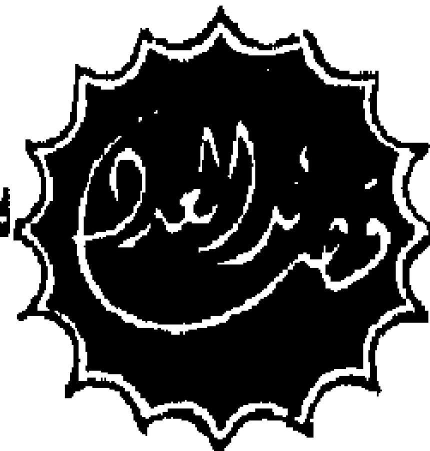
وهذه درجـة ساميـة المنال شاقة الوصال . . هى فى كينونتها مؤشر بارز لابعاد المرام ومنتهى حتمى لما عز من اطماع الحياة حسبى ان «الفن» باوصـافـه وابعـاده ومراميه - وربما طموحاته - هو فى النهاية وبالضرورة آسـر النفوس ومنعش القلوب . . وحسبى بلغة هذا العصـر انـه عد من المصـالـح المتبـادلـة والبـدائل المتنـاولـة . . وحسبى ان اوجه اشارتى للجميع بأن ابجديات الفن ولزومياته ومطالعه : الايمان والعزيمة والاصرار . ومبدأه : كن جميلا ترى الوجود جميلاً .

ديوان المنهل

العدد

الثاني عشر

شعبان - رمضان ١٤٠٤هـ



المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه

فليس خليقاً أن يقال له شعر

المشرف

محمود عارف

قلب

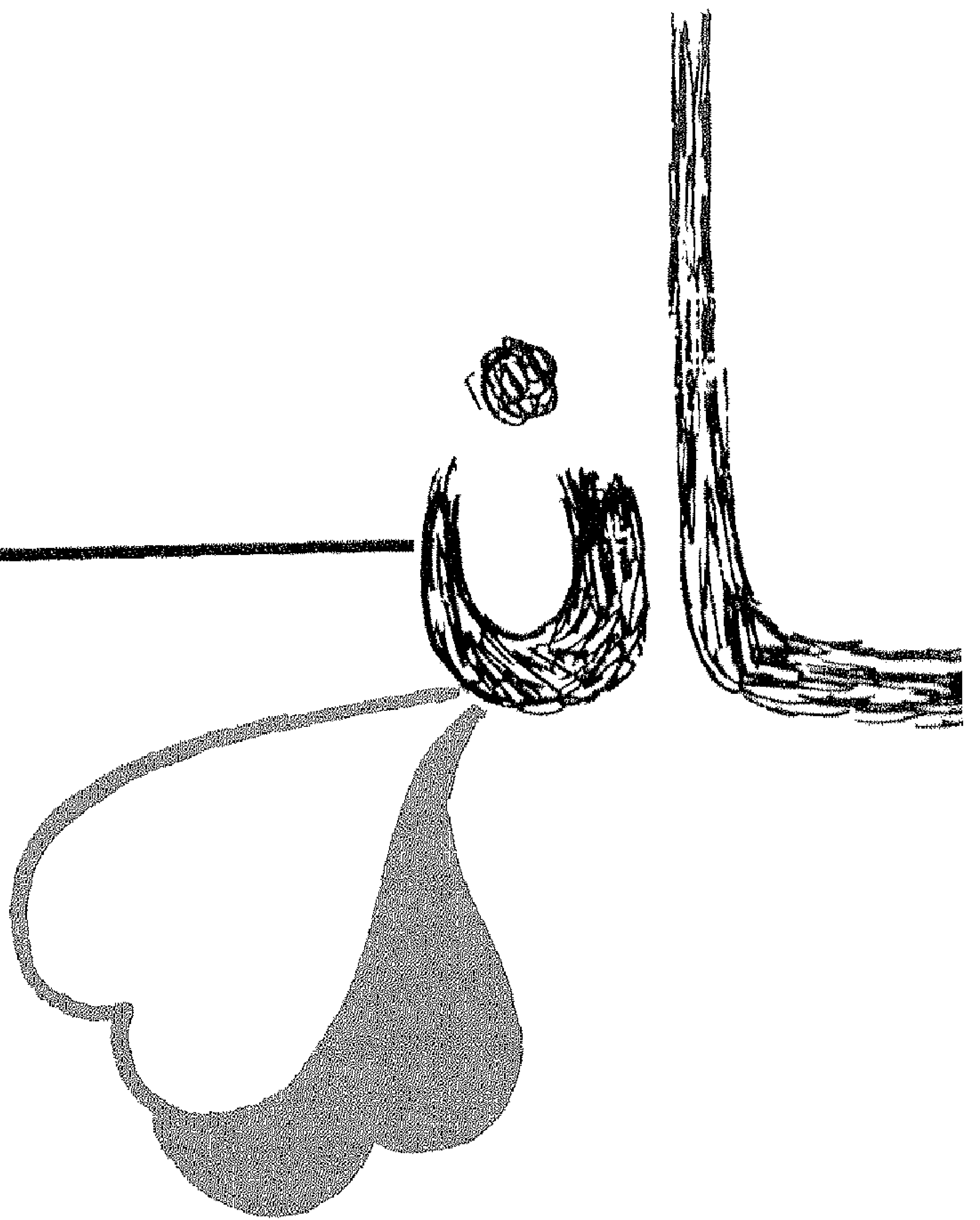
بريشة
شاعر العروبة
الأستاذ/
محمد حسن فقي

◐ والشعر فن .. فيه تصبو النفس إلى أمنيات وجدانية .. فيه تعبير لرؤيا حالم وتصوير لرؤية مشدوه الشاعر يقظان .. و، ويستجيب شعراؤنا لفكرة الفن فيفيضون الألحان ويرسمون حقولًا خضراء من المشاعر المعطاءة الفياضة، وغابات وارفة الظلال زاهرة الألوان، قوامها الفكر السخي الندي ..

◐ الفن عندهم أغنية كلماتها الطبيعة التي خلقها الله للإنسان بكل ما فيها من جمال وإبداع .. ولوحة ألوانها مشاعر الفنان واستلهاماته «في دعاء الأسحار والنفس ظمأى» ونفسه الوثابة للتزود بماء الحياة وإكسير الوجود.

وتمثال عريض تتجسد فيه أطياف الخيال «وتنبض الأنفاس سحرًا دافقا» .. ويشمخ ويعلو حتى ليكاد يلمس النجوم بأصابعه .. ويرسم على السحاب بفرشاته الوردية .. بسمة عريضة تهطل بالخير والسعادة على كل بقاع الأرض

◐ الفن عندهم .. كلمة دافقة بالحياة والقوة .. تنطلق من فوق سارية رشيقة عالية «تستقطب الأفهام والألباب في الأحياء» «المشرف»



لقيتُ قلبى فيكِ يا غادتى
يغيبُ عنّى فترةً تائهاً
كالبُلبلِ الحيرانِ فى روْضةٍ
ياوَيلَنا ياغادتى.. إنّنا

قَلباً جَرى كالماء.. ثم انْحدَرْ
فى وَهجِ الشّمْس وضوْء القمَرْ
أضلّ فيها العُشّ بين الشجرْ
قلبانِ ما مِثْلُهما فى البشرْ

قَلْبانِ هذا ضارعٌ فى الدُّجى
يُحِبُّهُ لكنّهُ يتّقى
فَيستوى فى حَيْرةٍ راجفاً
كِلاهُما يَرْسُفُ فى قَيْدِهِ

وذاكَ للضّارع يُخفى الحنينْ
أنْ تنْبُشَ اللُقيا هَواهُ الدَّفين
مِنْ أنّةِ الدمْع و دَمْعِ الأنينْ
فما الذى يَصْنعُهُ لِلْخدِين؟

قال لها يوماً وقالتْ له ... ماذا سنلقى من نزيفِ الجِرَاحْ؟
نحنُ صريعانِ.. ومِنْ حَوْلِنا ... أفْئِدةٌ لم تختها الرِّماحْ
نحن غريبانِ فهل نَرْتَجِى ... أن تُطْلِقَ الغُرْبَةُ. مِنَّا السَّراحْ؟
قد أطْبَقَ اللَّيْلُ علينا وما ... نرجو من اللَّيْل طُلوعَ الصَّبَاح
ثم استكانا للقضاء الذى ... عليهما المتأسَّدَ دُونَ الأنام
فى كلِّ ما حَوْلها غِبْطَةٌ ... يُعانِقُ الأُلْفَةَ فيها السَّلامْ
إلَّا هُما وحْدَهُما فى أسىً ... وفى سقامٍ من صحايا السقام
لله فينا الأمرُ - بَعْضُ الوَرى ... فى النُّور عاشوا.. وهما فى الظلامْ
طَيْرانِ فى الأيْكِ اذا حلَّقا ... عافا الأعاصير وخافا الصُّقُورْ
وإنْ هما عادا إليه احْتَوَى ... قَلْبَاهما أُشدرانَهُ والنُّسور
فى وحْدَةٍ قاتلةٍ أصْبَحا ... بين الرِّياض الغُنِّ.. بين الطُّيور
إنْطَوَيا فاسْتَمْتَعا بالمُنى ... حالمةً بالحُزنِ - أو بالسرورْ -

تَرْنُو إليها العَيْنُ كَيْما ترى ... فِرْدَوْسَها المَوْعُودَ أو الجحيم
فما تَرى إلَّا الرُّوَاء الذى ... يطْوى الحنانَ الحلْوَ - يطوى النعيم
يا ليتنى كنتُ النَّمِير الذى ... يَرْوِى الصَّدى منها - ومنه النسيم
فأنَّها الكَنْزُ الذى يَشْتَهِى ... جديدنا الاءهُ - والقديم

عجبتُ منها كيف تَشْكُو الأَسى ... وهى التى تَشْفِى الأَسَى والشُّجُونْ
إذا اشتكى المُوْجَعُ منْ علّة ... زال بها ما كان أوْ ما يكُونْ
تبكى على الألامِ من رِقَّةٍ ... ثم تداويها بصَدرٍ حنونْ
جَلَّ الذى يمْنَحُ من خَلقِهِ ... ما شاءهُ حتى يَفُوقَ الظُّنُونْ
لا تَشْتكى يا هذِه من جَوًى ... وأنتِ مَنْ يُطْفِئُ حرَّ الجوى
أوْ مِنْ نوى الغائبِ فى لَوْعَةٍ ... مُحْرقَةٍ غذَّى لظاها الهَوى
فذلك الغائبُ عَنْ داره ... تَبيَّنتْ عَيْناهُ كلَّ الصُّوى
يَوَدُّ أنْ لَوْ عِشْتِ فى نِعْمَةٍ ... كنعْمَةِ الغائبِ حيث اسْتَوَى
هناك فى الفِرْدَوس يَنْسى الوَرى ... آلامَهُمْ يَنْسَوْنَ الرِّفَاق

يَنْسَوْن إلاَّ الحبَّ فى دارِهِمْ ... هذى.. وإلاَّ عاديات الفراقْ
وتلك تَرْجُوكِ اصْطِبارًا فما ... أسعدها يَوْمَ غدٍ بالتَّلاقْ
يا مَنْ أراها جنّتى.. بعدها ... هل سوف نَقْضى عُمْرنَا فى وِفاقْ؟
فى الفَجْرِ أَلْقاكِ وفى ضَحْوَتى ... وفى أصيلى.. فى اللّيالى الطِّوالْ
ما غِبْتِ عنّى لحظةً والرُّؤى ... تشهدُ لى فى واقعى والخَيالْ

إنّى لألقاكِ فألقى المُنى ... حاليةً بعد العوادى الثِّقالْ
أرضَى بما شِئْتِ وما أنْثَنى ... عَنْكِ بِمُرِّ الهَجْرِ او بالوِصالْ

الفن في وجدان

غلبتْ عليه مشاعرُ التّأثير
فَغَدًا يُحرِّكُ ريشةَ التصويرِ
فى قلبِهِ زخَمُ التطلعِ رافدٌ
كالجدْول المتدفقِ المذخورِ
ومن التطلُّع ما يكونُ توهُّجاً
يُفْضِى إلى لَهَب بغير سعِير
ومن التطلع ما يكوُنُ تألقاً
كالماسِ يسْطعُ من خلال النُّورِ
وإذْا هو الإلهامُ فى رحْبِ المُنى
متساقِطُ كالطَّل فوق زُهُورِ
وأذابَهُ الفنانُ.. يرسُمُ لوحةً
من فنه.. المستلهِمِ المبرورِ
ظلَّتْ أناملُهُ تُسجِّلُ للورَى
لغةَ الجمالِ بأروعِ التَّعبير
ما كل مَنْ عَشِقَ الجمالَ مؤهلٌ
للرسم يُحْسِنُهُ مع التقديرِ

الرسام

بريشة الشاعر الرائد محمود عارف

لكنَّه الإعجازُ موهبةُ الذى
يُعطى ويأخذُ دونَ ما تزوير
إنَّ الحياة بلا جمالٍ كزةٌ
مشنوءةٌ فى العالمِ المعْمور
وبغيرِ هذا الحسنِ لا تحلو الدُّنَا
ومِنَ الحلاوةِ رغبْةُ التطويرِ
فهو الملقِّنُ حين يُصْبح مطلباً
لثقافةِ الانسانِ بالتفكيرِ
الحسنُ فى لَوْح الوجودِ رصيعةٌ
فى فن رسام.. وكلٍّ جدير
ياطالما الرسامُ عبْر رسومِه
قد زخرَفَ الاشياء بالتقرير
وأهم أشياء الحياةِ يطُولُها
إعجازُ مبتدعٍ وراء سطورِ
لا فرقَ بين مُطَوِّرٍ فرشاتَه
أو مُلْهَمٍ فى رسْمِهِ المنظور
فكلاهما من طينةٍ مجبولةٍ
من صُنْعِ خالقِنَا بلا تحوير

اللحن المبتور

بريشة الشاعر المحلق
طاهر زمخشري

رَكب الأيامَ رَكْضاً للمرام — والأسى يُشْعل فِيهِ اللهبا
لاهثَ الأنفاس مشبوبَ الضَّرام — فتلوّى حين أكبدى نصبا

دامِيَ الأقدام مدقوق العظام — تائه القصْد؛ غريقاً فى الحريقْ
وإلى أن صارَ فى لجِّ الزِّحام — أمسه الضاحك قَدْ ولّى وغابا
والغد المرجُوّ قد أضحى سرابا

عصفَ الموْجُ بهِ فاضْطربا — بعدَ أن مَزّقَ فى اللهو الشبابا
وتوانى خَطْوُهُ حتى كبا — لم يعدْ يَلْمَحُه إلا ضبابا

وَلَقَدْ كان يغنى طربا
حائراً يلهثُ من طول الطريق — فتوارى اليوم يطوى لجباً
أخرس الألحان أغْفَى لن يَفيقْ

★★★

المآسى كبّلَتْ منه اليدا — يالقلبٍ قُطِّعَتْ أوتاره
والليالى صَيّرَتْهُ أرْمَدَا — كانَ من صمت الدجى قيثارهُ
والرّزايا ضَيّعَت منه الغدَا — فإذا غنّى زهت أستارهُ
فبكى العمر الذى ولّى سُدى — فى حواشيه جَرَت أسْراره

★★★



بدّلَ الصمْتُ فأضحَى مرعبا
ثائراً ينشر حولى شُهُبَا
تغمر النفسَ بِموّارٍ دفوق
يا لأفقٍ بالدُّجى الراعب غاما
كان يزهو كلما لاقى الظلاما
بين جُنحيه فؤادى يتسامَى
فَيُناجى النّجم بالهمس الغراما
ماله ضاق فأرخى الحُجُبا؟
فغدا دمعى به مُنْسَكِبا
من فؤادٍ فى حناياه حُروقْ

★★★

ويح قلبى رغم ما يُلْقَى خفوقاً
والأمانى فيه ما زالت بروقاً
فإذا فاضَ زفيراً وشهيقاً
فالشجا اللاهب يَنْساب دفُوقَا
ومتى أهماهُ غنى طَربا
والصدى يجرى نميراً صَيِّبا
وله فى صفحة النّفْس بريقْ

★★★

أيُّها الخفاق جدفْ فى الحياةِ
قاوم التّيارَ واصْمد فى ثباتِ
واسبر الأغوار من شَتّى الجهاتِ
لك فى العُقْبى ثمارُ العزماتِ
وهىَ لَيْسَتْ جوهراً أو ذهبَا
بل سبيلٌ سوفَ تدنى الأربا
للذى يسبحُ فى الكون طَليقْ

الفن

بريشة الأستاذ الرائد
محمد بن أحمد العقيلي

«الفَنّ» وهج تفوق وذكاءٍ   وشعاع ومضٍ تألقٍ وسناءِ
نبضت به الأنفاس سحراً دافقاً   وسمتْ به الأفهامُ لِجَرْ ضيـاءِ
قبسٌ من الالهامِ يسطعُ ضوءه   فينير دنيا الفكرِ في النّبغاءِ
ينمي الأحاسيس الكريمةَ يمرغ   الوجدانَ، يصقل مرآة الآراءِ
وسطوع موهبةٍ وروعة فكرةٍ   مُثلتْ تضئُ بتحفةٍ زهـراءِ
ومظاهرٍ تبدى (التقانَة) توهبُ   الفنانَ أروع صورة الأشياءِ
فَيَصبّ فيها روحه ووجـودة   ويحيله أشراً يشدُّ الـرائي

يضفي على غرر المعاني روعة | التخليق والابداع والأنشاء

* * * *

أدنى طريق للقلوب توصلاً | يلج الشغاف كقطرة الانداء

ووسيلة علياء للتعبير عن | [illegible]فكار أهل الفن والبلغاء

الفن تعبير [illegible] | [illegible] الوضوح لفطنة وذكاء

تتجسد الأ[illegible] | [illegible] كفن السحر والاغراء

في جلة وهاجة [illegible] | [illegible] الزعماء

أو مشهد يوحي [illegible] | [illegible] القعساء

أو صورة [illegible] | [illegible]

هو متحف [illegible] | [illegible]

منح من الا[illegible] | [illegible]

من [illegible] | [illegible]

[illegible] | [illegible] الأضواء

وتألق [illegible] | عمياء ظلت فتنة الأهواء

وتجسدت (فينوس) في تمثالها | رمز الجمال وتحفة الأحياء

* * * *

حفظت روائعه أثينا وازدهت | «روما» و«قسطنطينية» الغراء

وزهت بـ (قرطبة) وفي (غرناطة) وسماء (أشبيلية) الفيحاء

أمجادنا فيهن متعة سائح وهوى لزوار مدى الآناء

يقرون في سفر الخلود تراثنا في الليل، في الاصباح والامساء

* * * * *

يا جامع في ربع قرطبة غدا وزها كوجه الغادة الحسناء

كسيت جوانبه وليط رفيفه من مرمر متموج الأضواء

يرسو على مصقول صفحته السنى ويجول بين تردد ومضاء

طليت سواريه وزان متونه الابريز بين تفنن وطلاء

* * * *

زان الوجود بسحر ابداعاته فتألقت فناً وحسن بناء

أبقى على الأيام من آياته ما يستشف بوائق اللالاء

* * * *

مسحت أياديه الوضاء بريشة الابداع كل خريدة عذراء

وأشاد من شم الصروح هياكلاً غمماً تناغي أنجم الجوزاء

من كل رائعة البناء توهجت للعين كـ (الزهراء) و (الحمراء)

ومعابداً زهر الذرى قد نافست بدر السماء بحسنها الوضاء

وتراث إنسانية تستقطب الأف سهام والألباب في الأحياء

فن المشاعر

للشاعر / أحمد عبد السلام غالي

أنجاح حياتنا أم عثار ... حرت والمرهف الرقيق يحار
وتأملت ما يدور فضجت ... في كياني الآراء والأفكارُ
ما أرى؟ هل أرى سوى بسمات؟ ... تتلالا كأنها النوار
ثم حيناً أخال كل المغاني ... في عبوس وقد عراها ازورار
فكأن الظلام ينساب في الكون ... وغطت على الكوى الأستار
وكأن الأنام في غفلة الوعي ... وفي مسرح التعامل جاروا
ليت شعري أين الفؤاد يغني؟ ... ليت شعري هل تخرس الأوتار
ليت شعري أين الضياء يحي ... كل عين؟ هل تحجب الأقمار؟
ليت شعري أين المشاعر تنساب ... وأين الأباة والأحرار
هل سدرنا عن الجمال وبتنا ... في صراع بين الأنام يدار؟
هل خبا الفن من قلوب البرايا ... ومن الفن كل حب يثار
أيها المرهفون نظرة وعي ... انظروا واشهدوا فللحسن دار
حفل الكون بالمفاتن تغري ... رؤاها فترق الأنظار
فتملوا ما بثه الله فينا ... من بهاء فتكشف الأسرار
إن تبسمتم تبسم حسن ... أو عبستم فللجمال انحسار
أو شدوتم غناكم أعذب اللحن ... كنار وبلبل وهزار
أو صممتم بذا السكون غريباً ... أو تمادى في عنفه الإعصار
لا تخالوا الجمال ما يبهج العين ... فللقلب حسنه المختار
في ائتلاق الوداد في كل نفس ... لمسات دفيئة ونضار
في شعور الوفاء ينساب نبض ... من حنان جماله الإيثار
وسخاء القلوب أيكه حسن ... وجناها تلاحم معطار
ولقاء الأبرار معرض فن ... كيف لا يرسل السنا الأطهار
في دعاء الأسحار والنفس ظمأى ... لنمير تفيضه الأسحار
وثبة النفس للتزود بالبر ... حباه المهيمن الغفار
كل ما أبدع الإله جمال ... أو تغضي عن حسنه الأبصار
دارة الفن بعض آلاء ربي ... كل يوم عطاؤه مدرار
فإذا ما نهلتم وعبتم ... تتوالى ما تغدق الأقدار
وخذوا الدرس من تناسق حسن ... فهو للمدرك الحصيف شعار
من وعى ما أفاء رب البرايا ... أشرقت في طريقه الأنوار

الفن

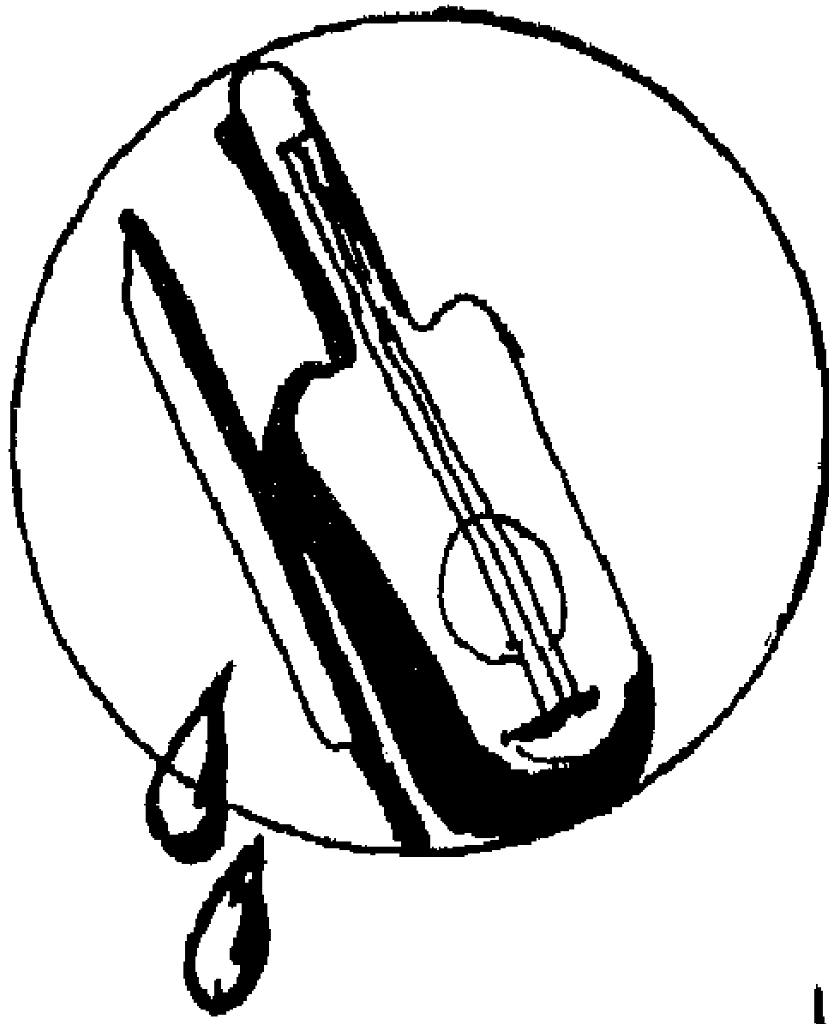
بريشة : مفرج السيد
شاعر الريف السعودي

حَدِّثْ عن الفنِّ مِنْ شدوٍ ومِنْ طَربَ
إنّ الحُداءَ وإن الرجزَ للعَرَبِ
واذكُرْ أحاديثَ أعلامٍ لنا سَلفُوا
قد أثْروا الفن في تاريخِه الذهبِي
إنَّ القَريضَ وعَمْراً وابنَ عائشة
ومعبداً قمةٌ في الفنِّ والأدبِ(١)
قد لحنوا الشعرَ أصواتاً مجنحةً
خرائداً كالدُّمَى تختالُ في عَجَبِ
فرزدُقُ أو جريرٌ صاغَ جوهرَها
أو النُّواسيُّ في ماضٍ من الحِقَبِ(٢)
والفنُّ يرعاهُ في الماضي ويَعْشَقُهُ
مثلُ ابن جعفر في الأخلاق والحَسَبِ(٣)
واليومَ كمْ مِن نجومٍ في مرابعنَا
تضيءُ في عالمِ الإبداعِ كالشُّهُبِ
فطارقٌ قمةُ الإبداعِ في بلدَى
قد نالَ في الفنِّ حقّاً أرفعَ الرُّتَبِ(٤)
كذا طَلالٌ مع السنديّ رائدُنا
والجوهَرُ الفذُّ فنانٌ من النُّجبِ(٥)
والمطربُ الرائعُ الفنّانُ مُبْدِعُنا
محمدٌ قد تخطّى ذروةَ السُّحُبِ(٦)
هذا هو الفنُّ في الماضي وحاضرُهُ
أشعةٌ من سنى سحريةِ اللّهبِ
تُضِيءُ للنّاس دنياهُمْ وتُسعِدُهُمْ
وقد رآها الورى بالعينِ عن كَثَبِ
والشِّعْرُ والنّثرُ والتصويرُ يتبعها
والرسمُ والنحتُ والأشغالُ بالخشَبِ
بجانبِ الفنِّ موسيقى وأغنيةٌ
وسائلُ الناسِ [illegible] عن أربِ

---

(١) القريض وعمرو [illegible] من [illegible] العربي القديم.
(٢) الفرزدق وجرير شاعران معروفان من شعراء [illegible] صاحبا النقائض [illegible] بن هانئ الحكمي.
(٣) كان [illegible] الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي من محبي الغناء ومشجعيه.
(٤) طارق هو [illegible] الفن السعودي طارق عبد الحكيم.
(٥) طلال هو طلال [illegible] المعروف والسندي هو الفنان السعودي [illegible] أطال الله في عمره.. والجوهر هو الجوهر المطرب اللامع والعازف الفنان.
(٦) محمد هو محمد عبده المطرب المبدع والفنان اللوذعي

رثاء فنان



قدور الورطاسي
المغرب

أيُّها الراحلُ المغنِّى سلاماً
من كمانٍ تَرْتَجُّ هَوْلاً وتَبكِى
وسهامُ الأعوادِ تَنْدُبُ حظّاً
فى مغنٍ كم كان يَهتز دسكِ
فيُحيلُ السهامَ لحناً شجيّاً
حبكتْهُ الفنونُ أبدَعَ حَبْكِ
كم بكتك الأهواء فى كلِّ نادٍ
عشتَ تُغريها بالفجور وتُذكى
وَزَنَتْكَ الأغرار من كلِّ فنٍّ
[illegible] فنون التغرير ياشرَّ هلكى

لا تُعِبْ أيُّها الشقىُّ رثائى
[illegible] الصدق أن يقولَ بإفكِ
تلك ـ والله ـ السن قد رثتكم
ما رثاكُم من غيرها أىّ فكّ
لو تَنَبَّهتم للمصير لما عشتُم أسـ
ـيراً لأىّ منكر وهتكِ
مَنْ يَعِشْ للأهواء رقّاً فماذا
غير هذا الرثاء شوكاً بشوكِ
فرثاه يَنْصَبُّ فى شكل عِطرٍ
وتراثٌ يُحصِى الذنوبَ وَيحكِى

إنَّ فى إرثكَ العجيبِ عظاتٍ
قد تقوُد الأندادَ يوماً لنُسْكِ
وَيحُهُمْ أهدروا الحياةَ وعاشوا
فى ظلالٍ يَهْوِى إلى شرِّ دَرْكِ
ما عليهمْ لو قد تغنَّوا بلحنٍ
يَزَعُ النفْسَ عن خلال التَّشكِّى
ويُلينُ الشعورُ ليناً، فيُمْلى
أكْرَمَ الفضل فى النفوسِ، ويُزكِى

كَمْ تَمَلُّ النفوسُ من مَنْطق الجدّ
دِفتهوى السُّلُوَ مِن دون شكِّ
فلدَنىء الخِلال ِ يَهْوى يَقيناً
كَهَوَى الغريق من فوق فُلْكِ
وكريمُ الاخلاق يُطربُه اللّحنُ
فَيُثرى العَفاة فى خلق نوكِ

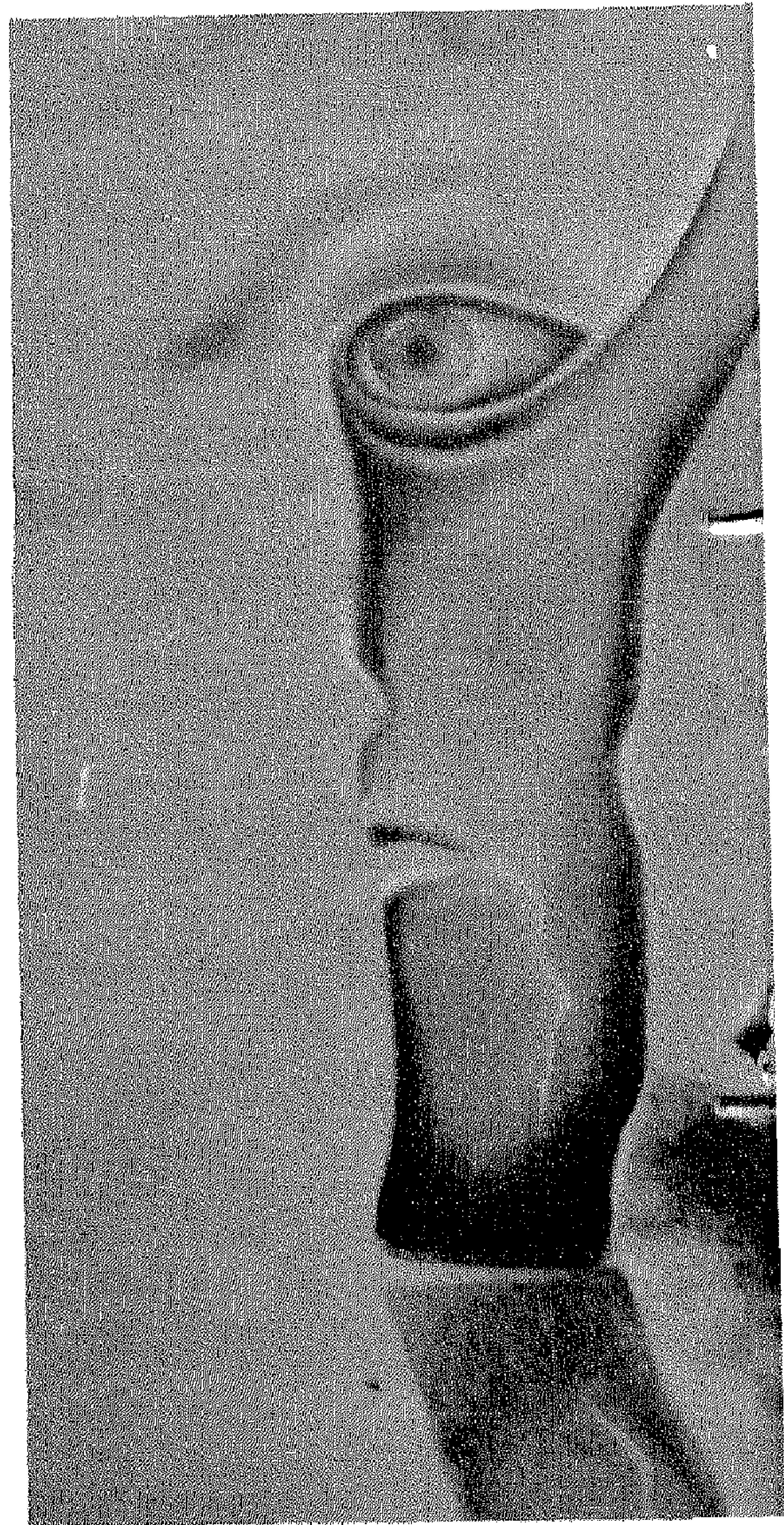
ما ألذَّ الالحان تُسلى وتَنأى
عن مهاوى الأغرار فى بدع لوْكِ
فانفعالُ الكريم باللحن نُبلٌ
وانفعالُ اللئيم آيةُ فتكِ

من أجل عينيك

من اجل عينيك عشقتُ الهوى
بعـد زمـانٍ كنتُ فيـه الخلي
واصبحتْ عينـايَ بعـد الكرى
تقـولُ للتسهيـدِ. . لا ترحـل
وكنـتُ لا ألـوى على فتنـةٍ
يحملهـا غضُّ الصبـا المقبـل
حتـى إذا طارحـتـنى نظـرةً
حالمـةً من طرفـك الأكحـل
احسستُ وَقْـدَ النارِ فى أضلعى
كأنهـا قَامـتْ على مرجـل
وجمَّـلَ الـدنـيـا على ما بها
دفقُ سنى من حسنِـك الأمثـل

شعر: لسمو الأمير

عبد الله الفيصل



يا فاتناً لولاه ما هزّني
وَجْدٌ . . ولا طعمُ الهوى طابَ لي
يا مَنْ على أقدامِهِ بُعْثِرَتْ
غلائلٌ من ظلهِ المخملى
إذا رَنَا فالزُهر من حولِهِ
مرج طيوب سالَ كالجدول
وإنْ شَدَا أصغتْ اليهِ الدُنا
اصغاءةَ الاصباحِ للبلبل
وإنْ مشى كان السها ركبه
عبر نجوم شعشعتْ من عَل
هذا فؤادى فامتلك أمرَهُ
واظلمْهُ إنْ أحْببت . . او فاعدل
بخلتُ قبلَ اليومِ عن بذلهِ
وفى سوى قلبى لم ابخل
لاننى أخشى انعدامَ الوفا
لدى حبيب في . . لم يُشْغَل
وأكره التسيارَ في روضةٍ
ان لم يكن خطوى فى الأول
لكننى . . بعدَك يا فاتنى
أصبحتُ عن كبري في مَعْزل
وباتَ قلبى بعد تيهِ الهوى
أسيرَ حب فى هواك ابتلى
كل الذى يرجوهُ من عمرِهِ
رجع صدى من شدوِك المرسل
لو شُغِلَ الناسُ بما فى الدُنا
لم يعن إلا بك . أو يشغل

رباعيات

محمد بن سعد المشعان

أَرَقْنَا مِنْ غُثَاءِ الْقَوْلِ قَوْلاً
جَعَلْنَا مِنْهُ مُنْطَلَقاً وسِجْنا
وشَوَّهْنا صحائفنا بِهَذْرٍ
كأنّاً في صحائفنا وَلُجْناً
أَلَمْ تَرَ في اختصار القول جسراً
عليه ـ إذا دعا الداعيْ ـ دَرَجْناَ ؟
نعمْ .. ، لكنْ أَضَعْنَا الوقْتَ لَتّاً
وعَجْناً ، ثمَّ لتّاً، ثُمَّ عَجنا ..

الفردوس المفقود

الشاعر السوداني
محمد أحمد محجوب

نَزَلْتُ شطَّكِ بَعْدَ البيْن ولْهَانَا
فذُقْتُ فيكِ منَ التَّبْريحِ ألوانَا
وَسِرْتُ فيكِ غريباً ضَلَّ سَامِرُهُ
داراً وشوْقَاً وأحباباً وإخْوَانَا
فلا اللسانُ لسانُ العُرْبِ نَعْرِفُهُ
ولا الزَّمَانُ كما كُنَّا وما كَانَا
ولا الخَمائِلُ تُشْجِينا بَلابلُها
ولا النَّخيلُ سقاهُ الطَّلُّ يَلْقَانَا
ولا المساجدُ يسعى في مآذنها
مع العَشيَّاتِ صوتُ الله رَيَّانَا
كَمْ فَارِسٍ فيكِ أوْفَى المجدَ شِرْعتَهُ
وأوْرَدَ الخيلَ وديَاناً وشُطْآنَا
وشَادَ للعُرْبِ أمجاداً مُؤَثَّلةً
دَانَتْ لسطْوَتِهِ الدُّنيا وما دانَا
وَهَلْهَلَ الشِّعرَ زَفْزَافاً مقاطعُهُ
وفجَّرَ الرَّوْضَ: أطيافاً وألحانَا
يسعى إلى الله في محْرابِهِ وَرِعاً
وللجَمَال يَمُدّ الرُّوحَ قُرْبَانَا
لم يَبْقَ مِنْكِ سوى ذِكْرَى تُؤَرِّقُنَا
وغيرُ دارِ هوىً أصْغَتْ لِنَجْوَانَا
أكادُ أسمعُ فيها هَمْسَ واجِفةٍ
منَ الرَّقيبِ تَمَنَّى طِيبَ لُقْيَانَا
اللهُ أكبرُ هذا الحسنُ أعْرِفُهُ
ريَّانَ يضحكُ أعطافاً وأجْفَانَا
أَثَارَ فيَّ شجوناً كنتُ أكْتُمُها
عفَّاً وأذكرُ وادي النيلِ هَيْمَانَا
فللعيونِ جمالٌ سحرُهُ قَدَرٌ
وللقُدودِ إباءٌ يفضحُ البَانَا
فتلك دَعْدٌ، سَوادُ الشَّعَرِ كَلَّلَهَا
أختي لقيتُكِ بعدَ الهجرِ أزْمَانَا
أختي لَقيتُكِ، لكنْ أيْنَ سامرُنَا
في السَّالفاتِ فهذا البعدُ أشقانا
أختي لقيتُ ولكنْ ليسَ تَعْرِفُني
فقد تباعَدَ بَعْدَ القُرْبِ حَيَّانَا
طُفْنَا بِقُرطُبَةَ الفيحاءِ نسألُها
عن الجدودِ.. وعن آثارِ مَرْوَانَا
عن المساجدِ قَدْ طَالَتْ منائرُها
تعانِقُ السُّحْبَ تسبيحاً وعِرفانَا
وعن مَلاعِبَ كانت للهوى قُدُسَاً
وعن مَسَارحِ حُسْنٍ كُنَّ بُسْتَانَا
وعن حبيبٍ يزينُ التَّاجَ مَفْرِقُهُ
والعِقْدُ جَالَ على النَّهْدَيْنِ ظَمْآنَا
أبو الوَليدِ تَغَنَّى في مرابِعِها
وأجَّجَ الشَّوْقَ: نِيرَاناً وأشجَانَا

ما كان يظن أن يأتي زمن في جزيرة العرب يتنكر فيه الناس للسليقة وينكرون الفطرة ويعادون الطبع . . كالذي وقع في زماننا هذا ، فلقد تحامل فئة كثيرة على شعرنا الشعبي ووصفوه بالعامية المتمكنة ورموه بالعدوان وقالوا انه معول هدم جاء لزعزعة الفصحى وتقويض بنياتها وقلع اركانها وما علموا انه البقية الباقية من أصل الفصحى والرمز المتمكن من السليقة العربية ، وان العربي الشاعر بطبعه ، المغنى بفطرته ، أبى أن يترك الشعر وأن يرضخه للقواعد التقليدية والعلوم المصطنعة وان يفنى شطرا من شبابه لكي يحذق هذه العلوم من نحو وصرف ورسم وبلاغة وانشاء لكي يزاول قرض الشعر وقد يوفق وقد لا يوفق . . بل انه بفطرته وسليقته وسجيته جاء لينظم الشعر طبعا لا تطبعا وسليقة لا تقليدا وفطرة لا محاكاة ولو لم يخط بقلم ولم يفك حرفا من حروف الهجاء فجاء شعره سليما مستقيما قويا لا غبار عليه ولا لوثة فيه . . تأتي الى القصائد والمقطعات والابيات من نظمه فتسمعه يلقيها بلهجته الدارجة فتظن أنها العامية الموغلة والجناية على لغة الضاد فتنكره وتطرحه وتأباه ولكنك حينما تراجعه وتتفطن له وتقف على حقيقته تجده ذلك الشعر الثمين السمين الموزون المقفى وتعجب كيف ان هذا العامي الذى لم يخط ولم يقرأ ولم يشم لدرس العلوم التقليدية رائحه يأتي بهذا الشعر القوى المتمكن وتجيء تبحث عن السبب فلا تجد غير السليقة الباقية المنحدرة مع العربي منذ العصر الجاهلي الى يومه هذا . .

من الارتسامات اللطاف أن يصلنا هذا الموضوع الذي كتبه للمنهل خاصة أديبنا الكبير الاستاذ / عبد الله بن محمد بن خميس أحد الثلاثة الجليلين المبرزين الذين نالوا جائزة الدولة التقديرية للأدب لعام ١٤٠٣هـ .. ومن فضل مشكلات تبويب هذا العدد كان نريد أن نفرد لهذه المادة موضعاً انفا بدلاً من ورودها في باب أدبيات .. ولكن هذا الموضوع وتلقائيته موفقة غير مسبوقة قد تصدر مكانه لونه بعيده ومراميه هي على خصيصة شعرية شعبية لابد ويفرض الواقع وعطاء السليقة أن تقف وتنصف . (المنهل)

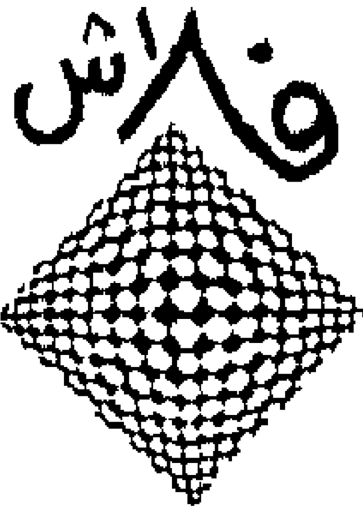
ان العربي في عصره الجاهلي لم يدرس نحوا ولا صرفا ولا رسما ولا بلاغة ولا إنشاءاً ومع ذلك فقد جاء بالمعلقات والمذهبات والمجمهرات والمنتقيات والمراثى والمشوبات والملحمات . . وغيرها وغيرها . . وما ذلك الا بفطرته وصفاء طبعه وتمكن ملكته فانجرت هذه الملكة مع العربي الى يومه هذا .

ومن سوء الطالع اننا في هذا الزمن انكرنا هذه السليقة وتعاونا على اخمادها واطفاء جذوتها وما ذلك الا نظرة قاصرة وتفكير معتم وعمل لانكار السليقة العربية المثلى .

وسأورد الآن شعرا شعبيا يعتبر سليقيا لم تمسه الصنعة ولم يستعمل فيه التقليد . . يقول بركات الشريف :

فلا تعذلاني عن وقوفي بربعها
فمن قبلكم خالفت بالنصح عذالي
انا من ذوي عبد الحميد بن مدرك
ذوي الضرب في الهامات والنسب العالي
اروم الامور العاليات بهمة
ويمنعني خذلان قومي واقلال
وجزت فجاج الارض شرقا ومغربا
على كل عيض تقطع البيد مرقال
وليس يلام المرء بعد اجتهاده
ولا يدفع المقدور حيلات محتال
الى ان قال:
عزيز الحجا بدر الدجا ركن من لجى
اليه صدوق الواو والعين والدال
فتى لا يرى الاموال الا ودائعا
لديه سوى سيف ورمح وسربال
وعدة بولاد ولدن من القنا
وصفرا علندات من الخيل مصهال
ولمحسن الهزاني:
ومن لا يرد الغيظ بالحلم زينت
له النفس حالات خبيث ورودها
حوى من جليلات المعاني سهامها
وخلى المعايا للرزايا تعودها
فلا حملت جرد السبايا متوجا
ولاحظنت بيض النسا في مهودها
بأوفى جميل من معاني جميله
وازكى يمينا بالملا في وعودها
ولابي حمزة العامري:
تأبى عن الطمع الزهيد نفوسنا
وفروجنا تأبى عن الفحشاء
وشهرت رأس الرمح ثم ركزته
في المهرة المقذولة الشقراء

فن الشعر الشعبي
بقلم الاستاذ الرائد
عبدالله بن محمد بن خميس



ولراشد الخلاوى:

مقام الفتى فى منصب العز ساعة
ولا ألف عام يصحب الذل صاحبه
فلا بالتمنى تبلغ النفس حظها
ولا بالتأنى فاز بالصيد طالبه

ولماجد القبانى:

نذيب على الدنيا شقا لو نذيبه
على الذين ما مس النفوس عذاب

هكذا عشرات الشواهد بل مئات.. كلها على هذا النمط.. لا يمكن ان نجد لها تفسيراً أو تعليلا غير انها السليقة والفطرة والى جانب ذلك فهذا الشعر خزانة لعاداتنا وتقاليدنا وتاريخنا وايامنا.. ونبع ثر للأعلام والمصطلحات الأثيرة فى اللغة الى جانب ما يحويه من روائع الحكم وشواهد الامثال والغزل الرقيق والوصف الجميل والصور المتأنقة والفخر والحماسة وكل ذلك جاء على بحور الشعر الفصيح الستة عشر.

فهل لنا ان نحيى ما اندثر منه وندرس ما صرف عنه الجهال ونقف منه موقف المنصف العارف الذى يجد فيه كل المعانى والصور والاخيله والجمال والكمال.. ارجو ذلك.

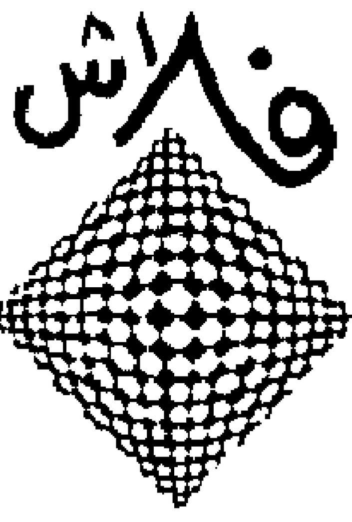
الفنون الشعبية عطاء ثر لا ينضب، وهى بمختلف صورها وألوانها من رقصات وشعر شعبى وغناء وألعاب

تشكل اصالة القديم وتبلور مدلولاته العميقة المتصلة بالشجاعة والكرم والفروسية وغيرها وتتمتع كل منطقة من مناطق المملكة بفنونها الشعبية التى تنفرد بها كلون من ألوان فرحتها وتمثيلها

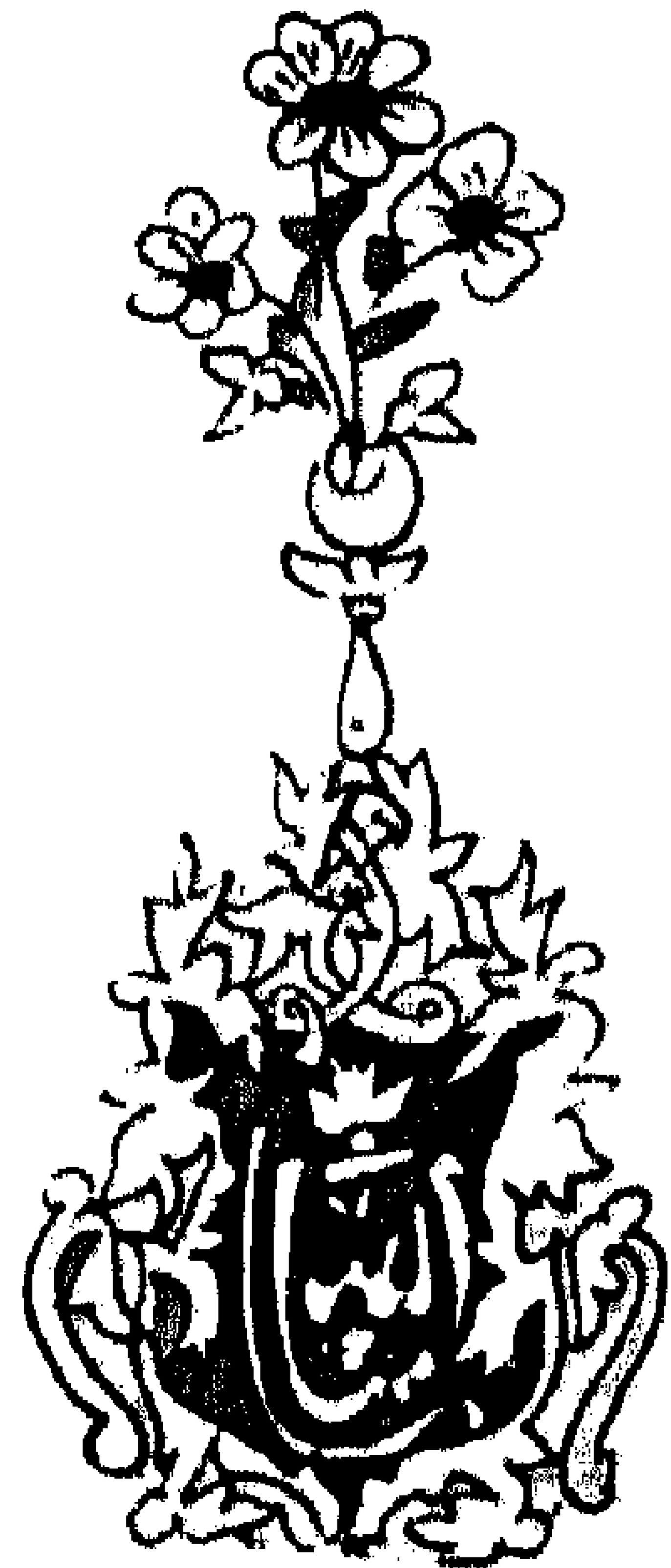
شعبيـــــات

الخيل والليل والبيداء تعرفنى
والسيف والرمح والقرطاس والقلم

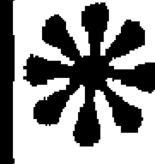
كأنا به وهو احد طلائع فتيتنا النابهين «عبد العزيز بن فهد آل سعود» يخاطبنا فى بنـوة حميدة ان نستصرخ جيله . . الفتية الـــذين آمنـوا بربهم ان يتنكبـوا السيف والدرع والرمح . . مع ما عندهم من علم ومعرفة وأن يتعاطفوا مع شاعرهم المتنبى فى قولته المشهورة تلك . . وأن يخصصوا جزءاً من وقتهم وفـراغهم لأطـروحات شعبياتهم المتمثلة فى وجدانهم والخالدة فى تاريخهم الاسلامى العظيم .







الثقافة أصالة

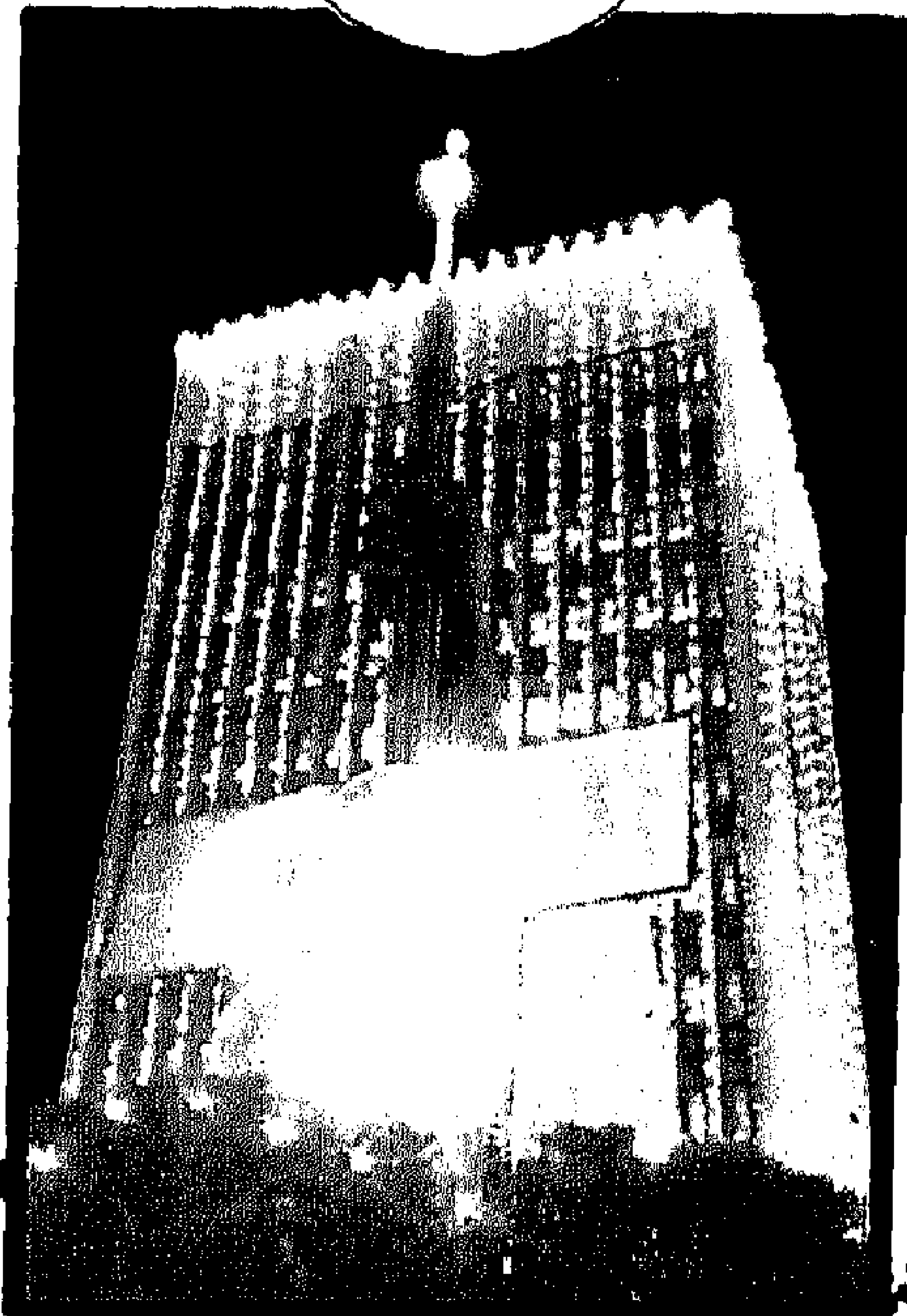


★ بالعلم تبنى الأمم وترتفع راياتها، وأمة تجهل قدر العلم عليها العفاء، وكما يحدد العلم هوية الافراد وتصرفهم تجاه الحياة فانه لاريب يعطى الشعب والأمة جواز المرور الى البقاء، وينحت شخصيتها فى قلوب وعقول الشعوب والامم الأخرى التى لا سبيل للتعامل معها الا بابراز هذه الهوية التى تكسبها المهابة وتنزلها مكانها اللائق بها.

وصرح الحضارة لا يشيد على فراغ وإلّا هوى الى قاع سحيق، وكما تهتم الدول برصيدها المالى والاقتصادى فقمين بها أن تسبق ذلك بكشف حسابها العلمى والثقافى والفكرى، وإذا كانت الفرصة متاحة للسبق سالمادى والعمرانى فلا أقل من التلاحق بين المقومين والتوءمين المادى والمعنوى، الاقتصادى والعقلى والعلاقة بين كل ذلك علاقة تلازم وتعاون وتوافق تستلزمه طبيعة المرحلة وتحتمه الغاية المرجوة.



الرئاسة العامة لرعاية الشباب



★ ولا أدل على ذلك من ما تشهده مملكتنا الفتية فى ساحات العلم والفكر والأدب تهدر قنواتها بدفق العقول وعطاء الفحول لتأتى جميعها مشكّلة دوائر حضارية متداخلة تتسع حلقاتها باتساع دائرتها الأم، وتتعانق كلها حول خط المرتكز القائم على ثوابت معرفية حيث ينبثق الاشعاع فى الارجاء وضاءاً بوهج العقول القادحة زناد الفكر والقائمة على مشارف المعرفة تتفيًّا ظلال واديها.

★ وبواكير ما نحن فيه وعنه قديمة وتليدة قامت ركائزها هناك فى قلب التاريخ وعمق القرون، والوصل مشهود والحبل ممدود بين ديننا ودنيانا.. ماضينا وحاضرنا.. تالدنا وجديدنا.. سالفنا وآتينا.. أمسنا ويومنا. فى كل ذلك نمسك أعنة الأمس ونستشرف واقع الغد. وعلى هذه النظرة الشاملة البعيدة العميقة ـ غير المسطحة أو القصيرة ـ قامت أركان

وتطور وعطاء

الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

مملكتنا فى جوانبها كلها .

★ وما دمنا نتحدث فى مجال البناء العلمى والثقافى للدولة فإننا ـ إذن ـ فى مجال تسجيل الواقع الحضارى لهذه المملكة الذى تخطوه فى ثبات ويقظة وحنكة تتحرك فى ثقة ودراية بين الأصالة والمعاصرة . . بين التراث والحداثة . . بين الماضى والحاضر والمستقبل المأمول .

★ واذا ما قصرنا الحديث عن هذه الادوار فإننا لا محالة سنلمس الواقع ونقف على اعتاب الغاية المنشودة من كل ذلك التحرك الواعى المدرك لأهدافه وغاياته .

★ وعلى سبيل المثال لا الحصر كانت هناك جائزة الدولة التقديرية للأدب حيث يؤكد سمو الأمير فيصل بن فهد الرئيس العام لرعاية الشباب على ضرورة الاستفادة من معطيات الفكر العالمى مع جذورنا التراثية العريقة الراسخة فى الروح والنفس . . والوجدان والعقل .

وهذه الجائزة تُعدُّ تحقيقاً للذات وتشجيعاً لمواصلة المسير فى مجال البحث والتنقيب عن أصالة هذه الامة واظهارها لتحتل الصدارة فى ضمير الفرد والجماعة ولتكن حادية الركب . . ومن مرتكزاتها اهتمام الدولة بالأدب والادباء وتكريم الرواد فى مجال الفكر والثقافة والحفاظ على التراث الأدبى واللغوى وتنميته . . وهذا من امهات الاوليات .

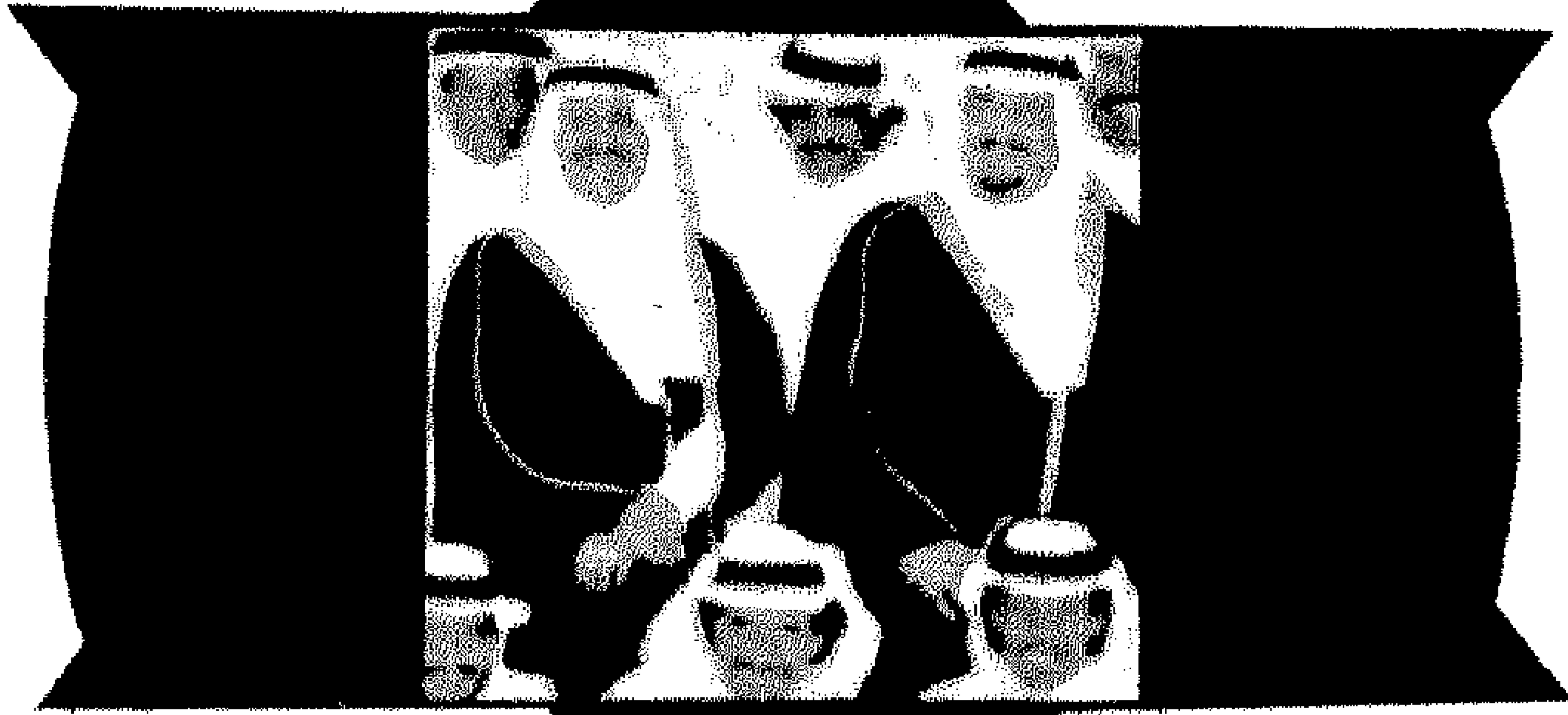
★ ومن الطبيعى أن تظهر على السطح فكرة انشاء مجمع للغة العربية وتتعلق عليه آمال عريضة .

ومن منطلقات مسؤولياته المتعددة ونشاط القائمين على أمر الثقافة والأدب نلمس الجهد المتواصل فى هذا المجال الخصب، فهناك الجوائز التشجيعية للشباب وتأسيس الجمعية السعودية للثقافة والفنون التى تهتم بالفن والفنون والثقافة معاً



رعاية الوالد القائد تتعدى الحدود والسدود وتمتد للحاضر في لقائه الإلتفاتة الموفقة والتي توجهت للفريق السعودي الذي تأهل للأدوار النهائية في لوس أنجلوس.. وقد أوصاهم جلالته حفظه الله بتقوى الله عز وجل وحسن تمثيل المملكة على المستوى الشخصي والرياضي.. وتوج الفريق لهذا التوجيه بثمرة مباركة ونتيجة مشهودة

جلالة الملك المفدى في لقاءٍ مع فريقنا القومي



وترعى الانطلاقات الفنية المتعددة التي تبرز دور هذا النفر وتشد أزره ومواهبه الشابة وترعاها حتى تخرج بالفن السعودى من الاقليمية والمحليه الى العالمية عن طريق المعارض والندوات واللقاءات المشتركة هنا وهناك.. وفى ذلك اتساع فى البعد وتمازج بين الثقافات. والجمعيه تعد لاصدار موسوعات عن الالفاظ والنباتات والالحان الشعبية الى جانب مشروع كتاب عن الرسم الاسلامى والتعبيرى .

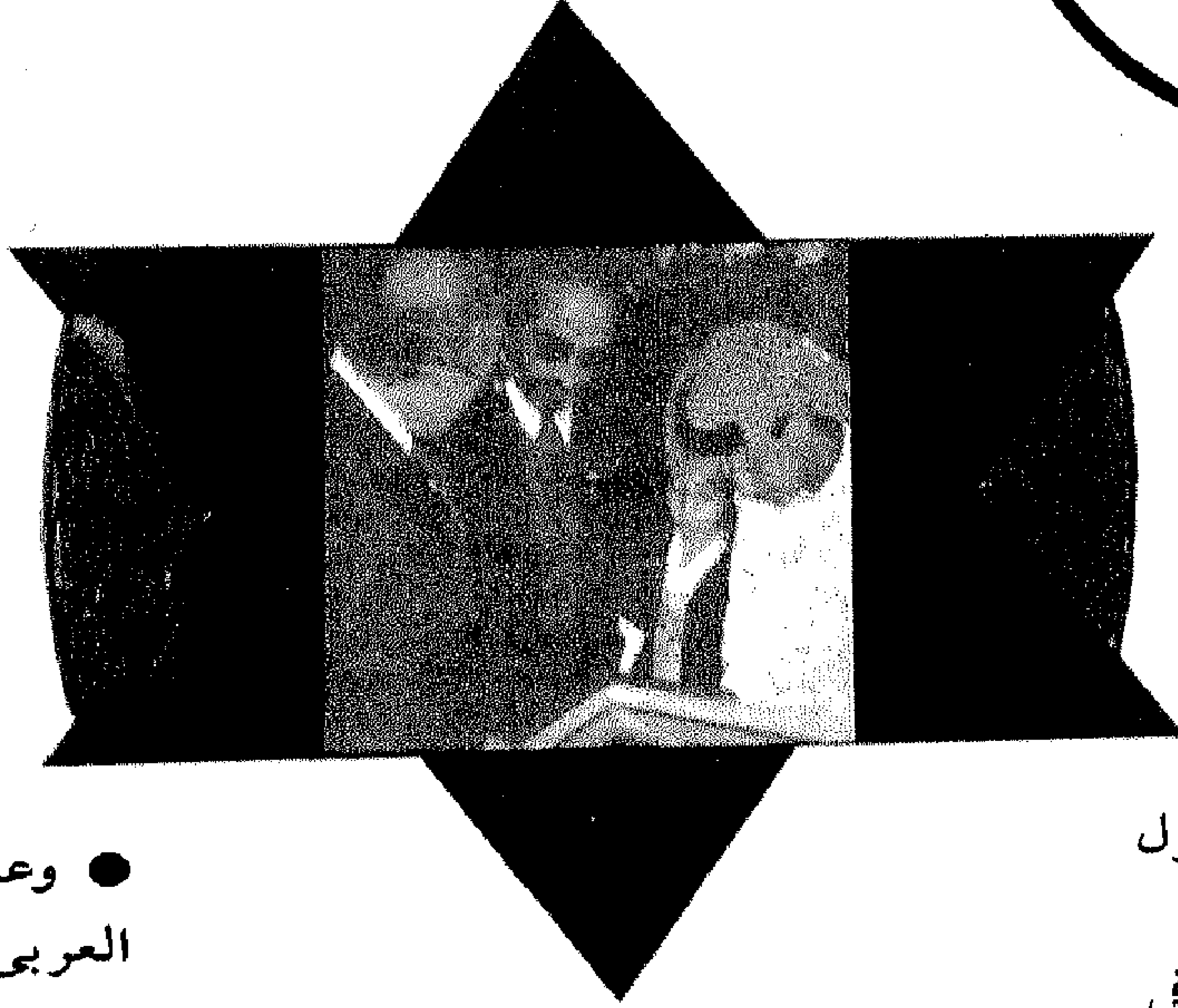


وتحت رعاية سمو امير الشباب (الامير فيصل بن فهد، وتوجيهاته وجهد المخلصين تسعى الجمعية الى تحقيق بعض المخطوطات العربية ومن أنشطتها الاسابيع الثقافية التي تقام داخل البلاد وخارجها والمهرجانات والاصدارات ومعارض الكتب والعروض المسرحية والفنية والموسيقية .

● ويتتابع هذا العطاء العلمي والثقافى كمقوم أساسى لكيان الفرد والمجتمع.. فتنشأ العربى وإجراء البحوث

الأسبوع الثقافي السعودي الجزائري أصداؤه وفعاليته ومعطياته تقفزت على سطح الأحداث الأدبية والثقافية والفنية .. هذا الأسبوع الذي شهدته الجزائر الشقيقة أثرى بالفعل وشائج المحبة واللقاء والتآخي وانتقلت السعودية بفكرها وأدبها وفنها الى المغرب العربي الإسلامي رافعة رايات الفخر والاعتزاز .

وزير الثقافة والسياحة الجزائري عبدالمجيد مزيان يشاهد بعض آثار الفاو



الدراسات حول
ختلف جوانبه .
لاندية الادبية وتنتشر فى
طاء ثر وصلة فريدة
ؤدى رسالتها ودورها
لفاعل فى الحركة
لفكرية والادبية
الثقافية معاً .

● ومن كل ذلك ومن
خلاله ينبثق مهرجان
لشباب العربى
لسادس ومهرجان
الشباب السعودى فى
الجزائر وكل المهرجانات
التى شهدت زخم هذا
التحرك وتفاعل هذه
الحركة . وتتبنى الرئاسة
العامة لرعاية الشباب
مشروع المركز العربى
لإحياء التراث الفنى
على مستوى الوطن

● وعلى مستوى العالم العربى والاسلامى يأتى ترشيح سمو الامير فيصل بن فهد لرئاسة اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الاسلامى التى انبثقت فكرتها من المؤتمر الاسلامى .

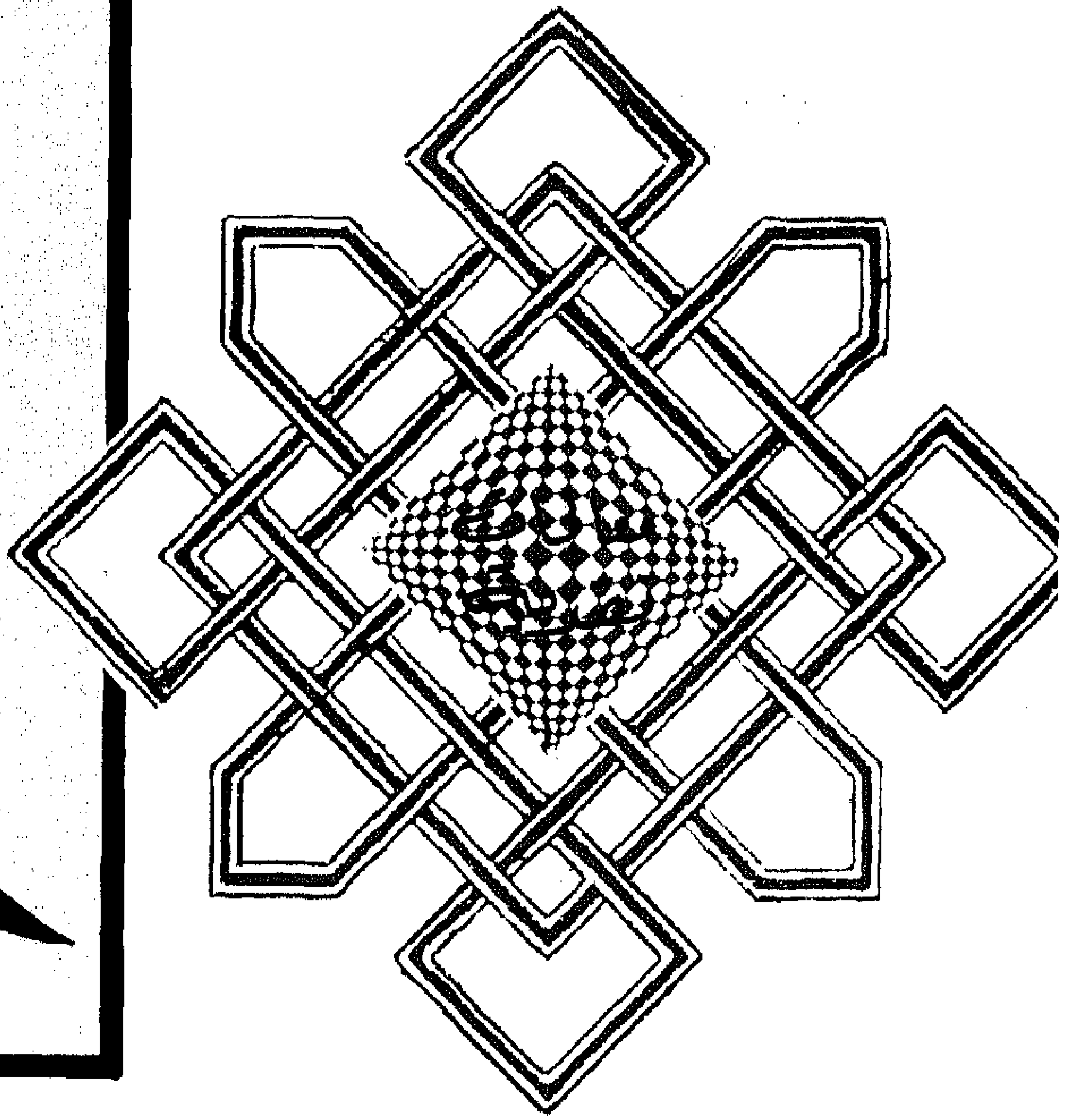
★ هذا قليل من كثير من عطاء ثر، وتتابع متواصل وتوجيهات ترقى الى مستوى المسؤولية تصدر عن صاحبها ومرجعها تركز وتقوم وتدفع ، يؤازرها جهد العلماء والمثقفين والحادبين على أمر الثقافة فى هذه المملكة .

سدد الله الخطى وبلغ المقاصد والغايات



النقد

بقلم الأستاذ
عبد المنعم قنديل
الناقد الأدبي بجريدة الأخبار القاهرية





المُسَلَّمَات أنّ أيّ عمل فنى اذا أراد ناقد أو مشتغل بالنقد أن يتصدى له بالدراسة والفحص والتحليل، بغية تقويمه فان على هذا الناقد أن يأخذ أهبته العلمية قبل الدخول فى هذا المعترك.. لأن وظيفة الناقد تتطلب منه أن يكون كالقاضى الجالس على منصة القضاء لا ينبغى له أن يصدر حكماً الّا بعد أن تتوافر بين يديه كل أسبابه وحيثياته.. وأن يتجرد عن الهوى.. ويتنزه عن الغرض.. ويرتفع بضميره فوق الشبهات.. أما إذا لم تتوافر للناقد الفنى كل المقومات العلمية والذوقية التى تجعله أهلاً للحكم على عمل فنى ما بالاضافة الى ضمير يقظ يهمس له بالحق دائماً.. فان هذا الناقد يصبح نقده هشا مهزوزا وآراؤه كالنباتات الطفيلية الجديرة بالاستئصال.



الناقد الفنى إذنْ أن يضع الموازين القسط للعمل الفنى فلا يدخل عملا فى قفص الاتهام لحاجة فى نفسه ولا يرفع عملاً الى قنن السحاب زيفا وبهتانا.. بل واجبه أن يدرس العمل الفنى من مختلف أبعاده وشتى مناحيه.. فاذا آنس فى نفسه القدرة على تقويمه والوصول الى كنهه ولبابه وجوهره.. واستطلاع التجارب النفسية والشعورية فيه.. وادراك الصور الفنية والابداعية التى يتحلى بها فان عليه أن يقدم المحاسن والمساوىء مدعومة بالدليل مؤيدة بالبرهان مركوزة على الحجة.. وبهذا ينبه صاحب العمل الفنى إلى الثغرات فى عمله حتى يتوقاها فى عمل جديد وينبه غيره من الفنانين فيتحاشون الوقوع فى مثل هذه الثغرات.. وتكون المحصلة النهائية لنقده: إصلاح الخلل وعلاج الخطل وتقويم لعلاج..

الفنى



النقد، تحليل وفحص واستظهار بنائى يوجه ويقوّم، فهو عين ترقُب وأذن تُرهف وذكاء يُقدح .. وكل ذلك يأتى على علم وبصيرة ودراية .. وإذا فقدت الحياة من يوجه ويرشد السبيل فقدت معناها لأننا لا ننكر المنعرجات والانفلات عند المنحدر ..
وإذن فلابد من النور الكاشف على المسرح والرأى البانى فى معطيات الكلمة وغيرها



أن نلتقى بقافلة النقاد على طريق الفن .. يجدر بنا أن نقدم تعريفا لكلمة «فن» وكلمة «فنان» .. فقد تطور مفهوما الكلمتين فى العصر الحديث .. حتى أصبح مفهوم الفن هو كل عمل خلاق أنتجه الذهن البديع .. واشترك فيه الحس المرهف .. وتدفقت موجاته الشعورية من النفس .. وصدرت إيقاعاته الملهمة من الوجدان .. واتخذ الصور والأشكال الخلابة الجذابة التى تملأ القلب أنساً .. والنفس حبورا .. والجوانح بهجة .. أو تثير العواطف المؤسية المشجية والدموع الباكية الحزينة والآهات الموجعة .. والأنات الحيرى .. والذكريات المأساوية .. أما كلمة «فنان» فقد وردت فى المعاجم والقواميس على أنها صفة «الحمار الوحشى» باعتباره يفتن فى مشيته .. على الطريق .. ثم أطلقت على الفنان، بحسبانه يفتن فى تفكيره وخواطره وتصويره الفكرى للأشياء .. وقد حاول بعض اللغويين أن يطلقوا على الفنان كلمة «مفن» باعتبارها لغة سليمة وتؤدى المعنى المنشود .. ولكنهم وجدوها ثقيلة على السمع .. فلم يجدوا غضاضة فى أن تطلق كلمة فنان على كل من يقرض الشعر أو يعزف على آلة موسيقية أو يشتغل بالتمثيل أو الغناء أو يعمل فى مجال النحت أو يكون ذا موهبة خاصة فى فن من الفنون ..

منهل الفنان

والحياة هى المنهل العذب للفنان .. منها يرتشف السلسبيل المصفى لإبداعه وايقاعه .. ويتذوق السائغ الحلو لإلهاماته وآياته .. ولذلك لا يكون الناقد الفنى بصيراً الا اذا كان يتذوق الحياة تذوق الفنان لها سواء بسواء .. لماذا؟ لأن الدرة اليتيمة لا يعرفها الا الجوهرى .. ومن ثم فإن على الناقد أن يكون على علم ودراية بما ينقد .. وعلى بصر

وبصيرة بها ينظر فيه ويحاول التنقيب عن أسراره وأغواره.. ولعل هذه الحقيقة يجهلها بعض النقاد ويتجاهلها البعض، فالطائفة الأولى أدعياء.. والطائفة الثانية خبثاء.. وكلتا الطائفتين أضرتا بالنقد الفنى.. فالجهلاء يهرفون بما لا يعرفون.. والمتجاهلون يحيدون عن الحق وينحرفون عن الصواب ويتناؤون عن الجادة.. وماذا كانت النتيجة؟.. كانت شيئا مؤسفا غاية الأسف.. محزنا أبلغ الحزن.. لأن الفن ضاع بين أدعياء لا علم لهم بأصالته.. وبين خبثاء اتخذوا من النقد مهنة وراحوا يرفعون أقواما ويخفضون آخرين لعلة فى صدورهم.. وهوى جامح فى نفوسهم.



أعانهم على نشر هذا الزيف وذيوع هذا البهتان أن كثيراً من الصحف والمجلات أفسحت لآرائهم صدورها.. فوجدوا المناخ مهيأ لبث سطحيتهم وعبثهم.. ومن هنا اهتزت موازين النقد الفنى.. ولكن الله عز وجل لم يشأ لهذه السطحية وهذا العبث أن يسيطرا سيطرة كاملة.. أو يهيمنا هيمنة تامة على ميدان النقد.. فقد قيض لحقل الفن عددا من المجلات الملتزمة ظلت ثابتة على موقفها من النقد البناء، لا تتلحلح عنه قيد شعرة.. ونحن نعذر شبابنا المثقف اذا نظر فى حياتنا الفنية.. فألفى نقدا لا ينهض على أساس علمى مدروس.. واشتم فيه رائحة التحيز أو التجنى، ووجد نفسه مدفوعاً إلى رفض هذا النقد.. ولكنه فى الوقت نفسه لم يجد تقويما للأعمال الفنية التى يشاهدها ويسمعها..، ولم يجد مخرجاً من أزمة الضمير التى تحاصر كثيرا من النقاد الفنيين..

ثناء كاذب

فهؤلاء النقاد - بدافع كمين فى نفوسهم - يحيطون كبار الشعراء والروائيين والمسرحيين والرسامين والنحاتين بهالة من الثناء والإطراء.. وقد تكون الأعمال الفنية لهؤلاء دون المستوى المطلوب.. فكم قرأنا قصائد هابطة لشعراء كبار، وشهدنا مسرحيات مرذولة لمن يحتلون الصفوف الأولى فى عالم المسرح.. وهكذا فى باقى الفنون.. ولكن جوقة النقاد تأبى الا أن تصوغ لهؤلاء «الكبار» أناشيد العبقرية.. وأغاريد اللماحية.. مما جعل سوق الفن يحفل بالمعدن الزائف ويختفى منه المعدن الأصيل..

والشواهد على ذلك كثيرة ومتعددة.. فقد رأينا أديباً كبيرا مثل الدكتور طه حسين يقول فى شبابه نقداً ثم يعود فى شيخوخته ويرجع عن آراء الشباب.. ورأينا كذلك أدباء آخرين لهم ذات الموقف.. فلا عجب إذا وقفنا مشدوهين حائرين مما نقرأه فى وقت، ونقرأ نقيضه فى وقت آخر.. لنفس الكاتب أيها نصدق؟ وأيها نأخذ به؟ وأيها هو الصحيح..؟



الفنى اذا لم يكن صاحبه على علم ومعرفة وصاحب ملكات ذواقه فانه يخطىء سواء السبيل حتى وان كان سليم الطوية..

ففى مجال الشعر مثلاً توجد الآن قيم جمالية يعنى بها الناقد الفنى ولم تطف بأخلاد السابقين، مثل ابن سلام الجمحى وابن قتيبة وغيرهما.. فقد كانوا يركزون فى نقدهم على العلاقة بين المعنى واللفظ، وبين العبارة والعبارة، وبين البيت والبيت.

الموسيقى والتصوير

وبمناسبة الحديث عن الشعر.. هناك فنان يلتقيان معه ويمتزجان به ويداخلانه فى المضمون ويسفران عنه فى القيمة الجمالية.. هما: الموسيقى والتصوير.. فالشعر أساسا هو كلمات الأغرودة، والأغاريد لا تجد لها عذوبة الا على أنغام الموسيقى

الشجية.. كما أن الشعر يصور الأحاسيس الباطنة.. في النفس والمشاهد المرئية في الكون.. ولكي يكون شعراً مكتملاً فلابد من أن يجمع بين الموسيقى والصورة.. بين ما تختلج به الجوانح وما يبهر الأعين.. بين ما تتشاجى به المشاعر وما يخلب الأبصار. ولهذا فإن النقاد إذا وجدوا انتصافاً بين الشعر والشعور وبين الصورة والاحساس.. وبين النفس ومرائى الطبيعة.. يحكمون عليه بأنه شعر مسلوب الحياة فاقد النبض.. شائه الملامح.

ولعل أشد ضروب النقد الفني في هذا المجال ما وجه لشاعرين كبيرين أولهما المتنبي.. والثاني شوقي.. فقد أجمع النقاد على أن شعر الصياغة ارتفع عند كل منهما الى القمة.. في حين أنه هبط إلى الحضيض إذا قيس بمقياس الشعور. والنقد هنا ينصب على الشعور لا على الشعر.. على الاحساس لا على البيان.. ولو أننا أمسكنا بمشعل النقد الفني وسلطنا أضواءه على حقل الشعر لنتبين من صاغوا انفعالاتهم ومشاعرهم وبلوروا أحاسيسهم وخوالجهم في شعرهم لخرجنا بكم هائل من الشعر الصادق، وخرجنا في الوقت نفسه بكم كبير من الشعر الممتاز المجرد من الصدق..

وجهتان للنقد

فالنقد اذن يتجه وجهتين: أي الشعراء صادق وأيهم مزيف؟.. ومن منهم استطاع أن يقدم صورة واضحة الملامح والسمات؟.. ومن منهم عجز عن تقديم هذه الصورة أو قدمها باهتة شاحبة؟.. وهنا يكون النقد قد خرج إلى لون آخر، هو انطماس معالم الصورة.. فالعمل الفني الذي يخلو من وسامة التصوير وقسامة الجمال التعبيري يتهاوى في ظل المتاحف ويرقد في ظلال النسيان..

وبما أن الموسيقى عنصر أساسي في الشعر.. فان النقد قديما وحديثا ركز على حسن اختيار الألفاظ.. وقد وصف النقاد القدامى اللفظ بأنه شريف وبأنه حوشي، وبأنه يناسب أو لا يناسب المعنى..



النقد الفني المعاصر فانه يعتمد على وحدة القصيد وعلى التركيب العضوي لها.. وهذا بالطبع يختلف عما درج عليه الأوائل من النقاد.. وأول من نادى بهذا عباس محمود العقاد.. وقد خرج بهذا المفهوم الذي لم يتحقق على الوجه الأمثل حتى الآن لكبار شعرائنا.. فلو أتينا بقصيدة لشاعر معاصر مرموق.. وقسناها بهذا المقياس لما انطبق عليها القياس.. هذا فيما يتعلق بالقصيدة ووحدتها العضوية.. أما إذا خرجنا من رحاب القصيدة وأعتلينا خشبة المسرح فاننا في هذه الحالة لا نواجه الشعر فحسب وانما نواجه الشعر والتمثيل معا.. وهنا يكون النقد ذا وجهتين: الأولى.. هل كان الشعر طيعا سائغا يفهم لأول وهلة في الحوار.. مثل النثر.. دون تعثر أو بطء.. إذا كان كذلك فقد أدى غرضه.. وحقق نشيدته.. والوجهة الثانية هي التمثيل.. وهو فن جديد على الحياة العربية وان كان الحوار في الشعر العربي القديم من خصائصه الأصيلة.. فاذا أدى الممثلون أدوارهم أداءاً سليما، وأبرز ملامح هذا الأداء أن تكون لغتهم سليمة فلا يخطئون في النطق.. عندئذ ينتقل النقد إلى الموضوع.. فاذا كان موضوعا دينيا.. فلا بد أن يرتبط بعقيدتنا وديننا.. إذا كان موضوعا اجتماعيا فلابد أن ينبعث من أخلاقنا وآدابنا وتقاليدنا.. لأن الفن ليس خروجاً على الدين والأخلاق والتقاليد.. وانما هو مرآة تعكس صور حياتنا في إطار الدين والأخلاق والتقاليد..

التصوير والرسم والنحت

وما ينطبق على الشعر والمسرح.. ينطبق تماما على التصوير والرسم والنحت.. فالناقد الفنى لابد أن يلم إلماماً عميقا بمبادىء وأبجديات كل فن من هذه الفنون والا فكيف يعتمد على رؤيته الخاصة وذوقه الباطنى فى مسائل تتطلب المعرفة بأمور علمية.. فكل فن من هذه الفنون له عناصر يتألف منها ومقومات ينهض عليها وركائز يستند إليها وكل من المصور أو الرسام أو النحات عكف على فنه حتى تذوقه.. وعرف حناياه وأسراره.. فإذا جاء ناقد ووجه لمحوظة إلى صورة أو رسم.. أو نحت.. معتمدا على نظرته وتقديره.. فإن مثله كمثل من يصف الذهب بأنه نحاس.. لأن كليهما لونه أصفر..

تاريخ الفنون وتطورها

وكما يشترط فى الناقد الفنى أن يكون ملما بالمواصفات الفنية، يشترط فيه كذلك أن يكون محيطا بتاريخ الفنون وتطويرها وتحديثها.. حتى يتسنى له أن يعرف الفنان معزوا إلى أى مدرسة فنية ومنتسبا الى أى مذهب فنى.. وبهذا يمكنه أن يقيم نقده على ركائز تجمع بين الماضى والحاضر..



فاذا كانت الأوبرا يبدأ تاريخها فى عام ١٥٩٤م حيث قدم ريناتشينى أوبرا «دافنى» فى قصر كودسى بفرنسا ليبعث التراجيديا الإغريقية الكلاسيكية بعد أمد توارت فى زوايا النسيان فان الأوبريت ظهرت بعد ذلك كفن مبسط بعيد عن جدية الأوبرا ورزانتها وجفافها.. وكما أن الأوبرا تعتمد على الغناء وتقوم فيها الأغانى مقام الخطب الحزينة والمواقف المؤلمة.. فكذلك الأوبريت يجرى فيها الحوار على أنغام الموسيقى الشجية.. وكلا الفنين: الأوبرا والأوبريت.. مرا بألوان من التطوير حتى انتهيا إلى ما نراه ونسمعه اليوم..

فلو حاول ناقد أن ينقد احدى الأوبرات أو الأوبريتات دون أن يكون مستوعبا نشأتها وتاريخها وتطورها فانه يفصل بين الماضى والحاضر، وبين الخامة الأولى للبناء.. والبناء نفسه.. ولذلك فإننا نرى نقداً شائهاً لبعض الأعمال الفنية، لجهل أصحابه بنشأة وتطور الفنون.

الساحة الفنية الآن :

إن الساحة الفنية مزدحمة الآن بعديد من ضروب الفنون.. ولا ريب أن فيها الجيد والهابط والسمين والغث والأصيل والزائف. كما أن فيها فئات من النقاد بعضهم يحتلون مناصب قيادية فى الصحف والمجلات.. هؤلاء قد سدوا الطريق أمام الأكاديميين الدارسين المتخصصين.. وبعضهم أمسك بعصا المؤدب.. والآخر جلس على كرسى الأستاذية.. ثم راحوا يلقون بالنقد جزافا.. حتى اختلط الأمر على القارىء.. وهذه هى مأساة النقد الفنى التى نعانى منها الآن.. إنها تقوم على عنصرين: الأول أن الأدعياء شغلوا الساحة ونصبوا أنفسهم قادة ومعلمين وموجهين.. ومن ثم وجد الفن الهابط بيئة صالحة لانتشاره.. كالحشائش الضارة.. وأسفر هذا عن إفساد للذوق وظهور أعمال لاتمت بصلة إلى الفن الأصيل..

● *النقد الفنى إذن بحاجة إلى اعادة نظر حتى لا يكون ترويجا لسلعة رديئة.. وتشويها لبضاعة جيدة.. ولا يتأتى هذا إلا بأن نعطى القوس باريها.. ونحتكم إلى العلم والذوق والضمير فى كل كلمة نخطها وكل رأى نبديه..*

★★★★



الشكل والمضمون في المسرح

للناقد المسرحي الأستاذ عبد الرحمن شلش

إضاءة :

كان الشكل والمضمون فى العمل الفنى أيا كان نوعه محل اهتمام النقد القديم والنقد الحديث فالقضية مثارة باستمرار عند تحليل الأعمال الفنية . . والطرح الصائب للقضية الآن لا يكون بالمفهوم الخاطىء الذى كان يضع حاجزاً بين أجزاء العمل الفنى ، فيفصل الشكل عن المضمون . . ذلك انه كما لا يجوز - عملياً - الفصل بين الإبرة والخيط أثناء عملية الخياطة كذلك لا يجوز عزل الشكل عن المضمون فى العمل الفنى الا بطريقة نظرية متعسفة . . كما أن الطرح الموضوعى لهذه القضية لا يتحقق إلا بالنظرة الشمولية التى تعد العمل الفنى وحدة مترابطة الأجزاء ، متكاملة العناصر .



هنا . . لا انفصام بين الشكل والمضمون ، وليس صحيحاً ان هناك أسبقية للأول على الثانى حين نوعز بأن العمل الفنى ينقسم إلى قسمين ، إذ لا نستطيع أن نتصور المضمون مفصولا عن الشكل أو الشكل مفصولا عن المضمون لأن الاتحاد بينهما لا يمكن تجزئته ودراسة أى منهما لا تتم الا بدراسة الآخر ، فالعلاقة بينهما وثيقة وهى علاقة جدلية فأىعمل فنى مضمون ، كما انه شكل فى الوقت ذاته ، بمعنى أن كل عمل فنى يحمل فى داخله إمكانات شكله ، لأن الشكل موجود فى المضمون وكامن فيه وغير منفصل عنه . . وليس الشكل قالباً محدداً ثابتاً بصفة نهائية فى أى عمل فنى لأنه لا يأخذ

صورة واحدة، إذ تتغير صورته من عمل لآخر، فهو فى حالة حركة دائمة.



ضوء هذا التمهيد الذى نراه مدخلا إلى موضوعنا سنتناول قضية الشكل والمضمون فى المسرح بوصفها واحدة من القضايا التى تعرض لها النقد المسرحي قديماً وحديثاً. وسنركز على آراء لبعض النقاد الذين تعرضوا للقضية فى النقد الحديث.

طبيعة المسرح

يظل المضمون هو العنصر الحاسم فى أى عمل مسرحي دون أن نغفل أهمية الشكل، ويعنى هذا أن المضمون هو الأساس الذى يقوم عليه الشكل فى المسرح.



المسرح أن يتغير فيه الشكل باستمرار تبعاً لتغير المخرج وباقى المساهمين فى العرض المسرحى، فالشكل المسرحي ليس متحرراً من قيود الفن لأنه ـ أى الشكل ـ مقيد بالمضمون وبالأحداث وبالشخصيات ومدى العلاقات بينها، وبالوحدات الثلاث: وحدة الحدث. ووحدة المكان ووحدة الزمان.

شقان للشكل المسرحي

وللشكل المسرحى فى نظر جون جاسنر كما يقول فى كتابه (الشكل والمضمون فى المسرح الحديث) شقان:

الأول ما يتصل بالأدب المسرحى.

والثانى هو ما ينصب على فنون المسرح الخاصة بالتمثيل والموسيقى وإعداد الديكور والإضاءة وتصميم الملابس والرقصات أما المضمون فهو فى نظره: المدركات الفنية والمقومات الفكرية للمسرح الحديث، ويندرج فى عداده كل ما يمكننا أن نستخلصه من وراء البناء الدرامى من أغراض وأهداف..

والمضمون ـ فى رأى جاسنر ـ أهم وأعمق من الاتجاه السائد الخاص باختيار موضوع معين يصلح للكتابة المسرحية إذ يرتبط ارتباطا وثيقا بفلسفة الكاتب وآرائه، وهذه الاتجاهات الخاصة بالمضمون هى التى تبرز معالم الشكل الخاص بالمادة المسرحية وكيفية تقديمها فى عرض مسرحى.

- يعتمد هذا الفن على لغة التعبير الجسدى، والممثل يكون أقرب للجمهور لأنه يستعرض مشاكلهم وقضاياهم بطريقه مبسطة مجسدة ومفهومة.
- يعتمد الممثل على الاشارة والتلميح والرمز، معظم المبدعين فى هذا الفن من الرسامين والنحاتين والموسيقيين والراقصين..
- وهذا الفن نوع من ردّ الفعل إزاء تصدع الحياة الاجتماعية فى الغرب.
- تجديد فى الأداء والموضوع، يعالج هموم الناس اليومية فى المجتمع الغربى، يُعدُّ نوعاً من مسرح الشارع ويقدم عروضه على أعين المارة من غير حجاب أو حاجز، يشد انتباه المشاها بن ويجدون ذواتهم فيه.

ويركز رشاد رشدى على العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون قائلا فى كتابه (ما هو الأدب): ان الشكل لا يمكن أن يقوم منفصلا عن الموضوع لأن الشكل هو استخدام الخبر أو الموضوع لتحقيق غرض معين.

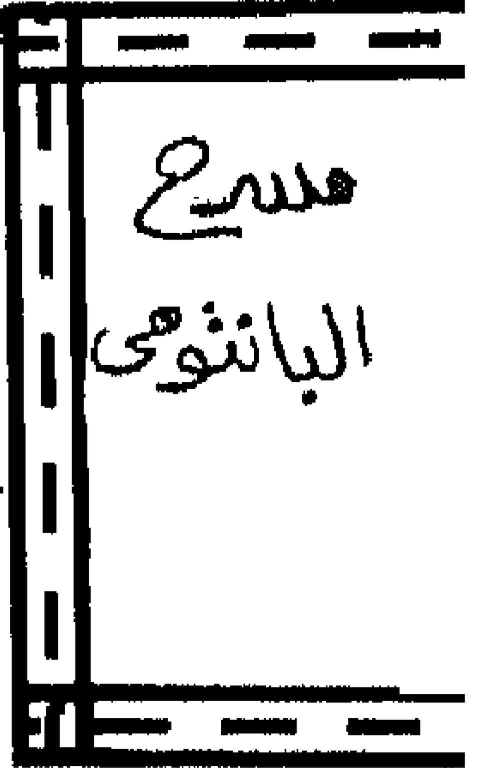
صلة حيوية جدًا:

ويؤكد هـ. د. ف. كيتوفى كتابه (الشكل والمعنى في الدراما) على الصلة الوثيقة بين الشكل والمضمون

بقوله: لقد انتهيت إلى أن أومن ايمانا راسخاً ـ وأرجو أن أظل متبعا إياه كمبدأ نقدي اتباعاً ثابتاً ـ بالرأى الذى يقول بأن الصلة بين الشكل والمضمون فى أى عمل فنى عظيم ـ سواء أكان مسرحية أم لوحة أم قطعة موسيقية أم قصة أم قصيدة ـ صلة حيوية جدا حتى ليمكن القول بأنهما متوحدان توحداً كلياً.

لا توجد مسرحيتان لهما شكل واحد

ويعلق هوبرت هفنر على ما سبق فى دراسته (**نحو تعريف جديد للشكل الدرامى**) قائلا: بناء على هذا المفهوم يعترف كيتو بتفرد الشكل، ومعنى ذلك أنه لا توجد مسرحيتان يمكن أن يكون لهما نفس الشكل بالضبط، ومن ثم يجب أن يكون لهما معنيان مختلفان.



ويرى هفنر كذلك: أنه لا توجد مسرحيتان لهما نفس الشكل تماما، فما دام الشكل هو نتيجة تنظيم الأجزاء وترتيبها أو العناصر فمن المستحيل أن يكون لمسرحيتين نفس الشكل بالضبط، فلو كان لهما نفس الشكل فانه يكون لهما نفس الأجزاء تماما ونفس التأليف، ومن ثم لن تكونا مسرحيتين منفصلتين مختلفتين ولكن مجرد نسختين من بعضهما..



(**هيبوليتوس**) ليوروبيديس ومسرحية (**فيدر**) لراسين تقومان على القصة ذاتها بل إنهما ترويان الكثير منها ولكنهما مختلفتان كلياً من ناحية الشكل ومن ثم فهما مختلفتان من ناحية التأثير. والقول ذاته يمكن تطبيقه على (**انطونيو وكليوباترا**) لشكسبير و(**الكل فى سبيل الحب**) لدرايدن. ونفس التناقض يطبق على (**انتيجونا**) لسوفوكليس والمسرحية ذاتها لأنوى، وأيضا على مسرحيات أخرى مشابهة.

● ويستطرد الناقد ذاته قائلا: إن دراسة الدراما كشكل تمثل تفسير الدراما كدراما وليس كشىء آخر، لأن أية مسرحية ـ حتى ولو كانت محدودة القيمة أو متوسطتها ـ لها هويتها الخاصة ومغزاها وشكلها وصياغتها.

ويخلص هفنر إلى القاعدة النقدية القائلة: إن الشكل والمضمون لا ينفصلان، وكما قال كيتو إذا ما تساءلنا عما تعنيه مسرحية (انتيجونا) فإن الاجابة الوحيدة الممكنه فى هذا المجال هى ان (انتيجونا) تعنى (انتيجونا).

تطابق الشكل والمضمون

ويقول هيجل فى كتابه (علم المنطق) حول تطابق الشكل والمضمون: ان الأعمال الفنية الحقيقية هى فقط تلك التى يبرهن شكلها ومضمونها على تطابق فيما بينهما.



هذا التطابق بين الشكل والمضمون فى العمل الفنى على أساس جدلى كما أشار إلى ذلك هيجل بقوله: العلاقة المطلقة بين المضمون والشكل تحول أحدهما إلى الآخر بحيث لا يكون المضمون إلا عبارة عن تحول الشكل إلى مضمون، ولا يكون الشكل إلا تحول المضمون إلى شكل.

أبعاد العلاقة الجدلية:

ويوضح بيتر زوندى فى كتابه (نظرية الدراما الحديثة) أبعاد هذه العلاقة الجدلية بين الشكل والمضمون بقوله: أعتبر الشكل من رواسب المضمون أو من انعكاساته، وفى الوقت ذاته يعبر المجاز عن طريق ثبات الشكل واستمراريته عن أصل فى المضمون، أو بالأحرى مقدرته على التعبير ـ الافادة ـ وبهذه الطريقة تتكون دلالة شكل حقيقية، وتبدو جدلية الشكل والمضمون عندئذ وكأنها جدلية بين الإفادة الشكلية والافادة المضمونية.

نحو رؤية نقدية موضوعية للعمل المسرحي

وهكذا تبدو وحدة الشكل والمضمون فى العمل المسرحى، وهى وحدة لا تتجزأ عندما يتناول النقد هذا العمل تناولا تحليليا موضوعيا إذ أن العمل الفنى لا ينفصل فيه الشكل عن المضنمون أو المضمون عن

الشكل.

وكل عمل مسرحى يحمل فى داخله مقومات الوحدة بين شكله ومضمونه، ويمكن من خلال دراسة هذا العمل أن نتعرف على مواطن القوة أو الضعف فيه.

ويؤكد النقد الحديث أهمية هذه الوحدة بين الشكل والمضمون فى العمل المسرحى شأنها فى أى عمل فنى آخر وإلا فان العمل الفنى يفقد أهم مقوماته.

لقد استوعب النقد الحديث المفهوم الصحيح لعلاقة الشكل والمضمون فى الدراما فلم يعد يفصل بينهما كما كان يحدث فى الماضى وان كنا نلاحظ أن بعضاً من الذين يتناولون العروض المسرحية لدينا الآن يفصلون بين شكل العمل الفنى ومضمونه وهذا مما يؤخذ عليهم، لأن النقد التحليلى الموضوعى لأى عمل فنى يتطلب دراسته باعتباره وحدة واحدة متكاملة شكلا ومضمونا.

وتمثل انارة العمل الفنى من داخله عبر الربط بين شكله ومضمونه السبيل إلى تقديم رؤية نقدية تتميز بعمقها وموضوعيتها إذ أن كلًا من الشكل والمضمون يؤثر فى الاخر ويتأثر به، بل ويتوحد معه.

ولا يمكن أن يكون موضوعياً حديث الناقد الذى يعزل فى العمل الفنى بين الشكل والمضمون فيشطر المسرحية إلى شطرين متناولا أحدهما مركزا عليه تاركاً الآخر.



نخلص إلى أن العمل الفنى ليس شكلا أجوفا فقط وليس مضمونا مجردا فقط، فالعمل الفنى الجيد هو الشكل الملتحم بمضمونه فى وحدة عضوية كعملية الابرة والخيط أو الزهرة واريجها لا يمكن الفصل بينهما حتى وان حاول النقد الاقتراب من أسس علم التشريح فى تحليل العمل وعزل عناصره بعضها عن بعض لإعطاء الحكم الموضوعى على كل عنصر.

المسرح العربى

للكاتب المسرحى الناقد
الأستاذ/ عزالدين المدنى



القضية الشائكة التى تشغل بالنا وتستولى على تفكيرنا ومُهَجنا، ونسعى الى ايجاد حلول لها ولو كانت جزئية ولو كانت تقريبية، لكن فى خط متصاعد دوما حتى نبلغ الظفر بالحل النهائى، هى قضية المسرح وقضية المسرح العربى بالخصوص.

لنقلب الأمر على وجوهه المتعددة...

لماذا المسرح ولا الشعر؟ بينما الشعر اذا نحن حددنا مكانته فى أدبنا القديم والحديث وجدناه يغطى خمسة عشر قرنا من زماننا العربى المعروف لذلك سمى بديوان العرب ـ على الاقل ـ فى الجاهلية والاسلام والدولتين وبعض من القرون الشهيرة بقرون الانحطاط والتدهور. هذا من جهة الأصالة والأصول. أما من ناحية الحداثة فالأمر غير الأمر كما هو معلوم.



المسرح ولا الرواية ولا القصة؟ والحال ان الفن القصصي عند العرب اليوم أخذ فى التجذر وسلوك طرق الابتكار والنباعة، بعد أن كانت للعرب

القدامى أعمال جليلة فأورثونا تراثا قصصيا وروائيا من أعظم ما عرفته وابدعته البشرية فى هذا الفن.

لماذا المسرح العربى بالذات ولا المسرح الاجنبى؟

أعنى المسرح الفرنسى، الانكليزى، السوفياتى، الايطالى، الالمانى، الامريكى.. له أربابه واتجاهاته ومذاهبه وأعلامه ورواده ونقاده ومؤيدوه ومعارضوه.. دنيا باكملها قائمة بذاتها لا تحتاج - فيما يبدو - الى المسرح العربى، لان المسرح الاجنبى هو اليوم فى مرحلة ابداع زخم وثراء معطاء تدفعه سلطة نرجسية ومركزية لا تعترف إلا بنفسها. واذا اتفق أن أخذ المسرح الاجنبى شيئا وحصل الأمر، واقتبس مثلا من آداب الهند وتصوفه وحكمته - كما فعل المسرحى البولونى غروتوفسكي - واستعار من آداب الصين وقصصه واساطيره - كما فعل المسرحى الالمانى برتولت بريشت - فذلك من باب اضافة الثراء الى الثراء وتعميق التجارب والاتيان بالابتكار والطرافة التى لم يسبق اليها سابق فى سبيل استهلاك أوسع وأشمل.

كأن المسرح فى الوطن العربى اليوم - من اقصاه الى اقصاه - يستقطب الاهتمام لدى الكتاب المبدعين والنقاد ومؤرخى الثقافة وعلماء اجتماعيتها والجماهير بمختلف اصنافها: المتعلمة وشبه المتعلمة والمثقفة.

لعل المسرح يريد بذلك ان يتبوأ الريادة بين شتى فنون القول والكلام والكتابة الادبية، بل إن طبيعته تفرض عليه ان يكون رائدا وتدفعه الى ان يطرح القضايا الجوهرية فى المجتمع الانسانى مهما كان العصر ومهما كانت الحضارة متطورة او منحطة. لانه فن يحث الجمهور على النقاش ويحفزه للتخيل ويشبعه بالشعور الجمالى ويلقنه ما لا يعرف.. ويحلل له من المواقف المتشعبة والاحاسيس الملتبسة والمعانى اللطيفة الدقيقة ما لم ينتبه اليه. ويعمق فى وجدانه وفكره ومهجته الوعى التاريخى.



يمتع ويؤنس بالموسيقى والازياء الجميلة والتمثيل واللغة البليغة. ذلك ان المسرح حفل. كما كانت للشعر العربى القديم حفلات فى سوق عكاظ، وبلاطات الخلفاء والملوك بالقيروان والقاهرة وفاس وبغداد ودمشق.. لكن للمسرح حفلا ذا طقوس دقيقة يجب اتباعها واحترامها، منها الحضور الجماعى والانصات الجيد واحترام الآخرين لآرائهم ومشاعرهم.. وهو حفل طقوسي يكتسي صيغة الفعل، اذ هو يختلف عن الحفل السينمائي حيث يكون الجمهور يتلقى الصورة بشكل سلبى.. والفعل الذى اعنيه هو ذلك الحضور الجسماني المشترك بين الجمهور والممثلين وهو ايضا ذلك المناخ الشعورى الذى يكونه معا من هم على الخشبة ومن هم على المقاعد فى قاعة المسرح، إذ الممثل لا يستطيع أن يؤدي أى دور أو أن يعبر عن أي شعور دون جمهور، وإذ الجمهور لا يستطيع أن يحضر حفلا مسرحيا دون ممثل أو ممثلين يتحركون على خشبة.. أضف الى ذلك كله أن الجمهور يلعب اللعبة كما يقول الأوروبيون.. فهو يصفق للممثل الذى فى دوره البطولى يفوز على الاعداء، ويهتف باسم الانسان المناضل الذى يمتشق سيف الانتصار، ويكره الظالم الجبار ويمقته. لكن فى حقيقة الأمر، لا وجود لمنتصر ولا لمنهزم، لا لمناضل ولا لخائن، بل كل ما فى الأمر يوجد ممثلون «يلعبون» أدوار الانتصار والهزيمة والنضال والخيانة فيعتقد الجمهور أن تلك الخشبة ومن عليها من الناس حقيقة لا غبار عليها. وأن ما يفعلونه أمامه واقع لا شبهة فيه، وأن ما يشعرون به وما يعبرون عنه وما يصيرون اليه إنما هو شيء محسوس ملموس صلب كالحديد أو كالفولاذ. بيد أن ذلك كله خيال فى خيال.

اليوم ريادة أم تأخر



لقد كذب الكثير من الصحافيين والمتنبئين فى العالم الغربى حين أعلنوا فى مطلع هذا القرن عند ظهور السينما عن زوال المسرح، كما كذبوا عند ظهور الفيديو، ولم ينتبهوا الى ان فن المسرح ليس مجعولا لتزجية أوقات الفراغ وتمضية فترات السآمة والكسل وقتل الوقت كما يقال.. بل هو فن شريف لأنه عمود الثقافة وأساسها، وهو جوهر الفكر وقطب المجتمع والمحك الأصلب لتجاربه التاريخية ولمصيره.



برهنت الدورة الأولى للأيام المسرحية لقرطاج التى انتظمت بتونس خلال الأسبوع الثانى من شهر نوفمبر أن المسرح فى الوطن العربى ما زال يستقطب الجماهير الواسعة العريضة، لأنه يطرح عليها أهم القضايا الاساسية لواقعها ومصيرها رغم ما اتسمت به مختلف العروض من مستوى فني متوسط جدا، لان تلك الجماهير الهاجمة على شبابيك التذاكر ما زالت ترى ان المسرح هو عمود الثقافة العربية اليوم واساس الفكر، وطرح للقضايا الجدية وحث على مناقشتها والشعور باهميتها.



المسرح العربى مازال الى حد اليوم يعيش ازمة.. وقبل تحليل هذه الازمة وتشخيصها لنترك القارىء يتذكر اهم احداث المسرح العربى، ويستعرض فى حافظته مراحله التأسيسية..

لنقل اولا وقبل كل شىء بأن نوع المسرح الذى نعرفه اليوم فى وطننا العربى ونمارسه على مختلف الخشبات، ليست له اية صلة بـ «بابات» محمد بن دانيال المسرحى العربى القديم اللهم الا فى مستوى العرض. نقول هذا لا تحطيما للمساعى الجادة اليوم فى سبيل ايجاد الأسس العربية القديمة والأصيلة للمسرح العربى الحديث، بل لنكون موضوعيين من جهة ومعاصرين لعصرنا من جهة ثانية.



كان المسرح العربى قد اعتمد فى ميلاده الحديث على ترجمة النصوص المسرحية الكلاسيكية الاوروبية عامة والفرنسية خاصة فانه قد عاش فترة طويلة على الاقتباس والتعريب، وهما ضرب من التعلم الذاتى بعد ان كانت المرحلة السابقة تتسم بالفضول والاستكشاف.. ذلك ان الترجمة فى دوافعها الاساسية فضول.

وتتواصل مرحلة التعلم الذاتى والتتلمذ الى حد اليوم سواء كان ذلك بعنوان الاقتباس والتعريب او بعنوان التأليف ايضا، اذ المحاولات المبكرة التى اضطلع بها بعض الكتاب العرب من الجيلين السابقين تنسج قوالبها على منوال القوالب الغربية، وكذلك الشأن بالنسبة الى



تحليل المواقف وتركيب الشخصيات، وحتى صفة كتابة الحوار من حيث الاطناب والايجاز.

لكن ما كاد بعض الكتاب المسرحيين العرب اليوم يدركون اهمية تناول القضايا العربية المصيرية بالخصوص برؤية عربية واضحة حتى اقبل الجمهور على مسرحياتهم اقبالا شديدا، وتعلقوا باعمالهم وجعلوها منارات عالية فى الابداع العربى الحديث.

واعنى بتعبير «رؤية عربية» مجموعة من المقولات المضمونية والجمالية المرتبطة ارتباطا عضويا متفاعلا.. اى ان يكون المضمون عربى الموضوع عربى الشخصيات عربى الاحداث عربى المواقف عربى المنزع عربى المصير.



كيف يكون التناول؟ هل نواصل النسج على منوال الاشكال المسرحية الاليزابيتية من نوع شكسبير، الاشكال المسرحية الكلاسيكية الفرنسية من نوع راسين وكورناى وموليار، الاشكال الكلاسيكية الاسبانية والايطالية من انواع غونغورا وغولدونى؟؟ هل نستمر فى اتباع موضة الاشكال العشرينية من انواع بيكات ويونسكو وبينتر؟؟

لقد طرحت هذا السؤال منذ اكثر من عشر سنوات خلال ندوات وملتقيات مسرحية عربية، كما طرحها معى زملاء عرب.

فكانت الاجابة على هذا السؤال المحرق والمحير بالممارسة المسرحية المتنوعة.. فهناك من اجاب وقال ان «الحكواتى» او «المداح» او «الراوى» يضفى على شكل المسرح الذى نريده عربيا كساءا عربيا.. وهناك من اجاب وقال ان «المقامات» و «الرحلات» و «السير» تقولب المسرح الذى نكتبه فى قالب عربى صميم أصيل.. وهناك من اجاب وقال بان للعرب ولا سيما للعرب القدامى صفة متميزة فى كتابة القصص والايام والاخبار والسير والتراجم (مثل الف ليلة وليلة، وروايات كتابى الاغانى والعقد الفريد، وكتب الإخباريين عامة) تختلف كل الاختلاف عن الصفة المتميزة التى كتب بها الاوروبيون وما زالوا يكتبون بها مسرحياتهم وقصصهم ورواياتهم.. وهناك من اجاب وقال: يجب استنباط الشكل المسرحى العربى الملائم الذى يخدم المضمون العربى الملائم والعكس بالعكس حتى نستقل عن الثقافة الغربية المهيمنة بمسرحياتها وافلامها ومسلسلاتها فى كل جزء من اجزاء الوطن العربى.



كثيرة ولعلها متشعبة جدا.. على أنها تطرح قضية من أخطر القضايا الأدبية اليوم فى الساحة العربية. وهى قضية الابداع المسرحى العربى التى سنحاول فى عدد قادم تفصيلها ونطرحها للمتخصصين للنقاش.. والنقاش الحر الملتزم المفيد.

لماذا؟

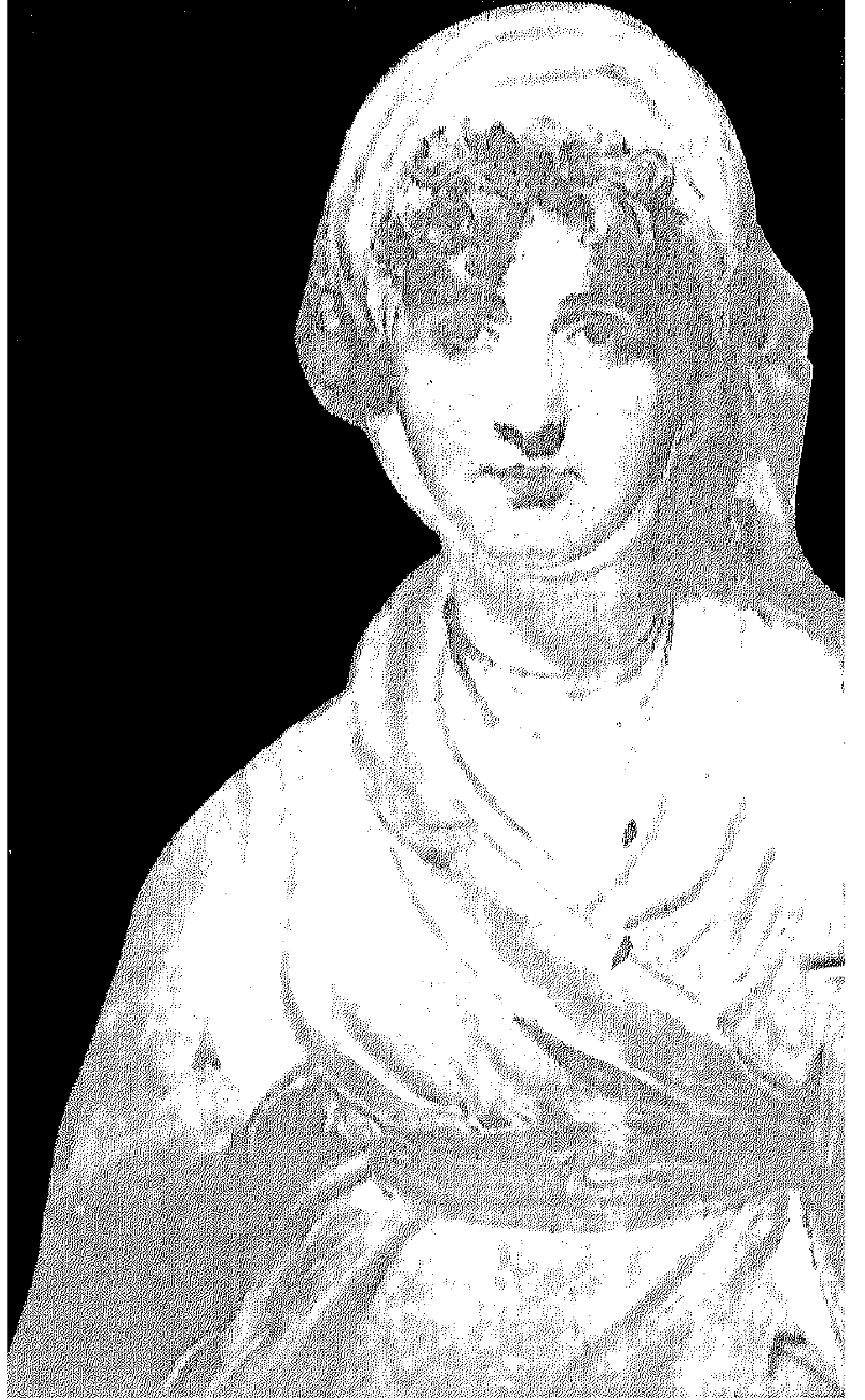
نمارس الفنون الجميلة

الفنون الجميلة كما نسميها الآن أو الآداب الرفيعة كما كان يسميها العرب هى: الموسيقى، والشعر، والنثر، والبناء، والرسم، والنحت، والرقص، والغناء، والتمثيل..

● وغاية هذه الفنون جميعها هو الجمال ولكن الجمال ليس شيئا موضوعيا له حقيقة أصلية فى الكائنات التى حولنا من حى وجماد وإنما هو ذاتى فى أذهاننا، فالعالم أو الكون نفسه ليس جميلا أو قبيحا وإنما الجمال والقبح اعتباران ذهنيان أى قائمان فى أذهاننا فقط..

● ويمكننا أن نوضح ذلك بالمقابلة بين صورة فوتوغرافية تؤخذ عن حقل أو حيوان أو إنسان وبين هذه الصورة نفسها يرسمها رسام ماهر من رجال الفن العبقريين.. فأما من حيث أمانة النقل وإتباع الأصل فالصورة الفوتوغرافية أمينة تطابق الأصل أكثر من الصورة التى يرسمها الرسام ولكننا مع ذلك نستحسن صورة الرسام ونقول إنها تفضل الصورة الفوتوغرافية.

● والسبب فى ذلك أن الجمال ذاتى وليس موضوعيا نعنى أنه فى ذهن الرسام وليس فى ذات الحقل أو



بقلم الدكتور
أحمد الحفناوي
أستاذ قسم التاريخ
جامعة الأزهر / دمنهور

الآراء الطلعية المتفرقة فى هذا الباب هنا وهناك لها فى الحقيقة طعم ومذاق خاص .. وهى على تعدد مطارحاتها وتلون دلالاتها وبعد توجيهاتها لها اتصال وثيق بما نؤمله وصلة حميدة بما نعمره .. فأهلا بها تصدر من شداتها ولداتها الأفاضل «المنهل»

نمارس الفن الجميل لأننا نبتغى منه جمالا نرى فيه ما يرضينا أكثر من الحقائق الواقعة التى حولنا، أى أننا نرى فى الطبيعة نقصاً نحاول بخيالنا أن نكمله بالفن الجميل.

مثال ذلك أن الفخارى قد يصنع قدراً من الطين يشويها على النار فتخرج سوداء كابية فيعمد إلى تزيينها وزخرفتها بالألوان والرسوم، فهو إنما يجملها بهذه الزخارف لأنها فى الأصل قبيحة.. ولكن هب أن صائغاً قد صنع كوباً من الذهب الخالص فهل نحتاج ونحن ننظر إلى هذا الكوب إلى أن نطلب من هذا الصائغ أن يزينه ويزخرفه بالألوان والرسوم؟.. كلّا. فالصائغ وهو

الحيوان أو الإنسان.

وخيال الرسام أبعد فى إدراك الجمال من الطبيعة التى ينقل عنها.. فقد حكى عن (هوسلر) الرسام الانجليزى أن سيدة وقفت تنظر إلى رسمه فلما تأملته انتقدت عليه مخالفته للطبيعة، فأجابها: «هو كما قلت مخالف للطبيعة، ولكن أما كنت تودين أن تكون الطبيعة كذلك؟».

وهذا يجرنا إلى البحث عن الأصل أو الباعث الذى يبعثنا على ممارسة الفنون الجميلة، فإننا عند التأمل لا يسعنا إلا الإعتراف بأننا

يصنع هذا الكوب من الذهب لا يحتاج إلى أن يمارس فيه فن الرسم ولكن الفخارى وهو يصنع القدر من الطين يحتاج إلى ممارسة فن الرسم.

● فالذى يبعثنا على ممارسة الفنون أننا لا نرضى برؤية الطبيعة ساذجة، لأنها فى سذاجتها ليست جميلة.. فلوكنا نأكل ونشرب فى صحاف وأكواب من ذهب لما احتجنا إلى زخرفتها، ولكن المواد التى نصنع بها أدوات الطعام والشراب ليست جميلة فنحن نجملها بالفنون.

● ولو كانت الأحجار التى نبنى بها منازلنا حسنة تمتع العين برؤيتها لما احتجنا الى أن نكسوها بالطلاء ونجملها بالرسوم.. ولو كان سواد الناس حائزين صفات الجمال لما احتجنا إلى صنع التماثيل ورسم الرسوم للوجوه الجميلة.. ولو كنا نتكلم فيلذ للناس سماع كلامنا كأنه الغناء لما تعلمنا الغناء.. ولو كان فى حفيف الشجر وهفيف الرياح وتغريد الطيور ما يقنعنا ويستهوى أفئدتنا لما احتجنا إلى فن الموسيقى.. ولو كنا نمشى كأننا نرقص لما ظهر فن الرقص.

ونحن والطبيعة كلها من أصل واحد.. ولأننا نشترك فى وحدة الأصل نشترك أيضا فى الغايات فما هو راقٍ جميل عند الطبيعة كذلك هو راق جميل عندنا.

فنحن نعرف من قصة التطور فى العالم ان الجماد سبق النبات وهذا سبق الحيوان، ثم نعرف من تطور الأحياء كيف أن الحياة ظهرت أولا فى أشكال حقيرة فى خلايا منفردة كالمكروبات، ثم متصلة بلا نظام كالإسفنج، ثم فيها بعض النظام الهندسى مثل نجمة البحر والقشريات، ثم السمك، ثم حيوان اليابسة من برمائيات وزواحف، وأخيرا نرى فى رأس التطور الطيور واللبونات.

● فإذا صح أننا والطبيعة نتفق فى النظر وجب علينا أن نرى الجمال فى أرقى أحيائها ونراه فى أدون درجاته فى أدنى أحيائها أو حتى فى جمادها. وهذا هو الواقع الذى نحس به.

وخلاصة القول أن الحياة أجمل من الجماد، والحيوان أجمل من النبات وأرقى الحيوان وهو الإنسان أجملها أيضا. فنحن نضع التماثيل للإنسان حباً فى جماله وقلّما نضع تمثالاً لحيوان إلا إذا كان من أرقى اللبونات التى ننتمى اليها مثل الفرس أو الكلب أو الأسد.

وقد يعترض علينا بأننا أحيانا نحب الجماد ونستجمله كما يحدث لنا عندما نرى السحاب وقت الشفق أو عندما نضع ثعباناً من البللور أو عندما نتزين بفصوص اللؤلؤ والماس والياقوت، وهذا صحيح ولكن لو أن هذه الأشياء كانت حية لزاد استجمالنا لها.. وهل يمكنك أن تتصور الشفق حيواناً به روح الحيوان وفيه سر الحياة؟.. أو هل يمكنك أن تكسب هذا الثعبان من البللور أو فصوص الجواهر بالحياة دون أن تقول إنه ليس فى العالم أجمل منها؟.. فهذه الأشياء جميلة وهى جامدة ولكنها كانت تكون أجمل جداً لو كانت حية.

● *ولكن ما الذى يجعلنا نقول إن هذا الشىء جميل وذاك الآخر غير جميل؟..*

إن هذا الذى يجعلنا نقدر الجمال ونتوخاه ونحبه هو شىء آخر غير هذا العقل الذى يوازن ويقابل ويبرهن ويعرف الأسباب والنتائج.. فنحن نفهم الجمال بشىء آخر نسميه (البصيرة) وهذه البصيرة هى نفسها تلك التى نفهم بها الدين، وهى التى تحملنا أحيانا كثيرة على الحب والرغبة فى الخير والشجاعة والأريحية والتضحية، فالعقل وحده لا يعرف سوى الفائدة المادية المحسوسة ولكن البصيرة تناقض العقل أحيانا وتطالبنا بأن نضحى بذواتنا بينما العقل يدعونا إلى الفرار والنجاة.

● **ولنضرب مثلاً بالموسيقى: فنحن لا نفهم الأنغام والألحان بعقولنا وإنما ندركها ببصيرتنا.. والأغلب أن هذه البصيرة أقدم فى النفس البشرية من العقل بدليل أننا نجد من الحيوان ما يلذ له سماع الموسيقى.. وهذه الموسيقى تحدث فى نفوسنا من الطرب مالا نستطيع أن نقول انه معقول.. ولو أننا اجتمعنا عشرة أو عشرين نفساً نسمع أحد الألحان فرأينا بعضاً منا يستطيره الطرب أكثر من الآخرين لما قلنا إن هذا البعض أذكى من الآخرين وإنما نقول إنه**

أبصر بالموسيقى . . والذكاء من صفات العقل ولكن الطرب من صفات البصيرة . . فالفن للبصيرة والإلهام والصنعة للعقل والعلم . وكلاهما ضروري للإتقان .

● والفنون الجميلة هى الصلة بين الإنسان والطبيعة . . ففى الطبيعة إيقاع نرى مثله فى الموسيقى والشعر والرقص، وصور الطبيعة وأشباحها من حيوان ونبات وجماد نرى مثلها فى فنى النحت والرسم . .

ولكن رجل الفن لا يقتصر على محاكاة الطبيعة بل هو يتجاوز حقيقتها إلى خياله ويتسامى بها إلى أرفع ما تلهمه اليه بصيرته . . وليس شك فى أن الفنون قامت فى الأصل على المحاكاة وكانت تقنع بذلك، كما أن الطفل إذا أراد أن يرسم أو يصنع تمثالاً من الطين لا يتجاوز الحقيقة .

● فالفنون الجميلة فى أدنى مراتبها محاكاة . . وفى أعلاها تفسير ورؤيا . .

● والفنون الجميلة جميعها متجانسة كما يتضح لنا من الألفاظ التى نستعملها .

فالرَّوِى فى الشعر هو الإيقاع فى الموسيقى والرقص. فأحياناً يمكن الكاتب الناثر أن يرسم «صورة» قلمية لما هو بشأنه من الوصف . و«البيت» من الشعر يوهمنا أن الشاعر «يبنى» الكلمات كأنه معمارى . وهناك «موسيقى» الألوان والراقص الماهر يرقص على اللحن الموسيقى .

● وهذا التجانس يجعل الأديب أى رجل الفن محيطا بالفنون جميعا أو أكثرها أو واقفا على غاياتها وإن كان جهله بالصنعة اللازمة لكل منها يعوقه عن ممارستها



فى غير الفن الذى يختص به . وصلة الاشتراك بين جميع الفنون هى وحدة الأصل فيها أى تلك البصيرة التى تنفذ إلى ما وراء المظاهر فى الطبيعة فتفسر وتتخيل وتتسامى بهذه المظاهر .

ولكن يجب ألا يفوتنا هنا أن نقول إن الفنون الجميلة مع أنها تنبع من معين واحد هو البصيرة فهى تبتعد أو تقترب من الذهن بنسبة متفاوتة . . وأبعد الفنون عن الذهن هى الموسيقى حتى أننا لا نحب ونحن نسمع لحناجميلا أن يفسده علينا أحد بغناء يرافقه لأن فى الغناء من المعانى الذهنية ما نراه غير متفق مع اللحن الذى يخاطب بصيرتنا ويطربنا دون أن يطالبنا بتعليل ذهنى ، فاننا نقنع بتلك الأنغام تسرى إلى نفوسنا فتجعلنا ننبض لها كأننا الصدى . . وأقرب الفنون فى الذهن . . هو الشعر الذى تنطوى معانيه أحيانا على الحكمة، يليه بعد ذلك العمارة التى تتصل كثيرا بعلم الهندسة ثم الرسم والنحت .

● وأكبر عيوب الفن الأنانية : فالرجل الذى لا تسخو نفسه بالحب للعالم وكائناته لا يستطيع أن يرى جماله . . فأنت لا تستطيع أن تصف امرأة جميلة وتجيد الوصف ما لم تكن تحبها . . فالحب أساس الإحساس بالجمال . . فنحن نستجمل الزهر والحيوان والإنسان والطبيعة الجامدة لأننا نحبها وما لا نحبه نستبشع منظره . . فالكاتب أو الشاعر أو الرسام أو المثال الذى تغمر نفسه الكراهة وهو دائم الحقد على الناس لا يمكنه أن يجيد فنا من الفنون الجميلة .

● ومن عيوب الفن المحاكاة : فنحن لا نقنع من الرسام بأن ينقل لنا صورة فوتوغرافية ولا من الموسيقى بأن يحاكى تغريد الطيور، وانما نطلب من كل منهما أن يتجاوز ذلك إلى روح الطبيعة وينقلها لنا .

● وربما كان أكبر العيوب التى تعاب بها الفنون هو العرف الاجتماعى الذى يقضى على رجل الفن بأن يحد من بصيرته ويكف خشية العقاب عن ممارسة أشياء تدعوه نفسه إلى ممارستها فى الفنون .

● وهذا العرف قد تصنعه الهيئة الاجتماعية حين تلزم رجل الفن بأن يراعى الأخلاق ولا يتمادى فى الحرية

فتمنعه مثلا من أن ينحت أو يرسم رجلا أو امرأة عارية مع أن دواعي فنه قد تدعوه إلى ذلك. . أو حين ينشأ بين أهل الفن نفسه عرف يَجِدّ من نزعة التجديد كأن يرسم الرسام أو ينحت المثال على غرار من سبقوه فلا يبتدع وإنما يقنع بالجرى على خطة السلف. والبدعة شرط أساسي للرقى سواء أكان ذلك فى البصيرة أم العقل: فى الفنون أو العلوم وذلك لأن الجمود يناقض الطبيعة التى تدأب فى الرقى والتطور. . فاذا لم ينزع رجل الفن نزعتها ويرقى ويتطور ويبتدع فإنه يخالف أهم شروط الفن الصحيح وهو استكناه روح الطبيعة وسوقها الى مراميها.

ويمكننا أن نلخص هذا كله فى هذه الكلمات:

. . إن الجمال ذاتى، وإن الباعث الذى يبعثنا على ممارسة الفن أننا لا نجد فى الطبيعة أو المواد التى حولنا مشتهانا من الجمال. .

● وإننا والطبيعة نتفق فى الغاية، وأننا ندرك الجمال ببصيرتنا وليس بذهننا، وأن الفنون كلها متجانسة لأنها تنبع من معين واحد هو البصيرة.

أما الجمال فلا يختلف فيه الناس الا بمقدار تربيتهم الفنية التى تزيد البصيرة الطبيعية نورا وتورثهم هذا الذوق الذى نراه على أكمله فى رجل الفن. . فجميع البشر على السواء يتذوقون الجمال الساحر فى الزهرة الزاهية والشجرة النضرة والوجه المشرق ويجمعون على أن فى الفرس رشاقة هى نقيض السماجة التى ترتسم على وجه الخنزير أو الكركدن. ولكن للوسط أثراً فى تربية الذوق. . فالزنجى واليابانى والأوربى والعربى كلهم يتفقون إجمالا على ماهية الوجه الجميل ولكنهم يختلفون تفصيلاً. . ولكن يجب ألا نبالغ فى هذا الاختلاف لأن الواقع أن الزنجى يستجمل المرأة الجميلة كما كان ينحتها المثال الإغريقى قديماً أو كما يرسمها الرسام الانجليزى الآن لا كما نستجملها نحن وذلك لأن الوسط الذى أثر فى ملامح المرأة الزنجية لم يؤثر بعد فى بصيرة الزنوج. . والعربى يستجمل الوجه الأوربى الجميل كما يستجمله الأوربيون بلا أدنى فرق مع أننا فى هيئة الوجه نختلف بعض الاختلاف. . وعندما نتأمل صور الوجوه التى يرسمها رجل الفن اليابانى يريد بها أن يصور الجمال نراها قريبة الشبه جدًا من الشكل الأوربى مع أن الوجه اليابانى فى حقيقته يختلف جدّ الاختلاف من الوجه الأوربى.

إن للتربية والعرف والوسط بعض الأثر الذى لا ينكر فى تكوين الذوق الفنى. فالفتاة التى نشأت لا ترى من الرجال سوى الرجل الحليق لا يمكنها أن تستجمل الشاب الملتحى إلا بعد تربية جديدة. والزنجى الذى لم يرقط فى حياته امرأة بيضاء يشك، لأول ما يرى امرأة بيضاء، فى سلامة صحتها. والفلاح يتزين بالألوان الزاهية الزاعقة بينما الرجل المهذب يقنع بالألوان الخفيفة. ولكن كل هذه تفاصيل لا قيمة لها أمام البصيرة التى يشترك فيها جميع الناس ويتفقون فيها على معنى الجمال فى الشخص أو الصورة أو التمثال أو



أن يكـون جميـلا وذلك لأنهم قد انغمسوا فى الفنون ولا بسـوهـا فى معيشتهم وريـاضتهم حتى صاروا يعتقدون باستحـالـة السعـادة إذا لم تقـرن إلى الجـمال وكانوا مع تقـديرهم للفنون يرون أن الانسان الحى يجب أن يمثل الجـمال فى شخصـه . . ولـو وضعت مثـل هذا السؤال للمصـرى القـديم لأجابك أن الرجل السعيد هو الذى ترضى عنـه الآلهة، بينما الرومانى يرى السعادة فى كثرة العبيد ووفرة المساكن . . أما نحن فلا نكاد نتخيل السعادة إلاّ مقرونة بالثروة.

● والفنون الجميلة تتأثر بالنزعات الأدبية . فهناك الرسم أو النحت التقـريـرى مثلما هنـاك القصة التقريرية التى تصف الأشياء والحوادث كما تقع . . وهناك الرسم الخيالى الـذى يقصـد إلى المثـل الأعلى كما أن هنـاك القصـة الخيالية . . وكذلك هناك الرسم التأثرى الذى ينقل الأثر الذى ينطبع فى الذهن من المنظر دون الإحاطة بتفاصيل هذا المنظر. وقد نجد فى الشعر والقصة مثل هذه النزعة . . وهناك النزعة الطبيعية التى تنقل عن الطبيعة أو تنسخها ولكن كل هذه النزعات فى الأدب والفنون تنتهى حتما إلى أن تكـون خيـاليـة ، فالأديب والـرسام لا يقنعان بتقرير الأشياء على حالها وإنما هما يرسمان الواقع ولو كان قبيحا لكى يتوسلا به إلى الخيال والمثل الأعلى ، وإلا لو كان الـواقـع غاية لقنع الرسام التقريرى بأن يرسم لنا جسم الإنسان كما يرسم فى كتب التشريح .

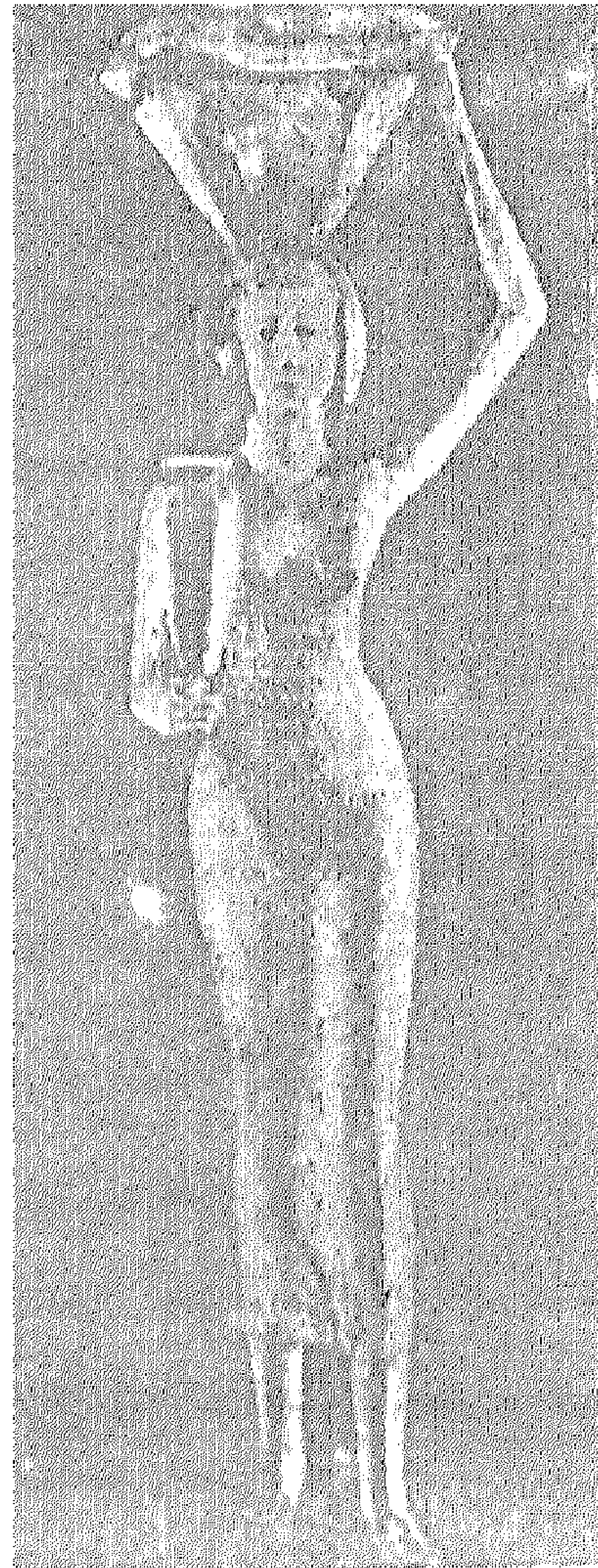
وكلمـة أخـرى نقـولها قبل ختام هذا البحث إن الفنـون الجميلة لاعتمادها على البصيرة دون العقل . . أو لاعتمادها على الأولى أكثـر من الثـانى أو لأن البصـيرة هى التى ترسم الغـايـات والعقـل هو الذى يهيء الوسائل، تتسم «هـذه الفنون» بشىء من مسحة الخلود . . فالأدب والفنـون الجميلة خالدان لاعتمادهما على البصيرة . ومن هنا إعجابنا بفنون القدماء دون علومهم . .

راجـــع

١ـ سلامة موسى : تاريخ الفنون . . القاهرة بدون سنة .

٢ـ سعد الخادم : الدمى المتحركة عند العرب . القاهرة سنة١٩٥٨ .

٣ـ فنون الاسلام : زكى حسن . القاهرة سنة ١٩٥٠ .



ولكن الأمم تتفاوت فى النزعة التى تنزعها نحو الجمال . . فقد كانت النزعة السائدة عنـد المصريين القدماء هى الدين فكان المثال إذا نحت تمثالاً قصد منه إلى معنى الخلود والهدوء الدينى . . وكان الإغـريق القـدمـاء ينـزعون إلى الجمال الذى عبدوه فى أشخـاص آلهتهم وأبطالهم وفى رياضتهم وألعابهم حتى صاروا لسـائـر الأمم أسوة وإيحاءاً . . فليس الآن أديب يخدم فناً من الفنـون إلا ويستلهم الإغريق القدماء بل الفلسفة الحديثة نفسها قد نحت هذا النحو. وهذا على خلاف الرومان الذين كانوا ينزعون نزعة عملية تتجه نحو الإستعمار وتشييد البناء حتى عرفوا أشياء كثيرة عن الهندسة فكانوا أشبه بالعلماء منهم بالأدباء . . أما نزعتنا نحن الآن فهى النزعة الاقتصادية التى تجعلنا كلنا منهمكين فى جمع المال والاستكثار من العقار.

وربـما كان سؤالنـا عن السعـادة ومن هو أسعد الناس خير ما يدلنا على نزعة كل أمة من حيث الفن فقد سأل الإغريق أنفسهم هذا السؤال وأجابوا عن لسان أرسطو طاليس بأن الرجل السعيد يجب

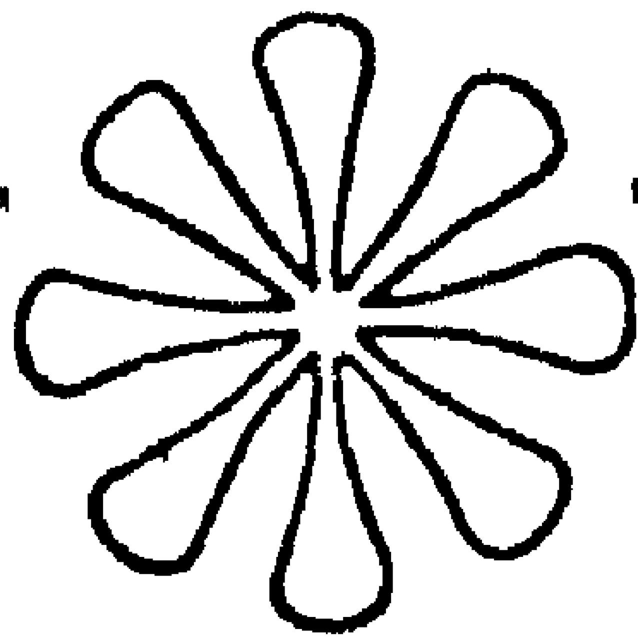
المسرح الوطني إلى اين؟



بالرغم من ظاهرة شيوع المسرح المدرسي في التعليم العام والجامعي واهتمام كثير من المؤسسات التعليمية به كوسيلة من وسائل التربية الفعالة إلا أنه يعاني من غياب المنهج العلمي المدروس الذي يستهدف التوعية والتدريب على مهارات مسرحية متطورة تستهدف في نهاية المطاف إخراج هواة ينتهون الى الاحتراف لسد ثغرة هامة في مجال التوجيه الاجتماعي . لأن المسرح لا يقصد منه الا أن يكون أداة خير للتثقيف والتربية وليس كما يظن البعض فيه أنه المدعاة الأولى للتهتك والضياع .

● ولقد مرت فترة ليست بالقصيرة ولعل بقاياها موجودة لدى كثير من أفراد المجتمع لدينا عانت فيها فكرة المسرح من سوء الفهم والتقدير، فالبعض يظن أن المسرح غير ضروري في الحياة الاجتماعية لأن الفساد والإفساد قرينان له فكرة وأداء ولأن من يمتهن العمل المسرحي هو إنسان ساقط وفاشل والمؤسف أن هذه النظرة انتعشت في ظل طرح تصورات خاطئة عن هذه المؤسسة الاجتماعية الهامة، فكان أن فشلت كل المحاولات بارساء دعائم مسرح سعودي يعكف على المشاركة في إنتاج النافع بما يسد الحاجة في مجال التربية والتوجيه والإعلام، وحيث طرأت متغيرات كثيرة على حياة المجتمع السعودي في السنوات الأخيرة وأصبح التلفزيون يلعب دورا أساسيا في تشكيل التفكير الاجتماعي العام من خلال برامجه المنوعة، فقد تكشف الأمر عن الحاجة الكبيرة إلى هذا الجهاز والى ما يعينه لأداء رسالته على الوجه الأكمل بما ينسجم مع عاداتنا وقيمنا الإسلامية والعربية وبما يحفظ لنا قيمنا وتراثنا في زحمة سرعة تنقل المعلومات وما يصحب ذلك من تأثير يتسرب من مجتمع الى آخر.وتتأثر المجتمعات بمستوى حصانتها وقدرتها على حماية نفسها وما أظن أننا بواقعنا الإعلامي المعاصر في مأمن عن سيل التأثيرات السلبية الواردة مع انتاج الغير، المسرحي والاعلامي نتيجة لغياب العمل الوطني المحلي .

إن حياتنا في المملكة العربية السعودية تزخر بمواد







غنية تمكن من قيام عمل مسرحى وطنى ، فما من جبل ولا وادٍ ولا مدينة فى هذه الجزيرة إلا وتحكى قصة فى النبل والايثار والتسامح والتعاون والفضيلة ورثتها وورثتها من جيل الى آخر عبر أربعة عشر قرنا من الزمان . . هذه هى المادة التى يمكن أن يتكىء عليها أى عمل مسرحى مستقبلى .

إن الدلالة على خيرية المسرح إذا ما أحسن توجيهه والإعداد له هو ما نراه من أعمال مسرحية فاضلة تنتج سنويا على خشبات المسرح المدرسى والجامعى والذى يتميز بعضه بجودة الفكر وروعة الإخراج والأداء بها لا يقل بحال من الأحوال عن مستوى الأعمال المسرحية الجيدة المنقولة والمستعارة من الخارج . . ولقد شاهدت نماذج منها فى الجامعات والحفلات السنوية المسرحية المدرسية ووجدت أن وضعنا يبشر بخير حقيقى وكل الذى نحتاج إليه هو عملية تنظيم سريعة وتنسيق بين الجهود المختلفة والمبعثرة هنا وهناك حتى يتوحد الاتجاه وتتضافر الجهود لإنتاج وطنى سعودى .

وفى ظنى أن رعاية الشباب مطالبة باحتضان الأمر ولعلها تستطيع البدء فى طرح مسابقة يختار من خلالها من بين أصحاب المواهب فرقة وطنية للمسرح السعودى يصار الى تدريبها محليا وخارجيا ثم تبدأ فى الإنتاج على أن يشجع الكاتب والأديب السعودى والعربى المؤهل للكتابة فى موضوعات تحكى بطولات الاسلام وقيم الحضارة العربية الأصيلة وتعين على المشاركة فى التنمية الشاملة السائدة فى كافة المجالات فى الحياة السعودية الحاضرة ، وتبين للمواطن منجزات هذه التنمية وطرق المحافظة عليها وتشارك فى تأكيد وترسيخ قيم الخير فى نفوس الناشئة .

● إن قضية المسرح . . قضية ثقافية قد لا تختص بها جهة دون أخرى . . وإذا كانت رعاية الشباب لا تستطيع الأخذ بزمام المبادرة فإن من الممكن التنسيق بين جهات الاختصاص فى النشاط الطلابى فى وزارة المعارف ووزارة الاعلام ورعاية الشباب بتشكيل لدراسة الأمر ، ومن ثم الخروج بمؤسسة وطنية للانتاج التلفزيونى والاذاعى الذى يعتمد على أداء الفريق المقترح سابقا . . بهذا نستطيع ولأول مرة وضع حد لظاهرة الاستعارة المكثفة لخليط من الانتاج اللامنتمى فى كثير من جوانبه ، ونبدأ الى جانب ذلك فى نقل خبراتنا وتأثيرنا خارج حدود المملكة العربية السعودية بما ننتجه من أعمال تبرز الوجه المشرق لماضينا ولواقعنا ومن ثم لمستقبل أكثر إشراقا إن شاء الله .

محمد سعيد العامودي

أول ما نبدأ به هو .. تكوين فريق مسرحي متوفر الكفاءات



○○ نعم .. مهم جدا قيام المسرح الوطني .. ولكن هذا الاجراء يحتاج الى تمهيد .. ونبدأ بالممثلين فالمسرح لا يقوم الا على الممثلين ونحن لا نملك الآن الممثلون الذين يغطون احتياج المسرح .

فأول ما نبدأ به هو تكوين فريق مسرحي متوفر المواهب . وانا أرشح أن يكون من طلبة الصف المتوسط والثانوي وان يتولى النادي الثقافي في كل مدينة من مدن المملكة فهذه من مهمات النادي ان يجمع الهواة الذين تتوفر فيهم الموهبة ، ويحضر لهم مدرسا مسرحيا كفؤ يقوم بتدريبهم وتدريسهم ثم يتم اختبارهم واذا وفقوا ونجحوا فأعتقد ان عندها يكون الوقت قد حان لقيام (المسرح) .

واما من ناحية كيفية تدريس الطلبة وهم يدرسون في الصباح في المدارس .. فيمكن حلها بأن يكون تجمع الطلاب في النادي مساءا ويتلقون دروس المسرح لمدة ساعة او اثنين حسب ما يراه استاذ المسرح والنادي الثقافي . وفي مدة سنة واحدة ستكون كافية لتخريج دفعة لا بأس بها .

ويمكن ان يمارس هؤلاء الطلبة هواياتهم التمثيلية ودروسهم المسرحية على خشبات مسارح النوادي الادبية .. حتى يتخرجوا وهم على أتم استعداد للتمثيل على خشبات المسرح الوطني

كما اشير الى نقطة اخرى وهي : انه يمكن ان نبدأ بتمثيل الروايات العالمية المترجمة .. لأن الروايات المحلية في البداية ستكون غير قوية . وهكذا بدأ المسرح في مصر .. بدأ بتمثيل الروايات العالمية .. ويمكن ان نبدأ نحن بتمثيل الروايات العالمية مثل مسرحيات (موليير) الكوميدية .. ومسرحيات (شكسبير) ايضا .

المهم ان نبدأ من حيث بدايات المسرح وننطلق من هذه البدايات بخطى سريعة .. فاذا تمكنا من اجتياز فترة البداية الصعبة ،، فسوف نقطع مشوار لا بأس به في رحلة الالف ميل خلال فترة وجيزة



○ تحدث الأستاذ الأديب غالب حمزة ابو الفرج رئيس تحرير الزميلة «المدينة» عن رأيه في اقامة المسرح السعودي قائلًا :



المسرح في عالمنا اليوم هو مدرسة جديدة

قد يكون من السهل اقامة المسرح السعودي اذا توافرت شروط ايجاد الممثل الناجح الذي اعتقد بأن رعاية الشباب ووزارة الاعلام ممثلة في جهاز التلفزيون تعمل جادة على ايجاده .

وأعتقد ان المسرح يجب أن يبدأ من خلال التلفزيون وقصور الثقافة وعندما يتحقق وجود هذا المسرح سنجد ان في الامكان وجود المسرح الخاص الذي يجب ان يرتبط ظهوره على هذه الأرض وفق ظروف وواقع وحياة هذه الأمة التي تنطلق من ايمانها بعقيدتها لنصل بها الى تكريس الحياة الأفضل للمواطنين وللعالم الاسلامي .

ان المسرح في عالمنا اليوم هو مدرسة جديدة يمكن ان نمنح عن طريقه للرأي العام ثقافة وطنية وتاريخية كبيرة وأعتقد ان الوقت قد حان لأن يبرز المسرح الى الوجود .

قد تكون هناك بدايات صغيرة رافقت ظهور المسرح التلفزيولي واختفائه لكنني اعتقد ان وزارة الاعلام في عهدها الجديد حريصة على الاستفادة من هذه المدرسة الجديدة وأعتقد ايضا ان هناك دراسات كثيرة تسير بخطوات ثابتة في هذا الخصوص .

والاعلام اليوم يحرص كل الحرص على مايفيد المواطن وينمي ثقافته .

غالب حمزة ابوالفرج





عود على بدء

يكتبها عبدالعزيز احمد حساب

يجب ان تكون ثقتنا في انفسنا كبيرة .. يجب ان نكتشف ذواتنا . وان ننمي قدراتنا وان نشعر باننا لا نقل عن الآخرين فهما ، ونضجا ومعرفة . يجب ان نحس بان علينا واجبا ينبغي ان نؤديه ورسالة لابد ان نضطلع بها ، وهدفا من الضروري ان نبلغه .

فقد آن الأوان لكي نثبت للآخرين اننا على مستوى المسؤولية واننا نعرف طريقنا الى العمل والى البناء والى بلوغ الآمال .. كتبت ـ قبل هذه المرة ـ عن المسرح ولست في حاجة الى التنويه باهميته ودوره الكبير في التوعية والتثقيف والوصول الى اسمى الغايات .

وشهدت خلال الأسبوع المنصرم مسرحية على مسرح مدرسي تمثيلية فكاهية كانت في غاية الاتقان وقد حققت اهدافها كاملة واستطاعت ان تتسلل باهدافها الى نفوس المشاهدين وكنت واحدا منهم .

وصدقوني لقد كانت التمثيلية فضلا عن الجانب الترفيهي فيها ابلغ في وصولها الى اهدافها من عشرات المقالات .

ولكن تمنيت ان يتسع نشاطنا في المضمار بحيث يتاح لأكبر عدد من المواطنين مشاهدة المسرحيات الوطنية الهادفة التي تجمع بين الفكاهة والوصول الى الغاية المنشودة في تمازج رائع دون اسفاف ودون المساس بقيمنا واخلاقنا .

ولقد سررت غاية السرور بالحوار الذي اجرته جريدة المدينة مع الأستاذ محمد حيدر مشيخ والذي كشف عن كثير من الحقائق واعطانا الامل في اننا سوف نشهد قريبا على الشاشة الصغيرة مسلسلات محلية وان الانتاج الجيد سوف يفرض نفسه . وان هناك اتجاها جديدا لدى وزارة الاعلام في العناية بما يقدمه التلفاز وفي الاختيار . وفي تنويع البرامج .

واذا كان لي من رجاء فهو ان نولي التمثيليات المحلية الهادفة عنايتنا وان نتعاون مع وزارة المعارف في الحصول على الجيد من التمثيليات التي تعرضها مدارسها بمختلف انحاء المملكة . كذلك اتجه الى صاحب السمو الملكي الامير فيصل بن فهد امير الشباب في ان يأمر سموه بدراسة فكرة ايجاد مسارح وطنية بمختلف مدن المملكة تتولاها جمعيات الثقافة والفنون وتشرف عليها رعاية الشباب .

واطالب في هذه الكلمة العاجلة بمسارح وطنية عامة نضع لها البرامج ونخطط لتحقيقها على نطاق واسع ، فهي ضرورة ثقافية ونستطيع من خلالها ان نوصل الى قلوب ومشاعر مواطنينا ما نريده وما نهدف اليه من ايجاد مجتمع متعاون يحافظ على تقاليده واخلاقه ، وفي نفس الوقت يجد متنفسا للترفيه والترويح عن النفس المتعبة المرهقة وليس في ذلك ما يتعارض مع ديننا وقيمنا الاسلامية الرفيعة .

فهل اجد استجابة وهل يتحقق هذا الحلم الجميل علم ذلك عند علام الغيوب والله الموفق ..





بقلم الاستاذ/ هاشم عبده هاشم
رئيس تحرير صحيفة عكاظ

● تعتبر الفنون مظهرا من مظاهر الشبع الحسى للأمم.. فهى تعكس ترف الحياة وأصالة الإنسان وعمق التجربة كما تبلور مفاهيم الحياة وتطور المجتمعات.. ومدى حفولها بالناحية الإنسانية والفكرية، على اعتبار أن الإنسان خليط من المشاعر والعواطف والوعى المرتكز على الخلفية الثقافية المشبعة بالإحساس المرهف.

● ومن أجل ذلك فإن الكثير من المظاهر التراثية.. سواء المغناة او المكتوبة او المنحوتة أو المنقوشة أو حتى الملابس والدروع.. وأدوات الحرب.. والصيد.. هى جزء من تاريخ هذه البلاد الحافل بالعطاء والمتميز بالتنوع والشمولية.

● وعلى الرغم من أن هذه الأمور تمثل ثروة عظيمة.. تلزمنا بأن نعتنى بها.. ونحافظ عليها.. ونقيم لها الكثير من المتاحف.. ونجرى عليها المزيد من الدراسات العلمية الدقيقة.

على الرغم من ذلك، إلا أنه لم يتحقق بعد بنفس المستوى الذى تستأهله هذه الفنون وتلك المظاهر المادية والحسية الرائعة.

وإلا فأين حركة التسجيل.. للأغانى والأهازيج الشعبية التى تعودنا على سماعها.. فى المناسبات العظيمة من أفواه الأطفال.. فى الأعياد وشهر رمضان.. والأفراح؟.

● ان شخصا واحدا لم يعط هذه الناحية ما هى جديرة به من أهمية.. على الرغم من روعة تلك الأهازيج سواء ما كان يرددها الأطفال.. أو الكبار أو السيدات بهذه المناسبات وغيرها ثم.. أين عملية التسجيل لتاريخ هذه البلاد.. بكل ما حفل به من عطاء.. وأقصد «التاريخ الشفهى» الذى أصبح يشكل جزءا هاما من مكتبات أوربا.. وبالذات مكتبة المتحف البريطانى وفيه رصد رائع لتاريخ الشعب البريطانى على لسان «المعمرين» من أبنائه.. مما لا تشتمل عليه الكتب ولا تحيط به ذاكرة الأجيال.

● ومن المناسب الإشارة الى الكثير من رجالاتنا ممن يمتلكون ذاكرة جيدة ويجيدون الرواية ويتمتعون بالصفاء النفسى والذهنى كالأساتذه حمد الجاسر - ومحمد حسين زيدان.. وعبد الله بن خميس.. وأحمد عبد الغفور عطار.. وأبو تراب الظاهرى.. وغيرهم كثيرون.

إن « اندثار» جزء من تاريخنا.. يحول دون استمرار التواصل بين الأجيال ولولا التسجيل لهذا التاريخ العريق لما أحاط جيلنا بما كان من أحداث ووقائع وفنون.. وقعت فى أواخر العهد الأموى وطوال العهد العباسى.. وحتى اليوم.

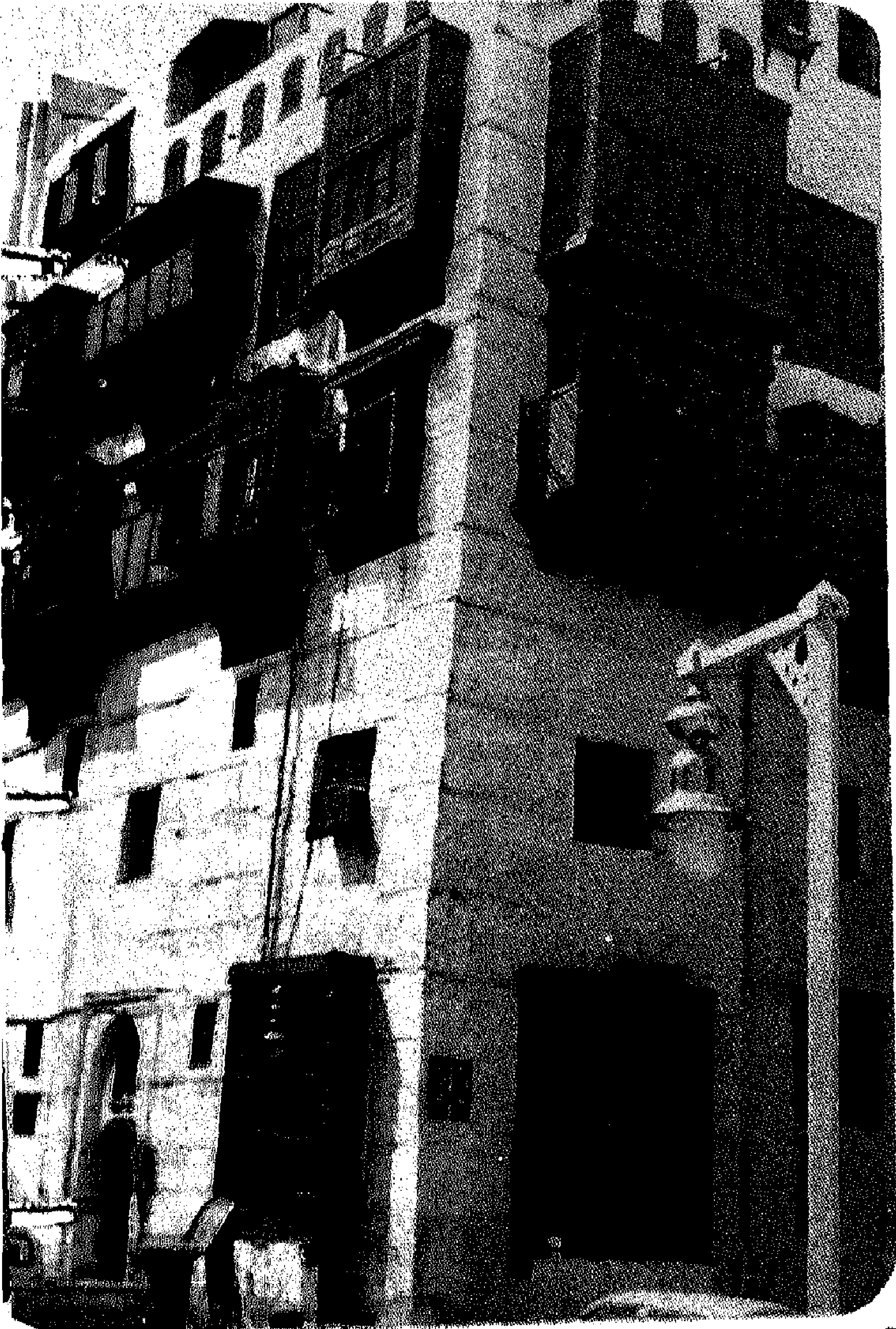
ومن المهم أن تتصدى الجامعات قبل غيرها لهذه المهمة.. وأن تتولى دراسة هذه الأعمال.. والتاريخ لها.. والاحتفاظ بها.. بدل تشتتها هنا وهناك. وتوزعها فى أكثر من جهة..

وإلا فاننا سنصبح كأى شعب لا ذاكرة له فى المستقبل القريب.



التراث

المدينة كتجمع سكانى يموج بالعديد من الخدمات والعلاقات الانسانية فيها بين أهلها - أصليين مستقرين أو وافدين عابرين - تختلف عن القرية من حيث التاريخ، فالمدينة لا بد أن يكون مبناها وتداولها الوظيفى ممتدا الى الوراء، عميق الجذور فى التاريخ القديم، كل مدينة حسب موقعها وارتباطها بوظائفها وعلاقات المتعاملين فيها..ولا يتصور أن تقوم مدينة - أى مدينة - على الحداثة..ولكن المتصور والواقع يحتمان أن تكون المدينة أخاً للتاريخ طال ذلك الإخاء أم قصر، وموقع جدة الساحلى على البحر الأحمر، وارتباطها بمكة، ورحلات الشتاء والصيف منها، لابد أن تكون قديمة قدم هذه الارتباطات..والذى يسجل ذلك التاريخ انما هو: فنُّ البناء والطريقة والاستخدام وبالتالى تكون تلك الآثار ذكريات لذلك التاريخ وكتابا يعبر عنه: هذه آثارنا تدل علينا: فانظروا بعدنا الى الآثار.. أو بعبارة أخرى نقول: إن مدينة بلا تاريخ انسان بلا ذاكرة..



وجدّة حيث بيوت أجدادنا فى الشام والمظلوم واليمن تتيه شامخة برواشينها الجميلة وارتفاعها الشاهق ومداخلها ذات العقود المدببة ووحدة ألوانها وتجانس أنماطها وقفت صامدة مئات السنين الغابرة تحكى حضارتنا فى صدق وبساطة. وتعبر عن مدى الذوق الرفيع لأهل هذه البلاد ومدى استيعابهم لفن العمارة وتوظيف المبنى لتلبية حاجات ساكنيه. فى الخصوصية لهم، مع مراعاة المناخ والموقع رغم بساطة البناء، والمواد المحدودة والتى لا تتجاوز مادتين من مواد البناء المحلية وهى الأحجار المنقبة والأخشاب..واذا كانت العمارة تمثل تعاملا بين الإنسان والطبيعة والمناخ فقد بقيت هذه البيوت رغم شيخوختها فى طول العمر والاستخدام لها وظهور احتكاك السنين على جدرانها تماما كتجاعيد الوجه على الانسان المعمر لكنها بقيت ثابتة وتلك التجاعيد زادتها هيبة ووقارا وأصبحت شاهدا على أصالتها وعلى ماضيها الذى هو ماضينا وامتداد حياتنا التى نفخر بها ونعتز.

واجبنا كمواطنين أمام قصة التراث هذه هو الحفاظ على ذلك الجزء العزيز الذى بقى مع بقاء هذه المبانى فى جدة القديمة ذات الأحياء التى ذكرتها سابقا.

رأي طليعي

من خواطر

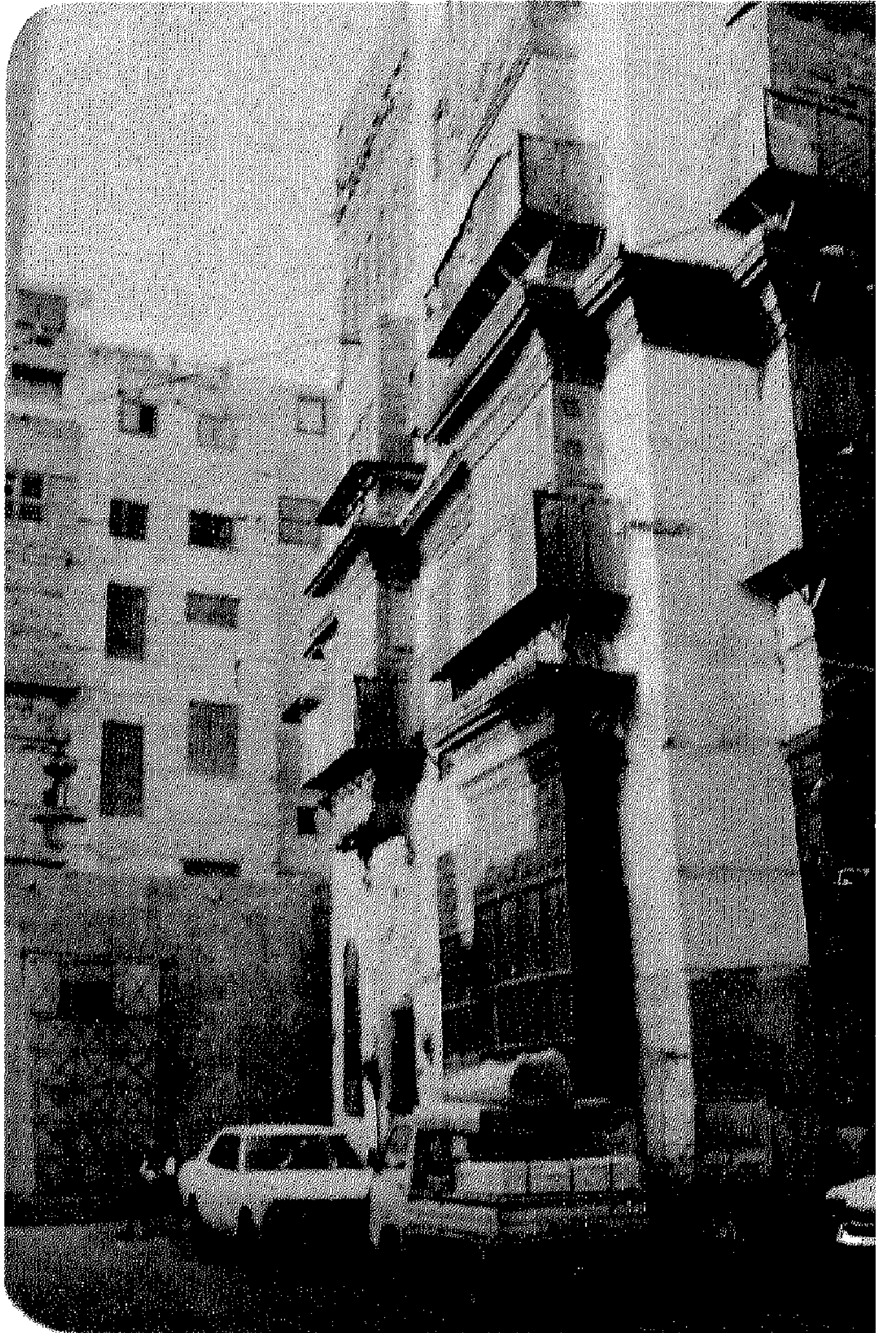
م/ سعود القفيدي

وحمايته

رئيس فرع بلدية جدة القديمة

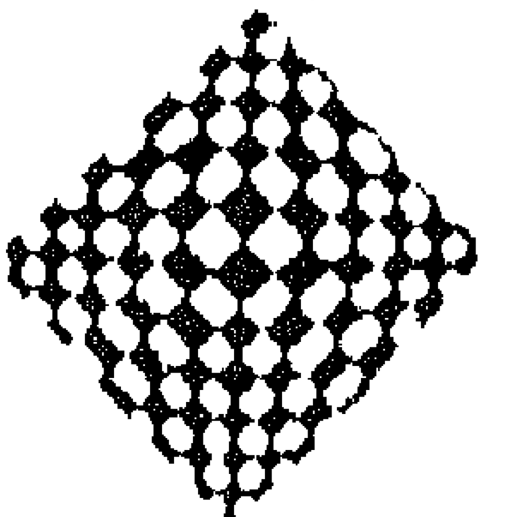
وإذا كان يصعب حصر طرق الحفاظ حيث هي كثيرة ومتشعبة لكنى أذكر أهمها ويتمثل بالشعور بالقيمة التاريخية لذلك الجزء، وأصالتها العريقة، حيث هى منبع الحفاظ ومبدؤه وممن يرتبطون بهذه الدور التاريخية الساكن فى هذه الدور وأهميته ترجع الى مراعاة كل شبر فى هذه المبانى من عدم المساس بها أو محاولة التغيير لها فضلا عما يلحقها من تشويه فى الداخل أو الخارج، أما من يملك هذه الدور فإيمانا منه بالمسؤولية تجاهها عليه أن يبادر بأعمال الصيانة والترميم الداخلى والخارجى لها، وإعادة استخدامها بما يلائمها كمتحف أو فندق أو مطعم أو مركز سياحى أو تجارى أو ادارى أو سكنى، أما أبسط دور للمواطن فى الحفاظ فهو أن يقوم بدور التجول بين هذه الدور ويتمعن فيما تحتويه من دراسات غنية بالمعلومات فى واجهاتها فمن واجهات حرة الى واجهات رأسية وأفقية ومتمايلة ومن استخدام البروزات لتظلّل الواجهات الى استخدام الشبابيك الكبيرة المسطحة إلى استخدام الزوايا المنحنية فى الشبابيك، ومن استخدام العقود المدببة فى المداخل والعقود الدائرية والجبس المنقوش فى براعة بمداخل هذه البيوت ودراسة تلك الأفكار وتحليلها . .

وآخر هذه الأدوار بالنسبة للمواطن وأهمها من حيث شمول الفكرة هو الإصرار فى البنايات الحديثة أن تكون التصاميم فيها إنطباعاً من تراثنا العميق وهذا الدور يحتاج إلى جهود للاقتناع به ومسؤولية ذلك تقع على عاتق شبابنا المهندسين فى إبرازه الى حيز الوجود، ليثمر العطاء ثمره النافع وفى وجهه الصحيح .



من أين أتناول اشكالى
من المنتهى فى الصغر الى المنتهى فى الكبر
من تكوين العين من تكوين النظام الشمسى
من تركيب الذره من تركيب الخلية
من تعمير المدينة العربية الاسلامية
من موقع المحراب حين تحيط به الزخارف
من تشكيل حلقة الشطيح والذكر
من انظمة الخطوط وتكوينها
من صنائع الحرف ومنتوجاتها
من الصناعات الدقيقة ومن كل شىء
لأن اشكالى مجردة لاتجريد الرسم الغربى . .
الذى لا علاقة له بالواقع إلاّ على صعيد
الذهن . . بل مجردة من المثال ومتفاعلة مع الواقع ،
ومندمجة فيه .

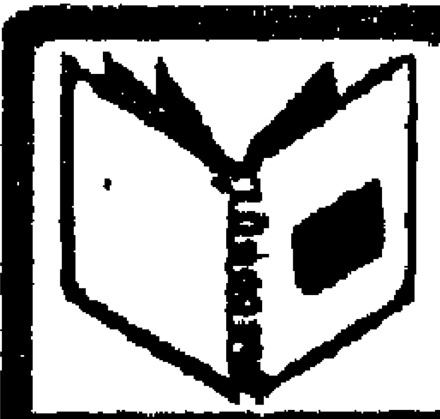
«عز الدين المدنى»



لا يعرف عالم الاجناس البشرية (الاثنولوجيا) مجتمعاً بشرياً بدون فن . ولسنا هنا فى مجال المقارنة بين فن وفن ولكننا امام حقيقة مقررة وهى ان كل هذه المجتمعات الانسانيه قد عبّرت خلال الزمن الذى عاشته عن اللاشعور الذى يميزها عن غيرها . . عن وعيها الجماعى قد يقتصر التعبير فى بعض الاحيان على الاغانى التى تصاحب الرقص وتشكل معه طقوساً وشعائر خاصة تميز قبيله افريقيه عن غيرها مثلا أو فى النقط والاشكال الهندسية الموشومه على الاجساد والأدوات .

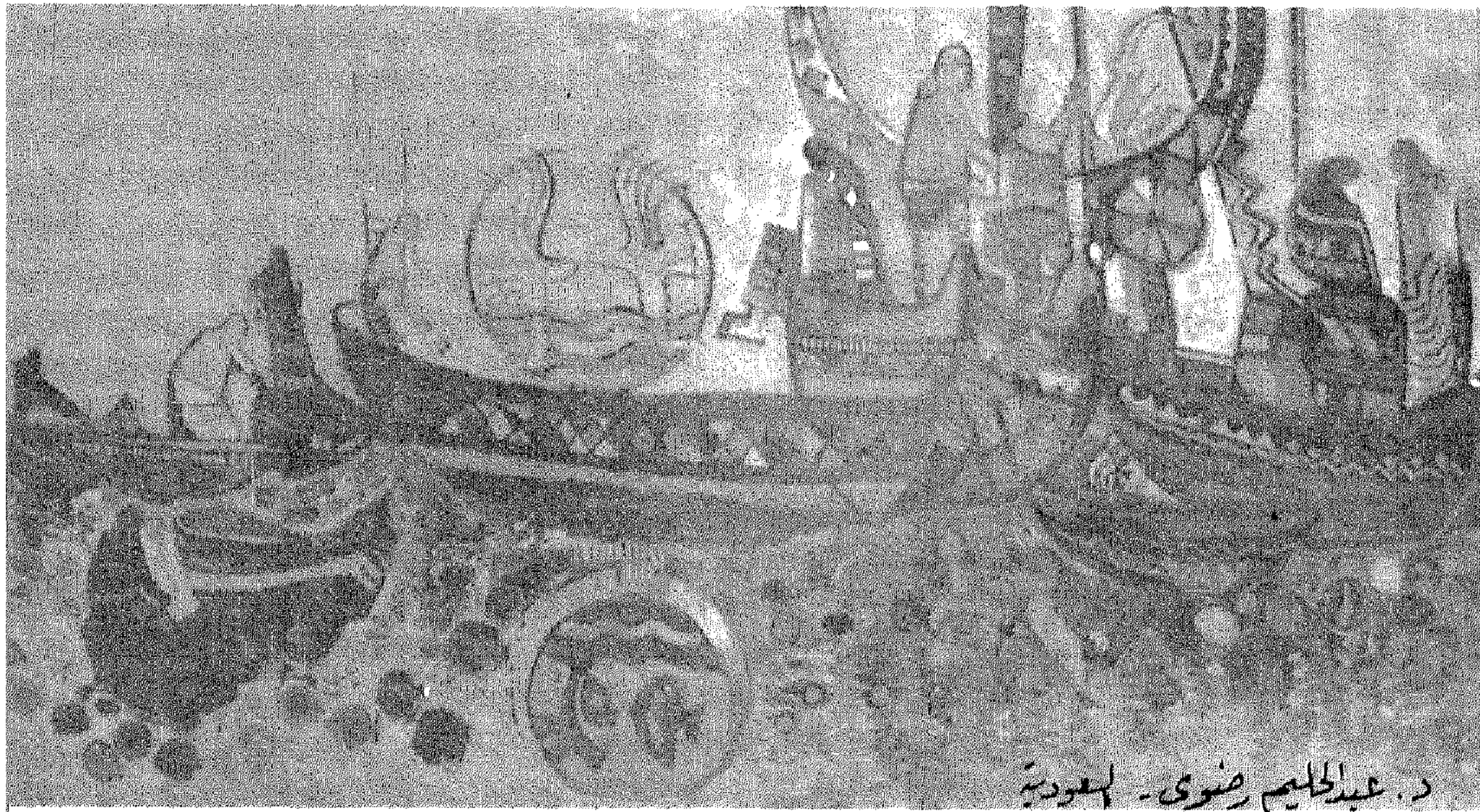
وحتى القرن الماضى كانت التجمعات البشريه التى تملك قيما حضارية خاصة بها، تستمد الهامها من الطابع الخاص الذى يمليه عليها وضعها الجغرافى حتى انه يمكن القول ان العهود التى ظهر فيها انتاج فنى رفيع تميزت بشىء من الانغلاق امام ما يرد من الخارج بهذا استطاع الرسم الهولندى ان يكون طابعه الخاص فى محيطه الجغرافى وكذلك فعلت القبائل

اطلالة على فن

كناشة فنية

إعداد / فريد أبو سعدة



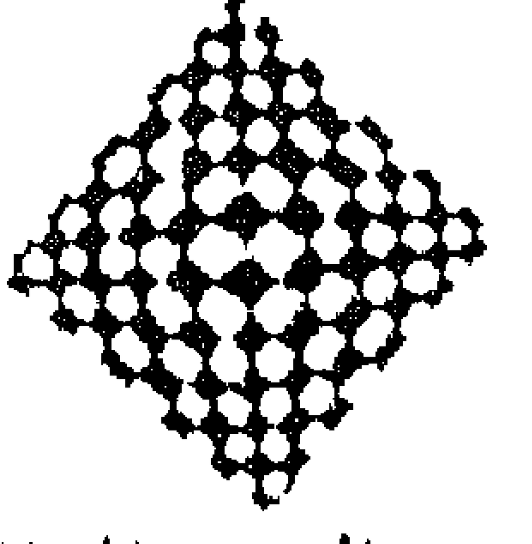
الأفـريقيـه التى تميـزت بزنجيتهـا. ولكن القـرن العشرين قلب هذه الاوضاع والمعطيات التى كانت تربـط بين شعب وفنـه فى اطـار مكـانى محدود.. فوسائل الاعلام الحديثه حطمت هذه العزله وكسرت الحواجز الجغرافية بين شعب وآخر وبين فن وآخر.

واصبحت مجتمعـات اليـوم فى حالـة استعـداد لقبول جميع الثقافات وذلك لأول مره فى التاريخ لقد اصبح العـالم قريـه واحـده واصبحت الثقـافـات الاجنبيـه تهضم وتفهم بسـرعـة ومن هنـا جاءت الاشكاليه فى الفن المعاصر.

يقول (رتشارد اتنفهاوزن) فى كتابه (فن التصوير عنـد العـرب) «على الـرغم من ان تحليل تصاوير مخطـوطه ما باساليبها الحضاريه المتنوعة التى تحويها مهمة شاقة فان مؤرخ الفن يدرك جيداً بأن القيمه تعود الى الاسلوب الناضج المتكامل الذى يستطيع الفنان حتى وان استوحى بعض المفاهيم السابقة فى هذا الشأن ان يعيد تشكيلها بطريقة تصبح فيه شيئاً جديـداً وأصيلاً.. وحسبما نعرفه فان فن التصوير العربى بلغ قوة تكامله التام بعد سنة ١٢٠٠م بفترة قصيرة فى عاصمة الخلافة العباسيه وبلغ مجده الكامل

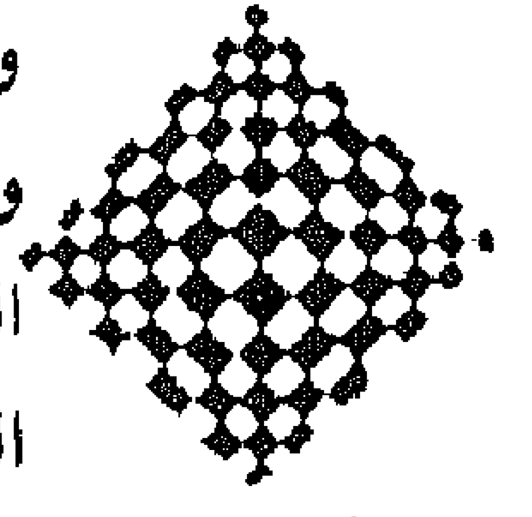
التصوير العربى

هناك فى الربع الثانى من ذلك القرن».



لقد بلغ التصوير العربى ذروته فى رسوم (الواسطى) لمقامات الحريرى هذه الرسوم التى قد يرى البعض انها توضيحيه نتيجه ميل الشرقى لقراءة الرسم المرافق للنص قراءة توضيحية ولكن رسوم الواسطى لا يمكن ادراجها تحت هذا المفهوم بل الأقرب ان تكون رسومه صياغة نوع من التعادل مع النص لا تفسيراً له فقد وضع الواسطى اربعة أو خمسة رسوم للمقامه الواحده ولو كان هدفه تفسيرها لاكتفى برسم واحد.

كان القرآن الكريم بما احتواه من آيات بينات يلقن عند نشر الاسلام بين مختلف الامم بلغته الاصليه وكان الخط العربى يحمل معه الى جميع انحاء العالم، واصبح رابطة تجمع بين الشعوب الاسلاميه رغم الحدود والحواجز فلا عجب ان يصيب فن الكتابه تطوراً جلب معه ثروه كبيره فى الاشكال.



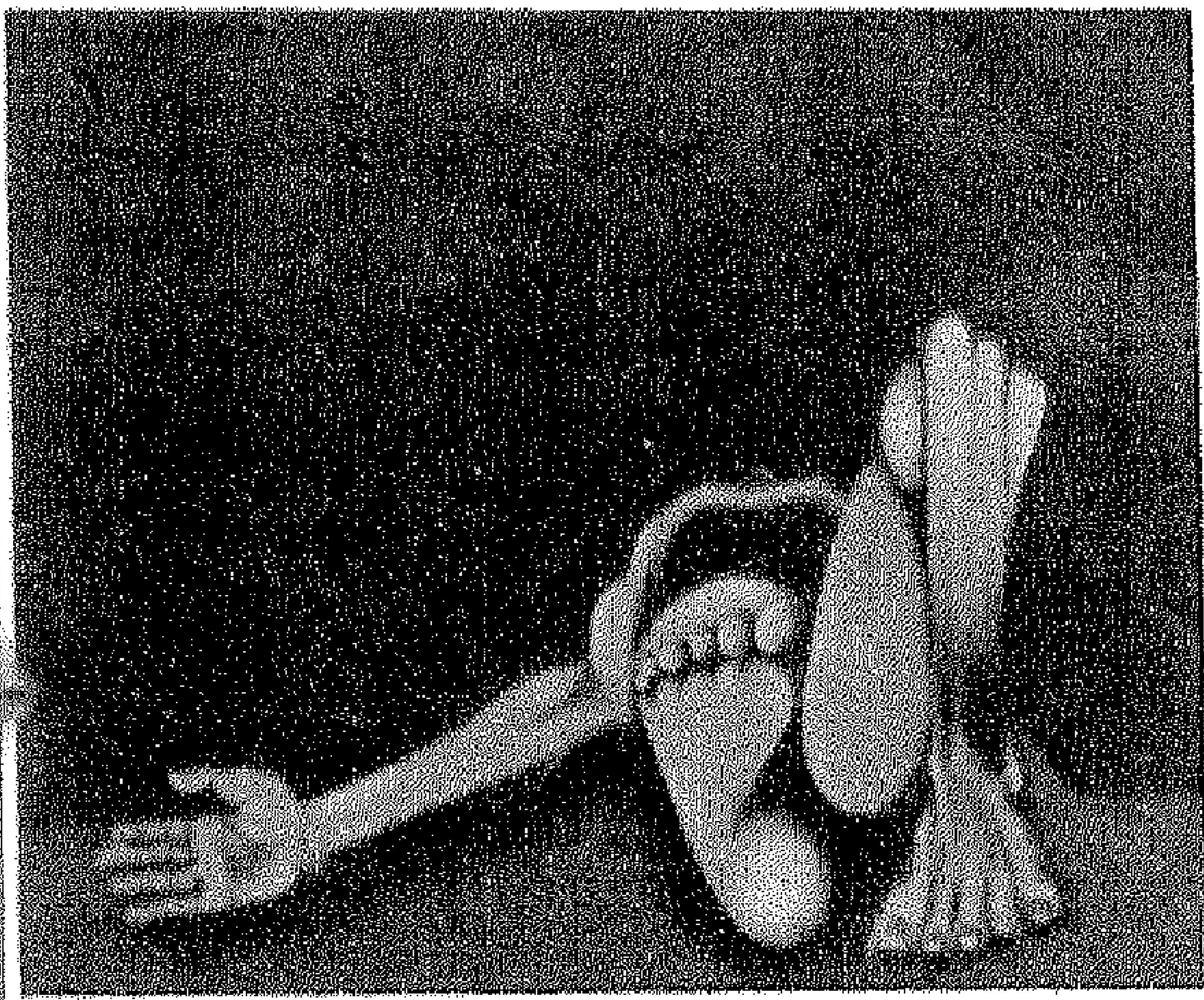
وللفكر العربى الذى جمع بين المطلق والماده بين انطباق السماء الواسعة على الصحراء الممتده فى قوس الافق الوهمى الملون كان لهذا الفكر الاثر الأول فى خلق فن متميز عن بقية فنون العالم.

فقد اتجه الفنان المسلم الى انشاء فن جميل يملأ الفراغات ويضفى جمالاً عليها بأشكال زخرفيه هندسية متناسقة يتداخل بعضها فى بعض وتتكرر مرة بعد اخرى فى اتساق وانسجام ترتاح له العين وينطلق معه الذهن فى آفاق بعيده.

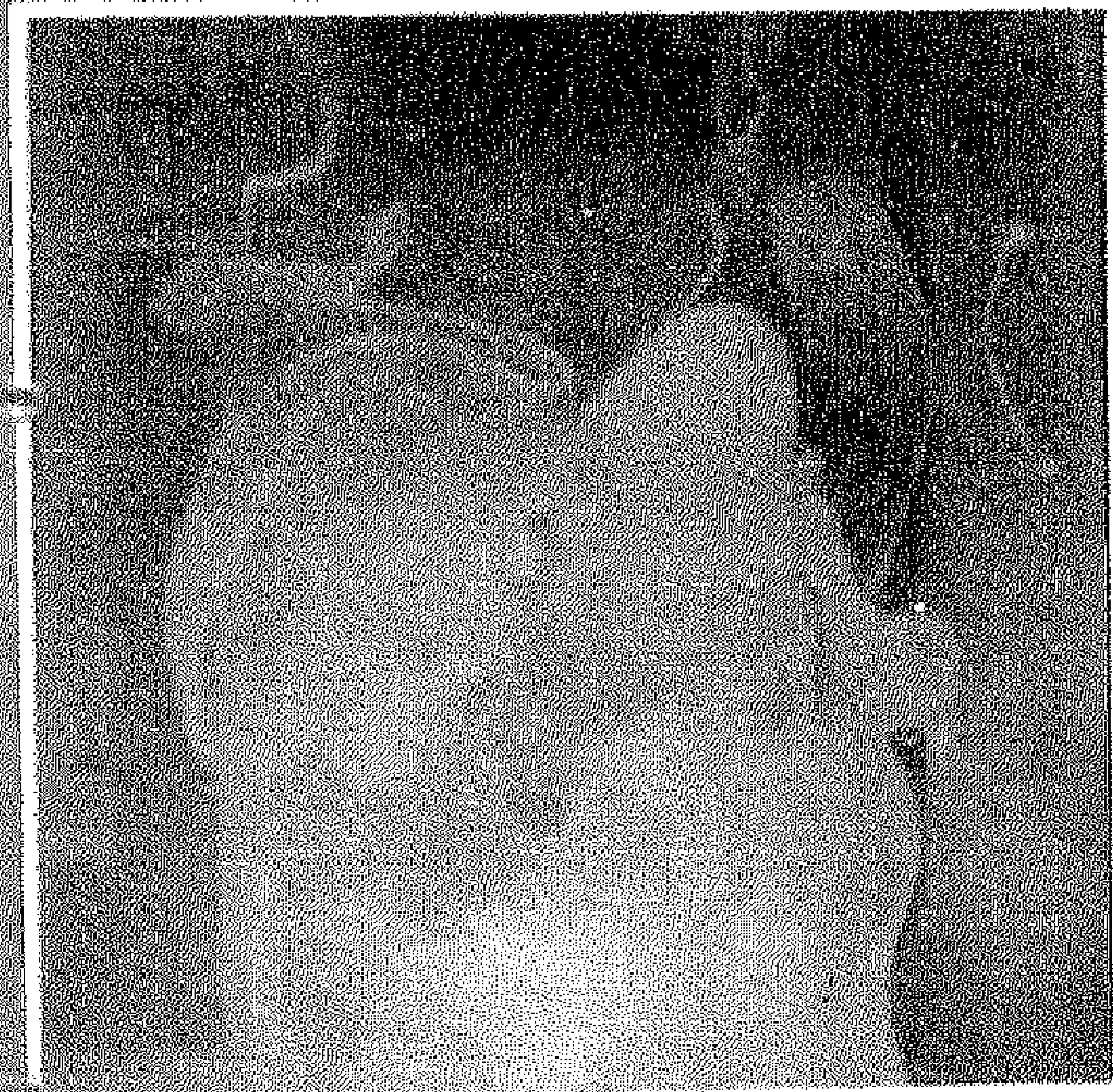
والانسان اذ يتأمل اشكالها والوانها يجد ان عينه تتبع وحداتها التى تتكرر بلا نهايه وتتخطى حدود المساحة المزخرفه نفسها. فالذهن الذى يتحرك على خطوط الارابيسك واشكاله يفقد نفسه حيناً ويجدها حيناً آخر ويكتشف وهو يتأمل اشكالاً جديده لم يرها أول مره «حسين مؤنس».

والتجريد والمطلق من صلب تأملات الفنان العربى المسلم.. فى الحرف والزخرفه وهو عن طريق اغفال البعد الثالث رسم الطبيعه بواقعيه جديده تقتصر عن محاكاة الخالق، يحدد الاشكال ويسطح الألوان ويمزج الحرف بالزخرفه النباتيه والتشكيلات الهندسية ويستعمل ماء الذهب فى نمنماته ورسومه

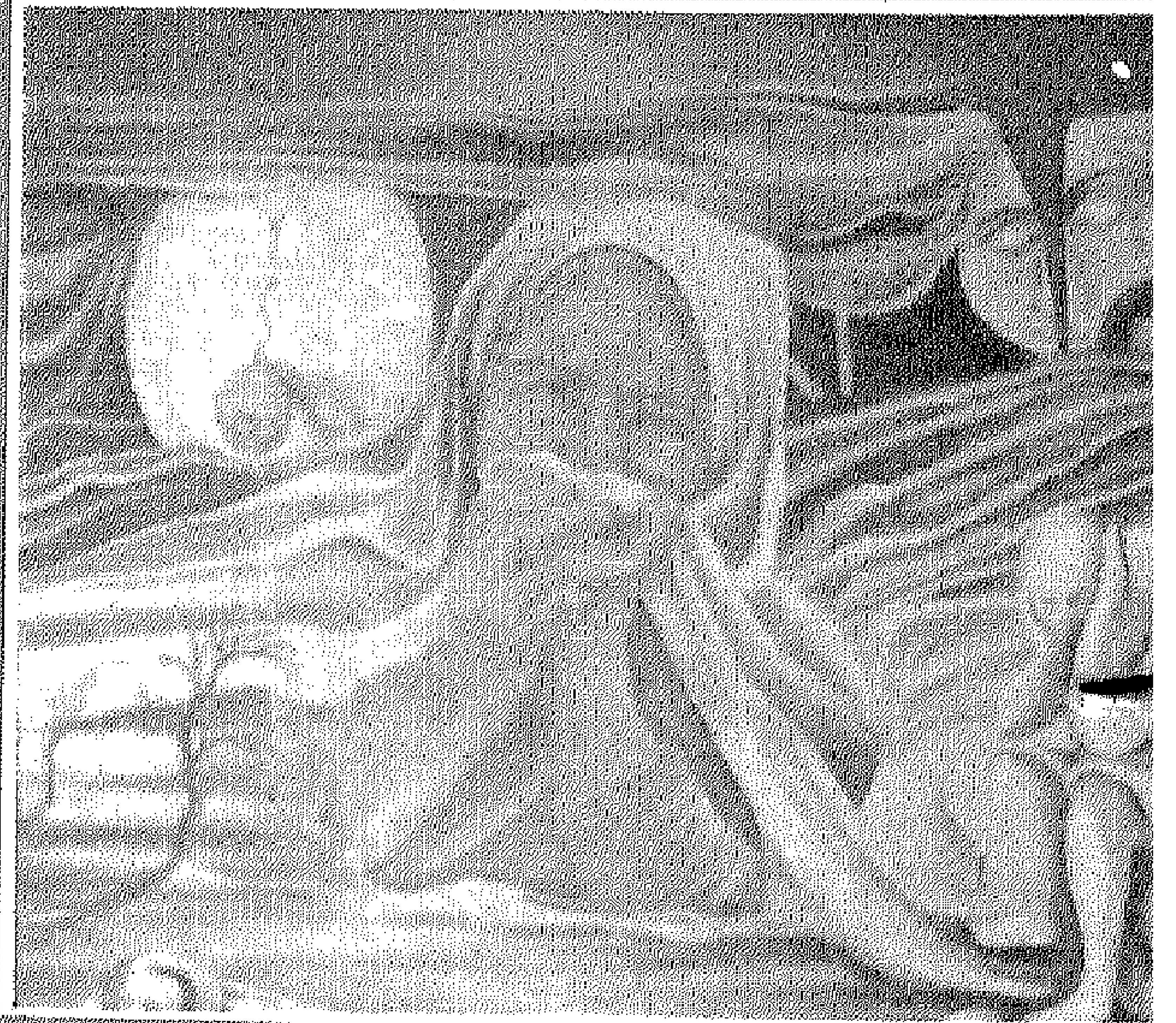
عبدالله الخليفي — البحرين



عبدالرسول سلمان — الكويت

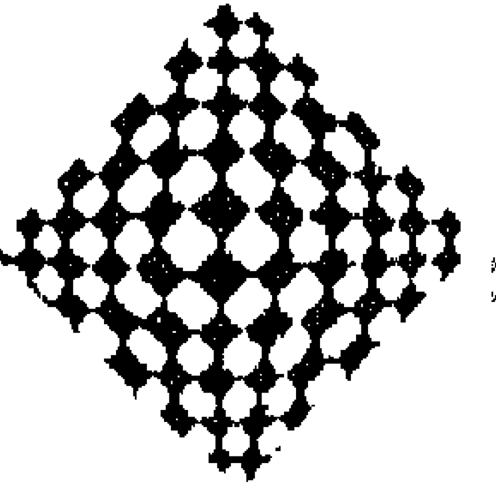


ان انتقال الثقافات ليس بدعه ولم يكن ابداً وفى القرن الماضى عندما بدأ الشرق يفعل مفعوله السحرى فى مخيلة فنانى الغرب يوم كان التفكير السائد عندهم بأن بلاد (الف ليلة وليلة) تقع على حدود مدينة مرسيليا ولم تكن الغايه من سفرات الرسام (دولاكروا) والكاتب (فلوبير) والشاعر (جيرار ددى نرفال) والروائى (اناتول فرانس)





وغيرهم الا لتغذية شعورهم بالاغتراب الاستشراقى حالمين بالفردوس المفقود متخيلين اكتشاف موطن (شهرزاد) وحتى الذين لم يرتحلوا الى الشرق تأثروا بسحره وحتى بيكاسو تأثر فى اعماله بالاقنعه الزنجيه كما تأثر فنانون آخرون بالأرابيسك العربى وعصر الحريم الشرقى ونقل الفرنسيون الكثير من الاجواء الشرقيه فى اعمالهم من مصر وشمال افريقيه ، ولعل هذا الشعور نفسه هو الذى دفع بعض الفنانين العرب الى تبنى الرسم «ذو الثلاثة ابعاد» مع اراده واضحه لقطع صلة الرحم التى كانت تربطهم بأوربا او على الاقل رغبة فى التحرر.

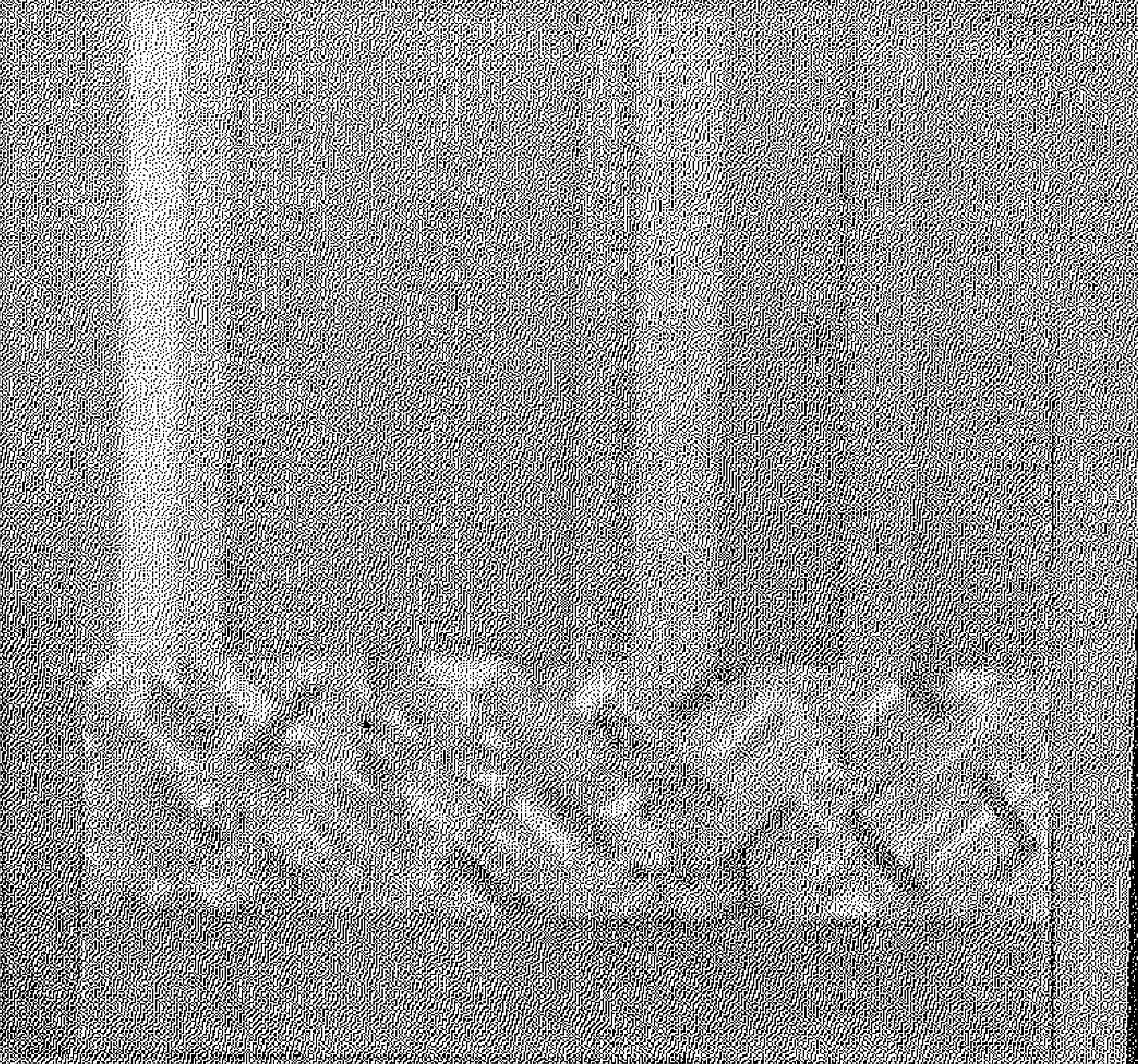


وهذا النوع من الرسم لم يكن مجهولاً فقصة المباراة الفنية بين (ابن عزيز العراقى) و(قصير المصرى) التى عقدها بينهما الوزير الفاطمى (يازورى) تشير الى مقدرة الفنان العربى على التصوير ذى الابعاد الثلاثه فقد حاول الفنان العراقى ان يبرز على منافسه بأن اعلن انه سيرسم صورة فتاه تظهر وكأنها خارجه من الحائط وقبل الفنان المصرى التحدى واعلن انه سيرسم ذات الصوره وكأنها داخله فى الحائط . . وقد انجز الفنانان ما وعدا به فأجازهما الوزير الفاطمى المولع بجمع التصاوير، العطاء.

لم يكن إذن التزام الفنان التشكيلى العربى بواقعه المحلى وتقاليده وتراثه المحمل برموزه الخاصه الا العامل الاساسى فى محاولة اختيار ابجديته الفنية المتميزه فقد تجاوز بعض الفنانين التقنيه التقليديه من تعاليم (دافنشى) العشرة:
العتمة والضوء، البريق والمادة، اللون والشكل، البعد والقرب، الحركة والسكون. . كما اتقنوا علوم المنظور والتشريح وقوانين النسب وما الى ذلك من تعاليم عصر النهضة الاوربية فى الفن وكذلك هضم البعض الى جانب ذلك مدارس الفن الحديث او تعرف عليها والتى بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر مهشمة الضوء الى الوانه القزحية أو داخله فى اعماق

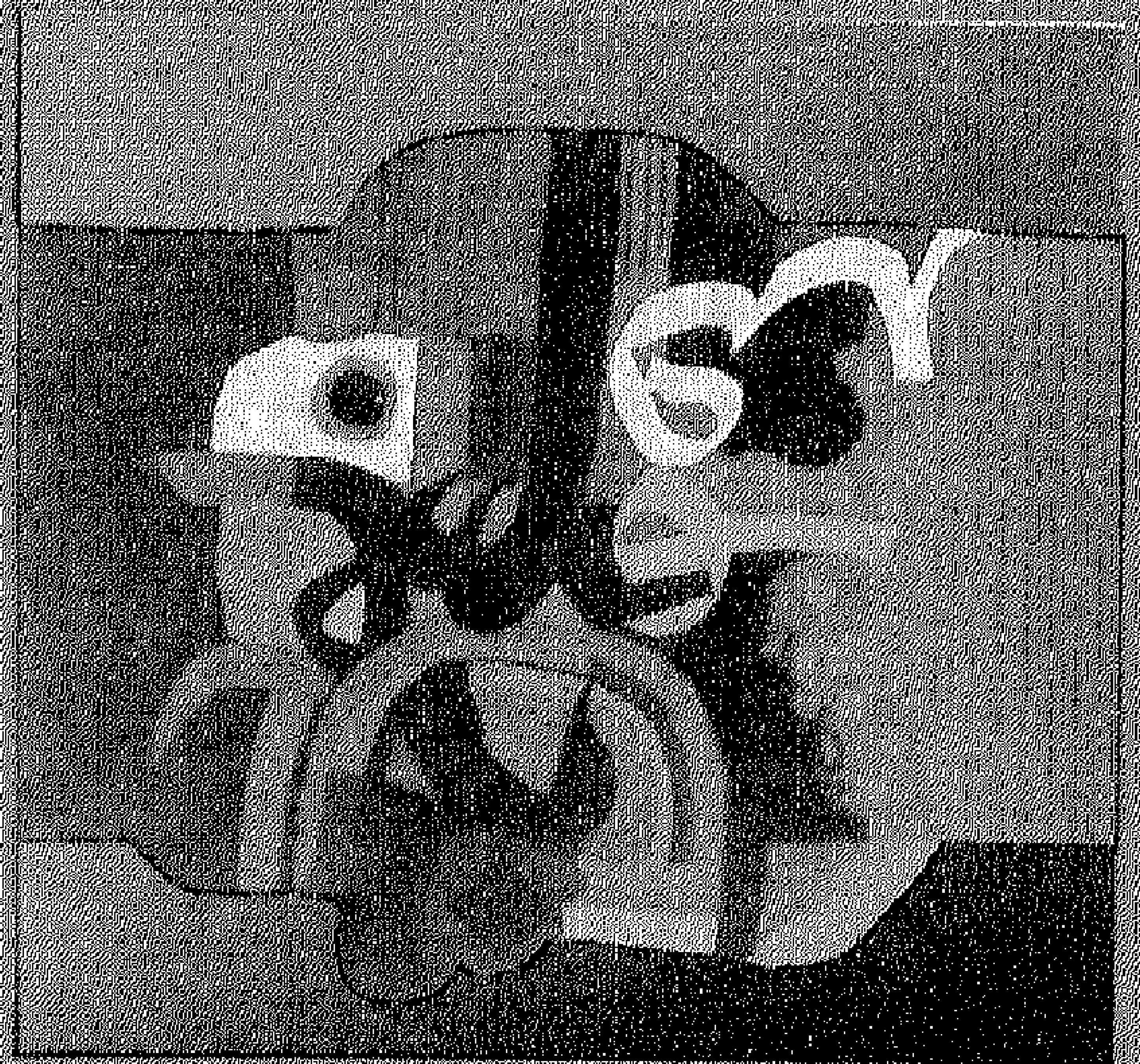


اميــن بن جميل ▲ اليمن الديمقراطية

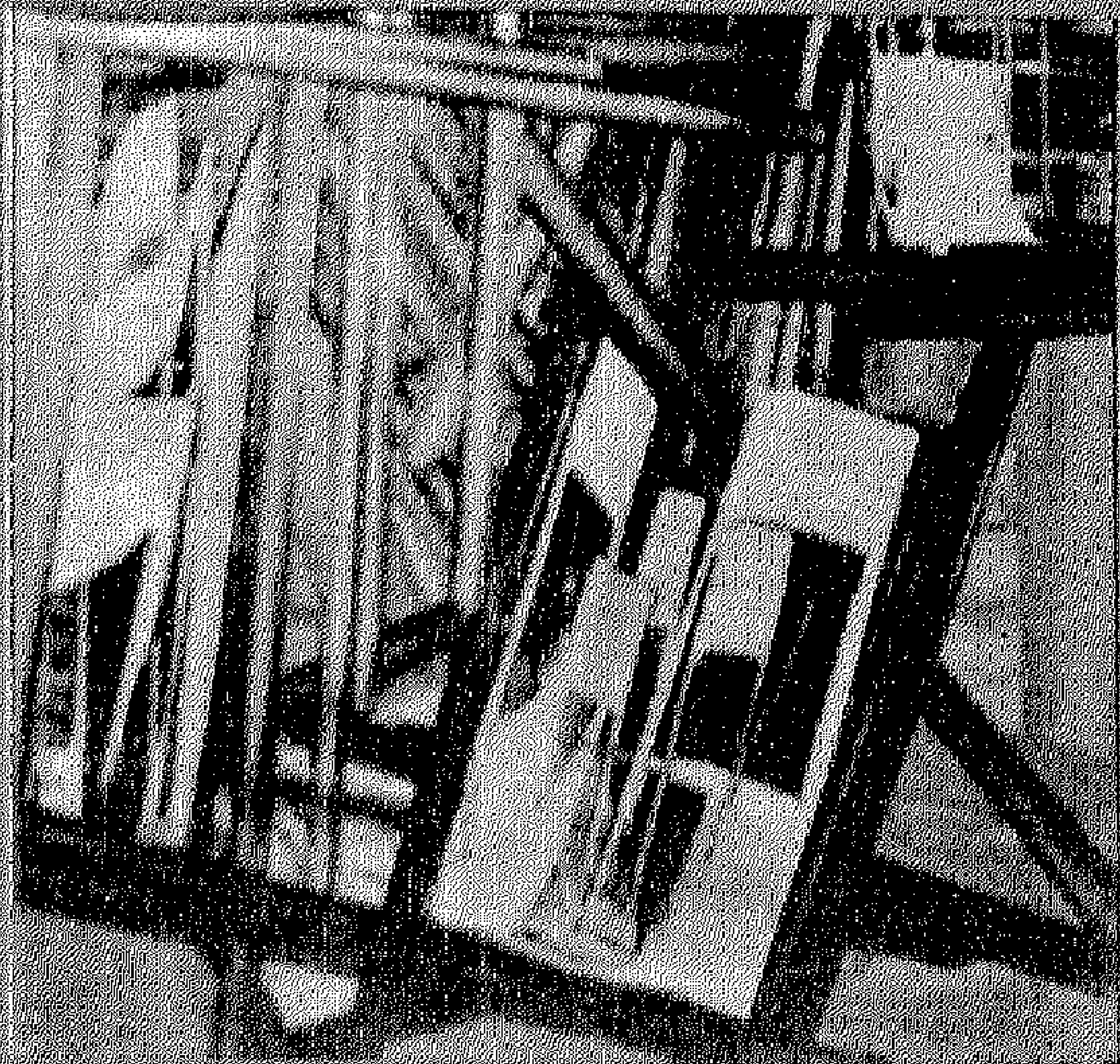


عبد الكريم القطاس ▲ المملكة المغربية

ضياء العزاوي ▼ العراق



محمود حماد ▼ سوريا

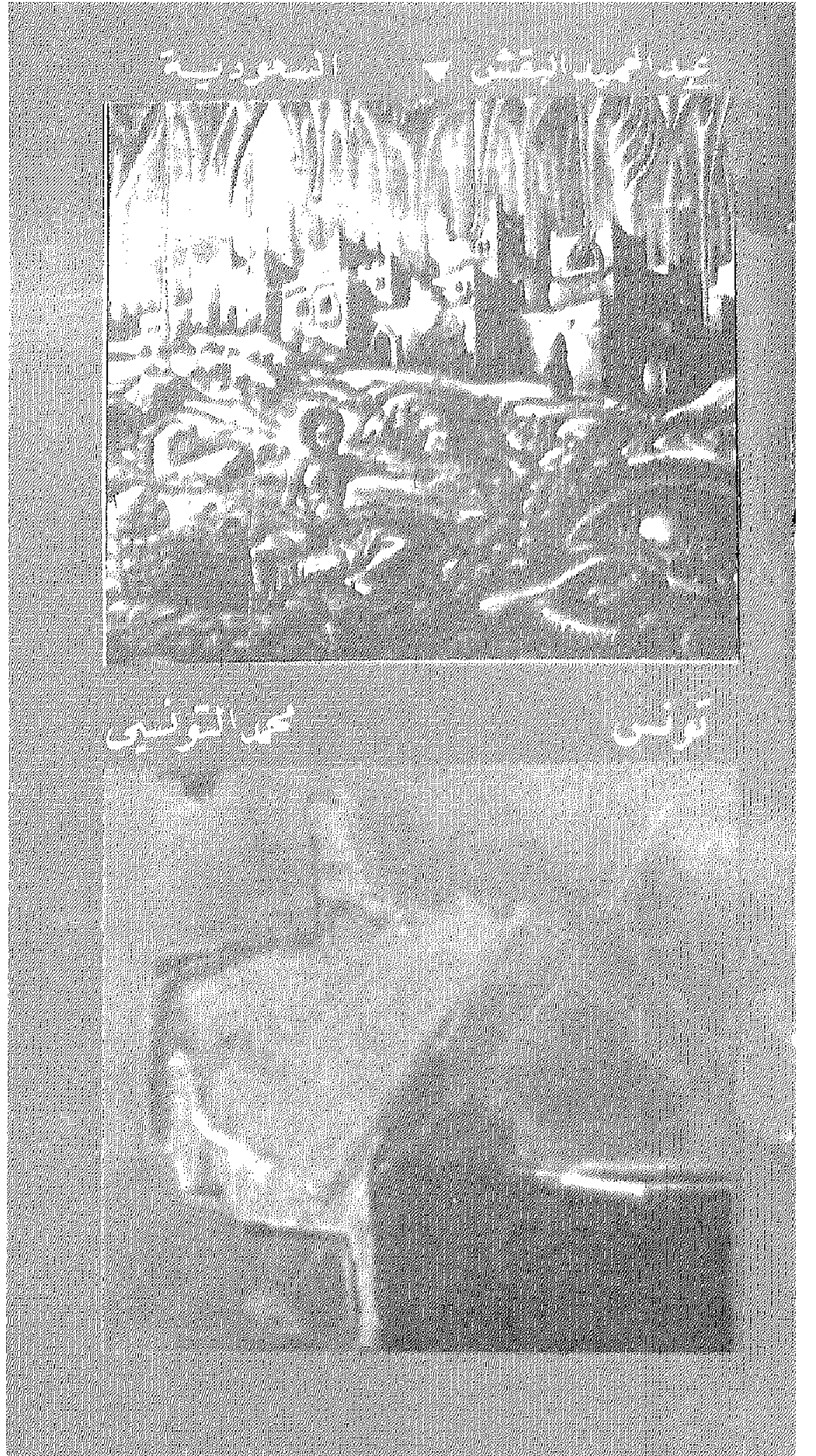


العقل الباطن أو اللاوعى محطمه المنظور أو مستطلعة عدسات الميكرسكوب فى البحث عن عوالم جديدة مشدوه بالعلم وبالآله.

فالحركة التشكيلية فى العالم العربى لا يمكن اعتبارها صوره طبق الاصل من الاتجاهات الشائعة فى العالم الغربى كما انها ليست عربيه خالصه أو تحمل هويه محليه خالصه فالفنان العربى بالاضافه الى جهده المكثف فى اختزال تجربة الفنان الاوربى الممتده عبر قرون اربعة أو تزيد استطاع استيعاب هذه التجربه خلال نصف قرن ليقف على قدم المساواه معه وليضيف اليه. ففى الاستيعاب والاضافه يكون التواصل بين الحضارات لا بالرفض القاطع وانما بالاختيار المدرك الواعى.

الفنان العربى فى تطور مستمر من خلال بحثه عن ذاته، يعالج ويجرب ويتحسس مختلف التيارات الى ان يتوصل الى اسلوب خاص وتكون على الغالب صوره جامعة لاكثر من اتجاه وقد تزايد الاهتمام بامكانات الحرف وادخاله ضمن الاعمال الفنيه وظهرت حركة جديده فى بغداد تحت اسم (البعد الواحد) وتحت هذه التسميه اقيم المعرض الوثائقى الاول فى ١٩٧١.

واستخدام الحرف العربى يساعد الفنان على



التشكيل غير ان الجو الذى يشيعه يختلف من رسام الى آخر لذلك عندما يستخدم الرسام الاجنبى الحرف العربى فى لوحاته وهذه ظاهرة شائعة لا تحسه متفاعلاً مع الكلمه فالحرف بالنسبه له مجرد زخرف بينما هو كما يقول ضياء الفراوى تجميع ذاكره ورسمها بالالوان والحركة التشكيلية تحاول اقامة علاقه شكلية تتضمن ما يريد الفنان التعبير عنه دون الاهتمام بمادة هذه العلاقات يكون مرجعها فى التأثير الى العقل . . أى أنه لا يهتم بارتباط التعبير بمصدر الاشكال التى يستخدمها . . والخط العربى عنصر تجريدى تشكيلى يستخدم لابراز التكوينات الحديثه ذات الطابع العربى فى اطار فنى وتقنى جديد.

وعلى الناقد العربى اليوم تقع المسؤوليه فى استخلاص النتائج المرحلية التى توصل اليها الفنان العربى ، فقد آن للناقد ان يتحمل بعض اعباء المعاناة التى تحملها الفنان ومازال والا فسيظل الفنان العربى منتجاً للفن وناقداً فى آن معاً .

وليكن ختامنا بكلمة للاستاذ عز الدين المدنى أيضاً يوجهها الى الفنان العربى :

«كن على يقين لا يشوبه ريب بأنك من سلالة مَنْ نقش ضريح امرىء القيس بعد ان اقام بحرّان ، وزيد ، وام الجمال وخلف فيها آثاراً لا تمحى وتجول بعد ذلك بالانبار ومكة ، ثم انك تنتسب الى من قيّد القرآن على عظام الجمال ، وسعف النخل ورسمه بعد حين على الرّق .

كما تنتسب الى خطاطين اعلام كأبى على بن مقله الوزير وابى الحسن على بن هلال بن البواب وابى حيان التوحيدى ويحيى بن محمود بن يحيى الواسطى وياقوت المستعصمى ومحمود النيسابورى العارفين المبدعين الخلاقين.

مراجـــع :

١ ـ الاستاذ عز الدين المدنى
(كتاب نجا المهداوى . . النص)
٢ ـ الدكتور حسين مؤنس
(مجلة اهلا وسهلا العدد الاول السنة السابعة ـ يناير/ فبراير١٩٨٣)
٣ ـ الفن التشكيلى فى العراق
مجلة الفنون ـ تونسيه ـ العدد الأول ـ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ

٤ ـ شهادات الفنانين العرب
ـ (جلال الكسراوى)
ـ محمود حماد مجلة الفنون ـ تونسية ـ العدد الأول ـ جمادى الأولى ١٣٩٧هـ

بناة الفن و أعلامه



ـ امراة جالسة.. هكذارسم بيكاسو المراة

بيكاسو



● من مواليد مدينة «ملقه» فى أسبانيا عام ١٨٨١م الرسم ـ كما يقول ـ ليس دعوة للغداء تأخذ فيه القهوة والكعك المحلى وتنصرف.

● حاربته النازية ومعه مجموعة من الفنانين والادباء والمفكرين لمواجهتم الظلم ودعوتهم الى الحرية فيما يكتبون ويرسمون ويصدرون. وأصدرت السلطات النازية أوامرها بنزع اعمال بيكاسو ومعه مجموعة من الفنانين منهم (فلامنك، رودة، وبراك) من المتاحف وبيعها خارج البلاد بأبخس الاثمان.

وحاولت السلطات النازية اخراج بيكاسو من فرنسا ولكن ما وصل اليه من شهرة فى أوربا وفرنسا جعلها تحجم عن البطش به مكتفية بتهديده.

● للفنان بيكاسو العديد من الاعمال الفنية التى كتبت لها الشهرة وسجل لها المجد، ومن ضمن تلك الكثرة لوحته الشهيرة الضخمة (جرنيكا) التى استلهم فكرتها ومضمونها من قرية (جرنيكا) فى اسبانيا وأسمى اللوحة باسمها.

● لوحة ضخمة خالية من الألوان ما عدا الأبيض والأسود والرمادى يصل طولها الى نحو ثمانية امتار وعرضها نحو أربعة، وضع فيها رموزاً شتى للقهر والظلم والموت والدمار والمقاومة.. وفى عام ١٩٣٩ أودعها بيكاسو متحف الفن الحديث فى نيويورك خوفا عليها من التدمير.. وفى عام

● فنــان التــاريــخ والأشكــال المــرمــرية.. انـه عبقـرية فذة تفاخرت به بريطانيا وهولندا طوال النصف الثانى من القرن الماضى.

● عاش تاديما أحداث النصف الثانى من القرن الماضى كما عاصر الوحشية والتكعيبية فى أوائل القرن العشرين.

لورانس ألما تاديم

بناة الفن وأعلامه هم جزء من كل أريدهم التدوين لا الحصر.. والدلالة لا الإستدلال ذلك لأننا توخينا ورود هذه المادة من جهاتها الأصلية متوفية وقوجئنا بعدم وصولها مع أشباه لها ونظائر وكان لابد مما ليس منه بد فاستحضرنا على عجل ما قدمه أرشيفنا فى وجل وحياء البناة قبل الأعلام.. بقصد.. وربما امتزجا ببعضهما فشكلا هذا الفصل



١٩٤٤ أهداها للشعب الأسبانى.

● كان بيكاسو يعمل الساعات الطوال من غير ملل أو كلل، ولما سئل عن تلك المقدرة العجيبة قال: عندما أعمل أترك جسمى عند الباب ولا أشعر به. ففى هذا الوضع يظل الجسم ساكنا لاعتمادى على الطاقة الذهنية..

● لقد منحته بريطانيا لقب «سير» اعتزازا منها بفنانها العبقرى واحتفظت بلوحاته فى متاحف خاصة..

البروفسير عبدالحليم رضوي

■ من مواليد عام ١٣٥٩هـ وتخرج عام ١٣٩٩هـ فى الاكاديمية العليا للفنون الجميلة بمدريد باسبانيا بدرجة بروفسير.

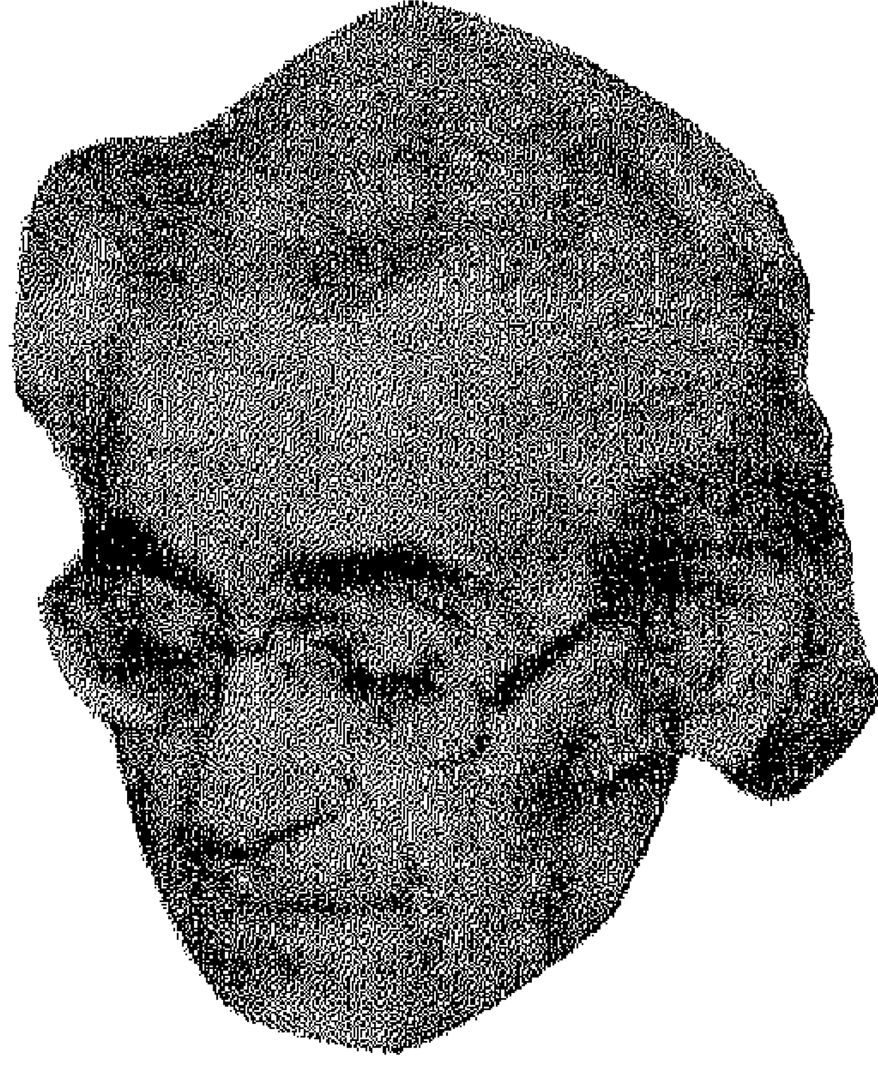
● من الفنانين التشكيليين الرواد فى المملكة العربية السعودية ومن الأعلام الذين تتلمذ على يديهم الكثيرين من الشباب.

● يحرص دائماً على إبراز دور الفن والثقافة فى اظهار التطور الحضارى المشرق فى المملكة وله فى ذلك ما لايحصى من الرسوم والتصميمات الفنية والمجسمات الجمالية التى صممها ونفذها هنا وهناك. وخلال تاريخه الفنى رسم من اللوحات والمجسمات والنحوت ما يربو على ثلاثة آلاف لوحة.

● اختير رئيساً لرابطة الفنانين العرب بمدريد، ورئيساً للجنة التحكيم الدولى فى نادى الفنون الجميلة بمدريد أيضا.

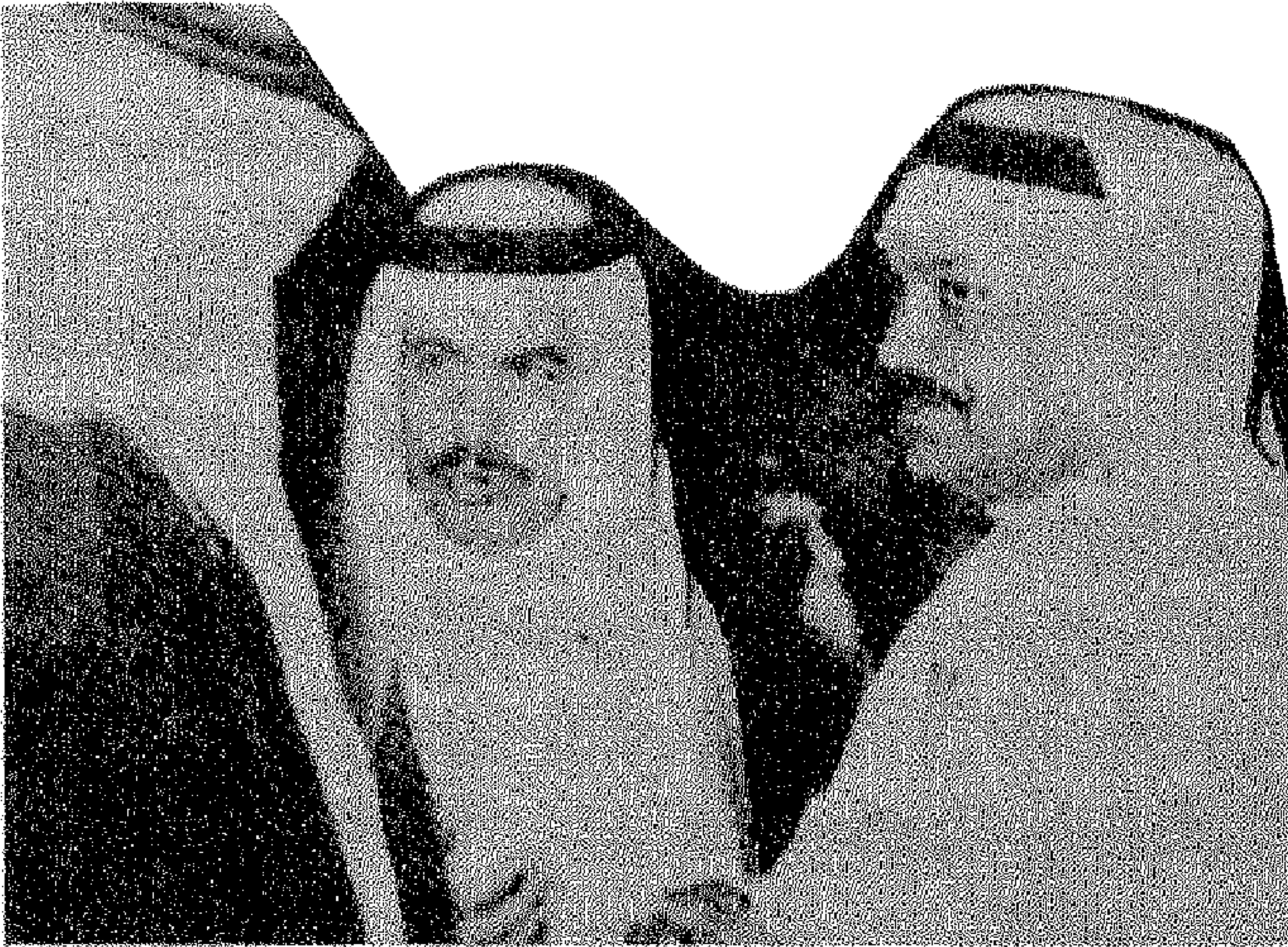
● ووضوح الرؤية عند الرضوى تسوقه الى القول بان (تلك الطاقات المتدفقة الهائلة هى أمانة فى عنقنا.. وعلينا أن نوجهها فى مسارها السليم.. ولذا يجب علينا ان نتفكر ونتدبر فى مخلوقات الله وملكوته لتزداد ايماناً بقدرته وبعظمته).

● وفى زيارته الأخيرة للبرازيل كرم الدكتور الرضوى بمنحه وسام الاستحقاق الفنى (أراربيويا).

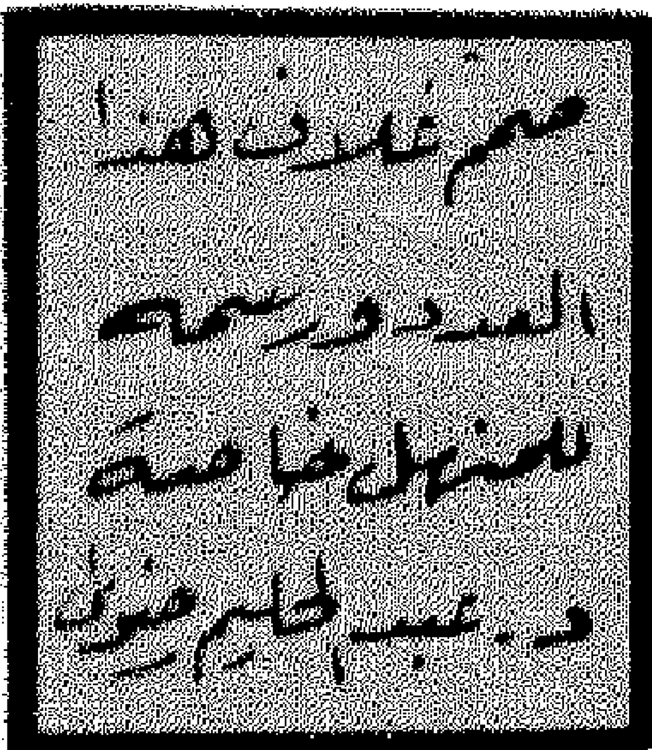


"ورحل سيف وانلي"
في أكتوبر الماضي

أقام معرضاً يضم لوحات انتقاها بنفسه تمثل مراحل نصف قرن من الزمان من عالم الفن الذى أرسى قيم الخير والجمال والحب. وكان المفروض أن يفتتح معرضه في ستوكهولم.. ولكنه رحل



الاستاذ محمد الشدي والدكتور عبدالحليم رضوى وحوار



الفنانة صفية بن زقر

نفس مرهفة حساسة ..
تلوّن بفرشاتها واقعاً
جميلاً مضى .. تماماً
مثل الحلم الذي لا يمسك!
وهي تصوغ عالمها الجميل
من ذكريات المحمل وتقاليد
الزواج الحجازية وأعمال



المرأة في البيت
عالم جميل وآسر ..

روفاييل جيوفاني سانتي

● الفنان العالمي (روفاييل جيوفاني سانتي) ولد عام ١٤٨٣ بمدينة أوربين في إيطاليا . .

● كان يعمل تحت إمرة وتوجيه الرسام الكبير (بيروجين) ظهر نبوغ (روفاييل) منذ حداثة سنه .

● سافر إلى فلورنسا حيث يوجد مايكل انجلو وليوناردو دي فنشي وكانا في قمة المجد الفني اضافة لما لهما من موسوعية في بعض العلوم والمعارف الأخرى كفن العمارة والنحت وعلوم الفيزياء والميكانيك .

● ظل روفاييل المثل الأعلى للمدرسة الجديدة التي يطلق عليها (مدرسة الرسامين الانطباعيين) ومن أشهر اتباعها : ماني ، سيزان ، ديفا ، بيكاسو ، ارنست ، . . وغيرهم .

● احتفل في العام الماضي بمرور خمسمائة سنة على مولده واقامت المتاحف الوطنية في باريس تذكارا كبيرا لهذا الفنان العالمي الشهرة حيث تناولت بالتفصيل الرسوم التي خلدها .

يَعلق بفرشاتها
ويرتسم على حدقاتها

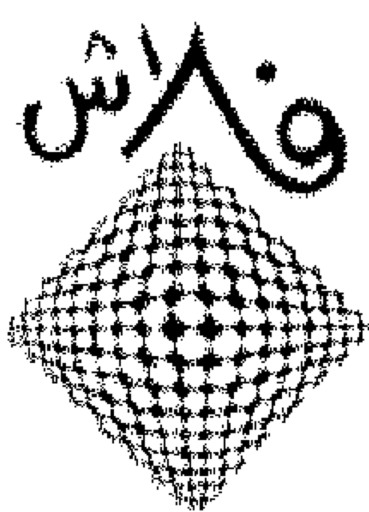
طارق عبدالحكيم



في ربوع الطائف واوديته الغناءة ترعرع هذا الفنان، وفي (المثناه) حيث كان الجمع يتسمر في ظل الاغاني الشعبية كالمجرور وغيرها.. في هذا الجو البريء بدأ حب الموسيقى يتدفق الى داخله ثم التحق بالكلية العسكرية وتعلم فيها هواية العزف على العود واستطاع ان يستخدمه في غناء «المجرور» بدلا من «الطار».

● من اول الحانه اغنية «طيف الخيال» وكانت على دقات طبول المجرور ثم وضع لحن اغنيته الشهيرة «ياريم وادي ثقيف» ومن آرائه الخاصة في التلحين ان اهم العناصر الداخله في نجاح الاغنية تعتمد على اللحن ويعطيه ٥٠٪ ثم الاداء ويأتي بنسبة ٢٥٪ والباقي للكلمة والاخراج.





المهندس بركات باجنيد



● جده اصبحت احد ابرز معالم المدن في المملكة العربية السعودية وقد اشاد واعلم عن واقعها كثير من الشداة والمنصفين.. ومن مبتكرات ابرازها وبروزها واستظهارها كأمثالها من أمهات مدن المملكة النواحي الابداعية في التخطيط والعمارة من واقع التذوق الفني.

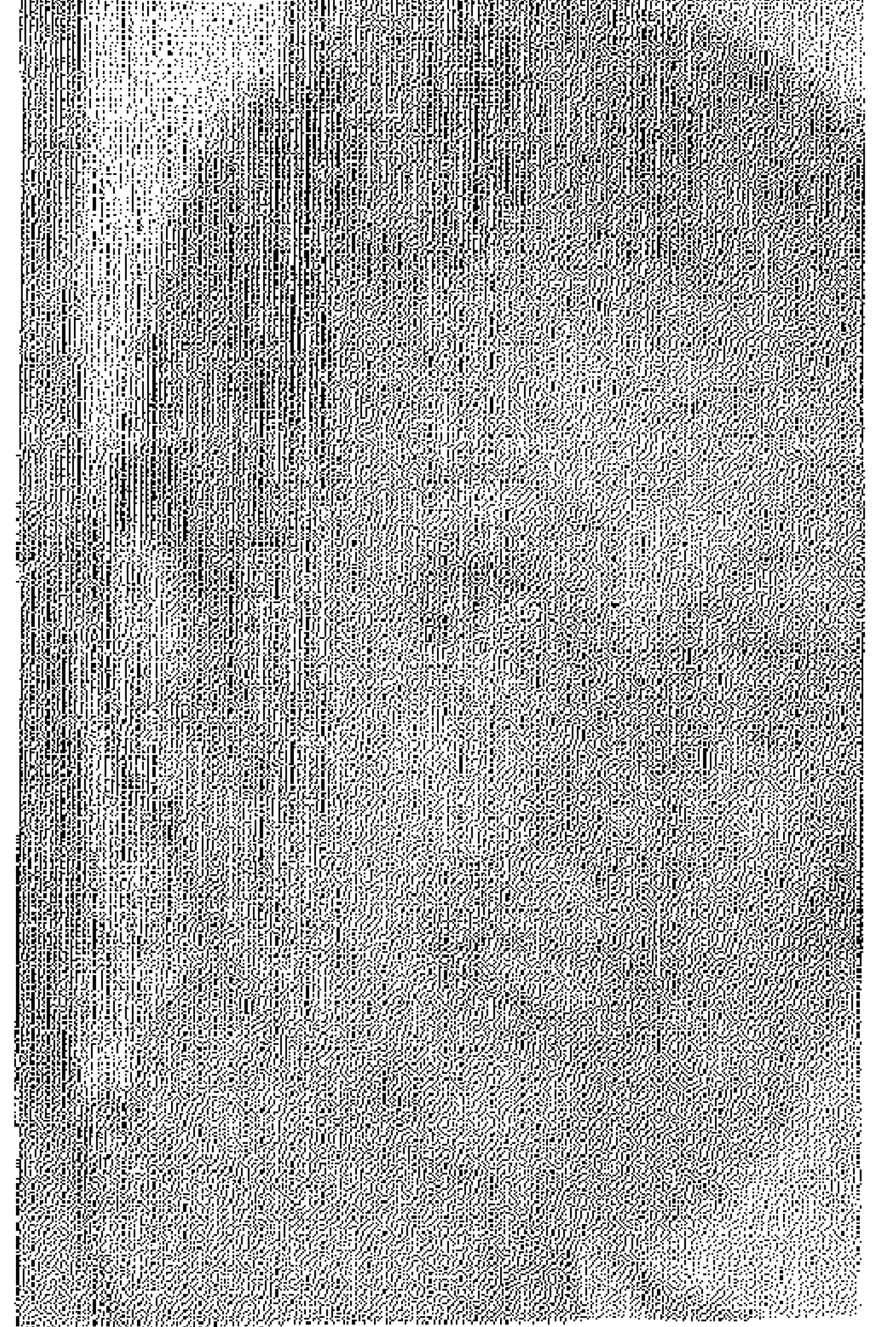
وامين مدينتها المهندس محمد سعيد فارسي - بحق - هو ابرز عناصر هذا التكوين.. والرجال عزم واخلاص ومواطنة يشد بعضهم بعضا للبناء والتقويم والاصلاح والاشادة.. وهذا - المهندس بركات باجنيد - أحد الرجال الخلص لخدمة دينهم ومليكهم ووطنهم واحد الاذرع الفاعلة الفتية التي شاركت في تحديث جدة ولقد آن اوان تكريمه وتقديره فكانت - كعاداتنا بها - تنصيبه المرتبه الرابعة عشرة كمساعد امين للأمين الامين.

ليلى حداد

(الفنانة الأردنية ليلى حداد)

● تحب النحت وتهواه . . تلقت تدريبها الفنى فى معهد الموسيقى والفنون الجميلة فى عمان . . اشتركت فى عدة معارض جمالية فى الاردن . . تمتاز بالذكاء والتفوق واتقان اللوحة .

■ العمل الفنى عندها قيمة جمالية . . والفن جزء طبيعى من الحياة وهو تطور طبيعى للانسان . . وهذا ما يضاعف جهد الفنان ويؤكد عمق مسؤوليته . .



أم كلثوم

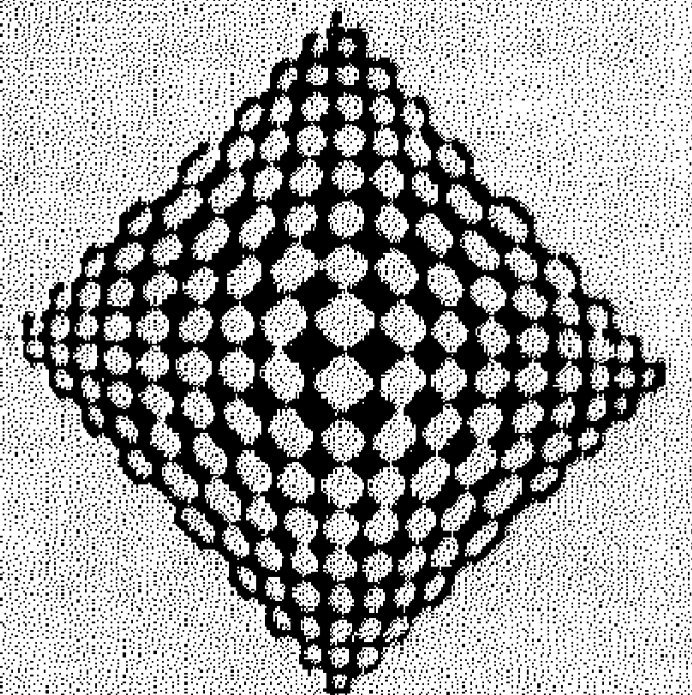
نجم أفل ولم يسطع مثله ليومنا . . وظاهرة فنية قلَّ ان تتكرر . . جمعت بين عذوبة الصوت وقوته . . وروعة الاداء وطراوته . . لحن لها كبار الملحنين وتسابق على التأليف لها اشهر الشعراء المبدعين . . شدت بالحانهم وترنمت باشعارهم وشنفت اذاننا هنا وهناك . . فقدتها مصر والعالم العربى . . وسيظل الزمن والتاريخ يردد اسمها ويحلم بفعلها ويعبق بشذى فنها .

سراج عمر

سراج عمر .. الاسم والدلالة علم من أعلام بلادي الملحنين. وسراج ذو نسق ووهج. وشعاع لاح في أفق الجمل الموسيقية وتكويناتها البديعة فأضاءها بعذوبته وبعده وأصالته وتنوعه الأخاذ

إنه بحق مدرسة حديثة للمحدثين ومفخرة الملحنين المرموقين







فرنشيسكو جويا

«١٧٤٦-١٨٢٨»

● أسبانى المولد والهوية.. درس الفن على يدى بعض الأساتذة الاكاديميين فى سرقسطه ومدريد وايطاليا.

■ كانت حياته عالما مختلطا يموج بالحركة والحيوية.. كان يرسم ويعربد ويصارع الثيران، ويبارز بالسيف ويشكل العصابات.

● اهتم برسومات البيت المالك واشخاصه.. واحتضنه البلاط الملكى وعاش ـ حيناً ـ حياةً رغدة وذاع صيته.

● عنى بحياة قومه الأسبان وتعاملت ريشته مع أغلب صنوف البشر.

● فى عام ١٧٩٢ أصيب بمرض أفقده سمعه.. وتلك الحادثة عمقت نظرته إلى حقيقة الانسان فاشتد اسلوبه نضجا وجسارة فى التعبير عن احساسه الشخصى.

● من اهم آثاره الفنية لوحة «الفريسك» الهائلة التى زين بها سقف كنيسة القديس (انطونيو ديلافلوريدا) فى مدريد.

وتجلت ثورة (جويا) النفسية فى مجموعة رسومه التى سماها (لوس كابريكوس) أو (النزوات) حيث صب فيها سخريته على المجتمع الانسانى بأسره متهكماً تهكما شديدا على العادات الشائعة والاعتقادات الروحية السائدة.

● بعد جلاء الفرنسيين **عن** أسبانيا فى عام ١٨١٤ رسم (جويا) لوحتين لتخليد ذكرى المحاربين الأسبان. وتعد لوحته (اعدام الثوار أو الثالث من مايو) أروع لوحة من نوعها.

● وبعد ان داهمه المرض مرة ثانية عام (١٨١٨) رسم لوحات هائلة بالغة الغرابة سريالية الطابع، أشبه برؤى مزعجه مفزعة رهيبة وسميت تلك اللوحات باسم (اللوحات السوداء) ومن أشهرها (محفل السحرة) و(زحل يلتهم أبناءه).

وليم شكسبير

(وليم شكسبير «١٥٦٤-١٦١٦»)

● ولد الشاعر فى مدينة استراتفورد على نهر أفو بانجلترا

● تزوج فى الثامنة عشرة من فتاة عمرها ستة وعشرون عاماً انجبت له ثلاثة أطفال.

● ذهب إلى لندن وأصبح ممثلا ومؤلفاً مسرحياً حتى أطلق عليه انه أعظم مؤلف مسرحى.

● اشهر تحفه الأدبية.. يوليوس قيصر.. هاملت.. عطيل ماكبث والملك لير.

● تبقى لنا من أعماله ٣٨ مسرحية منها المتواضع جداً.

● نظم حوالى ١٥٤ قصيدة أخرى طويلة.

● لم يختلف النقاد حول امكانيات شكسبير الفنية فهو يلقى الاحترام من الجميع وتدرس أعماله على الأجيال.

● عن معاصرة شكسبير تقام الآن فى فرنسا إعادة لتركيب مسرحية «هنرى الرابع» وكذلك «هاملت» و«الملك لير» و«ضجيج كثير بلا سبب» وكلها من أعمال شكسبير.

● مات الفنان فى عيد ميلاده الثانى والخمسين ولم يعش من أبنائه أحد.



سيد درويش

يعتبر سيد درويش رائداً من رواد الموسيقى والغناء العربى.

ولد بالاسكندرية وانتقل الى القاهرة وعاصر حياة الزعيم سعد زغلول وله نشيد بلادى بلادى لك حبى وفؤادى الذى رددته الملايين من المصريين وقد استلهم الحياة الشعبية وادمجها فى الحانه. فكانت الحانا بديعة بسيطة معبره كما شارك بجهد متميز فى اغناء فن الاوبريت والمسرح ويعتبر سيد درويش مدرسة فنية فى التلحين

وزير المالية يفتتح المعرض الرابع للفنان اليحيا بانت كونتيننتال



عبدالجبار اليحيا

● من الفنانين التشكيليين المعدودين.. له مساهمته فى تطور الفن السعودى لا يتقيد فى أسلوبه بمدرسة او اتجاه بعينه بل يستقى من كل الأساليب والمدارس.. لوحاته تميل الى الواقعية والتأثيرية والرمزية..

● أعماله يحتضنها اتجاه التعبيريين كاطار عام وتصل الى الاسلوب الواقعى كقناعة مطلقة.. يستفيد من الجميع ولا ينتمى الا لنفسه.

● لا يتعامل مع الطبيعة والاشياء ببصره بل يستخدمه وسيلة إلتقاط واختزان.. انه يلتقط المشاهد من الواقع المرئى وينفذها كما يحلم بها.

● دؤوب الحركة.. يبحث عن التجديد.. يتعامل مع لوحاته بعقلانية شديدة.. له قدرة عالية فى تشريح الاجسام التى تتخذ اوضاعاً مختلفة غريبة، متشنجة أو مسترخية بحيث تحتاج فعلا إلى مهارة فى الاداء.. ولوحاته تتمتع بالرؤية الواقعية لمجتمعه من خلال اللون والخط



طلال مداح • محمد عبده



● سعيده هى الامم التى تحاول ان تعيد قديمها الاصيل المتدفق.. تحاول البحث عن ثرائها واصالتها الفنية العميقة والمؤثرة.. وبلادنا تذخر بمثل هذه المحاولات الجادة والبارزه وفى شتى المجالات الفنية والتراثية.. وما هذه الصورة لفنانينا الكبار (طلال مداح) و(محمد عبده) الا تعبيراً عن الصورة والصوت والنغم الذى حلق فى سماء الاغنية والفلكور السعودى المرئى والمسموع وبشكل مجيد وبعطاء حثيث يؤهلنا لتجاوز الجفوة الفنية التى عصفت بقديم فنوننا الغنائية الشجية.. ويدفعنا لاكبار وتقدير الصحوة التى تطل علينا حينا وحينا من بناة فننا واعلامه.



جوستاف فلوبير
«(١٨٢١-١٨٨٠)»

● زعيم المدرسة الواقعية فى فرنسا.

● أحد كتاب الرواية فى القرن التاسع عشر.

● اشهر أعماله «مدام بوفارى» ١٨٥٦

● وله رسائل متعددة ضمنها الكثير من آرائه فى الفن والحياة منها: رسالته إلى الآنسة «ليروييه دى شانتينى (١٨٥٧)».

محمد عبد الوهاب

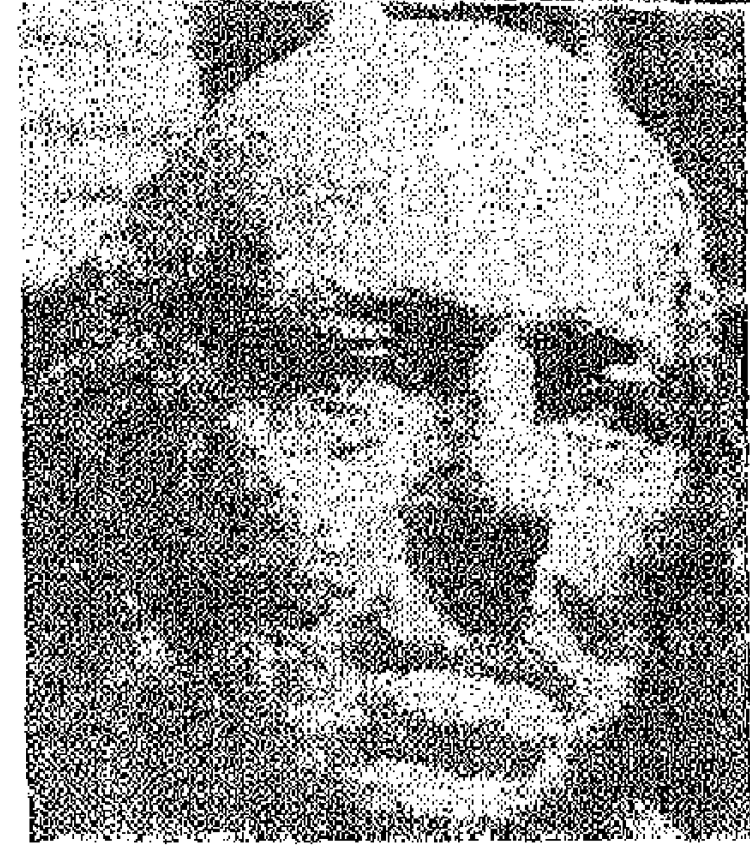


قطب من أقطاب الغناء والتلحين فقد جمع بين عذوبة الصوت، وروعة اللحن، واختيار الكلمة فى بداية حياته الفنية وكان له فى هذا مجالسات ومآنسات مع امير الشعراء احمد شوقى ورواد صالونه.. وفى مجال النغم يعد من اوائل من ادخل الصولات الغربية على النغم الشرقى فعززته وابهجته.. وامتدت افانينه الاخاذه المبدعة التى وضع فيها عصارة فكره وتجاربه وثقافاته الموسيقية المتعددة فخلدت وخلدت من ادوها كلمة وتنفيذا.

وما اعجب تلك الافانين الملهمة وما اقربها لاذن مستمعها وما اطربها للسان شاديها وحاديها.. بل ما اعظمها للحن والانسان الشرقى على حد سواء.

حسين بيكار





لوحـاتـه ـ دائمـاً ـ فيهـا احسـاس بالـوضـوح والنعـومـة.. فنـان «اسكندراني» ـ مصري ـ له الكثير من الهوايات التي برع فيها ـ

● له محاولات جادة وبـارعـة في كتابة (قصص الاطفال).

● مبتكـر شخصية (سندباد) فقد كان يرسمها ويكتبها احيانا ثم قدم بعد ذلك (دبدوب) و(فرفر).. وغيرهم.

● من مواليـد الاسكنـدريـة ١٨١٣م.. ومن اسـرة فقيرة.. خريـج مدرسة الفنون الجميلة ١٩٣٣ ـ عمل استاذاً ورئيساً لقسم التصوير في كلية الفنون الجميلة في الفـترة من عام ١٩٤٢ الى عام ١٩٥٩ وحصل على جائزة الـدولة التقديرية في الفنون في عام ١٩٨٠.





★ المعرفة الإنسانية بين الضرورة والهدف
للدكتور / المهدي بن عبود

★ الحكمة من تحويل القبلة إلى الكعبة المشرفة
أ. معالي عبدالحميد حمودة

★ مفهوم البر في الإسلام
أ. عبدالله كامل الكتاني «المغرب»

★ التعاون الثقافي
أ. محمد بن عبدالعزيز الدباغ
محافظ خزانة جامعة القرويين

★ النور في فلسفة العقاد
أ. جلال العشري

★ الجديد في الشعر .. «مجلة المشتار .. المختار»

★ مجلة السائح
سياحتنا تتجه في هذا العدد صوب ألمانيا والسويد والنرويج

★ أحداث السيرة النبوية .. وطه حسين
د. محمد رجب البيومي

★ الناس في لندن .. قصة ..
أ. غالب حمزة أبوالفرج

هذا: الافتتاحية للشيخ: عبدالله خياط
إمام وخطيب المسجد الحرام

والأبواب الثابتة المعتادة الدسمة.